السنة النبوية

وقضاياها المعاصرة

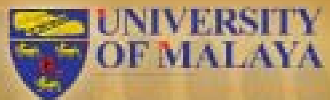
تحرير:

أحمد قاسم كسار

ذو الكفل محمد يوسف

مصطفى عبد الله





السنة النبوية
وقضاياها المعاصرة

:ÀΛÀHʊϘöä Ğʒʐʈf
صديق بن عارفين
ثرايا بنت أحمد
خضير بن أحمد
محمد حسب الله بن سالم
محمد فائز بن محمد فاضل
محمد عارف بن يحي
محمد علي حنفية بن نور الرشيد
شهر النظام بن ذوالكفلي

~٢٠١١~

أحمد قاسم كسار، ذو الكفل محمد يوسف، ومصطفى عبد الله – gÀöÅĤţä ÅŁÅÅÅŘęş ĞÅzĞÅöä ĞÅÊöä.

ISBN: ٣-١٣-٥٥٣٤-٩٦٧-٩٧٨.

الطبعة الأولى – ٢٠١١

الناشر:
قسم القرآن والحديث
أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا
٥٠٦٠٣ كوالا لمبور
العاصمة الماليزية
رقم للاتصال: ٠٣-٧٩٦٧٦٠١٠ / ٠٣-٧٩٦٧٦١٥٥.


بسم الله الرحمن الرحيم



المحتويات

ğ ÅÀzǫHuţă

:ĞŢǵŸŋ

البحوث مرتبة بحسب المحاور وفروعها، ثم الابتداء بالأساتذة فالدكاترة فالطلاب بالنظر إلى اسم الباحثِ الأول، وتقديم الضيوف من الخارج على الداخل، وعند تساوي المراتب ينظر إلى الترتيب الألف بائي، وشكراً.



المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}،{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً}،{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً*يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً}.

أما بعد:

فلا يخفى على كل مسلم بأن السنة النبوية هي المصدر الثاني في الشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم، كما أن السنة بمجموعها القولي والفعلي والتقريري إنما هي الترجمة الحية لما نطق به الكتاب من عقائد وأحكام وشعائر وعبادات وقيم ومعاملات وغيرها، فكلما ابتعد الإنسان عن الكتاب والسنة زاد ضلالة وانحرافاً وظلماً وظلاماً.

وما أعظم واجبنا تجاه هذه السنة لا سيما في هذا العصر إذ أتاحت لنا كل الوسائل الحديثة من الانترنيت والتقنيات المعاصرة التصدي لكل من يحاول النيل من السنة النبوية من الأعداء والجهلاء في كل زمان ومكان، ولذلك توالت الشبهات والتحديات على السنة النبوية تارة بإنكارها جملة، وتارة بإنكار خبر آحاد في الاحتجاج به في الأحكام، وتارة في الطعن في عدالة الصحابة، وتارة في الحديث عن منهج المحدثين في التضعيف والتوثيق والتصحيح ومناهج العلل، وتارة في فقه الدراية وما يستنبط من هذه السنة، كما أن الأخطاء العلمية والمنهجية فيها متفشية، وهذه الشبهات والتحديات داخلية كانت أو خارجية أدت إلى فكرة تنظيم مؤتمر السنة النبوية الدولي (مسند) تحت عنوان: السنة النبوية وقضاياها المعاصرة، وسعى المؤتمر أن تنبثق عنه رؤية منهجية رصينة لمواجهة هذه الأنواع من التحديات المعاصرة ومعالجتها بحكمة وموعظة حسنة بمشاركة وحضور جمع متخصص والمهتمين بالسنة النبوية وعلومها من الأساتذة الباحثين من داخل ماليزيا وخارجها، ويسعى القائمون على هذا المؤتمر ومن خلال هذا اللقاء العلمي دراسة فكرة إنشاء مركز بحوث الحديث في جامعة ملايا بماليزيا.

وهدف المؤتمر إلى مناقشة موضوع السنة النبوية وقضاياها المعاصرة وما يستجد من التحديات والشبهات حولها، كما أنه قدم الحلول المناسبة والفاعلة في كل ما يحيط بالحديث الشريف من التحديات وتشعبها من خلال النتائج التي توصل إليها الباحثون والتوصيات التي ثبتوها.

هذا وقد جاءت محاور المؤتمر في قضيتين رئيستين تتضمن فروعاً عدة، على ما هو مبين في أدناه:

القضية الأولى: الجهود المعاصرة في خدمة السنة النبوية.

- ✓ الدراسات الحديثية ونقدها، وفيها عشرة أبحاث.

✓ التقنيات والخدمات الحاسوبية، وفيها ثلاثة عشر بحثاً.

✓ ترجمة السنة إلى اللغات الأخرى، وفيها بحث واحد.

القضية الأخرى: الاتجاهات المعاصرة في السنة النبوية.

✓ المدارس الحديثية ورجالها، وفيها سبعة أبحاث.

✓ المناهج التعليمية، وفيها ستة عشر بحثاً.

✓ الشبهات والردود عليها، وفيها ثلاثة عشر بحثاً.

فيكون مجموع البحوث المشاركة ستين بحثاً، من ماليزيا والسعودية والكويت وسلطنة عمان والأردن والعراق والسودان والجزائر والمغرب، وقد عقدت اللجنة العلمية اجتماعات عدة ومشاورات متواصلة يومياً بخصوص الملخصات والباحثين والبحوث، ورشحت اللجنة البحوث المطبوعة في هذا الكتاب لما لها من صلة بمحوري المؤتمر وموضوعاته من جهة، ولما لها من قيمة علمية تستحق النشر والطبع، وقد تم اختيار هذه البحوث بناء على معايير علمية وضوابط بحثية ومنهجية، فضلاً عن ذلك فقد استنارت اللجنة برأي الأستاذ الدكتور شرف القضاة أستاذ الحديث النبوي وعلومه بالجامعة الأردنية في هذه البحوث، واغتنم المؤتمر فرصة زيارته العلمية لجامعة ملايا لإبداء رأيه بالبحوث المقدمة للمؤتمر، بصفته خبيراً لبحوث المؤتمر، فجاء تقريره على النحو الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أيها الإخوة العلماء الأجلاء: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد؛

فإنني أتقدم بجزيل الشكر لقسم القرآن والحديث في أكاديمة الدراسات الإسلامية بجامعة الملايا على كل ما بذلوه في الإعداد لهذا المؤتمر، فجزاهم الله خير الجزاء.

كما أتقدم بجزيل الشكر أيضا لكل من شارك في هذا المؤتمر من الإخوة والأخوات، سواء ببحث أعده، أو حتى بمجرد الحضور، وكم كنت أتمنى أن أشارككم مؤتمركم هذا، وأن أكون بينكم لولا ارتباطي بالفصل الصيفي في جامعتي، وإن كان لي أن أذكر إخواني المتخصصين في الحديث النبوي الشريف فإنني أذكرهم بما يلي:

١. لا شك أنكم تشعرون بالواجب الملقى علينا جميعا تجاه السنة النبوية، فنحن على ثغرة من ثغر الإسلام، ويجب علينا أن لا يؤتى الإسلام من قِبلنا، ونحن أمام تحديات جسام.

٢. تعلمون أهمية إحياء السنة النبوية، وإن من إحيائها في عصرنا تقديمها للمتخصصين في كل التخصصات العلمية، وذلك مثلا من خلال الحديث الموضوعي الذي يربط بين السنة النبوية وبين كل تخصص من تلك التخصصات، وبهذا نزيل الفصام النكد المصطنع بين العلوم الدينية والعلوم الأخرى.

٣. ضرورة الخروج من طور الدفاع عن السنة –على أهميته– إلى طور المبادرة التي تَعرف العصر والواقع، وتقدم السنة –ليس للأمة الإسلامية فقط– بل للعالم، ليسعد العالم بالمنهج النبوي، ولتكون السنة هادية وحادية ورائدة للعلم والعلماء في أبحاثهم.

٤. الكتابة في موضوعات العصر، وبلغة العصر التي تسهل السنة وعلومها، وتقربها من المتعلمين والمثقفين باللغة التي يفهمونها.

٥. ترجمة السنة وعلومها إلى كافة اللغات الحية، وهي مهمة تنوء بحملها الجبال.

٦. التركيز على علوم المتن، فعلوم السند –على أهميتها– وسيلة إلى المتن، فلا ينبغي الانشغال بالوسيلة عن الهدف.

٧. الترفع عن التعصب لشخص أو مذهب، فإن التعصب لا يليق بالباحثين الجادين الساعين إلى الحقيقة، وإن التعصب والبحث العلمي الجاد الرصين لا يجتمعان، والتعصب ولاء لا للحق، بل ولاء للهوى، وما ألفه الإنسان.

هذا بعض ما يُنتظر منا، فهل نحن على مستوى التحدي؟ وهل نحن نركز على النوعية في أبحاثنا لا على الكم؟ وهل نحن نكرر الأبحاث ونجترها ولا ننتج جديدا.

وفي الختام فقد اطلعت على عناوين الأبحاث المقدمة إلى هذا المؤتمر بصفتي خبيراً للمؤتمر، وآمل أن تحقق الأبحاث أهداف هذا المؤتمر، وأسأل الله تعالى أن نكون على مستوى المهمة، وأن يكون مؤتمركم هذا على هذا المستوى، وأن يكون التركيز في كل بحث يقدمه صاحبه على الجديد فيه، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي الختام نقول:

إن هذا المؤتمر هو وجه حضاري للرحلة في طلب العلم وتحصيله، فكل الشكر والتقدير للباحثين والباحثات من داخل ماليزيا ومن خارجها، ولهم من الله الأجر والثواب لخدمة سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم بإذنه تعالى، لما بذلوه من تفرغ لكتابة بحوثهم، ولما تحملوه من تجشم السفر وعنائه، ولما قدموه من دعم مادي ومعنوي لإنجاح المؤتمر، والله ولي التوفيق.

:ÀΛÀHuQöä ĞÄŁŁ

د. فيصل أحمد شاه　　　د. أحمد قاسم كسار　　　أ. ثريا أحمد

حديث:
«لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»
إشكالية، وأسباب، وحلول

أ. د. محمد أبو الليث الخيرآبادي
كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية
ماليزيا
mabullais@hotmail.com

المقدمة

منذ أن خلق اللهُ العليمُ بأسرار خلقه؛ المرأةَ، كانت مثار جدل عبر الأمم والديانات ولا تزال، وعانت هذه المرأة ولا تزال تعاني من الاضطهاد والظلم ما لا يعد ولا يحصى، وعلى الرغم من التباين في موقف الأمم والشرائع من القسوة عليها أو الرحمة بها، فإن الإسلام منحها مكانتها الاجتماعية وحقوقها القانونية، بما يتفق مع رسالتها العظيمة التي تتناسب مع طبيعتها التي خلقها الله عليها، لا أحد يستطيع أن ينال منها بالتغيير والتبديل.

وحينما ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الثواب والعقاب والمسؤولية؛ الجزاءَ الأخرويَّ مع كونها أضعف منه خلقة، وأقلَّ تكاليف شرعيَّة، كان ذلك في مقابل واجبات شرعيَّة تختصُّ بها بفطرتها وخلقتها؛ كطاعة الزوج، وصيانة الأنوثة بالحجاب والعفاف، ولهذا، جاء في السنَّة ما يعينها على فهم دورها الأنثويِّ، ويحذِّرها من التهاون به، ويزجرها بزواجرَ شرعيَّةٍ دنيويَّةٍ وأخرويَّةٍ، شأنها في ذلك شأن الأوامر الشرعيَّة كلِّها؛ كالأحاديث الزاجرة عن نكران حقِّ الزوج وجحوده، والهجر لفراشه، أو طلب الطلاق من غير بأس، ونحو ذلك من الأحاديث التي وردت في حقِّها ترغيباً وترهيباً، إلا أن سعادتها تكمن في فهم مغزى تلك الأحاديث وموطنها، لا أن تُتَّخذ سوطاً على المرأة، يُلَوَّح بها أمام ناظريها دون حقٍّ، ولا فقهٍ لمعاني تلك النصوص، أو تُعيَّر بها ويُنْتَقص من كرامتها بسببها، فما هي إلا لتقدير المرأة المؤمنة لا لإهانتها.

ومن هذه النصوص التي اتخذت سوطاً على المرأة، أو أخطأ البعض في فهمها واستعمالها، حديث «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر» اخترناه للدراسة في هذا البحث؛ لأنه اتُّخِذَ ذريعةً لتشويه صورة الإسلام في نظر المرأة في جانب، واستعمله الجهلة من المسلمين سوطاً على المرأة، باعتبارها في نظرهم سبباً لإخراج آدم من الجنة، في جانب آخر. وأثاروا حوله عدة شكوك، منها أن هذا الحديث ضد المرأة، يرميها بخيانة زوجها، وتعدت عدواها إلى جميع نساء العالم، مع أن آدم أيضاً عصى ربه، ولكن لا يرمى هو بشيء، كأنه لم يفعل شيئاً، كل ما فعلته هي حواء هذا من جانب، ومن جانب آخر ينتقص الرجل بها امرأته، أو يسفّه رأيها ويحرمها المشورة، أو لا يراعي حالها من مرض أو عذر أو ضيق خاطر، فنتناول هذا الحديث بحثاً وتحقيقاً في المباحث الثلاثة الآتية.

المبحث الأول

نص الحديث وتخريجه ومعناه الإجمالي

١- نص الحديث وتخريجه بطرقه المختلفة:

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»[١]، هو غريب مطلق في اصطلاح المحدثين؛ إذ لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم غير أبي هريرة رضي الله عنه.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه بخمسة طرق حسب اطلاعي، وهي:

[١] أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الرضاع، باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر، ج٢، ص١٠٩٢، رقم٦٢/١٤٧٠.

الطريق الأول: طريق معمر، عن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»[1].

الطريق الثاني: طريق عمرو بن الحارث، أن أبا يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة حدثه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»[2].

الطريق الثالث: طريق صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... ولولا حواء لم تخن امرأة زوجها الدهر»[3].

الطريق الرابع: طريق عوف الأعرابي، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها»[4].

الطريق الخامس: طريق عوف، عن خِلاَس بن عمرو الهجري، قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله عند من خرجه غير الحارث فلفظه «...ولولا حواء لم تخن امرأة زوجها»[5].

لقد عرفنا من خلال اطلاعنا على أحوال رواة طرقه أن كلها صحيحة، غير الطريق الخامس فهو ضعيف للانقطاع بين خِلاَس وأبي هريرة؛ لأنه لم يسمع منه كما قال الإمام أحمد، فالحديث صحيح بالطرق الأربعة الأولى، وضعيف بالطريق الخامس لكنه يرتقي إلى الحسن لغيره بطرقه السابقة.

٢- المعنى الإجمالي للحديث عند الأئمة المعتد بهم:

ينص ظاهر هذا الحديث على أن حواء خانت زوجها آدم، فاطَّردت الحال في بناتها بحكم نزع العِرْق إليهن. والخيانة التي ارتكبتها حواء لم يرد ذكرها في الحديث، ولكن العلماء المعتدَّ بهم قالوا: إن المراد بتلك الخيانة هي أكلها من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، عقب انخداع حواء بإغراء إبليس لها، ثم تزيينها الأكل منها لآدم به فأكل هو الثاني منها، وليس المراد بها الخيانة في فِراش؛ فإنه غير معقول في حواء؛ إذ لم يكن آنئذ غير آدم من الرجال، وهو زوجها. ولأن الخيانة في الفِراش لم تقع لامرأة نبي قط، حتى ولا لامرأة نوح، ولا لامرأة لوط الكافرتين اللتين ورد في حقهما في القرآن أنهما خانتا زوجيهما. قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} (سورة التحريم: ١٠)؛ فإن خيانتهما كانت بإبطان الكفر، وقيل: إن خيانة الأولى إنما هي إخبارها الناس

---

[1] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ.....) ج٣، ص١٢١٢، رقم٣١٥٢؛ ومسلم -واللفظ له- في **صحيحه**، كتاب الرضاع، باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر، ج٢، ص١٠٩٢، رقم١٤٧٠.

[2] أخرجه مسلم في **صحيحه**، الموضع السابق، ج٢، ص١٠٩٢، رقم١٤٧٠.

[3] أخرجه ابن طهمان، في **مشيخته**، ص٢٣، رقم٢٢. قلت: وهو صحيح على شرط الشيخين.

[4] أخرجه الحاكم، في **المستدرك**، ج٤، ص١٩٤ رقم٧٣٤١. وصححه على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي.

[5] أخرجه أحمد في **مسنده**، ج٢، ص٣٠٤ رقم٨٠١٩؛ وقال شعيب الأرنؤوط: "صحيح، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه". قلت: قال أحمد: "لم يسمع خلاس من أبي هريرة شيئا" انظر: العلائي، **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، ص١٧٢، رقم١٧٥.

بأن نوحاً مجنون، وخيانة الثانية هي دلالتُها قومَها على الضيوف، قال ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله: {فَخَانَتَاهُمَا}: "ما زنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تقول للناس: إنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف، فتلك خيانتها"[1]، وعنه أيضاً قال: "ما بغت امرأة نبي قط"[2]، وقال الإمام ابن تيمية: "وكانت خيانتهما لهما في الدين لا في الفراش؛ فإنه ما بغت امرأة نبي قط؛ إذ نكاح الكافرة قد يجوز في بعض الشرائع، ويجوز في شريعتنا نكاح بعض الأنواع وهن الكتابيات، وأما نكاح البغي فهو دياثة، وقد صان الله النبي عن أن يكون ديُّوثاً"[3].

قال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ): "وقوله: (لم تخن أنثى زوجها) فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك. فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زيَّن لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق، فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول. وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة، وحسَّنت ذلك لآدم عُدَّ ذلك خيانةً له، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها، وقريب من هذا حديث «جحد آدم فجحدت ذريته»[4]، وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى، وأن ذلك من طبعهن، فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل الندور، وينبغي لهن أن لا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النوع، بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن"[5].

قلت: وهذا المفهوم هو الذي اتفق عليه كلُّ مَن اطلعنا على تناوله بيان معناه من العلماء قديماً وحديثاً. وهم: القاضي عياض (ت٥٤٤هـ)[6]، والإمام ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)[7]، والإمام النووي (ت٦٧٦هـ)[8]، والإمام ابن ابن كثير (ت٧٧٤هـ)[9]، وابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)[10]، والدميري (٨٠٨هـ)[11]، والحافظ العراقي (ت٨٢٦هـ)[12]، وتلميذه الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)[1]، والحافظ العيني (ت٨٥٤هـ)[2]، والإمام السيوطي

---

[1] أخرجه عبد الرزاق في **تفسير القرآن**، ج٢، ص٣١٠؛ وابن أبي الدنيا في **الصمت**، ص١٦٠، رقم٢٦٩؛ والطبري في **تفسيره**، ج٧، ص٤٩، وج١٢، ص١٦٠؛ والحاكم في **مستدركه**، ج٢، ص٥٣٨، رقم٣٨٣٣. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

[2] أخرجه الطبري في **تفسيره**، ج٧، ص٤٩ وسنده صحيح.

[3] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج٧، ص٤٧٣.

[4] أخرجه الترمذي، في **سننه**، كتاب التفسير، باب رقم٩٤ بدون عنوان، ج٥، ص٢٦٧ رقم٣٠٧٦. وقال: "حسن صحيح".

[5] ابن حجر، **فتح الباري**، ج٦، ص٣٦٧ رقم٣١٥٢.

[6] ذكره النووي في **شرح صحيح مسلم**، ج١٠، ص٥٩، رقم١٤٧٠.

[7] ابن الجوزي، **كشف المشكل**، ج٣، ص٥٠٤.

[8] النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج١٠، ص٥٩، رقم١٤٧٠.

[9] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١، ص٧٨.

[10] ابن رجب، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج٢، ص٧٧.

[11] الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ج١، ص٣٩٧.

[12] العراقي، **طرح التثريب في شرح التقريب**، ج٧، ص٢٠٩-٢١١.

(ت٩١١هـ)[٣]، وملا علي القاري (ت١٠١٤هـ)[٤]، والمناوي (ت١٠٣١هـ)[٥]، والقَنَّوجي (ت١٣٠٧هـ)[٦] وغيرهم، بعد أن اعتبروا هذا الحديث صحيحاً، لا غبار عليه عندهم، لا في سنده، ولا في معناه.

المبحث الثاني

إشكاليتان في الحديث وحلولهما

لم يختلف أحد من العلماء السابقين في صحته سنداً كما سبق، ومتناً أيضاً إذ لو كان فيه ما يدعو إلى تضعيفه لما سكتوا عليه، ولم يمنعهم من الكلام عليه كونُه مخرَّجاً في أصول الصحيحين كما حصل في بعض أحاديثهما، ولكن الآن وبعد مضي أكثر من أربعة عشر قرناً ظهرت لبعض العلماء علةٌ أو عللٌ في هذا الحديث، فرفضوا بها قبوله أو توقفوا عنه، فالإشكالية التي طرحوها حول هذا الحديث هي:

١) أنه مخالف للقرآن.

٢) أنه موافق للإسرائيليات.

وسنتحدث عنهما في المطلبين الآتيين.

١- الإشكالية الأولى أنه مخالف للقرآن:

توقف الدكتور القرضاوي –على الرغم من اعترافه بوجود شروط الصحيح فيه سنداً ومتناً– عن قبول هذا الحديث بمخالفته للقرآن، يقول: "وأنا أرى أن هذا الحديث فيه علة أنه...مخالف للقرآن فلذلك من حقنا أن نتوقف في قبوله"[٧].

وكذلك قال الشيخ الغزالي: "ما خانت حواء آدم، ولا أغرته بالأكل من الشجرة، هذا من أكاذيب التوراة!. والقرآن صريح وحاكم في أن آدم هو الذي عصى ربه!..."[٨].

ورفض الدكتور محمد عمراني حنشي صاحب الحوار المحضر في مقال له بعنوان: "ضعيف الصحيحين" قبول هذا الحديث بمقياس سماه رائزاً، وهو أن لا يخالف الحديث صريح محكم القرآن أو محكم السنة،. ورأى أن هذا الحديث مصادم لنص القرآن على ما ورد على غرار ما ورد في العهد القديم؛ لأن كل آيات القرآن التي عرضت

---

[١] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج٦، ص٣٦٧ رقم٣١٥٢.

[٢] العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، ج١٥، ص٢١١.

[٣] السيوطي، **الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج٤، ص٨٠.

[٤] ملا علي القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ج٦، ص٣٥٨، رقم٣٢٤١.

[٥] المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ج٥، ص٣٤٣ رقم٧٥٢١.

[٦] صديق حسن خان القنَّوجي، **حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة**، ص٤٥٤.

[٧] القرضاوي، **النساء في القرآن**، ضمن برنامج قناة الجزيرة – الشريعة والحياة، الفضائية، ٢٠٠٨/٦/١٥م.

[٨] الغزالي، **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث**، في آخر الكتاب.

لتلك الحادثة تخاطب آدم وحواء معاً، وتذكر إبليس صراحة في التسبب في الغواية، وليس حيوان من الحيوانات كالحية على ما ورد في الإسرائيليات، وتُحَمِّل آدم وزوجه معاً تبعات العصيان، إن لم تُحَمِّلها لآدم وحده"[1].

٢- الإشكالية الثانية أنه من الإسرائيليات:

يرفض الشيخ الغزالي هذا الحديث لأنه عنده من أكاذيب التوراة: فقد تقدم قوله في الرد على خطيب المسجد: "ما خانت حواء آدم، ولا أغرته بالأكل من الشجرة، هذا من أكاذيب التوراة!".

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر: "دأب الكتاب والأدباء في عصرنا هذا على فرية أن آدم عليه السلام خدعته حواء حتى أكل من الشجرة!! يصطنعون قول الكاذبين المفترين من أهل الكتاب بما حرفوا وكذبوا، ثم اجترؤا واجترأت الصحف الماجنة والمجلات الداعرة على السخرية بآدم وحواء، وتصويرهما في صور قبيحة منكرة، جرأةً منهم على الدين، واستهزاءً بأول النبيين، وما كان لمسلم أن يفعل هذا أو يقولهن أعاذنا الله مما يقولون ويصنعون"[2].

٣- حلول الإشكاليتين

نحاول حل هاتين الإشكاليتين بطريقتين، وهما:

الطريقة الأولى: وهي على افتراض أن الحديث يتحدث عن طبيعة النساء بصفة عامة: وهذه الطريقة للشيخ بيطار والشيخ القصيمي، وملخص كلامهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد في هذا الحديث بيان خيانة حواء كفرد أنثويٍّ معيَّنٍ، بل أراد بيان طبيعة النساء بأنها واحدة، وأن استعدادهن واحد في الخلقة والقابلية، لا فرق بين حواء وغيرها من اللائي جئن بعدها، وإنما جاء ذكر حواء في هذا الحديث نموذجاً، لا ذاتًا. وقد خُلِقَ هذا النموذج -وهو أم النساء (حواءُ)- قابلةً للخيانة والخطأ، فخلقت بناتها مثلها في ذلك الاستعداد والقبول[3].

قلت: إن كان الأمر كما قال الشيخان بيطار والقصيمي فكأنهما لم يأتيا بحلٍّ للإشكاليتين، وهما: مخالفة الحديث للقرآن؛ لأن حواء —حسب تفسيرهما— قد خانت ولو كطبيعة أنثوية، وأنه لا يزال موافقاً لما جاء في الإسرائيليات، فما زالت هاتان الإشكاليتان باقيتين على حالهما.

الطريقة الثانية: وهي على افتراض أن الحديث يتحدث عن خيانة حواء بذاتها، لا عن طبيعة النساء: إذا افترضنا أن هذا الحديث يتحدث عن خيانة حواء بذاتها، فحلول هذه المشكلة كالآتي:

أولاً: أنه ليس بمخالف للقرآن الكريم؛ لأن القرآن لا صدَّق ما أثبته الحديث، ولا كذَّبه، بل سكت عن هذا الأمر سكوتاً كاملاً؛ لأن الآيات الواردة في أكل آدم وزوجته من الشجرة الممنوعة، إما ذُكِرَ فيها أن الشيطان وسوس إلى آدم وحده، أو وسوس إليهما جميعاً.

قال تعالى في سورة طه: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا*وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ*فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ*إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ

---

[1] موقع الحوار المحضّر، مقال "ضعيف الصحيحين" السبت ٢٦ يوليو ٢٠٠٨م (www.alhiwar.org/ar/content/view/79/2/).

[2] أحمد محمد شاكر، **عمدة التفسير**، ج١، ص١٣٦.

[3] القصيمي، **مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها**، ص١١-١٣.

فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ*وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ} (سورة طه: ١١٥-١٢٠)، هذه الآيات وإنْ نصت على أن العهد بعدم الأكل من الشجرة كان من آدم، وأن النسيان والعصيان حصلا منه، ولكن العهد كان يشمل زوجته أيضاً، وهي أيضاً نسيت ذلك العهد كما نسيه آدم، وعصت ربها كما عصى آدم، ولكن لما كان آدم خليفة الله، كان هو المسؤول المباشر عنه، لذلك نسب كل هذا إليه. وأما زوجته فهي إما لم تُذْكر، أو ذُكِرت تبعاً لآدم. فلا يستدل بعدم توجيه الخطاب إليها فقط على أنها لم تكن بادئة ومحرِّضة، أو لم تحصل الخيانة منها أولاً. ونسبة هذا كله إلى آدم في هذه الآيات كمثل نسبة الشرك إلى آدم وحواء في قوله تعالى: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (سورة الأعراف: ١٩٠).

هذه الآيات نَسَبَ الله فيها الشرك إلى آدم وحواء مريداً بهما أولادهما، لا أنهما أشركا نعوذ بالله من ذلك. وإنما نسبه إليهما لأن الحديث هنا كان عن بداية الخلق الذي حصل بآدم وحواء، فكانا أقرب إلى الله لهذا الخطاب، لذلك نسبه إليهما على إطلاق السبب وإرادة المسبَّب[1]، وهو كما نسب النبي صلى الله عليه وسلم "القوم" إلى عائشة فيما يرويه الأسود بن يزيد عن عائشة قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجدر –تعني الحجر– أمن البيت هو؟ قال: «نعم»، قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: «إن قومك قصرت بهم النفقة»، قلت: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: «فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤوا، ويمنعوا من شاؤوا، ولولا قومك حديث عهدهم بالجاهلية، فأنا أخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألصق بابه بالأرض»[2]، فالقوم الذين نسبهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة هم قومه أيضاً، ولكن لما كانت عائشة هي السائلة والقريبة منه والمخاطَبَة له مباشرة، نسبهم إليها.

ولما كان ذلك الخطاب شاملاً لآدم وحواء معاً جاء ذكرُ هذه القصةِ في آيات أخرى منسوباً فيها كلُّ هذه إليهما جميعاً، فقال تعالى: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ*فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (سورة البقرة: ٣٦-٣٧) فبدأ الله تعالى في هذه الآيات الكلام بآدم وحواء معاً، ثم ختمه بتوبة آدم فحسب، ولا ذكْرَ فيه لتوبة حواء، ولولا جاء ذكر توبتها في آية أخرى لقال هؤلاء: إنها لم تتب كما قالوا هنا: إنها لم تخن. اقرأ الآيات التالية:

قال تعالى: {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ*ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ} (سورة طه: ١٢١-١٢٢)، هنا بدأ الله الكلام بهما، وختم بتوبتهما معاً، مما دل على أن العصيان حصل منهما. ولكنَّ كون الاثنين قد زلا ووقع منهما الخطأ –كما في القرآن– لا ينفي أن يكون أحدهما هو المشجِّع والمبادِر إلى الخطأ –كما في الحديث–؛ لأن سكوت القرآن عن شيء لا يدل على عدم وجوده.

---

[1] انظر ابن قيم الجوزية، **التبيان في أقسام القرآن**، ص١٦٣.

[2] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، ج٢، ص٥٧٣، رقم١٥٠٧؛ ومسلم في **صحيحه**، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، ج٢، ص٩٦٨، رقم١٣٣٣.

ثانياً: أحاديث أخرى –ولو ضعيفة– تؤيد خيانة حواء، منها:

١– ما أخرجه الدارقطني (ومن طريقه الديلمي) عن محمد بن جعفر بن رميس، عن أبي علقمة الفروي، عن يحيى بن عبد الملك الهديري، عن أبيه، عن جده محرز بن عبد الله، عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله بعث جبريل إلى حواء حين دميت، فنادت ربها: جاء مني دم لا أعرفه، فناداها: لأدمينك وذريتك، ولأجعلنه لك كفارةً وطهوراً»[١]. أي كفارةً وطهوراً لما ارتكبت من معصية الأكل من الشجرة وتحريضها زوجها عليه.

قال الدارقطني: "غريب من حديث سعيد عن عمر، تفرد به محرز بن عبد الله الهديري، وعنه أبو علقمة الفروي"[٢]. وكذلك حكاه النووي عنه[٣]. وقال الألباني: "إسناده ضعيف؛ يحيى بن عبد الملك الهديري عن أبيه عن جده محرز بن عبد الله لم أعرفهم، وأبو علقمة الفروي هو الصغير، واسمه عبد الله بن هارون بن موسى بن أبي علقمة الكبير عبد الله بن محمد، قال الذهبي: "منكر الحديث" قاله أبو أحمد الحاكم، وقال ابن أبي حاتم: تكلم فيه". وقال ابن حبان: يقلب الأخبار عن الثقات"[٤]، قلت: وهو كما قال الشيخ الألباني[٥]، أي ضعيف، ولكن ضعفه خفيف يرجى زواله بتعدد الطرق أو تلقي الأمة له بالقبول، أو موافقة القرآن له، أو تصديق التجربة العلمية له[٦]، وهذا الحديث قد تلقته الأمة بالقبول، وتعددت له الطرق.

٢– ومنها ما هو موقوف على ابن عباس أخرجه أحمد بن منيع وابن أبي الدنيا (ومن طريقه الحاكم) وأبو الشيخ والبيهقي[٧] من طريق عباد بن العوام، ثنا سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: "قال الله تبارك وتعالى لآدم: يا آدم! ما حملك على أن أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: فاعتل آدم، فقال: يا رب! زيَّنَتْه لي حواء، قال: فإني عاقبتها بأن لا تحملها إلا كرها، ولا تضعها إلا كرها، ودميتها في كل شهر مرتين، قال: فرنت حواء عند ذلك فقيل لها: عليك الرنة وعلى بناتك". واللفظ لأحمد بن منيع. وزاد ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ والبيهقي في أوله: "لما أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها". وعندهما "ما حملك على أن

---

[١] أخرجه الدارقطني في الأفراد كما في **أطراف الغرائب والأفراد للدارقطني**، لابن القيسراني، ج١، ص١٠٧، رقم٩٨، والديلمي في مسند الفردوس كما في **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة** للألباني، ج٥، ص١٩٢، رقم٢٠٧٣.

[٢] ابن القيسراني، **أطراف الغرائب والأفراد**، ج١، ص١٠٧، رقم٩٨.

[٣] النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، ج٣، ص٢٣٦.

[٤] الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، ج٥، ص١٩٢، رقم٢٠٧٣.

[٥] انظر لذلك: الذهبي، **ميزان الاعتدال**، ج٤، ص٥٥٣، رقم١٠٤٣٢؛ وابن حبان، **المجروحين**، ج٢، ص٤٥، رقم٥٧٨.

[٦] انظر لذلك: الخيرآبادي، **علوم الحديث أصيلها ومعاصرها**، ص٢٥٥ وما بعدها.

[٧] أخرجه أحمد بن منيع في مسنده كما في **المطالب العالية** لابن حجر، ج١، ص٢٧٣ رقم٢١٥؛ وابن أبي الدنيا في **الرقة والبكاء**، ص٢١٦، رقم٣٠٧ (ومن طريقه الحاكم في **المستدرك**، ج٢، ص٤١٣ رقم٣٤٣٧)؛ وأبو الشيخ، في **العظمة**، ج٥، ص١٥٨٣؛ والبيهقي في **شعب الإيمان**، ج٥، ص٦٤ رقم٥٧٩٠.

عصيتني؟" بدل "ما حملك على أن أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟" وعند البيهقي "يا آدم! ما حملك على ما صنعت". والباقي سواء عند الجميع. وقال البيهقي: "هكذا جاء موقوفا".

قال الحاكم: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي. وصححه ابن حجر أيضاً قال: "وروى الحاكم وابن المنذر بإسناد صحيح عن ابن عباس: أن ابتداء الحيض كان على حواء بعد أن أهبطت من الجنة"[1]، وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ): "وروى الحاكم أن ابتداء الحيض كان على حواء حين أهبطت من الجنة لما عصت ربها، وكسرت شجرة الحنطة فدميت فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي! لأدمينك كما أدميتها"[2].

ثالثاً: رواية إسرائيلية تؤيد خيانةَ حواء، أخرج عبد الرزاق عن شيخه عمر بن عبد الرحمن بن درية، قال: سمعت وهب بن منبه يقول: "لما أسكن الله تعالى آدم الجنة وزوجته، ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض، وكان ثمر تأكلها الملائكة لخلدهم، وهي الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية، وكانت الحية لها أربع قوائم، كأنها بختية من أحسن دابة خلقها الله، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حواء، فقال: انظري إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها! وأطيب طعمها! وأحسن لونها!. فأخذتها حواء فأكلت منها، ثم ذهبت إلى آدم فقالت: انظر إلى هذه الشجرة، ما أطيب ريحها! وأطيب طعمها! وأحسن لونها! فأكل منها آدم، فبدت لهما سوءاتهما، فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه: يا آدم! أين أنت؟ قال: أنا هذا يا رب. قال: ألا تخرج؟ قال: أستحي منك يا رب. قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنةً تتحول ثمارها شوكا. قال: ولم تكن في الجنة ولا في الأرض شجرتان أفضل من الطلح والسدر، ثم قال: يا حواء! أنت التي غررت عبدي، إنك لا تحملين حملا إلا حملته كرها، فإذا أردت تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارا. وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في جوفك، حتى غر عبدي، ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك، ولا يكون لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك، حيث لقيت أحدا منهم أخذت بعقبه، وحيثما لقيك شدخ رأسك. قال عمر: فقيل لوهب: فهل كانت الملائكة تأكل؟ قال: يفعل الله ما يشاء"[3].

قلت: رجاله ما بين ثقة وصدوق.

ظنَّ الشيخ الغزالي وغيره وبسبب هذه الرواية الإسرائيلية أن هذا الحديث دُسَّ في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من الإسرائيليات، لذلك رفض قبوله.

قلت: الأمر ليس كذلك؛ لأن ورود شيء في الإسرائيليات لا يعني أنه غلط لا محالة، ويستحق الرفض المطلق. قال ابن كثير: "ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد؛ فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح. والثاني ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه.

---

[1] ابن حجر، **فتح الباري**، ج١، ص٤٠٠.

[2] زكريا الأنصاري، **حاشية الجمل على المنهج**، ج٢، ص٣٨٥.

[3] أخرجه عبد الرزاق في **تفسيره**، ج٢، ص٢٢٦.

والثالث ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم"[1].

رابعاً: وهناك رواية موقوفة في حكم المرفوع تؤيدها، أخرجها الطبري عن شيخه موسى بن هارون الهمداني، قال: حدثنا عمرو بن حماد القناد، قال: حدثنا أسباط بن نصر الهمداني، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك غزوان الغفاري، وعن أبي صالح باذان عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: لما قال الله عز وجل لآدم: {اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} (سورة البقرة:٣٥)، أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة، فمنعته الخزنة فأتى الحية – وهي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير، وهي كأحسن الدواب –، فكلمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم، فأدخلته في فقمها[2]، فمرت الحية على الخزنة، فدخلت ولا يعلمون لما أراد الله من الأمر، فكلمه من فقمها فلم يبال كلامه، فخرج إليه يقول: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت ملكاً مثل الله عز وجل أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبداً؟ وحلف لهما بالله إني لكما لمن الناصحين، وإنما أراد بذلك ليبدي لهما ما توارى عنهما من سوآتهما بهتك لباسهما، وكان قد علم أن لهما سوأة لما كان يقرأ من كتب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك، وكان لباسهما الظفر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم! كُلْ؛ فإني قد أكلت فلم يضرني، فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة"[3]، رجاله بين ثقة وصدوق وصدوق يهم.

خامساً: أن البعض من الرواية الموقوفة معقول وواقع: وبالإضافة إلى ما تقدم من تصديق الحديث الصحيح مبادرة حواء للأكل وتحريضها آدم عليه، أن البعض منها معقول المعنى وواقع الوجود أيضاً؛ لأن كل ما ورد في هذه الرواية الموقوفة وفي موقوف ابن عباس السابق من دخول إبليس في فم الحية، ومن ثَمَّ دخوله الجنة، وعدم تنبُّه خزنة الجنة له، وكلامه من فقمها آدمَ، وعدم مبالاة آدم بكلامه، ثم خروجه إليه، وحلفه لآدم وحواء بالله أني لكما لمن الناصحين، وإباء آدم الأكل منها، ثم تقدمه إلى حواء وإقناعها بالأكل، ثم حصول الأكل من حواء، ثم قولها لآدم: يا آدم! كُلْ؛ فإني قد أكلت فلم يضرني، ثم أكل آدم، ومن ثم بدوُّ سوآتهما، وخصفهما عليهما من ورق الجنة، كل هذا معقول عقلاً ووقوعاً؛ لأن وسوسة الشيطان لهما، وقوله لهما، وحلفه، لا أحد ينكر كل هذا؛ لأنه ورد في القرآن.، وهذا يدل صراحةً على أن كل هذا حصل في الجنة وهما كانا وجهاً لوجه، وهذا لا يمكن إلا على فرضية دخول إبليس في الجنة حيث آدم وحواء، وتكلمه معهما ومقاسمته إياهما مباشرةً، ولكن كيف أمكن له ذلك؟ هذه فراغات في القرآن، لا يمكن ملؤها إلا بالوحي، وقد جاءت هذه الرواية الموقوفة سادَّةً بعض تلك

---

[1] انظر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٥. وانظر أيضاً: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١، ص٦.

[2] الفُقْم –بالضم والفتح–: اللَّحْى. ابن الأثير، **النهاية في غريب الأثر**، ج٣، ص٩٠٢.

[3] ابن جرير الطبري، **التفسير**، ج١، ص٢٧٢.

الفراغات بجد معقولية، مما دل على أنه ليس أمراً يقال بالاجتهاد والرأي، فإذا قبلنا هذا كله فلماذا لا نقبل أن حواء كانت البادئة والمشجعة!؟. وأي محظور يترتب عليه!؟.

المبحث الثالث: حقائق لا يمكن إنكارها

هناك حقائق عديدة لا يمكن إنكارها، نتحدث عنها في المطالب الآتية:

١- خروج آدم وحواء من الجنة كان مقدَّراً قبل خلقهما

ذلك لأن الله خلق آدم لمهمةٍ في الأرض حدَّدها له من قبل أن يخلقه كما صرَّح به القرآن، وهي المهمة التي تطلعت إليها الملائكة، وحسبوا أنهم أولى بها من آدم، وهذا ما نطقت به الآية: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} (سورة البقرة: ٣١)[١].

لذلك عندما التقى آدم وموسى عليهما السلام في عالم الغيب، وحمَّل موسى آدمَ ما تعانيه البشرية من تعب ونصب، وشقاء وبلاء بسبب أكله من الشجرة، حجَّ آدمُ موسى، وأفحمه بأن هذا كان أمراً رتبه القدر الإلهي قبل أن يُخلَق بأربعين سنة ليقوم بعمارة الأرض، وبأن موسى يعرف ذلك؛ لأنه يجده مكتوباً عنده في التوراة.

أ- عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم! أنت أبونا خيَّبْتَنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى! اصطفاك الله بكلامه، وخطَّ لك بيده، أتلومني على أمرٍ قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟!، فحج آدم موسى، فحج آدم موسى»[٢].

ب- وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احتج آدم وموسى عليهما السلام، فقال موسى: أنت خليفة الله، بيده أسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، فأخرجت ذريتك من الجنة وأشقيتهم؟ فقال آدم عليه السلام: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه ورسالته، تلومني في شيء وجدتَه قد قُدِّر عليَّ قبل أن أخلق؟ قال: فحج آدم موسى»[٣].

جـ- عن جُنْدَبَ البَجَلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم! أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته، وفعلت ما فعلت

---

[١] انظر، القرضاوي، د. يوسف، **فتاوى معاصرة**، ج٢، ص٢٤٩- ٢٥١.

[٢] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، ج٦، ص٢٤٣٩، رقم٦٢٤٠؛ ومسلم في **صحيحه**، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ج٤، ص٢٠٤٢، رقم٢٦٥٢.

[٣] أخرجه عبد بن حميد في **المنتخب من مسنده**، - واللفظ له -، ص٢٩٥، رقم٩٤٩؛ وابن أبي شيبة في مسنده كما في **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري**، ج١، ص٣٦، رقم١/١٩٩، والحارث بن محمد بن أبي أسامة **كما في الإتحاف**، ج١، ص٣٧، رقم٣/١٩٩، وأبو يعلى في **مسنده**، ج٢، ص٤١٤، رقم١٢٠٤. وقال حسين سليم أسد: "إسناده صحيح".

فأخرجت ولدك من الجنة؟ فقال آدم: أنت موسى الذي بعثك الله برسالته، وكلمك، وآتاك التوراة، وقربك نجيا؟ أنا أَقْدَمُ أم الذِّكْرُ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فحج آدم موسى»[١].

وهذه الأحاديث تفيدنا "أن إهباط آدم وذريته إلى الأرض أمر سبق به القدر الأعلى، وسطره القلم الإلهي في أم الكتاب، ليقوم هذا النوع المكلف المبتلى المختار برسالته فوق هذا الكوكب، كما أراده الله، فكان لا بد أن يقع"[٢].

وأفادت أيضاً أن موسى وجَّه اللوم إلى آدم، ولم يوجِّهه إلى حواء. ولكن نقول فيه كما قلنا في توجيه الآيات التي نسب فيها العصيان إلى آدم فقط.

٢- منع الأكل من الشجرة إنما هو تدبيرٌ إلهيٌّ لإخراج آدم وحواء من الجنة

لما كان آدم -بنص القرآن- خليفة الله المباشر في الأرض والعامر لها، ومن البديهي أن الخلافة وعمارة الأرض لا تتم بوحده إن لم تكن بجنبه زوجته، لذلك خلق الله منه زوجته حواء، وأسكنهما في الجنة إكراماً لهما وتفضُّلاً عليهما، ومن المعلوم أن أمر الخلافة وعمارة الأرض لا يتمان ببقائهما في الجنة، ولا بد له من خروجهما منها، وهبوطهما إلى الأرض، ولكن كيف يتم ذلك بعد إسكانهما في الجنة؟ هل يخرجهما الله تعالى بدون سبب، فيكونَ ظلماً في حقهما، والله لا يظلم أحداً، فأخذ منهما ميثاقاً ممثَّلاً في المنع عن الأكل من الشجرة، وهو يعلم أنهما سوف يعصيان ولا يفيان بهذا الميثاق؛ لأنهما خُلِقَا من خميرتي الطاعة والعصيان، أحدِ الأمور التي فُضِّل البشر بها على الملائكة عند جمهور أهل السنة والجماعة. وهذا الميثاق أخذه الله منهما كتدبير لإخراجهما من الجنة، تماماً مثل تدبيره تعالى لاستبقاء أخي يوسف عنده، التي عبَّر الله عنه بالكيد[٣].

ثبت مما تقدم أن آدم خُلِقَ خليفةً لله في الأرض، وخلقت حواء ليسكن إليها آدم، وأما إسكانهما في الجنة فكان مؤقتاً، وكان خروجهما منها لا بد منه، بتدبير المنع عن الأكل من الشجرة، وتمكين الشيطان من الوسوسة إليهما بالأكل منها، وتمكينه إياه من إقناع حواء به، وحثها آدم على الأكل منها، ومن ثم خروجهما منها، كل هذه الأمور كان قدراً مقدوراً، وقضاءً مقضياً.

٣- رأس المشكلة هو اتخاذ الناس خيانة حواء تكأةً للنيل من مكانة المرأة

فرأس المشكلة ليس هذا الحديث أو صحته، ولا أن حواء كانت بادئة للأكل، ومحرِّضةً لآدم على الأكل، وإنما المشكلة في أن الناس فهموا خطأً أن المرأة هي السبب المباشر لكل الخرابات في الدنيا، بإخراجها نفسها وآدم من الجنة، ولم يفهموا أو فهموا ولكن تجاهلوا، أن وقوع تلك الزلة من حواء كان قضاءً وقدراً، ومقدَّراً قبل خلقهما؛

---

[١] أخرجه النسائي في **السنن الكبرى**، ج٦، ص٣٩٤، رقم١١٣١٨؛ والفريابي في **القدر**، ص٩٨، رقم١٢٠؛ وأبو يعلي في **مسنده**، ج٣، ص٩٠، رقم١٥٢١؛ والطبراني، في **المعجم الكبير**، ج٢، ص١٦٠، رقم١٦٦٣؛ والدارمي في **الرد على الجهمية**، ص١٦٣، رقم٢٩١؛ والآجري في **الشريعة**، ص١٩٢؛ واللالكائي في **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة**، ج٤، ص٥٨٤، رقم١٠٣٦. وصححه حسين سليم أسد.

[٢] انظرالقرضاوي، **فتاوى معاصرة**، ج٢، ص٢٤٩- ٢٥١.

[٣] انظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ص٣٠٠.

إذ لولا إرادة الله تعالى لذلك، لما حصل ذلك أبداً. لذلك لا يحسنون صنعاً الذين يرتِّبون على هذا الأمر النتائج التالية: أن أمنا حواء هي كانت سبباً في حرماننا من الجنة، وشقائنا نحن ذرية آدم بدنيانا هذه التي نعاني بؤسها وويلاتها، ومن ثم يتخذون هذه المقولة تكأةً للحملة على المرأة، والنيل من مكانتها، وإهانتها في كل مناسبة، على أنها وراء كل مصيبة حدثت في الأولين، أو تحدث في الآخرين.

خاتمة البحث

حديث «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»؛ حسب رؤيتنا من الأحاديث المشكلة، لما أثير حوله من إشكاليات في هذا العصر، واتُّخِذَ ذريعةً لتشويه صورة الإسلام في نظر العالم عامة، وفي نظر المرأة خاصة، فتناوله البحث من جانب ثبوته فتوصَّل إلى أنه صحيح، ومن جانب معناه، فتوصَّل إلى أنَّ معناه صحيح، ومن جانب الإشكالية فيه، فادُّعي أنه مخالف للقرآن، وأنه من الإسرائيليات، واكتشف البحث أنه ليس بمخالف للقرآن بل أنه أخبر بشيء سكت عنه القرآن، ومن المجمع عليه صلاحية السنة للزيادة على القرآن. وأما كونه موافقاً لبعض الإسرائيليات فهذا دليل على أن تلك الرواية الإسرائيلية صحيحة، فلا إشكال. وتوصَّل البحث في آخر المطاف إلى أن المشكلة الأساسية ليست في صحة هذا الحديث، وإنما المشكلة في فهم الناس، وتعاملهم معه.

المصادر والمراجع

١. **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة** للبوصيري، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني، تحقيق سعدي الهاشمي، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، د. ط، د. ت).
٢. **أطراف الغرائب والأفراد للدارقطني**، لابن القيسراني، أبي الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي، تحقيق محمود حسن نصار، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
٣. **البداية والنهاية**، لابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي (بيروت: مكتبة المعارف، د. ط، د. ت).
٤. **التبيان في أقسام القرآن**، لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، (بيروت: دار الفكر، د. ط، د. ت).
٥. **التحرير والتنوير**، لابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر، (تونس: دار التونسية للنشر، د. ط، ١٩٨٤م)،
٦. **تفسير ابن جرير الطبري**، أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ)،
٧. **تفسير القرآن** لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٠هـ)
٨. **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، (بيروت: دار الفكر، د. ط، ١٤٠١هـ).
٩. **تهذيب الأسماء واللغات**، للنووي، يحيى بن شرف الشافعي الدمشقي، (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٩٦م).
١٠. **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، للعلائي، أبو سعيد بن خليل بن كيكلدي أبو سعيد، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، (بيروت: عالم الكتب، ط٢، ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).
١١. **حاشية الجمل على المنهج**، لزكريا الأنصاري، زكريا بن محمد بن زكريا، (بيروت: دار الفكر، د. ط، د. ت).
١٢. **حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة**، للقنَّوجي، صديق حسن خان، تحقيق محمد سعيد الخن ومحي الدين مستو، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، 1401هـ/١٩٨١م).
١٣. **حياة الحيوان الكبرى**، للدميري، كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن علي المصري الشافعي، (المكتبة الشاملة٢ بدون بطاقة).

١٤. **الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل، (المكتبة الشاملة).
١٥. **الرد على الجهمية**، للدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، (الكويت: دار ابن الأثير، ط٢، ١٩٩٥م).
١٦. **الرقة والبكاء**، لابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، (بيروت: دار ابن حزم، د. ط، د. ت).
١٧. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، للألباني، محمد ناصر الدين، (الرياض: مكتبة المعارف، د. ط، د. ت).
١٨. **السنن**، للترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت).
١٩. **السنن الكبرى**، للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م).
٢٠. **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث** للغزالي، الشيخ محمد، (القاهرة: دار الشروق، ط٦).
٢١. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة**، للالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٢هـ).
٢٢. **شرح صحيح مسلم**، للنووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الدمشقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ).
٢٣. **الشريعة**، للآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، (مصر: السنة المحمدية ومؤسسة قرطبة، د. ط، د. ت).
٢٤. **شعب الإيمان**، للبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، تحقيق محمد السعيد بسيوني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ).
٢٥. **صحيح البخاري**، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير واليمامة، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
٢٦. **صحيح** مسلم بن الحجاج أبي الحسين النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت).
٢٧. **الصمت وآداب اللسان**، لابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٠هـ).
٢٨. **طرح التثريب في شرح التقريب**، للعراقي، ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم الشافعي، تحقيق عبد القادر محمد علي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، ٢٠٠٠م).
٢٩. **العظمة** لأبي الشيخ الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، (الرياض: دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ).
٣٠. **علوم الحديث أصيلها ومعاصرها**، للخيرآبادي، د. محمد أبو الليث، (ماليزيا: دار الشاكر، ط٧، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
٣١. **عمدة التفسير**، لأحمد محمد شاكر، (مكة المكرمة: دار الوفاء، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
٣٢. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، للعيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد، (بيروت: دار إحياء التراث، د. ط، د. ت).
٣٣. **فتاوى معاصرة**، للقرضاوي، د. يوسف، (بيروت: دار أولي النهي، د. ط، د. ت).
٣٤. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، بدون رقم الطبعة، ١٣٧٩هـ).

٣٥. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، تحقيق أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، (الدمام بالسعودية: دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٢هـ).
٣٦. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، للمناوي، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن زين العابدين الحدادي القاهري الشافعي، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ).
٣٧. **القدر**، للفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسين، تحقيق عبد الله بن حمد المنصور، (الرياض: أضواء السلف، ط١، ١٩٩٧م).
٣٨. **كشف المشكل**، لابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي بن عبد الله البغدادي الحنبلي، تحقيق علي حسين البواب، (الرياض: دار الوطن، د. ط، ١٤١٨هـ).
٣٩. **المجروحين**، لابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي، تحقيق محمود إبراهيم زايد، (حلب: دار الوعي، د. ط، د. ت).
٤٠. **مجموع الفتاوى**، لابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، (الرياض: مكتبة ابن تيمية، ط٢، د. ت).
٤١. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، لملا علي القاري، علي بن سلطان محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ).
٤٢. **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).
٤٣. **مسند** أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، (دمشق: دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
٤٤. **مسند** أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، (مصر: مؤسسة قرطبة، د. ط، د. ت).
٤٥. **مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها**، القصيمي، عبد الله بن علي النجدي، (نشره المؤلف نفسه، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
٤٦. **مشيخة ابن طهمان**، أبو سعيد إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراساني الهروي ثم النيسابوري، (الرياض: عالم الكتب للنشر والتوزيع، ودمشق: مجمع اللغة العربية، د. ط، د. ت).
٤٧. **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية على الكتب الستة ومسند أحمد** لابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق غنيم عباس وياسر إبراهيم، (الرياض: دار الوطن، ومصر: مؤسسة قرطبة، د. ط، د. ت).
٤٨. **المعجم الكبير**، للطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).
٤٩. **المنتخب من مسنده** لعبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكسي، تحقيق صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، (القاهرة: مكتبة السنة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
٥٠. **موقع الحوار المحضّر**، مقال "ضعيف الصحيحين" السبت ٢٦ يوليو ٢٠٠٨م
٥١. (www.alhiwar.org/ar/content/view/79/2/).
٥٢. **ميزان الاعتدال**، للذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، تحقيق علي محمد البجاوي، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د. ط، د. ت).
٥٣. **النساء في القرآن**، للقرضاوي، ضمن برنامج قناة الجزيرة – الشريعة والحياة، الفضائية، ٢٠٠٨/٦/١٥م.
٥٤. **النهاية في غريب الأثر**، لابن الأثير، أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

ضوابط وصف الراوي بالتدليس الإسنادي
ورد شبه من لم يعتبرها من المعاصرين

د. عادل بن عبد الشكور الزرقي

أستاذ الحديث المساعد بجامعة الملك سعود

السعودية

adalz@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والرسل أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فهذه دراسة موجزة لضوابط وصف الراوي بتدليس الإسناد، يستفيد منها المعاصرون المشتغلون بنقد الحديث ورواته، في قضية تعد حالياً من أهم مسائل رجال الحديث ومصطلحه.

وتهدف هذه الدراسة إلى كشف وجمع أهم الضوابط التي ينبغي أن يسير عليها الباحث المعاصر كي يصف راوي الحديث بالتدليس الإسنادي بعد نظره في كلام علماء الجرح والتعديل، وأنه ليس كل من اتهم بهذا صار مدلساً –ترد عنعنته–.

ويتضمن البحث دراسة استقرائية للعلماء الواصفين بالتدليس لرواة الحديث، ومن وصفوه بذا، ومن وافقهم، بطريقة جديدة.

وليس من مقاصد البحث دراسة ما كتب في التدليس وحكمه، فهذه المسألة قد كتب فيها الكثير، ولا حاجة لتكرار ذلك، بل يهدف البحث إلى ما وراء ذلك! وهو ضوابط الوصول إلى الوصف على الراوي بالتدليس الإسنادي، ومن ثم ينظر بعد هذا في عنعنة هذا الموصوف بالتدليس! هل تقبل أو لا؟

الحاجة للبحث:

تكمن الحاجة إلى هذا البحث في هذا الزمن بسبب انتشار ظاهرة رد الكثير من السنة بحجج منها عنعنة المدلس، ونتج عن هذه الظاهرة نشوء مدرسة معاصرة لها منهج فيه بعض المخالفة لأهل الحديث من السلف في قضايا المصطلح خصوصاً، وعلم الحديث عموماً، ومن أهمها رد عنعنة المتهم بالتدليس دون تمحيص للضوابط الآتية.

وهذه الضوابط يجدها الباحثون منثورة في كلام العلماء من السلف وبعض الخلف من حيث الجملة، وسيتم ذكر أدلة كل عنصر تحته مع رد شبه المخالفين باختصار.

خطة البحث:

قسمت البحث قسمين:

الأول: تمهيد يتضمن سبع مسائل مهمة لفهم هذه الضوابط.

الثاني: سرد لهذا الضوابط ، ويمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١- شهرة الموصوف بالعلم وكثرة حديثه بين الرواة.

٢- كثرة إرسال الموصوف عمن سمع ومن لم يسمع منه.

٣- شهرة الموصوف بالورع والتقوى.

٤- كثرة الواصفين بالتدليس وقلتهم.

٥- مكانة الواصف بين العلماء الموثقين للراوي.

٦- منهج الواصف من حيث التشدد والتساهل في الجرح والعديل.

٧- تقدم زمن الواصف.

٨- وضوح عبارة الواصف في نوع التدليس.

٩- وضوح عبارة الواصف في كمية التدليس.

١٠- تلقي الأمة حديث الموصوف معنعناً بالقبول.

وأضفت خاتمة لأهم نتائج البحث، متبعاً بفهرس للمراجع ثم المحتوى.

القسم الأول

المسائل

المسألة الأولى:

في معرفة حقيقة تدليس الإسناد اصطلاحاً، وحكمه، فمن المعلوم أن التدليس لغة فيه معنى الغش وكتم العيب وإيهام السلامة، وتعريفه هو رواية الراوي عمن سمع ما لم يسمعه منه بصيغة موهمة للاتصال، هذا التعريف الدقيق الذي اصطلح عليه مؤخراً، وهو أخص مما كان استعمال المحدثين من السلف عليه كما سيأتي.

وحكمه عند المحدثين: الذم له ولفاعله، وأقوالهم كثيرة مشهور في هذا، ومن أهمها قول حماد بن زيد وعوف الأعرابي(١) ويزيد بن زريع(٢): «التدليس كذب»، وقال شعبة: «التدليس أخو الكذب»(٣)، وقال أحمد: «التدليس من الريبة»(٤)، وقال ابن معين: «لا يدلس إلا كل عَنِدٍ شيطان»(٥)، وقال أبو الفتح الأزدي: «هو قبيح ومهانة»(٦)، وقال الخطيب: «مكروه عند أكثر أهل العلم» (٧)، وقال ابن حجر في تدليس الشيوخ: «وهو خيانة ممن تعمده، كما إذا وقع ذلك في تدليس الإسناد»(٨).

إذا تبين هذا فإن كل من عمل على إخفاء عيب ولو كان محتملاً أو إظهار حسن إسناد على الناس عموماً، وعلى أهل العلم خصوصاً، فقد دلس عند السلف، سواء تعمد هذا أو لا، وسواء علم حكم فعله هذا أو لا.

ويدل على هذا مقتضى الوصف لغة، وهي لغة المحدثين السالفين، حيث إن التقييد الاصطلاحي جاء بعد، ويدل عليه أيضاً عدة نصوص تشير إلى أن من روى عمن لم يسمع منه فقد دلس، وإن كان فعله محتملاً للإيهام أو صريحاً فيه، وكذا من أخفى اسم شيخه بكنية ونحوها.

---

(١) أخرجه ابن عدي (١٠٦/١-١٠٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٦٤/١٢) .

(٣) أخرجه ابن عدي والخطيب في الكفاية (ص٣٩٣) .

(٤) العلل برواية المروذي (٣٠) .

(٥) رواية ابن طهمان (ص٤٧) .

(٦) الكفاية (ص٤٠٠) .

(٧) الكفاية (ص٣٩٣) .

(٨) تعريف أهل التقديس (ص٧١) .

ومن هذا قول ابن معين: «دلس هشيم عن زاذان أبي منصور، ولم يسمع منه»[١]، وقال البخاري: «كان مروان الفزاري يقول: حدثنا أبو إسحاق الشيباني بكنيته لكي لا يعرف»[٢]، وقول ابن حبان: «كان الحجاج مدلساً عمن رآه، وعمن لم يره»[٣]، وهذا الذي يسميه العلماء إرسالاً، وإنما أطلق عليه تدليساً بسبب تعمد خفاء انقطاعه على عامة طلاب الحديث، فمن ثمَّ أطلق على فاعله مدلساً تجوزاً.

ومن تأمل بإمعان في غالب أنواع التدليس، وجدها تعود إلى تدليس الشيوخ، من جهة إخفاء عيب أو التزين بأمور كالعلو أو تكثير العدد أو السماع ممن لم يسمع منهم، وكلها أسباب له، تدخل في التشبع بما لم يعط كما قال حماد بن زيد وأبو عاصم النبيل[٤].

المسألة الثانية:

إن الاعتماد في الجرح والتعديل عموماً ووصفه بالتدليس خصوصاً إنما هو على علماء الحديث السابقين الذين أدركوا الرواية وخبروا الرواة، فإذا جاء من بعدهم فأضاف أمراً زائدا على ما قالوا خصوصاً في المشهورين، صح أن يقال هنا: من أين لك هذا؟ ومن المعلوم أن وصف الراوي بالتدليس أمر مهم مؤثر في صحة الحديث إذا عنعن، حيث إن استعمالهم للعنعنة كثير جداً.

فالناظر في أسانيد كتب الحديث المتقدمة كالصحيحين والمسند والسنن، يجد أن صيغة (عن) تساوي أو تقل قليلاً عن صيغ التحديث في بقية الإسناد، وهي في النصف المتقدم من الإسناد أكثر وأظهر، حتى إنك لا تكاد تجدها بعد شيخ المؤلف إلا في النادر، وهذا يدل على أن صيغة العنعنة إنما هي في الغالب من صنيع التلاميذ، فهي قبل منتصف القرن الثاني أكثر منها بعد ذلك، فكم من راوٍ -اتهم بالتدليس- قد صرح في حديثه، لكنه نقل بالعنعنة، فمن ثمَّ تُخُلِّصَ من هذا بالتشديد في السماع -ولو من غير متهم بالتدليس- والتسهيل في العنعنة، خلافاً لما سلكه بعض المعاصرين فعكس القضية تماماً.

المسألة الثالثة:

إن غالب عبارات علماء الجرح والتعديل في الوصف بالتدليس، هي بالفعل الماضي أو المضارع -الذي لا يلزم منه الإكثار-، أما الوصف بـ(مدلس) فهو قليل جداً[٥] في الثقات خصوصاً لمن بحث بتقصٍ فيمن توفي قبل

---

(١) رواية الدوري (٣٨٠/٤) .

(٢) التاريخ الأوسط (٢٥٩٩) والكامل (٣٩٦/١) .

(٣) المجروحين (٢٢٦/١) .

(٤) الكفاية (ص٣٩٤) وتاريخ دمشق (٣٦٣/٢٤) .

(٥) من ذلك قول ابن سعد : أخبرنا عفان بن مسلم قال : كان عمر بن علي – أي المقدمي – رجلاً صالحاً ولم يكونوا ينقمون عليه شيئا غير أنه كان مدلساً وأما غير ذلك فلا ولم أكن أقبل منه حتى يقول : حدثنا – الطبقات (١٤٧/٧) ، وخالفه البخاري فقال : لا أعرف عمر بن علي يدلس – العلل الكبير للترمذي (٥١٥/١) ، فهذا يدل على أن هذا كلام عفان فيه نظر ، نعم أصل تدليسه شديد كما قال ابن سعد وابن حجر في الطبقة الرابعة (١٢٣) ولا يلزم منه الكثرة كما سيأتي .

الثلاثمائة من النقاد، ويظهر أن ابن حبان من أكثر من استعمله في كتبه وتوسع في إطلاقه، ولعله تبع في هذا شيخه ابن خزيمة(١)، ولا تكاد تجد هذا الوصف في الكتب المتقدمة(٢)، بل في الكتب التي تنقل عنهم بواسطة.

وهذا من بالغ ورعهم، لأنه -أي التدليس- شقيق الكذب كما سبق، ولقول عبد الرزاق قدمت مكة فمكثت ثلاثة أيام لا يجيئني أصحاب الحديث فمضيت فطفت وتعلقت بأستار الكعبة وقلت يا رب مالي أكذاب أنا ؟ أمدلس أنا ؟ قال: فرجعت إلى البيت فجاءوني(٣)؟

ولازم قوله أن الوصف (مدلس) والوصف (ثقة) لا يجتمعان غالباً لا دائماً، وشاهده قول أبي أسامة حماد بن أسامة: «خرب الله بيوت المدلسين، ما هم عندي إلا كذابون»(٤)، وهذا ابن منده يحشر المدلس مع أعداء الشريعة فيقول: «فهؤلاء حفاظ العلم والدين النافون عنه تحريف غال وتدليس مدلس وانتحال مبطل وتأويل جاحد ومكيدة ملحد»(٥)، وهذا الوصف ربما ألحق الثقة بالضعفاء كما قال ابن نمير عن أبي جناب يحيى بن حيَّة: «صدوق كان صاحب تدليس أفسد حديثه بالتدليس كان يحدث بما لم يسمع»(٦)، هذا وهو لم يسمع، فكيف إذا سمع ودلس عنه، ماذا سيكون حاله عندهم، وقال ابن حبان في رجل: «ساقط الاحتجاج بما يروي لما الغالب عليه التدليس»(٧).

وعلى هذا فينبغي سلوك نهجهم في التحرز من إطلاق هذا الوصف (مدلس) على من اتُّهِمَ بالتدليس ولو احتمل الإسنادي، كيف وهو قليل جداً! فمن هذا الذي يتأتَّى له أن يلقى شيخاً ثم تفوته عنه أحاديث، فيجدها عند ضعفاء من تلاميذه فيرويها عنهم ويسقطهم، وقد عرف حرصهم على العلو ، وانتقاء الشيوخ مع الورع.

وقد نقل جماعة من العلماء الإجماعَ على رد حديث المدلس إذا عنعن(٨)، ونسبه غيرهم إلى جمهور أئمة أئمة الحديث والفقه(٩)، وصححه الخطيب(١٠) وابن الصلاح(١١)، ولا يلزم من بعض الروايات التي يستنبط

---

(١) التوحيد (٤٢) .

(٢) نعم ورد في بعض الضعفاء كقول ابن المبارك في ابن أرطاة — الضعفاء للبخاري (٧٥) وكذا قول أبي زرعة فيه وفي أبي سعد البقال - الجرح والتعديل (١٥٦/٣و٦٢/٤) ، وقول ابن معين فيه أيضاً - أخبار القضاة (١٠٤٨) .

(٣) الكفاية للخطيب (ص٣٩٥) وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٧٩/٣٦) .

(٤) الكفاية (ص٣٩٤) .

(٥) شروط الأئمة (ص٢٩) .

(٦) الجرح والتعديل (١٣٨/٩) .

(٧) المجروحين (١١٢/٢) .

(٨) النووي في المجموع (٢٦٨/١) .

(٩) جامع التحصيل (ص٩٨) .

(١٠) الكفاية (ص٤٠١) .

(١١) علوم الحديث (ص٢٣٥) .

منها بعض العلماء المتأخرين اتهام الراوي بالتدليس أن يكون الأمر كما قال، كما لا يلزم من اتهامه بالتدليس أن يوصف بعبارة (مدلس) هكذا دون دليل بين.

وعلى كلٍ فالمدلس هو: من عرف بالتدليس في الحديث، وشُهِر به كما قال مسلم[١]، ولا يكاد ينطبق هذا إلا على النادر من الثقات الذي رموا بالتدليس، ولا يحتاج مع من اتهم به -فحسب- سوى التأكد من سماعه من شيخه في الرواية عموماً.

المسألة الرابعة:

إن أكثر أهل العلم المشتغلين بهذه المسألة خصوصاً ونقد الحديث عموماً، عمدتهم في إطلاق الوصف على الراوي بالتدليس هو كتاب ابن حجر في طبقات الموصوفين بالتدليس في أسانيد الحديث، هذا الكتاب قد اعتمد فيه مؤلفه على كتاب العلائي، وهو لم يذكر فيه سوى (٦٨) راوياً، وزاد عليه ابن حجر (٨٤) تبعاً لغيره، فصاروا (١٥٢) راوياً، وكلاهما يذكر في كتابه أقسام التدليس كالسماع والشيوخ وغيرها، مما لا تؤثر فيه العنعنة مطلقاً، ثم قاما بسرد أسماء الرواة دون تفريق بينهم بناء على نوع التدليس، وفي هذا إيهام وإجمال، ونتج عن تقليد من أتى بعدهما في هذا رد العنعنة بإطلاق في كل مدلس، وقد كان نهج ابن حجر في هذا الكتاب نحو الجمع أوضح وأجلى من التقعيد، فأدخل فيه -خصوصاً في الطبقة الثالثة- كثيراً ممن لا يعرف عن السلف رد لعنعته أصلاً، وبعضهم لا يصح فيهم الوصف أبداً.

المسألة الخامسة:

إن وصف العالم لراوٍ بالتدليس هو اجتهاد منه كبقية ألفاظ الجرح والتعديل التي قد يسهل أو يشدد فيها العلماء، وابن حجر قد اختلفت اختياراته خارج كتابه في التدليس عنها في ذاك الكتاب، مما يعني أن اعتماد بعض المتأخرين عليه مطلقاً وجعله قانوناً مطرداً مدخول غير مستقيم، والأمثلة على هذا عدة منها أنها ذكر ثلاثة رواة في الطبقة الأولى من كتابه[٢] وراوٍ في الطبقة الثانية[٣]، بينما ذكرهم في الطبقة الرابعة من النكت[٤]، وراويان ذكرهما ذكرهما في الطبقة الثانية[٥]، وذكرهما في الثالثة بالنكت، وستة عشر راوياً ذكرهم في الطبقة الثالثة[٦]، وذكرهم في في الرابعة بالنكت، وأكثر الرواة في الطبقة الرابعة[٧] ذكرهم في الطبقة الثالثة من النكت.

---

(١) مقدمة الصحيح (٣٣/١) .

(٢) تعريف أهل التقديس (١٢و١٣و٢٥) .

(٣) (٤٢) .

(٤) النكت على ابن الصلاح (٦٣٧/٢-٦٤٩) .

(٥) (٥٥و٦٣) .

(٦) (٦٨و٧٠و٧٦و٧٨و٨١و٨٦و٨٧و٨٩و٩٠و٩٥و٩٧و١٠٠و١٠٤و١٠٦و١٠٩و١١٢-١١٤) .

(٧) (١١٧و١١٨و١٢٠و١٢١و١٢٣-١٢٥و١٢٧) .

فهذا الاختلاف الشديد في هذه المسألة المهمة يحتم على كل باحث التريث والحيطة في إطلاق الوصف على الراوي بمجرد ذكر ابن حجر له في المدلسين، دون مراعاة للضوابط الآتية بعد.

المسألة السادسة:

إن الوصف بالتدليس كغيره من عبارات الجرح، يشتمل على أنواع ودرجات، فكما هو معلوم أن قول العالم عن راوٍ: ضعيف، يحتمل عدة أنواع للضعف من حيث الضبط والتحمل والأداء وغيرها، وهذا التضعيف ليس على درجة واحدة في ذاته كالوصف بالاختلاط، هو على درجات متباينة، فقول الناقد عن راوٍ: مدلس، يحتاج إلى معرفة نوع هذا التدليس ودرجة تأثيره فيه بعد ثبوت ثقته، ولا يلزم من تجريح العالم الواحد لمن تتابع العلماء على توثيقه إهمال قوله، لكن لن يكون قوله بذاك المؤثر كما لو توبع.

المسألة السابعة:

إن هذه الضوابط ليست قانوناً حرفياً على المشتغل بهذه الصناعة، إنما على من أراد أن يصف راوياً بأنه (مدلسٌ) أن يراعي وجود هذه الضوابط ولو غالبها أثناء الوصف، فمتى وجد راوياً مكثراً تواتر توثيقه، ومن وصفه بالتدليس واحد أو اثنان ممن تأخروا بعبارة محتملة، وجرى العلماء على تصحيح عنعنته، متى وجد ذلك صح له أن ينفي عنه وصف (مدلس) للإسناد وإن ثبتت تهمته بها، ففرق بين التهمة بأمر، والوصف الثابت للمرء.

القسم الثاني

الضوابط

- **الضابط الأول: شهرة الموصوف بالعلم وكثرة حديثه بين الرواة.**

مما لا ريب فيه أن شهرة الراوي بالحفظ والعلم وكثرة حديثه تشفع له في كثير من الأوهام والأخطاء أن لا يوصف بها، بخلاف من قل حديثه ولم يعرف بين المحدثين بالعلم، وعليه يقال: هل من اشتهر بقبول حديثه وإمامته في العلم والرواية، وورد أنه دلس في أحاديث يسيرة تغرق في بحر مروياته -كالزهري مثلاً- يستوي هو من كان ثقة فحسب، ودلس في عدة أحاديث على قلة مروياته كشعيب بن أيوب الصريفيني، فنصفهما جميعاً بـ(مدلس)، ونذكرهما جميعاً في الطبقة الثالثة؟

لا شك أنهما يختلفان، وعليه فإدراج هذين الصنفين في طبقة واحدة للموصوفين بالتدليس بعيد كل البعد عن الميزان الصحيح.

فما زال العلماء يحتملون أخطاء وهفوات كبار العلماء لما قام في صدورهم من العلم الكبير، ولو طبقنا شبهة (مدلس وقد عنعن) دون النظر في ضوابطها لخالفنا هذا النهج تماماً.

ولا مثال أصدق على هذا من قول ابن حجر عن أهل الطبقة الثانية: «من احتمل الأئمة تدليسه، وأخرجوا له في الصحيح وذلك لإمامته وقلة تدليسه في جنب ما روى»[(١)]، ثم هو يذكر فيهم الحسن بن مسعود الدمشقي، بينما ذكره في الرابعة من النكت، وكذا الأعمش ويحيى بن أبي كثير ذكرهما في الثالثة من النكت.

---

(١) تعريف أهل التقديس (ص٦٢) .

وهذا الوصف في الطبقة الثانية عنده منطبق على أكثر رواة الطبقة الثالثة كالزهري وحميد الطويل وقتادة وابن جريج ومكحول وهشيم وأبي الزبير والسبيعي وحبيب بن أبي ثابت، وهم على اصطلاحه من أكثر من التدليس، فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع ! كذا قال، ومن هذا الإمام من سلف الأمة الذي رد حديثاً لهؤلاء بمجرد العنعنة مع الاتصال؟

- **الضابط الثاني: كثرة إرسال الموصوف عمن سمع ومن لم يسمع منه.**

وهذا الضابط مهم في الوصف من جهة اللغة أيضاً، فإن العرب لا تكاد تصف بمجرد الفعل مرة واحدة إلا لسبب، ويدل عليه تعريف مسلم السابق للمدلس.

وعليه فإن وصف الراوي بأمر، فرع عن ثبوته فيه، وقد جرت عادة المحدثين إطلاق أوصاف الجرح أو التعديل لمن ثبت هذا الوصف له باستمرار، لا لمن طرأ عليه مرة أو مرتين، فوصف الراوي بأنه مدلس كذلك، فلا يصح وصفه بهذا لمجرد فعله مرة أو مرتين، كما لا يقال لمن وهم في حديث مرة أو مرتين إنه (يهم)، ولا لمن أخطأ كذلك آخر عمره (مختلط)، ولا يعترض هنا[١] بمن كذب في الحديث مرة واحدة، لأنهم كانوا يقولون في مثل هذا: (متهم) أو (متروك) ونحوهما، وقلَّ أن يقولوا (كذَّاب) بصيغة المبالغة المشعرة بالتكرار والكثرة.

فما عسى من خالف هذا النهج أين يجيب عمن وَهِمَ مرة أو مرتين فأسقط الواسطة بينه وشيخه في حديث ما؟ فَفَعَلَه خطأً لاحتمال سلوك الجادة في هذا الموطن، بينما فعله المدلس عمداً، وكذا ما الجواب عمن أسقطها مرة وبيَّنها مرات؟ وما الجواب عمن لا يدلس إلا عن الثقات؟ هل يصح في هؤلاء كلهم وصف (مدلس)، ولازمه وصف الصحابة بهذا أيضاً، وكذا ما الجواب عمن اختلف عليه في ذكر الواسطة وعدمها عن شيخه الذي سمع منه، وهل من دلس مرة كمن دلس مائة مرة، وكذا هل من يروي الآلاف كمن يروي الآحاد في تهمة التدليس؟

كل هذه الأسئلة تحتم على المشتغل بهذه القضية الحيطةَ الشديدةَ في إطلاق الحكم على من صح حديثه عند العلماء، ولو وصف بالتدليس من بعضهم، وقد احتج بعضهم بعبارة للإمام الشافعي قال: «ومن عرفناه دلس مرة فقد أبان لنا عورته في روايته»[٢]، والجواب هو كما قال، فالتدليس قبيح وقد سبق بيان كلامهم، ولم يقل الشافعي إن حديثه مردود بالعنعنة، وبقية كلامه يوضح أكثر حيث قال: «لا نقبل من مدلس حديثاً حتى يقول فيه: حدثني أو سمعت»، وهذا ما نحن فيه، حيث قال (مدلس)، ولم يقل: دلس، وفرق بين الأمرين، فمدلس على وزان (مُفَعِّل) اسم الفاعل والصفة المشبهة كمُعَلِّم، ولا يقال لمن فعل هذا مرة أو مرتين فحسب، بل من داوم عليه.

ومن نسب إلى الشافعي خلاف ذلك فقد وَهِمَ عليه، ولا يعرف عن الشافعي أصلاً أنه وصف راوياً بالتدليس، وكتابه الأم مشحون بعنعنة كثير من الرواة الذين اشتهر عنهم تهمة التدليس ثم هو يسكت عنها، فإما أنه لا يراهم (مدلسين) مع الاتفاق على اتهامهم به، فيصح المقصود ، أو خفي على مثله ما ظهر لأكثر العلماء وطلابهم، فلا يبقى لأقواله في مسألة التدليس حجة لأحد.

---

(١) الاعتراض للخطيب في الكفاية (ص٤٠١-٤٠٢) .

(٢) الرسالة (١٠٣٣) .

وإن قدر النزاع في هذا الأمر، فهو قول له قد وافقه عليه القليل[١]، ولا يؤخذ المنهج من القليل، وخالفهم فيه كل علماء العلل ونقاد الصناعة الحديثية، ولا شك أنهم أعلم بهذه المسألة، وما عسى من احتج بمقولته أن يفعل بقول شعبة: «ما رأيت أحداً من أصحاب الحديث إلا يدلس، إلا ابن عون وعمرو بن مرة»[٢]، وعلى كل فكلام الشافعي إنما جاء في سياق شروط الاحتجاج بالحديث عموماً، ولم يرد في صناعة الحدود والتعريفات ونقد الحديث، ليكون مشكلاً.

- **الضابط الثالث: شهرة الموصوف بالورع والتقوى.**

واشتراط هذا الضابط واضح جداً، فهل يعقل ممن عرف بالورع والتقوى واشتهر بالعبادة والصلاح، أن يلبّس على الأمة دينها، ويدلس عليها حديث نبيها، عن الضعفاء والمتروكين، ويخفى هذا الأمر على عامة العلماء لأنه تدليس، ولا يظهر إلا لخواصهم، والحال أن أولئك ضربوا أروع الأمثلة في النصيحة لهذه الأمة وللشريعة.

فهل الوصف (مدلس) لمثل الزهري وقتادة وأبي إسحاق السبيعي وحبيب بن أبي ثابت والحسن البصري وابن جريج ومكحول وغيرهم ممن وصف بالإمامة في الدين كبقية الثقات الذين لم يذكروا بذاك الوصف (إمام)، قال وكيع: «نحن لا نستحل التدليس في الثياب، فكيف في الحديث»[٣].

ومن تأمل سيرة هؤلاء وأشباههم في كتب الزهد والسير ونحوها لم يشك قط في بعدهم عن وصف (مدلس) على المعنى الضيق الذي استقر عند المتأخرين، فذكر هؤلاء وغيرهم في طبقة واحدة من المدلسين بعيد أيضاً عن الميزان الصحيح، فالذي لا مرية فيه ما قاله الحاكم: «ولم أستحسن ذكر أسامي من دلس من أئمة المسلمين صيانة للحديث ورواته، غير أني أدل على جملة يهتدي إليها الباحث عن الأئمة الذين دلسوا والذين تورعوا عن التدليس: وهو أن أهل الحجاز والحرمين ومصر والعوالي ليس التدليس من مذهبهم وكذلك أهل خرسان والجبال وإصبهان وبلاد فارس وخوزستان وما وراء النهر لا يعلم أحد من أئمتهم دلس وأكثر المحدثين تدليسا أهل الكوفة ونفر يسير من أهل البصرة...»[٤]، فماذا سيقول المتوسعون في الإطلاق بهذا النص؟ وهو يحكي عن الأئمة، وهذا الخطيب يقول: «والتدليس يشتمل على ثلاثة أحوال تقتضي ذم المدلس وتوهينه:

- فأحدها: ما ذكرناه من إيهامه السماع ممن لم يسمع منه وذلك مقارب الأخبار بالسماع ممن لم يسمع منه.
- والثانية: عدوله عن الكشف إلى الاحتمال وذلك خلاف موجب الورع والأمانة.
- والثالثة: أن المدلس إنما لم يبين من بينه وبين من روى عنه لعلمه بأنه لو ذكره لم يكن مرضيا مقبولا عند أهل النقل فلذلك عدل عن ذكره.

---

(١) الكفاية (ص٣٩٩) وشرح العلل لابن رجب (٣٥٣/١) .

(٢) مسند ابن الجعد (٥٠) .

(٣) كفاية (ص٣٩٤) .

(٤) معرفة علوم الحديث (ص١١١) .

وفيه أيضاً: أنه إنما لا يذكر من بينه وبين من دلس عنه طلبا لتوهيم علو الإسناد والأنفة من الرواية عمن حدثه وذلك خلاف موجب العدالة ومقتضى الديانة من التواضع في طلب العلم وترك الحمية في الإخبار بأخذ العلم عمن أخذه»[١]، فهل هذه الأحوال تنطبق على من سلف ذكرهم؟

- **الضابط الرابع: كثرة الواصفين بالتدليس وقلتهم.**

فإذا تتابع العلماء على توثيق رجل دون تمييز بين عنعنته وتصريحه، وجاء من خالفهم فأضاف شرطاً آخر لم يكن تأثيره كما لو تتابع جماعة على ذاك الوصف أو التهمة به، ومن خالف هذا لزمه العكس، فمن تتابع العلماء على تضعيفه، ووثقه واحد في شيخ أو بلد أو حال فاعتبر قوله، كان في هذا رد لقولهم المطلق، وليس المراد هنا إهمال قوله مطلقاً، بل المراد بين الميزان في هذا الشأن فحسب.

ومن أهم الأمثلة على هذا مكحول الشامي، تتابع العلماء على توثيقه واعتماد عنعنته دون شك، حتى جاء ابن حجر فذكره في الطبقة الثالثة من المدلسين، ولم يرد فيه سوى قول ابن حبان: ربما دلس[٢]، وليس هذا من ابن حبان وصف لازم كما هو ظاهر! فهل مثل هذا القول الواحد المقابل لكل أقوال العلماء يؤثر في الراوي، ويجعل أكثر مروياته محل شكٍّ؟

وقس على هذا تفرد يحيى القطان بتهمة فطر بن خليفة، وأحمد بتهمة جعفر بن حيان، وابن نمير بتهمة عبد السلام بن حرب، وابن حبان بتهمة محمد بن يزيد بن خنيس وجنيد بن العلاء، والدارقطني بتهمة لاحق بن حميد وكلهم فات ابن حجر، والحاكم بتهمة طلحة بن نافع وإبراهيم النخعي وشباك الضبي، فالفرق واضح بين الوصف المؤثر اللازم للراوي، ومجرد التهمة بأمر عارض.

- **الضابط الخامس: مكانة الواصف بين العلماء الموثقين للراوي.**

فليس كل العلماء على درجة واحدة في الجلالة والعلم والتثبت، وعلم الجرح والتعديل من أدق علوم الشريعة وأجلها، فلا يقبل فيه إلا قول من عرف أنه من أهله، مع الورع التثبت والديانة.

ومن الأمثلة هنا: طاوس بن كيسان، اتفق العلماء على ثقته، وقبول حديثه، حتى جاء الكرابيسي (ت٢٤٨هـ)، وذكره في المدلسين، وتبعه ابن حجر، فذكره في الطبقة الأولى من المدلسين، وبغض النظر عن الطبقة التي ذكره فيها ابن حجر، فإن الكربيسي واسمه الحسين بن على بن يزيد[٣]، ليس من كبار أئمة هذا الشأن، ومذهبه في التدليس أصلاً لم يوافقه عليه أحد من السلف حاشا أبا الفتح الأزدي[٤]، وهو متكلم فيه أيضاً، ولا تقارن أقواله بأقوال من وثق طاوس البتة، وقس على هذا كلامه في إبراهيم التيمي عن زيد بن وهب، وفي الدالاني،

(١) الكفاية (ص) .

(٢) الثقات (٤٤٧/٥) .

(٣) السير للذهبي (٧٩/١٢) .

(٤) شرح العلل لابن رجب (٣٥٤/١) .

ومثله كلام أبي مسهر في يزيد بن عبد الرحمن الدمشقي الهمداني، ويحيى الحماني في جرير بن حازم...، وغيرهم من الثقات.

- **الضابط السادس: منهج الواصف من حيث التشدد والتساهل في الجرح والعديل.**

هذا الضابط يعد من أهم ضوابط علم الجرح والتعديل، والحكم على الرواة ومروياتهم، فليست أقوال الإمام أحمد كأقوال ابن حبان، وكذا ليست أقوال البخاري وأبي حاتم كأقوال الدارقطني والحاكم، فإنزال العلماء منازلهم في هذا العلم مهم للغاية.

ومن خلال تتبع كلام العلماء الواصفين للرواة بالتدليس –باللفظ الصريح– من الحاكم فما فوقه زمناً، نجد أن أقوالهم قليلة جداً لو وُزِنَتْ ببقية كلماتهم في جرح الرواة، إلا أنه يلحظ أن أكثرهم وصفاً بعبارة التدليس الصريحة –على تقدير ثبوتها عنهم– بغض الطرف عن أي اعتبار آخر كاحتمال إرادة الإرسال للرواة هم:

١. أحمد بن حنبل، حيث وصف ٢١ راوياً بذلك، انفرد بخمسة رواة، ووافقه واحد من العلماء –في الوصف– في خمسة آخرين.
٢. النسائي، حيث وصف ٢١ راوياً كذلك، انفرد بأربعة، منهم أبو الزبير المكي، الذي نفى الحاكم[١] تدليسه، ووافقه واحد في أربعة رواة فحسب.
٣. ابن حبان، وهو أكثر علماء الحديث وصفاً بالتدليس للرواة، حيث بلغ عددهم ٣٧ راوياً، انفرد بعشرين، ووافقه واحد في خمسة منهم.
٤. الدارقطني، وصف ٢٣ راوياً، انفرد بواحد هو لاحق بن حميد، وتابعه واحد على الوصف في عشرة من الرواة.
٥. الحاكم، وصف ١٢ راوياً، انفرد بخمسة، ووافقه واحد في ثلاثة رواة فحسب.

فيظهر بعد النظر فيما سبق، أن هؤلاء أشد على الرواة في الوصف، وأسهلهم في إطلاقه عليهم من غيرهم، هذا لو قدر أنهم أرادوا تدليس الإسناد، ولا يمكن الجزم بهذا إلا بدليل.

والدليل على خلافه أنهم ثبت عنهم إطلاق التدليس على الإرسال في نصوص كثيرة: فهذا أحمد يقول: «لم يسمع عبد المجيد بن أبي رواد من عبيد الله شيئاً، ينبغي أن يكون عبد المجيد دلسه»[٢]، وقال ابن حبان في أنواع الجرح: «المدلس عمن لم يره...»[٣]، وأطلقه الدارقطني على تدليس الشيوخ[٤]، وقال الحاكم في الجنس السادس: «من التدليس قوم رووا عن شيوخ لم يروهم قط...»[٥]، ويظهر مما

(١) معرفة علوم الحديث (ص٣٤) .
(٢) علل الخلال (١٣٥–المنتخب) .
(٣) المجروحين (١/٨٠) .
(٤) العلل (٨/٣١٩) .
(٥) معرفة علوم الحديث (ص١٠٩) .

سبق أن ابن حبان من أكثر العلماء توسعاً في استعمال لفظة التدليس، وما في معناها احتمالاً، فدراسة منهجه في ذلك مفيد.

- **الضابط السابع : تقدم زمن الواصف .**

حيث إن الوصف بالتدليس من الجرح الخفي والدقيق، ولا يمكن العلم به إلا لمن كان معاصراً للرواية أو قريباً منها، «ممن عاين الأصول وعرف عللها»[١]، ويستحيل عادة أن يطلع المتأخر على جرح بالراوي، ويخفى على كل من سلف من أئمة الجرح والتعديل خصوصاً في أمر مهم كالتدليس، ولذا فإن تفرد ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) بتهمة بشير بن زاذان –على ضعفه– فيه نظر، وقس على هذا ما يذكره المؤلفون المتأخرون في رواة التدليس لا يقبل حال التفرد مطلقاً فكيف لو نفاه السلف.

ومن أمثلته أبو قلابة الجرمي، وصفه بالتدليس: الذهبي والعلائي، وتبعهما ابن حجر فذكره في الطبقة الأولى[٢]، وقد قال عنه إمام الجرح والتعديل أبو حاتم: «لا يعرف له تدليس»[٣]، والحافظ ابن حجر قد توسع في جمع ما ظهر له باجتهاده أنه تدليس، وحكم على الراوي أنه (موصوف بتدليس الإسناد) ولو فتح هذا الباب بالتتبع لعسر إغلاقه، والحاصل أن المدلسين معدودون، فهو أول من ذكر أيوب بن النجار اليمامي من المدلسين في الطبقة الأولى[٤]، وأطلق في التقريب[٥] بقوله: «ثقة مدلس»، وهو لم يسبق إلى هذا الوصف المطلق، وهذا وإن صح من مثل ابن حجر أن يسلكه في مثل أيوب هذا –وهو غير مشهور– فإنه لا يتأتى لكل أحد في أي راوٍ.

- **الضابط الثامن: وضوح عبارة الواصف في نوع التدليس.**

إن وضوح عبارة الواصف بالتدليس في نوع تدليس الراوي مهم جداً في الحكم على الراوي بالتدليس وصفاً أو تهمة، فكم من راوٍ وصف بتدليس الإسناد بسبب إرسال أو مناولة أو إجازة أو اتهم بتدليس من نوع آخر كالشيوخ وغيرها، أو بخصوص راوٍ معين، أو رجع عنه أصلاً.

ومثاله حماد بن أسامة، قال عنه ابن سعد: «يدلس، وتبيَّن تدليسه»، كذا قال، ونقل ابن حجر في الطبقة الثانية[٦] أنه رجع عن هذا، وقد قال حماد بن أسامة منكراً على من قال له: «اذكر الخبر»، قال: «أتروني أدلس لكم؟»[٧].

---

(١) الموقظة (ص٤٥) .

(٢) (١٥) .

(٣) الجرح والتعديل (٥/٥٨) .

(٤) (٦) .

(٥) (٦٢٧) .

(٦) (٤٤) .

(٧) المدخل إلى الإكليل (ص٤٦) .

فعلى هذا لا يصح وصف حماد بأنه (مدلس)، وهو يدعو على المدلسين بخراب بيوتهم كما سبق، وكذا واصل أبو حرَّة، وصف بالتدليس وذُكِرَ في الطبقة الثالثة[١]، وإنما قال فيه أحمد: «صاحب تدليس عن الحسن»[٢].

فتعميم الحكم عليه غير صحيح، خصوصاً مع قول ابن عدي: «لم أجد في حديثه حديثاً منكراً»[٣]، وقال ابن حبان عن عبد الجبار بن وائل بن حجر: «مات أبوه وائل وأمه حامل به، كل ما روى عن أبيه مدلس...»[٤]، فهذا النص وغيره مما كثر عنهم يدل على أهمية اعتبار منهج الواصف، ووضوح عبارته في نوع التدليس، ليمكن وصفه بتدليس الإسناد، ومن لم يتنبه لهذا الضابط فما عساه أن يقول عن مقولة شعبة السابقة: «ما رأيت أحداً من أصحاب الحديث إلا يدلس، إلا ابن عون وعمرو بن مرة».

- **الضابط التاسع: وضوح عبارة الواصف في كمية التدليس.**

فإن غالب وصفهم بالتدليس عام دون تقييد، ومن تتبع كلامهم في الوصف بكثرة التدليس لمن هو ثقة ثبت، فإنه لا يكاد أن يجد إلا القليل جداً، كقول أبي زرعة في زكريا ابن أبي زائدة عن الشعبي خصوصاً، وقول ابن سعد في هشيم، وقول الدارقطني في يحيى بن أبي كثير.

ومن هذا وصف ابن جريج بأنه وحش التدليس، أو شديد التدليس، فليس في هذا أي ذكر للكثرة، بل هو وصف للكيفية، وقارن هنا بين قول ابن سعد[٥] عن حميد الطويل: «كثير الحديث، ربما دلس عن أنس»، وقول ابن حجر في الطبقة الثالثة[٦]: «كثير التدليس عنه»، تجد التباين الواضح.

نعم معظمها عن ثابت عن أنس رضي الله عنه كما قال به جماعة من السلف، لكنهم لم يعدوا هذا تدليس كثيراً لكونه عن ثقة ثبت.

ودليل ذلك أيضاً ذكر النسائي لقتادة في جملة المدلسين فحسب، وعبَّر عن هذا ابن حجر بقوله: «مشهور بالتدليس، وصفه به النسائي وغيره»، كذا قال، وكلامه يوهم أن هذا لفظ النسائي وغيره، وليس كما قال، والشهرة لا تستلزم الكثرة، وإن كانت تدل عليها غالباً في مثل هذا الأمر، لأن التدليس أمر خفي، ولا يشتهر به أحد إلا إذا كان مكثراً منه، ولا يلزم من شدة الشيء كثرته، فهذا في الكيف وذاك في الكم.

- **الضابط العاشر: تلقي الأمة حديث الموصوف معنعناً بالقبول.**

---

(١) (١١٥) .

(٢) رواية الروذي (١) .

(٣) الكامل (٣٧٤/٨) .

(٤) مشاهير علماء الأمصار (ص١٦٣) .

(٥) الطبقات (١٨٧/٧) .

(٦) تعريف أهل التقديس (٧١) .

فحيث إن كلام العلماء في ذم التدليس والمدلسين قد كثر وانتشر بينهم كما سبقت الإشارة إلى بعضه، فإنه ينبني على هذا ويلزم منه تجنب حديث من فعله ووصف به أو الحذر منه على أقل تقدير، وهذا أيضاً ظاهر في بعض الرواة الذين ضعفوا بسببه كما سبق ذكره.

فعندما يتتابع عامة العلماء على قبول حديث راوٍ (هو مدلس عند بعضهم) بشكل ظاهر في كل عنعنة له عن شيخ سمع منه، دون اعتراض من العلماء عليه إلا لسبب واضح، فإن لازم هذا أحد أمرين:

١. قبول عنعنة المدلس بغير سبب ظاهر.

٢. عدم ثبوت الوصف (مدلس) على هذا الراوي بالمعنى الخاص.

والأول معارض باتفاقهم على ذم التدليس وأهله، واشتراط السماع في تدليس الإسناد من المدلس كما سبق.

فهذا الثوري[١] يصحح تفسير ابن أبي نجيح، وقد قال القطان: «لم يسمع ابن أبي نجيح من مجاهد التفسير، كله يدور على القاسم بن أبي بزة»[٢].

لذا قال ابن حجر في الطبقة الثالثة[٣]: «أكثر عن مجاهد، وكان يدلس عنه»، فالنظر في مسلك العلماء في هذا الأمر، واعتماد تصحيحهم لحديث الرواة في إثبات الوصف أو نفيه مهم جداً، حيث إنهم لا يصححون عادة إلا من ثبتت عدالته وكمل ضبطه مع اتصال السند.

الخاتمة

وفي نهاية المطاف السريع أشير باختصار إلى أهم النتائج:

١) إن هذه المسألة مهمة جداً وبسببها رد جماعة من كبار العلماء المعاصرين جملة من السنة بتأويل ضعيف.

٢) إن الكتابة في شأنها تتطلب حذراً أكثر وحيطة أشد.

٣) إن اصطلاح علماء السلف في التدليس أعم منه مما استقر عليه الخلف.

٤) إن اتهام الراوي بالتدليس العام أهون من وصفه بـ(مدلس)، ولا يتلازمان.

٥) أن مراعاة هذه الضوابط مهمة ، وبدونها يضطرب الباحث في مسألة عنعنة المتهم بالتدليس، ويخرج بنتائج ضعيفة وآثار سيئة.

٦) إنه لا يجتمع الوصف بـ(ثقة)، والوصف بـ(مدلس) للإسناد إلا نادراً.

٧) إن الرواة المدلسون للإسناد معدودون لا يصح الزيادة فيهم على من ذكرهم السلف.

٨) إن عنعنة من ثبت أنه (مدلس) للإسناد مشبوهة تستوجب الاحتياط بالتوقف فيها كما قال السلف.

---

(١) الجرح والتعديل (٥/٢٠٣) .

(٢) التاريخ الكبير (٥/٢٣٣) .

(٣) (٧٧) .

وأخيراً فهذا البحث بمسائله وضوابطه ما هو إلا بدايات فكرة تستوجب منا جميعاً التعاون على تقويمها ونقدها وتصحيحها، وليست بآراء نهائية لا رجعت فيها، فالمرجو مِن كل مَن له اهتمام بهذه المسألة خصوصاً أن يتحف الباحث بما تجود به نفسه من علم أو رأي، شاكراً له اهتمامه، والله أعلم.

المراجع

١- « أخبار القضاة » : القاضي وكيع ، محمد بن خلف بن حيان ، عالم الكتب ، بيروت .

٢- « التاريخ الأوسط » : محمد بن إسماعيل البخاري – رواية الخفاف – تحقيق محمد اللحيدان ، دار الصميعي ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

٣- « التاريخ الكبير » : محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٤- « التَّوحيد » : محمد بن إسحاق بن خزيمة ، تحقيق عبد العزيز الشهوان ، دار الرشد ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

٥- « الثِّقات » : أبو حاتم محمد بن حبَّان البستي ، مراقبة محمد خان ، مجلس دائرة المعارف ، الهند ، ط١ ، ١٣٩٣هـ.

٦- « الجرح والتعديل » : عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، ، مجلس دائرة المعارف ، الهند ، ط١ ، ١٣٧١هـ ، تصوير دار إحياء التراث العربي ، بيروت

٧- « الرسالة » : أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق أحمد شاكر ، مصور .

٨- « الصَّحيح المسند » : مسلم بن الحجَّاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد ، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، ط١ ، ١٣٧٤هـ .

٩- « الطَّبقات الكبرى » : محمد بن سعد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٠- « العلل الكبير » : محمد بن عيسى الترمذي – ترتيب أبي طالب القاضي – تحقيق حمزة مصطفى ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .

١١- « العلل الواردة في الأحاديث النبوية » : علي بن عمر الدارقطني ، تحقيق محفوظ الرحمن السلفي ، دار طيبة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

١٢- « العلل ومعرفة الرجال عن أحمد » : رواية المروذي وغيره ، تحقيق وصي الله عباس ، الدار السلفية ، بومباي ، ط١ ، ١٤٠٨هـ .

١٣- « الكامل في أسماء الرجال » : عبد الله بن عدي ، تحقيق عادل وعلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨هـ .

١٤- « الكفاية في علم الرِّواية » : أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تحقيق أحمد هاشم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

١٥- « المنتخب من علل الخلال » : عبد الله بن أحمد : ابن قدامة المقدسي ، تحقيق طارق بن عوض الله ، دار الراية ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٩هـ .

١٦- « الموقظة » : الذهبي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

١٧- « تاريخ ابن معين » : عباس بن محمد الدُّوري ، تحقيق أحمد بن محمد ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، ط١ ، ١٣٩٩ هـ .

١٨- « تاريخ الإسلام » : الذهبي ، تحقيق د . عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .

١٩- « تاريخ دمشق » : علي بن الحسن : ابن عساكر ، تحقيق عمر العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ .

٢٠- « تعريف أهل التَّقديس » : ابن حجر ، تحقيق أحمد سير المباركي ، الرياض ، ط ١ ١٤١٤هـ .

٢١- « جامع التَّحصيل » : خليل بن كَيْكَلْدي العلائي ، تحقيق حمدي السَّلفي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ .

٢٢- « سير أعلام النبلاء » : محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق شعيب الأرنوؤط وجماعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ .

٢٣- « شرح علل الترمذي » : عبد الرحمن بن رجب ، تحقيق نور الدين عتر ، دار الملاح ، بيروت ، ط١، ١٣٩٨هـ .

٢٤- « شروط الأئمة الستة » : محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني .

٢٥- « علل الحديث » : عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، تحقيق محب الدين الخطيب ، تصوير دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

٢٦- « علوم الحديث » : ابن الصلاح ، تحقيق عائشة بنت الشاطئ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ .

٢٧- « كتاب المجروحين » : محمد بن حبَّان البستي ، تحقيق محمود إبراهيم ، دار الوعي ، حلب ، ط١ ، ١٣٩٦هـ .

٢٨- « مسند علي بن الجعد » : عبد الله بن محمد البغوي ، تحقيق عبد الهادي بن عبد القادر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

٢٩- « مشاهير علماء الأمصار » : محمد بن حبَّان البستي ، تصحيح : م . فلايشمر ، تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٠- « معرفة علوم الحديث » : محمد بن عبد الله الحاكم ، تحقيق معظم حسين ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٠هـ .

٣١- « من كلام أبي زكريا يحيى بن معين » : رواية يزيد بن الهيثم بن طهمان البادي ، تحقيق أحمد نور سيف ، دار المأمون ، دمشق وبيروت .

حجية خبر الواحد

د. نورة بنت عبدالله الحساوي

أستاذ الحديث المساعد

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

السعودية

drnourahalhasawi@hotmail.com

المقدمة

خبر الواحد أحد مباحث علوم الحديث التي كثر الأخذ فيها والرد، وتعددت منهجية الباحثين في تناولها منذ القديم، ويحظى هذا الموضوع بأهمية قصوى لدى الباحثين نظراً لارتباطه بحجية السنة النبوية، فالعمل بأكثر الأحاديث النبوية متوقف على التحرير الصحيح لهذه المسألة، وهذا هو ما يتناوله هذا البحث.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وأربعة مباحث على النحو الآتي:

المقدمة، وتحتوي أهمية الموضوع وخطة البحث.

المبحث الأول: تاريخ نشأة مصطلحي المتواتر والآحاد.

المبحث الثاني: تحرير مصطلحي المتواتر والآحاد،ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: مصطلحي المتواتر والآحاد عند الأصوليين،وتحريرهما.

المطلب الثاني: مصطلحي المتواتر والآحاد عند المحدثين،وتحريرهما.

المبحث الثالث: حجية خبر الواحد،ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: إفادة خبر الواحد للعلم.

المطلب الثاني: العمل بخبر الواحد.

المبحث الرابع: شبهات والرد عليها.

الخاتمة، وتشمل أبرز التوصيات.

المبحث الأول

تاريخ نشأة مصطلحي المتواتر والآحاد

حرص النبي صلى الله عليه وسلم على نشر سنته لتبليغ الدين الحنيف إلى الناس عامة، وتبعه صحابته الكرام والتابعون رضي الله عنهم جميعاً، وقد اتسمت علوم الحديث في تلك المرحلة بوضع أسس التحري والتدقيق في الرواة ونقد المرويات والمتون وبدايات أصول الرواية وتدوين الحديث بتدرج علمي مدروس، كانت فيه الأولوية للقرآن الكريم، فلما كتب في الصحائف ونشر بين المدن اللإسلامية، تفرغ الناس لتدوين الحديث وعلومه، وعلى الرغم من ظهور الفتن في ذلك الوقت إلا أن علماء الحديث الجهابذة وضعوا قواعد علمية ثابتة حفظ الله عز وجل بها سنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

تأثر علوم الحديث بالعلوم العقلية:

يحكي لنا التاريخ أن احتكاك العالم الإسلامي بالعلوم العقلية بدأ في عهد الخليفة المنصور ومن بعده الخليفة هارون الرشيد مع بداية ترجمة كتب الفلاسفة الإغريق وغيرهم، وقد كانت البداية في مدينة البصرة عندما اعتزل واصل بن عطاء (ت١٣١هـ) أستاذه الحسن البصري، وأخذ يقرر أصولاً ليست على مذهب الحسن وغيره من السلف، ومن هذا الوقت سمي أتباع واصل بالمعتزلة، وقد ظهر من رؤوس الاعتزال بعده: عمرو بن عبيد

(ت١٤٣هـ)، ثم أبو الهذيل العلاف (ت٢٣٥هـ)، والنظام (ت٢٢١هـ)، وبشر المريسي (ت٢١٨هـ)، والجاحظ (ت٣٢٥هـ)، وغيرهم[1]؛ لكنها ازدهرت في عهد ابنه المأمون.

ومع ذلك فقد شهد القرن الثالث اكتمال تدوين السنة، وكتبت فيه الجوامع التي حملها أهل الحديث، ومن ثم تفرغ علماء الحديث إلى التوسع في علوم الحديث كالتصحيح والتضعيف، وبيان علل الأسانيد والمتون، والجرح والتعديل، ذاكرين ذلك كله بمصطلحاتهم الخاصة بأهل الحديث وصنعتهم المتقنة، ومن هنا نلاحظ أن العلوم العقلية في هذا القرن لم تؤثر في علوم الحديث ومصطلحاته.

علوم الحديث بين القرنين الرابع والسابع الهجري:

على أن هذا الأمر يوشك على التغير في القرن الرابع الهجري تحت تأثير عدة عوامل يلخصها الذهبي رحمه الله في تذكرة الحفاظ بما يأتي:

١- تقدم العلوم العقلية،وتأثيرها في الساحة العلمية.

٢- نقص في علماء الحديث وطلبته، وضعف المستوى العلمي لطوائف منهم.

٣- ظهور التقليد بين الفقهاء وتناقص الإجتهاد.

وفي هذا القرن تم تصنيف كتابين في علوم الحديث خاصة، أحدهما: (المحدث الفاصل بين الراوي والواعي) للرامهرمزي (ت٣٦٠هـ)، واللآخر: (معرفة علوم الحديث) للحاكم (ت٤٠٥هـ).

هذا بالنسبة للكتب الخاصة بعلوم الحديث ولم يخلُ الأمر من كتابات في علوم الحديث كتبت في مقدمات الكتب، وماكاد القرن الرابع ينتهي حتى أصبح عمل العلماء قاصراً على الجمع والترتيب أو التهذيب لكتب السابقين[2]، ولم يكن هذا هو الحال في القرن الرابع الهجري فحسب بل امتد للقرون التي تليه، وفي هذه المدة ظهر نوع من التمازج بين العلوم العقلية، وهي ما كان يوصف بعلم الكلام، وبين العلوم الشرعية.

تأثر علم أصول الفقه بالعلوم العقلية:

أول من صنف في أصول الفقه هو الإمام الشافعي رحمه الله (ت٢٠٤هـ) ولم يخرج منهجه في التصنيف بطبيعة الحال عن منهج السلف الصالح، وكتابه الرسالة عَلَمٌ على هذه الحقيقة، إلا أنه «لا خلاف بين المؤرخين لعلم الأصول، أن أصول علم الأصول، وجل اعتماد المصنفات فيه بعد (الرسالة) للشافعي، ع لى المصنفات التالية:

١- (العهد) للقاضي عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمداني المعتزلي (ت٤١٥هـ).

٢- (المعتمد) لأبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي (ت٤٣٦هـ).

٣- (البرهان) لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني (ت٤٧٨هـ)، وكان من الأشعرية في الأصول غالب حياته.

---

(١) محمد أبو زهو،الحديث والمحدثون،ص٣١٦.

(١) محمد أبو زهو، الحديث والمحدثون ، ص٤٣٠.

٤- (المستصفى) لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، وكان من الأشعرية في الأصول إلى قبيل وفاته.

٥- ثم جمع شتات مصنفات الأصول من بعد هؤلاء :فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ) الأشعري، في كتابه: (المحصول في علم الأصول).

٦- وفعل نحوه أبو الحسن سيف الدين علي بن أبي علي محمد بن سالم الآمدي (ت٦٣١هـ)، وهو أشعري في كتابه: (الإحكام في أصول الأحكام)[١].

ونلاحظ هنا أن هؤلاء المؤلفين إما معتزلة وإما أشاعرة جميع أو معظم حياتهم، ويتضح من ذلك تأثر علماء الفقه وأصوله بالعلوم العقلية، ويظهر هذا التأثر بالعلوم العقلية لدى الأصوليين في المسائل المتعلقة بالسنة النبوية والتي تناولتها كتب أصول الفقه، ومن ذلك مصطلحي المتواتر والآحاد، والمسائل المتعلقة بهما.

وينبغي أن نذكر هنا تنبيهاً لا بد منه، وهو أن هذا التمازج بين العلوم العقلية وبعض -لا كل- العلوم الشرعية، كان نسبياً لامطلقاً، فتأثر علم أصول الفقه مثلاً كان أكثر من تأثر علم مصطلح الحديث

« الكفاية» و«مقدمة أنواع علم الحديث» وأثرهما الكبير في تاريخ المصطلحين:

لايكاد يختلف اثنان من أهل الحديث على الأثر العظيم الذي تركه هذان الكتابان في المسيرة التاريخية والعلمية لعلوم الحديث، ولن نتوقف عند أثرهما بصفة عامة، بل نكتفي هنا بأثرهما على مصطلحي المتواتر والآحاد.

أما كتاب « الكفاية» للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) فقد كان أول كتاب يذكر فيه تعريف المتواتر[٢].

قال ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) في كتابه «معرفة أنواع علم الحديث»[٣]: «ومن المشهور: المتواتر، الذي يذكره أهل الفقه وأصوله، وأهل الحديث لايذكرونه باسمه الخاص المشْعِر بمعناه الخاص، وإن كان الخطيب قد ذكره، ففي كلامه ما يشعر بأنه اتبع فيه غير أهل الحديث، ولعل ذلك لكونه لا تشمله صناعتهم، ولايكاد يوجد في رواياتهم».

وعلى الرغم من كون هذا المصطلح ينتمي للأصوليين لا المحدثين، فقد كان نقل الخطيب له في كتابه واستعماله هو ومعاصروه كابن عبدالبر وغيره لهذا المصطلح بمعناه الخاص عند الأصوليين، سبباً في أن يتلقى طوائف من المحدثين هذا المصطلح بنوع من القبول، وعندما ألف ابن الصلاح كتابه المذكور، وذكر فيه النوع الموفي ثلاثين من أنواع علم الحديث: معرفة المشهور من الحديث، ذكر أنواعاً من الحديث المشهور ثم قال عبارته التي نقلناها سابقاً، وصنيعه يوضح أن هذا مصطلح الأصوليين، وأن عمل المحدثين على غيره، إلا أن الشراح الذين جاءوا من بعده وشرحوا كتابه قد تبنى معظمهم مصطلحي المتواتر والآحاد عند الأصوليين، ونأتي هنا بمثال واحد فقط على ذلك:

---

(٢) الشريف حاتم العوني ، المنهج المقترح لفهم المصطلح ، ص٨٥-٨٦، بتصرف.

(١) الخطيب ، الكفاية، ١/ ١٦.

(٢) ص١٣٥.

قال السيوطي (ت٩١١هـ) في تدريب الراوي[1] في شرح المشهور: «قال ابن الصلاح: ومعنى الشهرة مفهوم، فاكتفى بذكره عن حده، وقال البلقيني: لم يذكر له ضابطاً، وفي كتب الأصول: المشهور، ويقال له: المستفيض، الذي تزيد نقلته على ثلاثة»، وانظر هنا إلى إشارة البلقيني إلى كتب الأصول.

المصطلحَيْن بعد عصر ابن الصلاح:

في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وتحديداً في سنة ٦٥٦هـ أغار التتار على العالم الإسلامي، وتعرضت العلوم كافة إلى نكبة عظيمة ما زلنا نعاني منها إلى اليوم، ومع هذا فقد ظهر طائفة من العلماء الجهابذة الذين اعتنوا بالسنة النبوية وعلومها كالعراقي وابن حجر والسخاوي والسيوطي وغيرهم، إلا أننا نلاحظ أن الأغلب منهم قد تبنوا مذهب الأصوليين في مصطلحي المتواتر والآحاد –وسنوضح شيئاً من ذلك في المبحث الثاني بعون الله– والملاحظ أن علماء الحديث المعاصرين نحوا منحاهم، فصار هذان المصطلحان يدرسان في مدارسنا وجامعاتنا اليوم في علوم الحديث ولكن على طريقة الأصوليين، وهو ماترى الباحثة فيه خروجاً عن منهج المتقدمين من أهل الحديث،وهو المنهج الصحيح ولاشك.

المبحث الثاني

تحرير مصطلحي المتواتر و الآحاد

لما كان تعريف العلماء لخبر الآحاد أنه مالم تتوفر فيه شروط المتواتر، أصبح من المتعين تعريف المتواتر وحصر شروطه وبيان معناه.

المطلب الأول: مصطلحي المتواتر والآحاد عند الأصوليين وتحريرهما.

المتواتر عند الأصوليين:

عرّف الأصوليون المتواتر بتعريفات قريبة من بعضها البعض، ولعل أشمل هذه التعريفات، هو تعريف الجويني (ت٤٧٨هـ): «المتواتر مايوجب العلم، وهو أن يروي جماعة لايتسع التواطؤ على الكذب من مثلهم إلى أن ينتهي إلى المخبر عنه، ويكون في الأصل عن مشاهدة أو سماع لاعن اجتهاد»[2]، ومن خلال التعريف السابق نخلص إلى مايأتي:

ينص الأصوليون في التعريف على أن المتواتر خبر جماعة احترازاً عن خبر الواحد، وقولهم: «يوجب العلم» احترازاً عن خبر جماعة لايفيد العلم[3]، واشترطوا أن الكثرة تمنعهم من التواطؤ على الكذب لإخراج خبر قوم يستحيل كذبهم بسبب أمر خارج عن الكثرة، كالعلم بمخبرهم ضرورة أو نظراً[1].

---

(٣) ٢/ ١٧٣.

(١) أبو المعالي الجويني، الورقات، ١/ ٢٥،وانظر: أبوعلي الشاشي، أصول الشاشي،١/ ٢٧٢، أبي إسحاق الشيرازي ، اللمع في أصول الفقه، ١/ ٧١، أبو المظفر السمعاني ، قواطع الأدلة في الأصول ، ١/ ٣٢٥،أبوبكر السرخسي،أصول السرخسي،١/٢٨٢-٢٨٣، أبوبكر بن العربي، المحصول ، ١/ ١١٣، أبو الحسن الآمدي ، الإحكام ، ٢/ ٢٣،أبو حامد الغزالي، المستصفى،١/ ١٠٧، وانظر أيضاً المنخول له،١/ ٢٤٣.

(٢) الآمدي، الإحكام ، ٢/ ٢٣.

تعريف الآحاد عند الأصوليين:

له عند الأصوليين تعريفات عدة، أشملها: خبر الآحاد هو ما لم ينته بنفسه إلى التواتر، سواء كثر رواته أو قلوا[٢].

تحرير المسألة:

بعد استعراض تعريف الأصوليين نلاحظ مايأتي:

أولاً: يشمل تعريفهم المتواتر الأخبار عامة، ولم يخصوا المتواتر من الأحاديث النبوية بتعريف خاص، ويدل على ذلك الأمثلة التي يضربونها كالعلم بوجود مدينة معينة تواترت الأخبار بوجودها ونحو ذلك مع أنهم يذكرون تعريف المتواتر في قسم حجية السنة النبوية في كتبهم، ومن المعلوم أننا إن تحدثنا عن الأمور العادية كوجود مدينة، أو شخصية تاريخية، فإن تواتر الأخبار يفيد العلم بوجودها، ولايحتاج المرء إلى التفتيش عن أحوال نقلة هذا الخبر المتواتر، ولايؤثر كونهم مسلمين أو كفاراً، ويحصل العلم الضروري بوجدوها لغير أهل الاستدلال والنظر كالعوام والصبيان.

أما الحديث النبوي فمختلف ولا يمكن معاملته كالأخبار العادية، فهو وحي من الله عز وجل كما أن القرآن الكريم وحي من الله عز وجل، ولايقول عاقل بأن القرآن الكريم المتواتر لا يشترط كون نقلته مسلمين أو كفاراً، وحتى الأصوليين أنفسهم لم يقولوا بذلك، لكنهم لم يعاملوا أحاديث السنة النبوية كما فعلوا مع القرآن الكريم، ومن هنا وقع الاختلاف في مسائل عدة بين الأصوليين أنفسهم من جهة، وبين الأصوليين والمحدثين من جهة أخرى.

ثانياً: العلم الواقع بالمتواتر هل هو ضروري أو نظري؟ ولتوضيح ذلك نقول: لا نصل إلى القول بكون الحديث متواتراً إلا بعد النظر في أسانيده لمعرفة مدى توافر شروط التواتر الاصطلاحية فيه، فإذا توافرت أمكننا أن نقول بأنه متواتر، ولايقول بذلك إلا من نظر في أسانيده من أجل الاستدلال، وهم أهل الحديث، وهذا يدل أوضح الدلالة على أن المتواتر فيما يخص الأخبار العادية يحصل به العلم الضروري عند العوام وغيرهم، أما المتواتر من الحديث فلا يحصل به إلا العلم النظري لحاجته الماسة إلى جهود أهل الحديث لدراسته ومعرفة مدى انطباق شروط المتواتر عليه.

ثانياً: التأثر بالعلوم العقلية واضح أشد الوضوح من خلال دراسة المسألة السابقة واستعراض أقوال الأصوليين وأدلتهم، لا نجد في الأدلة التي استدل بها أصحاب الأقوال المختلفة من الأصوليين في كتبهم أي دليل

---

(٣) الشوكاني، إرشاد الفحول، ١/ ٨٩.

(٤) الشوكاني،إرشاد الفحول،٩٢/١.وانظر:أبوعلي الشاشي،أصول الشاشي،٢٦٩/١،السمعاني،قواطع الأدلة في الاصول،٣٣٢/١. ومن المصطلحات القريبة للمتواتر:المشهور والمستفيض، تعريف المشهور عند الأصوليين:المشهور ما كان أوله كالآحاد ثم اشتهر في العصر الثاني والثالث،وتلقته الأمة بالقبول فصار كالمتواتر. انظر: أبوعلي الشاشي،أصول الشاشي،٢٦٩/١. وتعريف المستفيض عند الأصوليين:المستفيض ما اشتهر فيما بين أئمة الحديث. انظر:أبوالمعالي الجويني،البرهان في أصول الفقه،٢٧٨/١.وانظر:أبوحامد الغزالي،المنخول،٢٢٤/١،ابن أمير الحاج،التقرير والتحبير،٣١٣/٢.

نقلي، وكانت في مجملها افتراضات وأدلة عقلية، فكيف يقتصر الاستدلال لإفادة المتواتر العلم الضروري أو النظري عليها دون مثال واحد على الأقل من الحديث؟ وخاصة أن المراد من المناقشة والاستدلال تطبيق نتائجهما على الحديث؟.

ثالثاً العدد: يقول الغزالي في المستصفى[1]: «العدد الذي يفيد التواتر إذا قدرنا انتفاء القرائن، فأقل عدد يحصل به العلم الضروري معلوم لله تعالى، وليس معلوماً لنا، ولا سبيل لنا إلى معرفته».

وهذه عبارة فيها من الغموض ما لايخفى، فإذا كان العدد أحد شروط المتواتر، ولم يمكن تعيين العدد، ولا يمكن بحال معرفته، فكيف نحكم لحديث بأنه متواتر؟!.

قال السرخسي في أصوله[2]: "ليس لما ينعقد به التواتر حد معلوم من حيث العدد، وهو الصحيح، لأن خبر التواتر يُثْبِتُ علم اليقين، ولا يوجد حد من حيث العدد يثبت به علم اليقين، وإذا انتقص منه بفرد لايثبت علم اليقين".

وعبارته الأخيرة مشكلة، فإذا كنا لا نستطيع معرفة عدد المتواتر على التعيين، ومع ذلك ينتفي علم اليقين عنه إذا انتقص عدده واحداً، فكيف نعرف أنه انتقص العدد إذا كنا لانعرف كم هو العدد؟

ثم يقول:« ولكنا نعلم أنه بالعدد اليسير لايثبت ذلك لتوهم المواطأة بينهم، وبالجمع العظيم يثبت ذلك لانعدام توهم المواطأة، فإنما ينبني على هذا أنه متى كان المخبرون بحيث يؤمن تواطؤهم عادة يكون خبرهم متواتراً»[3].

رابعاً: لا يشترط جمهور الاصوليين الإسلام أو العدالة في رواة المتواتر، فكثرة العدد وإحالة العادة تؤاطوهم على الكذب يغنيان عن اشتراط العدالة، وهذا الأمر يتناقض تماماً مع القواعد التي قعدها المتقدمون من أهل الحديث، وكيف يُتصور أن يأخذ المسلمون دينهم عن الكفار؟!

ومن مناقشة مصطلح المتواتر عند الأصوليين نلمس أثره الكبير على مصطلح الآحاد، فمن حيث اشتراط الأصوليين هذه الشروط كلها لتتحقق إفادة المتواتر للعلم في نظرهم، فقد تأثر مصطلح الآحاد، بوصفه مالم تتوافر فيه شروط المتواتر، من هنا قالوا بأن الآحاد لا يفيد العلم بل الظن، ومن هذه النقطة بالذات بدأت تظهر الكثير من الشبهات على خبر الآحاد، فذهب قوم إلى عدم العمل به لإفادته الظن، وذهب آخرون إلى العمل به في الأحكام دون العقائد للسبب ذاته، ثم برزت شبهات أخرى عطلت العمل بخبر الآحاد جزئياً، وكل ذلك اعتماداً على تعريف وشروط خبر المتواتر عند الأصوليين.

المطلب الثاني: مصطلحي المتواتر والآحاد عند المحدثين وتحريرهما.

هل ذكر المتقدمون من أهل الحديث هذين المصطلحين؟

---

(١) ١/ ١١٢.

(٢) ١/ ٢٩٤.

(٣) السرخسي ، أصول السرخسي، ١/ ٢٩٤- ٢٩٥.

المتتبع لعمل المتقدمين من أهل الحديث، وهم علماء القرون الثلاثة الأولى، لايجد للمتواتر ذكراً في كتبهم بالمعنى الذي ذكره الأصوليون، بل المذكور التواتر بمعنى الكثرة والاشتهار، قال الشوكاني في نيل الأوطار[1]: "وأهل الحديث غالباً إنما يريدون بالمتواتر: المشهور".

ولم يكن لدى المتقدمين في علوم الحديث ما يسمى متواتر أو آحاد بالتعريف المذكور عند الأصوليين، بل الموجود لديهم في تقسيم الحديث حسب عدد رواته: الغريب[2]، والمشهور.[3]

ويؤيد ذلك أننا لا نجد لمن صنف في علوم الحديث من المتقدمين في كتبهم ذكر للمتواتر والآحاد على المعنى الاصطلاحي الأصولي، وإن ورد ذكرهما أحياناً على المعنى اللغوي، وإذا استعرضنا كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم (ت٤٠٥هـ) والذي يعد أحد أقدم كتابين في علوم الحديث، لا نجده يذكر العزيز فضلاً عن المتواتر والآحاد، فالحديث إما أن يكون مشهوراً وإما أن يكون غريباً، أو فرداً.

والمتأمل لصنيع المحدثين يدرك أنهم لم يعولوا كثيراً على عدد رواة الحديث، بل عولوا على صحة الحديث وضعفه، فاهتموا بتقسيم الحديث من حيث القبول والرد، وتكلم المتقدمون منذ القديم على صحة الأحاديث وحسنها وضعفها، وعلى أقسام الضعيف، ولذلك نبه الحاكم عندما ذكر المشهور بقوله: «والمشهور من الحديث غير الصحيح، فرب حديث مشهور لم يخرّج في الصحيح».

موقف المتأخرين من المصطلحيْن:

باستثناء كتاب الكفاية للخطيب البغدادي لم أجد من ذكر المتواتر والآحاد في كتب أهل الحديث كما عرفهما الأصوليين إلا ما جاء في كتاب ابن الصلاح، وانظر إن شئت الاقتراح في بيان الاصطلاح لابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ)، والموقظة للذهبي (ت٧٤٨هـ) وغيرهما، وهما ممن جاء بعد ابن الصلاح، بل إن عمل ابن الصلاح في كتابه لم يكن مؤيداً لذلك المصطلح بل مشيراً إلى نسبته للأصوليين ونفيه عن المحدثين، وأكد رحمه الله على ندرة وجود المتواتر.

وقد رد جماعة من أهل الحديث أنفسهم على هذا القول، منهم: ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) فقال في كتابه: نزهة النظر[4]: «وما ادعاه –أي ابن الصلاح– من العزة ممنوع، وكذا ما ادعاه غيره من العدم؛ لأن ذلك

---

(١) ١٣٦/٢.

(٢) فأما الغريب،فهو الحديث الذي يتفرد به بعض الرواة،وكذلك الحديث الذي يتفرد فيه بعضهم بأمر لايذكره فيه غيره،أما في متنه،وإما في إسناده. انظر:معرفة علوم الحديث،٩٢

(٣) والمشهور يقصد به عندهم الشهرة بمعناها اللغوي،قال الحاكم[3] بعد أن ذكر بعض الأحاديث المشهورة:« فكل هذه الأحاديث مشهورة بأسانيدها وطرقها وأبواب يجمعها أهل الحديث،وكل حديث منها تجمع طرقه في جزء أو جزئين». انظر:معرفة علوم الحديث، ص٩٢.

(١) ص ٦١.

نشأ عن قلة الإطلاع[1] على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لإبعاد العادة أن يتواطؤوا على الكذب أو يحصل منهم اتفاقاً».

ووافقه السيوطي (ت٩١١هـ) في: «إتمام الدراية بشرح النقاية»، وقال عقبة: «صدق شيخ الإسلام-يعني ابن حجر- وبر، وما قاله هو الصواب الذي لايمتري فيه من له ممارسة بالحديث، وإطلاع على طرقه، فقد وصف جماعة من المتقدمين والمتأخرين أحاديث كثيرة بالتواتر»[2].

تحرير المسألة:

لقد استعرضنا في المطلب الأول مصطلحي التواتر والآحاد لدى الأصوليين، وبيّنّا التناقضات الموجودة في مصطلح المتواتر ومدى صعوبة -إن لم نقل استحالة- تطبيقها على الأحاديث النبوية والصناعة الحديثية.

وفي هذا المطلب ذكرنا تقسيم المحدثين للأحاديث، ونؤكد هنا على أن من له معرفة بالصناعة الحديثية وتأمل في منهج المتقدمين من المحدثين في علوم الحديث، يرى عنايتهم الفائقة بتمحيص الروايات ونقد المرويات، إلا أنهم لم يعمدوا إلى تقسيم الحديث باعتبار وروده إلينا، أو باعتبار عدد رواته، من منطلق جعل ذلك مدخلاً للتواتر الذي يترتب عليه العلم، والذي يترتب على نقيضه الظن، بل إننا لا نجد من المحدثين من فرق بين الأحاديث النبوية صحيحة الأسانيد فجعل بعضها ظنياً وبعضها قطعياً.

ولم يكلف الشارع الحكيم الأمة بالبحث عما هو قطعي وما هو ظني، بل كلفهم باستفراغ الجهد في التبين والتثبت، وهذا أقصى ما يستطيعه البشر.

ويدل على ذلك التوجيه القرآني في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ (سورة الممتحنة: ١٠)، وكيف يصل الإنسان إلى العلم بإيمان إنسان آخر؟ إنه يصل إلى ذلك بالوسائل التي يستطيع البشر التأكد بحصولها من العلم، ولم يكلف الشارع الحكيم المسلمين بالبحث عما إذا هذا العلم الذي يحصل لهم قطعياً أم ظنياً، ولم يجعل الأحكام مترتبة على التقسيم بين ماهو قطعي أم ظني، بل هذا مما استحدثه واصل بن عطاء وأتباعه من المناطقة العقليين، والعجب كل العجب من انتشاره بين علماء المسلمين من أئمة الدين وطلبة العلم، وتسليمهم به أو ببعضه، وإخضاع النصوص والعلوم الشرعية له.

المبحث الثالث

حجية خبر الواحد

ويتكون هذا المبحث من مطلبين:

المطلب الأول: إفادة خبر الواحد العلم:

للعلماء في هذه المسألة أربعة أقوال: فقال الجمهور: إن خبر الواحد يفيد الظن لا العلم، وذهب آخرون إلى أنه يفيد العلم، وذهب غيرهم إلى أنه يفيد العلم بانضمام القرائن إليه، وذهب غيرهم إلى أنه يفيد العلم الظاهر.

---

(٢) لايمكن بحال أن يوصف ابن حبان والحازمي وابن الصلاح والنووي بقلة الإطلاع وهي زلة من ابن حجر غفر الله لنا وله.

(٣) نقلا عن الكتاني، نظم المتناثر،١/ ١٧

القول الأول: خبر الواحد يفيد الظن.

ذهب جمهور الأصوليين إلى أن خبر الواحد العدل، لايفيد إلا الظن،واستدلوا على ذلك بأدلة، أهمها مايأتي:

١- قالوا لأنا نعلم ضرورة أنا لانصدق كل خبر نسمعه.

٢- أنه لو أفاد العلم لأدى إلى تناقض المعلومين، فيما لو أخبر ثقة آخر بضد ما أخبر به الأول.

٣- أنه لو أفاد العلم، لحصل العلم بنبوة من يخبر بكونه نبيا من غير حاجة إلى معجزة دالة على صدقه.

٤- لو أفاد العلم، لجاز نسخ القرآن والأخبار المتواترة به، لكونه بمنزلتها في إفادة العلم.

٥- لو أفاد العلم، لوجب تخطئة مخالفه بالاجتهاد،وتفسيقه وتبديعه،فيما يفسق فيه ويبدع.

٦- لو أفاد العلم، لوجب الحكم بالشاهد الواحد من غير حاجة إلى شاهد آخر ،ومن غير افتقار إلى تزكية.

٧- قالوا: لجواز الكذب، والغلط على الراوي، لكونه غير معصوم[1].

الأجوبة عن أدلة الجمهور[2]:

أما عن الأول: فإن المخالفين لايقولون: بإفادة خبر كل واحد العلم، بل يشترطون لإفادة الخبر العلم أن يرويه العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو إلى من انتهى به إليه، ونقل الخطيب البغدادي إجماع أهل العلم على أنه لايقبل إلا خبر العدل.

فكيف يسوغ والحالة هذه أن يساوى بين العدل وغيره؟ حتى يقال: لأنا نعلم ضرورة أنا لانصدق كل خبر نسمعه.

وأجابوا عن الثاني: بأنه يمتنع أن يوجد في الشرع خبران متعارضان من كل وجه، بحيث لايكون مع أحدهما مايرجح به على الآخر[3]، فإن فرض وجود خبرين متناقضين؟ وكانا صدرا معاً، فكل واحد منهما قرينة كذب الآخر، وإلا بان تقدم أحدهما على الآخر، فالمتأخر ناسخ للمتقدم.

ويجاب عن الثالث: بأن النبوة أمر في غاية الندرة،ونهاية العظمة، والعادة تحيل صدق مدعيها من غير معجزة دالة على صدقه، والطباع تستبعد وقوع مثل ذلك، لذا كان لابد لمدعي الرسالة من معجزة دالة على صدقه،

---

(١) الشنقيطي، خبر الواحد وحجيته، ص١١٩.

(٢) انظر: السمعاني، قواطع الأدلة في الأصول،١/ ٣٣٣، الغزالي ، المنخول ،١/ ٢٥٢، أبو الحسين البصري، المعتمد، ٢/ ٩٢، البرهان في أصول الفقه، ١/ ٣٧٠، الرازي، المحصول، ٤/ ٤٠١، ابن العربي، المحصول، ١/ ١١٥.

(١) المسودة لآل تيمية، ص٣٠٦.

(٢) انظر: ابن أمير الحاج، التقرير والتحبير شرح تحرير الكمال ،٢/ ٢٧٢، وأصول السرخسي،١/ ٣٢٨.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ(١٣٠٢)،عن زيد بن أسلم،عن عطاء بن يسار،فذكره.وعن مالك أخرجه الشافعي في مسنده٢٤٢/١،وفي الرسالة٤٤٦/١.وأخرجه البيهقي عن طريق مالك في السنن الكبرى (١٠٢٧٤) قال ابن عبدالبر في التمهيد ٧٠/٤:« ظاهر هذا الحديث الانقطاع لأن عطاء لا أحفظ له سماعاً من أبي الدرداء»ثم أشار إلى شبيه لهذه القصة عرضت لمعاوية مع عبادة بن الصامت.قلت: أخرجها مسلم في الصحيح(١٥٨٧)

لأنه يخبرنا عن الله تعالى، أما من يخبرنا عن الرسول صلى الله عليه وسلم فإنما يشترط فيه ما اتفق عليه من العدالة والإسلام والحفظ والضبط عن مثله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو إلى من انتهى إليه دونه[1].

ويجاب عن الرابع: بأنه استدلال بمحل النزاع، حيث إن من العلماء من قال بأن خبر الواحد العدل ينسخ القرآن والسنة المتواترة، أي: أن ما استدل به المخالف محل النزاع، فلايصلح دليلاً له، ومن أراد الوقوف على أدلة الجمهور على منع نسخ القرآن والسنة المتواترة بأخبار الآحاد، فليرجع إلى ذلك في محله.

ويجاب عن الخامس: بأنه ثبت عن الصحابة تخطئة مخالف السنة بالرأي، فعن عطاء بن يسار، أن معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهب بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن مثل هذا، فقال معاوية: ما أرى بهذا بأساً! فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية! أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرني عن رأيه؟! لا أساكنك بالأرض[2].

ويجاب عن السادس: بأن ((الفرق بين الشاهد الذي يشهد بقضية معينة،وبين المخبر عن رسول الله بشرع يجب على جميع الأمة العمل به بين))[3]، ومعلوم أن الشهادة تخالف الرواية في أشياء وإن وافقتها في أخرى.

ويجاب عن السابع: وهو ما ذكروه من جواز الكذب والغلط على الراوي لكونه غير معصوم بأن خبر العدل عن مثله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن جاز فيه كذب الراوي،أو غلطه، فإن جانب الصدق فيه يترجح، لما قيض الله تعالى لرواته من الحفظ والضبط وشدة الحيطة في الأخذ والتحمل عن الشيوخ، قال السرخسي: ((ينبغي أن يثبت ترجح جانب الصدق في خبر كل عدل كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم))[4].

القول الثاني: في أنه يفيد العلم:

ذهب الإمام أحمد (رحمه الله) في إحدى الروايتين عنه إلى أن خبر الواحد العدل يفيد القطع إذا صح، واختارها جماعة من أصحابه، منهم ابن أبي موسى وغيره، ونصرها القاضي في الكفاية، واختار هذا القول الحارث المحاسبي، وهو قول جمهور أهل الظاهر، وجمهور أهل الحديث، وقال ابن القيم: ((فممن نص على أن خبر الواحد يفيد العلم مالك والشافعي، وأصحاب أبي حنيفة وداود بن علي وأصحابه، كأبي محمد بن حزم ونص عليه الحسين بن علي الكرابيسي، والحارث بن أسد المحاسبي، قال ابن خويز منداد في كتاب أصول الفقه –وقد ذكر خبر الواحد الذي لم يروه إلا واحد واثنان– ويقع بهذا الضرب أيضاً العلم الضروري، نص على ذلك مالك، وقال أحمد في حديث الرؤية[5]: نعلم أنها حق، ونقطع على العلم بها، وكذلك روى المروذي قال: قلت لأبي عبدالله: ههنا اثنان يقولان: إن الخبر يوجب عملاً، ولايوجب علماً، فعابه، وقال: لا أدري ما هذا»[6].

---

(٤) المسودة لآل تيمية ، ص٢٤٥.

(١) ابن القيم ، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة،١-٢/ ٥٠٧.

(٢) انظر أحاديث الرؤية في صحيح البخاري (٧٠٠٠)، ومسلم،(١٨٠)-(١٨٤)، وانظر أيضا: عمدة القاري ٤٢/٥.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة،١-٢/٤٧٤-٤٧٥.

أدلة القائلين بإفادة خبر الواحد العدل العلم:

١- أنه لو لم يفد العلم لما جاز اتباعه، لنهيه تعالى عن إتباع الظن بقوله تعالى:﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (سورة الإسراء: ٣٦).

٢- قوله جل شأنه: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (سورة التوبة: ١٢٢)، فقد أمر تعالى بأن تنفر من كل فرقة طائفة لتتفقه في الدين، وتنذر قومها إذا رجعت إليهم، وذلك يقتضي وجوب قبول إنذارها، ولفظ الطائفة -في لغة العرب التي بها خوطبنا- يقع على الواحد فصاعداً، وطائفة من الشيء بمعنى بعضه، هذا ما لاخلاف فيه بين أهل اللغة.

٣- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (سورة المائدة:٦٧).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه فتقوم الحجة على من بلغه، وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسننه، ولو لم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجة، ولا على من بلغه واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة أو دون عدد التواتر، وهذا من أبطل الباطل.

فيلزم من قال: إن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتفيد العلم أحد أمرين:

إما أن يقول: إن الرسول لم يبلغ غير القرآن وما رواه عنه عدد التواتر، وماسوى ذلك لم تقم به حجة ولا تبليغ، وإما أن يقول: إن الحجة والبلاغ حاصلان بما لا يوجب علماً ولايقتضي عملاً، وإذا بطل هذان الأمران بطل القول بأن أخباره صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات العدول الحفاظ وتلقتها الأمة بالقبول لاتفيد علماً، وهذا ظاهر لاخفاء به[1].

٤- قال ابن حزم: قال الله عز وجل عن نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى{٣}إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (سورة النجم: ٣-٤)

فصح أن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كله في الدين وحي من عند الله عز وجل لاشك في ذلك، ولاخلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون أن لايضيع منه وأن لا يحرف منه شيء أبداً، تحريفاً لا يأتي البيان ببطلانه[2].

وأيضاً فإن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم يجري على ذلك كل فرقة في علمها كأهل السنة والخوارج والشيعة والقدرية حتى ظهر متكلموا المعتزلة بعد المائة من التاريخ ، فخالفوا الإجماع في ذلك.

(١) مختصر الصواعق المرسلة،١-٢ / ٤٩٧- ٤٩٨

(٢)ابن حزم، الإحكام.

(٣) أحمد الشنقيطي ، خبر الواحد وحجيته، ص ١٨٣ ومابعدها.

اعتراض الجمهور على القائلين بإفادة خبر الواحد العلم:

اعترض الجمهور على القائلين بأن خبر الآحاد العدل المستوفي لشروط القبول يفيد العلم بما سبق أن استدلوا به في الفصل الأول على إفادته الظن، وأهم ما اعترضوا به هو: ((أنك لو سئلت عن أعدل رواة خبر الواحد أيجوز في حقه الكذب والغلط؟ لاضطررت أن تقول: نعم، فيقال: قطعك إذن بصدقه مع تجويزك عليه بالكذب والغلط لامعنى له)).

وأجيب عنه بأنا وإن كنا لا ندعي عصمة الرواة، إلا أنا نقول: إن الراوي إذا كذب أو غلط أو سها، فلا بد أن يكون في الأمة من يكشف غلطه وكذبه وسهوه، وهذا هو واقع السنة المطهرة بحمد الله، فقد قيض الله لها من جهابذة العلماء ذوي الصدق والورع والتحري من دوّنها في الأسفار، وبين صحيحها، وضعيفها، والموضوع منها، وصنفوا في الرواة مصنفات مكنتنا ومن يأتي بعدنا إلى يوم القيامة من التمكن من معرفة صحة ما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم[١] .

القول الثالث: أنه يفيد العلم بانضمام القرائن إليه:

ذهب بعض العلماء إلى أن خبر الواحد العدل المحتف بالقرائن الزائدة على مالاينفك عنه التعريف، أنه يفيد العلم النظري،لأن القرينة قد تفيد الظن مجردة عن الخبر، فإذا اقترن بالخبر المفيد للظن قرينة مفيدة للظن، فإنها تقوم مقام خبر آخر ، ثم لا يزال التزايد في الظن بزيادة اقتران القرائن بالخبر إلى أن يحصل العلم كما في خبر التواتر[٢].

وممن اختار هذا القول سيف الدين الآمدي وابن الحاجب، وإمام الحرمين، والبيضاوي، والشيخ أبو يحى زكريا الأنصاري الشافعي وغيرهم[٣]، وهو مذهب أهل الحديث[٤]، وحمل بعض العلماء الرواية عن الإمام أحمد بإفادة خبر الواحد العلم، على ما قامت القرائن على صدقه دون غيره.

اعترض على ذلك بأن العلم يكون حاصلاً بالقرائن، لابالخبر، وأجيب عنه بأن العلم إنما حصل بالخبر مع ضميمة القرائن، وعدّ بعض العلماء من الخبر المحتف بالقرائن المفيد للعلم ما يأتي:

١- ما في الصحيحين سوى ما انتقده الحفاظ عليهما.

قال ابن حجر: ((والخبر المحتف بالقرائن أنواع: منها: ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما مما لم يبلغ حد التواتر، فإنه احتف به قرائن: منها جلالتهما في هذا الشأن، وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما، وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول، وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر، إلا أن هذا

---

(٤) انظر: السرخسي، أصول السرخسي،١/ ٢٩٢، الشوكاني،إرشاد الفحول ، ١/ ٩٤، السمعاني، قواطع الأدلة في الأصول ،٣٢٦/١، ٣٣٢، ابن أمير الحاج،التقرير والتحبير،٣٥٧/٢، الرازي، المحصول ،٤٠٣/٤، السبكي، الإبهاج، ٢/ ٢٨٣.

(١) انظر: السرخسي، أصول السرخسي،١/ ٢٩٢، الشوكاني،إرشاد الفحول ، ١/ ٩٤، السمعاني، قواطع الأدلة في الأصول ،٣٢٦/١، ٣٣٢، ابن أمير الحاج،التقرير والتحبير،٣٥٧/٢، الرازي، المحصول ،٤٠٣/٤، السبكي، الإبهاج، ٢/ ٢٨٣.

(٢) ابن حجر، النكت على ابن الصلاح،٣/ ٨١-٨٤، وانظر: الشوكاني،إرشاد الفحول، ١/ ٩٤.

يختص بما لم ينتقده أحد من الحفاظ مما في كتابيهما، وبما لم يقع التجاذب بين مدلوليه مما وقع في الكتابين حيث لاترجيح لاستحالة أن يفيد النقيضان العلم بصدقهما من غير ترجيح لأحدهما على الآخر، وما عدا ذلك فالإجماع حاصل على تسليم صحته»[١].

٢- ما تلقته الأمة بالقبول من الأخبار المنحطة عن درجة التواتر[٢].

قلت: الراجح أن الخبر المحتف بالقرائن يفيد العلم النظري، لأن وجود القرائن يدفع ما قد يفترض من خطأ الراوي ووهمه لاسيما إن تلقته الأمة بالقبول كما في أحاديث الصحيحين مما لم ينتقده الحفاظ، لأن تلقي الأمة وحده أقوى في إفادة العلم من القرائن، ومن مجرد كثرة الطرق القاصرة عن حد التواتر ولذا فقد ذهب إليه جماهير العلماء من السلف والخلف على ماتقدم نقله.

القول الرابع: أنه يفيد العلم بالظاهر:

ذهب بعض القائلين بإفادة خبر الواحد العلم إلى أن المراد بالعلم فيه هو العلم الظاهر، وممن نقل عنه ذلك الحسين بن علي الكرابيسي وأبوبكر القفال، وصرح به السرخسي أثناء استدلاله على وجوب العمل بخبر الواحد[٣]، واعترض عليه بأن العلم ليس له ظاهر وباطن، وبأن العلم في الآية محمول على: ((الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات، وإنما سماه علماً إيذاناً بأنه كالعلم في وجوب العمل به)).

المطلب الثاني: العمل بخبر الواحد

العلماء في العمل بخبر الواحد على قولين:

الأول: قال جمهور العلماء من محدثين وأصوليين وسواهم بوجوب العمل بخبر الواحد، واستدلوا بالقرآن والسنة والإجماع.

أولاً: القرآن الكريم:

فقد استدلوا منه بآيات كثيرة أقتصر منها على قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (سورة التوبة: ١٢٢)، فالفرقة اسم للثلاثة فصاعداً، والطائفة من الفرقة: بعضها، وقد اختلف في عدد الطائفة فقيل: واحد، وقيل: اثنان، وقيل: ثلاثة، وقيل:غير ذلك، إلا أنه لم يقل أحد بشرط بلوغها عدد التواتر مع أن الله ألزم بقبول خبرها في قوله: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (سورة التوبة: ١٢٢).

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:

الأدلة من السنة النبوية كثيرة، واقتصر منها على حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((بينا الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ أتاهم آت فقال: إن رسول الله قد أنزل الليلة عليه قرآن ،وقد أمر أن يستقبل الكعبة،

---

(٣) ابن حجر، شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ص ٦- ٧ .

(٤) انظر: السخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث،١ / ٥٠.

(٥) السرخسي، أصول السرخسي،١/ ٣٢٦، الشوكاني، إرشاد الفحول، ١/ ٩٢، السخاوي، فتح المغيث.

فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة))[1]، وأهل قباء أهل سابقة من الأنصار وفقه، وقد كانوا على قبلة فرض الله عليهم استقبالها، ولم يكن لهم أن يدعوا فرض الله في القبلة إلا بما تقوم عليهم الحجة[2].

ويشهد لذلك ما تواتر من إنفاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله وأمره وقضاته وسعاته إلى الأطراف، لتبليغ الرسالة وإقامة الأحكام والقضاء، وقد كان يجب عليهم تلقي ذلك بالقبول، وإلا لما كان الإرسال مفيداً، وهم آحاد، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبعث إلا واحداً تقوم الحجة بخبره على من بعث إليه مما تقدم.

الثالث: الإجماع:

أجمع الصحابة رضي الله عنهم على العمل بخبر الآحاد في وقائع خارجة عن العد والحصر، ولولا ضيق المقام هنا لذكرت بعضاً منها، واشتهر عن الصحابة الرجوع إلى عائشة، وأم سلمة، وميمونة، وحفصة، وفاطمة بنت أسد، وأسامة بن زيد، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم.

قال الشافعي: «ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه، بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته، جاز لي، ولكن أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين اختلفوا في تثبيت خبر الواحد»[3].

القول الثاني: منع العمل بخبر الواحد:

ذهب قوم من أهل البدع من الرافضة، ومن المعتزلة إلى منع العمل بخبر الآحاد، ومنعه الفاشاني وابن أبي داود، وحُكي عن النهرواني وإبراهيم بن إسماعيل بن علية، والأصم، وأهم ما استدلوا به ما يأتي:

١- من الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (سورة الإسراء: ٣٦)، وقوله جل شأنه: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٦٩)، وقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ (سورة الأنعام: ١١٦)، ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ (سورة النجم: ٢٨). قالوا: ذكر ذلك في معرض الذم، وهو يقتضي التحريم، والعمل بخبر الآحاد عمل بغير علم.

وأجيب عن ذلك بأن: وجوب العمل بخبر الآحاد معلوم بالإجماع، وهو دليل قاطع، وإن إنكارهم للعمل به حكم بغير علم، والحكم بغير علم باطل، ولأن تجويز الكذب والخطأ لو كان مانعاً من العمل لمنع العمل بشهادة الاثنين والأربعة والرجل والمرأتين، وقد دل النص على وجوب الحكم بها مع جواز الكذب والخطأ فيها، وإذا كنا متفقين على العمل بها، فما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالعمل[4].

٢- قالوا: لو جاز التعبد به في الفروع، لجاز في الأصول والعقائد، وهو خلاف الإجماع بيننا وبينكم، فكما لايقبل في العقائد، لايقبل في الفروع.

---

(١) متفق عليه ،أخرجه البخاري في مواضع،منها:(٣٩٥)،ومسلم(٥٢٦).

(٢) الشافعي،الرسالة،١/٤٠٩ .

(١) الرسالة، ١/٤٧٥

(٢) انظر المستصفى ، ١/ ١٥٤ فمابعدها، الإحكام للآمدي، ٢/ ٤٦ .

الجواب: بأنه قد دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، على العمل بالخبر متى صح وتوافرت فيه شروط القبول فيما تضمنه من فروع وأصول من غير تفريق، وما ادعاه المخالف من إجماع على عدم قبول الآحاد في العقائد يحتاج إلى إثبات، أما ولم يرد غير دعاوى مجردة عن الدليل فلا يترك العمل بالحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما دل عليه سواء كان أصولاً أو فروعاً، لأن ذلك مقتضى ما دلت عليه آيات الكتاب وأحاديث السنة، ومانقل من إجماع الأمة[١].

٣- قالوا: توقف النبي صلى الله عليه وسلم في خبر ذي اليدين حين سلم النبي صلى الله عليه وسلم عن اثنتين، وهو قوله: ((أقصرت الصلاة أم نسيت)) حتى أخبره أبو بكر وعمر ومن كان في الصف، فصدقه، فأتم وسجد للسهو، ولو كان خبر الواحد حجة لأتم النبي صلى الله عليه وسلم من غير توقف ولا سؤال.

الجواب: ((بأنه صلى الله عليه وسلم إنما توقف في خبر ذي اليدين لتوهمه غلطه لبعد انفراده بمعرفة ذلك دون من حضره من الجمع الكثير، ومع ظهور الوهم في خبر الواحد يجب التوقف فيه، فحيث وافقه الباقون على ذلك ارتفع حكم الأمارة الدالة على وهم ذي اليدين، وعمل بموجب خبره،كيف وأن عمل النبي صلى الله عليه وسلم بخبر أبي بكر وعمر وغيرهما مع خبر ذي اليدين عمل بخبر من لم ينته إلى حد التواتر، وهو موضع النزاع وفي تسليمه تسليم المطلوب))[٢] .

٤- وَرَدَ عن عدد من الصحابة ردّ خبر الآحاد، فردَّ أبو بكر خبر المغيرة في ميراث الجدة حتى انضم إليه خبر محمد بن مسلمة، وردّ عمر خبر أبي موسى الأشعري في الاستئذان حتى رواه معه أبو سعيد الخدري، وردّ أبوبكر وعمر خبر عثمان في إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رد الحكم بن أبي العاص، ورد علي خبر أبي سنان الأشجعي في المفوضة، وأنه كان لا يقبل خبر الواحد حتى يحلفه سوى أبي بكر، وردّت عائشة خبر ابن عمر في تعذيب الميت ببكاء أهله عليه.

الجواب[٣]: بأن ما ذكره المخالف اعتراف بقبول خبر الآحاد لأن شهادة محمد بن مسلمة مع المغيرة، وشهادة أبي سعيد مع أبي موسى لا تنقل الخبر عن كونه آحاداً، لأن خبر الإثنين خبر آحاد، وأن ما توقفوا فيه إنما كان لأمور اقتضت ذلك من وجود معارض، أو فوات شرط، لا لعدم الاحتجاج بها في جنسها مع كونهم متفقين على العمل بها، بدليل قبولهم لها بعد الاستظهار، لأن تلك الأحاديث لم تخرج بالاستظهار عن كونها آحاداً، وهم قبلوها بعد الاستظهار.

قال الغزالي: ((الذي رويناه قاطع في عملهم، وما ذكرتموه رد لأسباب عارضو تقتضي الرد، ولا تدل على بطلان الأصل، كما أن ردهم بعض نصوص القرآن، وتركهم بعض أنواع القياس، ورد القاضي بعض أنواع

(٣) أحمد الشنقيطي ، خبر الواحد وحجيته، ص ٢٥٥.

(١) الإحكام ، للآمدي،٢/ ٦٢.

(٢) انظر: الشاشي، أصول الشاشي،١/ ٢٧٠، الشوكاني، إرشاد الفحول،٩٣/١، السمعاني، قواطع الأدلة في الأصول ، ١/ ٣٣٥، أبي الحسين البصري، المعتمد،٩٦/٢، ابن أمير الحاج، التقرير والتحبير،٢/ ٣٦٥، السباعي، السنة وكانتها،ص١٦٨.

الشهادات لا يدل على بطلان الأصل))[1]، ((وعلى الجملة فلم يأت من خالف في العمل بخبر الواحد بشيء يصلح للتمسك به))[2] .

المبحث الرابع

شبهات والرد عليها

أدى انتشار تعريف المتواتر والآحاد عند الأصوليين والفقهاء، وقبول طوائف من أهل العلم له، من المحدثين وغيرهم، إلى ظهور شبهات على حجية خبر الواحد والعمل به.

ولما كانت الشبهات حول حجية خبر الواحد متعددة، وهذا البحث لايحتمل التطويل، فقد اخترت من الشبهات بعضها فقط، جاعلة ضابط الاختيار هو العلم الذي تأثر بالشبهة، وفيما يأتي ذكر هذه الشبهات والرد عليها مع مراعاة الاختصار ما أمكن.

أولاً: من الشبهات التي أثرت على العلوم الشرعية كافة:

شبهة الشك في وجوب العمل بخبر الواحد، فقد ذهب بعض العلماء إلى عدم وجوب العمل بخبر الواحد، وقد بسطنا هذه المسألة في المبحث الثالث من هذا البحث فلتنظر هناك.

ثانياً: من الشبهات التي أثرت على علوم الحديث مباشرة، وتبعاً لها أثرت على غيرها من العلوم:

شبهة تقسيم الخبر إلى متواتر وآحاد:

إن تقسيم الخبر باعتبار عدد رواته لم يكن لدى المتقدمين من أهل الحديث أمراً جوهرياً بحيث يؤثر في الصناعة الحديثية، فالأمر الجوهري لديهم هو صحة الإسناد بغض النظر عن تعدد الطرق، وقد بسطنا في المبحث الثاني من هذا البحث مدى مخالفة هذا التقسيم لقواعد وصناعة العلوم الحديثية، فلينظر هناك.

ثالثاً: من الشبهات التي أثرت على علم العقيدة:

شبهة أن خبر الواحد حجة في الأحكام دون العقائد:

ذهب إلى هذا القول طوائف من الأصوليين،فقالوا: إن خبر الواحد حجة في الفروع دون الأصول[3]، ويجاب عنه بما يأتي:

١- لم يرد في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع التفريق بين الأصول والفروع.

يقول ابن تيمية في "مجموع الفتاوى"[4]: الفرق بين مسائل الفروع والأصول إنما هو من أقوال أهل البدع من أهل الكلام والمعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم، وانتقل هذا القول إلى أقوام تكلموا بذلك في أصول الفقه، ولم يعرفوا حقيقة هذا القول ولا غوره".

---

(٣) المستصفى،١/١٢٢.

(٤) الشوكاني، إرشاد الفحول،١/٩٤.

(١) انظر: الآمدي، الإحكام ،٢/ ٦٤، السبكي، الإبهاج، ٣/ ١٩٤، أبو إسحاق الشيرازي، التبصرة، ١/ ١٠١، ٣١٠.

(٢) ١٩/ ٢٠٧.

٢- إن الإجماع من الصحابة والتابعين وتابعيهم منعقد على وجوب الأخذ بخبر الواحد العدل مطلقاً، ولم يفرقوا في ذلك بين العقائد والأحكام.

قال ابن عبدالبر (ت٤٦٣هـ)في «التمهيد»[١]: «والذي نقول به: إنه-يعني خبر الواحد- يوجب العمل دون العلم، كشهادة الشاهدين والأربعة سواء، وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والأثر، وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعاً وديناً في معتقده، على ذلك جميع أهل السنة.

قلت: وأثر هذه الشبهة خطير يتضح في رد الكثير من العقائد التي احتوتها أحاديث الأحاد.

رابعاً: من الشبهات التي أثرت على علم الفقه:

شبهة رد خبر الواحد بمخالفة راويه لروايته، فإن عمل أو أفتى بخلاف روايته فيؤخذ بعمله أو بإفتائه لا بروايته، وذهب إلى هذا جمهور الحنفية وبعض المالكية، ويستدلون بأن الصحابي لما شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان أعرف بمقاصده، فلا يخالفه إلا إذا قام لديه دليل يدل على نسخه، وإلا كان ذلك قدحاً في عدالته، وهذا إذا كانت الرواية متقدمة على العمل أو الفتوى، أما إذا تأخرت أو لم يعلم الحال فيجب العمل بروايته اتفاقاً، وخالفهم في ذلك جمهور أهل العلم، وقالوا إنه يجب الحمل على ظاهر الخبر دون مذهب الراوي.

وفصل القاضي عبدالجبار، فقال: "إن لم يكن لمذهب الراوي وتأويله وجه إلا أنه علم قصد النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك التأويل ضرورة وجب المصير إلى تأويله، وإن لم يعلم ذلك، جوز أن يكون صار إلى ذلك التأويل لنص أو قياس وجب النظر في ذلك الوجه، فإن اقتضى ذلك ماذهب إليه الراوي وجب المصير إليه وإلا لم يصر إليه"، وقد اختاره أبو الحسين البصري[٢].

والمختار عند الآمدي[٣] أنه إن علم مأخذه في المخالفة، وكان ذلك مما يوجب حمل الخبر على ما ذهب إليه الراوي وجب إتباع ذلك الدليل -لا لأن الراوي عمل به ،فليس عمل أحد المجتهدين حجة على الآخر-، وإن جهل مأخذه فالواجب العمل بظاهر اللفظ، وذلك لأن الراوي عدل وقد جزم بالرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الأصل في وجوب العمل بالخبر، ومخالفة الراوي له يحتمل أن يكون لنسيان طرأ عليه، ويحتمل أنه كان لدليل اجتهد فيه وأخطأ، أو هو مما يقول به دون غيره من المجتهدين[٤].

ويجاب عن هذه الشبهة بأنه لا يضر الخبر عمل الراوي بخلافه، لأنا متعبدون بما بلغ إلينا من الخبر، ولم نتعبد بما فهمه الراوي، ولم يأت من قدم عمل الراوي على روايته بحجة تصلح للاستدلال بها.

قلت: يتضح أثر هذه الشبهة بالمثال الآتي[٥]:

---

(٣) ١/ ٨، وانظر أيضاً: الشريف حاتم، المنهج المقترح لفهم المصطلح، ص ١٤٤- ١٤٦.

(١) أبو الحسين البصري، المعتمد،٢/ ٦٧٠- ٦٧١.

(٢) الإحكام، ١/ ٢٩٣.

(٣) سهير رشاد مهنا، خبر الواحد في السنة وأثره في الفقه الإسلامي، ص٨٧.

(٤) السابق ، ص٨٨.

• لم يعمل الحنفية بما رواه الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فالمهر لها بما استحل من فرجها،فإن اشتجرا فالسلطان ولي من لا ولي له"[1].

فهم لم يأخذوا بهذا الحديث لأنهم رأوا أن عائشة رضي الله عنها عملت على خلافه فزوجت بنت أخيها عبدالرحمن وهو غائب بالشام[2]، وعلى هذا لم يمنعوا المرأة من مباشرة الزواج وأجازوا لها أن تتولى عقد الزواج لنفسها ولغيرها.

الخاتمة

إن تناول حجية السنة النبوية من خلال تقسيمها إلى متواتر وآحاد، فما كان متواتراً فهو قطعي، وما كان آحاداً فهو ظني، وكل ماترتب على هذا المنهج من قواعد وأحكام، وما ظهر بسببه من شبهات، إن كل ذلك لجدير بأن نتأمله من جديد، ونعرضه على منهج المتقدمين من أهل الحديث لا غيرهم، لكونهم هم أهل التخصص، وقد كان هذا البحث محاولة جادة في هذا المجال، وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها ما يأتي:

١ -يرى الأصوليون أن المتواتر يفيد العلم الضروري، ومن خلال مناقشة هذه المسألة وصلت الباحثة إلى أن الحديث المتواتر لا يفيد العلم الضروري بل العلم النظري، وذلك لاعتماده على البحث والنظر.

٢ -تنبه الباحثة إلى خطر بعض المسائل التي تناولها الأصوليون ووافقهم عليها عدد من المحدثين وتمت الإشارة إليها في بعض المباحث والمطالب هنا، كعدم اشتراط العدالة والإسلام في رواة الحديث المتواتر، وهو مالا يستقيم مع منهج المتقدمين من علماء الحديث.

٣ -رغم اعتماد المنهج العقلي على العقل إلا أنه لاينجو بعض الأحيان من التخبط وطرح أتباعه لآراء نظرية غير واقعية ولايمكن تطبيقها في الواقع، من ذلك قول من قال بأن العلم بالتواتر يحصل من عند الله عز وجل ولا يوجد قاعدة تقرره، ولا يمكن معرفة متى شعرنا بالتواتر. وهي مقولة لا يمكن تطبيقها على السنة النبوية، وربما حتى في غيرها، فحصول العلم بالتواتر لدى قوم يختلف ولابد عن حصوله لدى آخرين، فكيف ترجع مسألة علمية كهذه لمجرد الشعور بحصولها؟

---

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٧٠٦)، و (٢٧٠٩)، وابن حبان في صحيحه (٤٠٧٤)، والنسائي في الكبرى(٥٣٩٤) ، والبيهقي(١٣٣٧٦)، والترمذي(١١٠٢) وغيرهم. والحديث حسن الإسناد.

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٦٦٢)، وابن أبي شيبة في المصنف(١٥٩٥٥)، وإسنادهما صحيح.قلت: أجاب أهل الحديث بأنه لم يرد أن عائشة رضي الله عنها قد باشرت بنفسها عقد النكاح في هذا الأثر ،بل المراد أنها مهدت أسباب التزويج لا أنها وليت عقد النكاح، واستدلوا بما أخرجه الشافعي في الأم ١٩/٥، والبيهقي في سننه (١٣٤٣٠)،بأن عائشة كانت تخطب إليها المرأة من أهلها فتشهد، فإذا بقيت عقدة النكاح قالت لبعض أهلها:زوج.انظر: ابن حجر، الدراية في تخريج أحاديث الهداية ٦٠/٢،الزيلعي، نصب الراية ١٨٦/٣، ابن حجر،فتح الباري١٨٦/٩.

٤ –تم ترتيب مسائل علمية كثيرة في الفقه وأصوله وغيرهما من العلوم الشرعية على التواتر، وهو خروج على المنهجية الصحيحة في تناول الأحاديث النبوية رواية ودراية، من ذلك مسألة ما تعم به البلوى، ومسألة نسخ المتواتر بما صح من أحاديث الآحاد، ومسألة تفرد الثقة بالزيادة، وغيرها من المسائل.

وبناء على ما تقدم توصي الباحثة بما يأتي:

أولاً: إعادة النظر في علوم الحديث بطريقةتجمع بين فهم منهج المحدثين المتقدمين،وبين المعاصرة، مما يخدم السنة النبوية ويعيد تحريرها وتقريبها للمسلمين من مختصين وغيرهم.

ثانياً: أن يحذف مبحث المتواتر والآحاد والتقسيمات المترتبة عليها من مقررات علوم الحديث التي تدرس في الجامعات والمعاهد وغيرها،حتى لاتسبب لطلبة العلم تشويشاً،وتورد عليهم شبهات لا قبل لهم بها.

ثالثاً: تحرير المسائل المتعلقة بخبر الآحاد،كنسخ المتواتر بالآحاد،وموقف العلماء مما تعم به البلوى وزيادة الثقة وغيرها.

رابعاً:أن تتصدر المراكز العلمية المتخصصة لدعم البحوث العلمية في مجال نشر وتحرير وتقريب السنة النبوية وعلومها.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المطبوعة

القرآن الكريم

١. الإبهاج،تأليف:علي بن عبدالكافي السبكي،تحقيق:جماعة من العلماء،الطبعة الأولى،١٤٠٤،دار الكتب العلمية،بيروت.
٢. الإحكام في أصول الأحكام،تأليف: علي بن أحمد بن حزم،الطبعة الأولى،١٤٠٤،دار الحديث،القاهرة.
٣. الإحكام،تأليف:علي بن محمد الآمدي،تحقيق:سيد الجميلي،الطبعة الأولى،١٤٠٤،دار الكتاب العربي،بيروت.
٤. إرشاد الفحول،تأليف:محمد بن علي الشوكاني،تحقيق:محمد سعيد البدري،الطبعة الأولى،١٤١٢-١٩٩٢،دار الفكر،بيروت.
٥. أصول السرخسي،تأليف:محمد بن أحمد السرخسي،دار المعرفة،بيروت.
٦. أصول الشاشي،تأليف: أحمد بن محمد الشاشي،١٤٠٢،دار الكتاب العربي،بيروت.
٧. الأم،تأليف: محمد بن إدريس الشافعي، الطبعة الثانية،١٣٩٣،دار المعرفة،بيروت.
٨. البرهان في أصول الفقه،تأليف:عبدالملك بن عبدالله الجويني،تحقيق:عبدالعظيم محمود الديب،الطبعة الرابعة،١٤١٨،دار الوفاء،المنصورة،مصر.
٩. التبصرة،تأليف:إبراهيم بن علي الشيرازي،تحقيق: محمد بن حسن هيتو،الطبعة الأولى،١٤٠٣،دار الفكر،دمشق.
١٠. تدريب الراوي،تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي،تحقيق: هبدالوهاب عبداللطيف ،مكتبة الرياض الحديثة،الرياض.
١١. تذكرة الحفاظ،تأليف:شمس الدين الذهبي،تصحيح:عبدالرحمن المعلمي،دار إحياء التراث العربي.
١٢. التقرير والتحبير،تأليف:ابن أمير الحاج،١٤١٧،دار الفكر،بيروت.
١٣. التلخيص الحبير،تأليف:أحمد بن علي بن حجر،تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني،١٣٨٤-١٩٦٤،المدينة المنورة.
١٤. التمهيد،تأليف:يوسف بن عبدالله بن عبدالبر،تحقيق:مصطفى العلوي وآخر،١٣٨٧،وزارة عموم الأوقاف،المغرب.
١٥. جامع العلوم والحكم،تأليف:عبدالرحمن بن شهاب الدين،المعروف ابن رجب،تحقيق:ماهر ياسين الفحل،دار ابن كثير،سوريا.

١٦. حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام،تأليف:عبدالله الشريف،وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،المدينة المنورة.
١٧. الحديث والمحدثون،تأليف:محمد محمد أبو زهو،١٤٠٤-١٩٨٤،دار الكتاب العربي،بيروت.
١٨. خبر الواحد في السنة وأثره ي الفقه الإسلامي،تأليف: سهير رشاد مهنا،الطبعة الأولى،دار الشروق،القاهرة.
١٩. خبر الواحد وحجيته،تأليف:أحمد بن محمود الشنقيطي،الطبعة الأولى،١٤٢٢-٢٠٠٢،الجامعة الإسلامية،المدينة المنورة.
٢٠. خبر الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة،تأليف:حسان فلمبان،الطبعة الألوى،١٤٢١-٢٠٠٠،دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث،دبي- الإمارات العربية المتحدة.
٢١. الدراية في تخريج أحاديث الهداية،تأليف:أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،تحقيق:اليسد عبدالله هاشم اليماني المدني،دار المعرفة،بيروت.
٢٢. الرسالة،تأليف:محمد بن إدريس الشافعي،تحقيق:أحمد محمد شاكر،١٣٥٨-١٩٣٩،القاهرة.
٢٣. روضة الناظر،تأليف:عبدالله بن أحمد بن قدامه،تحقيق: عبدالعزيز السعيد،الطبعة الثانية،١٣٩٩،جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.
٢٤. سنن البيهقي الكبرى،تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا،١٤٠٤-١٩٩٤،مكتبة دار الباز،مكة المكرمة.
٢٥. سنن الترمذي،تأليف: محمد بن عيسى الترمذي،تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرون،دار إحياء التراث،بيروت.
٢٦. سنن سعيد بن منصور،تأليف:سعيد بن منصور الخرساني،تحقيق:حبيب الرحمن الأعظمي،الطبعة الأولى،١٤٠٣-١٩٨٢.
٢٧. السنن الكبرى، تأليف:أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق:عبدالغفار البنداري وآخر،الطبعة الأولى،١٤١١-١٩٩١،دار الكتب العلمية،بيروت.
٢٨. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، تأليف:مصطفى السباعي،الطبعة الرابعة،١٤٠٥-١٩٨٥،المكتب الإسلامي،بيروت،
٢٩. سير أعلام النبلاء،تأليف:شمس الدين الذهبي،تحقيق:شعيب الأرنؤوط،الطبعة العاشرة،١٤١٤-١٩٩٤،مؤسسة الرسالة،بيروت.
٣٠. شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر،تأليف:أحمد بن علي العسقلاني.
٣١. شرح نظم الورقات في أصول الفقه،محمد بن صالح العثيمين،مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.
٣٢. صحيح البخاري،تأليف:محمد إسماعيل البخاري،تحقيق:مصطفى البغا،دار ابن كثير،اليمامة،الطبعة الثالثة،١٤٠٧-١٩٨٧،بيروت.
٣٣. صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج النيسابوري،تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث،بيروت.
٣٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان،تأليف:علي بن بلبان الفارسي،تحقيق:شعيب الأرنوؤط،الطبعة الثانية،١٤١٤-١٩٩٣،مؤسسة الرسالة.
٣٥. فتح الباري، تأليف:أحمد بن علي بن حجر،تحقيق: محب الدين الخطيب،دار المعرفة،بيروت.
٣٦. فتح المغيث شرح ألفية الحديث،تأليف:محمد بن عبدالرحمن السخاوي،تحقيق:صلاح عويضة،دار أحد.
٣٧. قواطع الأدلة في الأصول،تأليف:منصور بن محمد السمعاني،تحقيق:محمد بن حسن الشافعي،١٤١٨-١٩٩٧،دار الكتب العلمية،بيروت.
٣٨. قواعد التحديث،تأليف: محمد جمال الدين القاسمي،الطبعة الأولى،١٣٩٩،دار الكتب العلمية،بيروت.
٣٩. كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية،تأليف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية،تحقيق:عبدالرحمن بن محمد بن قاسم،الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية.

٤٠. الكفاية في علم الرواية، تأليف: أحمد بن علي الخطيب البغدادي،تحقيق:أبو عبدالله الورقي،المكتبة العلمية،المدينة المنورة.
٤١. اللمع في أصول الفقه،تأليف:إبراهيم بن علي الشيرازي،الطبعة الأولى،١٤٠٥-١٩٨٥،دار الكتب العلمية،بيروت.
٤٢. المحصول،تاليف:أبي بن العربي المالكي،تحقيق:حسين البدري وآخر،١٣٢٠-١٩٩٩،دار البيارق،..
٤٣. المحصول،تأليف:محمد بن عمر الرازي،تحقيق:طه جابر فياض،الطبعة الأولى،١٤٠٠،جامعة الإمام محمد بن سعود،الرياض.
٤٤. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف:محمد بن أبي بكر المعروف باابن القيم الجوزية.
٤٥. المستدرك على الصحيحين،تأليف:محمد بن عبدالله الحاكم،تحقيق:مصطفى عطا،الطبعة الأولى،١٤١١-١٩٩٠،دار الكتب العلمية،بيروت.
٤٦. مسند الشافعي، تاليف:محمد بن إدريس الشافعي،دار الكتب العلمية،بيروت.
٤٧. المسودة،تأليف:آل تيمية،تحقيق:محمد محي الدين،دار المدني،القاهرة.
٤٨. المستصفى،تاليف: محمد بن محمد الغزالي،تحقيق:محمد بن عبدالسلام،الطبعة الأولى،١٤١٣،دار الكتب العلمية،بيروت.
٤٩. مصنف بن أبي شيبة،تاليف:عبدالله بن محمد بن أبي شيبة،تحقيق: كمال يوسف الحوت،الطبعة الأولى،١٤٠٩،مكتبة الرشد،الرياض.
٥٠. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة،تأليف:محمد بن حسين الجيزاني،الطبعة الثانية،١٤١٩-١٩٩٨،دار ابن الجوزي،جدة.
٥١. معرفة علوم الحديث،تأليف:محمد بن عبدالله الحاكم،الطبعة الأولى،١٤٠٦-١٩٨٦،دار إحياء العلوم،بيروت.
٥٢. معرفة أنواع علم الحديث،تأليف:عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح،١٣٩٨-١٩٧٨،دار الكتب العلمية،بيروت.
٥٣. المعتمد،تأليف:محمد بن علي البصري،تحقيق:خليل الميس،الطبعة الأولى،١٤٠٣،دار الكتب العلمية،بيروت.
٥٤. المنخول،تأليف: محمد بن محمد الغزالي،تحقيق:محمد بن حسن هيتو،الطبعة الثانية،١٤٠٠،دار الفكر،دمشق.
٥٥. المنهج المقترح لفهم المصطلح،تأليف:الشريف حاتم العوني،الطبعة الأولى،١٤١٦-١٩٩٦،دار الهجرة،الرياض.
٥٦. المنهل الروي،تأليف:محمد بن إبراهيم بن جماعة،تحقيق:محي الدين عبدالرحمن،الطبعة الثانية،١٤٠٦،دار الفكر،دمشق.
٥٧. المهذب في علم أصول الفقه المقارن،تأليف:عبدالكريم بن علي النملة،الطبعة الأولى،١٤٢٠-١٩٩٩،مكتبة الرشد،الراض.
٥٨. الموطأ،تأليف:مالك بن أنس الأصبحي،تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي،دار إحياء التراث،مصر.
٥٩. نصب الراية، تأليف: عبدالله بن يوسف الزيلعي، تحقيق: محمد يوسف البنوري،١٣٥٧،دار الحديث،مصر.
٦٠. نظم المتناثر،تأليف: محمد بن جعفر الكتاني،تحقيق:شرف حجازي،دار الكتب السلفية، مصر.
٦١. النكت على ابن الصلاح، تأليف:أحمد بن علي بن حجر،تحقيق:ربيع بن هادي،الطبعة الثالثة،١٤١٥-١٩٩٤،دار الراية،الرياض.
٦٢. نيل الأوطار، تأليف:محمد بن علي الشوكاني، ١٩٧٣،دار الجيل،بيروت.
٦٣. الورقات،تأليف:عبدالملك بن عبدالله الجويني،تحقيق:عبداللطيف العبد.

ثانياً: المراجع الإلكترونية

١. المكتبة الألفية للسنة النبوية الإصدار الثالث)، مركز التراث للبرمجيات.
٢. مكتبة الفقه وأصوله الإصدار الثالث)، مركز التراث للبرمجيات.
٣. مصحف النشر المكتبي الإصدار الرابع)، شركة العريس للكمبيوتر، بيروت–لبنان.

منهج المحدثين في علم العلل
(مفهومه، أهميته، مجاله، طرق معرفته، وسائل الكشف عنه)

د.عبد الله محمد أحمد الحسبان

د.آزويرا بن عبد العزيز

الجامعة الوطنية

ماليزيا

ahusban@yahoo.com

المقدمة

يعد علم العلل من أجل علوم الحديث النبوي الشريف، وفيه تتجلى المعرفة الدقيقة والنقد في علم الرجال، وتنبع أهمية علم العلل على اعتبار أنه علمٌ قائمٌ بمفرده دون علوم الحديث الشريف الأخرى، وإنه يعالج أمراً أكثر ما يقع في أحاديث الثقات من الرواة، التي تعتمد عليهم الرواية، وهو من أدق علوم الحديث وأجلها.

جاء هذا البحث ليرد وليعالج إشكال جرى على لسان بعض النقاد الذين يتهمون علم العلل في أنه أقرب ما يكون إلى المعرفة النفسية أو الوجدانية أو العرافة لغموض أسبابه ومعرفة طرقه، وهذه المقالة قد تثير بعض الناس ويتهم فيها هذا العلم الشريف .

وقد تطرق هذا البحث إلى أربعة مطالب وهي:

المطلب الأول: العلة في اللغة والإصطلاح.

المطلب الثاني: أهمية علم العلل ومجاله.

المطلب الثالث: طرق معرفة العلل.

المطلب الرابع: وسائل الكشف عن العلة.

المطلب الأول

العلة في اللغة والاصطلاح

أولاً: في اللغة

العلة: مفرد، جمعه علل، وقد عرّف علماء اللغة العِلَّة (بكسر العين وتشديد اللام المفتوحة) تعريفات مختلفة، وهي بحسب ما تقع في الكلام، وهذه التعريفات هي: المرض، الحدث المشغِل عن الحاجة، العذر، السبب، وهذا ما أشار إليه علماء اللغة عندما عرفوا العلة.

يقول ابن منظور: "العِلَّة المَرَضُ؛ عَلَّ يَعِلُّ واعْتَلَّ أَي مَرِض، فهو عَلِيلٌ، ولا أَعَلَّك اللَّهُ أَي لا أَصابك بِعِلَّة، والعِلَّةُ: الحَدَث يَشْغَل صاحبَه عن حاجته، كأَنَّ تلك العِلَّة صارت شُغْلاً ثانياً مَنَعَه عن شُغْله الأَول، وفي المثل: لا تَعْدَمُ خَرْقاءُ عِلَّةً، يقال هذا لكل مُعْتَلَ ومعتذر وهو يَقْدِر، وقد اعْتَلَّ الرجلُ، وهذا عِلَّة لهذا أَي سَبَب"[(١)].

قال الجرجاني: "العلة لغة عبارة عن معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل بلا اختيار ومنه يسمى المرض علة لأن بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف"[(٢)].

ويقول النووي: "وهذا علة لهذا أي سبب والعلة المرض، يقال منه عل يعل واعتل وأعله الله تعالى ورجل عليل"[(١)].

(**١**)ابن منظور الإفريقي، لسان العرب ج: ١١ ص: ٤٧١ ، كذلك عند الفيروزأبادي: **تاج العروس** ج٨، ص٣٢؛ ابن فارس، أحمد بن زكريا ت٣٩٥هـ، **معجم مقاييس اللغة**، الدار الاسلامية، ١٩٩٠م، ج٤ ص١٣.

(**٢**)علي بن محمد بن علي الجرجاني ت٨١٦هـ، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الابياري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ،ج١ ص٢٠١.

ومن المعاني السابقة أرى أن العلة في الاصطلاح كما سيأتي شديدة التعلق بمعناها اللغوي، فوجود علة في الحديث، بمعنى مرضٍ أو شيءٍ مشغلٍ للحديث فلم يعد صالحاً، أو يوجد فيه عذرٌ أو سببٌ يمنع استعماله.

ثانياً: في اصطلاح المحدثين

العلة في اصطلاح المحدثين: عبارة عن سبب خفي غامض قادح في صحة الحديث، والحديث المعل أو المعلل أو المعلول: "هو الحديث الذي وجِد فيه عِلّةٌ تقدح في صحته مع أن الظاهر منه السلامة"[٢].

وقد انتقد استعمال لفظ المعلول، وقالوا بأنه لا يساعد استعمال المحدثين من حيث اللغة، فإنهم يستعملونه فيما وجد فيه وصف قادح، وهذا الأولى فيه أن يقال "مُعَل"، لأنه من أعله الرباعي[٣].

ومن خلال التعريفات في اصطلاح العلة نجدها تشمل أمرين أساسين مرتبطين وهما:

أولاً: كون السبب خفياً، ليس بظاهر ولا معروف، فتخرج من التعريف الأسباب الظاهرة التي هي معروفة في الجرح والتعديل، كالانقطاع والإرسال وشدة الضعف.

ثانياً: وجود السبب القادح المخرج للحديث من دائرة الصحة إلى غيرها، ومن التعريف نجد ارتباط القدح بأنه خفي، يقول الحاكم: "وهو علم برأسه غير الصحيح والسقيم والجرح والتعديل"[٤]، وهذا يخالف ما هو موجود في كتب العلل من جرح وتعديل , هذا ومن خلال بحثي في كتب العلل أجد ما يؤيد الحاكم وهو موجود فعلاً في كتب العلل، فنجد فيها ما أعل بسبب الكذب، أو الفسق، وهذه الأمور عالجها أئمة الجرح والتعديل في كتبهم، فالسؤال أين الخفاء في هذه الجروح الظاهرة، وأوافق ما قاله الحاكم في أن العلة تكثر عند الثقات، الذين يحدثون بحديث له علة فيخفى عليهم علمه، فيصير هنا الحديث معلولاً، والعلة قد تخفى على كثير فيتصدى لها عالم العلل، صاحب الخبرة والفهم الثاقب.

يقول ابن الصلاح: "الحديث المعلل يتطرق إلى الإسناد الجامع شروط الصحة ظاهراً"، أي: وجوده عند من جمع شروط الصحة بشكل ظاهري، ووجود أمر خفي، ولكن ليس من كان صاحب كذب أو فسق، وهنا يقصر ابن الصلاح العلة على الإسناد وحده دون المتن.

ولكن هذا يختلف مع منهج كتب العلل التي احتوت على علل سببها جرح الراوي، وأرى أن هذا خروجاً على مقتضى لفظ العلة، ويؤيد ذلك قول ابن الصلاح: "ثم أعلم أنه قد يطلق اسم العلة على غير ما ذكرناه من

(**١**) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ت٦٧٦هـ، تهذيب الأسماء واللغات، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ط١، ج٣، ص٢٢٣.

(**٢**)محمد بن إبراهيم بن جماعة ت٧٣٣هـ، **المنهل الروي**، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ، ج١ ص٥٢، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ، **تدريب الراوي**، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ج: ١ ص: ٢٥٢؛ محمد بن جعفر الكتاني ت١٣٤٥هـ، **الرسالة المستطرفة**، تحقيق: محمد المنتصر الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٩م، ج١ ص١٤٧.

(**٣**) النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، ج٣ ص٢٢٣؛ العتر، **منهج النقد في علوم الحديث**، ص٤٤٧.

(**٤**) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ت٤٠٥هـ، **معرفة علوم الحديث**، تحقيق: السيد معظم حسين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧م، ج١ ص١١٢.

الأسباب القادحة في الحديث، المخرجة له من حال الصحة إلى حال الضعف، المانعة من العمل به، على ما هو مقتضى لفظ العلة في الأصل، ولذلك نجد في كتب علل الحديث الكثير من الجرح بالكذب والغفلة وسوء الحفظ، ونحو ذلك من أنواع الجرح"[(١)].

وهناك تعليل بالجرح في كتب العلل يقول الدكتور همام سعيد في هذا الشأن: "وأما ما نجده في كتب العلل من أحاديث أعلت بالجرح كأن يقال في أحد رواتها: متروك أو منكر الحديث، أو ضعيف، فيمكن حمل هذه القوادح على علم العلل وإلحاقها به إذا وردت في أحاديث الثقات، كرواية الزهري عن سليمان بن أرقم، ورواية مالك عن عبد الكريم أبي أمية، ورواية الشافعي عن إبراهيم بن أبي يحيى، فرواية هؤلاء الجهابذة عن هؤلاء الضعفاء قد توقع كثيرين في العلة اعتماداً على تثبت هؤلاء الأئمة، ومكانة الزهري ومالك والشافعي تخفي أمر هؤلاء المتروكين والضعفاء"[(٢)].

المطلب الثاني

أهمية علم العلل ومجاله

تنبع أهمية علم العلل على اعتبار أنه علمٌ قائمٌ بمفرده دون علوم الحديث الشريف الأخرى، وإنه يعالج أمراً أكثر ما يقع في أحاديث الثقات من الرواة، التي تعتمد عليهم الرواية، وهو من أدق علوم الحديث وأجلها.

وعن أهميته يقول السيوطي: "وهذا النوع من أجلها أي أجل أنواع علوم الحديث وأشرفها وأدقها، وإنما يتمكن منه أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب ولهذا لم يتكلم فيه إلا القليل كابن المديني وأحمد والبخاري ويعقوب بن شيبة وأبي حاتم وأبي زرعة والدارقطني"[(٣)].

أما المجال الذي يبحث فيه علم العلل في الأغلب فهو حديث الثقات، وما يوجد في هؤلاء الثقات من الخطأ والوهم وغيرها من أسباب العلل، يقول الحاكم: "فإن حديث المجروحين ساقط واهٍ، وعلة الحديث تكثر في حديث الثقات أن يحدثوا بحديث له علة، فيخفى عليهم، فيصير الحديث معلولاً"[(٤)].

وهذا المجال أوسع من مجال علم الجرح والتعديل، لأن الجرح والتعديل يكتفي بكلمة تبين موضع الجرح أو التعديل، أما العلل فإنه يبحث في حياة الراوي بتفاصيلها وما يطرأ عليها من تغير مع الزمان، وفي وقت وزمان ضبط الراوي أو نسي، وكيف تحمّل؟ وكيف أدّى؟

وأذكر هنا مثالاً يبين سعة المجال الذي يبحث فيه عالم العلل، وفيه نرى كيف استمر الإمام أحمد في البحث في حال الراوي بعد أن أصدر عليه الحكم، والمثال في بحث الإمام وسؤاله عن حال عبد الله بن وهب فقد ترك الإمام الأخذ عنه، ثم بعد أن سأل عنه بعد ذلك للتأكد من أحواله أصدر حكماً مختلفاً وكتب عنه.

---

(١) ابن الصلاح: **مقدمة ابن الصلاح**، ص٨٤.

(٢) سعيد همام، مقدمة المحقق، **شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي**، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٧م، ص٢٦.

(٣) السيوطي، **تدريب الراوي، مصدر سابق**، ج١، ص٢٥١.

(٤)الحاكم , **معرفة علوم الحديث ,مصدر سابق** , ص١١٢-١١٣.

قال عبد الله: قال الإمام أحمد: "رأيت عبد الله بن وهب[1] بمكة، رأيته رجلاً خفيف اللحية، قال أبي –يتابع عبد الله–: "تذكرت أنه يعرض له على ابن عيينة، وهو نائم، فتركته، قال أبي: فبلغني أنه كان لا يدخل في مصنفه من ذلك العرض شيئا ، قال أبي: ثم كتبتُ بعدُ عن رجلٍ عنه[2].

المطلب الثالث

طرق معرفة العلل

لمعرفة طرق العلل عند العلماء قواعد ومبادئ مثله بذلك مثل أي علم من العلوم الأخرى، كيف لا وهو أجل أنواع علم الحديث الشريف وأدقها، ولذا فلا بد لنا من التكلم عنها وتوضيحها، وتوضيح مقالة بعض النقاد من المحدثين في أن علم العلل أقرب ما يكون إلى المعرفة النفسية أو الوجدانية أو العرافة لغموض أسبابه ومعرفة طرقه، وهذه المقالة قد تثير بعض الناس ويتهم فيها هذا العلم الشريف، ومنها ما قاله ابن مهدي: "معرفة علل الحديث إلهام لو قلت للعالم بعلل الحديث من أين قلت هذا؟ لم يكن له حجة"[3].

وهذه المقولة يشرحها ابن مهدي نفسه ويبين أنها نابعة من قواعد أساسية، تصبح عند عالم العلل كأنها سليقة أو معرفة وجدانية، بسبب كثرة خبرته وطول مجالسته ومعرفته، وتكون عند الجاهل كأنها عرافة أو كهانة، لذلك قيل له أيضاً: "إنك تقول للشيء هذا صحيح، وهذا لم يثبت، فعمن تقول ذلك؟ فقال: أرأيت لو أتيت الناقد فأريته دراهمك، فقال: هذا جيد وهذا بهرج، أكنت تسأل عمن ذلك أو تسلم له الأمر؟ قال: بل أسلم له الأمر، قال فهذا كذلك، بطول المجالسة والمناظرة والخبرة"[4].

ومن القواعد التي ذكرها العلماء ما أورده الحاكم: "وإنما يعلل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل والحجة في التعليل عندنا بالحفظ والفهم والمعرفة"[5].

وينبه الدكتور العتر إلى وسائل الوصول إلى معرفة علم العلل مستخرجاً ذلك من كلام علماء العلل، وهذه الوسائل[6]:

١ – أن يجمع المحدث اليقظ روايات الحديث الواحد، ويوازن بينها سنداً ومتناً فيرشده إلى اختلافها واتفاقها على موطن العلة، مع قرائن تنضم لذلك تنبه العارف، وهذا الطريق هو الأكثر إتباعاً وهو أيسرها، وقد يحتاج إلى جمع أحاديث الباب كله وكل ماله علاقة بمضمون الحديث، وذلك يحتاج لحفظ غزير سريع الاستحضار.

---

(١) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم، أبو محمد المصري الفقيه، ثقة حافظ عابد مات سنة ١٩٧هـ، انظر : **التقريب** رقم(٣٦٩٤).

(٢) **العلل**: ج٣، ص١٣٠ رقم (٤٥٥٦).

(٣)الحاكم , **معرفة علوم الحديث , مصدر سابق** , ص١١٢ .

(٤) السيوطي، **تدريب الراوي، مصدر سابق**، ج١ ص٢٥١.

(٥) الحاكم، **معرفة علوم الحديث، مصدر سابق**، ص١١٣.

(٦) العتر، **منهج النقد في علوم الحديث، مصدر سابق**، ص٤٥١-٤٥٢ .

٢ - موازنة نسق الرواة في الإسناد بمواقعهم في عامة الأسانيد، فيتبين منه أن تسلسل هذا الإسناد تفرد عن المعروف من وقوع رواته في الأسانيد، مما ينبه إلى علة خفية فيه، وإن كانت هذه العلة يصعب تعيينها، وهذا أمر لا يدرك إلا بالحفظ التام والتيقظ الدقيق، وسرعة الاستحضار الخاطف لجمل الأسانيد في الدنيا.

٣ - أن ينص على علة الحديث، أو القدح فيه أنه معلل، إمام من أئمة الحديث المعروفين بالغوص في هذا الشأن، فإنهم الأطباء الخبيرون بهذه الأمور الدقيقة.

ونستخلص مما سبق أن علم العلل مبني على قواعد وأساسيات أقرها علماء العلل، وإن عالم العلل ولكثرة ممارسته لهذا العلم يصبح عنده كأنه إلهام أو موهبة يعجز الجاهل عن فهم كلامه وحديثه.

المطلب الرابع

وسائل الكشف عن العلة

يظهر للمتتبع في كلام المحدثين الذين مازوا العلة وعرفوها، أن هناك بعض الوسائل التي يستعملونها في الكشف عن هذه العلة، تبين مدى تمحيصهم وبحثهم وتتبعهم حتى يكشفوا عن العلة وينبهوا عليها، وهذه بعض الوسائل التي استعملوها:

أولاً: معرفة مدارس الحديث

وذلك من حيث نشأتها ورجالها ومذاهبها الفقهية والعقدي وتأثيراتها المختلفة في المدارس الأخرى، فقد كانت لكل مدرسة من مدارس الحديث مميزات عن غيرها، فإن كان الحديث كوفياً احتمل التدليس، وإن كان بصرياً احتمل النصب (معاداة علي وشيعته)، وإن كان شامياً عن غيرهم احتمل الضعف[١]، ويقول الحاكم: "والمدنيون إذا رووا عن الكوفيين زَلَقوا"[٢].

وكان لكل مدرسة من المدارس خصائص ومميزات عرفها المحدثون، ونبهوا إليها، يقول السيوطي: "ولأهل البصرة من السنن الثابتة بالأسانيد الواضحة ما ليس لغيرهم مع إكثارهم، والكوفيون مثلهم في أن رواياتهم كثيرة الدُغل قليلة السلامة مع العلل، وحديث الشاميين أكثره مراسيل ومقاطيع، وما اتصل منه مما أسنده الثقات فإنه صالح والغالب عليه ما يتعلق بالمواعظ"[٣].

ويذكر المحدثون في تفاوت أهل البلاد في صحة الحديث وروايته، قال الزهري: "إن في حديث أهل الكوفة دغلاً كثيراً، وقال ابن المبارك حديث أهل المدينة أصح وإسنادهم أقرب، وقال الخطيب: "أصح طرق السنن ما يرويه أهل الحرمين مكة والمدينة، فإن التدليس عنهم قليل والكذب ووضع الحديث عندهم عزيز ولأهل اليمن"[٤].

---

(١) بتصرف همام سعيد، **شرح علل الترمذي**، ص١٢٤.

(٢) الحاكم، **معرفة علوم الحديث**، مصدر سابق، ج١ ص١١٥.

(٣) السيوطي، **تدريب الراوي**، مصدر سابق، ج ١ ص ٨٦.

(٤) السيوطي، **تدريب الراوي**، المصدر سابق، ج ١ ص ٨٥.

وعند المحدثين ترتيب لأهل المدارس من حيث أصح الروايات، يقول ابن تيمية: "اتفق أهل العلم بالحديث على أن أصح الأحاديث ما رواه أهل المدينة ثم أهل البصرة ثم أهل الشام"[١].

نلاحظ أن الإمام أحمد ذكر بعض الرواة وذكر إلى من يتبعوا من مدارس الحديث، وفي أيهم هو أوثق وأصح، قال عبد الله: "سألته عن إسماعيل بن عياش[٢]، فحسن روايته عن الشاميين، وقال: هو فيهم أحسن حالاً مما روى عن المدنيين وغيرهم"[٣]، فبين الإمام أن روايته عن الشاميين أحسن من روايته عن غيرهم.

ونلاحظ أن الإمام أحمد يبين أن أهل الشام عندهم بعض المناكير، قال عبد الله عندما سأل أباه عن حديث، يقول: "سمعت أبي يقول: هذا حديث منكر ما أظن من هذا شيئاً، هذا كلام أهل الشام"[٤].

ثانياً: معرفة من دار عليهم الإسناد

وهذه المعرفة مهمة جداً في الكشف عن العلة،ومعرفة من دار عليه الإسناد ومن هو أوثق الرواة وتمييز اصح الأسانيد وأضعفها،ومن هو أوثق التلاميذ في شيخهم، ومن أكثرهم روايةً، ونرى هذا الأمر عند الإمام أحمد فإنه خبير في رجال الإسناد وتبيين العلة ومعرفتها عند كل راوي.

ومن الأمثلة عند المحدثين ما يذكره الإمام أحمد والتي تبين رجال الإسناد عند ابن عباس، يقول عبد الله: "سمعت أبي يقول: هؤلاء أصحاب ابن عباس طاوس ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وجابر بن زيد وعكرمة آخر هؤلاء"[٥].

وفيما يلي نص يبين مدى ارتباط هذه المعرفة في علم العلل، نرى في هذا النص مدى معرفة الإمام الدقيقة في أحوال الرجال الذين قام عليهم الإسناد[٦]، قال عبد الله: "سألته عن مطرف بن طريف، فقال: ثقة مطرف، قلت له: أيما أثبت أصحاب الأعمش؟ فقال: سفيان الثوري أحبهم إلي، قلت له: ثم من؟ فقال: أبو معاوية في الكثرة والعلم -يعني عالماً بالأعمش- قلت له: أيما أثبت أصحاب الزهري ؟ فقال لكل واحد منهم علة: إلا أن يونس وعقيلاً يؤديان الألفاظ وشعيب بن أبي حمزة، وليس هم مثل معمر، معمر يقاربهم في الإسناد، قلت: فمالك ؟ قال: مالك أثبت في كل شيء، ولكن هؤلاء الكثرة، كم عند مالك! ثلاثمائة حديث أو نحو ذا، وابن عيينة نحو من ثلاثمائة حديث، ثم قال: هؤلاء الذين رووا عن الزهري الكثير، يونس وعقيل ومعمر، قلت له: شعيب؟ قال: شعيب قليل، هؤلاء أكثر حديثاً عن الزهري، قلت: فصالح بن كيسان روايته عن الزهري؟ قال: صالح أكبر من

(١) السيوطي، **المصدر سابق**، ج ١ ص ٨٦.

(٢)إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي بالنون أبو عتبة الحمصي صدوق في روايته عن أهل بلده مخلط في غيرهم، ت١٨٢هـ، وله بضع وسبعون سنة، انظر: **التقريب**، ج١ ص١٠٩، رقم: (٤٧٣).

(٣) **علل أحمد بن حنبل**، ج ١ ص١٠٤، رقم: (٢٤٤).

(٤) **العلل**، ج٣ ص١٧٠، رقم: (٤٧٥٨).

(٥) **العلل**، ج ١ ص٢٢٦، رقم: (٢٧٦).

(٦) بتصرف د همام سعيد، **شرح علل الترمذي**، ص١٢٦.

الزهري، قد رأى صالح بن عمر، قلت فهؤلاء أصحاب الزهري، قلت: أثبتهم مالك؟ قال: نعم، مالك أثبتهم، ولكن هؤلاء الذين قد بقروا علم الزهري يونس وعقيل ومعمر، قلت له: فبعد مالك من ترى؟ قال: ابن عيينة"(١).

والناظر المتفحص في هذا النص يجد من الفوائد العديدة، من أدق التفاصيل لتلاميذ كل شيخ ومعرفة من هو أوثقهم ومن هو أضبطهم، ومن هو أكثر رواية من غيره، فهذه المعرفة تبين عمل رجل العلل في تمحيص الرجال ومعرفة مزايا كل واحد على حده.

ثالثاً: معرفة الأبواب

وهذا الأمر يدل على مدى تمكن الناقد من العلة،حتى إنه يرتبها على الأبواب، وذلك عندما يسأل عن شيء يعرضه على أحاديثه التي رتبها وعندها يصدر النقد المناسب.

وهذا عند الإمام أحمد مشهور، قال أبو زرعة: "كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب"(٢)، ومنه يتبين مدى حفظ الإمام وترتيبه لأحاديثه على الأبواب.

ويذكر عبد الله قول ابن أبي شيبة عن الإمام، وكيف أنه اشتهر بمعرفة وحفظ الأبواب، قال ابن أبي شيبة: "قدمنا بغداد منذ أكثر من أربعين سنة إلى ابن عليّة، فما كان أحد يقوم في وجوهنا يعني في حفظ الأبواب إلا أبو هذا، قال عبد الله بن أحمد: يعنيني"(٣).

رابعاً: معرفة المتشابه من الأسماء والكنى والألقاب

وهذه المعرفة مفيدة جداً في تحديد الراوي المقصود في الإسناد، وحتى لا يقع تشابه في الاسم أو في اللقب أو في الكنية، فيؤدي إلى خلل في الإسناد.

وعن فائدته يقول العتر: "وفائدته تسهيل معرفة الراوي المشهور بكنيته، ليكشف عن حاله، والاحتراز عن ذكر الراوي مرة باسمه ومرة بكنيته فيظنهما من لم ينتبه لذلك رجلين، أو ربما ذكر بهما معاً فيتوهم رجلين سقط بينهما حرف "عن" أو غيره"(٤).

ونرى كيف يدقق المحدثون في ذلك بل إن الإمام أحمد يميز ويفصل بين الرواة المتشابه أسمائهم أو كناهم، فنراه مثلاً في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من كنيته من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبو عبد الرحمن: عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن، ومعاذ بن جبل أبو عبد الرحمن، وعبد الله بن عمر أبو عبد الرحمن، وعبد الله بن عمرو أبو عبد الرحمن، ويقولون أبو محمد، وفيروز بن الديلمي أبو عبد الرحمن، وسفينة أبو عبد الرحمن، ومعاوية بن أبي سفيان أبو عبد الرحمن"(٥).

---

(١) **العلل**، ج ٢ ص٣٤٨، رقم: (٢٥٤٣).

(٢) المزي، **تهذيب الكمال**، مصدر سابق، ج١ ص٤٥٧.

(٣) **العلل**، ج ٣ ص١٨٠، رقم: (٤٧٨٣).

(٤) العتر، نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، ط٣ ,دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧م، ص١٦٦.

(٥) **العلل**، ج ١ ص٢٦٥، رقم: (٣٩٣).

وعن الألقاب وتمييز أصحابها يقول عبد الله: "حدثني أبي قال: سمعت سهل بن حسان بن أبي خَدّوية[1] قال: أبو قلابة صديقاي من أهل البصرة دبّاغ وحذّاء، قال أبي: الحذّاء خالد والدبّاغ أيوب السختياني[2]، فكنية أبي قُلابة لرجلين ميزهما الإمام بأن الحذاء اسمه خالد، والدباغ اسمه أيوب السختياني.

خامساً: معرفة مواطن الرواة

وهذا علم اهتم به المحدثين، وقد أهتم الناس به كثيراً بالانتساب، و كان الانتساب إلى القرية، أو إلى المدينة، أو الإقليم، أو البلاد التي تنقل فيها الراوي.

وقد كان المحدثون يهتمون بذلك لما له من أهمية عظيمة في معرفة شيوخ الراوي وتحديدهم منعاً للاشتباه، وبه يظهر المهمل والمدلس، ويعلم أمر التلاقي بين الرواة، وبه يظهر أمر الراوي في الموطن وفي أيها كان قوياً وفي أيها كان ضعيفاً، مثل ما حدث عند معمر بن راشد كما مر معنا في أمر الاختلاط، وقد نبه الحاكم أبو عبد الله على هذه ألأهمية وأن كثيراً من كبار العلماء قد زَلِقُوا واشتُبه عليهم[3].

سادساً: معرفة الوفيات والولادات

وهذه المعرفة مهمة جداً في تحديد عدة أمور من اللقاء والمعاصرة أو عدمهما بين الرواة، أو اتصال للسند من انقطاعه، يقول السيوطي عن أهميته: "هو فن مهم به يعرف اتصال الحديث وانقطاعه، وقد ادعى قوم الرواية عن قوم فنظر في التاريخ فظهر أنهم زعموا الرواية عنهم بعد وفاتهم بسنين"[4].

وهو وسيله مهمة في الكشف عن الكذابين، قال سفيان الثوري: "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"(٥).

وقد اعتنى أهل العلل بذلك وهو منتشر في كتبهم ونرى الإمام أحمد مثلاً قد ركز في علله على ذلك، ومنها: قال عبد الله: "سمعت أبي يقول: ولد سفيان ابن عيينة سنة سبع ومائة، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة"(٦)، ومائة"(٦)، ومنها: "سمعت أبي يقول: مات هُشيم سنة ثلاث وثمانين"[7].

ونرى الإمام أحمد يذكر من مات في تلك السنة من المحدثين والعلماء، "قال أبي: مات مالك بن أنس سنة تسع وسبعين، وحماد بن زيد سنة تسع وسبعين وهي السنة التي طلبت فيها الحديث"[8].

سابعاً: معرفة أهل البدع[1]

---

(١) سهل بن حسان يقال له بأبن خَدّويه ثقة، ذكره ابن حبان في **الثقات**، ج٨ص٢٩١، رقم: (١٣٠٥٧).

(٢) **العلل**،ج١ ص٢٧٢، رقم: (٤١٩).

(٣) الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري، **معرفة علوم الحديث**، مصدر سابق، ص١٩٠.

(٤) السيوطي، **تدريب الراوي**، مصدر سابق، ج٢ ص٣٤٩.

(٥) **المصدر السابق**، ج٢ ص٣٥٠.

(٦) **العلل**، ج ٢ ص٣٢٤، رقم: (٢٤٣٩).

(٧) **المصدر السابق**، ج ١ ص١٤٦، رقم: (٣٧).

(٨) **العلل**، ج ٣ ص١٤٧، رقم: (٤٦٤٦).

وهذه المعرفة مهمة جداً في توضيح عقيدة الراوي، لتحذير من رواياته، ومعرفتها معرفة جيدة، وهي أقسام، ومنهج المحدثين في الرواية عن أهل البدع وقبول روايتهم، وفق شروط معينة، وهذه الشروط:

١ – أن لا يكون المبتدع داعياً لبدعته: وهذا الشرط موجود عند المحدّثين، قال الحاكم: "وأصل عدالة المحدث أن يكون مسلماً لا يدعو إلى بدعة"[٢].

وذكر الخطيب قولاً للإمام أحمد في الكفاية حيث قال: "قال عبد الله بن أحمد بن حنبل، قلت لأبي: ما تقول في أصحاب الحديث يأتون الشيخ لعله أن يكون مرجئاً، أو شيعياً، أو فيه شيء من خلاف السنة، أيسعني أن اسكت عنه أم أحذر منه، فقال أبي: إن كان يدعو إلى بدعة وهو إمام فيها ويدعو إليها، قال نعم تحذر منه"[٣]، وهذا ما نقله الإمام أحمد قال: ثلاثة لا يحمل عنهم، الرجل المتهم بالكذب، والرجل كثير الوهم والغلط، ورجل صاحب هوى يدعو إلى بدعته"[٤].

وأما من لا يدعو إلى بدعته وكان ضابطاً عدلاً، فهو مقبول وكذلك من كان عنده تشيع، ووصف بالصدق ولم يكن مغالياً أو متعصباً كما مر سابقاً، ومثال ذلك قال الإمام أحمد: عدي بن ثابت(٥) ثقة إلا أنه كان يتشيع"[٦].

---

(١) البدعة: لغة هي كل شيء أُحدث على غير مثال سابق، سواء أكان محموداً أو مذموماً , وهي اسم هيئة من الاتباع، انظر : ابن منظورمحمد بن مكرم, أبو الفضل الافريقي,ت٧١١هـ : **لسان العرب**، دار صادر –بيروت، ج ٨ ص٦ ، وشرعاً قال ابن رجب الحنبلي: ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، انظر: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، ابن رجب الحنبلي، ت٧٩٥هـ، جامع العلوم والحكم، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٠م، ص٢٥٢، قال السخاوي: "البدعة هي ما أحدث على كل مثال منتظم، فتشمل المحمود والمذموم ولكنها اختصت شرعاً بالذموم، انظر: فتح المغيث،ج١ ص٣٠٣.

والمبتدع من فُسق لمخالفته عقيدة أهل السنة، والبدعة قسمان: بدعة مُكفرة وبدعة غير مُكفرة، وحال المبتدع حسب بدعته، فإن كانت مكفرة فتردّ روايته قولاً واحداً، وأما من لم تكن مكفرة ولم يصل الى الخروج عن الملة، وخلع ربقة الإسلام، فالعلماء فيه على خلاف قال ابن الصلاح: "اختلط في قبول رواية المبتدع الذي لا يكفر في بدعته فمنهم من ردّ روايته مطلقاً، لأنه فاسق ببدعته، ومنهم من قبل رواية المبتدع إذا لم يكن ممن يستحلّ الكذب في نصرة مذهبه أو لأهل مذهبه، سواء أكان داعيةً الى بدعته أم لم يكن، وقال الأكثر من المحققين: الداعية لا يجوز الاحتجاج به وهذا الأسلم، وقالوا بأنه مذهب ابن المبارك، ابن مهدي وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وعن مالك أيضاً، انظر: السخاوي: فتح المغيث، ج١ ص ٣٠٦–٣٠٧؛ انظر: العتر، نور الدين: منهج النقد في علوم الحديث، ط٣ ، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٧م، ص٨٣؛ الخطيب البغدادي: الكفاية، في باب ما جاء في الأخذ عن أهل البدع والاهداء والاحتجاج بهذه الأحكام، وعنده تفصيل، يرجع اليه، ص١٠٣–١٠٤.

(١) الحاكم، محمد بن عبد الله ابو عبد الله النيسابوري: معرفة علوم الحديث، ت٤٠٥هـ، تحقيق: السيد معظم حسين، ط٢، دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٧٧م, ، ج١ ص٥٣.

(٢) الخطيب البغدادي، الكفاية، ج١ ص٤٦.

(٤) العلل، ج٣، ص ٢١٨، رقم: (٤٩٤٧).

(٥) عدي بن ثابت الأنصاري الكوفي، ثقة غير الإمام أحمد مع أمين بالتشبع، الجرح والتعديل /٢:٢/٠٣ قال الذهبي، عالم الشيعة صادقهم، وخاصهم وإمام مسجدهم، ولو كانت الشيعة مثله يقل شرهم، ت١١٦هـ، الذهبي، الميزان، ج٣ ص٦١، التهذيب، ج٧ ص ١٦٥.

(٦) **العلل**، ج٢ ص٤٩١ رقم (٣٢٣٣)، ج٣ ص١٣٣، رقم: (٤٥٧٦).

٢ -إذا كان المبتدع عالماً بما هو عليه، وداعياً إلى بدعته:

أما من كان داعياً إلى بدعته، ومتعصباً لها، فالمحدثون لا يقبلون منه العلم والحديث، يقول الإمام أحمد في علله: ثلاثة لا يحمل عنهم: الرجل المتهم بالكذب، والرجل كثير الوهم والغلط، ورجل صاحب هوى يدعو إلى بدعته"[(١)].

الخاتمة وأبرز النتائج والتوصيات:

وصل الباحث إلى مجموعة من الفوائد والنتائج التي لا بد من التكلم عنها وحصرها لاستكمال الغاية التي كتب من أجلها هذا البحث، ومن أبرز النتائج في هذا البحث:

أولاً: التكلم في علم العلل وتوضيح مفهومه في اللغة والاصطلاح.

ثانياً: عرض أهمية علم العلل مقارنة مع بقية علوم الحديث الشريف، وكذلك تبيان طرق التوصل إلى معرفة العلة، والوسائل للكشف عن العلة عند المحدثين.

ثالثاً: الرد على من قال أنه علم غير منضبط والتأكيد على أن له قواعد وأسس وضحها المحدثون في كتبهم.

ومن التوصيات:

أولاً: ضرورة الاهتمام بعلم العلل ومعرفته معرفة جيدة.

ثانياً: حث طلاب الدراسات العليا على الخوض فيه والبحث واستخراج مكنوناته المنتثرة في الكتب.

ثالثاً: عقد الندوات والمؤتمرات المتخصصة في هذا العلم لنشره والتركيز عليه كنوع من علوم الحديث.

المراجع

١. تدريب الراوي، السيوطي ت٩١١هـ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
٢. التعريفات، الجرجاني ت٨١٦هـ، تحقيق: إبراهيم الابياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٣. تهذيب الأسماء واللغات النووي ت٦٧٦هـ، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
٤. تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٥. جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ت٧٩٥هـ، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٠م.
٦. الرسالة المستطرفة محمد بن جعفر الكتاني ت١٣٤٥هـ، تحقيق: محمد المنتصر الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٩م.
٧. شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي، همام سعيد، مقدمة المحقق، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٧م.
٨. العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن حنبل، تحقيق: وصي الله عباس، دار الرشيد، الرياض.
٩. فتح المغيث شرح ألفية الحديث، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٣هـ.
١٠. الكفاية في علوم الرواية، الخطيب البغدادي، دار العلم للملايين، بيروت.
١١. لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، أبو الفضل الإفريقي، ت٧١١هـ، دار صادر، بيروت.
١٢. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن زكريا ت٣٩٥هـ، الدار الإسلامية، ١٩٩٠م.

(١) **العلل**، ج٣ ص ٢١٨، رقم: (٤٩٤٧).

١٣. معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري، ت٢٠٥هـ ، تحقيق: السيد معظم حسين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧م.

١٤. مقدمة ابن الصلاح، ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن تقي الدين، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٨٦م.

١٥. منهج النقد في علوم الحديث، نور الدين العتر، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧م.

١٦. المنهل الروي،محمد بن إبراهيم بن جماعة ت٧٣٣هـ، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ.

١٧. ميزان الإعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

ردّ الحديث بمخالفته للأصول الشرعية والقواعد المقررة:
دراسة وصفية في كتاب: "السلسلة الضعيفة" للشيخ الألباني

د. شمس الدين يابي

الأستاذ المساعد بكلية العلوم الإسلامية

جامعة المدينة العالمية

ماليزيا

shumsudin.yabi@mediu.edu.my

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، ورضي الله عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنّ الله عز وجل تكفّل بحفظ مصدرَي التشريع في هذا الدين: القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، حتى يبقى هذا الدين غضاً طرياً للأجيال المتعاقبة، سليماً من التحريف والتبديل الذي حصل في الأديان السابقة، قال تعالى:"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[١] .

وهذا الحفظ يشمل القرآن والسنة، وقد قيّض الله تعالى لحماية سنة نبيه صلى الله عليه وسلم أئمة حفاظا بذلوا الغالي والرخيص في الحفاظ على السنة النبوية من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

لذلك قعّد علماء الحديث قواعد لحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعوا ضوابط ومعايير، ومن هذه القواعد: قواعد الحكم على الأحاديث تصحيحا وتضعيفا، والذي يعتبر أوعر مسالك العلوم الحديثية لخطورته ودقة مباحثه، ومن هنا فلم يقدم فيه إلا أفراد قليلون من أهل الشأن؛ وفي هذا العصر لم يبرز إلا ندرة العلماء وعلى رأسهم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني–رحمه الله– فأحيا ما أوشك على الإنقراض فلم يجاريه فيه أحد.

ويعمل هذا البحث على إبراز اهتمام أحد العلماء المعاصرين في نقد متون الأحاديث، والتعرّف على مظاهر هذا الاهتمام وآثاره، وذلك من خلال استقراء أشهر كتاب في العصر الحديث فيما ألّف في بيان الحديث الضعيف من الصحيح؛ وهو (السلسلة الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة) للمحدّث الشيخ ناصر الدين الألباني–رحمه الله–، وجمع ما جاء فيها من نماذج، وتصنيفها في مباحث مستقلة؛ وذلك في محاولة للإسهام في بيان جهود علماء الحديث المعاصرين في هذا المجال.

وهذا بحث مختصر حول ذلك عنونته بـ (ردّ الحديث بمخالفته للأصول الشرعية والقواعد المقررة: دراسة وصفية في كتاب "السلسلة الضعيفة" للشيخ الألباني رحمه الله).

أهمية البحث:

لا ريب أنّ البحث في مثل هذا الموضوع له أهمية كبرى، كيف لا؛ وهو تجريد السنة الصحيحة من الضعيف، وفي كونه يعالج منهج أحد المحدثين المعاصرين في نقد متون الأحاديث.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث لما يلي:

١–دراسة شخصية حديثية معاصرة؛ وهو الشيخ ناصر الدين الألباني، ومنهجه في تعامله مع الأحاديث الضعيفة والموضوعة في أحد كتبه المشهورة بين أيدي طلبة العلم، ومن ثم ينطلق البحث تطبيقه في قاعدة ردّ الحديث بمخالفته الأصول الشرعية والقواعد المقررة.

٢–التعرّف على منهج الشيخ الألباني في نقد متون الأحاديث. وأنه لا يكن بدعا في عمله.

---

[١] الحجر: ٩.

٣-الوقوف على المصطلحات الخاصة في إطلاقات الشيخ الألباني وحكمه على الأحاديث بسبب مخالفتها الأصول الشرعية.

منهج البحث:

منهج الباحث هو اعتماده على المنهج الوصفي الاستقرائي، وهو تتبّع الأحاديث التي حكم عليها الشيخ ناصر بالنكران والبطلان ونحو ذلك من الألفاظ التي تفيد ردّ الحديث، مع بيان السبب فيه، وجعله في مباحث مستقلة، مع إفراد ردّه الحديث بسبب مخالفته الأصول الشرعية، مع مقارنة أقواله وأحكامه بأقوال النّقاد الآخرين.

وختاماً لا بدّ من إيضاح أن طبيعة البحوث وأوراق العمل المقدمة إلى المؤتمرات العلمية تقتضي التركيز والاختصار، وهذا ما راعيته من عدم الإكثار من إيراد النصوص والشواهد والأمثلة التطبيقية في كل مبحث، وأملي أن أرجيء في معالجة ودراسة كل مقياس من مقاييس نقد المتون في أبحاث قادمة -إن شاء الله-، واللهَ أسأل التوفيق والسداد على بلوغ الصواب والمراد.

خطة البحث:

ويشتمل البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة.

الفصل الأول: منهج الشيخ ناصر الدين الألباني في نقد المتون في السلسلة الضعيفة.

المبحث الأول: منهج الشيخ الألباني في نقد المتون.

المبحث الثاني: بعض النماذج لتضعيف الحديث بسبب نقد المتون.

المطلب الأول: نقده للحديث المخالف للقرآن الكريم

المطلب الثاني: نقده للحديث المخالف للسنة النبوية.

المطلب الثالث: نقده للحديث المخالف للوقائع التاريخية.

المطلب الرابع: نقده للحديث بسبب سماجة الحديث وركاكة اللفظ وبعد معناه.

المطلب الخامس: نقد للحديث بسبب أنه ليس من كلام النبوة.

المطلب السادس: نقده للحديث بسبب أن لوائح الوضع والنكارة عليه ظاهرة.

الفصل الثاني: مخالفة الحديث للأصول الشرعية والقواعد المقررة في السلسلة الضعيفة.

المبحث الأول: التعريف بالأصول الشرعية .

المبحث الثاني: الأصول الشرعية مقياسا في نقد المتون الحديثية عند المحدثين.

المبحث الثالث: نماذج من الأحاديث التي حكم الشيخ الألباني بتضعيفه بسبب مخالفتها للأصول الشرعية.

الخاتمة وفيها نتائج البحث وتوصياته. ثم مصادر البحث ومراجعه.

الفصل الأول

منهج الشيخ ناصر الدين الألباني في نقد المتون في السلسلة الضعيفة

المبحث الأول: منهج الشيخ الألباني في نقد المتون.

الشيخ الألباني كغيره من علماء الحديث المجتهدين، فمن أمعن النظر في كتابه السلسلة الضعيفة يجد أن الشيخ ناصرا-رحمه الله- كان في أحكامه على الحديث تضعيفا يرتكز على الجانبين على السند والمتن معا، وإن كان الغالب في أحكامه هو الكلام على السّند، لوجود رواة مجرحين من قبل علماء الجرح والتعديل، ويتضح ذلك في كلامه في بيان منهج المحدثين في الحكم على الحديث في أنهم ينظرون في جانبي السند والمتن معا، وذلك في أكثر من موضع منها:

قوله "إنّ المحققين من العلماء قديما وحديثا لا يكتفون حين الطعن في الحديث على جرحه من جهة الإسناد فقط، بل كثيرا ما ينظرون إلى متنه أيضا؛ فإذا وجدوه غير متلائم مع نصوص الشريعة أو قواعدها، لم يترددوا في الحكم عليها بالوضع، وإن كان السند وحده لا يقضي بذلك"[١].

وقال أيضا في موضع آخر:

"لا يلزم من سلامة إسناده من متهم أن لا يكون المتن موضوعاً؛ فكم من أحاديث حكم عليها العلماء بالوضع وليس فيها متهم، ومن أقرب الأمثلة على ذلك الحديث الذي قبله[٢]؛ فإن أكثر طرقه ليس فيها من اتهم، ولكنهم نظروا في متنه وما فيه من النكارة، فحكموا عليه بالبطلان"[٣].

وكذلك في تعقبه على الحافظ السيوطي في ردّه على ابن الجوزي في إيراده حديث متكلم فيه في كتابه الموضوعات فقال:

"وجملة القول أن هذا الإسناد ضعيف لا تقوم به الحجة، وأما المتن فلا أشك في وضعه، ولنعم ما فعل ابن الجوزي في إيراده إياه في الموضوعات، وتعقب السيوطي إياه إنما هو جمود منه على السند دون أن ينعم النظر في المتن وما يحمله من معنى تتنزه الشريعة عنه"[٤].

ومن خلال هذه النصوص يعلم أن منهج الشيخ الألباني في تضعيف الحديث من جهة المتن كان تابعا لأحكام المتقدمين من المحدثين ولم يكن بدعا من العمل.

وسنضرب ببعض المقاييس والمعايير التي سار عليها الشيخ في تطبيقه في كتابه الضعيفة من خلال تعليل الحديث وتضعيفه من جهة المتن.

---

[١] "السلسلة الضعيفة" ٢/ ٨٦.

[٢] بلفظ "لما عرج بي إلى السماء، دخلت جنة عدن، فوقعت في يدي تفاحة، فانفلقت عن حوراء مرضية..." ، "السلسلة الضعيفة" ٢٤٧/٢ حديث رقم ٥٦١٨ .

[٣] "السلسلة الضعيفة" ١٢/ ٢٥٣.

[٤] "السلسلة الضعيفة" ٢/ ١٥٨.

المبحث الثاني: بعض النماذج لتضعيف الحديث بسبب نقد المتون.

تنوّع نقد المتون عند الشيخ الألباني-رحمه الله- وإن كان الأغلب من حكم الشيخ على هذه النماذج كانت من نوع الأحاديث الضعيفة الأسانيد قبل المتون، وهذه بعض الأمثلة والنماذج في ذلك:

المطلب الأول: نقده للحديث المخالف للقرآن الكريم.

مثاله حديث "أولا الزنا يحشرون يوم القيامة على صورة القردة والخنازير".

حكم عليه الشيخ بأنه :"منكر"، وبعد أن ذكر ما في إسناده من ضعف. قال:

"والحديث عندي ظاهره النكارة، مخالف لأصل إسلامي عظيم، وهو قول الله -تبارك وتعالى- "ولا تزر وازرة وزر أخرى"[١] فما ذنب أولاد الزنا حتى يحشروا على صورة القردة والخنازير، ورحم الله من قال:

غيري جنى وأنا المعذب فيكم   فكأنني سبابة المتندم[٢].

ومثال آخر هو حديث: "الإيمان مثبت في القلب كالجبال الرواسي، وزيادته ونقصه كفر".

حكم الشيخ على الحديث بالوضع، وقال في آخر بحثه:

"وهذا الحديث مخالف للآيات الكثيرة المصرحة بزيادة الإيمان، كقوله تعالى"...ليزداد الذين آمنوا إيمانا..."[٣] فكفى بهذا دليلا على بطلان مثل هذا الحديث، وإن قال بمعناه جماعة"[٤].

المطلب الثاني: نقده للحديث المخالف للسنة النبوية.

مثاله حديث "كان لا يمسّ من وجهي شيئا وأنا صائمة".

قال عنه: "منكر"، وقال أن فيه مخالفتان في السند والمتن؛ فبعد أن بيّن وجه المخالفة في السند، قال:

"فإننا نقطع بأن هذه الرواية شاذة بل منكرة لمخالفتها للحديث الثابت بالسند الصحيح عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبلها وهما صائمان[٥].

ومثال آخر هو حديث "إن الرزق لا تنقصه المعصية، ولا تزيده الحسنة، وترك الدعاء معصية". حكم عليه الشيخ بالوضع، وقال في أثناء كلامه :

"ثم إن مما يدل على بطلان الحديث قوله صلى الله عليه وسلم:"من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه" رواه الشيخان وغيرهما، وهو مخرج في "صحيح أبي داود"، فهذا يدل على أن الحسنة سبب في زيادة الرزق، كما أنها سبب في إطالة العمر"[٦].

---

[١] فاطر :١٨.

[٢] "السلسلة الضعيفة" ٢/ ٢٦٨ رقم ٨٧٧.

[٣] الفتح: ٤.

[٤] "السلسلة الضعيفة" ١/ ٦٧٨ حديث رقم ٤٦٤، وانظر أيضا: ٢/ ١٥٥ حديث رقم ٧٢٣، ٣/ ٢٧٣ حديث رقم ١١٣٥، ٣/ ٤٨٢ حديث رقم ١٣١٦، ١١/ حديث رقم ٥٢٤٩، ١٣/ حديث رقم ٦٤٩٧.

[٥] "السلسلة الضعيفة" ٢/ ٣٥٧، رقم ٩٥٨.

[٦] "السلسلة الضعيفة" ١/ ٣٣١ حديث رقم ١٨١، وانظر أيضا: ١/ ٥٤٠ حديث رقم ٣٦٣، ٢/ ٤٠ حديث رقم ٥٦٦، ٢/ ١٤٨ حديث رقم ٧٠٩، ٣/ ٢٢٣ حديث رقم ١١٠٣، ٤/ ١٩٨ حديث رقم ١٧٠٧، وغيرها كثير.

المطلب الثالث: نقده للحديث المخالف للوقائع التاريخية.

مثاله حديث "كما تكونوا يول عليكم".

حكم الشيخ عليه بقوله"ضعيف"، وقال بعد بيان ضعف إسناده، "ثم إن الحديث معناه غير صحيح على إطلاقه عندي، فقد حدثنا التاريخ تولي رجل صالح عقب أمير غير صالح، والشعب هو هو"[1].

ومثال آخر هو حديث "سيدرك رجلان من أمتي عيسى ابن مريم، ويشهدان قتال الدجال". حكم عليه الشيخ بالضعف، وقال :"والواقع أكبر شاهد على بطلان هذا الحديث"[2].

المطلب الرابع: نقده للحديث بسبب سماجة الحديث وركاكة اللفظ وبعد معناه.

مثاله حديث "أربع لا وعد فيهم: ننظر وعسى ويقضي الله وما شاء الله".

حكم عليه الشيخ بلفظ "موضوع" وذكر أن سكوت بعض أهل العلم عليها غير حسن، ثم قال: "فإنه ظاهر الوضع ركيك اللفظ"، ونقل قول ابن الجوزي: "ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول؛ فاعلم أنه موضوع، قال ومعنى مناقضته للأصول: أن يكون خارجا عن دواوين الإسلام من المسانيد والكتب المشهورة"[3].

ومثال آخر هو: "دعوني من السودان، إنما الأسود لبطنه وفرجه". وتكلّم الشيخ على ما في إسناده من علل وضعف، ثم قال:" وجملة القول أن هذا الإسناد ضعيف لا تقوم به الحجة، وأما المتن فلا أشكّ في وضعه، ولنعم ما فعل ابن الجوزي في إيراده إياه في الموضوعات، وتعقب السيوطي إياه إنما هو جمود منه على السند دون أن ينعم النظر في المتن وما يحمله من معنى تتنزه الشريعة عنه، إذ كيف يعقل أن تذمّ هذه الشريعة العادلة أمة السودان بحذافيرها وفيهم الأتقياء الصالحون العفيفون كما في سائر الأمم"

ثم ذكر قول ابن القيم في الأمور الكلية التي يعرف بها الحديث موضوعا ومنها ركاكة ألفاظ الحديث وسماجتها بحيث يمجها السمع ويسمج معناها الفطن. وذكر أحاديث عدة هذا آخرها[4].

المطلب الخامس: نقد للحديث بسبب أنه ليس من كلام النبوة.

من المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق لغة وبيانا، فصاحة ولسانا، فإذا جاء حديث لا يشبه كلام انبي صلى الله عليه وسلم وبعيد المعنى، وكونه لا يصدر عنه لسخفه أو تفاهته أو كان مما ينزه الرسول صلى الله عليه وسلم التلفظ به؛ حكمنا على الحديث بالوضع، مثاله حديث "همة العلماء الرعاية، وهمة السفهاء الرواية".

[1] "السلسلة الضعيفة" ١/ ٤٩١، رقم ٣٢٠.

[2] "السلسلة الضعيفة" ٨/ ١٩٤ حديث رقم ٣٧١٦. وانظر أيضا: ١/ حديث رقم ٢٩٣، ١/ ٥٦٨ حديث رقم ٣٩١، ٩/ ١٥٧ حديث رقم ٤١٤١، ١١/ ٤٧ حديث رقم ٥٠٢٧.

[3] "السلسلة الضعيفة" ١٢/ ٣٣٣، رقم ٥٦٤٧.

[4] "السلسلة الضعيفة" ٢/ ١٥٨ حديث رقم ٧٢٧، وانظر أيضا: ٢/ ١٨٧ حديث رقم ٧٦٦، ١٣/ حديث رقم ٦١٢٦.

حكم الشيخ عليه بأنه :"موضوع" وبين سبب ذلك الحكم، ثم قال آخرا: "بل إنّ رفعه باطل عندي، ليس عليه نور النبوة"[1]، ومثال آخر هو حديث "لو أن بكاء داود وبكاء جميع أهل الأرض يعدل ببكاء آدم ما عدله"[2].

المطلب السادس: نقده للحديث بسبب أن لوائح الوضع والنكارة عليه ظاهرة.

مثاله حديث: "يبعث الله الأنبياء على الدواب، ويبعث الله صالحا على ناقته، كما يوافي بالمؤمنين من أصحابه بالمحشر، ويبعث ابني فاطمة: الحسن والحسين على ناقتهما، وعلي بن أبي طالب على ناقتي، وأنا على البراق ..."، قال الشيخ "موضوع" ثم بيّن ما في إسناده من علل وما له من طرق أخرى، ثم عقّب بقوله: "لكن كلها من رواية الكذابين فلا يستشهد بها، ولا يخرج الحديث من كونه موضوعا، لا سيما ولوائح الوضع عليه ظاهرة"[3].

ومثال آخر هو حديث"سارعوا إلى تعليم العلم والسنة والقرآن، واقتبسوهن من صادق، من قبل أن يخرج أقوام في أمتي من بعدي يدعونكم إلى تأسيس البدعة والضلالة، فوالذي نفسي بيده لباب من العلم من صادق خير لكم من الذهب والفضة تنفقونها في سبيل الله بغير هدى من الله..."[4].

وهناك مقاييس أخرى في نقد متون الأحاديث لم أجد من قبله من أهل العلم –حسب اطلاعي– من تكلّم عليه وضمّنه من مقاييس نقد المتون، وتفرّد بها الشيخ الألباني –رحمه الله– ومنها:

(أ)–مخالفة الحديث الضعيف حديثا آخرا ضعيفا.

مثاله حديث "نزل آدم بالهند واستوحش، فنزل جبريل، فنادى بالأذان: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله (مرتين)، أشهد أن محمدا رسول الله (مرتين) قال آدم: من محمد؟ قال: آخر ولدك من الأنبياء"، حكم عليه الشيخ الألباني بأنه :ضعيف، ثم ذكر تخريجه وعلته، وقال: "وهذا الحديث مع ضعفه أقوى من الحديث المتقدم بلفظ: "لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارب! أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم! وكيق عرفت محمدا ولم أخلقه بعد؟..."

وقال الشيخ بعدها: "وهو صريح في أنّ آدم عليه السلام كان يعرف النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الجنة قبل هبوطه إلى الأرض، وهذا صريح في أنّ آدم عليه السلام لم يعرف محمدا صلى الله عليه وسلم حتى بعد نزوله إلى الأرض، ولذلك سأل جبريل: ومن محمد؟ فهذا من أدلة بطلان ذلك الحديث... وأنا لا أجيز لنفسي

---

[1] "السلسلة الضعيفة" ٥/ ٢٨٩، رقم ٢٢٦٣.

[2] "السلسلة الضعيفة" ٢/ ٢٠٢ حديث رقم ٧٨٥، وانظر أيضا: ٣/ ٥٩٢ حديث رقم ١٤٠١، ٥/ ٢٨٩ حديث رقم ٢٢٦٣، ١٣/ حديث رقم ٦٤٤٥.

[3] "السلسلة الضعيفة" ٢/ ١٩٢، رقم ٧٧١.

[4] "السلسلة الضعيفة" ٢/ ٣٣٧، حديث رقم ٩٣٣. وانظر أيضا: ٢/ ٦٩ حديث رقم ٦٠٣، ٢/ ١٨٩ حديث رقم ٧٧٠، ٣/ ١٩٣ حديث رقم ١٠٧٨، ٥/ ٢٢٦ حديث رقم ٢٢٠٠، ٦/ ٥٥ حديث رقم ٢٤٨٣، ٧/ ٢٤١ حديث رقم ٣٢٤٧، ٨/ ٢١٢ حديث رقم ٣٧٣٥ وغيرها.

الاحتجاج بمثل هذا الحديث، كما هو ظاهر، ولكن التحقيق العلمي يسمح بردّ الحديث الواهي بالحديث الضعيف ما دام ضعفه أقل منه، كما لا يخفى على من مارس هذا العلم الشريف"[1].

(ب)-مخالفة الحديث بما ليس عليه عمل السلف الصالح.

مثاله "تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الطلاق يهتز له العرش" قال الشيخ الألباني: موضوع، وبعد بيان تخريجه وسبب الوضع، قال: "وكيف لا يكون هذا الحديث موضوعا، وقد طلّق جماعة من السلف، بل صحّ أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق زوجته حفصة بنت عمر رضي الله عنهما"[2].

ومثال آخر عند ردّه لحديث "من ولد له ثلاثة، فلم يسمّ أحدهم محمدا؛ فقد جهل" قال: "ولكن قد يحيط بالحديث الضعيف ما يجعله في حكم الموضوع، مثلك أن لا يجري العمل عليه من السلف الصالح، وهذا الحديث من هذا القبيل، فإننا نعلم كثيرا من الصحابة كان له ثلاثة أولاد وأكثر، ولم يسمّ أحدا منهم محمدا، مثل عمر بن الخطاب وغيره"[3].

(ج)-مخالفة الحديث لرواية الإمام نفسه في كتابه.

مثل حديث: "كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة، ثم لا يعود"، قال الشيخ الألباني: "باطل موضوع، ونقل إسناده بأنه مروي عن الإمام مالك من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-. وردّ على الحافظ مغلطاي على قوله "لابأس بسنده"؛ فقال: "ولا أدري كيف يقول ذلك مثل هذا الحافظ مع اشتهار الحديث في الصحيحين والسنن الأربعة والمسانيد عن مالك بإسناده المذكور عن ابن عمر برفع اليدين في الركوع أيضا...ولو لم يكن ثمة دليل على بطلان الحديث إلا وروده في كتاب الإمام مالك "الموطأ" على خلاف هذا اللفظ لكفى، فكيف وقد رواه جمع كثير من المصنفين والرواة عن مالك على خلافه؟[4].

(د)- نقده للحديث بسبب مخالفته الحقائق العلمية.

مثاله حديث "أول الأرضين خرابا، يسراها ثم يمناها"، قال الشيخ عنه :"ضعيف" وذكر سبب الضعف من ناحية الإسناد، وقال بعده: "ثم إن ظاهر الحديث منكر عندي، لأن الأرض كروية قطعا، كما تدل عليه الحقائق العلمية، ولا تخالف الأدلة الشرعية، خلافا لمن يماري في ذلك، وإن كان الأمر كذلك، فأين يمنى الأرض ويسراها؟! فهما أمران نسبيان كالشرق والغرب تماما"[5].

---

[1] "السلسلة الضعيفة" ١/ ٥٧٩-٥٨٠. وانظر أيضا: ٢/ ٦٨٧ .

[2] المصدر السابق، ١/ ٢٧٩.

[3] المصدر السابق ١/ ٦٢٩.

[4] "السلسلة الضعيفة" ٢/ ٢٤٧.

[5] "السلسلة الضعيفة" ٤/ ١٥٨، رقم ١٦٥٩.

الفصل الثاني

مخالفة الحديث للأصول الشرعية والقواعد المقررة في السلسسة الضعيفة

المبحث الأول: التعريف بالأصول الشرعية.

الأصول جمع أصل؛ من معانيه: الأصل: أسفل الشيء؛ يقال: قعد في أصل الجبل، وأصل الحائط، وقلع أصل الشجر، ثم كثُر، حتى قيل: أصل كل شيء: ما يستند وجود ذلك الشيء إليه. وهو ما يُبنى عليه غيره[1]، نحو قوله تعالى:"ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء"[2].

أما الأصول الشرعية في الاصطلاح: فهي القواعد الكلية المأخوذة عن النصوص الشرعية، والمتفقة مع روح الدّين ومقاصده العامة[3].

فالمطّلع على مجموع أدلة الشّارع يظهر له أنها جاءت لرعاية أهداف ومقاصد معينة، وهي ما يعرف بالحفاظ على الضروريات الخمس: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال. وقد عهد من الشارع مراعاة هذه المقاصد، ويمكن اعتبار كل مقصد منها أصلا من أصول الشرع.

وهناك أصول ومقاصد أخرى جاءت في الكتاب أو السنة مما استنبطه أهل العلم منهما بالنظر في مجموعهما، مثل ليس للإنسان إلا ما سعى، رفع الحرج والمشقة، دفع الضرر، تحصيل المصالح، سدّ الذرائع، الإحسان إلى الغير، حبّ الخير للناس، محاربة الظلم والبغي والعدوان والفساد، البعد عن الشّر والخبث وسفاسف الأمور، التيسير والتسهيل، معاملة الغير بالعدل والإحسان، وغيرها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها"[4].

المبحث الثاني: الأصول الشرعية مقياسا في نقد المتون الحديثية عند المحدثين.

الأصول الشرعية حقيقة مقرّرة مستنبطة من نصوص الآيات القرآنية، أو الأحاديث النبوية الشريفة، أو من مجموع دلالاتهما، وبناء على ذلك، لا يتصور وجود تعارض بين الحديث والأصل الشرعي.

بيّن الحافظ الناقد ابن الجوزي في اعتبار مقياس مخالفة الحديث للمعقول أنه يُردّ الحديث وإن رواه الثقات، لأن الأصول الشرعية لا تخالف العقول، وقال:

"لأن المستحيل لو صدر عن الثقات ردّ، ونسب إليهم الخطأ، ألا ترى أنه لو اجتمع خلق من الثقات؛ فأخبروا أن الجمل قد دخل في سمّ الخياط، لما نفعتنا ثقتهم، ولا أثرت في خبرهم، لأنهم أخبروا بمستحيل، فكل حديث رأيته يخالف المعقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع، فلا تتكلف اعتباره"[1].

---

[1] الزبيدي، مادة (أصل). تاج العروس. ٢٧/ ٤٤٧. (لسان العرب) لابن منظور، ص ٨٩. طبعة دار المعارف، القاهرة.

[2] إبراهيم : ٢٤.

[3] "مقاييس نقد متون السنة" الدكتور مسفر الدميني، ص ٤٥٧.

[4] "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" ١٣/ ٩٦، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن القاسم، دار العربية، بيروت، طبعة ١٩٧٨.

وقال الإمام الشاطبي ما نصّه: "الأدلة الشرعية لا تخالف قضايا العقول"[2]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة، بل المنقول لا يعارضه معقول صريح قط"[3].

وقال الدكتور مسفر الدميني في ذلك : "مخالفة الحديث للأصول الشرعية والقواعد المقررة، أو المفاهيم والتصورات التي عهد من الشارع الاعتناء بها وتثبيتها في نفوس الناس دليل على عدم صحته، وبالتالي نفي نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الاتفاق بين أصول الشريعة وقواعدها وأحكامها هو الأمر الذي لا يمكن أن تشوبه شائبة ولا ينقضه خبر مهما بلغ إسناده من الصحة"[4].

فالأصول الشرعية مقياس مهم من مقاييس نقد المتن عند المحدثين، ومعيار من المعايير التي استخدمها المحدثون في هذا الشأن، فإذا جاء الحديث الثابت موافقا لتلك الأصول ومتفقا معها كان ذلك تأكيدا لصحته، أما إذا عارض تلك الأصول والقواعد؛ فينبغي عندئذ العمل على الجمع والتوفيق بينهما ما أمكن، فإن لم يمكن الجمع بينهما أدى ذلك إلى الحكم بوجود علة ما في الحديث، وترتب على ذلك عدم قبوله وردّه.

فمخالفة الحديث ومعارضته للأصول الشرعية والقواعد المقررة المعلومة من الدين بالضرورة سبب مشروع للتوقّف فيه، ووجد من خلال عمل المحدثين أنهم قد نقدوا متون الأحاديث لمعارضتها الأصول الشرعية. كما مرّ مع عائشة رضي الله عنها في تراجعاتها واستفساراتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن الأمثلة أيضا حديث: "لا يدخل الجنة ولد زنى ولا ولده ولا ولد ولده" فهو مخالف لأصل شرعي هو أنّ الإنسان مسؤؤل عن نفسه، وعدم محاسبته عما اقترف غيره من معاصي وذنوب، فلذلك حكم عليه ابن الجوزي بالوضع وقال: "ثم أي ذنب لولد الزنى حتى يمنعه من دخول الجنة، فهذه الأحاديث تخالف الأصول، وأعظمها قوله تعالى"ولا تزر وازرة وزر أخرى"[5]"[6].

ومثال آخر حديث "من صلى الضحى يوم الجمعة أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بالحمد عشر مرات، وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات...فمن صلى هذه الصلاة وقال هذا القول على ما وصف دفع الله عنه شر الليل والنهار...والذي بعثني بالحق إن له من الثواب كثواب إبراهيم وموسى ويحي وعيسى، ولا يقطع له طريق، ولا يسرق له متاع"[7]. قال ابن الجوزي عنه:

[1] "الموضوعات من الأحاديث المرفوعات" عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ١/ ١٥٠-١٥١. تحقيق الدكتور نور الدين بويا جيلار، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

[2] إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى : ٧٩٠هـ)،"الموافقات" المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ٣/ ٣.

[3] "درء تعارض العقل و النقل" ١٤٧/١. تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

[4] "مقاييس نقد متون السنة" الدكتور مسفر الدميني، ص ٢٠٧.

[5] الإسراء : ١٥.

[6] "الموضوعات" ٣/ ٣٣٠.

[7] "الموضوعات" لابن الجوزي ٢/ ٤١٦.

"وهذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا بارك الله فيمن وضعه، فما أبرد هذا الوضع! وما أسمجه! كيف يحسن أن يقال من صلى ركعتين فله ثواب موسى وعيسى؟"[1].

فهذه المجازفات لا يمكن قبولها ولا تصديقها، فاشتمال الحديث على إفراط في الثواب العظيم على الفعل الصغير، والمبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقير دليل على وضع الحديث؛ لأنها مخالفة لأصل شرعي وهو الاعتدال في الأجر والثواب، وأن الأجر على قدر المشقة.

ومن المعاصرين؛ نذكر الدكتور مسفر الدميني في كتابه "مقاييس نقد متون السنة" الذي خصّ هذا المقياس في مبحث مستقل، ونذكر أيضا الدكتور محمد الصباغ حين تكلمه عن علامات الوضع في المتن؛ فقال:

"مخالفته لمقصد من مقاصد الشريعة، أو هدف من أهدافها، أو قاعدة من قواعدها، مثل "خيركم بعد المئتين من لا زوجة له ولا ولد"؛ فحفظ النسل مقصد من مقاصد الشريعة"[2].

وكذا الدكتور مبارك الدعيلج في كتابه "الوضع في الحديث" فقد أشار إليها تحت نقطة مخالفة الحديث للعقل الصريح والحسّ المشاهد، فقال:

"أو أن يكون الحديث مخالفا للقواعد العامة في الحكم والأخلاق مثل ما يروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "جور الترك ولا عدل العرب"، فالحكمة والمنطق السليم والعقل الراجح تقضي بأن الجور مذموم مهما كان مصدره، والعدل محمود مهما كان منبعه"[3].

وأما عند المصنفات الأخرى فلم يجعلوه أمراً مستقلا؛ مثل كتاب (منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي) للدكتور صلاح الدين الأدلبي، و(جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف) للدكتور محمد طاهر الجوابي، وكتاب (اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا) للدكتور محمد لقمان السلفي.

والشيخ الألباني –رحمه الله– سار على نفس خطى الأئمة من نقد المتون وتضعيف الحديث بسبب مخالفته الأصول الشرعية، والمبحث الآتي يوضح ذلك.

المبحث الثالث: نماذج من الأحاديث المخالفة للأصول الشرعية، وحكم الشيخ الألباني عليها.

وسنرى في هذا المقياس أن كثيرا من الأصول الشرعية التي ردّ الشيخ الألباني بسببها بعض الأحاديث مرجعها إلى الآية أو الحديث، لكن النظر إليها هنا من زاوية أخرى من حيث التقسيم الفني للبحث من أنه يقيسه من زاوية مخالفة الحديث لأصل شرعي ثم يرجع هذا الأصل إلى حقيقته إما إلى آية من كتاب الله أو حديث نبوي؛ لأن المقاصد والأصول الشرعية هو مما جاءت في الكتاب أو السنة أو مما استنبطه أهل العلم منهما بالنظر في مجموعهما.

وكان الشيخ الألباني في عمله في ردّ الحديث لمخالفته الأصول الشرعية على التالي:

١–مخالفة الأصل الشرعي في أنّ الإنسان مسؤول عن نفسه، وأنه لا يحاسب على ذنب غيره.

---

[1] المصدر السابق ٢/ ٤١٦. .

[2] محمد الصباغ، الحديث النبوي، مصطلحه، بلاغته، كتبه، ط٤، (بيروت; دمشق: المكتب الاسلامى, ١٩٨١م)، ص ٣٢٧.

[3] "الوضع في الحديث" ص ٢٣٧. الدكتور مبارك بن محمد الدعيلج، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م. دون دار نشر.

ومن الأمثلة على ذلك الأحاديث الواردة في عقوبة الزنا والزاني وأنّ آثاره تتعدى إلى أهله وجوبا، وهي كثيرة جاءت بألفاظ مختلفة منها:

حديث "ما زنى عبد قط فأدمن على الزنا إلا ابتلي في أهل بيته". قال الشيخ الألباني : موضوع. ومما قاله في بطلانه :

"ومما يؤيد بطلان هذا الحديث أنه يؤكد وقوع الزنى في أهل الزاني، وهذا باطل يتنافى مع الأصل المقرر في القرآن "وأن ليس للإنسان إلا ما سعى"[١].

قال الدكتور مسفر الدميني معلقا على الحديث: "وهذا الحديث يخالف تلك القاعدة أيضا؛ فليس بالضرورة أن يصل الزنى إلى أهل بيت الرجل عقابا له، ففي ذلك تعدي للعقاب إلى من لم يذنب وهي الزوجة"[٢].

وحديث "أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة على صورة القردة والخنازير"، حكم عليه الشيخ الألباني بأنه :"منكر"، وبعد أن ذكر ما في إسناده من ضعف، قال: "والحديث عندي ظاهره النكارة، مخالف لأصل إسلامي عظيم، وهو قول الله -تبارك وتعالى- "ولا تزر وازرة وزر أخرى"[٣] فما ذنب أولاد الزنا حتى يحشروا على صورة القردة والخنازير"[٤].

وحديث "لا يدخل ولد الزنا الجنة، ولا شيء من نسله، إلى سبعة أباء". قال الشيخ الألباني: باطل. ونقل مما نقل قول ابن الجوزي بعد سياقه لطرق الحديث وأنها كلها معلولة: "إنّ هذه الأحاديث مخالفة للأصول، وأعظمها قوله تعالى"ولا تزر وازرة وزر أخرى"[٥]، وقد مضى سابقا حكم الحافظ ابن الجوزي على مثل هذه الأحاديث، وقوله: "ثم أي ذنب لولد الزنى حتى يمنعه من دخول الجنة، فهذه الأحاديث تخالف الأصول، وأعظمها قوله تعالى"ولا تزر وازرة وزر أخرى"[٦]"[٧].

٢-مخالفة الأصل الشرعي في أنّ الإيمان بالله و العمل الصالح؛ هو المقياس الحقيقي لقرب الإنسان وبعده عنه، فلا عصبية لون ولا جنس ولا صنعة ولا نسب.

كحديث"اشتروا الرقيق وشاركوهم في أرزاقهم يعني كسبهم، وإياكم والزنج؛ فإنهم قصيرة أعمارهم، قليلة أرزاقهم". قال الشيخ الألباني: موضوع. ثمّ بيّن حال إسناده بأنه مظلم، وقال عن متنه: "وأما متنه فإني أرى عليه لوائح الوضع ظاهرة، فإن قصر الأعمار وقلة الأرزاق لا علاقة لها بالأمم، فمن أخذ منهم بأسباب طول العمر وكثرة الرزق التي جعلها الله تبارك وتعالى أسباباً طال عمره، وكثر رزقه، والعكس بالعكس، وسواء كانت هذه الأسباب طبيعية أو شرعية، أما الطبيعية فهي معروفة، وأما الشرعية فمثل قوله صلى الله عليه وسلم:"من أحب أن ينسأ له في

---

[١] "السلسلة الضعيفة" ٢/ ١٥٥.

[٢] "مقاييس نقد متون السنة" ص ٢٠٨.

[٣] فاطر :١٨.

[٤] "السلسلة الضعيفة" ٢/ ٢٦٨ رقم ٨٧٧.

[٥] المصدر السابق ٣/ ٤٤٩.

[٦] الإسراء : ١٥.

[٧] "الموضوعات" ٣/ ٣٣٠. تحقيق الدكتور نور الدين بويا جيلار، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

أجله، ويوسع له في رزقه؛ فليصل رحمه" رواه البخاري، وقوله "حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويطيلان الأعمار" رواه أحمد وغيره، وهو مخرج في الصحيحة....

فليس من المعقول أن يحكم الشارع الحكيم على أمة كالزنج بالفقر ويطبعهم بطابع قصر العمر، مع أنهم بشر مثلنا وهو يقول"إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، وخلاصة القول: إنّ هذا الحديث موضوع متناً لعدم اتفاقه مع القواعد الشرعية العادلة التي لا تفرّق بين أمة وأمة أو قوم وقوم"[1].

وحديث: "دعوني من السودان، إنما الأسود لبطنه وفرجه" قال الشيخ الألباني: موضوع.

وهذا الذمّ العام لأمة من الأمم مخالف لذلك الأصل الشرعي في استحالة ذم الشارع الحكيم على أمة خاصة، وعلق الشيخ الألباني بعد بيان ضعف إسناده بقوله: "وأما المتن فلا أشك في وضعه، ولنعم ما فعل ابن الجوزي في إيراده إيّاه في الموضوعات، وتعقب السيوطي إياه إنما هو جمود منه على السند دون أن ينعم النظر في المتن وما يحمله من معنى تتنزه الشريعة عنه، إذ كيف يعقل أن تذمّ هذه الشريعة العادلة أمة السودان بحذافيرها وفيهم الأتقياء الصالحون العفيفون كما في سائر الأمم، وليت شعري ما يكون موقف من كان غير مسلم من السودان إذ بلغه هذا الذم العام لبني جنسه من شريعة الإسلام؟ "[2]، ثم ذكر قول ابن القيم الآتي ذكره، وإقرار الشيخ ملا علي القاري عليها، ثم جاء بنقل عن ابن القيم أيضا في صدد التنبيه على أمور كلية يعرف بها كون الحديث موضوعا قال: ومنها ركاكة ألفاظ الحديث وسماجتها بحيث يمجها السمع ويسمج معناها الفطن" وذكر أحاديث عدة هذا آخرها، وقد قال ابن القيم: "أحاديث ذم الحبشة والسودان كلها كذب"، وأقرّه الشيخ ملا علي القاري في موضوعاته[3].

وحديث: "إذا ذلّت العرب، ذلّ الإسلام" قال الشيخ الألباني: موضوع، ثم أتى على تخريجه، فجاء بنصّ من كتاب ابن أبي حاتم في العلل أنه سأل أباه عن الحديث، فقال: هذا حديث باطل، ليس له أصل، ثم بيّن الشيخ الألباني أن له علتان، ثم قال: "ولولا أنّ في معناه ما يدل على بطلانه لاقتصرنا على تضعيفه، ذلك لأن الإسلام لا يرتبط عزّه بالعرب فقط، بل قد يعزّه بغيرهم من المؤمنين؛ كما وقع ذلك زمن الدولة العثمانية، ولا سيما في أوائل أمرها، فقد أعزّ الله بهم الإسلام، حتى امتد سلطانه إلى أواسط أوروبا"[4]، وأيضا حكم عليه بالوضع في كتابه الآخر "ضعيف الجامع الصغير وزيادته"[5].

٣-مخالفة الأصل الشرعي في أن الجزاء إنما يكون على الكسب والعمل، لا على حسان الوجوه.

---

[1] "السلسلة الضعيفة" ٢/ ١٥٦.

[2] "السلسلة الضعيفة" ٢/ ١٥٨.

[3] "الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة" ملا علي القاري ص ٤٤٢. حققه وعلق عليه محمد لطفي الصباغ، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

[4] "السلسلة الضعيفة" ١/ ٣٠٢.

[5] "ضعيف الجامع الصغير وزيادته" ص ٧١، رقم ٤٩٥. المكتب الإسلامي، بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

كحديث: "إن الله تعالى لا يعذّب حسان الوجوه، سود الحدق" قال الشيخ الألباني: موضوع، وقال بعد بيان ضعف سنده بنقله عن ابن عراق: "قلت: ولست أشكّ في بطلان هذا الحديث؛ لأنه يتعارض مع ما ورد في الشريعة، من أنّ الجزاء إنما يكون على الكسب والعمل؛ "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره"[١]، لا على ما لا صنع ولا يد للإنسان فيه، كالحسن والقبح"[٢]، قال ابن القيم بعد إيراده بعض الأحاديث التي فيها ذكر حسان الوجوه: "وكل حديث فيه ذكر حسان الوجوه، أو الثناء عليهم، أو الأمر بالنظر إليهم، أو التماس الحوائج منهم، أو أن النار لا تمسّهم: فكذب مختلق، وإفك مفترى"[٣].

٤-مخالفة الأصل الشرعي في أن الإسلام يدعو إلى معالي الأمور، والبعد عن سفاسفها.

كحديث "كن ذنباً، ولا تكن رأساً" قال الشيخ الألباني: لا أصل له فيما أعلم، ونقل كلام السخاوي بأنه من كلام إبراهيم بن أدهم، وقال: "وهو كلام يمجّه ذوقي، ولا يشهد لصحته قلبي، بل هو مباين لما نفهمه من الشريعة، وحضها على معالي الأمور، والأخذ بالعزائم، فتأمل"[٤].

قال الشيخ علي القاري: "هو من كلام إبراهيم بن أدهم"[٥]. وقال الشيخ: أبي المحاسن القاوقجي في كتابه "اللؤلؤ المرصوع":"ليس بحديث"[٦].

٥-مخالفة الأصل الشرعي في أنّ الإسلام يدعو إلى إحسان الظنّ بالناس، وأنّ بعض الظنّ إثم.

كحديث "من حسّن ظنّه بالناس كثرت ندامته" قال الشيخ الألباني: "باطل،...وهذا الحديث مع ضعف سنده؛ فإنه باطل عندي؛ لأنه يتضمّن الحضّ على إساءة الظن بالناس، وهذا خلاف المقرر في الشرع أنّ الأصل إحسان الظنّ بهم"[٧]، ذكر الشوكاني أنه مروي عن ابن عباس وقال بعدها: "وروي أيضا مرسلا مرفوعا وكلها ضعيفة"[٨].

٦-مخالفة الأصل الشرعي في أن الشريعة أعطت الثواب والجزاء على قدر العمل.

كحديث "من أصبح يوم الجمعة صائما، وعاد مريضا، وأطعم مسكينا، وشيّع جنازة، لم يتبعه ذنب أربعين سنة" قال الشيخ الألباني: موضوع. ثم بعد أن بيّن سبب الجرح وعلته بأن في إسناده رواة ضعفاء مجروحون، وجاء بقول ابن الجوزي بأنه موضوع، ثم قال: "ثم إنّ المحققين من العلماء قديما وحديثا لا يكتفون حين الطعن في

---

[١] الزلزلة: ٧-٨.

[٢] السلسلة الضعيفة، ١/ ٢٥٥-٢٥٦.

[٣] "المنار المنيف" ص ٥٥.

[٤] السلسلة الضعيفة" ، ١/ ٤٧٦.

[٥] "الأسرار المرفوعة" ص ٢٧٠ رقم الحديث ٣٥٤. وانظر "الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث" أحمد بن عبد الكريم الغزي، تحقيق فواز زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م. ص ١٧٦ رقم ٣٦٤.

[٦] "اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع" ص ١٤٣، رقم ٤١٧، تحقيق:فواز زمرلي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

[٧] السلسلة الضعيفة"، ٣/ ٢٩٣.

[٨] "الفوائد المجموعة" ص ٢٣٣.

الحديث الضعيف سنده على جرحه من جهة إسناده فقط، بل كثيرا ما ينظرون إلى متنه أيضا؛ فإذا وجدوه غير متلائم مع نصوص الشريعة أو قواعدها؛ لم يترددوا في الحكم عليه بالوضع، وإن كان السند وحده لا يقتضي ذلك كهذا الحديث، فإن فيه أن فعل هذه الأمور المستحبة في يوم الجمعة سبب في أن لا يسجل عليه ذنب أربعين سنة! وهذا شيء غريب لا مثيل له في الأحاديث الصحيحة فيما أذكر الآن"[١]، وقال الشوكاني:"وهو موضوع، كما قال ابن الجوزي"[٢].

وحديث: "من قرأ "قل هو الله أحد" مئتي مرة، غفرت له ذنوب مئتي سنة" قال الشيخ الألباني: منكر، وبعدأن بيّن أسانيده كلها شديدة الضعف، قال: "على أنّ معناه مستنكر عندي جداً، لما فيه من المبالغة، وإن كان فضل الله تعالى لا حدّ له"[٣].

وحديث: "الصلاة في العمامة تعدل بعشرة آلاف حسنة" قال الشيخ الألباني: موضوع. و نقل أقوال أهل العلم في هذا الحديث ومنهم الإمام السيوطي بأن في إسناده متهم، وتبعه ابن عرّاق، ونقل عن السخاوي قول الحافظ ابن حجر بأنه موضوع، ثم قال: "ولا شكّ عندي في بطلان هذا الحديث، وكذا الحديثين قبله، لأنّ الشارع الحكيم يزن الأمور بالقسطاس المستقيم، فغير معقول أن يجعل أجر الصلاة في العمامة مثل أجر صلاة الجماعة، بل أضعاف أضعافها! مع الفارق الكبير بين حكم العمامة وصلاة الجماعة، فإنّ العمامة غاية ما يمكن أن يقال فيها: إنها مستحبة، والراجح أنها من سنن العادة لا من سنن العبادة، أما صلاة الجماعة؛ فأقل ما قيل فيها: إنها سنة مؤكدة، وقيل: إنها ركن من أركان الصلاة لا تصح إلا بها، والصواب أنها فريضة تصح الصلاة بتركها مع الإثم الشديد؛ فكيف يليق بالحكيم العليم أن يجعل ثوابها مساويا لثواب الصلاة في العمامة، بل دونها بدرجات؟!"[٤].

ونقل الملا علي القاري قول السخاوي بالوضع عن شيخه ابن حجر عن شيخه العراقي طيب الله ثراهم[٥].

ثراهم[٥].

فهذه الأحاديث مخالفة لأصل إسلامي وهو الوسطية والاعتدال في كل حكم من أحكام الشرع ومن ذلك الثواب والعقاب، ولهذا يحكم بوضع كل حديث اشتمل على مجازفات في الثواب على أعمال لا تعدو أن تكون من صغار الحسنات، وأخرى في إثبات العذاب الأليم على أعمال ليست من الكبائر أو المحرمات.

وأمثال هذه الأحاديث التي فيها ثواب كبير على عمل قليل يسير؛ قال عنها ابن القيم: "وأمثال هذه المجازفات الباردة التي لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين: إما أن يكون في غاية الجهل والحمق، وإما أن يكون زنديقا قصد التنقيص بالرسول صلى الله عليه وسلم بإضافة مثل هذه الكلمات إليه"[١].

---

[١] السلسلة الضعيفة"، ٢/ ٨٦.

[٢] "الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة" ص ٣٧٩. طبعة الشيخ عبد الرحمن المعلمي، المكتب الإسلامي.

[٣] السلسلة الضعيفة"، ١/ ٤٦٥.

[٤] المصدر السابق، ١/ ٢٥٣.

[٥] الأسرارالمرفوعة" ص ٢٣٤-٢٣٥. وانظر "المصنوع في معرفة الموضوع" الموضوعات الصغرى للملا علي القاري ص ١١٩. رقم ١٧٧. تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٧-مخالفة الأصل الشرعي في أن تكليف الإنسان يكون بعد البلوغ.

كحديث: "إن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار، يعني: أطفال المشركين" قال الشيخ الألباني: موضوع. ونقل تضعيف شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا الحديث، فقال: "وإنما جزم شيخ الإسلام بوضعه، -وإن كان السند لا يقتضي ذلك-؛ لمنافاة متنه للمقطوع به في الإسلام من الأدلة الكثيرة القاضية بعد التكليف إلا بعد البلوغ، وقيام الحجة، كما في قوله تعالى "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا"[٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم:"رفع القلم عن ثلاث: عن الصبي حتى يبلغ..."الحديث"[٣].

٨-مخالفة الأصل الشرعي في توحيد الله بالعبادة وتنزيهه سبحانه عن أن يشبه أحدا من خلقه.

كحديث: "إن الله عزّ وجلّ يجلس يوم القيامة على القنطرة الوسطى بين الجنة والنار...وذكر حديثا طويلا" قال الشيخ الألباني: منكر، وقال معلقا على تعليل ابن الجوزي للحديث، وإيراده في كتابه الموضوعات: "فالظاهر أنه لاحظ ما في متنه من النكارة، وهي نسبة الجلوس إلى الله تعالى، وبين الجنة والنار!! وهو مما لم يرد في شيء من الأحاديث الصحيحة؛ فمتنه حريّ بالوضع"[٤]، قال الشوكاني:"رواه العقيلي عن أبي أمامة مرفوعا، وفي إسناده: عثمان بن أبي العاتكة ليس بشيء"[٥].

وحديث: "لو اعتقد أحدكم بحجر؛ لنفعه" قال الشيخ الألباني: موضوع، ونقل عن الشيخ علي القاري قول ابن القيم : "هو من كلام عبّاد الأصنام الذي يحسنون ظنهم بالأحجار"[٦]، قال الشيخ الغزي في كتابه "الجد الحثيث في ما ليس بحديث": "كذب لا أصل له، كما قال ابن تيمية وابن حجر وغيرهما"[٧]، وذكره العجلوني في كتابه "كشف الخفاء"[٨] وأتى بحكم ابن تيمية: كذب، وابن حجر: لا أصل له، ونقل كلام ابن القيم الآنف الذكر.

فهذه الأحاديث الدالة على نسبة فعل إلى الله تعالى غير وارد في الأحاديث الصحيحة، أو على الشرك بالله كاعتقاد النفع بالأحجار؛ تصادم العقيدة الإسلامية.

٩-مخالفة الأصل الشرعي في أنّ مجرد الندم من الذنب لا يكفي للنجاة بل لا بدّ من التوبة النصوح.

---

[١] "المنار المنيف في الصحيح والضعيف" ص ٣٦. تحقيق: يحي بن عبد الله الثمالي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ.

[٢] الإسراء: ١٥.

[٣] "السلسلة الضعيفة" ٨/ ٣٦٨.

[٤] المصدر السابق، ١٢/ ٩٥١.

[٥] "الفوائد المجموعة" ص ٣٨٨.

[٦] "السلسلة الضعيفة"، ١/ ٦٤٧.

[٧] ص ١٨٣، رقم ٣٩١.

[٨] "كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس" ٢/ ١٧٧، رقم ٢٠٨٧، تحقيق: يوسف بن محمود الحاج أحمد، مكتبة العلم الحديث. بدون سنة النشر.

كحديث: "من أذنب ذنبا، فعلم أنّ الله قد اطلع عليه، غفر له، وإن لم يستغفر" قال الشيخ الألباني: موضوع، وبعد تخريجه وبيان العلة أنّ في إسناده راوٍ متروك، قال: "ومما يبطل هذه الأحاديث الأربعة[1]، ما تقرّر في الشريعة أنّ النجاة لا تكون بمجرد الندم والعلم أّن الله مطّلع على الذنب، بل لابدّ من التوبة النصوح"[2].

وهذه الأحاديث والنماذج ما هي إلا قطرات قليلة وجزء يسير من عشرات الأحاديث التي تكلم عليها الألباني–رحمه الله– وضعّفها بسبب مخالفتها الأصول الشرعية.

الخاتمة

تبين من خلال البحث ما يأتي:

١. إنّ علماء الحديث قد حكّموا الأحاديث بالنظر إلى الإسناد والمتن معا، وليس صحيحا ما يردده المستشرقون وأذنابهم من أنهم اعتنوا بالإسناد فقط.
٢. أهمية تطبيق مقاييس نقد امتون عند المحدثين في الحكم على الأحاديث.
٣. علو كعب الشيخ الألباني في هذا المضمار، وأنه ممن خاضه بعلم وحرفة على حسب مقتضيات الصناعة الحديثية، ولم يشذّ عن أهل الحديث.
٤. أهمية التمييز بين الأحاديث الضعيفة والموضوعة عن الصحيحة، وبيان خطر آثار الأحاديث الضعيفة والموضوعة السيئة على الأمة الإسلامية.
٥. كان للعناية بمقياس مخالفة الحديث للأصول الشرعية في ردّ و تضعيف الحديث الشريف أثر في بيان أن أهل الحديث لم يغضوا الطرف في الكلام عن المتن وإن كان السند سليما.
٦. الأصل اتفاق الأحاديث النبوية مع الأصول الشرعية والقواعد المقررة الكلية، لأنهما من منبع واحد، ولأن شريعة الله تعالى لا تختلف ولا تتناقض.
٧. كانت عناية الشيخ الألباني بنقد متون الأحاديث وإعماله لتلك القواعد والمقاييس أثر واضح في بعث هذا العلم مرة ثانية في العصر الحاضر، وبناء على ذلك يمكن أن يعد رائدهم وعمدتهم في هذا المجال.
٨. العلاقة الوثيقة بين الإسناد والمتن؛ فكثير من الأحاديث التي انتقدت من جانب المتن كانت في الوقت ذاته منتقدة من جانب الإسناد.

المصادر والمراجع

١. الزبيدي، الحسيني، (تاج العروس)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩١هـ–١٩٧١م.
٢. إبراهيم مصطفى، وآخرون، (المعجم الوسيط)، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.
٣. ابن أبي حاتم، (تقدمة كتاب الجرح والتعديل)، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط.١، ١٣٧١هـ– ١٩٥٢م.
٤. ابن أبي حاتم، (كتاب العلل)، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م، تحقيق بإشراف الدكتور سعد الحميد، بدون دار نشر.
٥. ابن الجوزي، (الموضوعات)، تحقيق الدكتور نور الدين بويا جيلار، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

[1] برقم (٣٢٥–٣٢٤–٣٢٣–٣٢٢). من "السلسلة الضعيفة.

[2] المصدر السابق، ١/ ٤٩٦–٤٩٧.

٦. ابن الصلاح، (مقدمة ابن الصلاح)، تحقيق الدكتور نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٧. ابن القيم الجوزية، (المنار المنيف في الصحيح والضعيف). تحقيق: يحي بن عبد الله الثمالي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ.
٨. ابن تيمية، (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية)، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن القاسم، دار العربية، بيروت، طبعة ١٩٧٨.
٩. ابن تيمية، (درء تعارض العقل و النقل). تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
١٠. ابن دقيق العيد، (الاقتراح في بيان الاصطلاح)، شركة دار المشاريع، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١١. ابن رجب الحنبلي، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد البغدادي (شرح علل الترمذي)، المحقق: د.نور الدين عتر .
١٢. ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (لسان العرب) ، طبعة دار المعارف، القاهرة.
١٣. الأعظمي، الدكتور محمد مصطفى، (منهج النقد عند المحدثين: نشأته وتاريخه)، الرياض، ط.الثانية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
١٤. الألباني، محمد ناصر الدين (ضعيف الجامع الصغير وزيادته) . المكتب الإسلامي، بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٥. الألباني، محمد ناصر الدين (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة) . مكتبة المعارف، الرياض. الطبعة الأولى للطبعة الجديدة،، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٦. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (الجامع الصحيح المختصر)، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير ، اليمامة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.
١٧. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (الجامع في آداب الراوي والسامع)، تحقيق الدكتور محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ نشر.
١٨. الدعيلج، الدكتور مبارك بن محمد (الوضع في الحديث) ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م. دون دار نشر.
١٩. الدميني، الدكتور مسفر (مقاييس نقد متون السنة) ، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، بدون دار نشر.
٢٠. الرامهرمزي، القاضي الحسن بن عبد الرحمن، (المحدث الفاصل بين الراوي والواعي)، تحقيق الدكتور محمد عجاج الخطيب، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ- دار الفكر، بيروت.
٢١. الزركشي، مُحَمَّد بْن بَهَادر بْن عَبْد اللهِ بدر الدّيْن المنهاجي الْمِصْرِيّ الشَّافِعِيّ، (٧٤٥-٧٩٤هـ) (الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة)، تحقيق الدكتور رفعت فوزي، الناشر دار الخانجي بمصر، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٢٢. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (فتح المغيث بشرح ألفية الحديث)، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الكريم الخضير وزميله، دار دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
٢٣. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (المتوفى : ٧٩٠هـ)، (الموافقات) المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٢٤. الشوكاني، محمد بن علي، (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة). طبعة الشيخ عبد الرحمن المعلمي، المكتب الإسلامي
٢٥. الشيخ، أبو الحسن محمد حسن ، (تراجع العلامة الألباني فيما نصّ عليه تصحيحا وتضعيفا) مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٦. الصباغ، د. محمد لطفي، (الحديث النبوي، مصطلحه، بلاغته، كتبه)، ط٤، (بيروت; دمشق: المكتب الاسلامى, ١٩٨١م)،
٢٧. الطرابلسي، محمد بن خليل بن إبراهيم المشيشي، (اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع)، تحقيق:فواز زمرلي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٨. العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي، (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس)، تحقيق: يوسف بن محمود الحاج أحمد، مكتبة العلم الحديث. بدون سنة النشر.
٢٩. العمري، الدكتور أكرم، (منهج النقد عند المحدثين مقارنة بالمنهج النقدي الغربي). مركز الدراسات والإعلام دار أشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٣٠. العمري، الدكتور محمد علي، (دراسات في منهج النقد عند المحدثين)، دار النفائس، الأردن.
٣١. الغزي، أحمد بن عبد الكريم، (الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث)، تحقيق فواز زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٢. فوزي، جيهان رفعت (السيدة عائشة وتوثيقها للسنة)، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٣٣. مسلم، (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (دون طبعة.، دون تاريخ).
٣٤. مسلم، (التمييز) الكتاب مطبوع في آخر كتاب منهج النقد عند المحدثين للدكتور محمد مصطفى الأعظمي.
٣٥. الملا علي القاري، (المصنوع في معرفة الموضوع) الموضوعات الصغرى. تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٣٦. الملا علي القاري، (الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة). حققه وعلق عليه محمد لطفي الصباغ، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٤٠٣ حديث من الجامع الكبير للسيوطي: بصيص إلى شريحة من حصاد جهود الأزهر في تحقيق الكتاب

ثريا أحمد

نور هداية هايري

أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا

ماليزيا

soraya@um.edu.my

المقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا وأتمّ علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديننا، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمّة، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فهذا الكتاب الذي نحن في رحابه هو سفر ضخم جليل القدر يجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من كتب السنة لما تحتويه من الأحاديث المورودة في الكتب الستة، والمسانيد العشرة، وغيرها، وكان جهود المؤلف، الإمام جلال الدين السيوطي تهدف إلى جمع كل ما تصل إليه يده من المرويات وتقصد جمع السنة باستيعاب، ولم يتسن له ذلك لوقوع وفاته رحمه الله قبل أن يتم عمله كما خططه، ومع ذلك يبقى الجامع الكبير هو أجمع كتاب للسنة[١].

وقد قصد الإمام من تأليفه جمع كل ما دوّن من الأحاديث، سواء كانت من كتب السنة أو من غيرها، وجعل له قسمين:

الأول: قسم الأقوال، وهو يحتوي على الأحاديث القولية البحتة، المرتبة على حروف المعجم.

والثاني: قسم الأفعال، وفيه الأحاديث الفعلية المحضة، أو المشتملة على قول وفعل معا من استفتاء الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو استشارتهم له، أو قصص ومواقف التي عاشوها مع النبي صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك، وهذا القسم مرتب على المسانيد[٢].

فبداية اهتمام جامعة الأزهر الشريف بكتاب "الجامع الكبير" تتمثل في طبع الكتاب لأول مرة في عام إحدى وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة (١٣٩١هـ) بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر آنذاك الدكتور عبدالحليم محمود طيب الله ثراه لمجمع البحوث الإسلامية، وأصرّ فضيلة الإمام على المضي في إبراز هذا الكتاب ونشره برغم المعارضات بناء على احتوائه على بعض المناكير مع أن كثيرا من الكتب السنة المعتبرة لا تخلو من هذا العنصر[٣]، ثم واصل قسم الحديث وعلومه بجامعة الأزهر فرع البنات هذه الجهود بتقسيم أحاديث "الجامع الكبير" على الطالبات في مرحلتي الماجستير والدكتوراه ليقمن بتحقيقه، وكانت الباحثة الأولى من ضمن هؤلاء، وشاءت الأقدار أن يكون نصيبها من "الجامع الكبير" مجموعة الأحاديث من مسند علي بن أبي طالب في قسم الأفعال، وهي تحتوي على أربعمائة حديث وثلاثة ، بداية من الحديث عن علي ، قال : "دخل علقمة بن علاثة على النبي صلى الله عليه وسلم فدعا برأس "إلى الحديث" عن سويد بن عفلة، قال دخلتُ على علي بن أبي طالب وهو يأكل...." الحديث، وقامت الباحثة بترقيم الأحاديث التي في حيازتها بداية من الرقم ١ إلى الرقم ٤٠٣.

---

[١] خليفة، محمد رشاد، (١٩٨٣)، مدرسة الحديث في مصر: منذ سقوط بغداد إلى نهاية القرن العاشر الهجري، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ص ٢٤٤-٢٤٥.

[٢] عبد اللطيف، عبد الموجود محمد، (١٩٨٣)، كشف اللثام عن أسرار تخريج حديث سيد الأنام صلى الله عليه وسلم، القاهرة: مكتبة الأزهر ج٢ ص ٢١٠-٢١١.

[٣] خليفة، محمد رشاد: (١٩٨٣) ص٢٤٩.

وتم تحقيق النصوص بمقابلة النسخة المخطوطة بالنسخة المطبوعة، والنسخة المخطوطة المتواجدة تخص هذه المجموعة من الأحاديث هي نسخة وحيدة مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية تحمل رقم ٩٥ وصورت بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، وكانت بخط محمد صابر تابع سيدي سليمان الحضيري الزبيري الصديقي، وقد سجل الناقل في نهاية الجزء بأنه أنهى نسخه في سنة ١١٨٩هـ، وهذه النسخة المصورة من مقتنيات مكتبة المصطفى الكائن في منطقة الدمرداش بالقاهرة، ويشار إليها في الرسالة بالرمز (خ).

وأما النسخة المطبوعة فهي أحاديث الجامع الكبير التي قام بجمعها الأستاذ عباس أحمد صقر والأستاذ أحمد عبد الجواد وسمياها "جامع الأحاديث"، ورتبا أحاديث كل مسند على الأبواب الفقهية، وطبعت هذه النسخة بمطبعة محمد هاشم الكبتي بدمشق سنة ١٩٧٩م، مع الشكر والتقدير لجهدهما، فإن النسخة لم تكن محققة تحقيقاً جيداً، ولم تكن تحتوى على كل أحاديث الأصل، بل معظمها، وهي مشار إليها في الرسالة بالرمز (ط)، وهناك بعض الأحاديث غير المتواجدة في النسخة المطبوعة تمت بمقابلتها باللفظ الذي في "كنز العمال" للمتقي الهندي لكونه مشتملاً على أحاديث السيوطي في "الجامع الكبير"، و"الجامع الصغير"، و"الزوائد على الصغير"،[1] ويرمز إليه بـ"كنز"، وعند استبعاد الباحثة أن يكون اللفظ الذي في كلا المخطوط والمطبوع صحيحاً وهذا يندر جدًا ففي هذه الحالة قامت بتصحيحه من مرجع آخر يحتوي على هذا اللفظ المعنيّ[2].

وعلى الرغم من قيام الباحثة بتحقيق جزء ضئيل من هذا الكتاب العملاق، فإن هذا المجهود قد أتاح لها الوصول إلى بعض الحقائق والتفاصيل الكامنة بين طيات "الجامع الكبير" تضيف إلى الفكرة العامة السائدة لدى الجميع عن هذا الكتاب الجليل، و من أجل إبراز الجوانب الخفية، يفتح هذا البحث منفذاً إلى هذا التراث الجليل حتى يتمكن الجميع من المتخصصين في مجال الحديث وغيرهم من المهتمين بذخائر المخطوطات الإسلامية البصيص إليها من خلاله.

الجامع الكبير: مشروع إعداد الموسوعة للمرويات في الكتب المدوّنة

من المعروف أن كتاب "الجامع الكبير" جاء من شغف السيوطي لجمع السنة باستيعاب، وفي ذلك أشار تلميذٌ للإمام السيوطي، عبد القادر الشاذلي إلى أنه سمع السيوطي رحمه الله يقول "أكثر ما يوجد على وجه الإرض من الإحاديث النبوية القولية والفعلية مائتا ألف حديث ونيف"، فجمع المصنف منها مائة ألف حديث في هذا الكتاب –يعني: الجامع الكبير– واخترمتْه المنية ولم يكملْه[3].

ولم تبلغ أحاديث "الجامع الكبير" هذا العدد المذكور لدى عبد القادر الشاذلي، ولعله أراد أن السيوطي قطع نصف مسيرته في جمع المرويات ولم يتممه بعد أن أعياه الجمع.، فمجموع الأحاديث بين دفتي هذا الكتاب

[1] عبد اللطيف، عبد الموجود محمد: (١٩٨٣) ج١ ص٣١١.

[2] ثريا بنت حاج أحمد بن معصوم، من كتاب الجامع الكبير للسيوطي، الجزء الثاني (تخريجاً وتقويماً وبياناً للغريب من مفردات الأحاديث)، (٢٠٠٢). رسالة الماجستير من قسم الحديث وعلومه، كلية الدراسات العربية والإسلامية، جامعة الأزهر فرع البنات بالقاهرة.

[3] النبهاني، يوسف. (دون تاريخ)، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، القاهرة: مصطفى الحلبي ج١ ص٦.

كما ذكره الدكتور عبد المهدي عبد القادر –وهو من فرسان مجال الحديث في مصر– هو ستة وأربعون ألف حديث وستمائة وأربعة وعشرون حديثاً (٤٦٦٢٤)[1].

وعن هدفه رحمه الله في إنجاز جمع السنة بأكملها فهذا جاء صريحاً في مقدمته للكتاب: "هذا كتاب شريف حافل، ولباب منيف رافل، بجمع الأحاديث النبوية كافل، قصدتُ فيه إلى استيعاب الأحاديث النبوية..."[2].

وحقيقةً كان قد سبقه إلى هذه الفكرة ابن حجر العسقلاني رحمه الله إلا أنه عدل عنها إلى إنجاز مهمة أخرى وهي جمع الأحاديث الزائدة على الكتب المشهورة كما ذكره في مقدمة كتابه: "المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية[3].

وبالنظر إلى ما قام به السيوطي في إعداد هذه الموسوعة الحديثية المسماة ب"الجامع الكبير" فالمقولة الأكثر دقة لهذه الجهود هي أنه رحمه الله كان يقصد جمع كل الأحاديث من الكتب المدونة بغضّ النظر عن كونها مما قال الرسول صلى الله عليه وسلم أو صحابي أو مما تقول عليهما، بدليل أنه أورد كثيرًا من الأحاديث الموضوعة وهو يعلم تمام العلم بوضعه، ومثال على ذلك هو الحديث الثالث والثمانين بعد المائتين (٢٨٣) من مجموعة الأحاديث المحققة التي يدور هذا البحث حولها وهو قوله: "إِنَّ خَلِيْلِى حَدَّثَنِى أَنِّى أُضْرَبُ لِسَبْعِ عَشَرَةٍ تَمْضِى مِنْ رَمَضَانَ ......". وهذا الحديث عزاه السيوطي إلى العقيلي في الضعفاء الكبير وابن الجوزي في العلل المتناهية[4]، وقد علق هو نفسه على الحديث في كتابه اللآلئ المصنوعة بقوله: موضوع[5].

واتظلاقا من هذا النهج الاستيعابي المستمدّ من أقصى ما تصل إليه يد المؤلف من الكتب، فكتاب: "الجامع الكبير" يضم المرويات لها درجات عديدة وأحوال متباينة تشمل ما يصح إنسابه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة؛ وما لا يصح إنسابه؛ كما أنه يشمل جميع الأبواب الفقهية، فالآتي هو الدائرة البيانية توضح درجات الأحاديث المتباينة تخص مجموعة المرويات التي في حيازة الباحثتين مع النسب المئوية لكل شريحة، فالدائرة البيانية توضح النسب المئوية لأحاديث كل الدرجات من مجموعة الأحاديث المعنية في البحث.

---

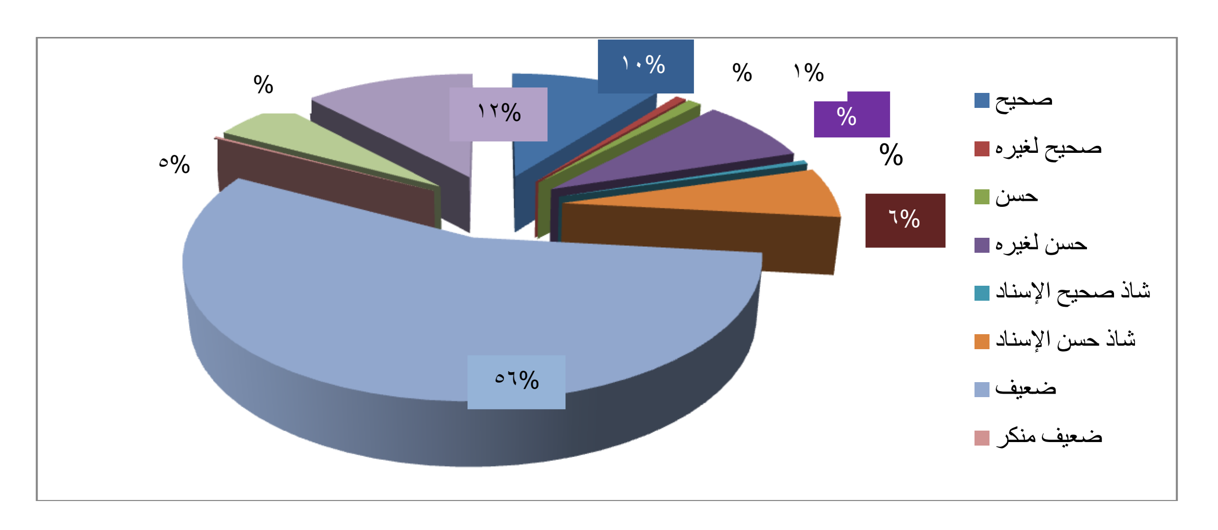
[1] عبد الهادي، عبد المهدي عبد القادر. (١٩٨٧). طرق تخريج حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. القاهرة: دار الاعتصام، ص٥٣.

[2] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٧٤). جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير. القاهرة: المطبعة الأميرية، ص١.

[3] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. (١٩٩٨). المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية. الرياض: دار العاصمة ودار الغيث، ج١ ص٥٥٠.

[4] ثريا بنت حاج أحمد بن معصوم، (٢٠٠٢) ج٢ ص٧١٥ .

[5] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. القاهرة: المكتبة الحسينية ج١ ص٣٧٥.



يتبين من الدائرة البيانية أن الأحاديث الضعيفة تشكل أكثر من نصف مجموعة الأحاديث التي نحن في صددها بنسبتها المائوية ٥٦%، وتليها الأحاديث التي يشار إليها بـ"لا يعرف"بالنسبة ١٢%، وهي من التي لم يتوصل إلى درجاتها بسبب عدم العثور إلى أسانيدها ولم يعلق عليها أحد من نقاد الحديث، ثم تليها في حجم التواجد الأحاديث الصحيحة بالنسبة ١٠%، ودخولاً في التفاصيل فالجدول الآتي يأتي بقائمة من الأبواب الفقهية التي تناولها الأحاديث مع الإشارة إلى انتساب أحاديث كل باب لدرجاتها المتباينة، فالجدول يوضح الدرجات للأحاديث في كل الأبواب بالتفصيل.

باب	الدرجات									
	صحيح	صحيح لغيره	صحيح شاذ	حسن	حسن لغيره	حسن شاذ	ضعيف	ضعيف منكر	موضوع	لا يعرف
الأيمان	–	–	–	١	١	–	٨	–	–	–
العلم	–	–	–	١	–	–	٦	–	١	٢
الطهارة	٢	–	–	٢	٢	–	٦	–	–	–
الوضوء	١	–	–	٤	–	–	–	–	٢	–
الصلاة	٢	١	–	١	٨	–	٢٩	–	١	٤
الجنائز	٢	–	–	–	١	–	٢	–	––	–
الزكاة	–	–	–	–	–	١	–	–	–	–
المناسك والأضاحي	٤	–	–	–	٢	–	٩	–	–	٥
الصيام	–	–	–	١	–	–	٥	–	–	١
البيوع	١	–	–	٣	١	–	٢	–	–	–
الجهاد	١	–	–	–	–	–	١	–	–	–
السير والمغازي	٥	–	٢	٢	–	–	٧	–	١	١
بدء الخلق	–	–	–	١	–	–	٤	–		١
المنلقب والفضائل	٥	–	–	٥	١	–	٥١	–	٩	١٠
التفسير	٤	–	–	٢	١	١	١٠	–	١	7
الأذكار	٢	–	–	١	١	–	١٢	–	٢	٢
الطب	–	–	–	١	–	–	٤	–	–	١
الصيد والذبائح	–	–	–	١	–	–	٣	–	–	١
الأطعمة والأشربة	–	–	–	–	٢	–	٣	–	–	–
اللباس	٣	١	–	–	–	–	٦	١	–	١

النكاح	١	–	–	–	٢	–	٣	–	–	–
الأقضية	٤	–	–	٢	–	–	٦	–	–	١
الحدود	١	١	–	–	–	–	٣	–	–	–
الآداب	٢	–	–	٢	٢	–	٢١	–	٣	٨
الفتن	٣	–	–	٣	١	–	٢٤	–	١	٣
العدد اللإجمالي	**٤٢**	**٣**	**٤**	**٣٢**	**٢٥**	**٢**	**٢٢٥**	**٢**	**٢٢**	**٤٨**

قاعدة حذف الأسانيد في الجامع الكبير لها استثناءاتها

بما أن "الجامع الكبير" من صنف كتب الجوامع التي شقّ الطريق إلى تصنيفها العلماءالمتأخرون فالمرويات وردت بدون أسانيد اكتفاء بذكر الرمز إلى المخرج لأن الغرض من ذكر الأسانيد عند المتقدمين كان لإثبات الحديث[١]. وبالنسبة لقسم الأفعال يكتفي المؤلف غالبا براويه الأعلى فقط عند ذكر الحديث، وقد يستغني عن ذكره مثل ما جاء في الحديث الثاني عشر (١٢) حيث ذُكر مباشرةً ببدايته "إِنَّهُ أُتِيَ بثلاثةٍ اشْتَرَكُوا فِي طُهْرِ امْرأةٍ فَأَقْرَعَ بَيْنَهُم ..."الحديث[٢].

ومع النمط الذي اتخذه المؤلف قاعدة في سرد الأحاديث فهذا لا يمنع وجود الاستثناءات الخارجة عن النهج العام، ومن هذه الاستثناءات ذكر اسم الراوي الأعلى مع اسم التابعي الراوي عنه مثل الذي وجدناه عند ذكره الحديث السابع والثلاثين بعد المائتين (٢٣٧) "عن خالد بن عرعرة قال: قال علي:..." [٣]، ومنها ذكر اسمين في السند مع اسم علي أي اسم تابعي وتابعه كما جاء في الحديث السبعين بعد المائتين (٢٧٠) "عن غزوان بن جرير عن أبيه، عن علي"[٤]، ومنها أيضا ذكر ثلاثة رواة مع اسمه كما جاء في الحديث الثالث والسبعين بعد المائتين (٢٧٣) "عن محمد بن جعفر عن أبيه، عند جده، عن علي[٥].

بل من الاستثناءات الخارجة عن القاعدة ما يتمثل في ذكر الحديث بكامل إسناده وبمعظمه في حالة الرواية من المسلسلات رغبة من المؤلف في الإشارة إلى ما تختص به أسانيد هذه الأحاديث من اللطائف، فالحديث المسلسل هو ما تتابع رجال إسناده واحدا فواحدا على صفة أو حالة واحدة[٦].

فالمثال للأول هو إسناد للحديث الرابع والخمسين بعد المائتين (٣٥٤)، قال الحاكمُ فِي عُلُوْمِ الْحَدِيْثِ: عَدَّهُنَّ فِي يَدَيْ أَبِيْ بَكْرِ بْنِ أَبِي دَارِمِ الحَافِظُ بِالْكُوْفَةِ وَقَالَ لِي: عَدَّهُنَّ فِي يَدِيْ عَلِيٌّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعَجْلِي وَقَالَ لِي: عَدَّهُنَّ فِي يَدِيْ حَرْبُ بْنِ الْحَسَنِ الطَّحَّانِ، وَقَالَ لِي: عَدَّهُنَّ فِي يَدِيْ يَحْيَى بن مُسَاوِرِ الخَيَّاطِ، وَقَالَ لِي: عَدَّهُنَّ فِي يَدِيْ عَمْرُو بْنِ خَالِدٍ، وَقَالَ لِي: عَدَّهُنَّ فِي يَدِيْ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بن الحسين، وَقَالَ لِي: عَدَّهُنَّ فِي يَدِيْ أَبِي،

[١] خليفة، محمد رشاد. (١٩٨٣) ص ٢٤٤.

[٢] ثريا بنت حاج أحمد بن معصوم (٢٠٠٢) ج١ ص٣٥.

[٣] المرجع السابق ج ٢ ص٦٠٠.

[٤] المرجع السابق ج ٢ ص٦٨٨.

[٥] المرجع السابق ج ٢ ص٦٩٤.

[٦] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٧٢). تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. المدينة المنورة: المكتبة العلمية ج٢ ص١٨٧.

عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَقَالَ لِي: عَدَّهُنَّ فِي يَدِيْ أَبِي، الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَقَالَ لِي: عَدَّهُنَّ فِي يَدِيْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَالَ: عَدَّهُنَّ فِي يَدِيْ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "عَدَّهُنَّ فِي يَدِيْ جِبْرِيْلَ، وَقَالَ جِبْرِيْلُ: هَذَا نَزَلَتْ بِهِنَّ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعِزَّةِ: "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ..."الحديث[1].

والمثال للثاني هو إسناد للحديث الأربعين بعد المائتين (٣٤٠)، عَنْ أَبِي الْفَضْلِ بَزِيْعِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ بَزِيْعِ الْبَزَّارِ الْمُقْرِىءِ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلىَ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوْسَى، فَأَخَذَ عَلَيَّ خَمْسًا يَعْتَدُّهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: "حَسْبُكَ"، فَقُلْتُ: زِدْنِي، فَقَالَ: قَرَأْتُ عَلىَ سُلَيْمِ بْنِ عِيْسَى، فَأَخَذَ عَلَيَّ خَمْسًا، ثُمَّ قَالَ: "حَسْبُكَ"، فَقُلْتُ: زِدْنِي، فَقَالَ لِي: "قَرَأْتُ عَلَى حَمْزَةَ بْنِ حَبِيْبٍ الزَّيَّاتِ، فَأَخَذَ عَلَيَّ خَمْسًا، فَقَالَ لِي: "حَسْبُكَ"، فَقُلْتُ: "زِدْنِي"، فَقَالَ لِي: قَرَأْتُ عَلىَ سُلَيْمَانَ، فَأَخَذَ عَلَيَّ خَمْسًا، ثُمَّ قَالَ لِي: حَسْبُكَ، فَقُلْتُ: زِدْنِي، فَقَالَ قَرَأْتُ عَلَى يَحْيَ بْنِ وَثَّابٍ، فَأَخَذَ عَلَيَّ خَمْسًا، ثُمَّ قَالَ لِي: حَسْبُكَ، فَقُلْتُ زِدْنِي، فَقَالَ: إِنِّي قَرَأْتُ عَلَى أَبِيْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُلَمِي، فَأَخَذَ عَلَيَّ خَمْسًا، ثُمَّ قَالَ حَسْبُكَ، فَقُلْتُ: زِدْنِي، فَقَالَ لِي: قَرَأْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَخَذَ عَلَيَّ خَمْسًا، ثُمَّ قَالَ لِي: حَسْبُكَ، فَقُلْتُ: يَا أميرَ المؤمِنِينَ، زِدْنِي، فَقَالَ لِي: حَسْبُكَ، هَكَذَا أُنزِلَ القرآنُ، خَمْساً خَمْساً..."الحديث[2].

منهج المؤلف في تناوله لمتون الحديث:

عند تناول السيوطي لمتون الروايات في "الجامع الكبير" ورد الحديث باللفظ الذي عنده، ولم يلتزم مطابقة لفظه بلفظ المصدر المعزوّ إليه، وأوضح دليل على ذلك أنه كان قد يورد الحديث ذا مصدر واحد فقط لا أكثر بلفظ مغاير بعض الشيء عن لفظ مصدره الأصلي، على سبيل المثال لا الحصر هو الحديث السابع والتسعون (٩٧)، وعزاه إلى حلية الأولياء فقط، ورغم ذلك لا يطابق لفظه لفظ أبي نعيم، فلنقارنْ بين اللفظين:

لفظ السيوطي: عَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِي، قَالَ: قَرَأَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَحِيْفَةً قَدْرَ إِصْبَعٍ فِي قِرَابِ سَيْفِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَإِذَا فِيْهَا: "إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَماً وَأَنَا أُحَرِّمُ الْمَدِينَةَ مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثَاً أَوْ آوَى مُحْدِثاً فَعَلَيهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْنَاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ"[3].

لفظ أبي نعيم: عَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِي، قَالَ: قَرَأَ علينا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَحِيْفَةً قَدْرَ إِصْبَعٍ كانت فِي قِرَابِ سَيْفِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَإِذَا فِيْهَا: "إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَماً وَأَنَا أُحَرِّمُ الْمَدِينَةَ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثَاً أَوْ آوَى مُحْدِثاً فَعَلَيهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْنَاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ"[4].

نجد أن لفظ السيوطي لم يكن نسخة طبق الأصل للفظ المصدر المعزو إليه، بل هو مقارب منه، وطريق تناوله للمتون يعكس انتمائه إلى السواد الأكبر من المحدثين الذين أجازوا الرواية بالمعنى.

---

[1] ثريا بنت حاج أحمد بن معصوم (٢٠٠٢) ج٢ ص٨٩٩.

[2] المرجع السابق ج٢ ص٨٦٠.

[3] المرجع السابق ج٢ ص٢٥٩.

[4] الأصبهاني، أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق. (١٣٥٧ هـ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. بيروت: دار الكتب العلمية ج٤ ص١٦٥.

ومن أساليبه في تناوله للمتون، إنه أثناء ذكر كلمة من كلمات الحديث كان قد يشير إلى لفظ آخر من رواية أخرى مغاير له إذا لزم الأمر كما فعله عند ذكر الحديث الأربعين بعد المائتين (٢٤٠):

عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ حَدَّثَنِي بِهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "سَأُفَسِّرُهَا لَكَ يَا عَلِيُّ، مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ بَلاءٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ عُقُوبَةٍ، فَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عَلَيْكُم الْعُقُوبَةَ فِي الآخِرَةِ؛ وَمَا عَفَا اللهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا فاللهُ أَحْلَمُ، وفي لفظٍ: أَجَلُّ، مِنْ أَنْ يَعُودَ بَعْدَ عَفْوِهِ[1].

في هذا الحديث أشار السيوطي إلى لفظ آخر لقوله: "أَحْلَمُ" وهو "أَجَلُّ"، وهذا النحو إن دل على سعة معرفته في اختلاف ألفاظ الحديث، فإنه يدل أيضاً على حرصه على الإشارة إلى تباين الألفاظ للقارئ.

قد يتبادر في الأذهان أن أحاديث قسم الأفعال ما هي إلا الروايات الموقوفة على الصحابة أو الناقلة لأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب، وهذه الفكرة مائلة عن الصواب لأن قسم الأفعال من "الجامع الكبير" كما يورد الأحاديث الفعلية المحضة، فهو أيضا يشتمل على الأحاديث المحتوية على قول وفعل معا من استفتاء الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، واستشارتهم له، و قصص ومواقف التي عاشوها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وتضيف إلى هذا التنوع اجتهاداتهم، وأقوالهم، وقصصهم، لذلك فإن الروايات في قسم الأفعال من الممكن أن نصنفها إلى الأخبار وإلى الآثار لاحتوائها على أشكال الروايات من المرفوعة، والموقوفة، والموقوفة لفظاً والمرفوعة حكماً، فمن إجمالي عدد الأحاديث وهو ٤٠٣ حديث، عدد ١٤٨ حديث فقط يُعدّ من الآثار (من الروايات الموقوفة) بمعنى أن الباقي من الأخبار (من الروايات المرفوعة، ومن الموقوفة لفظاً والمرفوعة حكماً) بعدد ٢٥٥ يشكل معظم المرويات[2].

منهجه في العزو إلى المصادر:

مما يجدر بالذكر أن لكتاب الجامع الكبير فضلاً كبيراً في الإشارة إلى كثير من مخطوطات السنة وغيرها ولولاه لما اهتدى الباحثون إلى كثير منها[3]، فقد عزا السيوطي الأحاديث إلى مصادرها، ومنها ما رمز إليها ومنها ما لم يرمز إليها وذكرت بأسمائها، وإيراده للحديث الواحد والعشرين (٢١) الآتي وسرده للمصادر على سبيل المثال لا الحصر هو دليل واضح على انتهاجه المسلكين في هذا الشأن.

عَنْ عَلِيّ، قَالَ: لَمَّا نَحَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بُدْنَهُ فَنَحَرَ ثَلاَثِينَ بِيَدِهِ وأَمَرَني فَنَحَرْتُ سَائِرَهَا" د، ق، وابن أبي الدنيا في الأضاحي[4].

---

[1] ثريا بنت حاج أحمد بن معصوم (٢٠٠٢) ج٢ ص٦١٧.

[2] المرجع السابق ج٢ ص ١٠١٣ – ١٠٢٩.

[3] عبد اللطيف، عبد الموجود محمد. (١٩٨٣). كشف اللثام عن أسرار تخريج حديث سيد الأنام صلى الله عليه وسلم. القاهرة: مكتبة الأزهر ج٢ ص٢٠٩.

[4] ثريا بنت حاج أحمد بن معصوم (٢٠٠٢) ج١ ص٥٨.

نرى هنا المصادر المعزو إليها من الرمزين، (د) يرمز إلى أبي داود في سننه و(ق) يرمز إلى البيهقي في السنن الكبرى بخلاف المصدر الأخير (ابن أبي الدنيا في الأضاحي) الذي لم يتم وضع الرمز له بل ذكره باسمه.

و بما أن تأليف "الجامع الكبير" هو الشروع في إعداد الموسوعة للمرويات كما ذكرنا سابقا، فالسيوطي لم يكتف بجمع المرويات من المصادر الحديثية البحتة فقط كما يتصوره البعض، بل تعدت المصادر في مجالات أخرى منها:

=التفسير، ومنها، تفسير الطبري، وتفسير ابن أبي حاتم.

=علوم القرءان، ويمثله كتاب "فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة" لابن الضريس.

=التراجم، وعلى رأسها "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني.

=مشكل الحديث، من كتاب "مشكل الآثار" للطحاوي.

=غريب الحديث، من كتاب "غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي.

=علوم الحديث، من كتاب "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" للخطيب البغدادي.

=السيرة النبوية، من "دلائل النبوة" للبيهقي.

=العقيدة، من "كتاب الإيمان" لابن أبي شيبة.

=الفقه، من "كتاب الأموال" لأبي عبيد القاسم بن سلام.

=التاريخ، من "أخبار مكة بما جاء فيها من الأثر" للأزرقي[١].

وانتهج السيوطي عند ذكر المصادر المعزوّ إليها الترتيب الزمني، ولم يلتزم بالترتيب حسب الأصحية، ومثال على ذلك كما جاء في ذكره للمصادر تخص الحديث الرابع والعشرين (٢٤)، كتبت المصادر هكذا (العدني"، خ، ق في الدلائل)[٢]، وهو بذلك قد قدم ذكر "العدني" على الرمز "خ" للبخاري في صحيحه متماشياً مه نهج الترتيب الزمني، لأن العدني أقدم من البخاري.

ومن أسلوب السيوطي في العزو أنه كان يذكر الحديث مما أخرجه الشيخان في صحيحيهما أو أحدهما، ومع ذلك لم يعزُ إليهما أو أحدهما واكتفى بالعزو إلى مصدر آخر كما ورد العزو للحديث الرابع والخمسين (٥٤) بذكر الرمز "ع" فقط مع كون الحديث وارد في صحيح البخاري وصحيح مسلم[٣]، ولعله تعمد ذلك لاشتهار وجوده فيهما، وأراد أن يشير إلى مصادر أخرى غيرهما، وأنه كان قد يعزو إلى مصدر أقل شهرة مع أنه من أحاديث الكتب التسعة، كما جاء في الحديث الثاني والخمسين بعد المائتين (٢٥٢)، عزاه إلى الدورقي مع وروده في مسند أحمد بن حنبل[٤]، ولعله بذلك قصد الإشارة إلى وروده في مؤلفات أخرى أقل تداولاً تشجيعًا للباحثين على الاطلاع أكثر وأوسع.

---

[١] المرجع نفسه: (٢٠٠٢) ج٢ ص١٠٧١ – ١٠٧٢، ١٠٨٢ - ١٠٩٤.

[٢] المرجع نفسه: (٢٠٠٢) ج١ ص٧٠.

[٣] المرجع نفسه: (٢٠٠٢) ج١ ص١٥.

[٤]المرجع نفسه: (٢٠٠٢) ج٢ ص٦٤٨ .

إن السيوطي في بعض الأحيان أشار إلى الزيادة على لفظ حديث المتن في مصدر من المصادر المعزوّ إليها كما في الحديث الحادي والعشرون (٢١)، بعد عزوه إلى ابن أبي الدنيا في الأضاحي، قال بعده "وزاد، وقال: اقسم لحومَها بين الناس جلالها وجلودها، ولا تعطِ جازر منها شيئا"[١].

الإشارة إلى درجات الحديث:

لقد سبق الخوض داخل أساليب السيوطي في حذف الأسانيد، وذكر المتون، والعزو إلى المصادر، ولا يبقى بعد ذلك إلا الدخول في أسلوبه إزاء الإشارة إلى درجات الحديث، وقبل إلقاء النظر على طريقته في الإشارة إلى درجات الحديث، يجدر الانتباه إلى الهيكل العام الذي وضعه لهذه المهمة بأن يرمز لأحاديث مجموعة من الكتب منها الصحيحين؛ ويعرّف بالضعف لمجموعة من الكتب منها الضعفاء الكبير للعقيلي والكامل لابن عدي، أما ما عدا ذلك فقد بينه[٢] في كثير من الأحيان، وفي أسلوبه لبيان ذلك، نستطيع أن نقسمه إلى ثلاثة:

١) ذكر تعليق العلماء على سند الحديث أثناء العزو مثل ما جاء في الحديث الثامن والأربعين بعد المائتين (٢٤٨) بعد عزوه إلى الرمز "ع"، وذكر "قال البوصيري": رواته ثقات".[٣]
٢) الإتيان بتعليقه كما جاء في الحديث السادس (٦) حيث قال بعد العزو "والحديث عندي حسن لطرقه"[٤].
٣) ذكر التعليق من مصنف المصدر المعزو إليه كما في الحديث التاسع والخمسين بعد المائتين (٢٥٩) بعد العزو إلى الرمز "ق" وهو السنن الكبرى للبيهقي، فنقل مقولته: "عاصم ليس بالقوي"[٥].

وعن أسلوبه هكذا في تحديد الدرجات للأحاديث دون دراسة الإسناد يُبدي الدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف استغرابه لهذا التساهل باستثناء الصحيحين، ولكنه التمس له العذر لضخامة العمل الذي أقبل عليه وهو تدوين السنة بأسرها[٦].

الخاتمة:

هذه المعلومات التي توصلنا إليها بعد تفحص النظر في الشريحة القليلة من "الجامع الكبير" هي حصاد محاولة التعمق في معرفة أساليب السيوطي في تأليف الكتاب من جمع المواد، وتناوله للنصوص وترتيبها، وعزوها إلى المصادر الأصلية، ومحاولته الإشارة إلى درجات بعض الأحاديث، وفي إبراز الكوامن التي التقطناها من خلال دراستنا لهذه الجموعة من الأحاديث، لم نضع جانباً ذكر الانطباعات عن حصيلة جهود السيوطي، ومن أجل ذلك فحصنا المرويات من حيث الموضوعات أو الأبواب الفقهية التي تتعلق بها؛ ومن حيث درجاتها من القبول أو الرد، إتماماً لهذا

[١] المرجع نفسه: (٢٠٠٢) ج١ ص٥٨ .
[٢] عبد اللطيف، عبد الموجود محمد. (١٩٨٣) ج ٢ ص ٢١٤.
[٣] ثريا بنت حاج أحمد بن معصوم (٢٠٠٢) ج٢ ص١٠٧١ – ١٠٧٢، ١٠٨٢ - ١٠٩٤ .
[٤] المرجع نفسه: ج ١ ص ١٨.
[٥] المرجع نفسه: ج ٢ ص ٦٦٣.
[٦] عبد اللطيف، عبد الموجود محمد. (١٩٨٣) ج ٢ ص ٢١٣.

الأمر قمنا بعمل الإحصاءات لنرى حجم مساحة كل باب من الأبواب الفقهية من رحاب هذه المجموعة، وليصل إلى أي مدي تسع هذه الشريحة من مسند علي لنسبة كل درجة من درجات القبول أو الرد من المرويات.

ربما هذه المجموعة من الأحاديث ليست في استطاعتها أن تكون صورة مصغَّرة مطابقة تماما لكتاب "الجامع الكبير" ككل، ولكننا على يقين أن المعلومات التي توصلنا إليها تعكس معظم الحقائق التي يحتويها هذا الكتاب الجليل. فهذا الجزء الضئيل ما هو إلا منه، طرأ عليه في الغالب نفس الأسلوب والنهج الذي اتخذه المؤلف من بداية الكتاب إلى نهايته.

كان الشيخ عبد الحليم محمود، الإمام الأكبر الأسبق لجامعة الأزهر على صواب حين قرر تسليط الضوء على هذه الموسوعة الحديثية. وتأييدا لمضيه على ذلك تعاون بقية المشائخ في تحقيق أمنيته على قدم وساق واستمروا على ذلك رغم رحيله رحمه الله منذ العقود. ومن خلال هذا المشروع الضخم، تدربت الباحثات في هذه الجامعة العريقة على عمل التحقيق وبرعن فيه لتخرج هذه الجهود إلى النور، وحقيقة: إن المحققين بحكم قربهم للمخطوطات التي بين أيديهم فهم أكثر الناس إدراكاً لقيمتها، وأشدهم حرصاً على نشر الفوائد والمعارف منها.

ونرجو من الله تعالى التوفيق لنا في مواصلة الغوص والبحث عن مزيد من العلوم الدينية التي منها علم الحديث بكل فروعه، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

المراجع

١. الأصبهاني، أبز نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد (١٩٣٦) *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢. –ثريا بنت حاج أحمد بن معصوم، *من كتاب الجامع الكبير للسيوطى – الجزء الثانى (تخريجاً وتقويماً وبياناً للغريب من مفردات الأحاديث)*. (٢٠٠٢). رسالة الماجستير من قسم الحديث وعلومه، كلية الدراسات العربية والإسلامية، جامعة الأزهر فرع البنات بالقاهرة.

٣. –خليفة، محمد رشاد. (١٩٨٣). *مدرسة الحديث في مصر: منذ سقوط بغداد إلى نهاية القرن العاشر الهجري*. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

٤. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. *اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة*. القاهرة: المكتبة الحسينية.

٥. ـــــــــ (١٩٧٢). *تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي*. المدينة المنورة: المكتبة العلمية.

٦. ـــــــــ (١٩٧٤). *جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير*. القاهرة: المطبعة الأميرية.

٧. –النبهاني، يوسف. (دون تاريخ). *الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير*. القاهرة: مصطفى الحلبي.

٨. –عبد اللطيف، عبد الموجود محمد (١٩٨٣) *كشف اللثام عن أسرار تخريج حديث سيد الأنام صلى الله عليه وسلم* القاهرة: مكتبة الأزهر.

٩. –عبد الهادي، عبد المهدي عبد القادر. (١٩٨٧). *طرق تخريج حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم*. القاهرة: دار الاعتصام.

١٠. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. (١٩٩٨). *المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية*. الرياض: دار العاصمة ودار الغيث.

أثر اختلاف الأحاديث والآثار في اختلاف فقهاء الأمصار:

قُبْلة الصائم ومباشرته نموذجاً

عثمان بن إبراهيم غرغدو

الجامعة الإسلامية العالمية

ماليزيا

gurgu6@gmail.com

المقدّمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن السنة النبوية الشريفة كلها من مشكاة واحدة، ومصدرها مَن لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى؛ إلاّ أن الناظر فيها يجد فيها بعض الأحاديث التي ظاهرنا التعارض والتناقض، الذان يجب أن يتنَزه عنهما الشرع الإلهي، والمنهج الرباني، وقد انبرى العلماء الجهابذة عبر القرون لحل تلك الإشكالات التي ترد على العامَّة من الناس، والتي قد يتشبث بها أهل الزيغ والإلحاد للطعن في التشريع الإسلامي، والعلماء يختلفون في توجيههم وتأويلهم لتلك النصوص التي ظاهرها التعارض والتضاد، نتيجة لتفاوتهم في جمع النصوص وفهمهم لها[1]، مما نتج عنه اختلافهم في الأحكام الشرعية الفرعية.

ومن تلك الأحاديث والآثار التي ظاهرها التضاد والتعارض ما ورد في قُبلة الصائم ومباشرته[2] لأهله أثناء الصيام، حيث جاءت أحاديث وآثار تدل في ظاهرها على المنع وأخرى تدل بظاهرها على الجواز. ولأجل ذلك حصل الاختلاف بين الفقهاء في إعطاء الحكم الشرعي لقُبلة الصائم ومباشرته، وهذا الذي سيسلط البحث عليه الضوء، ويفصل فيه القول، وذلك تحت ثلاثة مباحث رئيسية:

المبحث الأول: في نماذج من الآحاديث والآثار الواردة في قُبلة الصائم ومباشرته.

المبحث الثاني: في ذكر مذاهب الفقهاء في حكم قبلة الصائم ومباشرته.

المبحث الثالث: في ذكر مذاهب الفقهاء في أثر قُبلة الصائم ومباشرته على الصيام.

المبحث الأول

الآحاديث والآثار الواردة في قُبلة الصائم ومباشرته

هناك أحاديث وآثار كثيرة وردت في قُبلة الصائم ومباشرته، بعضها تدل بظاهرها على منع ذلك، وأخرى تدل على إباحة ذلك، بينما هناك أحاديث وآثار أخرى تبيح ذلك للشيخ وتمنعه على الشاب، ونظراً أن هذا البحث لا يستوعبها جميعاً، فسيكتفي بذكر نماذج منها، وذلك تحت ثلاثة مطالب: المطلب الأول: في نماذج من الأحاديث والآثار الواردة في المنع، والثاني في نماذج من الآحاديث والآثار الواردة في الإباحة، والثالث في نماذج من الأحاديث والآثار الواردة في الإباحة للصائم الشيخ والمنع على الصائم الشاب، وبالله التوفيق.

المطلب الأول: نماذج من الآحاديث والآثار في منع القبلة والمباشرة على الصائم

أولاً: نماذج من الأحاديث

---

١ انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **رفع الملام عن الأئمة الأعلام**، (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٣هـ)، ص٩ – ١٠.

٢ المباشرة هي الملامسة، من لمس بشرة الرجل بشرة المرأة، وقد ترد المباشرة بمعنى الجماع، والمراد هنا هو المعنى الأول. انظر: النووي، يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ)، ج٧، ص٢١٧.

١. سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن القبلة للصائم فقال: "أفطرا جميعاً"[١].

٢. نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل الرجل وهو صائم"[٢].

٣. عن عائشة رضي الله عنها: "كان النبي لا يلمس من وجهي من شيء وأنا صائمة"[٣].

٤. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فرأيته لا ينظرني فقلت: يا رسول الله، ما شأني؟ قال: ألست الذي تقبل وأنت صائم؟ فقلت: والذي بعثك بالحق إني لا أقبل بعد هذا وأنا صائم، فأقربه، ثم قال: نعم"[٤].

ثانياً: نماذج من الآثار:

١. عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينهى عن قبلة الصائم، فقيل له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم، فقال: ومن ذا له من الحفظ والعصمة ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟[٥].

٢. عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان ينهى عن القبلة والمباشرة للصائم[٦].

٣. عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سئل عن القبلة للصائم فقال: يقضي يوماً آخر"[٧].

٤. سعيد بن المسي قال في الرجل يقبل امرأته وهو صائم: ينقض صومه[٨].

٥. إبراهيم: أنه كان يكره أن يقبل الرجل امرأته وهو صائم[١].

---

١ **مسند ابن راهويه**، ج٥، ص١٠٧، رقم: ٢٢١٢، وقال الدارقطني: "لا يثبت هذا، وأبو يزيد الضبي ليس بمعروف **سنن الدار قطني**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص١٨٣، رقم: ٢٢٩٣.

٢ **المعجم الأوسط**، ج٨، ص١٨٢، رقم: ٨٣٣٧. قال الهيثمي: "وفيه الحارث بن نبهان. قال ابن عدي: له أحاديث حسان وهو ممن يكتب حديثه، وضعفه الأئمة" **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج٣، ص٣٨٨، رقم: ٤٩٥٩.

٣ قولها: "لا يلمس": قال شعيب الأرناؤوط: "كذا الأصل (لا يلمس) ولم يتابع المصنف على هذا الحرف، فكل من أخرج هذا الحديث من الأئمة ذكره بلفظ "لا يمتنع"، وهو على النقيض من راوية ابن حبان"، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، ج٨، ص٣١٥، رقم: ٣٥٤٦.

٤ **المصنَّف**، كتاب الصيام، باب من كره القبلة للصائم ولم يرخص فيها، ج٣، ص٦٢، رقم: ٩٥١٦، وقال البيهقي: "تفرد به عمر بن حمزة، فإن صح فعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قوياً مما يتوهم تحريك القبلة شهوته، والله أعلم"، **السنن الكبرى**، ج٤، ص٢٣٢، رقم: ٨٣٤٩.

٥ **المصنف**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٤، ص١٨٢، رقم: ٨٤٠٦، **المصنف**، كتاب الصيام، باب من كره القبلة للصائم ولم يرخص فيها، ج٣، ص٦٠، رقم: ٩٥٠٢، وابن راهويه، **المسند**، ج، ص١٦٤، رقم: ٦٦٣.

٦ **الموطأ**، أبواب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص١٦٨، رقم: ٣٥٣.

٧ **المصنف**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٤، ص١٨٦، رقم: ٧٤٢٦، **المعجم الكبير**، ج٩، ص٣١٤، رقم: ٩٥٩٢، **شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٨٨، رقم: ٣٣٥٩، **المصنف**، كتاب الصيام، باب من كره القبلة للصائم ولم يرخص فيها، ج٣، ص٦١، رقم: ٩٥٠٤. قال البيهقي: وهذا عندنا فيه: إذا قبل فأنزل" **السنن الكبرى**، كتاب الصوم، باب وجوب القضاء على من قبل فأنزل، ج٤، ص٢٣٤، رقم: ٧٨٩٥.

٨ **شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ٨٨، رقم: ٣٣٦٣.

٦. محمد بن الحنفية قال: إنما الصوم من الشهوة، والقبلة من الشهوة[٢].

المطلب الثاني: نماذج من الأحاديث والآثار في إباحة القبلة والمباشرة للصائم

أولاً: نماذج من الأحاديث

١. كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل ويباشر وهو صائم، وكان أملككم لإربه[٣]"[٤].

٢. عمر بن أبي سلمة الحميري رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيقبل الصائم؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سل هذه" (لأم سلمة) فأخبرته: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ذلك"، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له"[٥].

٣. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "هششت[٦] فقبلت وأنا صائم، فقلت: يا رسول الله، صنعت اليوم أمراً عظيماً: قبلتُ وأنا صائم، قال: لو مضمضتَ من الماء وأنت صائم؟ قلت: لا بأس به، قال: فمه"[٧].

٤. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخَّص في القلبة للصائم"[٨].

ثانياً: نماذج من الآثار:

١. عن عائشة بنت طلحة، كانت عند عائشة رضي الله عنها، فدخل عليها زوجها هنالك -وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق- وهو صائم، فقالت له عائشة: ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتقبلها وتلاعبها؟ فقال: أقبلها وأنا صائم؟ قالت: نعم[٩].

---

١ **المصنف**، كتاب الصيام، باب من كره القبلة للصائم ولم يرخص فيها، ج٣، ص٦١، رقم: ٩٥٠٧.

٢ **المصنف**، كتاب الصيام، باب من كره القبلة للصائم ولم يرخص فيها، ج٣، ص٦١، رقم: ٩٥١٧.

٣ يعني أملك لنفسه ولشهوته، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ج٢٤، ص٢٦٦.

٤ **الجامع المختصر الصحيح**، كتاب الصوم، باب المباشرة للصائم، ج٢، ص٦٨٠، رقم: ١٨٢٦، **الجامع الصحيح**، كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة فى الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته، ج، ٣، ص١٣٥، رقم: ٢٦٣٢.

٥ **الجامع الصحيح**، كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة فى الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته، ج٣، ص١٣٦، رقم: ٢٦٤٤.

٦ هششت معناه نشطت وارتحت، **المجموع شرح المهذب**، ج٦، ص٣٢١.

٧ **سنن أبي داود**، كتاب الصوم، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٢٨٤، رقم: ٢٣٨٧. وقال الألباني: إسناده جيد على شرط مسلم، **صحيح سنن أبي داود**، ج٧، ص١٤٧، رقم: ٢٠٦٤.

٨ **صحيح ابن خزيمة**، كتاب الصيام، باب ذكر الدليل على أن القبلة للصائم مباحة لجميع الصوام، ولم تكن خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم، ج٣، ص٢٤٧، رقم: ٢٠٠٥.

٩ **الموطأ**، كتاب الصيام، باب ما جاء في الرخصة في القبلة للصائم، ج١، ص٢٩٢، رقم: ٦٤٤، **شرح مشكل الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٩٥، رقم: ٣٩٩، قال الألباني: "صحيح"، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ص٢١٨، رقم: ٢١٩.

٢. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لا بأس بالقبلة للصائم[١].

٣. عن حكيم بن جابر قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه يباشر امرأته وهو صائم[٢].

٤. سئل أبي هريرة رضي الله عنه عن القبلة للصائم؟ فقال: إني أحب أن أرُفّ[٣] شفتيها وأنا صائم[٤].

٥. سليمان الشيباني قال: سألت عكرمة والشعبي عن القبلة والمباشرة للصائم؟ فرخّصا فيهما[٥].

٦. عن مسروق في القبلة للصائم قال: ما أبالي قبّلتُها، أو قبلتُ يدي[٦].

المطلب الثالث: نماذج من الأحاديث والآثار في إباحة القبلة والمباشرة للصائم الشيخ، ومنعها الشاب

أولاً: نماذج من الأحاديث

١. عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم رخّص في القبلة للشيخ وهو صائم، ونهى عنها الشاب، وقال: "الشيخ يملك إربه، والشاب يفسد صومه"[٧].

٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المباشرة للصائم فرخّص له، وأتاه آخر فسأله فنهاه، فإذا الذي رخص له شيخ، والذي نهاه شاب[٨].

٣. عن عبد الله بن عمرو بن العاصي، رضي الله عنهما، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء شاب فقال: يا رسول الله، أقبّل وأنا صائم؟ قال: "لا"، فجاء شيخ فقال: أقبّل وأنا صائم؟ قال: "نعم"، قال: فنظر بعضنا إلى بعض، فقال رسول الله ﷺ: "قد علمتُ لم نظر بعضكم إلى بعض، إن الشيخ يملك نفسه"[٩].

٤. عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: رُخِّص للكبير الصائم فى المباشرة وكره للشاب[١٠].

ثانياً: نماذج من الآثار

١. سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قبلة الصائم؟ فأرخص فيها للشيخ، وكرهها للشاب[١].

---

١ **المصنف**، كتاب الصيام، باب من رخص في القبلة للصّائم، ج٣، ص٥٩، رقم: ٩٤٨٥.

٢ **شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٩٠، رقم: ٣٣٦٧.

٣ الرَّفّ هو مثل المِصّ والرّشف ونحوه، **غريب الحديث**، ج٤، ص١٨٥.

٤ **المصنف**، كتاب الصيام، باب من رخص في القبلة للصّائم، ج٣، ص٦٠، رقم: ٩٤٩٠.

٥ **المصنف**، كتاب الصيام، باب من رخص في القبلة للصّائم، ج٣، ص٦٠، رقم: ٩٤٩٤.

٦ **المصنف**، كتاب الصيام، باب من رخص في القبلة للصّائم، ج٣، ص٦١، رقم: ٩٥٠١.

٧ **السنن الكبرى**، كتاب الصوم، باب كراهية القبلة لمن حركت القبلة شهوته، ج٤، ص٢٣٢، رقم: ٧٨٧٣. قال الزرقاني عن إسناده: "صحيح"، انظر: **شرح موطأ الإمام مالك**، ج٢، ص٢٢٢.

٨ **سنن أبي داود**، ج٢، ص٢٨٥، رقم: ٢٣٨٩، قال الألباني: إسناده حسن صحيح، **صحيح سنن أبي داود**، ج٧، ص١٤٨، رقم: ٢٠٦٥.

٩ **المسند**، ج٢، ص١٨٥، رقم: ٦٧٣٩، وقال العيني: "وفي إسناده ابن لهيعة مختلف في الاحتجاج به"، **عمدة القاري**، ج١٦، ص٣٧٥، وقال الألباني: "وهذا إسناد جيد؛ لولا سوء حفظ ابن لهيعة، ولكنه شاهد جيد"، **صحيح سنن أبي داود**، ج٧، ص١٤٩.

١٠ **سنن ابن ماجه**،ج١، ص٥٣٩، رقم: ١٦٨٨، وقال الألباني: صحيح، **صحيح سنن ابن ماجه**، ج١، ص٢٨٢، رقم: ١٣٦٩.

٢. سئل ابن عمر، رضي الله عنهما عن قبلة الصائم، فأرخص فيها للشيخ، وكرهها للشاب[٢].

٣. عائشة رضي الله عنها قالت: "ربما قبلني رسول الله صلى الله عليه وسلم وباشرني وهو صائم، وأما أنتم فلا بأس به للشيخ الكبير الضعيف"[٣].

٤. عن مكحول، أنه أتاه رجل شاب، فقال: إني أقبل في شهر رمضان وأنا صائم، فقال: يا بني، أما أنا فأفعل ذلك، وأما أنت فلا تفعله[٤].

المبحث الثاني

مذاهب الفقهاء في حكم القبلة والمباشرة في حق الصائم

للفقهاء في حكم قبلة الصائم ومباشرته ثمانية أقوال:

القول الأول: أنه تحرم القبلة والمباشرة في حق الصائم مطلقاً، وهو قول ابن شبرمة، وينسب لعبد الله بن مسعود[٥]، وسعيد بن المسيب[٦]، ونسبه الطحاوي إلى قوم لم يُسمِّهم[٧]، ومن أدلة هذا القول:

١. قول الله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم اتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ (سورة البقرة: ١٨٧)، ووجه الدلالة: أن الله تعالى أباح بهذه الآية المباشرة والأكل والشرب في ليالي شهر رمضان، فدلت على حرمة هذه الأشياء في النهار[٨]، وأُجيب عن ذلك من وجهين:

---

١ **الموطأ**، كتاب الصيام، باب ما جاء في التشديد في القبلة للصائم، ج١، ص٢٩٣، رقم: ٦٤٨، **المسند**، كتاب الصيام الكبير، ج١، ص١٠٤، رقم: ٤٧٦، **شرح معاني الآثار**، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٩٥، رقم: ٣٣٩٨، **السنن الكبرى**، كتاب الصوم، باب كراهية القبلة لمن حركت القبلة شهوته، ج٤، ص٢٣٢، رقم: ٧٨٧٦، وصف النووي إسناده بالصحة، **المجموع**، ج٦، ص٣٥٤.

٢ **شرح معاني الآثار**، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٨٩، رقم: ٣٣٦٦.

٣ أخرجه الطحاوي من طريق حريث بن عمرو, عن الشعبي, عن مسروق به، **شرح معاني الآثار**، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٩٣، رقم: ٣٣٩٢، قال الألباني: "وحريث هذا أورده ابن أبي حاتم و لم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، بل جاء هذا مرفوعاً من طرق عن النبي صلى الله عليه وسلم، يقوي بعضها بعضاً"، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج١، ص٢١٨، رقم: ٢١٩.

٤ **المصنف**، كتاب الصيام، باب من كره القبلة للصائم ولم يرخص فيها، ج٣، ص٦١، رقم: ٩٥١١.

٥ انظر: **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢، ص٣٢٤.

٦ انظر: **شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٣، ص٤٨.

٧ انظر: **شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٤، ص١٥٦.

٨ انظر : **صحيح ابن خزيمة**، ج٣، ص٢٤٣، رقم: ١٩٩٨.

الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم هو المبين عن الله تعالى، وقد أباح المباشرة نهاراً بفعله وقوله، فدل على أن المراد بالمباشرة في الآية هي الجماع، لا ما دونه من قبلة ونحوها، وغاية ما في الآية أن تكون عامة في كل مباشرة، مخصصة بما وقع منه ﷺ وما أذن به لأمته[1].

الثاني: يقول القرطبي: "لما بيّن سبحانه محظورات الصيام وهي الأكل والشرب والجماع، ولم يذكر المباشرة التي هي اتصال البشرة بالبشرة كالقبلة والجسة وغيرها، دل ذلك على صحة صوم من قبل وباشر، لأن فحوى الكلام إنما يدل على تحريم ما أباحه الليل وهو الأشياء الثلاثة، ولا دلالة فيه على غيرها بل هو موقوف على الدليل"[2].

٢. ما سبق من حديث: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل الرجل وهو صائم"، والنهي يقتضي التحريم[3]، وردّ بأن هذا الحديث ضعيف، لأنه من طريق الحارث بن نبهان، تفرد به[4]، وأقل أحواله أنه ضعيف[5].

٣. حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه السابق، قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فرأيته لا ينظرني فقلت: يا رسول الله, ما شأني؟ قال: ألست الذي تقبل وأنت صائم؟ فقلت: والذي بعثك بالحق إني لا أقبل بعد هذا وأنا صائم, فأقربه, ثم قال: نعم"[6]، ووجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تغير على عمر بسبب تقبيله وهو صائم، ولما رجع عمر عن ذلك أقره عليه، وهذا يدل على أن ما كان يفعله كان شيئاً محرماً[7]، ونوقش من ثلاثة أوجه:

الأول: أن الشرائع لا تؤخذ بالمنامات، لا سيما وقد أفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر في اليقظة حياً بإباحة القبلة للصائم، فمن الباطل أن ينسخ ذلك في المنام ميتاً[8].

الثاني: أن عمر بن حمزة –أحد رجال الأثر– لا شيء[9].

الثالث: على فرض قبوله فإنه يمكن أن يكون عمر ممن تحرك القبلة شهوته، فنهي عن ذلك[10].

---

١ انظر: **فتح الباري**، ج٤، ص١٥٠، **المحلى**، ج٦، ص٢٠٨، **سبل السلام شرح بلوغ المرام**، ج٢، ص١٥٧.

٢ **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢، ص٣٢٣.

٣ انظر: **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل**، ج٤، ص٢٤٥.

٤ **المعجم الأوسط**، ج٨، ص١٨١.

٥ قال ابن أبي حاتم: "سمعت أبي يقول: الحارث بن نبهان متروك الحديث، ضعيف الحديث، منكر الحديث. وقال البخاري: "منكر الحديث. انظر: **الجرح والتعديل**، ج٣، ص٩٢، **التاريخ الكبير**، ج٢، ص٢٨٤.

٦ سبق تخريجه.

٧ انظر: **شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٨٨، رقم: ٣٣٥٨.

٨ **المحلى**، ج٦، ص٢٠٩.

٩ **المحلى**، ج٦، ص٢٠٩.

١٠ انظر: **السنن الكبرى**، كتاب الصوم، باب كراهية القبلة لمن حركت القبلة شهوته، ج٤، ص٢٣٢، رقم: ١٨٨١.

القول الثاني: أنه تكره القبلة والمباشرة في حق الصائم مطلقاً، وهو قول ابن عمر، ويروى عن علي بن أبي طالب وابن عباس، وعروة بن الزبير، وشريح، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن المسيب وغيرهم[1]، وهو المشهور عند المالكية، ورواية عن الإمام أحمد[2]، ويحتجون بأدلة، منها:

١. ما سبق من الأحاديث والآثار وغيرها، في منع القبلة والمباشرة للصائم، فيرون أنها تفيد الكراهة، وليست الحرمة، لورود أحاديث أخرى في إباحة ذلك، وهذا جمع بين الأدلة[3].

٢. ما سبق من حديث عائشة رضي الله عنها، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل ويباشر وهو صائم، وكان أملككم لإربه"[4]، ووجه الدلالة: أن كلام عائشة رضي الله عنها يعني أنه ينبغي لكم الاحتراز عن القبلة، ولا تتوهموا من أنفسكم أنكم مثل النبي صلى الله عليه وسلم في استباحتها, لأنه صلى الله عليه وسلم يملك نفسه, ويأمن من الوقوع فيما يفسد صومه بسبب القبلة والمباشرة,، وأنتم لا تأمنون ذلك، فطريقكم الانكفاف عنها[5]، ورُدّ بأن مراد عائشة رضي الله عنها بهذا الكلام (وكان أملككم لإربه): أن من يملك نفسه منكم، فلا بأس بالقبلة والمباشرة في حقه أيضاً، وإلا فلا[6].

٣. ما روي عن ابن أبي مريم أنه سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهون الصائم عن القبلة، ويقولون: إنها تجرُّ إلى ما هو أكبر منها[7]، وأجيب عنه: بأنه ليس فيه ما يدل على الكراهة من وجهين:

الأول: أن سبب نهي الصحابة عن القبلة للصائم مذكور في الأثر نفسه، وهو خشية الوقوع فيما يفسد الصوم من جماع ونحوه بسبب القبلة[8].

الثاني: أن مما يدل على أن الحديث ليس المقصود منه كراهة القبلة بإطلاق، إفتاء النبي صلى الله عليه وسلم لغير واحد من الصحابة بجوازها لهم[9].

---

١ انظر: **المصنف**، كتاب الصيام، باب من كره القبلة للصائم ولم يرخص فيها، ج٣، ص٦١، رقم: ٩٥٠٧، **التمهيد**، ج٥، ص١١٠، **المحلى**، ج٦، ص٢١٠.

٢ انظر: **حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني**، ج١، ص٥٧٧، **الكافي في فقه ابن حنبل**، ج١، ص٣٦٠، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج٤، ص١٥٠.

٣ انظر: **تهذيب سنن أبي داود**، ج٧، ص٣٤٧.

٤ سبق تخريجه.

٥ انظر: **المنتقى شرح الموطأ**، ج٢، ص٤٧، **شرح صحيح مسلم**، ج٧، ص٢١٦ - ٢١٧، **سبل السلام**، ج٢، ص١٥٧، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ج٧، ص ٨.

٦ انظر: **شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٩٣، رقم:٣٣٩٥، **الحاوي الكبير**، ج٣، ص٩٥٥، **فتح الباري**، ج٤، ص١٥١.

٧ **شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٩٥، رقم: ٣٤٠١.

٨ انظر: **التمهيد**، ج٥، ص١١٢.

٩ انظر: **شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٩٣ - ٩٤.

القول الثالث: أنه تباح القبلة والمباشرة في حق الصائم مطلقاً، وهو مروي عن علي، وأبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، وابن عباس، وعائشة، وأم سلمة، وحفصة، وأبي سعيد الخدري، وغيرهم من الصحابة ﷺ، وبه قال عطاء وعكرمة والشعبي، والحسن، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وغيرهم من التابعين[1]، وهو قول أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وداود الظاهري[2]، واستدلوا على مذهبهم بعدد من الأدلة، من أهمها ما يأتي:

١- ما سبق من الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل ويباشر وهو صائم[3]، ووجه الدلالة: أن الأصل في أفعاله صلى الله عليه وسلم تشريع لأمته يقتدى به فيه، ما لم يأت الدليل المخصص، ولا يوجد[4]، ورُدّ ورُدّ بأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان يقبل ويباشر وهو صائم لأنه كان يملك نفسه ويأمن من أن تنجر به القبلة أوالمباشرة إلى ما يفسد صومه، ولذلك جاء في تمام حديث عائشة رضي الله عنها أنه كان أملككم بإربه، وهذا يدل على أنه لا يُعَمّم الحكم غيره ﷺ[5].

٢. ما سبق أيضاً من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "هششت فقبّلت وأنا صائم، فقلت: يا رسول الله، صنعت اليوم أمراً عظيماً: قبلتُ وأنا صائم. قال: لو مضمضتَ من الماء وأنت صائم؟ قلت: لا بأس به. قال: فمه"[6]، ووجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه القُبلة بالمضمضة، والمضمضة مباحة في حق الصائم[7]، ورُدّ بأن هذا الحديث في صحته نظر، حيث ضعفه أحمد وقال: هذا ريح ليس من هذا شيء، وأنكره وأنكره النسائي، وكذلك ضعفه داود وابن حزم[8]، قال ابن عبد الهادي: "وإنما ضعَّف الإمام أحمد هذا الحديث وأنكره النَّسائيّ مع أن رواته صادقون، لأن الثابت عن عمر خِلافه[9].

وأُجيب بأن هذا الحديث صحيح، صحّحه ابن خزيمة وابن حبَّان والحاكم والطحاوي وابن عبد البر، وغيرهم[10]. أما ما ثبت عن عمر من نهيه عن القبلة للصائم، فقد حمله ابن عبد البرِّ على التنزيه، فقال: "لا أرى

---

١ انظر: **المصنف**، كتاب الصيام، باب من رخص في القبلة للصّائم، ج٣، ص٥٩ - ٦١، و**شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٩٠ - ٩٥، و**فتح الباري**، ج٤، ص١٥٠.

٢ انظر: **فتح الباري**، ج٤، ص١٥٠، و**التمهيد**، ج٥، ص١١٤.

٣ انظر هذه الأحاديث في المبحث الأول من هذا البحث.

٤ **طرح التثريب شرح التقريب**، ج٤، ص١٣٨.

٥ انظر: **شرح صحيح البخاري لابن البطال**، ج٤، ص٥٢، و**فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج١، ص٤١٦.

٦ سبق تخريجه.

٧ انظر: **الشرح الكبير**، ج٣، ص٣٩، و**شرح الموطأ**، ج٢، ص٢٢١.

٨ انظر: **الشرح الكبير**، ج٣، ص٣٩، و**تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق**، ج٣، ص٢٣٤ - ٢٣٧، و**المبدع**، ج٢، ص٤٢٧، و**كشاف القناع**، ج٢، ص٣١٩.

٩ **تنقيح التحقيق**، ج٣، ص٢٣٤ - ٢٣٧.

١٠ انظر: **عمدة القاري**، ج١٦، ص٣٧٤، و**شرح الموطأ**، ج٢، ص٢٢١، و**تنقيح التحقيق**، ج٣، ص٢٣٤ - ٢٣٧، و**الجامع لأحكام الصيام**، ج١، ص٢٥٦.

معنى حديث ابن المسيَّب في هذا الباب عن عمر إلا تنَزّهاً واحتياطاً منه، لأنه قد روي فيه عن عمر حديثٌ مرفوع، ولا يجوز أن يكون عند عمر حديث ويخالفه إلى غيره"[1].

القول الرابع: أنه تستحب القبلة والمباشرة في حق الصائم مطلقاً (أي سواء من شيخ أو شاب، صاحبها إنزال أو لا)، وإليه ذهب ابن حزم الظاهري[2]، وأدلة هذا القول:

يستدل ابن حزم على ما ذهب إليه بأمور، منها الأحاديث الواردة في أن النبي ﷺ كان يقبل ويباشر وهو صائم[3]، مع قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (سورة الأحزاب: ٢١). وأنه صلى الله عليه وسلم أفتى غيره بجواز ذلك، ووجه الدلالة:

١. أن الآية تخبر بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قدوتنا وأسوتنا في جميع أفعاله، وقد ثبت عنه ﷺ أنه كان يقبل ويباشر وهو صائم، فدل على استحباب الاقتداء به في ذلك الفعل[4].

٢. أن القبلة ثابتة من فعله ﷺ والأصل في أفعاله العادية أنها تفيد الاستحباب والندب، وبه أفتى النبي ﷺ مَن قبّل وهو صائم، وذلك يدل على مشروعية التقبيل، بل على استحبابه"[5].

ونوقش مذهب ابن حزم بأن القول باستحباب القبلة والمباشرة للصائم فيه شيء من المجازفة، وذلك لأمور[6]:

الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين الاستحباب مع تكرر وقت الحاجة لبيانه، فلم يصرح بذلك عندما جاءه عمر رضي الله عنه فزعاً من تقبيله، وقوله: "قد فعلتُ اليوم أمراً عظيماً"، وكذلك عمر بن أبي سلمة، رضي الله عنه، عندما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تقبيل الصائم، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سل هذه" (لأم سلمة) فأخبرته: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ذلك. فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له"، ولم يخبره بأن القبلة مستحبة للصائم، مندوب إليها، وإنما اكتفى بالإشارة إلى جوازها، مع وجود الحاجة لبيان الحكم، فدلَّ على أن ذلك هو الحكم، لا غير.

الثاني: أنه لم يصرح بذلك الحكم أحد من السلف.

---

١ **التمهيد**، ج٥، ص١١٢ – ١١٣، و**تنقيح التحقيق**، ج٣، ص٢٣٧.

٢ يقول ابن حزم: "وأما القبلة والمباشرة للرجل مع امرأته وأمته المباحة له؛ فهما سنة حسنة نستحبها للصائم، شاباً كان أو كهلاً أو شيخاً، ولا نبال أكان معها إنزال مقصود إليه أو لم يكن"، **المحلى**، ج٦، ص٢٠٥.

٣ انظر هذه الأحاديث في المبحث الأول من هذا البحث.

٤ انظر: **المحلى**، ج٦، ص٢٠٥.

٥ يقول ابن حزم: "وصح أنها (أي القبلة) حسنة مستحبة، سنة من السنن، وقربة إلى الله تعالى، اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ووقوفاً عند فتياه بذلك"، **المحلى**، ج٦، ص٢٠٨.

٦ انظر: **حكم القبلة للصائم**، موقع مكتبة المسجد النبوي الشريف:
http://www.mktaba.org/vb/showthread.php?t=1687، 10/3/2011م

الثالث: أن الأصل في القبلة أن لا يراد بها القربة والطاعة، وما كان كذلك من الأفعال لا يحكم لها بالاستحباب، بل يكون حكمها الإباحة.

الرابع: أن حديث عائشة رضي الله عنها وتعليقها جواز القبلة والمباشرة على ملك النفس، يرد القول بالاستحباب، وأنه لا حرج فيها ما لم يترتب على ذلك الوقوع فيما هو محظور.

القول الخامس: أن القبلة والمباشرة مباحتان للصائم إذا كان شيخاً، ومكروهتان في حق الشاب، وهو المشهور عن ابن عباس، وبه قال مكحول[1]، وينسب لأبي حنيفة والشافعي والثوري والأوزاعي[2]، وهو رواية عن مالك[3]، وحجة هذا القول:

١. ما سبق ذكره من الأحاديث والآثار في إباحة القبلة والمباشرة في حق الصائم الشيخ، ومنعهما من الشاب[4].

٢. ما سبق من حديث عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل ويباشر وهو صائم، وكان أملككم بإربه"[5]، ووجه الدلالة: أن الحديث نص على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل ويباشر وهو صائم؛ لأنه كان يأمن على نفسه من الوقوع فيما يسفد صومه، فكل من كان في معناه في ذلك التحق به في حكمه، ومن ليس كذلك فهو مغاير له في هذا الحكم، لاسيما وقد ورد التصريح بالفرق بين الشيخ والشاب في الأحاديث السابقة[6].

ورُدّ بأن هذا التوجيه لا يستقيم، لما ثبت من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل عائشة وهو صائم وهي صائمة[7] وكانت عائشة إذ مات عليه الصلاة والسلام بنت ثمان عشرة سنة، وكذلك إفتاء النبي ﷺ بجوار ذلك ذلك لعمر بن أبي سلمة، وكان يومئذ شاباً. فظهر بطلان التفريق في ذلك بين الشيخ والشاب"[8].

القول السادس: أن القبلة والمباشرة جائزتان للصائم إذا كان يملك نفسه من الوقوع فيما يفسد صومه وإلا فلا، وهو قول الحنفية[9]، والمشهور عن الشافعي[10]، والثوري، والحسن بن حي[1]، وحجتهم:

---

١ انظر: **المصنف**، كتاب الصيام، باب من كره القبلة للصائم ولم يرخص فيها، ج٣، ص٦١، رقم: ٩٥١١، و**المحلى**، ج٦، ص٢١٠.

٢ انظر: **شرح صحيح البخاري** لابن بطال، ج٤، ص٥٥، و**عون المعبود**، ج٧، ص٧.

٣ انظر: **حاشية العدوي**، ج١، ص٥٧٧.

٤ انظر هذه الأحاديث والآثار في المبحث الأول من هذا البحث.

٥ سبق تخريجه.

٦ انظر: **طرح التيريب**، ج٤، ص١٣٨.

٧ انظر: **سنن أبي داود**، كتاب الصوم، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٢٨٤، رقم: ٢٣٨٦. وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط البخاري، **صحيح سنن أبي داود**، ج٧، ص١٤٧، رقم: ٢٠٦٣.

٨ انظر: **المحلى**، ج٦، ص٢٠٩.

٩ انظر: **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ج٤، ص٢٩٢، و**فتح الباري**، ج٤، ص١٥١.

١٠ انظر: **الحاوي الكبير**، ج٣، ص٩٥٥، و**فتح الباري**، ج٤، ص١٥١.

ما سبق من حديث عائشة وغيرها، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل ويباشر وهو صائم، ووجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان يقبل ويباشر وهو صائم لأنه كان يملك نفسه ويأمن من أن تنجر به المباشرة أو القبلة إلى ما يفسد صومه، ويلحق به ﷺ في الحكم كل من يملك نفسه، ولا يخاف من القبلة أو المباشرة الانجرار إلى شيء آخر[٢].

ونوقش بأن ذلك كان خاصاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يجوز إلحاق غيره به، ولذلك كانت عائشة رضي الله عنها تقول: "وأيكم كان أملك لأربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟"[٣].

وأجيب: بأنا لا نسلِّم أن ذلك مما يخص بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن عائشة رضي الله عنها تقصد ذلك، لما ثبت عنها في بعض هذه الآثار أنها سئلت عن القبلة للصائم فقالت -جواباً لذلك السؤال-: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهو صائم"، فلو كان حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك عندها خلاف حكم غيره من الناس لَما كان ما علمته من فعل النبي صلى الله عليه وسلم جواباً لما سئلت عنه من فعل غيره[٤].

وقد علمنا كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أفتى بعض الصحابة بجواز القبلة لهم، مما يدل على أن ذلك ليس من خصائصه[٥].

القول السابع: أن المباشرة مكروهة في حق الصائم الذي تُحرك المباشرةُ شهوتَه فقط، وهذا هو قول الشافعي في الأم[٦]، وإحدى الروايتين عن أحمد، وهو الصحيح لدى الحنابلة[٧]، وحجة هذا القول:

ما سبق ذكره من الأحاديث والآثار في إباحة القبلة والمباشرة في حق الصائم الشيخ، ومنعهما على الشاب[٨]، ووجه الدلالة: أن الحكم في القُبلة والمباشرة دائر مع تحريك الشهوة، والتعبير بالشيخ والشاب جرى على الغالب من أحوال الشيوخ في انكسار شهوتهم وأحوال الشباب في قوتها، فنهيه صلى الله عليه وسلم للشاب، وإذنه للشيخ يدل على أنه لا تجوز القبلة لمن خشي أن تحرك شهوته فيقع فيما تفسد صومه. فلو انعكس الأمر -بأن تحرك شهوة الشيخ بالقبلة ولا تحرك شهوة الشاب- انعكس الحكم[٩]، ورد بأن العبرة في الإباحة والمنع بملك النفس

---

١ انظر: **التمهيد**، ج٥، ص١١٤.

٢ انظر: **شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٩٣.

٣ انظر: **التمهيد**، ج٢٤، ص٢٦٦، و**شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٩٣.

٤ انظر: **شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٩٣.

٥ **فتح الباري**، ج٤، ص١٥١، و**مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ج٦، ص٤٨٣ - ٤٨٤.

٦ **الأم**، ج٢، ص٩٨.

٧ انظر: **الإنصاف**، ج٣، ص٢٣٢ - ٢٣٣، و**كشاف القناع عن متن الإقناع**، ج٢، ص٣٢٩، و**حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع**، ج٣، ص٤٢٥.

٨ انظر هذه الأحاديث والآثار في المبحث الأول من هذا البحث.

٩ انظر: **المغني**، ج٣، ص٣٦، و**نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار**، ج٤، ص٢٨٩، و**شرح الموطأ**، ج٢، ص٢٢٢.

وليس تحريك الشهوة من عدمه، لأن الرسول ﷺ قد أفتى عمر بن أبي سلمة بجواز القبلة له، مع أنه حينئذ كان في أول شبابه، وكذلك أفتت عائشة ابنَ عمر لمّا جهّز له والده أهله في رمضان، وكان هو أيضاً في عنفوان شبابه، والغالب في الشاب تحريك شهوته بالقبلة، ولم يستفصل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حال عمر بن أبي سلمة، ولا عائشة عن حال عبد الله بن عمر[١].

القول الثامن: أن المباشرة مباحة في صوم النفل، مكروهة في صوم الفرض، وهذا رواية ابن وهب عن مالك[٢]، ولم أجد دليل هذا القول، بل قد وُجد ما يرُده، وهو ما رواه ابن حبان، عن أبي سلمة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بعض نسائه وهو صائم. قال: قلت لعائشة: في الفريضة والتطوع؟ قالت عائشة: في كل ذلك، في الفريضة والتطوع[٣].

التعليق والترجيح:

هكذا وقع الاختلاف عند الفقهاء في إعطاء الحكم الشرعي لقبلة الصائم ومباشرته، وهذا ليس سببه وجود التناقض في أحكام الشارع نفسه، وإنما لتباين أفهام الفقهاء لهذه الأحاديث والآثار المروية في هذا الباب، ولاختلافهم في درجة بعض هذه الروايات من حيث الصحة وعدمها، أو لتفاوتهم في جمع هذه الأحاديث والآثار، أونحو ذلك من الأسباب[٤]، هذا؛ ويرى الباحث أن الراجح من هذه الأقوال هو القول السادس، القائل بجواز المباشرة المباشرة لمن يملك نفسه من أن يقع فيما يفسد صومه، وذلك لقوة أدلتها، وسلامتها من الاعتراضات الوجيهة. والله أعلم.

المبحث الثالث

مذاهب الفقهاء في الآثار المترتبة على قبلة الصائم ومباشرته

إن الفقهاء يختلفون في الأثر المترتب على صيام الصائم، إلى حصل منه القبلة أو المباشرة على أقوال. وهذا الذي يتناوله هذا المبحث وذلك في ثلاثة مطالب: المطلب الأول: في أثر القبلة أو المباشرة على الصيام إذا لم يصاحبها مني ولا مذي. والثاني: في أثر القبلة أو المباشرة على الصيام إذا حصل معها إنزال المني، والثالث: في أثر القبلة أو المباشرة على الصيام إذا حصل معها خروج المذي.

المطلب الأول: أثر القبلة أو المباشرة على الصيام إذا لم يصاحبها مني ولا مذي، للفقهاء في ذلك ثلاثة أقوال:

---

١ انظر: **فتح الباري**، ج٤، ص١٥١، و**مرعاة المفاتيح**، ج٦، ص٤٨٣ - ٤٨٤.

٢ انظر: **حاشية العدوي**، ج١، ص٥٧٧، و**مرعاة المفاتيح**، ج٦، ص٤٨٢.

٣ **صحيح ابن حبان**، كتاب الصوم، باب قبلة الصائم، ذكر البيان بأن هذا الفعل مباح للمرء في صوم الفرض والتطوع معاً، ٣٥٤٥/٣١٤/٨، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح.

٤ انظر: **شرح معاني الآثار**، ج٢، ص٩٢ - ٩٣، و**بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، ج١، ص٣٠٩، و**رفع الملام**، ص٩ - ١٠، و**فتح الباري**، ج٤، ص١٥٥.

القول الأول: أن صومه صحيح، ولا يلزمه قضاء ولا كفارة. وبه قال الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة[1]، بل قد حكى ابن قدامة عدم الخلاف في ذلك[2]، ويستدلون على ذلك بأدلة، منها:

١. ما سبق من الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل ويباشر وهو صائم. ووجه الدلالة: أنه لو كانت القبلة والمباشرة مما يفسد الصيام لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم [3]، ورُدّ بما سبق من أن ذلك كان من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم، وأجيب بما سبق أيضاً: أننا لا نسلّم أن ذلك كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، لما ثبت من أنه عليه الصلاة والسلام أفتى غير واحد من الصحابة بجواز ذلك له.

٢. حديث عمر رضي الله عنه السابق، أنه قال: "هششت فقبلت وأنا صائم، فقلت: يا رسول الله، صنعت اليوم أمراً عظيماً: قبلتُ وأنا صائم. قال: لو مضمضتَ من الماء وأنت صائم؟ قلت: لا بأس به. قال: فمه"[4].

ووجه الدلالة: أن في هذا الحديث إشارة إلى فقه بديع، وهو أن المضمضة لا تنقض الصوم وهو أول الشرب ومفتاحه، كما أن القبلة من دواعي الجماع ومفتاحه، والشرب يفسد الصوم كما يفسده الجماع، ومعلوم أن أوائل الشرب لا يفسد الصيام، فكذلك أوائل الجماع[5]، ورد بما سبق من عدم صحة هذا الحديث، وأجيب بما سبق أيضاً من أنه حديث صحيح، صححه غير واحد من أئمة الحديث.

٣. أن الذي ينافي الصوم ويعمل على فساده هو قضاء الشهوة صورة أو معنى، ولم يوجد ذلك في القبلة والمباشرة المجردتين عن المني والمذي، فإفضاء ذلك إلى إفساد الصوم –على كل حال– مشكوك فيه، ولا يثبت فساد العبادة بالشك[6].

القول الثاني: أن الصوم يفسد بالقبلة أو المباشرة، ولو لم يخرج مني ولا مذي. وهذا هو المشهور عن ابن مسعود، ويروى أيضاً عن ابن المسيب، ويحيى بن سعيد، وعبد الله بن شبرمة[7].

ومن أدلة هذا القول ما يأتي:

١. قول الله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى

---

١ انظر: **اللباب في شرح الكتاب**، ج١، ص٨٥، و**المدونة الكبرى**، ج١، ص٢٦٨، و**المجموع**، ج٦، ص٣٢٢، و**الشرح الكبير**، ج٣، ص٣٩.

٢ انظر: **الشرح الكبير**، ج٣، ص٣٩.

٣ انظر: **طرح التثريب**، ج٤، ص١٣٨.

٤ سبق تخريجه.

٥ انظر: **فتح الباري**، ج٤، ص١٥٢، و**شرح الموطأ**، ج٢، ص٢٢١.

٦ انظر: **الشرح الكبير**، ج٣، ص٧٥.

٧ انظر: **فتح الباري**، ج٤، ص١٥٠، و**الجامع لأحكام القرآن**، ج٢، ص٣٢٤، و**نيل الأوطار**، ج٤، ص٢٨٩.

يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم اتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ (سورة البقرة: ١٨٧).

ووجه الدلالة: أن الله تعالى أباح بهذه الآية المباشرة والأكل والشرب في الليل من رمضان دون نهاره، فدلت على أن مزاولة أي واحد منها مفسدة للصوم[١]، وأُجيب بما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم هو المبيّن عن الله مراده، وقد ثبت أنه كان يباشر وهو صائم، مما يدل على أن المراد بالمباشرة في الآية هو الجماع.

٢. ما سبق من حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل قبّل امرأته وهما صائمان؟ فقال: قد أفطرا جميعاً[٢]، وأجيب عنه من وجوه:

الأول: أن إسناده ضعيف؛ لأنه من رواية أبي يزيد الضبي وهو مجهول[٣].

الثاني: على فرض صحة هذا الحديث، فإنه يُؤَوَّل بأن النبي ﷺ قد أجاب عن صائمَين بأعيانهما، على قلة ضبطهما لأنفسهما، فقال ذلك فيهما، أي أنه إذا كانت القبلة منهما، فقد كان معها غيرها، مما يضرهما[٤].

الثالث: على فرض صحته أيضاً فإنه يُؤوّل بأنه قد علم من طريق الوحي حصول الإنزال به، فانعدم ركن الصوم، ولا يتصور أداء العبادة بدون ركنها[٥].

الرابع: على فرض صحته كذلك فإنه يكون منسوخاً بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "رخص النبي صلى الله عليه وسلم في القبلة للصائم"[٦].

٣. ما سبق من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، سئل عن الرجل يقبل وهو صائم قال: "يقضي يوماً مكانه"[٧].

ونوقش بما قاله الطحاوي "إن ما روي عن ابن مسعود قد روي عنه خلافه، روى إسرائيل عن طارق، عن حكيم بن جابر، عن ابن مسعود أنه كان يباشر امرأته وهو صائم[٨]. ثم روى بسنده سؤال ابن مسعود لعائشة عن مباشرة الصائم، وقال: "فسؤال عبد الله عائشة رضي الله عنهما عن هذا دليل على أنه لم يكن عنده في ذلك شيء عن رسول الله ﷺ، حتى أخبرته به عائشة رضي الله عنها. فدل ذلك على أن ما روي عنه مما قد وافق ذلك كان متأخراً عما روي عنه مما خالف ذلك"[٩].

---

١ انظر : **صحيح ابن خزيمة**، ج٣، ص٢٤٣، رقم: ١٩٩٨.

٢ سبق تخريجه.

٣ قال الترمذي: "سألت محمداً -يعني البخاري- عنه، فقال: هذا حديث منكر، لا أحدث به، وأبو يزيد لا أعرف اسمه، وهو رجل مجهول"، **علل الترمذي الكبير**، ج١، ص١١٧، و**المحلى**، ج٦، ص٢٠٩.

٤ انظر: **شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص١٤٨.

٥ **المبسوط في شرح الكافي**، ج٣، ص١١٧.

٦ **صحيح ابن خزيمة**، ج٣، ص٢٢٨، رقم: ١٩٦٦، و**المحلى**، ج٦، ص٢٠٩.

٧ سبق تخريجه.

٨ **شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٩٠، رقم: ٣٣٦٧.

٩ **شرح معاني الآثار**، كتاب الصيام، باب القبلة للصائم، ج٢، ص٩٢.

القول الثالث: أنه إذا قبّل الصائم أو باشر، ولم ينزل منه المني ولا المذي، ولكن انتشر ذكره، فإن صومه يفسد بذلك، ويلزمه القضاء. وهذا هو قول مالك في رواية ابن القاسم عنه[١]، ودليل هذا القول:

أنه إذا صاحب القبلة أو المباشرة انتشار الذكر فإن ذلك يدل على حصول لذة شديدة يتيقن معها انفصال الماء عن موضعه، وحينئذ لا يتيقن أداء عبادة الصوم وسلامتها مما يفسدها[٢].

ورُدّ بأن اللذة غير مراعاة؛ لأن الإنسان لا يكاد يُستبعَد منها، وأيضاً لو أن اللذة بلغت مبلغاً يُخاف منه انفصال الماء لما سلم من المذي، فإذا عرا من المذي علمنا أنها لذة يسيرة لا ينفصل معها الماء من مستقره[٣].

التعليق والترجيح:

هذا هو ما حصل بين الفقهاء من الخلاف في الأثر المترتب على القبلة والمباشرة المجردتين عن المني والمذي، ويرجع سببه أيضاً إلى اختلاف أفهامهم في الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب، أو تفاوتهم في جمعها، أو تباين موافقهم في درجاتها، ونحو ذلك. وليس معناه أن أحكام الشرع ينقض بعضها بعضاً، ويرى الباحث رجحان القول الأول الذي يرى أن المباشرة والقبلة المجردتين عن المني والمذي لا تنقضان الصوم، وذلك لقوة أدلته، ولعدم سلامة أدلة المخالفين عن المعارضات الوجيهة. والله أعلم.

المطلب الثاني: أثر القبلة أو المباشرة على الصيام إذا حصل معها إنزال المني

اختلف العلماء في فساد صوم من خرج منه المني بسبب القبلة أو المباشرة، على قولين:

القول الأول: أن صومه قد فسد بذلك[٤].

---

١ **الجامع لأحكام القرآن**، ج٢، ص٣٢٤، و**مواهب الجليل**، ج٣، ص٣٤٤، و**منح الجليل شرح مختصر خليل**، ج٤، ص٢٢.

٢ انظر: **المنتقى**، ج٢، ص١٧٠، رقم: ٥٧٥.

٣ انظر: **المنتقى**، ج٢، ص١٧٠، رقم: ٥٧٥.

٤ ويختلف القائلون بفساد صومه في وجوب الكفارة عليه مع القضاء على قولين:

الأول: أنه لا يجب عليه إلا القضاء فقط؛ لأنه إفطار بغير جماع، والأصل عدم وجوب الكفارة على فساد الصوم بأي مفطر دون الجماع، حيث لا يوجد نص ولا إجماع في ذلك، ولا يصح قياسه على الجماع؛ لأنه أبلغ، بدليل أن الوطء في الفرج يوجب الكفارة ولو لم يحصل معه إنزال. وهذا مذهب الحنفية، والشافعية، والصحيح عند الحنابلة. انظر: **المبسوط**، ج٤، ص٣٠، و**العناية شرح الهداية**، ج٢، ص٣٢٩، و**الحاوي الكبير**، ج٣، ص٩٤٥، و**المجموع**، ج٦، ص٣٥٥، و**المغني**، ج٣، ص١٣٥، و**الإنصاف**، ج٣، ص٢٢٤.

الثاني: أنه تجب عليه مع القضاء الكفارة؛ لأنه فِطر بإنزال عن قبلة أو مباشرة، فوجب أن تتعلق به الكفارة كالوطء في الفرج، بجامع قضاء الشهوة في الكُلّ. وهذا مذهب المالكية، ورواية مرجوحة عند الحنابلة. انظر: **التمهيد**، ج٥، ص١١٥، و**حاشية العدوي**، ج٣، ص٤٣٠، و**الكافي**، ج١، ص٣٥٥، و**الإنصاف**، ج٣، ص٢٢٤. والراجح: هو القول الأول، والله أعلم.

وهذا مذهب الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة[1]، بل قد حكى الماوردي، والبغوي، وابن قدامة الإجماعَ على ذلك[2]، وتعقبه ابن حجر فقال: "وفيه نظر، فقد حكى ابن حزم أنه لا يفطر ولو أنزل، وقوى ذلك وذهب إليه"[3]، ويستدلون على فساد صومه بما يأتي:

١. حديث عمر السابق: "هششت فقبلت وأنا صائم، فقلت: يا رسول الله، صنعت اليوم أمراً عظيما: قبلتُ وأنا صائم. قال: لو مضمضتَ من الماء وأنت صائم؟ قلت: لا بأس به. قال: فمه"[4].

ووجه الدلالة: أنه صلى الله عليه وسلم شبه القُبلة بالمضمضة، والمضمضة مقدمة الشرب، فإذا لم يكن معها نزول ماء إلى الحلق والجوف لم يبطل صومه فلم يفطر بها، أما إذا كان معها ذلك فإن صومه يفسد ويفطر بها، وكذلك القُبلة وهي مقدمة الجماع والإنزال، فإذا لم يكن معها إنزال فلا يفطر، وإذا كان معها إنزال المني أفطر بها[5].

ورُدّ بما قاله ابن مفلح: "وفيه نظر، لأن غايته أنها قد تكون وسيلة وذريعة إلى الجماع، وفيه احتمال لا يفطر، وقاله داود وضعف الخبر السابق وقال هو ريح"[6].

٢. حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل ويباشر وهو صائم، وكان أملككم لإربه[7].

ووجه الدلالة: أن في هذا الحديث إشارة إلى أن مَن لا يملك نفسه من إنزال المني، فإنه يضره بفساد صومه[8].

ورُدّ بأن المراد بملك الإرب في الحديث هو أن ملك النفس عن الوقوع في الجماع، وليس إنزال المني[9]. ويؤيِّد هذا الفهم حديث عائشة الآخَر في الصحيحين[10]: "كانت إحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها؛ أمرها أن تتزر في فور حيضتها، ثم يباشرها. ثم قالت: وأيكم يملك إربه كما كان النبي ﷺ يملك إربه"، يعني يملك نفسه من أن يقع في الجماع[11].

---

١ انظر: **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، ج٢، ص٢٩٣، **والتاج والإكليل لمختصر خليل**، ج٢، ص٤١٦، **والمجموع**، ج٦، ص٣٧٢، و**الكافي**، ج١، ص٣٥٤.

٢ انظر: **الحاوي الكبير**، ج٣، ص٩٤٥، و**شرح السنة**، ج٦، ص٢٧٨، و**المغني**، ج٣، ص٣٦.

٣ **فتح الباري**، ج٤، ص١٧٩.

٤ سبق تخريجه.

٥ انظر: ا**الكافي**، ج١، ص٣٥٤، **شرح الزركشي على مختصر الخرقي**، ج٢، ص٤٢١.

٦ **المبدع**، ج٢، ص٤٢٧.

٧ سبق تخريجه.

٨ انظر: **شرح الزركشي**، ج٢، ص٤٢١.

٩ انظر: **العناية شرح الهداية**، ج٣، ص٢٨٧، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج١، ص٢١٨، رقم: ٢١٩.

١٠ انظر: **الجامع الصحيح**، باب مباشرة الحائض، ج١، ص١٥٥، رقم: ٢٩٦، و**الجامع الصحيح**، كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض فوق الإزار، ج١، ص١١٦، رقم: ٧٠٦.

١١ انظر: **المحلى**، ج٢، ص٤٤٤.

وأجيب بأنه لو كان المقصود به الجماع لما أباح لنا صلى الله عليه وسلم القبلة والمباشرة في نهار رمضان، فلا يمكن أن يمنع الجماع فى الصيام، ويبيح مقدماته فى نفس الوقت، وإلا لهلكت الأمة، فارتفع بذلك معنى الجماع وبقي المعنى الآخر وهو الإنزال[١].

٣. حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله تعالى: الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شَهوته وأكْله وشُربه مِن أجْلي"[٢]، ووجه الدلالة: أن الصائم مُنع من الشهوة، ومعلوم أن أقصى الشهوة يكون عند الإنزال، فوجب أن يكون الإنزال موجباً لفساد الصوم[٣]، ونوقش بأن الشهوة أمرها واسع، فمنها القبلة، ومنها الضم، ومنها المباشرة، وغير ذلك، وإنما ورد أمر الشارع بتخصيص الجماع بالمنع أثناء الصوم، دون غيره من أنواع الشهوة[٤].

وأجيب بأن معنى الجماع وهو قضاء الشهوة بالمباشرة وإنزال المني موجود، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "وفي بضع أحدكم صدقة" قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: "أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر"، والذي يوضع إنما هو المني[٥].

القول الثاني: أن الصوم لا يفسد بالقبلة أو المباشرة، حتى لو صاحبهما خروج المني، وهذا مذهب داود الظاهري وابن حزم[٦]. واختاره الصنعاني[٧]، وبه يقول الشيخ الألباني من المعاصرين[٨]، ومما يستدل به أصحاب هذا القول ما يأتي:

١. ما رواه عبد الرزاق بسنده عن مسروق، أنه قال: سألت عائشة: ما يحل للرجل من امرأته صائماً؟ قالت: كل شيء إلا الجماع[٩]، ووجه الدلالة: أن عائشة رضي الله عنها أفتت بإباحة فعل الصائم مع امرأته كل شيء إلا الجماع، والظاهر أنها أخذت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن فعل الرجل مع المرأة كل شيء قد يصاحب ذلك إنزال المني ولو بدون الجماع فلو كان ذلك مستثناً لبيّنته[١٠]، ورُدّ بأن المراد بكل شيء

١ انظر: **أرشيف ملتقى أهل الحديث**، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، ٢٠٠٧م، (١/١٠٧/١٤٧٤٥٠).

٢ **الجامع الصحيح**، كتاب التوحيد، ج٦، ص٢٧٢٣، رقم: ٧٠٥٤، و**الجامع الصحيح**، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، ج٣، ص١٥٨، رقم: ٢٧٦٣.

٣ انظر: **فتح الباري**، ج٤، ص١٧٩.

٤ انظر: **أرشيف ملتقى أهل الحديث**، المكتبة الشاملة، (١/١٣٧٨٠).

٥ انظر: **بدائع الصنائع**، ج٢، ٢٤٤، و**شرح الزركشي**، ج١، ص٤٢١، و**مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين**، ج١٩، ص١٣٨.

٦ انظر: ، **المحلى**، ج٤، ص٣٤٧، و**فتح الباري**، ج٤، ص١٧٩.

٧ انظر: **سبل السلام**، ج٢، ص١٥٨.

٨ انظر: **تمام المنة في التعليق على فقه السنة**، ج١، ص٤١٨.

٩ **المصنف**، كتاب الصيام، باب مباشرة الصائم، ج٤، ص١٩٠، رقم: ٧٤٣٩، قال الحافظ ابن حجر: رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح، **فتح الباري**، ج٤، ص١٤٩.

١٠ انظر: **المحلى**، ج٦، ص٢١١.

في هذا الأثر هو الذي لا يصاحبه إنزال المني، كما فَهم ذلك جميع العلماء في جميع الأزمان والأعصار قبل أن يأتي الظاهرية ففهموا منه خلاف ذلك[1].

٢. أنه لم يأت بكراهة القبلة والمباشرة في حق الصائم نص ولا إجماع، فكيف إبطال الصوم بها[2]، ونوقش بأن المباشرة التي قلنا بأنها تُفسد الصوم هي التي يصاحبها إنزال المني، وليس كل مباشرة، وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها، حيث قالت: "وكان أملككم لإربه"[3].

٣. أنه لم يأت بإفساد الصوم بالقبلة والمباشرة نص لا من الكتاب، ولا من السنة، ولا حتى من أقوال الصحابة[4]، ويمكن الإجابة بأنه قد حصل الإجماع على فساد الصوم بالمباشرة المصحوبة بخروج المني كما حكى ذلك ذلك غير واحد، والإجماع حجة قائمة بذاته[5].

٤. أن خروج المني بلا مباشرة لا ينقض الصوم، وكذا المباشرة بلا إنزال المني، فإذا كان انفراد كل واحد منهما لا ينقض الصوم، فكذلك إذا اجتمعا[6].

ونوقش بأن الذي ينقض الصوم هو قضاء الشهوة "يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي"، وإنزال المني أقصى ما يطلب بالجماع من الالتذاذ، فوجب بالإنزال مع المباشرة فساد الصوم[7].

التعليق والترجيح:

سبب اختلاف الفقهاء أيضا في هذه المسألة يرجع إلى اختلاف أفهامهم للنصوص الواردة في قبلة الصائم ومباشرته، وكذلك اختلاف أفهامهم لدائرة قضاء الشهوة الناقضة للصوم، ونحو ذلك. وليس سببه وجود التناقض في أحكام الشارع نفسه. كلاّ!

ويرى الباحث رجحان القول الأول، القائل بأن المباشرة المصحوبة بخروج المني تفسد الصوم، لقوة أدلته. ويكفي أن هذا القول هو الذي عليه جماهير العلماء من الأئمة الأربعة وغيرهم، حتى هناك من حكى فيه الإجماع – كما مر معنا– ولم يخالف في ذلك إلا الظاهرية، وعدد قليل جداً من العلماء المتأخرين والمعاصرين، والله تعالى أعلم.

مع التنبيه على أن القول المخالف أيضاً له اعتباره، فلا يشنَّع أو يُلام مَن يأخذ به بناء على ما يظهر له من الدليل والنظر، ما لم يكن ذلك منه اتباعاً لهوى في النفس وتتبعاً لمستنقع الرُّخص[8]، وأيضاً ينبغي أن نعلم أن

---

١ انظر: **فتح الباري**، ج٤، ص١٥١، و**أرشيف ملتقى أهل الحديث**، المكتبة الشاملة، (١٤٧٤٥٠/١٠٧/١).

٢ انظر: **المحلى**، ج٤، ص٣٤٧.

٣ **فتح الباري**، ج٤، ص١٥١.

٤ انظر: **الجامع لأحكام الصيام**، ج١، ٢٦١.

٥ قد سبق أن ذكر الباحث أن ممن حكى هذا الإجماع: الماوردي، والبغوي، وابن قدامة.

٦ **المحلى**، ج٤، ص٣٤٧.

٧ انظر: **فتح الباري**، ج٤، ص١٥١.

٨ انظر: **فتاوى الإسلام سؤال وجواب**، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، ٢٠٠٧م، (٥٥٥٧/١).

الذي تُباح له المباشرة –حتى عند الذين يبيحونها مع الإنزال– هو الذي يملك نفسه من الوقوع في الجماع، أما الذي لا يملك نفسه من ذلك فلا يبيحها له أحدٌ[1].

المطلب الثالث: أثر القبلة أو المباشرة على الصيام إذا حصل معها خروج المذي

اختلف الفقهاء فيما إذا قبّل الصائم أو باشر فأمذى على قولين:

القول الأول: أنه صومه لا يفسد بذلك. وهذا مذهب الحنفية والشافعية، وقول مرجوح عند الحنابلة[2]، واختاره ابن المنذر، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والمرداوي، وغيرهم من فقهاء الحنابلة[3].

ومن أدلتهم على هذا القول:

١. عملاً بالأصل؛ لأن الأصل عدم إبطال الصيام إلا بدليل، وليس هناك دليل يفيد ببطلان الصوم بخروج المذي من القبلة أو المباشرة[4].

٢. أن خروج المذي لا يوجب الغسل، فأشبه البول[5].

٣. أن قياس المذي على المني لا يصح؛ لظهور الفرق بينهما في كثير من الأحكام[6].

القول الثاني: أن صومه يفسد بذلك[7]، وهذا مذهب المالكية، والصحيح من مذهب الحنابلة، وبه قال إسحاق[8]، ويستدلون بما يأتي:

١. قياس المذي على المني بأنه خارج تخلّلته الشهوة خرج بالمباشرة فأفسد الصوم كخروج المني بها[9]، ورُدّ بأن قياس المذي على المني قياس مع الفارق، فلا تصح التسوية بينهما في الأحكام[10].

٢. أن الصوم قد ثبت في ذمته، فإذا باشر وصاحب ذلك خروج المذي لم يتيقن أداء الصوم على وجهه، ولا براءة ذمته فلزمه القضاء[11]، ورُدّ بأنه متيقن من أداء الصوم، شاك في حدوث الفطر، واليقين لا يزول بالشك[12].

---

١ انظر: **تمام المنة**، ج١، ص٤٢٠.

٢ انظر: **الجوهرة النيرة**، ج٢، ص٢٧، و**المجموع**، ج٦، ص٣٢٣، و**الإنصاف**، ج٣، ص٢١٤.

٣ انظر: **الإنصاف**، ج٣، ص٢١٤، و**المجموع**، ج٦، ص٣٢٣.

٤ انظر: **الفروع**، ج٣، ص٥٠.

٥ انظر: **المجموع**، ج٦، ص٣٥٠، و**الشرح الكبير**، ج٣، ص٣٩.

٦ انظر: **المبدع**، ج٣، ص٢٤، و**الفروع**، ج٣، ص٥٠.

٧ والقائلون بفساد صومه يوجبون عليه القاضاء فقط، دون الكفارة. انظر: **المنتقى**، ج٢، ص٤٨، و**المغني**، ج٤، ص٣٦٦، و**فتح الباري**، ج٤، ص١٥١.

٨ انظر: **التمهيد**، ج٥، ص١١٥، و**مواهب الجليل**، ج٣، ص٣٤٣، و**الشرح الكبير**، ج٣، ص٣٩، و**الروض المربع**، ج١، ص١٦١.

٩ انظر: **المغني**، ج٤، ص٣٦١، و**المبدع**، ج٣، ص٢٤.

١٠ انظر: **المنتقى**، ج٢، ص٤٨.

١١ **المنتقى**، ج٢، ص٤٨.

١٢ **المنتقى**، ج٢، ص٤٨.

الترجيح:

يرى الباحث أن الراجح هو القول الأول، القائل بعدم فساد صوم من قبّل أو باشر حتى أمذى، وذلك لقوة ما استدل به أصحاب هذا القول، ولضعف استدلال أصحاب القول الثاني، وعدم سلامتها من الردود القوية. والله أعلم.

الخاتمة

يمكن عرض ما تضمنه هذا البحث من النتائج كالتالي:

أولاً: إن هناك أحاديث وآثاراً متعددة في قُبلة الصائم ومباشرته، بعضها يدل بظاهره على المنع مطلقاً، وبعضها يدل على الإباحة مطلقاً، بينما يدل بعضها الآخَر على الإباحة للشيخ والمنع على الشاب، مما أدى إلى اختلاف الفقهاء في حكم القبلة والمباشرة في حق الصائم.

ثانياً: إن الفقهاء يختلفون في حكم قبلة الصائم ومباشرته على ثمانية أقوال، وأن الراجح منها هو القول بجواز ذلك لمن يملك نفسه من الوقوع فيما يفسد صومه، ومنعه على من لا يملك نفسه.

ثالثاً: إن الفقهاء يختلفون في أثر القبلة والمباشرة على الصيام إذا لم يصاحب ذلك المني أو المذي على ثلاثة أقوال، وأن الراجح منها هو القول بعدم فساد الصوم بذلك مطلقاً.

رابعاً: إن الفقهاء قد اختلفوا في أثر القبلة والمباشرة على الصيام إذا حصل معها إنزال المني على قولين، ولعل أرجحهما هو القول بفساد الصوم بذلك.

خامساً: إن الفقهاء القائلين بفساد الصوم بالمباشرة حتى الإنزال يختلفون في وجوب الكفارة مع القضاء على قولين، وأن الراجح هو القول بوجوب القضاء دون الكفارة.

سادساً: إن الفقهاء يختلفون في أثر القُبلة أو المباشرة على الصيام إذا حصل معها خروج المذي على قولين، وأن الراجح منهما هو القوم بعدم فساد الصوم بذلك.

سابعاً: إن القائلين بفساد الصوم بخروج المذي بسبب القبلة أو المباشرة يوجبون فيه القضاء دون الكفارة.

ثامناً: إن من أهم الأسباب التي أدت إلى اختلاف الفقهاء في هذه الأحكام هو اختلاف أفهامهم للأحاديث والآثار الواردة في الباب، واختلافهم في توجيهها، مع اختلاف مواقفهم في درجاتها من حيث الثبوت وعدمه، بالإضافة إلى تفاوتهم في جمع تلك الأحاديث والآثار. أما الشارع نفسه فلا يوجد أي تناقض في أحكامه.

المراجع

١. آرشيف ملتقى أهل الحديث، (المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، ٢٠٠٧م).
٢. الأم، محمد بن إدريس الشافعي، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٣هـ).
٣. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علي بن سليمان المرداوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٩هـ).
٤. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
٥. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: محمد خير طعمة، (بيروت: دار الكيب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
٦. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد ابن رشد، (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م).
٧. التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف المواق، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ).

٨. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
٩. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٣١٣هـ).
١٠. تمام المنة في التعليق على فقه السنة، محمد ناصر الدين الألباني، (عمان – الأردن: المكتبة الإسلامية، ط٣، ١٤٠٩هـ).
١١. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، (بيروت: مؤسسة القرطبة، د.ت.).
١٢. تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، (الرياض: أضواء السلف، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
١٣. تهذيب سنن أبي داود، محمد بن أبي بكر قيم الجوزية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٥هـ).
١٤. الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.).
١٥. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
١٦. الجامع لأحكام الصيام، محمود بن عبد اللطيف عويضة، (د.م. ط٢، ٢٠٠٥م).
١٧. الجامع المختصر الصحيح، البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، (اليمامة: دار بن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
١٨. الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
١٩. الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، أبو بكر بن علي بن محمد الحداد العبادي، (باكستان: مكتبة حقانية، د.ت).
٢٠. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد الدسوقي، تحقيق محمد عليش، (بيروت: دار الفكر، د.ت.).
٢١. حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، ط٥، ١٤١٣هـ).
٢٢. حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ).
٢٣. الحاوي الكبير، علي بن الحسن الماوردي، (بيروت: دار الفكر، د.ت.).
٢٤. حكم القبلة للصائم، جاسم كاظم الشمري، مكتبة المسجد النبوي: www.mktaba.org/vb/showthread.php?t=1687 ٢٠١١/٣/١٠م
٢٥. حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، عبد الحميد الشرواني، (بيروت: دار الفكر، د. ت.)، ج٣، ص٤١٠).
٢٦. الخلاف بين العلماء، محمد بن صالح العثيمين، (الرياض: دار الوطن، ١٤٢٣هـ).
٢٧. رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ابن تيمية، (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، ١٤١٣هـ).
٢٨. الروض المربع شرح زاد المستنقع في اختصار المقنع، البهوتي، تحقيق: سعيد محمد اللحام، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ).
٢٩. سبل السلام شرح بلوغ المرام، الصنعاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
٣٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م).
٣١. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر، د.ت).
٣٢. سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث، تحقيق محي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م).
٣٣. سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).
٣٤. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، د.ت.).
٣٥. شرح الزركشي على مختصر الخرقي، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
٣٦. شرح السنة، البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، (دمشق: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
٣٧. شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق أبو تميمة، ياسر بن إبراهيم، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
٣٨. الشرح الكبير، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتح الحلو، (القاهرة: دار هجر، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
٣٩. شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ).
٤٠. شرح موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ).

٤١. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
٤٢. صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).
٤٣. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م).
٤٤. صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، (الكويت: مؤسسة غراس، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
٤٥. طرح التثريب في شرح التقريب، عبد الرحيم بن الحسين العراقي، وابنه أبو زرعة، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.).
٤٦. علل الترمذي الكبير، أبو طالب القاضي، تحقيق صبحي السامرائي، وأبو المعاطي النوري، ومحمود محمد الصعيدي، (بيروت: عالم الكتب, مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٩هـ).
٤٧. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).
٤٨. العناية شرح الهداية، أكمل الدين، محمد بن محمد البابرتي، (بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
٤٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٥هـ).
٥٠. غريب الحديث، أبو عبيد، القاسم بن سلاّم، تحقيق محمد عبد المعيد خان، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٩٦هـ).
٥١. فتاوى الإسلام سؤال وجواب، محمد صالح المنجد، جمعها: أبو يوسف القحطاني، (المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث، ٢٠٠٧م).
٥٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
٥٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، (الدمام: ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٢هـ).
٥٤. فتح القدير، محمد بن عبد الواحد ابن الهمام، (بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٣٩٧هـ).
٥٥. الفروع، محمد بن مفرج ابن مفلح، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٥٦. الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة بن مصطفى الزحيلي، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط٤، ٢٠٠٤م).
٥٧. الكافي في فقه ابن حنبل، عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
٥٨. كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق هلال مصيلحي، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٢هـ).
٥٩. اللباب في شرح الكتاب، عبد الغني الغنيمي الميداني، تحقيق محمود أمين النواوي، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.).
٦٠. المبسوط في شرح الكافي، السرخسي، تحقيق محمد حسن محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
٦١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢هـ).
٦٢. المجموع شرح المهذب، يحي بن شرف النووي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت).
٦٣. مجموع فتاوى ورسائل محمد بن صالح ابن عثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٣هـ).
٦٤. المحلى، محمد بن علي بن حزم، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).
٦٥. المدونة الكبرى، مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.).
٦٦. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله المباركفوري، (الجامعة السلفية- بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م).
٦٧. مسند ابن راهويه، تحقيق عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، (المدينة المنورة: مكتبة الإيمان، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م).
٦٨. المسند، أحمد بن حنبل، تعليق شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
٦٩. المصنَّف، أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، تحقيق محمد عوامة، (الهند: الدار السلفية، د.ت).
٧٠. المصنَّف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ).
٧١. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفي سعيد الرحيباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٦١م).
٧٢. المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم، (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ).
٧٣. المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).
٧٤. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل، عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

٧٥. المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد، سليمان بن خلف الباجي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٩٩م).
٧٦. منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد عليش، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
٧٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ).
٧٨. مواهب الجليل شرح مختصر الخليل، الحطاب، تحقيق زكريا عميرات، (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م).
٧٩. الموسوعة الفقهية الكويتية، (الكويت: وزرة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠٤هـ - ١٤٢٧هـ).
٨٠. الموطأ، مالك بن أنس، رواية محمد بن الحسن، تحقيق تقي الدين الندوي (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩١م).
٨١. الموطأ، مالك بن أنس الأصبحي، رواية يحيى الليثي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧١هـ).
٨٢. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، (إدارة الطباعات المنيرية، د.ت.).

التصرف في الديون بالرهن وفق السنة النبوية

فؤاد حميد الدليمي

د. سفيان ابن أحمد بن أمين

كلية الدراسات الإسلامية

الجامعة الوطنية

ماليزيا

foadhkd@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله ومن وآلاه، وبعد:

فلقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم ومثله معه ليبين للناس ما نُزِّل إليهم من الهدى والنور ويعلمهم الحكمة التي أوتيها كما يعلمهم القرآن، قال سبحانه: {وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون}، (سورة النحل: ٦٤).

وإن للسنة النبوية مكانة عظيمة في التشريع الإسلامي، فهي الأصل الثاني من أصول التشريع، فقد عنيت بتفصيل القواعد وبيان الأحكام، وعليها مدار فهم الكتاب الكريم، لذا لا بد من دراسة السنة النبوية والتفقه فيها، وبسط ماجاءت به من بيان لمجمل أحكام القرآن، وتوضيح لكلياته، ولا بد من الاحتجاج والعمل بها.

وإن الناس اليوم حينما يتبادلون المنافع فيما بينهم، قد يترتب على هذا التعامل ديون في الذمة، كما هو حاصل بين الناس في القديم والحديث، لذلك جاءت السنة المطهرة بمنهج ينظم الالتزامات الآجلة؛ ويحفظ الحقوق لأهلها، من خلال النصوص النبوية التي تستحق الدراسة والنظر، لما جاءت به من قواعد حتمية،وأحكام توثيقية، يسعى الغرب اليوم بعد الأزمة المالية التي شهدها حينما فتح الأبواب أمام التعامل بالديون، والتصرف برهنها دون ضبط أو إحكام لإجراءاتها، أن يتعلم الأحكام النبوية التي حفظت القيم الإنسانية، وأزهرت السلوكيات الأخلاقية، وأن يتمسك بها ويهتدي بهديها ليتجاوز خطورة الأزمة التي فتكت به.

ولأني حريص على أن أبين ما تضمنته السنة النبوية من فقه وأحكام تتعلق بالتصرف في الديون بالرهن، والتي حفظت الحقوق، وسَلِمَ بها المجتمع من الانتكاسات المالية، التي نتجت عن فوضى التعاملات المالية، كان اختياري لهذا الموضوع، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من نقص فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه براء.

الفصل الأول

معنى التصرف والرهن ومشروعيته في السنة

المبحث الأول: معنى التصرف والرهن

أولاً: التصرف في اللغة

التصرف لغةً مأخوذ من الصرف، والصرف له معاني منها:

- التَّقلُّبُ والحِيلةُ: يقال فلان يصرف ويتصرف ويصطرف لعياله أي يكتسب لهم[1]، والتَّقلُّبُ التصرُّف: قال تعالى: {أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين} (سورة النحل: ٤٦)[2]، ومنه تَصْريفُ الآياتِ: تَبيينُها، قال سبحانه: {وصرّفنا الآيات لعلهم يرجعون} (سورة الاحقاف:

١ تهذيب اللغة،الأزهري،١١٤/١٢،لسان العرب،ابن منظور،٢٢٩/٨.القاموس المحيط،الفيروزآبادي٣: ١٥٧.تاج العروس من جواهر القاموس،الزبيدي ،٢٤: ٢٠.

٢ المفردات في غريب القرآن،الأصفهاني،ص ٤١١.

٢٧)، وفي الدَّراهِمِ والبِياعات: إنْفَاقُها[١]، ومعنى الحيلة هو: جودة النظر والقدرة على التصرّف[٢].

- تدبير الأمور:

صرَّف الأمر: دبَّره ووجهه، وتصرَّف فلان في الأمر: احتال وتقلب فيه[٣]، وهذه هي أشهر المعاني التي يمكن أن يُردُّ إليها ما يقصد من التصرف بالمال من تقليب له وتعامل به بقصد الكسب أو بغيره كالبيع والشراء والمداينة وغيرها.

ثانياً: التصرف في الإصطلاح

هو كل ما يصدر عن الشخص المميز بإرادته من الأقول أو الأفعال، ويرتب عليه الشارع أثراً ما[٤].

شرح التعريف: ما يصدر عن الشخص بإرادته دون إكراه، من قول مثل البيع والشراء والمداينة والرهن، أو فعل كقبض وحبس الرهن، ويترتب عليه شرعاً أثراً كالضمان عند الإتلاف بقصد.

ثالثاً: الرهن في اللغة

معناه الحبس، يقال: رهن هذا الشيء أي حبسه، ومنه قوله تعالى: {كل نفس بما كسبت رهينة} (سورة المدثر: ٣)، أي محبوسة، ويأتي بمعنى: الثبوت والدوام يقال: ماء راهن أي دائم مستقر[٥]، والرهن مصدر سمي به الشيء المدفوع تقول: أرهنت زيداً الثوب إذا دفعته إليه ليرهنه عند أحد، ورهنت الرجل رهناً، أي دفعته إليه[٦].

رابعاً: الرهن في الاصطلاح

اختلف الفقهاء في تعريف الرهن، ولعل أشملها ما ذهب إليه المالكية فقالوا: بذل من له البيع ما يباع أو غرراً ولو اشترط في العقد وثيقة بحق"[٧].

وهذا أشمل، لأنه قد يكون المرهون عيناً كالعقار، أو منفعة كسكنى دار، أو ديناً للراهن على شخص آخر يوثّق به دين المرتهن، أو فيه غرر يسير يمكن أن يغتفر، وهذا فيه تيسير وتوسعة على الراهن لحصوله على ما يحتاجه، فيكون من باب التيسير للناس في تعاملاتهم.

المبحث الثاني: مشروعية الرهن في السنة النبوية

لقد جاءت السنة النبوية بنصوص بينت مشروعية التعامل بالرهن، وأوضحت أحكامه وضوابط التصرف فيه، نوردها مع بيان دلالتها.

---

١ القاموس المحيط، ٣: ١٥٧

٢ لسان العرب،ابن منظور، ١٨٥/١،القاموس المحيط،الفيروز آبادي، ٣: ٣٥٢.

٣ المعجم الوسيط، ١: ٥١٣.لسان العرب،ابن منظور، ٢٢٩/٨.

٤ المدخل في الفقه الإسلامي،محمد مصطفى الشلبي،ص ٤١٣.أحكام تصرفات الوكيل في عقود المعاوضات المالية،د.سلطان الهاشمي،ص٤٣.

٥ ينظر:القاموس المحيط.الفيروزآبادي. ٤: ٢٢٦.لسان العرب،ابن منظور. ٦: ٢٤٧.

٦ ينظر:المصباح المنير،الفيومي. ١: ١٢٠.

٧ ينظر:.حاشية الدسوقي،الدسوقي،٣: ٢٣١.حاشية الخرشي،الخرشي،٦: ١٢٦.

الحديث الأول: ما روي عن عائشة رضي الله عنها: "أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل ورهنه درعاً من حديد"[1].

الحديث الثاني: ما رواه أنس رضي الله عنه: أنه مشى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز شعير،وإهَالةٍ سَنِخَةٍ، ولقد "رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعاً له بالمدينة عند يهودي، وأخذ منه شعيراً لأهله"[2].

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم تعامل بنفسه بالرهن، حينما اشترى طعاماً بثمن مؤجل، ورهن درعه توثيقاً لما عليه من دين، وهو بهذا التعامل يوضح لنا الصورة العملية للإجراء التوثيقي الذي جاء به القرآن الكريم، عندما ذكر ربنا تبارك وتعالى من عليه دين ولم يتمكن من اكتتاب ذلك الدين أو الإشهاد عليه، أن يأخذ رهناً ليكون توثيقاً لذلك الدين، فيستوفي من ثمنه الدين عند تعذر أخذه من الغريم، وإنما نص سبحانه على حالة السفر على أنها من جملة أحوال العذر التي يلحق بها كل عذر يقوم مقام السفر كالخوف من خراب ذمة الغريم وغيره، قال تعالى: {وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة}[3] (سورة البقرة: ٢٨٣).

الحديث الثالث: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الرهن يركب بنفقته إذا كان مرهوناً، ولبن الدَّرِ يُشرَب بنفقته إذا كان مرهوناً، وعلى الذي يركب ويشرب النفقة"[4].

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن إباحة الانتفاع بالعين المرهونة، وعلى من ينتفع بالرهن النفقة والقيام على مصلحته، وهو ما دل عليه الحديث بمنطوقه، ومفهوم الحديث دليل على مشروعية الرهن وجوازه[5].

الفصل الثاني

أحكام التصرف في الديون بالرهن

المبحث الأول: حكم رهن الدين في الابتداء

وصورة هذه المسألة أن يكون "لمؤسسة أ" على "مؤسسة ب" ديناً، فتقوم "مؤسسة أ" بالاقتراض من "مؤسسة ب"، فتشترط "مؤسسة ب" عليها أن يكون الدين الأول رهناً في الدين الجديد، فتكون "مؤسسة ب" دائناً بالدين المرهون من جهة، ومديناً بالدين المرهون فيه من جهة أخرى[6].

اختلف الفقهاء في حكم هذه المسألة إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[1]، والشافعية في قول[2]، والحنابلة في قول[3]، إلى عدم جواز جواز رهن الدين ابتداء، واستدلوا بما يأتي:

---

١ صحيح البخاري،البخاري،كتاب البيوع،باب شراء النبي صلى الله عليه وسلم بالنسيئة رقم (٢٠٦٨)،٤: ٥٦.صحيح مسلم بشرح النووي.مسلم بن الحجاج،كتاب المساقاة، باب الرهن وجوازه في الحضر كالسفر،رقم (٤٠٩١،١١: ٤١.

٢ صحيح البخاري،البخاري،كتاب البيوع،باب شراء النبي صلى الله عليه وسلم بالنسيئة رقم (٢٠٦٩)،٤: ٥٦.

٣ ينظر:جامع البيان في تاويل القرآن،الطبري،٦: ٩٤.الجامع لأحكام القرآن القرطبي. ٣: ٤٠٨.معالم التنزيل،البغوي. ١: ٣٥٢.

٤ صحيح البخاري،البخاري،كتاب الرهن،باب الرهن مركوب ومحلوب،رقم (٢٥١٢)،٣: ١٤٣.

٥ ينظر:فتح الباري شرح صحيح البخاري،ابن حجر، ،٥: ١٤٤.

٦ ينظر:حاشية الدسوقي،الدسوقي. ،٣: ٢٣١.المدونة الكبرى،الامام مالك،٤: ١٦٨.

أولاً: الكتاب: بقوله تعالى: {وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة} (سورة البقرة: ٢٨٤).

وجه الدلالة: لقد وصف الله تعالى الرهن بالقبض، فدل على أنه لا يكون رهناً إلا بالقبض، فكما أن القرآن وصف الرقبة المعتوقة بالايمان فلا يصح في الكفارة إلا إطلاق رقبة مؤمنة، كذلك لا يصح الرهن إلا بالقبض، وقد ذكر القرآن غيره من العقود ولم يصفه به فدل على لزومه به[٤].

قال الشافعي: لم يجعل الله الحكم إلا برهن موصوف بالقبض، فإذا عدمت الصفة وجب أن يعدم الحكم [٥]، وقال سعيد بن جبير: لا يكون الرهن إلا مقبوضاً يقبضه الذي له المال ثم قرأ: {فرهان مقبوضة}[٦].

وأجيب: بأن القبض المشروط في هذه الآية متحقق، فإن ما في ذمة المدين مقبوض له حكماً، ومن جهة أخرى فإن القبض يختلف نظراً لطبيعة المقبوض، فالمنقول يكون بالنقل، والعقار بالتخلية، والدين الذي يكون المدين مقراً به هو بحكم القبض المعنوي، الذي يلزم صاحبه الدائن زكاته إن حال عليه الحول وبلغ النصاب[٧].

والرهن يصح بالايجاب والقبول لأنه عقد وثيقة فلا يكون القبض فيه شرطاً قياساً على الوصية[٨].

ثانياً: السنة: بما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة،وعن بيع الغرر"[٩].

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الغرر، والدين المرهون لا يدري هل يعطيه الدائن أم لا، وهذا غرر من غير حاجة يمنع صحة العقد[١٠].

وأجيب: بأن القول عن الدين المرهون لا يدري هل يعطيه الدائن أم لا إنما ذلك احتمال، والدين المكتوب المقر به المدين، لا يرد عليه هذا الاحتمال، وقد صح عند الحنابلة رهن الوديعة التي في يد المرتهن مع احتمال جحده لها عند المطالبة بها، كما أن الغرر المذكور يَقِلُّ فيه، كما يقل في رهن الثمرة قبل بدو صلاحها، الذي اجازه الحنابلة في رواية، فقالوا إن الثمرة إذا تلفت عاد إلى حقه في ذمة الراهن[١١].

---

١ الفتاوى الهندية،الشيخ نظام. ٥: ٤٣١.المبسوط،السرخسي. ٢١: ٧٢.

٢ المجموع،النووي. ١٢: ٣٣٧.فتح العزيز،الرافعي،٤: ٤٣٨.

٣ الفروع،ابن مفلح،٦: ٣٣١.كشاف القناع،البهوتي.٣: ٣٤٣.

٤ ينظر:تبيين الحقائق،الزيلعي. ٦: ٦٣.المجموع،النووي،١٢: ٣٠٩.

٥ القرطبي.الجامع لأحكام القرآن،٣: ٤١٠.

٦ الدر المنثور في التفسير بالمأثور،السيوطي. ٣: ٤٠٦.

٧ ينظر:تبيين الحقائق،الزيلعي. ٤: ٨٢.حاشية الدسوقي،الدسوقي،٣: ٢٣١.نيل الأوطار،الشوكاني.٣: ٥٣٨.

٨ ينظر:حاشية الدسوقي،الدسوقي. ٣: ٢٣١.الذخيرة،القرافي.١٩٩٤م،٨: ١٠١.

٩ صحيح مسلم بشرح النووي،مسلم،كتاب البيوع،باب بطلان بيع الحصاة،والبيع الذي فيه غرر،حديث رقم(٣٧٨٧)،١٠:٣٩٥.

١٠ ينظر:المجموع،النووي،١٢: ٣٣٧.

١١ ينظر:المغني،ابن قدامة،٦: ٤٦١

القول الثاني: ذهب المالكية[1]، والشافعية في قول[2]، والحنابلة في قول[3]، إلى جواز رهن الدين ابتداء سواء سواء عند المدين أو غيره، واستدلوا بما يأتي:

أولاً: بالكتاب: بقوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود} (سورة المائدة: ١).

وجه الدلالة: بأنه يلزم الإيفاء بعقد الرهن سواء قبض المرهون أم لم يقبض، لأن الرهن يثبت بالعقد.

ثانياً: المعقول: أن كل عرض جاز بيعه جاز أن يكون رهناً، لأن مقصود الرهن الاستيثاق بالدين للتوصل إلى استيفائه من ثمن الرهن إن تعذر استيفاؤه من ذمة الراهن، وهذا يتحقق في كل عين جاز بيعها،والدين عرض يجوز بيعه،فجاز رهنه[4].

واشترط المالكية لصحة رهن الدين للمدين سواء كان الدينان من بيع أو قرض، أن يكون أجل الدين المرهون مثل أجل الدين المرهون فيه، أو أبعد منه، فإن كان أجل الدين المرهون أقرب أو كان حالاً فلا يصح، لأن بقائه بعد حلوله عند المدين حتى يحل الدين المرهون فيه يعد سلفاً، فيؤدي إلى أسلفني وأسلفك، إن كان الدينان من قرض، وإلى اجتماع سلف وبيع إن كانا من بيع[5].

القول الثالث: ذهب الحنابلة في قول[6] إلى جواز رهن الدين عند المدين، وعدم جواز رهن الدين عند غيره، واستدلوا بما يأتي:

أن من كان في ذمته الدين فهو مقبوض له حكماً، لذا يجوز رهن الدين عند المدين بحق له، وأما إن كان الدين عند غير المدين فلا يعد بحكم المقبوض له، ويعتبر الدائن غير قادر على تسليمه، فأشبه العبد الآبق[7].

وأجيب: بأن ما ذكر ينتفي إن كان المدين مقراً بما عليه من دين، وكان مليئاً، فحينها يكون قادراً على تسليمه، فلا يشابه العبد الآبق، وقد يكون حصول الدائن على الدين من ذمة غير المدين أقوى من رجاء حصولها من الأصل،إذا كان موسراً[8]، وما روي عن جابر رضي الله عنه أنه سئل عن رجل له دين على آخر، فاشترى به غلاماً، فقال: لا بأس[9].

دليل على صحة الشراء بالدين، وأن جواز بيع الدين والشراء به كان معلوماً بينهم، ولم يكن مجهولاً، وأن القبض متحقق فيه ولكن بصورة تختلف عن قبض الاعيان[10].

---

١ حاشية الدسوقين،الدسوقي،٣: ٢٣١.حاشية الخرشي،الخرشي،٦: ١٢٨

٢ المجموع،النووي،١٢: ٣٣٧.فتح العزيز،الرافعي،٤: ٤٣٨.

٣ الانصاف،المرداوي،٥: ٩٨.الفروع،ابن مفلح،٦: ٣٣١.كشاف القناع،البهوتي،٣: ٣٤٣.

٤ ينظر:حاشية الدسوقي،الدسوقي،٣: ٢٣١.الذخيرة،القرافي.٨: ٧٩.المغني،ابن قدامة،٦: ٤٥٥.

٥ ينظر:حاشية الدسوقي،الدسوقي،٣: ٢٣١.الذخيرة،القرافي.٨: ٨٠.

٦ الفروع،ابن مفلح،٦: ٣٣١.كشاف القناع،البهوتي،٣: ٣٤٣.

٧ ينظر:كشاف القناع،البهوتي،٣: ٣٤٤.

٨ ينظر:فتح العزيز،الرافعي،٤: ٣٠٤.الأشباه والنظائر،السيوطي،ص ٣٣١.الشرح الممتع،ابن عثيمين، ٩: ١١٩.

٩ المصنف،عبد الرزاق. ،كتاب البيوع،باب هل يباع بالصك له على الرجل بيعا،رقم(١٤٥٠٥)،٨: ١٠٨.المحلى ٩: ٦.

١٠ ينظر:المداينات،عيسوي،ص١٣٠.

الترجيح:

بعد عرض أقوال الفقهاء في هذه المسألة، وأدلتهم،ومناقشة ما استدل به أصحاب القول الأول والثالث، تبين رجحان ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني، وهو جواز رهن الدين ابتداء سواء عند المدين أو غيره، قياساً على رهن الأعيان، ويكون قبضه بقبض وثيقته، أو الإشهاد عليه عند رهنه[1].

وإن الأصل في المعاملات الحل والصحة ما لم يرد دليل على التحريم والفساد، وبهذا يكون التوثيق بالدين ما دام ليس فيه ظلم ولا غرر ولا ربا فالأصل الصحة[2].

ورجح القول الثاني مجمع الفقه الإسلامي بما قرره بمجلسه المنعقد في دورة مؤتمره التاسع، وكذلك الهيئة الشرعية في مصرف الراجحي، وفقهاء معاصرون منهم الشيخ محمد مختار السلامي، والشيخ ابن عثيمين[3].

المبحث الثاني: أحكام تصرف الراهن والمرتهن بالدين المرهون

المسألة الأولى: تصرف الراهن بالدين المرهون

وصورة هذه المسألة أن يكون "لمؤسسة أ" على "العميل" ديناً، فيرهن "العميل" مالاً لصالح "مؤسسة أ" ثم يقوم "العميل" ببيع الرهن بعد أن سلمه "لمؤسسة أ" أو بعد أن سجله عند الجهات المختصة، لصالح "مؤسسة أ".

اتفق الفقهاء في حكم هذه المسألة، من الحنفية[4]، والمالكية[5]، والشافعية[6]، والحنابلة[7]، على أنه لا يجوز يجوز للراهن أن يتصرف بالرهن بعد التسليم، بغير إذن المرتهن، واستدلوا بما يأتي:

أولاً: السنة: بما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار"[8].

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يضر الرجل الآخر، كأن ينقصه شيئاً من حقه، وإن تصرف الراهن بالرهن ببيع أو غيره فيه ضرر على المرتهن[9].

ثانياً: الإجماع: انعقد الاجماع على أنه لا يجوز للراهن أن يتصرف بالرهن بعد التسليم، بغير إذن المرتهن[1].

---

١ ينظر:حاشية الخرشي،الخرشي،٦: ١٢٨.

٢ ينظر:الشرح الممتع،ابن عثيمين،٩: ١٢٠.

٣ قرارات مجمع الفقه الإسلامي،الدورة التاسعة،قرار رقم:٨٦ (٩/٣).قرارات الهيئة الشرعية بمصرف الراجحي،٢: ٨٨٩ قرار رقم: ٥٨٤. التصرف في الديون،السلامي.بحث منشور في مجلة المعهد الإسلامي للبحوث،المجلد٧،العدد الأول،ص٥٥. الشرح الممتع،ابن عثيمين،٩: ١٢٠.

٤ تبيين الحقائق،الزيلعي،٦: ٨٤.درر الحكام شرح مجلة الأحكام، حيدر،م٧٤٧،٥: ١٥٥.

٥ الذخيرة،القرافي.٨: ١١٥.المدونة الكبرى،الامام مالك،٤: ١٣٣.

٦ فتح العزيزشرح الوجيز،الرافعي،٤: ٤٨٣.البيان في مذهب الإمام الشافعي،العمراني،٦: ٢٤.

٧ المغني،ابن قدامة،٦: ٤٨٣.شرح منتهى الإرادات،البهوتي. ٣: ٣٤٥.

٨ سنن ابن ماجة.ابن ماجة،باب من بنى في حقه ما يضر بجاره،رقم (٢٣٣٢).وصححه الألباني.صحيح سنن ابن ماجة، الألباني،٢: ٢٥٧،حديث رقم (١٩٠٩)

٩ ينظر:المجموع، النووي. ،١٢: ٣٧٣.

المسألة الثانية: تصرف المرتهن بالدين المرهون

صورة هذه المسألة أن يكون "لمؤسسة أ" على "العميل" ديناً، فيرهن "العميل" مالاً لصالح "مؤسسة أ" ثم يسلم الرهن "لمؤسسة أ" وتقوم "مؤسسة أ" بالتصرف في الرهن دون أخذ الإذن من الراهن "العميل".

اتفق الفقهاء في حكم هذه المسألة من الحنفية[٢]، والمالكية[٣]، والشافعية[٤]، والحنابلة[٥]، على أنه لا يجوز للمرتهن أن يتصرف بالرهن، بغير إذن الراهن، واستدلوا بما يأتي:

السنة: بما روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل سلف، وبيع ولا شرطان في بيع، ولا ربح ما لم يُضْمَن، ولا بيع ما ليس عندك"[٦].

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الانسان ما لا يملك، والمرتهن ليس مالكاً للرهن، ولا يقوم مقام المالك، فليس له أن يتصرف في ملك غيره.

وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يغلق الرهن من صاحبه، له غُنمُهُ، وعليه غُرمُهُ"[٧].

وجه الدلالة: أن المرتهن في الجاهلية كان يتملك الرهن إذا لم يؤد الراهن إليه حقه في الوقت المضروب، فأبطله الشارع، لأن الرهن هو ملك للراهن، له غنمه وعليه غرمه، فلا يصح للمرتهن أن يتصرف في المرهون إلا بإذن من الراهن[٨].

المبحث الثالث: آثار الدين المرهون

المسألة الأولى: انتفاع الراهن بالدين المرهون

---

١ الاجماع،ابن المنذر،ص ٩٦.المغني،ابن قدامة،٦: ٤٨٣.

٢ الفتاوى الهندية،الشيخ نظام،٥: ٤٦٤.تحفة الفقهاء،السمرقندي،٣: ٤٢.

٣ المدونة الكبرى،الامام مالك،٤: ١٤٩.حاشية الدسوقي،الدسوقي،٣: ٢٥٠.

٤ الوسيط في المذهب،الغزالي،٣: ٥٠٦.فتح العزيزشرح الوجيز،الرافعي،٤: ٥٠٠.

٥ الإنصاف،المرداوي،٥: ١٤٥.شرح منتهى الإرادات،البهوتي. ٣: ٣٥٨.

٦ سنن الترمذي.الترمذي،كتاب البيوع،باب ما جاء في كراهية بيع ما ليس عندك،رقم(١٢٣٤)،٢: ٥١٥،وقال عنه: حسن صحيح.سنن أبو داود،كتاب البيوع،باب في الرجل يبيع ما ليس عنده،رقم(٣٥٠٤)،٣: ٤٩٥.وسنن النسائي،كتاب البيوع،باب بيع ما ليس عند البائع،رقم(٤٦٢٥)،٧: ٣٣٣.وسنن ابن ماجه،كتاب التجارات،باب النهي عن بيع ما ليس عندك ،رقم(٣١٨٨)،٣: ٣١.

٧ سنن ابن ماجه،ابن ماجه،كتاب الرهون،باب لا يغلق الرهن،حديث رقم(٢٤٤١)،٣: ١٦١.سنن الدار قطني،الدار قطني ،كتاب البيوع،حديث رقم(٢٩٢٠)،٣: ٤٣٨.وقال عنه حسن.المستدرك على الصحيحين، الحاكم،كتاب البيوع،حديث رقم(٢٣٧٠)،٢: ٦٤،وقال عنه: (صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي.سنن البيهقي الكبرى، البيهقي،كتاب الرهن،باب ما روي في غلق الرهن ،رقم الحديث(١١٢٣٧)،٦: ٧٣.بلوغ المرام من ادلة الأحكام،ابن حجر العسقلاني،كتاب البيوع،أبواب السلم والقرض والرهن،رقم (٨١٠)،ص١٤٤،وقال عنه:(رجاله ثقات).

٨ ينظر:عون المعبود شرح سنن ابي داود، آبادي،٦: ٣٨٢.

صورة هذه المسألة أن يكون "لمؤسسة أ" على "العميل" ديناً، فيرهن "العميل" مالاً لصالح "مؤسسة أ"، أو ديناً له عند "زيد"، ثم يقوم "العميل" بالانتفاع بالرهن دون إذن من "مؤسسة أ".

اختلف الفقهاء في حكم هذه المسألة إلى قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية[١]، والحنابلة[٢]، إلى عدم جواز انتفاع الراهن بالرهن، دون إذن المرتهن.

وإليه ذهب الإمام الثوري[٣]، واستدلوا بما يأتي:

أولاً: الكتاب: بقوله تعالى: {فرهان مقبوضة} (سورة البقرة: ٢٨٣).

وجه الدلالة: أن الآية تدل على بقاء الرهن مقبوضاً، وعند انتفاع الراهن بالرهن لا يتحقق القبض المطلوب[٤].

وأجيب: بأن الآية تدل على اشتراط القبض لصحة عقد الرهن، والقبض المشروط هو قبض وثيقته، أو الإشهاد عليه عند رهنه، وهذا لا ينافي انتفاع الراهن بملكه[٥].

ثانياً: المعقول: أن الرهن كالبيع، فإنه يثبت للبائع الحق في حبس المبيع رهناً حتى استيفاء الثمن، وحينها يكون المشتري ممنوع من الانتفاع بالمبيع،و كذلك الراهن يمنع من الانتفاع بالرهن لأجل حق المرتهن[٦].

وأجيب: بأنه لا يمكن قياس الرهن على البيع، لأن البيع ينقل الملك من البائع إلى المشتري، وهذا بخلاف عقد الرهن فهو يزيل الملك، وإنما يوجب حقاً للمرتهن[٧].

القول الثاني: ذهب المالكية[٨]، والشافعية[٩]، إلى جواز انتفاع الراهن بالرهن، دون إذن المرتهن بما لا ضرر فيه فيه على المرتهن، وإليه ذهب ابن أبي ليلى، وأبو ثور، وابن المنذر[١٠]، والظاهرية[١١]، مع استثناء منفعة الركوب واللبن، فقالوا بأنهما للمرتهن مقابل النفقة، واستدلوا بما يأتي:

السنة: بما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يغلق الرهن من صاحبه، له غُنمُهُ، وعليه غُرمُهُ"[١٢].

---

١ بدائع الصنائع،الكاساني،٥: ٢١١.المبسوط،السرخسي،٢١: ١٠٦.

٢ كشاف القناع،البهوتي،٣: ٣٧٣.المغني،ابن قدامة،٦: ٥١٥.

٣ ينظر: المغني،ابن قدامة،٦: ٥١٥.

٤ ينظر:بدائع الصنائع،الكاساني،٥: ٢١١.المبسوط،السرخسي،٢١: ١٠٦.

٥ ينظر:المغني،ابن قدامة،٦: ٥١٥.

٦ ينظر:المبسوط،السرخسي،٢١: ١٠٧.

٧ ينظر:المغني،ابن قدامة،٦: ٥١٦.

٨ الذخيرة،القرافي.٨: ١٢٤.حاشية الدسوقي،الدسوقي. ،٣: ٢٤١.

٩ المجموع،النووي،١٢: ٣٦٣.البيان في مذهب الإمام الشافعي،العمراني،٦: ٦٩.

١٠ ينظر:المحلى،ابن حزم. ٨: ٩١.المغني،ابن قدامة،٦: ٥١٦.

١١ المحلى،ابن حزم،٨: ٨٩.

١٢ سبق تخريجه،ص ١٢

وجه الدلالة: أن الرهن هو ملك للراهن، له غنمه ونماؤه، وعليه غرمه، فكما أنه أحق ببدل المنفعة وهو الكسب والغلة، فهو أحق أن ينتفع به ما لم يضر هذا الانتفاع بما تعلق به وهو حق الرهن[١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الرهن يركب بنفقته إذا كان مرهوناً، ولبن الدَّرِ يُشرَب بنفقته إذا كان مرهوناً، وعلى الذي يركب ويشرب النفقة"[٢].

وجه الدلالة: بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الظهر يركب واللبن يشرب بسبب النفقة، والتي هي واجبة على الراهن، فدل على أنه يستحق منفعة الرهن.

قال الإمام الشافعي: من رهن ذات در وظهر لم يمنع الراهن درها وظهرها، لأن له رقبتها وهي محلوبة ومركوبة كما كانت قبل الرهن، ولا يمنع الراهن برهنه إياها من الدر والظهر الذى ليس هو الرهن[٣].

وأجيب:ب أن الذي ينتفع بالظهر واللبن، هو المرتهن الذي بيده الرهن فهو ينفق عليه، فينتفع بالظهر واللبن مقابل نفقته عليه[٤].

وأجيب عليه: بأن أصل المنفعة للراهن، فهو الذي يملك العين، وله غنمها وعليه غرمها، فهو الذي ينفق على الدين المرهون لما يتطلبه لحفظ وثيقة الدين، وأما انتفاع المرتهن فيكون بقدر نفقته[٥].

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات،ومنع وهات، وكره لكم ثقيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"[٦].

وجه الدلالة: لقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال، وإن تعطيل الرهن وعدم انتفاع الراهن به، هو إهمال وضياع للمال، وهذا منهي عنه[٧].

الترجيح:

بعد عرض أقوال الفقهاء في هذه المسألة، وأدلتهم،ومناقشة ما استدل به أصحاب القول الأول، تبين رجحان ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني، وهو جواز انتفاع الراهن بالرهن، بما لا ضرر فيه على المرتهن، لأن في عدم الانتفاع تعطيل لمنفعة العين المرهونة، وهذا فيه تشبه بتسييب أهل الجاهلية فيكون خلاف المشروع، وبالإمكان الجمع بين الانتفاع والوثيقة دون ضياع حق أحد الطرفين[٨]، ورجح هذا القول أيضاً علماء وفقهاء معاصرون منهم: الشيخ ابن عثيمين[٩].

---

١ ينظر:المحلى،ابن حزم ٨: ٨٩.المبسوط،السرخسي،٢١: ١٠٧.

٢ سبق تخريجه،ص ٥.

٣ الأم،الشافعي.٣: ١٦٧.

٤ ينظر:فتح الباري،ابن حجر،٥: ١٧٨.

٥ ينظر:فتح الباري،ابن حجر،٥: ١٧٨.

٦ صحيح البخاري،البخاري،كتاب الإستقراض،باب ما ينهى عن إضاعة المال،رقم(٢٤٠٨)،٣: ١٢٠.

٧ ينظر:المحلى،ابن حزم. ٨: ٩٠.المغني،ابن قدامة،٦: ٥١٦.

٨ ينظر:المبسوط،السرخسي،٢١: ١٠٧.المغني،ابن قدامة،٦: ٥١٦.

٩ الشرح الممتع،ابن عثيمين،٩: ١٤٠.

المسألة الثانية: انتفاع المرتهن بالدين المرهون

صورة هذه المسألة أن يكون "لمؤسسة أ" على "العميل" ديناً، فيرهن "العميل" ديناً له عند "مؤسسة أ"، ثم تقوم "مؤسسة أ" بالانتفاع بالرهن.

اختلف الفقهاء في حكم هذه المسألة إلى قولين:

القول الأول: ذهب جمهور العلماء من الحنفية[١]، والمالكية[٢]، والشافعية[٣]، والظاهرية[٤]، إلى أنه لا يجوز للمرتهن أن ينتفع بالدين المرهون، وإليه ذهب الشعبي، وشريح[٥]، واستدلوا بما يأتي:

أولاً: السنة: بما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يغلق الرهن من صاحبه، له غُنمُهُ، وعليه غُرمُهُ"[٦].

وجه الدلالة: أن الذي يملك العين المرهونة هو الراهن، فله نماؤه ومنافعه، وأما المرتهن فيملك حبس العين حتى يستوفي حقه، فليس له أن ينتفع بالعين المرهونة[٧].

وأجيب: بأن الراهن يملك العين ويملك التصرف فيها، فإن أذن للمرتهن أن ينتفع بها فهو يملك هذا الإذن، وهذا التصرف لا يضر بكلا الطرفين، فحق الملك محفوظ للراهن، وحق الحبس محفوظ للمرتهن.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فإن دماءكم، وأموالكم عليكم حرام"[٨].

حرام"[٨].

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم أن ينتفع أحد بمال غيره، فهو من أكل المال بالباطل.

وأجيب: بأن هذا النص عام يدخل فيه المرتهن إن لم يأذن له الراهن الذي يملك العين، وأما إن أذن له فهو من يملك التصرف فيها،و كما أنه يصح منه لو وهبه إياها كذلك يصح منه أن يأذن له بالانتفاع بها.

ثانياً: الإجماع: أجمع أهل العلم على أن نفقة الرهن على الراهن لا على المرتهن، وأنه ليس للمرتهن استعمال الرهن، كما حكى الطحاوي[٩].

وأجيب: بأن دعوى الإجماع هذه غير مسلم لها مع مخالفة الحسن،وابن سيرين،وإسحاق،وأحمد.

---

١ بدائع الصنائع،الكاساني،٥: ٢١٢.المبسوط،السرخسي،١٤: ٣٥.

٢ المدونة الكبرى،الامام مالك،٤: ١٤٩.حاشية الخرشي،الخرشي،٦: ١٥٣.

٣ المجموع،النووي. ،١٢: ٣٦٥.أسنى المطالب في شرح روض الطالب،زكريا الانصاري،٢: ١٥٣.

٤ ابن حزم.١٣٤٧هـ،*المحلى* ٨: ٨٩.

٥ السنن الكبرى،البيهقي،٦: ٦٥.

٦ سبق تخريجه،ص ١٢

٧ ينظر:بدائع الصنائع،الكاساني،٥: ٢١٢

٨ صحيح البخاري،البخاري،كتاب الحج،باب الخطبة أيام منى،رقم(١٧٤١)،٢: ١٧٦.

٩ شرح معاني الآثار،الطحاوي،٣: ٣٧٣.

القول الثاني: ذهب الحنابلة[١]، إلى أنه يجوز للمرتهن أن ينتفع بالدين المرهون بإذن الراهن، وإليه ذهب الحسن، وابن سيرين، وإسحاق[٢]، وإليه ذهب ابن القيم[٣]، واشترط أصحاب هذا القول أن لا يكون المرهون به دين دين قرض، واستدلوا بما يأتي:

السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الرهن يركب بنفقته إذا كان مرهوناً، ولبن الدَّرِ يُشرَب بنفقته إذا كان مرهوناً"[٤]، وروي بزيادة: "فعلى المرتهن علفها، ولبن الدر"[٥].

وجه الدلالة: أن هذا الحديث دل بمنطوقه على إباحة الانتفاع في مقابل الإنفاق، وهذا الحديث وإن كان مجملاً لكنه يختص بالمرتهن، لأن انتفاع الراهن بالمرهون باعتباره مالكاً له لا منفقاً عليه بخلاف المرتهن[٦].

وأجيب: بقول ابن عبد البر: هذا الحديث يرده أصول مجمع عليها وآثار ثابتة لا يختلف في صحتها[٧].

وأجيب عليه: بأن الصواب ما دل عليه الحديث، وقواعد الشريعة وأصولها لا تقتضي سواه، فقد شرع الله سبحانه الرهن مقبوضاً بيد المرتهن فإذا كان بيده فلم يركبه ولم يحلبه ذهب نفعه باطلاً، وإن مكن صاحبه من ركوبه خرج عن يده وتوثيقه، وإن كلف صاحبه كل وقت أن يأتي يأخذ لبنه شق عليه، فكان بمقتضى العدل والقياس ومصلحة الراهن والمرتهن والمرهون أن يستوفي المرتهن المنفعة ويعوض عنها بالنفقة[٨].

وما روي عن علي رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل قرض جر منفعة فهو رباً"[٩].

وجه الدلالة: أن القرض إذا جر منفعة فهو محرم لأنه رباً، وإن كان دين الرهن من قرض فلا يجوز للمرتهن أن ينتفع به وإن أذن له الراهن لأنه يصبح من الربا.

وأجيب: بأن هذا الحديث قد ضعفه من أهل الحديث: الزيلعي، والشوكاني، والصنعاني، والألباني، وغيرهم[١].

---

١ المغني،ابن قدامة،٦: ٥٠٩.شرح منتهى الإرادات،البهوتي، ٣: ٣٦٥.

٢ ينظر:الإشراف على مذاهب العلماء،ابن المنذر،٦: ١٨٩.المغني،ابن قدامة،٦: ٥٠٩

٣ إعلام الموقعين،ابن القيم،٢: ٢٢٧.

٤ ينظر:سبق تخريجه،ص ٥

٥ سنن الدار قطني،الدار قطني البغدادي،كتاب البيوع،حديث رقم(٢٩٢٩)،٣: ٤٤١.سنن البيهقي الكبرى،البيهقي،كتاب الرهن،باب ما جاء في زيادات الرهن ،رقم الحديث(١١٢٠٦)،٦: ٦٣.

٦ فتح الباري،ابن حجر،،٥: ١٧٨.

٧ التمهيد،ابن عبد البر،٥: ٣٢٠.

٨ ينظر:إعلام الموقعين،ابن القيم،٢: ٢٢٧.

٩ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية،ابن حجر.العسقلاني، ،كتاب البيوع،باب الزجر عن القرض إذا جر منفعة، رقم(١٤٤٠)،٧: ٣٦٢.سنن البيهقي الكبرى،البيهقي،كتاب البيوع،باب كل قرض جر منفعة فهو ربا ،رقم الحديث(١٠٩٣٣)،٥: ٥٧٣.المصنف،ابن أبي شيبة،كتاب البيوع،باب من كره كل قرض جر منفعة،رقم (١)،٥: ٨٠.نصب الراية،الزيلعي. ،كتاب الحوالة،رقم(٦٤٧٤)،٤: ٦٠.

وأجيب عليه: بأن هذا الحديث وإن كان في سنده مقال، فقد تلقى كثير من العلماء هذا الحديث بالقبول، وعليه إجماع أهل العلم أن المقرض لا يجوز أن ينتفع من مال المقترض بسبب القرض فيكون هذا من الربا[2].

الترجيح:

بعد عرض أقوال الفقهاء في هذه المسألة، وأدلتهم، ومناقشة ما استدل به أصحاب القول الأول، تبين رجحان ما ذهب إليه أصحاب القول الثاني، وهو جواز انتفاع المرتهن بالرهن بإذن الراهن، بما لا ضرر فيه على المرتهن، لأن في عدم الانتفاع تعطيل لمنفعة العين المرهونة، وهذا خلاف المشروع[3]، ورجح هذا القول أيضاً علماء وفقهاء معاصرون منهم: الشيخ ابن عثيمين[4].

النتائج والتوصيات:

١. إن السنة النبوية أصّلت قضية حفظ الحقوق وتوثيقها تأصيلاً شرعياً متكاملاً، فقد أحاطتها بمختلف أنواع الحماية والضمانات من الإعتداء والإنتهاك، مما لم يوجد في منهج أو قانون غير السنة النبوية.

٢. لقد وضعت السنة النبوية الضوابط التي تحكم التصرف بالدين المرهون سواء من قبل الراهن أو المرتهن،فلا يجوز لأحدهما التصرف في الرهن بما يضر بمصلحة الآخر،حتى لا يضيع المال،وتضيع الحقوق.

٣. أجازت السنة النبوية الانتفاع بالرهن سواء من الراهن أو المرتهن بإذن الآخر، وبما لا ضرر فيه على الآخر، وعدته حفظ للمال وتنمية له، وحذرت من تعطيل المال وإضاعته، لأنه خلاف المشروع، وأما إن كان الدين المرهون قرضاً فلا يجوز للمرتهن الانتفاع فيه خشية الوقوع في شبهة الربا.

٤. إن عدم الالتزام بالتحصينات النبوية في التعاملات المالية ينتج عنه الآثار السلبية، ويمكننا معرفة ذلك من خلال النظر في أحد أهم أسباب الأزمة المالية التي وقعت مؤخراً، وهو رهن المستثمرين للسندات التي هي عبارة عن قروض على اعتبارها أنها أصول، فلما تعثر أصحاب القروض، فقدت السندات قيمتها، وأفلس عدد من البنوك، فنتج عن ذلك الضرر الكبير، والانهيار العظيم.

٥. تعد السنة النبوية وما جاءت به من أحاديث عن الرهن، حلقة من حلقات الحديث عن الاقتصاد الإسلامي، بنت فيه نظم التصرف بالدين المرهون، من خلال التوجيهات المتعلقة به.

---

١ نصب الراية،الزيلعي،كتاب الحوالة،رقم(٦٤٧٤)،٤: ٦٠.نيل الأوطار،الشوكاني، ٣: ٦٤٨.سبل السلام،الصنعاني، ٣: ٧٠.إرواء الغليل،والألباني. ٥: ٢٣٥.

٢ الاجماع،ابن المنذر،ص ٩٥.

٣ ينظر:المغني،ابن قدامة،٦: ٥١٦.الشرح الممتع،ابن عثيمين،٩: ١٤٠.

٤ الشرح الممتع،ابن عثيمين،٩: ١٤٠.

٦. أوصي بمزيد من الدراسة والبحث فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي في السنة النبوية، والذي تتجلى فيه أجمل صور العدل والتراضي، لمن أراد حقاً أن يحترم قيمة الانسان، وأن يحفظ له حقوقه.

المصادر والمراجع

١. الإجماع،ابن المنذر،محمد بن ابراهيم،١٩٩١م،ط٣،قطر:رئاسة المحاكم الشرعية والشؤن الدينية.
٢. أحكام القرآن،ابن العربي،محمد المالكي،ط١،لبنان:دار إحياء التراث العربي.
٣. أحكام تصرفات الوكيل في عقود المعاوضات المالية،د.سلطان الهاشمي،٢٠٠٢م،ط١،دبي:دار البحوث الإسلامية.
٤. أسنى المطالب في شرح روض الطالب،زكريا محمد الانصاري،دت، ،مصر:دار الكتاب
٥. الأشباه والنظائر.السيوطي،جلال الدين السيوطي، ،١٩٨٣م،ط١بيروت:دار الكتب العلمية.
٦. الإشراف على مذاهب العلماء،ابن المنذر.أبو بكر محمد بن إبراهيم،٢٠٠٥م،ط١،الامارات:مكة الثقافية
٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين.ابن القيم الجوزية، ١٤٢٣هـ،ط١،الرياض:دار ابن الجوزي
٨. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف،المرداوي.علاء الدين علي الحنبلي،١٩٩٧م،ط١،بيروت:دار الكتب العلمية
٩. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع،الكاساني،علاء الدين بن مسعود،٢٠٠٠م،ط٣،لبنان:دار إحياء التراث العربي.
١٠. بلوغ المرام من ادلة الأحكام،ابن حجر.ابن حجر العسقلاني،٢٠٠٣م،ط٢،الرياض: مكتبةنزار مصطفى الباز
١١. البيان في مذهب الإمام الشافعي،العمراني.يحيى ابن سالم،٢٠٠٠م،ط١،بيروت:دار المنهاج
١٢. تاج العروس،الزبيدي،محمد مرتضى الحسيني،١٩٨٧م،ط٢،الكويت:حكومة الكويت.
١٣. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق،الزيلعي،فخر الدين عثمان،١٣١٤هـ،ط١،مصر:المطبعة الكبرى الأميرية.
١٤. تحفة الفقهاء،السمرقندي.علاء الدين،١٩٩٤م،ط٢،بيروت:دار الكتب العلمية
١٥. التصرف في الديون،السلامي.محمد المختار،٢٠٠٠م،مجلة الدراسات الإسلامية المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب
١٦. التمهيد،ابن عبد البر.يوسف بن عبد الله،٢٠٠٠م،ط١،بيروت:دار إحياء التراث العربي
١٧. تهذيب اللغة،الأزهري،أحمد بن محمد،٢٠٠١م،ط١،لبنان:دار إحياء التراث العربي.
١٨. جامع البيان في تأويل القرآن،الطبري،محمد بن جرير،٢٠٠٠م،ط١،لبنان:مؤسسة الرسالة.
١٩. الجامع لأحكام القرآن،القرطبي،محمد بن احمد الانصاري،١٩٨٥م،ط٢،لبنان:دار إحياء التراث العربي.
٢٠. حاشية الخرشي،الخرشي.محمد بن عبد الله الخرشي،١٩٩٧م،ط١،بيروت:دار الكتب العلمية
٢١. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير،الدسوقي.محمد عرفة،دت،مصر:دار إحياء الكتب العربية
٢٢. الدر المنثور في التأويل بالمأثور،لجلال الدين السيوطي،٢٠٠٣م،ط١،مصر:مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية.
٢٣. درر الحكام شرح مجلة الاحكام،علي حيدر،١٩٩١م،ط١،لبنان:دار الكتب العلمية.
٢٤. الذخيرة،أحمد القرافي، ،١٩٩٤م،ط١بيروت:دار الغرب الإسلامي.
٢٥. سبل السلام شرح بلوغ المرام،الصنعاني.محمد بن اسماعيل،١٩٩٧م،ط١،بيروت:دار إحياء التراث العربي
٢٦. سنن ابن ماجة،ابن ماجة،محمد القزويني،٢٠٠٠م، ط٣بيروت:دار المعرفة
٢٧. سنن أبي داود،أبو داود،سليمان السجستاني،١٩٩٧م، ط١بيروت:دار ابن حزم.
٢٨. سنن الترمذي الجامع الكبير،محمد بن عيسى الترمذي،١٩٩٦م، ط١بيروت:دار الغرب الإسلامي.
٢٩. سنن الدار قطني،الدار قطني،علي بن عمر الدار قطني،٢٠٠٤م، ط١بيروت:مؤسسة الرسالة.
٣٠. السنن الكبرى،البيهقي،أحمد بن الحسين البيهقي،٢٠٠٣م، ط٣بيروت:دار الكتب العلمية.

٣١. سنن النسائي،النسائي،أحمد بن شعيب النسائي، ١٩٩٩م،ط٥،بيروت:دار المعرفة.
٣٢. الشرح الممتع على زاد المستقنع،محمد بن صالح العثيمين،١٤٢٥هـ،ط١،الرياض:دار ابن الجوزي
٣٣. شرح معاني الأثار،الطحاوي،أحمد محمد الطحاوي،٢٠٠١م، ط١بيروت:دار الكتب العلمية.
٣٤. شرح منتهى الارادات،البهوتي،منصور بن يونس،٢٠٠٥م،ط٢،لبنان:مؤسسة الرسالة.
٣٥. صحيح سنن ابن ماجة،محمد ناصر الدين الألباني،١٩٩٧م،ط١،الرياض:مكتبة المعارف.
٣٦. صحيح مسلم بشرح النووي،محي الدين النووي،٢٠٠٣م،ط٩،لبنان:دار المعرفة.
٣٧. عون المعبود شرح سنن ابي داود،العظيم آبادي مع شرح الحافظ ابن القيم،٢٠٠١م،ط٢،مصر:دار الحديث
٣٨. الفتاوى الهندية،الهمّام مولانا الشيخ نظام،١٩٩١م،ط٢،مصر:المطبعة الكبرى الأميرية.
٣٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري،ابن حجر العسقلاني،٢٠٠٠م،ط٣،الرياض:دار السلام.
٤٠. فتح العزيزشرح الوجيز،الرافعي.عبد الكريم بن محمد،دت ،بيروت:دار الفكر
٤١. القاموس المحيط،الفيروز آبادي،مجد الدين محمد يعقوب،١٣٠١هـ،ط٣،مصر:المطبعة الأميرية.
٤٢. قرارات الهيئة الشرعية بمصرف الراجحي،٢٠١٠م،ط١،الرياض،داركنوز إشبيليا
٤٣. قرارات مجمع الفقه الإسلامي،الدورة التاسعة،١٩٩٥م
٤٤. كتاب الفروع،ابن مفلح.شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي،٢٠٠٣م ،ط١،بيروت:مؤسسة الرسالة
٤٥. كشاف القناع،البهوتي،منصور بن يونس،١٩٩٩م،ط١،لبنان:دار إحياء التراث العربي.
٤٦. لسان العرب،ابن منظور،جمال الدين محمد،٢٠٠٠م،ط١،لبنان:دار صادر.
٤٧. المبسوط،السرخسي.شمس الدين محمد بن أبي سهل،١٩٨٩م،ط١،بيروت:دار المعرفة
٤٨. المجموع شرح المهذب،النووي.محي الدين يحيى بن شرف،دت، ،جدة:مكتبة الإرشاد
٤٩. المحلى،ابن حزم.علي بن أحمد بن سعيد،١٣٤٧هـ،ط١،مصر:إدارة الطباعة المنيرية
٥٠. المداينات،د.عيسوي أحمد عيسوي،الرياض:مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي.
٥١. المدخل في الفقه الإسلامي،محمد مصطفى شلبي،١٩٨٥م،ط١٠،لبنان:الدار الجامعية.
٥٢. المدونة الكبرى،الامام مالك.مالك بن أنس الأصبحي،١٩٩٤م، ،ط١،بيروت:دار الكتب العلمية
٥٣. المستدرك على الصحيحين،الحاكم.أبو عبد الله الحاكم النسيابوري،١٩٩٧م،ط١،مصر:دار الحرمين
٥٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،الفيومي،احمد بن محمد،١٨٢٢هـ،ط١،مصر:مطبعة التقدم العلمية.
٥٥. مصنف ابن أبي شيبة،أبو بكر ابن أبي شيبة، ١٤٠٩هـ،ط١،الرياض:مكتبة الرشد.
٥٦. مصنف عبد الرزاق،عبد الرزاق الصنعاني،١٤٠٣هـ، ط٢بيروت:المكتب الإسلامي.
٥٧. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية،ابن حجر،أحمد بن حجر العسقلاني،١٩٩٨م، ط١الرياض:دار العاصمة.
٥٨. معالم التنزيل،البغوي،الحسين بن مسعود،١٩٩٧م،ط٤،لبنان:دار طيبة.
٥٩. المعجم الوسيط،مجموعة مؤلفين،١٩٦٥م،ط٣،مصر:دار الدعوة.
٦٠. المغني،ابن قدامة،موفق الدين المقدسي،١٩٩٧م،ط٣،الرياض:دار عالم الكتب.
٦١. المفردات في غريب القرآن،الأصفهاني،الحسين بن محمد،دت،بيروت:دار المعرفة.
٦٢. نصب الراية لأحاديث الهداية،الزيلعي.جمال الدين عبد الله بن يوسف،١٩٩٧م، ط١،بيروت:مؤسسة الريان
٦٣. نيل الأوطار،الشوكاني.محمد بن علي بن محمد،٢٠٠٢م،ط٢،دمشق:دار الكلم الطيب
٦٤. الوسيط في المذهب،الغزالي.محمد بم محمد،١٩٩٧م،ط١،مصر:دار السلام

الأحاديثة الضعيفة الواراردة في كتاب تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك للإمام الفندلاوي

الصادق المبروك الصادق

د. عبد الكريم علي

أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا

ماليزيا

abdkarim66@gmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المصطفى الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن هذا الكتاب: (تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك) يتناول مناقشة مسائل فروع الفقه الاجتهادية المختلف فيها بين الإمام مالك وفقهاء الأمصار عامة، وبينه وبين الإمامين أبي حنيفة والشافعي خاصة، و لا يذكر الإمام الفندلاوي رحمه الله من خلاف أحمد بن حنبل إلا النزر اليسير ولا يذكره، وإن ذكره إلا معطوفاً على غيره، ولا يكاد يكون عنده محل نقاش كأبي حنيفة والشافعي في الكتاب كله، ويحتوي هذا الكتاب على مسائل فقهية اجتهادية استدل لها مؤلفه من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، فهو يعرض المسألة وأقوال العلماء فيها ويذكر استدلالاتها لأئمة المذاهب الحنفية والشافعية والحنابلة ثم يعرض أدلة المالكية ويناقش هذه الأدلة وأخيراً يرجح قول المالكية.

ففي هذا البحث سوف نورد الأحاديث الضعيفة التي أوردها الإمام الفندلاوي في كتابه ورجح بها مذهبه، وسأمهد لهذا البحث بالتعريف بالإمام الفندلاوي.

التمهيد: تعريف بالإمام الفندلاوي

الإمام الفندلاوي ترجم له عدد من العلماء ومعظم من ترجم له كان عمدتهم في ترجمته تاريخ دمشق لابن عساكر ومختصر دمشق لأبي شامة وسأذكر تعريفا موجزاً بالإمام الفندلاوي معتمداً فيه على معظم مصادر ترجمته.

اسمه ونسبه ومولده ونشأته:

هو شيخ الإسلام حجة الدين أبو الحجاج وأبو يعقوب يوسف بن دوناس[1] بن عيسى الفندلاوي المغربي[2]، الفقيه المالكي [3]، يرجع نسبه إلى فندلاوة، وهي قبيلة مغربية كانت تقع على بعد ستين كيلو متراً من مدينة فاس، وكانت بها قلعة حصينة تعرف بقلعة فندلاوة تهدمت على يد المرابطين، وقد اندثر اسم فندلاوة من زمن بعيد، ولم يعد له ذكر إلا في كتب التاريخ القديمة[4].

وأصله من المغرب قدم دمشق حاجاً فسكن بانياس[5] مدة وكان خطيباً بها، ثم انتقل إلى دمشق فاستوطنها، ودرّس بها مذهب مالك وحدّث بالموطأ وكتاب التلخيص لأبي حسن القابسي[1].

---

[1] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** ، اعتنى به أبوصهيب ألكرمي، السعودية: بيت الأفكار الدولية ، ص ١٦٨١-١٦٨٢، وابن كثير (٢٠٠٣) **البداية والنهاية** ، تحقيق حامد أحمد الطاهر،،ج١٢، ط١ القاهرة دار الفجر للتراث ،ص٢٥١.

[2] ابن خلدون (٢٠٠٣) **تاريخ ابن خلدون** ، ، ج٢ ،ط١ بيروت دار ابن جزم ص ١٩٨٢

[3] ابن عساكر (١٩٩٠) **مختصر تاريخ دمشق** ، تحقيق روحية النحاس و محمد مطيع الحافظ ، ج٢٨، ط١، دمشق: دار الفكر ص٨٠.

[4] الفندلاوي (٢٠٠٧)، **تهذيب المسالك** ، تحقيق: عثمان الغزالي. بيروت: دار الكتب العلمية ص٥.

[5] مدينة جنوب غرب دمشق على بعد مرحلة ونصف منها. لقولفغانغ مولر(١٩٨٤)، **كتاب القلاع أيام الحروب الصليبية** ترجمة محمد وليد الجلاد، ط٢ . دمشق: دار الفكر.

ولم يعرف تاريخ مولد الفندلاوي ولكن رجح محقق الكتاب ما بين الخمسين والستين من القرن الخامس الهجري، واستدل على ذلك قول سبط الجوزية في كتابه: "مرآة الزمان" أن الفندلاوي حين وجوده ببانياس كان شيخاً كبيراً، والوصف بالشيخ الكبير لايطلق إلا على من سنه فوق الستين.

إن الفندلاوي حين دعاه تاج الملوك يوري بن طغتكين الذي ولّى الملك ما بين ٥٢٢-٥٢٦هـ فيمن دعا من العلماء إلى إصدار فتوى ضد الباطنية فأجاب لذلك، والراجح أن هذه الإجابة كانت سنة ٥٢٣هـ.

إن الفندلاوي قد استشهد سنة ٥٤٣هـ أي بعد إصدار الفتوى المذكورة بعشرين سنة، وبناءً على ذلك يكون قد مات -رحمه الله- عن نيف وثمانين سنة وإذا كان كذلك يكون قد ولد في التاريخ الذي رجحناه[٢] -والله أعلم-.

مكانته العلمية وصلابته في الحق:

لقد كان الإمام الفندلاوي ذا مقام علمي رفيع المستوى وصلابة في الحق، ومن مظاهر مقامه العلمي تنصبه لمشيخة المالكية وتمكينه المذهب من النهوض بها بعد إن قل نفوذه بين المذاهب الأخر[٣].

توليه تدريس المذهب المالكي وعقده مجالس التحديث والتذكير والمحاضرات بزاوية المالكية بالجامع الأموي إلى جانب شيوخ الشافعية والحنفية والحنابلة[٤].

وظهرت معالم اجتهاده من خلال مؤلفه كتاب: "تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك" في الخلاف الفقهي، الذي لا يقدم على التأليف فيه عادة إلا من أحاط بأدلة الأحكام ومقاصد التشريع وأصول المذاهب وفروعها.

تلاميذه:

وقد أخذ عن الإمام الفندلاوي العلم جم غفير من الطلبة النابهين، حيث كان يحضر مجالس علمه وتحديثه وتذكيره أكابر العلماء وجهابذة الطلاب ومن أبرز هولاء: جمال الدين أبو الحسن علي بن المسلم الشافعي مفتي الشام ت٥٣٣هـ، والحافظ أبوالقاسم بن عساكر ت٥٧١هـ، وأبو العباس أحمد بن محمد القيرواني[٥].

ثناء العلماء عليه:

لقد حضي الإمام الفندلاوي من مترجميه ثناء طيبا يدل على علو مقامه وجلالة قدره، ومن أقوالهم ما يأتي: في "شذرات الذهب[٦]" كان فقيهاً عالماً صالحاً، وفي "وفيات الأعيان[١]" كان شيخاً كبيراً فقيهاً عالماً زاهداً،

[١] شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي الدمشقي (١٩٩٧) **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين** ،تحقيق: إبراهيم الزيبق ج١، ط١، بيروت مؤسسة الرسالة ص١٨٦.والذهبي (٢٠٠١) **سير أعلام النبلاء** ،تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ج٢٠، ط١١، بيروت مؤسسة الرسالة ص٢٠٩.

[٢] نقلا عن محقق كتاب الفندلاوي **تهذيب المسالك** ٨٤/١

[٣]ابن عساكر ، **مختصر تاريخ دمشق** ٨٠/٢٨

[٤] المصدر السابق ٨٠/٢٨

[٥] الفندلاوي ، **تهذيب المسالك** ن تحقيق عثمان الغزالي ص٥.

[٦] أبي الفلاح الحنبلي ،**شذرات الذهب** ١٣٦/٤

وفي "الكامل في التاريخ[2]" كان شيخاً كبيراً فقيهاً عالماً، وفي "تاريخ دمشق[3]" كان شيخاً حسن الفاكهة حلو المحاضرة، وفي "سير أعلام النبلاء[4]" كان حسن المفاكهة حلو المحاضرة شديد التعصب لمذهب أهل السنة كريماً مطرحاً للتكلف قوي القلب.

استشهاده:

كانت بلاد الشام زمن وجود الإمام الفندلاوي بها تتعرض لهجمات متتالية من قبل الصليبيين، وكان من بين هذه الهجمات زحف ملك الألمان وملك فرنسا على مدينة دمشق لاحتلالها[5]، وقد خرج سكان هذه المدينة للدفاع عن عقيدتهم ووطنهم بقيادة أميرهم معين الدين أنر طغتكين، وكان فيمن خرج الإمام الفندلاوي وهو يومئذ شيخ كبير طاعن في السن لايكاد يقوى على المشي، فحاول الأمير أن يصرفه عن قصده لما رأى عليه من أثر المشقة، فقال له: أيها الشيخ ارجع فأنت معذور لكبر سنك ونحن نقوم بالذب عن المسلمين، فأجابه: لا "أرجع قد بعت واشترى مني فوالله لاأقيله لاأستقيله[6]" يريد قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله﴾ (سورة التوبة: ١١١)، وفي يوم السبت سادس ربيع الأول ٥٤٣هـ التقى الجيشان وتقدم فقاتل الإفرنج فما انسلخ اليوم حتى حصل له ما تمنى من بلوغ الشهادة فسقط في ساحة الشرف والكرامة زكياً طاهراً فدفن أولا تحت الربوة على الطريق ثم نقل إلى مقبرة الشهداء بالباب الصغير وجعل على قبره بلاطة كتب عليها اسمه وتاريخ استشهاده[7].

الأحاديث الضعيفة التي استدل بها الإمام الفندلاوي

استدل الإمام الفندلاوي في معظم مسائله بجانب الآيات القرآنية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهما من مصادر التشريع وعليهما المعول في الاستدلال، وهذا المنهج سبب من أسباب التوفيق والقبول التي تكون وراء إقبال الناس على التراث الفقهي، وقد نال الإمام الفندلاوي نصيباً من هذا التوفيق والقبول.

غير أن بعض استدلالات الإمام الفندلاوي بالأحاديث الشريفة كانت أحاديث ضعيفة، والدليل إذا كان ضعيفاً كان ما بني عليه قابلاً لأن يكون ضعيفاً لاسيما إذا لم يكن له سند إلا ذلك الحديث الضعيف.

ويظهر لي أن الإمام الفندلاوي لا يدقق في كل حديث يستدل به والتدقيق في السند ثمرة من ثمرات التخصص في الحديث، والإمام الفندلاوي فقيه أصولي في المقام الأول ومعرفته بفنون الحديث وطرقه وعلله تعد في المقام الثاني بدليل أنك تجد في كثير من المسائل يذكر أحاديث بسندها وطرقها وعللها ورجالها.

---

[1] ابن خلكان(١٩٧٧) **وفيات الأعيان** ، تحقيق إحسان عباس ج٢ ، بيروت دار الثقافة ص٤٥٢

[2] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** ، ص ١٦٨١-١٦٨٢

[3] ابن عساكر(٢٠٠١) **تاريخ دمشق** ،تحقيق أبو عبد الله علي عاشور الجنوبي ،،ج٣٥، ط١ بيروت ،دار إحياء التراث العربي ص٢٢٧

[4] الذهبي ،**سير أعلام النبلاء** ٢٠٩/٢٠

[5] وابن كثير ، **البداية والنهاية** ،ص٢٥٠ ، وابن الأثير، **الكامل في التاريخ** ، ص ١٦٨١-١٦٨٢

[6] أبي الفلاح الحنبلي ،**شذرات الذهب** ١٣٦/٤

[7] ابن عساكر ، **مختصر تاريخ** دمشق ٨٠/٢٨ الذهبي ،**سير أعلام النبلاء** ٢٠٩/٢٠ ،

وفيما يلي نماذج من الأحاديث التي استدل بها الإمام الفندلاوي على مسائله ورجح به مذهبه وبعد الرجوع إلى مصادر هذه الأحاديث وتخريجها تبين أنها ضعيفة.

أولاً: حديث: (لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل) استدل به الإمام الفندلاوي في مسألة: لا صيام إلا بنية قبل الفجر كان الصوم أداء أو قضاء أو نذراً خلافاً لأبي حنيفة، والشافعي في الصوم غير الواجب[١]، هذا الحديث أخرجه الدار قطني في سننه، ونقل تضعيفه عن ابن حبان بعبد الله بن عباد رجل في سنده، وقال عبد الله بن عباد يقلّب الأخبار[٢]، والحديث الذي يوجد في سنده عبد الله بن عباد (من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له) وهذا الحديث تكلم فيه الدار قطني، وأقر هذا الحديث البيهقي في خلافياته وفي ذلك نظر، وعبد الله بن عباد غير مشهور، ويحيى بن أيوب ليس بالقوي قال ابن حبان عبد الله بن عباد البصري يقلب الأخبار.

ثانياً: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل على نسائه نهاراً يقول لهن هل عندكم طعام؟) قالت: فإن قلن: لا، قال: (إني صائم)[٣] هذا حديث احتج به الشافعية وانتقده الإمام الفندلاوي بقوله غير صحيح في مسألة: لا يجوز التطوع بالصيام إلا بنية قبل الفجر خلافاً للشافعي بجوازه أن يعقد صومه نهاراً بعد طلوع الفجر[٤]، وقال الشافعية حديث تبييت النية عام، فنخصه بهذا الحديث، واستدل الإمام الفندلاوي بالحديث السابق ذكره (لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل) وقد تكلمنا في هذا الحديث وبينا ضعفه، أقول: حديث عائشة رواه مسلم في صحيحه وهو مما تلقى بالقبول لدى جماهير المحدثين حيث رواه البيهقي وقال هذا إسناد صحيح[٥].

ثالثاً: قوله صلى الله عليه وسلم: (خذ الحب من الحب) استدل به الإمام الفندلاوي في مسألة: يجمع بين القمح والشعير والسلت في الزكاة، قال صاحب تلخيص الحبير عن هذا الحديث: أنه لم يصح سماع عطاء بن يسار –رجل في سنده– من معاذ لأنه ولد بعد موته أو في سنة موته أو بعد موته بسنة، ولأن البزار قال لا نعلم عطاء سمع من

---

[١] الملا علي القاري الهروي (٢٠٠٥) **فتح باب العناية في شرح كتاب النقاية**، خرج أحاديثه وعلق عليه: أحمد عزو عناية ، ط١، ج٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي ص١٥٦؛ الطحطاوي، **حاشية الطحطاوي**، ص٦٤٢. الدمياطي(٢٠٠١) **إعانة الطالبين** ، اعتنى به :محمد أبو الفضل عاشور، ط١،ج٢، ، بيروت: دار إحياء التراث العربي ص٣٤٨؛ الجمل (١٩٩٦) **حاشية الجمل على شرح المنهج** ، علق عليه وخرج أحاديثه: عبد الرزاق غالب المهدي، ط١،ج٣، بيروت: دار الكتب العلمية ص٤٠٨؛ الغزالي، **الوجيز**، ٢٣٦/١.

[٢] أخرجه **الدار قطني** في كتابالصيام، باب النية في الصيام ، رقم ٢٢١٣، ١٢٨/٣

[٣] أخرجه مسلم في **صحيحه في** كتاب الصيام ، باب جواز صوم النافلة بنية من النهار قبل الزوال، رقم ١١٥٤، ٢٨/٤.

[٤] النووي، **المجموع** ، ٢٠٨/٦؛ أبو المحاسن الثروياني(٢٠٠٢) **بحر المذهب في فروع مذهب الإمام الشافعي**، تحقيق: أحمد عزو عناية ط١، ج٤، بيروت: دار إحياء الثراث العربي ص٢٦٣.

[٥] البيهقي، **السنن الكبرى** ٣٤٢/٤.

معاذ[1]، وأيضاً لأن عطاء ولد سنة تسع عشرة، ومعاذ توفّي في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة، وقيل: سنة سبع عشرة، وأما ابن القطّان فأعلّه بشريك بن أبي نمر، وهو من رجال الصحيحين وكفى بهما أُسوة[2].

رابعاً: حديث: (أيها الناس إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا) احتج به الإمام الفندلاوي في مسألة: السعي بين الصفا والمروة واجب، وهذا الحديث أخرجه البيهقي والطبراني[3]، قال الزيعلي: تفرد به مهران بن أبي عمر قال البخاري: في حديثه اضطراب[4]، وقال الهيثمي: فيه المفضل بن صدقة وهو ضعيف، وأيضاً قال:هو متروك[5].

خامساً: حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (يحل الخل الخمر كما يحل الدباغ الجلد) ذكره الإمام الفندلاوي من ضمن استدلالاته على مسألة: تخليل الخمر هل يجوز؟ فمرة أجازه ومرة منعه، وهذا الحديث أخرجه الدار قطني وقال: تفرد به فرج بن فضالة عن يحيي وهو ضعيف يروي عن يحيي بن سعيد أحاديث عدة لا يتابع عليها[6]، وقال الطبراني في الأوسط: لم يرو هذا الحديث عن يحيى بن سعيد إلا فرج بن فضالة ولا يروى عن أم سلمة إلا بهذا الإسناد[7].

سادساً: حديث (الحرام لا يحرم الحلال) احتج به الإمام الفندلاوي على مسألة: الزنا لا يوجب تحريم المصاهرة على أحد قولي مالك وهو أصح القولين عنده، وهذا الحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى بلفظ طويل، وأخرجه ابن ماجه عن ابن عمر وضعفه[8]، وقال صاحب ذخيرة الحفاظ عن هذا الحديث: رواه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، وعثمان متروك الحديث[9]، وفي سنن ابن ماجه: الحديث إسناده ضعيف لضعف

---

[1] ابن حجر العسقلاني(١٩٨٩) **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، ط١،ج٢، بيروت: دار الكتب العلمية ص٣٧٥.

[2] سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري(٢٠٠٤) **بدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير**، تحقيق : مصطفى أبو الغيط، وعبدالله بن سليمان، وياسر بن كمال، ط١، ج٥، الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع ص٥٣٤؛ والحافظ ابن القطان الفاسي (١٩٩٧) **بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**، تحقيق: الحسين آيت سعيد، ج٣، الرياض: دار طيبة ص٥٤؛ محمد ناصر الدين الألباني(١٩٩٢) **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، ط١، ج٨، الرياض: دار المعارف ص٣٧.

[3] أخرجه البيهقي في **السنن** ، باب وجوب الطواف بين الصفا والمروة رقم ٩١٥٠، ٩٨/٥؛ ا الطبراني (١٤١٥) **المعجم الأوسط** تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ,عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ج١، القاهرة: : دار الحرمين، باب من اسمه محمد، رقم الحديث ٥٠٣٢،ص١٨٨

[4] الزيعلي(١٩٩٧) **نصب الراية لأحاديث الهداية**، تحقيق: محمد عوامة، ط١، ج٣، بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر ص٥٥-٧٧.

[5] نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (١٤١٢) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**،ج٣. بيروت: دار الفكر٥٣٧.

[6] أخرجه **الدار قطني** في كتاب الأشربة، باب المنع من تحليل الخمر رقم ٤٧٠٧، ٤٨٠/٥.

[7] الطبراني، **المعجم الأوسط**،١٥١/٩.

[8] أخرجه **ابن ما جه** في كتاب النكاح باب لا يحرم الحرام الحلال ، رقم ٢٠١٥، ٥٠٢/٣؛ والبيهقي في **سننه** في كتاب النكاح باب الزنا لا يحرم الحلال رقم ١٣٩٦٥، ٢٧٤/٧.

[9] محمد بن طاهر المقدسي(١٩٩٦) **ذخيرة الحفاظ**، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي،ج٣، الرياض: دار السلف ص١٤٤٣.

لضعف عبد الله بن عمر العمري[1]، وقال ابن الجوزي: عثمان بن عبد الرحمن وهو الوقاصي قال يحي بن معين ليس ليس بشيء كان يكذب، وضعفه ابن المديني جداً، وقال: البخاري والنسائي والرازي وأبو داود ليس بشيء وقال الدار قطني: متروك، وابن حبان قال: كان يروي عن الثقات الموضوعات لا يجوز الاحتجاج به[2].

سابعاً: حديث: (ذهب حقك) في مسألة: ضمان الرهن إذا تلف في يد المرتهن من المرتهن[3].

أخرجه أبو داود، وقال ابن القطان في كتابه: ومصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير: ضعيف كثير الغلط، وإن كان صدوقا[4].

ثامناً: حديث: (اقتلوا الفاعل والمفعول به) في مسألة من فعل بصبي فعل قوم لوط رجم[5].

هذا الحديث أخرجه الترمذي في أبواب الحدود باب ما جاء في حد اللوطي، وقال في إسناده مقال، ولا نعلم أحداً رواه عن سهيل بن أبي صالح، غير عاصم بن عمر العمري ، وعاصم بن عمر يضعف في الحديث من قبل حفظه[6]، ويقول ابن حجر العسقلاني: حديث أَبي هريرة لا يصح، وقد أخرجه البزار من طريق عاصم ابن عمر العمري، عن سهيل، عن أبيه عنه، وعاصم متروك، وقد رواه ابن ماجه من طريقه بلفظ: "فارجموا الأعلى والأسفل"[7].

وهذه أحاديث ضعيفة أخر استدل بها الإمام الفندلاوي على مسائله:

١ –(طلاق الأمة اثنتان، وعدتها حيضتان)[8]، وهذا يدل على أن المعتبر في العدد الحيض لا الطهر.

٢ –وأيضاً حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (ليس في الحلي زكاة) [1]، قال لأنه مرصد لاستعمال مباح فلم تجب فيه زكاة كالعوامل وثياب القنية[2].

---

[1] ابن ماجه؛ **سنن ابن ماجه** ٥٠٢/٣.

[2] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(١٤١٥) **التحقيق في أحاديث الخلاف**، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، ط١،ج٢، بيروت: دار الكتب العلمية ص٢٧٦

[3] الفندلاوي، **تهذيب المسالك** ٤٥٥/٥.

[4] الزيعلي، **نصب الراية** ٣٢١/٤؛ وابن القطان الفاسي(١٩٩٧) **بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام**، تحقيق: الحسين آيت سعيد، ج٣، الرياض: دار طيبة ص٥٢٨.

[5] الفندلاوي، **تهذيب المسالك** ٦٠٧/٥.

[6] الزيعلي، **نصب الراية** ٣٤٠/٣؛ ؛ والترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي ٥٧/٤. محمد ناصر الدين الألباني، **صحيح وضعيف سنن الترمذي** ج٣ ص٤٥٦

[7] ابن حجر العسقلاني(١٩٨٩) **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، ط١، ج٤، بيروت: دار الكتب العلمية ص١٥٨.

[8] أخرجه **ابن ماجه** في كتاب الطلاق ، باب طلاق الأمة وعدتها، رقم الحديث ٢٠٧٩، **والدار قطني** في كتاب الطلاق والخلع والإيلاء، رقم ٣٩٩٤، ٦٨/٥ . حديث ضعيف وقال الدار قطني: منكر غير ثابت. ينظر ابن الملقن سراج الدين عمر بن على الشافعي(٢٠٠٤) **البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير**، تحقيق: مصطفى أبو الغيظ، وآخرون ،ج٨، ط١، الرياض:دار الهجرة ص٩٩.

٣ -وقوله صلى الله عليه وسلم: (أيما أمة ولدت من سيدها فهي حرة بعد موته إلا أن يعتقها في حياته)[٣].

٤ -استشهد بما روى ابن نهر، عن مجالد، عن عامر، عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول: له أنصت فليست له جمعة)[٤]، في مسألة: يجب الإنصات والاستماع إلى الإمام في حال الخطبة خلافاً للشافعية[٥].

٥ -قول الرسول صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت حبيش (دعي الصلاة أيام إقرائك)[٦].

فهذه أمثلة من الأحاديث الضعيفة التي استدل بها الإمام الفندلاوي في كتابه تهذيب المسالك، ويمكن الاطلاع على بقية الأحاديث بالرجوع إلى الكتاب[٧].

وهذا أيضاً مما يؤخذ على عدد من المالكية الذين يتساهلون في الاستدلال بالحديث الضعيف كما نجد الإمام المازري في شرحه للتلقين[٨]،والقاضي عبد الوهاب في كتابيه الإشراف[٩] والمعونة[١٠].

جدول رقم(١١) الأحاديث الضعيفة التي استدل بها الإمام الفندلاوي:

[١] أخرجه **الدار قطني** في كتاب الزكاة ، باب زكاة الحلي رقم ١٩٥٥، ٥٠٠/٢. قال الدار قطني فيه أبو حمزة وهو ضعيف الحديث. وقال الألباني: حديث ضعيف. ينظر محمد ناصر الألباني(١٩٨٨) **صحيح وضعيف الجامع الصغير**، رقم الحديث ٤٩٠٦، ج١، ط٣،بيروت: المكتب الإسلامي ص٧٠٨.

[٢] ابن قدامة، **المغني** ٥٣١/٣.

[٣] أخرجه **الدار قطني** في كتاب المكاتب رقم ٤٢٣٦، ٢٣٢/٥. الحديث في إسناده الحسين بن عبدالله الهاشمي وقد ضعفوه، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال البيهقي: ضعفه أكثر علماء الحديث. ابن الملقن، **البدر المنير** ٧٥٤/٩.وأيضاً ضعفه الألباني.

[٤] أخرجه أحمد في **مسنده** عن ابن عباس، حديث رقم: ٢٠٣٣، ٢٣٠/١ ومالك في **الموطأ** ، باب القراءة في صلاة الجمعة وما يستحب من الصمت ٣٣٩/١. قال أحمد بن حنبل: مجالد ليس بشيء، وقال: يحيى لا يحتج بحديثه. عبد الرحمن بن علي بن الجوزي(١٤٠٣) **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، تحقيق: خليل الميس، ج١، بيروت: دار الكتب العلمية ص٤٦٣.

[٥] الشافعي، **الأم** ص١٤٨.

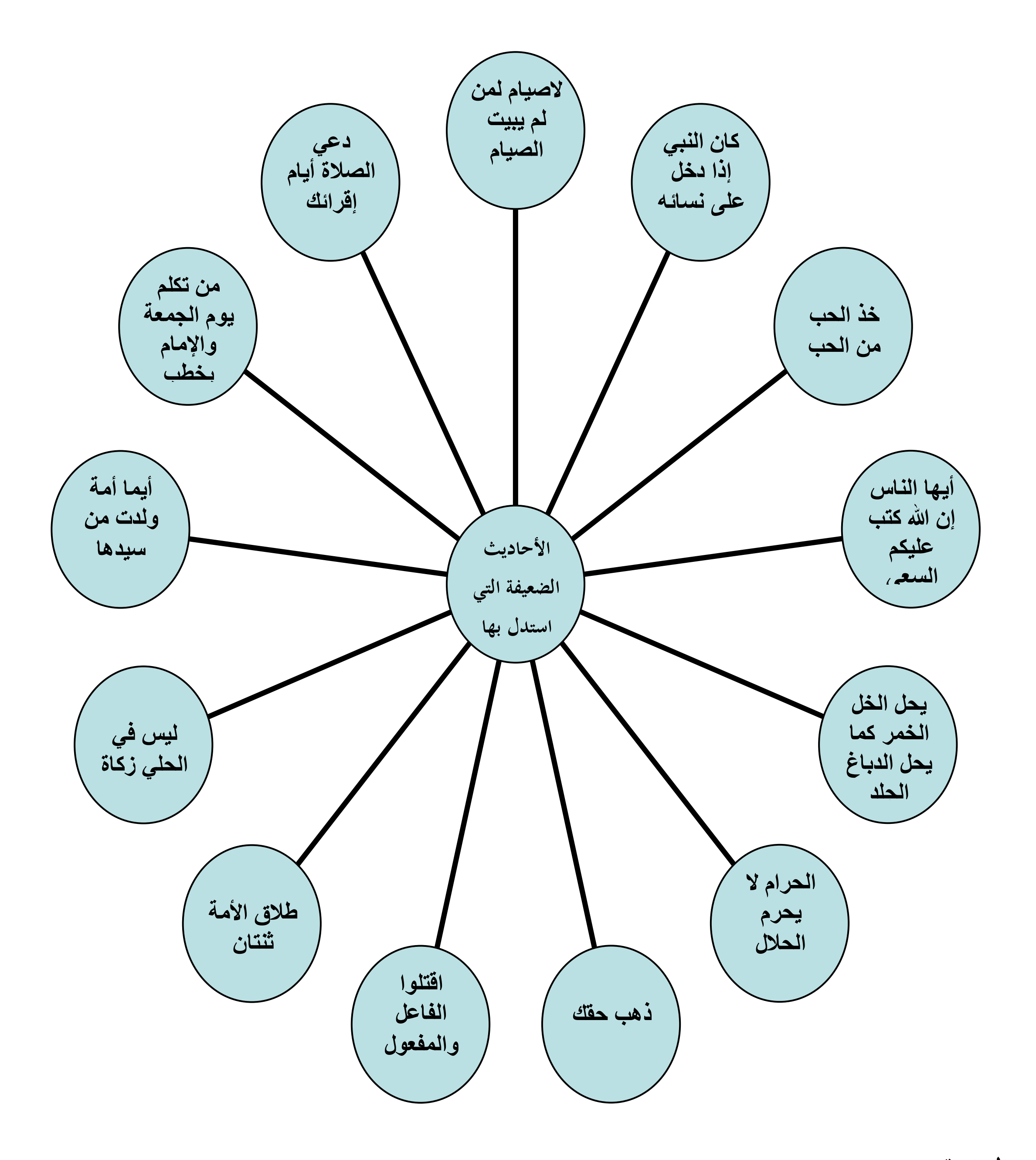
[٦] أخرجه **الدار قطني** في كتاب الحيض رقم ٧٩٤.ونص الحديث (تدع الصلاة قدر أقرائها، ثم تغتسل وتصلي) ٣٨٥/١. قال أبو داود: لايصح. وقال الترمذي في علله سألت عنه البخاري فلم يعرفه إلامن هذا الوجه. وقال البيهقي: مختلف في متنه. والأحاديث الصحيحة متفقة على العبارة بأيام الحيض دون لفظ الإقراء. ابن الملقن، **خلاصة البدر المنير** ٨٢/١.

[٧] الفندلاوي، **تهذيب المسالك** ٣٤٦/٢، ٣٩٣، ٥٠٨/٣،٤٨٣، ٦٥٣، ١٠٣/٤، ١٢٨،

[٨] المأزري(١٩٩٧) **شرح التلقين** ، تحقيق محمد المختار السلامي ، بيروت: دار الغرب.

[٩] القاضي عبد الوهاب(١٩٩٩) **الإشراف على نكت مسائل الخلاف**، تحقيق: الحبيب بن طاهر،ط١، بيروت: دار بن حزم.

[١٠] القاضي عبد الوهاب(١٩٩٩) **المعونة على مذهب عالم المدينة**، تحقيق: حميش عبد الحق ، بيروت: دار الفكر.



الخاتمة:

ـ يعد كتاب تهذيب المسالك من الكتب الفقهية التي اهتمت بالمسائل الفقهية المقارنة ويعد من مصادر المذهب المالكي في أصوله وفروعه، حيث أن مسائله الخلافية جميعها يذكر فيها مؤلفه خلافه مع المذاهب (الحنفية، والشافعية، والحنابلة) يقارن ويناقش ويحلل ويدلل ويرجح، حيث سلك مؤلفه منهجاً محدداً واضحاً لا يحيد عنه في الغالب من أول الكتاب إلى آخره.

ــ دراسة الإمام الفندلاوي تدل على أنه كان فقيهاً ذا مقام علمي رفيع المستوى من ذلك تنصبه لمشيخة المالكية، وتوليه تدريس الفقه المالكي بزاوية الجامع الأموي إلى جانب شيوخ الحنفية، الشافعية، والحنابلة، وأيضاً ما نراه أو نلمسه في كتابه كيف كان يأخذ بما يوافق الدليل وإن كان يخالف أقوال الأئمة.

ــ استدلال الإمام الفندلاوي على بعض مسائله بأحاديث ضعيفة، وهذه الأحاديث الضعيفة التي استدل بها الإمام الفندلاوي ربما في نظره صحيحة ولكن بعد تتبعي لها ورجوعي إلى كتب الحديث تبين أن هذه الأحاديث ضعيفة فبينتها وحكمت عليها كل في موضعه.

ــ يعد الإمام الفندلاوي أحد أئمة المذهب المالكي المحققين للمذهب، فهو صاحب علم غزير وتحقيق دقيق، كما أنه على دراية بأقوال المذاهب الأخر وأدلتها، ويشهد على ذلك ثناء العلماء الله وخاصة الذين ترجموا له، ولا دليل أكبر من كتابه تهذيب المسالك.

ــ الإمام الفندلاوي كان إلى حد كبير يسيطر على الحياة الفكرية المالكية في الشام وقد برز بروز المتخصص في الفقه وأصوله والجدل والمناظرة، وتبوأ منصب تدريس الفقه المالكي بالزاوية المالكية بالجامع الأموي تسمى بـ"المدرسة الصلاحية" على قدم المساواة مع فقهاء المذاهب الأخر.

ظاهرة تعدد الروايات في متون الحديث:
أسبابها وحِكَمها

محمد عبد الرؤوف الأزهري

مركز الدراسات الإسلامية والعربية بولاية جوهر (مرسة) ماليزيا

roufgazi2002@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن علماء المسلمين قد اهتموا على مدى مراحل تاريخ الأمة الإسلامية بالسنة النبوية بصفتها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم؛ لأنها إما مؤكدة لآياته، أو شارحة لها ببيان مجمله، أو تخصيص عامه، أو تقييد مطلقه، أو زائدة عليه بما ليس فيه من عقائد، أو عبادات، أو معاملات، أو أخلاق، أو ما إلى ذلك.

لذلك فقد حَظِيَت السنة النبوية بالرعاية والاهتمام من قبل النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، ومن قِبَل الصحابة رضى الله عنهم بعد مماته، فحفظوها في الصدور، وكتبوها في صحائفَ، وبلَّغوها إلى من لم تبلغهم، واستمر هذا الاهتمام، إلى أن ظهرت المدونات الحديثية في القرن الثالث، من الجوامع، والسنن، والمصنفات، والموطآت، والمسانيد، والمعاجم، والأجزاء الحديثية، وغيرها من أنواع المؤلفات في الحديث، إثر احتياج الحديث إلى الحفظ من الضياع، والصيانة من الكذب والدخيل، فوضع علماء الأمة الإسلامية من علوم الحديث ما يضمن له البقاء والصفاء، فقعَّدوا لفقد المتن قواعد، ووضعوا لنقد الإسناد ضوابط، فصارت تلك القواعد والضوابط ترساً للسنة النبوية، ومعناً من أن يروى عن النبي ﷺ ما لم يصدر عنه، فقدموا لنا بذلك منهجا كاملاً لحفظ السنة النبوية من الضياع والخلط، وأضافوا إلى المكتبات الإسلامية رافداً من روافد القواعد المنهجية، مما أثار إعجاب الباحثين من مختلف الشعوب والأقوام. ومع ذلك كله فإن الشيطان يلعب برأس بعض الناس من المسلمين وغير المسلمين، فيثيرون على وجه السنة من غبار الشكوك والشبهات ما يغطي وجهها، أو يغبش نورها، ويتبعون لتغطية الحق، وكتمان العلم، وقلب الحقائق، شتى أساليب الدجال والتأويل ليبعدوا المسلمين عن مصدرهم الثاني هذا. ومن الموضوعات التى اتخذها أعداء الإسلام منفداً للشكوك في السنة النبوية الشريفة "رواية الحديث الواحد بألفاظ مختلفة"، فقالوا: "لو كان الحديث من النبى صلى الله عليه وسلم فلماذا هذا الاختلاف في رواية حديث واحد"؟ وحتى قال بعض الناس: كأنها أقوال الفقهاء وضعت لخدمة مذاهبهم أو كما قالوا[١].

عناصر البحث: يتكون هذا البحث من المقدمة وأربعة مباحث:

المقدمة

المبحث الأول: أسباب التعدد الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني: أسباب التعدد الوارد عن الرواة

المبحث الثالث: أسباب التعدد الوارد عن غير الرسول والرواة

المبحث الرابع: الحكمة وأوجه الاستفادة من تعدد الروايات

[١] إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، د. طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، الولايات المتحدة الأمريكية، ص١٥-١٦.

المبحث الأول:

التعدد الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يخفى على أحد أن من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو قولي، وما هو فعلي، وما هو تقريري، وما هو وصفي، وللتعدد في كل منها أسباب تختلف عن الآخر، ودراسة هذه الأسباب تقتضي عرضها في الآتية:

المطلب الأول: أسباب التعدد في الأحاديث القولية

الأول: الاختلاف بين ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد وبين ما قاله بالوحي.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فيما يعنُّ لأمته من مسائل وقضايا، وعادة السماء فيه أنه إذا كان على الصواب تقرِّره بالسكوت عليه، وإذا أخطأ فتصوِّبه برده إلى الصواب، فيحصل مثلاً أنه صلى الله عليه وسلم قال قولاً في مسألة اجتهاداً، وانتشر بين الناس ذلك القول، وكان أنه كان قد أخطأ فيها، فينزل الوحي مصوَّباً لخطئه، ومبينا أمر الله فيها، فبلَّغه للناس، فاختلف ما قاله قبل الوحي عما قاله بعد الوحي، فتعدد قولان وله أمثلة: ما يتعلق بنسبة المسلمين في الجنة إلى جميع أهل الجنة.

١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: يَقُولُ الله يَا آدَمُ...ثُمَّ قَالَ وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهلِ الجَنةِ[١].

وقد كان ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم توقعاً ورجاء لرحمة الله تعالى، ولم يجزم بهذه النسبة، ثم أعلمه الله بالوحي بالنسبة الصحيحة للمسلمين في الجنة إلى مجموع أهل الجنة، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيغة القطع والجزم[٢]، وبين أنها ثلثا أهل الجنة في الحديث التالي.

٢- عنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: الجَنَّةُ عِشْرُونَ وَمِائَة صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هذِهِ الْأُمةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ[٣] .

وهذا يدل على أنهم ثلثا أهل الجنة. وقال الحافظ ابن حجر: أن هذا الحديث أخرجه أحمد والترمذي وصححه من حديث بريدة رفعه: أهل الجنة عشرون ومائة صف أمتي منها ثمانون صفاً[٤]. فكأنه صلى الله عليه وسلم لما رجا رحمة ربه أن تكون أمته نصف أهل الجنة أعطاه ما ارتجاه وزاده، وهو نحو قوله تعالى (وَلَسَوْفَ يُعْطِيك رَبُّك فَتَرْضَى) [٥].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قوله تعالى: (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) جـ١١، ص٣٨٨، رقم الحديث ٦٥٣٠.

[٢] انظر : ابن حجر، فتح الباري، جـ١١، ص٣٨٨.

[٣] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في كم صف أهل الجنة، جـ٤، ص٨٩، رقم ٢٦٧٠، وقال الترمذي : حديث حسن ، طبعة دار الفكر. ومسند أحمد، جـ١، ص٤٥٣، دار الفكر.

[٤] المرجع نفسه.

[٥] انظر : ابن حجر، فتح الباري، جـ١١، ص٣٨٨.

الثاني: مراعاته صلى الله عليه وسلم أحوال المخاطبين:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتي من الحكمة والصواب ما يجعله يخاطب كل شخص بما يناسبه، فقد يجيب الرسول صلى الله عليه وسلم بأجوبة متعددة عن سؤال واحد موجَّه إليه من قبل عدة سائلين، نظراً إلى أحوال المخاطبين المقتضية لذلك. وله أمثلة ما يتعلق باختلاف أجوبته عن سؤال أي الإسلام أفضل؟:

١. عن أَبِي مُوسَى رَضِيَ الله عَنْه قَالَ: قَالُوا: يَارَسُولَ الله أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِه[١].

٢. وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَن رَجُلًا سَأَلَ النبِي صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ[٢] .

٣. وعَنْ أَبِي هرَيْرَةَ رضي الله عنه أَن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: إِيمَانٌ بِالله وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُم مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهادُ فِي سَبِيلِ الله، قِيلَ: ثُم مَاذَا؟ قَالَ حَجٌّ مَبْرُورٌ[٣]. قال الحافظ ابن حجر: "قال العلماء: اختلاف الأجوبة في ذلك باختلاف الأحوال، واحتياج المخاطبين، وذكر ما لم يعلمه السائل والسامعون، وترك ما علموه[٤]. وذلك أن عليه الصلاة والسلام كان يجيب كل سائل بالأفضل في حقه، وبالمتأكد في حقه، فمن كان متأملا للجهاد وراغبا فيه كان الجهاد في حقه أفضل من الصلاة وغيرها.

فإن اختلاف أجوبته صلى الله عليه وسلم مع اتحاد السؤال، إنما كان مراعاة لمقتضى الحال، واختلاف أحوال المخاطب، فأجاب كل سائل بما هو أنفع له وأخص به.

الثالث: نسخ الحكم السابق بالحكم اللاحق:

إن النسخ لا يكون إلا في الأحكام، وفي حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهو من أسباب تعدد الروايات، وذلك لأن النسخ معناه أن هناك حديثاً كان في زمان، ثم جاء حديث آخر نسخه في زمان لاحق، فتعدد الحديثان، ومن أمثلته ما يتعلق بروايات الوضوء مما مسته النار:

١. عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الوضوء مما مست النار[٥].

٢. عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل كتف شاة، ثم صلى، ولم يتوضأ[٦].

[١] أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل، جـ١، ص٥٤، رقم الحديث١١.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان باب، أي الإسلام أفضل، جـ١، ٥٥، رقم الحديث١٢.

[٣] المرجع السابق، جـ١، ص٧٧، باب رقم ١٨، من قال: إن الإيمان هو العمل، رقم الحديث٢٦.

[٤] فتح الباري لابن حجر، جـ١، ص٧٩.

[٥] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الوضوء مما مست النار، جـ١، ص٢٧٢، رقم الحديث٣٥١.

[٦] المرجع السابق، جـ١، ص٢٧٣، رقم الحديث ٣٥٤.

٣. عن عمرو بن أمية الضمري، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتز من كتف شاة فأكل منها فدعى إلى الصلاة، فقام وطرح السكين وصلى ولم يتوضأ[١].

فهذه تعدد الروايات واضح؛ فإن بعضها يدل على وجوب الوضوء مما مست النار، وبعضها الآخر يدل على عدم وجوب مما مست النار.

المطلب الثاني: أسباب التعدد في الأحاديث الفعلية.

يدل الاستقراء على أن أسباب التعدد في الأحاديث الفعلية ترجع إلى سببين فقط وهما:

الأول: اختلاف أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم: مثال ذلك روايات عدد الأصابع في أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم:

١. عن كعب بن مالك عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل بثلاث أصابع، ولا يمسح يده حتى يلعقها[٢].

٢. عن عامر بن ربيعة، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل بثلاث أصابع ويستعين بالرابعة[٣].

٣. عن الزهري مرسلا: كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بخمس[٤].

فهذه ثلاث روايات في كيفية أكله: بثلاث، أو أربع، أو بخمس. قال ابن حجر: " ويوخذ من حديث كعب بن مالك أن السنة الأكل بثلاث أصابع؛ وإن كان بأكثر منها جائزاً... [٥].

الثاني: بيان الجواز والتخيير: مثال ذلك روايات في رفع اليدين في الصلاة:

١. عن سالم عن أبيه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة رفع يديه حتى يحاذي منكبيه، وقبل أن يركع، وإذا رفع من الركوع، ولا يرفعهما بين السجدتين[٦].

٢. عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام للصلاة رفع يديه حتى تكونا حذو منكبيه ثم كبر، فإذا أراد أن يركع فعل مثل ذلك، وإذا رفع من الركوع فعل مثل ذلك، ولا يفعله حين يرفع رأسه من السجود[٧].

---

[١] المرجع السابق، جـ١، ص٢٧٤، رقم الحديث٣٥٥.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع والقصعة ، جـ٣، ص١٦٠٥-١٦٠٦، رقم الحديث٢٠٣٢.

[٣] ذكره السيوطي في الجامع الصغير، ونسبه إلى الطبراني في الكبير، ورمز له بالضعف.

[٤] رواه ابن أبي شيبة، المصنف، جـ٥، ص١٣٤، رقم الحديث٢٤٤٦٥ ، الهند: المكتبة السلفية، د. ت.

[٥] انظر: ابن حجر، فتح الباري، جـ٩، ص٥٧٨.

[٦] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صفة الصلاة، باب رفع اليدين في التكبيرة الأولى، جـ١، ص٢٥٧، رقم الحديث٧٠٢؛ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استحباب رفع حذو المنكبين، جـ١، ص٢٩٢، رقم الحديث٣٩٠.

[٧] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صفة الصلاة، باب إلى أين يرفع يديه، جـ١، ص٢٥٨، رقم الحديث٧٠٥.

٣. عن أبي قلابة، أنه رأى مالك بن الحويرث، إذا صلى كبر، ثم رفع يديه، وإذا أراد أن يركع رفع يديه، وإذا رفع رأسه من الركوع رفع يديه، وحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل هكذا[١].

٤. عن مالك بن الحويرث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا كبر رفع يديه حتى يحاذي بهما أذنيه، وإذا ركع رفع يديه حتى يحاذي بهما أذنيه، وإذا رفع رأسه من الركوع فقال سمع الله لمن حمده فعل مثل ذلك، و في رواية: "حتى يحاذي بهما، فروع أذنيه"[٢].

فاختلاف هذه الروايات يتمثل في كون التكبير والرفع معاً، وتقدم أحدهما على الآخر، فالرواية الأولى والرابعة يفيد ظاهر هما أنهما كانا معاً، وتفيد الثانية تقدم الرفع على التكبير، وتفيد الثالثة تقدم التكبير على الرفع، فهذه الروايات لبيان الجواز، ولا خلاف بين العلماء في ذلك، وإنما الخلاف في الوجه الأفضل.

المبحث الثاني

التعدد الوارد عن الرواة

ثمة عدة أسباب في تعدد الروايات في متن الحديث النبوي من قبل الرواة؛ حيث إنهم ليسوا من مستوى واحد من الحفظ والأداء، فمنهم من يحضر طوال مجلسه، و منهم من يحضر بعضه، ومنهم من يحفظ كامل الحديث، ومنهم من يحفظ بعضه، ومن الرواة عن الصحابة من ينسى، ومنهم من يختصر، ومنهم من يؤدي كامل الحديث، وما إلى ذلك من الأسباب.

المطلب الأول: اختلاف في الحفظ:

اختلاف الرواة في الحفظ أمر طبيعي؛ إذ لم يخلق الله تعالى جميع الناس على مستوى واحد فيه، فمنهم من روى الحديث باللفظ، ومنهم من رواه بالمعنى، ومنهم من تصرف في الأداء، كمنهم من نسي أو أخطأ أو وهم، ومنهم من كذب عمداً، ويتمثل هذا الاختلاف في عدة مظاهر منها:

١. **الرواية بالمعنى**: أن يؤدي الرواي الموضوع الواحد أو القصة الواحدة بألفاظٍ من عنده كُلاًّ أو بعضا مع المحافظة على المعنى، بحيث لا يزيد، ولا ينقص، ولا يصحِّف ولا يبدِّل. وقد اختلف العلماء في جواز الرواية بالمعنى وعدمها، والجمهور على جوازها بشروط، وهي: أن يكون الرواي عالما بالألفاظ ومدلولاتها ومقاصدها، خبيرا بما يحيل المعاني، بصيراً بمقدار التفاوت بينها، عارفا بالشريعة ومقاصدها وقواعدها. وأما إذا لم يكن عارفا بما ذكر فلا تجوز قط بالإجماع[٣]. إن الرواية بالمعنى أكثر ما يعلل به المحدثون تعدد الروايات في الحديث النبوي الشريف، خاصة ما روي منها قبل التدوين، فكان الراوي من الصحابة أو ممن بعدهم يسمع الحديث، فيعيه وحفظه، فإذا احتاج إلى ذكره بعد مدةٍ من الزمن –قد تصل أحيانا إلى عشرات السنين– فربما لا يستطيع ذكره بالألفاظ نفسها التي سمعها، فيذكره بالمعنى. ولرواية الحديث بالمعنى عدة صور، منها:

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صفة الصلاة، باب رفع اليدين إذا كبر وإذا ركع وإذا رفع، جـ١، ص٢٥٨، رقم الحديث٧٠٤.

[٢] وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استحباب رفع حذو المنكبين، جـ١، ص٢٩٣، رقم الحديث ٣٩١.

[٣] أبو شهبة، الوسيط في علوم ومصطلاح الحديث، ص٤٠، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ت.

الصورة الأولى: **التقديم والتأخير**: نعني بذلك أن كلمة أو جملة قُدِّمتْ في رواية، وأُخرت في أخرى، وذلك لأن الراوي إما لم يضبط الترتيب، أو لأنه يرى أن الترتيب في مثل هذه الأحاديث غير مهم.

و المثال ما روي في تحريم التجسس والتنافس:

١. عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَاتَجَسسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا[١].

٢. وفي رواية أخرى عنه، أن رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قال: لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَجَسسُوا، وَلَا تَحَسسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا.

٣. و في رواية ثالثة عنه، أن رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم قال: لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا كما أمركم الله. فهذه عدة روايات عن صحابي واحد، وفيها تقديم جملة أو تأخيرها ما لا يخفى.

الصورة الثانية: استعمال الرواة المترادفات، و المثال في قول لبيد[٢].

١. عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ: أَشْعَرُ كَلمَةٍ تَكَلَّمَتْ بِهَا الْعَرَبُ كَلِمَةٍ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الله بَاطِلٌ[٣]

٢. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: أَصْدَقُ كَلمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَة لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الله بَاطِلٌ[٤].

٣. وعَنْ أَبِي هرَيْرَةَ رضي الله عنه أَن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: أَصْدَقُ بَيْتٍ قَالَه الشاعِرُ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الله بَاطِلٌ.

٤. وعَنْ أَبِي هرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ: أَصْدَقُ بَيْتٍ قَالَتْه الشُّعَراء: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ.

اختلف ألفاظ هذه الروايات، ففي الرواية الأولى: "أشعر كلمة تكلمت بها العرب" وفي الرواية الثانية: "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد". وفي الثالثة:" أصدق بيت قاله الشاعر. وفي الرابعة:" أصدق بيت قالته الشعراء". وكل هذه رويت عن صحابي واحد، وليس من المعقول أن نقول إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل هذه الألفاظ، ولم يسمعه في كل هذه الروايات إلا أبو هريرة. وليس هذا إلا من قبيل استعمال الرواة المترادفات.

الصورة الثالثة: وصف الصحابة أحوال رسول الله بألفاظهم: و أمثلة على ذلك ما يتعلق بجسد رسول الله:

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأداب، جـ٥، ص٢٢٥٣، رقم الحديث: ٥٧١٧؛ وصحيح مسلم واللفظ له، كتاب البر، جـ٤، ص١٩٨٥، رقم الحديث ٢٥٦٣.

[٢] لبيد، هو لبيد بن ربيعة بن عامر العامري، كان من أشعر الشعراء في الجاهلية، فلما أسلم ترك الشعر، سكن الكوفة، ومات بها في خلافة عثمان، وعاش مائة وخمسين سنة، انظر: ابن حجر ، الإصابة، جـ٥، ص٦٧٥.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر، جـ٢، ص٩٩١، رقم الحديث٢٢٥٦.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، رقم الحديث ٣٥٥٣.

١. عن أنس بن مالك يقول:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، وليس بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم، ولا بالجعد القطط، ولا بالسَّبِط، بعثه الله على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله على رأس ستين سنة، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء"[1].

٢. عن علي قال: " لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل، ولا بالقصير، شثن الكفين والقدمين، ضخم الرأس، ضخم الكراديس، طويل المسربة إذا مشى تكفأ تكافؤا كأنما انحط من صبب، لم أر قبله ولا بعده مثله"[2].

وروايات أخرى لهذا الحديث في وصف النبي صلى الله عليه وسلم وبينها اختلاف كثير في الألفاظ بالزيادة والنقص، أو التبديل والتغيير، أو التقديم والتأخير؛ لأن الرواة حكوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم بتعبير من عندهم، فاختلفت الألفاظ باختلاف الرواة.

الصورة الرابعة: وصف الواقع: وهو عبارة عن وصف الصحابة الظروف والحالات المحيطة بالحديث سواء أكانت زمانية أو مكانية، دون أن تكون له صلة بفعله صلى الله عليه وسلم أو تقريره أو وصفه. وذلك على المثال: ما يتعلق بمقدار المدة التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة عام الفتح.

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين[3].

٢- وعن عمران بن حصين قال: "غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت معه الفتح، فأقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلي إلا ركعتين[4].

فالحديثة واحدة، ولكن اختلفت إقامته فيها ما بين ١٩، و١٨ يوماً، والجمع بينهما أنه من اختلاف الصحابة في تقدير الواقع، فمن قال: " تسع عشرة" عدّ يومي الدخول والخروج يومين مستقلين، ومن قال : "ثماني عشرة عدَّ يومي الدخول والخروج يوماً واحداً؛ لأنه دخل مكة في جزء من ذلك اليوم، فكانت إقامته جزءاً من كل منها، فاعتبرهما يوما واحداً.

الصورة الخامسة: وصف أمر النبي صلى الله عليه وسلم **ونهيه:** قد تعدد الروايات في وصف أمر النبي صلى الله عليه وسلم ونهيه، وجميعه يروونه بالمعنى، بالزيادة والنقص، والتبديل والتغير، والتقديم والتأخير، وذلك لأن الرواة يعبرون عما راوا أو سمعوا بعبارتهم المتنوعة، وألفاظهم المختلفة. ومثله على ذلك: ما يتعلق بالمتعة بالحج والعمرة:

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، جـ٣، ص١٣٠٢، رقم الحديث٣٣٥٤؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الفضايل، باب في صفة النبي صلى الله عليه وسلم، جـ٤، ص١٨٢٤، رقم الحديث٢٣٤٧.

[2] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب ما جاء في صفة النبي ﷺ، جـ٥، ص٥٩٨، رقم الحديث ٣٦٣٧، وقال: حسن صحيح،

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح، جـ٤، ص١٥٦٤، رقم الحديث٤٠٤٧.

[4] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب متى يتم المسافر، ﷺ جـ٢، ص٩،رقم الحديث ١٢٢٩، ضعفه الألباني: ضعيف أبي داود، رقم الحديث ٢٦٤.

١. عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: " قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلين بالحج، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعلها عمرة ونحل قال: وكان معه الهدي فلم يستطع أن يجعلها عمرة[١].

٢. عن أبي سعيد قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرخ بالحج صراخا، فلما قدمنا مكة أمرنا أن نجعلها عمرة إلا من ساق الهدي، فلما كان يوم التروية ورحنا إلى منى، أهللنا بالحج[٢].

٣. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم صبح رابعة من ذي الحجة مهلين بالحج، لا يخلطهم شيء، فلما قدمنا أمرنا، فجعلناها عمرة، وأن نحل إلى نسائنا، ففشت في ذلك القالة[٣].

فكل هذا التعدد الذي ذكرناه في هذه الصور للرواية بالمعنى هو تعدد مقبول عند المحدثين؛ لأن الروايات المذكورة كلها بمعنى واحد.

الصورة السادسة: قد يسمع الصحابة أو الرواة الآخرون حديثاً طويلا، فبعضهم يحفظه كله، وبعض الآخر يحفظ بعضه، لا سيما قبل تدوين السنة، فيروي كل منهم ما حفظ، فتتعدد رواية الحديث الواحد زيادة ونقصانا.

وهذا الاختلاف أمر طبيعي، عانى منه الصحابة، فمن الأدلة على ذلك ما روي على لسان بعض الصحابة: ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه يقول: قلت يا رسول الله إني أسمع منك حديثا كثيرا أنساه. قال: "ابسط رداءك". فبسطته. قال: فغرف بيديه، ثم قال: " ضمه" فضممته، فما نسيت شيئا بعده[٤].

المثال على التعدد بهذا السبب: حديث جبريل الذي روي باختلاف كثير في ألفاظه، رصده الحافظ ابن حجر في الفتح[٥]، نذكر بعضا منها:

١- عن عُمَرَ بْنِ الْخَطاب قَالَ بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل...وقال: يا محمد! أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا الله، وَأَن مُحَمدًا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، وَتُقِيمَ الصلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ؟ قال: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّه. قَالَ: صَدَقْتَ[٦] .

---

[١] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية المدحة، جـ٤، ص٥٩٩، رقم الحديث ٢٣٩٣، وقال: حسن صحيح.

[٢] المرجع السابق، باب التقصير في العمرة، جـ٢، ص٩١٤، رقم الحديث١٢٤٧.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب كراهية انتباذ التمر والزبيب مخلوطين، جـ٣، ص١٥٧٥، رقم الحديث ١٩٨.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم ، باب حفظ العلم، جـ١، ص٥٦، رقم الحديث ١١٩.

[٥] انظر: ابن حجر، فتح الباري، جـ١، ص١١٥،

[٦] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ، الباب الأول، جـ١، ص٣٥، رقم الحديث ٨،٩، ١٠.

٢- عن عمر بن الخطاب...قال: "الإسلام، أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج، وتعتمر، وتغتسل من الجنابة، وأن تتم الوضوء، وتصوم رمضان، قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: نعم، قال: صدقت، قال: يا محمد ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالجنة والنار، والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره[١].

٣- وفي رواية أخرى: "...فقال ما الإسلام؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت". قال: فَمَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَالْجَنةِ وَالنارِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ[٢] .

٤- وفي رواية: "...قال: فَمَا الْإِسْلَامُ ؟ قَالَ: إِقَامُ الصلَاة، وإِيتَاءُ الزَّكَاة، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَغُسْلٌ مِنْ الْجَنَابَةِ[٣].

٥- وفي رواية: "...قال: الإيمان أن يؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين، وتؤمن بالموت، وبالحياة بعد الموت، وَتُؤْمِنَ بِالْجَنةِ وَالنارِ، وَالْحِسَابِ، وَالْمِيزَانِ...[٤].

فهذا التعدد في روايات هذا الحديث ليس ناشئا عن تعدد القصة، فالقصة لم تتكرر، وليس هذا من قبيل الرواية بالمعنى أيضا، ففي هذه الروايات زيادة لا في اللفظ فقط، بل في المعنى أيضا، فالتفسير الأولى بالصواب في ذلك أن بعضهم حفظ ما لم يحفظ غيره، فروى كل منهم ما حفظ، لاسيما وأن الحديث طويل. وهذه الزيادة مقبولة إن كانت من ثقة، ولم يخالف جماعة من الثقات أو من هو أوثق منه.

٢. نسيان الرواة في بعض الروايات دون بعض: قد تتعدد ألفاظ الحديث بسبب نسيان أحد الرواة، سواء أكان صحابياً أو غيره. فقد روي عن أنس أنه سئل عن حديث قراءة "بسم الله" في الصلاة فقال:"كبرنا ونسينا"[٥]. وعن عبد الرحمن بن أبي ليلي قال: قلنا لزيد بن أرقم: حدِّثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سديد"[٦]، ومن أمثلة التعدد بسبب النسيان:

قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن عبيد الله، سمع ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "خلال من خلال الجاهلية الطعن في الأنساب والنياحة". ونسي الثالثة قال سفيان: ويقولون إنها الاستسقاء

[١] أخرجه ابن حبان في صحيحه، جـ١، ص٣٩٧، رقم الحديث ١٧٣. و انظر: موارد الظمآن للهيثمي، جـ١، ص٣٥، كتاب الإيمان، باب قواعد الدين، رقم الحديث١٦، دار الكتب العلمية. بيروت.

[٢] أخرجه أحمد في المسند، جـ١، ص٢٧. رقم الحديث ١٨٤، دار الفكر.

[٣] المرجع ال،السابق، جـ١، ص٢٥، رقم الحديث ٣٧٤.

[٤] المرجع ال،السابق، جـ١، ص٣١٩، رقم الحديث ١٢٩.

[٥] راجع ابن عبد البر، التمهيد، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٩٨٥م،جـ٢، ص٢٢٨-٢٣٠، والسيوطي، تدريب الراوي، ص١٦٣-١٦٦.

[٦] أخرجه ابن ماجه في صحيحه، المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ، جـ١، ص١١، رقم الحديث:٢٦.

بالأنواء[1]، ويؤكد نسيانه الثالثة أن الصحابة الآخرون رووه بالكامل، فقال أبو مالك الأشعري: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة[2].

٣.خطأ الرواة في الرواية: ويتمثل خطأ الراوي في الأمور الآتية: القلب، والإدراج، والاضطراب، والتصحيف، والتحريف. والحديث الذي حصل فيه أحد هذه الأسباب هو ضعيف شديد الضعف.

١- **القلب ومثاله:** هو صرف الشيء عن وجهه[3]. والحديث مقلوب المتن في الاصطلاح: هو " الحديث الذي انقلب فيه على أحد الرواة لفظ في المتن". والمثال: حديث السبعة الذين يظلهم الله:

ما رواه مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النبِي صلى الله عليه وسلم قَال: سَبْعَة يُظِلُّهُمْ الله فِي ظلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إلاَّ ظِلّهُ.... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاها حَتى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُه[4]. ورواه النخاري وغيره بلفظ: " حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه"[5]. فالرواية الأولى مقلوبة[6]، فالصدقة تكون باليمين وليس بالشمال.

٢- **الإدراج ومثاله:** قد يحصل الإدراج خطأ، وقد يقع عمدا كتفسير غريب من ألفاظ الحديث، وفعل هذا الزهري وهو جائز. وسواه من العمد حرام لأنه يقصد به التحريف. قال ابن السمعاني: "من تعمد الإدراج فهو ساقط العدالة ممن يحرف الكلم عن مواضعه"[7]. وقال النووي: "كل الإدراج بأقسامه حرام" واستثنى السيوطي الإدراج لتفسير الغريب[8]، ونضيف إليه ان ما وقع خطأ ليس بحرام. والمثال: في حديث "أسبغوا الوضوء":

ما وقع في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم:" أسبغوا الوضوء، زيل للأعقاب من النار" فرواه بعضهم هكذا مسندا كله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، دون فصل بين كلام أبي هريرة وبين كلام النبي صلى اللله عليه وسلم لكن بعض الرواة رواه مفصلا فقال: قال أبو هريرة: أسبغوا الوضوء فإن أبا القاسم صلى الله عليه وسلم قال: "ويل للأعقاب من النار[9]، وهذا إدراج في أول الحديث، وهو إذا أراد الراوي بيان حكم شرعي، يستدل يستدل عليه بالحديث، فيذكر الحديث بعد الحكم دون فاصل بينهما.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الحصابة، باب أيام الجاهلية، جـ٣، ص١٣٩٨،رقم الحديث ٣٦٣٧.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التسديد في النياحة، جـ٢، ص٦٤٤، رقم الحديث٩٣٤.

[3] أنظر: محمد محى الدين عبد الحميد، تعليقه على توضيح الأفكار للصنعاني، جـ٢، ص٩٧.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة ، باب رقم٣٠، فضل إخفاء الصدقة، جـ٢، ص٧١٥، رقم الحديث١٠٣١.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجماعة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، جـ١، ص٢٣٤، رقم الحديث٦٢٩.

[6] تدريب الراوي للسيوطي، جـ١، ص٢٩٢، دار السعادة، مصر.

[7] طاش كبري زاده، مفتاح السعادة، جـ٢، ص١٩١.

[8] السيوطي، تدريب الراوي، جـ١، ص٢٧٤.

[9] السخاوي، فتح المغيث، جـ٢، ٢٢٧، توضيح الأفكار، جـ٢، ص٥٥-٥٦.

٣- **التصحيف والتحريف**: ومن أسباب تعدد الروايات في متن الحديث التصحيف، وهو مبحث يذكره علماء مصطلح الحديث في مباحث الشذوذ أي مخالفة الثقة للأوثق أو لجماعة من الثقات. أو النكارة أي مخالفة الضعيف للثقة. وفرّق ابن حجر فأرجع التصحيف إلى تغيير النقط والتحريف إلى تغيير الشكل[١].

ومن أمثلة التصحيف في المتن: ما رواه الدارقطني قال: أملى أبو بكر الصولي في الجامع حديث عمر بن ثابت عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان، وأتبعه سِتّاً من شوال فكأنما صام الدهر" فقال الصولي: وأتبعه شيئاً من شوال[٢]، ومن أمثلة التحريف في المتن:

حديث أنس: "...ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله،...وكان في قلبه من الخير ما يزن ذَرَّةً"، قال فيه شعبة: ذُرَةً" بالضم والتخفيف وهو مصحَّف[٣].

٤- **الشذوذ**: هو الحديث الذي رواه الثقة مخالفا لمن هو أوثق منه، أو لجماعة من الثقات[٤]، ومن أمثلة على ذلك: ذلك: ما رواه عبد الواحد، ثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى يَمِينِهِ[٥]، قال البيهقي: خالف عبد الواحد العدد الكثير من الناس في هذا، فإن الناس إنما رووه من فعل النبي صلى الله عليه وسلم، لا من قوله[٦].

المطلب الثاني: سماع الراوي بعض الحديث دون البعض:

قد يحصل أن يحضر بعض الصحابة مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يحدث فيسمع منه ما قاله بعد دخوله، ويفوته ما قاله قبل دخوله. أو قد يخرج بعضهم والرسول صلى الله عليه وسلم يحدث، فيفوته ما قال بعد خروجه، وكان بعضهم يحضر الحديث كله. فيروي كل منهم ما سمعه، فتعدد الروايات، وتختلف زيادة ونقصاناً، ومثال ذلك: ما روي في حديث جبريل:

١. عن عُمَرَ بنِ الْخَطابِ رضي الله عنه قَالَ: ... ثُم انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُم قَالَ لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السائِلُ؟ قُلْتُ: الله وَرَسُولُه أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنه جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ[٧].
٢. وفي رواية عنه: قال:..... ثم انْطَلَقَ، فَلَبِثْت ثلاثا، ثُم قَالَ: يَا عُمَرُ هلَ تَدْرِي مَنْ السائِلُ ؟ قُلْتُ: الله وَرَسُولُه أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنه جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ[٨].

---

[١] السخاوي، فتح المغيث، جـ٢، ص٦٧٠.

[٢] الخطيب، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، جـ١، ص٢٢٧. والحديث بلفظ "ستا" رواه مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعا لرمضان، جـ٢، ص٨٨٢.

[٣] ابن الصلاح، المقدمة، ص٢٥٣.

[٤] ابن حجر، شرح النخبة، ص٥٠-٥١ بتصرفت.

[٥] أخرجه أبو داود في سننه ،كتاب الصلاة، باب الاضطجاع بعدها ، جـ١، ص٢٩٠، رقم الحديث١٢٦١.

[٦] السيوطى، تدريب الراوي ، جـ١، ص٢٣٥.

[٧] أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الإيمان، الباب الأول، جـ١، ص٣٧-٣٨، رقم الحديث٨.

[٨] أخرجه أبو داود في سننه،كتاب السنة، باب في القدر، جـ٤، ص٢٢٣، رقم الحديث ٤٦٩٥.

٣. وفي رواية أبي هريرة رضى الله عنه لحديث جبريل: قال: ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ردوا على الرجل" فأخذوا ليردوه، فلم يروا شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم[١].

فجاء في الرواية الأولى: "فلبثت ملياً" أي اليوم نفسه ولكن بعد وقت طويل. وفي الثانية "فلبثت ثلاثاً"، وفي رواية البغوي: "بعد ثالثة" وفي الثالثة: ثم أدبر الرجل فقال: "أي فور إدبار الرجل".

قال النووي: في ظاهر هذا مخالفة، ثم قال: فيحتمل الجمع بينهما أن عمر رضي الله عنه لم يحضر قول النبي صلى الله عليه وسلم لهم في الحال، بل كان قد قام من المجلس، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين في الحال، وأخبر عمر رضي الله عنه بعد ثلاث إذ لم يكن حاضراً وقت إخبار الباقين[٢]، والله أعلم.

المطلب الثالث: تفاوت الرواة في الأداء: يتمثل تفاوت الرواة في المظاهر الآتية:

الأول: اختصار الحديث: يكون الراوي حافظا الحديث كله، فيحدث به كله حيناً، ويُضْطَرُّ أحيانا لاختصاره، فيذكر منه جزءا، ويحذف جزءا مما لا يخل بالمعنى، إما لأن الحال اقتضت ذلك منه، أو خشية التطويل، أو لعدم النشاط، فيظن السامع أن هذا هو كل الحديث، فيرويه كما سمعه. فمن سمعه بالكامل يرويه بالكامل، ومن سمع جزءا منه يروي ذلك الجزء فقط، فتعدد الروايات كمالاً ونقصاناً. ولا شك في أن الاختصار يختلف عن النسيان، لأنه يكون تعمدا مع تذكُّرٍ لكامل الحديث، والنسيان لا دخل فيه للتعمد، وممن فعله كثيرا الإمام البخاري، فيقطِّع الحديث على أجزاء، ويفرِّقها بين الكتب والأبواب المناسبة لتلك الأجزاء المقطوعة.

المثال: ما رواه البخاري في السبع الموبقات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اجتنبوا السبع الموبقات" قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات[٣].

الثاني: جمع الراوي بين حديثين فأكثر:

قد يتحدث الشيخ مرةً بحديثين أو أكثر بالانفراد، وقد يجمع بينهما أخرى فيجعلهما كأنهما حديث واحد، مما يتسبب في تعدد في الرواية. ومن أمثلته على ذلك:

١. ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرة عَنْ النبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ: تَسَمَّوْا بِاسْمِي، وَلَا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي، وَمَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِن الشيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النارِ[١].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الإيمان، الباب الأول، جـ١، ص٣٩، رقم الحديث ٩.

[٢] النووي، شرحه على صحيح مسلم، جـ١، ص١٦.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قول الله : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) جـ٣، ص١٠١٧، رقم الحديث٢٦١٥.

فهذا الحديث جمع فيه بين ثلاثة أحاديث مستقلة في سياق واحد عرف ذلك بأنها رويت بالانفراد أيضاً.

٢. فقد روي عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم: سَمُّوا بِاسْمِي، وَلَا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي[٢].

٣. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْه قَالَ: قَالَ النبِيُّ صلى الله عليه وسلم: مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِن الشيْطَانَ لَا يَتَمثل بِي[٣].

الثالث: تعدد الإجابات لكثرة من وُجِّهَ إليهم السؤال:

وهذا غالبا حين يكون الجمع كبيرا فيسألهم النبي صلى الله عليه وسلم سؤالا، فيجب بعضهم، ولا يمكن أن يكون جوابهم جميعا واحدا، وبسبب كثرة العدد فلا يسمع الراوي كل الإجابات فيروي كل منهم ما سمع من الإجابات. ومن أبرز الأمثلة على ذلك خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر في حجة الوداع، فقد سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم هذا؟ أي بلد هذا؟ أي شهر هذا؟ حيث تعددت الروايات في جوابهم، ومن هذه الروايات:

١- عَن ابْنِ عَباسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الناسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَام. قال فأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام. قال فأي شهر هذا؟ قالوا شهر حرام. قال: "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا" فأعادها مرارا، ثم رفع رأسه، فقال: اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت". قال ابن عباس رضى الله عنهما: فهو الذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته، فلبيلغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض"[٤].

٢- وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ الله عَنْه قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ النحْرِ قَالَ: أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: الله وَرَسُولُه أَعْلَمُ[٥]

٣- وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم وَقَفَ يَوْمَ النحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ التِي حَجَّ فِيهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمُ النحْرِ......[٦].

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم ، جـ١، ص٥٣، رقم الحديث ١١٠.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب كنية النبى النبى صلى الله عليه وسلم، جـ٦، ص٥٦٠، رقم رقم الحديث ٣٥٣٩.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب إمن رأى النبى النبى صلى الله عليه وسلم في المنام، جـ١٢، ص٣٨٣، رقم الحديث ٦٩٩٤.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب: الخطبة أيام منى، جـ٣، ص٥٧٣، رقم الحديث١٧٣٩.

[٥] المراجع السابق، رقم الحديث١٧٤١.

[٦] سنن ابن ماجه، جـ٢، ص١٠١٦، كتاب المناسك، باب رقم ٧٦، الخطبة يوم النحر، رقم الحديث٣٠٥٨، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

فهذه ثلاث روايات في حادثة واحدة لم تتكرر، وليست من الرواية بالمعنى، والأصل في مثل هذه الحالة أن تتعدد الإجابات، فلا يمكن أن تكون إجابة عشرات الآف من الصحابة واحدة، فليس العجيب أن تتعدد الإجابات، بل العجيب أن لا تتعدد.

وهكذا فقد تعددت الإجابات، وروى كل صحابي الإجابة التي سمعها، ولا يمكن أن يسمع كل راو منهم كل الإجابات في هذا الجمع الحاشد، وهكذا تعددت الروايات. وهذا أيضا من التعدد المقبول الذي لا يشكك في صحة الحديث

المبحث الثالث

التعدد الوارد عن غير الرسول والرواة.

قد عرفنا أن أسباب التعدد الصادر عن الرسول صلى الله عليه وسلم والرواة، وهناك سبب آخر لتعدد الروايات، لا دخل فيه للرسول صلى الله عليه وسلم ولا للرواة، وهو تعدد الواقعة وله عدة صور، وهي كالتالية:

الصورة الأولي: **تعدد سبب نزول آية**: لقد نزلت آيات كثيرة في القرآن الكريم، تحت مناسبات وظروف، تعالج أمورا وقعت آنذاك، وتبين الحكم الشرعي فيها، أوتعلق عليها، وهو ما سماه المفسرون "سبب النزول"، ويعرف ذلك بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويها الصحابة، ويحصل أحيانا أن يكون هناك عدة أسباب لنزول آية واحدة، وليس ذلك من خطأ بعض الرواة؛ فيلجأ إلى الترجيح؛ فيأخذ بالراجح ويترك المرجوح، فقد تنزل الآية لمعالجة عدة قضايا، وتروى بأسانيد كلها صحيحة، ولا يناقض بعضها بعضا. ومن أمثلته على ذلك:

١- عن أنس قال: قال عمر رضى الله عنه: قلت: يا رسول الله! يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب[١].

٢- عن أنس بن مالك قال: أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب، لما أهديت زينب بنت جحش رضي الله عنها إلى رسول الله النبى صلى الله عليه وسلم كانت معه في البيت، صنع طعاما، ودعا القوم، فقعدوا يتحدثون، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (سورة الأحزاب، الآية:٥٣) فضرب الحجاب وقام القوم[٢].

٣- عن عائشة رضى الله عنها قالت: خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها – وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها – فرأها عمر بن الخطاب، فقال: يا سودة ! أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقالت: يا

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، جـ٤، ص١٧٩٩، رقم الحديث٤٥١٢.

[٢] المرجع السابق، جـ٤، ص١٧٩٩، رقم الحديث٤٥١٤.

رسول الله صلى الله عليه وسلم! إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا؟ قالت: فأوحى الله إليه[1] ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال: "إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن[2]"

٤- عم مجاهد عن عائشة قالت: كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حيسا في وقعب، فمر عمر رضي الله عنه فدعاه، فأكل فأصابت أصبعه أصبعي، فقال: "حس -أو أوه- لو أطاع فيكن ما رأتكن عين" فنزل الحجاب[3].

فهذه أربع روايات، تقول الأولى: إنها نزلت بسبب قول عمر ذلك. والثانية تقول: إنها نزلت بسبب اجتماع الناس عنده صلى الله عليه وسلم على وليمته بمناسبة زواجه من زينب، والثالثة تقول : إنها نزلت عقب اعتراض عمر على خروج سودة لحاجتها، والرابعة تقول: إنها نزلت عند لمس أصبع عمر أصبع عائشة اثناء أكله مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس لفك هذا الارتباك حل إلا قول الحافظ ابن حجر: لا مانع من تعدد الأسباب[4].

الصورة الثانية: تعدد الروايات في سبب ورود الحديث: سبب ورود الحديث عبارة عن حادثة، أو مناسبة قيل من أجلها الحديث. قال الدكتور أبو شهبة: "والحق أن سبب الورود إنما يراد به السبب الذي بسببه قال النبي صلى الله عليه وسلم الحديث، أما ذِكْرُ الصحابي للحديث فيما بعد ليستدل به في مناسبة من المناسبات فإنه لايسمى الورود، وإنما يسمى "سبب ذكر"، فنقول مثلا: والسبب في ذكر الصحابي رضي الله عنه الحديث هو كذا[5]، ومن امثلة على ذلك:

١- حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعا: أفضل الصلاة صلاة الرجل في بيته إلا المكتوبة" رواه الشيخان[6] وغيرهما دون تعرض فيها لذكر سبب وروده.

٢- بينما رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن سعد رضى الله عنه مع ذكر السبب قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما أفضل الصلاة في بيتي أو في المسجد؟ قال: "ألا ترى إلى بيتي؛ ما أقربه من المسجد، إلا أن تكون صلاة مكتوبة"[7].

المبحث الرابع

الحِكَم وأوجه الاستفادة من تعدد الروايات

---

[1] أي آية الحجاب.

[2] المرجع السابق، جـ٤، ص١٨٠٠، رقم الحديث٤٥١٧

[3] أخرجه النسائي في السنن الكبرى، جـ٦، ص٤٣٥، رقم الحديث ١١٤١٩.

[4] ابن حجر ، فتح الباري، جـ٨، ص٥٣١.

[5] د . محمد أبو شهبة، الوسيط في علوم ومصطلاح الحديث، ص٤٦٨.

[6] أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب الأذان، باب الصلاة الليل، جـ١، ص٢٥٦.

[7] أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في التطوع في البيت، جـ٢ ، ص٤٣٩. رقم الحديث١٣٧٨، وصححه الألباني.

تعدد الألفاظ الذي يتوارد على حديث واحد، بين الإيجاز والإطناب، والوضوح والخفاء والتقديم والتأخير، والزيادة والنقص، والتغيير والتبديل، قد تترتب آثار على فهم مراد الحديث، أو تأكيد معناه، أو شرح إجماله، أو تخصيص عامه، أو تقييد مطلقه، أو إزالة إشكاله، أو غيرها من الحكمة ، وسأتكلم عنها في الآتي.

الأول: **فهم مراد الحديث**. إن الحديث يأتي مختصراً في رواية مما يسبب الغموض في معناه، ويأتي مفصلا في أخرى دون غموض وخفاء، فإذا جمع الطريقان وألفاظهما فهم مراد الحديث، وله أمثلة على ذلك:

١. عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل[١].

٢. عن جابر أيضاً قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن يرى منها بعض ما يدعوه إليها فليفعل[٢].

٣. وعن جابر أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا جناح على أحدكم إذا أراد أن يخطب المرأة أن يغترها فينظر إليها، فإن رضي نكح ، وإن سخط ترك[٣].

هكذا روي حديث النظر إلى المرأة التي يريد الرجل أن يتزوجها بثلاثة ألفاظ، ففي الأول جاء اللفظ مطلقا" إلى ما يدعوه" وأما الحديث الثاني ففيه: "إلى بعض ما يدعوه"، ولذلك يرى أكثر الفقهاء أن ينظر الخاطب إلى وجه المرأة وكفيها فقط. وأضاف إليهما الإمام أبو حنيفة القدمين أيضاً. وأما الحديث الثالث فأفاد أن يكون نظر الخاطب إلى المرأة المخطوبة على غِرَّةٍ منها دون علمها به.

فبمجموع هذه الألفاظ، وردِّ بعضها إلى بعض حصل أن مقصود الحديث هو أن ينظر الرجل لغرض الخطبة إلى وجه المرأة ويديها فقط دون سائر أعضائها، على غفلة منها دون علمٍ سابق منها[٤].

الثاني: **تأكيد معنى الحديث**: والمثال على ذلك ما روي في وعيد الكذب على رسول الله ﷺ: فأفضل مثال له ما رواه العشرة المبشرون بالجنة وغيرهم من حديث "من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"، وإليكم ألفاظ رواية بعضهم:

١. عن علي رضى الله عنه يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار[٥].

---

[١] أخرجه ابو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها، جـ٢، ص٢٢٨، رقم الحديث٢٠٨٢.

[٢] أخرجه أحمد في المسند، جـ٣، ص٣٦، رقم١٤٩١٢.

[٣] أخرجه عبد الرزاق في المصنف، جـ٦، ص١٥٨، رقم الحديث١٠٣٣٧.

[٤] انظر: د. محمد أبو الليث الخير آبادي، المنهج العلمي عند المحدثين في التعامل مع متون السنة، (مقالة منشورة في العدد١٣ المجلة: إسلامية المعرفة١٩٩٨م) ص٤١.

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ، جـ١، ص٥٢، رقم ١٠٦.

٢. وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار"[١].

٣. عن أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار"[٢].

٤. وعن سلمة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار"[٣].

فهذه الأحاديث كلها صحيحة، ويؤكد بعضها بعضا؛ إذ معناها واحد.

الثالث: شرح إجمال الحديث: ومثال ذلك روايات في قضاء النبي صلى الله عليه وسلم في قتل المرأتين الهذليتين:

١- عن ابن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: اقتتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر، فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة وقضى أن دية المرأة على عاقلتها[٤].

٢- وروى ابن عباس عن عمر بن الخطاب، أنه نشد الناس قضاء النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك يعني في الجنين، فقام حمل بن مالك بن النابغة، فقال: كنت بين امرأتين لي، فضربت إحداهما الأخرى بمسطح، فقتلتها وقتلت وجنينها، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنين بغرة عبد، وأن تقتل بها[٥].

٣- عن جابر بن عبد الله أن امرأتين من هذيل قتلت إحداهما الأخرى، ولكل واحدة منهما زوج وولد، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم دية المقتولة على عاقلة القاتلة، وبرأ زوجها وولدها، قال: فقال عاقلة المقتولة: ميراثها لنا؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا، ميراثها لزوجها وولدها"[٦].

فالمرأتان في الحديث الثاني كانتا ضرتين، ولكن لم تتضح العلاقة بين المرأتين في الحديث الأول، وقضى النبي صلى الله عليه وسلم في الحادثة الأولى بالدية على عاقلة القاتلة، وفي الحادثة الثانية قضى بقتل القاتلة، وبذلك أصبح الحديثان مبهمين نوعاً ما، وأوقعا العلماء في الخلاف[٧]، ولكن رواية جابر بن عبد الله فسرت أن المرأتين الهذليتين المقتتلتين لم تكونا ضرتين، بل كان لكل منهما زوج مستقل، وأولاد مستقلون.

---

[١] المرجع السابق، جـ١، ص٥٢، رقم الحديث ١٠٧.

[٢] المرجع السابق، جـ١، ص٥٢، رقم الحديث ١٠٨

[٣] المرجع السابق، جـ١، ص٥٢، رقم الحديث ١٠٩.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، كتاب الحدود، باب جنين المرأة وأن العقل على الوالد وعصبة الوالد، جـ٦، ص٢٥٣٢، رقم ٦٥١٢.

[٥] أخرجه أبو داود في سننه، الديات، باب دية الجنين، جـ٤، ص١٩١، رقم ٤٥٧٢. وابن ماجه في سننه، واللفظ له، الديات، باب دية الجنين، جـ٢، ص٨٨٢، رقم ٢٦٤١.

[٦] أخرجه أبو داود في سننه، الديات، باب دية الجنين، جـ٤، ص١٩٢، رقم ٤٥٧٥.

[٧] انظر: رسالة الدكتور عايش، ص١٩٠-١٩١.

الرابع: **تخصيص عام الحديث**: إذا كان أحد الحديثين المتعارضين عاما في مدلوله، والآخر خاصا في مدلوله، فالحكم في هذا أن يصار إلى تخصيص الحديث العام في دلالته بالحديث الخاص في دلالته، ومن أمثلة على ذلك:

١- عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"فيما سقت السماء والعيون أو كان عَثَرِيًّا العشر وما سقي بالنضح نصف العشرِ[١].

٢- فقد عارضه ما رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة[٢]، ودل حديث: "ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة" على أن نصاب الزكاة خمسة أوسق، فما كان دون خمسة أوسق لا تجب فيه الزكاة. وهذا مخالف لعموم الحديث الأول الذي دل على وجوب إخراج الزكاة في القليل والكثير؛ لأن مقتضاه وجوب الزكاة فيما دون خمسة أوسق أيضاً.

ذهب الجمهور أهل العلم إلى تخصيص حديث "فيما سقت السماء العشر" بحديث "ليس فيما دون خمسة أوسق" فما سقي بماء السماء أو كان عثريا من الزروع والثمار لاتجب فيه العشر حتى يبلغ خمسة أوسق[٣].

الخامس: **تقييد مطلق الحديث**: إذا تبين أن أحد الحديثين المتعارضين مطلق والآخر مقيد الدلالة، فالحكم في مثل هذا أن يصار إلى تقييد الإطلاق الوارد في أحدهما بالتقييد الوارد في الآخر. ومن أمثلة على ذلك:

١- ما حدث به علي رضى الله عنه يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار"[٤].

٢- فقد عارضه ما حدث به أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[٥]، وهذا متواتر، فظاهر حديث علي رضي الله عنه يفيد أن الوعيد يشمل كل أنواع الكذب سواء كان عمدا أو خطأ، كما أنه عام في كل كاذب أيضاً سواء تعمده أم أخطأ، وظاهر حديث أبي هريرة قيَّد نوع الكذب الذي يدخل به صاحبه النار، وهو الكذب المعتمد المقصود. وكذلك الكاذب المعتمد. فيندفع هذا الاختلاف بين الحديثين بحمل الإطلاق الوارد في الحديث الأول على التقيد الوارد في الحديث الثاني، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قيد الوعيد لمن كذب عليه بكونه متعمدا، فلو لم يرد هذا التقيد لشمل الوعيد بالنار الكاذب الناسي والكاذب المخطئ أيضاً، وذلك غير صحيح، فالناسي والمخطئ غير مقصودين بهذا الوعيد.

السادس: **التوفيق بين الأحاديث المتعارضة في الظاهر**: من طرق التوفيق بين تعدد الروايات في متن الحديث صرف الأمر عن الوجوب إلى الندب، وذلك يكون في حالة ورود حديثين إحدهما يوجب فعل الشيء، والآخر يجعله مباحا أو مندوبا. ومن أمثلة على ذلك ما روي في الغسل لمن غسَّل الميت:

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب العشر فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجاري، جـ٢، ص٥٤٠، رقم١٤١٢.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، جـ٢، ص٥٠٩، ومسلم واللفظ له: كتاب الزكاة، الباب الأول، جـ٢، ص٦٧٣، رقم الحديث٩٧٩.

[٣] انظر: ابن قدامة، المغي، جـ٤، ص١٦١.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ، جـ١، ص٥٢، رقم ١٠٦.

[٥] المرجع السابق، جـ١، ص٥٢، رقم الحديث ١١٠، ومسلم في صحيحه، المقدمة، جـ١، ص١٠، رقم ٣.

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من غسل الميت فليغتسل، ومن حمله فليتوضأ"[1].

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس عليكم في غسل ميتكم غسل إذا غسَّلتموه؛ فإن ميتكم ليس بنجس، فحسبكم أن تغسلوا أيديكم"[2].

فذهب الجمهور منهم الحنفية والهادوية والمالكية وأصحاب الشافعي إلى الجمع بين الحديثين بالحمل على الندب. ويؤيد القول بأن الأمر بالغسل للندب ما روى الخطيب من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال لي أبي: كتبتَ حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر: "كنا نغسل الميت، فمنا من يغتسل، ومنا من لا يغتسل"؟ قال: قلت: لا. قال: في ذلك الجانب المخرم شاب يقال له محمد بن عبد الله يحدث به عن أبي هشام المخزومي عن وهيب فاكتبه عنه"[3].

السابع: إزالة الإشكال من وجه الحديث. ومن حكمة تعدد الروايات إزالة الإشكال من الأحاديث التي فيها إشكال.

نتائج البحث:

بعد أن استعرضنا هذه القضية يمكننا أن نجمل النتائج التي أظهرها هذا البحث في النقاط التالية:

١. إن تعدد متون الحديث أمر طبيعي وظاهرة موجودة في نقل الأخبار والروايات، فلا يمكن اعتبار ذلك دليلا على عدم ضبط الرواة للأحاديث.
٢. إن كثيراً من أسباب هذا التعدد إنما هو لهدف يتناسب مع طبيعة التشريع الإسلامي، كتعدد صور العمل المأمور به، وتنوع طرقه، ونسخ بعض الأحكام، واختلاف حال المخاطبين، وغير ذلك.
٣. إن اختلاف روايات الحديث أسهم في توسيع دائرة الاستنتاج الفقهي والاجتهاد، وفتح المجال أمام المجتهدين ليأخذ كل منهم من روايات الحديث ما ينسجم مع مقاصد الشريعة وروحها.
٤. إن تفاوت متون الحديث النبوي لا يعد من قبيل علم مختلف الحديث، فكل موضوع يختلف عن الآخر، رغم وجود بعض التداخل بينهما.
٥. إن تفاوت الروايات لا يعني أن الأحاديث النبوية لم ترو بألفاظها، فالأصل أن الأحاديث مروية باللفظ، إلا ما ثبت أنه مروي بالمعنى، فالرواية بالمعنى سبب واحد من جملة أسباب تفاوت الروايات.
٦. الأصل في تفاوت الروايات صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم بألفاظ متعددة، إلا إذا ثبت أن الحادثة واحدة لم تتعدد.

[1] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب الغسل من غسل الميت، جـ٣، ص٢٠١، رقم الحديث٣١٦١.

[2] أخرجه الدارقطني، السنن، جـ٢، ص٦٧، وقال صحيح على شرط البخاري.

[3] أخرجه الخطب، تاريخ بغداد: في ترجمة محمد بن عبد الله بن المبارك أبو جعفر المخزمي، جـ٥، ص٤٢٣.

٧. إن تفاوت روايات الحديث الصادر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبول في جميع حالاته، وأما التفاوت الصادر عن الرواة فهو مقبول إلا ما كان راجعا إلى الخطأ.

التوصيات: بما أن موضوع هذه الدراسة جديد، لم يتطرق له الباحثون من قبل؛ فإنه قد يعتريه بعض النقصان، فلذلك أقترح ما يلي من التوصيات:

١. فرز كل الأحاديث التي ظهر فيها التعدد، ثم عرض الروايات الواردة في حديث واحد بعضها على بعض؛ وتتبع العبارات المختلفة بدقة وعناية في مختلف المصنفات الحديثية من كتب الأحاديث المعتبرة، وذلك للكشف عن أسباب اختلاف الألفاظ.

٢. تتبع كتب التاريخ والسيرة لمعرفة تعدد الأزمنة والأمكنة، والحوادث والأحوال، والسامعين والمستفتين، والوافدين والمبعوثين تأثير في تعدد الروايات في متن الحديث، فكانت ألفاظه صلى الله عليه وسلم تختلف في كل ذلك، إيجازاً وإطنابا، ووضوحا وخفاء، وتقديما وتأخيرا، وزيادة ونقصانا، بحسب ما تقتضيه الحال، ويدعو إليه المقام.

٣. العمل على إنجاز دراسة أخرى أكثر دقة وإحكاماً، وتكون أكثر فاعلية في خدمة السنة النبوية الشريفة، ويقوّم هذا العمل في ضوء هذه الدراسة.

المراجع والمصادر

١- **اختصار علوم الحديث**، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٣٠هـ.

٢- **البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف**، إبراهيم بن محمد الحسيني، (ت١١٢٠هـ) بيروت: المكتبة العلمية، ط١، ١٤٠٢هـ.

٣- **تاريخ بغداد**، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.

٤- **تدريب الراوي في شرح تقريب النووي**، جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ) تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٥- **الجامع الصحيح**، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (ت٢٩٧هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ.

٦- **الجامع الصحيح**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ.

٧- **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه**، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، الرياض: دار السلام، ط٢، ١٤١٩هـ.

٨- **شرح صحيح مسلم**، ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت٦٧٦هـ)، القاهرة: دار الريان للتراث، د. ت.

٩- **علل الحديث**، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد الرازي، التميمي (ت٣٢٧هـ)، القاهرة: مطبعة السلفية، ١٣٤٣هـ.

١٠- **علوم الحديث أصيلها ومعاصرها**، الدكتور محمد أبو الليث الخير آبادي، ماليزيا: دار شاكر، ط١، ٢٠٠٣م.

١١- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٢-**الكوكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات**، أبو البركات محمد بن أحمد بن الكيل (ت٩٢٩هـ)، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠١هـ.

١٣- **اللباب في تهذيب الإنسان**، عز الدين على بن محمد الجزري، (ت ٦٣٠هـ)، بيروت: دار صادر، د. ط.، ١٩٨٠م.

١٤- **المسند**، أحمد بن محمد حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنوط وزملاؤه، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٥- **المنهج العلمي عند المحدثين في التعامل مع متون السنة**، الدكتور محمد أبو الليث الخير آبادي، مقال منشور في العدد ١٣ لمجلة إسلامية المعرفة.

١٦- **الناسخ والمنسوخ من الحديث**، أبو الفرَج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، (ت٥٩٥هـ)، كتاب صغير منشور في مجلة البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد الأول، ١٣٩٨هـ.

ضوابط العمل في صناعة البرمجيات الحاسوبية واستخدامها في خدمة السنة النبوية

أ.د. إبراهيم بن حمَّاد السُّلطان الريس

أستاذ الحديث بقسم الثقافة الإسلامية

جامعة الملك سعود

السعودية

alraiys@gmail.com

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة على النبي الكريم نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واستن بسنته إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإن عصرنا الحاضر عصر التقنية الرقمية، وعصر المعلوماتية، وعصر انفجار معرفي هائل، لم يكن متخيلاً حصول مثله أو ما يقاربه، وقد رأيت من خلال استخدامي المتعددة للبرامج الحاسوبية الشرعية ودراساتها بشكل عام، والبرامج الخاصة بالسنة النبوية بوجه خاص، تلك البرامج الموجودة في الساحة اليوم، والتي تتنوع بين مكتبات ومكانز رقمية ضخمة، وبين برمجيات تفاعلية متميزة، وبرمجيات خدمية تساعد الباحث في الحصول على المعلومة وحصرها وتحليل بعض المعلومات -رأيت- حاجة ماسة لتدارك كثير من الملحوظات، ولتفادي كثير من المزالق التي قد توقع فيها الآلةُ الإنسانَ من الخلط أو الخطأ، فحيث وقفت أثناء دراساتي تلك على أوجه مشرقة من الخدمات البحثية الرقمية، كانت هناك أوجه مظلمة من المزالق التقنية، أو التجاوزات البشرية، أو الدس والتعمد للتشويه والخلط، مما استدعى العمل في هذا البحث الذي أتناول فيه قواعد مهمة تضبط بعض ذلك، وتحفظ مسار العمل البرمجي الرقمي لعلم السنة النبوية خاصة، واستخداماتها، وتكون موجهة لكل من له علاقة بهذه البرمجيات؛ إنتاجاً ومراجعة وتوزيعاً واستخداماً.

وقد حرصت على الإفادة من خبرات العاملين وتجاربهم في هذا المجال من المنتجين والباحثين؛ فعملت على وضع استبيان لاستجلاء واقع البرمجيات، وعملت على تحكيمه، وسافرت من أجل الوقوف على العاملين في إنتاج أو استخدام هذه البرمجيات وأخذ مرئياتهم، كما حرصت على مقابلة من له علاقة بالبحث في عدد من البلدان منها: الأردن ومصر وسوريا؛ فضلاً عن بعض الباحثين والمنتجين في بعض جامعات المملكة العربية السعودية، وجاء عنوان الدراسة: (ضوابط العمل في صناعة البرمجيات الحاسوبية واستخدامها في خدمة السنة النبوية)، وقد انتظم عقد الدراسة وفق الخطة الآتية:

في مقدمة هذا البحث جعلت توطئة للدراسة تناولت فيه تنبيهات مهمة يجب استحضارها والعمل على توفيرها لدى من له علاقة بهذه البرمجيات، ثم عرفت بالمراد بالضوابط والتنبيهات، ثم ذكرت أهم الضوابط، ومنها ما كان عاماً، ومنها ما كان خاصاً موجهاً لكل فئة من الفئات التي يتوجه لها البحث؛ المنتجين والمبرمجين والباحثين والجهات العلمية ذات العلاقة والاهتمام، ثم ختمت البحث بأهم التوصيات، ثم الفهارس العلمية، فالمصادر والمراجع، هذا وأسأل الله تعالى التوفيق والنفع والسداد.

توطئة:

لأهمية العناية بدراسة واقع هذه التقنيات، ولضرورة وضع تصور واضح عنها، وللحاجة الماسة لضبط المسار وتحري الحق والانتباه لهذا الأمر المستجد وما يجنيه أو يجلبه من نتائج حول علوم الشريعة، فضلاً عن الخطورة التي تصحب هذه البرمجيات في هذا العالم التقني المفتوح؛ كان لا بد من وضع هذا المدخل، ليتناول تنبيهات مهمة جديرة بالاستحضار والعناية لدى المهتمين بهذا الموضوع التقني النافع، ففي ظل هذه الطفرة الرقمية، ينبغي أن نتوقف معها وقفات جادة؛ نتذكر بها النقاط الآتية:

١) حمداً لله تعالى الذي سخر للإنسان هذه النعمة العظيمة، وأن نتذكر قيام الحجة علينا بهذه التقنية، حيث توافرت المعرفة، وتيسرت سبل الوقوف عليها، ولم يعد الحصول على المعلومة عسير المنال بل صار متيسراً وسريعاً، وما يتوجب على المعنيين استثماره.

٢) أن نتذكر واجبنا في نشر دين النور والرحمة دين الإسلام، وأن نبلغ الناس بهدي نبي الهدى صلى الله عليه وسلم ونصحح للعالم الصورة المغلوطة حول دين الله تعالى، ونرشدهم إلى الحق من منبعه الصافي ومصادره الأصيلة؛ وليس من خلال تصرفات البشر وأخطاء المنتسبين له.

٣) أن نتعامل مع التقنية بما يسهم في تحقيق أهدافنا، ويساهم في نشر الإسلام في العالم، فتستثمر هذه التقنيات للقيام بمهمة الدعوة إلى الله تعالى على علم وبصيرة.

٤) أن تسارع دور التعليم إلى جعل تعليم التقنية الحاسوبية أساسياً في مناهجها، وأن تواكب في ذلك مستجدات هذه التقنية المتسارعة، وأن يقوم بذلك أفراد على مستوى عال من المعرفة والخبرة التقنية والتربوية.

٥) التأكيد على أهمية نشر ثقافة التقنية الرقمية للاستفادة منها بين أفراد الأمة كافة، وذلك لما تقدمه من خدمات تفوق التصور، ونكسر بذلك التصور الخاطئ لدى البعض حول هذه التقنيات وخطورتها، ونبين لهم المحاسن العظيمة والنماذج الحية لخدماتها، والسهولة واليسر في التعامل معها، وبذلك يستفاد من هذه الخدمة بصورة فاعلة ومنتجة.

٦) نتذكر أن العلم الشرعي بكل أنواعه وفنونه كلٌّ لا يتجزأ، فالضوابط للبرمجيات العلمية لا تختلف كثيراً بين ما يشترط للبرمجيات في خدمة القرآن وعلومه، أو السنة وعلومها، أو الفقه وأصوله، أو العقيدة والمذاهب المعاصرة، أو غيرها من فنون العلم الشرعي، وإن كانت السنة النبوية من أظهر العلوم الشرعية التي لقيت عناية خاصة بها أكثر من غيرها، ولهذا فإن الضوابط والشروط التي تختص بها وتتأكد لها أكثر وأدق من غيرها من سائر العلوم الشرعية.

الضوابط والمراد بها:

الضوابط جمع ضابط؛ يقال: ضَبَطَهُ ضَبْطاً وضَباطةً: حَفِظَه بالحَزْمِ. وقالَ اللَّيْثُ: ضَبْطُ الشَّيْءِ: لُزُومُه لا يُفارِقُه، يُقَالُ ذلِكَ في كلِّ شيءٍ. وقالَ ابنُ دُرَيْدٍ: ضَبَطَ الرَّجُلُ الشَّيءَ يَضْبُطُه ضَبْطاً، إذا أَخَذَه أَخْذاً شَديداً، ورَجُلٌ ضَابِطٌ للأُمُورِ: كَثيرُ الحِفْظِ لها، وفُلانٌ لا يَضْبُطُ عَمَلَه، أَي لا يَقُومُ بما فُوِّضَ إِلَيْه، وهو لا يَضْبُطُ قِراءتَه، أَي لا يُحْسِنُها(١).

فيمكننا أن نعرف الضوابط بأنها: مجموعة القواعد والأحكام التي تضبط منطلقات الشيء وتحافظ عليه.

ونسعى في هذا البحث إلى معرفة ما ينبغي العمل به من ضوابط وشروط تجعل العمل في إنتاج البرمجيات التي تخدم السنة النبوية ناجحة وفاعلة ومنتجة، فكل ما يضبط الأمر بدأً من الإنتاج للبرمجيات وحتى وصول المنتج إلى

---

(١)انظر: القاموس: (٨٧٢)، لسان العرب: (٧/٣٤٠).

المستخدم، وتعامل المستخدم مع هذا المنتج ومدى استفادته، مما يجعل العمل منضبطا بشروط تحقق النجاح في تحقيق المقصود الشرعي فهو ضابط.

ولتشعب هذا الموضوع ولتعدد الأطراف المشاركة في التعامل معه إنتاجاً ومراجعة وتسويقاً واستفادة، فقد رأيت أن أقسم الضوابط إلى قسمين؛ عامة وخاصة، وسأتناول ذلك في مطلبين؛ على النحو الآتي:

المطلب الأول: الضوابط والتنبيهات العامة

ترجع أهمية هذه الضوابط والتنبيهات العامة لما ينبني عليها من نتائج وآثار من خلال التعامل مع هذه البرمجيات واستثمارها في خدمة الإسلام بوجه عام وفي علم الحديث بوجه خاص ومنها:

١. الإخلاص الجميع واستشعار المنتجين والمبرمجين والمراجعين والباحثين أن هذه التقنية نعمة من الله تعالى، وينبغي أن تستثمر في خدمة دين الله عز وجل، وأن يحتسب المسلم في التعامل معها وإنتاجها، كما أن إدراك المنتج والمستخدم لأهمية الصدق مع الله تعالى في هذا الموضوع؛ من أسباب القبول والنجاح كما أنه من أسباب التطور والانتشار، فقد ذكر العلماء أن الإمام ابن أبي ذئب معاصر الإمام مالك وبلديه قد صنف موطأ أكبر من موطأ مالك، حتى قيل لمالك: ما الفائدة في تصنيفك؟ فقال: ما كان لله بقي(١).

٢. الصدق والحرص والاحتساب، فيحرص المنتج والمستخدم على أن يكون صادقاً في عمله مع ربه جل وعلا، وحريصاً على صحة مخرجاته ومحتسباً الأجر بفعله البرمجي أو البحثي.

٣. أن يستحضر المتعامل مع هذه البرمجيات إنتاجاً أو استخداماً أنها تخدم علماً شريفاً وعظيماً هو سنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وعلوم الشريعة التي يتعبد المسلم بها لله جل وعلا، فيدرك أهميتها وخطر التهاون بها.

٤. الاهتمام الجاد بالحقوق للمنتجين والمستخدمين؛ فحق المنتج في عدم التعدي على البرنامج بالنسخ والقرصنة، وحق المستخدم في جودة ودقة المنتج وسلامته من القصور البرمجي أو الخلل في المحتوى، وهذا ما يعرف بالملكية الفكرية، وهي: (الحقوق التي ترد على أشياء غير مادية. وهذه الحقوق طائفتان أو نوعان: حقوق ناشئة عن الملكية الصناعية وأخرى ناشئة عن الملكية الأدبية و الفنية. ويكفل المشرع حماية مدنية وجنائية لهذه الحقوق جميعاً) (٢)، وقد اتفقت جميع المعاهدات الدولية والإقليمية والأنظمة المحلية على أن برامج الحاسب الآلي تعد نوعاً من المصنفات الأدبية الخاضعة للحماية في أنظمة حماية حقوق المؤلفين والحقوق المجاورة، بوصفها أعمالاً أدبية بموجب معاهدة: (برن للملكية الفكرية الموقعة عام ١٩٧١م)(٣).

---

(١) انظر: الرسالة المستطرفة، ص ٩.

(٢) حقوق الملكية الفكرية المفاهيم الأساسية، ص٥.

(٣) حماية حقوق المؤلفين في المملكة العربية السعودية، ص ٤١.

المطلب الثاني: الضوابط والتنبيهات الخاصة

إن العلاقة بالبرمجيات المنتجة لخدمة السنة والسيرة النبوية تتناول أطرافاً متعددة وتمر بمراحل مختلفة؛ تخطيطاً ودعماً وإنتاجاً وبرمجة ومراجعة وتحكيماً وتسويقاً واستخداماً، فإن لكل فئة تتعامل معها ضوابط وقواعد ومنطلقات يحسن الانتباه لها، وهي:

- المنتجون؛ شركات أو هيئات أو أفراد.
- المبرمجون؛ سواء عملوا ضمن جهات أو لحسابهم الخاص.
- المستخدمون؛ وهم الباحثون الأفراد، أو المكلفون بجمع مواد علمية لباحثين.
- الهيئات والجهات العلمية ومراكز البحث والجامعات؛ وهي الجهات التي لها شخصية علمية معتبرة ويمكنها التأثير بشكل و بآخر في توجيه دفة العمل للأفضل في هذه المنتجات.

وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

أولاً: المنتجون:

مما ينبغي للمنتجين أن يلتزموا به ويحرصوا على تحقيقه، حتى يتحقق النجاح للمنتج، ما يأتي:

١. التأكيد على استحضار الاحتساب في هذا العمل المبارك، وأن يتذكر المنتج قول رسول الله صلى الله عليه وسلم(١): إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث؛ وذكر النبي صلى الله عليه وسلم منها: علم ينتفع به، ولا شك أن البرنامج الحاسوبي العلمي هو من هذا الباب.
٢. أن يكون المنتج كامل الأهلية، أي: أن تكون له شخصية اعتبارية ليتم حفظ حقوقها كاملة، وتتحمل واجباتها.
٣. المنتج القائم بتوظيف تقنية المعلومات في خدمة السنة لا بد أن يتصف بعدد من الصفات كالتقوى والورع، والفقه والأمانة والصدق مع الذكاء والفطنة وغيرها.
٤. الحرص على التنسيق فيما بينها وتوحيد الجهود المتكررة والكثيرة وأن يتم التشاور فيما بينها من أجل ضبط المنتج وجودة الإنتاج، وإن كان البعض يرى أن كثرة الجهات وتعدد المحاولات ظاهرة إيجابية لما يترتب عليه من المنافسة في الجودة، فإن الواقع خلاف ذلك، فالكثير من المنتجات الموجودة تفتقد إلى أدنى مستويات الجودة والضبط؛ فالتنسيق بينها يضبط العمل بصورة أكمل وأجود وأكثر إتقاناً واستقراراً.
٥. أن تجعل للتدريب وتطوير العاملين في الإنتاج لديها في كل مستويات الإنتاج برنامجاً متكاملاً ومدروساً يتناول بناء الإخلاص لله تعالى في هذا العمل، واستشعار عظمة العلم الذي يخدمه سنة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم.
٦. أن تدرك عمق العمل في السنة وخطره، وتنظر إلى تلك الجهود المباركة من علماء الأمة وأئمة الحديث، في تنوع المصنفات وتعدد الخدمات التي ظهرت للسنة النبوية، من كتب السنة المختلفة، مما يستدعي التنبه والحذر والاستفادة من تلك المراجع والأصول المهمة.

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ص٦٦٩، رقم ١٦٣١.

٧-الاستفادة من تجارب الآخرين، ففي بعض البلاد أصبحت في درجة من التوثيق تفوق الكتاب الورقي، وصارت من أقوى مصادر التوثيق للبحوث والدراسات العلمية والأكاديمية.

٨- أن تضع الجهة المنتجة شعاراً يقرؤه كل أفرادها من أعلى الهرم إلى أسفله، يؤكد على أهمية السنة النبوية وخطر التهاون بها، والتذكير بالحديث النبوي المتواتر؛ من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار(١).

٩-أن تغلب هذه الجهات جانب الورع على جانب الطمع، وأن تتذكر وهي تسعى لتحقيق مكاسب مادية، أنها مطالبة بالجودة والإتقان والضبط والتحرير والمراجعة.

١٠- أن تجعل ضمن الفريق القائم على الإنتاج العلمي مختصين على أعلى مستوى من المعرفة في علوم الحديث ومصطلحات المحدثين. وأن تصدق مع نفسها في ما تذكره من إشراف بعض العلماء المختصين على برامجها.

١١-أن يكون من العاملين في مراحل البرنامج؛ مختصين في اللغة العربية، فكم من تصحيف وقفت عليه في أثناء دراستي لهذه البرمجيات كان سببه الجهل بغريب الألفاظ النبوية وعدم الدراية باللغة العربية.

١٢-أن تولي اهتماماً بالرواة وان تتعرف على أسمائهم وألقابهم وكناهم ونسبهم، وذلك بمراجعة المصادر المختصة بمعرفة أحوال الرواة، وكتب الجرح والتعديل، والكتب التي عنيت بضبط الأسماء وتمييزها(٢).

١٣-أن تحرص الشركات المنتجة على إقامة جو من الارتياح والثقة والرقابة الذاتية لدى كل العاملين، وذلك لإتقان المنتج، وليتنافس الجميع في الوصول به لأعلى مستويات الجودة.

١٤-أن تولي الجهات المنتجة خدمة المنتَج عناية تفوق العناية التي توليها إنتاجه، فتكون خدمات ما بعد البيع أسرع والتواصل مع المستخدمين أكثر وضوحاً وأكثر تفاعلاً.

---

(١) هذا الحديث متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما ذكر ذلك أهل العلم؛ قال ابن الصلاح في مقدمته المشهورة ص١٥٥: نعم حديث : ((من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)) نراه مثالا لذلك –يعني للحديث المتواتر– فإنه نقله من الصحابة رضي الله عنهم العدد الجم وهو في (الصحيحين) مروي عن جماعة منهم.

وانظر: نظم المتناثر للإمام محمد بن جعفر الكتاني ص١٩، وقال النووي: (٦٨/١): هو حديث عظيم فى نهاية من الصحة. أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، ص ٤٦، رقم ١١٠. ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ص ١٢٠١، رقم٣٠٠٤ ، والحديث روياه فى صحيحيهما عن غير أبي هريرة أيضاً؛ من حديث علي والزبير وأنس وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم.

(٢) انظر أبحاثي في ذلك:

- الشبكة العالمية للمعلومات"الإنترنت" وخدمة السنة النبوية
- برنامج موسوعة الحديث الشريف، من إنتاج شركة حرف لتقنية المعلومات
- برنامج المكتبة الألفية للسنة النبوية، عرض ونقد
- الاستفادة من مخترعات وتجارب غير المسلمين
- التقنية الحديثة في خدمة السنة والسيرة النبوية،

برنامج المحدث عرض ونقد.

١٥-الحرص على المراجعة المتكررة ومقابلة النصوص المطبوعة على الأصول الورقية للكتب والمصادر، فمما ينقص البرامج الحاسوبية اليوم في بلاد الإسلام قلة -أو انعدام- المراجعة للمادة المدخلة.

١٦-أن تولي النص النبوي عناية فائقة فتضبط بالشكل وتحرر وتراجع، لما في ذلك من ضبط للألفاظ ومدلولاتها، فالسنة هي أحد المصدرين الرئيسين لهذا الدين العظيم.

١٧- أن لا تطرح الشركة منتجها إلا بعد إجازته من جهة علمية معتبرة، وذلك بعد مراجعته وتدقيقه وتجربته؛ لمعرفة سلامة البرمجة من الخلل التقني، وسلامة المادة العلمية من الخطأ العلمي.

١٨-ضرورة الاهتمام بالمسلمين من غير الناطقين بالعربية، وجعل هذه البرامج تخدم الشرائح المسلمة في شرق الأرض وغربها، وفي شمالها وجنوبها.

١٩-العمل على توسيع دائرة المستهدفين والمستفيدين من برامجهم، وذلك بوضع مستويات للبرنامج تتناسب مع عدد من المستخدمين، كالأطفال والعامة والباحثين المتخصصين، وكذلك العمل على جعل المنتج بعدة لغات، مع تنوع التطبيقات والنتائج.

٢٠-وأخيراً؛ التركيز على ما يحتاجه الباحث وغيره من المستهدفين بالبرامج، وعدم إقحام خدمات لا حاجة لها، أو معطيات غيرها أنفع وأهم منها.

ثانياً: المبرمجون:

١. أن يكون التقني القائم على البرمجة مختصاً، يعرف ما يهدف إليه الباحثون في علوم السنة النبوية من نتائج، ويدرك ما تتضمنه نصوص السنة من فنون تتعلق بالمتن والسند وما فيهما من اصطلاحات وعلوم، تضمنتها كتب خدمة السنة النبوية ومصادر رواة الحديث النبوي.

٢. أن يتلقى المبرمج تدريباً متواصلاً مع علماء الحديث النبوي، مدركا لأهم المخرجات الرئيسة التي يحتاجها طالب علم الحديث النبوي، ونحو ذلك من القضايا.

٣. أن تعقد حلقات نقاش وورش عمل مع فريق العمل بحضور مختصين في الحديث وعلومه، للحديث حول كل صغيرة وكبيرة من مشاكل العمل وغريب الاصطلاحات، ومشكل المسائل.

٤. أن يتواصل مع كل ما يستجد من إمكانات تقنية وتقنيات برمجية جديدة، وأن لا يبقى على ما تعلمه أو يكتفي بخبرته ، بل يستفيد، ويتابع تجارب الآخرين، ومنتجات الجهات البحثية المتقنة.

٥. أن يجعل البرمجة في أيسر سبل التعامل معها، فييسر طريقة التعامل مع البرنامج ويجعل شاشات البرنامج ونوافذه وخدماته واضحة وسهلة حتى لمن ليس له معرفة بالحاسب وإمكانياته.

٦. أن يكون البرنامج تفاعلياً وتحليلياً ليعطي نتائج وإحصائيات وتحليلات علمية دقيقة، ولا يكتفي بكونه كتاباً إلكترونياً فقط، فخدمات البرمجية الأخرى تقدم نتائج تحليلية مبهرة وعظيمة.

٧. أن يولي المراجعة للنصوص وضبطها والتدقيق فيها، قبل إدخالها البرنامج عناية خاصة، فهو مسؤول عن جانب مهم، فلا بد أن يعتني بجودة المعطيات، لتكون النتائج متميزة ودقيقة.

٨. أن يتم اختبار البرنامج وضبطه وفق أعلى مستوى للجودة؛ حتى لا يتعارض مع غيره من البرامج مما يتوقف عليه الاستفادة منه أو عدمها.

٩. هناك برمجيات –أعدها بعض المبرمجين– تقدم خدمات خطيرة على السنة النبوية خاصة لضعف البرمجة وللأخطاء في إدخال البيانات، كما أنها خطيرة بسبب أن هذه البرمجيات تجعل ميدان التحقيق للسنة مشاعاً لأي أحد، فينبغي للمبرمج أن يجعلها تكون محصورة فيمن يتقن علم الحديث، وللمبرمجين طريقتهم في تحديد من يمكنه الاستفادة من هذه البرامج، كإجراء اختبار متخصص قبل التمكن من الدخول للبرنامج ونحو ذلك.

ثالثاً: المستخدمون:

إن من أهم الضوابط التي يجب على المستخدمين العمل بها:

١ –الحرص على المنتج الأصلي والبعد عن النسخ غير المشروع، فهذه المنتجات كلفت جهداً ومالاً ووقتاً فلا يصح ولا يجوز التغافل عن تلك الجهود والتعامل مع النسخ المسروقة.

٢ –إن المستخدم بشرائه للنسخة الأصلية يساهم في تطوير هذه البرمجيات والرقي بها، وقد توقفت بعض الشركات عن الإنتاج بسبب هذه المسألة، وهي جديرة باهتمام المستخدم.

٣ –ليكون المنتج متكاملاً؛ يحرص الباحث على التواصل مع الجهة المنتجة وإبداء الملحوظات والمقترحات وإسداء النصح لهم حول منتجهم من أجل الرقي به وتطويره، وزيادة النفع بها.

٤ –الحرص على التوثق من البرامج التي يتعامل معها، فليس كل برنامج يجده المرء يكون موثوقاً ومناسباً، فسؤال المختصين والممارسين لهذه البرامج قبل استخدامها أمر مهم جداً للتوثق منها.

٥ –الانتباه للمصادر والبرامج المفتوحة لإمكانية التحريف فيها كالشاملة فيراجع الكتب، ولا تكفي المصورات الموجودة في بعض إصداراتها، لمن لا يعرف النسخ المطبوعة أصلاً.

٦ –عندما يشتري الباحث أي برنامج من البرامج التي تخدم السنة النبوية؛ وعندما يقف على المعلومة المطلوبة بواسطة البرنامج؛ فإن مما يجب العلم به أنه يلزمه أن يراجع الأصول الورقية المعتبرة بعد أن يقف على المعلومة في البرنامج الحاسوبي، لما وقفت عليه من نقص ملحوظ في كثير منها.

٧ –أن يتقن الباحث البرنامج الذي يتعامل معه، ويتعرف على مصطلحاته ومداخله وشاشاته، ليصل إل النتيجة المرجوة بصورة كاملة.

٨ –أن يدرك المستفيد من هذه البرامج أنها لا تغنيه عن علم العالم وفهم المحدث وإدراك الفقيه، فهي وإن يسرت المعلومة إلا أنه:(رب حامل فقه ليس بفقيه) (١)، فلا يعرض عن دروس العلم بسببها.

---

(١) ورد ذلك في حديث زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، رضي الله عنه، أخرجه الإمام أحمد في مسنده؛ ص١٥٧٥، رقم ٢١٥٩٠، وفي كتاب الزهد ص ٣٣،وهذا لفظه، وأبو داود؛ كتاب العلم، باب فضل نشر العلم،ص ٤٠٤، رقم ٣٦٦٠، والترمذي؛ كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ص٤٣٠، رقم ٢٦٥٦، وقال أبو عيسى: حديث زيد بن ثابت حديث حسن، وهو حديث صحيح. وفي الباب من حديث جبير بن مطعم وعبدالله بن مسعود وأنس بن مالك.

٩ -يجب على طالب العلم أن يتعلم من هذه التقنية ما يمكنه من الاستفادة منها وتسخيرها في أبحاثه ودراساته الشرعية.

١٠ -وأخيراً: إذا لم يقف الباحث من خلال طرائق البحث الآلي على المعلومة المطلوبة فلا ينفي وجودها، وإنما يبحث عن المعلومة في المصادر العلمية الورقية لإزالة اللبس وتأكيد التوثيق.

رابعاً: الهيئات والجهات العلمية ومراكز البحث والجامعات:

تعد الهيئات والجهات العلمية ومراكز البحث والجامعات مصادر بحث ونشر وتعليم وتثقيف إضافة إلى الدور العلمي المناط بها ومن أبرز ما تقوم به:

١. إقامة الندوات والمؤتمرات المتخصصة في مشاكل البرمجيات وفي عوائق تطورها وفي أسباب الضعف والقوة فيها، وفي الإنترنت وخدماته، والأجهزة الخدمية المتخصصة وطرائق الاستفادة منها، وغير ذلك من ميادين بحر التقنيات الرقمية التي تخدم العلوم الشرعية بشكل عام.

٢. المسارعة في إنشاء جهات علمية معتبرة لدى الناطقين باللغة العربية، ليتم من خلالها توحيد المصطلحات الحاسوبية ليسهل التعامل معها ولا تتشتت الأفكار بين البرامج وتنوعها في التعبير بألفاظ خاصة تتضح للباحث أحياناً وتغيب عنه أحايين أخرى، أو أن تقوم المجامع اللغوية بذلك.

٣. أن تتبنى وضع شروط للتعامل مع البرمجيات يستفيد منها المستخدمون لها، وتيسر عليهم عناء البحث عن ذلك.

٤. أن تقوم بإعداد دراسات جادة وعميقة لمناقشة مشاكل البرمجيات وإيجاد الحلول لها، ووضع الأسس الصحيحة لإنتاج برامج رائدة ومتميزة.

٥. أن تقدم استشارات متواصلة مع المستفيدين من التقنيات الرقمية، عبر وسائل الاتصال المختلفة، ويكون ذلك على مدار الساعة.

الخاتمة:

خلصت في هذه الدراسة إلى نتائج وتوصيات مهمة؛ منها:

١. ضرورة المسارعة في إنشاء جمعية رقابية دولية متخصصة، تتبناها جهة علمية شرعية معتبرة، لدراسة البرمجيات ومراجعة ضوابط العمل فيها، وإجازة النافع منها، وإعطاء شهادة جودة للبرامج المتميزة، ووضع شروط يجب تحقيقها للبرمجيات قبل إجازتها، وكم هو مناسب لو أن رابطة العالم الإسلامي تبنت إنشاء هذه الجمعية.

٢. أن تتبنى الجهات الرقابية القائمة كوزارات الإعلام ونحوها؛ إيجاد تشريعات واضحة، ووضع ضوابط وشروط وعقوبات لحماية حقوق المنتجين، ورعاية حق المستخدمين في الأسعار والتطوير.

٣. أن يدرك المستفيد من هذه التقنيات أن العلم الشرعي إذا كان مشاعاً فليس معنى ذلك أن جهد المنتجين من البرمجة وتحقيق النصوص وإدخال البيانات والاختبارات التي تجرى لإنجاح المنتج وتطويره، حقاً مشاعاً وأنها ليست حمًى مستباحا.

٤. إقامة ندوات ومؤتمرات أكثر تخصصاً تتناول مشاكل البرمجيات، وتقنيات النص العربي ومشاكله، وواقع البرمجيات، وحقوق المبرمجين، وغيرها مما لا يسع المجال ذكره.

٥. للارتقاء بمستوى المنتجات البرامجية، وللاستفادة المناسبة والجيدة من هذه البرامج، لا بد من تنظيم دورات تقنية متخصصة تهتم بتدريب المنتجين والمبرمجين فيما يخدم البرامج العلمية التخصصية، وتهتم أيضاً بتطوير مهارات الباحثين ونحوهم؛ في استعمال التقنيات الحديثة في البحث العلمي.

ومن الأمور المهمة التنبه إلى:

إن بعض الشركات غالت في سعر المنتج، وقصّرت في الحقوق، والخدمات، والنتيجة هي النسخ الجائر، واستحلال ما لا يحل، وإن أباح بعض العلماء النسخ للشخص نفسه على ما فيه، إلا أن واقع الحال، هو أن المنتج الجاد، لم يعد واثقاً من السوق، ولهذا صرفت الشركات نظرها عن تطوير البرمجيات، ولذا أقول:

لسنا بحاجة إلى اجتهاد فردي لا ضابط له، وإن قُبل هذا اليوم فلن يستمر غداً حين يحتاج العمل الرقمي إلى مجهودات ضخمة للضبط والتوثق، وتحتاج لصرف مبالغ طائلة لا يمكن قيام المتطوعين بها، مع خطورة الاتكاء على طرف واحد لو سلمنا بأنه منتج مناسب، لكننا لن نثق به دائماً، ولن نطوره دوماً ولن نستطيع أن نعيد الشركات –إذا انسحبت– للإنتاج لاحقاً، فلنتأمل خطورة نظرتنا الأنانية الآنية، ومآلاتها حين تتطور التقنيات وتعجز عن القيام بها المجهودات الفردية، ولهذا فإني أقول:

لا بد من تأمل الفتوى بهذا الموضوع، ولو للاستخدام الشخصي.

ولا بد من تأمل دعوى أن الحقوق مشاعة، وأن لا يعمم ذلك، فتراعى الجهود الفنية والبرمجية المبذولة، وأن تعامل هذه البرامج في أقل الأحوال مثل الكتب العلمية المحققة التي تحفظ فيها الحقوق لمؤلفيها، فعمل كثير من الشركات أفضل بكثير من عمل كثير من المحققين الذين حفظت لهم الحقوق.

ولا بد من تأمل خطورة تحليل مثل هذا الأمر وهو موطن شبهة على الأقل، فالأمر يتعلق به حقوق مالية وجهود بشرية وبذل متخصص من مبرمجين ومنتجين وباحثين ونحوهم، كما أنه لا بد من أن تعتني الشركات بالمنتج وتراعي الحال في السعر، وكذلك لا بد من قيام الجهات الرقابية بالحد من ظاهرة السرقة.

ولا بد أن تتبنى الجهات العلمية مشاريع رائدة ومن خلال دراسات قوية واستراتيجيات عالية التخطيط ومتطورة ودقيقة ومحررة.

ولنعلم أننا لو استفدنا اليوم من النسخ للبرامج وهضم الحقوق، فسيلومنا من بعدنا غداً حين يتأخر العمل التقني عن رعاية العلوم الشرعية، وحين نجد الأمم تتكئ على منتجاتها الرقمية الموثوقة الرائدة، ونتكل نحن على مجهودات خيرية ضعيفة لقلة دعمها، ولعدم وجود الحافز لتطويرها بالشكل الموثوق، كما أن جعل هذه البرامج مفتوحة يتيح الفرصة لمن لا خلاق له بالدس والتخريب والخلط والإخلال بالمحتوى الذي قد لا يمكن تلك الجهات مراجعته وهو مبثوث في بحر الإنترنت الخضم المتلاطم، فهذه البرامج المجانية أو المفتوحة المصدر لها قيمتها، لكن يجب أن لا تكون عائقاً، فنقع في الخطأ الفادح، حين ندبج المقالات، ونسطر بالأقلام ونرفع الأصوات مطالبين

بوقف التعامل مع الشركات المنتجة والمسوقة للبرمجيات، سواء كان ذلك بلسان الحال أو الفعال، فلنتأمل ولتكن نظرتنا أكثر عمقاً وتعقلاً.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

١. الاستفادة من مخترعات وتجارب غير المسلمين،الريس، د.إبراهيم بن حماد، مجلة دراسات إسلامية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، العدد١٢، ذو القعدة ١٤٢٦هـ

٢. برنامج المحدث عرض ونقد ،الريس، د.إبراهيم بن حماد. نشر عام ١٤٢٨هـ، في مركز البحوث العلمية، كلية التربية، جامعة الملك سعود.

٣. برنامج المكتبة الألفية للسنة النبوية، عرض ونقد الريس، د.إبراهيم بن حماد، جاهز للطبع.

٤. برنامج موسوعة الحديث الشريف الريس، د.إبراهيم بن حماد، من إنتاج شركة حرف لتقنية المعلومات، جاهز للنشر.

٥. التقنية الحديثة في خدمة السنة والسيرة النبوية، الريس، د.إبراهيم بن حماد، بحوث ندوة عناية المملكة العربية بالسنة والسيرة النبوية، والمنعقدة في عام ١٤٢٤هـ

٦. الجامع الصحيح، القشيري، مسلم، بن الحجاج، عناية أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٧. الجامع المختصر من السنن عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة، ، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض

٨. حماية حقوق المؤلفين في المملكة العربية السعودية ،المسفر، مسفر بن سعد؛ وكيل وزارة الإعلام المساعد للإعلام الداخلي، ورقة عمل ضمن سجل الملتقى العلمي حول حماية الحقوق الفكرية، الكلية التقنية بالرياض (١٦ / ١١/ ١٤٢٠هـ)، إعداد علي السحيباني ود/ عاصم السعيد.

٩. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة،الكتاني، محمد بن جعفر، دار البشائر الإسلامية — بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٦ — ١٩٨٦. تحقيق : محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني.

١٠. السنن، السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض

١١. الشبكة العالمية للمعلومات"الانترنت" وخدمة السنة النبوية، الريس، د.إبراهيم بن حماد، ، جاهز للنشر.

١٢. القاموس المحيط ،الفيروز آبادي مجد الدين بن يعقوب، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي،الطبعة الثالثة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٣. لسان العرب ،ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري، دار صادر — بيروت، الطبعة الأولى.

١٤. حقوق الملكية الفكرية المفاهيم الأساسية، لطفي، د/ محمد حسام محمود، القاهرة: دار النسر، ٢٠٠٤م.

١٥. المسند، الشيباني، أحمد محمد بن بن حنبل، عناية أبوصهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

ثانياً: الجهات المتعاونة في إعداد الدراسة

١. جامعة الملك سعود الداعمة للبحث.

٢. شركة الأفق للبرمجيات، المهندس محمود المراكبي، مصر

٣. شركة التراث للبرمجيات الأردن

٤. شركة حرف، السعودية ومصر.

٥. شركة رواية للبرمجيات الأردن.

٦. شركة العقيل للبرمجيات، مصر.

٧. الشركة العربية للبرمجيات، مصر.

٨. عدد كبير من طلاب وطالبات العلوم الشرعية في مصر وسوريا والسعودية.

٩. المؤسسة الكمالية للبرمجيات سوريا.

السنة النبوية و قضايا البيئة

أ. د. محمد زرمان

كلية الآداب واللغات

جامعة باتنة

الجزائر

az1959ma@maktoob.com

مقدمة

حظيت البيئة في الإسلام باهتمام بالغ، وأفردت لها نصوص السنة حيزاً فسيحاً أبانت فيه عن مكانتها، وحثت الإنسان المسلم على المحافظة عليها والانتفاع بها والتمتع بطيباتها في حدود الحاجة، كما حذرته من الفساد والإفساد فيها، ونبهته إلى العلاقة الحميمة التي تربطه بها بوصفه جزء لا يتجزأ من هذا الكون البديع الذي خلقه الله مقدراً موزوناً، وأكد له أنه يؤثر فيه بالقدر نفسه الذي يتأثر به.

والمتأمل في الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في هذا الموضوع يجدها قد غطت بتوجيهاتها معظم القضايا التي يثيرها علم البيئة المعاصر، وتعالجها الدراسات البيئية التي تهتم بظاهرة التلوث البيئي، وتسعى للحد من آثاره المدمرة على الإنسان والأرض، وهي بذلك تضمن سلامة البيئة على مستويين: مستوى إصلاحها وتنميتها والوصول بها إلى كمالها، ومستوى حمايتها من كل ما يتهددها من أخطار الاستنزاف والإفساد، مع ربط هذه التوجيهات ربطاً وثيقاً بالجانب العقدي، كونها واجبات دينية يثاب عليها المسلم إن هو قام بها، ويعاقب على التفريط فيها إهمالاً منه أو تقصيراً، لما يترتب على نكوصه عن أداء واجبه الاستخلافي من خلل وفساد.

وانطلاقا من المفهوم المتميز للبيئة في الإسلام، والذي لا ينحصر في الموارد المادية وإنما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بصلاح العقائد، إذ كلما كانت عقيدة الإنسان صالحة كانت نشاطاته العمرانية وممارساته البيئية صالحة كذلك، واستناداً أيضاً إلى العلاقة الحميمة التي أقامها الإسلام بين الإنسان وسائر عناصر البيئة، والتي تلزمه مراعاة حقوق المخلوقات الأخرى لأن الإسلام أكد أنها تشاركه الحياة على الأرض كما تشاركه في العبودية لله والتسبيح له، فإننا نرى أن مجموعة الأحاديث النبوية التي تدعو إلى طهارة البدن، وطهارة الثوب، ونظافة الأطعمة وغرف المنزل وأفنيته، وأماكن العبادة والشوارع والأحياء، ودعوة الإنسان إلى تجنب الإسراف والتبذير وتحريمه في بعض الحالات، والحث على الاقتصاد ما أمكن في الاستهلاك، بحيث تشمل هذه القاعدة جميع مرافق الحياة، ويأتي على رأسها الموارد البيئية الأساسية: كالاقتصاد في المياه، والاقتصاد في الغذاء، والاقتصاد في الصيد بحيث لا يتجاوز حاجة الإنسان والمحافظة على الثروة الحيوانية، والنهي عن قطع الأشجار وإتلاف الثروة النباتية دون وجه حق، والنهي عن الإسراف في زراعة ما ليس فيه فائدة، كلها تدل دلالة قاطعة على المكانة المتميزة التي تحتلها البيئة في السنة النبوية الشريفة.

وتطمح هذه الورقة إلى بيان مفهوم البيئة في السنة النبوية الشريفة وتميزه عن المفهوم المادي المعاصر وارتباطه الوثيق بالجانب العقدي، والانتقال إلى الحديث عن المكانة الخاصة التي تحتلها البيئة في السنة، ثم تخصيص جانب هام للحديث عن رعاية البيئة والمحافظة عليها في السنة النبوية من خلال إيراد الآثار النبوية التي تحث على المحافظة على الموارد المائية والموارد الحيوانية بجميع أنواعها البرية والداجنة والثروة النباتية، والإرشادات النبوية التي تتناول الصحة والعمران وسبل المحافظة عليهما مع التركيز على الأهمية الكبرى للقاعدة العظيمة التي سنها الرسول صلى الله عليه وسلم لحماية موارد البيئة من الهدر والاستنزاف وهي ترشيد الاستهلاك والنهي عن الإسراف والتبذير، ثم استعراض موقف السنة من التلوث البيئي.

إن قضية البيئة في عصرنا الحاضر تستمد أهميتها من تفاقم ظاهرة التلوث التي لفتت الأنظار لقيمة البيئة ووضعتها على رأس قائمة الاهتمامات العالمية والتلوث بمفهومه المعاصر اعتداء صارخ على حق الحياة الذي يعد حفظه في الإسلام مقصداً هاماً من مقاصد الشريعة، لذلك كانت مقاربتنا لموضوع البيئة مرتبطة في كل مراحلها بالتلوث بوصفه سلوكاً إنسانياً عدوانياً لم يسترشد بمعالم المنهج الرباني الذي يضبط حركة الإنسان العمرانية أثناء قيامه بوظيفة الاستخلاف التي أنيطت به، والذي يلزمه مراعاة حقوق المخلوقات الأخرى التي أكد القرآن الكريم أنها تشاركه الحياة على الأرض كما تشاركه في العبودية لله والتسبيح له.

أولاً: مفهوم البيئة في السنة النبوية

البيئة في الاصطلاح الحديث تعني المجال الحيوي الذي يمارس فيه الإنسان حياته بما فيه من عناصر مادية يستنبط منها متطلبات عيشه وعوامل يتأثر بها نشاطه الفسيولوجي والاجتماعي، وقد عرف الباحثون المعاصرون البيئة بأنها: "المحيط الذي تعيش فيه الأحياء، مؤلفاً من الأرض، وغلافها الجوي، وما عليها، وما في باطنها.

أما مفهوم البيئة في السنة النبوية الشريفة فهو مكمل للمفهوم الذي أرساه القرآن الكريم، والذي يتجاوز حدود الموارد المادية، ليشمل طبيعة العلاقة التي تربط الإنسان بهذه البيئة، ونوعية هذه العلاقة، فإذا كان المفهوم الحديث يعد أن البيئة هي الموارد المادية التي تتفاعل فتمد الإنسان بأسباب الحياة، وتوفر له ما يحتاجه من مأكل وملبس ومأوى، فإن السنة الشريفة تعطي الأولوية في قيام الحياة الإنسانية الكاملة لصلاح العقائد، وانتشار الفضائل، والتزام الإنسان بالهدي الرباني، وتولي هذا الأمر أهمية خاصة، بناء على تميز الإنسان عن باقي عناصر الطبيعة، على الرغم من كونه أحد مواردها من خلال قدراته النفسية والروحية التي تجعله قادرا على التأثير في محيطه تأثيراً قد يكون سلبياً وقد يكون إيجابياً تبعاً لما ينطوي عليه تركيبه الفكري من قيم ومبادئ: "فالناس يعيشون في بيئات أنفسهم أولاً: مبادئ ومثلاً وقيماً، أو يكونون خلوا منها لينعكس أثر ذلك كله على بيئاتهم المادية ومواردها: سعياً ومواقف وأهدافاً"[1].

وهذا هو السر في عناية السنة الشريفة بتعمير النفس قبل توجيهها إلى النشاط العمراني المادي الذي لا يمثل سوى انعكاساً مباشراً لأثر تلك القيم والمثل في سعي الإنسان ومواقفه وأهدافه، وحتى نتبين أبعاد هذا المفهوم، يجدر بنا أن نتعرف إلى المكانة التي تحتلها البيئة في السنة النبوية، ونتلمس مدى اهتمامها بإقامة جسور التواصل والتوافق بينها وبين الإنسان لضمان حمايتها والمحافظة عليها.

ثانياً: مكانة البيئة في السنة النبوية

تحتل البيئة في السنة النبوية موقعاً متميزاً يتجلى في حرص النبي صلى الله عليه وسلم على جعل حمايتها والمحافظة عليها جزءاً لا يتجزأ من واجبات المسلم التي يثاب عليها إن قام بها، ويعاقَب على التفريط فيها إهمالاً منه أو تقصيراً لما يترتب على نكوصه عن أداء واجبه من خلل وفساد، وقد شمل هذا التوجيه مظاهر البيئة جميعها، ومجالاتها كافة، بدءاً من إماطة الأذى عن الطريق وانتهاءً بتحريم قتل النفس التي حرم الله.

---

[1] مجلة دراسات: "حماية البيئة في الإسلام"، د. إبراهيم زيد الكيلاني. ص٢٠٢.

وتتجلى مكانة البيئة في السنة المطهرة من خلال الإرشادات التي كان يتعهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فيعمق في نفوسهم الميل إلى التأمل في ملكوت السموات والأرض، واستشعار نعمة الله في كل ما يحيط بهم من حياة وجماد، وينمي لديهم الشعور بالألفة والقرب من البيئة بجميع مظاهرها، فالأرض التي يمشون عليها ويأكلون من غلاتها هي أمهم التي تحتضنهم وترعاهم، ومن حقها عليهم أن يكنوا لها مشاعر التقدير والاحترام، فيستحيوا منها كما يستحون من أمهاتهم اللاتي ولدنهم، ولا يرتكبون على ظهرها معصية، ولا يشوهون جمالها، ولا يبددون ثرواتها، ولا يفسدون مواردها لتبقى العلاقة الرحيمة قائمة بين الطرفين، ولتشهد لهم شهادة خير يوم القيامة، يوم تُحَدِّثُ أخبارها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به**)[1].

ويوثق رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلة التي تربط الناس بالأرض، فيخبرنا أن المؤمن إذا مات يبكي عليه الباب الذي كان يصعد منه عمله و يتألم لفراقه لأنه يفقد بذلك الرفيق الذي كان يستأنس بأذكاره ويستمتع بمناجاته لربه ويشاطره تسبيح الله وتقديسه، كما يبكي عليه الباب الذي كان يهبط منه رزقه فينفقه في وجوه الخير ويبذله في إصلاح الأرض وإعمارها، قال عليه الصلاة والسلام: (**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ بَابَانِ بَابٌ يَصْعَدُ مِنْهُ عَمَلُهُ وَبَابٌ يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ فَإِذَا مَاتَ بَكَيَا عَلَيْهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ**: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} (سورة الدخان: ٢٨)[2].

وإذا كانت علاقة الأرض بالعبد الصالح طيبة مباركة، فإن علاقتها بالعبد الفاجر متوترة ومضطربة، وهي تضيق ذرعا بفسقه وعصيانه وفساده وكأنها لا تحتمل وجوده فوق ظهرها، فإذا مات انتابها شعور عميق بالراحة، وشاطرتها هذا الشعور جميع الكائنات النباتية والحيوانية التي لم تر من هذا الإنسان المنحرف سوى الفساد، حدث أبو قتادة بن ربعي الأنصاري: (**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ: مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ :الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**)[3].

ويخبر النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان قبل البعثة يحس بصلة قرابة قوية تربطه بهذه البيئة الصخرية التي نراها نحن جامدة لا روح فيها فيقول: (**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**)[4]، وكأن الحجر كان عاملا من عوامل تهيئة النبي صلى الله عليه وسلم لتحمل الأمانة الكبرى، وتصفية نفسه والارتقاء بها من خلال الالتحام بينها وبين عناصر البيئة المختلفة، وشهد الصحابة رضوان الله عليهم فصلاً رائعاً من

---

[1] أخرجه الطبراني في معجمه الكبير: رقم الحديث: ٤٥٩٦، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: فيه ابن لهيعة وهو ضعيف، ج ١ ص٢٤١، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، رقم: ٢٤٠٧.

[2] أخرجه الترمذي في سننه: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب سورة الدخان، رقم الحديث: ٣١٧٨، قال الترمذي حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، رقم الحديث: ٣٢٥٥.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم الحديث: ٦٠٣١.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي و تسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم الحديث: ٤٢٢٢.

هذا القبيل حينما بنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منبراً ليخطب عليه بدل الجذع الذي كان يتكئ إليه، فإذا بالجذع يئن على مرأى ومسمع من الجميع أنين الموجوع، ويعبر عن ألمه لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يهدأ أنينه حتى يحتضنه رسول الله ويمسح عليه، فعن عبد الله بن جابر قال: (**كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ**)[1].

و الريح كائن جميل، ومخلوق مسخر لخير البشر، فهي تلطف الجو وتسوق السحاب، وتنقل حبوب الطلع فتمتلئ الأرض خضرة وزهوراً وثماراً، ولكنها تتحول بأمر ربها إلى جندي رباني يعصف بالكَفَرة والظَّلَمَة ويحمل الموت والدمار، وكل ذلك بتوجيه من خالقها، فلا يجدر بالمؤمن أن يسبها أو يلعنها وهي تؤدي في إخلاص المهام المنوطة بها، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:** (**سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ قَالَ سَلَمَةُ فَرَوْحُ اللَّهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا وَسَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا وَاسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا**)[2]، وهذا توجيه نبوي راق، يفتح للمسلمين آفاقاً واسعة للتعامل الإيجابي مع البيئة، من خلال الإحساس العميق بعدم خضوعها للصدفة العمياء والعبثية، وارتباطها الوثيق بالإرادة الربانية الحكيمة التي تُسَيِّرُ الكون كله.

فالبيئة في السنة النبوية بجميع مظاهرها تنبض بالحياة وتمتلئ بالمشاعر الرقيقة، وهي جزء لا يتجزأ من وجود الإنسان، فعلى المسلم أن يتعامل معها من هذا المنطلق الذي يعدها بموجبه شريكته في الوجود، يتعاونان سوياً على الإصلاح والإعمار كلٌ من جانبه.

ثالثاً: المحافظة على الموارد المائية في السنة النبوية

الماء نعمة عظيمة من النعم التي من بها الله تعالى على الناس، حيث جعله مصدر الحياة وقوامها، وعلى وجوده يتوقف وجود الكائنات كلها {وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون} (سورة الأنبياء: ٣٠)، وقد أحاطت السنة النبوية هذا المصدر البيئي البالغ الأهمية بسياج عال من التوجيهات والإرشادات، ونبه عليه الصلاة والسلام في أكثر من مناسبة إلى ما يكتسيه من قيمة عظيمة لاستقامة حياة الإنسان، وصلاح الأرض وعمارتها، وبلغ تشدد النبي عليه الصلاة و السلام في المحافظة على الموارد المائية درجة أثارت استغراب الصحابة و تعجبهم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ: مَا هَذَا السَّرَفُ؟ فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ**)[3]، قال الشوكاني: "والحديث

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث: ٣٣٢٠.

[2] أخرجه أبو داوود في سننه: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح، رقم الحديث: ٤٤٣٣، وابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب النهي عن سب الريح، رقم الحديث: ٣٧١٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع وقال: إسناده متصل ورجاله ثقات، رقم الحديث: ٧٣١٦.

[3] أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهة التعدي فيه، رقم: ٤١٩.

يدل على كراهة الإسراف في الماء للغسل والوضوء، واستحباب الاقتصاد، وقد أجمع العلماء على النهي عن الإسراف في الماء ولو كان على شاطئ النهر"[1].

وأعطى الرسول صلى الله عليه و سلم للمسلمين مثالاً عملياً على ذلك، و أمرهم أن يلتزموا فيه بالقدر المطلوب من المياه حتى لا يدخلوا دائرة الإساءة التي تجرهم إلى ظلم البيئة واستنزاف مواردها بالإسراف والتبذير، فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ: **(أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الطُّهُورُ؟ فَدَعَا بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ ذِرَاعَيْهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّاحَتَيْنِ فِي أُذُنَيْهِ وَمَسَحَ بِإِبْهَامَيْهِ عَلَى ظَاهِرِ أُذُنَيْهِ وَبِالسَّبَّاحَتَيْنِ بَاطِنَ أُذُنَيْهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا الْوُضُوءُ. فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا أَوْ نَقَصَ فَقَدْ أَسَاءَ وَظَلَمَ أَوْ ظَلَمَ وَأَسَاء)**[2].

وإذا كانت هذه الإرشادات النبوية الراقية المستوحاة من العلم الرباني الأزلي قد أثارت في وقتها بعض الاستغراب، ولا تزال لحد الآن عند بعضهم توضع في خانة المبالغات، فإن تتابع الأحداث وتوالي القرون قد وضعها في أعلى المقامات، ودل على أنها دستور عملي ناجع لكل ما يهدد البشرية في مستقبل أيامها جراء استهتارها بهذا المورد الحيوي، وتفننها في تبذيره، وهدره، والذي وضعها على أبواب أزمة مياه عالمية تهدد بما لا تحمد عقباه نتيجة السلوك الخاطئ الذي يتعامل به الناس مع المياه في جميع أنحاء العالم متأثرين في ذلك بالنظرة الغربية التي تقوم على المبالغة في الرفاهية، والتوسع في الاستمتاع بموارد البيئة إلى حد الإسراف المفرط لإرضاء رغبات الإنسان وإشباع شهواته دون ضابط.

أمام هذه المشاهد المأساوية ندرك عظمة التوجيهات النبوية في ذلك الوقت المبكر حينما كان الناس في سعة من أمرهم، ونعرف أن المحافظة على المياه حتى في أمور العبادة و عند التطهر للوقوف بين يدي الله هو أول الطريق نحو حماية هذا المورد البيئي الحيوي من الإهدار.

رابعاً: المحافظة على الموارد الحيوانية في السنة النبوية

الحيوانات بجميع أنواعها جزء صميم من البيئة، وحلقة أساسية في السلسلة الغذائية، ونعمة من أجل النعم التي من الله بها على عباده، ودعاهم للتفكر فيها لإدراك عظمته وجلاله، من خلال التأمل في أنواعها الكثيرة، وأحجامها وأشكالها وألوانها المختلفة التي تثير الدهشة والإعجاب.

وجاءت السنة النبوية الشريفة لترشد المسلمين إلى أقوم الطرق لحماية الثروة الحيوانية، تستوي في ذلك الحيوانات البرية والحيوانات الداجنة، وفصلت الأحاديث ما أجمله القرآن، ووسعت آفاق الآيات ودعت إلى وجوب احترام جميع الكائنات لأنها خلقت لحكمة تتضمن الخير، وليس فيها شائبة من شوائب العبث، تعالى الله عن ذلك

---

[1] نيل الأوطار: محمد بن علي الشوكاني، ج١ ص٢٥٠.

[2] أخرجه أبو داوود في سننه: كتاب الطهارة، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، رقم الحديث: ١١٦.

علواً كبيراً، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: (**إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنْ الدَّوَابِّ النَّمْلَةُ وَالنَّحْلَةُ وَالْهُدْهُدُ وَالصُّرَدُ**)[1].

فهذه التوجيهات النبوية جاءت لتعيد الأمور إلى نصابها، ولتنبه البشر إلى أن وجود هذه المخلوقات مرتبط بحكمة عالية وموجود بإرادة ربانية لأداء وظيفة قد يجهلها الناس وقد يدركونها في مستقبل الأيام، والقاعدة التي يجب أن تحكم تصرفاتهم وسلوكهم تجاه جميع الحيوانات هو عدم الاعتداء على وجودها ظلماً وبغياً، ويكفيهم أن يعرفوا أنها داخلة في جملة الكائنات التي تسبح الله، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (**سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنْ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ**)[2].

ويدخل تحت هذا الباب أيضا نهيه عليه الصلاة و السلام عن قتل الضفدع: فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ: (**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ قَتْلِ الضِّفْدَعِ**)[3]، ونهيه عن إبادة الكلاب: (**لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنْ الْأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا كُلِّهَا فَاقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ**)[4]، ونهيه عن صيد الحيوانات وقتلها للتسلية وإزجاء الوقت، وتوعد الذين يفعلون ذلك بالعقاب الشديد، فعَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ قَالَ سَمِعْتُ الشَّرِيدَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {(**مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ إِنَّ فُلَانًا قَتَلَنِي عَبَثًا وَلَمْ يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ**}[5]، وأرشد إلى الاقتصار على صيد ما يغطي احتياجات الإنسان فقط، وكل ما تجاوز هذا القدر يدخل في باب البغي والعدوان على البيئة بالإفساد، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**مَا مِنْ إِنْسَانٍ قَتَلَ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: يَذْبَحُهَا فَيَأْكُلُهَا وَلَا يَقْطَعُ رَأْسَهَا يَرْمِي بِهَا**)[6] .

وعضد هذه التوجيهات الحضارية الراقية بالنهي الصارم عن تعذيب الحيوانات واتخاذها غرضا للرمي لأنها كائنات تحس بالألم مثل البشر لكنها لا تقوى على التعبير عن ذلك ولا تستطيع الدفاع عن نفسها، ولأن الله خلقها ليسخرها الإنسان لمنفعته بالركوب أو الذبح أو حمل الأثقال أو حراثة الأرض في حدود طاقتها، وليس

---

[1] أخرجه أبو داوود في سننه: كتاب الأدب، باب في قتل الذر، رقم الحديث: ٤٥٨٣، وصححه الألباني في كتاب الإرواء، رقم: ٢٢٨٩.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد و السير، رقم الحديث: ٢٧٩٦.

[3] أخرجه الدارمي في سننه: كتاب الأضاحي، باب النهي عن قتل الضفدع و النحلة، رقم الحديث: ١٩١٤، وأبو داوود في سننه: كتاب الأدب، باب في قتل الضفدع، رقم الحديث: ٤٥٨٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داوود، رقم: ٥٢٦٩.

[4] أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الأحكام و الفوائد، باب ما جاء في قتل الكلاب، رقم الحديث: ١٤٠٦، قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، رقم: ١٤٨٦.

[5] أخرجه أحمد في مسنده: كتاب أول مسند الكوفيين، باب حديث الشريد بن سويد الثقفي، رقم الحديث: ١٨٦٥١، ورواه ابن حبان في صحيحه، رقم ٥٨٩٤، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، رقم: ٥٧٥١.

[6] أخرجه النسائي في سننه، كتاب الضحايا، باب من قتل عصفوراً بغير حقها، رقم الحديث: ٤٣٦٩، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، ج ٤ ص٢٣٣، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب، رقم: ١٠٨٤.

لتعذيبها والتلهي بها، و لأن التوسع في هذا السلوك المشين يضر بالبيئة و يخل بتوازنها بفقدان كائنات كثيرة عبثا وفي غير فائدة، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: (**مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنْ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا**)[1].

ويدخل في هذا الإطار تلك المباريات التي تقام للتحريش بين حيوانين حتى يقتل أحدهما الآخر أو يثخنه بالجراح، ومصارعة الثيران وغيرها من فنون التعذيب التي ابتكرها الناس للتلهي بالحيوانات، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (**نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ التَّحْرِيشِ بَيْنَ الْبَهَائِمِ**)[2]، وعَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: (**دَخَلْتُ مَعَ أَنَسٍ عَلَى الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ فَرَأَى غِلْمَانًا أَوْ فِتْيَانًا نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا فَقَالَ أَنَسٌ: نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ**)[3]، وعن إِسْحَاقُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (**دَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ وَغُلَامٌ مِنْ بَنِيهِ رَابِطٌ دَجَاجَةً يَرْمِيهَا فَمَشَى إِلَى الدَّجَاجَةِ فَحَلَّهَا ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا وَبِالْغُلَامِ وَقَالَ لِيَحْيَى: ازْجُرُوا غُلَامَكُمْ هَذَا مِنْ أَنْ يَصْبِرَ هَذَا الطَّيْرَ عَلَى الْقَتْلِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى أَنْ تُصْبَرَ بَهْمَةٌ أَوْ غَيْرُهَا لِقَتْلٍ وَإِنْ أَرَدْتُمْ ذَبْحَهَا فَاذْبَحُوهَا**)[4].

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين درساً في الرفق بالحيوان ليلفت أبصارهم إلى الواقع الذي يعيشونه فيتحروا فيه هذه الفضيلة وهم يتعاملون يومياً مع مختلف الحيوانات التي تخدمهم، عندما تواصل مع جمل من إبل المدينة بكى بين يدي رسول الله وشكا إليه صاحبه الذي يجيعه ويحمله من مشاق العمل ما لا يطيق، وفي هذا المشهد المؤثر تنبيه عملي قوي لكل من رآه أو سمع به ليستصحب هذا التوجيه بشكل دائم وهو يمارس أعماله اليومية من خلال تسخير هذه الكائنات فلا يغيب عن باله دموع هذا الجمل وهو يشكو قسوة بني آدم عليه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**دَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ :أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**)[5]، وعن شُرَحْبِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ أَنَّ رَوْحَ بْنَ زِنْبَاعٍ زَارَ تَمِيمًا الدَّارِيَّ فَوَجَدَهُ يُنَقِّي شَعِيرًا لِفَرَسِهِ قَالَ وَحَوْلَهُ أَهْلُهُ فَقَالَ لَهُ رَوْحٌ: أَمَا كَانَ فِي

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، رقم الحديث: ٣٦١٩.

[2] أخرجه أبو داوود في سننه: كتاب الجهاد، باب في التحريش بين البهائم، رقم الحديث: ٢١٩٩، والترمذي في سننه: كتاب الجهاد عن رسول الله، باب ما جاء في كراهية التحريش بين البهائم والضرب، رقم الحديث: ١٦٣١، وضعفه الألباني في سنن الترمذي، رقم: ٢٨٧.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الذبائح و الصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة، رقم الحديث: ٥٠٨٩.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة، رقم: ٥٠٩٠.

[5] أخرجه أبو داوود في سننه: كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب و البهائم، رقم الحديث: ٢١٨٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ج ١ ص٢٨.

هَؤُلَاءِ مَنْ يَكْفِيكَ؟ قَالَ تَمِيمٌ: بَلَى وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (**مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يُنَقِّي لِفَرَسِهِ شَعِيرًا ثُمَّ يُعَلِّقُهُ عَلَيْهِ إِلَّا كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ حَبَّةٍ حَسَنَةٌ**).

وأخبر عليه الصلاة والسلام أن رجلاً لقي كلباً يلهث من العطش فسقاه فغفر الله له لرحمته بهذا الكلب وإشفاقه عليه من أن يموت عطشاً، وعلَّم أصحابه أن كل ما يقدمونه للكائنات الحية كائنة من كانت ليخلصوها من أوجاعها ويخففوا من أتعابها سيأجرهم الله عليها خير الأجر وحسن الثواب، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**)[1].

وفي مقابل هذا المشهد الذي نال فيه صاحبه الرحمة و المغفرة في كلب سقاه، صور لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً مرعباً لامرأة دخلت النار لأنها حبست هرة في البيت حتى ماتت، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تبتغي رزقها في مكان آخر، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ قَالَ: فَقَالَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لَا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ**)[2].

ومثله في ذلك نهيه عليه الصلاة والسلام عن ترويع الطيور بهدم أعشاشها أو خطف أفراخها دون وجه حق، إذ لا منفعة في فرخ صغير لا يزال بحاجة إلى أمه حتى ينمو ريشه ويقوى جسمه ويتعلم الطيران، أو تحريق قرى النمل في مكان لا تؤذي فيه الناس ولا تضايقهم بوجودها، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (**كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتْ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا .وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ :مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟ قُلْنَا :نَحْنُ .قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ**)[3].

وبلغت رحمة النبي عليه الصلاة والسلام بالحيوانات قمتها حينما أوصى أصحابه بالرفق بها أثناء الذبح وأثناء الصيد، ووجههم إلى سن شفرة الذبح حتى لا تتألم البهيمة المذبوحة ويطول أمد عذابها وهي تموت، وإلى المسارعة بذبح الحيوان المصطاد حتى لا يترك لفترة طويلة وهو ينزف من جرح الصياد، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: (**ثِنْتَانِ**

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، رقم الحديث: ٢١٩٠.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، رقم الحديث: ٢١٩٢.

[3] أخرجه أبو داوود في سننه: كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار، رقم الحديث: ٢٣٠٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ج١ ص٣٣.

حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)[1].

وسن للمسلمين قاعدة مهمة في الاقتصاد فنهاهم عن ذبح الشاة الحلوب لأنها مصدر حيوي من مصادر الغذاء، يسد به الناس حاجتهم إلى مادة أساسية من مواد الاستهلاك اليومية، حيث يروي أبو هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم: **نهى الأنصاري الذي استضافه أن يذبح الحلوب**[2].

فهذه الأحاديث الشريفة التي غطت بتوجيهاتها شرائح واسعة من البيئة الحيوانية، تدعو في مجملها إلى الحفاظ على الموارد الحيوانية وحمايتها من الإبادة والانقراض، والانتفاع بها في حدود الحاجة، والرفق بها في المعاملة: عَنْ سَهْلِ ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ قَالَ: (**مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ فَقَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً وَكُلُوهَا صَالِحَةً**)[3]، وعدم الاحتكام إلى العقل البشري القاصر الذي لا يدرك جميع أبعاد الكون وأسراره، فيستغل قدراته التكنولوجية ليحكم بالإعدام على كل من يظن أنه يعيق نشاطه الصناعي، أو يهدد محصوله الزراعي، و يطلق العنان لنزواته في الصيد فيقضي على مئات الكائنات للتسلية واللهو والترفيه، أو يقضي على أعداد كبيرة منها ويترك جثثها في العراء ليستفيد من عاجها أو فروها أو جلدها أو بيضها أو زيتها ليزين بها سهراته الفارهة وحفلاته الأرستقراطية، و هو لا يدرك أنه بهذا العمل الأهوج يحطم حلقات السلسلة البيئية المترابطة ويفتح على نفسه أبواباً من العذاب الذي بدأت البشرية تذوق بعض شروره.

خامساً: المحافظة على الموارد النباتية في السنة النبوية

النبات مظهر قوي ومتميز من مظاهر البيئة، وهي كائنات ذاتية التغذية، تبني غذاءها من مواد غير عضوية بسيطة بتثبيت الطاقة أثناء عملية البناء الضوئي، مما يجعلها في أول سلم السلسلة الغذائية كونها الصانع الرئيس للغذاء والدواء على الأرض[4]، وهنا تكمن أهميتها القصوى في الحفاظ على الحياة فوق سطح الأرض.

لذلك كانت العناية بها مقصداً شرعياً هاماً، وحمايتها مطلب ضروري، والاعتداء عليها بالإفساد والقلع والحرق جرم يستوجب العقاب، وقد تضمنت السنة النبوية الشريفة أحاديث كثيرة تدعو إلى الاهتمام الزائد بالثروة النباتية، وتحث على رعايتها والقيام عليها والمسارعة في تنميتها بالتشجير والغرس الدائم، واستصلاح الأراضي البور والأراضي الصحراوية، وغيرها من الوسائل المؤدية إلى انتشار الاخضرار في الأرض.

وإذا كان الغرس والتشجير قديما إنما يُطْلَبُ للحصول على الزروع والثمار والظلال، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الفوائد العظيمة التي يجنيها الإنسان من الغطاء النباتي لا تتوقف عند هذا الحد بل تتعداه إلى ميزات

---

[1] أخرجه مسلمفي صحيحه: كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، رقم الحديث: ٣٦١٥.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه عن ذلك، رقم الحديث: ٣٧٩٩.

[3] أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به للقيام على البهائم والدواب، رقم الحديث: ٢١٨٥، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج١ ص ٣١.

[4] مجلة عالم المعرفة: "التلوث مشكلة العصر"، أحمد مدحت سلام، ص١١.

حيوية أخرى، كتثبيت نسبة الأكسجين وثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي وإمداد الكائنات الحية بالأكسجين النقي عند عملية التبادل الضوئي، ووقوفه في وجه التصحر الذي يهدد البشرية بالمجاعات، ومنعه لانجراف التربة وغيرها من الفوائد الجمة التي لا تكاد تُحصى.

ولعلنا لا نجد حديثاً يعلي من شأن الثروة النباتية ويدعو إلى تنميتها باستمرار أكثر من هذا الحديث الشريف الذي يفتح للمسلم أبواباً واسعة للثواب الجزيل الذي لا ينقطع، ويَعِدُه بالجزاء الأوفى إن هو أَكَبَّ على قطعة الأرض التي يملكها فأصلحها، ورواها، وغرسها، فأينعت وأثمرت وأهدته خيراتها وأصبحت مصدراً لا ينضب للحسنات المضاعفة، كلما مرت بهيمة فقضمت من عشبها، أو ورد عليها جائع أو ضال أو ابن سبيل فقطف من ثمرها، أو حَطَّ عليها طير فملأ حوصلته مما فيها، فيظل صاحبها يأكل منها ويصيب ما شاء له الله من مال جراء بيع غلاتها، وتظل الحسنات تتراكم في رصيده الأخروي دون أن يبذل جهداً في تحصيلها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعاً، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**)[1].

ففي هذا الحديث ترغيب قوي في الإقبال على الزرع و الغرس لما يترتب عليهما من فوائد عاجلة وآجلة، تغطي دنيا الإنسان وآخرته، وتمتد لتعود بالنفع على الطيور و البهائم، يقول الإمام النووي: "في هذه الأحاديث فضيلة الغرس، وفضيلة الزرع، وأن أجر فاعلي ذلك مستمر مادام الغراس والزرع، وما تولد منه إلى يوم القيامة"[2].

ونهى المسلمين عن أن يعطلوا الأراضي المنتجة ويهملوا زراعتها، وحثهم حثاً قوياً على إعمارها على الدوام، فإذا كانت زراعة الأرض فوق طاقة صاحب الأرض فإن مصلحة الأمة والمجتمع تقتضي أن يسلمها لأحد إخوانه من المسلمين ليقوم مقامه في زراعتها و تنمية مواردها حتى لا تبقى ثروات الأمة معطلة وطاقات أبنائها مهدورة، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا فَإِنْ لَمْ يَزْرَعْهَا فَلْيُزْرِعْهَا أَخَاهُ**)[3]، وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه أيضاً قَالَ: (**كَانَتْ لِرِجَالٍ مِنَّا فُضُولُ أَرَضِينَ فَقَالُوا نُؤَاجِرُهَا بِالثُّلُثِ وَالرُّبُعِ وَالنِّصْفِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاهُ فَإِنْ أَبَى فَلْيُمْسِكْ أَرْضَهُ**)[4].

و أخبر أصحابه أن هناك شجرة تشبه الإنسان المؤمن في صلاحه وتقاه واتصاله بربه وانتفاع الناس به، وسألهم أن يجدوا اسمها من خلال المطابقة بين الطرفين، فلما أخفقوا في ذلك حل لهم اللغز وأخبرهم أنها النخلة، فهذه الشجرة المباركة لها فضل على سائر الأشجار بما حباها الله به من خصائص وميزات كفضل المؤمن على سائر الناس، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا**

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحرث و المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أُكِلَ منه، رقم الحديث: ٢٣٢٠.

[2] صحيح مسلم بشرح النووي: مج ٥ ج١٠ ص٢١٣.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البيوع، باب كراء الأرض، رقم الحديث: ٢٨٦٢.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب فضل المنيحة، رقم الحديث: ٢٤٣٩.

وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدِّثُونِي مَا هِيَ ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَة، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا بِهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :هِيَ النَّخْلَةُ)[١].

ولم يقتصر اهتمام السنة النبوية على الأراضي الخصبة التي تحتاج إلى تقليب التربة و الري فحسب، بل تعدتها إلى الأراضي البور و الأراضي الصحراوية، حيث تضمنت كثير من الأحاديث دعوة قوية للمسلمين للإقبال على الأرض الموات باستصلاحها وتنقيتها واستفراغ الجهد فيها لتتحول إلى أرض خصبة تنتج الغذاء والكلأ والظل والخضرة، وقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسلم إذا استقطع أرضاً بوراً فأصلحها تحولت بشكل تلقائي إلى ملكيته الخاصة لقاء ما بذل فيها من جهد ومال ليحولها من حالة الموات إلى حالة النماء والخضرة، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **(مَنْ أَحْيَى أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ)**[٢]، وعَنْ عُرْوَةَ قَالَ: **(أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى أَنَّ الْأَرْضَ أَرْضُ اللَّهِ وَالْعِبَادَ عِبَادُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْيَا مَوَاتًا فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ)**[٣]، ومن أمات في المقابل أرضاً حية، كان من حق القائم بالأمر أن ينتزعها منه لأنه اعتدى على حق الأمة في أن تستفيد من ثرواتها، يروي أبو عبيد وغيره عن بلال بن الحارث المزني: "أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أقطعه العقيق، فلما كان زمان عمر قال لبلال: إن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يقطعك لتحتجزه عن الناس، و إنما أقطعك لتعمل، فخذ منها ما قدرت على عمارته وردَّ الباقي"[٤]، يقول الإمام القرطبي: "والزارعة من فروض الكفاية، فيجب على الإمام أن يجبر الناس عليها، وما كان في معناها من غرس الأشجار"[٥].

إن مجموع هذه الأحاديث الشريفة وغيرها مما ورد في هذا الباب يدل على أهمية الثروة النباتية ومكانتها المتميزة في البيئة، لذلك كان الاعتداء عليها بالإتلاف أو الحرق أو غيرهما من وجوه الإفساد جريمة تطال تأثيراتها السلبية جميع الكائنات الحية التي تستفيد منها، وتستتبع بشكل طبيعي عقاباً ربانياً عادلاً يتناسب مع مستوى الجرم، والحديث النبوي الشريف الذي يتوعد المعتدين على الغطاء النباتي في الأرض بالمصير المشؤوم في النار، لا يستثني من هذه النباتات شيئاً، فإذا كان الناس يستعظمون الاعتداء على الأشجار المثمرة لفائدتها المعروفة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر من أن يطال الفساد كل نبتة خرجت من الأرض حتى لو كانت سدرة في فلاة، لأن الأرض بحاجة لكل شبر أخضر حتى لو اقتصر وجوده على أن يتخذه المارة وعابري السبيل والبهائم مكاناً يأوون إلى ظله هرباً من القيظ والحر، قال عليه الصلاة والسلام: **(مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ**

[١] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب الحياء في العلم، رقم الحديث: ١٢٨.

[٢] أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الأحكام عن رسول الله، باب ما ذكر في إحياء أرض الموات، رقم الحديث: ١٢٩٩، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في إرواء الغليل، رقم: ١٥٥٠.

[٣] أخرجه أبو داوود في سننه: كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في إحياء الموات، رقم الحديث: ٢٦٧٢، ٢٧٦٦، صحيح الجامع.

[٤] الأموال: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: محمد خليل هراس، ص٢٩٠.

[٥] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٣ ص٣٠٦.

سُئِلَ أَبُو دَاوُد عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ هَذَا الْحَدِيثُ مُخْتَصَرٌ يَعْنِي مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلَاةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ)[1].

واستنهض همم المسلمين لأن تظل موجهة إلى هذا المجال الفسيح يطلبون فيه الأجر والثواب، ويعدونه باباً واسعاً من أبواب الصالحات لا يهجرونه حتى في أحلك الظروف وأصعب المواقف، وعبر عن ذلك تعبيراً بليغاً جداً حينما حث على مزاولة الزرع والغرس في كل مكان وزمان حتى لو أيقن الإنسان أن الساعة ستقوم بعد قليل، وتتبدل الأرض غير الأرض والسموات، ويكون قد أمسك فسيلة ليغرسها، فلا يحول هذا الحدث العظيم بينه وبين أن يضعها في الأرض، تأكيداً منه عليه الصلاة والسلام على أن العناية بالثروة النباتية لا تتوقف حتى يتوقف وجود الإنسان: (**إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**)[2]، يقول المناوي: "والحاصل أنه مبالغة في الحث على غرس الأشجار، وحفر الأنهار، لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعدود المعلوم، فكما غرس لك غيرك فانتفعت به، فاغرس لمن يجيء بعدك لينتفع، وإن لم يبق من الدنيا إلا صبابة"[3].

سادساً: المحافظة على الصحة والعمران في السنة النبوية

تضمنت السنة النبوية الشريفة إلى جانب ما سبق توجيهات وإرشادات كثيرة تندرج كلها في إطار المحافظة على نظافة البيئة، وحمايتها من التلوث بسن أحكام مختلفة توجب على المسلمين العناية بطهارة أجسامهم وأثوابهم، والاهتمام في الوقت نفسه بنظافة آنيتهم وبيوتهم وأفنيتهم ومساجدهم وشوارعهم، وبذلك يكون محيط الإنسان كله خاضع لتعليمات واضحة تفرض على المسلمين العناية بنظافته،ومنع التلوث عنه، وربط عليه الصلاة والسلام هذه الأحكام والتعليمات بالجانب العقدي ربطاً وثيقاً، وجعلها جزءاً صميماً من العبادات التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه، ووعد الملتزمين بها، والحريصين على تجسيدها في حياتهم العملية بمزيد من الأجر والمغفرة والثواب.

فمن جملة هذه الأحكام الاهتمام بنظافة الجسم، حيث ندب الإسلام غسل الجسد في عموم الأحوال، وأوجبه في بعض الأحوال، مما يجعل هذا الغسل يتكرر في اليوم أو الأسبوع كلما استدعى الأمر ذلك، ومن الغسل الواجب: غسل الجنابة، والغسل بعد الحيض والنفاس، وغسل الميت، ومن الغسل المندوب والمستحب: غسل الجمعة والعيدين، وللإحرام بالحج والعمرة، وصلاة الاستسقاء، والكسوف، وعند الاعتكاف، وعند تغير رائحة البدن، وحضور مجامع الناس، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ**)[4]، وأمر المسلمين بتعهد أجسامهم بالنظافة الدورية بإزالة الشعر

---

[1] أخرجه أبو داوود: كتاب الأدب، باب قطع السدر، رقم الحديث: ٤٥٦١، انفرد به أبو داوود، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٦٤٧٦.

[2] أخرجه أحمد في مسنده: كتاب باقي مسند المكثرين، باب باقي المسند السابق، رقم الحديث: ١٢٥١٢، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد: ج١ ص١٦٨، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[3] فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، مج ٣ ص٣٠.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان، رقم الحديث: ٨٤٧.

والزوائد لأن بقاءها يمهد السبيل للجراثيم والميكروبات لتتكاثر وتتسبب في وقوع الأمراض كما تتسبب في إذاية الناس المحيطين بهم، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**عَشْرٌ مِنْ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ وَالسِّوَاكُ وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ وَقَصُّ الْأَظْفَارِ وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ وَنَتْفُ الْإِبِطِ وَحَلْقُ الْعَانَةِ وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ قَالَ زَكَرِيَّاءُ قَالَ مُصْعَبٌ وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ**)[1]، وكلها توجيهات راقية جداً في العناية بأخص خصائص الجسم ليبقى المسلم مثالاً حياً للنظافة، وقدوة صالحة للإنسانية جمعاء.

وأرشد الهدي النبوي إلى المحافظة على نظافة الأطعمة والماء المعد للشرب والطهي والاغتسال بإحكام إغلاق الآنية التي تحفظ فيها المياه والحرص على تغطية الطعام حتى لا يتلوث بما يحويه المحيط من الملوثات كالغبار والدخان والأتربة والحشرات وهوام الأرض وغيرها، مما يؤدي إلى إصابة الإنسان بمختلف الأمراض الناجمة عن ذلك، عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (**غَطُّوا الْإِنَاءَ وَأَوْكُوا السِّقَاءَ وَأَغْلِقُوا الْبَابَ وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً وَلَا يَفْتَحُ بَابًا وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ**)[2].

وأمرهم بتنظيف بيوتهم وأفنيتهم من القاذورات ليبقى الجو فيها صحي ونظيف: (**عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَسَّانَ قَال سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ فَنَظِّفُوا أُرَاهُ قَالَ أَفْنِيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ**)[3].

وحث على تطهير بيوت العبادة فنهى عن التبول والتمخط في المسجد، لما في ذلك من تلويث للمحيط، وإذاية لرواد المسجد وخطر على صحتهم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **كَانَ يُعْجِبُهُ الْعَرَاجِينُ أَنْ يُمْسِكَهَا بِيَدِهِ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ذَاتَ يَوْمٍ وَفِي يَدِهِ وَاحِدٌ مِنْهَا فَرَأَى نُخَامَاتٍ فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَحَتَّهُنَّ بِهِ حَتَّى أَنْقَاهُنَّ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ مُغْضَبًا فَقَالَ: أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ رَجُلٌ فَيَبْصُقَ فِي وَجْهِهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يَسْتَقْبِلُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمَلَكُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَبْصُقْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلْيَبْصُقْ تَحْتَ قَدَمِهِ الْيُسْرَى أَوْ عَنْ يَسَارِهِ فَإِنْ عَجِلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيَقُلْ هَكَذَا وَرَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ وَتَفَلَ يَحْيَى فِي ثَوْبِهِ وَدَلَكَهُ**)[4]، وقدم بنفسه بياناً عملياً للحرص على النظافة، ليرشد المسلمين إلى أن كل إنسان عليه أن يسهم بصورة حية وملموسة في نظافة البيئة التي يحيا في وسطها.

وشملت التعاليم النبوية بالإضافة إلى البيوت والمساجد الشوارع والأحياء، حيث جعل النبي الكريم الإشراف على نظافة الطرقات وأماكن مرور الناس ومواضع راحتهم واسترواحهم من أجل الأعمال وأوجبها للثواب وحسن

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم الحديث: ٣٨٤.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب، رقم الحديث: ٣٧٥٥.

[3] أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء في النظافة، رقم الحديث: ٢٧٢٣، وقال: حديث غريب، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج١ ص٤١٨.

[4] أخرجه أحمد في مسنده: كتاب باقي مسند المكثرين، باب مسند أبي سعيد الخدري، رقم الحديث: ١٠٧٥٦.

الأجر، وهو ما عبر عنه بإماطة الأذى عن الطريق، حتى إنه جعلها شعبة من شعب الإيمان لما لها من أثر في تنظيف الشوارع والأحياء، ومنع التلوث وما يترتب عنه من انتشار الروائح الكريهة والأمراض المعدية، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ**)[1].

وأخبر عليه الصلاة والسلام أن رجلاً غفر له الله خطاياه لأنه أخر غصن شوك من الطريق ومهدها للسائرين حتى لا يصابوا بالأذى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**)[2]، وفي هذا الحديث الرائع تربية عالية للمسلمين ليوجهوا عنايتهم إلى محيطهم الواسع، ولا يحصروا اهتماماتهم في أضيق الحدود فلا تتجاوز نطاق بيوتهم، ويعلمهم أن سلامة وجودهم مرتبط بنظافة بيئتهم، وضرب لهم مثلاً بالرجل الذي مرَّ بشوك في الطريق فحدثته نفسه أن هذا الشوك قد يؤذي المسلمين فأخره إشفاقا منه عليهم، لأنه تجاوز حدود نفسه لتشمل المجتمع بأكمله فكان جزاؤه مغفرة واسعة من ربه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**مَرَّ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِجِذْلِ شَوْكٍ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ لَأُمِيطَنَّ هَذَا الشَّوْكَ عَنْ الطَّرِيقِ أَنْ لَا يَعْقِرَ رَجُلًا مُسْلِمًا قَالَ فَغُفِرَ لَهُ**)[3].

ويدخل في هذا الإطار أيضاً نهي النبي صلى الله عليه وسلم المصاب بالطاعون من الانتقال من مكان إلى آخر، لحصر العدوى، والتقليل ما أمكن من عدد الإصابات، ونصحه بلزوم البلد الذي نزل به المرض، كما نهى في الوقت ذاته القادم إليه من دخوله حفاظا على صحته، وحذراً من أن يعود إلى أهله وهو يحمل بذور المرض فيخلق بؤر إصابة تهدد الصحة العامة، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَسْأَلُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الطَّاعُونِ؟ فَقَالَ أُسَامَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**)[4]، ووعد الصابرين الذين لا يبرحون إقامتهم ويحتسبون آلامهم لله تعالى بأجر الشهيد، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا أَخْبَرَتْنَا أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الطَّاعُونِ فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ**)[5].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، رقم الحديث: ٥١، حديث حسن صحيح.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلى الظهر، رقم الحديث: ٦١٥.

[3] أخرجه أحمد في مسنده: كتاب باقي مسند المكثرين، رقم الحديث: ٨١٤٢، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

[4] صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم الحديث: ٣٢١٤.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم: ٣٢١٥.

قال القرطبي في تفسيره: "وإذا كان الوباء بأرض فلا يقدم عليه أحد أخذا بالحزم والحذر والتحرز من مواضع الضرر، ودفعا للأوهام المشوشة لنفس الإنسان، وفي الدخول عليه الهلاك وذلك لا يجوز في حكم الله تعالى، فإن صيانة النفس عن المكروه واجبة"[1]، وهذا الإجراء الوقائي الذي سنه الرسول صلى الله عليه وسلم صار معمولاً به عند الدول الحديثة بما يعرف بالحجر الصحي الذي تلزم من خلاله الوافدين إليها أن يستظهروا الشهادات التي تثبت خلو أجسامهم من أية أمراض معدية.

سابعاً: ترشيد الاستهلاك والنهي عن الإسراف والتبذير في السنة النبوية

إن ترشيد الاستهلاك والنهي عن الإسراف والتبذير قاعدة إسلامية عظيمة تقع في قلب الحلول الجذرية التي تعالج مشكلة التلوث، ذلك أن الإسراف والتبذير مسؤول مسؤولية مباشرة عن قسم كبير من أسباب أزمة التلوث البيئي التي تجتاح العالم؛ فالإنسان المعاصر الذي أقام حضارته على أسس مادية بحتة حصر اهتماماته في إشباع شهواته، وإرضاء نزواته، وأطلق العنان لغرائزه فأفرط إفراطاً كبيراً في استهلاك الضروريات والكماليات على السواء، وتجاوز حدود الحاجة إلى الإسراف، مما كان له أثره البارز على تلوث البيئة، بما يترتب عن الاستهلاك الزائد عن الحاجة من إرهاق لمواردها، وإثقال لكاهلها بالفضلات التي تطرحها المشاريع الصناعية والمنازل.

إن مبدأ تحقيق الرفاهية القصوى للفرد الذي ارتكزت عليه الحضارة المعاصرة، لم يُعرْ اهتماماً لما يمكن أن يصيب موارد البيئة من استنزاف، أو ما يتخلف عنها من ملوثات، فتوسعت في الصناعات الاستهلاكية التي استنفذت مقادير هائلة من المعادن، ومثلها من الطاقة وكميات كبيرة من المياه العذبة التي تدخل المصانع صافية وتخرج منها ملوثة بالسموم الكيمياوية[2]، إضافة إلى الغطاء النباتي الذي يتعرض للاعتداء المستمر، والثروة الحيوانية التي يتهدد الانقراض أنواعاً كثيرة منها، وتبدو مظاهر هذا الإسراف والتبذير الفظيع الذي يطبع سلوك الإنسان المعاصر واضحة فيما تلقيه المنازل يومياً من فضلات الطعام الصالح للأكل بعد أن يعزف أصحابه عنه، ويقدر بعض الدارسين أن كميات المواد الغذائية الملقاة في قمامات الدول الصناعية تكفي لغذاء شعوب كثيرة تعاني المجاعة والجفاف.

كما تبدو مظاهر الإسراف أيضاً في حالة الخواء الروحي التي جعلت الإنسان المعاصر يبحث دائما عن الجديد، ويميل بشكل مستمر إلى التغيير في نمط الحياة، والذي يعبر عنه بمتابعته الشغوفة لأحداث الموضة، وتفنن أصحاب السلع الاستهلاكية في صياغة إعلاناتهم، واستفزاز رغبات الفرد وشهواته مما يدفعه دفعا إلى الاستغناء عن ممتلكاته القديمة واقتناء أخرى جديدة لإرواء ذلك الإحساس بالضياع الذي ينتابه، فإذا البيوت تطرح باستمرار أدوات منزلية، وآلات ترفيهية، وأثاثاً لا يزال صالحاً للاستعمال لمدة طويلة، وثياباً وأحذية لم تلبس سوى مرة أو مرتين، ليتم استبدال كل ذلك بما يغايره في الشكل أو اللون[3]، أو طريقة الاستخدام، لإرضاء شراهة الإنسان إلى الاستهلاك الواسع والمستمر.

[1] الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، ج٣ ص٢٣٤.

[2] مجلة منار الإسلام: "التلوث ضريبة الحضارة" محمد بشار الرفاعي، ص٦٠.

[3] الأرض في الميزان: آل قور ص١٦٥.

ويدخل في هذا الإطار أيضاً ما تتعرض له الثروة الحيوانية في الغابات من إبادة على يد القناصين الذين يتخذون من الحيوانات البرية هدفاً في رحلات الصيد الترفيهية، أو أولئك الذين لا يتورعون عن قتل مئات الحيوانات وترك جثثها في العراء في سبيل الحصول على فروها، أو أنيابها العاجية[1]، أو جلودها الثمينة، لصنع الحلي أو ثياب السهرات الفارهة وحقائب اليد الجميلة.

من أجل ذلك كله حارب الإسلام الإسراف والتبذير، وعده من الظلم والعدوان، وقد أثبتت لنا الأيام صدق الوحي، وأعطتنا الدلائل الواضحة على عظمة التعاليم الإسلامية، وأكدت لنا أن البعد عن هدي الله يفضي لا محالة إلى المعيشة الضنك، وليس هناك عيشة أكثر ضنكاً من حياة الإنسان المعاصر الذي تتهدده أزمة التلوث وتتربص به من كل جانب.

لقد أرشد القرآن الإنسان إلى أقوم السبل التي تريحه وتستقيم على أساسها حياته، فدعا إلى الاعتدال في الإنفاق، ونهى أشد النهي عن السرف والتبذير الذي يعرفه اللغويون بأنه مجاوزة الحد في كل فعل يأتيه الإنسان[2]، وبذلك تتضح لنا العلاقة بين الإسراف والتلوث: "فإذا كان الإسراف يعني مجاوزة الحد، ووضع الشيء في غير موضعه، فإن هذا هو المعنى الذي ينص عليه تعريف التلوث، فكأن الإسراف في معناه اللغوي هو التلوث بمفهومنا الحالي، سواء أكان التلوث ناجما عن وجود شيء مادي أو طاقة في غير الموضع الطبيعي، أو وجود أي منهما في مكانه الطبيعي بكميات تتجاوز الحد، الأمر الذي يؤدي إلى الإخلال بالتوازن البيئي"[3].

وقد تضافرت أحاديث كثيرة تدعو الإنسان إلى الاعتدال في كل شيء حتى يحافظ على موارد البيئة ويجنبها ويلات الاستنزاف، ومن أَجَلِّ هذه الأحاديث تلك التي تدعو إلى المحافظة على المياه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ: مَا هَذَا السَّرَفُ؟ فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ**)[4]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ**)[5].

ومعنى هذا أن كل استهلاك للماء يتجاوز القدر المطلوب المؤدي للغرض، ويتسبب في إهدار كميات منه بدون سبب يعد في الإسلام إساءة وظلماً، وقد استند الفقهاء إلى هذا الحديث ليقرروا أن الزيادة في غسل الأعضاء للوضوء على الثلاث الواردة في الحديث مكروهة إذا كان الماء مباحاً أو مملوكاً لصاحبه، أما إذا كان موقوفاً مثل ماء المساجد والمدارس فإن الزيادة فيه على الثلاث حرام عند جمهور الفقهاء[6]، لأن الغرض منه هو الوضوء الشرعي فقط، فإذا كان التشديد في استهلاك الماء في حالة العبادة والتطهير هذا شأنه، فمن باب أولى أن يلتزم الإنسان الحد

---

[1] بيئة من أجل البقاء: محمد سعيد الحفار، ص١٥٥.

[2] معجم مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، ص٢٣٦.

[3] الإسراف تأثيره على البيئة واستنزاف مواردها: محمد عبد القادر الفقي، ص٥٣.

[4] أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهة التعدي فيه، رقم: ٤١٩، وضعفه الألباني في تخريجه لأحاديث منار السبيل.

[5] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، رقم٤٩٠.

[6] عون المعبود: محمد شمس الحق آبادي، ج١ ص١١٨، راجع أيضاً: الفقه الإسلامي وأدلته: الزحيلي، ج١ ص٢٦١.

المعتدل في الحالات الأخرى كالطهي والتنظيف والاستحمام وغيرها، وأن يقف طويلاً قبل أن يفكر في إهدار هذه النعمة العظيمة في الكماليات ومظاهر الترف، أو يلوثها ببقايا السموم الصناعية في إنتاج ما لا حاجة للناس به من صناعات لا تجني منها البشرية فائدة محققة، ولا تعدو أن تكون للزينة والتعليب الفاره مثلاً، ثم تكون عاقبتها استنزاف جائر لموارد الماء من جهة، وإثقال لكاهل البيئة بفضلات إضافية من جهة أخرى.

كما تواترت الأحاديث الشريفة أيضاً تنهى الإنسان عن أن يكون عبداً لبطنه، فينساق وراء شهواته في التهام ألوان الطعام والشراب، ويتفنن في إعداد أصنافها وحشو معدته بها، ودعت إلى الاعتدال في كل ذلك لحماية البدن من الأمراض والأسقام الناتجة عن التخمة، وفي الوقت ذاته عدم تحميل البيئة أكثر مما تحتمل من استنزاف الموارد، وتراكم الفضلات.

وإذا كان هذا الأمر لا تبدو آثاره على مستوى الفرد أو الأفراد، فإنه إذا أصبح عادة لشعب أو شعوب بأكملها ظهرت هذه الآثار واضحة، فتبديد الأغذية المنتزعة من موارد البيئة يبدو: "مجسماً متمثلاً في أعداد كبيرة من أجسام غريبة لبني الإنسان تتحرك في مدن العالم المترف وقد شوهتها السمنة أيما تشويه، في حين تغالب أكثر الأجسام الأخرى في تلك المدن مغالبة شديدة بأنواع مختلفة من الأساليب، ومقادير عالية من الأموال داء السمنة الذي أصبح هاجساً مخيفاً في ذلك العالم"[1].

وحدد الرسول صلى الله عليه وسلم القدر الذي يكفي الإنسان ويلبي حاجته الطبيعية من الطعام والشراب، فعن مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **(مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ)**[2]، وبناء عليه، عدَّ الفقهاء تناول الطعام والشراب بالقدر الذي يدفع الهلاك عن النفس فرض، والأكل بقدر الشبع مباح، وما زاد على الشبع فهو مكروه أو محظور، وقال الحنابلة إن الأكل الذي يفضي إلى التخمة إسراف، وعدوا ذلك من العدوان المحرم، لأن التخمة سبب في مرض الجسم وفساد البدن[3].

وبالتزام هذه التعاليم النبوية وتعميمها، وتنشئة الأفراد عليها، يكون الإنسان قد حقق هدفين معاً، أولهما: المحافظة على صحته وعافيته وسلامة بدنه من الأسقام والعلل التي يجرها الإسراف في الأكل وهي كثيرة وخطيرة، وثانيهما: الحد من تبديد موارد البيئة وإتاحة الفرصة لها لتجديد نفسها، واستعادة توازنها، لتبقى منبعا للنعم على الدوام، وإذا كان هذا الهدف الأخير لم تظهر آثاره قديماً لعدم وجود المبررات التي تستدعيه، فإن المشكلة البيئية في عصرنا الحاضر قد أوضحت البعد الذي تكتسيه هذه الأحكام الشرعية في معالجة أزمة التلوث، من ذلك أن الدراسات أظهرت أن كمية الطعام الذي ينتج في العالم يكفي لإطعام ثمانية بلايين من الأفراد، بينما سكان الأرض

---

[1] قضايا البيئة من منظور إسلامي: د. عبد المجيد النجار، ص٥٣.

[2] أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، رقم الحديث: ٢٣٠٢، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الفقر والزهد والقناعة، رقم: ٦٨٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم: ٢٢٦٥.

[3] مجلة منار الإسلام: الإسراف وتأثيره على البيئة واستنزاف مواردها، محمد عبد القادر الفقي، ص٦١.

يبلغ عددهم ٥,٣ بليون نسمة[١]، مما يعكس بوضوح أن هناك شعوباً تأكل حتى التخمة وترمي ما تبقى لديها في المزابل، بينما لا تجد شعوب أخرى لقمة لدفع خطر الموت عنها، وإلا ما معنى أن يموت ملايين البشر جوعاً بينما المواد الغذائية تكفيهم وتزيد عن حاجتهم؟

إن ترشيد الاستهلاك والاقتصاد فيه قاعدة هامة أصلها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وحرصاً على أن تكون صفة أساسية من صفات المسلم، وخلقا مركوزا فيه، يرافقه في مجالات حياته جميعها، ويكيف سلوكه، ويرشده إلى أقوم السبل للتعامل مع مختلف موارد البيئة لصيانتها من العبث، والمحافظة عليها من السرف، وحمايتها من التبديد، وهي الأمور الضرورية التي تفتقر إليها البيئة ويفتقدها الإنسان المعاصر، وتتطلب من المسلمين التحرك الواعي في هذا المجال لإيجاد القنوات المؤثرة التي بإمكانها توصيل هذا الفكر الخصب والطرح الواعي إلى العالم.

خاتمة:

وفي ختام هذا العرض السريع لقضايا البيئة في السنة النبوية الشريفة، نخلص إلى مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال استعراض نصوص الأحاديث الشريفة التي تتناول موضوع البيئة من جوانبها المختلفة، والتي يمكن إجمالها فيما يأتي:

١ ـ إن تعريف البيئة الذي نستخلصه من السنة النبوية الشريفة يختلف عن التعريف الذي تبنته المنظمات العالمية، لأنه يتجاوز الحدود المادية للبيئة ويدرج معها الأبعاد الروحية والفكرية ويعدها الأساس الأول للتعامل مع البيئة لأنها هي القاعدة الأساسية التي يبني عليها الإنسان طبيعة العلاقة التي تربطه بمحيطه.

٢ . إن السنة النبوية الشريفة قد نبهت المسلمين إلى المكانة المتميزة التي تحتلها البيئة وأكدت سريان روح الحياة فيها ليتعامل معها الناس برفق، و يسخروها برحمة، و يشفقوا على مواردها من الأذى والتلوث.

٣ . إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نبه المسلمين مراراً و تكراراً عن طريق التعليم الشفوي والممارسة العملية إلى أهمية الماء وحيويته، وسن قواعد صارمة للمحافظة عليه من الهدر والإسراف.

٤ . إن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا المسلمين إلى احترام وجود جميع الكائنات الحيوانية التي خلقها الله لأنها أمم تسبح الله، خلقها ربها لتؤدي وظيفتها في الحياة، فلا يجوز للإنسان أن يعتدي على هذا الوجود بالقتل العابث أو الإبادة، أو التعذيب أو الترويع أو الصيد الجائر أو غيرها من الأساليب التي تهدد نوعا من هذه الأنواع بالانقراض، وهذه قاعدة عظيمة تبنتها المنظمات والجمعيات البيئية العالمية في عصرنا الحالي، وهيأت لها الحظائر الطبيعية، وسنت لها قوانين تحريم الصيد وما إليها من الإجراءات التي تسعى إلى الحفاظ على السلالات الحيوانية جميعها لما لها من أثر في الحفاظ على التوازن البيئي الذي ما فتئ يتدهور.

٥ . إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد شجع إلى أبعد الحدود زراعة الأرض وغرس الأشجار، ووعد المزارعين بعظيم الأجر وجزيل الثواب إن هم اجتهدوا في تنمية الأرض وإحيائها واستخراج خيراتها بما يضمن للبشرية غطاءً نباتياً دائماً يمدها بالغذاء والدواء والهواء النظيف ويحميها من التصحر والجفاف، وتوعد

---

[١] مجلة منبر الحوار.: قسم التوثيق، قمة الأرض: ارتباط البيئة بالاقتصاد، ص٩٦.

الذين يعتدون على النباتات بالقطع والحرق والإتلاف مهما صغر شأنها وقل نفعها بسوء المصير والعذاب الأليم، معتبرا أن الاعتداء على الاخضرار في الأرض اعتداء على الحياة.

٦ . إن الأحاديث النبوية الشريفة قد تضافرت على حث المسلم على نظافة المحيط ابتداء من جسمه مروراً بطعامه وشرابه وثيابه وبيته وفنائه وانتهاء بالأحياء والشوارع لحماية البيئة من الملوثات التي تهدد الإنسان والحيوان والنبات، وتشكل بؤراً للأمراض و الأوبئة، كما أوصى بحصر الإصابات الوبائية في نطاق ضيق عندما نهى المصاب بالطاعون بالخروج من موطنه وحذر القادمين من الورود عليه لما في ذلك من تهديد للصحة العامة.

٧ . إن السنة النبوية الشريفة قد نهت نهياً شديداً عن الإسراف والتبذير والتوسع في الاستهلاك في المجالات جميعها حفاظاً على صحة الإنسان من جهة وعلى موارد البيئة من الاستنزاف الجائر من جهة أخرى، و قد تبين لنا من خلال الدراسات البيئية الحديثة أن من أعظم أسباب التلوث ميل الإنسان المعاصر إلى استغلال طاقات البيئة واستخراج خيراتها بكميات تفوق حاجته الطبيعية، فكانت النتيجة الحتمية أنه أصبح يطرح فضلات لا تقوى البيئة على استيعابها.

٨ . إن هذه الدراسات قد نبهت المسلمين إلى ما تضمنه الوحي المعصوم (كتاباً وسنة) من أوامر ونواه وتوجيهات وإرشادات تحث في صراحة ووضوح على الاهتمام بالبيئة والمحافظة على مواردها والانتفاع بها في حدود الحاجة وتجنيبها مخاطر الاستنزاف بالتمادي في الاستهلاك والتوسع فيه.

٩ . إن التوجيهات والإرشادات النبوية جميعها التي ضمتها الأحاديث الشريفة والسيرة المطهرة تصلح لأن تكون أرضية صالحة لبناء منظومة فقهية بيئية إسلامية لمواجهة أخطار التلوث من خلال التركيز على إعداد الإنسان الصالح الذي يراعي حقوق الكائنات في الوجود و يتعامل معها معاملة الشريك.

التقنية الحديثة ودورها في الصناعة الحديثية: موسوعة الحديث الشريف أنموذجاً

د. عبدالله بن محمد حسن دمفو

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

جامعة طيبة – المدينة المنورة

السعودية

ameed8@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فمنذ أن بدأت خدمة التقنية الحديثة للعلوم الإسلامية، وبخاصة علم "السنة النبوية"، وذلك عام ١٩٨٢ م، وجهود الشركات التجارية التي أنتجت برامج حاسوبية في السنة النبوية، تتركَّز في الوصول إلى هدفين أساسين، هما:

١ -الوصول إلى مظنة الحديث أو الأثر أو العَلَم، ولذلك بنَتْ برامجها على آلاف المصادر والمراجع، وكان ذلك على حساب الاهتمام بدقائق العِلْم كالصناعة الحديثية، مثل إصدارات مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي "الجامع الكبير".

٢ -التركيز على قضايا العِلْم الدقيقة كالتعريف برواة الحديث وبيان حالهم جرحاً وتعديلاً، وبيان روايات وطرق الحديث ورسم شجرة الأسانيد، والتخريج بناءً على مداخل متعددة مثل: رقم الحديث، أو أي راوٍ في الإسناد، أو البحث الصرفي للكلمة، وكان ذلك على حساب عدد المصادر والمراجع التي بَنَتْها عليها، فلم تتجاوز عشرين مصدراً، وذلك مثل برنامج شركة حرف "موسوعة الحديث الشريف".

وقد لاحظتُ أن معظم المتعاملين مع هذه التقنية يركِّزون في الاستفادة منها على الهدف الأول (الوصول إلى مظنَّة المعلومة)، وأغفلوا -في الغالب- الاستفادة من الهدف الثاني (الصناعة الحديثية)، ولذلك تجد أن البرامج التقنية التي يستخدمها الباحثون وطلاب العِلْم الآن هي "الجامع الكبير" ، "المكتبة الشاملة"، في حين أن القلة منهم يستخدمون برنامج "موسوعة الحديث الشريف".

كما تبيَّن لي -بعد ممارسة طويلة لهذه الموسوعة- أن التقنية يمكن أن تسهم بدور بارز في التوصل إلى فوائد عديدة في مجالات الصناعة الحديثية، فأردت أن أشارك ببحث علمي يجلِّي جوانب عديدة في هذا الموضوع، تتكون خطته من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة:

المقدمة: وتضمنت أسباب اختيار الموضوع وأهميته.

التمهيد: عن نشأة التقنية الحديثة وخدمتها للعلوم الإسلامية بصفة عامة، وللسنة النبوية بصفة خاصة، وأبرز إيجابياتها وسلبياتها.

الفصل الأول: أبرز البرامج الحاسوبية في خدمة السنة النبوية، وفيه مبحثان :

المبحث الأول: برنامجا "الجامع الكبير" ، و"المكتبة الشاملة".

المبحث الثاني: برنامج "موسوعة الحديث الشريف".

الفصل الثاني: مجالات الاستفادة من برنامج "موسوعة الحديث الشريف" في الصناعة الحديثية، وفيه مباحث:

المبحث الأول: الكشف عن طريقتين في التخريج لم تكونا معروفتين من قَبْل.

المبحث الثاني: الحكم على إسناد الحديث من خلال الألوان.

المبحث الثالث: محاكمة القواعد التي استقرت في العلم ، والتأكد من صحتها.

المبحث الرابع: معرفة مناهج الأئمة في كتبهم.

المبحث الخامس: دفع العلل التي يمكن أن ترِد في الإسناد.

الخاتمة : وتضمنت أبرز نتائج البحث.

تمهيد

تعريف:

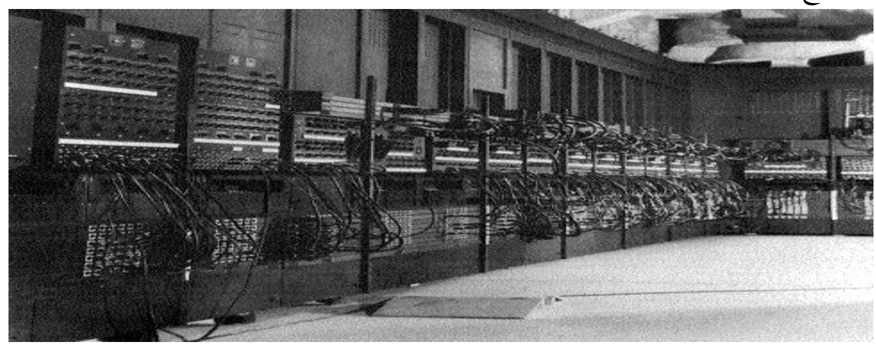
التقنية: لفظة معربة من لفظة تكنولوجيا (Technology)، وهي مكونة من جزأين، ويراد بها: تطبيق التقدم العلمي لإفادة البشرية، وقد يساء وصف التقنية على أنها "علم تطبيقي"، وهذا خطأ، فالتقنية ليست علماً، بل هي طريقة أو وسيلة للوصول إلى العلم والمعرفة.

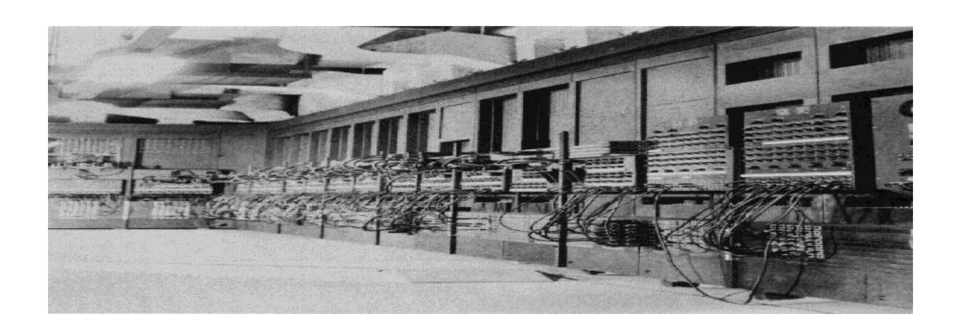
ويطلق مصطلح (التقنية الرقمية) والمقصود منها هو ترميز المعلومات رقمياً، ثم التعامل معها بعد ذلك بوصفها أرقاماً، وتحويلها إلى حروف وجُمَل.

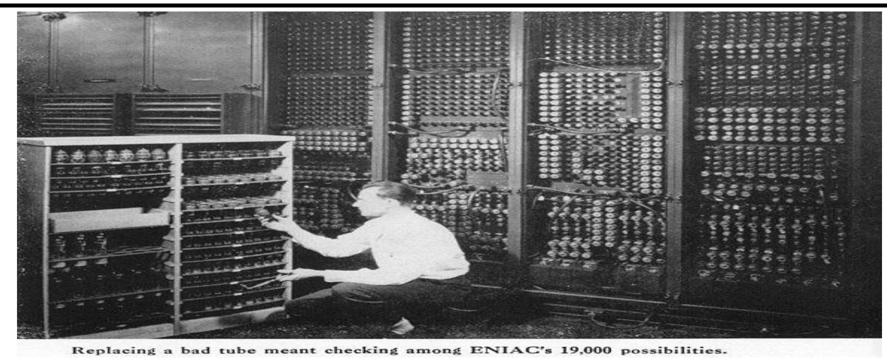
نشأة التقنيات الحديثة:

كانت بداية اختراع الحاسوب في الأربعينات من القرن الماضي الميلادي، وكان حجمه ضخماً للغاية، ولم يكن أكثر من مجرد آلة حاسبة عملاقة مخصصة لحساب الأرقام، ولم يكن بالإمكان تطويره أكثر من ذلك، وكان ذلك عام ١٩٤٥م وكان يسمى (إيناك ENIAK) اختصاراً لمصطلح: (Electronic Numerical Integrator And Computer)

وكان يحتوي على قرابة (١٧،٥٠٠) صمامة هوائية، ويبلغ وزنه أكثر من (٣٠) طناً، ويحتل مساحة (١٥٠٠) متر مربع.





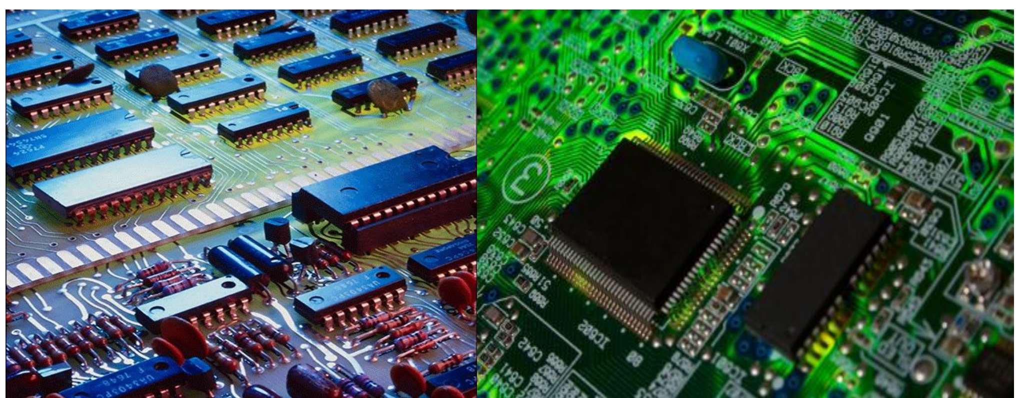


Replacing a bad tube meant checking among ENIAC's 19,000 possibilities.

وفي عام ١٩٥١م اخترع الحاسب الآلي (UNIVAC1) اختصاراً من:

(Universal Automatic Computer)

وفي السبعينات اكتشفت الدورات الكهربائية المعروفة بـ(الترانسيستر):



التي أدت إلى اختراع الالكترونيات الدقيقة (Microelectronics)، التي أسهمت في ظهور الحاسبات المصغرة المكتبية أو المحمولة أو الكَفِّية.

فالحاسب الآلي إذاً هو: جهاز يقوم بأداء حسابات معدة سلفاً على أية بيانات مدخلة، ثم يقوم بعرض النتائج في حدود درجات معلومة من الدقة، والخطأ الذي قد يحدث من الحاسوب مرجعه إلى الخطأ في إدخال البيانات أثناء العمل البشري.

خدمة التقنية الحديثة للعلوم الإسلامية:

بدأت هذه الجهود في بداية القرن الخامس عشر الهجري، حين أنشأت جامعة أم القرى قسماً خاصاً للعمل في إنتاج برمجيات الحديث النبوي الشريف، كما أنشأت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالتعاون مع وزارة الشئون الإسلامية مركز خدمة السنة النبوية، وكذلك جامعة قطر قسماً مماثلاً، إلا أنها لم تظهر لنا من إنتاجها التقني شيئاً، وإن كانت جميع هذه المؤسسات قد استفادت من الحاسوب في برامجها خدمة للإنتاج الورقي الذي أنتجته، مثل الأجزاء الأولى من كتاب (إتحاف المهرة لابن حجر).

وواكب هذه الجهود المؤسسية في ذلك الوقت، جهد فردي قام به الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي بجامعة الملك سعود، الذي أدخل العديد من كتب الحديث النبوي الشريف على الحاسوب، بهدف إصدار موسوعة حديثية مميزة، يعتمد في تحقيقها، وتخريج أحاديثها، وفهرستها على الحاسوب، لكنه لم يخرج سوى سنن ابن ماجه فقط عام ١٤٠٣هـ، بهذه الطريقة، بسبب أن مثل هذا المشروع يحتاج إلى تمويل مالي ضخم، وفريق عمل، وإمكانات ضخمة، لا يتمكن الجهد الفردي من الوفاء بها، فضلاً عن أن التقدم التقني وإمكانات الحاسوب في ذلك الوقت، لم يكونا مثل ما عليه الآن.

الفصل الأول

أبرز البرامج الحاسوبية في خدمة السنة النبوية

أسهمت الشركات التجارية والمؤسسات الخيرية في إنتاج برامج تُعنى بخدمة السنة النبوية وتتمثل أشهرها فيما يأتي:

أولاً: شركة (حرف) لتقنية المعلومات www.harf.com.

ثانياً: مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي www.turath.com .

ثالثاً: شركة العريس www.elariss.com.

رابعاً: مشروع برنامج المحدث www.muhaddith.com.

خامساً: مؤسسة عبداللطيف للمعلومات www.afi-soft.com

وقد أنتجت هذه الشركات والمؤسسات وغيرها برامج مختلفة، هدفت إلى التوصل إلى مظنة وجود المعلومة، من تخريج للحديث أو الأثر، أو ترجمة للراوي أو العَلَم، أو تعريف بالكلمات الغريبة، أو بالأماكن أو البلدان، وذلك في آلاف المصادر، لكن كان ذلك على حساب قضايا ومسائل علوم الحديث الدقيقة (الصناعة الحديثية)، وتعد من أشهر هذه البرامج وأكثرها شيوعاً بين الباحثين وطلاب العلم: الجامع الكبير، والمكتبة الشاملة.

كما أُنتجت برامج أخرى هدفت إلى التوصل إلى الصناعة الحديثية، لكن كان ذلك على حساب كثرة المصادر التي اعتمدت عليها، وتعد من أشهرها: موسوعة الحديث الشريف.

أبرز الجوانب الإيجابية والسلبية لهذه البرامج

أولاً: مميزات هذه التقنية

١ – إن هذا النوع من التقنية الإلكترونية، مطلب من مطالب العصر، وحتمية تفرضها التقنيات العلمية الحديث .

٢ – سهولة حفظ وسائل النشر الالكتروني، من الأقراص الصلبة والضوئية ونحوها.

٣ – إمكانية التخزين للمعلومات بكميات هائلة وخيالية، مع صغر المساحة المطلوبة لحفظها.

٤ – السرعة الهائلة في نشر المعلومات، واسترجاعها، وتقديم الخدمات المعلوماتية عن بعد، وبسرعة فائقة.

٥ – تيسر الوقوف على المعلومة داخل نص الكتاب أو الكتب، مع ذكر موقعها، وعدد تكراراتها، وذلك بسبب تعدد طرق البحث، وتنوعها.

٦ – التنوع الكبير والخيارات المتعددة في نوعية الخط وحجمه، وعرض الأشكال والجداول والرسوم، وتحديد لون المادة عند الطباعة.

٧ – التوفير المادي والإداري، وذلك بالاستغناء عن الأيدي العاملة، في جميع العمليات المطلوبة.

٨ – تيسير الحصول –وبسرعة– على نسخة من أي مادة علمية إلكترونية، وطباعتها أو تخزينها أو لصقها في ملفات البحث مباشرة، وإجراء الاختصار والتعديل والإضافة عليه وفق ما يريده الباحث.

٩ – المنشورات والكتب الإلكترونية تتجاوز الحدود الأمنية، والرقابة الصارمة التي تفرضها بعض الأنظمة على المطبوعات التقليدية، وهذا الأمر قد اعتبر ميزة لهذه التقنية، مع أن له وجهاً سلبياً آخر.

١٠ –ولعل من أبرز إيجابيات التقنية، إمكان الاستفادة منها في دقائق العلوم، مثل: قضايا الصناعة الحديثية، وهو ما سيحاول البحث بيانه في الفصل الثاني.

ثانياً: سلبياتها

ومع ما لهذه التقنية من المحاسن المتقدمة، إلا أن هنالك سلبيات تحتاج إلى التنبه إليها ومراعاة الحذر عند النظر والاستفادة، منها:

١ – كثرة التصحيفات في المكتبات الالكترونية بشكل عام، –عدا المصورات بصيغة pdf[1]، وذلك بسبب حرص الشركات على السرعة في الإنجاز، وما ينتج عن ذلك من عدم الدقة في المراجعة وعند الطباعة.

٢ – العلوم والمعارف لا تستغني عن عقل الإنسان، وفهمه، وتحليله، ودرايته بالمعاني والألفاظ، ومن خلال ذلك يستطيع الباحث الوصول إلى المعلومة في مظانها من المراجع، وهذا ما لا يتوافر من خلال البحث الإلكتروني، لأنه يتعامل مع النص تعاملاً آلياً جامداً، وأي غلطة ولو يسيرة في إدخال كلمة البحث من قِبل الباحث، أو المدخِل، فسيؤدي ذلك إلى عدم الوقوف عليها، مما قد يترتب عليه نفي وجودها.

٣ – عدم وجود المظلة القانونية للنشر الإلكتروني، والإيداع القانوني بين دول العالم المتطورة والنامية، لضمان حقوق المؤلفين، والناشرين، وما يرتبط بالملكية الفكرية للمنشور الإلكتروني.

٤ – ضعف الرقابة على المنشورات الإلكترونية، وما يترتب على ذلك من التعدي، والإضرار بمصالح الآخرين.

٥ – وكما أن الحصول على المادة العلمية يسير وسريع، فإن فقدها كذلك، وذلك لأسباب منها: سوء الحفظ، أو فايروسات الحاسب، أو الأعطال الفنية التقنية التي تؤدي إلى ذلك.

٦ – ضعف التوثيق العلمي، من قبل جهات علمية تخصصية معتبرة، ومن أسباب ذلك: جِدّة هذه التقنية، وعدم وجود آلية عمل واضحة للمتابعة والتوثيق لدى الجهات العلمية المعتبرة، ولذلك فإن الغالب على المكتبات الإلكترونية عدم الرجوع للكتب.

٧ – ولهذا فإن من أهم ما تنبغي معرفته والعمل به نحو هذه البرامج، اعتبارها وسيلة بحث، وليست مصدر معلومة، فهي كالفهارس للكتب.

٨ – ومن السلبيات، أن المتعامل مع المكتبة الإلكترونية لا يتعدى نظره بغيته في البحث، فلا يقف على نصوص، وفوائد، لم تكن له على بال، فيبدأ في تحقيقها، والنظر فيها، كما هو الحال في التعامل مع الكتاب الورقي.

ومن التوجيهات للمستفيدين من هذه البرامج الموسوعية ما يأتي:

١ – أن يحرص من يريد الاستفادة من هذه المكتبات الالكترونية، على معرفة مصدرها، ومدى الثقة بالشركة المنتجة، وسؤال أهل العلم والمختصين، ومن لهم تجربة مع هذه البرامج عن أفضل هذه البرامج قبل اقتنائها.

٢ – أن يدرك بأن هذه المكتبات الحاسوبية لا تغنيه عن الرجوع للأصول الورقية، فيحتاج إلى التأكد من صحة الإحالة، وسلامة النص.

٣ – إذا لم يقف الباحث من خلال طرق البحث الآلي على المعلومة المطلوبة، فلا ينفي وجودها بناءً على ذلك، وإنما عليه أن يبحث عنها في مظانها من المصادر العلمية الورقية.

---

١ كنت أظن أن تقنية ال pdf قد قضت على أخطاء المدخلين غير المختصين في العلم الشرعي ، وأنها ستُغنينا عن الرجوع إلى الكتاب الورقي ، حتى وقفت على إشكالات بها من نوع آخر ، مثل السقط في بعض صفحات الكتاب الإلكتروني بسبب التصاق الأوراق من حرارة جهاز التصوير ، أو سرعة التصوير ، انظر مثلاً الصفحتين ٦٠٤ – ٦٠٥ من كتاب تقريب التهذيب

٤ – أن أكثر القائمين على إعداد تلك البرامج –مع الأسف الشديد–، غير مختصين في العلوم الشرعية، مما يشكل خطورة بالغة، متمثلة في التصحيفات، والأخطاء الإملائية أو الطباعية، أو الخلل في التصنيف الموضوعي والفهرسة، ونحو ذلك.

٥ – ألا يغفل الباحث وطالب العلم، عن أن البرامج الحاسوبية لا تغني عن التواصل مع العلماء والمشايخ وطلاب العلم، فسنة الطلب ستبقى بمجالسة العلماء والتلقي عنهم، ومدارستهم، والأخذ من سمتهم وأدبهم[١].

المبحث الأول

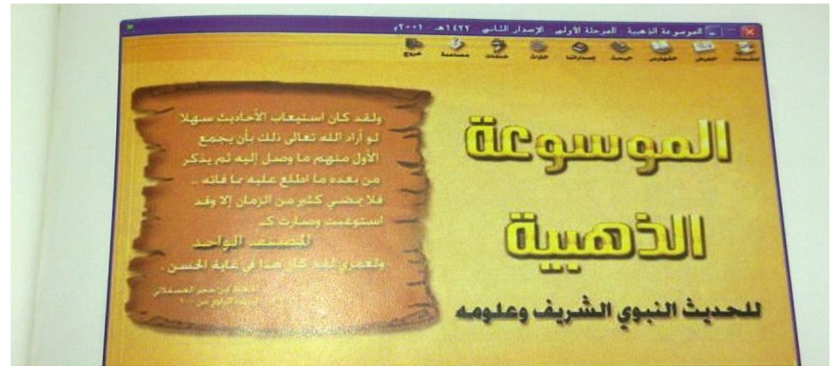
برنامجا "الجامع الكبير" و "المكتبة الشاملة"

أولاً: برنامج الجامع الكبير www.aljamea.net/index.php



من إنتاج مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، وهو مؤسسة أردنية أنشئت عام ١٩٩٣م، وقد جمع المركز في هذا البرنامج جميع الإصدارات التي أنتجها قبل ذلك في أقراص مدمجة CD مستقلة، في شتى أنواع العلوم الشرعية والعربية، ومن ضمنها برامج الحديث النبوي وعلومه، وهي:

١ – برنامج الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف وعلومه: الذي أنتجه عام ١٩٩٧م، واشتمل الإصدار الثاني منه على ٦٠٠ مجلد وكتاب، ويعنى بالتخريج الآلي للحديث لأكثر من ٢٠٠,٠٠٠ نص مسند، وموسوعة تراجم تحتوي على أكثر من ١٥٠,٠٠٠ ترجمة، والحكم على أكثر من ٨٠,٠٠٠ حديث.



٢ – المكتبة الألفية للسنة النبوية: وهي موسوعة إلكترونية لما يقارب (١٣٠٠) مجلد وكتاب من كتب السنة وعلومها، بالإضافة إلى بعض الكتب والقواميس المساندة، وجاء على غلاف البرنامج أنه يشتمل على أكثر من ٣٥٠٠ مجلد حاسوبي، وهي من أشمل برامج المركز في جمع كتب السنة النبوية.

[١] انظر: التقنية الحديثة في خدمة السنة والسيرة النبوية بين الواقع والمأمول، للدكتور : إبراهيم الريس ، ص ٢٥ وما بعدها ، باختصار.



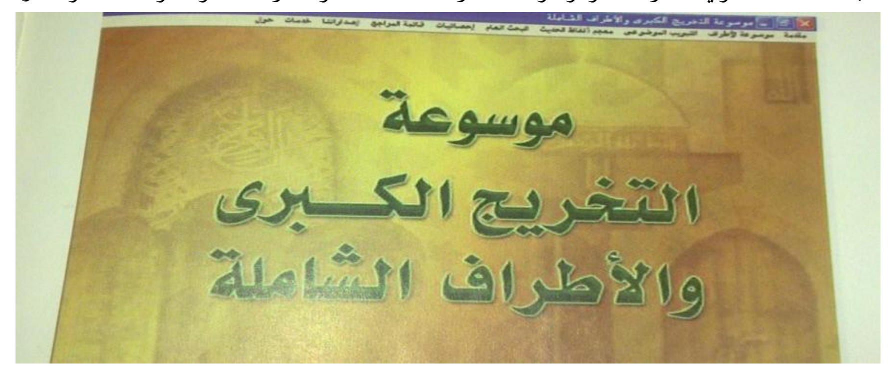
٣ – مكتبة **الأجزاء الحديثية**: وتحوي أكثر من ١٥٠ جزءاً حديثياً.



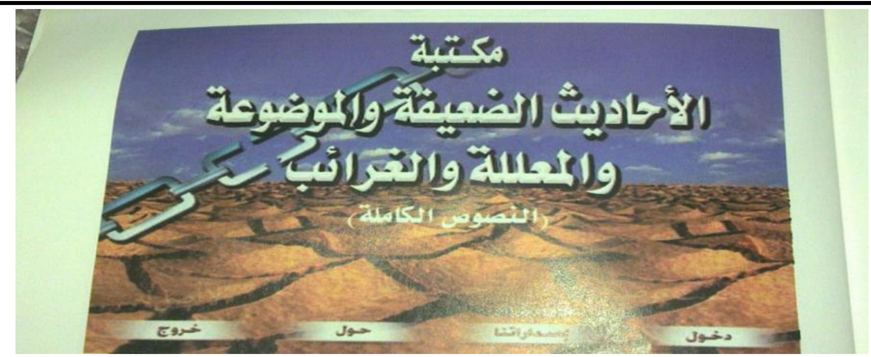
٤ – مكتبة **علوم الحديث**: وفيها أكثر من (١٠٠) مجلد وكتاب في علوم الحديث.



٥ – موسوعة **التخريج والأطراف الكبرى**: وتحوي التخريج الآلي لحوالي ٢٥٠,٠٠٠ نص مسند من أمهات كتب الحديث النبوي الشريف، وموسوعة الأطراف الشاملة، والأطراف القولية والفعلية، والآثار.



٦ – موسوعة **الأحاديث الضعيفة والموضوعة**: وتحتوي على خمسة وأربعين كتاباً من مظان الحديث الضعيف والموضوع، مما حُكم عليه بالضعف أو الوضع.



وللمركز إنتاج غزير اشتمل على جلِّ علوم الشريعة، إلا أن برامجه تفتقر إلى العناية بها تدقيقاً، ومراجعة، وضبطاً، ولعل ذلك بسبب ضخامة الإنتاج المطروح، والقدر الهائل من الصفحات، مما يحتاج إلى جهد كبير في المراجعة، والمقابلة والضبط، وتعد برامجه من أوسع البرامج التي اعتنت بكثرة المصادر.

وكان أول إصدار للجامع الكبير عام ١٤٢٦ هـ، وبلغ عدد المصادر وقتها ٩٠٠ كتاب، ثم أصدر بعد ذلك الإصدار الثاني عام ١٤٢٧ هـ، وبلغ عدد المصادر ١٢٠٠ كتاب، ثم أصدر بعد ذلك الإصدار الثالث عام ١٤٢٩ هـ، وأخيراً أصدر الإصدار الرابع عام ١٤٣١ هـ، وبلغ عدد المصادر ٣٢٩٠ كتاباً.

ويتميز البرنامج بخاصية البحث الصرفي في جميع المصادر، إضافة إلى البحث في القرآن الكريم وتفسير الآيات من كتب التفسير، والتراجم، والمعاجم اللغوية، من نوافذ خاصة بكل ما تقدم.

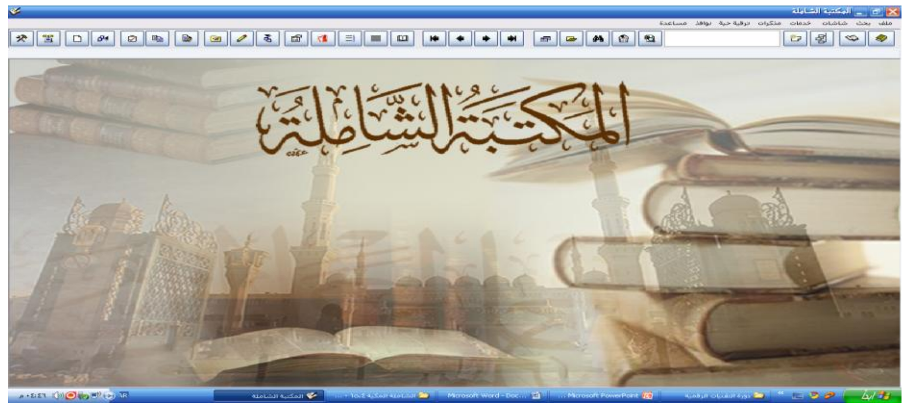
ثانياً: برنامج المكتبة الشاملة: http://shamela.ws/index.php/main

موسوعة المكتبة الشاملة بنَتْ مادتها العلمية –في بدايتها– على برنامج الجامع الكبير المتقدم، ثم زادت عليها زيادات هائلة بعد ذلك، لأن لها خاصية القابلية للإضافة والزيادة، وقد شاعت وانتشرت بين الباحثين وطلاب العلم، وأصبح لها إصدارات متعددة ومتنوعة، فبعد أن بدأ الإصدار الأول بما يقارب من ٢ قيقا، ظهرت لها الإصدارات الآتية:

–الإصدار الثاني: ومساحته ٣,٠٩ قيقا، ويحتوي على ١٧٨٨ مصدراً.



-الإصدار الثالث المعروف بالشاملة المكية: ومساحتها ١٥,٤ قيقا، وتحتوي على ١٠٠٠٠ مصدراً.



- ثم جاء الإصدار الأخير للشاملة قبل شهرين تقريباً، بمساحة مقدارها ١٨,٤ قيقا، وتحتوي على ٥٢٩٩ مصدراً، وهذا الرقم لمجموعة الكتب الأساسية للمكتبة، دون الإضافات والزيادات التي استقيت من المحاضرات المفرغة ونحوها، التي في المكية، وقد تميز هذا الإصدار باحتوائه على مجال جديد للبحث من خلال مجموعة مخطوطات حديثية، نسخت ووضعت ضمن مصادر المكتبة لأول مرة، كما قسمت مجالات البحث الأخرى إلى قسمين: الموافقة للمطبوع، والمرقمة آلياً ولا توافق المطبوع.

وكانت عدم موافقة الإحالات للمطبوع في الإصدارات السابقة سلبية من سلبيات البرنامج، لكنه بعد ظهور تقنية التصوير الضوئي للكتاب الورقي، وتحويله إلى كتاب إلكتروني، رُبطت المكتبة الشاملة بمصورات أغلب المصادر التي اعتمدت عليها، بحيث يمكن للباحث مقارنة النص بأصله في الكتاب المطبوع ، فظهر للمكتبة الشاملة إصداران آخران، هما:

- الشاملة المكية المربوطة بالمصورات: **ومساحتها ٧٠,٢ قيقا، وتحتوي على ١٠٠٨٠ مصدراً.**

- الشاملة غير المكية المربوطة بالمصورات: **ومساحتها ٢٠١ قيقا، وتحتوي على ٦٣٢٢ مصدراً.**

ولا تزال المساحة وعدد المصادر غير نهائية، فهي قابلة للزيادة، وذلك لأن المجال متاح للجميع للإضافة من خلال خاصيتي الترقية، وإمكان الإضافة، على البرنامج ذاته، أو من خلال موقع المكتبة الشاملة على الشبكة العنكبوتية.

مزايا البرنامجين وسلبياتهما:

تقدمت الإشارة إلى أن أكبر مزايا البرنامجين، إمكاناتهما الهائلة في استجلاب المادة العلمية من آلاف المصادر عند استدعائها، سواءً أكانت المادة تخريجاً لحديث أم أثر، أم ترجمةً لراوٍ أو عَلَم، أم تعريفاً لكلمة غريبة أو مكان.

أما أبرز سلبياتهما، فتتمثل في الأخطاء الواردة في المادة العلمية، والتي أرى أن السبب الرئيس فيها، كون المدْخِلين لها عندما كانت في أقراص مدمجة CD ليس لهم حظ في العلم الشرعي، وسأكتفي بذكر مثالين لهذه الأخطاء:

الأول: ما جاء في ترجمة محمد بن خازم أبو معاوية الضرير في الجامع الكبير وفي الشاملة نقلاً عن كتاب: تهذيب التهذيب لابن حجر، من قول لأحمد بن حنبل وآخرين من أنه مات سنة ١١٣، في حين أن ما في مطبوعة

الكتاب، أنه وُلِد سنة ١١٣، وهذا المثال فيه دليل على ما ذكرته سابقاً، من أن المكتبة الشاملة بنت مادتها العلمية في البداية على برنامج الجامع الكبير.

الثاني:

تقدم أن مادة برنامج الجامع الكبير كانت تجميعاً للبرامج المختلفة التي كانت مستقلة في أقراص حاسوبية مدمجة، ومنها برنامج "المكتبة الألفية"، وقد ذكروا في المصادر كتاباً عنوانه "فضل شرف علم الحديث وأهله"، وقد قال الدكتور إبراهيم بن حماد الريس، في عرضه ونقده للبرنامج : "في بطاقة التعريف بالبرنامج لم يُذكر اسم مؤلفه، ولم يتبين لي من هو، وإن كان نص الكتاب يدل على أنه من المعاصرين، ففيه نقول عن الإمام الألباني رحمه الله، إلا أن يكون كلام المحقق للكتاب اختلط بأصل الكتاب، ولكنه دليل على العشوائية والتساهل الظاهر"[1].

وبعد جهد ومعاناة، تبين لي أنه لا يوجد كتاب بهذا العنوان، وأن محقق كتاب "المستخرج على المستدرك للحاكم، أمالي الحافظ العراقي"، أفرد فصلاً في مقدمة التحقيق، عنوانه "فصل شرف علم الحديث وأهله"، فصحَّف المدخِل كلمة "فصل" إلى "فضل"، وجعله عنوان مصدر من مصادر البرنامج[2].

المبحث الثاني: برنامج "موسوعة الحديث الشريف – حرف"

في عام ١٩٨٢هـ، تأسست شركة "صخر لبرامج الحاسب"، وهي إحدى فروع شركة العالمية للالكترونيات، فأنشأت عام ١٩٨٥م، إدارة باسم "مركز التراث الإسلامي" بهدف إنتاج البرامج الإسلامية، ثم استقرت تسميتها بعد ذلك بـ"شركة حرف لتقنية المعلومات www.harf.com"، وهي من أولى الشركات عملاً في هذا المجال، إن لم تكن أولاها، إذ قامت بوضع المصادر الإسلامية الكبرى على وسائل الكترونية.

وتعد برامجها من أدق البرامج الحاسوبية في خدمة السنة والسيرة النبوية، حيث عنيت في جل برامجها بالدقة، والمراجعة، والضبط بالشكل للنصوص، ومن أهم البرامج المتعلقة بالسنة مما أنتجته هذه الشركة:

موسوعة الحديث الشريف:

وهي مكتبة شاملة لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، بدأت في إصدارها الأول تحت مظلة شركة "صخر" عام ١٩٨٥م، بكتب الحديث التسعة: صحيحي البخاري، ومسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدرامي، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد بن حنبل.



[1] برنامج المكتبة الألفية للسنة النبوية عرض ونقد للدكتور إبراهيم الريس ، ص ٤٠ ، حاشية ٣.

[2] المستخرج على المستدرك للحاكم ، أمالي الحافظ العراقي ، بتحقيق : محمد عبدالمنعم رشاد ص ٥.

ثم أصدرت الإصدار الثاني تحت مظلة شركة "حرف" عام ١٩٨٨م، وأضافت لكتب المتون المذكورة كتب الشروح الآتية:

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ).
- المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي (ت٦٧٦هـ).
- عون المعبود بشرح سنن أبي داود، لمحمد العظيم أبادي (ت١٣٢٩هـ).
- تعليقات الإمام ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ) على سنن أبي داود.
- تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي، لمحمد المباركفوري (ت١٣٥٣هـ).
- زهر الربى على المجتبى (السنن الصغرى للنسائي)، لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ).
- حاشية على سنن النسائي للإمام السندي (ت١١٣٨هـ).
- مصباح الزجاجة بشرح سنن ابن ماجه، لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ).
- المنتقى بشرح موطأ مالك، للزرقاني (ت١١٢٢هـ).

ولم يعتمد البرنامج شرحي مسند أحمد، وسنن الدارمي، وذلك لعدم توافرهما، واستعاض عنهما بكتابي ابن القيم و السندي.



ويحتوي البرنامج على أكثر من ٦٢,٠٠٠ حديث شريف بالمكرر، ويناهز عدد صفحاتها نحو ٢٥ ألف صفحة، مع شرحها من كتب الشروح المشهورة.

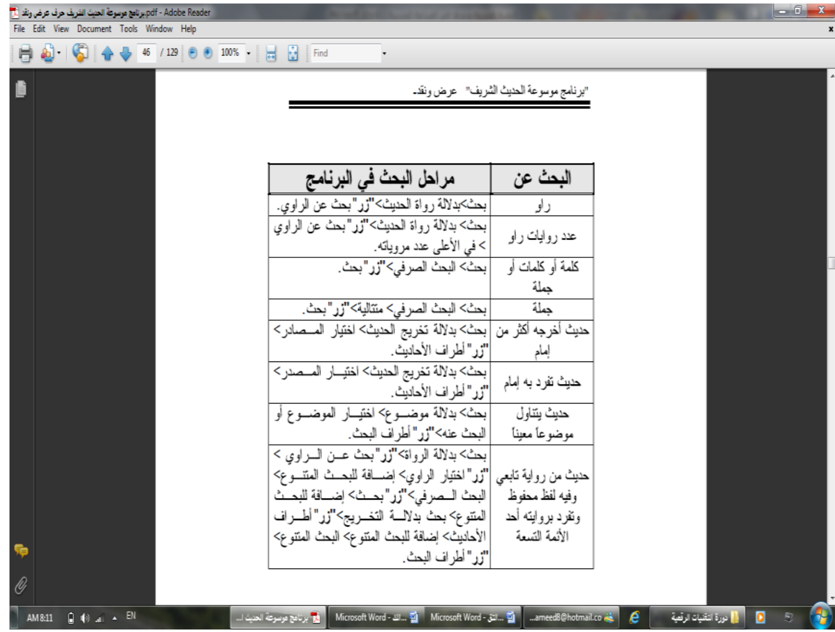
ثم أصدرت الشركة بعد ذلك الإصدار الثالث (الناطق)، حيث أضافت إليه خاصة سماع نص الحديث، لكنها سرعان ما سحبته من الأسواق للإشكالات العديدة التي ظهرت عليه، وأعادت نشر الإصدار الثاني مجدداً.

إيجابيات البرنامج وسلبياته:

تكفل الدكتور إبراهيم الريس ببيان إيجابيات البرنامج وسلبياته في بحثه القيِّم "برنامج موسوعة الحديث الشريف–شركة حرف– عرض ونقد"، وعدد صفحاته (١٢٨) صفحة، وقد أشار إلى إيجابياته إجمالاً في المقدمة

حيث قال: "هو من أشهر البرامج الحاسوبية، لأنه بتميز بما عرف لدى الباحثين من العناية بضبط النص وتحريره"[1]، وقال أيضاً: "والبرنامج حوى خدمات حاسوبية فائقة، ودقة تقنية وعلمية متميزة بين البرامج الأخرى، فهو مكتبة حديثية متقنة، ومخدومة تقنياً من خلال البحث وغيره من الخدمات الراقية" [2].

ثم وضع جدولاً لنماذج تطبيقية من خدمات البرنامج في البحث، ص٤٥:



"برنامج موسوعة الحديث الشريف" عرض ونقد.

البحث عن	مراحل البحث في البرنامج
راو	بحث>بدلالة رواة الحديث>"زر"بحث عن الراوي.
عدد روايات راو	بحث> بدلالة رواة الحديث>"زر"بحث عن الراوي > في الأعلى عدد مروياته.
كلمة أو كلمات أو جملة	بحث> البحث الصرفي>"زر"بحث.
جملة	بحث> البحث الصرفي> متتالية>"زر"بحث.
حديث أخرجه أكثر من إمام	بحث> بدلالة تخريج الحديث> اختيار المصادر> "زر"أطراف الأحاديث.
حديث تفرد به إمام	بحث> بدلالة تخريج الحديث> اختيار المصدر> "زر"أطراف الأحاديث.
حديث يتناول موضوعاً معيناً	بحث> بدلالة موضوع> اختيار الموضوع أو البحث عنه>"زر"أطراف البحث.
حديث من رواية تابعي وفيه لفظ محفوظ وتفرد بروايته أحد الأئمة التسعة	بحث> بدلالة الرواة>"زر"بحث عن الراوي > "زر"اختيار الراوي> إضافة للبحث المتنوع> البحث الصرفي>"زر"بحث> إضافة للبحث المتنوع> بحث بدلالة التخريج>"زر"أطراف الأحاديث> إضافة للبحث المتنوع> البحث المتنوع> "زر"أطراف البحث.

كما بين السلبيات التي فيه من خلال خمسة أنواع من الملحوظات: علمية، وبرمجية، وفنية، ومنهجية، وعامة[3]، غير أنه –حفظه الله– لم يبين في إيجابيات البرنامج جوانب عديدة تتعلق بالصناعة الحديثية، وهو ما سأحاول بيانه في الفصل الثاني.

الفصل الثاني

مجالات الاستفادة من برنامج "موسوعة الحديث الشريف" في الصناعة الحديثية

تقدم أن من مزايا الحاسوب إمكاناته الهائلة في تخزين معلومات لا حصر لها، وكذلك استدعائه لجميع هذه المعلومات أو لبعضها في أسرع وأقصر وقت، وكان لهذه الميزة دور فاعل في جميع المباحث الآتية التي يمكن أن تندرج تحت مظلة "الصناعة الحديثية" من خلال الموسوعة، وأبرزها ما يأتي:

المبحث الأول: الكشف عن طريقتين في التخريج لم تكونا معروفتين من قَبْل

فكل من كتب في طرق التخريج من المعاصرين يقصرها على خمس طرق هي:

- التخريج بناءً على طرف متن الحديث (أوله – مطلعه – بدايته).
- التخريج بناءً على أي لفظة في متن الحديث.

[1] برنامج موسوعة الحديث الشريف – شركة حرف – عرض ونقد ، ص ٣.

[2] المرجع السابق ، ص ١٣- ١٤.

[3] المرجع السابق ، ص ٦١ – ٧٩.

- التخريج بناءً على الراوي الأعلى (الصحابي أو التابعي إن كان الحديث مرسلاً).
- التخريج بناءً على موضوع الحديث.
- التخريج بناءً على نوع الحديث[1].

وأضافت التقنية ممثلة في موسوعة الحديث الشريف طريقتين جديدتين، هما:

- التخريج بناءً على أي راوٍ في السند –وليس الصحابي أو التابعي فقط-: وذلك من خلال: اختيار نافذة بحث>>بدلالة رواة الحديث>>كتابة اسم الراوي في الحقول المخصصة، أو باستعراض قائمة كل الرواة>>اختيار الراوي>>أطراف الأحاديث>>ثم استعراض الأحاديث للوصول إلى الحديث المراد، ويمكن تضييق دائرة البحث إذا عُرف شيخ الراوي أو تلميذه من خلال النافذة المخصصة لهما.



- التخريج بناءً على رقم الحديث:

وذلك من خلال: اختيار نافذة عرض>>رقم الحديث>>اختيار الكتاب المراد>>كتابة رقم الحديث في الحقل المخصص>>عرض الحديث.

لكن ينبغي التنبيه إلى أنه لا بد من اختيار الترقيم المشهور في جميع الكتب التسعة، ويُفضَّل أن يكون ذلك بعد تنصيب البرنامج مباشرة، وذلك بإتباع الخطوات الآتية: اختيار نافذة خيارات>>ترقيمات الأحاديث>>اختيار كل كتاب حسب ترتيبها>>اختيار الترقيم المشهور في النوافذ الأربعة: (العرض–القوائم–التخريج–العرض) على النحو الآتي: البخاري (فتح الباري)، مسلم (عبد الباقي)، الترمذي (أحمد شاكر)، النسائي (أبو غدة)، أبوداود (محي الدين)، ابن ماجه (عبد الباقي)، أحمد (إحياء التراث)، مالك (موطأ مالك)، الدارمي (علمي وزمرلي) >> تم.

---

[1] انظر : طرق تخريج حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، للدكتور عبدالمهدي عبدالقاد ، ص ٢٤ ، وعلم التخريج ودوره في خدمة السنة النبوية ، للدكتور عبدالغفور البلوشي ، ص ٩٤



المبحث الثاني: الحكم على إسناد الحديث من خلال الألوان

فقد اعتمد البرنامج في حال الراوي –غالباً–[1] حكم الحافظ ابن حجر على الراوي في كتابه "تقريب التهذيب"، كما اعتمد البرنامج مراتب التعديل والجرح ألاثنتي عشرة التي ذكرها الحافظ في مقدمة الكتاب[2]، وخصص لها ألواناً للدلالة عليها، على النحو الآتي:

- المرتبتان الثانية (ثقة ثبت) باللون الأصفر الفاتح، والثالثة (ثقة) باللون الأصفر الداكن: وهما مرتبتا رجال الحديث الصحيح.
- المراتب الرابعة (صدوق) باللون الأخضر الفاتح، والخامسة (صدوق له أوهام)، والسادسة (مقبول) باللون الأخضر الداكن: وهي مرتبة رجال الحديث الحسن –على تفصيل سيأتي بيانه–.
- المرتبة السابعة (مجهول الحال أو مستور) باللون الوردي الأحمر الفاتح).
- المراتب الثامنة (ضعيف)، والتاسعة (مجهول العين)، والعاشرة (متروك)، والحادية عشرة (متهم بالكذب)، والثانية عشرة (كذَّاب) باللون الأحمر.



[1] أحياناً يخالف البرنامج حكم الحافظ ، كما في علي بن عبدالله البغدادي ، قال الحافظ في التقريب ٤٧٥٩: مقبول ، وفي البرنامج : متقن.

[2] التقريب ص ٧٤.

ومن خلال ما تقدم توضيحه، يمكن التوصل إلى حال رجال الإسناد، وبالتالي إلى درجة الحديث، من خلال نظرة يسيرة إلى شجرة الإسناد الملوَّنة.

والبرنامج وإن كان مفيداً في هذا الجانب، إلا أن لي ملحوظات يسيرة عليه تتمثل فيما يأتي:

- لون المرتبة السادسة (مقبول) الأخضر الداكن فيه نظر، وذلك لأنه ألحقه بمرتبة رجال الحديث الحسن وهذا غير صحيح، لأن الغالب على راويه الضعف، فإن توبع قُبِل حديثه، وإلا لتساوى مع الصدوق الذي له أوهام، الذي الغالب في حاله خفة الضبط وعدم الوهم، فإن ثبت أنه وهم ضُعِّف حديثه، فكان الأولى أن يكون لون أصحاب المرتبة السادسة اللون الوردي الأحمر الفاتح، ضمن رجال الحديث الضعيف ضعفاً منجبراً.
- لون المراتب السابعة (مجهول الحال أو المستور)، والثامنة (ضعيف)، والتاسعة (مجهول العين) الأحمر الداكن فيه نظر كذلك، لأنها مراتب رجال الحديث الضعيف ضعفاً منجبراً، فتُلحق بالمرتبة السادسة كما تقدم، وتظل المرتبة العاشرة (متروك) وهي مرتبة شديد الضعف الذي لا ينجبر، وحدها باللون الأحمر الداكن.
- لون المرتبتين الحادية عشرة (متهم بالكذب)، والثانية عشرة (كذَّاب) (حاشية: الفرق بين المتهم بالكذب والكذاب، أن الأول هو الذي يكذب في حديث الناس ولم يثبت أنه كذب في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأما الثاني فهو الذي كذب في حديث النبي صلى الله عليه وسلم) الأحمر الداكن فيه نظر، لأنهما تساوتا مع مرتبة شديد الضعف، والأولى أن تكونا باللون الأسود الفاتح للحادية عشرة، والأسود الداكن للثانية عشرة، فهو المناسب لهما.

المبحث الثالث: محاكمة القواعد التي استقرت في العلم، والتأكد من صحتها

وذلك من خلال خاصية معرفة عدد روايات الراوي في الكتاب، وكيف أخرجها المصنِّف، فمثلاً: شاعت عند العلماء والباحثين مقولة الإمام أبي الحسن علي المقدسي أن من أن رجال الصحيحين قد جازوا القنطرة، وفي هذا يقول ابن رُشَيْد: وكان شيخ شيوخنا الحافظ أَبُو الْحَسَنِ المقدسي يَقُولُ في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح: "هذا جاز القنطرة"، يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه، وهكذا نعتقد وبه نقول، ولا نخرج عنه إلا ببيان شاف، وحجة ظاهرة لتزيد في غلبة الظن على المعنى الذي قدمناه من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين، ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما [1]، وكذلك قال ابن حجر في مقدمة الفتح [2]، وغيرهما.

لكن لو أخذنا شيخ البخاري أزهر بن جميل مثالاً، لوجدناه روى عنه في الصحيح حديث ابن عباس في الخلع، ثم عقَّب البخاري بعدها بقوله: لم يُتابع فيه عن ابن عباس[3]، قال ابن حجر في الفتح: أي لا يُتابع أزهر بن

[1] ملء العيبة ٣٢٧/١.

[2] هدي الساري، ص ٣٨٤.

[3] صحيح البخاري، حديث رقم ٥٢٧٣.

جميل عن ذكر ابن عباس في هذا الحديث، بل أرسله غيره، وهذا يعني أن البخاري أخرج روايته ليُعِلَّها، لا ليحتج بها.

ثم جاءت التقنية من خلال برنامج الموسوعة، ومن خاصية البحث بدلالة الراوي لتبيِّن أن البخاري لم يروعن أزهر في الصحيح سوى رواية واحدة هي هذه، مما يدل على أنه لم يخرج له ليحتج به، بل ليُعلَّ روايته، فلا يصح أن نصحح أحاديث أزهر الأخرى بناءً على أنه من رجال الصحيح.

ويتبين كذلك صواب حكم ابن حجر على أزهر في التقريب حيث وصفه بأنه: صدوق يُغرِب[1]، وخطأ صاحبي كتاب "تحرير التقريب" حينما تعقَّباه بقولهما: بل ثقة، وثقه النسائي، روى عنه البخاري في الصحيح، وروى عنه جمع من الثقات الكبار، ولم يصفه أحد بالإغراب البتة، بل لا نعلم فيه أدنى جرح"[2].

كما يتبين أن البخاري قد يخرج في صحيحه بالإسناد المتصل رواية مرسلة، لبيان وهم من وصل الرواية، والحديث قد صح عنده موصولاً من رواية أخرى[3].

المبحث الرابع: معرفة مناهج الأئمة في كتبهم

وذلك من خلال الخاصية التي تقدمت الإشارة إليها في النقطة السابقة.

فمثلاً: لو أخذنا إخراج مسلم لأشعث بن سوار ومجالد بن سعيد، اللذيْن ضعفهما الحافظ ابن حجر[4]، في حديث فاطمة بنت قيس في سُكنى المطلقة ونفقتها[5]، وقال فيها: حدَّثني زهير بن حرب، حدَّثنا هُشيم، أخبرنا سيَّار، وحُصين، ومغيرة، وأشعث، ومجالد، وإسماعيل بن أبي خالد، وداود، كلُّهم عن الشعبي، قال: دخلتُ على فاطمة بنت قيس...الحديث.

ولو قارنا روايته برواية النسائي لها[6] الذي قال: أخبرنا يعقوب بن ماهان، عن هُشيم، قال: حدَّثنا سيَّار، وحصين، ومغيرة، وداود بن أبي هند، وإسماعيل بن أبي خالد، وذكر آخَرَيْن (هكذا)، عن الشعبي به.

وباستخدام البرنامج من خلال خاصية البحث بدلالة الراوي، لتبيِّن أن مسلماً لم يرو لهما في الصحيح سوى رواية واحدة هي هذه، ومعروف من منهج مسلم التحري والدقة في أداء الحديث كما سمعه من شيخه دون تغيير، وقد وصلته الرواية هكذا بذكر شيوخ هشيم السبعة، فلم يُرِد أن يُبهم الراوييْن الضعيفيْن أشعث ومجالد كما فعل النسائي.

وبناءً عليه يمكن القول بأن من منهج مسلم في كتابه، إيراده لرواة لم يقصد الاحتجاج أو الاستشهاد برواياتهم، فلا يحسبون من رجاله، ولا يُعاب على صحيحه بوجودهم فيه، والله أعلم.

---

[1] التقريب ، ترجمة ٣٠٣.

[2] تحرير التقريب ١/ ١٠٩ باختصار.

[3] انظر روايات حديث ابن عباس المتقدم في الخلع ليتضح المقصود.

[4] التقريب ٥٢٤ و ٦٤٧٨.

[5] صحيح مسلم ، حديث رقم ٤٢ . ١٤٨٠.

[6] المجتبى ، حديث رقم ٣٥٥٠.

المبحث الخامس: دفع العلل التي يمكن أن ترِد في الإسناد

من العلل الظاهرة التي يمكن أن ترِد في الإسناد: التدليس، والاختلاط، والتعليق، والوهم، ويمكن للبرنامج بما له من خاصيات متعددة، أن يُسهم في دفع هذه العلل في أسرع وأقصر وقت.

- **فأما علة التدليس:** فمعلوم أن القاعدة العامة في قبول رواية المدلس التي عنعنها، بأن ترِد في موضع آخر مصرَّحاً فيها بالسماع[1]، ومن مزايا البرنامج أنه يتيح للباحث خاصية التنقل من مصدر إلى مصدر، ومن رواية إلى رواية في أقصر وقت، وفي دقائق معدودة بحثاً عن رواية التصريح بالسماع، وذلك من خلال الخطوات الآتية:

استدعاء رواية المدلس المعنعن بأي طريقة من طرق التخريج (رقم الحديث–البحث الصرفي– الراوي)>>سند >>على مستوى الكتب التسعة>>طرق الرواية>>مطابقة السند مع النص، ولو أخذنا رواية زكريا بن أبي زائدة وهو مدلس، التي رواها بصيغة العنعنة عن شيخه عامر بن شراحيل الشعبي لحديث "الحلال بيِّن"، وأخرجها البخاري برقم (٥٢)، وبيَّنت نافذة السند على مستوى الكتب التسعة أن عدد طرق الحديث في الكتب التسعة ٢٢ طريقاً، وبعد استعراضها في البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه لم أجد رواية التصريح بسماع زكريا من الشعبي إلا في مسند أحمد برقم (٢٧٦٣٨)، وقد استغرق البحث دقائق معدودة، في حين أنه لو كان بتصفح المصادر ورقياً، لاستغرق مدة طويلة.

- **وأما علة الاختلاط:** فيمكن دفعها من خلال خاصية سرعة استحضار المعلومات التي يكفلها البرنامج من نافذة البحث بدلالة الراوي، ثم تأمل رواياته في الكتاب كيف جاءت، وكيف أوردها المصنِّف.

فمثلاً: الراوي حفص بن غياث، قال فيه الحافظ: ثقة فقيه، تغير حفظه قليلاً في الآخر[2]، وبيَّن البرنامج أن البخاري روى له (٩٤) حديثاً، وأن مسلماً روى له (٥٩) حديثاً، وأن عدد شيوخه في الصحيحين (٢١) شيخ، ومن هؤلاء الشيوخ سليمان بن مهران الأعمش، وكانت نتيجة استدعاء عدد رواياته عن هذا الشيخ في الصحيحين (٨٩) حديثاً عند البخاري، و(١٥) حديثاً عند مسلم، مما دل على أنه لا يخلط إذا روى عنه، وأن روايته عنه موثوق فيها، فإذا تبين هذا، عُلِم أن سائر رواياته في الكتب التسعة عن الأعمش لا يتطرق إليها احتمال الاختلاط، وعددها (١٦٤) من (٣٢٨)، وهذا يؤيد ما ذكره يحي بن سعيد القطان من أنه أوثق أصحاب الأعمش[3].

- **وأما علة التعليق:** فيمكن الكشف عنها من خاصية سرعة استحضار المعلومات التي تقدمت.

فمثلاً: الراوي عبدالله بن الوليد بن ميمون ، قال فيه ابن حجر : صدوق ربما أخطأ [4]، ورمز إلى أن البخاري روى له في الصحيح تعليقاً ، وقد أظهر البرنامج أن عدد الروايات التي رواها عنه ست: (١٧٤٧–٢٢٤٥–٢٢٥٣–٢٨٦٨–٢٨٧٥–٤٥٢٣)، ومن تأملها تبيَّنت النتائج الآتية:

١ –جميع الروايات رواها البخاري تعليقاً، بعد أن أخرج الحديث بالإسناد المتصل.

[1] ذكر الدكتور عواد الخلف في كتابه القيِّم " روايات المدلسين في صحيح البخاري " ص ٢٦ – ٣١ ، ثلاثة وثلاثين ضابطاً لقبول روايات المدلسين وإن كانت معنعنة.

[2] التقريب ، ١٤٣٠.

[3] انظر ملحق محقق الكواكب النيرات ، ص ٤٥٩.

[4] التقريب ، ٣٦٩٢.

٢ –جميع الروايات رواها عبدالله بن الوليد بصيغة الجزم "قال"، والعلماء كالإمام النووي ذكروا أن المعلقات في الصحيحين إذا جاءت بصيغة الجزم، فإن لها حكم الصحة [١].

٣ –جميع الروايات رواها عبدالله عن سفيان الثوري، ومِنْ بحث المسألة تبيَّن أن عبدالله هذا هو راوية "جامع سفيان" عنه، وجميع هذه الروايات المعلقة وُصِلت في الجامع، كما ذكر ذلك ابن حجر في شرحه للأحاديث المتقدمة.

٤ –وذكر الحافظ ابن حجر في الشرح أن البخاري أخرج هذه الروايات المعلقة لأنها قد جاءت من سفيان بصيغة التصريح بالسماع، في حين أنها في طرق الحديث الأخرى بالعنعنة، ولذلك لم يستطع البخاري أن يستغني عنها.

وأما علة الوهم: فيمكن دفعها من خلال خاصية استحضار روايات الراوي، وتأملها، ومعرفة كيف أخرجها المصنِّف.

فمثلاً: إبراهيم بن يوسف السبيعي، قال فيه ابن حجر: صدوق يَهِم، وذكر أن البخاري ومسلم وأبا داود والترمذي وابن ماجه أخرجوا له[٢]، وقد أظهر البرنامج أن عدد رواياته في الكتب التسعة (٢٣) رواية، منها (١٥) رواية عند البخاري ، و(٣) روايات عند مسلم، ومن خلال اختيار نافذة شيوخ الراوي تبيَّن أنه لم يرو عندهم إلا عن أبيه، وجميع رواياته المذكورة عنه، مما يدل على أنه مختص به، فلا يهِمَ فيه، بل ولم يَخِّفَّ ضبطه، وبالتالي يُحكم على هذه الروايات بأنها في درجة الحديث الحسن لذاته، ويرتفع بقرينة الاختصاص إلى الصحيح لغيره، يؤيده إخراج البخاري ومسلم لمعظمها كما تقدم، والله أعلم.

وأخيراً:

فإن مما يُلحق بهذه المباحث من إسهام البرنامج في التوصل إلى جوانب تتعلق بالصناعة الحديثية، قد يغفل عنها مستخدمه لوجودها في غير مظنتها، نافذة العرض بدلالة الفهارس، ففيها عرض لأقوال الترمذي في الحكم على الحديث من خلال (٩٧) مصطلح له، ثم التوصل إلى عدد مرات استخدامه في كتابه ومواضعها، مثل مصطلح "حديث حسن صحيح" الذي استخدمه في (١٦٤١) موضع، أو في الحكم على الرواة جرحاً وتعديلاً من خلال (٤٠١) قول، وكذلك الحال بالنسبة لنافذة "أقوال" التي توصل إلى أقوال باقي أصحاب الكتب التسعة، وأقوال تلاميذهم رواة كتبهم.



[١] مقدمة المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١/ ١٢٣ بتصرف .

[٢] التقريب ، ٢٧٤.

الخاتمة

١ –إن التقنية الحديثة نعمة أنعمها الله علينا في هذا العصر، وهي مثل أي مستجَدٍّ فيه الإيجابيات والسلبيات، فوجب علينا أن نأخذ منها النافع ، وننبِّه إليه، وأن نتجنب الضارَّ ونحذر منه.

٢ –إن أعظم مزايا البرامج الحاسوبية في خدمة السنة النبوية، إمكاناتها الضخمة في تخزين كميات هائلة من المعلومات، واستحضارها بأسرع وقت، لكنها تعتمد في كل هذا على التغذية البشرية لها بالمعلومات، ويرجع الصواب والخطأ فيها إلى هذا السبب، وعليه فهي أداة ووسيلة للوصول إلى العلم، وليست العلم ذاته.

٣ –أسهمت المؤسسات التجارية والخيرية في الاستفادة من التقنية في السنة النبوية، على الهدفين الأساسين في إنتاجها: الوصول إلى مظنة المعلومة في معظمها، وإلى فروع العِلْم ودقائقه (الصناعة الحديثية) في بعضها .

٤ –يُعد برنامج "موسوعة الحديث الشريف –حرف"، من أفضل البرامج الموجودة حالياً على الساحة التي تسهم في معرفة الصناعة الحديثية.

٥ –تعددت مجالات خدمة الموسوعة للصناعة الحديثية، وقد توصل البحث إلى أبرزها، وهي:

- الكشف عن طريقتين في التخريج لم تكونا معروفتين من قَبْل.
- الحكم على إسناد الحديث من خلال الألوان.
- محاكمة القواعد التي استقرت في العلم، والتأكد من صحتها.
- معرفة مناهج الأئمة في كتبهم.
- دفع العلل التي يمكن أن ترِد في الإسناد، من تدليس، أو اختلاط، أو تعليق، أو وهم.

وما زال المجال مفتوحاً للكتابة في هذا الموضوع بشكل شمولي وموسع.

وختاماً: فإني أشكر القائمين والمنظمين لهذا المؤتمر المبارك، حسن اختيارهم لموضوعه ومحاوره، وكريم استقبالهم وكرمهم، داعياً الله العلي القدير أن يثيبهم على جهدهم، ويبارك لهم في عملهم.

ضوابط الإفادة من التقنيات المعلوماتية الحديثة وأساليبها في خدمة السنة النبوية

د. علي إسماعيل سرور

أستاذ مشارك

كلية التربية جامعة الأزهر

مصر

dr_alisror@yahoo.com

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾ (سورة النساء: ١٧٤)، وقال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى*مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى*وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (سورة النَّجْمِ: ١– ٤) ، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (سورة الأحزاب: ٢١).

إن الدعوة إلى الله ، على هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات شأن عظيم، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٤).

إن اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل بنا يقيناً إلى الفلاح والهداية، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ*قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٧–١٥٨).

وفي ضوء رحاب الآيات القرآنية السابقة، لزم الأمرُ علينا كمسلمين الحفاظ على سنة نبينا صلى الله عليه وسلم فهي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله: القرآن الكريم، وألا نتهاون في إتباعها خاصة في عصرنا الحالي الذي يعاني فيه بعض عموم المسلمين بالجهل بالسنة أحياناً، أو وجود بعض المفاهيم الخطأ المرتبطة بمعنى السنة النبوية وحكم العمل بها أو من يتهاون في إتباعها، نضيف إلى ماسبق بعض القضايا المرتبطة بالشبهات التي ترجع لأسباب عدة منها: وجود أعداء للإسلام بوجه عام والسنة النبوية بوجه خاص، بالإضافة إلى وجود أصحاب البدع والهوى، إن الذين يطعنون في السنة النبوية يهدفون إلى تعطيل العمل بالقرآن الكريم أيضاً ، ومن جهة أخرى فإن الهجوم على السنة النبوية ليس وليد عصرنا الحالي، ولكنه يظهر بين الحين والآخر لتحقيق أهدافاً عدوانية على الإسلام ؛ ومن ثم يظهر أهمية وجود العلماء المختصين للرد الشرعي، وتبصير عامة المسلمين؛ حيث يصعب على عامة المسلمين مواجهة هذه التيارات المتلاحقة، وبالتالي يجب علينا استخدام كافة الوسائل المتاحة لخدمة السنة النبوية، سواء لتوعية عموم المسلمين بأهمية السنة النبوية أو لتمكين العلماء من التركيز في بحوثهم والأخذ بالأسباب في خدمة السنة النبوية.

إن أساليب الإفادة من التقنيات المعلوماتية في خدمة السنة النبوية في عصرنا الحالي يمثل إحدى الضروريات في مجال الدعوة إلى الله، بدءاً من الطباعة الجيدة للكتب ورقياً ، والكتب الإلكترونية التي يتم نشرها على أقراص

مدمجة ، أو في صورة برامج فائقة تساعد على تخريج الأحاديث ودراسة الأسانيد وانتهاء بمواقع الإنترنت التي تخدم السنة النبوية، والتي تتيح البحث فورياً عن أي معلومة من خلال البرامج الخاصة التي تخدم علم الحديث، بالإضافة إلى تطوير تقديم كافة الخدمات الحاسوبية من برامج متعددة يتم تقديمه على تليفون الجوال؛ لذا كانت مهمة الدراسة الحالية الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١ -ما مدى الحاجة إلى التقنيات المعلوماتية الحديثة في خدمة السنة النبوية؟

٢ -ما الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من خلال شبكة المعلومات العالمية؟

٣ -ما الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من خلال استخدام البرامج الجاهزة؟

٤ -ماالضوابط التقنية والشرعية لاستخدام التقنيات المعلوماتية الحديثة في خدمة السنة النبوية؟

وقد اتبع الباحث أسلوب المسح لأهم مواقع الإنترنت ، والبرمجيات المصممة في خدمة السنة النبوية، مع التعرف على مصادرها، وسبل الإفادة منها، ومن ثم الإجابة عن أسئلة البحث من خلال أربعة مباحث رئيسة:

المبحث الأول: أهمية التقنيات المعلوماتية الحديثة في خدمة السنة النبوية.

المبحث الثاني: أهم المواقع على شبكة المعلومات العالمية التي تخدم السنة النبوية.

المبحث الثالث: البرمجيات الجاهزة المصممة لخدمة السنة النبوية.

المبحث الرابع: الضوابط التقنية والشرعية لاستخدام التقنيات الحديثة في خدمة السنة النبوية.

ثم اختتم الباحث دراسته بأهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

أهمية التقنيات المعلوماتية الحديثة في خدمة السنة النبوية

في ضوء التعرف على أهم مواقع الإنترنت، والبرمجيات المصممة من أجل خدمة السنة النبوية، نجد مدى أهمية تلك التقنيات الحديثة في تحقيق فوائد عدة نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي:

١-توفير الوقت والجهد: حيث يستطيع الباحث التحري والدراسة لأي حديث، فنجد ضمن الموقع التالي (على سبيل المثال): http://hadith.al-islam.com/Loader.aspx?pageid=261

قائمة بالكتب التسعة: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن أبى داود، سنن ابن ماجه، مسند أحمد، موطأ مالك، سنن الدارمي.

وتبدو صفحة الموقع كما بالشكل (١): من موقع الإسلام الدعوى والإرشادي، حيث يتضمن قائمة محتويات كل كتاب، مع بيان تخريج الأحاديث، والأسانيد، فضلاً عن الشروح المتوافرة ومنها: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، صحيح مسلم بشرح النووي، شرح سنن الترمذي، سنن النسائي شرح السيوطي، عون المعبود شروح سنن أبى داود، شرح موطأ مالك، شرح سنن ابن ماجه.

شكل (١): موقع الإسلام الدعوي والإرشادي



وبدون شك فإن استخدام تلك التقنية الحديثة يوفر الوقت في البحث والدراسة والتحصيل، ويتيح الفرصة الأكبر للتركيز في استخلاص المعرفة بدقة .

٢-توظيف الإمكانيات المصاحبة للبرامج في خدمة الباحثين من نسخ وطباعة أي حديث مع الدراية بتخريج الحديث، وترجمة الراوي، والروايات المتعددة، وإلى غير ذلك.

٣-تحميل مئات الكتب، واستعراض الموضوعات المطلوبة في يسر وسهولة.

٤-تقديم السنة النبوية لعامة المسلمين في أي وقت وأي مكان سواء على الحاسوب أو على الموبايل.

٥-التيسير على علماء الحديث النبوي، في مجال الدعوة، والرد على الشبهات.

٦-تقديم الكثير من الحلول في التعرف على بعض المشكلات المرتبطة بالأحاديث الضعيفة، نذكر منها على سبيل المثال: استخدام الأرشفة الإلكترونية في الإفادة من كتاب "السلسلة الضعيفة" للأحاديث الضعيفة للشيخ الألبانيّ –رحمه الله– الذي يمثل إحدى الكتب الهامة في بيان منهج أهل الحديث في نقد متون الحديث، وهى رد الحديث بمخالفته للأصول الشرعية والقواعد المقررة.

وخلاصة القول: إذاكانت الدعوة إلى الله، تتطلب وسائل متنوعة مثل: الخطبة، الموعظة، المحاضرة، المناظرة والحوار، المقالات والكتب، الصحف والمجلات، التلفاز، الشرائط الصوتية، شرائط الفيديو، عقد الندوات والمؤتمرات، فإن استخدام شبكة المعلومات العالمية، ووسائط التخزين المرتبطة بالحاسوب، والجوال، قد أدى إلى بلورة كل ماسبق بطريقة مبهرة، وتحقيق فوائد جمة، من خلال البرمجيات، ووسائل التواصل الحديثة من بريد إلكتروني، والمحادثات المباشرة، التي يمكن تسخيرها في رضا الله سبحانه وتعالى؛ لذا كان استخدام التقنيات المعلوماتية الحديثة يمثل ضرورة للمسلمين من أجل خدمة الدعوة الإسلامية بوجه عام، والسنة النبوية بوجه خاص التي نفهم بها أمور ديننا، وندعو بها غير المسلمين.

وإذا كانت الأرض قد زويت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وطويت، وجمعت له أطرافها، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح: "**إن الله تعالى زوى لي الأرض، حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وأعطاني الكنزين الأحمر والأبيض**" ([1])، وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: "**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر**" ([2]).

فها هي الأرض تزوى وتطوى لورثته وأتباعه وحملة رسالته من جديد بعد أربعة عشر قرناً من بعثته صلى الله عليه وسلم، ليحملوا نور الإسلام إلى كل بقاع الأرض .

المبحث الثاني

أهم المواقع على شبكة المعلومات العالمية التي تخدم السنة النبوية

لقد بذلت الكثير من الشركات المهتمة جهداً طيباً نذكر منها على سبيل المثال: شركة "حرف"، وشركة "تراث"، وغيرهما:www.harf.com & www.turath.com، ومن المواقع الإلكترونية:

١ –موقع شبكة السنة النبوية: http://www.alssunnah.com/main/Default.aspx

٢ –درر السنة: http://www.dorar.net/enc/hadith

٣ –موقع بلغوا عني ولو آية: http://www.balligho.com/، ومزود به ركن تحميل الكتب التالي: http://www.balligho.com/booklets.htm

٤ –موقع البشارة الدعوى يوضح كشف الشبهات عن موقع دائرة المعارف الإسلامية: http://www.albshara.com/showthread.php?t=8322&page=1

٥ –الإسلام والعلم: يوضح أن دائرة المعارف الإسلامية مشبوهة: http://www.islamegy.com/articles/encyclopaedia_of_islam/

٦ –موقع الألوكة –المجلس العلمي– منتدى حواري في العقيدة لأهل السنة:

٧ - http://majles.alukah.net/rules.php

٨ –موقع الإسلام الدعوي والإرشادي:-http://hadith.al-islam.com/Loader.aspx?pageid=261

٩ - شبكة مشكاة الإسلام: http://www.almeshkat.net/books/open.php?cat=37&book=2294

١٠ – عيون: مواقع للسنة النبوية: http://www.eyoon.com/591/594/

---

[1] – الراوي: ثوبان مولى رسول الله المحدث: مسلم ، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: ٢٨٨٩، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

[2] – المحدث: الألباني، المصدر: تحذير الساجد، الصفحة أو الرقم: ١٥٨، خلاصة حكم المحدث: على شرط مسلم وله شاهد على شرط مسلم أيضاً.

١١ -www.hadith.al_islam.com

١٢ – الحديث الشريف على موقع الشبكة الإسلامية: www.islamweb.net

١٣ – تخريج الألباني لكتب السنة النبوية

:http://Arabic.islamicweb.com/books/albani.asp

شكل(٢) يوضح المواقع الفرعية داخل موقع موقع "عيون"



المبحث الثالث

البرمجيات الجاهزة المصممة لخدمة السنة النبوية

١-عرض لبرمجية تتعرف بواسطتها على كل التفصيلات المرتبطة بأي حديث بمجرد كتابة كلمة أو كلمات للتعرف على الحديث النبوي، ويمكن أن نتعرف على ذلك من خلال البرمجية الموضحة على موقع الدرر السنية: http://www.dorar.net/enc/hadith، ويمكن توضيح ذلك من خلال التلميح التالي: عند طباعة أي جزء قد تتذكره في المكان المخصص: مثل كتابة "بني الإسلام على خمس" في مكان البحث، وبمجرد النقر بإدخال البحث، نحصل على الروايات المتعددة، موضحاً فيها: الراوي، والمحدث، والمصدر، والرقم أو الصفحة، خلاصة حكم المحدث، بالإضافة إلى ما سبق يتم توضيح ملخص لعرض النتائج حسب: المصدر، والمحدث، ويتضح ذلك من الشكل(٣) التالي:

شكل (٣): يوضح كيفية البحث فى الموسوعة الحديثية وتيسير الوصول إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم



وأعرض هنا التنبيهات العلمية للموسوعة الحديثية، الواردة بالموقع حيث تم التأكيد على عدة نقاط جوهرية ننصح بقية المواقع باتباع نفس النهج، ليتعرف القارئ على الضوابط المتضمنة أثناء تصفحه للموقع، ومن هذه التنبيهات مايأتي: (وسوف نورد بعضها بالتفصيل لأهمية مراعاة ذلك بالمواقع الإلكترونية الأخرى وفق الأهداف المتوقع تحقيقها) ([٣]):

(١) الموسوعة الحديثية الغرض منها تسهيل الوصول إلى أحكام المحدّثين عن طريق البحث، وتيسير الاستفادة من كتبهم، لا الاستغناء عنها وعن القراءة فيها، فما في الموسوعة الحديثية هو خلاصة أحكامهم دون تفاصيلها.

(٢) الحكم على إسناد الحديث (صحةً أو ضعفاً) أو على رجاله (توثيقاً أو تجريحاً) ليس بالضرورة حكماً نهائياً على متن الحديث، فبعض العلماء يحكم على إسناد ما بالضعف فلا ينبغي أن يعمّم هذا الحكم على الحديث فقد يكون له إسناد آخر نظيف، أو قد يكون لهذا السند الضعيف من الشواهد والمتابعات ما يتقوى بها ويرتقي، وكذلك الحكم على إسناد الحديث بالصحة لا يستلزم صحة الحديث فقد يكون شاذاً أو معللاً.

(٣) اختصرنا أحكام المحدّثين على الأحاديث، واكتفينا بخلاصة حكم المحدّث.

٣- http://www.dorar.net/enc/hadith

(٤)أحيانا نتصرف في كلام المحدّث بما يؤدي معنى كلامه، وذلك في حالة ما إذا طالت عبارته أو لم يصرح بالحكم، بل فُهِم من كلامه على الحديث ونضع تصرفنا بين معقوفين [ ].

(٥) تم التنبيه على ما تراجع عنه بعض المحدّثين من أحكام من التصحيح إلى التضعيف وبالعكس.

(٦) يتم نقل أحكام المحدّثين بأمانة علمية دون تدخل منّا بتغيير الحكم، حتى وإن شذّ المحدّث فانفرد بما لا يُتابع عليه من تصحيح متفق على تضعيفه أو تضعيف متفق على تصحيحه.

(٧) حرصنا على ظهور أحكام المحدّثين حسب وفيّاتهم، الأقدم فالأقدم.

(٨) ليس الغرض من الموسوعة الحديثية جمع الأحاديث النبوية، وإنما بيان أحكام المحدّثين عليها صحةً وضعفاً؛ فلا يدخل فيها إلا حديث قد حكم عليه أحد المحدّثين المعتمدين في الموسوعة.

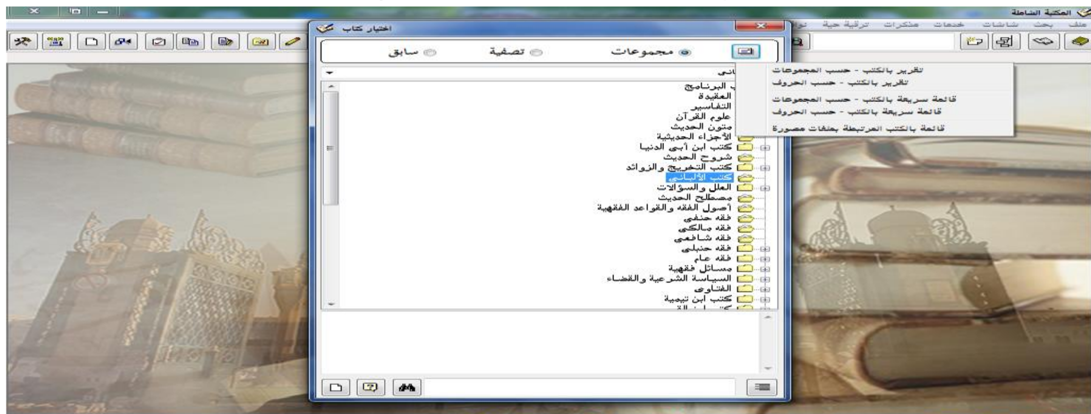
(٩) تشتمل الموسوعة الحديثية على الأحاديث المرفوعة والموقوفة؛ فما ذكر منسوباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو ذكر دون نسبة إلى أحد في الموسوعة فهو المرفوع، وأما الموقوف فنذكر قائله من الصحابة ولا بد، فلا يذكر إلا منسوباً إلى قائله، وبالتالي فإن وضع تلميحات محددة بالموقع، تُعد بمثابة مؤشرات جيدة لعدم الوقوع في تصورات خطأ لبعض المفاهيم العلمية المرتبطة بعلوم الحديث الشريف، ومن البرمجيات الأخرى الجيدة: موقع المكتبة الشاملة: http://shamela.ws/index.php/main

ومن خلال هذه البرمجية يستطيع الباحث الحصول على مميزات متنوعة، نذكر منها على سبيل المثال: سهولة دراسة شرح المتون، وربط المتن بشرحه، وغير ذلك كما يتضح من النوافذ المنسدلة من شاشات البرنامج كما بالشكل (٤) التالي:

شكل (٤) موقع المكتبة الشاملة

وفي شاشة أخرى من البرنامج يتم توضيح: كيفية اختيار كتاب مع إعطاء كافة الإمكانات المرتبطة بإعطاء تقرير بالكتب حسب المجموعات أو حسب ترتيبها أبجديا بالحروف، أو عرض قائمة بالكتب المرتبطة بملفات مصورة، كما يتضح من الشكل (٥):

شكل(٥): توضيح طريقة اختيار كتاب من خلال موقع المكتبة الشاملة



ويتضح من الموقع : http://islamport.com/index2.html كم الكتب والمراجع مثل: كتب متون الحديث، وشروح الحديث، والسيرة النبوية، كتب التخريج، كتب الشيخ الألباني، وغيرها كما يتضح من الشكل (٦) فهى بحق خزانة إلكترونية لمجموعة كتب قيمة، تم إدراجها ضمن موقع الموسوعة الشاملة:

شكل (٦) موقع الموسوعة الشاملة



المبحث الرابع

الضوابط التقنية والشرعية لاستخدام التقنيات الحديثة في خدمة السنة النبوية

في ضوء الكم الهائل من الجهود المبذولة في توظيف التقنيات المعلوماتية الحديثة في خدمة السنة النبوية، ينبغي أن نضع مجموعة من الضوابط الشرعية، والتقنية، نذكرها مندمجة معاً كما يأتي:

١ – التأكيد على كتابة التنبيهات أو التلميحات الضرورية عند استخدام البرمجية أو عند التعامل مع محتوى الموقع الإلكتروني، وذلك فيما يخص كل من: الضوابط الشرعية، وأساليب الإفادة تقنياً من مصدر البحث.

٢ – الدقة في بيان توضيح أسباب تعدد الروايات في متون الحديث ، لذا يُفضّل عند عرض الحديث الشريف باستخدام البرمجيات، أن تتم الإفادة من إمكانيات عرض الروايات المتعددة بطريقة تساعد القارئ على التركيز دون أن يحدث أي ارتباك، فضلاً عن أهمية وجود الإشارات التفصيلية المنظمة لبيان تلك الأسباب، فقد يكون هناك تلميحاً لتوضيح التعدد بسبب سماع الراوي بعض الحديث دون بعض، أو لأجل تعدد سبب النزول أو بسبب التقديم والتأخير، إلى غير ذلك من الأسباب.

٣ – نظراً لوجود بعض الاختلاف في نقد الحديث بين الأصوليين، والمحدثين نتيجة للتباين المنهجي– فإنه يجب مراعاة الدقة العالية في عرض ذلك باستخدام التقنيات الحديثة، بحيث يفهم القارئ بطريقة جيدة، ويتم الاستعانة في ذلك باستخدام الرسوم الشجرية، والتخطيطية الواضحة، وتقسيم شاشات العرض بما يساعد على تركيز القارئ.

٤ -عند التعامل مع المواقع الإلكترونية والمنتديات: يجب توخي الحذر من أخطاء إدخال بعض الحواشي في أصل الكتاب، خاصة عند التعامل مع المنتديات.

٥ -الجمع بين مميزات الشركات المعنية بصناعة البرامج في مجال الحديث الشريف بين الدقة والإمكانيات الكثيرة في البحث وبين الشمولية ومميزات البحث.

٦ -أهمية وجود رقابة رسمية من علماء الحديث على كل من: البرمجيات التي تصدر في الأسواق، والمواقع الإلكترونية، مع المتابعة المستمرة.

٧ -الاستعانة بفرق عمل من المتخصصين في مجال الحاسوب، في عمل الترتيبات اللازمة لمنع اختراق المواقع الإسلامية، مع المتابعة المستمرة.

٨ -الكشف عن المواقع المشبوهة التي تبث أخطاء عن قصد، مع الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتقديم النصح وتوضيح البراهين الواضحة لمن يقع في أخطاء عن غير عمد حفاظاً على السنة النبوية.

٩ -عدم إهمال الكتب الأصلية، حيث أن الاقتصار على هذه البرامج دون الرجوع إلى الكتاب الأصلي يفقد الباحث بعض الفوائد الكثيرة التي كانت تحصل له إذا رجع للكتاب، وبعض الفوائد الجانبية التي يمكن تحقيقها أثناء البحث والمطالعة التي لا تتحقق عن طريق الحاسب فقط.

١٠ -أهمية المراجعة والتدقيق لما يتم الحصول عليه من معلومات من خلال البرامج التي تطرح على المنتديات، والمواقع الإلكترونية بوجه خاص.

١١ -التعامل بذكاء عند إدخال المعلومات المطلوبة في حقل البحث بالمواقع الإلكترونية –للمتخصصين في علم الحديث بوجه عام، وللعامة بوجه خاص– فقد ينتج عنه عدم إظهار البرنامج لها كلياً أو جزئياً لبعضها لأن الحاسب يتعامل مع هذه المعلومات تعاملاً آلياً نتيجة اختلاف البرامج في التعامل مع بعض الكلمات والتعرف عليها، وكيفية إدخالها عند البحث، ومن ثم فقد يؤثر ذلك على التوصل لنتائج غير دقيقة.

١٢ -أهمية التأكيد على العنصر البشرى في العلم والدراسة ، وذلك بسؤال أهل العلم في علوم الحديث، وألاّ نجعل أستاذنا الوحيد متمثلاً في الكتب الإلكترونية ،والبرمجيات والمواقع الإلكترونية.

١٣ -الحذر من المواقع المشبوهة: مثل:

١٤ -موقع منكري السنة: http://members.aol.lom/sharifkhan/islam.htm

١٥ -موقع أتباع د.رشاد خليفة: http://www.moslem.org

١٦ -دائرة المعارف الإسلامية Encyclopaedia of Islam التي تصدر عن دار نشر هولندية تسمى بريل BRILL، وكانت أول طبعة قد ظهرت بين عامي: ١٩١٣ و١٩٣٨ بلغات عدة ثم ظهرت نسخ مختصرة منها عام ١٩٥٣، ثم بدأ العمل في الطبعة الثانية عام ١٩٥٤ واكتملت عام ٢٠٠٥، وقد ذكر ستيفن همفري Stephen Humphreys أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة كاليفورنيا في كتابه"

"التاريخ الإسلامي" ما يأتي: "دائرة المعارف الإسلامية مؤلفة بالكامل من قبل باحثين أوروبيين وهي لا تعبر إلا عن النظرة والمفهوم الأوروبي للحضارة الإسلامية، وتناقض هذه المفاهيم وتختلف اختلافا كبيرا عن المفاهيم التي يؤمن بها ويتبعها المسلمون أنفسهم".

وقد توصل الباحث إلى نتائج عدة منها:

- إن للتقنيات المعلوماتية الحديثة فوائد متعددة للدعاة، وعامة المسلمين في التعرف السهل والسريع على السنة النبوية.
- وجود جهود متعددة ومتنوعة في إعداد البرمجيات الجاهزة (باستخدام الحاسوب، والجوال)، والمواقع الموجودة على شبكة المعلومات العالمية.

وأوصت الدراسة بأهمية تنمية الوعي بالإفادة من البرمجيات والمواقع الموجودة على الإنترنت في مجال الدعوة الإسلامية، وخدمة السنة النبوية، بالإضافة إلى أهمية وجود فرق عمل على المستوى التقني والشرعي لمتابعة المواقع والبرمجيات التي تنشر على الانترنت، لضمان صحتها وعدم الوقوع في أخطاء لغوية أو مطبعية أو شرعية، بالإضافة إلى التحذير من المواقع المشبوهة التي تبث أخطاء عن عمد، ومن جهة أخرى يوصى الباحث بعمل مشروع موحد إلكترونيا لكافة الجهود المبذولة والموجودة على الساحة الإلكترونية.

استخدام التقنيات المعاصرة في مجال التخريج ودراسة الأسانيد

(نماذج تطبيقية)

د. غادة عبد اللطيف عبد العزيز الحليبيّ

أستاذ مساعد في الحديث وعلومه

كلية الآداب بجامعة الملك فيصل

السعودية

best.modern@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فسبحان الله العلي القدير الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وسخر له الأسباب ليصل بها إلى ما يطمح إليه ويأمل؛ ثم إن من الأسباب التي سخرها لنا سبحانه هذه التقنيات الحديثة المعاصرة كالإنترنت والكمبيوتر، وغيرهما من التقنيات التي كان لها دور بارز في التطور والتقدم العلمي؛ ومن العلوم التي انتفعت من هذه التقنيات علم الحديث الشريف؛ وتتجلى الاستفادة من التقنيات في استخدامها لتخريج الأحاديث ودراسة أسانيدها ليتبين للباحث حال هذه الأحاديث ويتوصل للحكم الصائب عليها بأيسر الطرق وأسرع وقت؛ فبينما كان تخريج الحديث الواحد يستغرق وقتاً كبيراً؛ حيث أنه عليه أن يقرأ في مظنات الكتب التي قد تكون أخرجت هذا الحديث، وقد لا يكون موجوداً فيها؛ بينما نجد هذه المجلدات الحاسوبية تختصر الوقت والجهد لمعرفة مواضع هذا الحديث فيستطيع بكل يسر وسهولة معرفة الكتب التي أخرجته، وكذلك الحال في ترجمة الرواة، فالحمد لله على هذه النعمة.

وقد أردت في هذا البحث أن أبين دور التقنيات الحديثة بأنواعها في تسهيل البحث، وكيف تسخر لخدمة السنة النبوية، ولخدمة من أراد أن يتشرف بالبحث في هذا العلم الشريف، وذلك عن طريق توضيح طريقة استخدام بعض هذه البرامج المتوفرة حالياً،هذا وقد قسمته على النحو الآتي:

القسم الأول: أنواع التقنيات الحديثة وطرق استخدامها، وفيه مباحث:

المبحث الأول: الإنترنت.

المبحث الثاني: الأشرطة والأقراص.

المبحث الثالث: الملفات الإلكترونية.

المبحث الرابع: البرامج الحاسوبية.

القسم الثاني: استخدام التقنية في مجال تخريج الأحاديث، ودراسة الأسانيد:

المبحث الأول: تخريج الأحاديث باستخدام البرامج الحاسوبية (أمثلة تطبيقية توضيحية).

المبحث الثاني: دراسة الأسانيد باستخدام البرامج الحاسوبية (أمثلة تطبيقية توضيحية).

المبحث الثالث: عيوب استخدام التقنية وكيفية تجنبها.

الخاتمة: وفيها النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

القسم الأول

أنواع التقنيات الحديثة وطرق استخدامها، وفيه مباحث:

المبحث الأول: الإنترنت

تم اشتقاق مصطلح الإنترنت من المصطلح الإنجليزي: (International Network) الذي يعني الشبكة العالمية، وهي شبكة عالمية تربط العالم ببعضه كقرية صغيرة باستخدام الحاسب أو أجهزة الاتصالات التي يدخل في تكوينها الحاسب وتقدم هذه الشبكة الكثير من الخدمات.

أبرز خدمات الانترنت:

أولاً: خدمة البريد الالكتروني: (E-mail): وهو عبارة عن برنامج لتبادل الرسائل والوثائق باستخدام الحاسب من خلال شبكة الانترنت، ويشير العديد من الباحثين إلى أن البريد الالكتروني من أكثر خدمات الانترنت استخداماً ويرجع ذلك إلى سهولته[١].

سلبيات البريد الالكتروني:

١- احتمال وجود خطأ في الاسم مما يسبب ارتداد الرسالة وعودتها مرة أخرى للمرسل.

٢- وجود عيب أو مشكلة في نظام الخدمة مثل أن يكون النظام معطلاً أو توجد مشكلة في برنامج فحص العناوين، أو أن الشخص الذي توجه إليه الرسالة لم يفرغ محتويات صندوقه البريدي فلم يصبح للرسالة مكان في بريده الممتلئ بالرسائل وبالتالي ترتد مرة أخرى[٢].

ثانياً: خدمة الجوفر: عبارة عن مجموعة برمجيات خاصة بالتصفح التفاعلي المعتمد على قوائم الاختيار، ومن خلاله يستطيع المستفيد استرجاع أي ملف أو قائمة اختيار يحتاجها، ومن مميزاته أنه يلغي الحدود الفاصلة بين الحاسبات، ويجعل المعلومات المتاحة وكأنها جزء من منظومة واحدة.

ثالثاً: شبكة الويب العالمية: وتدعى WWW وهو اختصار لجملة: (world wide web) وتعني الشبكة العالمية الموسعة[٣]، وهي مجموعة هائلة من وثائق النص المترابط: (hypertext) التي ترتبط ببعضها على الإنترنت.

وتسمح شبكة الويب العالمية لبرنامج مُستعرِض الويب بنقل جميع أنواع المعلومات من برامج، وأخبار، وأصوات، وصور، وفيديو، إضافة إلى النصوص، باستخدام الماوس أو لوحة المفاتيح، وتُعرض هذه المعلومات في موقع الويب (Website) الذي يظهر على شاشة المستخدم.

الخدمات التي تتيحها هذه الشبكة:

أولاً: الفهارس: قائمة بالكتب وغيرها من المواد المكتبية مرتبة وفق نظام معين أو قائمة تسجل وتصنّف وتكشف مقتنيات مجموعة معينة أو مكتبة معينة أو مجموعة مكتبات"، ويعد الفهرس مفتاح المكتبة ودليلها الذي يحدد أماكن المواد المكتبية المختلفة على رفوف المكتبة، وإذا كانت وظيفة المكتبة هي توفير المواد المكتبية للقارئ فإن الفهرس هو تلك الأداة التي تقوم بدور حلقة الوصل بين القارئ والمواد المكتبية المتوفرة له على رفوف المكتبة وفي أقسامها المختلفة.

ومثال ذلك ما في موقع جامعة الملك فيصل من فهارس ومحركات بحث وهي كالآتي[٤]:

---

[١] الانترنت في خدمة الإسلام ، عبد المنعم حسن النهدي (ص٦٥) جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.

[٢] الدليل العلمي لاستخدام الانترنت، بهاء شاهين (١٣٢- ١٣٥)، مراجعة: محمد أبو العطاء، العربية لعلوم الحاسب، مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

[٣] مقدمة في الحاسب والانترنت، أ.د. عبد الله بن عبد العزيز الموسى (ص/٣٢، ٣٣)، الطبعة الخامسة: ١٤٢٨هـ، المملكة العربية السعودية.

[٤] http://www.kfu.edu.sa/ar/Deans/Library/Pages/SearchEnjine.aspx



أنواع الفهارس:

١- **الفهارس المحوسبة:** وتكون على شكل صفحات كتاب مخزنة على الحاسوب بحيث تكون بمثابة مخزن لمعلومات الفهرس ويمكن إظهار تلك المعلومات على الشاشة بنفس شكلها وتسلسلها.

٢- **استخدام الفهارس العالمية على الخط المباشر:** تتيح شبكات المعلومات أو النظم الآلية الفرصة لكل مكتبة الاتصال المباشر بالقواعد الببليوجرافية التي لديها والتي تضم عادة ملايين التسجيلات تمكن الباحث من الحصول على المعلومات المطلوبة بسرعة وشمولية وبشكل مطبوع أيضاً، ويمتاز هذا الشكل عن غيره بأنه كامل المرونة سهل التحديث.

٣- **فهارس مصادر الإنترنت أو البوابات الموضوعية:** تمثل الأدوات النسقية التي توفر مصادر معلومات مصنفة حسب مجموعة من التنسيقات الموضوعية التي تقيّم وتراجع محتوياتها من قبل مجموعة من الخبراء المتخصصين موضوعياً.

والبوابة في صورتها النموذجية هي عبارة عن قاعدة بيانات تشتمل على تسجيلات مفصلة لما وراء البيانات (detailed metadata records) حيث تقوم بوصف مصادر الانترنت وتوفر الرابطة الفائقة (links) لهذه المصادر؛ وللمستفيد الخيار بين البحث في قاعدة البيانات بواسطة الكلمات المفتاحية، أو تصفح المصادر تحت رؤوس موضوعاتها[١].

ثانياً: قواعد البيانات: نستطيع أن نُعرّف قاعدة البيانات بأنها مجموعة من البيانات المنظمة، التي يمكن الوصول إلى محتوياتها، وإدارتها، وتحديثها، بسهولة، وهي مجموعة من التسجيلات أو القيود (Records) يشار إليها باسم الملف (File) وتتكون قاعدة البيانات عادة من ملف واحد أو أكثر، ويسميها البعض قاعدة المعلومات مجازاً، وقاعدة البيانات التي تصمم أو تستأجر أو تشترى أو يستعان بها من جهات تعاونية مختلفة عبارة عن مجموعة منظمة من بيانات ومعلومات مرتبطة مع بعضها بنسق معين، بغرض تأمين حاجات محددة من متطلبات المستفيدين، **وسأتحدث هنا عن المكتبة الالكترونية بموقع جامعة الملك فيصل: http://www.kfu.edu.sa/ar/Deans/Library/Pages/elibrary.aspx فهي تشتمل على** مجموعة كبيرة من الأوعية المعرفية الإلكترونية وبأشكال وهيئات وصيغ مختلفة بهدف دفع العملية التعليمية بكل ما هو متطور ومناسب، **وهي على النحو الآتي**[٢]:

---

[١] الاتجاهات الحديثة في الفهرسة الموضوعية والتكشيف، رفل نزار (ص/٢٦) جامعة الموصل، العراق.

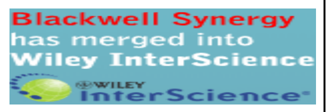
[٢] http://www.kfu.edu.sa/ar/Deans/Library/Pages/elibrary.aspx



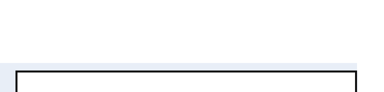
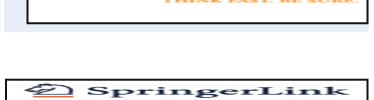
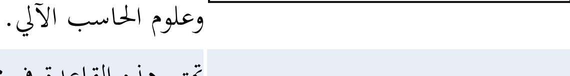
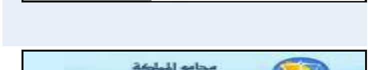
وقواعد المعلومات في جامعة الملك فيصل تحوي على الآتي[1]:



وتحت كل نوع من هذه القواعد قواعد متعددة ؛ فمثلاً يندرج تحت قواعد العلوم الإنسانية الآتي[2]:

	قاعدة علمية تهتم في مجالات العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية والطب .
	موقع يهتم بمجالات عديدة (ويشمل ٣ قواعد).
	قاعدة تهتم بمجالات عديدة (علوم الطب – إحياء – زراعة – تربية).
	قاعدة معلومات الأبحاث السعودية (قبس) التي تشرف عليها مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.
	قاعدة علمية تشمل معظم أنواع المعرفة.
CAMBRIDGE	قاعدة معلومات تحتوي ٢٠٠ مجلة في مجال العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية

[1] http://www.kfu.edu.sa/ar/Deans/Library/Pages/it.aspx
[2] http://www.kfu.edu.sa/ar/Deans/Library/Pages/it_3.aspx

	والعلوم الإنسانية.
Emerald	قاعدة معلومات تحتوي على على أكثر من ١٧٠ دوريه مختلفة في العلوم الإدارية وتقنية المعلومات والهندسة.
	قاعدة تهتم بمجالات عديدة (علوم الطب – إحياء – زراعة – تربية).
	قاعدة تحتوي على أكثر من ١٧٠٠ مجلة طبية وتقنية وعلمية و أكثر من ٤٠ مليون ملخّص من المقالات العلمية المتنوعة.
	الأعداد السابقة لـ ٣٠٠مجلة علمية في ٢٤تخصص, توفر الملخصات والنص الكامل.
	تحتوي على ١٠٠ قاعدة بيانات ذات نص كامل في مجال العلوم الطبيعة، العلوم الاجتماعية، العلوم الإنسانية والفنون, والعلوم التقنية.
	تهتم هذه القاعدة في مجال التخصصات العلمية والطبية والتقنية. كما وتتيح هذه القاعدة خدمة (PDA).
	قاعدة متنوعة تهتم في مجالات عديدة منها العلوم الإنسانية والطبيعية والهندسية وعلوم الحاسب الآلي.
	تهتم هذه القاعدة في مجلات عديدة من المعرفة كالعلوم الطبيعية – علوم الحاسب الآلي – الهندسة – القانون – العلوم الاجتماعية والإنسانية .
موسوعة الأنظمة السعودية	موسوعة الأنظمة السعودية– تهتم بمجالات القانون والأنظمة .

مميزات برنامج قواعد البيانات:

١- يتيح البحث في جميع قواعد المعلومات الإلكترونية بالمكتبة المركزية بخطوة واحدة من داخل الجامعة ومن خارجها في أي مكان في العالم باسم المستخدم ورقمه السري.

٢- يتيح التصفح في الدوريات والكتب الالكترونية بطريقة أبجدية أو حسب الموضوع.

٣- يتيح التعرف على الترتيب العالمي للدوريات.

رابعاً: المؤتمرات الصوتية (Audio Conferences): وهي تقنية إلكترونية تعتمد على الانترنت وتستخدم هاتفاً عادياً وآلية المحادثة على هيئة خطوط هاتفية توصل المتحدث (المحاضر) بعدد من المستقبلين (الطلاب) في أماكن متفرقة.

خامساً: مؤتمرات الفيديو (Video Conferences): وهي المؤتمرات التي يتم التواصل من خلالها بين أفراد تفصل بينهم مسافة من خلال شبكة تلفزيونية عالية القدرة عن طريق الانترنت ويستطيع كل فرد متواجد أن يرى المتحدث، كما يمكنه أن يتوجه بأسئلة استفسارية وإجراء حوارات مع المتحدث (أي توفير

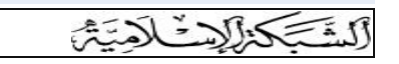
عملية التفاعل) وتمكن هذه التقنية من نقل المؤتمرات المرئية المسموعة (صورة وصوت) في تحقيق أهداف التعليم عن بعد وتسهل عمليات الاتصال بين مؤسسات التعليم.

سادساً: مواقع المعلومات المتاحة على الانترنت: عبارة عن معلومات نسقية تتبع جهة ما لتحقيق أهداف معينة لها وهذه المعلومات يتم توليفها ووضعها في قالب معين وتحمّل على حاسب خادم متصل بالانترنت وله اسم فريد عليها وتقدم عن طريق أحد تطبيقات تقديم المعلومات عبر أساليب الإتاحة المختلفة مثل أدوات البحث التي تكشف مواقع الانترنت بغرض الإتاحة عن طريق البحث بالكلمات الدالة؛ ومن هذه المواقع شبكة المكتبات المصرية بالعربية والإنجليزية.

ومثاله في العقائد وعلوم القرآن والحديث، وعلوم الفقه الإسلامي، والعلوم الأخر: موقع الموسوعة الشاملة: http://www.islamport.com/، ومن ذلك أيضاً ما هو موجود في موقع جامعة الملك فيصل تحت عنوان: (موسوعات وكتب) ويشتمل على ما يأتي[١]:



وتحت موسوعات كتب عربية توجد البرامج الآتية[٢]:

	تشتمل النسخة الكاملة من الموسوعة على ٢٤,٠٠٠ عنوان رئيسي و ١٥٠,٠٠٠ عنوان فرعي و ٢٠,٠٠٠ صورة وخريطة وإيضاح و ٥٠٠ لقطة فيديو وتسجيل تعليمي ومعجم عربي/ انجليزي، انجليزي/عربي بالعناوين الرئيسية، وتصنيف بالمواضيع الرئيسية، ومحرك بحث متعدد الخصائص.
	 يحتوي هذا الموقع على مجموعة هامة من الكتب الإسلامية المتنوعة.
	يحتوي هذا الموقع على حوالي مليون ورقة من كتب التراث والأدب وهي مقسمة إلى ستة عشر قسما (كتب الحديث ، كتب التراجم , كتب الطب , كتب تفسير الأحلام .... وغيرها) ويتطلب تصفح الموقع التسجيل المجاني فيه.
	يحتوي هذا الموقع على كتب (الفقه , العقيدة, الحديث ...) وكتب التاريخ

[١] http://www.kfu.edu.sa/ar/Deans/Library/Pages/books.aspx
[٢] http://www.kfu.edu.sa/ar/Deans/Library/Pages/books_1.aspx

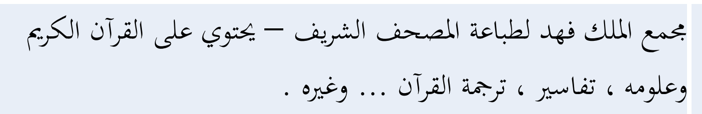
الإسلامي والتراجم والثقافة العامة.



يتضمن هذا الموقع المراجع الإسلامية (قرآن، حديث، فقه، قواميس) .

يحتوي الموقع على مكتبة تغطي معظم العلوم الإسلامية (أركان الإسلام , القرآن , الحديث , الفقه , القاموس الإسلامي , الفتاوى الاقتصادية , السيرة النبوية , التاريخ الإسلامي)





مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – يحتوي على القرآن الكريم وعلومه ، تفاسير ، ترجمة القرآن ... وغيره .



يهتم هذا الموقع بتطوير مصادر المعلومات الإسلامية على وسائل الكترونية ، ويحتوي على مجموعة من الروابط الهامة في(التفسير والحديث والفقه .. (

وفي المكتبة الرقمية يوجد برنامج الجامع نت ويشتمل على الخدمات الآتية:

١- يحتوي على أمهات الكتب والمراجع في مجالات شتى ضمت ١٧٧٦ عنوان كتاب.

٢- من أهم خدمات الجامع نت هو التوثيق بالجزء والصفحة للنصوص في مراجعها الأصلية، وهذا سيساعد الباحث على توثيق المعلومة من مصادرها الأصلية.

٣- السرعة ودقة البحث: لقد مكن "الجامع نت" مستخدميه من اختزال الزمان كما اختزلت الحيز والمكان، وحولت البحث إلى دقائق معدودة بدلا من أيام وشهور ممدودة.

٤- وجود منتدى الجامع نت للحوار والمناقشات الرصينة التي تستوعب الرأي والرأي الآخر.

٥- خدمة التفسير: تستطيع معرفة تفسير أي آية من كتاب الله عز وجل وذلك باختيار السورة ومن ثم الآية وبالتالي يظهر قائمة بالتفاسير حيث تختار التفسير فيتم ظهور تفسير الآية المرادة وكل ذلك بسهولة ويسر.

٦- خدمة التخريج: تستطيع معرفة تخريج أي حديث عن طريق اختيار الطرف يوجد خاصية البحث في الأطراف ثم بعد اختيار طرف الحديث يظهر حكم الحديث وقائمة بالطرق وعرض الحديث في مكانه في الكتاب.

٧- خدمة المقارنة: تستطيع المقارنة بين الكتابين عن طريق اختيار العرض ثم الكتاب.

٨- تستطيع تحديد مكتبتك الخاصة والمفضلة من ضمن ١٧٧٦ عنوان كتاب للرجوع لها مباشرة دون البحث في كل المراجع.

٩- يمكنك من حفظ ملاحظاتك والرجوع إليها في أي مكان وزمان بدلاً من القصاصات الورقية والكتابة على الكتاب الأصلي.

١٠- يمكنك حفظ تعليقاتك على أي كتاب من كتب "الجامع نت" والرجوع لها.

١١- إمكانية طباعة أكثر من صفحة من الكتاب[١].

المبحث الثاني: الأشرطة والأقراص

الأشرطة والأقراص: هي أنواع مختلفة حسب طريقة استخدامها ، وكمية البيانات التي بإمكانها تخزينها:

١- الأشرطة الممغنطة: وهي أشبه بشريط الكاسيت العادي عبارة عن مادة بلاستيكية مرنة ممكن مغنطتها والتسجيل عليها بالطريقة الثنائية، ولكن عيبها أن المعلومات تخزن عليها بشكل تتابعي، معلومة تلو الأخرى، أي إذا أردت الوصول إلى معلومة معينة يجب أن تبحث في جميع المعلومات التي تسبقها لذلك فهو بطيء في الوصل للمعلومات واستعمالاته قليلة.

٢- الأقراص الممغنطة أو المدمجة: إن واسطة التخزين هذه تكون بشكل دائري على شكل قرص وهي أيضا عبارة عن مادة بلاستيكية قابلة للمغنطة مثلها مثل الأشرطة المغناطيسية ويعتبر أسرع انتشارا[٢]، وهو أنواع:

أ- الأقراص الصلبة: يتم تثبيت هذه الأقراص داخل صندوق الجهاز، وتتميز بسرعة تخزين كبيرة جداً، وهي أكبر وحدات التخزين حجماً وتكلفة مادية.

ب- الأقراص المرنة: هي عبارة عن أقراص صغيرة الحجم وخفيفة الوزن وتتم عملية التخزين على قرص مغناطيسي يقاس حجمه بوحدة البوصة، وسعة هذا القرص تعتبر صغيرة نسبيا بالنسبة لسعة الأقراص الصلبة ، وتتميز بأنها أقل الأقراص تكلفة مادية.

ج- الأقراص الضوئية: مثل أقراص cd-rom: وهو قرص ضوئي قابل للقراءة عليه، والكتابة عليه لمرة واحدة فقط، وأقراص cd-rw وهي أقراص قابلة للكتابة وإعادة الكتابة مرات عدة، والأقراص الضوئية أسرع في تداول البيانات من القرص المرن وأقل سرعة من القرص الصلب[٣].

ومن الأقراص التي يمكن الاستفادة منها في التخريج ودراسة الأسانيد "المكتبة الألفية" التابعة لشركة التراث ولها إيجابيات كثيرة منها تسهيل الوصول إلى الكثير من الكتب والتي قد لا تتوافر لأي طالب علم في مكتبات متعددة، ومن سلبياتها البارزة قصور في نصوص بعضها ونقص معلومات الناشر والطباعة، وكذا عدم الإلمام بالكتب جميعها وخاصة ما كان حديثا منها.

المبحث الثالث: الملفات الإلكترونية

الملفات المنشأة باستخدام تطبيقات الحاسب مثل: (مستندات النصوص) والتي حلت محل العمل اليدوي في عصر تقنية المعلومات، مثل ملفات (pdf)، ومن إيجابياتها:

١- التقليل من مصروفات الطباعة المكلفة بالاستغناء بها عن المطبوع.

---

١ http://www.aljamea.net/index.php?view=services

٢ مقدمة في الحاسب والانترنت (ص/١٧) .

٣ .http://www.alriyadh.com/2006/05/11/article153456.html

٢- سهولة إرسال الملفات وتبادلها باستخدام شبكة الانترنت في غضون ثوان وذلك بعكس المطبوعات التي تحتاج إلى إرسالها بواسطة البريد العادي أو الخاص مما يستغرق وقت وتكلفة مادية.

٣- سهولة الإطلاع على محتوى الملفات وتصفحها كما يمكن استخدام خاصية البحث للوصول إلى النقطة المطلوبة في ثواني معدودة، على العكس من استخدام الكتاب المطبوع فقد تهدر الكثير من الوقت للبحث عن كلمة أو موضوع معين[١].

المبحث الرابع: البرامج الحاسوبية

هي التي تستخدم لتشغيل الأجهزة ويعد البرنامج جزءاً أو نوعاً من نسق تكنولوجيا المعلومات وهو يمثل مجموعة من الأوامر التي يتم وضعها في ذاكرة الحاسب فيقوم بتنفيذها[٢].

مثل برنامج الجامع الكبير، ومميزات هذا البرنامج:

١- استخدام تقنية تعدد البحث والتصفح؛ تنفيذ أكثر من بحث في آن واحد بمجالات بحث مختلفة، وفتح عدة كتب في آن واحد.

٢- يشتمل على موسوعة تفسير قرآني وربط الآية بأمهات كتب التفسير.

٣- يشتمل على موسوعة أحكام العلماء على الحديث.

٤- يشتمل على موسوعة التراجم والأعلام.

٥- إمكانية إضافة تعليقات الباحث النصية.

٦- مرونة النسخ والطباعة مع ذكر المصدر.

٧- البحث بالمعاجم والبحث الموضوعي.

٨- دقة عالية في البحث.

٩- تدقيق وتحقيق كتب في علم الحديث النبوي الشريف والكثير من الكتب الأخرى.

١٠- تدقيق وتشكيل مئات المجلدات.

١١- توفير خدمة ربط ملفات صوتية أو مخطوطات مع المرجع.

١٢- حرية تصفح الكتاب صفحة صفحة أو زيادة عدد صفحات العرض على المتصفح.

١٣- يعتبر أضخم عمل موسوعي في التاريخ الإسلامي لاحتوائه على ١٨٠٠ عنوان كتاب، تضم الآف المجلدات وملايين الصفحات موثقة بالعزو إلى الطبعة المستخدمة حسب الجزء والصفحة وبذلك يعد مصدراً علمياً موثقاً يمكن للباحث الاعتماد عليه في أبحاثه ودراساته.

١٤- توفير الوقت والمال والجهد والمساحة التخزينية.

---

[١] مقدمة في الحاسب والانترنت (ص/٤٢-٤٣).

[٢] الحاسبات الآلية والعلوم الإنسانية الاستخدام والفوائد والمحاذير، أيمن محمود يعقوب (ص/٤١) مكتبة الشقرى، الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٢٤هـ.

١٥- أنه بمثابة مكتبة متنقلة تمكن الباحث من نقلها إلى أي مكان في العالم ليتمكن من مواصلة إعداد أبحاثه ودراساته دون خوف عدم الحصول على مصدر ما[١].

القسم الثاني

استخدام التقنية في مجال تخريج الأحاديث، ودراسة الأسانيد:

المبحث الأول: تخريج الأحاديث باستخدام البرامج الحاسوبية(أمثلة تطبيقية توضيحية).

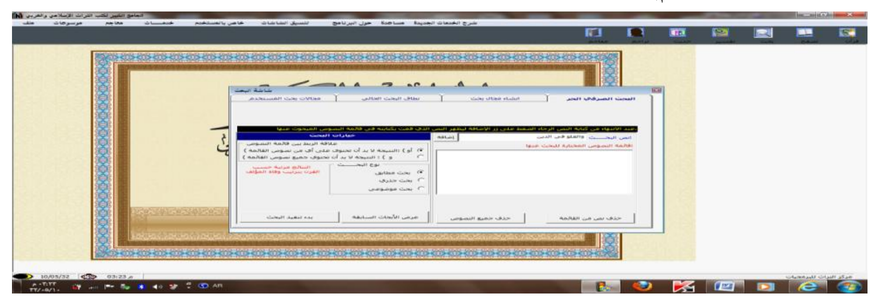
سأذكر هنا برنامج الجامع الكبير للتراث الإسلامي والعربي كمثال تطبيقي:



شرح مبسط لخدمات الجامع الكبير وطريقة الاستفادة منها:

في الصفحة الرئيسة توجد أيقونات أعلى الصفحة منها تصفح ومن هذه الصفحة تستطيع أن تختار الكتاب الذي تريد تصفحه وتفتح عليه، فإن كنت تبحث عن حديث معين تضع كلمة من هذا الحديث الذي تبحث عنه فيحضر لك الصفحة التي توجد بها هذه الكلمة، هذا في حال كنت تريد أن تخرج الحديث من كتاب بعينه.

أما في خانة البحث وهي في الأيقونة التي تلي أيقونة التصفح يمكن الباحث البحث عن الحديث الذي يريد أن يخرجه من كافة الكتب المخزنة في الجامع، ويمكنه تحديد نطاق البحث أيضاً من خانة (إنشاء مجال البحث) إذا أراد ذلك، ويمكنه أيضاً ترتيب نتائج البحث من خانة (نطاق البحث الحالي)، وتحديد مجالات البحث من خلال خانة (مجالات بحث المستخدم):



أولاً: إنشاء مجال البحث: ويتم عن طريق النقر على خانة إنشاء مجال بحث، وبعد النقر عليها تظهر أسماء الكتب مصنفة بالشكل الآتي:

[١] /http://www.turath.com/ar .



ثم بإمكان الباحث تحديد الكتب التي يرغب البحث فيها وحفظها تحت مسمى معين ويستطيع أن يحفظ أكثر من مجال وفي كل مجال يحدد الكتب التي تندرج تحت هذا المجال.

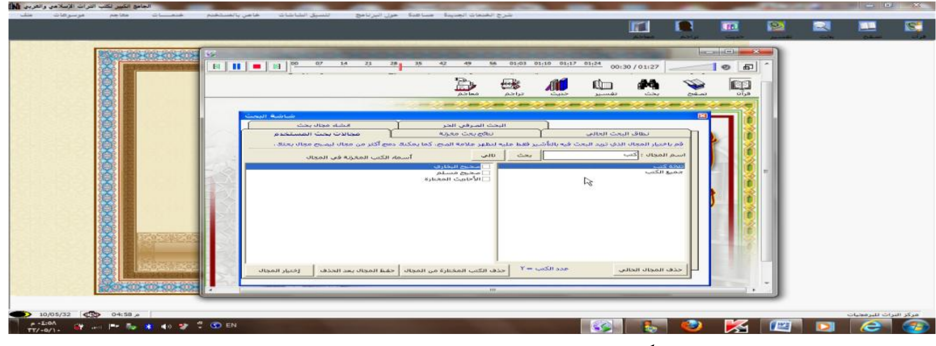


ثانياً: **ترتيب نتائج البحث**: ويكون ذلك من خلال أيقونة نطاق البحث الحالي وتتيح هذه الأيقونة خيارات عدة لترتيب النتائج على النحو الآتي: (حروف الهجاء، وفاة المؤلف، اسم المؤلف، التصنيف الموضوعي):



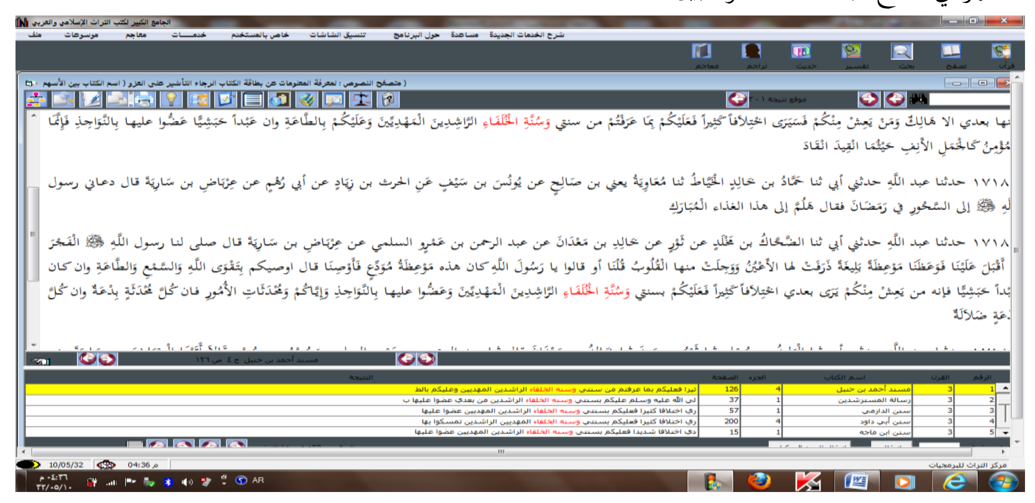
وبعد تحديد طريقة الترتيب للنتائج التي يرغب فيها الباحث ينقر على خانة تخزين المجال، وبذلك تكون النتائج مرتبة حسب رغبته.

ثالثاً: **مجالات بحث المستخدم**: فبعد أن أنشأ الباحث مجالات محددة ومسماه من قبله وفي كل مجال مجموعة من الكتب حسب التصنيف الذي يراه هو يستطيع من خلال هذه الخانة أن يختار المجال الذي يرغب البحث فيه، وبذلك يكون بحثه محدد النطاق ويسهل عليه الإطلاع على النتائج بحيث لا يدخل فيها كتب لا علاقة لها بموضوع بحثه وفي ذلك اختصار للوقت وللجهد.

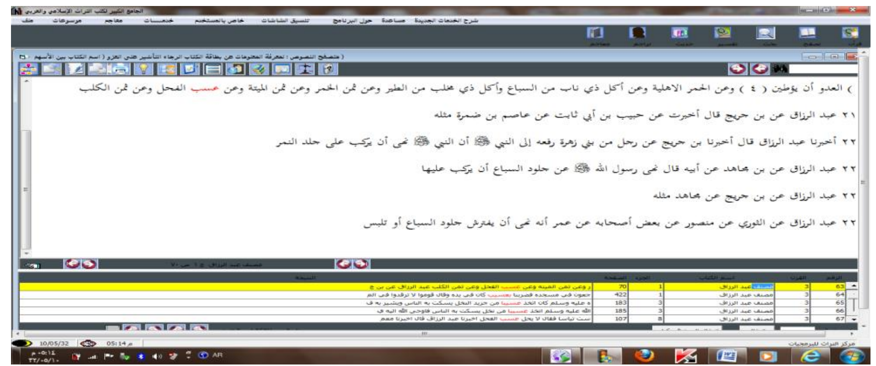


طريقة التخريج من الجامع الكبير:

باستخدام خانة البحث يمكن الباحث تخريج الحديث الذي يريده من الكتب التي يرغب التخريج منها بعد أن حدد المجال الذي يريد البحث فيه فيضع كلمة أو أكثر من الحديث في خانة نص البحث ثم يختار خانة (بحث مطابق) في حالة كونه يريد تخريج الكلمة أو العبارة نفسها بنفس شكلها دون اختلاف ، فمثلا لو كنت أبحث عن لفظ (وسنة الخلفاء) وأنا أريد هذا اللفظ بالذات؛ أضعه في خانة البحث وأختار (بحث مطابق) ثم أنقر على بدء البحث فتظهر لي نتائج البحث كما هو مبين هنا:

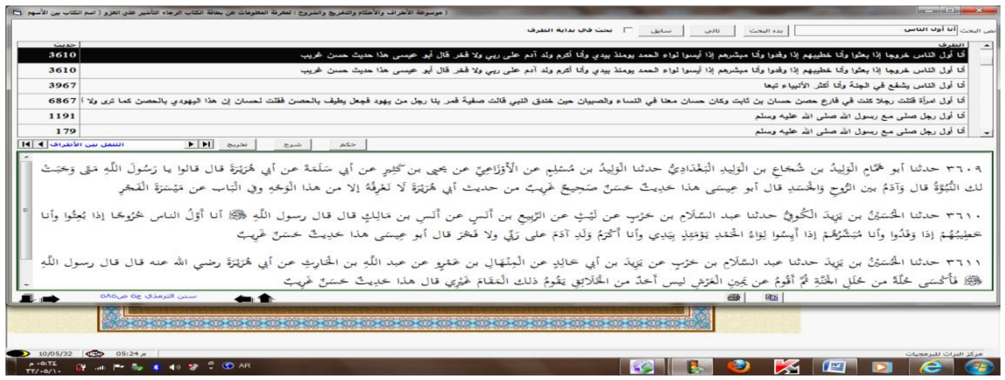


وفي حال رغبة الباحث البحث عن كلمة بكافة اشتقاقها لتغير اللفظ من رواية لأخرى فيختار (بحث جذري) مثال: إذا كان الباحث يبحث عن كلمة (عسيب) ويريدها بشتى اشتقاقها ليرى كيف وردت في النصوص فيختار (بحث جذري) فسترى النتائج كما في الصورة الآتية:



وكل ما كانت الكلمة المختارة للبحث عن الحديث مما يقل ويندر على الألسنة كان البحث في النتائج أسهل واستبعدنا النتائج التي ليس لها علاقة بالموضوع المراد البحث فيه.

وهناك طريقة أخرى للتخريج يمكن أن يستخدمها الباحث وذلك إذا كان لديه طرف الحديث من خانة (حديث) في أعلى الصفحة الرئيسية للجامع، فبعد النقر عليها تظهر صفحة وفيها مكان لكتابة نص البحث وليكون طرف الحديث مثلاً (أنا أول الناس) فتكتب الجملة ثم تنقر على بدء البحث فتظهر النتائج كالآتي:



وفي هذه الصفحة ثلاث أيقونات وهي (حكم، شرح، تخريج) فتستطيع أن تحدد النص الذي ظهر لك بعد هذا البحث والذي يكون مظلل بالأسود عند النقر عليه وبالنقر على إحدى هذه الخانات تحصل على ما تريده فخانة حكم مثلا تبين لك ما قاله العلماء في الحكم على هذا الحديث على النحو الآتي:



وعند النقر على خانة شرح يأتيك شرح الحديث فمثلا الحديث هنا في سنن الترمذي فنجده يحضر لنا شرح الحديث من كتاب (تحفة الأحوذي) على النحو الآتي:

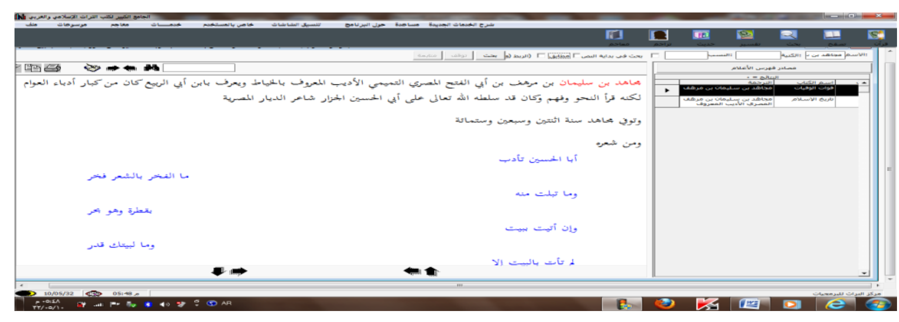


وعند النقر على خانة التخريج لطرف حديث مثل (أنا أول رجل صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) يحضر المواضع التي أخرج فيها الحديث وذلك على النحو الآتي:



المبحث الثاني: دراسة الأسانيد باستخدام البرامج الحاسوبية (أمثلة تطبيقية توضيحية).

سأدرس هنا طريقة دراسة الأسانيد باستخدام برنامج الجامع الكبير؛ حيث يوجد خانة (تراجم) في الصفحة الرئيسية ويمكن من خلالها البحث عن الراوي فتظهر لنا كتب التراجم التي ترجمت لهذا الراوي ومن خلالها يعرف الباحث حال الراوي ويحكم عليه، فمثلاً أن كنت أبحث عن راوي اسمه (مجاهد بن سليمان) أكتب في خانة الاسم، ثم انقر على خانة البحث:



المبحث الثالث: عيوب استخدام التقنية وكيفية تجنبها.

هناك عيوب في استخدام البرامج الحاسوبية مثل الجامع الكبير، وغيره من البرامج إذا لم يكن الباحث حذر ودقيق أثناء استخدامها سيقع في الخطأ والزلل منها:

١- بعض الكتب تحتاج إلى مزيد من التحقق من حيث نسبتها إلى أصحابها.

٢- التصحيف في بعض العبارات، وسقوط بعض النصوص من المتن.

٣- غياب الحواشي الخادمة للنصوص في الكتب المحققة، ونقص في معلومات الناشر والطباعة في بعض الكتب، وعدم الإلمام بجميع الكتب وخاصة ما كان حديثا منها.

٤- قد لا تظهر نتائج للباحث مع وجود ما يبحث عنه في هذه الكتب المخزنة في البرنامج والسبب في ذلك طريقة كتابته للنص قد تكون مغايرة لما هو محفوظ على البرنامج.

٥- قد تكون النتائج كثيرة جداً بحيث تستنزف وقت الباحث في فتحها وهذا ناتج عن استخدام عبارات عامة كثيرة الاستخدام.

٦- غياب مقدمات بعض الكتب والمقدمات مهمة جدا لفهم الكتاب ومقصد الكاتب.

كيفية تجنب عيوب استخدام التقنية :

١- التحقق والتأكد من نسبة الكتب لأصحابها وعدم الاعتماد الكلي على ما جاء في هذه البرامج.

٢- التثبت من صحة النصوص وفي حال وجود شيء من الشك في صحة النص يراجع الكتاب المطبوع حتى يتجنب الخطأ في النقل من المصادر.

٣- لا تكتف بطريقة واحدة في إدخال كلمة البحث، لأن طريقة الكتابة المحفوظة على البرنامج قد تكون مغايرة لما كتبت فيترتب على ذلك عدم وجود نتائج.

٤- لا تستخدم العبارات العامة وكثيرة الاستخدام، واختر العبارة النادرة حتى تكون النتائج أكثر تحديداً.

الخاتمة

إن استخدام التقنية مكّن الباحث أن يجول في مكتبات رقمية وافتراضية على شبكة الانترنت، وأن يقلب صفحات كتب وبحوث ومقالات عديدة ما كان يتسنى له الوصول إليها؛ فبمجرد كتابة اسم الموضوع أو المؤلف الذي يبحث عنه سيطّلع على ما هو منشور في الشبكة، وبإمكان الباحث الحصول على صفحات تؤشر بلون متميز على الكلمات التي طلبها ضمن النصوص التي وردت فيها، وتوفر التقنية الحديثة من خلال توظيف شبكة الانترنت نصوصا لكتب صوتية (أي مسجلة بالصوت) أو حتى بالصورة من خلال أفلام فيديو موضوعة على الشبكة ويمكن للباحث أن يسمع ويشاهد ويقرأ كل ما يريده، ثم إن التقنيات الحديثة وفرت لنا سهولة وسرعة تخريج ودراسة الأسانيد دون حدودية الزمان أو المكان فيستطيع الباحث أن ينجز عمله أينما كان وفي أي وقت شاء.

التوصيات

١- نشر ثقافة البحث العلمي بالاستفادة من تقنيات شبكة الانترنت بوسائلها المتعددة.

٢- عمل المواقع الالكترونية للجامعات والكليات والمؤسسات والمحافل البحثية والعلمية الأخرى.

٣- توسيع استخدام الانترنت في صفوف الأوساط العلمية والبحثية وخاصة الأساتذة والباحثين والطلبة.

٤- توخي الحذر والحيطة والتثبت والتأكد من سلامة بعض المواقع والبرامج التي يعتمدها الباحث حتى لا يقع في الخطأ والتحريف.

هذا وأسأل الله العلي القدير أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه سبحانه.

جهود المؤسسات العلمية العربية المعاصرة المتخصصة في السنة النبوية

د. محمد عبد الرزاق أسود

كلية الآداب – جامعة الدمام

السعودية

muhammadaswad@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه أجمعين، ورضي الله عن العلماء المخلصين إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد شهدت السنة النبوية؛ منذ أواخر القرن الرابع عشر؛ وبداية القرن الخامس عشر الهجريين؛ نهضة علمية متنوعة المجالات والمظاهر، وكان إنشاء مؤسسات علمية وأكاديمية تُعنى بدراسات السنة النبوية من أحد مجالات هذه النهضة العريقة، وتعتبر جهود المؤسسات العلمية في السنة النبوية من المجالات المهمة؛ خصوصاً وأنها تعمل على إحياء ونشر السنة النبوية بين المسلمين، وكذلك فإن هذه المؤسسات تسهم بشكل واضح في الدفاع عن السنة النبوية.

والعمل المؤسسي هو بالدرجة الأولى عمل جماعي؛ تتضافر فيه الجهود لتعطي العمل قوة وتنظيماً وانتشاراً، وفي هذه المؤسسات تتحد أفكار وآراء علماء السنة النبوية لتنتج إنتاجاً علمياً أفضل.

وإن ربط العمل المؤسسي بعلم السنة النبوية؛ يعطي نتائج أفضل في سرعة الإنجاز، وجودة في العمل، وسرعة في الانتشار، مما يسهم في إظهار هذا العلم بمظهر مشرف أمام الناس في الداخل والخارج، ولهذه المؤسسات منجزات علمية مهمة في السنة النبوية؛ ستظهر من خلال هذا البحث.

وقد تكونت خطة البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: جهود المؤسسات العلمية المعاصرة المتخصصة في السنة النبوية في جمهورية مصر العربية.

المبحث الثاني: جهود المؤسسات العلمية المعاصرة المتخصصة في السنة النبوية في المملكة العربية السعودية.

المبحث الثالث:جهود المؤسسات العلمية المعاصرة المتخصصة في السنة النبوية في المملكة الأردنية الهاشمية.

المبحث الرابع: جهود المؤسسات العلمية المعاصرة المتخصصة في السنة النبوية في دولة قطر.

ختاماً أقول:

اللهم لا تعذب لساناً يخبر عنك، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا يداً تكتب سنة رسولك، ولا قدماً تمشي إلى خدمة دينك، آمين آمين، وصلى الله تعالى وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

جهود المؤسسات العلمية المعاصرة المتخصصة في السنة النبوية في جمهورية مصر العربية

المطلب الأول: مركز السيرة والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف بالقاهرة:

يعد هذا المركز أقدم مؤسسة تخدم السنة النبوية، وسأعرّفه بما يأتي:

أولاً: تأسيس وأهداف المركز:

الأول: تأسيس المركز مع تأسيس المجلس: بموجب قرار وزير الأوقاف رقم (٢٠) لسنة (١٩٦٠م).

الثاني: أهداف المركز: المركز يتكون من لجنتين، الأولى: للسيرة النبوية، والثانية: للحديث النبوي الشريف، وتظهر أهداف لجنة السيرة، وهي نفس أهداف لجنة الحديث بما يأتي:

١- تقديم مجموعة من الكتب صغيرة الحجم يخصص كل كتاب منها في جانب من جوانب السيرة النبوية.

٢- كتابة موسوعة كبرى في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣- مراجعة أمهات كتب السيرة الشهيرة والتعليق عليها وتصحيحها إن كانت تحتاج إلى ذلك.

٤- ترجمة بعض الأعمال التي تصدر عن لجنة السيرة إلى لغات العالم.

٥- الاتصال بمراكز السيرة والسنة في البلاد العربية والإسلامية لتبادل الأفكار والمعلومات والمطبوعات.

ثانياً: منجزات المركز:وهذه المنجزات تتمثل في إصدار كتب عن السيرة والسنة وترجمتها، وهي كما يأتي:

الأول: كتب السنة النبوية وعلومها: تتمثل هذه الجهود في إصدار الموسوعات، والدفاع عن السنة النبوية للرد على الشبهات المثارة حولها، والتعريف ببعض كتب السنة وأعلامها، والدفاع عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، وذلك بما يأتي: (موسوعة علوم الحديث الشريف: أعدها (٢٤) عالماً مختصاً بالسنة النبوية، الموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية: د.موسى شاهين، خمسة أجزاء، المنتخب في السنة النبوية الشريفة: أعدتها لجنة القرآن والسنة، وهي في (١٣) جزءاً، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أ.السيد أحمد صقر، في رحاب السنة: د.عبد الله شحاته، التعريف بالسنة وعلومها: أ.إبراهيم عوضين، الأحاديث الموضوعة: أ.عبد الوهاب عبد اللطيف عبد الله، ثلاثة أجزاء، منهج الدفاع عن الحديث النبوي الشريف: د.أحمد عمر هاشم، الاعتداءات الأثيمة على السنة النبوية القويمة: د.أحمد محمود كريمة، سيد رسل الله صلى الله عليه وسلم وأباطيل خصومه: د.عبد الصبور مرزوق، توجيهات نبوية: أ.أحمد الشرباصي، في رحاب النبي صلى الله عليه وسلم: د.محمود أحمد هاشم، الرسول صلى الله عليه وسلم معلماً ومربياً: أ.عبد التواب يوسف، منهج الإصلاح في دعوة محمد صلى الله عليه وسلم : الشيخ عطية صقر، محمد صلى الله عليه وسلم رسول الإسلام والسلام: د.نصر فريد واصل، الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم والنبوة: أ.مصطفى عبد الحليم الجندي، الشيخان: أ.عبد العظيم منصور، عصر الإمام البخاري وأثره في أفكاره: أ.مصطفى كمال وصفي، أمير المؤمنين في الحديث: أ.حامد عبد المجيد، ابن حجر الهيثمي: أ.عبد المعز الجزار، الإمام القسطلاني وصحيح البخاري: أ.عطية عبد الرحيم عطية، خادم القرآن والسنة محمد فؤاد عبد الباقي: أ.أيمن إبراهيم، أ.طه نور، إنصاف الخليفة عثمان رضي الله عنه من افتراءات صاحب الكشف والبيان للإباضي محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي: د.عبد الله محمد جمال الدين).

الثاني: كتب السيرة النبوية: تتمثل هذه الدراسات ببيان بعض ملامح السيرة النبوية من خلال بعض أحداثها المشرفة كصفات النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وأدبه، والإسراء والمعراج، والهجرة، ومواضيع متفرقة أخرى، كما يأتي:

(خواطر وتأملات في السيرة النبوية الشريفة: د.محمود عمارة، من وحي السيرة: الشيخ محمد الغزالي، حول السيرة

النبوية وآدابها: أ.محمد كمال شبانة، أقباس من السيرة العطرة: أ.أنور الجندي، في رحاب مولد الرسول صلى الله عليه وسلم: أ.ممدوح حسين، الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أ.عبد اللطيف السبكي، من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم: أ.أحمد الحوفي، من أدب النبوة: أ.أحمد الشرباصي، من ملامح العظمة في رحاب الرسول صلى الله عليه وسلم: أ.أنيس عبادة، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة والهدى: أ.محمد محيي الدين، رسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم: أ.ممدوح حسين، مع الرسول صلى الله عليه وسلم: أ.علي العمادي، النور المبين: الشيخ محمد ماضي أبو العزايم، من أمجاد الرسالة المحمدية: الشيخ مصطفى الحديدي، مشرق الرسالة الخاتمة والسابقون إليها: د.السيد رزق الطويل، تغريدة السيرة والسنة: أ.محمد عايش عبيد، محمد صلى الله عليه وسلم في شعر البوصيري: أ.إبراهيم عوضين، محمد صلى الله عليه وسلم في مكة: أ.عبد العزيز غنيم، الإسلام في مكة ومقاومة المشركين له: د.أحمد شلبي، الإسراء والمعراج والعلم الحديث: أ.محمد أمين جبر، من دور الإسراء والمعراج: أ.محمد فتحي سليم، الهجرة نصر وتأييد: أ.عبد اللطيف شعيرة، في رحاب الهجرة النبوية الشريفة: أ.إبراهيم علي شعوط، الهجرة عبرة وسلوك: أ.محمد رجاء حنفي، الهجرة انطلاق وبناء: أ.أحمد عبد الرحيم السايح، محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة: د.أحمد شلبي، محمد صلى الله عليه وسلم بين الحرب والسلام: أ.عبد العزيز غنيم، محمد صلى الله عليه وسلم وبنو إسرائيل: أ.مصطفى كمال وصفي).

الثالث: ترجمة كتب السنة والسيرة إلى اللغات الأخرى: تساهم الترجمة في تعريف غير المسلمين بالسنة والسيرة النبوية، ليأخذوا المعلومات الصحيحة الغير المغلوطة، ويشجع المسلمين الناطقين بغير العربية على القراءة والاطلاع على سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وسيرته:

١- مختارات من صحيح البخاري: إعداد: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (باللغة الإنجليزية).

٢- لماذا عدد النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته؟: إعداد: نخبة من المفكرين الإسلاميين، (باللغة الإنجليزية).

٣- محمد رسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم: أ.إسماعيل كشميري، (باللغة الفرنسية) [1].

المطلب الثاني: لجنة بحوث السنة والسيرة النبوية بمجمع البحوث الإسلامية في الأزهر بالقاهرة:

يعد هذا المجمع من أهم المؤسسات التي تخدم السنة النبوية، وسأذكر وقت تأسيسه، ثم خطة عمل لجنة بحوث السنة والسيرة النبوية، وأهم منجزاتها، وذلك كما يأتي:

أولاً: تأسيس وأهداف لجنة بحوث السنة والسيرة النبويةب مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر بالقاهرة:

الأول: تأسست اللجنة مع مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: عام (١٣٨١هـ، ١٩٦١م).

الثاني: خطة عمل اللجنة:

١- النظر في مراجعة موسوعة السنة الخاصة بالحديث وبالرجال.

٢- دراسة تشكيل وتشغيل مركز السنة والسيرة.

٣- النظر في تحقيق كتب التراث.

---

(١) انظر: قائمة مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف لسنة (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م).

٤- النظر في ترشيح بعض بحوث رسائل الماجستير والدكتوراه للطبع والنشر.

٥- النظر في طبع ونشر بعض البحوث والكتب الموجزة لعلاج بعض القضايا المعاصرة في ضوء السنة.

ثانياً: منجزات اللجنة:

تتنوع هذه المنجزات من خلال عقد المؤتمرات، وإصدار كتب السنة والسيرة النبوية، وذلك بما يأتي:

الأول: عقد المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية:

وهو المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية الذي انعقد تحت رعاية الأزهر الشريف في القاهرة عام (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م)، وهو مطبوع بمطابع دار التعاون بالقاهرة في خمسة أجزاء، وقدم فيه (١٠٥) بحثاً.

الثاني: إصدار كتب في السنة والسيرة النبوية:

كانت هذه الكتب تصدر بشكل هدية مجانية ترفق مع مجلة الأزهر الشريف، وهي ما يأتي:

أ - كتب السنة النبوية:

تتمثل هذه الجهود في التعريف في بعض أعلام السنة، والدفاع عن أكثر ما يثار من مزاعم وشبهات في وجه السنة عموماً كحجيتها وروايتها، أو الرد على من ينكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وعذاب القبر، والختان، وإليك هذه الدراسات:

(الإمام البخاري أمير المؤمنين في الحديث: د.يوسف الكتاني، الإمام الخطابي رائد شراح صحيح البخاري: د.يوسف الكتاني، الإمام ابن ماجه صاحب السنن: د.عبد العزيز عزت عبد الجليل، السنة النبوية الشريفة: د.أحمد محمود كريمة، قضية السنة: الشيخ محمد متولي الشعراوي، السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي: أ.عبد المنصف محمود عبد الفتاح، السنة والتشريع: د.موسى شاهين لاشين، منهج توثيق السنة النبوية الشريفة: د.محمد إبراهيم الفيومي، مكانة السنة في بيان الأحكام الإسلامية والرد على ما أثير من شبهات حول حجيتها وروايتها: الشيخ علي الخفيف، لا بل الشفاعة ثابتة: ردود العلماء على منكري السنة والشفاعة: أ.عبد المعز عبد الحميد الجزار، أ.عبد الحفيظ محمد عبد الحليم، الرد على د.مصطفى محمود في إنكار الشفاعة وعلى اللواء محمد شبل في إنكار يوم عرفة: د.عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي، رد الأزهر على مسلسل العائلة[1]: الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، رمضان تفسيراً وحديثاً وفقهاً وعبادة: أ.أحمد حسن صابر رجب، أ.محمد زين العابدين، أ.عز العرب عبد الوهاب، أ.مصطفى البنا، الختان: الشيخ جاد الحق علي جاد الحق).

ب - كتب السيرة النبوية:

تهتم هذه الكتب ببيان بعض ملامح السيرة النبوية من خلال بعض أحداثها المشرفة كصفات النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وأدبه، والإسراء والمعراج، والهجرة، ومواضيع متفرقة أخرى، وذلك كما يأتي:

(محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم: دراسات مستمدة من القرآن الكريم عن بعض نواحي السيرة المحمدية العطرة: أ.عبد المنعم محمد عمر، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: الشيخ محمد الخضري بك، ثلاثة أجزاء، السيرة النبوية في

---

(١) هذا المسلسل التلفزيوني قد أنكر عذاب القبر مما حدا بالأزهر الشريف أن يرد عليه.

ضوء روايات الإمام الطبري: د.أحمد عبد الرحيم السايح، د.علي أحمد الخطيب، الرحمة المهداة محمد صلى الله عليه وسلم: د.محمد سيد طنطاوي، الإسراء والمعراج: الشيخ محمد متولي الشعراوي، الهجرة: الشيخ عبد الرحمن تاج، الهجرة: مواقف، عبر، عظات: أ.عبد المعز عبد الحميد الجزار، الهجرة في فلك التاريخ: أ.السيد حسن قرون، مقدمة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم (الحلف، الإيلاف، الجوار): د.علي أحمد الخطيب، صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه رضي الله عنهم: د.محمود محمد عمارة، واجبات الأمة نحو كاشف الغمة صلى الله عليه وسلم: د.حلمي عبد المنعم صابر، من سجل الخالدين: د.مصطفى مجاهد عبد الرحمن، حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في تغيير أسماء أصحابه رضي الله عنهم: أ.عبد الحفيظ فرغلي علي القرني).

المطلب الثالث: لجنة السنة النبوية الشريفة بمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر بالقاهرة:

سأتكلم عن تأسيس هذا المركز، ثم منجزات لجنة السنة النبوية الشريفة، وذلك كما يأتي:

الأول: تأسيس المركز: تأسس هذا المركز بموجب القرار الوزاري رقم (١٣٨) عام (١٩٨٢م) بالقاهرة.

الثاني: منجزات لجنة السنة النبوية الشريفة بمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر بالقاهرة:

تتمثل منجزات لجنة السنة النبوية الشريفة في أمرين:

الأول: إدخال كتب السنة في الحاسب الآلي: لقد بدأ هذا المشروع منذ عام (١٩٨٥م)، ومن المقرر إدخال (٣٤) كتاباً من كتب السنة، وتم حتى الآن إدخال (٢٠) كتاباً من كتب السنة بعد كتابتها يدوياً وضبطها، وهي غير منشورة، والكتب هي: (صحيح البخاري: ٧١٢٤ حديثاً، صحيح مسلم: ٧٤٧٠ حديثاً، جامع الترمذي: ٣٩٥٦ حديثاً، سنن النسائي: ٥٧٥٧ حديثاً، موطأ مالك: ١٨٣٧ حديثاً، سنن أبي داود: ٥٢٦٨ حديثاً، مسند الحميدي: ١٣٠٠ حديثاً، المنتقى لابن الجارود: ١١١٤ حديثاً، سنن ابن ماجه: ٤٣٤١ حديثاً، سنن الدارمي: ٣٥٠٥ حديثاً، سنن الدارقطني: ٤٧٥٠ حديثاً، مسند الشافعي: ١٧٢٢ حديثاً، صحيح ابن خزيمة: ٣٠٧٨ حديثاً، مسند أبي يعلى: ٧٥٥٥ حديثاً، مصنف ابن أبي شيبة: ٣٧٩٤٢ حديثاً، مسند أحمد بن حنبل: ٢٧٦٨٨ حديثاً، صحيح ابن حبان: ٧٤٩١ حديثاً، المعجم الأوسط للطبراني: ٩٤٨٩ حديثاً، سنن الكبرى للبيهقي: ٢٢٤٤٠ حديثاً، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث: (٧) أجزاء لفنسنك.

الثاني: عمل الموسوعة المختصرة للأحاديث النبوية الشريفة: تعتمد الموسوعة على أحاديث صحيح البخاري وكتابتها بالنص والضبط، وتخريج كل حديث مكتوب من كتب الحديث الأخرى دون كتابته، ويكتفى برقم الحديث، وهي ستة أجزاء غير منشورة، وجاري فيها العمل، وهي: (كتاب: الإيمان والعلم، كتاب: الطهارة، كتاب: الصلاة، كتاب: الزكاة، كتاب الحج، كتاب: الصيام).

المبحث الثاني

جهود المؤسسات العلمية المعاصرة المتخصصة في السنة النبوية في المملكة العربية السعودية

المطلب الأول: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية في الجامعة الإسلامية

أولاً: تأسيس وأهداف المركز: يعد هذا المركز من أهم المؤسسات التي تخدم السيرة والسنة، وسأذكر وقت تأسيسه، وأهدافه، وأقسامه، ثم أهم منجزاته، وذلك كما يأتي:

الأول: تأسيس المركز: تأسس المركز بالأمر الملكي رقم (٥/٣٩٧/م) عام (١٤٠٦هـ)، في الجامعة الإسلامية، بحيث تشرف عليه الجامعة من الناحية العلميّة والإدارية، ويقوم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بنفقات تشغيله.

الثاني: أهداف المركز:

١- جمع وحفظ الكتب المخطوطة والمطبوعة والوثائق والمعلومات المتعلقة بالسنة والسيرة النبوية وتيسيرها للباحثين.

٢- إعداد موسوعة في الحديث النبوي، وموسوعات أخرى في خدمة السنة والسيرة النبوية.

٣- تحقيق ما يمكن من كتب السنة والسيرة النبوية، وإعداد البحوث العلمية التي تخدم السنة والسيرة النبوية.

٤- ترجمة ما تدعو الحاجة إليه من كتب السنة والسيرة النبوية وما يتعلق بها.

٥- رد الأباطيل ودفع الشبهات عن ساحة السنة والسيرة النبوية.

٦- نشر الأعمال المنجزة في المركز في مجال التأليف والتحقيق والترجمة.

٧- التعاون مع المراكز والهيئات والمؤسسات العلمية التي تعمل في خدمة السنة والسيرة النبوية داخل المملكة وخارجها فيما يخدم المركز ويحقق أهدافه.

٨- الاستفادة من خبرات ذوي الشهرة العلمية في السنة والسيرة النبوية.

٩- الاستفادة من الحاسب الآلي في جمع السنة وبرمجة المعلومات المتعلقة بها وبعلومها.

الثالث: أقسام المركز: (قسم التحقيق، قسم موسوعة الرواة، قسم موسوعة المتون، قسم موسوعة السيرة النبوية، قسم البحث العلمي والرد على المستشرقين، قسم إدارة نظم المعلومات، قسم النشر والتوزيع، المكتبة).

ثانياً: منجزات المركز: تعد منجزات هذا المركز من أوسع ما قدمه للسنة والسيرة النبوية من بين المؤسسات التي تخدمهما، وذلك من خلال ما يأتي:

الأول: إصدار موسوعة الرواة على أقراص الحاسب الآلي المدمجة (CD):

فقد تم إنجاز أعمال علمية كثيرة من موسوعة الرواة على اختلاف مراحلها المتعددة، والعمل بالموسوعة جاري فيها، وما تم إنجازه وهو موجود في الحاسب الآلي للمركز ما يلي:

١- مرحلة إدخال البيانات في موسوعة الرواة؛ فقد تم إدخال (١٦٤) كتاباً، عدد مجلداتها (٤٠٠) مجلداً.

٢- مرحلة المقابلة والتصحيح؛ فقد تم الانتهاء من (١٥٢) كتاباً، عدد مجلداتها (٣٦٤) مجلداً.

٣- مرحلة العنصرة والترميز الآلية؛ فقد تم الانتهاء من (١٥٢) كتاباً، عدد مجلداتها (٣٦٤) مجلداً.

٤- مرحلة التشغيل الموسوعي للكتب المنتهية من تدقيق العنصرة والترميز وإثبات أرقام التمييز من قبل الباحثين؛ فقد تم الانتهاء من (٧٤) كتاباً، عدد مجلداتها (٢٧٣) مجلداً، وعدد التراجم بالمكرر قرابة مائة وعشرين ألف ترجمة، وعدد التراجم بدون المكرر في هذه المرحلة قرابة ستين ألف ترجمة.

وكل ما ذكر في هذه المرحلة جاهز للاستفادة منه بواسطة الحاسب الآلي وبطرق وسائل الاستعلام المختلفة، وهذه الكتب هي: (أحوال الرجال: لأبي إسحاق الجوزجاني، الإرشاد في معرفة علماء الحديث: للخليلي،

إتحاف ذوي الرسوخ بمن رمي بالتدليس من الشيوخ: للشيخ حماد الأنصاري، الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى: لابن عبد البر القرطبي، التاريخ وأسماء المحدثين: لأبي عبد الله المقدمي، السابق واللاحق: للخطيب البغدادي، التاريخ: ليحيى بن معين رواية عثمان بن سعيد الدارمي، الثقات: لابن حبان، التبيين لأسماء المدلسين: لسبط ابن العجمي، التعديل والتجريح: للباجي، الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم الرازي، الضعفاء: لأبي نعيم الأصبهاني، الجمع بين رجال الصحيحين: لابن القيسراني المقدسي، الضعفاء الكبير: للعقيلي، الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد: للذهبي، الضعفاء الصغير: للإمام البخاري، الضعفاء: لأبي زرعة، الضعفاء والمتروكين: لابن الجوزي، الضعفاء والمتروكين: للنسائي، الضعفاء والمتروكين: للدارقطني، ألقاب الصحابة: للجياني، الكاشف: للذهبي، الكامل في ضعفاء الرجال: لابن عدي، الكنى: للإمام مسلم بن الحجاج، الكنى لمن لا يعرف له اسم من الصحابة: لمحمد بن الحسين، المجروحين: لابن حبان، الكواكب النيرات في معرفة من رمي بالإختلاط من الرواة الثقات: لابن الكيال، تذكرة المؤتسي فيمن حدث ونسي: للسيوطي، المختلف فيهم: لابن شاهين، المجرد في أسماء رجال سنن ابن ماجه:للذهبي، المغني في الضعفاء: للذهبي، المدخل إلى الصحيح: للحاكم النيسابوري، تاريخ أسماء الثقات: لابن شاهين، المعجم المشتمل على ذكر أسماء شيوخ الأئمة النبل: لابن عساكر، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد: للعُلَيمي، تاريخ الرقه: للقشيري، الوجيز في ذكر المجاز والمجيز:للحافظ أبي طاهر الأصبهاني، تنزيه الشريعة: للكناني، بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم: لابن عبد الهادي، تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين: لابن شاهين، تاريخ ابن مرثد الطبراني عن ابن مَعِين، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل: لأبي زرعة العراقي، جامع التحصيل: للعلائي، تذكرة الطالب المعلم بمن يقال إنه مخضرم: لسبط ابن العجمي، ميزان الاعتدال: للذهبي، تسمية أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: للترمذي، تعجيل المنفعة: لابن حجر العسقلاني، تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم: لأبي عبد الله الحافظ، تهذيب التهذيب: لابن حجر، تعليقات الدارقطني على كتاب المجروحين: لابن حبان، ذيل ميزان الاعتدال: للعراقي، تقريب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للمزي، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: للخزرجي، ديوان الضعفاء والمتروكين: للذهبي، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم: للدارقطني، ذيل ديوان الضعفاء: للذهبي، رجال صحيح البخاري: لأبي نصر الكلاباذي، رجال صحيح مسلم: لابن منجويه، سؤالات ابن الجنيد: لابن معين، سؤالات ابن بكير: للدارقطني، سؤالات الحاكم: للدارقطني، سؤالات السلفي: لخميس الجوزي، سؤالات السلمي: للدارقطني، سؤالات حمزة السهمي: للدارقطني، سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة، سؤالات السجزي، طبقات المدلسين: لابن حجر، كشف الأوهام التي في مدخل الحاكم: للأزدي، لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني، مختصر الكامل: للمقريزي، من اسمه عطاء من الرواة: لأبى القاسم الطبراني، من تكلم فيه وهو موثق: للذهبي).

الثاني: إصدار موسوعة متون الأحاديث على أقراص الحاسب الآلي المدمجة (CD):

تم إنجاز أعمال علمية كثيرة من موسوعة المتون على اختلاف محاورها المتعددة، والعمل بالموسوعة جاري فيها.

أولاً: أهداف خطة العمل في موسوعة متون الأحاديث هي ما يأتي:

(وضع موسوعة الأحاديث الصحيحة، وضع موسوعة الأحاديث الضعيفة، وضع موسوعة الأحاديث الموضوعة، إخراج موسوعة حديثية على طريقة (المعاجم) على الترتيب الأبجدي لأصحاب المسانيد، إخراج موسوعة حديثية على طريقة (الأطراف) يرتب فيها أسماء الصحابة، ثم الرواة عنهم، وهكذا على غرار كتاب (تحفة الأشراف) للحافظ المزيّ، وكتاب (إتحاف المهرة) للحافظ ابن حجر العسقلاني، إخراج موسوعة متون الأحاديث على الترتيب الموضوعي (ضمن الكتب والأبواب) فتجمع أحاديث الموضوع الواحد كالصلاة مثلاً وهكذا، إخراج موسوعة متون الأحاديث على الترتيب الأبجدي لأوائل الأحاديث، وضع معجم مفهرس شامل لألفاظ الحديث النبوي، وضع معجم غريب الحديث).

ثانياً: إنجازات المركز في موسوعة متون الأحاديث: بدأ العمل في عدة محاور تمهيدية لهذه الموسوعة منها:

أ- ترقيم موحد للأحاديث في كتب السنة، بحيث يُعطى كل حديث رقماً خاصاً به يلازمه في كل موضع يتكرر فيه الحديث في المصادر المختلفة، وقد رُقمت أحاديث عدة مجلدات ولم يكتمل العمل فيها.

ب- استخراج أحكام العلماء على الأحاديث المذكورة في كتاب (فتح الباري) للحافظ ابن حجر، وكتاب (التمهيد) لابن عبد البر، وكتابتها على بطاقات للاستفادة منها في بناء الموسوعة عند تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: صحيحة، وضعيفة، وموضوعة .

ج- استخراج زوائد الموطآت المروية عن الإمام مالك على الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي للاستفادة منها في الموسوعة.

د- إعداد الكشاف الموضوعي في العقيدة، والحديث، والفقه، والتفسير ... وغيرها، وقد بُذلت في سبيل ذلك ما يلي:

١- بلغت الأقسام العامة والموضوعات الرئيسة للكشاف الموضوعي أربعة عشر قسماً، تشتمل على جميع علوم الشريعة تقريباً.

٢- عدد الكتب التي تم تفريغ عناوينها على بطاقات (١٦٠) كتاباً، يصل عدد مجلداتها إلى (٣٩٠) مجلداً.

٣- تفصيل وبيان هذه الكتب على النحو التالي: (٢٥) كتاباً عاماً من أمهات كتب الحديث ودواوينه، (١١٥) كتاباً في العقيدة وأصول الدين، (١٨) كتاباً في التفسير وعلومه.

٤- بلغ عدد البطاقات التي فرغت عليها المادة العلمية لهذه الكتب حوالي (١٦٠) ألف بطاقة.

٥- أدخل من هذه البطاقات في الحاسب الآلي عدد (١٣٦,٨٠٠) ألف بطاقة، وذلك بعد أن تم ترقيمها يدوياً.

٦- تم الفراغ من قسم العقيدة وأصول الدين كاملاً، حيث بلغت عناوينها الكلية (١١٥٩) عنواناً، وتحت كل عنوان فروع ومستويات، ووصلت في بعض الأقسام إلى أربعة عشر مستوى.

٧٨- تم الربط بين هذه البطاقات وبين عناوين الشجرة وكلياتها، بحيث يتم استدعاء جميع الجزئيات المتعلقة

بأي عنوان في الشجرة، مع ذكر مصدرها وموضعها –بالجزء والصفحة– في هذا المصدر، وذلك عن طريق برامج صممت من قسم الحاسب الآلي.

٩- تم عمل نموذج تطبيقي للربط بين عناوين الشجرة الموضوعية لقسم العقيدة، وأحاديث كتاب الإيمان من صحيح الإمام مسلم.

الثالث: **إصدار موسوعة السيرة النبوية المطهرة على أقراص الحاسب الآلي المدمجة (CD)**:

فقد تم إنجاز أعمال علمية كثيرة من موسوعة السيرة النبوية المطهرة على اختلاف محاورها المتعددة، والعمل بالموسوعة جاري فيها وأما ما تم إنجازه هو ما يلي:

أولاً: وضعت خطة تفصيلية قسمت فيها السيرة إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

(الأحداث والوقائع، ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم، مثل: نسبه، صفته...إلخ، الأعلام وتشتمل على الأفراد والجماعات والأماكن وأعلام أخرى)، وتحت كل قسم من الأقسام الثلاثة عدد كبير من الجزئيات، حيث بلغ عدد التي تم ترقيمها أكثر من مائة ألف جزئية.

ثانياً: وضعت خطة تفصيلية أخرى مرتبة على موضوعات السيرة، جرى العمل على وفقها دون استخدام الحاسب الآلي، جُمعت معلومات لبعض موضوعاتها على بطاقات مثل: موضوع البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم في الديانات اليهودية والنصرانية، والإرهاصات، وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وهدي النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله.

ثالثاً: موسوعة الحرمين الشريفين: مكة المكرمة والمدينة المنورة، وذلك للتلازم الكبير بينهما وبين السيرة النبوية، فجمعت معلومات كثيرة عن الحرمين الشريفين في بطاقات.

الرابع: **إصدار الكتب التالية**:

١- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: للإمام نور الدين الهيثمي، وهو في مجلدين.

٢- إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة: للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٣- فهارس كتاب المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام أبي محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري.

٤- الأحاديث الواردة في فضائل المدينة: د.صالح الرفاعي، وهو في مجلد واحد.

٥- السيرة النبوية والمستشرقون: د.محمد مهر علي، للرد على مستشرقين ثلاثة وهم: ويليم ميوير، ودافيد مرغوليوث، ومنتغومري وات، وهو باللغة الإنجليزية في مجلدين.

الخامس: **إصدار برنامج خاص بكتاب الأحاديث الواردة في فضائل المدينة**: د.صالح الرفاعي على أقراص الحاسب الآلي المدمجة (CD)[1].

---

(١) انظر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية: أهدافه وإنجازاته: د.محمد بن يوسف عفيفي: ٣، ٧، ١٢، ١٥، ١٧، وهو بحث من أبحاث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة عام (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، جهود مراكز خدمة السنة والسيرة النبوية في المملكة العربية السعودية: د.أحمد بن عبدالله الباتلي: ٧- ٩، وهو بحث من بحوث ندوة

المطلب الثاني: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة بالمدينة المنورة:

يعتبر هذا المركز من أهم المؤسسات الحكومية التي تهتم بالسيرة النبوية، ورصد أحداثها من خلال مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإليكم وقت تأسيسه، وأهدافه، ومنجزاته:

أولاً: تأسيس وأهداف مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة:

الأول: تأسيس مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة: تأسس هذا المركز عام (١٤١٨هـ، ١٩٩٨م).

الثاني: أهداف مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة:

١- جمع المعلومات عن المدينة المنورة في اللغات المختلفة من مختلف المصادر وأوعية المعلومات؛ كالكتب والمقالات والبحوث والوثائق، وحفظها، والتعامل معها بمختلف الوسائل الملائمة.

٢- إعداد ونشر البحوث والدراسات المنهجية الجادة، التي تتميز بالأصالة والدقة والتوثيق العلمي، عن المدينة المنورة وجوانب الحياة فيها قديماً وحديثاً، وتحقيق تراثها المخطوط، ورصد التطورات المستجدة دائماً.

٣- تقديم خدمات المعلومات الموثقة لمراكز البحوث، والباحثين، ولمن يستفيد من المعلومات، سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وسواء تم ذلك بالطريقة العادية أو بالطرق المستحدثة كشبكات الاتصالات المحلية والعالمية.

ثانياً: منجزات مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة.

للمركز إنجازات جليلة في مجال السيرة النبوية تتجلى بما يلي:

١- التوثيق الميداني لأحداث السيرة النبوية: وفيه المراحل الآتية:

المرحلة الأولى: توثيق غزوة أحد.

المرحلة الثانية: توثيق غزوة الخندق.

وسوف تتوالى في الأعوام القادمة بإذن الله المراحل التالية، والتي يتم فيها إجراء توثيق ميداني لأحداث السيرة التي وقعت في المدينة المنورة وما حولها، واحدة بعد الأخرى، وسيصدر كتاب شامل عن هذا التوثيق.

٢- إصدار برنامج المدينة المنورة في العهد النبوي وعمارة المسجد النبوي على أقراص الحاسب الآلي المدمجة (CD).

٣- إصدار موسوعة المسجد النبوي: وتتضمن معلومات شاملة عن تأسيس المسجد النبوي والأحداث الرئيسة التي شهدها في العهد النبوي، وهذا قسم مهم من السيرة النبوية، وتتضمن الموسوعة معلومات مماثلة وموسعة عنه في العصور التالية إلى العصر الحديث.

٤- إصدار خريطة المدينة المنورة في العهد النبوي وخريطة طريق هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قباء إلى منازل بني النجار: وقد اعتمد المركز في إنجاز ذلك على الروايات الواردة في المصادر التراثية الموثوقة، وعلى التصوير الجوي بالأقمار الصناعية للمنطقة.

٥- إصدار برنامج الحافظة: الأرشيف: أعد المركز برنامجاً ضخماً باسم الحافظة، يحفظ فيه جميع المعلومات المستخرجة من الكتب والمخطوطات والوثائق عن المدينة المنورة، وتعد المعلومات الواردة عن السيرة النبوية والصحابة جزءاً أساسياً منه[1].

المطلب الثالث: الجمعية العلمية السعودية للسنة النبوية وعلومها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض:

تعتبر هذه الجمعية إحدى المؤسسات العلمية التي تخدم السنة النبوية، وسأتحدث عن تأسيس هذه الجمعية، وأهدافها، ومنجزاتها، وذلك بما يأتي:

أولاً: تأسيس وأهداف الجمعية:

الأول: تأسيس الجمعية:

تم إنشاء الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها بالمملكة العربية السعودية، بقرا مجلس جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ذي الرقم (١٤١٠)، تاريخ (٢١/ ٣ / ١٤٢٣هـ)؛ لأهداف سامية، ومقاصد نبيلة، وبدأت الجمعية مناشطها بعد اختيار مجلس الإدارة من قبل الجمعية العمومية في (١٤٢٦/٢/٢٦هـ)؛ برئاسة فضيلة الدكتور عبد العزيز بن محمد السعيد، وتضم الجمعية في عضويتها عدداً كبيراً من المتخصصين في السنة وعلومها من أساتذة الجامعات، والقطاعات القضائية والتعليمية، وغيرها، ومقرها الرئيس بالرياض، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في كلية أصول الدين.

الثاني: أهداف الجمعية:

تهدف الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها إلى تحقيق ما يأتي:

١- نشر السنة، وتقوية الوعي بها رواية ودراية.

٢- تنمية البحث العلمي في مجال السنة وعلومها، والعمل على تطويره وتنشيطه ووضع الآليات لذلك.

٣- تحقيق التواصل العلمي بين أعضاء الجمعية.

٤- تقديم المشورة العلمية في مجال السنة وعلومها.

٥- تطوير الأداء لأعضاء الجمعية.

٦- تيسير تبادل النتاج العلمي في مجال اهتمامات الجمعية بين الهيئات والمؤسسات المعنية داخل المملكة وخارجها.

٧- تقديم الخبرة التخصصية اللازمة في المناهج الدراسية، والمجالات الدعوية.

٨- متابعة الدراسات الحديثة في السنة وعلومها، والاستفادة منها، ونقدها.

٩- التنسيق مع مراكز خدمة السنة والسيرة النبوية في العالم.

ولتحقيق هذه الأهداف؛ قامت الجمعية بحصر أسماء الهيئات والمراكز، والكليات والأقسام العلمية، وتمت

---

(١) انظر: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ودوره في خدمة السيرة النبوية: د.عبد الباسط عبد الرزاق بدر: ٢- ٣، ٢٠، وهو بحث من بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة عام (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م).

مخاطبة (٥٨) جهة رسمية، وعلمية؛ لتعريفها بأنشطة الجمعية، وطلب تزويدها بأسماء المختصين لديهم في السنة النبوية وعلومها فجمعت الجمعية أسماء (٤٥٠) مختصاً في السنة النبوية وعلومها.

ثانياً: منجزات الجمعية:

تتنوع هذه المنجزات إلى عدة محاور، وفيها الجديد من الأعمال، وهي كما يأتي:

الأول: عقد المؤتمر الدولي عن نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم:

عقد المؤتمر في الرياض عام (١٤٣١هـ، ٢٠١٠م)، وقد ألقي فيه (٧٣) بحثاً، وقد طبع في تسعة أجزاء.

الثاني: إصدار الكتب التي تخدم الحديث والسنة المطهرة:

١- تهذيب كتاب الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب: أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي، تهذيب: د.إسماعيل بن غصاب بن سليمان العدوي.

٢- سلسلة الآداب الإسلامية في ضوء السنة النبوية: إعداد: موقع الجمعية العلمية السعودية للسنة النبوية وعلومها.

الثالث: إصدار مجلة علمية محكّمة في السنة المطهرة:

وقد صدر العدد الأول من هذه المجلة المتخصصة في نشر بحوث السنة التي يكتبها أساتذة الجامعات.

الرابع: تأسيس موقع إلكتروني على الشبكة الدولية العنكبوتية للمعلومات (الإنترنت):

أهم ما يضم هذا الموقع مكتبات إلكترونية من كتب وبحوث ومخطوطات ومحاضرات وندوات علمية ودليل الرسائل الجامعية، وغير ذلك مما يهم المتخصصين في السنة والسيرة النبوية[1].

المطلب الرابع: جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة بالمدينة المنورة: تعد هذه الجائزة إحدى المؤسسات العلمية التي تخدم السنة النبوية، وسأتحدث عن تأسيسها، وأهدافها، وشروط كتابة البحث فيها ومقدارها، ومنجزاتها، وذلك بما يأتي:

أولاً: تأسيس وأهداف وفروعها الجائزة:

الأول: تأسيس الجائزة:

تحقيقاً لرغبة صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود في تبني جائزة عالمية عن السنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، وذلك لتؤدي إلى تشجيع الباحثين من طلاب العلم في حقل السنة النبوية وعلومها والدراسات الإسلامية المعاصرة وإذكاء روح التنافس العلمي بينهم ابتغاء الثواب من الله تعالى صدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين في (٢٩ شوال ١٤٢٢هـ) على إنشاء جائزة عالمية تعنى بالسنة النبوية والدراسات الإسلامية.

الثاني: أهداف الجائزة:

تهدف هذه الجائزة إلى تحقيق ما يأتي:

---

(١) انظر: جهود مراكز خدمة السنة والسيرة النبوية في المملكة العربية السعودية: د.أحمد بن عبدالله الباتلي: ١٠- ١٣، موقع الجمعية العلمية السعودية للسنة النبوية وعلومها على الشبكة الدولية العنكبوتية للمعلومات (الإنترنت)؛ www.sunnah.org.sa

١- تشجيع البحث العلمي في مجال السنة النبوية وعلومها والدراسات الإسلامية المعاصرة.

٢- إذكاء روح التنافس العلمي بين الباحثين في كافة أنحاء العالم.

٣- الإسهام في دراسة الواقع المعاصر للعالم الإسلامي واقتراح الحلول المناسبة لمشكلاته بما يعود بالنفع على المسلمين حاضراً ومستقبلاً.

٤- إثراء الساحة الإسلامية بالبحوث العلمية المؤصلة.

٥- إبراز محاسن الدين الإسلامي الحنيف وصلاحيته لكل زمان ومكان.

٦- الإسهام في التقدم والرقي الحضاري للبشرية.

الثالث: فروع الجائزة:

تتكون فروع الجائزة من فرعين؛ الفرع الأول: السنة النبوية، الفرع الثاني: الدراسات الإسلامية المعاصرة، وُيطرح في كل دورة من دورات الجائزة ولكل فرع في فرعيها موضوعات في تخصصات مختلفة؛ ويكون هناك فائز واحد في كل موضوع، فيكون مجموع الفائزين أربعة، وربما أكثر؛ فقد يكون الموضوع الواحد يفوز به اثنان مناصفة، وإذا لم تستحق الجائزة في موضوع من الموضوعات المطروحة تحجب في تلك الدورة.

ثانياً: شروط كتابة البحث ومقدار الجائزة:

الأول: شروط كتابة البحث والترشيح في الجائزة:

١- أن يتناول البحث واحداً من الموضوعات المحددة في الإعلان للجائزة.

٢- أن يكون متصفاً بالأصالة والعمق، ودقة التوثيق، وسلامة المنهج.

٣- أن يكون مكتوباً بلغة عربية صحيحة.

٤- أن يقدم في الموعد المحدد لتقديم البحوث.

٥- أن يجتاز التحكيم وفقاً للضوابط التي تضعها اللجنة العلمية.

٦- أن تقدم خمس نسخ من كل بحث مرشح مع نسخة إلكترونية على قرص مرن، وكذلك السيرة الذاتية للباحث، وصورتين شمسيتين له.

٧- ألا يكون البحث المرشح فائزاً من قبل.

٨- البحوث المقدمة إلى الجائزة لا ترد إلى أصحابها سواء فازت أو لم تفز.

٩- الالتزام بجميع الشروط والضوابط التي تضعها اللجنة العلمية للجائزة.

الثاني: مقدار الجائزة:

مقدار الجائزة (٢٠٠٠٠٠٠) مليونا ريال، ويقدم لكل فائز من الفائزين في أحد موضوعات الجائزة ما يأتي:

١ - شهادة استحقاق .

٢ - درع يحمل شعار الجائزة .

٣ - مبلغ نقدي مقداره (٥٠٠٠٠٠) خمسمائة ألف ريال.

ثالثاً: منجزات الجائزة:

تنقسم هذه المنجزات إلى ثلاثة أقسام:

الأول: طبع البحوث الفائزة بالجائزة:

وطبع من تلك البحوث في كتب نشرت ما يأتي:

الموضوعات المختارة للسنة النبوية: "الدورة الأولى":

الموضوع الأول: عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان: دراسة حديثية فقهية، والتي فاز فيها فائزان مناصفة وهما:

أ- د.فاطمة بنت صالح الجارد (الجنسية: سعودية). ب- د.حكمت بن بشير ياسين (الجنسية: عراقي).

الموضوع الثاني: فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية: الأسس والأهداف الوسائل والآثار، والتي فازت فيها د.رقية بنت طه جابر العلواني (الجنسية: بحرينية)، وذلك بعد إقامة حفل كبير حضره أعضاء الهيئة العليا, ولجان التحكيم, في الجائزة مساء يوم السبت الثالث عشر من شهر محرم من عام (١٤٢٦هـ) بمدينة الرياض.

الموضوعات المختارة للسنة النبوية: "الدورة الثانية":

الموضوع الأول: التكفير في ضوء السنة النبوية، والتي فاز فيها د.باسم فيصل الجوابرة (الجنسية: أردني).

الموضوع الثاني: حقوق المرأة في السنة النبوية، والتي فازت فيها د. نوال بنت عبد العزيز العيد (الجنسية: سعودية).

الموضوعات المختارة للسنة النبوية: "الدورة الثالثة":

الموضوع الأول: التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية، حجبت الجائزة؛ لأن البحوث المقدمة لم ترق لمستوى الجائزة .

الموضوع الثاني: مصادر السيرة بين المحدثين والمؤرخين، والتي فاز فيها فائزان مناصفة وهما:

أ- د.عبد الرزاق إسماعيل هرماس (الجنسية: مغربي). ب- د.ياسر أحمد السيد نور (الجنسية: مصري)، وذلك بعد إقامة حفل كبير حضره أعضاء الهيئة العليا, ولجان التحكيم, في الجائزة مساء يوم السبت التاسع عشر من شهر رمضان من عام (١٤٢٩هـ) بالمدينة المنورة.

الموضوعات المختارة للسنة النبوية: "الدورة الرابعة":

الموضوع الأول: الوسطية في الإسلام ودلالتها من السنة النبوية، حجبت الجائزة لأن البحوث المقدمة لم ترق لمستوى الجائزة .

الموضوع الثاني: محمد رسول الله المبعوث رحمه للعالمين، حجبت الجائزة لأن البحوث المقدمة لم ترق لمستوى الجائزة.

الموضوعات المختارة للسنة النبوية: "الدورة الخامسة":

الموضوع الأول: مكانة الصحابة رضي الله عنه وأثرهم في حفظ السنة النبوية وواجب الأمة نحوهم، والتي فاز فيها د.خليل بن إبراهيم بن ملاّ خاطر بن محيمد الخضر العَزّامي (الجنسية: سوري).

الموضوع الثاني: التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية، والتي فاز فيها فائزان مناصفة وهما:

أ- الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن صالح العقل (الجنسية: سعودي).

ب- الشيخ فتحي بن عبد الله سلطان الموصلي، بالاشتراك مع الشيخ عبد الحق بن حقي بن علي التركماني، والتي

سوف يتم تكريم الفائزين بها في هذا العام (١٤٣٢هـ).

الثاني: الحلقات العلمية التي نظمتها الجائزة:

نظمت الجائزة هذا العام حلقتين علميتين متميزتين وجدت أصداءها عند المتخصصين والمهتمين، حيث تقتصر هذه الحلقات العلمية على النخب العلمية وتكون أشبه بورش النقاش والحوار العلمي المركز، وراعت الجائزة تنوع أماكن ومعدي ومقار طرح هذه الحلقات العلمية وهي:

الحلقة العلمية الأولى بعنوان: (التقنية الحديثة في خدمة السنة النبوية)، وقد عقدت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وشارك في الحلقة كلاً من:

أ- د.مرزوق الزهراني عضو هيئة التدريس بكلية الحديث بالجامعة الإسلامية.

ب- د.حمد التركي عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود بالرياض.

ج- د.عبد الله دمفو عميد كلية التربية بجامعة طيبة.

الحلقة العلمية الثانية بعنوان: (المواقع الإسلامية: الواقع والمأمول)، وقد عقدت في جامعة طيبة بالمدينة المنورة وشارك فيها كلاً من:

أ- د.عبد الله الحميدان عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود.

ب- د.عبد الله الموسى عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود.

ج- د.مصطفى حلبي عضو هيئة التدريس بجامعة طيبة. د. د.إبراهيم المحيسن عضو هيئة التدريس بجامعة طيبة.

الثالث: إعلان الجائزة لعناوين بحوث جديدة للكتابة فيها: وهي كما يأتي:

الموضوعات المختارة للسنة النبوية: "الدورة السادسة":

الموضوع الأول: الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية.

الموضوع الثاني: القيم الحضارية في السنة النبوية، وآخر موعد لاستلام البحوث نهاية شهر ذو الحجة (١٤٢٩هـ).

الموضوعات المختارة للسنة النبوية: "الدورة السابعة":

الموضوع الأول: فقه الأقليات في ضوء السنة النبوية.

الموضوع الثاني: أحاديث الفتن وأشراط الساعة بين الفهم الصحيح والتأويلات، وآخر موعد لاستلام البحوث هو نهاية شهر ذو الحجة (١٤٣١هـ).

الموضوعات المختارة للسنة النبوية: "الدورة الثامنة":

الموضوع الأول: مناهج النقد الحديثي والنقد التاريخي الحديث: دراسة مقارنة.

الموضوع الثاني: فقه الواقع المعاصر في ضوء السنة النبوية: الأسس والأهداف والوسائل والآثار، وآخر موعد لاستلام البحوث هو نهاية شهر ذو الحجة (١٤٣٣هـ)[1].

---

(١) انظر: جهود مراكز خدمة السنة والسيرة النبوية في المملكة العربية السعودية: د.أحمد بن عبدالله الباتلي: ١٤- ١٨، جهود المملكة العربية السعودية في الكراسي العلمية والجوائز في المجال الإسلامي: أ.هداية الله أحمد الشاش: ١٥، وهو بحث من بحوث المؤتمر

المبحث الثالث

جهود المؤسسات العلمية المعاصرة المتخصصة في السنة النبوية في المملكة الأردنية الهاشمية

المطلب الأول: جمعية الحديث الشريف وإحياء التراث في عمّان:

تعتبر هذه الجمعية إحدى جهود الأفراد في تأسيس المؤسسات التي تخدم السنة النبوية، وسأتحدث عن تأسيس هذه الجمعية، وأهدافها، ووسائلها، ومنجزاتها، وذلك بما يلي:

أولاً: تأسيس وأهداف ووسائل جمعية الحديث الشريف وإحياء التراث في عمّان:

الأول: تأسيس الجمعية: تأسست عام (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م) في عمان، وهي جمعية علمية متخصصة.

الثاني: أهداف الجمعية:

١- المحافظة على الحديث الشريف وعلومه، وتعريف الناس بأهميته، وحفظه بالوسائل المتاحة.

٢- إنشاء معهد للسنة النبوية المشرفة، وإيجاد دور للحديث ترفده بطلبة العلم.

٣- إنشاء مركز لتحقيق التراث، ونشر المخطوطات عموماً، وكتب الحديث الشريف وعلومه خصوصاً، وتبادلها مع المراكز العلمية المختلفة.

٤- إنشاء مكتبة متخصصة بالحديث الشريف وما يتعلق به.

٥- إنشاء مركز للمعلومات والحاسب الآلي خاص بالحديث الشريف وإحياء التراث، ووضعه في خدمة الباحثين من أهل العلم في هذا المجال.

٦- تنسيق الجهود المبذولة في خدمة السنة الشريفة، وإيجاد روح التعاون والألفة بين العاملين في مجالها.

٧- إصدار مجلة خاصة بالسنة النبوية والتراث تعنى بأخبارهما على المستوى المحلي والعالمي.

٨- نشر وتأليف وتبني طباعة المؤلفات في مجال الحديث النبوي الشريف وعلومه، وتقديم المساعدة والاستشارة العلمية للمراكز والهيئات ذات الاختصاص.

٩- إيجاد وسائل علمية سمعية وبصرية، تساعد على تحقيق أهداف هذه الجمعية(١).

الثالث: وسائل تحقيق أهداف الجمعية:

١- عقد المؤتمرات والندوات والدورات المتنوعة بما يخدم أهداف الجمعية.

٢- إعداد البحوث والنشرات العلمية التي تحقق أهداف الجمعية.

٣- المشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية التي تعنى بالحديث الشريف والتراث داخل الأردن وخارجه.

٤- المشاركة في إعداد المناهج الدراسية للجهات العلمية، فيما يتعلق بالحديث النبوي الشريف وعلومه.

الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية المنعقد بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٤٣٢هـ، ٢٠١٠م)، موقع جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة بالمدينة المنورة على الشبكة الدولية العنكبوتية للمعلومات (الإنترنت)؛ www.naifprize.org.sa

(١) انظر: جهود المعاصرين في الأردن في خدمة الحديث الشريف والسنة النبوية: عارف صالح صدقي أحمد: ٦.

٥- العمل على توفير كتب الحديث النبوي الشريف لطلبة العلم، وتزويد مكتبات المساجد، والمراكز العلمية المتخصصة بهذه الكتب.

٦- إقامة معارض للكتب، وللوسائل السمعية والبصرية التي تحقق أهداف الجمعية.

٧- فتح دور الحديث وتزويدها بالكتب المتخصصة[(١)].

ثانياً: منجزات الجمعية:

تتنوع هذه المنجزات إلى عدة محاور، وفيها الجديد من الأعمال، وهي كما يلي:

الأول: عقد المؤتمرات والندوات:

لهذه المؤتمرات والندوات فائدة كبيرة في فهم السنة والسيرة النبوية، وهي كما يلي:

١- مؤتمر تدريس السيرة في الجامعات، عام (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م).

٢- ندوة الأردن في الحديث الشريف والسيرة النبوية، عام (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م).

٣- ندوة الطب في السنة النبوية، عام (١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

٤- ندوة عمل حول إشكالية الحكم على الحديث الحسن.

الثاني: إصدار الكتب التي تخدم الحديث والسنة المطهرة:

رغم قلة هذه الدراسات والجهود فهي مفيدة وخاصة للباحثين، في التعرف على آخر ما كتب في الحديث من رسائل جامعية، وبحوث علمية، وإليكم هذه الدراسات:

١- حجية السنة: د.محمد بن لطفي الصباغ[(٢)].

٢- تلخيص رسائل الماجستير في الجامعة الأردنية بكلية الشريعة بقسم أصول الدين بشعبة الحديث الشريف: إعداد: جمعية الحديث الشريف وإحياء التراث.

٣- تلخيص البحوث المنشورة في المجلات العلمية المحكمة في الجامعات الأردنية حتى عام (١٤٢٠هـ) في الحديث وعلومه، إعداد: جمعية الحديث الشريف وإحياء التراث[(٣)].

٤- القول المعروف في أحاديث فضل المعروف: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت١٠٣٣هـ)، تحقيق: لطفي محمد يوسف الصغير[(٤)].

الثالث: إصدار النشرات التي تخدم الحديث والسنة المطهرة وطبعها وتوزيعها:

هذا العمل رغم سهولته فإنه يعتبر من الوسائل المهمة في نشر السنة النبوية، وتصحيح الأفكار من الأخطاء المتوارثة؛ وخاصة لدى عامة المسلمين، فهو مفيد لهم كثيراً، وهذا واضح من خلال عناوين البحوث المختارة الآتية:

---

(١) نقلاً عن نشرة تعريفية صادرة عن الجمعية.

(٢) وهو مطبوع في عمان بجمعية الحديث الشريف وإحياء التراث.

(٣) وهو مطبوع في عمان بدار الحامد.

(٤) وهو مطبوع في عمان بجمعية الحديث الشريف وإحياء التراث.

(نشرة في أحاديث الحج وأحكامه، مختارات من صالح الأعمال وأحسن الأفعال، أحاديث مختارة في فضل الصدقة وأثرها في سعة الرزق، أحاديث مختارة في البيع والتجارة، أحاديث مختارة في الرقية ومشروعيتها).

الرابع: عقد الدورات التعليمية للطلبة في علوم الحديث الشريف والتحقيق:

لعل القيام بمثل هذه الدورات التعليمية هو من الأعمال الجديدة التي تقوم بها إحدى المؤسسات التي تخدم السنة النبوية، وتساهم في تعليم الحديث الشريف وعلومه، وتحقيق كتبه، وإليكم إحدى برامجهم التعليمية:

أ- الدورات التعليمية في علوم الحديث الشريف وهي على ثلاثة مستويات، وكلها فيها امتحان:

المستوى الأول: ومدتها شهر ونصف، والكتاب المعتمد في التدريس هو: تيسير مصطلح الحديث: د.محمود طحان.

المستوى الثاني: ومدتها شهران، والكتاب المعتمد في التدريس هو: منهج النقد في علوم الحديث: د.نور الدين عتر.

المستوى الثالث: ومدتها شهر ونصف.

ب- الدورات التعليمية في التحقيق: ومدتها شهران، وفيها امتحان، وبعد النجاح يمنح الطالب شهادة بذلك.

الخامس: إجراء المسابقات في حفظ الحديث الشريف، وهي على ثلاثة مستويات حسب عمر الحافظ.

السادس: نشر المقالات الخاصة بالحديث في الصحف المحلية.

السابع: الإشراف على مشروعات علمية في الحديث لمؤسسات علمية وتجارية.

الثامن: عقد دورات الحاسب الآلي التي تختص بالحديث الشريف وعلومه.

التاسع: وضع منهاج للحديث الشريف وعلومه[1].

المطلب الثاني: مركز دراسات السنة النبوية في عمّان:

يعد هذا المركز إحدى الجهود الفردية المبذولة لخدمة السنة النبوية، وفيما يأتي تأسيسه، وأهدافه، ومنجزاته:

أولاً: تأسيس وأهداف مركز دراسات السنة النبوية في عمّان:

الأول: تأسيس مركز دراسات السنة النبوية في عمّان: تأسس المركز عام (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م).

الثاني: أهداف مركز دراسات السنة النبوية في عمّان:

١- إنشاء موسوعة الحديث النبوي الشريف الجامعة المصنفة وفق الأبواب الموضوعية.

٢- تخفيف الهوة بين أصحاب التخصصات المختلفة في المعارف الإنسانية والعلمية وبين الحديث وعلومه.

٣- تكوين المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ليشتمل على كل كلمة من كلمات متون الأحاديث النبوية.

٤- تكوين موسوعة شاملة لكل رجال الحديث الذين ذكروا في أسانيد الأحاديث النبوية.

٥- إنشاء معاجم لغريب الحديث لتستوعب الكلمات الغريبة في الأحاديث النبوية.

---

(١) انظر: جهود المعاصرين في الأردن في خدمة الحديث الشريف والسنة النبوية: عارف صالح صدقي أحمد: ٦- ٧، وبعض هذه الإنجازات نقلاً عن نشرات صادرة عن الجمعية.

٦- إخراج طبعة جديدة للكتب الستة، ثم الكتب التسعة لتوحيد طريقة الترقيم للأحاديث، وربط كل حديث في هذه الكتب بجميع أطرافه في كل مرة يرد فيها الحديث.

٧- إخراج كتب الحديث الستة ثم التسعة بطريقة المسانيد.

٨- القيام بالدراسات المتخصصة حول المواضيع المختلفة، وذلك من خلال الموسوعة التصنيفية للحديث النبوي وفقاً للأبواب الموضوعية.

٩- القيام بالدراسات الحديثية حول صيغ الحديث والأسانيد.

١٠- ترجمة مشاريع المركز إلى أهم اللغات في العالم، وخاصة الموسوعة التصنيفية.

١١- إنشاء مجلة دورية متخصصة تعنى بشؤون السنة النبوية، وتقوم بنشر الدراسات والأبحاث الحديثية.

١٢- إنشاء موقع على الإنترنت للمركز، بحيث يتم من خلاله عرض مشاريع المركز للناس في جميع أنحاء العالم[١].

ثانياً: منجزات مركز دراسات السنة النبوية في عمّان:

١- مشروع موسوعة الحديث النبوي الشريف ورجاله: الدليل التصنيفي: إشراف: د.همام عبد الرحيم سعيد، صدر الجزء الأول، مطبوع في عمّان بجمعية الدراسات والبحوث الإسلامية.

٢- موسوعة أحاديث المعاملات المالية: موسوعة تصنيفية منهجية فقهيه لأحاديث المعاملات من كتب السنة: جمع وتخريج: د.همام عبد الرحيم سعيد،ود.محمد همام عبد الرحيم، مجلد واحد، (١١١١صفحة)، (٢٠٦٤)حديثاً بأسانيدها، بالتعاون مع دار الكوثر في الرياض.

المطلب الثالث: مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية في عمّان:

هذا المركز إحدى جهود الأفراد في نشر السنة النبوية، وغيرها، وإليكم وقت تأسيسه، وأهدافه، ومنجزاته:

أولاً: تأسيس وأهداف مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية في عمّان:

الأول: تأسيس مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية في عمّان:

تأسس هذا المركز عام (١٤٢١هـ، ٢٠٠١م) في عمّان، وهو مؤسسة علمية دعوية تربوية، تعنى بنشر العلم النافع، والمعرفة الصحيحة، وتصفية ما علق بحياة المسلمين من بدع وخرافات، وأفكار دخيلة وافدة، كما تعنى بإحياء ميراث علمائنا الأجلاء من أهل السنة والجماعة، وبيان جهودهم وجهادهم في نصر الإسلام والمسلمين.

الثاني: أهداف مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية في عمّان:

١- الرجوع بالأمة الإسلامية إلى الكتاب والسنة الصحيحة، بفهم السلف الصالح.

٢- إحياء دور القرآن في نفوس المسلمين، حفظاً وتلاوة وتفسيراً وتفهماً.

٣- إحياء الميراث العلمي لأهل السنة والجماعة، تأليفاً وتحقيقاً ونشراً.

٤- الاهتمام بطلاب العلم والدعاة إلى الله، وتأهيلهم لذلك، وتفعيل دورهم في المجتمع.

---

(١) انظر: جهود المعاصرين في الأردن في خدمة الحديث الشريف والسنة النبوية: عارف صالح صدقي أحمد: ٢.

٥- التواصل العلمي والدعوي والتربوي مع أهل العلم وطلابه ودعاته.

٦- عقد دورات متخصصة في العلوم الشرعية واللغة العربية للمسلمين غير العرب.

٧- نشر البحوث والكتب العقدية والمنهجية والدعوية والتربوية التي تخدم الأمة الإسلامية، وتحيي فيها منهج السلف الصالح.

٨- الاهتمام بالمرأة المسلمة، والطفل المسلم، والأسرة المسلمة، وتوعيتهم وحمايتهم من الأفكار الدخيلة والبدع الهدامة، والعقائد المنحرفة، والعادات السيئة.

٩- خدمة السنة النبوية المطهرة والسيرة العطرة وما يبنى عليها، وتصفيتها مما ليس منها.

١٠- عمل دراسات ميدانية لتقديم حلول إسلامية واقعية للمشكلات الراهنة.

ثانياً: منجزات مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية في عمّان:

تنوعت إنجازات المركز إلى مجالات متعددة؛ فاشتملت على السنة النبوية وغيرها، وذلك بما يأتي:

الأول: عقد الندوات العلمية التي يشارك فيها عدداً من العلماء، ومن هذه الندوات ما يلي:

(الشيخ الألباني وجهوده في نشر الدعوة السلفية، ونبذة عن أصولها، حاجة الأمة إلى العلماء الربانيين، الدعوة السلفية: أصولها وأهدافها).

الثاني: عقد الدورات التعليمية للطلبة، وقد أقام المركز خمس دورات باسم دورة الإمام الألباني للعلوم الشرعية واللغوية.

الثالث: إصدار النشرات التي تقوم بإعدادها لجنة البحث العلمي وتحقيق التراث الإسلامي بالمركز:

(الإسلام وتكسير الأصنام، نصيحة لطلبة العلم، نبذة علمية في منهج السلف في العلم والعلماء، التحذير والبيان لبعض بدع شهري رجب وشعبان، شهر الصيام: فضائل وأحكام)[(١)].

المبحث الرابع: جهود المؤسسات العلمية المعاصرة المتخصصة في السنة النبوية في دولة قطر:

مركز بحوث السنة والسيرة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر بالدوحة.

أولاً: تأسيس وأهداف ووحدات المركز:

الأول: تأسيس المركز: تأسس هذا المركز بموجب القرار الأميري رقم (١٢) لعام (١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م)[(٢)].

الثاني: أهداف المركز:

١- إعداد موسوعة للحديث النبوي تضم صحاح الأحاديث محققة تحقيقاً علمياً، مبوبة تبويباً جديداً،

---

(١) انظر: جهود المعاصرين في الأردن في خدمة الحديث الشريف والسنة النبوية: عارف صالح صدقي أحمد: ٨- ٩، وبعض هذه الإنجازات نقلاً عن نشرات صادرة عن المركز حصلت عليها منه.

(٢) انظر: دَور مركز بحوث السيرة والسنة بجامعة قطر في خدمة السنة والسيرة: د.حصه عبد العزيز محمد السويدي: ٣، وهو بحث من بحوث ندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم برعاية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة عام (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر، العدد (٤)، (١٤٠٩، ١٩٨٩)، ندوة نحو موسوعة شاملة للحديث النبوي: ٥٦٤.

مفهرسة فهرسة حديثة، مخرجة إخراجاً عصرياً مشوقاً معلقاً عليها بما يوضح المفاهيم، ويدفع الشبهات والمفتريات، مع الاستفادة بأحدث الأساليب العلمية وخصوصاً في مجال الحاسبات الآلية.

٢- الإسهام في تحقيق المصادر المهمة للسيرة والسنة ونشرها بما يلائم العصر، ويقر بها لمن يريد أن يستفيد منها.

٣- إصدار دراسات عصرية عن السيرة والسنة تجلي مقاصدها، وتسهم في تكوين وعي إسلامي صحيح.

٤- متابعة ما ينشر عن السيرة والسنة بأقلام المستشرقين وغيرهم، للتنويه بالجيد منها، والرد على ما فيه تحامل وافتراء.

٥- إخراج دراسات مرجعية مفصلة، وأخرى جغرافية وأثرية وخرائط لأرض الرسالة ومواقع الغزوات وأحداث فترة النبوة.

٦- دراسة الأحكام الشرعية المستمدة من السنة بشكل متكامل للاستفادة منها عند وضع القوانين والتشريعات.

٧- إصدار مجلة علمية متخصصة تتابع حركة التأليف والنشر في حقل الفكر الإسلامي؛ وبخاصة المتعلق بالسيرة والسنة، وإصدار دليل دوري بالمراجع والكتب والمقالات المنشورة في هذا الشأن.

٨- إنشاء مكتبة إسلامية لبحوث السيرة والسنة ومؤلفاتها ومراجعها ومخطوطاتها.

٩- متابعة التقدم العلمي في مجال الدراسات الإسلامية، وتوثيق الروابط العلمية بين المستويات الخليجية والعربية والإسلامية، والدولية، والتعاون مع الجهات المعنية في الداخل، ومع الهيئات العلمية الإسلامية في الخارج في جميع الأنشطة التي تتعلق بوظيفة وهدف المركز[1].

الثالث: وحدات المركز:

من المفترض أن يضم التكوين الأساس للمركز الوحدات العلمية الآتية: (وحدة الموسوعة، وحدة البحوث والدراسات، وحدة التحقيق والترجمة والنشر)[2].

ثانياً: منجزات المركز:

الأول: إصدار المجلة العلمية الحولية الخاصة ببحوث السنة والسيرة، وقد صدر العدد الأول عام (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، وتمتاز المجلة بتخصص البحوث وجدتها ودقتها وتنوع من يكتب بها من أرجاء العالم الإسلامي.

الثاني: عقد الندوات المتخصصة بالسنة النبوية مثل: ندوة نحو موسوعة شاملة للحديث النبوي التي انعقدت عام (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، وشارك في هذه الندوة جمع من مندوبي مراكز السنة في العالم الإسلامي، وقدم كل مركز خططه في خدمة السنة ونوقشت هذه الخطط من العلماء المتخصصين في السنة النبوية، وعلوم الحاسب الآلي، ومن

---

(١) انظر: دَور مركز بحوث السيرة والسنة بجامعة قطر في خدمة السنة والسيرة: د.حصه عبد العزيز محمد السويدي: ٣- ٤، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر، العدد (١)، (١٤٠٤، ١٩٨٤)، المقدمة: ٦.

(٢) انظر: دَور مركز بحوث السيرة والسنة بجامعة قطر في خدمة السنة والسيرة: د.حصه عبد العزيز محمد السويدي: ٧- ٨، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر، العدد (١)، (١٤٠٤، ١٩٨٤)، المقدمة: ٦.

المعنيين ببناء الموسوعة من خارج دولة قطر ومن داخلها، وقد تقدم المشاركون بعدد واف من البحوث شملت موضوعات مختلفة تخدم جميعها أهداف الموسوعة، ومراحل إعدادها، وأهم عناصرها، واستخدام الحاسوب في بنائها.

الثالث: تحقيق ونشر مصادر السيرة والسنة المخطوطة: وهذا من أنشطة المركز، حيث اطلع على فهرس المخطوطات الحديثية في كل من ألمانيا، وبيروت، ودار الكتب القطرية، وتم تصوير المخطوطات المطلوبة من الدار وحفظها بالمركز، كما قرر مجلس إدارة المركز تكوين لجنة للقيام بزيارة الهند وباكستان، وذلك للإطلاع على المتوفر فيها من مخطوطات وكتب السنة والسيرة، وقامت اللجنة بشراء بعض المخطوطات لحساب المركز، وإلى جامعتي أم القرى بمكة المكرمة، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، توجهت لجنة أخرى من إدارة المركز للإطلاع على مقتنيات معاهد البحوث ومكتباتها من المخطوطات، واختيار ما يهم المركز منها، وهي الآن محفوظة بالمركز.

الرابع: إصدار دراسات وكتب في السنة والسيرة:

١- طبع كتاب "المنتقي من الترغيب والترهيب" دراسة وتحقيق، وانتقاء من كتاب "الترغيب والترهيب" للمنذري، في جزأين، قام بذلك د.يوسف القرضاوي بتكليف من مجلس إدارة المركز.

٢- تم طبع كتاب "السيرة النبوية الصحيحة" في جزأين، د.أكرم ضياء العمري.

٣- السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، د.يوسف القرضاوي.

٤- التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، د.أكرم ضياء العمري.

٥- تحقيق مخطوطة (الزيادات في كتاب المزني) للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري (ت٣٢٤هـ).

٦- جمع أحاديث المرأة المسلمة.

الخامس: الدراسات البيبلوجرافية: كلف المركز بعض الباحثين بإعداد "بيبلوجرافية" مفصلة للمخطوط والمطبوع من كتب السنة النبوية الشريفة، وعمل رصد بيبلوجرافي بما كتب باللغة العربية في مجال السنة النبوية الشريفة منذ بداية التأليف حتى الآن، والهدف من هذا المشروع هو التيسير على الباحثين في مجال السنة النبوية وعلومها، وتوفير مرجع أساسي للمراكز العلمية المهتمة بإحياء التراث أو تحقيقه[1].

الخاتمة

تعد جهود المؤسسات العلمية في السنة النبوية من المجالات المهمة في تطورها؛ خصوصاً وأنها تعمل على إحياء ونشر السنة النبوية بين المسلمين وغيرهم، وكذلك فإن هذه المؤسسات تسهم بشكل واضح في الدفاع عن السنة النبوية، ولهذه المؤسسات إيجابيات وسلبيات وهي:

أولاً: مميزات المؤسسات العلمية المعاصرة المتخصصة بالسنة النبوية:

١- وجدت أن أفضل منجزات علمية قدمتها مؤسسات خدمة السنة النبوية؛ كانت إنجازات مركز خدمة السنة والسيرة النبوية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

---

(١) انظر: دَور مركز بحوث السيرة والسنة بجامعة قطر في خدمة السنة والسيرة: د.حصه عبد العزيز محمد السويدي: ٨- ١٢، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٤)، (١٤٠٩، ١٩٨٩): ٥٦٣.

٢- يمتاز مركز السيرة والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف بالقاهرة عن غيره من المؤسسات بترجمة كتب السنة والسيرة إلى اللغات العالمية.

٣- يتميز مركز بحوث السنة والسيرة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر؛ بإصدار مجلة حولية متخصصة في السنة والسيرة، وتمتاز بحوثها بالجدة والدقة والتنوع، وكتابة علماء الحديث الشريف بها من سائر أرجاء العالم الإسلامي.

ثانياً: مآخذ المؤسسات العلمية المعاصرة المتخصصة بالسنة النبوية:

١- بعض هذه المؤسسات تحتاج إلى تطوير إداري واسع؛ لتقدم جهودها بشكل أفضل.

٢- عدم التنسيق فيما بين المؤسسات العلمية، فنلاحظ أن كل مؤسسة تعمل بمعزل عن المؤسسات الأخرى؛ مما يؤدي إلى تكرار الأعمال وإهدار الطاقات والأوقات.

٣- بعض هذه المؤسسات لم يقدم إنجازات مهمة، رغم مضي الزمن الطويل على تأسيسها؛ مع وجود الميزانيات الضخمة المرصودة له.

التوصيات

١- تشجيع المراكز العلمية على القيام بدورها في خدمة السنة والسيرة النبوية.

٢- التواصل مع الجهات الرسمية لبذل المزيد من الجهود في خدمة السنة والسيرة النبوية.

٣- دعم طباعة ونشر كتب السنة والسيرة النبوية.

٤- الاستفادة من الوسائل الحديثة كالحاسب الآلي في نشر السنة والسيرة النبوية.

٥- إنشاء وحدة معلومات مهمتها التنسيق بين المراكز العلمية في مجالات البحوث والدراسات في السنة والسيرة النبوية تلافياً لتكرار الجهود، وحرصاً على تقديم الأفضل.

٦- إنشاء قاعدة معلومات لجميع إصدارات المراكز والجهات العلمية من كتب ورسائل في السنة والسيرة النبوية.

٧- الحرص على تبادل المطبوعات بين المراكز والهيئات العلمية.

٨- تزويد المراكز والكراسي الإسلامية في الخارج بالمطبوعات في السنة والسيرة النبوية.

المصادر والمراجع

١- جهود مراكز خدمة السنة والسيرة النبوية في المملكة العربية السعودية: د.أحمد بن عبدالله الباتلي، وهو بحث من بحوث ندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.

٢- جهود المعاصرين في الأردن في خدمة الحديث الشريف والسنة النبوية: عارف صالح صدقي أحمد.

٣- جهود المملكة العربية السعودية في الكراسي العلمية والجوائز في المجال الإسلامي: أ.هداية الله أحمد الشاش، وهو بحث من بحوث المؤتمر الأول عن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة القضايا الإسلامية، (١٤٣٢هـ، ٢٠١٠م)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٤- دَور مركز بحوث السيرة والسنة بجامعة قطر في خدمة السنة والسيرة: د.حصه عبد العزيز محمد السويدي، وهو بحث من بحوث ندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية من القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.
٥- قائمة مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م)، وزارة الأوقاف، القاهرة.
٦- اللائحة المؤقتة لتنظيم العمل بمجمع البحوث الإسلامية الصادرة عن الأزهر، (١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م)، القاهرة.
٧- اللائحة الداخلية لمجلس مجمع البحوث الإسلامية الصادرة عن الأزهر الشريف، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، القاهرة.
٨- مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ودوره في خدمة السيرة النبوية: د.عبد الباسط عبد الرزاق بدر، وهو بحث من بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المدينة المنورة.
٩- مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالجامعة الإسلامية: أهدافه وإنجازاته: د.محمد بن يوسف عفيفي، وهو بحث من بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المدينة المنورة.
١٠- مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، العدد (١)، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، والعدد (٤)، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر.
١١- موقع جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة بالمدينة المنورة على الشبكة الدولية العنكبوتية للمعلومات (الإنترنت)؛ www.naifprize.org.sa
١٢- موقع الجمعية العلمية السعودية للسنة النبوية وعلومها على الشبكة الدولية العنكبوتية للمعلومات (الإنترنت)؛ www.sunnah.org.sa
١٣- نشرة تعريفية صادرة عن مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، جامعة الأزهر الشريف، القاهرة.
١٤- نشرة تعريفية صادرة عن جمعية الحديث الشريف وإحياء التراث، عمان، الأردن.

أثر المكانز الإلكترونية في خدمة التراث النبوي

د. محي الدين يعقوب أبو الهول

الأكاديمية العالمية للبحوث الشرعية للمالية الإسلامية (إسرا)

ماليزيا

mohyii@yahoo.com

المقدمة

إنّ من أهم ما يميز ديننا الإسلامي الوسط أنه لم يقنن ويحدد وسائل بعينها للدعوة بحيث لا يمكن تجاوزها أو حتى تطويرها والتغيير عليها بما يتلاءم وحالة المدعو، فالحكمة المقصودة تشمل ما يمكن استخدامه من وسائل وتقنيات حديثة تسهم في نشر هذا الدين العظيم وترسخ من قواعده ليثمر الهداية لتكون كلمة الله هي العليا، ولما كانت هذه الوسائل والتقنيات تشهد تغيرات سريعة، وتطورات ضخمة،حتى بتنا نعايش انفجاراً معرفياً هائلا، وثورة نوعية كبرى في هذا المجال وتمثل الشبكة العالمية (الانترنت) منتهى ما توصل إليه الإنسان في هذا الميدان، وأضحى العالم من خلاله قرية صغيرة بل غرفة صغيرة يحيط بها المرء في ثوان.

فالمطلوب منا كمسلمين نحمل راية الاستخلاف على هذه الأرض أن نوظف هذه الوسائل والتقنيات بما يحقق الفائدة منها ويسخرها لإيصال هذا الخير العظيم وبما يتناسب وحالة المدعو ويتسق وفهمه وإدراكه، فبعدما كانت وسيلة التواصل والتعلم والتثقيف مرتبطة بالقلم والورق والكتابة وطباعة الكتب ونشرها بالوسائل التقليدية، أدى ظهور الحواسيب الفائقة السرعة وتقنيات تداول المعلومات إلى ثورة رقمية تجلت على الخصوص في أمرين(١):

-أولهما: تطور طرق معالجة المعلومات كماً وكيفاً، فمن حيث الكم يمكن بواسطة الحاسوب التعامل مع معلومات كثيرة سواء في موضوع واحد أو موضوعات مختلفة ومن حيث الكيف يمكن فرزها وفهرستها وتحليلها وفق معطيات محددة، إضافة إلى تيسر البحث السريع وسهولة الوصول إلى المعلومات المطلوبة في مدة وجيزة.

-ثانيهما: تطور طرق التخزين والحفظ باستعمال الأقراص المرنة والصلبة والأقراص المدمجة ذات القدرة الفائقة على خزن آلاف الصفحات وملايين الكلمات فصار صون الموسوعات الضخمة كالموسوعة البريطانية التي طبعت على الورق في أزيد من ٣٠ مجلداً ضخماً لا يستدعي سوى قرص من اللدائن لا يزن أكثر من ٢٠ غراماً(٢).

وهذا دون أن نغفل عن الإشارة إلى الشبكة العالمية للمعلومات التي تعدّ بحق محيطات واسعة تتلاطم فيها أمواج المعارف والمعلومات ويختلط فيها الثمين بالخسيس، أو هي كما وصفها أحد الباحثين: "الغابة الكثيفة من مراكز تبادل المعلومات التي تختزن وتستقبل وتبث جميع أنواع المعلومات في شتى فروع المعرفة وفي جوانب الحياة كافة، من قضايا الفلسفة وأمور العقيدة إلى أحداث الرياضة ومعاملات التجارة، ومن مؤسسات غزو الفضاء وصناعة السلاح إلى معارض الفن ونوادي تذوق الموسيقى، ومن الهندسة الوراثية إلى الحرف اليدوية، ومن البريد الإلكتروني إلى البث الإعلامي، ومن المؤتمرات العلمية إلى مقاهي الدردشة وحلقات السمر عن بعد، ومن صفقات بورصة نيويورك إلى مآسي المجاعات والأوبئة في أرجاء القارة السوداء"(٣).

---

(١) التراث والتقنيات الحديثة للمعلومات، د.المهدي بن محمد السعيدي، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد: ٩٠، السنة الثالثة والعشرون، حزيران/يونيو ٢٠٠٣م ربيع الآخر ١٤٢٤هـ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الثقافة العربية وعصر المعلومات، د. نبيل علي، ص:٩٣-٩٤، سلسلة عالم المعرفة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون

أدت كل هذه الوسائل الجديدة إلى تغيير طرق تداول المعرفة، فمن الاعتماد على الطباعة والنشر الورقي المعروف إلى التوسل بالنشر الإلكتروني مما يوفر إمكانية الحصول على المعلومات المطلوبة بسرعة فائقة بغض النظر عن الزمان والمكان، إضافة إلى سهولة طبعها ونسخها، فصار في وسع الباحث في ظرف وجيز الوصول إلى المعارف التي كان يستغرق سلفه لتحصيلها مدة شهور.

وإذا كان لهذه الوسائل أوجه إيجابية فإنها لا تخلو من سلبيات لعل من أكثرها بروزاً تيسير سبل الغش والقرصنة على قليلي الوازع ومنعدمي الضمير، فقد ظهر هنا وهناك في أنحاء العالم بل في بعض البلاد العربية باحثون انتحلوا دراسات ومقالات من مواقع على الشبكة العالمية أما تلامذة المدارس وطلبة الجامعات فحدث عن البحر ولا حرج حيث صارت الشبكة العالمية ملاذهم إن كلفوا بواجب أو ألزموا بفرض(٤).

ولا يقف الأمر عند هذا الحد إذ تطرح الوسائل التقنية تحديات أخرى أكثر عمقاً وخطورة على الثقافة العربية الإسلامية المؤسسة منذ قرون على تداول المعارف والمعلومات بواسطة الكتاب المخطوط قديماً والمطبوع حديثاً سواء في مصادر التشريع كالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أو تراث الأمة بمختلف مناحيه(٥).

والمسلم الناجح لا يترك وسيلة لعرض دعوته وكسب الأنصار لها إلا استعملها، بل وبما ينمي ويقوي بنيانه المعرفي تحقيقاً وتنقيحاً للتراث الإسلامي واستثماراً لكنوزه الدفينة بما يبرز أحقية هذا الدين ويضئ شمعة على طريق هداية البشرية مستفيداً من كل ما أتيح له من وسائل حديثة، ومن مستجدات العصر في الدعوة إلي الله؛ فهو يدعو عبر القنوات الفضائية، وعن طريق شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) وكل ما يُستجد من وسائل وتقنيات حديثة، ولا يحصر نفسه في دائرة ضيقة من الوسائل، مع الحفاظ على ثوابت الدعوة وأصولها، والداعية الناجح يأخذ بالتنوع في وسائله الدعوية، وبما يتناسب مع الزمان والمكان والأشخاص والأحوال(٦).

الضرورة الملحة في حاجة الناس إلى العمل بالسنة:

إنه مما لا شك فيه أن السنة علم واسع يتعلق بجميع ما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم ودنياهم ومعادهم وجهادهم وبيعهم وشرائهم وما يلتحق بذلك من الإيجار والعارية والهبة والواقف والصلح والنكاح والطلاق، فالرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث عن إصلاح المجتمع وعن عوامل الهدم التي تعمل عملها على تقويض دعائمه، وعن

والآداب بالكويت، العدد: ٢٧٦ إصدار ثان، ديسمبر ٢٠٠١م.

(٤) من مظاهر الغش اعتماداً على الشبكة العالمية مما تناقلته وكالات الأنباء: قيام تلميذ بعد أن كلف بفرض في الرياضيات بتوجيه الأسئلة عن طريق الإنترنيت إلى أحد المختصين في حلقة نقاش ليقوم بحلها نيابة عنه. غير أن أستاذه استطاع كشفه لأن الأجوبة التي قدمها كانت في غاية الدقة بحيث لا يستطيع تلميذ في مثل مستواه حلها على ذلك النحو.

(٥) لم ينتبه الباحثون إلى هذه المحاذير والتحديات التي تجابه الثقافة العربية الإسلامية في اعتمادها على التقنيات الحديثة، ينظر مثلاً: عالمنا العربي ومستقبل النشر الإلكتروني، سليمان إبراهيم العسكري، مجلة العربي العدد: ٥٠٦ يناير ٢٠٠١م، ص١٣.

(٦) معالم أساسية لانطلاقة الداعية: موقع إخوان أون لاين، ٢٠٠٤/٠١/٠٥م، معالم أساسية لنجاح الداعية:جهاد، المجتمع الكويتية، ١٤٢٢/٧/٤هـ.

عوامل البناء التي تعمل على إقامته على قواعده السليمة، ويتحدث عن النظم التي ينبغي أن تسود المجتمع الإنساني، وعن الأوضاع التي يجب أن تستقيم وعن الأعمال التي يجب أن تجتنب.

ومن أجل ذلك كله كان نشر السنة واجباً دينياً وعملاً اجتماعياً وواجباً وطنياً حتمياً وإصلاحاً أخلاقياً، وهو على كل حال ضرورة ملحة في عصر تحاول فيه الرذيلة أن تطغى على الفضيلة، ويحاول الانحلال الخلقي أن يعم كل أسرة وفي كل بيت، ويحاول الفساد أن يأتي على مقدسات الأمة ومقوماتها من كل عرض وشرف وكرامة.

كما وإن العمل على نشر السنة إنما هو توجيه للاقتداء بالرسول- صلى الله عليه وسلم – وقد سمى الله السنة في كتابه باسم الحكمة لكونها تفسر بإصابة الحق في القول العمل.

تعريف المكنز:

- المعنى اللغوي للمكنز في أصلها اليوناني هو المستودع أو الكنز، ثم عرف في اللغة الإنجليزية ليشير إلى "العمل الذي يحتوي على كلمات أو معلومات عن مجال معين أو مجموعة مفاهيم وعلى وجه التحديد قاموس مترادفات".
- من حيث الوظيفة هو "وسيلة ضبط مصطلحات، تستخدم للترجمة من اللغة الطبيعية للوثائق أو المكشفين أو المستفيدين إلى لغة نظام أكثر تقييداً.
- من حيث البناء هو "لغة مضبوطة وديناميكية، تتكون من المصطلحات المتصلة ببعضها البعض دلالياً والتي تغطي أحد حقول المعرفة".
- وينبغي أن يعكس المكنز محتوى الوثائق التي تطبق عليها كما ينبغي أن تحتوي على المصطلحات والإحالات الملائمة للمادة الموضعية(٧).

التقنية وخدمة التراث النبوي الشريف:

لما كانت للسنة النبوية مكانة عظيمة في دين الله، ومنزلة رفيعة، فقد بذلت الأعمار لسبر أغوارها ولتحصيل كنوزها، حيث لقيت من العناية والاهتمام بها من علماء الأمة ما يعجز البيان عن تعداده؛ فأقاموا حولها من العلوم لخدمتها وتحقيق حال نقلتها والتصنيف فيها، ما زخرت به مكتبات العالم أجمع من كتب مطبوعة ومخطوطة، غير ما فقد من ذلك وهو كثير(٨).

ويتواصل الاهتمام بها مع هذا التقدم العلمي والثورة المعرفية وتتقدم الوسائل وتستجد التقنيات، وبدأ أهل الإسلام استثمار ما يستجد من وسائل خدمة لدين الله عز وجل وتيسيره للعالمين، وذلك في كل عصر بحسبه،

---

(٧) انظر في ذلك: لوسي أ. تيد، معجم المصلحات الحاسب الإلكتروني تونس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨١م، ص٢٢٤، بدر،احمد، محمد فتحي عبد الهادي، ناريمان إسماعيل، التكشيف والاستخلاص: دراسات في التحليل الموضوعي، القاهرة: دار قباء، ٢٠٠١م، ص٢١٦.

(٨) إبراهيم بن حماد السلطان الريس، التقنية الحديثة في خدمة السنة والسيرة النبوية بين الواقع والمأمول، مؤتمر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية" عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية"، ص٤-٥.

ولعل التتبع لبدايات هذا الفتح يجد بأن للسنة النبوية من ذلك النصيب الأوفر؛ بدأً من حفظها في الصحف والأوراق ومروراً بتزيينها بالنقط والتشكيل، وما تبع ذلك من مراحل استجدت فيها تقنيات استدعت أن تسخر لخدمة هذا النور والهدى والحكمة، إلى أن جاء عصر الطباعة؛ حيث كانت ثورة تقنية في نشر العلم النبوي وتيسير الحصول على مصادره، ثم ما تلا ذلك من الاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة: مقروءة ومسموعة ومرئية في إيصال هذا الخير ونشره(٩).

ومع تقدم التقنية وظهور ما يعرف بعصر الحاسب الآلي، كان للسنة والسيرة النبوية من الخدمة من خلال أجهزة الإعلام المختلفة والحاسب وبرامجه، ومن خلال شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) الجهود الكثيرة من أجل تيسير سبل الوصول إلى خبر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم لجميع أمة الإسلام في أصقاع الأرض كلها، فتوافرت برامج موسوعية تتناول علوم الحديث رواية ودراية، وتتناول علم الرجال وجمع المصنفات فيهم في برامج تيسر سبل الوقوف على متن الخبر، وأقوال الأئمة في حاله، وكذا الوقوف على نقلة السنة النبوية ومعرفة أقوال أئمة الجرح والتعديل فيهم.

ويمكن القول بأنّ الوسائل والتقنيات الحديثة كثيرة جداً، وربما من الصعب حصرها، إلا أننا سنركز عليها من خلال:

أولاً: وسائل الإعلام المعاصرة

لا شك بأن دور الإعلام المعاصر آخذ بالتعاظم يوماً بعد يوم مع هذه الثورة في تقنيات ووسائل الاتصال الحديثة، حيث أصبح هذا الإعلام سيفاً مشرعاً يمتلك من التأثير والقدرة على التغيير في مختلف الأبعاد والحقول أكثر من أي وسيلة حديثة أخرى، فالإعلام المعاصر بمختلف أوعيته ووسائله وتقنياته أصبح قادراً على صناعة الرأي العام وتوجيهه، وتحريك مجريات الأحداث، وتشكيل ثقافة عامة، بل وبناء المعرفة الإنسانية بشكل مذهل وخلق سلوكيات جديدة عند الأفراد والمجتمعات، وهذا كله يعطي للإعلام أهمية قصوى وخطيرة في الوقت نفسه، وتنبع الأهمية من القدرة الفائقة على التأثير والتغيير، أما الخطورة فتنشأ من قدرة الإعلام الحديث على تزييف الحقائق، وتزيين الباطل، وقلب الأمور رأساً على عقب(١٠).

ونتيجة لأهمية الإعلام في عالم اليوم، فإن الخطاب الإسلامي المعاصر بحاجة ماسة وضرورية لتوظيف وسائل الإعلام الحديثة في نشر هذا التراث النبوي العظيم، ومخاطبة الناس، كل الناس، على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم وأفكارهم، حتى يفيدوا من هذا الكنز العظيم، وبالرغم من بعض التطور والتقدم هنا أو هناك، ولكن المسألة تبقى أكبر من ذلك بكثير، والمطلوب هو امتلاك إعلام إسلامي فعال ومؤثر، ويجب الاستفادة من كل التقنيات الإعلامية الحديثة، مع تقديم برامج تخصصية ومجالس علمية تفاعلية بحيث تمتلك القدرة على التأثير والتغيير بما يحقق التطوير والتنافسية في مختلف الأبعاد والجوانب.

---

(٩) المرجع السابق.

(١٠) عبدالله أحمد اليوسف، الخطاب الإسلامي المعاصر والمسالة الإعلامية، العدد: (٢٩)، السنة السابعة، ٢٠٠٠م-١٤٢١هـ.

ولقد بتنا نطالع بعض التقدم في هذا المجال مع انتشار للإعلام الإسلامي من مرئيات ومسموعات وحتى من المجلات العلمية والصحف والكتب، غير أن هذا البعث لا يزال في بداياته ويحتاج منا إلى المزيد من الجد والاجتهاد مع وجود منافسة شرسة تفتقد إلى عنصر التكافؤ سواء من حيث الموارد المادية أو حتى البشرية الخبيرة.

إن إنشاء قنوات فضائية إسلامية تعنى بالتراث النبوي أصبح اليوم من أوجب الواجبات، وأفرض الفروض فهي أكثر الوسائل وأمضاها والتي تصل إلى كل بيت فقير أو غني سقيم أو صحيح، حيث هناك من النّاس من لا يصل إليهم هذا التراث النبوي إلا بواسطة هذه الوسيلة، وما لم يتمّ به الواجب فهو واجب، وإذا لم نستعملها في نشر هذا النور نقص حظّنا منها، وفات كثير من الناس أن يعرفوا شيئاً عظيماً عن الإسلام، وبقوا على جهلهم، أو يغزوهم المضللون والهدامون فيصلون إليهم بإذاعاتهم وشبكاتهم وقنواتهم الفضائية فتصل إليهم الأفكار الهدامة والعقائد الفاسدة، ولا يصل إليهم نور الإسلام وهديه. كما حصل في مسألة الطعن بالرسول وما صاحبها من حملة إعلامية حشد لها جند الشيطان تحت مظلة إعلامية ضخمة فبدأت بالرسوم المسيئة ثم بالأفلام والأمور لن تقف عند هذا الحد.

إنّ القنوات الإسلامية تتوافر لها كثير من إمكانيات الانتشار الواسع والتأثير البالغ، ولذلك قد تعين على الأمّة إنشاء قنوات فضائية إسلامية تبث هذا النور، وتسير على منهج أهل السنة والجماعة، لتقطف من ثمار هذا التراث النبوي وتبصر الناس بالسنة وما فيها من خير وما يرتبط بها من علوم ومعارف ساهمت في انتشال البشرية من الكثير الكثير من الأزمات ليس آخرها الأزمة المالية العالمية والتي أطاحت بالنظام العالمي الوضعي القائم على الربا.

ولتكون هذه القنوات المعين الصافي والذي يبث روح التدين الصحيح القائم على الوسطية في الاعتقاد والسلوك بعيداً عن الغلو والتطرف، كما يمكن لها أن تقدّم المفهوم الصحيح للإسلام لكثير من الأقليات المسلمة التي تعيش في المجتمعات الكافرة ويهددها الذوبان في هذه المجتمعات، إن مسألة إنشاء القنوات الفضائية وتعزيز وتنمية الموجود منها لم يعد خياراً للأمة بل هو واجب شرعي لإشاعة الحق وكشف الباطل، وإنشاء القنوات الفضائية الدعوية مهمة: الحكومات المسلمة والعلماء والدعاة والإعلاميون والمفكرون والتجار وغيرهم، ممن لديه استطاعة في الإسهام في إنشاء هذه القنوات بالدعم المالي أو الفكري أو البدني، وذلك بتسخير الطاقات المالية والإعلامية والإدارية لإنشائها واستمرارها في أداء رسالتها الدعوية(١١).

إن إنشاء قنوات فضائية إسلامية دعوية أصبح اليوم من الواجبات، فهي أكثر الوسائل الدعوية تحقيقاً لواجب الدعوة إلى الله تعالى، حيث هناك من النّاس من لا تصل إليهم الدعوة إلا بواسطة هذه الوسيلة، وما لم يتمّ به الواجب فهو واجب، وإذا لم نستعملها في الدعوة نقص حظّنا منها، وفات كثير من الناس أن يعرفوا شيئاً عن الإسلام، وبقوا على جهلهم، أو يغزوهم المضللون والهدامون فيصلون إليهم بإذاعاتهم وشبكاتهم وقنواتهم الفضائية فتصل إليهم الأفكار الهدامة والعقائد الفاسدة، ولا يصل إليهم نور الإسلام وهديه.

---

(١١) قناة مكة الفضائية: (http://www.makkah1.tv/main.html).

إنّ القناة الإسلامية تتوافر لها كثير من إمكانيات الانتشار الواسع والتأثير البالغ، لذلك قد تعين على الأمّة إنشاء قنوات فضائية إسلامية تحمل همّ الدعوة إلى الله تعالى، وتسير على منهج أهل السنة والجماعة، فتحمل رسالتها بكل ثقة واعتزاز وتبصر، لتبث روح التدين الصحيح القائم على الوسطية في الاعتقاد والسلوك بعيداً عن الغلو والتطرف، كما يمكن لها أن تقدّم المفهوم الصحيح للإسلام لكثير من الأقليات المسلمة التي تعيش في المجتمعات الكافرة ويهددها الذوبان في هذه المجتمعات. إن مسألة إنشاء القناة الفضائية لم يعد خياراً للأمة بل هو واجب شرعي لإشاعة الحق وكشف الباطل، وإنشاء القناة الفضائية الدعوية مهمة: الحكومات المسلمة والعلماء والدعاة والإعلاميون والمفكرون والتجار وغيرهم، ممن لديه استطاعة في الإسهام في إنشاء هذه القنوات بالدعم المالي أو الفكري أو البدني، وذلك بتسخير الطاقات المالية والإعلامية والإدارية لإنشائها واستمرارها في أداء رسالتها الدعوية(١٢).

وبالرغم من حداثة التجربة الإعلامية الإسلامية خاصة في مجال البث الفضائي إلا أن الفضائيات الإسلامية استطاعت أن تستحوذ على جمهور عريض على امتداد العالم الإسلامي، وبلغت قرابة العشرين قناة، ومنها قناة المجد للحديث والتي تعنى بالحديث النبوي الشريف وغيرها من القنوات الإسلامية والتي تبث برامج علمية ودعوية تعنى بالتراث النبوي، ومعها العشرات من الإذاعات والمطبوعات الإسلامية، وهناك المئات من المواقع الإسلامية على شبكة الإنترنت في مختلف الاهتمامات والاتجاهات، وتشير الإحصاءات إلى ما يقارب الـ ٤٠ ألف مدونة عربية(١٣).

ثانياً: وسائل الاتصال المعاصرة

شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) وما يتصل بها من بريد الكتروني ومنتديات ومدونات وغرف حوارية: لقد ثبت تميز تجربة الانترنت وما يلحق بها فيما يتعلق بالتراث النبوي وبالذات ما يختص منها بالإسناد والمتن بل ودحض الشبهات وإنكار الموضوعات وردها حتى صارت علوم الحديث ميسورة مبسوطة في تناول يد الجميع تخاطب كل العقول والأفهام وتصل لكل الشرائح، تبدأ بطرح الحديث الضعيف لتنتقل إلى التفصيل فيما يرتبط بالسند والمتن، وبعدة لغات بناء للشخصية الإسلامية ودعوة لغير المسلمين في شتى بقاع الأرض وفق منهج يخلو من الشوائب ويتميز بالنقاء والثبات.

كما ومكنت هذه الشبكة من: "الحصول على برامج عديدة في العلوم المختلفة في التفسير والحديث، والفتاوى الفقهية، واللغة، إضافة إلى تحميل الكتب والمصنفات العديدة، بلغاتٍ مختلفةٍ على أجهزة الحاسوب، وهذه تفيد كثيراً من الناس في الدول التي يصعب أو لا يمكن نقل الكتب الإسلامية إليها، إضافةً إلى تبصير المسلمين بأحوال العالم الإسلامي، وما يعانون منه وطرح مشكلاتهم و سبل حلها"(١٤).

---

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) عصام زيدان، الإعلام الإسلامي...الواقع والتحديات

(١٤) استخدام البالتوك في الدعوة إلى الله عز وجل والبديل المقترح:الدكتور عاصم بن عبد الله القريوتي.

كل هذا وغيره جعل من استخدام الشبكة الدولية(الانترنت) وسيلة فاعلة في هذا المجال، لما لهذه التقنيات من قدرات عالية على حفظ كم هائل من المعلومات وتيسير عمليات استرجاعها والوصول إليها، أضف إلى ذلك ما تتمتع به هذه الشبكة من مزايا في مجال تطوير علوم التراث النبوي ومن هذه المزايا(١٥):

١- ارتباط ملايين الهيئات والمنظمات والأفراد في شبكة واحدة عالمية.

٢- تحقيق الاتصال وتبادل المعلومات بين الأطراف المشتركة على الشبكة بخلاف الوسائل الإعلامية الأخرى كالصحف والبث التلفزيوني، والتي تكون غالباً وحيدة الاتجاه من الناشر إلى القارئ.

٣- سهولة الاستخدام والتعلم للوسائل الحديثة، والنشر الإلكتروني تجعل الكل يستطيع التعامل معها. فاستخدام (الإنترنت) بات أسهل من استخدام الكمبيوتر، ويمكن أن يستخدم الشخص (الإنترنت) خلال عدة جلسات لا تتجاوز عشر ساعات حتى ولو لم يستخدم (الإنترنت) من قبل وحتى من خلال هاتفه النقال دون حاجة للحاسب.

٤- توفير وسائل بحث واستقصاء وعرض للمعلومات ذات سرعة بالغة بالإضافة لتخزين كم هائل من البيانات والمعلومات.

٥- تنوع وتعدد أسلوب العرض والإعلان على الشبكة من النصوص المكتوبة والصور والرسوم بالإضافة إلى الأصوات والعرض الفيديوي بخلاف وسائل الإعلام الأخرى كالإذاعات أو محطات التلفزيون أو الصحف.

٦- إمكانية الربط بين المعلومات المتنوعة المتوفرة على الشبكة حيث يمكن للمستخدم مثلاً البحث في موسوعة القرآن الكريم ثم البحث في موسوعة كتب التفاسير على موقع، والانتقال إلى موسوعة الحديث والتي قد تكون على موقع آخر بالشبكة دون جهد ثم في نفس الوقت والبحث في الأسانيد والرجال وتفسير المتون على أكثر من مستوى والتعرف على كل التفاصيل خلال وقت قصير والذي كان يتطلب فيما سبق أياماً بل سنوات، مما يهيئ وسيلة في غاية الفاعلية للحصول على المعلومات المطلوبة ولكن الذي يجب التأكيد عليه أن استخدام الحاسوب وشبكة (الإنترنت) لا يعني الاستغناء عن الوسائل الأخرى، فهذه الوسيلة ليست بديلاً عنها وإنما هي وسيلة تكمل الجهود الأخرى"(١٦).

٧- الجاذبية: إقبال الناس المتزايد على استخدام (الإنترنت) كبير؛ إذ يبلغ عدد المستخدمين حوالي (٣٥٠) مليوناً، وينضم شهريّاً أكثر من مليون مستخدم، وأصبحت (الإنترنت) اليوم مرجعاً لكل باحث عن معلومة معينة ومقصداً لكل طالب علم ديني أو دنيوي. لقد كان من الصعوبة فيما مضى الحصول على معلومات صحيحة وشاملة فيما يتعلق بعلوم التراث النبوي الشريف بل وعن الإسلام بشكل عام في كثير

---

(١٥) صالح الرقب، الوسائل والأساليب المعاصرة للدعوة الإسلامية، بحث مقدم لمؤتمر كلية أصول الدين مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر المنعقد في الفترة: ٧-٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ- ١٦-١٧ أبريل ٢٠٠٥م ص٥ وما بعدها.

(١٦) مقترح إنشاء مركز خدمة الإسلام بواسطة الحاسوب والإنترنت.

من بلدان العالم، أمّا اليوم فقد اختلف الوضع تمامًا، وصار الإسلام وعلومه يقتحمون بيوت الناس ومعاهدهم بل وغرفهم الخاصة.

٨- قلة التكلفة: ويدلّ على ذلك أنه لو فكر إنسان بطباعة كتيب صغير يوزعه على عشرة ألاف شخص فيكلفه مبلغا لا بأس به، أمَّا عبر (الإنترنت) فيمكن أن يُطبع الكتاب ويُرسل إلى ملايين دون تكلفة تذكر، كما أن كثيراً من الخدمات التي تقدمها الشركات العالمية أصبحت مجانية، ومعظم هذه الخدمات هي نفسها التي يستخدمها الدعاة إلى الله من الوسائل المقروءة والمرئية والمسموعة.

٩- العالمية: لقد أصبح استخدام (الإنترنت) متوفراً في كل دول العالم تقريبًا، ولذا فإنّ الداعية ليس محصورًا في مكان معين، أو مدرسة معينة أو مسجد معين؛ إذ يمكن أن يدعو في أي مكان بمجرد وجود شبكة (إنترنت) حتى من مقاهي (الإنترنت) كما يستطيع أن يدعو وهو بعيد عن الشبكة، ويتمثل هذا في حالة تأسيسه لموقع يمكن الاستفادة منه حتى وهو نائم(١٧).

والحقيقة أن المواقع الإسلامية على شبكة الإنترنت وبالرغم من حداثة تجربتها إلا أنها تعدُّ من أهمِّ الوسائل المعاصرة، ولقد "شهدت السنوات الأخيرة جهوداً متزايدة لتطوير تطبيقات الحاسوب في خدمة الأغراض الإسلامية والشرعية. وقد تركزت معظم تلك الجهود حول تطوير استخدامات الحاسوب في خدمة السنة النبوية (تحقيق وتصنيف وحفظ واسترجاع)، وفي خدمة القرآن الكريم (حفظ واسترجاع وشرح معاني كلمات وتفاسير)، كذلك برزت التطبيقات التي تهدف لبناء نظم معلومات وقواعد بيانات فقهية ولأغراض حساب المواريث وخدمة علم الفرائض، كما توجد بعض التطبيقات التعليمية التي تهدف لتعليم الأطفال كيفية أداء الصلاة وكيفية ممارسة بعض الشعائر الدينية، ولما كان لعلوم التراث الإسلامي تلك الأهمية البالغة، لذا فإنّ الحاسوب وشبكة (الإنترنت) ستكون وسائل فعالة في هذا المجال، لما لهذه التقنيات من قدرات عالية على حفظ كم هائل من المعلومات وتيسير عمليات استرجاعها والوصول إليها. وقد بينت العديد من الدراسات السابقة أن هناك عناصر عديدة تزيد من فعالية تقنيات الحاسوب وشبكة (الإنترنت) في هذا المجال(١٨)، ونعرض في هذا المقام لعينات ونماذج من تلك المواقع مع وصف لمضامينها، وتحليل لمحتوياتها(١٩):

١ الحديث الشريف على موقع الإسلام: www.hadith.al_islam.com

وهو موقع متميز يشتمل على مجموعة من كتب السنة النبوية المطهرة هي:

صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن النسائي، وسنن الترمذي، وسنن أبي داود، وسنن ابن ماجه، ومسند احمد، وموطأ مالك، وسنن الدارمي، ومصنف ابن أبي شيبة، ومشكل الآثار للطحاوي.

---

(١٧) الدعوة إلى الله عبر الشبكة العنكبوتية: خالد بن عبد الله البشر، انظر موقع الدين على شبكة المعلومات الدولية (http://www.deen.ws/daoh/112.htm)

(١٨) المصدر السابق.

(١٩) انظر في ذلك أثر التقنيات الحديثة في نشر الدعوة ص٤٣ وما بعدها.

كما يشتمل على مجموعة من الشروح، من أهمها: فتح الباري و شرح النووي على صحيح مسلم، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، وشرح سنن النسائي للسندي، وشرح سنن النسائي للسيوطي، وعون المعبود لشرح سنن أبي داود، وتعليقات الحافظ ابن القيم على سنن أبى داود، وشرح سنن ابن ماجة للسندي، والمنتقى لأبي الوليد الباجي

ومن مزايا هذا الموقع: اشتماله على فهارس للأحاديث القدسية، والمتواترة، والمرفوعة والموقوفة، والمقطوعة، والأبيات الشعرية الواردة ضمن الكتب السابقة، كما يشتمل على فهارس موضوعية للكتب التسعة.

٢- موقع صحيح البخاري: www.hamoeslam.com/hadith/hmt وهو برنامج صوتي مسموع وواجهة هذا الموقع باللغة الإنكليزية.

٣- موقع ترجمة الحديث الشريف: www.trnhadeeth.8m.com

وهو موقع يشتمل على مجموعة من الأحاديث، من صحيحي البخاري، ومسلم، وغيرهما باللغة الإنكليزية كما يشتمل على سيرة موجزة لحياة النبي صلى الله عليه وسلم.

٤- موقع نداء الإيمان: www.al-eman.com

وهو موقع متنوع يشتمل على محور للحديث الشريف، ويتضمن مجموعة من كتب السنة النبوية المطهرة يقدّر عددها بـ(٢٢١) كتاباً، منها صحيح البخاري، وصحيح مسلم والسنن الأربعة، وموطأ مالك، ومسند أحمد، وسنن الدارمي، وغيرها. كما يشتمل على فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبن حجر العسقلاني. ومن مزايا هذا الموقع اشتماله على مكتبة صوتية، تتضمن دروساً ومحاضرات لبعض المعاصرين المشتغلين بالسنة النبوية، والدعوة، كالشيخ أبي إسحاق الحويني، والشيخ خالد عثمان السبت، والشيخ عائض بن عبد الله القرني، وغيرهم.

٥- موقع الأزهر الشريف: www.alazhr.org/al-sonna

يتميز هذا الموقع باشتماله على محرك بحث عن الأحاديث النبوية ضمن الكتب الموجودة على الموقع، وهذه الكتب هي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، والسنن الأربعة، وموطأ مالك، ومسند احمد، وسنن الدارمي، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي، ومسند الحميدي، ويشتمل على مجموعة من الشروح، منها: فتح الباري شرح صحيح البخاري، وشرح صحيح مسلم للنووي، وغيرهما.

٦- موقع المحدث:www.muhaddith.org

وهذا الموقع من تصميم وإصدار طلبة دار الحديث النبوي في واشنطن سابقاً، ومن أهم مزايا هذا الموقع: اشتماله على محرك بحث متنوع بطرق متعددة، كالموضوع، أو اللفظ، أو النص، ويتضمن هذا الموقع: مجموعة كبيرة من الكتب المختصة بالسنة النبوية المطهرة كالصحيحين والسنن الأربعة، ومسانيد احمد، وأبى حنيفة، والشافعي، والموطأ، والمعجم الكبير للطبراني، والجامع الصغير للسيوطي، وكنز العمال للمتقى الهندي. والكتب الفقهية: كالمبسوط للسرخسي، واللباب بشرح الكتاب للميداني، ومغني المحتاج للخطيب الشربيني، وبداية المجتهد لابن رشد، وغيرها.

كما يشتمل الموقع على مجموعة من المعاجم اللغوية، وكشافات الكتب، وكتب العقيدة والأصول، ويمكن تنزيل نسخة مجانية من هذا البرنامج مباشرةً إلى جهاز المستخدم من خلال الموقع.

٧- الحديث الشريف على موقع الشبكة الإسلامية:www.islamweb.net

ويشتمل هذا الموقع على ما يأتي: (موسوعة الحديث الشريف وتتضمن مجموعة من مصادر السنة النبوية الشريفة، مناقشة الشبهات التي أثيرت حول السنة النبوية المطهرة، إعجاز السنة النبوية، أمثال السنة النبوية، القصص النبوي، تدوين السنة وعلوم الحديث، الأحاديث القدسية).

٨- موقع مصطلح الحديث: www.islampedia.com/MIE2/ooloom/HADITHDX.html

٩- موسوعة الحديث على موقع شبكة تهامة: www.tihamah.net

١٠- جامع الحديث النبوي: www.sonnh.com

وهو من أفضل مواقع السنة النبوية على الإطلاق، يضم في قاعدة بياناته أكثر من أربعمائة كتاب مسندٍ من الأحاديث النبوية، والسنن، والآثار، ويحمل بين طياته أكثر من عشرين وخمسمائة ألف حديث، وأثر مسندٍ، بدءًا من الصحاح، والسنن، والمسانيد، ومرورًا بالمستدركات، والمعاجم، والمشيخات، انتهاء بالمنتخبات، والأجزاء. ويعرِّف بأكثر من ثلاثة ملايين موضع للرواة، ويشرح أكثر من خمسمائة ألف كلمة. ويقسّم الأحاديث والآثار تقسيمًا موضوعيًّا لأكثر من عشرين ألف ترجمة، تم التنسيق بينها، حتى تبدو كأنها كتاب واحد للسُّنَّة، وذلك وفقا لمناهج علماء الفقه والحديث. وفيه محرك بحث رائع عن الأحاديث النبوية، وما يتعلق بعلومها.

١١- تخريج الألباني لكتب السنة النبوية: http://arabic.islamicweb.com/Books

١٢ - الدرر السنية: www.dorar.net

١٣- منتديات السنة النبوية المطهرة:

اشتملت شبكة المعلومات الدولية على مجموعة من المنتديات المفتوحة المتخصصة بمناقشة بعض المواضيع في السنة النبوية، ومن هذه المنتديات:

أ-منتدى الحديث وعلومه، ضمن منتديات رسالة الإسلام: www.islammoessage.com

ب- منتديات السنة:www.sonnh.com

ج - ملتقى أهل الحديث:www.ahlaihdeeth.com

١٤ - مواقع السيرة النبوية على شبكة الانترنت: ومن أبرزها:

أ- موسوعة السيرة النبوية على موقع الإسلام: www.sirah.al-islam.com

وهو موقع متميز يشتمل على الخط الزمني لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، عاماً فعام متتبعاً أهم أحداث السيرة النبوية، ومكتبة للخرائط الخاصة بمناطق شبه الجزيرة العربية والطرق التي سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يشتمل أيضاً على فهارس للآيات القرآنية، والآثار، والقبائل، والجماعات، والمعارك، والغزوات، والأعلام،

والأبيات الشعرية، والكتب. ويتضمن الموقع أيضاً مجموعة من المعالم الجغرافية الهامة المصورة، وصوراً لرسائلهِ صلى الله عليه وسلم، ومعجماً يتضمن شرحاً موجزاً لأهم الأماكن التي ورد ذكرها في كتب السيرة.

ومن مزايا هذا الموقع اشتماله على مجموعة من مصادر للسيرة النبوية، كسيرة ابن هشام، و"الروض الأنف" للسهيلي، و"زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن القيم، وغيرها.

ب- السيرة النبوية على موقع الشبكة الإسلامية: www.islamweb.net

ج- السيرة النبوية على موقع إسلام أون: www.islamonline.net/arabic

د- السيرة النبوية على موقع تهامة: www.tihamah.net/seerah.php

هـ - السيرة النبوية على موقع طريق الإسلام: www.islamway.com

و- قبسات من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم: www.alsiraj.net

الجهود التقنية المبذولة في خدمة التراث النبوي الشريف من خلال البرمجيات:

العلم يخدم بعضه بعضاً إذا ما سار الإنسان به في الطريق الصحيح، وقد يسّر الله تعالى لنا مجموعة من الوسائل التي استفاد منها طلبة العلم في عدد من مجالات العلوم، ومن تلكم الوسائل الحاسب الآلي، ذلك الجهاز الذي أصبح جليس كل إنسان وقعيد كل بيت، فمن استخدمه فيما يعود عليه بالنفع فقد أحسن الاستخدام وإلا فإنه مفرّطٌ مضيع له، وقد عمِدت المدارس والجامعات والمؤسسات إلى الاستفادة من الحاسب الآلي في تدريب منسوبيها، حيث أخذ التراث النبوي نصيباً طيباً من اهتمام الشركات المنتجة للبرمجيات، إذ نجد عشرات البرامج المتنوعة في هذا المجال، وفيما يأتي استعرض لأهمها(٢٠):

أولاً: البرامج المختصة بكتب الحديث رواية

موسوعة الحديث الشريف	شركة صخر
موسوعة الحديث الشريف	الشركة الهندسية للحاسبات المصرية
الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف	مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي
المكتبة الألفية للسنة النبوية	مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي
اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان	شركة أراب سوفت
البيان فيما اتفق عليه الشيخان	شركة حرف
رياض الصالحين	شركة الهندسية للحاسبات
صفوة الأحاديث	شركة حرف
مكتبة صحيح السنة	شركة مكة للبرمجيات
موسوعة الأحاديث الصحيحة	مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي
صحيح الإمام البخاري	مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي
صحيح الإمام مسلم	مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي
رياض الصالحين	شركة البشائر المصرية

(٢٠) أثر التقنيات الحديثة في خدمة الدعوة و العلوم الإسلامية – السنة النبوية أنموذجاً

ثانياً: البرامج المختصة بكتب الجرح والتعديل وتاريخ الرواة

حياة الإمام البخاري	مجموعة خليفة للكمبيوتر
تاريخ دمشق	مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي

ثالثاً: البرامج المختصة بتخريج الحديث

موسوعة التخريج الكبرى والأطراف الشاملة	مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي

رابعاً: البرامج المختصة بشروح الحديث

شرح الأربعين حديثاً النووية	شركة خليفة للكمبيوتر
شرح الأربعين حديثاً النووية	مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي
جامع العلوم والحكم	مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي

خامساً:البرامج المختصة بمصطلح الحديث

مكتبة علوم الحديث	مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي

سادساً: البرامج المختصة بالأحاديث الضعيفة والموضوعة

موسوعة الأحاديث الضعيفة والموضوعة	مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي

سابعاً: البرامج المختصة بالأحاديث القدسية

موسوعة الأحاديث القدسية	الشركة الهندسية للحاسبات
الأحاديث القدسية الصحيحة	شركة اليسر لأنظمة المعلومات

ثامناً: البرامج المختصة بالوصايا النبوية

وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم للشعراوي	الشركة المصرية لتطوير البرمجيات
وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم	شركة سهل
الجامع لأوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم	شركة أراب سوفت

تاسعاً: البرامج المختصة بالسيرة النبوية

مكتبة السيرة النبوية	مركز التراث
برنامج الغزوات الكبرى	فيوتشر سوفت المصرية
حكايات مع السيرة	فيوتشر سوفت المصرية
موسوعة الغزوات والفتوحات الإسلامية	شركة مكة للبرمجيات
موسوعة السيرة النبوية	الشركة الحاسبات
موسوعة السيرة النبوية	فيوتشر سوفت المصرية
برنامج السيرة النبوية	شركة سهل السعودية
فقه السيرة للبوطي	شركة بنتيوم
السيرة النبوية للحبيب الجفري	شركة سهل السعودية
السيرة النبوية المصورة	شركة سفير

عاشراً: البرامج المختصة بالإعجاز العلمي

مكتبة الإعجاز العلمي في السنة النبوية	شركة مكة للبرمجيات

كما وظهرت وسائل تقنية أخرى وظّفت في خدمة السنة النبوية أيضاً، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: رياض الصالحين الرقمي، وقد تضمن هذا الجهاز الصغير الذي لا يتجاوز حجمه ١٦ × ٦٨,٨ × ١٠٨ ملمتر،

ولا يتعدى وزنه ١٠٥ غرام مع بطاريات التشغيل على كتاب رياض الصالحين للإمام النووي رحمه الله تعالى، ويمتاز هذا الجهاز بمزايا عدة من أهمها:

- اشتماله على جميع سور القرآن الكريم.
- إمكانية العرض المتتالي التلقائي للنصوص باللغة العربية.
- اختيار حديث ما من خلال أسماء الكتب و الأبواب.
- إمكانية حفظ مكان التوقف لمتابعة القراءة بعد ذلك في المكان نفسه.

وهذا البرنامج من إنتاج شركة: Penman، وبالإمكان التعرف على خصائص هذا الجهاز من خلال الموقع الآتي: www.quranbook.com

بعد هذا العرض السريع لأبرز البرامج الحاسوبية في خدمة السنة والسيرة النبوية، أعرض لذكر بعض ميزات هذه التقنية وأظهر سلبياتها(٢١).

فأولاً: مميزات هذه التقنية

لاشك أن هنالك مزايا كثيرة وظاهرة للموسوعات الحاسوبية الحديثية، ولعلي أشير في هذه العجالة لأظهرها؛ وذلك في النقاط الآتية:

١ - إن هذا النوع من التقنية الإلكترونية مطلب من مطالب العصر، وحتمية تفرضها التقنيات العلمية الحديثة.

٢ - سهولة حفظ وسائل النشر الإلكتروني، من الأقراص الصلبة والضوئية ونحوها (CD-ROM -DVD - &HARD DISK - FLOPPY DISK-).

٣ - إمكانية التخزين للمعلومات بكميات هائلة وخيالية، مع صغر المساحة المطلوبة لحفظها؛ فلا تحتاج إلى مكان واسع لذلك كما هو الحال مع الكتاب الورقي، فيمكن حفظ كميات ضخمة جداً من المعلومات في حيز صغير.

٤ - السرعة الهائلة في نشر المعلومات، واسترجاعها، وتقديم الخدمات المعلوماتية عن بعد وبسرعة فائقة، مع ما توفره من سهولة وسرعة تحديث المعلومة.

٥ - تيسر الوقوف على المعلومة داخل نص الكتاب أو الكتب، مع ذكر موقعها وعدد تكراراتها، وذلك بسبب تعدد طرق البحث، وتنوعها.

٦ - اختصار مراحل النشر والطبع الورقي الطويلة، وكذلك إجراءات التزويد ومراحل الضبط والتجليد للكتاب الورقي.

٧ - التنوع الكبير والخيارات المتعددة في نوعية الخط وحجمه وعرض الأشكال والجداول والرسوم بصور متعددة حسب اختيار الباحث، وكذلك تعدد الخيارات في تحديد لون المادة عند الطباعة.

---

(٢١) التقنية الحديثة ص٢٥ وما بعدها.

٨ – التقليل من الحاجة لعدد كبير من الموظفين في المكتبات الإلكترونية لتقديم الخدمات المكتبية للباحثين.

٩ – التوفير المادي؛ وذلك بالاستغناء عن الأيدي العاملة سواء في عملية التنفيذ أو التصميم أو الرسم أو التخطيط والمونتاج، والاستغناء عنها ببرامج الحاسوب المخزنة في الجهاز(٢٢).

١٠ – إمكان نشر المادة العلمية تقنياً بشكل واسع وعالمي وسريع عن طريق شبكة المعلومات (Internet)، وهذا لا يمكن تهيئته في الطباعة التقليدية التي تكون محددة بحسب توزيع دور النشر العادية.

١١ – إمكان نسخ جملة أو صفحة أو أكثر من ذلك، في أكثر المكتبات الإلكترونية –إن لم يكن في جميعها– ولصقه في ملفات البحث مباشرة؛ وإجراء الاختصار والتعديل والإضافة عليه وفق ما يريده الباحث، مع إمكانية الطباعة لصفحة أو أكثر من كتب المكتبات الإلكترونية مباشرة، وهذا يخدم الباحث ويختصر عليه كثيراً من الوقت والجهد.

١٢ – تيسر الحصول وبسرعة على نسخة من أي مادة علمية إلكترونية، وطباعتها أو تخزينها.

١٣ – المنشورات والكتب الإلكترونية تتجاوز الحدود الأمنية والرقابة الصارمة التي تفرضها بعض الأنظمة على المطبوعات التقليدية؛ وهذا الأمر قد اعتبرته ميزة لهذه التقنية، مع أن له وجهاً سلبياً آخر، ولكنني أقصد بالميزة هنا، ما توفره هذه التقنية من سهولة الوصول للمعلومة بشكل عام، دون ما تتضمنه من محتوى.

ثانياً: ومن سلبياتها

مع ما لهذه التقنية من المحاسن المتقدمة، ومع ما لها من فضل في تيسير المعرفة وتسهيل الوقوف عليها، إلا أن هنالك سلبيات كثيرة تحتاج إلى المراعاة والحذر، عند النظر والاستفادة منها، ولعلي أجعل القول هنا في محورين رئيسين، أولهما: السلبيات العامة للنشر الإلكتروني، والثاني: خطورة هذه البرامج على علوم السنة والسيرة النبوية، ومن السلبيات العامة للنشر الإلكتروني ما يأتي(٢٣):

١ -كثرة التصحيفات في المكتبات الإلكترونية على نحو عام، وذلك بسبب حرص الشركات على السرعة في الإنجاز، وما ينتج عن ذلك من عدم الدقة في المراجعة وعند الطباعة، إضافة لعدم وجود مرجعية رقابية دولية على النشر الإلكتروني في البلاد الإسلامية.

٢ -العلوم والمعارف تحتاج إلى عقل الإنسان وفهمه وتحليله ودرايته بالمعاني والألفاظ، ومن خلال ذلك يستطيع الباحث الوصول إلى المعلومة في مظانها من المراجع، وهذا ما لا يتوافر من خلال البحث الإلكتروني، لأنه يتعامل مع النص تعاملاً آلياً جامداً، يفتقد روح التفكير والحدس والتحليل والفهم،

---

(٢٢) الكتاب الإلكتروني، د.جمال الشرهان ١٤٢٢هـ، ص٨٢ "بتصرف".

(٢٣) المراجع السابقة.

الذي يتعامل به الباحث مع نصوص الكتاب، وأي غلطة ولو يسيرة في إدخال كلمة البحث من قِبل الباحث أو من الكاتب للمادة العلمية للبرنامج، أو عندما يدخل الباحث كلمة مرادفة لما في الأصل؛ فسيؤدي ذلك لعدم الوقوف عليها، مما قد يترتب عليه نفي الباحث لوجودها، ولذلك فليس البحث وإن تعددت طرائقه في هذه البرامج دليلاً قاطعاً على عدم وجود المعلومة.

٣ - عدم وجود المظلة القانونية للنشر الإلكتروني والإيداع القانوني بين دول العالم المتطورة والنامية، لضمان حقوق المؤلفين والناشرين وما يرتبط بالملكية الفكرية للمنشور الإلكتروني.

٤ - ضعف الرقابة على المنشورات الإلكترونية وما يترتب على ذلك من التعدي والإضرار بمصالح الآخرين وخصوصياتهم.

٥ - مع وجود الشبكة العالمية للمعلومات "الإنترنت" ظهرت صعوبة الرقابة والتمييز بين المعلومات الإلكترونية الأصلية والمسروقة، خاصة.

٦ - كما أن الحصول على المادة العلمية يسير وسريع، فإن فقدها كذلك، وذلك لأسباب منها؛ سوء الحفظ أو فيروسات الحاسب، أو الأعطال الفنية التقنية التي تؤدي إلى ذلك.

٧ - الضرر الصحي: فالقراءة والاطلاع الدائم على المعلومات من خلال الحواسيب يؤدي إلى إجهاد العين وآلام الظهر خاصة مع الجلوس لفترات طويلة.

٨ - ضعف التوثيق العلمي؛ فالمكتبات الإلكترونية بشكل عام تفتقد التوثيق العلمي من قبل جهات علمية وتخصصية ومعتبرة، ومن أسباب ذلك : جِدّة هذه التقنية، وعدم وجود آلية عمل واضحة للمتابعة والتوثيق لدى الجهات العلمية المعتبرة، كما أنها تفتقد الخطوات العملية للمراجعة والتدقيق والإجازة، فالخطوات العملية لذلك لما تتضح تماماً؛ لا لدى الجهات المنتجة ولا لدى الجهات العلمية الاعتبارية. ولذلك فإن الغالب على المكتبات الإلكترونية افتقادها التوثيق العلمي المعتبر، ولهذا فلا بد للمستفيد من هذه المكتبات الإلكترونية من الرجوع للكتب الورقية الأصلية للتوثق من النص والتثبت من السلامة من الخطأ أو التصحيف.

٩ - قد يطغى الاهتمام والتعامل بهذه المكتبات الحاسوبية على وقت المستفيد؛ وذلك بما يوفره الحاسب من متعة وسهولة في التعامل، فلا يكون هناك فرصة للكتابة أو القراءة؛ إذ لا غنى لطالب العلم الجاد عنهما.

١٠ - ولهذا فإن من أهم ما تنبغي معرفته والعمل به نحو هذه البرامج اعتبارها وسيلة بحث وليست مصدر معلومة، فهي كالفهارس للكتب، يحتاج الباحث من خلالها إلى مراجعة النص الأصلي في المراجع الورقية، كما أنها لا تغني عن الحفظ والمراجعة والقراءة من الكتب.

١١ - صعوبة الانتقال به مع الحاجة لجهاز الحاسوب، والطاقة الكهربائية للتشغيل، خصوصاً أثناء السفر والتنقل في أي مكان؛ من برٍّ أو جو، ومن صحراء أو مدينة.

١٢ – إن البرنامج الحاسوبي الإلكتروني لا يتيسر لكل أحد، بخلاف الكتاب الورقي؛ لأنه يحتاج لتكاليف مادية لوجود الجهاز الذي من خلاله يتمكن المستفيد من المطالعة والاستفادة.

١٣ – إن المتعامل مع المكتبة الإلكترونية لا يتعدى نظره طلبته في البحث، فلا يقف على نصوص وفوائد لم تكن له على بال، فيبدأ في تحقيقها والنظر فيها، وهذه الثمرة تحصل في التعامل مع أمهات الكتب، ولا تتحقق من خلال الجهاز.

الخاتمة:

بعد هذا العرض وجدنا أن العناية بالتراث النبوي الشريف من خلال التقنيات الحديثة مما يؤمل عليه كثيراً، ولعل هذا الجهد لن يكتمل دون أن ذكر أهم ما أنقدح في ذهني:

- لا شك بأن المسيرة لا تزال في بدايتها والتجربة تحتاج إلى المزيد من التطوير والتقويم.
- الدعوة إلى تجاوز مسألة الارتفاع في أسعار هذه المنتجات الإسلامية مقارنة مع غير الإسلامية.
- اهتمام القائمين على هذه التقنيات في الغالب على الكم مما أوجد ثغرات في عملها.
- لا بد من تمكين المعنيين بهذه الخدمات من علماء وطلاب علم وحتى عامة الناس من إبداء ملاحظاتهم على هذه المنتجات في طريق تقويمها وتطويرها وأسوة بالتجارب الناجحة والشركات العالمية.
- الدعوة إلى التوظيف الأمثل للتقنيات الحديثة والاستفادة منها في خدمة السنة النبوية المطهرة خدمة تليق بها وتتناسب مع مكانتها وأهميتها.
- ينبغي على الحكومات الإسلامية التوجه لإنشاء المؤسسات والمراكز ذات الاختصاص بحيث توفر لها كل الإمكانات والموارد المادية والبشرية ذات الكفاءة العالية، والتي تغيب فيها سيطرة فكرة الربحية.
- الدعوة إلى امتلاك زمام الماكينة الإعلامية ومحاولة أسلمتها وفق رؤية وأهداف واضحة، تخدم تطوير هذه التقنيات وتعزز الاستخدام الأمثل لها.
- إن من أهم العقبات التي تواجه هذه المسيرة عدم الاهتمام بمسألة التوثيق العلمي وتعدد الطبعات وكثرة الأخطاء أثناء عملية النقل.

المراجع

١ – الإسلام والانترنت، إعداد الشبكة للنشر والتوزيع، جدة–السعودية.

٢ – التراث والتقنيات الحديثة للمعلومات، د.المهدي بن محمد السعيدي مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد: ٩٠، السنة الثالثة والعشرون، حزيران/يونيو ٢٠٠٣م–ربيع الآخر١٤٢٤هـ.

٣ – تعريب المعلوماتية وأهميته في الدعوة الإسلامية، للدكتور بن عيسى باطاهر، بحث منشور في مجلد ندوة "مقتضيات الدعوة في ضوء المعطيات المعاصرة" جامعة الشارقة، ابريل٢٠٠١م.

٤ – التقنية الحديثة في المعلومات والمكتبات، للدكتور أبو بكر محمود، دار الفجر للنشر، ٢٠٠٢م.

٥ – توظيف الانترنت في الدعوة إلى الله تعالى، للدكتور عبد الحق حميش، بحث منشور في مجلد ندوة "مقتضيات الدعوة في ضوء المعطيات المعاصرة"، جامعة الشارقة، ابريل٢٠٠١م.

٦ – الثقافة العربية وعصر المعلومات، د. نبيل علي، سلسلة عالم المعرفة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، العدد: ٢٧٦ إصدار ثان ديسمبر ٢٠٠١م.

٧ - خصائص الدعوة الإسلامية، محمد أمين حسن، مكتبة المنار، الأردن.

٨ - دراسة في الدعوة الإسلامية والدعاة ، للشيخ محمد الغزالي، مصر.

٩ - الدعوة إلى الله عبر الشبكة العنكبوتية، خالد بن عبد الله البشر، انظر موقع الدين على شبكة المعلومات الدولية (http://www.deen.ws/daoh/112.htm)

١٠ - الدعوة إلى الله على بصيرة ، عبد المنعم محمد حسنين، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٥هـ .

١١ - الوسائل والأساليب المعاصرة للدعوة الإسلامية، صالح الرقب، بحث مقدم لمؤتمر كلية أصول الدين مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر المنعقد في الفترة: ٧-٨ ربيع الأول١٤٢٦هـ.

١٢ - عالمنا العربي ومستقبل النشر الإلكتروني، سليمان إبراهيم العسكري، مجلة العربي، العدد: ٥٠٦، يناير ٢٠٠١.

١٣ - عبدالله أحمد اليوسف، الخطاب الإسلامي المعاصر والمسالة الإعلامية، العدد (٢٩)، السنة السابعة، ٢٠٠٠م-١٤٢١هـ.

١٤ - قناة مكة الفضائية:(http://www.makkah1.tv/main.html).

١٥ - الكتاب الإلكتروني، د.جمال الشرهان ١٤٢٢هـ.

١٦ - مجلة منار الإسلام الإماراتية، وزارة العدل والأوقاف الإسلامية، السنة السادسة والعشرون، العدد السادس.

١٧ - معالم أساسية لانطلاقة الداعية: موقع إخوان أون لاين، ٠٥/٠١/٢٠٠٤م، معالم أساسية لنجاح الداعية:جهاد، المجتمع الكويتية، ١٤٢٢/٧/٤هـ.

تطويع البرامج الحاسوبية وشبكات المعلومات لخدمة السُنة النبوية وعلومها:
ضوابط واقعية، ونظرة استشرافية

د. محمد بن ناصر الناصر الغامدي

كلية التربية – جامعة الدَمَّام

السعودية

mnalnasser@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

من أبرز ما ميّز الإرث العلمي لأمة الإسلام في عصورها الزاهية أنَّ ورثتَه كانوا يراعون المقاصد العظمى لكل علم، والمصالح اللازم مراعاتها بعد أن يفقهوها جيداً أخذاً من الحراك العلمي المتزن آنئذٍ، ثم جاءت عصور الجمود والتأخر والشوب العلمي، ولله تعالى الأمر، ثم في عصر النهضة المادية أواسط القرن الهجري المنصرم تأسست جامعات ومؤسسات علمية في أنحاء العالم الإسلامي، وكان للشرعي منها حظ وسبق يُشاد به، وهنا لا بد من التنويه بأهمية البدايات، وتميز كثير منها إلى حد كبير جداً.

بعد تينك البدايات فقدت أغلب الكليات والأقسام الشرعية روح "التطوير"؛ فلم يتحسّن أداء كثير منها، بل تراجع كثيرا على اعتبار أن ما كان غاية ما يمكن وما يُمدح به في مرحلة البداية هو –ذاته– محل نقد وعيب كبيرين إذا جُمّد حتى وجدناه على حاله بعد عشرات السنين!

إن مفردة "تطوير" المتصلة بتقديم وخدمة العلوم الشرعية في المؤسسات التعليمية المختلفة؛ هي أيقونة تندرج تحتها أغلب مشكلاته، تطوير لا يستفيد من التقاليد الراسخة النافعة في التعليم والقفزات الهائلة عبر العالم فحسب؛ بل يستفيد بصورة مُثلى من التراث العلمي الهائل الذي ورثناه عن آباء الصِّدق والعلم والإيمان. هذا التراث الذي لا أحسب أن أحدا يزعم أن مؤسسات التعليم الشرعي قد أتت على كل مفيد فيه، أو قاربت ذلك. وهي —كما سبق— لا تُلام حين البدء، لكنها تلام فيما بعد ذلك.

إن هذه الورقة محاولة يسيرة، وخطوة تطبيقية صغيرة أحاول أن أصدِّق الدعوة بالعمل، وأتجاسر فأجرِّب أن أطرح في محفل علمي مهيب كهذا تجربة للارتقاء بخدمة السنة وعلومها، جمعاً بين ثراء الموروث وغناه، وتعدد الوسائل المتاحة وتنوعها إلى حد قد يُذهِل.

وقد قُسِّمَت الورقة إلى تمهيد، وثلاثة أقسام، وخَتْمٌ بأهم التوصيات، وجُعل كل قسم في عشر نقاط نالت كل نقطة حظها من التأصيل العلمي، والربط بمنهج أئمة الحديث، والتعبير عن واقعها أو مستقبلها (بحسب القسم) بإيجاز شديد غير مُخِلٍّ فيما يُرجى، فجاءت الورقة عامة في تمهيد، وثلاثين نقطة بحثية، والختم بأهم التوصيات.

التمهيد: تحرير الفرق بين "الإبداع" و"الابتداع" في خدمة الحديث الشريف، وأن هذه الموازنة كانت متداولة بين أهل العِلم منذ أن بزغت شمس الرواية في صدر الإسلام.

القسم الأول: عشر نقاط في المقارنة بين التخريج ودراسة الأسانيد بواسطة الكتب (الطريقة التقليدية) وبواسطة البرامج الحاسوبية.

القسم الثاني: عشر ضوابط ومحاذير للاستفادة المثلى والقصوى من برامج الحاسوب، والسلامة من مزالقها.

القسم الثالث: عشر نقاط في استشراف مستقبل السُنة النبوية وعلومها بما يُحقق مقاصد هذه العلوم، ويتلافى الإشكالات.

الخَتم بأبرز التوصيات، مع التركيز على المستقبلي منها.

تمهيد

تحرير الفرق بين "الإبداع" و"الابتداع" في خدمة الحديث الشريف، وأن هذه الموازنة كانت متداولة بين أهل العِلم منذ أن بزغت شمس الرواية في صدر الإسلام.

قال ابن فارس:" الباء والدال والعين أصلان: أحدهما: ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر: الانقطاع والكلال ". وعلى المعنى الأول – إذ هو المراد هنا – قال الأزهري:" أخبرني المنذري، عن الحَرّاني، عن ابن السِكّيت قال: البِدْعة: كلّ مُحْدَثة، ويقال: سِقَاء بَدِيع أي: جديد، وكذلك زِمام بديع"[١].

بسط ذلك في لسان العرب، وفيه: "ب د ع: بَدَع الشيء يبدعه بدعا و ابتدعه: أنشأه وبدأه، وبَدَعَ الركية: استنبطها وأحدثها، ورَكي بديع: حديثة الحفر، والبديع والبدع: الشيء الذي يكون أولا، وفي التنزيل: {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ} الأحقاف: ٩، أي: ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رسل كثير، والبدعة: الحَدَث، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال...إلا أن بديعا من بدع لا من أبدع و أبدع أكثر في الكلام..."[٢].

ومهما يكن من أمر أصل الكلمة اللغوي، فإن الدارج في لغة العِلم والمعرفة الحديثة أن هناك معنيان مُحرّرّان لمادة "ب د ع" يكثر جريانهما في السطور وفي الصدور في عامة علوم العصر:

الأول: الابتداع، وهو –بأوجز عبارة وأسهلها–: الإحداث في الدين دون مستند شرعي أو شُبهة دليل، وهذا المعنى مضاد للاتباع.

والثاني: الإبداع، وهو: إعمال الملكات والقرائح والتفكر المنهجي السليم للخروج بنتائج جديدة كليا أو جزئياً.

ولقد صوّر الإمام أبو عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ) في عِلله –المعروف بالعلل الصغير– حال تردد كان منه قبل تأليف جامعه على ذلك النهج الفريد فقال: "وإنما حملنا على ما بينا في هذا الكتاب من قول الفقهاء وعلل الحديث لأنا سئلنا عن هذا فلم نفعله زمانا ثم فعلناه لما رجونا فيه من منفعة الناس لأنا قد وجدنا غير واحد من الأئمة تكلفوا من التصنيف ما لم يسبقوا إليه، منهم: هشام بن حسان، وعبد الملك ابن عبد العزيز بن جريج، وسعيد بن أبي عروبة، ومالك بن أنس، وحماد بن سلمة، وعبد الله بن المبارك، ويحي بن زكريا بن أبي زائدة، ووكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهم من أهل العلم والفضل صنفوا فجعل الله في ذلك منفعة كثيرة فترجو لهم بذلك الثواب الجزيل عند الله لما نفع الله به المسلمين فبهم القدوة فيما صنفوا".

وهذا منه –رحمه الله– تقرير نفيس، وفيه ملاحِظ مهمة، أبرزها أنه متبع في الأصول والمرتكزات، غير خارج عن الثوابت مراعيا للمقاصد، فهو إذن حَذِرٌ من "البدعة" بعيد عنها، لكنه –في الوقت ذاته– تجاسر على "الإبداع" بأن التزم بهذه الثوابت، وخدم السُنة النبوية بنوع خدمة جديدة في بعض جوانبها في الوقت ذاته. لكنّه أكد أن له سَلَفَاً في التصدي لاحتياجات العصر، و"تطوير" عمل الأئمة السابقين، ما دام أن فعله منضبط بالأصول.

---

١) تهذيب اللغه (١٤٢/٢).

٢) لسان العرب (٦/٨)

ونظائر كلام الإمام أبي عيسى الترمذي مبثوثة في كتب طائفة من أهل العِلم، على اختلاف في عباراتهم تبعا لدرجة التميز والتطوير التي قام بها كل منهم، وسأسوق منها أمثلة يسيرة، مع الحرص على الاكتفاء بمحل الشاهد أو بعضه حتى طلبا للاختصار، ولسهولة الوقوف عليه لمن أراد:

- ذكر الإمام مسلم (ت٢٦١هـ) في مقدمة صحيحه أن سائلاً سأله تلخيص ما يصح من الحديث ليتفقه فيه، وكأنه ليس له كبير بصر بتمييز الحديث ونقده، فقال مجيبا له: "وللذي سألتَ –أكرمك الله– حين رجعتُ إلى تدبره، وما تؤول به الحال إن شاء الله تعالى، عاقبة محمودة، ومنفعة موجودة، وظننتُ حين سألتني تجشّم ذلك أن لو عُزِم لي عليه، وقُضي لي تمامه، كان أوّل من يصبه نفع ذلك إياي خاصة، قبل غيري...فعلى نحو ما ذكرنا من الوجوه نؤلف ما سألت من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم...وبعد يرحمك الله فلولا الذي رأينا من سوء صنع كثير ممن نصب نفسه محدثا فيما يلزمهم من طرح الأحاديث الضعيفة والروايات المنكرة وتركهم الاقتصار على الأحاديث الصحيحة المشهورة مما نقله الثقات المعروفون بالصدق والأمانة بعد معرفتهم وإقرارهم بألسنتهم أن كثيرا مما يقذفون به إلى الأغبياء من الناس هو مستنكر عن قوم غير مرضيين ممن ذم الرواية عنهم أئمة الحديث...لَمَا سهل علينا الانتصاب لما سألت من التمييز والتحصيل ولكن من أجل ما أعلمناك من نشر القوم الأخبار المنكرة بالأسانيد الضعاف المجهولة وقذفهم بها إلى العوام الذين لا يعرفون عيوبها خف على قلوبنا إجابتك على ما سألت".
- تميز عمل الإمام محمد بن حِبان البُستي (ت٣٥٤هـ) إلى الغاية في كتابه الصحيح الذي سماه: "التقاسيم والأنواع"، فجعله خمسة أقسام، لكل منها جملة أنواع، ولا يخفى هذا.
- بعد أن أثنى الإمام أبو أحمد عبدالله بن عدي الجُرجاني (ت٣٦٥هـ) في مقدمة الكامل في ضعفاء الرِّجال على أئمة النقد في الحديث، وأنهم في كل جيل إلى يومه، وأنه حرص على جمع أقوالهم في الرَّجُلِ، قال: "وأرجو أني أُشبع كِتابي هذا، وأشفي النّاظِر فيه، ومضمن ما لم يذكره أحد ممّن صنّف في هذا المعنى شيئاً"[٣].
- قال الإمام الحُسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ) في مقدمة كتابه الجليل شرح السُنة: "وإني في أكثر ما أوردته بل في عامته متبع، إلا القليل الذي لاح لي بنوع من الدليل، في تأويل كلام محتمل، أو إيضاح مشكل، أو ترجيح قول على آخر، إذ لعلماء السلف رحمهم الله تعالى سعي كامل في تأليف ما جمعوه، ونظر صادق للخلف في أداء ما سمعوه"[٤].

وليس المراد هنا الاستقصاء، بل ولا الإبراز، فهذا المعنى مشهور منثور في خُطب التصانيف ومقدماتها، إلا أن خلو الورقة من أمثلة منه غير سديد في نظري.

٣) الكامل في ضعفاء الرجل لابن عدي بتحقيق عبدالموجود ومعوّض دار الكتب العلمية ببيروت ط.١ ١٤٢٨ هـ (٧٩/١) .

٤) شرح السُنة للبغوي، بتحقيق الأرناؤوط والشاويش، المكتب الإسلامي ببيروت ط. ٢ ١٤٠٣ هـ (٢/١).

القسم الأول

عشر نقاط في المقارنة بين التخريج ودراسة الأسانيد بواسطة الكتب (الطريقة التقليدية) وبواسطة البرامج الحاسوبية.

هذا القسم رأيتُ –منهجياً– أنه لا يحسن أن يخلو منه البحث، بل يكون في صدر البحث؛ لكنه أصبح بَيّناً عند أغلب المختصين، لذا فسأوجز نقاطه توفيرا للصفحات للمقصود الأساس من البحث وهما القسين المواليين بعده، ولم أذكر ما تتميز به الكتب الورقة عن البرامج لحاسوبية لأنها هي الأصل، وفوائدها موجودة، ويجب أن يُحافظ عليها، وسيأتي في ثنايا البحث تأكيد على بعض ذلك. و هذه نقاط هذا القسم موجزة:

النقطة الأولى: التخريج الورقي له عدة طرق في عدد من الكتب، ولكل طريقة منها آلية لا تخدم إلا بواسطتها، أما التخريج الحاسوبي في عامة البرامج فله خيارات متعددة متنوعة تشمل المتن والإسناد وغير ذلك.

النقطة الثانية: التخريج الورقي تحتاج كتبه الوسيطة (كالتحفة والمعجم والكنز وغيرها) لمساحة غير يسيرة، ويعسر حملها حال السفر أو التنقل، وقد يستحيل،وهذه المشكلة لا وجود لها حاسوبياً.

النقطة الثالثة: توفير نُسخ شخصية من كتب التخريج الورقي يكلّف مبلغا من المال ليس بيسير على كثير من الطلاب، وبخاصة المتفرغين للطلب، في حين أن أكثر برامج الحاسوب المباحة تتيح البرنامج الذي يحوي عدة كتب (أو عشرات أو مئات الكتب) بقيمة كتاب واحد كبير متعدد الأجزاء، أو قريب من ذلك.

النقطة الرابعة: الكتب الوسيطة في التخريج الورقي تخدم كتبا محدودة، أما البرامج الحاسوبية فتخدم أضعاف ذلك أحيانا، بل ربما عشرات الأضعاف.

النقطة الخامسة: الكتب الوسيطة في التخريج لا تغني عن الأصل غالبا (ربما باستثناء تحفة الأشراف إلى حد كبير)، أما برامج الحاسوب ففيها خدمات بحث وقراءة ومقارنة، مع مادة الكتاب الأصلي تامة، (وتأتي بعض أوجه قصور عامة البرامج المتاحة حالياً).

النقطة السادسة: البرامج الحاسوبية تيسّر على الباحث الاقتباس ونقل النصّ، ولا وجود لذلك في الطرق الورقية.

النقطة السابعة: أغلب البرامج الحاسوبية تخدم عدة علوم في آن واحد، في حين أن الكشافات الورقية كل منها لا يكاد يخدم غير علم واحد أصالةً.

النقطة الثامنة: يمكن أن يوسّع أو يضيّق أو يُحدد نطاق البحث في البرامج الحاسوبية، وأما الكتب الوسيطة الورقية فذلك فيها محدود.

النقطة التاسعة: يمكن أن يُطلب ترتيب النتائج زمنيا لتيسير التتبع التاريخي في بعض برامج الحاسوب، ولا وجود لذلك في الكتب الورقية. كما تُمكّن غالب البرامج الحاسوبية من المقارنة بين كتابين (وربما أكثر) في الوقت ذاته، وغيرها من أوجه الإفادة غير المتحققة في الكشافات النقليدية.

النقطة العاشرة: لا يقتصر البحث في البرامج على الكلمات الغريبة، وتقدير غرابتها الذي قد لا تتفق فيها الأنظار، أما الكشافات التقليدية التي تبحث بالكلمة فلا بد من تقدير كلمات غريبة متوافقة مع نظرة واضع الكشاف، وكذا في الترتيب على حروف المعجم وبعض مشكلاته كترتيب آخر الحروف، والمحلى باللام، وغيرها، لا وجود لإشكالاتها في الحاسوب. ونحو هذا موجود في بقية الطرق سوى التخريج باللفظة الغريبة، أو المعاجم.

القسم الثاني

عشر ضوابط ومحاذير للاستفادة المُثلى والقصوى من برامج الحاسوب، والسلامة من مزالقها.

لقد أصبح الاستغناء عن الحاسوب في إعداد ورقة علمية، أو فتوى مبسوطة، أو دراسة موجزة –بحث علمي– أمراً من الماضي، ليس في برامج الكتابة والتحرير فحسب، بل في برامج خدمة التراث، وبخاصة موسوعات الحديث والفقه.

ومع ما سبق فإني لحظتُ أن الاستفادة من الحاسوب يكتنفها –عند غير المتقنين– أمرين:

أ – الزهد في أوجه من الإفادة لم تكن متيسرة قبل الحاسوب.

ب – الوقوع في أنواع من الوهم والخطأ سببها استخدام الحاسوب دون حذر، ويُظهر ذلك كونها أقل وجودا عند الباحثين في فترة ما قبل الحاسوب.

وللإسهام في تلافي ذلك، كان هذا القسم الذي دوّنت فيه عشر نقاط أرى أنها مهمة لتلافي جملة من الأخطاء المترتبة على الأمرين السابقين:

النقطة الأولى: أن لا يعتمد الباحث على ما ينسخه من برامج الحاسوب ومواقع الشبكة حتى يقابله بمطبوع أو مخطوط ورقي بين يديه إلا أن تكون صورة لمخطوط أو مطبوع (PDF)، ويكون العزو للمطبوع أو المخطوط الورقي.

وبالتجربة وُجدت أخطاء كثيرة يمكن إجمالها في أمور:

- السقط القليل أو الكثير عند إعادة إدخال النص، والغالب أن لا يُفطن إليه دون مقابلة.
- القراءة الخاطئة، أو الكتابة الخاطئة لبعض الكلمات مِن قِبل مُدخِل النصّ، ما يترتب عليه تصحيف أو تحريف أو إيهام، وربما تقديم وتأخير يسير.
- عدم ضبط الكلمات المشكِلة، أو التنبيه على ما قد يكون خلاف المتبادر في بعض البرامج، وبعض الكتب في البرنامج الواحد دون بعض، في حين أن حُذّق نُسَّاخ المخطوطات، وضابطي النُسخ المطبوعة يحرصون على كلا الأمرين، فاكتفاء الباحث بالنسخة الحاسوبية غير المخدومة جيداً قد يوقعه في لبس، أو على الأقل يُفوّت عليه هذه المنافع.
- وجود خلل مطّرِد في البرنامج، كأن تُستبدل كلمة بأخرى في كامل المحتوى، كاستبدال كلمة "معن" بأخرى لعلها "فيصبيه" في جميع تصرفات البرنامج! وكذا استبدال شارة التنصيص مع النقطة بلا مسافة بينهما هكذا (".) تُستبدل في بعض البرامج الشهيرة بكلمة "لله"!

- بعض البرامج يقوم مُدخِل النصّ بإثبات ما يرجحه، وجعل المرجوح بين أقواس كما في المثال التالي: [ولم يحرم عليهم الحمر الأهلية (((الحجر الأهلية)) إلا عام خيبر]، فالباحث هنا قد يستعجل فينقلها بالتردد هكذا، وقد يتبيّن له الصواب، لكن هل ما في المعزوّ له الأصل على الصواب فيُعزى إليه كذلك، أو على الخطأ فيصوِّب وينبه، إلى غيرها من الاحتمالات التي لا تتجلى إلا بالرجوع للأصل.
- ما يكون من أيقونات الوجوه ونحوها مما يمكن أن ترسم بواسطة الحروف والأرقام، مثال ذلك [):، أو).] في برنامج "وورد" تعبر عن وجه مبتسم في متصفح الشبكة، فعند نقل النص من برنامج وورد إلى برامج أخرى وبخاصة متصفح مايكروسوفت يظهر بدء أو ختم الآية أو الحديث أو الاقتباس وجه مبتسم!! وبعكس ذلك فإن عبارات الترضي والصلاة والترحم عندما تكون أيقونة من "إدراج —رمز" في برنامج وورد، لا تُقرأ في برامج غير برامج الأوفيس؛ بل إن برنامج مصحف النشر من مجمع الملك فهد في المدينة المنورة لا يُقرأ حتى في وورد —رغم شهرته— إلا بإعدادات خاصة، وبلغني أنه تم تلافي ذلك في نُسخ مُحدَّثة من البرنامج، ولكن بعد سنوات عدة من وجود هذا الإشكال.

وفي الذهن سوى هذه الملاحِظ، ومهما يكن من أمر، فإن برامج السُنة النبوية خصوصاً، وبرامج العلوم الشرعية عموماً ينبغي أن لا يُعتمد على نصّ منها دون مقابلة، ما دامت جودتها ودقتها بالحدود الحاليّة.

النقطة الثانية: الحرص على تنويع كلمات البحث، وعدم الاكتفاء بالبارز منها فقط. وهذا الإجراء فيه فوائد عدة أكثرها لا يُتصوّر إلا في البحث الحاسوبي:

- هناك احتمال لوجود لفظ آخر للمبحوث عنه ليس فيه اللفظة البارزة بل بديلها، وهذا لا يختص بكتب الرواية التي يكون الأمر فيها محدودا نسبيا، بل يتجاوزه إلى كتب الفقه، والفتاوى، والحواشي، وغير ذلك مما قد تكون فيه فائدة نفيسة متصلة بالمبحوث عنه أو بفقهه.
- ولا يُستبعد احتمال وجود خلل في النص في أحد المصادر (التي قد تصل للمئات في برنامج واحد)، فبتكرار إدخال الكلمات يُتلافى ذلك، وهنا يُستذكر ما سبق من خلل في قراءة بعض الكلمات، وأخطاء مُدخِلِي النص.
- من أهم فوائد هذه الطريقة الوقوف على أحاديث في الباب لا تساعد فقط على فقه الباب، بل قد يكون لها أثر ما على نفس الخبر الذي يُبحث فيه، ويُبحث عنه.

النقطة الثالثة: إذا كان الصحابي أو الراوي المدار، أو أحد الرواة المؤثرين في الحكم على الحديث مُقِلاً؛ فمن المهم إدخال اسمه في البرنامج والتأمل في كل نتائج البحث، ولذلك فوائد مهمة منها:

- ما يتميز به حديث المقِلّ عند أئمة النقد من نوع خصوصية من جهة قوة أثر الخطأ في المروي على مرتبة الراوي (سوى الصحابي بالتأكيد)، فليس من يروي عشرة أحاديث ويخطئ في اثنين، كمن يروي عشرة آلاف، ويُخطئ ضعف خطأ سابقه، فالمتحصِّل أن البحث في مواضع ذِكر الراوي يوقف على فوائد من هذا القبيل، أو يُحدِث طمأنينة عند الباحث.

- إمكان جمع حديثه، والنظر فيه. ما يكوِّن صورة عن علمه لها —دون ريب— أثر في الحُكم عليه وعلى مرويِّه من جهة جمع قرائن مؤثِّرة قد يكون الباحث أحوج ما يكون إليها. فقد يجد —على سبيل المثال— أن عامة ما يروي التابعي المقِلّ متصل بالمغازي والفضائل، في حين أنه زاد زيادة لم يروها عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس —رضي الله تعالى عنهما— في شأن مناسك الحج مثلاً، فهذه القرينة المتحصلة هنا ليست كعكسها بأن تكون أغلب مروياته في المناسك، وأخبار مكة.
- من أهم الفوائد النظر في مواضِع ذِكرِهِ —وإن لم يُفرد بترجمة— في كُتب الضعفاء، وكذا كتب العلل، فإن الغالب أن الباحث يستفيد من هذا التتبع والاستقراء التام أو شبه التام لمواضِع ذِكره، خاصة وأنه مُقِلٌّ.
- من أوجه الإفادة الخروج بنتائج في غير المظان ككتب اللغة، وغيرها.

النقطة الرابعة: عند الوقوف على نتيجة البحث في أحد الكتب —كسُنن النسائي الكُبرى مثلاً— فلا بُدَّ مِن الرجوع إلى أول الباب على الأقل، وربما أبواب سبقت ذات صلة، وبالمثل يجب أن يتتبع الباحث ما في بقية الباب، وربما أبواب تالية ذات صلة. وذلك لأن طرق البحث التي توقف الباحث على كلمة البحث مباشرة —وبخاصة الحاسوب– تفوِّت عليه بعض الفوائد الجليلة في طرق أخرى، فلا غرو أن يذهل الباحث المتسرِّع عن فوائد عظيمة، بل قد يزري ببحثه للغاية، ويقع فيه خلل كبير نتيجة هذا التسرع. وبالمقابل فإن لذلك فوائد عِدّة، منها: أن المؤلف قد يذكر حُكما على الخبر، أو مُجمل أخبار الباب، أو يكون في طريقة عرضه للمرويات دلالات لا يحسن بالباحث أن يغفل عنها. هذا فضلا عن احتمال وجود متابعٍ أو شاهدٍ للخبر المبحوث عنه. ولإن كان الكتاب الممثَّل به —الكبرى للنسائي— واضح الصلة بمثل هذا التنبيه، فإن غيره كتب كثيرة كذلك منها المطوّل نسبياً كسنن البيهقي، والموجز نسبياً لصحيح ابن خزيمة، وفي كل منها سوابق ولواحق لموضع ذِكر المبحوث عنه، لا بد من الوقوف عليها وإعمالها. ومن الإنصاف أن ننبه إلى تقلص جدوى هذا الملحظ في كتب مثل مسند الإمام أحمد إن وقف الباحث على النتائج المباشرة جميعها.

النقطة الخامسة: في بعض الأخبار والمرويات قد يحتاج الباحث إلى تجاوز الكلمات المفتاحية التقليدية، ويعكف مدة على تتبع نتائج البحث عن كلمات غير غريبة، بل هي مشتركة، وذلك حينما تقل أو تكاد تنعدم الكلمات الغريبة حقا في الخبر، أو حين يكون الباحث بحاجة للتفقه في مجمل ما يتعلق بالباب الذي يتبعه الخبر، كمن يبحث عن حديث علي والمقداد —رضي الله تعالى عنهما— في المذي، فيطالع كل ما يتصل بكلمة: "مذي—المذي" من نتائج رجاء أن يقف على كل ما يتصل بحديثه من جهة، ويقف على فقه الحديث وذِكر مسائله في كتب الفنون من جهة نجاسة عينه، ونوع التطهر المترتب عليه عند الفقهاء بكافة مذاهبهم، وأصل الكلمة في اللغة، والتمثيل به في كتب قواعد الفقه وأصوله، إلى غير ذلك، وكلما كان تمكن الباحث من فقه الروايات أقلّ؛ كلما كانت هذه الطريقة له أغزر فائدة.

النقطة السادسة: لا بد أن يولي الباحث عبارات الأئمة في التبويب عناية خاصة، ويتتبع عددا من تبويباتهم السابقة واللاحقة في الكتاب، فإن فيها من فقه الروايات، والترجيحات، والإشارات إلى إغراب أو متابعة، أو استنكار، أو تقييد، أو نحوها ما لا يخفى، وفي أحيان ليست قليلة، مع أهمية أن يتثبّت الباحث من نسبة التبويبات للمؤلف، لا

أنها من صنع أحد الشُرّاح أو رواة الكِتاب، أو غيرهما، ولو تمكن طالب العلم من تتبع تبويبات الإمام الكبير –كالبخاري أو النسائي أو أبي داود أو البيهقي– من أول الكتاب المخصص –ككتاب الصلاة– إلى آخره، لكان هذا أكثر نفعاً، وأبعد عن أي احتمال لفوت فائدة مؤثِّرة، ومع هذا التتبع لا بد من تدوين كل حكم أو ترجيح أو إشارة أو قرينة أو غيرها مما يتفطن له الباحث في المسودة الحاسوبية أو الورقية، وإعمال ذلك كله في حينه.

النقطة السابعة: الحذر من الاختصار في النقل من نتائج البحث الحاسوبي إلى المسودة، ولا شك أن للمتمرِّس في هذا ما ليس للمبتدئ، ومع ذلك فإن الوصية للجميع بأن يحذروا من الاختصار، لأنه قد يترتب عليه تضييع صيغة أداء، أو زيادة أو نقص لفظة، أو تمييز مهمل بكنية أو نسبة، أو التعبير بمرادف يبيّن معنى الغريب، أو غير ذلك مما لا يخفى، فإذا اختصر الباحث وقت الجمع، فقد تفوت عليه دقائق لا يتفطن لها في وقت التحرير، أو يتذكرها أو يتذكر اختصاره فيعود للبحث مجددا ليقف عليها بنصها.

النقطة الثامنة: ترتيب مجال البحث زمنيا إن كان البرنامج يدعم هذا الخيار، أو لصق النتائج مرتبة زمنياً في المسودة، وهذا في غاية الإفادة للباحث. ففي تراجم الرواة –مثلاً– يساعد الترتيب الزمني على رسم تأريخ للترجمة، فقد يجد الباحث أن القول بتقوية حال راو مختلف فيه لم يُحدث إلا بعد وفاته بأكثر من مئة سنة، أو العكس، يجد أن كل من أثنى عليه أو وثّقه فَمِن شيوخه وكبار أقرانه الذين لم ينكشف لهم حاله كانكشافه لمن بعدهم عندما تصدّى للتحديث وأكثر، وفي المرويّ قد يكتشف الباحث أموراً تتصل بالغرابة مهمة جداً، وقد نبه الإمام الذهبي في الموقظة –وغيره– إلى أن الغرابة متصوّرة بنوع توسع في طبقة كبار التابعين، ثم تضيق حتى لا يكاد يصح مما يُغرِب به أهل القرن الثالث كبير شيء، والترتيب الزمني يصوّر بعض هذا الأمر للباحث بدرجة من السهولة.

النقطة التاسعة: بعد جمع المادة العلمية المتصلة بالحديث –مثلاً–، وكونها كثيرة متفرعة ومجموعة في ملف حاسوبي أو ورقي يقوم الباحث بتظليل الرواة عن الصحابي كل منهم بلون يميزه، فيسهّل ذلك تتبع الطرق وتحرير المدارات، والتشجير للأسانيد عند الحاجة. فيجعل للطرق المنتهية بابن سيرين عن أبي هريرة –رضي الله تعالى عنه– لوناً خاصاً، ولابن المسيب لوناً، ولأبي صالح السمّان لوناً ثالثاً، وهكذا، وقد يُنزل بهذا إلى طبقة من بعد تلاميذ الصحابة سواء كان هذا باقيا في طبقة التابعين، أو الطبقة التي دونهم، كما إذا انفرد بالخبر قتادة عن أنس –رضي الله تعالى عنه–، لكن رواه عن قتادة جمع: كابن أبي عروبة، وشعبة، والدستوائي.

النقطة العاشرة: عدم الفصل بين "التخريج" و "دراسة الأسانيد" كما يُفعل في تدريسها النظري، بل تطبيقياً في أحيان غير قليلة، إن الفصل النكِد بين العمل الذي يغلب عليه الجانب الفني التطبيقي –وهو التخريج– وبين دراسة الأسانيد والحُكم على المرويات أحدث من الإشكالات ما أحدث، وصلة هذا بالحاسوب وبرامجه أن الباحث إذا استشعر أن غاية هذا الجهد –بل هذا العِلم برُمّته– هو تمييز ما ثبت من مرويات مما لم يثبت عن طريق أحكام أهل العلم (الصريحة أو غير الصريحة)، أو عن طريق الاجتهاد للمتأهل له وَفق المنهج العلمي الصحيح، وعلِمَ –في كل حال– أن دوره لا ينتهي بنقل مواضِع رواية الخبر فحسب، إن استشعار الباحث ذلك كله منذ البداية يجعله يستفيد بصورة أمثل وأكثر تكثيفاً وحرصاً أثناء البحث والنظر وجمع المادة العلمية، ليوظف ذلك عند التحرير وإرادة تسجيل نتائج بحثه وتقديمها.

القسم الثالث

عشر نقاط في استشراف مستقبل السُنة النبوية وعلومها بما يُحقق مقاصد هذه العلوم، ويتلافى الإشكالات

١ - إدراك المختصين في هذا العلم الشريف وفروعه أن التقنية تعطي حلولا تكاد تكون غير محصورة، وكل أصحاب علم أو توجه أو اهتمام ينبغي أن يتوجهوا هُم للتِقَنِيين والمبَرمِجين ليبرزوا ما يعالجونه من مشكلات، ويتطلبوا حلولا تقنية لها، وإضافات نوعية في الوسائل وطرق الخدمة، والمحتوى ربما. وهذا التوجه يُفترض أن تقوده الجامعات والكليات والأقسام المختصة، والجمعيات العلمية، والقيادات المؤثِّرة.

٢ - وجود علامة جودة لبرامج خدمة السنة النبوية تصدرها جهة عليا ذات نزاهة ومصداقية وتنوع مصادر ومقاييس رفيعة وبعيدة عن أي شُبهة في عدم القدرة أو المصداقية. وكذلك المواقع المتخصصة.

٣ - إعادة صياغة كتب السُنة ليكون صحيح البخاري حاسوبياً ليس محاكاةً للورقي في مجلدات حاسوبية، بل صيغة جديدة للكتاب، فمثلاً:

- عند فتح أي كتاب يُفترض أن تكون في واجهته خيارات مثرية ومتنوعة وغير محدودة تقريباً، وتستحضر هنا المقارنة بين طريقة إخراج المخطوط والمطبوع وما احتيج إليه من ضوابط آنئذٍ حتى في رسم بعض رموز المصحف الشريف.
- عند وضع المشيرة على اسم راوي والضغط تظهر خيارات في سرد مروياته في الكتاب، وفي غيره، وشيوخه وتلاميذه وأحكام أهل العلم على حديثه، وذكره في كتب الضعفاء والعلل.
- عند وضع المشيرة على كلمة "صوم" مثلا تتاح خيارات جمع الأحاديث التي ذكرت فيها، وتصريفاتها في الكتاب، وتعريفها من كتب التعريفات، ومسائل الإجماع المحكية فيها.
- الاستفادة من بعض النماذج المتميزة مثل طريقة موقع (ويكيبيديا) من جهة وجود روابط في نفس كلمات النص المهمة، وتصنيفات مختلفة للمادة، وإضافة رسوم شجرية وبيانية، وتفعيل فنون الإحصاء ورسم المنحنيات ونحوها في خدمة المحتوى الحديثي. مثلا: عندما أطلب إحصاء ورسوماً بيانية متصلة بالراوي: إسماعيل بن أبي خالد، أجد رسوماً بيانية وأرقاماً محصية لعدد مروياته عند البخاري أو عند الستة، وكم منها في العبادات، وكم في المعاملات، وكم في العقائد أو الفضائل..الخ؟ وكم شيخ له فيها؟ وكم تلميذ؟ وهكذا عند مفردة "صبر" كم ذُكِرت؟ وما مواضع ذكرها؟ وكم منها في أبواب العقائد؟...الخ.

٤ - الحُكم بضعف غالب برامج الدراسات العُليا في السُنة النبوية وعلومها، وإعادة صياغتها ليس وفق متطلبات التقنية وتأثيرها في بنية التعليم والبحث والتحكيم فحسب، بل أيضا لتدارك الضعف الذي أعقب مراحل التأسيس المشرقة بسبب فقدان روح نقد الجاري وقياسه، ومن ثم التطوير المستمر.

٥ - تقييم تجربة مواد "التخريج ودراسة الأسانيد" بجميع صورها الموجودة (والمتطابقة في أغلب الجامعات والكليات)، وإعادة صياغتها بما يتوافق مع التقنية، وبما سبق في نقطة رقم(١).

٦ - الاستفادة من الجهود والقدرات وأعداد المختصين والمهتمين كمّا ونوعاً، فمثلاً: يتم –عن طريق المؤسسة المشار إليها سابقا أو أخرى مختصة- إعداد كراسات اختبار محكّمة (على طريقة توفل مثلاً)، ويتم اختبار قدرات نظري وعملي لكل من يريد، والمجتاز بتميز يمنح شهادة اجتياز، ويتم إصدار تراخيص (إجازات) من نحو: خبير/ممارس برمجة في السنة وعلومها، وكذا: خبير/مُدخل مادة علمية في السنة وعلومها، وبذلك يمكن لكل حاصل على الرخصة أن يُسهم بشكل صحيح في إدخال المعلومات، أو برمجتها...الخ، بشكل سليم لأنه مؤهل لذلك في السنة النبوية تحديداً.

٧ - تصميم برامج مخصصة لخدمة التشجير للأسانيد، تكون فيها تصميمات اختيارية لعدد الطرق والمدارات، وإمكان تسجيل ملاحظات مخفية تُستدعى وقت الحاجة عند كل حقل، فالحقل الذي فيه اسم الراوي –مثلاً- يُتاح للباحث أن يُسجّل فيه: كنية الراوي وسنة وفاته، وصيغة الأداء، وما شاء من ملاحظ تخص هذا الراوي، وهكذا عند ألفاظ المتون، فله أن يفرّع عن اللفظة تفريعاً مخفياً يُستدعى عندما يريد أن يعرف معنى اللفظة الغريبة، أو اسم الراوي الذي انفرد بها، أو نحو ذلك. وهذا أمر ممكن جدا برمجياً، ومفيد للغاية للباحثين.

٨ - تصميم برامج تنظم المادة العلمية بين المتن والحاشية (الهوامش) بسهولة، وتتيح للبحث –مثلاً- بواسطة تظليل كلمة وضغط زر المسافة العلوية وسهم بعده أن يكتب ما شاء، وبحسب اتجاه السهم تُدوّن ملاحظاته أو توثيقاته أعلى أو أسفل الصفحة، أو في أحد الجانبين، وهذا –كسابقه- يسير برمجياً، مفيد ومُيسّر وموفِّر كثير من الوقت والجهد.

٩ - افتتاح أقسام في الكليات الشرعية (أو على الأقل إحداث مشاريع عمل كبيرة) من شأنها المواءمة بين احتياجات العلوم الشرعية، وإمكانات كليات الحاسوب، وتقنيات التعليم، وغيرهما، إن حاجة هذه الكليات لإفادة المجتمع الجامعي التعليمي، أو لإفادة المجتمع عموما كبيرة، وبخاصة في مشاريع التخرج، ومنح الدرجات العلمية، وأن حاجة العلوم الشرعية للإبداع في خدمتها، وتقديم الحلول التي ترتقي بالمحتوى العلمي النقي الهائل أكبر وآكد، والمزاوجة بينهما لم تعد تَرَفَاً، ولا قفزة اختيارية، بل أضحت مطلبا مُلحّا إن أردنا أن نواصل رسالة أسلافنا في خدمة إرث الوحي المعظّم في كل عصر ومصر بحسب المتاح.

١٠ - التعاون بين المختصين النابهين، وبين فضلاء المستثمرين وشركات تقديم الخدمات الحاسوبية، فمن الواقعية أن نقول –وإن في بحث أكاديمي متخصص- إن الفئة من الأمة المتعطشة لخدمات نوعية متقنة ومعتمدة في علوم الشريعة عموما، وعلوم السُنة خصوصاً هي فئة كبيرة واسعة من أمة المليار ونيّف، وإن التعاون بطرح البرامج المتميزة – و بعضها الألصق بحاجة غير المختصين على الأقل- بصورة تجارية متقنة مُحكّمة (كما سبق في علامة الجودة) من شأنه أن يُسهم في انتشارها سريعاً،

وعبورها للقارات كما يُقال، وتوافر ترجمات لها بلغات المسلمين المختلفة، وتطويرها وصيانتها، وإصدار نسخ متتابعة منها، إلى غير ذلك من أدوار يصعب اضطلاع الجهات العلمية والأكاديمية بها أو يستحيل.

التوصيات:

التوصيات هي مجمل ما ورد في البحث، وبخاصة القسم الثالث، وبإيجاز شديد -بَسْطُه فيما سبق- هي:

١ - ضرورة تحديد الاحتياجات والمشكلات التي تعترض المختصين والباحثين وطلاب علوم السُنة، وتكوين برامج وتطبيقات حاسوبية ومعلوماتية تخدمها وتقدم لها الحلول لترتقي بخدمة محتواها الجليل كثيراً، ونؤكد هنا على الشراكات مع الجهات العلمية والتجارية.

٢ - تكوين "علامة جودة" خاصة ببرامج وخدمات السنة النبوية، ذات مقاييس عالية، وصارمة، وتابعة لجهة ذات استقلال تام، وبُعد عن أي تأثير سياسي أو تجاري، أو غيرهما، مع منحها حق التحقق الدوري، وسحب العلامة عند تدني الجودة.

٣ - الاهتمام بالمختصين في علوم السُنة، وأن يمنحوا ما يشبه ترخيص مزاولة المهنة من الهيئة الحاكمة بالجودة أو هيئة موازية لها، وإجراء اختبارات عليهم للتحقق من مدى قدرتهم، ولتحفيز محدود الحصيلة منهم على تطوير ذاته.

٤ - إعادة النظر في طريقة عرض وتعليم وتعلّم كثير من المقررات المتصلة بالسنة وعلومها، وبخاصة مقررات "التخريج ودراسة الأسانيد" لتكون بنيتها الحاسب الآلي، وقد تُحال الطرق التقليدية إما إلى مبحث موجز في نفس المادة، أو تُلحق بموضعها المناسب من مواد تاريخ السنة النبوية.

إشكالية الحكم التقني على المرويات المسندة وتقويم بعض تطبيقات شجرة الأسانيد أنموذجاً

د. مشعل محمد الحداري
وزارة الأوقاف
الكويت
dr_alhadari@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن شأن السنة النبوية عند الله تعالى عظيم، وخطر تركها أو التفريط فيها جسيم؛ فقد جعل الله تعالى اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وسيلة لحب الله تعالى للعبد، بل جعل الإعراض عن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم كفراً بالله تعالى، والسنة النبوية هي التطبيق العملي للقرآن الكريم، والتفصيل لأحكامه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه"[١]، وحفظ السنة النبوية من حفظ القرآن الكريم، وقد تكفل الله تعالى بحفظ القرآن.

ومع اجتهاد الأمة الإسلامية -على مر العصور- في حفظ السنة المطهرة صدرًا وسطرًا، فقد ضمت الأمة في العصر الحديث إلى وسائل الحفظ والنشر الوسائل الآلية التقنية والحاسوبية، وواكبت كثيراً من التطور التقني العالمي، ومع التسارع الملحوظ الذي نشهده اليوم، تظهر احتياجات عصرية لم يكن من الممكن المطالبة بها فيما مضى من الزمن، فضلا عن التفكير بها؛ لسبب أو لآخر، وبما أن المختصين في كل علم هم المعنيون بالمحافظة على موروث الماضي، فعليهم تلبية احتياجات الحاضر من الحاجات والضرورات المستجدة، وفق معطيات العصر الحاضر وتطلعات المستقبل.

ولسنا في مقام بيان جواز الاستعانة بما لدى غير المسلمين من علوم واختراعات تخدم دين الإسلام عموما والسنة النبوية خصوصاً، ولا في موضع بيان منافع التقنية الحديثة عليهما[٢]، بل نسعى لاستشراف غد مشرق بإذن الله تعالى، نحث فيه الخطى لتفتيق الأذهان واستثارة القرائح حتى تفتح آفاق المستقبل، وتسابق الأفكار في مهدها، وتستعين بالمختصين لتقديم كل ما هو جديد نافع ومبهر صادق.

إلا أننا ما زلنا نفتقر إلى تحقيق قدر يناسب ما لدينا من إمكانات -مادية ومعنوية- وطموحات، فضلا عن استباق التطورات في مراحلها الأولى كأفكار لتحقيق أعظم قدر ممكن من سبل الاستفادة من معطيات هذا التطور والتجدد.

ولا نغفل القدر المتوفر من جمع أغلب نصوص السنة النبوية بواسطة البرمجيات الحاسوبية، مع تأكيدنا على أهمية مسايرة الحكم على المرويات بالتزامن مع مرحلة الجمع الحالية، من هنا جاءت الحاجة الماسة لموضوع هذه

---

[١] أخرجه أبو داود في "السنن" (٥/١٠،٣٤-كتاب السنة، ٦-باب لزوم السنة،ح٤٦٠٤)، وغيره، وصححه الألباني في كتابه "صحيح سنن أبي داود" (ح٤٦٠٦).

[٢] انظر تطبيق ذلك في بحث: "التقنية الحديثة في خدمة السنة النبوية، دراسة تطبيقية على بعض أحاديث الإمام البخاري"، عبدالله محمد دمفو، وتفصيل منافع التقنية على السنة النبوية في بحث: "التقنية الحديثة في خدمة السنة والسيرة النبوية بين الواقع والمأمول"، د. إبراهيم الريس، كلاهما من أبحاث مؤتمر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، بعنوان: "عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية".

الورقة التي تستشرف المستقبل، وتسعى لتحويل الأفكار التي تخدم السنة النبوية إلى مشاريع نافعة، وواقع ايجابي ملموس، وبعيدًا عن التمني والافتراض.

المشكلة التي تهدف الورقة إلى مناقشتها:

تتلخص المشكلة التي تعالجها الورقة في تحديد مدى إمكانية الاستعانة بالوسائل التقنية المعاصرة في تسهيل الحكم على الروايات المسندة، وهل يمكن أن تستقل هذه الوسائل بالحكم؟ وما مدى قبول هذه الأحكام إن وجدت؟

ولمناقشة هذه الإشكالية سنتطرق لبيان أهمية شجرة الأسانيد، وتعريفها، ومتى نحتاج لرسمها؟ ومتى نبدأ بها؟ وما القواعد العامة لها؟ وما خطوات تنفيذها المرحلية؟ وكيفية تحويل معلوماتها الرسومية إلى نص التخريج؛ ليتعرف أهل التقنية على المتطلبات العلمية الحديثية للمشروع، وإعطاء فكرة إجمالية لمن أراد أن يتبنى تنفيذ مشروع مماثل مستقبلاً.

وبعد ذلك نتطرق لعرض التطبيقات الحاسوبية المتوفرة في التخريج ورسم شجرة الأسانيد، مع تقييمها؛ ليطلع عليها من يهدف لنشر برامج مستقبلية مماثلة إن شاء الله تعالى.

أهمية رسم شجرة الأسانيد:

ترجع أهمية رسم شجرة الأسانيد إلى حاجتنا لما يأتي:

١. الإحاطة التامة بالمتون وألفاظها، والأسانيد وطرقها ورجالها، وما يصاحب ذلك من متعلقات تؤثر في عملية بيان درجتها من القبول أو الرد.
٢. معرفة مدار الأسانيد والطرق، وتحديد نقاط الاجتماع والافتراق فيها، مما يعين على الحكم على متونها بما يناسبها، ووفق ما تقتضيه قواعد مصطلح الحديث الشريف.
٣. تمييز ألفاظ المتون بتحديد من تدور عليه الأسانيد من رواتها وبيان ما يناسبهم من جرح أو تعديل.
٤. الإلمام بصورة إجمالية بالمتن المراد تخريجه في رسم توضيحي واحد يجمع أطرافه وألفاظه ورواته.
٥. تدريب الطلاب والباحثين على التخريج بالاستعانة بشجرة الأسانيد؛ لما لها من دور واضح في الإحاطة بطرق المرويات المسندة وألفاظها، وغير ذلك من أهداف التخريج ودراسة الأسانيد.

تعريف شجرة الأسانيد:

يمكن أن نعرف شجرة الإسناد –باعتبار ما تأمله الورقة– بقولنا:

هي رسم تقريبي يوضح مراحل تلقي ألفاظ الرواية المسندة جيلاً بعد جيل، وتحديد ألفاظ أدائها، مما له أثر في تحقق شرط اتصال السند، مع بيان طرقها الأخرى من متابعات –تامة أو قاصرة– وشواهد، وتحديد درجة رواتها في كل حلقة من حلقات السند، وألفاظ طرقها، مما يسهل عملية الحكم عليها بما يناسبها من القبول أو الرد[١] .

---

[١] عرفها د. علي عجين في كتابه "بطاقات التدريب على علم التخريج" (ص١١٥) بقوله "هي تصور عن طرق الرواية من مخرجها (الصحابي راوي الحديث) وما تفرع عنها من أسانيد حتى وصولها لأصحاب الكتب المصنفة" .

متى نحتاج لرسم شجرة الأسانيد؟

كلما زادت طرق النص المراد تخريجه زادت الحاجة لرسم شجرته، أما الطرق المفردة أو المحصورة بعدد معين يمكن استحضاره بالذهن، أو كونها في كتاب لا يحتاج لبيان درجة أحاديثه -كالصحيحين مثلاً- فلا حاجة لرسم شجرتها، إلا لفائدة أخرى، والله أعلم.

متى نبدأ رسم شجرة الأسانيد؟

الأفضل أن يشرع في رسم شجرة الأسانيد مع بدء عملية التخريج، ويمكن تأجيله إذا لم تلح الحاجة إليه، وتزداد أهمية البدء المبكر به كلما زادت الأسانيد وتشعبت الطرق، وتعددت الألفاظ، وكثرت العلل وتنوعت.

القواعد العامة لرسم شجرة الأسانيد:

لرسم شجرة الأسانيد قواعد عامة يحسن بالمخرّج أن يراعيها فيها، منها:

- يستخدم لرسم شجرة الأسانيد ورقة مسطرة -لتسهيل عملية تحديد طبقات الرواة- مزدوجة كبيرة.
- نقطة بداية الرسم هي منتصف الورقة؛ ليسهل التفريع عليها يميناً وشمالاً.
- تفرد رواية كل صحابي في رسم مستقل، وفي أحوال قليلة يمكن أن يكون الرسم لمجموعة من الصحابة رووا متنا واحدا؛ عند قلة الطرق عن كل منهم.
- تتجه أسهم الرواية من أعلى إلى أسفل؛ لأنه الاتجاه الطبيعي لانتقال الرواية.
- تدمج الأسهم بعضها مع بعض عند اتحاد الراوي كلما أمكن ذلك.
- تكتب ألفاظ التحمل بجوار أسهم الرواية، لاسيما التي تتعلق بشروط القبول كالاتصال.
- تدون درجة الراوي تحت اسمه مباشرة، مع ذكر موضعه في المرجع، ككتاب "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني مثلاً، ويفضل أن تكتب ألفاظ التوثيق بلون يغاير ألفاظ التجريح، كاللون الأخضر للتوثيق، والأحمر للتجريح.
- يذكر لفظ الرواية الأساس بنصه في أعلى منتصف الورقة -إن أمكن ذلك- أو في أي مكان آخر مع إبرازه وإظهاره، ثم تحال بقية الألفاظ في الطرق الأخرى إليها بقولنا: مثله: إذا كان لفظ الرواية مماثلا للرواية الأساس، نحوه: إذا كان لفظ الرواية مقاربا للرواية الأساس، بمعناه: إذا كان لفظ الرواية متفقا مع الرواية الأساس بالمعنى دون اللفظ، مختصراً: إذا كان لفظ الرواية مختصرًا للرواية الأساس، دون قوله كذا: إذا كان لفظ الرواية مقيدًا لإحدى العبارات السابقة دون عبارة في المتن، فيه قصة: إذا كان لفظ الرواية مشتملا على قصة أو سبب ورود، ونحو ذلك.
- إذا كان المتن المراد تخريجه يقع في كتاب مسند يراد تحقيقه فاللفظ الأساس هو متن الكتاب، والهدف الذي تذكر نتيجته أولا هو دعم موقف المؤلف، وتقوية ما أورده من أسانيد، فمدار التخريج هنا السند. أما إذا كان المتن بلا إسناد، فالهدف الذي تذكر نتيجته أولا هو تقوية المتن، وهو مدار التخريج.
- أصل شجرة الأسانيد هو بدايتها، ويكون لأعلى لا لأسفل -بخلاف الشجرة الطبيعية-، بدءًا من النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً إلى المصنف الذي روى الرواية في كتابه كالترمذي مثلاً، وذلك لسببين:

١ – شرف منتهى الإسناد على غيره، فكيف إذا كانت الرواية المخرجة حديثاً قدسياً أو حديثاً نبوياً؟

٢ – الأصل أن الشجرة ترتب تبعاً لأصلها أولاً، ثم فروعها –وهي الطرق والروايات–.

خطوات رسم شجرة الأسانيد:

يحسن بالباحث الذي يريد أن يرسم شجرة أسانيد رواية مسندة ما أن يتبع الآتي:

١. يختار الباحث رواية يجعلها الرواية الأساس متناً وسندًا، ويدونها في أعلى منتصف الورقة.

٢. يدون اسم من أضيف إليه المتن المراد تخريجه كالنبي صلى الله عليه وسلم، أو الصحابي، أو التابعي فما دونه في أعلى وسط الصفحة مما يلي الرواية كما تقدم.

٣. يكتب أول الإسناد –وهو الحلقة التي تلي من أضيف إليه المتن– الذي هو اسم الصحابي أو من دونه تحت سابقه.

٤. يدون اسم الراوي عنه دونه مباشرة، وهكذا بقية الرواة.

٥. يرسم سهم نازل من صاحب المتن إلى الراوي عنه مباشرة، ثم يرسم سهم جديد من الراوي الذي يليه إلى من بعده،وهكذا إلى آخر الإسناد وهو المصنف الذي أخذنا منه الرواية المسندة.

٦. توضح صيغة التحمل بين كل حلقتين من الإسناد.

٧. يذكر عام ولادة الراوي، وعام وفاته أسفل اسمه بين قوسين هلاليين، هكذا: (١٥٠هـ–٢٠٤هـ)؛ للاستعانة بهما في عملية التحقق من وجود شرط الاتصال.

٨. تكتب عبارة الجرح والتعديل التي يستحقها الراوي أسفل اسمه مباشرة؛ للاستعانة بها في عملية التأكد من وجود شرطي العدالة والضبط.

٩. وهذه الأمور الخمسة تدون بالتزامن مع ما سبقها.

١٠. يكتب اسم المرجع –منتهى السند– بالجزء والصفحة ورقم الحديث مع بيان لفظ الرواية.

١١. تكتب الأسانيد الأخرى بالطريقة نفسها، ويختصر فيها عبارة تحديد لفظ المتن بحسب الاعتبارات السابق ذكرها.

تحويل وصياغة معلومات الرسم إلى تخريج:

تكمن أهمية شجرة الأسانيد –كما تقدم– في أثرها الفعال في تسهيل مهمة صياغة الجهد المبذول في عملية التخريج وتحويله إلى نص يختصر الحكم على الرواية، ومن المهام التي ينبغي القيام بها لتنفيذ ذلك ما يلي:

- نبدأ أولا بذكر رواية الصحابي الذي اخترنا تخريج حديثه كأساس، كابن عمر مثلاً.
- يحدد مدار طرق اللفظ الذي اخترناه سابقاً كأن يكون عن سالم مثلاً.
- ثم يذكر جزء الإسناد منه إلى منتهاه كقولنا: "روي هذا الحديث من طرق عن سالم عن ابن عمر مرفوعاً".

- ثم نذكر الطرق عن سالم بحسب الحاجة، كأن نقول: "ورواه عن سالم جماعة"، أو نحدد عددهم عند الاقتضاء -لا سيما عند تقصي طرق الأحاديث المعلولة- كأن نقول: "ورواه عن سالم ثلاثة، هم: فلان، وفلان، وفلان".
- ثم نبدأ في عرض الطرق بحسب ترتيبنا السابق، فنقول: "أما رواية فلان-الأول-: فرواها فلان عن فلان، إلى آخر سنده الذي يلتقي فيه الراوي عن سالم مع سالم.
- ثم نذكر عبارة تحديد لفظه، وبحسب الاعتبارات السابقة.
- يلي ذلك نحكم على كل طريق بما يقتضيه من حيث القبول أو الرد، ويمكن أن نجمل الحكم على الطرق بحكم عام إن لم يقتض المقام خلافه.
- ثم نذكر الطرق الأخرى عن غير سالم بالترتيب، وبحسب الاعتبارات السابقة.
- بعد ذلك نذكر حديث الصحابة الآخرين، وبحسب الاعتبارات السابقة.

برامج شجرة الأسانيد:

توفر لهذه الورقة مجموعة لا بأس بها من التطبيقات والبرامج التي سعى فيها صانعوها لتقديم خدمة أمثل -حسب اجتهادهم ووفق إمكاناتهم- للباحثين في علم الحديث النبوي، ولا يخفى أن الأهداف العلمية لكل برنامج من تلك البرامج تختلف وتتباين، كما أن المدة الزمنية التي أنجزت فيها هذه البرامج متباعدة، وكل ذلك من شأنه أن يوجد صورًا للتباين في أدائها لرسم شجرة الأسانيد، ومن هذه البرامج ما يأتي:

أولاً: برنامج شجرة الأسانيد[١]

جاء في بيان مبررات إنشاء هذا البرنامج أن من المهارات التي يجب أن يتقنها المتخصص في تخريج الأحاديث مهارة رسم شجرة الأسانيد لرواة الحديث الشريف؛ لمعرفة مخرجه، ومن ثم الحكم عليه، وأن طرق التخريج التقليدية المتبعة فيها مشقة، فمن هذا المنطلق ظهرت فكرة مشروع شجرة الأسانيد[٢].

وأن من أبرز الصعوبات التي واجهت المشروع بحسب إفادة مبرمجيه: ندرة الأفكار المطروحة من قبل المعنيين بهذه المجالات؛ بسبب محدودية التعاون بين المختصين في الحاسب الآلي والباحثين في شتى العلوم التي تعنى بالكتاب والسنة، وعدم وجود تجارب سابقة في هذا المجال من الناحية التقنية[٣]، وكذلك عدم وجود قاعدة محددة للحكم أو لتخريج الحديث[٤]

[١] انظر: الأشكال من رقم١ إلى رقم٥.

[٢] انظر: حوارا أجرته د.هند الخليفة في جريدة الرياض عدد يوم ٢٠٠٨/٧/٨م مع مبرمجات برنامج شجرة الأسانيد الخريجات: خلود اليحيى ومنال إبراهيم العقيل وأسماء العصيمي وسارة الشعلان وريم الراشد وهند البسام وخولة المزيد، من قسم تقنية المعلومات بجامعة الملك سعود وبمشورة الأستاذ عبدالكريم بن ناصر البرادي: http://www.alriyadh.com/2008/07/08/article357279.html

[٣] يحمل هذا الكلام على أنه لم يسبق البرنامج برنامج آخر يمكن المستخدم من رسم شجرة الأسانيد لأي حديث يختاره.

[٤] المصدر السابق. ويحمل أيضا هذا الكلام على أن قواعد المحدثين المتعلقة بالحكم على المرويات فيها كثير من التفاصيل.

ويتلخص عمل البرنامج كما بينه مبرمجوه في أنه: "أحد الحلول المقدمة للدارس والباحث في علم الحديث والسنة النبوية، حيث يقوم برسم شجرة لأسانيد الحديث التي يُدخلها الباحث، ويبين رسومياً ما بينها من تداخل وترابط، ويتمكن الباحث من تعليق جميع المعلومات التي تهمه في المقارنة، دون الحاجة للرجوع للمصدر، مع إمكانيات خيارات الطباعة، والعرض، والتعديل، والإضافة، والبحث. إضافة إلى تمييز الراوي بما يبين درجته، وما يميز مستوى الاتصال بين الرواة؛ لتسهيل الوصول إلى حكم على الإسناد المفرد، وتسهيل عملية مقارنة الأسانيد، إضافة إلى ذلك يختصر على الباحث الوقت والجهد، وعناء البحث والتدقيق؛ ليتمكن من تصنيف الحديث وتخريجه، فبمجرد رسم الباحث لشجرة الأسانيد يقوم البرنامج بتصنيف الحديث وفقاً لعدد الرواة في كل طبقة من طبقات السند، أما في التخريج فيتم جمع الأسانيد ودراستها ومن ثم مقارنتها ليتم الحكم عليها"[١].

وتمنى المبرمجون أن تقوم جهة مهتمة بخدمة السنة النبوية بتبني المشروع.

تقويم التجربة:

لا تخفى الإيجابيات التي يقدمها البرنامج والتي تقدم ذكر بعضها، ومما يتميز به البرنامج أيضاً أنه التطبيق الوحيد الذي اطلعنا عليه ويرسم شجرة الإسناد لأي رواية مسندة نريدها، ولتوجيه هذا العمل وغيره لما هو أفضل نرصد بعض الملحوظات التي يحسن معالجتها وتفاديها مستقبلاً، ومنها:

١. البرنامج يخلو تماماً من ملف المساعدة، فلا توجد فيه تعليمات واضحة للمستخدم.
٢. قاعدة بيانات البرنامج محصورة في الصحيحين كنص مجرد، ومعلوم عدم حاجتهما إلى التخريج، والعزو إليهما يكفي، كما أن معلومات الكتابين لم ترمز[٢]، ولعل عذر من قام بهذا البرنامج عدم التخصص، وترميزهما من المشاريع التي تفوق جهود الأفراد كما هو معلوم.
٣. نتائج البحث محصورة في مرجع واحد، وفي هيئة شاشة نصية، ومن غير تضليل كلمات الدلالة البحثية، والأنفع أن تكون على شكل جدول تتوفر فيه أهم المعلومات الأولية.
٤. في شاشة الرواة نجد أن درجة معاذ بن جبل "ثقة" والصواب أن يقال عنه "صحابي"، وهي مرتبته في الوقت نفسه.
٥. كما نجد في الشاشة نفسها أن الرواة غير مرتبين هجائياً، مما يعسر الوصول إلى الرواة لا سيما إذا كثر عددهم، ولا يوجد رابط بينهم وبين نص الصحيحين.
٦. في شاشة إضافة "كتاب آخر" لا توجد عناوين لخانات المدخلات، وبالمحاولة والتخمين وجدت أن الأول منها لاسم المرجع، والثاني لرقم الجزء، والثالث لرقم الصفحة.

---

[١] المصدر السابق.

[٢] يراد بالترميز مقابلة المسائل العلمية برموز يفهمها الحاسب الآلي، ويمكن عند طلبها منه أن يحصيها ويعرضها للمستخدم. ومن الأمثلة الناجحة -بل والمتميزة- للبرامج التي قامت على الترميز برنامج "جامع الفقه الإسلامي" الذي أنتجته شركة حرف وبدعم من الأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت.

٧. لا توجد في درجات الرواة من حيث الجرح والتعديل درجة مستور، ولا درجة وضاع، واقتصر على "ثقة، وصدوق، وضعيف، وشديد الضعف"، ومعلوم أن هذه الألفاظ يطرأ عليها أحيانا قيود ومحددات تغير دلالتها فتحتاج إلى بيان.
٨. فرق البرنامج بين درجة الراوي، وبين الحكم على الراوي، وكلاهما واحد.
٩. معلومات الشجرة مخفية، ولا بد من وضع المؤشر على كل جزئية لبيان تفاصيلها، وبالتالي لا نستطيع الاستفادة من طباعتها لخفاء تفاصيلها.
١٠. يفضل أن يكون البرنامج على جميع الأنظمة التشغيلية للحواسيب الإلكترونية كالماكنتوش واليونكس بالإضافة إلى جميع إصدارات نظام الوندوز لا سيما الحديث منها كويندوز٧ فهو لا يعمل عليه، ولا على نظام ويندوز فيستا، و يقترح البعض أن لا يتطلب تنصيبه على النظام[١].

وغير ذلك من الملحوظات.

ثانياً: برنامج موسوعة الحديث الشريف (الكتب التسعة-إصدار ٢,١)

يمتاز برنامج موسوعة الحديث الشريف (الكتب التسعة) من إنتاج شركة حرف بالإتقان العلمي بجانب التميز التقني مما لا مجال لتفصيله في هذا المقام، وجاء ذكر شجرة الأسانيد كمكمل لمطلب التخريج المتقن الذي يستحق أن يوصف به البرنامج.

تقويم البرنامج:

مما يلاحظ على البرنامج بالإضافة لما سبق ذكره في البرنامج السابق ما يأتي:

١. لا يمكن نسخ شجرة الأسانيد على برامج النصوص كبرنامج (الورد) كنص قابل للتعديل وإنما ينسخها كصورة كسابقه، ولا يحتوي الرسم في نطاق شاشة واحدة مع ذكر المعلومات التي يظهرها، إنما يعرض صورة للطرق من غير معلومات مع تمييزها بالألوان للدلالة على درجة الرواة غفلا عن أسمائهم[٢].
٢. محدودية نطاق بحث البرنامج بالنسبة للمرويات المسندة فهو خاص بالكتب التسعة فقط.
٣. نظام الروابط فيه قديم لحد ما فهو لا يربط بين جزئيات النص كرجال الأسانيد مثلاً ومواضع ترجمتهم في كتب التراجم، وإنما يعرض خلاصة معدة مسبقا من قبل اللجنة العلمية المشرفة على البرنامج.
٤. لا تظهر كافة المعلومات المفروض توفرها في شجرة الأسانيد السابق ذكرها على الرسم.
٥. لا يعمل على كافة أنظمة التشغيل لا سيما الحديثة منها كنظام ويندوز٧.
٦. لا يمكن أن نرسم شجرة أسانيد لحديث غير موجود في البرنامج، ولا أن نعدل ما هو موجود، فهي معدة سلفاً، وهذا الفارق الرئيس بين البرنامجين الأول والثاني، والله أعلم.

---

[١] انظر: موقع التقنية بضغطة زر:http://www.tech2click.net/archives/948

[٢] انظر: شكل رقم٧.

ثالثاً: برنامج الموسوعة الماسية للحديث النبوي وعلومه[1]

جاء في التعريف بالبرنامج الذي أنتجته مؤسسة عبداللطيف للمعلومات أنه يشتمل على أحاديث (٦٣) مصنفا في الحديث كما ذكر على غلافه، المسند منها (٢٦) مصنفاً فقط، ويوفر البرنامج خدمة عزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، ويحدد الباحث مستوى التخريج والتطابق في الألفاظ، ويربط البرنامج بين رجال السند وكتب التراجم، كما يوفر خدمة رسم شجرة الإسناد لأي حديث وارد في كتب الموسوعة، وهذه ميزة فريدة ليست لسواه.

تقويم البرنامج:

يلاحظ على البرنامج بالإضافة لما سبق ذكره في البرامج السابقة ما يأتي:

١. محدودية نطاق بحث البرنامج بالنسبة للمرويات المسندة، فهو محصور في (٢٦) كتاباً.
٢. لا يربط البرنامج بين جزئيات النص كرجال الأسانيد مثلاً ومواضع ترجمتهم في كتب التراجم مباشرة، حيث ينقل المستخدم إلى شاشتين متتاليتين حتى يصل لموضع الترجمة، ربما كان موضع الترجمة مجرد إحالة إلى الموضع الأساسي لترجمة العلم، كما هو الحال عند الدلالة لموضع ترجمة ابن أبي مليكة في "تقريب التهذيب" حيث أغفلوا الموضع الأساسي وأشاروا إلى الإحالة.
٣. لا تظهر كافة المعلومات المفروض توفرها في شجرة الأسانيد السابق ذكرها على الرسم.
٤. شجرة الأسانيد غير قابلة للإضافة أو الحذف أو التعديل.
٥. لا يعمل على كافة أنظمة التشغيل المشهورة كالماكنتوش، واليونكس، وغيرها. بل ولا الإصدارات الحديثة من نظام ويندوز –الذي اعتمده البرنامج– كإصدار ويندوز٧، والله أعلم.

رابعاً: برنامج جوامع الكلم (إصدار٤)[2]:

قام على هذا البرنامج موقع الإسلام ويب والإدارة العامة للأوقاف، وبتمويل من وصية قاسم فخرو–رحمه الله– ، وهو من أتقن البرامج الحاسوبية التي اختصت بعلم السنة النبوية التي توفرت لهذه الورقة، ومن مميزاته أنه ضم (١٤٠٠) مرجعا، كما يمتاز بعد الإتقان العلمي والتقني أنه احتوى على مخطوطات لم تنشر إلى يومنا هذا وعلى هيئة نصوص يسهل البحث فيها تقنيا، كما أنه تميز بالربط المتقن بين الرواة وتراجم مختصرة من إعداد اللجنة العلمية التي أشرفت عليه.

تقويم البرنامج:

مع تميز هذا البرنامج إلا أننا نجد عليه بعض الملحوظات التي تتعلق بشجرة الأسانيد، منها:

١. شجرات الأسانيد في البرنامج معدة سلفاً، ولا تقبل التعديل، ولا إضافة التعليقات.

---

[1] انظر: شكل رقم ٨. ولمعرفة تفاصيل أخرى عن البرنامج وغيره انظر: التقنية الحديثة في خدمة السنة والسيرة النبوية بين الواقع والمأمول د. إبراهيم الريس.

[2] انظر: شكل رقم ٩.

٢. لم تشمل رسومات شجرة الأسانيد كل المعلومات المهمة بشكل ظاهر، فلا بد من تتبعها عبر الضغط بالمؤشر عليها واحدة تلو الأخرى.

٣. عند نسخ شجرة الأسانيد تنسخ على ملف جداول (إكسل) وبصورة غير مفيدة، وغير ملتزمة بالضوابط التي ذكرناها في رسمها.

٤. عند تحديد خيار إظهار شجرة الأسانيد لا تجمع المتابعات سواء كانت تامة أو قاصرة، ويكتفى بإضاءة اسم الراوي المعروض إسناده بحسب درجته، وتضليل ما سواه باللون الرمادي، ولا تدمج الطرق المتماثلة -التي اجتمعت طرقها- برسم خط واحد.

٥. لم توضح صيغ التحمل على شجرة الأسانيد، ولم تلون الأسهم بلون يحدد اتصالها من عدمه كما في برنامج شجرة الأسانيد المتقدم ذكره في أولا.

وهناك برامج أخرى دون ما ذكرت لم أتطرق لها، وما ذكر فيه غنية وكفاية[1]، والله أعلم.

تقويم شامل للبرامج المتاحة:

من خلال الاستعراض السريع للبرامج السابق ذكرها نستطيع أن نوجز الكلام على مدى دعمها للمعايير العلمية التي اعتمدها علماء مصطلح الحديث لقبول المرويات المسندة والتي تتلخص بالشروط الخمسة تضمنها تعريف الحديث المقبول سواء كان صحيحاً أو حسناً وهي: "اتصال السند، وعدالة الرواة، وضبطهم، وسلامة المروي -سنداً ومتناً- من الشذوذ، وسلامته من العلة القادحة" من خلال الجدول الآتي:

جدول مقارنة دعم البرامج المتاحة لتحقق شروط قبول الروايات المسندة

اسم البرنامج	الاتصال	العدالة	الضبط	السلامة من الشذوذ	السلامة من العلة القادحة
شجرة الأسانيد	تم تمييز صيغ الأداء الصريحة بالاتصال بخطوط متينة متصلة، ورفيعة للمحتملة، وبمتقطعة للمنقطعة، ورمادية لغير المحددة، وجميع ما سبق يتطلب إدخاله من المستخدم نفسه. كما هو مبين	تم تمييز الراوي الثقة باللون الأخضر، والصدوق بالأزرق، والضعيف بالبرتقالي، وشديد الضعف بالأحمر، وغير المحدد بالأصفر. كما هو مبين بالشكل رقم٤		لا يوجد جهد آلي	لا يوجد جهد آلي

[1] منها برنامج لمصطفى الشقيري نشره في ملتقى أهل الحديث على هيئة جداول في برنامج الإكسل، ومما يؤخذ عليه أنه لا يرسم شجرة الأسانيد شبيها بالشجرة الطبيعية، بل كالجدول، مما لا يمكننا من معرفة نقاط الالتقاء والافتراق كما في البرامج السابقة. وبرنامج آخر للطيماوي لم يتيسر لي الحصول عليه. وهما مذكوران في موقع ملتقى أهل الحديث:
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=142334

	بالشكل رقم٤			
موسوعة الحديث الشريف	لم تذكر ألفاظ الأداء كما هي في كل طريق، بل يذكر وصفها كما في "عن" يقال عنعنه عند التأشير على كل سهم بين راويين، وذكرت خلاصات الأحكام عن كل طريق حسب رأي اللجنة العلمية المنفذة للبرنامج	تم تمييز الراوي الصحابي باللون الأبيض، والثقة الحافظ بالأصفر الفاتح، والثقة بالأصفر، والصدوق بالأصفر الفاتح، والصدوق سيئ الحفظ بالأخضر، والمقبول بالأخضر المنقوط بالسواد، وجهول الحال بالبنفسجي، والضعيف ومن لم يوثق والمتروك والمتهم بالكذب والكذاب بالأحمر كما هو مبين بالشكل رقم٧	الجهد المبذول من إعداد اللجنة العلمية	
الموسوعة الماسية للحديث النبوي	يذكر ألفاظ الأداء عند التأشير على الراوي من غير تمييزها بلون أو ترميز ويخلط بين طبقات الرواة كما هو مبين في الجدول رقم٨	يسمح بالبحث عن ترجمة الراوي عند الضغط على اسمه مرتين متتاليتين، وقد تغفل المواضع الأساسية ويشار إلى الإحالات كما تقدم في تقويم البرنامج كما تم إضافة تعليقات من الجهة المشرفة بخصوص توقع بعض الأسماء المهملة	لا يوجد جهد آلي	لا يوجد جهد آلي
جوامع الكلم	لا يمكننا البرنامج من معرفة ألفاظ الأداء مباشرة، وإن كان يمكن الرجوع إلى النص الأساس في المصدر عن طريق الخيارات المتاحة فيه، ولكن ذلك يقتضي الخروج من شاشة شجرة الأسانيد، ثم العودة إليها مرة أخرى. وينص على موضع السقط أو التعليق بعبارة صريحة في مكان كل سقط، كما أن بقية الأحكام المتعلقة بالاتصال معدة مسبقاً.	تم تمييز الراوي الصحابي باللون الرمادي، والثقة بالزيتي، وحسن الحديث بالأخضر، والضعيف بالأزرق، وشديد الضعف بالأصفر، والمتهم بالأحمر، ومن ليس بقوي بالأزرق الفاتح، ويمتاز بأن التراجم معدة من قبل اللجنة العلمية بعناية فائقة، كما هو مبين في الشكل رقم٩	الجهد المبذول من إعداد اللجنة العلمية	

وبتحليل نتائج هذه المقارنة يتبين أن:

حققت هذه البرامج مرحلة مهمة من رسم شجرة الأسانيد، فقد وفرت تحديد طبقات الرواة –لاسيما برنامج جوامع الكلم، وعلى تفاوت بين الباقي في الإتقان–، وضمنت صيغ الأداء فيها أو مضامينها– سوى

البرنامج الأول لاعتماده على المستخدم-، لكنها لم تستطع أن تنجز مهمة التحقق من شرط الاتصال في السند آليا؛ لكون الثاني والرابع يقومان على جهد اللجنة العلمية التي أعدتهما، ولكون الأول يعتمد على جهد المستخدم، أما البرنامج الثالث فقد اقتصر على توفير المعلومات الموجودة في نطاقه، فإذا جمعنا بين مميزات هذه البرامج وضممنا إليها تقنية الترميز[1] فسيتمكن البرنامج من الحكم بالاتصال من عدمه على المرويات المسندة غالبا.

وفرت جميع البرامج وظيفة تحديد مستوى ثقة الرواة، ورمزت له بالألوان، وعرفت بها كما تقدم، لكن الأول منها جعل مهمة تحديد المستوى من عمل المستخدم والبرنامج يتولى تلوينه بما يناسبه، وتكفلت اللجنة العلمية في الثاني والرابع بمهمة الحكم عليهم-وهو مستفاد من كتاب "تقريب التهذيب" لابن حجر العسقلاني على الأغلب- ، واكتفى الثالث على ربط اسم الراوي بشجرة الأسانيد بموضع ترجمته في كتب التراجم المتاحة في نطاقه، فإذا استفدنا من جميع هذه المميزات مع إضافة تقنية الترميز أمكننا أن نحكم على الرواة من حيث التعديل أو التجريح آليا في الأغلب.

تكفلت اللجنة العلمية المشرفة على البرنامجين الثاني والرابع بمهمة التحقق من نفي الشذوذ والعلة القادحة . ولم تتمكن جميع البرامج من القيام بذلك آليا؛ لصعوبته وخفائه، وبقية الشروط الثلاثة تنفي العلة الظاهرة كما هو معلوم في علم مصطلح الحديث[2] .

المحاذير التي تعترض الحكم التقني على المرويات المسندة[3]:

لا يخلو مشروع من عقبات تعترض سبيله، وأعمال وجهود المهتمين بالسنة النبوية كغيرها، ينالها ما ينال أعمال المكلفين من قصور وعوز، ولا يعارض هذا وعد الله تعالى الحق بحفظ السنة النبوية، فالوعد متحقق من الله تعالى للعباد، وعليهم أن يجتهدوا في كل عصر في استحداث الوسائل المناسبة التي تخدم تحقيق الوعد.

وحتى نستحضر ما يمكن أن يحد من تنفيذ مشروع حفظ وتقريب السنة النبوية الطموح نستعرض بعضا من العقبات التي قد تحول دون تنفيذه بالصورة المرجوة، وهي كالآتي:

١. كثير من المرويات المسندة مروية بالمعنى فلا يمكن البحث والاستدلال بمجرد التنقيب التقني.
٢. صيغ التحمل والأداء كثيرة ومتنوعة، وبعضها فيها خلاف، ويقع فيها تصرف أحياناً فكيف سيستدل عليها الحاسب الآلي؟

---

[1] من أمثلة الترميز هنا أن تدخل معلومات التدليس مثلا الواردة في كتاب "**تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس**" لابن حجر العسقلاني، ثم تربط مع تراجم طرفي التدليس وصيغ الأداء المتعلقة بهما، فيتعرف عليهما البرنامج وينبه عليه المستخدم.

[2] فنفي الشذوذ مرده للضبط. انظر: "**تدريب الراوي**" للسيوطي (٦٤/١) .

[3] انظر: استعراض السلبيات العامة للنشر الحاسوبي في بحث: "التقنية الحديثة في خدمة السنة والسيرة النبوية بين الواقع والمأمول" د. إبراهيم الريس.

٣. الحكم على المرويات قائم على علم العلل، وهو من دقائق علم الحديث وأصعبه، والواقع يشهد بأن الضعف بين دارسي هذا العلم ملموس، فكيف نستعين بالتقنية في أمر عجز عنه بعض المختصين، والتقنية تعتمد على آلات صماء تعجز أن تقوم بما ضعف عنه الإنسان.

٤. لا ينطوي الحكم على المتون على مسائل جامدة؛ يتحدد فيها الاختيار بين نعم أو لا مثلا، بل هي مجموعة من الضوابط والقرائن المتغيرة متى ما تحققت في المتون وأسانيدها حكم بقبولها أو ردها، وإذا لم يتضح الحكم توقف فيها.

٥. هامش الخطأ في الجانب التقني كبير، ولا يمكن تعريض السنة النبوية لمثل هذه الأخطاء.

٦. محاولات تسهيل مهمة الحكم تقنياً على المرويات المسندة فيه تقليل من شأن السنة المطهرة في النفوس وحقها التعظيم، فلا يحسن الشروع في ذلك، لاسيما ونحن نرى جرأة غير المختصين على السنة النبوية وعلومها بسبب اعتمادهم على مثل هذه البرامج، مع تأخر فهمهم ومعرفتهم بتفاصيل ودقائق هذا العلم الجليل.

مناقشة المحاذير التي تعترض الحكم التقني على المرويات المسندة:

ما تقدم من محاذير على الحكم بواسطة الوسائل التقنية المعاصرة على الروايات المسندة لها وجاهتها، ولا يمكن إنكار وجودها، بل والإقرار بكثير منها، ولكن دورنا هنا معالجتها، وبيان ما يمكن أن نحتاط فيه حال استخدامها، لا أن نوقف عجلة التقدم نحو مشاريع من الممكن تنفيذ شيء منها، ونحطمها على صخرة المستحيل، ومما يمكن أن يجاب به على تلك المحاذير ما يأتي:

١. رواية المرويات المسندة بالمعنى وإن كان لا يسهل علينا عملية البحث والاستدلال عنها فإنه لا يمنعنا من الوصول إليها، ولا بد في الأمرين من التدخل البشري من أهل الاختصاص.

٢. مع تنوع صيغ التحمل والأداء وكثرتها فهناك تجارب سابقة وضعت حلولا لذلك كما في موسوعة الأحاديث النبوية (الكتب التسعة) .

٣. لا شك أن الحكم على المرويات المسندة قائم على علم العلل وهو من أدق العلم وأصعبه، كما أن الواقع يشهد بضعف بعض منتسبي العلم فيه، وهذا يجعلنا مع معالجتنا لأسباب ضعف العلم عند منتسبيه نستعين بالوسائل العصرية –ومنها التقني– في سد هذه الثغرة، والواقع يشهد أن استخدام الوسائل التعليمية التقنية –مثلاً– له أثر كبير في تسهيل كثير من العلوم –القديم منها والحديث–، ولا حرج في الشرع من استخدامها، ولا يسع من مارس مثل هذه الوسائل إلا أن يقر بعظم فوائدها مع أنها تعتمد على آلات صماء تقوم بما ضعف عنه الإنسان.

٤. من المسلم فيه أن الحكم على المتون المروية بالأسانيد لا ينطوي فقط على مسائل جامدة يتحدد فيها الاختيار بين نعم أو لا –مثلا– ، كما أنها مجموعة من الضوابط والقرائن المتغيرة متى ما تحققت في المتون وأسانيدها حكم بقبولها أو ردها، وإذا لم يتضح الحكم توقف فيها. لكن كم نسبة ما يحتاج إلى هذا؟ مقارنة بما لا يحتاج إليه، وهل يكفي أن نعطل الكل من أجل البعض؟

٥. أما القول بأن الخطأ في الجانب التقني كبير، ولا يمكن تعريض السنة النبوية لمثل هذه الأخطاء، فهذا راجع للقصور المتعلق بالبشر الذين وضعوا برمجياته لا لقصور التقنية، وما هو غير ممكن بالأمس أصبح اليوم من المسلمات، ومن يتابع الجانب التقني يعلم ذلك.

٦. لا نسلم أن تسهيل مهمة الحكم تقنيا على المرويات المسندة فيه تقليل من شأن السنة النبوية في النفوس، بل نعتقد العكس، فمتى ما قربت السنة النبوية للعموم ازدادت عظمتها في النفوس، وهو ما يتماشى مع حق تعظيمها، وهو أن الله تعالى كما قيض للوحيين وسائل الحفظ المناسبة في العهد الأول للإسلام، فقد يسره كذلك في عصرنا الحاضر بما لم يدر في خلد من قبلنا، بل لم نتصوره نحن قبل بضعة عقود من الآن؟ ، فلله الحمد والشكر على ما أنعم وأولى.

الخاتمة: بعد هذه الجولة التي تناولنا فيها موضوع "إشكالية الحكم التقني على المرويات المسندة وتقويم بعض تطبيقات شجرة الأسانيد أنموذجاً" بدت بعض النتائج والتوصيات التالية:

أولاً: النتائج

تيسر لهذه الورقة جملة من النتائج، منها:

- من خلال استعراض ضوابط شجرة الأسانيد عرفنا التفاصيل التي ينبغي على من أراد إنشاء مشروع عنها أن يعتني بها حديثيا وتقنيا.
- تباينت البرامج المهتمة بشجرة الأسانيد، واختلفت مميزاتها، وتم تقييمها بحسب ما هو مأمول في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى.
- كثرة البرامج النسبية لشجرة الأسانيد تدلل على أهميتها، ورواجها عند المستخدمين، وحاجة المتعلمين والمعلمين والمختصين لها.
- لم يتم في برامج شجرة الأسانيد البناء على ما تم تنفيذه قبل كل منها، بل جاء كل برنامج منها وفق رؤية من أنتجه.
- لا تزال البرامج الإسلامية عموماً والمهتمة بالسنة النبوية خصوصاً لم تكتسب سمة الإتقان، سوى قلة من البرامج أغلبها في غير موضوع البحث.

ثانياً: التوصيات

وفي الختام يمكن أن تقدم الورقة التوصيات الآتية:

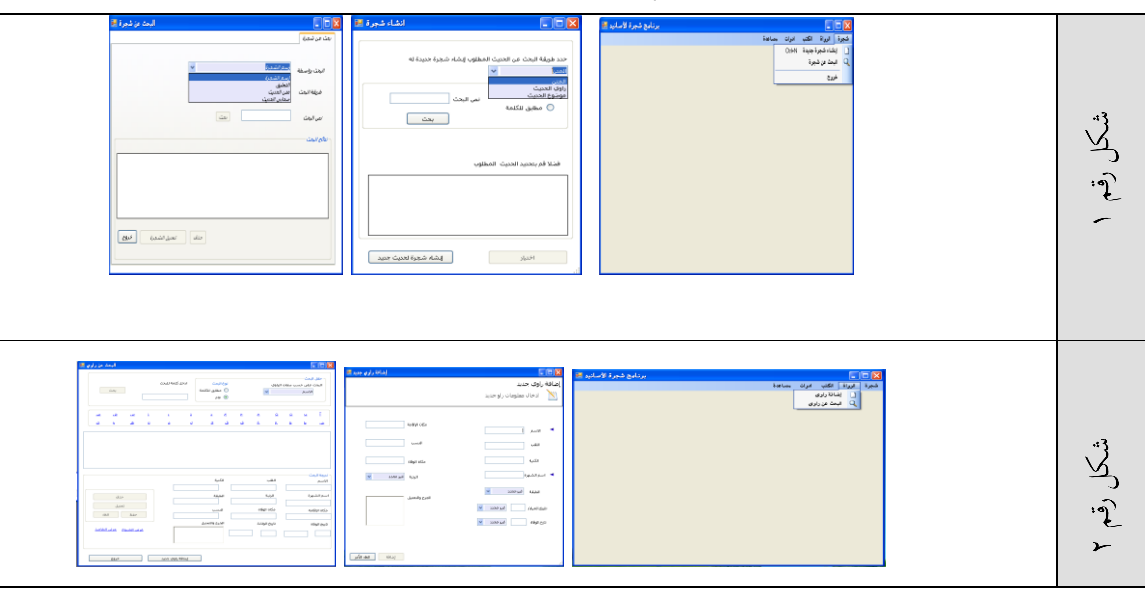
- مع وجود هذا الكم الهائل من البرامج الإسلامية التي اعتنت بالسنة النبوية ندرك أن الحاجة ماسة لوضع ضوابط تقنية وأخرى علمية لمثل هذه البرامج، ولتكن هي الحد الأدنى الذي يجب التزامه لمن أراد أن ينشأ مشروعا إلكترونيا عنها.
- من أعظم مقاصد هذه الورقة بيان أهمية وصعوبة وخطر الحكم على المرويات المسندة، ومن شأن الإعداد الجيد لبرنامج يهتم برسم شجرة الأسانيد بعد تخريجها أن يمهد الطريق للحكم الصحيح عليها، ويدرب المتعلمين على ذلك في الوقت نفسه.

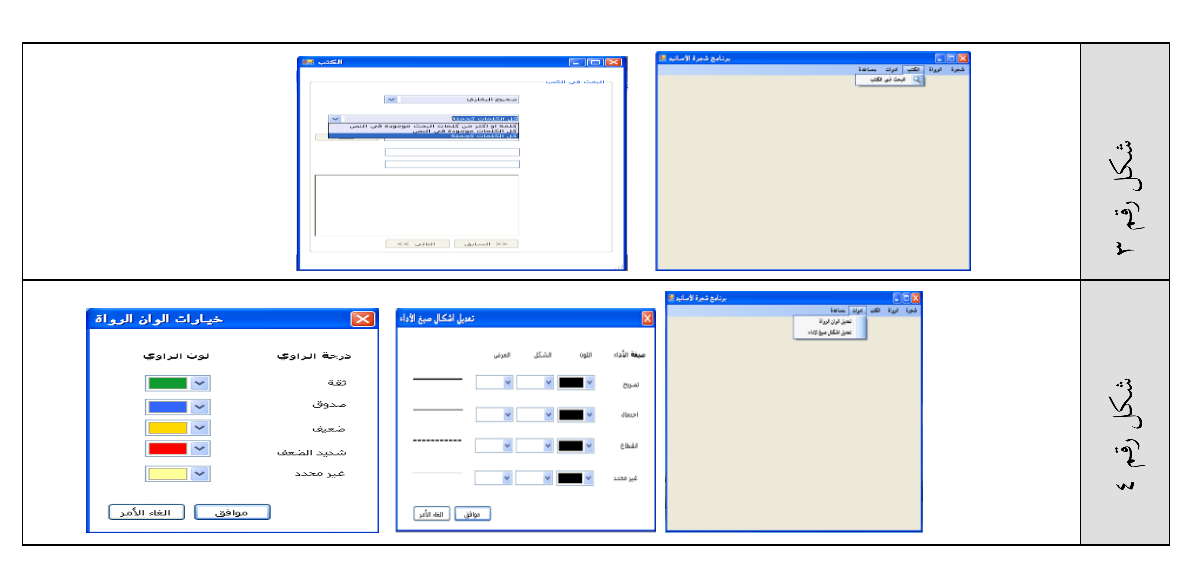
- ينبغي لمن تصدى لإنتاج مثل هذه البرامج أن يبدأ من حيث انتهى الآخرون، ويضيف إلى أعمالهم إبداعاته التي يتميز بها، وتلبي الاحتياجات المستجدة.
- تلح الحاجة إلى إقامة جهة علمية عالمية لإجازة الكتب والمنشورات والإصدارات الإسلامية عموما والحديثية خصوصا قبل نشرها وخروجها للقراء.
- من خلال الاستعراض السريع للبرامج المعتنية بشجرة الأسانيد نجد أن المعالم العامة المقترحة لمشروع جمع السنة النبوية تقنيا وعلميا ينبغي أن تحقق التالي:
- حصر كتب السنة النبوية –لا سيما المسند منها– التي ستمثل النواة الأساسية في مشروع تقني يقوم على مشروع منجز ورقيا ومجاز علميا.
- ترميز محتويات الكتب والمصادر الداخلة في حدوده، ومضامينها وفق دلالات حديثية تقنية.
- ترميز قواعد وأحكام مصطلح الحديث وفق دلالات مصطلحية تقنية.
- الحكم على أسانيد المرويات وفق معطياتها وما يقابلها من ترميزات مع قابلية ذلك للتعديل.

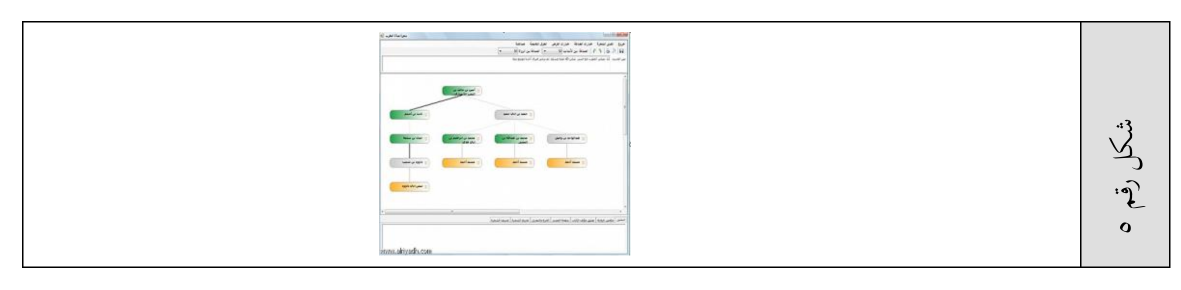
المصادر والمراجع

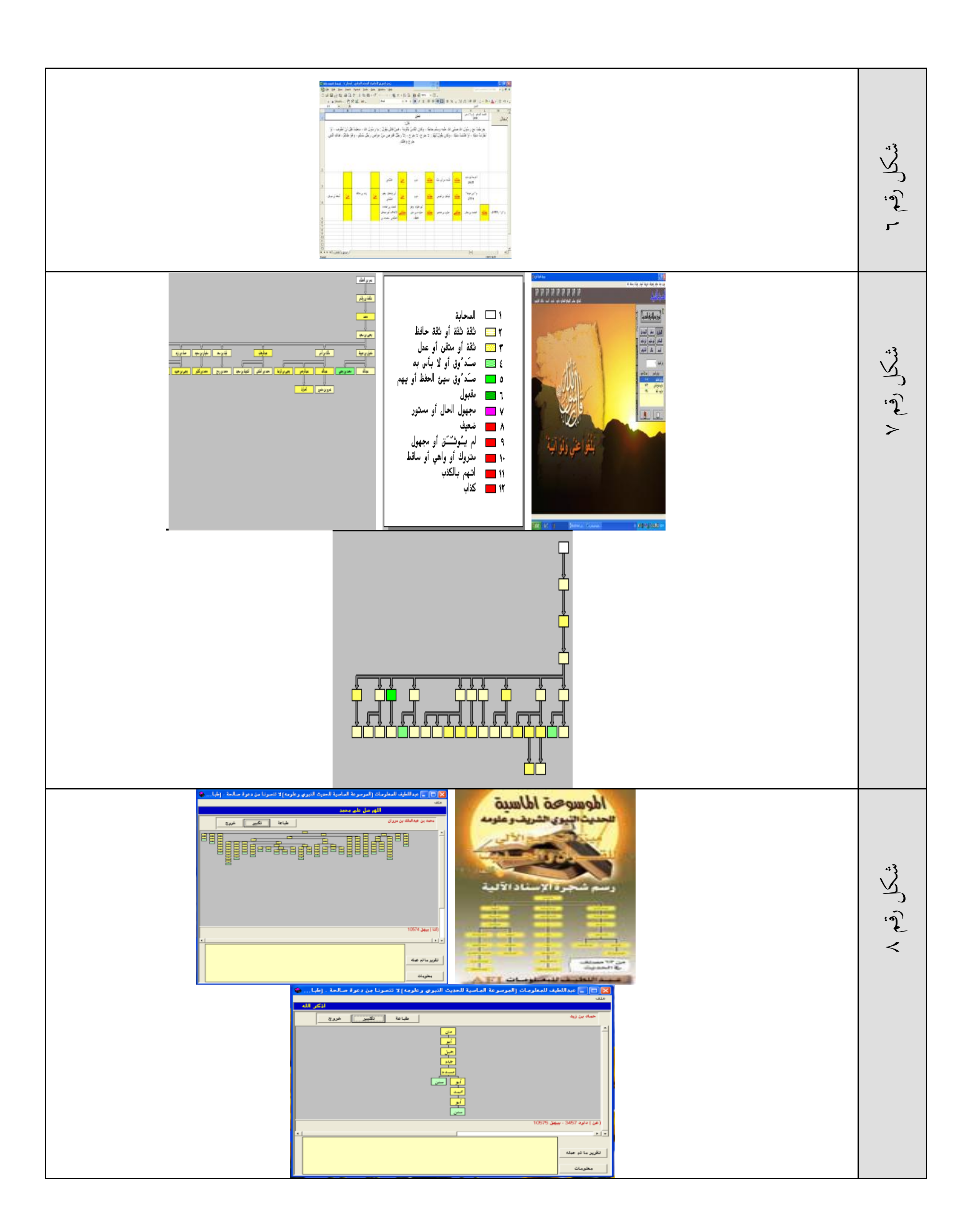
١. بطاقات التدريب على علم التخريج، د. علي عجين، مركز ديبونو–الأردن، ط:١/٢٠٠٩م.
٢. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي، ت: عبد الوهاب عبد اللطيف، مصورة مكتبة الرياض الحديثة–الرياض.
٣. التقنية الحديثة في خدمة السنة النبوية، دراسة تطبيقية على بعض أحاديث الإمام البخاري، عبدالله محمد دمفو. من أبحاث مؤتمر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، بعنوان: "عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية" ١٤٢٥هـ.
٤. التقنية الحديثة في خدمة السنة والسيرة النبوية بين الواقع والمأمول، د. إبراهيم الريس. من أبحاث مؤتمر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، بعنوان: "عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية" ١٤٢٥هـ.
٥. جريدة الرياض، المملكة العربية السعودية، عدد رقم١٤٦٢٤، المنشور في يوم ٢٠٠٨/٧/٨م.
٦. السنن، لأبي داود، ت: عزت الدعاس وزميله، دار الحديث–بيروت، ط:١٣٩٤/١هـ.
٧. صحيح سنن أبي داود، للألباني، المعارف– الرياض، ط:١٤٢١/٢هـ.
٨. موقع التقنية بضغطة زر: http://www.tech2click.net/
٩. موقع ملتقى أهل الحديث: http://www.ahlalhdeeth.com/

ملحق الأشكال التوضيحية







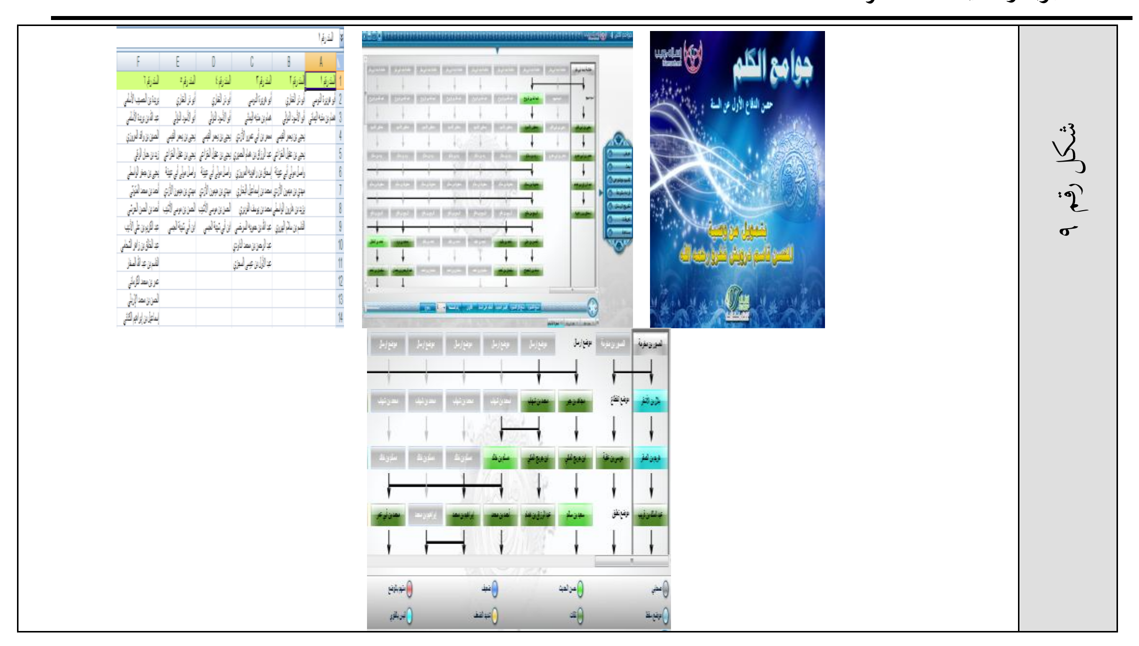


شكل رقم ٦

شكل رقم ٧

شكل رقم ٨

شكل رقم ٩



السُّنة النبوية المطّهرة والعلوم الـمُعاصرة

دراسة وثائقية مقارنة

أ.د. داتئ ذو الكفل محمد يوسف

د. عبد المحسن القيسيّ

أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا

ماليزيا

drmohsin56@yahoo.com

توطئة

السُنّة هي المصدر الثاني للعقيدة والشريعة الإسلامية، والسُّنة النبوية أفعال سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام وأقواله، وكانت وما تزال الشاغل للعلماء في طلبها تكملة للمصدر الأول القرآن الكريم، حتى في أثناء حياة سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام إضافة إلى ما جاء بعد وفاته، وكانت معلومات هذا المصدر تعتمد على النقل الشفهي[١]، لذلك فإن الذين بادروا إلى جمع هذه الأقوال والأفعال في نصوص قد قاموا بتحقيقات تتسم دائماً بالصعوبة كما هو الشأن في حكاية جميع الأحداث بعد انقضائها. ولهذا كان همهم الأول في عملهم العسير في مدوناتهم منصباً أولاً على دقة الضبط لهذه المعلومات الخاصة بكل حادثة في حياة سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، وبكل قول من أقواله[٢]، وللتدليل على ذلك الاهتمام بالدقة والضبط لمجموعات الأحاديث المعتمدة، فإنهم قد نصّوا على أسماء الذين نقلوا أقوال سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام وأفعاله، وذلك بالصعود في الإسناد لصحابته ممن قد تلّقوا هذه المعلومات مباشرة منه عليه الصلاة والسلام، وذلك بغية الكشف عن حال الراوي في جميع سلسلة الرواية، والابتعاد عن الرُواة غير المشهود لهم بحسن السيرة وصدق الرواية ونحو ذلك من دلائل ضعف الراوي الموجبة لعدم الاعتماد على الحديث الذي رُوي عن طريقه، وهذا ما قد انفرد به علماء الأمة الإسلامية في كل ما رُوي عن سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام[٣].

وهكذا ظهرت للوجود مجموعات أقوال سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، وأفعاله، وأصبحت تُعرف الآن في العلوم الإسلامية، ب(علم الحديث)[٤]، وإذا كانت كلمة (حديث) قد تشير فقط إلى القول، فإنها تجمع تحتها أيضاً رُوايات أفعال سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

تحرير المصطلح:

السُّنة في اللغة: الطريقة والسيرة حميدة كانت أو ذميمة، والجمع سنن، ومن ذلك حديث سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام "من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزراهم شيء"[٥].

وتُطلق السُّنة في الاصطلاح على معان عدّة [٦]:

١. تُطلق على ما يُقابل القرآن الكريم، ومن ذلك قول سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإنْ كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسُّنة"[٧].

---

[١] الأعظمي، محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه،ص٣٤، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، ١٣٩٦هـ

[٢] الأنصاري، عبد العلي محمد بن نظام الدين، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، ص١٩، بغداد مكتبة المثنى، ١٩٧٠

[٣] صالح، محمد أديب، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، ص٤٦، دمشق المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ.

[٤] أكرم، ضياء العمري، بحوث في تاريخ السُّنة المشرفة، ص٢٠، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ

[٥] رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحثّ على الصدقة ٧٠٥/٢.

[٦] الموافقات للشاطبي ٤/٤-٥. وشرح الكوكب المنير، لابن النجار ١٥٩/٢

[٧] صحيح الإمام مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة ٤٦٥/١

٢. وتُطلق عند المُحدّثين على ما أضيف إلى سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلُقِية وما يتصل بالرسالة من أحواله الشريفة وغيرها.

٣. وعند الفُقهاءِ تّعدّ من الأحكام الخمسة: الفرض، السُّنة، الحرام، المكروه، المُباح.

٤. وتُطلق على ما يُقابل البدعة فيُقال: أهل السُّنة وأهل البِدعة. وربما لا يُراد بها إلاّ ما يُقابل الفرض، مثل قولنا: فروض الوضوء وسُنَنِه، فإنه لا يقابل بها الحرام والمكروه في هذا المجال.

٥. وتُطلق عند الأُصوليين على ما صدر عن سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، غير القرآن الكريم من قول أو فعل أو تقرير[١].

٦. وتُطلق السُّنة على ما عمل به الصحابة بعد سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام[٢]، ومن ذلك قول سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام "فعليكم بسنتي وسُّنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ"[٣].

مثال السُّنة القولية كقول سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام"إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[٤]، مثال السُّنة الفعلية فهي ما صدر عن سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام من أفعال، مثال ذلك: صلاته وحجه المبيّنة لمجمل القرآن الكريم، ومثاله: قضاؤه عليه الصلاة والسلام بشاهد ويمين في الأموال، وأما السُّنة التقريرية فهي: ما صدر عن صحابي أو أكثر من أقوال أو أفعال علم بها صلى الله عليه وسلم فسكت عنها ولم ينكرها، أو وافقها وأظهر استحسانه لها، وأما مثال الوصف الخُلُقي: فما رواه البخاري عن أنس بن مالك قال: " لم يكن النبي عليه الصلاة والسلام سبَّاباً ولا فحّاشاً ولا لعّاناً وكان يقول لأحدنا عند المعتبة: ما له ترب جبينه"[٥]، ومثال الوصف الخَلقي: ما رواه البخاري عن أنس قال "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير"[٦].

تدوين السُّنة النبوية الشريفة:

كما حفظ الله تعالى لهذه الأمة قرآنها حفظ الله لها سنّة سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، يقول الله تعالى {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} (سورة الحجر:٩) ، والذكر في الآية يشمل القرآن الكريم والسُّنة الشريفة، قال ابن حزم: "فصّح أنّ كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام كلّه في الدين وحيّ من عند الله عز وجل ولا شك في ذلك، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة فأنّ كل وحيّ نزل من عند الله تعالى فهو ذكر منزل، فالوحيّ كله محفوظ بحفظ الله تعالى به بيقين، لا سبيل البتة إلى ضياع شيء قاله رسول الله عليه الصلاة

---

[١] مُحب الدين عبد الشكور، مسلم الثبوت ٢/٩٧.

[٢] الشاطبي، الموافقات ٤/٤-٥.

[٣] سنن أبي داود، باب لزوم السُّنة ٤/٢٠٠-٢٠١

[٤] صحيح البخاري، كتاب بدء الوحيّ، باب كيف بدء الوحيّ ١/٢

[٥] المصدر أعلاه كتاب الأدب، باب لم يكن النبي فاحشاً ولا متفحشاً ٧/٨٠

[٦] نفس المصدر في اللباس باب الجعد ٧/٥٨.

والسلام في الدين ولا سبيل البتة أن يختلط به باطل موضوع اختلاطاً لا يتميز عن أحد من الناس بيقين إذْ لو جاز ذلك لكان الذكر غير محفوظ"[1].

وقد حفظ الصحابة رضي الله عنهم سُنّة رسول الله عليه الصلاة والسلام في صدورهم وكان بعضهم يكتب بعض الأحاديث وكانوا يتمتعون بقوة ذاكرة مكنتهم من حفظ الكتاب والسُنّة. وما قيل إنّ الصحابة لم يدونوا السُنّة وقد نهاهم سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام عن ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ قال همام: أحسبه قال- متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[2]، يتعارض مع ما ثبت عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم من كتابة السُنّة كما يتعارض مع أمر سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام في بعض الأحيان فمن ذلك.

١.أنّ رجلاً من اليمن طلب من الصحابة يوم فتح مكة أن يكتبوا له خطبة سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام فوافق عليه الصلاة والسلام على ذلك وقال :"اكتبوا لأبي شاه"[3].

٢.عن أبي هريرة قال: "ما من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أحد أكثر حديثاً عنه منيّ إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب"[4].

٣.أن سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام قال في مرض موته: "ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي"[5]،وغير ذلك كثير[6].

ونحن أمام تعارض ظاهري بين حديث أبي سعيد الذي ينهى عن تدوين السُنّة وبين الأحاديث الأخرى التي تأمر أو تأذن بكتابة السُنّة وقد دفع العلماء هذا التعارض من وجوه عدّة[7]:

الأول: قالوا: إنّ أحاديث الأمر بكتابة السُنّة ناسخة لحديث أبي سعيد الخدري المانع من كتابة السُنّة لأن حديث أبي شاه كان في آخر حياة سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام فحتى لا يختلط القرآن الكريم بالسُنّة في أول الأمر نهاهم عليه الصلاة والسلام عن تدوين السُنّة.

الثاني: يحمل حديث أبي سعيد على حالة معيّنة وهي نهيه كتابة السُنّة مع القرآن الكريم على ورق حتى لا يختلط القرآن الكريم بالسُنّة.

الثالث: يحمل حديث أبي سعيد الخدري على ما هو ضابط وموثوق الحفظ فهذا يغنيه ضبطه وحفظه عن تدوين السُنّة وتحمل أحاديث الإذن أو الأمر بكتابة السُنّة على ما لا يوثق بحفظه.

---

[1] ابن حزم، أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد، الإحكام في أصول الأحكام ١/١١٤-١١٥.بيروت، دار الجيل، ط٢، ١٩٨٧م.

[2] رواه مسلم في كتاب الزهد باب التثبت في الحديث٤/٢٢٩٨-٢٢٩٩.

[3] رواه البخاري في كتاب العلم باب كتابة العلم١/٣٦.

[4] نفس المصدر. ونفس الجزء والصفحة.

[5] جزء من حديث رواه مسلم في كتاب الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه ٣/١٢٥٧-١٢٥٨.

[6] انظر تقييد العلم للخطيب البغدادي، ص٦٤-٨٧، ودراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه للأعظمي، ص٩٢-١٤٢.

[7] انظر تدريب الراوي، للسيوطي ٢/٦٤-٦٨، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ص٢٨٦-٢٨٧.

الرابع: يحمل حديث أبي سعيد الخدري على النهي عن تدوين كل السُنّة لما في ذلك من مشقة، وأما الأحاديث المجيزة فتحمل على جواز تدوين بعض السُنّة وبشكل فردي.

وخلاصة القول إنّ السُنّة حفظت زمن النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته في الصدور ودُوِّن بعضها في السطور.

علم ميزان الرجال – الجُرح والتعديل:

وبعد عصر الصحابة بذل العلماء جهوداً كبيرة في التثبت من صحة الأحاديث عن طريق دراسة سند الحديث ومتنه دراسة دقيقة. ودراسة السند من العلوم التي اختصتْ بها الأمة الإسلامية وهو علم مهم يتوقف عليه قبول الحديث أو ردّه؛ قال عليّ بن المديني "معرفة الرجال نصف العلم"[١].

وقد بدأ الاهتمام بدراسة سند الحديث في أعقاب الفتنة التي بدأت زمن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. ومع بداية القرن الثاني الهجري التزم المحدثون بالسند– قال ابن سيرين" لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السُنّة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"[٢].

وقد ظهر اهتمام علماء الحديث بسند الحديث من خلال التزامهم بإسناد الأحاديث التي جمعوها في كتبهم وكان هذا في النصف الأول من القرن الثاني الهجري وقد أطلق على هذه الكتب اسم المسانيد التي وصل إلينا بعضها مثل مسند معمر بن راشد ت١٥٢هـ، ومسند الطيالسي ت٢٩٤هـ، وقد كونت هذه المسانيد مادة أساسية اعتمد عليها أصحاب الكتب الستة التي ظهرت خلال القرن الثالث الهجري والتي التزم أصحابها بذكر الأسانيد[٣]. وهذه الكتب الستة.

١.البخاري ت٢٥٦هـ، جمع في صحيحه ألفين وستمائة وحديثين موصولة بلا تكرار انتقاها من ستمائة ألف حديث[٤].

٢.مسلم ت٢٦١هـ، يُعتبر في المرتبة الثانية بعد صحيح البخاري جمع فيه أربعة آلاف حديث سوى المكرر[٥].

٣.أبو داود ت٢٧٥هـ، جمع فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث انتقاها من خمسمائة ألف حديث، خرّج أبو داود في سننه الصحيح والحسن الضعيف والمحتمل وإنْ كان في الحديث وهن شديد نبّه عليه[٦].

٤.الترمذي ت٢٧٩هـ، جمع فيه ثلاثة آلاف وتسعمائة وستة وخمسين حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف والغريب والمعلل وأبان علّته[٧].

---

[١] ابن الصلاح، علوم الحديث، ص١٧.

[٢] رواه مسلم في المقدمة باب بيان أنّ الإسناد من الدين ١٥/١.

[٣] د. أكرم العمري، بحوث في تاريخ السُنّة المشرفة، ص٥٦.

[٤] هدي الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر، ص٧.

[٥] نفس المصدر ٢٤٢-٢٥٢.

[٦] هدي الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر. ص٧.

[٧] بحوث في تاريخ السُنّة المشرفة، د. أكرم العمري، ص٢٤٩.

٥. النسائي ت٣٠٣هـ، وقد ألّف النسائي السنن الكبرى والسنن الصغرى ويسمى الأخير "المجتبى" وهو المطبوع كاملاً من الكتابين، جمع النسائي في السنن الصغرى خمسة آلاف وسبعمائة وواحداً وستين حديثاً منها الصحيح والحسن والضعيف لكن الضعيف فيه قليل بالنسبة لبقية كتب السنن[١]..

٦. ابن ماجه ت٢٧٣هـ، جمع فيه أربعة آلاف وثلاثمائة وإحدى وأربعين حديثاً منها الصحيح والحسن والضعيف وبعض المناكير والموضوعات وإنْ كانت قليلة[٢].

وقد رتبت الكتب الستة والموطأ على الكتب الفقهية بخلاف المسانيد التي رتبت على أسماء الصحابة، وقبل هذه الكتب الستة ظهر كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس ت١٧٩هـ، سُمي بالموطأ لأنه وطَّأ به الحديث؛ أي يسّره للناس أو لمواطأة علماء المدينة له وموافقتهم عليه٣، وقد انتقى الإمام مالك أحاديث الموطأ من مائة ألف حديث كان يرويها؛ وجملة ما في الموطأ من الآثار عن سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وعن الصحابة والتابعين ألف وسبعمائة وعشرون حديثاً، المسند منها ستمائة حديث، والمرسل مائتان واثنان وعشرون حديثاً، والموقوف ستمائة وثلاثة عشر، ومن أقوال التابعين مائتان وخمسة وثمانون[٤]، ويعد المالكية أنّ الأصل الأول في كتب الحديث: الموطأ ويليه صحيح البخاري[٥].

وكتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل ت٢٤١هـ، جمع فيه ما يقرب من أربعين ألف حديث منها عشرة آلاف حديث مكررة انتقاها من سبعمائة وخمسين ألف حديث[٦]

ولا يقبل الحكم على الحديث بالصحة أو الحسن أو الضعف إلا من المختصين بهذا العلم بناء على قواعد وضعوها لتمييز الصحيح من السقيم، والمكتبة الإسلامية زاخرة بالكتب التي تحدثت عن الرجال وحالهم ومن ينظر في هذه الكتب يدرك شدة اهتمام العلماء وتحريهم في معرفة الرُواة.

ولقد نُشرت أول مجموعة للأحاديث النبوية الشريفة في العشرات من السنين التي تلت مباشرة وفاة سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وقد كانت كميّة الأحاديث التي جمعت في القرن الأول بعد وفاته محدودة بالنسبة إلى كثرة الأمور المنقولة عنه، وإنّ أضخم مجموعات الحديث لم تظهر إلاّ بعد مضيّ أكثر من قرنين على وفاته صلى الله عليه وسلم، وهي التي جمعت أوسع المعلومات وأوثقها، ويعد صحيح البخاري بصورة عامة أكثر الكتب صحة بعد القرآن الكريم[٧]، كما مرّ ذكره عند التحدث عن الكتب الستة، في هذا البحث.

ولقد قام هوداس ومارسي فيما بين ١٩٠٣ و١٩١٤م، بترجمته إلى اللغة الفرنسية تحت عنوان: (الأحاديث الإسلامية)، وقد نشرت في العقود الوسطى للقرن العشرين المنصرم طبعة عربية مع ترجمة إنجليزية للدكتور

---

[١] نفس المصدر، ص٢٥٠-٢٥١.

[٢] محمد فؤاد عبد الباقي، تعليق على سنن ابن ماجه، ١٥١٩/٢- ١٥٢٠.

[٣] والموطأ هو الخبر المتبع الثابت المعمول به. انظر العلل للإمام أحمد بن حنبل ١٩٣/١.

[٤] السيوطي، تنوير الحوالك، ص٨.

[٥] المصدر نفسه، ص٧.

[٦] أبي موسى المديني، خصائص المسند، ص٢٢-٢٣. مطبوع في مقدمة المسند بتحقيق أحمد شاكر.

[٧] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مختلف الحديث، ص٨٠، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٦٦م.

محمد حسن خان من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وهذا يُمّكن من لا يعرف اللغة العربية الإطلاع على الأحاديث بلغة أخرى، بيد أنّ الحيطة لازمة إزاء قيمة بعض الترجمات التي أنجزها الغربيون، بما في ذلك الترجمة الفرنسية، إذْ يستطيع القارئ أن يكتشف فيها أحياناً ما هو غير صحيح ومناقض للحقائق مما يعتبر تأويلاً لا ترجمة حقيقية، بل أنّ هناك تحريفات كبيرة للمعنى الحقيقي للحديث لدرجة أنها تجعله يقول ما لا يعني[١].

وفي هذا المقام نذكر بأنّ مجموعات الأحاديث حتى تلك التي تعد بوجه خاص أنّها صحيحة، قد خضعتْ كلها لفحوص نقدية عميقة قام بها علماء الأمة لتحديد درجتي القبول والعمل بها، بيد أنّ الكتاب الأساس أي القرآن الكريم، بقي المرجع الذي لا يمكن أن يكون محلاً للجدل في نصوصه وذلك لأنه قد نُقل عن سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، بصورة متواترة، وسُجل عنه في أيام حياته بأقلام كّتاب كانوا كلهم شهود العيان لما قد سجلوا[٢].

والمقارنة بين المعلومات القرآنية وصحتها وبين حالة مقارنتها بمعطيات العلم الحديث، كلما كانت تلك المعلومات راجعة إلى العلوم الكونية، وبين قابلية النقد الواضحة لبعض معلومات الحديث المتعلقة بموضوعات تدخل في صميم الميدان العلمي، مع العلم بأنّ هذه الأحاديث هي من أهداف ومنهجية هذا البحث الضمنية، وأن هذه المقارنة تؤدي بالبحث لإبداء الملاحظة المتواضعة الآتية: "كيف تسنى لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أن يتناول قبل أربعة عشر قرناً من الزمان حقائق علمية في القرآن الكريم لم يكتشفها إلا التقدم العلمي في عصرنا الحاضر، لو لم يكن قرآنا وحيّاً منزلاً لا شك فيه، ولا ارتياب في نصوصه؟"، وهذا على خلاف الأحاديث التي أشارت إلى بعض المواضع العلمية وكانت قابلة للنقد والشك فيها، وعندما يشير البحث إلى بعض هذه الأحاديث لا يقصد إلاّ الأحاديث التي اعتبرت صحيحة بصورة عامة مثل أحاديث الإمام البخاري في كتابه الصحيح، ولا يفوتنا أن نذكر بأن أهل الحديث قد صنفوا الأحاديث القابلة للنقد في جملة الأحاديث الظنيّة الثبوت[٣]، وميّزوا بين هذه وبين الأحاديث المتواترة المصنفة في جملة الأحاديث القطعية طبقاً لقاعدة "أحاديث التواتر قطعية، وأحاديث الآحاد ظنيّة"، آخذين بعين الاعتبار فيما يتعلق بالأحاديث الظنيّة الثبوت أنها كتبت بأقلام أُناس اعتمدوا فيها على النقل الشفهي للأحاديث النبوية الشريفة، وأنها بالنتيجة قد تقل دقتها نتيجة لأخطاء الرُواة الذين نقلوا هذه الأحاديث بطريقة أخبار الآحاد، والذين لم يتوافر لديهم كمال القدرة على ضبط ما سمعوه، ولا الانتباه لظروف الكلام الذي نقلوه[٤].

وهكذا يتضح من جديد أن حقائق القرآن الكريم العلمية تدّل جميعها على أن نصوصه لا دخل ليد البشر فيها، وأنّها وحيٌّ لا شك فيه، وذلك خلافاً لنصوص الأحاديث الظنيّة من أخبار الآحاد التي لا يمكن أن

---

[١] المطيعي، محمد بخيت، سلم الوصول لشرح نهاية السول، ص٧٣، بيروت، عالم الكتب، د،ت.

[٢] عبد المطلب، رفعت فوزي، توثيق السُنة في القرن الثاني الهجري، أُسسه واتجاهاته، ص٥٠، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٠هـ.

[٣] ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث، ص٢٩، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ١٩٦٦م.

[٤] الزيلعي، أبو محمد عبد الله بن يوسف، نصب الراية لأحاديث الهداية، ص٨، جوهانسبرغ، المجلس العلمي، ط٢، د،ت.

ترتفع في الثبوت إلى درجة الوحيّ المنزل المتواتر المكتوب[1]، وذلك لما قد يدخل عليها من أخطاء الرُواة كما سبق وأن قلنا، وفضلاً عن ذلك كله فقد يكون الحديث صحيحاً لاشك فيه، ولكنّه ما دام في أمر من أمور الدنيا مما لا علاقة له بالدين، فلا فرق عندئذٍ في ذلك بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين غيره من البشر لما ورد في صحيح مسلم عن سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام: "إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر"[2]، وكذلك نقل السرخسي في أصوله قول سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام: "إذا أتيتكم بشيء من أمور دينكم فاعملوا به، وإذا أتيتكم بشيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم بأمر دنياكم"[3]، ويكون قول سيدنا النبي عليه الصلاة قد دعم ملاحظتنا بشكل عام، وأقرّ الفوارق فيما بين مواضع القرآن الكريم العلمية التي لاشك فيها وقد أيدّها العلم المعاصر، وفيما بين بعض مواضع الحديث التي لا وحيّ فيها عندما يكون الحديث متعلقاً بشأن من شؤون الدنيا مما قد لا يتفق أحياناً مع حقائق العلم المعاصر، ولا يضرّ هذا بمكانة سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام النبوية أو البشرية، ولكنه مفيد على كل حال لأنه قد يعطينا في هذه المواضيع صورة عن مفاهيم ذلك العصر وآرائهم فيما يتعلق ببعض المواضيع ذات الصفة العلمية.

ومن أبرز هذه الأحاديث الظنيّة الدنيوية غير الدينية عدد من الأحاديث المتعلقة بالطب، مع العلم بأن القرآن الكريم لا يعطينا أيّة إرشادات فنيّة عن مهنة التطبيب بصورة خاصة، غير ما قد أشار إليه مرّة واحدة فقط في قوله تعالى: {ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون}[4]، التي تقول بإمكانية وجود عامل علاجي في العسل، ولكن بدون أي إيضاح علاجي في ذلك، أما الأحاديث فإنها تحتفظ بمكان واسع لمثل هذا المواضيع[5]، فنرى أن هناك جزءاً بتمامه من صحيح الإمام البخاري (الباب ٧٦) قد أفرد للطب، ويحتل هذا الباب في ترجمة "هوداس" و "مارسي" الصفحات من ٦٢ إلى ٩١، من الجزء الرابع، أما في الترجمة الإنجليزية للدكتور محمد حسن خان فيحتل الصفحات من ٣٩٥ إلى ٤٥٢ من الجزء السابع، ويضاف إلى ذلك أحاديث أخرى ذات طابع علاجي أيضاً، وقد تم ضمها في أجزاء أخرى من صحيح الإمام البخاري، وليس هناك أدنى شك في أنّ هذه الصفحات تحتوي على الكثير من الأحاديث المتعلقة بأمور دنيوية غير دينية، وقد قال سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام في مثل هذا المقام كما تقدم: "فأنتم أعلم بأمور دنياكم"، غير أنّ المجموع العام من هذه الأحاديث المتعلقة بموضوعات طبيّة هو من وجهة نظرنا المتواضعة مهم جداً لأنه يعطينا فكرة العصر في مثل هذه المواضيع الطبيّة المختلفة.

---

[1] البغاء، مصطفى ديب، أثر الأدلة المختلف فيها في الفقه الإسلامي، ص٧١، دمشق، دار الإمام البخاري، د.ت.

[2] صحيح مسلم. كتاب الأقضية بيان إذا اجتهد الإمام فله أجران وإن أخطأ فله أجر٣/١٣٤٢.

[3] السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل، أصول السرخسي، ص٦٥، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٣هـ.

[4] سورة النحل رقم الآية٦٩.

[5] محمد حسين الحمصي، النحلة تسبح الله، ص٣٩، دمشق، مطبعة الرسالة، ١٩٨٢م.

وهكذا نرى في هذه الأحاديث أفكاراً عن الأذى، والعين، والسحر، وإمكانية التخلص من آثار السحر، مع العلم بأن هناك منعاً عن التكسب باستخدام القرآن الكريم لهذا الغرض، كما أن هناك حديثاً يشير إلى أن بعض التمر يقي من نتائج السحر، وأنه يمكن أيضاً استخدامه ضد اللدغات السامة[١].

مع هذا العرض فعلينا ألا ندهش ونحن نتكلم عن عصر كانت الإمكانيات الفنيّة والصيدلية فيه محدودة، إذا وجدنا هناك توصيات باللجوء إلى إجراءات بسيطة، أو إلى علاجات طبيعية مثل الفصد (الحجامة)[٢]، والكيّ، والحلاقة ضد القمل، واستخدام لبن الناقة، وبعض الحبوب مثل الحبّة السوداء[٣]، وبعض النباتات مثل القسط الهندي، ورماد الحصير لفوائده في قطع النزيف، إذْ أنّه لابد في الظروف الصعبة من استخدام كل الوسائل الممكنة والتي قد تكون مفيدة حقّاً[٤].

ومما تقدم يمكننا القول بوجود بعض الأحاديث غير المقبولة علمياً في مواضع الطب والمعالجة، وإنّ الشك يخيم على صحتها إما لكون نقلة الأحاديث من الأعاجم الذين كانوا يروون الحديث بالمعنى لعجمتهم أو لخلل في السند أصلاً، فضلاً عن أنها من أمور الدنيا وليست من أمور الدين، وإنّ الفائدة من الإشارة إليها هو فقط لمقارنتها مع نصوص القرآن الكريم العلمية التي أثبتت دراستها أنها لا تحتوي قط على شيء من ذلك غير صحيح، ولذلك كان لهذه المقارنة أهمية كبرى، لأنها تشهد للقرآن الكريم بأنه وحيّ لا شك فيه، وأنّه لا يد فيه للبشر. كذلك فهناك بعض الأحاديث الأخرى من أخبار الآحاد ومما لا علاقة لها بأمور الدين، غير أنها تتخذ تفسيراً لبعض الآيات القرآنية الكونية في مدار الشمس وفي مراحل تكوين الجنين مما لا يمكن أن نرى لها تفسيراً في عصرنا كتفسير لآيات لا اعتراض على مفهومها ضمن نصّها القرآني الكريم.

وعلينا أن نتذكر أن تعاليم سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام قد انقسمت عند موته على مجموعتين: فمن ناحية كان هناك عدد كبير من المسلمين الذين كانوا يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب وكانوا يتلونه دائماً، ويُضاف إلى ذلك أنه كانت هناك تسجيلات كاملة لنصّ القرآن الكريم، وقد تمتْ هذه التسجيلات في حياة سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وبأمر منه، ومنذ ما قبل الهجرة[٥]، ومن جهة أخرى فإن صحابة سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ممن كانوا قريبين جداً وممن كانوا شهود العيان لأفعاله وأقواله، قد حفظوها في ذاكرتهم واعتمدوا عليها بالإضافة إلى القرآن الكريم للتعريف بالعقيدة والشريعة الجديدتين[٦].

---

[١] الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص١٠١، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، د.ت.

[٢] To bleed. Phlebotomize. to let blood قاموس البعلبكي ص٢٣٠. بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٧م.

[٣] Nigelle. Black seedالمرجع السابق ص١٢٧.

[٤] يوسف العش، تقييد العلم، ص٩١، القاهرة، دار إحياء السُّنة النبوية، ط٢، ١٩٧٤م.

[٥] الربيعة، عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عليّ، أدلة التشريع المختلف في الاحتجاج بها، ص٨٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٢هـ.

[٦] ابن حميد، صالح، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، ص٤٩، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط١٤٠٣،١هـ.

غير أنّ هذه التعاليم القرآنية والنبوية لم تلبث أن دونت فيما بعد وفاة سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام، وذلك في مجموعتين منفصلتين، وكانت أولى المجموعتين هي مجموعة النصوص القرآنية التي دُونت بصورة رسمية في عهد الخليفتين سيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما. وخاصة في خلافة سيدنا عثمان بن عفان الذي قام بتعميم النص القطعي على الأمصار الإسلامية، وكان ذلك كله فيما بين العام الثاني عشر والعام الرابع عشر من بعد وفاة سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام[١]، وبمعرفة جميع شهود العيان لما قد سمعوا وحفظوا أو سجلّوا.

وأما فيما يتعلق بالحديث النبوي الشريف فإنّ أول مجموعة فيه إنما ظهرتْ بعد حوالي أربعين عاماً من الهجرة. ومن الضرورة بمكان التنويه بعدم التشابه فيما بين هاتين المجموعتين القرآنية والنبوية، سواء من وجهة النظر الأدبية، أو من وجهة النظر أحياناً للمحتوى والمضمون فيما يتعلق ببعض الأمور ذات الطابع العلمي. وهكذا فإنه يستحيل إقامة أية مقارنة بين أسلوب القرآن الكريم وبين أسلوب الحديث[٢]، وكذلك فإننا إذا قارنا بين محتويات نصوص القرآن الكريم وبين محتويات نصوص الحديث فيما له صلة بالعلوم لا بالعقيدة والتشريع، وقابلناهما مع معطيات العلم المعاصر، فسوف تذهلنا حقّا الفروق التي نذكرها:

أولاً: من ناحية معتقدات علمية قرآنية لم تكن أحياناً مقبولة في ظاهرها، ولكنها عندما دُرست اليوم على ضوء المعارف الحديثة الثابتة ظهر أنها تنطوي على معطيات علمية استطاع العلم في العصر الحاضر فقط أن يثبت حقيقتها.

ثانياً: من ناحية أخرى فيما يتعلق ببعض نصوص الحديث نقول (بعض) النصوص ذات الصلة بقضايا علمية لا صلة لها بقضايا الدين، ولكنها وهي كلها من أمور الدنيا، يبدو لأهل العلم أنها تعبّر عن مفاهيم ذلك العصر في تلك القضايا، وقد أقحمت هذه الآراء الدنيوية في مجموعة من النصوص المتعلقة بالعقيدة والشريعة الإسلاميتين مما هو متفق على الاعتراف بصحتها وعلى عدم المجادلة فيها.

وأخيراً فإنّ هذا الذي نتحدث عنه من الفروق في الأمور العلمية الدنيوية فيما بين القرآن الكريم والحديث الشريف، يدعمه سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام حين قال: "إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر"[٣]، وفي رواية: "وإذا أتيتكم بشيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم بأمر دنياكم[٤].

[١] فضائل عثمان بن عفان، البداية والنهاية لابن كثير،١٤٥٩/٢، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ

[٢] الفروق بين أساليب القرآن الكريم وأساليب الحديث النبوي،مجلة البيان، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا العدد٦،سنة٢٠٠٨.

[٣] تم تخريج الحديث.

[٤] تم تخريج الحديث.

الخاتمة

أ.الخلاصة:

وهكذا نختم المقالة في الفروق بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في الأمور العلمية الدنيوية بالتأكيد على أنّ هذه الفروق تثبت بصورة مذهلة "إنّ القرآن الكريم هو الوحيّ المكتوب الذي لاشك فيه، ولذلك كان محفوظاً من كل خطأ علمي من هذا النوع، وأما الحديث في تلك الأمور الدنيوية التي لا نصّ قرآني فيها، حتى وإنْ صحت نسبة الكلام فيها إليه، فإنه كلام بشر عملاً بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه كما هو في أعلاه، ولذلك كان التمييز ضروريّ، وفيه قوة للقرآن الكريم، وتأكيد على أنّه وحيّ لاشك فيه، كما أنّه قوة لسيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام نفسه وذلك بالتدليل على صدقه فيما نقله عن الله تعالى بطريق الوحيّ مما يتميز تمام التمييز عن كلام البشر، مصداقاً لقول سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام "فإذا أتيتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر"[1].

ب.أهم النتائج العلمية:

وذلك في توصلات البحث أنه بالمقارنة من ناحية الدعاوي الخاصة بالعلم، تلك التي يجدها البعض في مجموعات الأحاديث التي نُسبت إلى سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، والتي يشك في صحتها غالباً، وإنْ عكستْ مع ذلك معتقدات العصر وبين المعطيات القرآنية ذات الطابع نفسه من ناحية أخرى، توضح بجلاء اختلافاً يسمح باستبعاد فكرة شيوع الأصل بين القرآن والأحاديث أي بمعنى مصدرها واحد، فالحقيقة أن الأول صادر عن الله تعالى والثاني مصدره بشري، ولا يستطيع الإنسان تصور أن كثيراً من المقولات ذات السمة العلمية كانت من تأليف بشر بسبب حالة المعارف في عصر سيدنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لذا فمن الموضوعي تماماً أنْ ينظر إلى القرآن الكريم على أنه تعبير الوحيّ من الله تعالى وأنْ تُعطى له مكانة خاصة جداً حيث إنّ صحته أمر لا يمكن الشك فيه حيث إن احتواءه على المُعطيات العلمية المدروسة في عصرنا تبدو كأنها تتحدى أي تفسير وضعي. والفشل الذريع سيواجه أي محاولة تسعى إيجاد تفسير للقرآن الكريم بالاعتماد فقط على الاعتبارات المادية.

أما حجيّة السُنّة ففي أمور الدين بمجموعها حجّة ومصدر من مصادر الأحكام واستدلوا على ذلك بثلاثة أدلة: الكتاب، وإجماع الصحابة، والمعقول.

المصادر والمراجع

١. **ابن كثير**، البداية والنهاية، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والتوزيع والنشر، ١٤٢٦هـ.

٢. **البخاري**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسننه وأيامه، استانبول، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م.

٣. **مسلم**، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الدعوة، د،ت.

---

[1] تم تخريج الحديث.

٤. **الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، ط٢، ١٣٨٨هـ.
٥. **الأصبحي**، مالك بن أنس، الموطأ، شرح وتعليق: أحمد راتب عرموش، بيروت، دار النفائس، ط١، ١٣٩٠هـ.
٦. **السجستاني**، أبو داود سليمان الأزدي، سنن أبي داود، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، ط١، ١٣٧١هـ.
٧. **الشاطبي**، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات، تعليق عبد الله دراز، بيروت، دار المعرفة، د،ت.
٨. **الأعظمي**، محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٣٩٦هـ.
٩. **الأنصاري**، عبد العلي محمد بن نظام الدين، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٧٠م.
١٠. **صالح**، محمد أديب، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، دمشق، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ.
١١. **أكرم**، ضياء العمري، بحوث في تاريخ السُنّة المشرفة، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.
١٢. **ابن حزم**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، الإحكام في أصول الأحكام، بيروت، دار الجيل، ط٢، ١٩٨٧م.
١٣. **ابن قتيبة**، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مختلف الحديث، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٦٦م.
١٤. **عبد المطلب**، رفعت فوزي، توثيق السُنّة في القرن الثاني الهجري، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٠هـ.
١٥. **المطيعي**، محمد بخيت، سلم الوصول لشرح نهاية السول، بيروت، عالم الكتب، د،ت.
١٦. **ابن الصلاح**، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ١٩٦٦م.
١٧. **البغاء**، مصطفى ديب، أثر الأدلة المختلف فيها في الفقه الإسلامي، دمشق، دار البخاري، د،ت.
١٨. **الزيلعي**، أبو محمد عبد الله بن يوسف، نصب الراية لأحاديث الهداية، جوهانسبرغ، المجلس العلمي، ط٢، د،ت.
١٩. **السرخسي**، أبو بكر محمد بن أحمد، أصول السرخسي، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر،١٣٩٣هـ.
٢٠. **محمد** حسين الحمصي، النحلة تسبح الله، دمشق ، مطبعة الرسالة، ١٩٨٢م.
٢١. **الزرقاني**، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، د،ت.
٢٢. **يوسف العش**، تقييد العلم، القاهرة، دار إحياء السُنّة النبوية، ط٢، ١٩٧٤م.
٢٣. منير البعلبكي، موسوعة البعلبكي، قاموس إنجليزي، عربي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٦م.

تخطيط السنة النبوية لسلامة صحة الإنسان وبيئته

د. عمار بن عبدالله ناصح علوان

مركز بحوث القرآن بجامعة ملايا

ماليزيا

amar500000@hotmail.com

المقدمة

لايجادل اثنان على أن حفظ النفس هي من أوليات التشريع الإسلامي ولا غرابة أن يعد علماء الشريعة حفظ النفس من الضروريات الخمس التي تواترت نصوص الشريعة الأمر بحفظها، لكن هل حفظ النفس جاء فقط من جانب العدم دون مراعاة لجانب الوجود بمعنى أن الشرع الحنيف لم يقتصر حفظ النفس من جانب العدم بل جاء الأمر بحفظها من جانب الوجود أيضا –كماسيتبين- ذلك أكثر من خلال هذا البحث، فالمستقرأ للسنة النبوية يجد فيها منظومة متكاملة من الأحاديث النبوية الصحيحية تأخذ بعضها ركاب البعض تأتي بأوامر شريفة قصد منها المحافظة على صحة الإنسان وبيئته التي يعيش فيها.

وسيكون بحثي مشتملاً على المحاور الآتية:

- تخطيط السنة النبوية بالصحة الوقائية في السنة النبوية.
- تخطيط السنة النبوية لحفظ صحة الإنسان وقت النوم.
- تخطيط السنة النبوية في الربط بين الطهارة المعنوية والطهارة الحسية.
- تخطيط السنة النبوية بنهي المسلم الصلاة في أماكن القاذورات.
- تخطيط السنة النبوية لحفظ الإنسان في مأكله ومشربه وسفره.
- تخطيط السنة النبوية لحماية صحة الإنسان بمخالطة الحيوان لطعام الإنسان وشرابه.
- تخطيط السنة النبوية في حفظ الأمة من الأمراض الجنسية في المستقبل.
- تخطيط السنة النبوية في حفظ البيئة، تخطيط السنة النبوية في التوازن البيئي.
- تخطيط السنة النبوية بالنهي عن العبثية في صيد الحيوانات.
- حصول المسلم على الأجر إذا أكل الحيوان من زرعه.
- التخطيط النبوي بحفظ البيئة بتقسيم عادل في مواردها.

الدراسات السابقة:

هناك كتب كثيرة ألفها أطباء متخصصون بالطب البشري تتعلق بالجانب الصحي، فأكثرها كانت كتباً سردية تكتب عن الحكم الصحية من مشروعية العبادات أو كتب تبين الإعجاز الطبي في السنة النبوية مثل كتاب وفي الصلاة صحة ووقاية، لمؤلفه الدكتور: فارس سعيد علوان.

وهناك رسالة دكتوراه بعنوان مقاصد الشريعة في حفظ الصحة البدنية في الفقه الإسلامي في بابي العبادة والأسرة دراسة فقهية مقارنة للباحثة فاطمة جليس الحربي الرسالة نوقشت في جامعة أم القرى ١٤٢٨هـ، تحت إشراف د.عطية صقر.

فنظرة فاحصة لما سبق عرضه في فهرس رسالة الطالبة التفصيلي وفي نتائج البحث التي خرجت بها الطالبة من بحثها نجد إنها يغلب على الرسالة جمع المادة العلمية سواء من كتب الفقهاء أو من كتب الأطباء فالرسالة لم تخرج بنتائج بحث فريدة .

فمشكلة البحث التي غفل عنها كثير ممن كتب في الصحة النبوية من المعاصرين معرفة العلة الأصولية من الأوامر والنواهي النبوية لا لمجرد بيان الحكمة فالبون شاسع بينهما فالحكمة هي للإستئناس وقد تكون صحيحة وقد لا تكون لأن ليس لها مستند من منطوق النص أما العلة فمنها يؤخذ مناط الحكم ويقاس عليها أحكام أخرى تشترك في نفس العلة –كماسيتبين في هذا البحث–.

وقد خرج هذا البحث–بفضل الله– بمنهجية جديدة في الجمع بين الأحاديث التي يتوهم التعارض فيما بينها سميتها منهجية الجمع بالوحدة الموضوعية من مقاصد الخطابات النبوية في الموضوع الواحد، وهذا البحث قد أتى بثمار استقرائية من خلال منهج استقراء الروايات في صحة الإنسان فتوصل فيه الباحث أن الأصل في الأوامر النبوية التي لها تعلق بصحة الإنسان وبيئته عدم تعليها إلا لثلاثة اعتبارات–كماسيتبين–.

ومن مزايا هذا البحث أنه حسن التبويب في انتقائه مجموعة من الأحاديث النبوية ذات وحدة موضوعية واحدة تحت مضمون عنوان واحد مثاله تخطيط السنة النبوية لحماية صحة الإنسان بمخالطة الحيوان لطعام الإنسان وشرابه، زد على ذلك إن البحث –بفضل الله ثم بفضل حسن اختيار محاور المؤتمر من اللجنة العلمية– قد أثمر البحث بنتائج وتوصيات أظنها فريدة في نوعها.

الاعتبار بالصحة الوقائية في السنة النبوية:

من مزايا التشريع الإسلامي أنه اعتبر حال المكلف من مرض وصحة فأباح له الفطر في شهر رمضان إن كان مريضاً أو كان على السفر، ولم يبنِ حكمه على المتيقن من حاله بل بناه على المتوقع وهي الحمية وهو ما يعرف اليوم بالطب الوقائي، فأباح الله تعالى للمريض التيمم بدل الماء لأن الماء ربما يزيد من مرضه وليس كل مرض يضره استعمال الماء ولكن الترخص بالتيم من باب الوقاية أو من باب الحمية يقول العلامة ابن القيم: "..أما الحمية فقال تعالى في آية الوضوء.." {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا} (سورة النساء: ٤٣)، فأباح للمريض العدول عن الماء حمية له أن يصيب جسده ما يؤذيه، وهذا تنبيه على الحمية من كل مؤذي له من داخل أو خارج، فقد أرشد سبحانه عباده إلى أصول الطب ومجامع قواعده"[١].

ولما كانت السنة النبوية شارحة ومبينة للقرآن نجد أن هناك عدداً من الأوامر النبوية قد جاءت من باب وقاية صحة الإنسان في أوامر كثيرة وفي أحوال مختلفة منها الآتي:

تخطيط السنة النبوية لحفظ الإنسان وقت النوم:

لو تتبع المستقرأ لحالات القتل بالخطأ التي تحصل نتيجة لإهمال الإنسان لأسباب الوقائية لوجدها أن أكثر ما تحصل هذه الأخطاء القاتلة وقت النوم، فكم سمعنا من عوائل قد قضى نحبها نتيجة لعدم التزامها بقواعد وقاية النفس التي جاءت السنة النبوية بأمر الوقاية منها حديث سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا

[١]- . زاد المعاد في هدي خير العباد .ابن القيم الجوزية ٤:٦

تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون"[١]، فهذا الحديث أصل في الوقاية من الحرائق في المنزل بل حتى في المصانع والأماكن العامة.

ومنه تعليم النبي الوقاية للأمة بالمنهج الحسي (المرئي) عن أخطار الفئران على سلامة الإنسان وقت النوم، فقد جاء في السنة الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة فجاءت بها فألقتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخمرة التي كان قاعداً عليها فأحرقت منها مثل موضع الدرهم فقال إذا نمتم فأطفئوا سرجكم فإن الشيطان يدل مثل هذه على هذا فتحرقكم[٢].

فانظر كيف علم سيد الإنسانية أمته بضرر الفواسق "القوارض" بخاصة فصيلة الفئران التي تدخل في الأماكن الضيقة وتسبب الحرائق في البيوت من حيث لا يدري الإنسان، لكن كيف يستوعب العقل البشري هذه الأضرار وهي غائبة عنه فلا بد من الاستعانة بالمشاهدة الحسية، وهي ضرورة ملحة للتوعية بالأمن الوقائي، لتثبيت المعلومة في تعليم الناس الوقاية ما تسببه الفئران من حرائق في البيوت حيث لم يكن في عصر النبوة تصوير ولا إعلام مرئي فجاءت القدرة الربانية بأن يمثل الفأر للحاضرين ما يقوم به في أعتام الظلام وما يترتب على عمله من حرائق في البيوت فيقضي على النفوس والدور.

ولا يستعجل عليَّ ناقد –قائلاً– وما يفيد الإسهاب في شرح هذا الحديث عصرنا الحاضر الذي استغنى فيه عن السرج وعن القناديل بالكهرباء التي ضمنت السلامة والرفاهية للإنسان! فأقول: لو اطلع الناظر إلى سجلات الدفاع المدني عن أسباب اندلا ع الحرائق في عصرنا الحاضر التي تشتعل فجأة بدون فعل فاعل لرأى كثيراً من تقارير الدفاع المدني ترجع من أسباب الحرائق إلى التماس الكهرباء بسبب قرض الفئران للأسلاك الكهرباء، فقد جاء في احصائيات المركز الوطني إن من أسباب نشوب الحرائق في البيوت والمصانع هو قرض الفئران للأسلاك الكهربائية[٣].

ولا أذهب إلى أنه يؤخذ من الحديث النبوي وجوب فصل التيار الكهربائي عن البيت أو المصنع أو المكتب في الليل أو عند النوم فقهنا المعلل أكبر من يكون فقهاً ظاهرياً ضيق الأفق لا ينظر إلى العلل والأسباب في استنباط الأحكام، فأذهب إلى ما أذهب إليه من قبل الإمام النووي حين شرح الحديث السابق فقال أنه لا يستلزم إطفاء جميع السرج التي تضاء في الليل لكن يلزم أن تكون تلك السرج المضاءة بعيدة عن تناول وصول الفئران إليها –كما مثل فقهاؤنا رحمهم الله– بأن توضع السرج على معادن لمساء لا تستطيع الفئران تسلقها، وأقول أنه يجب اليوم على صناع الأسلاك الموصلة لتيار الكهرباء أن تصنع بسماكة بحيث لا تسطيع الجرذان قرضها أوقضمها إذا أردنا العمل بمفهوم العمل بالحديث النبوي السابق.

الربط بين الطهارة المعنوية والطهارة الحسية:

قد لا يظهر التخطيط النبوي في الربط بين الطهارة المعنوية والطهارة الحسية جلياً في عصرنا الحاضر الذي توافرت فيه الخدمات من ماء وكهرباء وصرف صحي في كل بلدة وقرية لكن هذا التخطيط النبوي يظهر جلياً في

---

[١]- صحيح مسلم باب الأمر بتغطية الإناء ١٠:٢٨٩

[٢]- سنن أبي داود باب في إطفاء النار بالليل.١٣:٤٨٨

[٣]- ينظر الموقع http://www.elc.edu.sa

القرون الفائتة بخاصة عندما نقارن بين حاضرة الأندلس وأوربا في العصور الوسطى، وهذا التخطيط نلحظه أكثر في الشعوب البدائية البعيدة عن مناطق التمدن، نقل الدكتور أحمد شوقي الفنجري عن الفيلسوف البريطاني "برناردشو" قوله: إن الاستعمار البريطاني عندما احتل جزر السندونش رسم خطة للتنصير فنجحت –للأسف– خطة التنصير فكانت نتجية بعد تنصير تلك الجزر بعد أن تفشت بينهم الأمراض الفتاكة والأوبئة بسبب عدم تقليم أظفارهم وتنظيف ما تحتها وحلق العانة"[1].

فالسبب يعود في انتشار الأوبئة والأمراض إلى تلك الجزر المرتدة لأن الإسلام قد ربط في أذهانهم بين الطهارة المعنوية والطهارة الحسية من خلال تشريعات الإسلام الخالدة من عدم قبول المسلم صلاته إذا كان يحمل في بدنه الرجس أو الخبث، فالمسلم مأمور بالنظافتين: النظافية المعنوية والنظافة الحسية قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ*قُمْ فَأَنْذِرْ*وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ*وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ*وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ*" (سورة المدثر: ١–٥)، فعندما ارتدت تلك الجزر عن الإسلام وتركت تلك التعاليم المتعلقة بصحة الإنسان ارتدت إليها الأمراض والأوبئة التي طهرها الإسلام منها.

ومن التشريعات الإسلام في الربط بين الطهارة الحسية والمعنوية، **وجوب الاستنجاء والاستبراء:**

كانت موارد المياه في الجزيرة العربية نادرة وشحيحة مع ذلك جاءت الأحاديث النبوية بالنظافة العامة من باب الوجوب وليس استحبابا حرصاً من الإسلام بأن يكون جسد المسلم خالياً من الأمراض والقاذورات، فالإسلام يريد من فرض الاستنجاء من الغائط والاستبراء من البول تعليم المسلمين الترفع عن الدنس وهذا الأمر يعود فيه محض المنفعة للمكلف إذ النفوس السليمة تنزع دوما إلى الاستنجاء ولكن النفوس تتفاوت بالمقدار السليم من التنزه من البول والاستنجاء من الغائط، جاء في السنة النبوية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال: أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله، قال: فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً، ثم قال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا"[2].

نهي المسلم الصلاة في أماكن القاذورات:

من ربط السنة بين الطهارة الحسية والطهارة المعنوية أن حرّم على المسلم الصلاة في أماكن القاذورات أو في الأماكن التي يتوقع فيها القاذورات "عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يصلى في سبعة مواطن: في المزبلة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق وفي الحمام وفي معاطن الإبل وفوق ظهر بيت الله"[3].

القانون الصحي النبوي لمقدار الأكل والشرب:

الأصل في مبدا الأكل والشرب الذي ركبه الله في الإنسان أن يأكل المرء ما يقوم به صلبه لكن هذا المعيار الصارم على الإنسان ربما يتبعه قلة من المؤمنين من هنا وضع سيد الأنام معياراً آخر إذا أبى الإنسان المعيار الأول الذي يضمن له الصحة الجيدة على الدوام فإن كان الإنسان لا بد متجاوزاً لطعامه وشرابه حد الحاجة فعليه ألا

[1]– من مقالة فضل الإسلام على الطب الغربي للدكتور أحمد .http://www.islamicnews

[2]– صحيح مسلم باب الدليل على نجاسة البول٢:١٤٧

[3]– سنن الترمذي باب ما جاء في كراهية

يتجاوز حد أن يكون طعامه وشرابه شراً على صحته فيكون وعاء بطنه سبباً لإجتماع الأمراض عليه بدلاً من أن يكون الطعام قوة يستعين به على طاعة الله في مصاعب الحياة.

"..فالإسراف في الغذاء مضر بالصحة لما يؤدي إليه بصورة مباشرة من اضطراب الهضم والتخمة ولما يؤدي إليه بصورة غير مباشرة من أمراض فرط التغذية التي يقال لها اليوم "أمراض الرخاء" أو" أمراض التخمة" ومن أهمها "السكري" أو مرض السكر وارتفاع ضغط الدم وأمراض شرايين القلب المحدثة للذبحة والجلطة، وأمراض شرايين الدماغ المؤدية إلى السكتة والفالج، وما إلى ذلك وبذلك تكون المعدة بيت الداء حقا بصورة مباشرة أو غير مباشرة وتكون مسؤولة عن طائفة من أخطر الأمراض وهذا الإسراف في كم الغذاء مخالف لتعاليم الإسلام، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: {كلوا واشربوا ولا تسرفوا}، قال صلى الله عليه وسلم: (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه).

تخطيط السنة النبوية لحماية صحة الإنسان بمخالطة الحيوان لطعام الإنسان وشرابه:

هناك أنواع من الأمراض والأوبئة تحدث بسبب اختلاط الحيوان بالإنسان بخاصة عندما يخالط الحيوان أو الحشرات طعام الإنسان وشرابه، فمن حرص نبي الإسلام على صحة أمته من أضرار الحيوانات المحيطة بها بين لهم ماذا يصنعون إذا خالطت الحيوانات أواني الإنسان وطعامه بل حتى لو أن وقع الذباب على الإناء –كما في الحديث– "إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه.[1]"، فهذا الحديث صريح في المنهج النبوي في تبيان التعليل الصحي؛ لأن الموضع هنا يستلزم التوضيح لأن النفس قد تعاف عمل ذلك.فجاء االخطاب النبوي بتعليل الأمر بذلك إن يغمس الجناح الآخر..."، وجاء النص النبوي في بيان الحكم إذا ما وقع الفأر –وهو أشد الحيوانات أذى– في السمن فجاء النص النبوي بأن ينزع وما حوله في مكان الذي وقع فيه الفأر فيطرح، جاء في صحيح البخاري: "أن فأرة وقعت في سمن فماتت فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ألقوها وما حولها"[2].

أما إذا خالطت الهرة أواني الشرب والطعام فسؤر الهرة طاهر فعن كبشة بنت كعب بن مالك أن أبا قتادة دخل عليها ثم ذكر كلمة معناها فسكبت له وضوءاً فجاءت هرة فشربت منه فأصغى لها الإناء حتى شربت قالت كبشة فرآني أنظر إليه فقال أتعجبين يا ابنة أخي قلت نعم، قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنها ليست بنجس إنما هي من الطوافين عليكم والطوافات"[3].

وهكذا بينت السنة الحكم اذا ولغ الكلب في الإناء فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرار"[4].

تخطيط السنة النبوية لحفظ صحة الإنسان في الأوبئة الطارئة:

القانون النبوي الوقائي وقت انتشار الأوبئة:

.[1]– ينظر الحديث وتخريجه صفحة ١٣ من البحث

[2]– صحيح البخاري باب إذا وقعت الفأرة١٧: ٢٢٠

[3]– سنن النسائي باب سؤر الهرة ٢: ٥٤

[4]– صحيح مسلم باب حكم ولوغ الكلب٢: ١١٩

من مقاصد التشريع الإسلامي حفظ النفس من العدم، فليس من المستغرب إذا أن تأتي الأوامر النبوية لكل ما يحفظ النفس ويصونها من الهلاك ومن هذا الحرص النبوي على النفس سن المصطفى صلى الله عليه وسلم قانوناً يعمل به المسلمون وقت انتشار الأوبئة بالأمة فأمر صلى الله عليه وسلم ألا يدخل المسلمون أرضاً حل بها طاعونا فعن أسامة بن زيد سمع سعداً يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها"[١].

جاء في لسان العرب: "الطاعون داء معروف والجمع الطواعين وطعن الرجل والبعير فهو مطعون وطعين أصابه الطاعون...والطاعون المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان أراد أن الغالب على فناء الأمة بالفتن التي تسفك فيها الدماء وبالوباء"[٢].

وعلة الشارع في النهي عن الدخول والخروج من البلدة المصابة وتغليظ العقاب للفار من الطاعون قد تنوعت اجتهادات العلماء في معرفة علة النهي الفرار من أرض وقع فيها الطاعون، فقال الطحاوي استدل من أجاز الخروج بالنهي الوارد عن الدخول إلى الأرض التي يقع بها، قالوا: وإنما نهى عن ذلك خشية أن يعدي من دخل عليه، قال: وهو مردود لأنه لو كان النهي لهذا لجاز لأهل الموضع الذي وقع فيه الخروج، وقد ثبت النهي أيضاً عن ذلك فعرف أن المعنى الذي لأجله منعوا من القدوم عليه غير معنى العدوى، والذي يظهر -والله أعلم- أن حكمة النهي عن القدوم عليه لئلا يصيب من قدم عليه بتقدير الله فيقول: لولا أني قدمت هذه الأرض لما أصابني، ولعله لو أقام في الموضع الذي كان فيه لأصابه، فأمر أن لا يقدم عليه حسماً للمادة، ونهى من وقع وهو بها أن يخرج من الأرض التي نزل بها لئلا يسلم فيقول مثلا: لو أقمت في تلك الأرض لأصابني ما أصاب أهلها، ولعله لو كان أقام بها ما أصابه من ذلك شيء.

ويؤيده ما أخرجه الهيثم بن كليب والطحاوي والبيهقي بسند حسن عن أبي موسى أنه قال: "إن هذا الطاعون قد وقع، فمن أراد أن يتنزه عنه فليفعل، واحذروا اثنتين: أن يقول قائل خرج خارج فسلم، وجلس جالس فأصيب فلو كنت خرجت لسلمت كما سلم فلان، أو لو كنت جلست أصبت كما أصيب فلان "لكن أبا موسى حمل النهي على من قصد الفرار محضا[٣].

فهذه الأقوال التي أوردها ابن حجر أجد أقربها إلى المقصد النبوي وللروح مقاصد التشريع الإسلامي هو حفظ الأمة من انتشار الأوبئة من مكان إلى آخر؛ لأن المتأمل في السبع الموبقات يجد هذه الموبقات تخرق مقاصد التشريع الخمسة التي جاء الإسلام بحفظها فالشرك بالله تعالى يخرق أصل حفظ العقيدة وهكذا قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق يخرق أصل حفظ النفس وهكذا باقي الكبائر.

فالتولي أو الفرار من الزحف يترتب عليه خرقاً لحفظ النفس من وجه الأعداء ففرار الشخص من صفوف القتال يعطي الخور لسائر المقاتلين ويعطي للعدو مؤشر ضعف على معونات المسلمين فينقضون عليهم وهكذا الفار

[١]- صحيح البخاري باب ما يذكر في الطاعون ٢:١٨

[٢]- لسان العرب مادة طعن ٢٦٥:١٣

[٣]- ينظر فتح الباري ٢٥٢:١٦

من الطاعون الذي وقع في بلده بابتقاله إلى بلدة أخرى سوف ينقل المرض إلى مناطق أخرى –ربما– بفراره من الطاعون يفتك بمئات أو الآلاف من نفوس المؤمنين، وهذا الفرار ليس له مقصداً سوى المحافظة على نفسه حتى لو ترتب على ذلك هلاك الكثير من النفوس كأنانية الفار من يوم الزحف الذي فضل النجاة بنفسه حتى لو ترتب على نجاته هلاك الجيش بأكمله، فأرجح هذا التعليل لأن الوعيد هنا شديد للفار ولا يعقل هذا الوعيد إلا لما يترتب عليه من مفاسد، أما ما علل به الطحاوي أن علة النهي ألا يقول المؤمن، فهذا التعليل لا يناسب العقوبة التي قرنها النبي صلى الله عليه وسلم وقس على ذلك ما أورده من سائر التعليلات فإنها لا تقاس بحجم المفاسد المترتبة على الفار من الطاعون، أضف على ذلك إن تعليلهم غير منوط بأمر حسي مثل الفار من الزحف، والأغرب من ذلك نقض الطحاوي قول من قال إن العلة من النهي هو خشية انتقال العدوى فقال: "قالوا: وإنما نهى عن ذلك خشية أن يعدي من دخل عليه، قال: وهو مردود لأنه لو كان النهي لهذا لجاز لأهل الموضع الذي وقع فيه الخروج"[1]، لو علم أن خروجهم من البلدة سوف ينشر العدوى لمئات آلاف بل للملايين ويفتك بهم –كما حصل– في طاعون فلورنسا الذي انتشر سنة ١٣٤٨م، فكان الناس في المناطق الموبوءة يؤمرون بالفرار مما أدى إلى ازدياد رقعة الوباء حتى وصل إلى روسيا سنة ١٣٥٢م، فلم ينطفئ لهيبه إلا بعد أن أكل ربع سكان أوربا[2].

زد على ذلك أن تعليل الطحاوي يخالف ما فهمه الصحابة عندما امتنع عمر ومن معه من دخول الشام حين سمعوا بانتشار طاعون عوامس فيها، فالصحابة لم يدخلوا الشام خشية من انتقال العدوى عليهم فتهلك الخيرة من الصحابة.

تخطيط السنة النبوية في حفظ الأمة من الأمراض الجنسية في المستقبل:

تحذير النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الأمراض الوبئية بسبب انتشار الفاحشة فعن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم[3].

وجاء باللفظ نفسه في المستدرك عن أبي عوانة: «يا معشر المهاجرين، خمس إن ابتليتم بهن ونزل فيكم أعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعملوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور (١) السلطان عليهم، ولم

[1]. نفس المرجع السابق

[2]–من مقالة فضل الإسلام على الطب الغربي للدكتور : أحمد شوقي تنظر المقالة http://www.islamicnews.n

[3]– سنن ابن ماجة باب العقوبات ٨:٦١٨

يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم من غيرهم وأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا ألقى الله بأسهم بينهم»[١].

فهذا الحديث النبوي الشريف أصل في وقاية الأمة من الأمراض الجنسية التي تظهر في كل عصر بمرض جديد نتيجة لانتشار الفاحشة بجميع أنواعها، وقد صان الله تعالى هذه الأمة أزمنة طويلة حين كانت الأمة مستجيبة لأمر ربها ومقيمة لحدود دينها، فالمرض الزهري الذي يعرف عند المسلمين بمرض الافرنجة استفحل وانتشرفي أوربا في عهد الملك كارل الثامن الذي اشتهر بنزواته وشهواته وقد شاع في عهده الفسق والزنا والإباحية فكان بمثابة الزناد الذي قدح في مرض الزهري، حيث أول ما قضى على قبطانه وربانه فمات الملك صغيراً عن عمر ٢٨ عاماً لمدة أربعة قرون: ١٤٩٦– ١٩٢٨م، وقضى بالمرض أعداد كبيرة حتى تم اكتشاف البنسلين[٢]، ولا ننسى انتشار مرض نقص المناعة في عصرنا الحاضر الذي ظهر نتيجة انتشار الفواحش والرذيلة بجميع أنواعها.

تخطيط السنة النبوية في حفظ البيئة، تخطيط السنة النبوية في التوازن البيئي:

من أهمية حفظ نوعية سلالة الحيوان وعدم انقراضه أن الله تعالى أمر نبيه نوحاً عليه السلام بحمل كل زوجين على سفينته قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} (سورة هود: ٤٠)، فحمل نوح عليه السلام زوجين من كل روح وشجر[٣].

وفي آية آخرى أخبر الله تعالى أن جميع المخلوقات من دواب وطيور هي أمم أمثال الإنسان قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} (سورة الأنعام: ٣٨)، فتوجيه الآية القرآنية للمؤمنين في هذه الآية إن عليهم إحترام هذه الحيوانات فهي أمم مثل الإنسان تسبح الله تعالى فلا ينبغي لك أيها الإنسان أن تتعدى حدودك فتبيدها من الدنيا.

يؤكد ذلك المعنى ما ورد في السنة النبوية الصحيحة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن نملة قرصت نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح[٤].

النهي عن العبثية في صيد الحيوانات:

نهى نبي الإسلام عن العبثية في صيد الحيوانات بأن تتخذ هدفاً لتعليم الرماية، فقد جاء في صحيح مسلم عن سعيد بن جبير قال مر ابن عمر بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة

---

[١]- المستدرك على الصحين١٠: ٣٨٤

[٢]- ينظر موقع http://www.adpolice.gov.ae/a

[٣]-ينظر تفسير الطبري١٥: ٣١٤

[٤]- صحيح مسلم باب النهي عن قتل النمل ١١: ٢٩٧

من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضا[1].

حصول المسلم على الأجر إذا أكل الحيوان من زرعه:

الإنسان المسلم لا يتحسر أسفاً على ذهاب جزء من محاصيله إذا أكل منه طير أو سبع أو كل ذات رطب؛ لأن له أجراً في ذلك جاء عن أبي زبير أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يغرس رجل مسلم غرساً ولا زرعاً فيأكل منه سبع أو طائر أو شيء إلا كان له فيه أجر"[2].

التخطيط النبوي بحفظ البيئة بتقسيم عادل في مواردها:

قد يقول قائل ما وجه إدراج هذا الحديث في حفظ البيئة، أجيب: إن الناظر في أسباب الحروب التي تقع في العالم قديماً وحديثاً بدءاً بين القبائل ثم إلى الدول وما تخلفه تلك الحروب من ويلات ودمار على البيئة إلا كان سببه تقاتل الناس على الموارد الطبعية بخاصة الماء، من هنا وضع سيد الإنسانية صلى الله عليه وسلم الحلول العالمية لمشكلات توزيع الموارد الطبعية التي تقام بسببها الحروب الطاعنة التي تدمر الأخضر واليابس بحديث "الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار"[3].

من أهم نتائج البحث وتوصياته:

- إن ظهور الأمراض الجنسية في الأمة المحمدية كان أقل ظهوراً عن باقي الأمم.
- إن منهج استشراف السنة في حفظ صحة الإنسان قد بدأ بتغير الفكر الإنساني من نسبة الأمراض إلى الخرافات والهوام إلى ربط الأسباب بالمسببات.
- إن الأمة المحمدية بفضل الإستشراف النبوي في حفظ النفس كانت أقل الأمم في القرون السالفة هلاكاً من الأوبئة المنتشرة بفضل الاستشراف النبوي لصحة الإنسان الوقائية .
- من استشراف السنة في حفظ الصحة ربط العقل المسلم بين الطهارة الحسية والطهارة المعنوية وأكبر شاهد تجريبي لذلك الربط: الواقع الصحي للجزر المرتدة في السندونش.
- إن السنة النبوية استشرفت صحة الإنسان الوقائية في المنام والمطعم والمشرب فوضعت مقدرين: المقدار المثالي والمقدار الوقائي.
- من المنهج النبوي في تعليم الصحة الوقائية للأمة استخدام المحسوسات في تريسيخ أخطار القوارض على النائم.
- في حديث غيلة المرضع إشارة واضحة عن اعتبار المنهج التجريبي في الطب عند سيد الإنسانية محمد عليه السلام.

[1] - صحيح مسلم باب النهي عن صبر البهائم .

[2] - ينظر صحيح مسلم باب :فضل الغرس والزرع ٨:١٨٧

[3] - مصنف بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ١:١٤٤

-إن السنة النبوية قد أتت بكليات في الأوبئة والمطعم والمشرب والمنام والزحام تستشرف بها صحة الإنسان ووقايته عبر العصور.

- الأصل في الأوامر والنواهي النبوية المتعلقة بصحة الإنسان عدم تعليها إلا لثلاثة اعتبارات: الأول: أن يكون الأمر النبوي مقصده صحي صرف، والثاني: أن يرد التعليل الصحي لغرابة الأمر النبوي على النفس البشرية، والثالث: قد يرد التعليل في النص النبوي لأنه مخالف للأصل النبوي.

- السنة النبوية قد استشرفت حفظ البيئة بتوزيع عادل في مواردها الطبعية.

- السنة النبوية قد حفظت التوازن البيئي فنهت عن إبادة الحيوان وحفظت له حق الوجود.

التوصيات:

-توصية الجهات الإعلامية في الصحة والدفاع المدني باتباع المنهج النبوي في بيان أخطار القوارض "الفئران" على صحة الإنسان، لما للأحاديث النبوية من باعث إيماني.

المراجع والمصادر

١. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسام نور الدين الهيثمي، تحقيق: د.حسين أحمد صالح، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية –المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٢. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٣. صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م.
٤. صحيح مسلم، أبو حسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٦. الطب النبوي لابن القيم، المكتب العالمي للبحوث، إشراف: عبد المنعم العاني، مكتبة الحياة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
٨. سنن أبي داود، سليمان بن الأسعث الأزدي السجستاني، دار الفكر.
٩. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٠. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦م.
١١. عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم الآبادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر.
١٣. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

المقالات والمواقع الألكترونية:

١٤. فضل الإسلام على الطب الغربي للدكتور: أحمد شوقي: http://www.islamicnews.n
١٥. الطب الوقائي في الإسلام دلائل إعجازية، د.مصباح سيد: islamicandlife.blogspot.com

التداوي المحظور بين العلم والدين

"دراسة حديثية في ضوء العلم الحديث"

عبدالرحمن بن خصيف القرني

أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا

ماليزيا

abojomana1@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، وبعد:

تعريف التداوي لغة واصطلاحاً:

التَّدَاوِي لُغَةً: مَصْدَرُ تَدَاوَى، وَأَصْلُهُ دَوِيَ يَدْوِي دَوًى أَيْ مَرِضَ، وَأَدْوَى فُلَانًا يُدْوِيهِ بِمَعْنَى: أَمْرَضَهُ، وَبِمَعْنَى: عَالَجَهُ أَيْضًا، فَهِيَ مِنْ الْأَضْدَادِ، وَالدَّوَاءُ وَالدَّوَاءُ وَالدِّوَاءُ: مَا دَاوَيْته بِهِ.

إصطلاحاً: تَعَاطَى الدَّوَاءَ، وَيُدَاوِي: أَيْ يُعَالِجُ، وَيُدَاوِي بِالشَّيْءِ أَيْ: يُعَالِجُ بِهِ، وَتَدَاوَى بِالشَّيْءِ: تَعَالَجَ بِهِ، وَلا يَخْرُجُ اسْتِعْمَالُ الْفُقَهَاءِ لَهُ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى، كَمَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ عِبَارَاتُهُمْ[1].

في الصحيحين [2]: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء)، وفي مسند الإمام أحمد: من حديث أسامة بن شريكٍ قال: (كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت الأعراب فقالوا يا رسول الله؛ أنتداوى؟ فقال نعم يا عباد الله تداووا فان الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داءٍ واحد فقالوا: ماهو؟ قال الهرم)، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله عز وجل".

أخرجه مسلم[3] وأحمد [4] وأبو يعلى [5]، وفى المسند والسنن عن أبى خزامة قال: قلت يارسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواءٌ نتداوى به وتقاةٌ نتقيها هل ترد من القدر شيئا ؟ فقال: هي من قدر الله).

٢- عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء"

أخرجه ابن ماجه[6]، وأحمد[7] وأبو يعلى[8] والحميدي وزاد في آخره "**وربما قال سفيان: شفاء علمه من علمه وجهله من جهله**" [9]، والبيهقي[10] والشاشي[11] والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه ووافقه الذهبي[12].

---

[1] انظر مختار الصحاح (٢١٨/١) الصحاح (٢١٩/١) المعجم الوسيط، من إصدارات مجمع اللغة (٣٠٦/١)

[2] البخاري في الطب باب ما انزل الله داء إلا أنزل له شفاء (١١/٧_١٢).

[3] مسلم في السلام باب لكل داء دواء واستحباب التداوي (١٧٢٩/٤)

[4] مسند أحمد (٣٣٥/٣)

[5] مسند أبي يعلى (٣٣/٤)

[6] ابن ماجه في الطب باب "ما انزل الله من داء إلا وانزل له شفاء (٨٩/٤)

[7] مسند أحمد (٤١٣/١)

[8] مسند أبي يعلى (١١٤/٩).

[9] مسند الحميدي ٥٠/٠١)

[10] السنن الكبرى في الضحايا باب ما جاء في إباحة التداوي (٣٤٣/٩)

[11] مسند الشاشي (٣٦١/١)

[12] المستدرك في الطب (١٩٦/٤_١٩٧)

جميعهم من طريق عطاء بن السائب عن أبي عبدالرحمن السلمي عن ابن مسعود، إلا أنه قَدِ اختُلِف عَنهُ، فَرَواهُ الثَّورِيُّ، وابن عُيَينَةَ وَهَمّامٌ، وخالِد بن عَبدِ الله الواسِطِيُّ، عَن عَطاءِ بنِ السّائِبِ، عَن أَبِي عَبدِ الرَّحمَنِ، مَرفُوعًا، ورواه غيرهم عن عطاء موقوفاً، قال الدارقطني: ورفعه صحيح[1].

الحكم على الإسناد:

فيه عطاء بن السائب بن مالك ويقال: يزيد الثقفي، أبو محمد الكوفي أحد علماء التابعين: وثقه في القديم قبل الاختلاط أيوب وأحمد وابن سعد والساجي، ويعقوب بن أبي سفيان، وقال الدارقطني: لا يحتج به في الصحيح ولا يحتج إلا بما رواه الأكابر، وقال أبو حاتم: كان محله الصدق قبل الاختلاط[2]، وقال الذهبي: ثقة ساء حفظه بأخره[3].

وقال ابن حجر: من مشاهير الثقات إلا انه اختلط فضعفوه بسبب ذلك، ثم قال: وتحصل لي من كلام مجموعة من الأئمة أن رواية شعبه وسفيان وزهير بن معاوية وزائدة وأيوب وحماد بن زيد عنه قبل الاختلاط، وأن جميع من روى عنه غير هؤلاء فحديثه ضعيف لأنه بعد الاختلاط إلا حماد بن سلمه فاختلف فيه قولهم[4]، وقال في التقريب: صدوق اختلط من الخامسة مات سنه ١٣٦هـ[5] أخرج له البخاري مقروناً، فالإسناد حسن لأن فيه عطاء بن السائب صدوق اختلط وبقيه رجاله ثقات.

ولا يضر اختلاط عطاء بن السائب وقد رواه سفيان بن عيينة وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط، قال الحميري عن ابن عيينة كنت سمعت من عطاء بن السائب قديما ثم قدم علينا قدمة فسمعته يحدث ببعض ما كنت سمعت فخلط فيه فاتقيته و اعتزلته[6]، وقال في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات[7].

كما أخرجه الطيالسي[8] والحاكم[9] كلاهما عن المسعودي عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب، شهاب، عن ابن مسعود وزاد في آخره "فعليكم بألبان البقر فإنها ترم [10]من كل الشجر".

---

[1] علل الدارقطني (٣٣٤/٥)

[2] التهذيب (٢٠٣/٧)

[3] الميزان (٧٠/٣)

[4] مقدمة الفتح (ص ٥٢٤)

[5] انظر طبقات ابن سعد (٣٣٨/٦)، الجرح والتعديل (٣٣٢/٦_٣٣٣_٣٣٤)

[6] التهذيب (٢٠٥/٧_٢٠٦)

[7] مصباح الزجاجة (٥٠/٤)

[8] مسند الطيالسي (٢٨٦/١)

[9] المستدرك ،كتاب الطب (٢١٨/٤).

[10] ترم : تأكل " مجمع بحار الأنور" (٣٨٢/٢)

الحكم على الإسناد:

الحديث بهذا الإسناد ضعيف لأن فيه المسعودي وقد اختلط في آخره، ولكن يشهد للحديث ويقويه ما سبقه من الأحاديث، وغيرها من الأحاديث التي فيها الحث على طلب الدواء، ونخرج من الأحاديث السابقة إلى مشروعية التداوي وطلب العلاج بما أباحه الله عز وجل.

١ –قال ابن القيم عن قوله عليه الصلاة والسلام ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء: "فيه تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه، فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله، تعلق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنده حرارة اليأس، وانفتح له باب الرجاء، ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية، وكان ذلك سببا لقوة الأرواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية، ومتى قويت هذه الأرواح قويت القوى التي هي حاملة لها، فقهرت المرض ودفعته، وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء أمكنه طلبه والتفتيش عليه، وأمراض الأبدان على وزان أمراض القلوب، وما جعل الله للقلب مرضاً إلا جعل له شفاء بضده، فإن علمه صاحب الداء واستعمله وصادف داء قلبه أبرأه بإذن الله تعالى"[١].

٢ –قال ابن حجر: "في حديث جابر منها الإشارة إلى أن الشفاء متوقف على الإصابة بإذن الله وذلك أن الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية أو الكمية فلا ينجع، بل ربما أحدث داء آخر وفي حديث بن مسعود الإشارة إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد وفيها كلها إثبات الأسباب وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله وبتقديره وأنها لا تنجع بذواتها بل بما قدره الله تعالى فيها وأن الدواء قد ينقلب داء إذا قدر الله ذلك وإليه الإشارة بقوله في حديث جابر بإذن الله فمدار ذلك كله على تقدير الله وإرادته والتداوي لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب العافية ودفع المضار وغير ذلك...قال: ويدخل في عمومها أيضا الداء القاتل الذي اعترف حذاق الأطباء بأن لا دواء له وأقروا بالعجز عن مداواته ولعل الإشارة في حديث بن مسعود بقوله وجهله من جهله إلى ذلك فتكون باقية على عمومها ويحتمل أن يكون في الخبر حذف تقديره لم ينزل داء يقبل الدواء إلا أنزل له شفاء والأول أولى ومما يدخل في قوله جهله من جهله ما يقع لبعض المرضى أنه يتداوى من داء بدواء فيبرا ثم يعتريه ذلك الداء بعينه فيتداوى بذلك الدواء بعينه فلا ينجع"[٢].

إلا أنه ورد في السنة بعض ما يُنهى عنه من الدواء وذلك لما يترتب عليه من الضرر على الجسم بصورة أو أخرى وحول ذلك ورد النهي عن التداوي بخمسة أشياء:

١ –التداوي بالحرام، ٢– التداوي بالخبيث، ٣– التداوي بالسم، ٤– التداوي بالخمر، ٥–التداوي بالضفدع، ونبدأ بذكرها بشيٍ من التفصيل:

---

[١] الطب النبو ي(١٧)

[٢] الفتح (١٣٥/١٠).

أولاً :النهي عن التداوي بالحرام:

١- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عيه وسلم: "إن الله انزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواءً، فتداووا ولا تتداووا بحرام"، أخرجه أبو داوود[١] والدولابي[٢] والطبراني[٣] من طرق عن إسماعيل بن عياش، عن ثعلبة بن مسلم، عن أبي عمران الأنصاري، عن أم الدرداء به.

الحكم على الحديث:

فيه إسماعيل بن عياش بن سليم العنسى[٤] أبو عتبة الحمصي، قال الفسوي: تكلم قوم في اسماعيل وهو ثقة عدل اعلم الناس بحديث الشاميين أكثر ما تكلموا فيه قالوا: يغرب عن ثقات الحجازيين[٥]، وقال ابن معين : ليس به بأس في أهل الشام[٦]، وقال دحيم: هو في الشاميين غاية وخلط عن المدنيين، وقال البخاري: إذا حدّث عن أهل بلده فصحيح، وإذا حدث عن غيرهم ففيه نظر، وقال ابن المديني: ما كان أحد اعلم بحديث أهل الشام من إسماعيل بن عيّاش لو ثبت على حديث أهل الشام، ولكنه خلط في حديثه عن أهل العراق، وكذا قال عنه ابن أبي شيبة، وضعفه أبو حاتم والنسائي وابن حبان[٧]، وقال ابن حجر: صدوق في روايته عن أهل بلده، مخلطٌ في غيرهم، من الثامنة، مات سنة ٢٨٢هـ[٨].

فالظاهر أن حديثه عن أهل بلده الشاميين مقبول وهذا الحديث منه، وليس عن غيرهم.

-وثعلبة بن مسلم الخثعمي الشامي: ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي منكر[٩]، وقال ابن حجر: مستور مستور من الخامسة[١٠]، فالإسناد ضعيف لأن فيه ثعلبة بن مسلم وهو مستور، وسيأتي للحديث مزيد شواهد، والحديث ذكره الهيثمي[١١] من رواية الطبراني وقال: "ورجاله ثقات".

٢- حديث أم سلمة أنها انتبذت، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبيذ يهدر، فقال: "ما هذا ؟" قلت: فلانة اشتكت فوصف لها، قالت: فدفعه برجله فكسره وقال: إن الله لم يجعل في حرام شفاء"،

---

[١] السنن (٧/٤)

[٢] الكنى والأسماء (٢ / ٣٨)

[٣] المعجم الكبير (٢٥٤/٢٤)

[٤] العنسى :بفتح العين وسكون النون في آخرها سين مهمله : نسبة إلى عنس بن مالك (اللباب ٣٦٢/٢).

[٥] المعرفة والتاريخ (٤٢٤/٢).

[٦] التاريخ لابن معين (٣٦/٢).

[٧] التهذيب (٣٢١/٢).

[٨] التقريب (٧٣/١).

[٩] ميزان الاعتدال (٣٧١/١)

[١٠] التهذيب (٢٥/٢) التقريب(١١٩/١).

[١١] مجمع الزوائد (٥ / ٨٦).

أخرجه أحمد[1]و ابن أبي الدنيا[2] والطبراني[3] وأبو يعلى[4] من طرق عن أبي إسحاق الشيباني عن حسان بن بن مخارق عن أم سلمة به.

الحكم على الحديث: صحيح الإسناد فرجاله رجال الصحيح غير حسان بن مخارق وقد وثقه ابن حبان وروى عنه ثقتان.

ثانياً: النهي عن التداوي بالخبيث

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نهى عن الدواء الخبيث"، أخرجه أبو داود[5] والترمذي[6] وصححه، وابن ماجه[7] وأحمد[8] والبزار[9] والبيهقي[10] والحاكم[11] وقال صحيح على شرط شرط الشيخين ولم يخرجاه، جميعهم من طرق عن يونس بن أبي إسحاق عن مجاهد عن أبي هريرة به.

الحكم على الحديث:

فيه يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبدالله الهمداني أبو إسرائيل الكوفي، وثقه ابن معين[12]، (وقال مرّة كانت فيه غفلة شديدة)، وابن سعد[13] والذهبي[14] وقال ابن عدي له أحاديث حسان، وذكره ابن حبان في الثقات[15].

وقال الساجي[16] وابن أبي حاتم صدوق وزاد الأخير: "إلا أنه لا يحتج بحديثه"[17]، وقال الحاكم ربما وهم[1]، وهم[1]، وقال ابن حجر: صدوق يهم قليلا من الخامسة مات سنة ١٥٢هـ[2]، فيظهر أنه ثقة إلا أنه لا يحتج بحديثه إذا خالف لما قيل فيه من الوهم والغفلة، فالحديث صحيح، وقد صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

---

[1] الأشربة (١٥٨/١).
[2] ذم المسكر (٥٦/١).
[3] المعجم الكبير (١٥٢/١٧).
[4] مسند أبي يعلى (٤ / ١٦٥٨).
[5] السنن (٦/٤)
[6] السنن(٣٨٧/٤)
[7] السنن(٥١٣/٤)
[8] المسند(٣٠٥/٢)
[9] المسند(٢١٣/١٦)
[10] السنن الكبرى (٥/١٠).
[11] المستدرك (٤٥٥/٤)
[12] تاريخ ابن معين (٦٨٧/٢)
[13] طبقات ابن سعد(٣٦٣/٦)
[14] معرفة الرواة المتكلم فيهم (ص١٩٢)
[15] الثقات لابن حبان (٦٥٠/٧)
[16] التهذيب (٤٣٤/١١)
[17] الجرح والتعديل (٢٤٤/٩)

ثالثاً: النهي عن التداوي بالخمر

٤- عن وَائِلٍ بن حجر الْحَضْرَمِيِّ أَنَّ طَارِقَ بْنَ سُوَيْدٍ الْجُعْفِيَّ سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْخَمْرِ فَنَهَا أَوْ كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا فَقَالَ إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ فَقَالَ: « إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ»، أخرجه مسلم[3] وأحمد[4] وأبوداود[5] والترمذي[6] وصححه وابن ماجه[7].

الحكم على الحديث:

الحديث صحيح فقد أخرجه مسلم في صحيحه.

٥- عن أبي الأحوص أن رجلاً أتى عبد الله فقال: "إن أخي مريض اشتكى بطنه، وأنه نعت له الخمر أفأسقيه؟ قال عبد الله: سبحان الله! ما جعل الله شفاء في رجس، إنما الشفاء في شيئين: العسل شفاء للناس، والقرآن شفاء لما في الصدور"، أخرجه الطبراني[8].

الحكم على الحديث:

رجاله ثقات، وقد صحح الألباني إسناده، وأخرج أحمد [9]والطبراني [10] عن ابن مسعود موقوفا عليه: "إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم"، وعلقه البخاري[11] بصيغة الجزم، وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح[12].

رابعاً: النهي عن التداوي بالضفدع

٦- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ أَنَّ طَبِيبًا سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنْ ضِفْدَعٍ يَجْعَلُهَا فِي دَوَاءٍ فَنَهَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ قَتْلِهَا، أخرجه أبوداود[13] والنسائي[14] وأحمد[15] والبغوي [16] والدارمي[17]

---

[1] التهذيب (٤٣٤/١١)

[2] التقريب (٣٨٤/٢)

[3] صحيح مسلم (٨٩/٦).

[4] المسند(٣١٧/٤).

[5] السنن (٧/٤)

[6] السنن (٣٨٧/٤).

[7] السنن (٥٣٨/٤)

[8] المعجم الكبير (١٠٢/٨).

[9] الأشربة ١٣١/١).

[10] المعجم الكبير (١٠٢/٨).

[11] صحيح البخاري (١٤٣/٧).

[12] فتح الباري (٧٩/١٠).

[13] السنن (٥٤٠/٤).

[14] السنن (٢١٠/٧).

[15] المسند(٤٥٣/٣).

[16] معجم الصحابة(١٨٧/٤).

[17] سن الدارمي (٨٨/٢).

والبيهقي[1] وعبد بن حميد[2] وابن أبي شيبة[3] والحاكم[4] وصححه البيهقي، جميعهم عن سعيد بن خالد بن بن قارظ عن سعيد بن المسيب عن عبدالرحمن بن عثمان به.

الحكم على الحديث:

فيه سعيد بن خالد وهو القارظي، قال الذهبي: ضعفه النسائي ووثقه غيره[5]، وقد ذكره ابن حبان في الثقات[6]، غير غير أني لم أجده في الضعفاء للنسائي، وقد نقل ابن حجر عن النسائي توثيقه له فقال: "وقال النسائي في الجرح والتعديل ثقة فينظر في أين قال إنه ضعيف"[7]، وقد قال الدارقطني: يُحتج به[8]، فالظاهر أنه ثقة، وقد تابعه كذلك سعيد بن جبير عن ابن المسيب كما عند أحمد[9]، فالحديث صحيح الإسناد، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع[10].

خامساً: التداوي بالسم

٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهْوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسَمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، أخرجه البخاري[11] ومسلم[12] وأبوداود[13] والنسائي[14] والترمذي[15] وابن ماجه[16] والطبراني[17]، جميعهم (عدا النسائي) بطرق عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به، وأما النسائي فمن رواية شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي هريرة.

---

[1] السنن الكبرى(٢٥٨/٩) ، السنن الصغرى (٥٨/٤)

[2] مسند عبد بن حميد (١٢٩/١)

[3] المصنف (٤٥٠/٧)

[4] المستدرك(٥٠٤/٣)

[5] ميزان الاعتدال(١٣٢/٢)الكاشف (٤٣٤/١).

[6] الثقات(٣٥٧/٦).

[7] تهذيب الكمال (١٩/٤).

[8] سؤالات البرقاني ص ٥.

[9] المسند (٤٥٤/٣).

[10] صحيح الجامع (٦٨/٦).

[11] صحيح البخاري(٣٢/٧).

[12] صحيح مسلم (١٠٣/١).

[13] السنن (٧/٤).

[14] السنن (٦٦/٤).

[15] السنن(٣٨٦/٤).

[16] السنن(١١٤٥/٢)

[17] المعجم الكبير (١٧٧/١٩).

الحكم على الحديث:

الحديث صحيح فقد اتفق عليه الشيخان، ورواية النسائي صحيحة كذلك فرواتها كلهم ثقات.

فقه الأحاديث:

ونخلص من هذه الأحاديث بفوائد عدة نوجزها فيما يأتي:

١- قال المباركفوري[١] قوله: (نهى عن الدواء الخبيث)، قيل هو النجس أو الحرام، أو ما يتنفر عنه الطبع، (يعني (يعني السم) هذا تفسير الخبيث من أبي هريرة أو ممن دونه، قال الحافظ في الفتح: وحمل الحديث على ما ورد في بعض طرقه أولى، وقد ورد في آخر الحديث متصلا به يعني السم انتهى[٢]، وقال الخطابي: خبث الدواء يكون من وجهين أحدهما: خبث النجاسة وهو أن يدخله المحرم كالخمر ونحوها من لحوم الحيوان غير المأكول اللحم، وقد يصف الأطباء بعض الأبوال وعذرة بعض الحيوان لبعض العلل وهي كلها خبيثة نجسة وتناولها محرم إلا ما خصت السنة من أبوال الإبل وقد رخص فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر عرينة وعكل، وسبيل السنن أن يقر كل شيء منها في موضعه وأن لا يضرب بعضها ببعض، وقد يكون خبث الدواء أيضاً من جهة الطعم والمذاق ولا ينكر أن يكون كره ذلك لما فيه من المشقة على الطباع ولتكره النفس إياه، والغالب أن طعوم الأدوية كريهة ولكن بعضها أيسر احتمالا وأقل كراهة انتهى[٣]، قال الماوردي وغيره: السموم على أربعة أضرب، منها ما يقتل كثيره وقليله فأكله حرام للتداوي ولغيره كقوله تعالى: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} ومنها ما يقتل كثيره دون قليله فأكل كثيره الذي يقتل حرام للتداوي وغيره، والقليل منه إن كان مما ينفع في التداوي جاز أكله تداوياً، ومنها ما يقتل في الأغلب وقد يجوز أن لا يقتل فحكمه كما قبله، ومنها ما لا يقتل في الأغلب وقد يجوز أن يقتل، فذكر الشافعي في موضع إباحة أكله وفي موضع تحريم أكله فجعله بعض أصحابه على حالين: فحيث أباح أكله فهو إذا كان للتداوي وحيث حرم أكله فهو إذا كان غير منتفع به في التداوي.

٢- قال النووي: "هذا دليل لتحريم اتخاذ الخمر وتخليلها وفيه التصريح بأنها ليست بدواء فيحرم التداوي بها لأنها ليست بدواء فكأنه يتناولها بلا سبب وهذا هو الصحيح عند أصحابنا أنه يحرم التداوي بها وكذا يحرم شربها للعطش وأما إذا غص بلقمة ولم يجد ما يسيغها به إلا خمراً فيلزمه الإساغة بها لأن حصول الشفاء بها حينئذ مقطوع به بخلاف التداوي والله أعلم"[٤].

٣- قال المباركفوري: قد أباح التداوي بها عند الضرورة بعضهم، واحتج في ذلك بإباحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعرينة التداوي بأبوال الإبل وهي محرمة، إلا أنها لما كانت مما يستشفى بها في بعض العلل

---

[١] تحفة الأحوذي(٣١٢/٥).

[٢] فتح الباري (٢٤٨/١٠).

[٣] معالم السنن للخطابي(٢٢١/٤).

[٤] شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٣/١٣).

رخص لهم في تناولها[1]، قال الخطابي: قد فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الأمرين اللذين جمعهما هذا القائل، فنص على أحدهما بالحظر وعلى الآخر بالإباحة وهو بول الإبل، والجمع بين ما فرقه النص غير جائز، وأيضاً فإن الناس كانوا يشربون الخمر قبل تحريمها ويشفون بها ويتبعون لذتها، فلما حرمت عليهم صعب عليهم تركها والنزوع عنها، فغلظ الأمر فيها بإيجاب العقوبة على متناوليها ليرتدعوا وليكفوا عن شربها وحسم الباب في تحريمها على الوجوه كلها شرباً وتداوياً، لئلا يستبيحوها بعلة التساقم والتمارض، وهذا المعنى مأمون في أبوال الإبل لانحسام الدواعي ولما على الطباع من المؤنة في تناولها، ولما في النفوس من استقذارها والنكرة لها، فقياس أحدهما على الآخر لا يصح ولا يستقيم[2].

٤- ذكر الحافظ بن القيم كلاماً نفيساً حيث قال: المعالجة بالمحرَّمات قبيحةٌ عقلاً وشرعاً، أمَّا الشرعُ فما ذكرْنا من هذه الأحاديثِ وغيرِها، وأمَّا العقلُ، فهو أنَّ اللهَ سبحانه إنما حرَّمه لخُبثه، فإنه لم يُحَرِّم على هذه الأُمة طَيباً عقوبةً لها، كما حرَّمه على بنى إسرائيلَ بقوله: {فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} (سورة النساء: ١٦٠)، وإنما حرَّم على هذه الأُمة ما حَرَّم لخبثه، وتحريمُه له حِمية لهم، وصيانة عن تناوله، فلا يُناسِبُ أن يُطلَبَ به الشِّفاءُ من الأسقام والعِلل، فإنه وإن أثَّر في إزالتها، لكنه يُعْقِبُ سَقَماً أعظمَ منه في القلب بقوة الخُبث الذي فيه، فيكون المدَاوَى به قد سعى في إزالة سُقْم البدن بسُقْم القلب.

وأيضاً فإنَّ تحريمه يقتضى تجنُّبه والبُعدَ عنه بكُلِّ طريق، وفى اتخاذه دواء حضٌ على الترغيب فيه وملابسته، وهذا ضِدُّ مقصود الشارع، وأيضاً فإنه داء كما نصَّ عليه صاحبُ الشريعة، فلا يجوز أن يُتخذ دواءً.

وأيضاً فإنه يُكْسِبُ الطبيعة والروح صفةَ الخبث، لأن الطبيعة تنفعِلُ عن كيفية الدواء انفعالاً بَيِّناً، فإذا كانت كيفيتُه خبيثةً، اكتسبت الطبيعةُ منه خُبثاً، فكيف إذا كان خبيثاً في ذاته، ولهذا حرَّم الله سبحانه على عباده الأغذيةَ والأشربةَ والملابِسَ الخبيثة، لما تُكسب النفسَ من هيئة الخبث وصفته)[3].

٥- ما أثبته العلم الحديث من ضرر استعمال الخمور متعةً أو علاجاً:

المنظمات الصحية العالمية والأبحاث العلمية تحذر من مخاطر شرب الخمور[4]:

١-يقول تقرير منظمة الصحة العالمية رقم ٦٥٠ لعام ١٩٨٠م عن الكحول ومشكلاتها: (إن شرب الخمور يؤثر على الصحة، ويؤدي إلى مشكلات تفوق المشكلات الناتجة عن الأفيون ومشتقاته (الهرويين والمورفين)، والحشيش، والكوكايين والأمفيتامين، والباربيتورات، وجميع ما يسمى مخدرات مجتمعة. إن الأضرار الصحية والاجتماعية لتعاطي الكحول تفوق الحصر).

٢- ويقول تقرير الكلية الملكية للأطباء النفسيين بالمملكة المتحدة (١٩٨٦م) عن مشكلة تعاطي الخمور: (إن الكحول مادة تسبب تحطيم الصحة بما لا يقاس معها الخطر على الصحة الذي تسببه المخدرات

---

[1] تحفة الأحوذي (٣١٣/٥).

[2] معالم السنن للخطابي(٢٢١/٤).

[3] زاد المعاد (١٥٦/٤)، ومن أراد الاستزادة فليرجع إليه ففيه كلام نفيس.

[4] انظر مقال التدخين والخمر..للدكتور محمد علي البار

http://www.khayma.com/maalbar/AlcoholDrugs.htm

مجتمعة. وإن معظمَ المخاطر على الصحة العامة من العدد الكبير الذي يتناول كميات معتدلة من الكحول)، وهو يرد بذلك على ما زعمه أبو بكر الرازي وابن سينا ومن لَفّ لِفَّهُم من الأطباء ومن صدقهم من العلماء والمفسرين من أن شرب الخمور باعتدال معين على الصحة، والواقع أنها وبال على الصحة.

٣-ويؤكد هذا المعنى تقرير الكلية الملكية للأطباء بالمملكة المتحدة والصادر عام ١٩٨٧م وعنوانه: (العواقب والمخاطر الصحية لتعاطي الكحول وباء خطير وشر مستطير):

(The Midical Consequences of Alcohol Abuse ; A great and growing Evil)

حيث يقول: إن المخاطر الصحية المتعلقة بتعاطي الكحول ليست ناتجة بالدرجة الأولى من العدد القليل الذي يتناول كميات كبيرة من الكحول، ولكن الخطر الأعظم على الصحة العامة هو من العدد القليل الذي يتناول كميات كبيرة من الكحول باعتدال وانتظام، إن تعاطي ٦٠ جرامًا من الكحول يوميًّا يؤدي إلى زيادة كبيرة في حدوث ضغط الدم والسكتات الدماغيةStroke) ، وأمراض الكبد، والعقم، وضعف الباءة، وأمراض الجهاز العصبي أما بالنسبة للمرأة فإن نصف هذه الكمية كفيلة بإحداث هذه الأمراض الوبيلة) وهو كلام واضح ينقض كل حرف مما ذكره الأطباء القدماء كابن سينا والرازي ومن نقل عنهم من المفسرين.

ويذكر كتاب (ألف باء الكحول) الصادر عن المجلة الطبية البريطانية الشهيرة (BMJ) عام ١٩٨٨م: (أن ما بين خُمس وثُلث جميع الحالات التي أدخلت إلى الأقسام الباطنية في بريطانيا كانت بسبب الكحول. وفي إنجلترا وحدها (دون ويلز واسكتلندا وإيرلندا الشمالية) يدخل إلى الأقسام الباطنية كل عام ما بين ثلاثمائة ألف ونصف مليون شخص بسبب أمراض متعلقة بتعاطي الخمور. وفي السويد أثبتت دراسة مالمو أن ٢٩% من جميع أيام دخول المستشفيات في السويد كانت بسبب تعاطي الخمور). ويقول الدكتور برنت في كتاب (مواضيع في العلاج) (إصدار الكلية الملكية للأطباء بلندن عام ١٩٧٨م): (لم يكتشف الإنسان شيئًا شبيهًا بالخمور في كونها باعثة على السرور الوقتي وفي نفس الوقت ليس لها نظير في تحطيم حياته وصحته، ولا يوجد لها مثيل في كونها مادة للإدمان وسمًّا ناقعًا، وشرًّا اجتماعيًّا خطيرًا).

وقد أثبتت الدراسات الحديثة في بريطانيا والولايات المتحدة وأوربا أن ٤٠% من نزلاء المستشفيات العامة يعانون من مشكلات متعلقة بالخمور، وأن ما بين ثلث ونصف نزلاء مستشفيات الأمراض العقلية في الأمريكيتين وأوربا يعانون من مشكلات متعلقة بالخمور، وأن سبب دخولهم إليها هو تعاطيهم الكحول بكثافة.

ويذكر كتاب (ألف باء الكحول) أن ٢٥% من جميع حالات التسمم في بريطانيا كانت بسبب تعاطي الكحول، وأن ٦٠% من جميع كبار السن الذين أدخلوا إلى المستشفيات في بريطانيا بسبب كثرة السقوط أو هبوط القلب أو الإنتانات الصدرية المتكررة أو فقدان الذاكرة واضطراب الذهن، كانوا يعانون من

مشكلات متعلقة بتعاطي الخمور. وفي روسيا فإن ٩٠% من حالات التسمم الكحولي التي أدخلت إلى المستشفيات كانت لأطفال تحت سن الخامسة عشرة وأن ثلثهم كانوا دون العاشرة!!

ويذكر تقرير منظمة الصحة العالمية في الاجتماع الثالث والستين لعام ١٩٧٩م (الدورة ٣٢) أن تعاطي الخمور هي إحدى المشكلات الصحية الكبرى في العالم، وأن الاستمرار في تعاطيها يعيق التقدم الصحي والاجتماعي والاقتصادي في معظم المجتمعات بل وتشكل عائقًا كبيرًا في المجال الصحي، وتعتبر أحد العوامل الهامة جدًّا التي تؤدي إلى تحطيم الصحة العامة والتي لا يوجد حل لها[١].

فيتضح مما سبق بجلاء خطورة الخمور وبطلان قول أن فيها فوائد للجسم، وإثبات كثير من الدراسات الغربية بأن أكثر مسببات الجرائم وحوادث السيارات هي الخمور.

٦-وجه الإعجاز في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع:

نهت أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم عن التداوي بالخمر، والتدفئة بها، وصرحت بأنها داء وليست بدواء أو شفاء في زمن كان العرب يعتبرونها فيه دواء وغذاء وباعثة على الكرم والشجاعة والسخاء، واستمر الأطباء عبر القرون المختلفة في اعتقاد ذلك الوهم وأنها معين على الصحة مخصبة للبدن طاردة للفضول والأخلاط الرديئة شاحذة للفكر، مقوية للجسم، مهضمة للطعام، وأن شربها باعتدال من أهم أسباب الصحة والعافية، بل إن السُّكْر والعربدة منها مرة أو مرتين في الشهر مفيد للصحة أيضا...ثم جاء الطب الحديث فأوضح زيف جميع ما قالوه، وأنه الباطل، والبهتان، والأوهام. وبهذا يتضح أن ما قاله الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم هو الحق الذي لا مرية فيه وأن الخمر داء وليست بدواء كما زعم الأطباء، وأنها لا تدفئ الجسم بل تؤدي إلى فقدان الحرارة وموت الإنسان من البرد بينما يشعر بالدفء الكاذب، إن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع معجزة علمية لم تظهر أبعادها إلا في القرن العشرين[٢].

[١] د.محمد علي البار ، الإعجاز العلمي في أحاديث منع التداوي بالخمر، http://www.eajaz.org/arabic/index.php?option=com_content&view=article&id=91:2010-04-25-09-34-14&catid=110:2010-08-24-22-33-38&Itemid=91

[٢] المرجع السابق.

حجّية أحاديث الطب في السنة النبوية

كبير غوجي

د. فوزي بن درامن

أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا

ماليزيا

mkggoje@gmail.com

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٢)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (سورة النساء: ١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً*يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١)، أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فإن أعظم نعمة أنعم الله تعالى بها على هذه الأمة، أنه أرسل إليها سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وقد جاء هذا النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم بالوحي الإلهي إلينا، وبيّن لنا كل ما نحتاج إليه من أمور الدين والدنيا، ومن هذا الوحي سنته التي اشتملت أقواله وأفعاله وتقريراته، والسنة -كما هو معروف عند العلماء- أنها وحي من الله كما كان القرءان، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ*لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ،ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (سورة الحاقة: ٤٤- ٤٧)، وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (سورة النجم: ٣-٤)، وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الحشر: ٧)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه....»[1].

ولذا أمرنا الله تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في كل ما يأمر به، وينهى عنه، إذ لا فرق بين طاعة الله عز وجل وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهما أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، كما يجب علينا أيضاً تصديقه صلى الله عليه وسلم في كل ما يخبر به سواء من أمور غيبية أو غيرها، لاستحالة أن يأتي بها من تلقاء نفسه من غير وحي من الله عز وجل، ومن هذا الوحي الإلهي الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة التي تتعلق بالناحية الطبية للإنسان، وإننا نجد في هذه الأحاديث النبوية الشريفة من الإرشادات والنصائح والتوجهات النبوية لو عمل بها الإنسان لتجنب الإصابة بالعديد من الأمراض ولشفي من أمراض أخرى، ولقد جرّب هذه النصائح والإرشادات الكثير من الناس وانتفعوا بها، وكيف لا ينتفعون بها وهي صادرة من الصادق

[1] حديث صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٤١٠/٢٨، رقم: ١٧١٧٤) ولفظ له، وأخرجه أيضاً أبو داود في سننه: (٣٢٨/٤، رقم:٤٦٠٦، باب في لزوم السنة) كلاهما من طرق عن حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي عوف عن المقداد بن معد يكرب به، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع: رقم ٢٦٤٣.

المصدوق عليه الصلاة والسلام الذي يقول الله عز وجل عنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (سورة النجم: ٣-٤).

ومن المعلوم أن القرآن الكريم وكتب السنة المشرفة ليست كتب طب أو هندسة أو زراعة أو نحو ذلك من العلوم التجريبية، إلا أنها قد حوت قبساً من هذه العلوم، للتدليل على مصدرها الإلهي، ولذا اختلف العلماء في احتجاج بأحاديث الطب في السنة النبوية، هل يحتج بها كسائر الأحاديث أم لا؟ ولذا في هذا البحث سأناقش هذه مسألة، لأنها تحتاج إلى الدراسة والتمحيص حتى يتبين الراجح في الاحتجاج بأحاديث الطب وعدمه.

وقد جاء البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: تعريف الحديث والطب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الحديث.

المطلب الثاني: تعريف الطب.

المبحث الثاني: حجية أحاديث الطب في السنة النبوية.

الخاتمة:

المبحث الأول

تعريف الحديث والطب

المطلب الأول: تعريف الحديث

الحديث لغةً: هو ضد القديم، ويستعمل في اللغة أيضاً حقيقة في الخبر، قال في القاموس: الحديث: الجديد والخبر[١]، ويستعمل الحديث أيضاً في اللغة في قليل الكلام وكثيره ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (سورة الطور: ٣٤)، وجمعه أحاديث، قال في مختار الصحاح: الحديث الخبر قليله وكثيره وجمعه أحاديث على غير القياس، قال الفراء: نرى أن واحد الأحاديث أحدوثه بضم الهمزة والدال ثم جعلوه جمعا للحديث[٢].

الحديث في الاصطلاح: هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خِلْقِيٍّ أو خُلُقِيٍّ، حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام فهو أعم من السنة[٣].

المطلب الثاني: تعريف الطب

الطب: الطاء والباء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على علم بالشيء ومهارة فيه، والآخر على امتداد في الشيء واستطالة، فالأول الطب، وهو العلم بالشيء، يقال رجلٌ طَبٌّ وطبيب، أي عالم حاذق أو العالم بالطب،

---

[١] الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب، ***القاموس المحيط***، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ٢١٤.

[٢] الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ***مختار الصحاح***، بتحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص ٥٣.

[٣] السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ***فتح المغيث شرح ألفية الحديث***، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ، ج ١ ص ١٠.

وجمع القلة أطبّة والكثرة أطبّاء، والطُّبُّ بضم الطاء وفتحها لغتان في الطب وكل حاذق عند العرب طبيب[1]، ثم اصطلح بكل علمٍ يعرف به حفظ الصحة وبرء المرض[2].

المبحث الثاني

حجية أحاديث الطب في السنة النبوية

أجمع المسلمون الأوائل على أن السنة النبوية بمجموعها حجة في الشرع الإسلامي، وفي كل نواحي الحياة: من أمور غيبية اعتقادية أو أحكام عملية أو سياسية أو تربوية أو طبية، وأنه لا يجوز مخالفتها في شيء من ذلك لرأي أو اجتهاد أو قياس[3]؛ ولكن المتأخرين اختلفوا في حجية السنة في كل نواحي الحياة إلى قولين:

القول الأول: إن السنة النبوية حجة في ما كان متصلاً بأمور الدين، كالأمور الاعتقادية مثل: أركان الإيمان وأمور غيبية، والأحكام العبادات والمعاملات وغيرها من أمور الشريعة، أما أمور الدنيوية مثل: الطب، فلا يلزم أن تكون اعتقاداته وأقواله فيها مطابقة للواقع، لأنه لا صلة لهذا الأمر بمقام النبوة، بل قد يقع الخطأ في ذلك الاعتقاد قليلاً أو كثيراً بل قد يصيب غيره حيث يخطئ هو صلى الله عليه وسلم، ومن العلماء الذين ذهبوا إلى هذا القول القاضي عياض وابن خلدون.

قال القاضي عياض رحمه الله: فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل، أما العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع[4]، ثم ذكر بعض الأحاديث التي يُفهم من دلالتها تؤيد ما ذهب إليه، ومن هذه الأحاديث:

حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «إن النبي صلى الله عليه و سلم مرَّ بقوم يلقحون فقال: لو لم تفعلوا لصلُح، قال: فخرج شيصًا فمر بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا، قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم»[5].

ومنها حديث طلحة بن عبيد رضي الله عنه قال: مررت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بقوم على رؤوس النخل فقال ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح، فقال رسول الله صلى الله عليه

---

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا، ***مقاييس اللغة***، اتحاد الكتاب العرب، ط٢، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٣ ص٣١٧، وانظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ***مختار الصحاح***، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، تحقيق: محمود خاطر، ص٤٠٣.

[2] المناوي، محمد عبد الرؤوف المناوي، ***التوقيف على مهمات التعاريف***، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ص ٤٧٨.

[3] الصعيدي: حمدي عبدالله عبد العظيم، ***موسوعة الإعجاز العلمي***، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٨٧٥ بتصرف يسير.

[4] القاضي عياض: العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، ت٥٤٤هـ، ***الشفا بتعريف حقوق المصطفى***، بحاشية العلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمني ت٨٧٣هـ، المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، ج ٢، ص ١٨٣.

[5] مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ***صحيح مسلم***، (ج ٧، ص٩٥ رقم: ٦٢٧٧، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه و سلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي) دار الجيل بيروت، ودار الأفاق الجديدة . بيروت.

وسلم: «ما أظن يغني ذلك شيئاً قال فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم بذلك، فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عزَّ وجلَّ»[1].

ومنها أيضاً حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف في النخل بالمدينة فجعل الناس يقولون: فيها صاع فيها وسق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيها كذا وكذا ثم قال رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم: إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطىء وأصيب»[2].

ومنها أيضاً حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال: «قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل يقولون يلقحون النخل فقال ما تصنعون؟ قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت أو فنقصت، قال فذكروا ذلك له فقال: إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أن بشر»[3].

ثم قال القاضي عياض: وهذا ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها –إلى قوله– فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه، إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها[4].

قال ابن خلدون رحمه الله: والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل، وليس من الوحي في شيء، وإنما هو أمر كان عادياً للعرب، ووقع في ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلّة، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل، فإنه صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العادات، وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع، فقال: "أنتم أعلم بأمور دنياكم"، فلا ينبغي أن يحمل شيء من الذي وقع من الطب الذي وقع في الأحاديث الصحيحة المنقولة على أنه مشروع، فليس هناك ما يدل عليه، اللهم إلا إن استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني، فيكون له آثار عظيم في النفع، وليس ذلك من الطب المزاجي وإنما هو من آثار الكلمة الإيمانية، كما وقع في مداواة المبطون بالعسل ونحوه، والله الهادي إلى الصواب لا رب سواه[5].

---

[1] مسلم المرجع السابق رقم: ٦٢٧٥.

[2] أخرجه البزار: أبوبكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتيكي البزار، ***البحر الزخار المعروف بمسند البزار***، ج ١١ ص٢٥٠ رقم: ٥٠٢٣، ط١ سنة ١٤٢٤هـ، تحقيق: عادل بن سعد، وقال الهيثمي كما في المجمع الزاوئد (١٧٨/١) إسناده حسن إلا أن إسماعيل بن عبد الله لم أرى من ترجم له.

[3] مسلم، المرجع السابق (ج٧، ص٩٥ رقم: ٦٢٧٦، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه و سلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي).

[4] القاضي عياض، المرجع السابق ص ١٨٤ و ١٨٥.

[5] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ***مقدمة ابن خلدون***، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٤٩٤.

القول الثاني: ما ذهب إليه ابن القيم وشيخه ابن تيمية وغيرهما من العلماء، وهو الذي عليه المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، أن الأحاديث التي تتناول ناحية أمور الدنيوية- مثل الأحاديث التي تتناول الناحية الطبية للإنسان لا تختلف عن سائر الأحاديث التي تتناول الناحية التشريعية فهي وحي من الله عز وجل[1]، وقد دلّ الكتاب والسنة وعمل الصحابة على حجية الأحاديث الطبية الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنها وحي من الله عز وجل كسائر الأحاديث.

الأدلة من الكتاب:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (سورة النجم: ٣-٤)، ففي هذه الآية يبين الله عزَّ وجلَّ أن ما كان يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان بوحي من عنده، ولذلك فكل ما يخرج من فم النبي صلى الله عليه وسلم من القول سواء ما يتعلق بأمور الدين أو أمور الدنيا، فهو وحي أوحاه الله إليه لا مجال فيه لخطأ، ولا مدخل فيه لزلل.

قال ابن كثير رحمه الله: قوله: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} أي: ما يقول قولاً عن هوى وغرض، وقوله: {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفَّرًا من غير زيادة ولا نقصان[2].

ثانياً: وقال تعالى أيضاً: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الحشر: ٧)، وفي هذه الآية أمر من الله سبحانه وتعالى لجميع المؤمنين بأن يأخذوا جميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم سواء كان من أمور الدين أو الدنيا، وقال ابن كثير رحمه الله: وهذا نازل في أموال الفيء، وهو عام في كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنه[3].

يقول الخطابي رحمه الله: واعلم أن مصباح السعادة إتباع السنة والاقتداء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم في مصادره وموارده وحركاته وسكناته حتى في هيئة أكله وقيامه وقعوده وكلامه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (سورة الحشر: ٧)، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾ (سورة آل عمران: ٣١)، وذلك شامل لجميع الآداب فعليك أن تلبس السراويل قاعدا وتعتم قائما وتبتدئ باليمين في نعليك وتأكل بيمينك وتقلم أظفارك مبتدئاً بمسبحة اليد اليمنى وتختم بإبهامها وفي الرجل بخنصر اليمنى وتختم باليسرى[4].

[1] انظر: الشافعي، ***اختلاف الحديث*** ص٤٨٠، وابن تيمية، ***مجموع الفتاوى***، ج ١٨ ص١١، وابن القيم، ***زاد المعاد*** ج٤ ص٣٠.

[2] ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ***تفسير القرآن العظيم***، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ج ٧، ص ٤٤٣.

[3] المصدر السابق، ج٧ ص٦٧.

[4] المناوي، عبد الرؤوف المناوي، ***فيض القدير***، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ج٤ ص٤٧٧.

وقال السعدي رحمه الله: وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به وإتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله[١].

الأدلة من السنة:

ومن السنة هناك الأدلة العامة التي دلت على حجية السنة التي صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم والتي تشتمل أمور الدين كأمور غيبية واعتقادية وأحكام العبادات والمعاملات، كما تشتمل أيضاً أمور الدنيا كالطب وغيره، وهناك أيضاً الأدلة الخاصة التي تدل على حجية أحاديث الطب.

الأدلة العامة من السنة:

ومن الأدلة العامة قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»[٢]، وفي هذا الحديث الصحيح دلالة صريحة على حجية كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ومن جملة ما جاء به ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من أحاديث نبوية في أمور الطب والتداوي.

والدليل الثاني من الأدلة العامة: ما جاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق»[٣]، فدل هذا الحديث على أن كل ما يقوله صلى الله عليه وسلم حق لا يداخله شك أو ريب، ومما خرج من فمه صلى الله عليه وسلم الشريف أحاديث الطب وما يتعلق به.

الأدلة الخاصة:

ومن الأدلة الخاصة من السنة التي تدل على حجية الأحاديث الطب ليس كما يقول البعض أنها اجتهاد بشري لا علاقة لها بالوحي هي كالآتي:

---

[١] السعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ***تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان***، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص٨٥٠.

[٢] أخرجه الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ***المستدرك على الصحيحين، ج١ ، ص١٧٢***، رقم: ٣١٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ج١، ص١٧٢، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، وقد صحح هذا الحديث الألباني في الصحيحة برقم: (١٧٦١).

[٣] أخرجه أبوداود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، ***سنن أبو داود***، ج٣، ص٣٥٦ رقم: ٣٦٤٨، باب في كتاب العلم، دار الكتاب العربي، بيروت، وصححه الألباني في الصحيحة رقم: ١٥٣٢.

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء»[١].

٢- حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رءوسهم الطير فسلمت ثم قعدت، فجاء الأعراب من ها هنا وها هنا فقالوا يا رسول الله: أنتداوى؟ فقال: تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم»[٢].

٣- حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل»[٣].

وهذه الأحاديث تدل على أن الله هو الذي أنزل داء ودواءه، والمقصود: إنزال علم بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم، كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله فقال: وفي مجموع هذه الألفاظ ما يعرف منه المراد بالإنزال وهو إنزال علم ذلك على لسان الملك للنبي صلى الله عليه وسلم مثلا أو عبر بالإنزال عن التقدير[٤].

ومما لاشك فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين أنواعا من هذه الأدوية لأمته وعلّمها إياها كما يدل على ذلك أحاديث كثيرة، التي ستأتي معنا قريبا إن شاء الله، فكان بيانه صلى الله عليه وسلم لهذه الأدوية دليلاً واضحاً على حجية الأحاديث الطب وأنها وحي من الله عز وجل، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أنزلها على رسوله وليست من اجتهاداته صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الأحاديث الأدوية التي بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته حديث الحبة السواء كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام»، والسام الموت[٥].

وهذا يدل أن ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث التي تتعلق بالطب وحيٌ من الله تعالى، إذ لا يمكن للنبي صلى الله عليه وسلم أن يعرف أن الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من طريق الوحي، لأن الله هو الذي علّمه هذه الأدوية، ولم يثبت كما هو معلوم عند العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم تعلّم الطب أو أخذه عن الأطباء بل أخذه عن رب العالمين.

ومن هذه الأحاديث الأدوية التي بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته، هي كالأتي:

---

[١] أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي مولاه، ***صحيح البخاري*** ج ٧ ص ١٢٢، رقم: ٥٦٧٨، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.

[٢] أخرجه أبو داود، المرجع السابق ج٤ ص ١ رقم: ٣٨٥٧، باب في الرجل يتداوى، وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٤٣٣.

[٣] أخرجه مسلم، المرجع السابق، ج ٧ ص ٢١ رقم:٥٨٧١ ، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي.

[٤] ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ***فتح الباري شرح صحيح البخاري***، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج ١٠ ص ١٣٥، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب.

[٥] أخرجه مسلم، المرجع السابق، ، ج ٧ ص٢٥ رقم: ٥٨٩٦ باب لكل داء دواء واستحباب التداوي.

أولاً: حديث ألبان البقر: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «عليكم بألبان البقر فإنها ترم من كل شجرة و هو شفاء من كل داء»[1].

ثانياً: حديث العود الهندي: عن أم قيس بنت محصن رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية يستعط به من العذرة ويلد به من ذات الجنب»[2].

ثالثاً: حديث شفاء عرق النسا: عن أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «شفاء عرق النسا أليه شاة أعرابية تذاب. ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ثم يشرب على الريق في كل يوم جزء»[3].

وكل هذه الأحاديث تدل على كل ما يقوله صلى الله عليه وسلم مما يتعلق بالطب هو وحيٌ من الله كسائر الأحاديث، لأنه كما تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بطبيب ولم يؤخذ الطب عن أحد، وبيانه لهذه الأنواع الأدوية دليل على أنه أخذه عن رب العالمين وليس من قبل نفسه.

الأدلة من أعمال الصحابة:

وأما أعمال الصحابة التي تدل على حجية أحاديث الطب، وأنه لا فرق بينها وبين سائر الأحاديث وكلها وحي من الله تعالى فهي كثيرة جداً وسأذكر بعضها إن شاء الله تعالى:

١- عمل عائشة رضي الله عنهما بحديث التلبينة[4]:

عن عروة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: «أنها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك النساء ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها ثم قالت: كلن منها فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: التلبينة مجمة[5] لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن»[6].

٢ – عمل أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بحديث الحمى:

---

[1] أخرجه الحاكم، المرجع السابق، ج٤ ص٤٤٦ رقم: ٨٢٢٤، وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة ج٤ ص٥٨٢.

[2] أخرجه البخاري، المرجع السابق، باب السعوط بالقسط الهندي والبحري ،ج ٧ ص ١٢٤ رقم: ٥٦٩٢.

[3] ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، ***سنن ابن ماجه***، باب دواء عرق النسا، ج٢ ص١١٤٧ رقم ٣٤٦٣، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وصححه الألباني في الصحيحة ج٤ ص٥٢٣.

[4] التلبينة" بفتح المثناة وسكون اللام كسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة ثم نون: طعام يتخذ من دقيق أو نخالة وربما جعل فيها عسل، سميت بذلك لشبهها باللبن في البياض والرقة، والنافع منه ما كان رقيقاً نضيجاً لا غليظاً نيئاً، انظر ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ***فتح الباري شرح صحيح البخاري***، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

[5] "مجمة" بفتح الجيم والميم الثقيلة أي مكان الاستراحة، ورويت بضم الميم أي مريحة، والجمام بكسر الجيم الراحة، أي تريح فؤاده وتزيل عنه الهم وتنشطه، ومعناه: أنَّها تقوِّيه وتُنشطه، وذلك: أنها غذاء فيه لطافةٌ، سهل التناول على المريض ؛ فإذا استعمله المريض اندفع عنه الحرارة الجوعيَّة، وحصلت له القوة الغذائية من غير مشقَّة تلحقه، انظر، النووي، أبو زكريا يحي بن شرف بن مري النووي، ***المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج***، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج١٤ ص ٢٠٢.

[6] أخرجه البخاري، المرجع السابق ج ٥ ص ٢٠٦٨ رقم: ٥١٠١، باب التلبينة.

عن أسماء رضي الله عنهما: أنها كانت تؤتى بالمرأة الموعوكة فتدعو بالماء فتصبه في جيبها وتقول إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «أبردوها بالماء وقال إنها من فيح جهنم»[١].

٣- احتجام أبي هريرة رضي الله عنه:

عن عبد الرحمن بن أبي نعيم قال: دخلت على أبي هريرة رضي الله عنه وهو يحتجم فقال لي: يا أبا الحكم احتجم قال: فقلت ما احتجمت قط أخبرني أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أن جبريل عليه الصلاة والسلام أخبره: «أن الحجم أفضل ما تداوى به الناس»[٢].

- مداواة أبي هريرة رضي الله عنه جاريته بالكمأة[٣]:

عن سعيد بن زيد رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الكمأة من المن وماؤها شفاء العين»[٤].

ولما سمع أبو هريرة رضي الله عنه هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم استعمله في مداواة جاريته، كما أخرج ذلك الترمذي في سننه عن قتادة قال: حدثت أن أبا هريرة قال: أخذت ثلاثة أكمؤ أو خمساً أو سبعاً فعصرتهن فجعلت ماءهن في قارورة فكحلت به جارية لي فبرأت[٥].

وكل هذه الآثار المروية عن الصحابة تدل على فهمهم العميق في قبول كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمل به، بدون تفريق ما جاء عنه في الطب وفي غير الطب، وهكذا كان الأمر في التابعين ومن تبعهم بالإحسان.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحداً أُخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قبل خبره، وانتهى إليه، وأثبت ذلك سنة، وصنع ذلك الذين بعد التابعين، والذين لقيناهم، كلهم يثبت

[١] أخرجه مسلم، المرجع السابق ج٧ ص ٢٣ رقم: ٥٨٨٧، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي.

[٢] أخرجه الحاكم، المرجع السابق، ج٤ ص٢٣٢ رقم: ٧٤٧٠، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني كما في الصحيحة رقم: ١١٧٦.

[٣] الكمأة بفتح الكاف وسكون الميم بعدهما همزة مفتوحة، نبات لا ورق لها ولا ساق توجد في الأرض من غير أن تزرع والعرب تسمى الكمأة أيضا نبات الرعد لأنها تكثر بكثرته ثم تنفطر عنها الأرض وهي كثيرة بأرض العرب وتوجد بالشام ومصر، انظر: المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، ***تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي***، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٦ ص١٩٥.

[٤] أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ***سنن الترمذي***، دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ج٤ ص٤٠١ رقم:،٢٠٦٧، باب ما جاء في الكمأة والعجوة، وهذا الحديث صحيح وقال الترمذي بعد إخراجه: هذا حديث حسن صحيح وصححه الألباني كما في الروض النضير رقم: ٤٤٤.

[٥] أخرجه الترمذي المرجع السابق، رقم: ٢٠٦٩، باب ما جاء في الكمأة والعجوة، قال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد مع وقفه.

الأخبار ويجعلها سنة، يحمد من تبعها، ويعاب من خالفها، فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل العلم بعدهم إلى اليوم، وكان من أهل الجهالة[١].

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: كل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبر فهو كما أخبر، وهو حق وصدق، معتمد عليه فيما أخبر به وعنه، سواء علينا أنبني عليه في التكليف حكم أم لا، كما أنه إذا شرع حكماً أو أمراض أو نهياً؛ فهو كما قال عليه الصلاة والسلام، لا يفرق في ذلك بين ما أخبره به الملك عن الله، وبين ما نفث في روعه وألقي في نفسه، أو رآه رؤية كشف وإطلاع على مغيب على وجه خارق للعادة، أو كيف ما كان؛ فذلك معتبر يحتج به ويبنى عليه في الاعتقادات والأعمال جميعًا؛ لأنه صلى الله عليه وسلم مؤيد بالعصمة، وما ينطق عن الهوى[٢].

قال الباحث: وهذا هو المذهب الصحيح الذي يجب لكل مسلم اعتقاده، لأنه هو مذهب الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة الحديث والفقه، و أنهم يقبلون كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم بدون تفريق فيما صدر عنه في الشرع وفيما صدر عنه في أمور الدنيا كالطب وغيره، ومما يدل على ذلك صنيع الأئمة الحديث في مؤلفاتهم حينما أدخلوا أحاديث الطب في كتبهم ولم يفرقوا بينها وبين سائر الأحاديث في الاحتجاج، وإننا نجد مثلاً إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري كيف كان صنيعه في كتابه الصحيح بأحاديث الطب، وأنه لم ير الفرق بينها وبين سائر الأحاديث، وإنه بوّب لها الأبواب كما بوّب لسائر الأحاديث كما في قوله: (باب السعوط)، و(باب أي ساعة يحتجم)، و(باب الحجامة في السفر)، و(باب الحجامة على الرأس)، و(باب الحجامة من الشقيقة والصداع)، وهكذا عند غيره من المحدثين، كأصحاب السنن، تبويبات مشابهة، فيذكرون استحباب أدوية معينة لأمراض معينة، بناء على ما ورد في ذلك الأحاديث النبوية.

الراجح: والذي يظهر لي أن القول الثاني هو الراجح وذلك للأمور الآتية:

الأمر الأول: إن الله عزّ وجلّ بيّن لنا: أن كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان بوحي من عنده، ولذلك فكل ما يخرج من فم النبي صلى الله عليه وسلم من القول سواء ما يتعلق بأمور الدين أو أمور الدنيا، فهو وحي أوحاه الله إليه لا مجال فيه لخطأ، ولا مدخل فيه لزلل.

الأمر الثاني: أن الله سبحانه وتعالى أمر جميع المؤمنين بأن يأخذوا جميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم سواء كان من أمور الدين أو الدنيا.

الأمر الثالث: إن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ومن تبعهم بإحسان قبِلوا جميع ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعملوا به، ولم يفرقوا بين الأحاديث التي تتعلق بالشرع وبين التي تتعلق بالطب وكلها عندهم سواء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فكل ما قاله بعد النبوة وأُقر عليه ولم ينسخ فهو

---

[١] الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، ***اختلاف الحديث***، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ص٤٨٠.

[٢] الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، ***الموافقات***، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ج٩ ص١٩٣.

تشريع، لكن التشريع يتضمن الإيجاب والتحريم والإباحة، ويدخل في ذلك ما دل عليه من المنافع في الطب؛ فإنه يتضمن إباحة ذلك الدواء والانتفاع به، فهو شرع لإباحته، وقد يكون شرعا لاستحبابه"[1].

الأمر الرابع: إن الطب النبي صلى الله عليه وسلم ليس كطب الأطباء، فإن طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن قطعي النفع به، وطب الأطباء مظنون.

يقول ابن القيم رحمه الله: "وليس طِبُّه صلى الله عليه وسلم كطِبِّ الأطباء، فإن طبَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم متيقَّنٌ قطعيٌ إلهي، صادرٌ عن الوحي، ومِشْكاةِ النبوة، وكمالِ العقل، وطبُّ غيرِه أكثرُه حَدْسٌ وظنون، وتجارِب، ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان"[2].

الأمر الخامس: إن العلماء الذي صنفوا في أحاديث الطب كالمحدثين خاصة أصحاب كتب الستة كانوا يشيرون عند الكثير من هذه الأحاديث إلى أنها وحي من الله عز وجل، ولا يمكن أن يكون مما عرفه النبي صلى الله عليه وسلم بالتجربة والخبرة وبخاصة أنه لم يكن معروفاً بممارسة الطب.

الأمر السادس: إن الحقائق العلمية والطبية الواردة في الأحاديث الطب أيدها العلم الحديث، وأكدها الطب الجديد والاكتشافات العصرية الحديثة، مما يدل دلالة لا لبس فيها، ولا غموض يعتريها: أن الذي أوحاها لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو رب العالمين سبحانه وتعالى، وقد حارت عقول الأطباء قديماً وحديثاً فيما جاء به الرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن كثيراً من الأطباء الكفار قد أسلموا لما وقفوا على أوجه الإعجاز الطبي في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولعل آخرهم ذلك العالم النصراني الذي أعلن إسلامه في مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، والذي عُقد في دولة الكويت عام ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م في شهر نوفمبر[3].

الجواب عن أدلة أصحاب القول الأول:

وأما الأدلة التي استدل بها أصحاب القول الأول فجواب عنها كالآتي: والجواب عن هذه الأحاديث ينقسم إلى قسمين، الجواب العام، والجواب الخاص.

الجواب العام:

وأما الجواب العام فهو: إن الذين يستندون إلى الأحاديث الشريفة السابقة يحكمهم المنطق نفسه الذي يحكم العلمانيين الذين دأبوا على الدعوة إلى فصل الدين عن الدنيا، وأن الدين ما هو إلا علاقة بين العبد وربه، ولا يتعدى حدود المسجد، فلا علاقة للدين بأمور السياسة والحكم والتشريع، ولا علاقة الدين أيضا بأمور الطب

---

[1] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ***مجموع الفتاوى***، دار الوفاء، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، تحقيق: أنور الباز و عامر الجزار، ج١٨ ص١١-١٢.

[2] ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية، ***زاد المعاد في هدي خير العباد***، ج٤ ص٣٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية الكويت، ط١٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط.

[3] الصعيدي، المرجع السابق ص ٨٩٥ بتصرف يسير.

والزواج والطلاق والبيع والشراء والعقود وغيرها من الأمور التي تتعلق بالدنيا، ولذلك والذين أرادوا الطعن في الأحاديث الطبية النبوية بالقول أنها ليست بحجة، وأنها ليست من الوحي في شيء، لأنها تتعلق بأمور الدنيا التجريبية التي قد يصيب غيره حيث يخطئ هو صلى الله عليه وسلم فيها، تشابهوا وإن لم يقصدوا مع أعداء الدين من هؤلاء العلمانيين المرتدين الذين يحاولون هدم الدين[1].

الجواب الخاص:

وأما الجواب الخاص عن الأدلة حول تأبير النخل يتلخص فيما يأتي:

١- أنه ليس في هذه الأحاديث حجة لهم، بل هي حجة عليهم، لأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فهموا من كلامه صلى الله عليه وسلم أنه على العموم، ولذلك تركوا تأبير النحل، والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليهم هذا الفهم، إنما أنكر عليهم عملهم بظنه المعارض بما يعلمونه حيث قال صلى الله عليه وسلم: «إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن»[2].

وقد أكد هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: وهو لم ينههم عن التلقيح، لكن هم غلطوا في ظنهم أنه نهاهم، كما غلط من غلط في ظنه أن: {الْخَيْطُ الأَبْيَضُ}، و{الْخَيْطِ الأَسْوَدِ} (سورة البقرة: ١٨٧)، هو الحبل الأبيض والأسود[3].

٢ - إن قوله صلى الله عليه وسلم: «ما أظن يغنى ذلك شيئاً» وقوله أيضاً: «إنما ظننت ظناً» وقوله صلى الله عليه وسلم: «لعلكم لو لم تفعلوا» يدل على أن قوله صلى الله عليه وسلم كان ظناً وليس خبراً متيقناً، وهكذا بالنسبة لهم فلم يكن خبراً، وإنما كان ظناً؛ كما بينته الروايات الصحيحة، لذلك فهو ليس من باب أخبره صلى الله عليه وسلم التي تكون شرعاً؛ بل هو من باب المشورة عليهم في الأخذ بالتجربة في سبب عادي ليس من الأمور الشرعية، ولا مما قصد به الإخبار عن أمر يعلمه، بخلاف أحاديث الطب فإن جميعها كانت من أخبره متيقنة، ولذلك فلا حجة في تلك الأحاديث على عدم حجية الأحاديث الطب.

وقد أكّد هذا المعنى الإمام النووي رحمه الله فقال: قال العلماء قوله صلى الله عليه و سلم من رأيي: أي في أمر الدنيا ومعايشها لا على التشريع، فأما ما قاله باجتهاده صلى الله عليه و سلم ورآه شرعاً يجب العمل به وليس آبار النخل من هذا النوع بل من النوع المذكور قبله إلى أن قال: قال العلماء ولم يكن هذا القول خبراً وإنما كان ظناً كما بينه في هذه الروايات[4].

---

[1] الصعيدي، المرجع السابق ص ٨٨٦ بتصرف يسير.

[2] الصعيدي، المرجع السابق ص ٨٨٦ بتصرف يسير.

[3] ابن تيمية، المرجع السابق ص ١٢.

[4] النووي، أبو زكريا يحي بن شرف بن مري النووي، ***المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج***، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ. ج١٥ ص ١١٦.

٣- إن قوله صلى الله عليه وسلم: «فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عزَّ وجلّ» وقوله: «فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطىء وأصيب»، يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ما الذي نأخذ به، وما الذي لا نأخذ به، فمقتضى القسمة في هذا الحديث أن كل ما جزم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو من عند الله، ويجب علينا الأخذ به، كأحاديث الطب فإنه قد جزم بها بخلاف ما ظنه ولم يجزم به كقصة تأبير النخل، فهو ليس من عند الله، فلا يجب علينا الأخذ به بمقتضى الحديث، وليست القسمة كما فهمها هؤلاء: أن كل ما كان من أمور الدنيا مطلقا فهو إلينا، وما كان من أمور الدين فهو إليه صلى الله عليه وسلم، أو قد يكون المراد أنهم أعلم بشؤون دنياهم فيما لم يبينه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يشرعه لهم، بل ترك الأمر إليهم وإلى علمهم بظاهر الحياة الدنيا، وأما قوله: "وما قلت فيه من قبل نفسي"، أي: بالظن بقرينه سياق القصة، حيث كانت في الخرص والتخمين، وهما من الظن[1].

الخاتمة:

الحمد لله الذي أنعم علي بإتمام هذا البحث الذي اشتمل على دراسة مسألة احتجاج بأحاديث الطب في السنة النبوية، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيِّبين المطَّهرين وأصحابه الغرِّ الميامين أعلام الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليماً كثيراً.

وقد تطرقت في هذا البحث مسألة مهمة جداً من المسائل المطروحة قديماً وحديثاً، وهي مسألة احتجاج بأحاديث الطب الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وركزت فيه بجمع كل ما يتعلق بمادة البحث، حيث بدأت بتعريف الحديث والطب لغةً واصطلاحاً، ثم أوردت أقوال العلماء في المسألة مع مناقشتها وبيان قول الراجح منها، وبعد ذلك توصلت إلى نتائج طيبة أجمل أهمها فيما يأتي:

١ -إن كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان بوحي من عند الله، ولذلك فكل ما يخرج من فم النبي صلى الله عليه وسلم من القول سواء ما يتعلق بأمور الدين أو أمور الدنيا، فهو وحي أوحاه الله إليه لا مجال فيه لخطأ، ولا مدخل فيه لزلل.

٢ -إن الأحاديث التي تتناول ناحية أمور الدنيوية، مثل الأحاديث التي تتناول الناحية الطبية للإنسان لا تختلف عن سائر الأحاديث التي تتناول الناحية التشريعية فهي وحي من الله عز وجل.

٣ -إن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ومن تبعهم بإحسان قبِلوا جميع ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعملوا به، ولم يفرقوا بين الأحاديث التي تتعلق بالشرع وبين التي تتعلق بالطب وكلها عندهم سواء.

٤ -إن الحقائق العلمية والطبية الواردة في الأحاديث الطب أيدها العلم الحديث، وأكدها الطب الجديد والاكتشافات العصرية الحديثة، مما يدل دلالة لا لبس فيها، أن الذي أوحاها لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو رب العالمين، وليست من تلقاء نفسه.

[1] الصعيدي، المرجع السابق ص ٨٨٧ – ٨٨٨ بتصرف يسير.

٥ –إن المراد بأحاديث تأبير النخل هو بيان ما الذي نأخذ به، وما الذي لا نأخذ به، وأن كل ما جزم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو من عند الله، ويجب علينا الأخذ به،كأحاديث الطب فإنه قد جزم بها بخلاف ما ظنه ولم يجزم به، كقصة تأبير النخل، فهو ليس من عند الله، فلا يجب علينا الأخذ به، وليس المراد بها كما فهمها بعض العلماء أن كل ما كان من أمور الدنيا مطلقا فهو إلينا، وما كان من أمور الدين فهو إليه صلى الله عليه وسلم.

المراجع والمصادر

١. اختلاف الحديث، محمد بن إدريس الشافعي، الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

٢. تحفة الأحوذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ

٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.

٥. التوقيف على مهمات التعاريف عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د.محمد رضوان الداية، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٦. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت–الكويت، ط١٤، ١٤٠٧هـ–١٩٨٦م.

٧. سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٨. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.

٩. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سروة، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث بيروت.

١٠. السلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

١١. شرح صحيح مسلم، أبو زكريا يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١٢. الشفا، القاضي عياض، بحاشية العلامة أحمد بن محمد الشمني، المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء.

١٣. صحيح البخاري، تحقيق: د مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م.

١٤. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث بيروت.

١٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٦. فتح المغيث شرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٧. فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٥هـ–١٩٩٤م.

١٨. مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

١٩. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

٢٠. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١١هـ.

٢١. مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.

٢٢. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ط٢، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

٢٣. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٤. الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن عفان، ط/١، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.

٢٥. موسوعة الإعجاز العلمي، حمدي عبدالله عبد العظيم الصعيدي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط١، ٢٠٠٧م.

ترجمة السنة النبوية أهميتها وتطويرها

د. أحمد بن محمد العبيد

قسم السنة وعلومها في كلية الشريعة

بجامعة القصيم

السعودية

ahmd3070@gmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين المبعوث رحمة للعالمين، ومن تبعه على نهجه إلى يوم الدين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى الناس أجمعين، وبعد:

فهذه مساهمة مني في دعم هذه المؤتمرات التي تعد نصرة لسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أقل ما ينبغي أن يقدمه من ينتسب إلى العلم وأهله، راجياً من ربي أن يكتب لهذا البحث قبولاً ونفعاً.

وسبب اختيار هذا الموضوع هو أني حين أقامت الجمعة العلمية السعودية للسنة والسيرة النبوية ندوة بعنوان: "ترجمة السنة النبوية والسيرة" إلى جميع اللغات في شهر صفر سنة ١٤٢٩هـ، تألمت أنني لم أشارك في هذه الندوة لما لهذا الموضع من أثر في نفسي كيف وأهميته والعناية به حتم لازم، فلما اطلعت على هذا المؤتمر تحقق ما كنت أتمناه فأطرح ما في نفسي حول موضوع ترجمة السنة النبوية؛ لأساهم في خدمة نشرها للعالمين ودعم ذلك، وهو أقل ما يمكن لي أن أساهم فيه؛ ومن المعلوم لدى كل مسلم عموم الرسالة المحمدية؛ فقد ورد عدد من الأحاديث في عموم الرسالة المحمدية وأكد النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك صريحاً بعدد من النصوص كما سيأتي؛ بل جاء صريحاً في القرآن الكريم الدلالة على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم؛ كقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُون} (سبأ: ٢٨)، وقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} (الفرقان: ١)، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بالسعي الحثيث والجهد الكبير ليس حسب على الأفراد بل بقيام المؤسسات الخاصة والحكومية بدعمه ومساندته لإيصال السنة النبوية إلى جميع الناس مهما تعددت لغاتهم وجنسياتهم , والله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام بألسنة قومهم ليفهموا عنهم مراد الله سبحانه كما قال عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم} {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (إبراهيم: ٤)، ولما كان مئات الملايين يدينون بدين الإسلام في أنحاء المعمورة، يتكلمون بلغات مختلفة غير اللغة العربية التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثير منهم لا يعرف العربية، وليس عنده إمكانية لتعلمها؛ لعوامل عدة تختلف من شخص إلى آخر، وهم في الوقت نفسه بحاجة إلى تعلم السنة النبوية ؛ ليتوصلوا بذلك إلى معرفة أحكام الإسلام معرفة سهلة واضحة وفهمها والعمل بها ؛ فكان من المهم جداً، بل من المتعين ترجمة السنة النبوية للعالم أجمع. ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ويتأكد ذلك في هذا الزمان خاصة؛ الذي بثت فيه التقنية الحديثة كل ثقافة؛ فيسمعها كل شخص أين حل وارتحل: من مهاجمة للسنة ولمن جاء بها ؛ فأصبح الأمر ضروري؛ بأن يكشف زيف المغرضين والمستهزئين بالإسلام، وأن تدفع الشبهات والأباطيل التي ألصقها أعداء الإسلام بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبسنته، ولا يتحقق إيصال ذلك لجميع المسلمين على اختلاف لغاتهم إلا بنشر ترجمة السنة على مختلف اللغات.

لذا أقدم هذا الموضوع الذي وسمته بـ"ترجمة السنة النبوية: أهميتها وتطويرها"، وقد رتبته على الخطة الآتية: مقدمة وتمهيد وفصلان وخاتمة وفهارس.

المقدمة: وفيها سبب اختيار هذا الموضوع، وخطة البحث والمنهج الذي سلكته فيه.

- التمهيد: وفيه مطلبان:

الأول: تعريف الترجمة، وحكمها، وأنواعها.

الثاني: أحاديث واردة في أن الرسالة المحمدية للناس عامة.

- الفصل الأول: أهمية الترجمة؛ وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول : ترجمة السنة النبوية؛ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة لفظ الحديث.

المطلب الثاني: ترجمة معنى الحديث.

المبحث الثاني: فضل المترجم ومسئوليته الشرعية.

المبحث الثالث: شروط وضوابط الترجمة.

- الفصل الثاني: تطوير ترجمة السنة النبوية؛ وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجهود المبذولة في ترجمة السنة بالسعودية.

المبحث الثاني: تفعيل أهم توصيات ندوة ترجمة السنة المقامة في جامعة الإمام في السعودية.

المبحث الثالث: آلية إنشاء مراكز متخصصة لترجمة السنة النبوية.

- الخاتمة: وفيها نتائج البحث وأهم التوصيات.

- الفهارس: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

هذا وقد بذلت جهدي في جمع هذا الموضوع وتحريره، فما كان فيه من صواب فبفضل ربي وتوفيقه، وما سوى ذلك فأسأل ربي أن يعفو عني ويلهمني الصواب بتسديده، وأن يجعله بحثاً مباركاً نافعاً للناس جميعاً، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

التمهيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الترجمة وحقيقتها، وحكمها، وأنواعها.

أولاً: تعريف الترجمة:

تعريف الترجمة وحقيقتها: قال ابن منظور: التُّرْجُمانُ، والتَّرْجَمان: المفسِّر للسان، وجاء في حديث هِرَقْلَ قال لتُرْجُمانه، والترجمان بالضم والفتح هو الذي يُتَرْجِم الكلام أَي ينقله من لغة إلى لغة أُخرى، والجمع التَّراجِم[١].

وقال في الصحاح[٢]: يقال: تَرْجَمَ كلامه: إذا فسَّره بلسان آخر. ويقال تَرجُمانٌ، بالفتح، ولك أن تضم التاء لضمَّة الجيم فتقول تُرْجُمانٌ، قال ابن الأثير: الترجمان بالضم والفتح: هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى، والجمع التراجم . وقد وردت كلمة ترجمان في أحاديث عدة[٣].

(١)انظر لسان العرب (٦٦/١٢).

(٢)انظر الصحاح في اللغة (١٩٢٨/٥).

(٣) انظر النهاية في غريب الأثر (١٨٦/١).

ومن الأحاديث التي ذكر فيها ترجمان: ما رواه البخاري [1]عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه".

كما يُقالُ للمفسر أيضاً الترجمان [2]، ومنه لقب ابن عباس -رضي الله عنهما- بترجمان القرآن[3].

ويتلخص لنا مما سبق أن الترجمة هي: نقل الكلام وتفسيره من لغة إلى لغة أخرى، وأن من يقوم بالترجمة يطلق عليه (المترجِم) أو (الترجمان) بضم التاء وفتحها [4].

واعلم رحمك الله أن للفظ الترجمة عدة اطلاقات لغوية؛ وهي:

١ أوسعها وأعمها: نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى، فمتى أطلق لفظ الترجمة تبادر إلى الفهم هذا المعنى[5].

٢ تفسير معنى الكلام دون لفظه بلغة أخرى؛ وهو قريب من سابقه[6].

٣ تفسير الكلام وتفهيمه باللغة نفسها، ومنه كما تقدم: لقب ابن عباس بترجمان القرآن.

٤ توصيل وتبليغ الكلام لمن لم يبلغه، ومن ذلك قول الشاعر:

إن الثمانين التي بلغتها.....قد أحوجت سمعي إلى ترجمان[7]

يقصد: إلى مبلغٍ يرفع صوته حتى أسمع ما يقال حولي.

٥ -إطلاقها على عناوين الأبواب؛ كقولهم: ترجم لهذا الباب بكذا، يعني عنون له، قال النووي رحمة الله عليه: وليست الترجمة مخصوصة بتفسير لغة بلغة أخرى، فقد أطلقوا على قولهم: "باب كذا " اسم الترجمة؛ لكونه يُعبر عما يذكره بعده[8]، واشتهر "فقه البخاري في تراجمه" يعني عناوين الأبواب.

٦ إطلاقها على سيرة الشخص وحياته، فيقال: ترجم لفلان، أي: بيّن سيرة حياته، وهذا مشتهر معروف وبه سميت: كتب تراجم الرجال.

ثانيا: ببيان حكم ترجمة السنة النبوية

كل مسلم مطالب بتعلم اللغة العربية لأنها لغة القرآن والسُّنة، وبها يتمكن المسلم من فهم دينه وتعلّم أحكامه على الوجه الأكمل، ومن خلالها يستطيع استشعار عظمة الإسلام وجميل آداب النبي صلى الله عليه وسلم

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (١٣٢/٩، رقم ٧٤٤٣).

(٢) منهاج السّنّة: ٦١٢/٢.

(٣) أخرجه الحاكم: في المستدرك باب ذكر عبدالله بن عباس (٦١٨/٣، رقم ٦٢٩١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره من طريقين (٣١٣/٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إسناد صحيح (مجموع الفتاوى: ٣١٣/٢).

(٤) انظر: المعجم الوسيط: (١٧٥/١).

(٥) انظر: لسان العرب (٦٦/١٢) والمصباح المنير (٧٤/١).

(٦)انظر مختار الصحاح (٩٩) والمصباح المنير (٧٤/١) .

(٧) البيت لأبي محلم عوف الشيباني، وله قصة، انظر معجم البلدان (٢٣٩/٥).

(٨) شرح صحيح مسلم (١٨٦/١) .

وسيرته العطرة.

ولكن الواقع يفرض قيام عوائق لتعلّم جميع المسلمين للغة العربية، فما العمل إذن؟ إن من الوسائل الممكنة لتبليغ السنة النبوية هو ترجمتها إلى اللغات المراد تبليغ الدين إلى أهلها، ليتحقق البلاغ المبين، ولما كانت الرسالة المحمدية خاتمة الرسالات، وجب في الجملة نقلها إلى جميع الألسنة ليتم تبليغ الرسالة تبليغاً يوصل المعاني إلى المبلَّغين ويفهموها فهماً صحيحاً وافياً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن لفظه ومعناه، كما أُمر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يكون تبليغ رسالة الله إلا كذلك، وأن تبليغه إلى العجم قد يحتاج إلى ترجمة لهم فيُترجم لهم بحسب الإمكان))(١).

ويمكن أن يُفّصل حكم ترجمة السنة بما يأتي:

١-ترجمة ما فيه قيام الحجة على الناس قياما واضحا مما يستدعي الدعوة للدخول في الإسلام أو بيان الأحكام الضرورية، فالقول بوجوب ذلك متجه وأنه فرض وكفاية إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين؛ لأن تبليغ الرسالة واجب ولا يتحقق إلا بتبليغ المخاطب بلغته؛ فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٢-ترجمة مهمات العقائد وأصولها والشرائع، فيجب ترجمة ما يتعلق بإقامة العقيدة، وإقامة الأركان الخمسة، بدليل اقتصار بعض الأعراب في عصره صلى الله عليه وسلم على أساسيات الدين وأركانه، أما التفاصيل الشرعية فهذا أمره واسع وتختلف فيه الأحوال من حال إلى حال.

ومن الأدلة على أن تعلم ترجمة السنة فرض وكفاية: ما أخرجه أبو داود في سننه عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قال: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ؛ قَالَ: "إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي، قَالَ فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ .قَالَ فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُم"(٢)، وفي لفظ آخر نحوه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتحسن السريانية؟ فقلت: لا، قال: فتعلمها فإنه يأتينا كتب، فتعلمتها في سبعة عشر يوماً"، فدل ذلك على أن تعلمها فرض وكفاية.

ثالثا: أنواع الترجمة: للترجمة أربعة أنواع؛ وخلاصتها ما يأتي:

أولاً: الترجمة الشفهية سواء كانت معنوية أو لفظية، وتسمى الترجمة فورية، وهي: ترجمة ما يقال من قبل شخص أثناء حديثه بحيث يضع المترجم سماعة يستمع من خلالها للمتحدث وفي نفس الوقت يترجم إلى اللغة الأخرى، ويعد هذا النوع أصعب أنواع الترجمة على الإطلاق؛ لأنه لا يستحمل الأخطاء أو التفكير ولا بد من أن يكون المترجم متقناً لكلتا اللغتين، ويشترط لتحققها على المطلوب ما يأتي:

١ تأني المتكلم وعدم سرعته؛ بحيث يتيح فرصة كافية للمترجم.

٢ تيقظ المترجم ودقته في متابعة المتكلم كلمةً كلمةٍ حتى يستطيع الربط بين كلامية.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١٦/٤-١١٧) .

(٢)أخرجه أبو داود، في العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب (٣١٨/٣، رقم ٣٦٤٥)، وأخرجه البخاري تعليقاً، باب: ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد (٧٦/٩، رقم ٧١٩٥) ، وأخرجه الحاكم أيضا برقم (٥٧٨١) وأحمد في المسند (٥/ ١٨٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: رقم ١٨٧.

٣ قرب المترجم للمتكلم قرباً مباشراً حتى يساعده نظره إلى حركاته وإشاراته على ضبط كلامه.

ثانياً: الترجمة التحريرية، وهي: ترجمة نص مكتوب إلى نص مكتوب بلغة أخرى، وهي أسهل من الترجمة الشفهية وأدق، وما زالت تتطور من جيل إلى جيل.

ثالثاً: الترجمة بالإشارة: وهي تكون باليد والرأس والعين ونحو ذلك, وعلى هذا فكل ماتضمن معنى البيان والإفهام يصح أن يطلق عليه ترجمة، وقد جاء في القرآن قوله تعالى: {فقولي إني نذرت للرحمن صوماً} فسمى الله إشارتها قولاً؛ بل صارت لغة الإشارة منتشرة بين الناس في المجتمعات جميعها ولها مدارسها الخاصة بها.

رابعاً: الترجمة الآلية: بدأت هذه الترجمة مع ظهور الحاسوب في أمريكا وتطورت شيئاًً فشيئاً، وعقد مؤتمر للترجمة الآلية في بدايتها حتى صار لها اليوم دور كبير في خدمة الباحثين، ومن الدول الإسلامية التي صار لها نشاط في هذه الترجمة: دولة ماليزيا؛ فهي تعمل منذ سنوات على تطوير نظام للترجمة الآلية من اللغة الإنجليزية إلى الماليزية(١).

المطلب الثاني: أحاديث واردة في أن الرسالة المحمدية للناس عامة

ورد أحاديث كثيرة منها الصحيح والضعيف وسوف أقتصر على ثلاثة أحاديث صحيحة فقط، حتى لا يطول البحث:

الحديث الأول: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم: "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي –فذكره وفيه– وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"، وفي لفظ: "وبعثت إلى الناس كافة"، وفي لفظ آخر: "وبعثت إلى الناس كافة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة"، وفي رواية أخرى: "كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود" متفق عليه(٢).

الحديث الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار" أخرجه مسلم(٣).

الحديث الثالث: إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الكتب والرسائل إلى عدد من ملوك الكفار يدعوهم إلى الإسلام:

فعن أنس رضي الله عنه: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه مسلم (٤)،

---

(١) انظر: بحث الترجمة الآلية ،د . محمد إسماعيل . مجلة الفيصل عدد (٢٣٩) (ص ٣٠) . و رسالة دكتوراه لمحمد واصل " أحكام الترجمة في الفقه الإسلامي (١٣٦/١)

(٢) البخاري ،كتاب التيمم (٧٤/١ ، رقم ٣٣٥) ومسلم :كتاب : المساجد ومواضع الصلاة (٣٧٠/١ رقم ٥٢١)

(٣) في الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد إلى جميع الناس (١ / ١٣٤، رقم ١٥٣) .

(٤) في الجهاد والسير، باب: كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل، (١٣٩٧/٣، رقم ١٧٧٤)، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٤٢/٢).

(كسرى): بفتح الكاف وكسرها: لقب لكل من ملك الفرس، و(قيصر): لقب لكل من ملك الروم، و(النجاشي): لقب لكل من ملك الحبشة.

بل إن رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليست خاصة بالإنس وإنما هي عامة للثقلين الجن والإنس:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: يجب على الإنسان أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمدا إلي جميع الثقلين: الإنس والجن، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته...وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد من الإنس والجن فلم يؤمن به؛ استحق عقاب الله تعالى؛ كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم[1].

الفصل الأول: أهمية الترجمة؛ وفيه ثلاث مباحث.

قبل ذكر المباحث أشير إلى أهمية ترجمة السنة النبوية، فمن المعلوم أن السنة النبوية هي أحد مصادر التشريع الإسلامي؛ وهذا سببٌ يكفي لبيان أهمية ترجمة السنة النبوية، ومن أجل ذلك اعتنى سلف هذه الأمة بترجمة السنة منذ بداية فجر الإسلام، وهذا يوجب لنا الآن القيام بذلك؛ كيف وهذه الرسالة العظيمة مسؤولية كبرى توجب علينا حملها إلى مختلف لغات العالم بكل وسيلةٍ ممكنة؛ حيث أنَّ الترجمة هي السبيل الوحيد إلى إبلاغ دين الله العظيم إلى أصحاب اللغات المختلفة؛ إذ لا يمكن تبليغ دين الله عز وجل إلى الناطقين بغير اللغة العربية إلا بها، وعليه فلا يشك عاقل في أهمية ترجمة نصوص الوحي الحنيف لتبليغ دين الله تعالى، فضلاً عن انتشار الإسلام والمسلمين اليوم في شتى أصقاع المعمورة، واختلاف ألسنتهم مما جعل من الضرورة بمكان ترجمة الوحي لشدة حاجتهم إلى تعلم دينهم وأحكامه، خاصةً مع غربتهم السياسية والثقافية بل والدينية في تلك البلاد التي يقيمون فيها، مما جعل ضعف الترجمة سبباً رئيساً في تعميق جهلهم بدينهم وتعرضهم والحالة هذه إلى الدعوات الضالة والأفكار المنحرفة، ولا سلامة لهم إلا بتحصينهم بالعقيدة الصحيحة، ونشر نصوص السنة النبوية فيما بينهم، وذلك لا يتم إلا من خلال الترجمة الصحيحة لغير الناطقين باللغة العربية، ولا يخفى لما لترجمة سنَّته وسيرته صلى الله عليه وسلم من حسنات كبيرة تثير في نفوس الشعوب التي تترجم لها دعوةٌ لهذا الدين العظيم، وتأخذ بأيديهم نحو التوحيد والخير والهدى، وتقدم لهم كل مفيدٍ قيِّم، ورغم ذلك كله إلا أنَّ ترجمة مراجع الحديث لم تحظ بالأهمية التي تستحقها، لقلة المؤسسات القائمة على موضوع الترجمة من جهة، ولضعف الدعم المادي الموجه لهذا الموضوع من جهةٍ أخرى. ومن الأمور المعلومة أن عدد المسلمين في هذا العصر من غير العرب يفوق أعدادهم من العرب، ومما يؤسف له أن كثيراً منهم لا يتكلمون باللغة العربية ولا يفهمونها، واللغة العربية لغة القرآن، ولربما رأيت من يستطيع قراءة القرآن قراءة حرفية، لكنه لا يكاد يفقه معانيه، ولذلك نقول: إن تعلم اللغة العربية ضرورة لكل مسلم يقدر على ذلك، لأن ذلك جزء من الدين فهي الآلة والوعاء الذي به يعرف الدين ويفهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وذلك أن اللسان الذي اختاره الله عز وجل لسان العرب فأنزل به كتابه العزيز وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا نقول: ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم اللغة العربية أن يتعلمها؛ لأنها اللسان

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام (٩/١٩).

الأولى"، [1] لكن لا يتمكن من ذلك كل أحد؛ لذا لا بد من تفقيه المسلمين بدينهم وتعليمهم رسالة ربهم، الآمرة بالتوحيد والناهية عن الشرك، ولا يتحقق ذلك إلا بالترجمة إلى لغاتهم[2].

كما أنَّ عدم القيام بهذه المهمة العظيمة يعرض نصوص الوحي إلى ترجمات مغرضة أو ذات صبغة تجارية، تنقل المعنى الشرعي إلى معنىً غير المعنى المراد، مما يكون له أثرٌ سيء في فهم الإسلام لغير المسلمين، وتطبيق شعائر الإسلام عقيدةً وشريعة للمسلمين غير الناطقين باللغة العربية تطبيقا معرضا للخطأ والضلال بقصد أو بغير قصد؛ كل هذا يؤكد أهمية الترجمة وعظيم الحاجة إليها، وضرورة العناية بها من قبل المؤسسات الشرعية والعلمية لضبط الترجمة وفق قواعد وأسس صحيحة؛ وذلك صيانةً للدين، وحمايةً للعقيدة، وبياناً للشريعة على وجهها الذي أراده الله سبحانه وتعالى[3].

المبحث الأول: ترجمة السنة النبوية؛ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ترجمة لفظ الحديث:

وقبل مناقشة ذلك ينبغي أن يعلم أن الأحاديث الواردة بالنسبة للترجمة اللفظية تنقسم إلى قسمين:

١ -أحاديث يتعبد لله بألفاظها؛ مثل : أحاديث الأذكار، والأوراد والأدعية؛ فهذه لا تصح ترجمتها ترجمة لفظية لأنه مطلوب من كل مسلم أن يقولها بلفظها فغير العربي يحفظها بألفاظها ويقولها حسب ورودها ويترجم له معناها.

٢ -الأحاديث التي لا يتعبد لله بألفاظها؛ فهذه محل النزاع.

وهذه المسألة مبنية على مسألة أخرى وهي: حكم رواية الحديث بالمعنى؛ وقد اختلف العلماء فيها على قولين:

القول الأول: منعها فريق من أصحاب الحديث والفقه والأصول، وممن قال به: ابن عمر، والقاسم بن محمد، ابن سيرين، ومالك، وابن علية، وأبو بكر الرازيّ، وغيرهم[4]، ومن أهم أدلتهم: عن سماك بن حرب، قال: سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، يحدث عن أبيه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع"[5]، ووجه الدلالة من الحديث ظاهرة؛ لقوله "فبلغه كما سمع" ونوقش أن هذا الحديث جاء بألفاظ متعددة والمعنى واحد، ثم إن الراوي بالمعنى مؤد كما سمع وهذا مقتضى عمل الصحابة رضي الله عنه، وكذلك احتجوا بقياس الحديث على القرآن، ونوقش بأن بينهما فرق كبير: فالقرآن

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم:(١ / ٤٦٥).

(٢) انظر: مواصفات الترجمة المعدة للاستعمال للدعوة إلى الله تعالى , د. إبراهيم الحميدان (١٠)

(٣) انظر : بحث في أحكام الترجمة ، د . محمد العقيل .

(٤) انظر : البرهان في أصول الفقه (٤٢١/١) شرح النووي لمسلم (٣٦/١)

(٥) أخرجه: الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، في العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٣٣/٥) رقم (٢٦٥٦) وابن ماجه في العلم، باب من بلغ علماً (٨٤/١) رقم(٢٣٠) وأحمد رقم (٤١٥٧) وابن حبان، في ذكر دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم (٢٦٨/١) رقم (٦٦)، وإسناده حسن؛ لأن مداره على سماك بن حرب وهو صدوق (التقريب: ٢٦١٦) والحديث صحيح فقد جاء عن عدد من الصحابة.

كلام الله معجز بلفظه ومعناه، والحديث ليس كذلك، ولم يتحد به النبي صلى الله عليه وسلم الكفار أن يأتوا بمثله.

القول الثاني: أجازها جمهور السلف والخلف من المحدثين، وأصحاب الفقه والأصول، منهم الأئمة الأربعة[(١)]، ومن أهم أدلتهم: الإجماع على جواز شرح الشرع للعجم بلسانهم للخبير بذلك، وكذلك كان سفراء النبي صلى الله عليه وسلم يبلغون أوامره ولم يلتزموا لفظ النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهذا إقرار منه صلى الله عليه وسلم بالجواز، واعلم أن من أجاز الرواية بالمعنى، اشترط لها شروطاً، وهي:

١- أن يكون الراوي عالماً بالألفاظ ومقاصدها: من حيث اللغة، ومن حيث مراد المروي عنه.

٢- أن يكون خبيراً بما يحيل معانيها.

٣- أن تدعو الضرورة إليها، بأن يكون الراوي ناسياً للفظ الحديث حافظاً لمعناه. فإن كان ذاكراً للفظه لم يجز تغييره، إلا أن تدعو الحاجة إلى إفهام المخاطب بلغته.

٤ - أن لا يكون اللفظ متعبداً لله به: كألفاظ الأذكار ونحوها.

هذا كله في غير المصنفات، أما الكتب المصنفة فلا يجوز رواية شيء منها بالمعنى، وتغيير الألفاظ التي فيها، وإن كان بمعناها؛ لأن جواز الرواية بالمعنى كان للضرورة إذا غابت عن الراوي كلمة من الكلمات، أما بعد تثبيت الأحاديث في الكتب فليس هناك ضرورة لرواية ما فيها بالمعنى، هذا وينبغي للراوي بالمعنى أن يأتي بما يشعر بذلك فيقول عقب الحديث: "أو كما قال" أو "نحوه" أو "شبهه".

كما في حديث أنس رضي الله عنه في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، قال أنس بعد ذكر الحديث: أو كما قال صلى الله عليه وسلم، وكما في حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه عندما تكلم في الصلاة وهو لا يدري؛ فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن"، أو كما قال صلى الله عليه وسلم[(٢)].

فعلى القول بجواز رواية الحديث بالمعنى: يتخرج القول بجواز ترجمة لفظ الحديث إلى غير اللغة العربية؛ بجامع أن في كل من القولين: تغيير للفظ الحديث الذي نطق به النبي صلى الله عليه وسلم[(٣)].

المطلب الثاني: ترجمة معنى الحديث.

اتفق أهل العلم على جواز ترجمة معنى الحديث سواء كانت نبوية أو قدسية، وقد نص على ذلك كثير من علماء الحديث والأصول والفقه[(٤)]، واستدلوا له بما يأتي:

١. بالآيات الدالة على عموم الرسالة كقوله تعالى: {نَذِيرًا لِلْبَشَرِ}(المدثر: ٣٦)، وقوله: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} (آل عمران: ١٣٨)، وغيرهما، ولا يعم البيان والبلاغ إلا بالترجمة.

---

(١) الأحكام للآمدي (١٤٨/٢) مختصر الروضة (٢٤٦/٢)

(٢) انظر : المسودة في أصول الفقه (١٣٣/١) ، البرهان في أصول الفقه (٤٢١/١), شرح مسلم للنووي (٣٦/١) , مصطلح الحديث لابن عثيمين (ص٢١)

(٣) انظر : رسالة أحكام الترجمة في الفقه الإسلامي للدكتور محمد واصل (٣٤٣/١)

(٤) انظر : فتح الباري (١٠٧/٦) , روضة الناظر (١٢٤) , فتاوى شيخ الإسلام (٣٠٦/٣١) .

٢. أجمع أهل العلم على شرح الشرائع للعجم بلسانهم.

٣. أنه يجوز لمن سمع شهادة الرسول أن يشهد على شهادته بلغته؛ لأن الألفاظ خدم للمعاني وليست مقصودة لذاتها، إذا لم تكن معجزة بلفظها أو متعبد به.

٤. إن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة؛ وفيهم غير العرب، ومن لا يمكن أن يفهم بالعربية؛ فكيف يبلغه الإسلام، وتبليغه واجب؛ ولايتم ذلك إلا بالترجمة لأنها وسيلة للإبلاغ؛ ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فعلى هذا تكون الترجمة بهذه الصفة واجبة [١].

المبحث الثاني: فضل المترجم ومسؤوليته الشرعية:

أولاً- حصول المترجم على أجر البلاغ والدعوة:

المترجم الذي يقوم بهذا الواجب يحصل على الأجر العظيم لما يقدمه من هداية وإرشاد للناس، ولما يتولاه من القيام بجزء من أعباء خلافة الأنبياء وهي الدعوة إلى الله؛ وقد وردت النصوص الكثيرة في هذا من القرآن والسنة: قال الله عز وجل: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)}(فصلت : ٣٣)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**" أخرجه مسلم والترمذي[٢]، وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله**" أخرجه مسلم والترمذي[٣]، وهذا فيه بيان لعظيم الأجر الذي يستحقه القائم بالدعوة إلى الله بحسب جهده واجتهاده، فإن زاد عدد من دعاهم زاد أجره، وهذه الدلالة على الخير سواء كانت دلالته بالقول أو الفعل أو الإشارة أو الكتابة أو الترجمة أو غير ذلك، فالدَّال على الخير كفاعله، ولم يحصر النبي صلى الله عليه وسلم كيفية الدلالة في نوع محدد[٤].

ويحصل للمترجم الذي بلَّغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنته: النضرة والبهاء والنعمة والسرور؛ فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**نضَّر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلِّغه غيره، فربّ حامل فقه إلى مَنْ هو أفقهُ منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه**" أخرجه أبو داود والترمذي[٥]، وهذا دعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنضارة لمبلِّغ سنته، والنضارة هي: النعمة والبهجة

(١) انظر : أحكام الترجمة في الفقه الإسلامي (٣٣٨/١)

(٢) مسلم: في العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة أو دعا إلى هدى (٢٢٧/١٦)، سنن الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة (٤٢/٥ رقم ٢٦٧٤) .

(٣) مسلم: في الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سيل الله (٣٨/١٣)، والترمذي: في العلم، باب ما جاء الدال على الخير كفاعله، (٤٠/٥) (رقم ٢٦٧١).

(٤)انظر : مرقاة المفاتيح للقاري (٢٢٦/١) ، تحفة الأحوذي للمباركفوري (٣٦٢/٧).

(٥) سنن أبي داود في العلم، باب فضل نشر العلم (٣٢٢/٣ رقم ٣٦٦٠)، الترمذي وحسنه : في العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٣٣/٥ رقم ٢٦٥٦). والنسائي (٨٤/١) رقم (٢٣٠) وأحمد (٤٦٧/٣٥) رقم (٢١٥٩٠) وابن حبان (٢٧٠/١) رقم (٦٧) والحاكم (١٦٣/١) رقم (٢٩١) ؛ وإسناده صحيح .

والسرور[1]، وتكون هذه النضرة في وجوههم أثراً لما يجعله الله في قلوبهم من نور الحق، ولما يحصل لقلوبهم من سرور وطيب يظهر على وجوههم، وهذه فائدة عظيمة تحصل للمترجم الذي يبلِّغ عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم.

بل قد جاء صريحا في الحث على دعوة الناس عموماً وفضل ذلك ولم يخصه النبي صلى الله عليه وسلم بالعرب دون غيرهم؛ كما ورد: عن سهل بن سعد رضي الله عنه، سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر: **"لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه"، فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى، فقال: أين علي؟ فقيل: يشتكي عينيه، فأمر، فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فو الله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم" متفق عليه**[2].

فحين يستشعر المترجم هذا الفضل العظيم؛ سواء كانت ترجمته شفهية فورية أو تحريرية أو غيرها، فإن ذلك يدعوه إلى المبادرة والمنافسة والصبر والضبط والاتقان، وبذل الجهد في تطوير نفسه في هذا الفن الدقيق؛ لأن الخطأ لو حدث فقد يظل بسببه أقوام من الناس وهو لا يشعر، وبهذه المناسبة أأؤكد على كل من يقوم بهذه الرسالة بأن يعرض عمله على غيره ممن يتقن هذه المهنة لتفادي الأخطاء، وفق ربي كل داعي إلى الخير وآمر بالمعروف ومحذر عن الشر.

ثانياً– مسؤولية المترجم الشرعية:

لا يعني ما ذكرنا من الفضل العظيم لمن قام بهذا العمل الجليل تساهل المترجم في مهمته؛ بل عليه مسؤولية كبيرة؛ فإن الإخلال بالنص الشرعي المترجم قد يؤدي إلى خلل عقدي أو عملي أو غيرهما.

وفي هذا مفسدتان:

الأولى: الجناية على النص الشرعي، الذي هو مصدر التشريع، وذلك بتحريف وإفساد معناه.

الثاني: الإساءة إلى الخلق بنقل معنى غير المعنى المراد من الشارع، وفي هذا تضليلٌ لهم، وغشٌ وخيانة.

ويترتب على هذا النوع من الترجمة الآثار الآتية:

١–بطلان هذه الترجمة، وعدم اعتبارها؛ لأنَّها مبنيةٌ إمَّا على الجهل، وإمَّا على التقصير، وكل ذلك باطلٌ لا عبرة به، وما بني على باطل فهو باطل[3]، وربما كان في ذلك تشويه للشرع؛ بسبب نقله للناس على غير وجهه الصحيح.

٢–إذ تعمد المترجم التساهل؛ فقد عرض نفسه للوعيد كما ورد في كقوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} (الإسراء:٣٦) فهذه الآية وغيرها تدل على وعيد الله تعالى لأولئك الذين حرفوا كتاب الله بالتغيير زيادةً ونقصاً، كما في الآية الأولى، وهو ما أحدثه المترجم الجاهل والمفرَّط في

---

(١)انظر : معالم السنن للخطابي (١٧٢/٤)، ومفتاح دار السعادة لا بن القيم (٧١/١) وعون المعبود للعظيم آبادي (٣٦٠/٣) ، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٣٤١/٧) .

(٢)البخاري (٤ / ٤٧) رقم (٢٩٤٢) ومسلم ، رقم : ٢٤٠٦ (١٨٧٢/٤) .

(٣) انظر : المحصول (٩٢/١)

نصوص السنة النبوية، ودلت الآية الثانية على تحريم القول على الله بغير علم، وبيان أنَّ كل ما يقوله المرء أو يفعله فإنَّه مسئول عنه، والمترجم الجاهل أو المفرَّط قائلٌ على الله بغير علم، بل يخشى أن يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ" متفق عليه(١)، فهذا وعيد شديد على من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ترجم قوله صلى الله عليه وسلم وهو جاهلٌ به، أو مفرطٌ في ترجمته فقد كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، كل ذلك وغيره يدل على خطورة ترجمة النصوص الشرعية ترجمةً خاطئة.

ومن العقوبة المترتبة على خطأ المترجم في ترجمة النصوص الشرعية؛ ما يأتي:

١-إثم المترجم، وتعريضه نفسه لنصوص الوعيد الشديد، وكفى به من عقوبة.

٢-الحجر عليه، ومنعه من مزاولة مهنة الترجمة، دفعاً للضرر العام عن الناس.

٣-تعزيره من قبل ولي الأمر، لردعه ومنعه من النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معنىً غير صحيح(٢).

المبحث الثالث: شروط الترجمة وضوابطها:

هذا المبحث هو المهم وعليه التركيز وتجب العناية به تمام العناية، وقد كتب فيه عدد من الباحثين لأهميته، ووقعت أخطاء كثيرة في الترجمة؛ بسبب التساهل في ذلك أو عدم العناية والتدقيق بشروط الترجمة والمترجم وما يلحق بذلك؛ إذاً ترجمة السنة النبوية من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى تستدعي ضوابط عامة وخاصة؛ وإذا كان الصحابة رضي الله عنهم يحتاطون في رواية الحديث بالمعنى، كما جاء عن عدد منهم؛ أنهم كانوا يحدثون عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يقول أحدهم: "أو نحو هذا"، أو "شبهه"، "أو قريباً منه"، "أو كما قال"(٣)، إذاً فمن باب أولى الاحتياط والدقة البالغة في ترجمة السنة إلى اللغات الأخر؛ وهذا مبحث يحتاج إلى بحث مستقل؛ وتفصيل القول فيه بمعرفة الشروط المتعلقة بالمترجم، والمتعلقة بالترجمة، والضوابط الشرعية للترجمة والأدلة عليها، وهل الترجمة من باب الشهادة أم من باب الرواية، وغير ذلك مما فُصل فيه(٤) مما لا يتسع مثل هذا البحث له؛ ولعلي ألخص المهم من ذلك وأعتني بما يخص ترجمة السنة النبوية، فما لا يدرك كله لا يترك جله؛ لضيق المقام عن البسط في هذا:

أولاً: أهم الشروط والضوابط العامة:

١ -الأمانة العلمية في المترجم، فعليه أن يترجم النص دون تدخل في معنى النص المراد ترجمته.

٢ -التمكن التام من اللغة العربية وأساليبها. والمعرفة التامة باللغة المراد الترجمة إليها، من حيث التمكن منهما.

٣ -اختيار الأسلوب العلمي للغة المراد الترجمة إليها بما يتناسب مع عصر المترجم.

٤ -الدقة في الترجمة بما يؤدي المعنى المراد ،وإلا لاحتاج الأمر إلى ترجمة أخرى بديلة.

٥ -التمكن من قواعد الشريعة الإسلامية، مع سلامة المعتقد الصحيح.

---

(١)البخاري في العلم باب: إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: ١٠٤ومسلم في العلم رقم ٤٨٣٠ .

(٢)انظر : أحكام الترجمة في الفقه الإسلامي (١/٢٠٧- ٢٢٢)

(٣) انظر" الجامع لأخلاق الراوي" (٢ / ٣٥) ، و"شرح علل الترمذي" (١ / ٥٣) .

(٤) انظر في تفصيل ذلك : أحكام الترجمة في الفقه الإسلامي (١/١٥٦-٢٢٢) وبحث في أحكام الترجمة للدكتور محمد العقيل .

٦ –مراجعة الترجمة من المترجم نفسه، ومن غيره أيضاً من الأفراد أو الجهات، وتعد مراجعة الترجمة عنصراً مهمّاً لضمان الترجمة، وظاهرة مراجعة الترجمات قديمة في تراثنا، ففي عصر هارون الرشيد –مثلاً– تم إصلاح بعض الترجمات المنجَزة أيام المنصور، وفي عهد المأمون وقعت مراجعة بعض الكتب المترجمة زمن الرشيد[١].

وأما الضوابط الخاصة بالسنة النبوية زيادة على ما سبق من ضوابط عامة فهي:

١ – تمكن المترجم من معرفة معاني المصطلحات الحديثية عند المحدثين.

٢ – فهم المترجم للمصطلح والتأكد من دلالاته، لأن بعض المصطلحات قد تكون له عدة دلالات واستخدامات عند الأئمة في كتبهم، ومن أمثلة ذلك: مصطلح (لا أصل له) أو (ليس له أصل) فهذا يطلقه المحدثون على ثلاثة معان:

الأول: بمعنى لا إسناد للحديث، وهذا الإطلاق كثير عند المتأخرين.

الثاني: بمعنى لا أصل صحيح للحديث، فهو يرادف الموضوع.

الثالث: بمعنى لا أصل للحديث أي من هذا الطريق، لا من كل الطرق.

٣ – معرفة المترجم للمصطلحات الخاصة بأئمة معينين[٢]، حتى لا يحمل المصطلح على غير المراد منه؛ وذلك لأن لعدد من الأئمة له مصطلحات خاصة، فلا بد من معرفتها، ومن أمثلة ذلك (منكر الحديث) عند الإمام البخاري: فقد قال البخاري: كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه[٣].

وكذا مصطلح (لا بأس به) عند ابن معين، فإنه يعني التوثيق في بعض الأحايين[٤].

٤ – معرفة المترجم لوحدات الكيل والوزن الموجودة في نصوص السنة النبوية، مثل: الصاع والمد وغيرها ويربط ذلك بما هو متداول اليوم من وحدات الكيل والوزن، فيرجع إلى الكتب المتخصصة في هذا؛ مثل: كتاب: (النظم الإسلامية) للدكتور صبحي الصالح، وكتاب: (الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان) لابن الرفعة الأنصاري.

٥ – معرفة المترجم بأسماء البقاع والأماكن المذكورة في السنة النبوية بالمتعارف عليه في هذا الزمن جغرافياً، إضافة لما هو موجود في كتب معاجم البلدان، مع مراعاة التقسيمات الإقليمية القديمة كاليمن وبلاد الشام والبحرين وفلسطين.

٦ – معرفة المترجم بالمصطلحات المذكورة في كتب السنة من المسافات ونحوها، مثل: الفرسخ، والبريد،

---

(١) "الأدب المقارن و مطالعات أخرى" لمجدي وهبة ، (٧٦)

(٢) انظر : "ضوابط الجرح والتعديل" للشيخ د. عبدالعزيز العبداللطيف ، و"ضوابط الجرح والتعديل عند الإمام الذهبي" لمحمد الثاني بن عمر بن موسى .

(٣) "ميزان الاعتدال" (١ / ٦) .

(٤) "الشذا الفياح" (١ / ٢٦٩)

والميل.

٧ – لكل كتاب مصطلحات ربما تختلف عن الكتاب الآخر، واختلاف العلماء في مناهجهم فيها، والرموز المستخدمة في كتبهم، فيوجد بعض الفروق بينها؛ ومثال ذلك حرف "ق" يرمز به للمتفق عليه عند السيوطي في كتابه "الجامع الصغير" وعند غيره يقصد بالرمز بحرف"ق": ابن ماجه.

٨ – يفضل إبقاء الكلمة أو المصطلح باللغة العربية، مع ترجمة المعنى؛ ليتمكن الناظر والمراجع من البحث في أصل لغة المصطلح من فهمه والاطمئنان لصحة الترجمة[١].

ومما يؤكد العناية بهذه الشروط والضوابط الوقوف على أهم الصعوبات التي تواجه من يعمل بالترجمة كما ذكرها عدد ممن قام بذلك؛ وهي:

١ – الكلمات والمفردات قد تكون موجودة في العربية وغير موجودة في اللغات الأخر.

٢ – المدينة الواحدة في البلد الواحد لها لغات مختلفة، مثال: جزر الفلبين لها حوالي ثلاثمائة لغة.

٣ – الترجمة لا يمكن أن تكون كلمة كلمة، وإلا ستكون ترجمة ضعيفة مكسرة.

٤ – عدم تطابق اللغات والأوزان، ولكل لغة قواعدها وأصولها الخاصة بها.

٥ – في بعض الأحيان لغة المترجم لا تقدر أن تعبر عن كل ما في لفظ اللغة العربية.

٦ – كثير من المصطلحات الإسلام ليس لها معان مرادفة في اللغة المترجم إليها كالصينية مثلاً.

٧ – كون المواد المترجمة دينية يحملنا مسئولية أي خطأ أو تقصير.

٨ – قلة تنوع المعارف، حيث أن الترجمة تحتاج إلى ثقافة غنية متنوعة؛ لئلا يقول على الله مالا يعلم.

٩ – عدم إتقان اللغة العربية واللغة المترجم إليها، الألفاظ الحديثة والدخيلة والمعربة.

١٠ – المعرفة والفهم الجيد للأحاديث والسير.

١١ – بعض الألفاظ لها مرادفات كثيرة، ولا يوجد في اللغة الثانية إلا معنى واحد أو اثنين.

هذه ملخصة من إجابة سؤال طرح على عدد من المترجمين.

الفصل الثاني

تطوير ترجمة السنة النبوية؛ وفيه ثلاثة مباحث.

بحمد الله وتوفيقه انتشرت في هذا العصر خاصة العناية بترجمة نصوص الشريعة من الكتاب والسنة وغيرهما في كثير من البلاد الإسلامية بل وغير الإسلامية سواء كان ذلك بجهود فردية أو جهات خاصة أو رسمية، وسوف أقتصر على الجهود المبذولة في المملكة العربية السعودية أنموذجا لذلك:

المبحث الأول: الجهود المبذولة في ترجمة السنة بالسعودية

المملكة العربية السعودية هي مهبط الوحي وحامية الحرمين الشريفين: الحرم المكي والمسجد النبوي، يفد إليها الناس من كل فج عميق إجابة لدعوة أبيهم إبراهيم، كيف وقد من الله على هذه البلاد وأهلها فصارت مصدراً

(١) انظر : أحكام الترجمة في الفقه الإسلامي (١/١٥٦-٢٢٢) وبحث في أحكام الترجمة للدكتور محمد العقيل .

اقتصادياً يتجه إليها جميع الناس مسلمهم وكافرهم على تعدد لغاتهم، لذا تعين على أهلها توصيل هذا الدين لكل وافد وتحمل هذه المسئولية فضلاً عن نشرها خارج البلاد؛ فتعددت الجهات وتظافرت الجهود بالبذل على قدر المستطاع من العناية بترجمة الكتب الإسلامية؛ وأذكر من أهم الجهات التي تبنت هذا العمل الجليل مما تيسر الوقوف عليه:

أولاً – المكاتب التعاونية للدعوة وتوعية الجاليات:

كان لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد أثر كبير في هذا المجال وذلك من خلال مكاتب الدعوة المنتشرة في أرجائها، وقد تم ولله الحمد افتتاح أكثر من مائتين وعشرين مكتباً دعوياً، ومن أهم أولويات الدعوة توفير المادة العلمية بحسب لغات المستفيدين، فكان لا بد من السعي لترجمة الكتب الشرعية ومن بينها كتب السنة والسيرة النبوية.

وقد تم عمل إحصائية تقريبية على ٦٠ مكتباً تعاونيا مع مراعاة ما يأتي[١]:-

١-إنها عنيت بالكتب التي قام المكتب بترجمتها ابتداءً.

٢- حصرت الكتب المترجمة في السنة والسيرة دون غيرها من الفنون، وقد خلصت الإحصائية إلى النتائج الآتية:

١- عدد ما تُرجم من كتب السنة يبلغ (٣٥) كتاباً، من مجلد كبير إلى رسالة صغيرة يمكن طبعها في ورقة أو ورقتين.

٢- عدد اللغات التي طبعت بها هذه الكتب بلغ: (٢٢) اثنتين وعشرين لغة، وهي اللغات التالية: العربية والانجليزية والإسبانية والدنمركية والألمانية والفرنسية والروسية والصينية والبنغالية والفلبينية والتاميلية والسنهالية والمليالم والأندونيسية والتلغو والهندية والتجالوج والماجنداناو والبشتو والمليباري والأوردو والفارسية.

هذه الإحصائية كانت قبل ثلاث سنوات فلا شك أن عمل هذه المكاتب قد تضاعف كثيراً الآن.

ثانياً– طلاب المنح من غير العرب الوافدين للدراسة في السعودية[٢].

من توفيق الله تعالى للبلاد السعودية أن فتحت المجال للطلاب المسلمين الراغبين في الدراسة من أقطار الأرض جميعها على مختلف لغاتهم؛ وقد فتح لهم عدة معاهد تابعة لعدد من الجامعات، وقد درس فيها أعداد كبيرة أكثرهم واصل المرحلة الجامعية وعدد تفوق وواصل مرحة الماجستير والدكتوراه؛ ولهؤلاء أثر كبير في نشر ترجمة السنة؛ ولاشك أنهم لا يعدون جهة محددة ولكن لهم جهود متعددة ومتنوعة.

وقد عملت الباحثة د. أميرة الصاعدي استبانة من خلال بحثها على فئة منهم، فيه بيان دورهم في الترجمة؛ وخلاصة ذلك: حيث أجريت الاستبانة على (٥٢) طالب وطالبة لغير الناطقين بالعربية؛ منهم (٤٠) في مرحلة

---

(١) انظر : جهود وزارة الشؤون الإسلامية في ترجمة السنة والسيرة النبوية (المكاتب التعاونية لتوعية الجاليات أنموذجا) إعداد : د.توفيق بن عبد العزيز السديري .

(٢) انظر : بحث مقدم لندوة ترجمة السنة المقامة في جامعة الإمام : " دور طلاب المنح في ترجمة السنة والسيرة النبوية " د . أميرة بنت علي الصاعدي .

البكالوريوس، و(٤) متخرج من البكالوريوس، و(٣) في مرحلة الماجستير، و(٥) في التخصص اللغوي التربوي؛ وكانت النتائج على النحو التالي:

١. هل لديك استعداد للمساهمة في مشروع ترجمة السنة والسيرة؟ أجاب بنعم (٤١)، وبلا (١١).
٢. هل طالب البكالوريوس قادر على الترجمة؟ أجاب بنعم (٢٩)، وبلا (٢) و (٢١) قالوا: نوعاما.
٣. هل سبق لك العمل في الترجمة؟ أجاب بنعم (٢٧) وبلا (٢٥).

ثالثاً: بعض المكتبات التي اعتنت بالترجمة:

١- مكتبة دار السلام بالرياض، لها جهود مستمرة في الترجمة وخاصة ترجمة كتب السنة والسيرة النبوية، وهي دار متخصصة في ترجمة وطباعة ونشر الكتب الإسلامية بلغات مختلفة، وهي أكبر دار نشر في العالم ، أصدرت كتب إسلامية باللغة الإنجليزية، ولديها أكثر من ١٠٠٠ إصدار بخمسة عشر لغة عالمية، ومن المشاريع التي قدمتها: مشروع الترجمة بالإنجليزية حيث صدر حتى الآن (٣٣) مجلداً من مجموع ٣٨ مجلدًا ؛ للكتب الستة؛ منها : صحيح البخاري ٩ مجلدات، صحيح مسلم ٧ مجلدات...وقد عمل في هذا المشروع حوالي ٢٢ شخصًا من الأكفاء ما بين عالم حديث ومترجم ومراجع ومدقق ومخرج، ومن الكتب التي تم ترجمتها: رياض الصالحين إلى ٦ لغات هي: (الإنجليزية – الأردية – الفرنسية – الهندية – البنغالية – الطاجيكية) تمهيدًا لاستكمال الترجمة بـ ٢٠ لغة عالمية..... إلخ .

١ -الدار العالمية للكتاب الإسلامي بالرياض، تعرِّف بالإسلام بـ ٧٠ لغة عالمية:

الكتب المطبوعة لديهم كافة تهتم بالتعريف بالإسلام ودعوة غير المسلمين، وتعليم المسلمين الغير ناطقين باللغة العربية أمور دينهم الأساسية، والقائمون عليها يهدفون للتعريف بالإسلام بصورته الحقيقية وباللغة التي يفهمها الآخر. وقد طبعت عدداً كبيراً من كتب الحديث بلغات مختلفة؛ من ذلك: مختصر صحيح البخاري -التجريد الصريح- وصحيح مسلم: (أسباني، و بوسني، فارسي، ألماني، إنجليزي)، الأربعون النووية: (تشيكي، إنجليزي، إسباني، تشيكي، فارسي، إندونيسي، ياباني، برتغالي، صومالي، تاميلي، روسي، تركي، صيني).

رابعاً: فتح معاهد ومراكز وكليات للترجمة:

من أجل نشر تعلم الترجمة اعتنت الدولة السعودية بفتح المعاهد والمراكز والكليات الخاصة بالترجمة؛ ومن خلال ذلك يستطيع الطالب المجيد أن يسهم في ترجمة العلوم الإسلامية إلى اللغة التي أجاد إتقانها:

ومن ذلك: كلية اللغات و الترجمة في جامعة الملك سعود، وقد نشأت على مرحلتين هامتين هما إنشاء مركز اللغات الأوروبية والترجمة في عام ١٣٩٧هـ وتحويل ذلك المركز إلى معهد اللغات والترجمة في عام ١٤١١هـ، ثم صدر قرار مجلس التعليم العالي عام ١٤١٥هـ المتضمن تحويل معهد اللغات والترجمة إلى كلية اللغات والترجمة، ويعكس إنشاء كلية اللغات والترجمة حرص المملكة العربية السعودية على إبراز مكانتها المتميزة في العالمين العربي والإسلامي وفي المحافل الدولية، و حرصها على توطيد أواصر العلاقات المتميزة بينها وبين دول العالم الأخرى بشكل

عام[1].

- **مركز الترجمة بجامعة الملك سعود:** هو جهاز إداري مستقل عن كليات الجامعة ويتبع وكيل الجامعة للتبادل المعرفي ونقل التقنية وترجع فكرة إنشاء مركز الترجمة إلى العام الدراسي ١٣٩٨/٩٧هـ حينما أصدر المجلس الأعلى لجامعة الملك سعود لائحة ما سمي آن ذاك مركز الترجمة والتأليف والنشر.

ومن أنشطة هذا المركز المهمة:

ترجمة موسوعة علمية باسم" "السلام عليك أيها النبي" وتزيد هذه الموسوعة على ثلاثمائة مجلد، وتعد الأضخم في التاريخ، ووصفت بأنها تكتب عن كل شيء مما له علاقة بالوحي، ووقع مدير جامعة الملك سعود والدكتور ناصر بن مسفر الزهراني مؤسس مشروع مركز وموسوعة: "السلام عليك أيها النبي"، والمشرف العام على المشروع بتوقيع مذكرة تفاهم أولية.

وقال الدكتور الزهراني: "مستعدون لتوفير المتخصصين المتميزين"، وقال: "إنه يجري الإعداد حالياً لتأسيس جامعة السلام عليك أيها النبي لتدريس نصوص الوحيين بطرقٍ علميةٍ جديدةٍ ومبتكرة، وإنشاء بوابة السلام عليك أيها النبي، وهي أكبر بوابة وموقع إلكتروني عن النبي صلى الله عليه وسلم والشريعة الإسلامية عموماً بأهم اللغات العالمية، وإنشاء كذلك قناة السلام عليك أيها النبي تنطلق مستنيرةً بنور الوحيين: الكتاب والسنة، وقال:"إن المذكرة تتيح التعاون بين المركز وبين أكثر من خمسة آلاف مترجم حول العالم".

خامساً—الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام: هي إحدى هيئات رابطة العالم الإسلامي، وتتمتع بشخصية اعتبارية مستقلة، وتتمثل مهمتها في التعريف بالإسلام، ودعم مناشطه ماديًا ومعنويًا في المناطق المحتاجة من العالم، وإيضاح صورته النقية بمنهج واضح المعالم. وقد بلغ عدد غير المسلمين بعد البحث والتحري : ٥٠٠٠ مليون غير مسلم.

ومن مهام الهيئة: عقد الدورات والندوات والمؤتمرات في مجال التعريف بالإسلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وترجمتها إلى اللغات المختلفة ونشرها، وهناك الكثير من المشروعات منها: مشروع الهدى للترجمة: يهدف إلى تأليف واختيار الكتب والمطويات والأشرطة التي تناسب غير المسلمين ليسهل تعرفهم على الإسلام من خلال الترجمة الجيدة، وغير ذلك من المشروعات الكثيرة المهمة[2].

المبحث الثاني: تفعيل أهم توصيات ندوة ترجمة السنة التي أقيمة في جامعة الإمام في السعودية.

أحببت أن أطرح هذه التوصيات المهمة تفعيلاً لها؛ وقد كانت خلاصة ما توصل إليه المشاركون في ندوة ترجمة السنة والسيرة النبوية؛ راجياً أن يكون لذكرها بهذه المناسبة تأثيراً في تفعيلها، والسعي إلى تحقيقها وتنفيذ ما يمكن منها، ولضيق المقام أكتفي بذكرها بتصرف:

١- وضع إستراتيجية بعيدة المدى لتفعيل ترجمة السنة والسيرة النبوية، وذلك من خلال استخدام معطيات التقنية الحديثة.

---

(١) انظر موقع جامعة الملك سعود على الشبكة العنكبوتية .

(٢) انظر : موقع الهيئة على الشبكة العنكبوتية .

٢- تعزيز سبل التعاون والتنسيق بين مختلف الجهات والمؤسسات الدعوية ومراكز خدمة السنة والأقسام العلمية التخصصية، وكليات اللغات والترجمة لاستثمار الطاقات وتوحيد الجهود في الترجمة.

٢ إعداد مشروع الكتروني متكامل، ومنظومة معلوماتية باللغة العربية تعنى بترجمة السنة النبوية والسيرة باللغات الحية.

٣ -الدعوة إلى إنشاء وحدات لترجمة السنة والسيرة النبوية ضمن مراكز خدمة السنة والسيرة في العالم.

٤ تدعو الندوة إلى تكليف الخبراء في مجال اللغات والترجمة للقيام بالدراسات الميدانية التي تبحث في وضع آلية لحل معوقات الترجمة، وسبل تطويرها.

٥ إنشاء وحدة مخصصة لترجمة المصطلحات الإسلامية وتقييم المترجم منها وتوحيدها، ووضع معجم إسلامي للمصطلحات الشرعية المتعلقة بالسنة والسيرة النبوية، ومن ثم ترجمته للغات المختلفة.

٦ السعي إلى ترجمة مصادر السنة الصحيحة إلى اللغات الأخر.

٧ الدعوة إلى إنشاء كرسي علمي لترجمة السنة ، ويعنى بالدراسات الخاصة بترجمة السنة ومعوقاتها، ووسائل تطويرها.

٨ إصدار مجلات علمية تعنى بشؤون ترجمة السنة النبوية، لإبراز التجارب والجهود المختلفة في شتى أنحاء العالم.

٩ تنظيم دورات تدريبية في الترجمة الصحيحة، تخصص للمعنيين بهذا الحقل ، يقوم بها المتخصصون باللغات والترجمة.

١٠ -تدعو الندوة الجهود المؤسسية والفردية التي بذلت في ترجمة السنة إلى مواصلة الجهد وإشراك المختصين في ذلك.

١١ -حث وسائل الإعلام على ترجمة نصوص البرامج المتخصصة في السنة والسيرة.

١٢ -تشجيع العلماء والباحثين والأكاديميين في الجامعات ومراكز البحوث على إنجاز بحوث ميدانية وتطبيقية تتعلق بترجمة السنة والسيرة، وربطها بالنشاط العلمي لأعضاء هيئة التدريس والباحثين.

١٣ -التأكيد على عقد المؤتمرات المتخصصة والمشاركة في معارض الكتب العالمية بأجنحة خاصة بالسنة في نشر الإسلام وإظهار حقيقتة ، وماتضمنه من السلام لشعوب الأرض كلها.

١٤ -الدعوة إلى إنشاء ودعم مركز مختص برصد جميع الشبهات المثارة حول النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته للرد عليها.

١٥ -دعم مراكز السنة النبوية مادياً ومعنوياً وتطويرها لاستمرارها في أداء رسالتها، بما يتناسب مع عالمية الرسالة المحمدية.

١٦ -دعم الجاليات الإسلامية في العالم بالكتيبات والرسائل المترجمة لنشرها، والتواصل مع المراكز لتحقيق هذا الهدف(١).

(١) انظر موقع الجمعية على الشبكة العنكبوتية .

المبحث الثالث: آلية إنشاء مراكز متخصصة لترجمة السنة النبوية.

إن من الدواعي لإنشاء هذه المراكز أمرين:

١. حاجة العالم الإسلامي لمعرفة سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم معرفة صحيحة سليمة من كل خطأ وضلال كل بحسب لغته ليسهل عليهم فهمها والعمل بها، بل وغير المسلمين؛ لتعريفهم بالإسلام وسماحته ويسره.

٢. معالجة واقع الترجمة، وهذا لا يقل أهمية عن سابقه؛ فقد انتشر في الكتب المترجِمة للسنة كثير من الانحرافات العقدية فضلا عن الأخطاء العلمية وغيرها؛ وقد طرح مجموعة من الباحثين في بحوثهم التي قدموها لندوة ترجمة السنة والسيرة النبوية المقامة في السعودية في جامعة الإمام عدداً من الكتب المترجمة وفصلوا ما وقع فيها من انحرافات عقدية وأخطاء علمية وغيرهما.

٣. دراسة تقويمية لواقع الترجمة المعاصرة للسنة من خلال دراسة كتاب ترجمة "الأدب المفرد"، إعداد: يُمْن بنت رضا كيوان، فقد ذكرت خمس نماذج من الأخطاء ومثلت لذلك بأمثلة، وأجادت وأفادت[(١)].

٤. دراسة وتقويم كتاب رحمت الباري ترجمة مختصر صحيح البخاري وفيض الباري شرح مختصر صحيح البخاري، كلاهما باللغة الفارسية للدكتور عبدالرحيم فيروز الهروي، مقدم البحث: د. عبدالغفور عبدالحق البلوشي.

هذه أمثلة وغيرها كثير، وفي هذه الندوة قدم عدد من البحوث حول مناقشة واقع ما ترجم من كتب السنة وما عليها من ملاحظات، وقد وتقدم في توصيات ندوة ترجمة السنة والسيرة النبوية في المبحث السابق التأكيد على إنشاء مراكز متخصصة لترجمة السنة، وكذلك أكد عليه عدد من الباحثين في توصياتهم عند طرحهم لبحوثهم.

لذا أشير إلى بعض المقترحات في الآلية المساعدة لتحقيق هذا الهدف، وفي نظري أهم آلية لذلك قبل ذكر هذه المقترحات، وهي:

١. إقامة ندوة أو تشكيل لجان منطلقة من هذا المؤتمر لمتابعة تفعيل إنشاء مركز أو مراكز متعددة لذلك.

٢. ضرورة إنشاء مواقع محددة مدعومة بميزانيات عالية سواء كانت حكومية أو أهلية؛ ولو تبنته بعض الجامعات، أو بعض الأفراد المهتمين عن طريق تحفيز بعض التجار المسارعين إلى البذل والعطاء وحب الخير ونشره.

٣. توفير الأجهزة والآلات التي تساعد على الترجمة، ومن المعلوم تطور علم التقنية الحديثة وما وصل إليه من تقدم في خدمة هذا الفن حتى صارت الأجهزة تقوم مقام الأشخاص في كثير من الأعمال، وتتنافس الشركات الصانعة والمبتكرة في تطوير هذه الأجهزة، ومن الممكن تقديم أي فكره إلى بعض المصانع وتطبيقها.

٤. دعوة أهل الخير والمحسنين لإقامة أوقاف استثمارية تخصص لهذا العمل الجليل.

٥. الاهتمام باختيار المترجمين المتميزين في الدقة والإتقان وسلامة المعتقد للحصول على ترجمة سليمة.

---

(١) انظر هذا البحث في موقع الجمعية العلمية السعودية للسنة على الشبكة العنكبوتية .

٦. عقد دورات مركزة في فن وقواعد الترجمة مع المتخصصين وذوي الخبرة.

٧. ضرورة كون المترجم متقن للغتين العربية والمترجم إليها، وعلم باللغة كالنحو والصرف، فيعرف الكلمة ومشتقاتها.

٨. أن يكون هناك لجنة لتصحيح النصوص المترجمة، ويفضل أن يكون عمل الترجمة عملاً جماعياً.

٩. توفير المراجع الأصلية المتخصصة لكلا اللغتين، وأن يكون المترجم له رغبة قوية.

١٠. إنشاء موقع اكتروني يستقبل أسئلة العالم حول السنة النبوية باللغات جميعها.

١١. توفير جميع الوسائل المساعدة لتحقيق هذا الهدف، وإيجاد هيئة خاصة لمراقبة هذا المشروع والعناية به.

١٢. ضرورة مراجعة الكتب المترجمة ممن يجيد اللغة المترجم إليها والأفضل أن يكونوا من أهلها.

١٣. الاهتمام والعناية بالبدء بالأحاديث والقصص الصحيحة، وعند تعدد اللغات يركز على اللغة السهلة والفصيحة.

١٤. أخيراً يفضل أن يكون المركز مستقلاً بنفسه فهو أقوى في انطلاقه، أو تحت إشراف إحدى الجامعات فقط.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث الموجز أذكر بعض النتائج ، وأهم التوصيات: فمن النتائج ما يأتي:

١. فرضية ترجمة السنة النبوية إلى اللغات الأخرى؛ لعموم الرسالة المحمدية وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب.

٢. إن نصوص السنة النبوية تنقسم إلى قسمين منها ميمكن ترجمته ومنها ما لا يمكن ترجمته وهو المتعبد لله بلفظه.

٣. ليس كل مدع للترجمة أهل لها حتى تتوافر فيه شروطها.

٤. خطورة التساهل في ترجمة السنة وما يقد يحدث بسببه من جهل وضلال.

٥. تميز الدولة السعودية في خدمة ترجمة السنة النبوية والعناية بذلك في جوانب متعددة.

وأما أهم التوصيات فهي:

١- من الضرورة بمكان إيجاد مراكز متخصصة للترجمة وإعداد المترجمين المؤهلين؛ فإن من أهم ما ينبغي العناية به في سبيل الحصول على ترجمة صحيحة للكتب الشرعية عموماً وجود مراكز متخصصة في الترجمة، يكون من مهمتها ترجمة ما يحتاج إليه من كتب، وإعداد المترجمين العاملين في مكاتب الدعوة وغيرها، وتنمية قدراتهم للقيام بهذه الوظيفة على الوجه المطلوب.

٢- لا بد من وجود تواصل مستمر بين مراكز البحث العلمية وأقسام السنة في الجامعات وبين الجهات التي تعنى بذلك كمكاتب الدعوة في الداخل والخارج، لمعرفة المناسب من الكتب فإن هذا مما يخفف العبء في البحث عن الترجمة المطلوبة ويقضي على تكرار الجهود.

٣- حث التجار على إنشاء أوقاف خاصة؛ يخصص ريعها للترجمة ويدعى للتبرع لها الموسرون مع القيام بحملة إعلامية لتبيين أهمية الترجمة في إيصال الإسلام إلى غالب سكان الأرض؛ حقاً أخوياً واجباً.

٤- تشجيع البحوث والدراسات التي تعنى بشأن الترجمة وجمع المعلومات حول المستفيدين، والمعلومات المهمة في هذا المجال.

٣ -العمل الجاد على مراجعة تراجم كتب السنة النبوية؛ سواء بجهود فردية أو جهات علمية.

٤ - تفعيل استخدام برامج الحاسب الآلي والإنترنت ووسائل التقنية الإلكترونية المختلفة في مجالات الترجمة والنشر.

٥ -ترشيح لجنة منطلقة من هذا المؤتمر ممن يعنى بهذه المهمة تتولى متابعة ما يوصى به في هذا المؤتمر من تطوير ترجمة السنة النبوية.

فهرس المصادر والمراجع

١ -أحكام الترجمة في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه، للدكتور محمد واصل، نسخة المناقشة قبل الطباعة.

٢ -الأحكام في أصول الأحكام، للآمدي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣ -اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية،

٤ -ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل بين الإفراد والتكرير والتركيب، للدكتور أحمد معبد عبدالكريم.

٥ -البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني، تحقيق: د.عبدالعظيم محمود. ط/دار الوفاء، ط/الرابعة ١٤١٨هـ.

٦ -الترجمة الآلية، للدكتور محمد إسماعيل صيني، منشور في مجلة الفيصل العدد: (٢٣٩)، ١٤١٧هـ.

٧ -تفسيره الطبري "جامع البيان عن تأويل القرآن"، ط/مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط/الثانية ١٣٧٣هـ.

٨ -تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر، تحقيق محمد عوامة، ط/دار الرشد، سوريا، ط/الأولى، ١٤٠٦هـ.

٩ -الجامع لأخلاق الراوي، للخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، ط/ مكتبة المعرف، الرياض.

١٠ -جهود وزارة الشؤون الإسلامية في ترجمة السنة والسيرة النبوية (المكاتب التعاونية لتوعية الجاليات أنموذجاً)

١١ -دور طلاب المنح في ترجمة السنة والسيرة النبوية، د. أميرة بنت علي الصاعدي،

١٢ -روضة الناظر في أصول الفقه، لابن قدامة المقدسي، تحقيق عبدالعزيز السعيد، ط/جامعة الإمام بالرياض ١٣٩٩هـ.

١٣ -السلسلة الصحيحة للمحدث الألباني، ط/ المكتب الإسلامي، ط/ الأولى، ١٣٩٩هـ.

١٤ -سنن أبي داود، تحقيق عزت عبيد، ط/ دار الفكر، بيروت، نشر/ محمد السيد، ط/الأولى، ١٣٨٨هـ.

١٥ -سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، ط/ مصطفى البابي الحلبي مصر، ط/الثانية ١٣٩٨هـ.

١٦ -سنن ابن ماجه، محمد فؤاد عبد الباقي،ط/ مصطفى البابي الحلبي مصر، ط/الثانية ١٣٧٣هـ.

١٧ -سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، ط/ دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٨ -السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: الدكتور محمد فهمي، ط/ دار التوفيقية بالأزهر.

١٩ -شرح صحيح مسلم للنووي، ط/ المطبعة المصرية ومكتبتها.

٢٠ -شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي، تحقيق نور الدين عتر، ط/ دار الملاح، ط/ الأولى، ١٣٩٨هـ.

٢١ -الصحاح في اللغة للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط/ دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٧٧هـ.

٢٢ -صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى البغا، ط/ دار ابن كثير، ١٩٨٧م.

٢٣ -صحيح مسلم، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء الكتب العربية . ط/ الأولى ١٣٧٤هـ.

٢٤ -صحيح أبي داود للألباني، اختصر أسانيده زهير الشاويش، ط/ مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط/١٤٠٩هـ.

٢٥ -صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط/مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.

٢٦ -عون المعبود لشمس الحق أبادي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الثانية، ١٤١٥هـ.

٢٧ -فتح الباري لابن حجر ، ترقيم: عبد الباقي وتصحيح ابن باز ومحب الدين الخطيب، ط/المطبعة السلفية.

٢٨ -مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ط/ دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ.
٢٩ -مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، ط/ مكتبة لبنان، ١٤١٥هـ.
٣٠ -مرقاة المفاتيح للقاري شرح مشكاة المصابيح لعلي القارئ، ط/ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٣١ -المستدرك على الصحيحين للحاكم، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٢ -مسند الإمام أحمد، تحقيق: التركي، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ الثانية، ١٤٢٠هـ.
٣٣ -المسودة في أصول الفقه، لعبد السلام بن تيمية، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ط/ دار المدني، القاهرة.
٣٤ -معالم السنن للخطابي بهامش مختصر السنن للمنذري، تحقيق: الفقي، ط/المكتبة الأثرية باكستان، ١٣٩٩هـ.
٣٥ -معجم البلدان لياقوت الحموي، ط/ دار الفكر، بيروت.
٣٦ -المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس وآخرون، ط/ الثانية.
٣٧ -مفتاح دار السعادة لابن القيم، ط/ دار الفكر للطباعة والنشر.
٣٨ -منهاج السنّة لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق محمد سالم، ط/ جامعة الإمام الرياض، ط/ الأولى ١٤٠٦هـ.
٣٩ -ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى ١٩٩٥م.
٤٠ – النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي، ط/ المكتبة الإسلامية، بيروت.

إسهام الشيخ ناصر الدين الألباني
في خدمة سنة خير الأنام

د. خريبش عبد القادر

جامعة البليدة

الجزائر

kheribecheaek@gmail.com

تمهيد

إن السنة النبوية المشرفة نبراس ساطع في سماء العلم، يضيء الطريق لكل باحث ودارس؛ وهي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم وهي المفصلة والشارحة والمبينة له، وفي السنة الكثير الذي يستحق من طلبة العلم الجهد والبحث والتنقيب.

فالسنة من أشرف العلوم وأغناها وعلى كل طالب علم ألا يتوانى في كل ما من شأن أن ينشر هذا العلم ويقدمها للناس بأيسر أسلوب وعليه أيضا ألا يتوانى في الدفاع عن السنة وتمييز صحيحها من مكذوبها، بكل الطرق العلمية المنتهجة فذلك من علامة الحب لصاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقد بذل كثير من العلماء جهودا مضنية في خدمة السنة والدفاع عنها بكل ما أوتوا من علم وفقه وفطنة وسطروا أسمائهم، بيضاء ناصعة على صفحات التاريخ الإسلامي الزاخر بالعلم والمعرفة؛ فبارك الله في جهودهم وجعلها في ميزان حسناتهم.

وبيان جهود الشيخ الألباني في علم الحديث رواية والتي تمثلت في المطالب الآتية لهذا البحث:

المطلب الأول: جهوده في تصحيح الحديث.

المطلب الثاني: جهود الشيخ الألباني في الحديث الحسن.

المطلب الثالث: جهود الشيخ الألباني في الحديث الضعيف.

المطلب الرابع: خبر الآحاد وموقف الألباني منه.

المطلب الخامس: موقف الألباني من الاحتجاج بالمرسل والمعضل والمعلق والمدلس.

المطلب السادس: القواعد الحقة للتفقه في السنة.

المطلب الأول

جهوده في تصحيح الحديث

تبين الأمر بجلاء عن توافق منهج الشيخ الألباني في تعريف الحديث الصحيح، وتقسيمه مع منهج جمهور المحدثين في الجملة، وإن كان قد خالفهم في بعض الجزئيات التي لا تؤثر في المنهج العام، إذ أن منهج الشيخ الألباني في التصحيح هو: منهج المحدثين من عدم الاكتفاء بالنظر إلى ظاهر السند دون البحث عن علته، وأما موقف الشيخ الألباني من قواعد تصحيح الحديث فهي كالتالي:

- تصحيحه للحديث بتلقي العلماء بالقبول للحديث، ولكن بقيد إجماع علماء الحديث على ذلك.
- موافقة القرآن للحديث تعتبر شاهداً لا معياراً في التصحيح.
- عمل العالم وفتواه على وفق الحديث ليس دليلاً على صحة الحديث لا يأخذ بالكشف الصوفي، والمنامات، والذوق في تصحيح الحديث.
- مطابقة الواقع للحديث لا يستلزم صحته.
- لا يُصحح الحديث بالتجربة.
- شهرة الحديث ليست معياراً في تصحيح الحديث .

- لا يُصحح الحديث لوروده في كتاب مبوب.
- قولهم في الحديث "رجاله ثقات" أو "رجاله رجال الصحيح" لا يستلزم تصحيح الحديث.

المطلب الثاني

جهود الشيخ الألباني في الحديث الحسن

أولاً: موقف الألباني من الحديث الحسن بنوعيه

لقد صور الشيخ الألباني مسالة الحديث الحسن وما يتعلق بها من فروع فقال: الحديث الحسن لغيره، وكدا الحسن لذاته من أدق علوم الحديث وأصعبها لأن مدارهما على من اختلف فيه العلماء من رواته، ما بين موثق ومضعف، فلا يتمكن من التوفيق بينهما، أو ترجيح قول على الأقوال الأخرى، إلا من كان على علم بأصول الحديث وقواعده، ومعرفة قوية بعلم الجرح والتعديل، ومارس دلك عمليًا مدة طويلة من عمره مستفيداً من كتب التخريجات ونقد الأئمة النقاد عارفًا بالمتشددين منهم والمتساهلين، ومن هم وسط بينهم، حتى لا يقع في الإفراط والتفريط، وهدا أمر صعب قل من يصير له وينال ثمرته، فلا جرم أن صار هدا العلم غريبًا من العلماء، والله يختص ولهذا الخصوص لمسألة الحديث الحسن فغن لألباني آراء خاصة في بعض فروعها، وفيما يلي بيان ذلك.

ثانياً: تعريف الحديث الحسن عند الألباني: رغم أن منهج الألباني الصريح هو عدم التقليد والذي نص عليه بقوله إني لا أقلد أحدا في منهجي العلمي، فإنه في تعريف الحديث الحسن، يؤكد على الأخذ بقواعد المحدثين دون تقليد إذا كانت هذه القواعد مبنية على المنهج العلمي.

فقد سئل عن أول من أطلق الحسن بالمعنى الاصطلاحي؟، فقال: إن هذه المسالة تاريخية لا فائدة من ورائها، فان علماء الحديث إذا اجمعوا على اصطلاح معين، وتبعهم من بعدهم عليه يكون هذا الاصطلاح ملزماً، وإن لم يقل به من قبلهم[1]، ولما كان الحديث الحسن ينقسم إلى قسمين:

- حسن لذاته.
- حسن لغيره.

وفيما يلي أذكر تعريف كليهما عند السيخ الألباني من خلال تتبعي لمنهجه التطبيقي:

أ. **الحديث الحسن لذاته:** وافق الشيخ الألباني بعض أئمة الحديث في تعريفهم للحديث الحسن: فقد وافق ابن صلاح على تعريفه للحديث الحسن[2] لذاته و ذلك من خلال تقريره للتعريف الذي أورده ابن صلاح في "مقدمته".

وأقر كلام الحافظ ابن حجر في "**نخبة الفكر**" على تعريفه للحسن لذاته، بل صرّح على صحة هذا التعريف بقوله : "هذا التعريف على إيجازه اصح ما قيل في الحديث الحسن لذاته، و هو الذي توفرت فيه جميع شروط الحديث الصحيح المتقدمة، إلا أنه خف ضبط أحد رواته"[3].

---

[1] القول الحسن، لأحمد بن أبي لعنينين، ص ٣٤-٣٥.

[2] الباعث الحثيث، ١٣٤/١.

[3] نزهة النظر، بتعليق الألباني، ص٩١.

وبناء على ما سبق ذكره يتبين من كلام الألباني أن الحديث الحسن لذاته هو نفس تعريف الحديث الصحيح، الجامع للخمسة الشروط المتقدمة وهي:

- اتصال السند.
- عدالة الراوي.
- ضبط الراوي وحفظه.
- عدم الشذوذ.
- عدم وجود العلة.

إلا أن الحسن لذاته في الشرط الثالث و هو : ضبط الراوي مخالف للحديث الصحيح بكون الراوي في الحديث الحسن لذاته **"خفيف الضبط "** بدلا من أن يكون تام الضبط و أما تعريف الشيخ الألباني للحديث "الحسن لذاته " من خلال تطبيقه العملي في تحقيق الأحاديث، فقد سار على هذا المنهج في الحكم على الحديث بدرجة "الحسن لذاته " إذا كان الحديث يستحق هذه الدرجة.

ب. **الحديث "الحسن لغيره"**: المستقرئ لتعريفات الشيخ الألباني على كتب المصطلح، يجد أن الألباني موافق لعلماء الحديث في تعريفهم للحديث الحسن لغيره، فقد عّلق على الحافظ ابن حجر في كلامه على الحسن لغيره بقوله : و قد اضطربوا فيه اضطراباً شديداً كما يتبين من الرجوع إلى **"الباعث الحثيث "** وغيره، وأنت إذ حفظت هذا سهل عليك التوفيق بين من يقول في حديث ما: إسناده حسن. و من يقول فيه : فيه ضعف.

فهو حسن باعتبار أنه فوق الضعيف، و هو فيه ضعف باعتبار النظر إلى أنه دون الصحيح؛ ولذا قال الحافظ الذهبي في رسالته **الموقظة**[1]: الحسن ما ارتقى عن درجة الضعف و لم يبلغ درجة الصحة.

وعليه يتبين أنّ الضعف نوعان:

الأول: يجعل الحديث حسنا دون الصحيح و لكن يحتج به.

والآخر: يجعل الحديث ضعيفا لا يحتج به.

وإذا عرفت ذلك، فاعلم أنّ تمييز أحد النوعين عن الآخر هو من أدق علوم الحديث وأصعبها، وذلك لصعوبة تحديد نوع ضعف الراوي، و هل هو يسير فيكون حديثه حسنا؟ أو كثير فيكون حديثه ضعيفا؟**!**

فلا جرم أن تختلف فيه الآراء – آراء العلماء -، بل رأي العالم الواحد، ولهذا قال الحافظ الذهبي في رسالته المذكور ة: ثم لا تطمع بأن للحسن قاعدة تندرج تحتها كل الأحاديث الحسان فيها، فانا على إياس من ذلك، فكم من حديث تردد فيه الحافظ هل هو حسن أو ضعيف أو صحيح؟ بل الحافظ الواحد يتغير اجتهاده في الحديث الواحد يوما يصفه بالضعف، ويوما يصفه بالصحة، ويوما يصفه بالحسن، وربما استضعفه وهذا حق فان الحديث الحسن يستضعفه الحافظ عن أن يرقيه إلى رتبة الصحيح، فبهذا الاعتبار فيه ضعف ما، إذ الحسن لا ينفك عن

[1] ص١٣.

ضعف ما، ولو انفك عن ذلك لصح بالاتفاق، فأحفظ هذا النص من هذا الإمام الفريد فإنه نفيس عزيز لا تجده في غيره[1].

وقد قال في بعض أجوبته: " قد ينقدح في نفس الباحث أحيانا تحسين حديث، وقد ينقدح في نفسه أحيانا تضعيف هذا الحديث، وان مما ينبغي ذكره أن الحديث الحسن لغيره، وكذا الحسن لذاته، من أدق علوم الحديث وأصعبها،لان مدارهما على من اختلف فيه العلماء من رواته ما بين موثق ومضعف، فلا يتمكن من التوفيق بينهما، أو ترجيح قول على الأقوال الأخرى، إلا من كان على علم بأصول الحديث وقواعده ومعرفة قوية بعلم الجرح والتعديل، ومارس ذلك عملياً مدة طويلة من عمره، مستفيدا من كتب التخريجات، ونقد النقاد عارفاً بالمتشددين والمتساهلين، ومن هم وسط بينهم، حتى لا يقع في الإفراط والتفريط، وهذا أمر صعب قل من يصبر له، وينال ثمرته، فلا جرم أن صار هذا العلم غريباً بين العلماء، والله يختص برحمته من يشاء[2]".

فالشيخ الألباني يقر كلا م الإمام الذهبي في دقة معرفة الحديث الحسن لغيره، وأنه من أدق علوم الحديث، لاختلاف العلماء واضطرابهم في رواته. أما الحسن لذاته فقد تقدم أنه كالصحيح إلا في مسالة **" ضبط الراوي "** فهو خفيف الضبط فلا يحتاج إلى صعوبة في التعريف.

ومع هذا كله فالشيخ الألباني وافق ا لمحدثين في تعرفهم للحسن لغيره، نظرياً أنه " الحديث الضعيف الذي لم يشتد ضعفه.

ثالثاً: أقسام الحديث الحسن عند الألباني:

بناءً على ما سبق يتبين أن تعريف الشيخ الألباني للحديث الحسن مبني على تقسيم هذا الحديث إلى قسمين هما: الحسن لذاته، و الحسن لغيره. و هذا يدل ضمنا أن الشيخ الألباني يرى أن الحديث الحسن ينقسم إلى قسمين و من خلال كلام الشيخ الألباني في هذا المطلب نجد أنه يصرح بتقسيم الحديث الحسن إلى قسمين:

قائلاً: "أن مسألة الحديث الحسن سواء لذاته، أو لغيره هي حقيقة لا مراء فيها، ولا جدال[3]".

و يقول أيضاً في رده على بعض المخالفين: "أنه لا يتبنى حقيقة ما عليه العلماء في علم المصطلح، من تقسيم الحديث الثابت إلى قسمين : صحيح، و حسن أي : لذاته، ثم تقسيمهما إلى صحيح و حسن لغيره[4]".

وتبين أن الشيخ الألباني يميز في تحقيقاته، في وضع الأحكام المناسبة للأحاديث فلا يرتقي الحديث الحسن إلى الصحيح إلا بشروطه.

فعلم من هذا أن الشيخ الألباني يقسم الحديث الحسن إلى قسمين: حسن لذاته وحسن لغيره؛ وهو كذلك في تحقيقاته العلمية فيحكم على الأحاديث بما تستحقه من المنزلة والمرتبة من الصحة والضعف.

---

[1] نزهة النظر لابن حجر، (٩١-٩٢).

[2] الدور في مسائل المصطلح والأثر، جمع الجيلاني، ص ٢٧.

[3] القول الحسن في كشف شبهات حول الاحتجاج بالحديث الحسن، لأحمد بن أبي لعينين، ص ١٦٥.

[4] النصيحة للألباني، ص ١١.

وفي رد الشيخ الألباني على طائفة معاصرة، ممن اشتغلت بعلم الحديث، وهي لا ترى العمل بالحديث الحسن، فقال منكرا عليهم، وموضحا لهم تقسيمات الحديث الحسن، ومنهج المحدثين في ذلك:

من المعلوم في علم الحديث، وعلم أصول الفقه أيضاً، أن الحديث: صحيح، أو حسن، أو ضعيف، ثم هناك تقسيمات أخرى لسنا الآن في صددها، فلو أن إنساناً ما من هؤلاء الشباب المحدثين اليوم المغرورين بعلمهم –والصحيح بجهلهم - لو قالوا: ما عندنا إلا صحيح، أو ضعيف، لا يوجد حديث وسط –حديث حسن - وبخاصة إذا ما قسمنا الحسن كالصحيح الحسن لذاته، وحسن لغيره هذه التقسيمات يريدون أن يزعموا أن لا نعترف بها تشملهم الآية السابقة شاققوا وخالفوا سبيل المؤمنين، فشاققوا الله ورسوله في ذلك - هذا من الجهة الشرعية. ومن الجهة الواقعة لا سبيل –أبدا- لمخالفة هؤلاء العلماء، لأن أي علم يمضي عليه القرون، والعلماء يتتابعون في البحث فيه، لا شك أنه يأخذ قوة، ويأخذ دعما من المتأخر دعما للمتقدم[1].

ففي هذا الكلام تصريح واضح، من الشيخ الألباني في منهجه في تقسيم الحديث الحسن إلى قسمين: " حسن لذاته، وحسن لغيره، وانه موافق لمنهج المحدثين في ذلك إلا أن كلامه في مقدمة" صحيح الترغيب والترهيب تفيد أنه أتى له شاهد.

ومن ثم يمكن القول أن الشيخ رحمه الله قد تمثلت أقواله في الآتي:

– وافق جمهور المحدثين في تعريف الحديث الحسن بقسميه "الحسن لذاته ولغيره".

– وافق المحدثين على تقسيم الحديث الحسن إلى قسمين، وإن كان قد زاد قسماً ثالثاً وهو "الحسن الصحيح"، وعرَّفه بأنه "الحديث الحسن لذاته إذا اعتضد بشاهد آخر" وأكد عليه حيث عرَّف اصطلاحه، وهو في المآل ليس مخالفاً للجمهور في ذلك إذ أن كل حسن لذاته إذا اعتضد بشاهد فيرتقي إلى أن يكون صحيحاً لغيره، وهو بين الحسن والصحيح في القوة.

وأما موقف الشيخ الألباني من قواعد تحسين الحديث فهي كالآتي :

– تحسينه للحديث بكثرة الطرق، بشرط أن لا يشتد ضعفها .

– تقوية الحديث الموصول بالمرسل إذا اختلف مخرج الحديث .

– الاستشهاد بالحديث المنقطع، وبحديث مجهول العين إذا احتف بالقرائن .

– تحسين الحديث بشهادة القرآن الكريم .

المطلب الثالث

جهود الشيخ الألباني في الحديث الضعيف

فيتمثل في الآتي:

– فمنهج الشيخ الألباني في تضعيف علة الحديث لعلة السند موافق للجمهور إلى حد كبير من الجهة النظرية، وأما من الجهة التطبيقية العلمية لقواعد المصطلح على تضعيف الحديث لعلة السند، فقد خالف المحدثين في بعض الأحكام على بعض الأحاديث، ويرجع هذا الاختلاف إلى أمور اجتهادية منها :

---

[1] الدور في مسائل المصطلح والأثر، ص٩٦.

– الاختلاف في توثيق الراوي وتضعيفه .

– الاطلاع على طرق للحديث، أو شواهد أخرى لم يطلع عليها الآخر .

– الأخذ ببعض القواعد في تصحيح الأحاديث، أو في تضعيفها بين التساهل، والتشديد .

وأما منهج الشيخ الألباني في تضعيف الحديث لعلة المتن فتتمثل في الآتي :

– وافق جمهور المحدثين في اعتبار النظر إلى ضعف الحديث لنكارة متنه دون الاكتفاء بظاهر صحة السند فقط .

وأما في الجمل الكلية لهذه القاعدة، فقد وافق الشيخ الألباني المحدثين في معظمها، وتفرد بأخذه بقاعدة تضعيف متن الحديث لعلة عدم عمل السلف به، وله مبررات في الأخذ بها إلا أن الصواب أنها غير معتبرة في ذلك .

الحديث الضعيف اصطلاحًا: هو كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح، ولا صفات الحديث الحسن، فهو الحديث الضعيف[1]؛ ويتنوع الضعيف بالنظر إلى القسمة العقلية والنظرية، إلى أنواع عدة، فقد بلغت ثلاث مائة وواحد وثلاثين نوعاً[2]، والمحاولات لم تتوقف فقد أوصلها الشيخ السماحي إلى خمس مائة وعشرة مع إمكان الزيادة ، إذا اعتبرنا تفاصيل الشروط وفروعها.

أولاً: مذاهب العلماء في الحديث الضعيف:

طالما أن أسباب الضعف كبيرة ومتباينة والعلماء فيها مختلفون، فإنه تبعاً لهذه القاعدة اختلفوا في قبول الحديث الضعيف ورده، وعلى اعتبار أن الضعيف أنواع، أمكن أن نقول، إن الضعيف الذي لا يزول ضعفه، وهو ما عدمت فيه جميع صفات القبول فإنه لا خلاف في رده وعدم قبوله، وأما الضعيف الذي لا يصل إلى هذه الدرجة، وهو المحتمل الذي يزول ضعفه بمجيئه من طريق آخر يتقوى به، فإن الأمر فيه على ما بينه العلماء وحاصل هذه المذاهب:

أولاً: يعمل بالحديث الضعيف مطلقًا، أي في الحلال والحرام والفرض والواجب بشرط أن لا يوجد غيره، ذهب إلى ذلك بعض الأئمة كالإمام أحمد وأبي داود وغيرهم، وهذا محمول على ضعيف غير شديد الضعف، لأن ما كان ضعفه شديد فهو متروك.

الثاني: يستحب العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال من المستحبات والمكروهات، وهو مذهب جماهير العلماء من محدثين وفقهاء وغيرهم .

الثالث: لا يجوز العمل بالحديث الضعيف مطلقاً لا في فضائل الأعمال ولا في الحلال والحرام، نسب ذلك للقاضي أبي بكر بن العربي، وقال به الشهاب الخفاجي، والجلال الدواني، ومال إليه بعض العصريين من الكتاب.

ثانياً: موقف الألباني منه: يرى الشيخ الألباني أنه لا يعمل بالحديث الضعيف مطلقًا، لا في الأحكام ، ولا في فضائل الأعمال، ثم نقل عن القاسمي في قواعد التحديث قوله: حكاه ابن سيد الناس في عيون الأثر عن يحي بن

---

[1] علوم الحديث الحاكم، ص٤١، اختصار علوم الحديث ابن كثير، ص٣٢٢.

[2] الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص٢٧٦.

معين ونسبه لابن العربي، وهو مذهب البخاري ومسلم، وهو مذهب ابن حزم الظاهري، ثم قال: وهذا هو الحق الذي لا شك فيه عندي لأمور:

الأول: أن الحديث الضعيف إنما يفيد الظن المرجوح ولا يجوز العمل به اتفاقًا، فمن أخرج من ذلك العمل بالحديث الضعيف في الفضائل، لابد أن يأتي بالدليل، وهيهات ؟.

الثاني: أنني أفهم من قولهم:

في فضائل الأعمال: أي الأعمال التي ثبتت مشروعيتها بما تقوم به الحجة شرعًا، ويكون معه حديث ضعيف يسمى أجرًا خاصًا للمن عمل به، ففي مثل هذا يعمل به في فضائل الأعمال، لأنه ليس فيه تشريع ذلك العمل به، وإنما فيه بيان فضل خاص يرجى أن يناله العامل به وعلى هذا المعنى حمل القول المذكور بعض العلماء كالشيخ علي القارئ رحمه الله، وعلى هذا فالعمل به جائز إن ثبت مشروعية العمل الذي فيه بغيره مما تقوم به الحجة، ولكني أع تقد أن جمهور القائلين بهذا القول لا يريدون منه هذا المعنى مع وضوحه، لأننا نراهم يعملون بأحاديث ضعيفة لم يثبت ما تضمنته من العمل في غيره من الأحاديث الثابتة، مثل استحباب النووي، وتبعه المؤلف سيد سابق إجابة المقيم في كلمتي الإقامة بقوله: أقامها الله وأدامها، مع أن الحديث الوارد في ذلك ضعيف ، ومع ذلك فقد استحبوا ذلك مع أن الاستحباب حكم من الأحكام الخمسة التي لا بد لإثباتها من دليل تقوم به الحجة، وكم هناك من أمور عديدة شرعوها للناس واستحبوها لهم، إنما شرعوها بأحاديث ضعيفة لا أصل لما تضمنته من العمل في السنة الصحيحة، ولا يتسع المقام لضرب الأمثلة على أن المهم هنا أن يعلم المخالفون أن العمل بالحديث الضعيف في الفضائل ليس على إطلاقه عند القائلين[1].

وقد حدد الألباني شروطًا ثلاث لجواز العمل بالحديث الضعيف، هي:

- أن لا يكون موضوعاً.
- أن يعرف العامل به كونه ضعيفاً.
- أن لا يشهر العمل به.

المطلب الرابع

خبر الآحاد وموقف الألباني منه

الحديث خبر الآحاد هو ما يرويه شخص واحد، واصطلاحاً هو ما لم يجمع شروط التواتر[2].

ثانياً: حكم الآحاد من حيث القبول والرد عند الألباني:

أ. موقف الألباني منه:

يقول الألباني: إن القائلين بأن حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة، يقولون في الوقت نفسه بأن الأحكام الشرعية تثبت بحديث الآحاد وهم بهذا فرقوا بين العقائد والأحكام فهل تجدوا هذا التفريق في النصوص المتقدمة من الكتاب والسنة كلا وأ لف كلا، بل هي بعمومها وإطلاقاتها تشمل العقائد أيضًا، وتوجب اتباعه صلى الله عليه

[1] تمام المنة في التعليق على فقه السنة، ص٣٤، ٣٦.

[2] نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ص٢٦.

وسلم فيها لأنها بلا شك مما يشمله قوله أمرًا في الآية: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله امرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم"(الأحزاب، الآية ٣٦)، وهكذا أمره تعالى بإطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم والنهي عن عصيانه، والتحذير من مخالفته؛ فأنت لو سألت هؤلاء القائلين بوجوب الأخذ بحديث الآحاد في الأحكام عن الدليل عليه لاحتجوا بهذه الآية السابقة وغيرها، فما الذي حملهم على استثناء العقيدة من وجوب الأخذ بها وهي داخلة في عموم الآيات، إن تخصيصها بالأحكام دون العقائد تخصيص بدون مخصص وذلك باطل، وما لزم منه باطل فهو باطل.

ب. **موقف الألباني من صيغ الآداء وطرق التحمل:** لم تستفض النقول عن الشيخ الألباني حول مبحث طرق التحمل حسب تتبعي ويبدو أنه يأخذ بمذهب الجمهور في كل واحدة منها، ولو كان له مذهب مغاير لما قال به الجمهور في كل واحدة منها لصرح به أو ظهر رأيه في بعض كتبه، لذلك فالذي يظهر لي أن الشيخ لم يخالف ما استقر عند جمهور المحدثين في كل نوع من الأنواع السابقة الذكر.

عدا في مسألة الوجادة، حيث وقفت على بعض النصوص له في ذلك، والتي تتلخص فيما يلي:

ذهب إلى عدها حجة على الراجح من أقوال علماء أصول الحديث، ولا قائل باشتراط اللقاء مع صاحب الكتاب، وإنما يشترط الثقة بالكتاب، وأنه غير مدخول[1]، ويمثل لها بقول سعيد بن أبي بردة بقوله هذا كتاب عمر وجادة، وهي وجادة صحيحة من أصح الوجدات وهي حجة[2]، ويقول في رواية مخرمة[3] عن أبيه: والتحقيق هي وجادة من كتابه قاله احمد بن معين وغيرهما، وقال ابن المديني، سمع من أبيه قليلاً كما في التقريب، وقد اخرج له مسلم خلافًا لما سبق عن الحاكم ن وإذا كان يروي ع ن أبيه وجادة من كتابه، فهي وجادة صحيحة وهي حجة.

والتحقيق في هذه المسألة: **أن الوجادة عند الألباني كما يستفاد من تصريحاته حجة على الراجح، وهي بمثابة السماع.**

المطلب الخامس

موقف الألباني من الاحتجاج بالمرسل والمعضل والمعلق والمدلس

أولاً: موقف الألباني من الاحتجاج بمرسل الصحابي: المرسل إما أن يكون خاصًا بالصحابي، وإما أن يكون خاصًا بالتابعي.مراسيل الصحابة عند الألباني حجة[4]؛ ومعلوم أن الشيخ الألباني رحمه الله يرى أن الصحابة كلهم عدول ، وأنه لا يحتاج إلى بحث عدالتهم .

١. موقف الألباني من مرسل التابعي: يجب أن نشير بداية أن المرسل من أقسام الحديث الضعيف[5]، ذهب الشيخ الألباني إلى أن الحديث المرسل لا يقبل، وأن السبب في ذلك هو الجهل بحال المحذوف فهو يرى أن

---

[1] إرواء الغليل، ٢٧٧/٣.

[2] إرواء الغليل، ٢٤١/٨.

[3] إرواء الغليل ٤٨/١.

[4] غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، ص١٣٣.

[5] سلسلة الأحاديث الضعيفة ٥٥/١.

اشتراط وروده من وجه آخر مسل هو أن يكون مرسله أخذ العلم من عن غير رجال التابعي الأول وكأن ذلك ليغلب على الظن أن المحذوف في أحد المرسلين هو غيره في المرسل الآخر وهذا رأي الإمام الشافعي رحمه الله، ويبدوا أن الشيخ الألباني قد وافقه عليه، لأنه قال: وهذه فائدة دقيقة لم أجدها في غير كلام الشافعي رحمه الله فحفظها ورعاها فيما يمر بك المرسلات التي يذهب البعض إلى تقويتها لمجرد مجيئها من وجهين مرسلين، دون أن يراعوا هذا الشرط المهم ثم رجح في الأخير سقوط الاستدلال بالمرسل وإن تعددت طرقه، فيقول: ومع أن التحقق من وجود هذا الشرط في كل مرسل من هذا النوع ليس بالأمر الهين فإنه لو تحققنا من وجوده فقد يرد إشكال آخر وهو أنه يحتمل أن يكون كل من الواسطين أو أكثر ضعيفًا، وعليه يحتمل أن يكون ضعفهم من النوع الأول الذي ينجبر بمثله الحديث، ويحتمل أن يكون من النوع الآخر الذي لا يقوي الحديث بكثرة طرقه، ومع ورود هذه الاحتمالات يسقط الاستدلال بالحديث المرسل وإن تعددت طرقه[١]، ثم يضيف قائلاً وهذا التحقيق مما لم أجد من سبقني إليه فإن أصبت فمن الله تعالى وله الشكر، وإن أخطأت فمن نفسي، وأستغفر الله من ذنبي، وبالجملة فالمانع من الاستدلال بالحديث المرسل الذي تعدد مرسلوه أحد الاحتمالين:

الأول: أن يكون مصدر المرسلين واحدًا،

الثاني: أن يكون جمعًا ولكنهم ضعفاء ضعفًا شديدًا.

هذا مع العلم أن الألباني قد يقبل بعض المراسيل لخصوصيتها، كمرسلات إبراهيم النخعي، فهو يرى أنه مهما خفيت الواسطة المحذوفة أو كانت مجهولة، فهذه الجهالة مغتفرة، لنهم جمع من جهة، ومن التابعين بل ومن كبارهم من جهة أخرى وهذه فائدة أخرى سبق أن ذكرتها[٢] ويقول الألباني: أن الحسن البصري نفسه قد يروي حديثًا عن صحابي دون أن يسمي من حدثه عنه ثم هو يفتي بخلافه الأمر الذي يشعرنا بأنه هو نفسه كان لا يثق بما يرسله[٣].

ثانياً: المعضل وموقف الألباني من الحديث المعضل:

١. **المعضل تعريفه اصطلاحًا:** ما رواه تابع التابعي عن النبي صلى الله عليه وسلم[٤] وعرفه الحاكم: وليس كل ما يشبه هذا بمعضل، فربما أعضل أتباع التابعين الحديث، ثم وصلاه أو أرسلاه[٥].

٢. مذاهب العلماء فيه وموقف الألباني من الحديث المعضل:

أ. **مذاهب العلماء فيه:** ذهب المحدثون إلى رد الحديث المعضل للجهل بحال الراوي المحذوف من جهة، ولفقد الاتصال من جهة أخرى، حفظًا للأحاديث وصيانة لها عن التزيد والاختلاق، قال الجزجاني: المعضل أسوأ

[١] نصب المجانيق لتسف قصة الغرانيق، ص٤١.

[٢] السلسلة الصحيحة ٣١٧/٥.

[٣] السلسلة الضعيفة رقم ٣٤١.

[٤] الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٥٨.

[٥] معرفة علوم الحديث ص٣٦.

حالاً من المنقطع، وهو أسوأ حالاً من المرسل ولا تقوم به الحجة[1]، وكذلك رده الفقهاء على اعتبار أنه شبيه بالمرسل، لأن كل قطع عندهم يسمى مرسلاً.

ب. **موقف الألباني منه:** يبدو من خلال تصريحات الشيخ الألباني، أن الانقطاع والإعضال أسباب تؤثر قدحًا في صحة الحديث، وجعله في مرتبة الاحتجاج، فالمعضل عنده، وكذا المنقطع من أقسام الحديث الضعيف الذي لا تقوم به الحجة، لفقدان شرط الاتصال[2].

ويأخذ الشيخ الألباني في تضعيف الحديث بما أخذ به أهل الحديث من التضعيف بعلة الإعضال، وهي سقوط راويين في السند على التوالي.

ثالثاً: المعلق وموقف الألباني منه: وهو أن يناط الشيء بالشيء العالي؛ واصطلاحاً: ما حذف من مبتدأ سنده واحد أو أكثر على سبيل التوالي ولو إلى آخر السند[3].

١. مذاهب العلماء فيه وموقف الألباني منها:

أ. مذاهب العلماء: لاشك أن الحديث المعلق، قد فقد شرط الاتصال، مما يجعله مردودًا ساقط الحجة والعمل به للجهل بحال الراوي المحذوف، ولجواز أن يكون غير ثقة، فلما كان هذا الاحتمال لا يقبل الحديث المعلق احتياطًا للأحاديث وصيانة لها عن التزيد والاختلاق، أو الخطأ والغلط[4]، وقد يحكم للحديث المعلق بالصحة والحسن إن عرف المحذوف بأن يجيئ مسمى من وجه آخر، أو يكون في كتاب التزم شرط الصحة كصحيح البخاري ومسلم، فإن للمعلق فيهما حكم خاص.

وقد نقل النووي رحمه الله كلام ابن الصلاح بتمامه، ومنه قوله: ولا شيء من هذا والحمد لله مخرج لما وجد ذلك فيه من حيز الصحيح، وهي موصولة من جهات صحيحة، لا سيما ما كان منها مذكورًا على وجه المتابعة، ففي نفس الكتاب وصلها، فاكتفى بكون ذلك معروفًا عند أهل الحديث.

ب. موقف الألباني منه: ذهب الشيخ الألباني إلى اعتبار أن الحديث المعلق هو نوع من أنواع المنقطع، وهو إشارة إلى الضعف[5]، ومما ينبغي الإشارة إليه أن الشيخ ناصر الدين الألباني قد استفاض في الحديث عن المعلقات التي أوردها الإمام البخاري في صحيحه، وخصها بشيء من التفصيل على غرار المعلقات الأخرى، فنجده يقول: ومن المقرر في علم الحديث أن أحاديث صحيح البخاري، تنقسم إلى قسمين.

القسم الأول: هي التي يسندها البخاري إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أي يسوق أسانيدها متصلة منه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا القسم كله صحيح عند العلماء غلا أحرفًا يسيرة جدًا وهم فيها بعض الرواة؛

---

[1] فتح المغيث، ١/١٥٤.

[2] غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، ص ٢٧، ٢٨.

[3] علوم الحديث ص٦٩.

[4] الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص٢٩٥.

[5] النصيحة بالتحذير من تخريب ابن عبد المنان لكتب الأئمة الراجحة وتضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة، ص١٤٤.

القسم الثاني: هي التي يذكرها بدون إسناد متصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وله صور كثيرة لا مجال لذكرها الآن، وهذا القسم يسمى بالحديث المعلق، وقد اتفقوا أن فيه الصحيح والحسن والضعيف، ولا يمكن العلم بمعرفة رتبة هذا القسم من مجرد إيراد البخاري إياه في صحيحه بخلاف القسم الأول.

اللهم إلا إذا صدر الحديث المعلق بصيغة الجزم مثل قال وروى، وذكر، ونحوها، فإنه يدل على أنه صحيح عنده، وإذا صدر بصيغة التمريض، مثل: تروى وذكر، ونحوهما، فإنه يدل على ضعفه عنده، على أن هذا ليس مطردًا عنده، فكثيرًا ما يصدره بصيغة الجزم ويكون ضعيفًا، وقد يصدره بصيغة التمريض، وهو عنده صحيح لأسباب لا مجال لذكرها الآن، وقد أوردها الحافظ بن حجر في مقدمة فتح الباري، فمن شاء الإطلاع عليه فليرجع إليه، وإنما الطريق الوحيد لمعرفة ذلك الرجوع إلى سند الحديث الذي علقه البخاري، في كتب السنة الأخرى كالسنن وغيرها، فيدرس سنده ثم يعطي ما يستحقه من رتبة، إذا عرفنا هذا فإن كثيرًا من الناس ممن لا علم عندهم بهذا التفصيل في أحاديث البخاري يتوهم أن كل حديث فيه صحيح.

وعلى ذلك فهو ينقل منه بعض الأحاديث المعلقة ثم يعزوها إليه عزوًا مطلقًا فيوهم الناس ما توهمه هو نفسه أن الحديث صحيح، وقد يكون ضعيفًا فيخطئ ويكون سببًا لخطأ غيره من أجل ذلك اتفق علماء الحديث على أنهم إذا نقلوا من صحيح البخاري حديثًا من القسم الثاني أن يشار إلى ذلك بمثل قولهم: رواه البخاري معلقًا أو ذكره البخاري بدون إسناد، وذلك لكي لا يوهموا الناس أن الحديث من القسم الأول الصحيح.

رغم هذا الموقف إلا أننا نجده يلح على ضرورة التفريق في صيغ التحديث التي اعتمدها صاحب الصحيح البخاري، فيقول: إذا أراد طالب العلم أن ينقل شيئًا من هذه الأحاديث فلا يقول فيها: روى البخاري، لأن هذا التعبير خاص بالأحاديث المسندة، وإنما يقول: قال البخاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقول في هذا الجنس روى البخاري كما ذكرنا إلا أن يفيد ذلك بقوله: روى البخاري معلقًا، كما أنه لا يقول في الجنس المسند من الأحاديث قال البخاري : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه يوهم أنه من المعلقات عنده[١].

فالحديث المعلق عند الألباني نوع من أنواع الحديث الضعيف، وهو لا يرتقي إلى مرتبة الاحتجاج، يقول: الحديث المعلق هو نوع من أنواع الحديث المنقطع وهذا يعطي إشارة بالضعف[٢].

رابعاً: المدلس وموقف الألباني منه: التدليس اصطلاحاً: التدليس قسمان رئيسان[٣] وهما:

١. تدليس الإسناد: عبارة ابن الصلاح في بيان معناه أنه: أن يروي عمن لقيه ما لم يسمعه منه موهمًا أنه سمعه منه، أو عمن عاصره ولم يلقه موهمًا أنه لقيه وسمعه منه، وقريب من هذا حده النووي في التقريب، وابن كثير والعراقي[٤].

---

[١] دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، ص٢٩.

[٢] النصيحة بالتحذير من تخريب ابن عبد المنان لكتب الأئمة الراجحة وتضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة، ص١٤٤.

[٣] تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ص١١.

[٤] تدريب الراوي١/٢٢٣، مختصر علوم الحديث ص٣٢.

فالتدليس يكون بأمرين: برواية الراوي عمن لقيه ما لم يسمعه منه، أو عمن عاصره ولم يلقه بلفظ غير مشعر بالسماع، فلا يقول أخبرنا أو حدثنا، إنما يقول : قال فلان، أو عن فلان؛ ويلتحق بتدليس الإسناد:

أ. **تدليس القطع (أو الحذف)**: أن يحذف الراوي صيغة الأداء، أداء الرواية مثل: قال عن أن، ويقتصر على اسم الشيخ بان يقول: فلان، أو يأتي بالصيغة، ويسكت بعدها ناويًا القطع، بأن يقول قال، ثم يذكر: الشيخ وحينئذ فهو نوعان[١]:

- قطع الصيغة على الراوي مع الاقتصار على اسمه؛
- ذكر الأداة مع السكوت بعدها بنية القطع، ثم يأتي بعدها بالاسم؛

ب. **تدليس العطف**: ومعناه كما ذكره الحافظ السخاوي هو أن يصرح بالتحديث عن شيخ سمع منه، ويعطف عليه شيخًا آخر لم يسمع منه ذلك الذي يرويه، موهما أنه قد سمعه منه، سواء اشتركا في الرواية عن شيخ واحد كما قيده ابن حجر، أم لا[٢] وسواء عطف عليه شيخاً أو أكثر، فقد يكون العطف بأكثر من واحد من شيوخه[٣].

٢. **حكم الحديث المدلس ومراتب المدلسين وموقف الألباني منها:**

أ. **مذاهب العلماء في الحكم على الحديث المدلس:** اختلف أئمة الحديث في قبول رواية من عرف بالتدليس على ثلاثة أقوال:

- قال بعض الفقهاء وأصحاب الحديث: إن خبر المدلس غير مقبول، وإن صرح بالسماع، لما يتضمنه التدليس من إيهام أو ترك تسمية، وطلب توهم علو الإسناد، وإن لم يكن المرء كذلك[٤].
- وقال خلق كثير من أهل العلم خبر المدلس مقبول، لأنهم لم يجعلوه بمثابة الكذاب، ولم يروا التدليس ناقضًا لعدالة الراوي، وقد قال بذلك جمهور.
- وقال آخرون خبر المدلس لا يقبل إلا أن يورده على وجه مبين غير محتمل للإيهام، فإن أورده على ذلك قبل ... واللفظ الذي يرتفع به الإيهام ويزول به الإشكال في رواية المدلس أن يقول : سمعت فلانًا يقول ويحدث ويخبر، أو قال لي فلان، أو ذكر لي، أو حدثني، أو أخبرني من لفظ أو حدث وأنا أسمع، أو قرئ عليه وأنا حاضر، وما يجري مجرى هذه الألفاظ مما لا يحتمل غير السماع وما كان بسبيله[٥].

والقول الثالث هو الذي اختاره الخطيب البغدادي، وأقره عليه ابن الصلاح، فقال: والصحيح التفصيل، وان ما رواه المدلس بلفظ محتمل لم يبين فيه السماع والاتصال حكمه حكم المرسل وأنواعه. وما رواه بلفظ مبين الاتصال نحو : سمعت وحدثنا، وأخبرنا، وأشباهها فهو مقبول محتج به. وفي الصحيحين وغيرهما من الكتب المعتمدة

---

[١] تهذيب التهذيب٣١٦/٧.

[٢] توضيح الأفكار شرح تنقيح الأزهار، ٣٧٥/١.

[٣] الموقظة في علم مصطلح الحديث ص٤٨.

[٤] الكفاية للخطيب البغدادي ص٣٩٩.

[٥] الكفاية في علم الرواية ص٣٩٩.

من حديث هذا الضرب كثير جدًا كقتادة، والعمش، والسفيانيين، وهشيم بن بشير وغيرهم؛ وهذا لأن التدليس ليس كذبًا، وإنما هو ضرب من الإيهام بلفظ محتمل[1].

ب. موقف الألباني من التدليس بأنواعه:

إن نظرة الألباني لأسباب التدليس لا تختلف عن نظرة العلماء السابق بيانها، فهو يقول: إن من المعلوم في الأسباب التي تحمل المدلس على التدليس أن تكون روايته عمن هو أصغر سنًا من باب رواية الأكابر عن الأصاغر فيسقطه حبًا في العلو بالإسناد، أو لعلمه بأنه غير مقبول الرواية عند المحدثين[2].

من المعلوم أن المدلس إذا روى بصيغة عن أنه لا يحتج بحديثه[3]، ويؤكد في موضع آخر أن حكم من ثبت عنه التدليس إذا كان عدلاً أن لا يقبل منه إلا ما صرح فيه بالتحديث، وبعضهم لا يقبل حديثه مطلقًا، والأصح الأول، كما قال الحافظ بن حجر على تفصيل لهم في ذلك[4].

كما أنه يعتبر أيضاً عنعنة من عرف بالتدليس علة في الحديث تمنع من القول بحسنه كما لا يخفى على العارفين بهذا العلم الشريف[5]، وقد ذكر رأيه في بعض أنواع التدليس حسب نسبتها للأشخاص الذين ثبت في حقهم التدليس، يقول الشيخ: الظاهر أن المراد من تدليس الحسن البصري إنما هو ما كان من روايته عن الصحابة دون غيرهم لأن الحافظ في التهذيب أكثر من ذلك النقول عن العلماء في روايته عن من لم يلقهم، وكلهم من الصحابة ، فلم يذكروا ولا رجلاً واحدًا من التابعين روى عنه الحسن ولم يلقه ويشهد لذلك إطباق العلماء جميعًا على الاحتجاج برواية الحسن ع غيره من التابعين بحيث اني لا أذكر أحدًا أعل حديثًا ما من روايته عن تابعي لم يصرح بسماعه منه[6].

المطلب السادس

القواعد الحقة للتفقه في السنة

يقدم الشيخ الألباني رحمة الله عليه بعض القواعد الأساسية التي لا يستغني عن معرفتها من كان يعنيه أمر التفقه في السنة؛ وهي:

القاعدة الأولى رد الحديث الشاذ: فمن شروط الحديث الصحيح أن لا يكون شاذاً فإن تعريف الحديث الصحيح عند المحدثين هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه

[1] علوم الحديث ص٦٧، ٦٨.

[2] الصحيحة ٢٢٣/٢.

[3] غاية المرام، ص٢٥.

[4] مقدمة تمام المنة، ص١٨،١٩.

[5] الصحيحة ٣٤٠/٣.

[6] الصحيحة ٥١١/٢.

ولا يكون شاذا ولا معللا ففي هذه الأوصاف احتراز عن المرسل والمنقطع والشاذ وما فيه علة قادحة مما في روايته نوع جرح[1].

والحديث الشاذ ما رواه الثقة المقبول مخالفاً لمن هو أولى منه على ما هو المعتمد عند المحدثين لابن حجر وأوضح ذلك ابن الصلاح في " المقدمة ".

ويمكن أن يكون الشذوذ في السند ويكون في المتن.

القاعدة الثانية رد الحديث المضطرب:

" هو الذي تختلف الرواية فيه فيرويه بعضهم على وجه وبعضهم على وجه آخر مخالف له وإنما نسميه مضطرباً إذا تساوت الروايتان أما إذا ترجحت إحداهما بحيث لا تقاومها الأخرى بأن يكون راويها أحفظ أو أكثر صحبة للمروي عنه أو غير ذلك من وجوه الترجيحات المعتمدة فالحكم للراجحة ولا يطلق عليه حينئذ وصف المضطرب ولا له حكمه.

ثم قد يقع الاضطراب في متن الحديث وقد يقع في الإسناد وقد يقع ذلك في راو واحد وقد يقع من رواة له جماعة والاضطراب موجب ضعف الحديث لإشعاره بأنه لم يضبط[2].

القاعدة الثالثة رد الحديث المدلس:

التدليس ثلاثة أقسام:

١. تدليس الإسناد وهو أن يروي عمن لقيه ما لم يسمعه منه موهما أنه سمعه.
٢. تدليس الشيوخ وهو أن يروي عن شيخ حديثا سمعه منه فيسميه أو يكنيه أو ينسبه أو يصفه بما لا يعرف به كي لا يعرف.
٣. تدليس التسوية وهو أن يجئ المدلس إلى حديث سمعه من شيخ ثقة وقد سمعه ذلك الشيخ الثقة من شيخ ضعيف وذلك الشيخ الضعيف يرويه عن شيخ ثقة.

فيعمد المدلس الذي سمع الحديث من الثقة الأول فيسقط منه شيخ شيخه الضعيف ويجعله من رواية شيخه الثقة عن الثقة الثاني بلفظ محتمل كالعنعنة ونحوها فيصير الإسناد كله ثقات ويصرح هو بالاتصال بينه وبين شيخه لأنه قد سمعه منه فلا يظهر حينئذ في الإسناد ما يقتضي عدم قبوله إلا لأهل النقد والمعرفة بالعلل ولذلك كان شر أقسام التدليس ويتلوه الأول ثم الثاني[3].

وحكم من ثبت عنه التدليس إذا كان عدلا أن لا يقبل منه إلا ما صرح فيه بالتحديث وبعضهم لا يقبل حديثه مطلقا والأصح الأول كما قال الحافظ ابن حجر على تفصيل لهم في ذلك فليراجع من شاء كتب " المصطلح "

---

[1] مقدمة ابن الصلاح، ص ٨.

[2] المقدمة، ص ص ١٠٣-١٠٤.

[3] انظر " المقدمة " وشرحها للحافظ العراقي، ص ٧٨ – ٨٢.

القاعدة الرابعة رد حديث المجهول: قال الخطيب[1]:

" المجهول عند أصحاب الحديث هو كل من لم يشتهر بطلب العلم في نفسه ولا عرفه العلماء به ومن لم يعرف حديثه إلا من جهة راو واحد "

والمجهول الذي لم يرو عنه إلا واحد هو المعروف بمجهول العين وهذه هي الجهالة التي ترتفع برواية اثنين عنه فأكثر وهو المجهول الحال والمستور وقد قبل روايته جماعة بغير قيد وردها الجمهور كما في " قال : " والتحقيق أن رواية المستور ونحوه مما فيه الاحتمال لا يطلق القول بردها ولا بقبولها بل يقال : هي موقوفة إلى استبانة حاله كما جزم به إمام الحرمين ".

وكما يرى الشيخ رحمة الله عليه أنه يمكن أن يتبين لنا حاله بأن يوثقه إمام معتمد في توثيقه؛ ومن ثم يمكن أن تقبل روايته إذا روى عنه جمع من الثقات ولم يتبين في حديثه ما ينكر عليه وعلى هذا عمل المتأخرين من الحفاظ كابن كثير والعراقي والعسقلاني وغيرهم.

القاعدة الخامسة عدم الاعتماد على توثيق ابن حبان:

بما أن المجهول بقسميه لا يقبل حديثه عند جمهور العلماء وقد شذ عنهم ابن حبان فقبل حديثه واحتج به وأورده في " صحيحه "، حيث أنه يورد ابن حبان أنه يورد في صحيحه بناءً على هذه القاعدة المرجوحة جماعة يصرح في ترجمتهم بأنه " لا يعرفهم ولا آباءهم " فقال في الطبقة الثالثة: " سهل يروي عن شداد بن الهاد روى عنه أبو يعفور ولست أعرفه ولا أدري من أبوه "

والخلاصة أن توثيق ابن حبان يجب أن يتلقى بكثير من التحفظ والحذر لمخالفته العلماء في توثيقه للمجهولين، لكن ليس ذلك على إطلاقه كما بيَّنه العلامة المعلمي[2]، مع تعليق الشيخ رحمه الله عليه.

القاعدة السادسة قولهم : رجاله رجال الصحيح ليس تصحيحاً للحديث:

فقول بعض المحدثين في حديث ما: "رجاله رجال الصحيح" أو: "رجاله ثقات" أو نحو ذلك لا يساوي قوله: "إسناده صحيح" فإن هذا يثبت وجود جميع شروط.

وثمة ملاحظة أخرى وهي : أنه قد يسلم الحديث المقول فيه ذلك القول من تلك العلل ومع ذلك فلا يكون صحيحا لأنه قد يكون في السند رجل من رجال الصحيح ولكن لم يحتج به وإنما أخرج له استشهادا أو مقرونا بغيره لضعف في حفظه أو يكون ممن تفرد بتوثيقه ابن حبان وكثيرا ما يشير بعض المحققين إلى ذلك بقوله : " ورجاله موثقون " إشارة إلى أن في توثيق بعضهم لينا فهذا كله يمنع من أن تفهم الصحة من قولهم الذي ذكرنا

والمؤلف كأنه لم ينتبه لهذا كله فجرى في كثير من الأحاديث على تصحيحها لمجرد قول البعض فيها ذلك القول وسنرى في تضاعيف التعليق التنبيه على ذلك

---

[1] الكفاية، ص ٨٨.

[2] التنكيل، ١/٤٣٧-٤٣٨.

القاعدة السابعة عدم الاعتماد على سكوت أبي داود:

اشتهر عن أبي داود أنه قال في حق كتابه "السنن" : "ما كان في كتابي هذا من حديث فيه وهن شديد بينته وما لم أذكر فيه شيئا فهو صالح"؛ فاختلف العلماء في فهم مراده من قوله : " صالح " فذهب بعضهم –وهذا ما رجحه الشيخ رحمه الله– إلى أنه أراد ما هو أعم من ذلك فيشمل ما يحتج به وما يستشهد به وهو الضيف الذي لم يشتد ضعفه.

فدل على أنه ليس كل ما سكت عليه حسنا عنده لكثرة الأحاديث الضعيفة؛ حتى إن النووي يقول في بعضها : وإنما لم يصرح أبو داود بضعفه لأنه ظاهر "

القاعدة الثامنة رموز السيوطي في " الجامع الصغير " لا يوثق بها:

اشتهر أيضا بين كثير من العلماء الاعتماد على رمز السيوطي للحديث بالصحة والحسن أو الضعف وتبعهم في ذلك الشيخ السيد سابق ونرى أنه غير سائغ لسببين :

١. طروء التحريف على رموزه من النساخ؛

٢. أن السيوطي معروف بتساهله في التصحيح والتضعيف؛

وقد يَّسر الله تبارك وتعالى للشيخ فألف **الجامع الصغير وزيادته** المسمى **بالفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير** قسمين: **صحيح الجامع** و**ضعيف الجامع**.

القاعدة التاسعة سكوت المنذري على الحديث في " الترغيب " ليس تقوية له:

يؤكد الشيخ رحمه الله أن الأصل لا يجوز إيراد الحديث الضعيف إلا ببيان حاله.

القاعدة العاشرة تقوية الحديث بكثرة الطرق ليس على إطلاقه:

من المشهور عند أهل العلم أن الحديث إذا جاء من طرق متعددة فإنه يتقوى بها ويصير حجة وإن كان كل طريق منها على انفراده ضعيفا ولكن هذا ليس على إطلاقه بل هو مقيد عند المحققين منهم، وعلى هذا فلا بد لمن يريد أن يقوي الحديث بكثرة طرقه أن يقف على رجال كل طريق منها حتى يتبين له مبلغ الضعف فيها.

القاعدة الحادية عشرة لا يجوز ذكر الحديث الضعيف إلا مع بيان ضعفه:

ألف الكثير من المؤلفين ولا سيما في العصر الحاضر على رواية الأحاديث المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون أن ينبهوا على الضعيفة منها جهلا منهم بالسنة أو رغبة أو كسلا منهم عن الرجوع إلى كتب المتخصصين فيها.

ويرى الشيخ رحمه الله أن من يفعل ذلك فهو أحد رجلين:

١. إما أن يعرف ضعف تلك الأحاديث ولا ينبه على ضعفها

٢. وإما أن لا يعرف ضعفها فهو آثم أيضا لإقدامه على نسبتها إليه صلى الله عليه وسلم " دون علم.

القاعدة الثانية عشرة ترك العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال:

اشتهر بين كثير من أهل العلم وطلابه أن الحديث الضعيف يجوز العمل به دون خلاف في فضائل الأعمال؛ فهذه شروط ثلاثة مهمة لجواز العمل به:

١.أن لا يكون موضوعاً.

٢.أن يعرف العامل به كونه ضعيفاً.

٣.أن لا يشهر العمل به.

وخلاصة القول أن العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال لا يجوز القول به على التفسير المرجوح إذ هو خلاف الأصل ولا دليل عليه ولا بد لمن يقول به أن يلاحظ بعين الاعتبار الشروط المذكورة وأن يلتزمها في عمله والله الموفق؛ ومن شاء زيادة بيان وتفصيل في هذا البحث الهام فليراجع المقدمة[١]."

القاعدة الثالثة عشرة لا يقال في الحديث الضعيف : قال " صلى الله عليه وسلم " أو : ورد عنه ونحو ذلك:

قال النووي[٢] في: "قال العلماء المحققون من أهل الحديث وغيرهم : إذا كان الحديث ضعيفا لا يقال فيه: قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم" أو: فعل أو: أمر أو: نهى أو: حكم وما أشبه ذلك من صيغ الجزم وكذا لا يقال فيه: روى أبو هريرة أو: قال أو: ذكر.. وما أشبهه وكذا لا يقال ذلك في التابعين ومن بعدهم فيما كان ضعيفا فلا يقال في شئ من ذلك بصيغة الجزم وإنما يقال في هذا كله: روي عنه أو: نقل عنه أو: حكي عنه.. أو: يذكر أو: يحكى.. أو: يروى وما أشبه ذلك من صيغ التمريض وليست من صيغ الجزم؛ قالوا : فصيغ الجزم موضوعة للصحيح أو الحسن وصيغ التمريض لما سواهما.

القاعدة الرابعة عشرة وجوب العمل بالحديث الصحيح وإن لم يعمل به أحد:

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في "رسالته " الشهيرة : " إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى في الإبهام بخمس عشرة فلما وجد كتاب آل عمرو بن حزم وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " وفي كل إصبع مما هنالك عشر من الإبل " صاروا إليه قال : ولم يقبلوا كتاب آل عمرو بن حزم – والله أعلم – حتى يثبت لهم أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى هذا الحديث دلالتان : إحداهما قبول الخبر والأخرى قبول الخبر في الوقت الذي يثبت فيه وإن لم يمض عمل أحد من الأئمة بمثل الخبر الذي قبلوا ودلالة على أنه لو مضى أيضا عمل من أحد من الأئمة ثم وجدعن النبي صلى الله عليه وسلم خبرا يخالف عمله لترك عمله لخبر رسول الله ودلالة على أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت بنفسه لا بعمل غيره بعده[٣].

القاعدة الخامسة عشرة أمر الشارع للواحد أمر لجميع أفراد الأمة:

إذا خاطب الشارع الحكيم فرداً من الأمة أو حكم عليه بحكم فهل يكون هذا الحكم عاماً في الأمة إلا إذا قام دليل التخصيص ؟ أو يكون خاصاً بذلك المخاطب؟.

---

[١] صحيح الترغيب، ١/١٦-٣٦.

[٢] " المجموع شرح المهذب " (١ / ٦٣)

[٣] الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، ص ٤٢٢.

اختلف في ذلك علماء الأصول والحق الأول وهو الذي رجحه الشوكاني وغيره من المحققين، قال ابن حزم[1]: "وقد أيقنا أنه صلى الله عليه وسلم بعث إلى كل من كان حيا في عصره في معمور الأرض من إنس أو جن وإلى من يولد بعده إلى يوم القيامة وليحكم في كل عين وعرض يخلقها الله إلى يوم القيامة فلما صح ذلك بإجماع الأمة المتيقن المقطوع به المبلغ به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبالنصوص الثابتة بما ذكرنا من بقاء الدين إلى يوم القيامة ولزومه الإنس والجن وعلمنا بضرورة الحس أنه لا سبيل لمشاهدته عليه السلام من يأتي بعده كان أمره صلى الله عليه وسلم لواحد من النوع وفي واحد من النوع أمراً في النوع كله وللنوع كله.

الخاتمة

ومن ثم يمكن القول أن جهود الشيخ رحمه الله في الحديث روايةً واستنباطاً تتمثل في الآتي:

١. بيان اهتمام الشيخ الألباني بالدليل الشرعي – مفهوماً، واعتناءً، وحجيةً.

٢. موافقة الشيخ الألباني لجمهور الفقهاء في اعتبار الأدلة الشرعية الأربعة "الكتاب والسنة والإجماع والقياس" مع ضم فهم السلف الصالح لمعاني الكتاب والسنة، وأن القياس المخالف للنص لا يعتد به .

٣. لا يقدم العقل على النقل، إذا عارضه العقل.

٤. دعوة الشيخ الألباني إلى الاجتهاد، ونبذ التقليد، ومناشدة الدليل، مع احترام العلماء في ذلك، ونبذ التعصب لهم .

٥. اتضح موقف الشيخ الألباني من الاحتجاج بحديث الآحاد في العقائد والأحكام، وأنه يرى حجية الآحاد في العقائد والأحكام والرد على من خالف ذلك.

٦. الشيخ الألباني لا يرى العمل بالحديث الضعيف مطلقاً، سواء في فضائل الأعمال أو في غيرها .

٧. وتبين مدى اهتمام الشيخ الألباني بالدليل الشرعي ثبوتاً، واستدلالاً، وأنه وإن كان يميل كثيراً إلى مذهب أهل الحديث، والأخذ بظاهر النص، لكنه لا يهمل الأخذ بتفسير النصوص، على مذهب أصل الأصول والفقهاء .

٨. تبين أن موقف الشيخ الألباني من تعارض النصوص، وأنه يذهب إلى مذهب العلماء في البدء بالجمع بين النصوص مهما أمكن، وإلا فالترجيح.

يتضح مما سبق أن الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله يُعد بحق مجدد هذا العصر، وما قاله العلماء الأجلاء في حقه هو بمثابة كلمة حق من الناطقين بالحق وإلى صاحب حق، لذلك لا غرابة أن نجله ونحترمه حياً وميتاً، وأدعو الله تعالى أنني قد أعطيته ما وفقني الله تعالى لذلك.

المراجع

١. معرفة علوم الحديث ، الحاكم النيسبوري ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٧ هـ .

٢. محمد بن إبراهيم الشيباني، حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، مكتبة السداوي، ١٤٠٧.

٣. مختصر كتاب الألباني وثناء العلماء عليه ، محمد إبراهيم الشيباني ، منشورات مركز المخطوطات ، دت.

[1] أصول الأحكام، ٨٨/٣-٨٩.

٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة ، وشيئ من فقهها وفوائدها ، الألباني ، مكتبة المعارف للنشر ، الرياض ، ١٤١٥ هـ .
٥. سلسلة الأحاديث الضعيفة ، واثرها السيئ على الأمة ، دار المعارف ، دت .
٦. الكلم الطيب، شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت،ط ٣، ١٩٧٧.
٧. صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم من التكبير إلى التسليم كأنك تراها، الألباني، ط٢، مكتبة المعارف، الرياض
٨. أبي الحسن محمد حسن عبد الحميد الشيخ، التقريب لعلوم الألباني، نشر دار العواصم، توزيع دار مؤيد، ١٤٢٦.
٩. القول الحسن في كشف شبهات حول الاحتجاج بالحديث الحسن، لأحمد بن أبي لعينين،
١٠. ابن كثير الدمشقي أبو الفداء – أحمد محمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، (تعليقات الألباني
١١. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ابن حجر، ت نور الدين عتر، ط ٢، دار الخير بيروت.
١٢. تمام المنة في التعليق على فقه السنة ، الألباني ، دار إحياء التراث الإسلامي ، الجزائر ، دت .
١٣. محمد بن محمد الجيلاني، الدرر في مسائل المصطلح والأثر مسائل أبي الحسن المصري المأربي للمحدث الألباني، دار ابن حزم
١٤. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث ، محمد بن محمد أبو شهبة ، ط 1 ، عالم المعرفة ، جدة ، ١٣٨٣ م .
١٥. غاية المرام في تخريج أحا ديث الحلال والحرام ، الألباني ، ط ٤ ، بيروت ، ١٤١٤ هـ
١٦. الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي ، ت : أحمد عمر هاشم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥
١٧. معرفة علوم الحديث ، الحاكم النيسبوري ط 2 ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٧ هـ .
١٨. فتح المغيث، شرح ألفية الحديث، ت : الشيخ صلاح محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٤١٧ هـ .
١٩. تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، ت : الشيخ مأمون شيحة ، ط ١ ، دار المعرفة، بيروت ، ١٤١٧.
٢٠. النصيحة بالتحذير من تخريب ابن عبد المنان لكتب الأئمة الراجحة وتضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة،
٢١. أحمد سعيد، دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، ط العلمية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٦.
٢٢. تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس المسمى طبقات المدلسين ، ابن حجر العسقلاني
٢٣. تدريب الراوي في شرح تقريب النووي ، السيوطي، ت : عبد الوهاب عبد اللطيف، ، دار الفكر ، بيروت .دت .
٢٤. توضيح الفكار ، شرح تنقيح الأزهار ، الصنعاني ، دار السعادة ، مصر ، دت .
٢٥. الموقظة في علم مصطلح الحديث، الذهبي، اعتناء عبد الفتاح أبو غدة، ط 1، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٥.
٢٦. ابن الصلاح البلقيني، مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصطلاح، تحقيق : عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، دت.
٢٧. الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، مكتبة المعارف، الرياض،
٢٨. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٢هـ.

المحدّث الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ومنهجه في شرح الحديث

د. محمد عادل خان

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية العامة

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية

ماليزيا

dradil1958@gmail.com

المقدمة

لقد أنجبت الهند من العلماء الأفذاذ والفقهاء الفطاحل من ذاع صيتهم في العالم، وانتشرت علومهم في الآفاق، حتى قال الإمام عبد الفتاح أبو غدة السوري –رحمه الله–: "هو إمام العصر ومسند الوقت، المحدث المفسر، الفقيه الأصولي، المتكلم النظار، الصوفي البصير، المؤرخ الأديب، الشاعر اللغوي، البحاثة النقاد، المحقق الموهوب[1]، الشيخ الإمام محمد أنور شاه الكشميري بن الشيخ معظم شاه بن شاه عبد الكبير النروري الكشميري، جاء سلفه من بغداد إلى الهند، ونزلوا ملتان، ثم رحلوا منها إلى لاهور ومنها إلى كشمير، فأصبحت لهم مستقراً ومقاما"[2]، وكان كما قال سيدنا كعب بن زهير:

ورثوا المكارم كابراً عن كابر　　　إن الكرام هم بنو الأخيار[3]

مولده ونشأته:

ولد العلاّمة صباح يوم السبت السابع والعشرين من شوال سنة ١٢٩٢ الهجرية في قرية "ودوان" على وزن "لبنان" التابعة لمدينة كشمير، وكان والده عالما كبيراً، شيخاً في الطريقة السهروردية، وكانت والدته أيضا من القانتات الصالحات. ولما بلغ الشيخ الخامسة من عمره شرع في قراءة القرآن، فختم التنزيل العزيز، وفرغ من عدة رسائل بالفارسية في عامين على حضرة والده، ثم شرع في قراءة الكتب الفارسية من النثر والنظم، ورسائل الإنشاء وكتب الأخلاق[4]، قال تلميذه العلامة البنوري: "سمعت الشيخ يقول: إني قرأت كتب الفارسية الرائجة في بلادنا خمسة أعوام"[5].

وكان رحمه الله من مستهل طفولته على دأب نادر عجيب في التحصيل واكتساب العلوم والمعارف، فكان لا ينام مضطجعاً إلا ليلة الجمعة، وعداها يسهر لياليه بالمطالعة، وإذا غلبه النعاس نام جالساً[6].

رحلته في طلب العلم:

ولما فرغ من الفارسية شرع في تحصيل العلوم العربية في بلده، كشمير وتوابعها، ففرغ من الصرف والنحو وقراءة شيء من المنطق والفلسفة والهيئة وغيرها، وهكذا برع الشيخ في العلوم في مقتبل عمره، قال تلميذه العلاّمة بدر عالم رحمه الله: "سمعت الشيخ يقول: كنت أفتي للناس بكشمير حتى بلغت من عمري اثنتي عشرة سنة، وكنت

---

[1] قال أبوغدة: "ليست هذه الألقاب من قبيل المدح والإطراء، ولا المبالغة والتفخيم، وإنما هي من الحقائق التي تحلّى بها الإمام الكشميري، ويعلم من اطّلع على تآليفه و ذخائر علومه، وليست ممن يكيل المديح جزافا والثناء اعتسافا". انظر: أبو غدة، مقدمته على كتاب "**التصريح بما تواتر في نزول المسيح**" للكشميري، أنور شاه، ص١٣.

[2] المصدر السابق. وراجع أيضاً: البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٢.

[3] ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٥، ص١٩٣.

[4] انظر: عبد الحي اللكنوي، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١١٩٨، وراجع أيضا: أبو غدة، مقدمته على كتاب "**التصريح بما تواتر في نزول المسيح**" للكشميري، ص١٣.

[5] البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٦.

[6] انظر: الكشميري، **التصريح بما تواتر في نزول المسيح**، ص١٤.

أطالع الشروح من الفقة والنحو حين تم من عمري تسع حجج"[1]، ثم سافر الشيخ إلى أزهر الهند "دار العلوم" في قرية ديوبند، وكانت دار العلوم بديوبند حقا قرطبة الهند وأزهرها، وكانت ساحتها مستنيرة بجهابذة العلوم النقلية والعقلية وفحولها، فأدرك الشيخ فيها رجالا جمعوا إلى علومهم الرسمية علوم العرفاء والأولياء، وجمعوا إلى دقة المدارك وإصابة الرأي رفق القول وصدق اللهجة، أصحاب هيئة ووقار، وسنة وورع، وزهد وتقوى، كان يترأسهم شيخ العرب والعجم الشيخ محمود حسن الديوبندي رحمه الله، فوجد الإمام الكشميري عنده ضالته، وارتوى من مناهل علومه الظاهرية والباطنية، وتلمّذ كذلك في ديوبند على العلّامة المحدّث محمّد إسحاق المدني، وقرأ على هذين الشيخين كتب الحديث الشريف. يقول الشيخ: "قرأت صحيح البخاري، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، والجزأين الأخيرين من الهداية على شيخ العالَم شيخنا المحمود قدّس سره، وقرأت الصحيح لمسلم، وسنن النسائي الصغرى، وسنن ابن ماجه على الشيخ محمد إسحاق الكشميري رحمه الله"[2].

استبحاره المُدهش في علوم الرواية وحافظته المحيّرة للألباب:

كان الشيخ إماماً في التفسير والحديث، مرجعاً في الأصول والفروع، مجتهداً في علوم الدراية، حافظاً ومستوعباً للطبقات والتاريخ والسير، لو كان في عصر الغزالي أو الرازي أو ابن دقيق العيد أو ابن تيمية الحراني أو ابن حجر العسقلاني لكان درة فاخرة من عقد تلك القرون المباركة، وكان إذا طالع كتاباً لم يرد ادخار مباحثه وبقي في حفظه إلى نحو خمس عشرة سنة، وسمع بهذا الشيخ المحدّث حسين أحمد المدني عن الشيخ بنفسه، ونقله غير واحد من تلامذته الأعلام في كتبهم، وهو إلى جانب قوة الحفظ قد وُفّق لسرعة المطالعة، فكان في بداية زمن التدريس يطالع من "مسند أحمد" المطبوع بمصر مائتي صفحة كل يوم، مع غور وإمعان في أسانيده وحلّ مشكلاته، ومع هذه السرعة لخّص منه أدلة الحنفية والأحاديث المفيدة، ثم طالع مرة أخرى في أواخر عمره لالتقاط أحاديث نزول سيّدنا عيسى على نبيّنا وعليه السلام[3].

الشيخ واشتغاله بكتب الحديث:

طالع الشيخ رحمه الله من الحديث وما يلحق به ما تيسّر له من متون الحديث بعد الصّحاح الستّة من "مسند الدارمي" و"مسند أحمد" و"منتقى ابن الجارود" و"مستدرك الحاكم" و"سنن الدار قطني" و"مصنّف ابن أبي شيبة" و"مجمع الزوائد" للحافظ نورالدين الهيثمي و"جامع الصغير" للسيوطي و"كنز العمال" للشيخ المحدث حسام الدين المتقي، وما قدّره له الله من كتب الحديث من المطبوعات والمخطوطات في زوايا الهند وديار الحرمين وما لايعلمه إلا الله[4].

---

[1] الكشميري، **رسائل الإمام الكشميري**، ج١، ص١٠.

[2] البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٦، وانظر أيضا: أبو غدة، مقدمته على كتاب "**التصريح بما تواتر في نزول المسيح**" للكشميري، ص١٥.

[3] البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٢٦.

[4] البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٤٨.

يقول أرشد تلامذته العلّامة السيّد محمّد يوسف البنّوري: "طالع الشيخ من شروح الحديث ما يربو عددها على مأين، وقد طالع ممّا يتعلق بـ"الصحيح" للإمام البخاري فقط نحو ثلاثين شرحا من مطبوع ومخطوط، وفيها مثل "فتح الباري" في ثلاثة عشر جزءاً، وجزءاً من مقدمته، و"عمدة القاري" للحافظ العيني في أحد عشر جزءاً، و"إرشاد الساري" للقسطلاني في عشرة أجزاء. وكان طالع في شهر رمضان من العام الذي أراد قراءة "الصحيح" على شيخه من شهر شوال بديوبند، ثم كان يطالع مع درس الصحيح في عهد تعلّمه "فتح الباري" درساً درساً، وكانت مطالعته مع "الصحيح" سواء بسواء، بل كان يسبق مطالعة "الفتح" على درس "الصحيح" بكثير، وسمعت من الشيخ رحمه الله نفسه يقول: "إني مرضت في تلك الأيام سبعة عشر يوماً، ولكن لما حضرت الدرس رأيت أنه لم يصل الدرس إلى موضعٍ بلغت إليه مطالعتي". وكان قد طالع متن الصحيح للإمام البخاري ثلاث عشرة مرة من غير أن يلاحظ ما بين السطور وما في الهوامش"[1].

ثناؤه على الحافظ:

وكان الشيخ أنور رحمه الله يُثني كثيراً على شرح الحافظ ابن حجر، ويفضّله على سائر الشروح على الصحيح للحفّاظ المتقنين من الحنفية والشافعية[2]، وكان يقول فيه: "حافظ الدنيا"، وكان يُعجبه سعة اطّلاعه وتبحّره المحير للأنظار، ولذلك كان يتعجّب الشيخ الكشميري من ذهوله في بعض المواضع، وربما كان يقول الحافظ: "ههنا شيء كذا وكذا"، ولم يذكره في "الفتح"، وتنبه له في "التلخيص الحبير" فقال كذا وكذا"، أو يقول: "تنبه له في "تهذيب التهذيب" في ترجمة فلان"، ولكن كان يشكو ويشتكي من صنيعه في اعتصام مذهبه في كل صحيح وخطأ، والتزام إحقاق رأي الشافعية في كل مقام، مع أنه يعلق على الحافظ بدر الدين العيني بأنه لم يصب في الرد على الحافظ في بعض المواقع[3].

تدريسه في شتى مدارس الهند:

في سنة ١٣١٣هجرية، لما فرغ من قراءة الكتب، وتخرّج من دار العلوم ديوبند ألمعيّاً جَهبذاً في العلوم روايةً ودرايةً، وهو في عنفوان الشباب، فُوّض إليه التدريس في "مدرسة عبد الرب"، فدرّس فيها عدّة شهورٍ، ثم افتتح مدرسةً في عاصمة دهلي، وسمّاها "المدرسة الأمينية"، فقصد إليها عطشى العلوم من كل فجّ عميق، فكان فيها مدرّسا لأمّهات كتب الحديث والتفسير، وأفاد آلاف الناس، تخرّجوا على يديه الكريمتين، ولما أغراه الشوق إلى منشئه كشمير، فغادر هذه المدرسة، فودّعه تلامذته ومنتسبوه حسرةً وتململاً، وأقام بكشمير ثلاث سنوات، وأسّس فيها مدرسة "فيض عام" فقام بها مدرّساً ومفتياً، وواعظاً للأمة وناصحاً لها يراعةً ولساناً[4].

ثم اشتاق إلى زيارة بيت الله الحرام، وإلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوُفّق في إكمال شوقه سنة ١٣٢٣هـ، ومكث في مكة عدّة أشهر، مشغولاً بالطواف والهاً باكياً، ثم توجّه إلى المدينة المنورة، فلبث فيها برهة من

[1] البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٤٩.

[2] راجع: الكشميري، **فيض الباري على صحيح البخاري**، ج١، ص٣٣.

[3] البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٥٠.

[4] أبو غدة، مقدمته على كتاب "**التصريح بما تواتر في نزول المسيح**" للكشميري، ص١٦.

الدهر يروي غليله، ولقي فيها الشيخ الفاضل حسين الجسر الطرابلسي مؤلف "الرسالة الحميدية" و"الحصون الحميدية"، ولازمه مدّة، فأجازه الشيخ الجسر بأسانيده في الحديث، كما لقي رجالاً من أكابر علماء البلاد الإسلامية، وذاكرهم في مهمّات المسائل، فأفاد واستفاد[1]، واغتنم فرصة قُربه من مكتبات المدينة المنورة، وخاصة "مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت الحسيني" و"المكتبة المحمودية"، وكانت فيهما ذخائر نادرة، فانكب على مطالعة نفائسهما خصيصا من التفسير والحديث، حتى امتلأ صدره بعلوم تلك الأسفار الزاخرة، ثم عاد إلى وطنه وفي قلبه رغبة مِلِحَّة في شدّ الرحال إلى الحرمين، ومن هنا بلغ إلى ديوبند لزيارة شيخه شيخ الهند العلامة محمود حسن الديوبندي، فأخبره بما كان يريد من الهجرة إلى الحرمين، وكان الشيخ قد تفرّس فيه آثار النجابة الباهرة، وعلامات علمه وفضله وتقواه وورعه، وكان قد أحسّ أن معالم الحديث ومراسم حقائق العلوم الإسلامية تنمحي وتندرس، وعسى أن يحكم عليها بالزوال، لو لم يقم بأعباء هذا الأمر الجليل ضليعٌ مثله، فأقنعه بالقيام بدار العلوم ديوبند، وسافر شيخه إلى الحرمين، يقول العلاّمة أبو الحسن علي الندوي: "ولما سافر شيخه العلاّمة محمود حسن الديوبندي إلى الحجاز سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف وكان ينوي الإقامة الطويلة هناك، استخلفه في تدريس الحديث وولاء رسالة التدريس في ديوبند، فاشتغل في تدريس سنن الترمذي، وصحيح البخاري، وانتهت إليه الرئاسة في تدريس الحديث في الهند، وبقي مشتغلاً به مدة ثلاث عشرة سنة في تحقيق وإتقان، وتوسع في نقل المذاهب ودلائلها، واستحضار للنقول، واطلاع على دواوين السنة وشروح الحديث وكتب المتقدمين، وكان أكبر همّه التطبيق بين الحديث والفقه، ينتصر للمذهب الحنفي ويقيم الدلائل على صحّته وأرجحيّته، وقد نفع الله بدرسه خلقا كثيرا، وتخرج على يديه عددٌ كبيرٌ من الفضلاء، اشتغلوا بتدريس الحديث ونشر العلم"[2].

وظلّ الشيخ عاكفاً على التدريس والإفادة، منقطعاً إلى مطالعة الكتب، لا يعرف اللذّة في غيرها، حتى حدثت كارثةٌ في المدرسة سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف ألجأته إلى الاعتزال عن رئاسة التدريس وشياخة الحديث فيها، وغادر ديوبند، بطلبٍ من بعض أصحابه وتلاميذه، فتوجّه إلى مدينة "دهابيل" في جماعةٍ من أصحابه وتلاميذه، وأسّس له بعض التجّار مدرسةً سمّوها "الجامعة الإسلامية"، فعكف فيها على الدرس والإفادة، فانتفعت به هذه البلاد، وأمّه طلبة الحديث والعلماء من الآفاق، وبقي يدرّس ويفيد، وكان قد غلبت عليه رقّة في آخر حياته، فكان يأخذه البكاء في دروسه ومواعظه فكان يَبكي ويُبكي رحمه الله، غير أنه اجتوى له المقام في مدينة "دابيل"، وما طاب له هواؤها، حتى برحت به أدواء، وأنهكته الأمراض، فسافر إلى ديوبند، ووفّاه الأجل لليلة خلت من صفر سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وألف، وصلى عليه جمع كبير من الطلبة والعلماء والمحبين له، ودُفن قريباً من بيته عند مصلى العيد[3].

---

[1] راجع: الكشميري، **حيات كشميري**، ص٣٦، وأيضاً اللكنوي، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١١٩٨.

[2] اللكنوي، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١١٩٩.

[3] راجع: كوندو عبد الرحمن، **تقدس أنور**، ص٢١٤-٢١٥، وانظر أيضا: اللكنوي، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١١٩٩، وأيضاً البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص١٩-١٨.

آدابه العامّة في تدريس الحديث:

كان للشيخ خصائص ومزايا تستولي على القلوب روعتها لم يرها أحد من بعده:

١. منها: أنه كان يلخّص الكلام في رجال الحديث إن كان لذكره حاجة في الباب، أو فائدة يستحسن ذكرها، وكان لا يطيل الكلام في الجرح والتعديل حيث كان يقول: ولا أُكثر من نقل كلامهم في الرجال، وما فيه من كثرة القيل والقال؛ لأنه ليس عندي كبير ميزان في الاعتدال، وبعضهم يسكت عند الوفاق، ويجرح عند الخلاف، وإذا دعيت نزالٌ، وهذا صنيع لا يشفي ولايكفي، وإنما سبيل الجدال.

٢. ومنها: أنه كان يعتني ببيان منشأ الخلاف بين الأئمة، ولاسيّما في المسائل التي تتكر على رؤوس الأشهاد، فكان يذكر في هذا الصدد أموراً تطمئن بها القلوب.

٣. ومنها: أنه كلما ذكر كتابا أو مؤلفا، فكان يكشف عن منْزلته في العلم وخصائصه بغاية من الإنصاف من غير غضّ عن قدره، أو إطراء في شأنه، ليكون بصيرة للطلبة، ووسيلة إلى العلم الصحيح.

هذه أمّهات خصائصه العامّة في دراسة الحديث. إن شئت فراجع للتفصيل "نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور" وأماليه" وشرحه على صحيح البخاري "فيض الباري" و"العرف الشذي".

خصائصه في تدريس صحيح البخاري:

كان الشيخ الكشميري رحمه الله اغتنم فرصة دراسة جامع الترمذي لتحقيق أحاديث الأحكام، وتبيين مذاهب الأئمة واستيعاب أدلتها، وترجيح ما هو الراجح منها، كما كان هو دأبه، ولما اقتصر تدريسه في الآخر على صحيح البخاري فكان يعتني فيه بما كان يعتني به في جامع الترمذي، ماعدا المهمّات التي كان يتصدى لبيانها في الصحيح، دونكم نبذةً من خصائص تدريسه لصحيح البخاري:

١. أنه كان يلخّص كلام الشارحين، ويأمر بالمراجعة إن كان هناك بسط في الموضوع، ويزيد عليه ما كان عنده من الأبحاث الدقيقة، والمواضيع المهمّة، مما جمع الله في صدره المتلاطم بالعلوم والمعارف.

٢. أنه كان يتعرّض لكثير من مشكلات العلوم، وكان يذكر في حلّها نفائس ما يساوي رحلة، حيث يكون الصحيح آخر كتاب في آخر سنة الفراغ على نظام الدراسة في الهند غالبا، ولا سيما لمسائل الكلام، لأن الإمام البخاري أيضا يتعرّض لها كثيرا، وخاصةً في كتاب التوحيد الموضوع لذلك، وكان يتكلم فيها كمسلك المحققين من قدماء المتكلمين، وكان يقول: "كلام البخاري في التوحيد على مسلك القدماء، وهؤلاء الشارحون لما استأنسوا بالتوحيد الذي دار بين المتأخرين، ربما تقصر مداركهم عن مدارك الإمام البخاري، فيتأولون كلامه بما هو بريءٌ منه". ومن أجل ذلك كان يعتني بأمثال هذه المواضع اعتناءاً بليغاً.

٣. أنه كان يضع عن يمينه ويساره كثيراً من كتب الحديث ولاسيما متون الحديث، فإن كان فيها إشكالٌ في موضوع يتعلق بالصحيح فكان يفتحها ويقرأها على الطلبة ويحلّ المشكلات، أو كانت هناك فائدة تلائم الموضوع فيذكرها بعبارتها، فكأن درس حديثه هذا كان درسا لسائر الأمهات بل ما عداها أيضا.

ميزاته في شرح أحاديث الأحكام:

١. أنه كان جلّ جهده في الأحاديث التي تمسّك بها كلّ من أئمة المذاهب الأربعة مختلفين في معانيها أن يحاول الوقوف على غرض الشارع، بعد تحقيق محطّ الكلام وتحقيقه، ثم تحقيق مناطه وتخريجه، غير مبال بعدم موافقتها للمذهب الحنفي، وكان صنيعه في أمثال هذه المواضع كمحدّثٍ حاذقٍ مجتهدٍ، فإذا استبان عنده استمسك به، ولم يحفَل بعموم اللفظ ولاباختلاف اتباع المذاهب.

ومثاله: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات»، وهذا أول حديث في صحيح البخاري الذي يسمّى بحديث النية، قد طال فيه نزاع أعلام الحديث وأئمة المذاهب، واختلاف الحنفية والشافعية فيه مشهور، حتى إن الحافظ بدر الدين العيني قد وشّى وزيّن أوراقاً كثيرةً لتقوية مذهبه[١]، ولكن دعوني لنقضي وقفة يسيرة مع كلام الإمام الألمعي، فقال الشيخ رحمه الله: "إن كل ذلك تكلفات لم يردها الشارع، وجميع ما قالوا بعيد عن غرض النبي صلى الله عليه وسلم، ومراده الصحيح المنقح أن اعتبار الأعمال عند الله بحسب النيات والعزائم القلبية، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، يعني أن صورة أعمال الخير تعتبر إذا كانت من نية خالصة وقلب سليم، فالعمل الصالح في الظاهر إذا لم يرد به صاحبه وجه الله كالعلم، أراد به صاحبُه الرياء أو الجهاد، أراد به صاحبه إظهار شجاعته وبسالته أو نيل الغنيمة، أو الإنفاق، أراد صاحبه رياء الناس، فلا عبرة لها، بل حبط كل ذلك عند الله، فليس له أجرها، بل عليه وزرها، ويتفاوت مراتب الاعتبار بتفاوت مراتب النية قوةً وضعفاً، وخلوصاً وغِشًّا، فهذا لا تعلق له بمحل النِّزاع ومورد الجدل من تقدير الصحة أو الثواب ثم التفريعات عليه"[٢].

٢. أنه إذا تعدّدت طرق الحديث فلم يكن الشيخ يدير الكلام على طريق واحد، بل كان يجمعها إن أمكن الجمع، وإلا فيتوخّى ما هو أوفق بغرض الشارع أو أقرب إليه.

مثاله ما في "فيض الباري" في المواقيت من شرح قوله صلى الله عليه وسلم: «من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح...»[٣]، اختلف الأئمة في مراده الصحيح، فقال الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله: إنه يختص بالمعذور كالنائم وشبهه، وأنه لاتفسد الصلاة بطلوع الشمس وغروبها في أثنائها، واضطربت فيه أقوال الحنفية من المحدّثين والأصوليين،كما هو مشهور في الشروح للفقهاء الحنفية[٤]، يقول الشيخ شارحاً الحديث: "إن ما ذهب إليه الأئمة الثلاثة مشكل، فإنه لا قرينة على تخصيص الحديث بالمعذور قط، وما أجاب به الحنفية فلا يشفي الغُلة، والذي يظهر لي أن الحديث صُدع بمسألة الجماعة لا الأوقات، فليحمل على المسبوق، ويدل عليه أن الحديث روي بطرقٍ في مواضع:

---

[١] راجع للتفصيل: العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، ج١، ص٦٣-٦٧.

[٢] هذا ملخّص ما أفاده الشيخ في شرح حديث النية، وفي كلامه بسط وتفصيل، إن شئت فراجع أماليه "**فيض الباري على صحيح البخاري**" ج١، ص٨٠-٨٩ وأيضا البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٥٢.

[٣] البخاري، **الصحيح**، كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك من الفجر ركعة، رقم٥٧٩.

[٤] راجع لتفصيل المذاهب: العيني، **عمدة القاري**، ج٥، ص٤٧.

- الأوّل: ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة بلفظ: «من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة»[1]، وفي طريق آخر له بلفظ: «من أدرك ركعة من الصلاة مع الإمام ...»[2]، فهذا صريحٌ في أن المراد به المسبوق.
- الثاني: ما رواه أبوداود في سننه: «من أدرك الركعة فقد أدرك الصلاة»[3]، وصحّحه ابن خزيمة[4].
- الثالث: ما رواه النسائي في سننه بلفظ: «من أدرك ركعة من الجمعة ...»[5].
- الرابع: ما ذُكر أوّلاً، أخرجه الترمذي بذلك اللفظ[6].

وقد اتفقوا في المواضع الثلاثة أنه في حق المسبوق، فليكن في هذا الموضع الرابع أيضاً في حقه"، ثم بيّن الشيخ تخصيص الصبح والعصر في ذلك الحديث، مستدلاً بشواهد ودلائل لا يتحمل مقالنا هذا ذكرها، وقد استدل الحافظ ابن حجر لذلك الحديث تأييداً بحديث عزرة بن تميم عن أبي هريرة مرفوعا: «إذا صلى أحدكم ركعة من الصبح ثم طلعت الشمس فليصل إليها أخرى»، وعزاه إلى النسائي في "الكبرى"[7]. يقول الشيخ الكشميري: "في "في بيان مراد الحافظ ابن حجر سهوٌ وتسامحٌ، فإن هذا حديث واحد، قد روي أكثر من عشرين طريقا مع اختلاف ألفاظه، فخمسٌ منها في "مسند أحمد"، وخمسٌ منها في "سنن الدارقطني"، وثلاثٌ منها في "سنن البيهقي"، وطريقان في "صحيح ابن حبان"، وطريقان في "المستدرك"، وطريقٌ عند النسائي في "الكبرى"، وطريقٌ عند الطحاوي، وطريقٌ عند الترمذي، وطريقٌ في "طبقات الحافظ شمس الدين الذهبي". ومدار الكلّ على قتادة، وتبيّن عندي بعد الفحص البالغ والتتبّع الكثير: أن الحديث يتعلق بسنة الفجر، فمن لم يدرك وقتها قبل طلوع الشمس فليصلها بعد طلوعها، ولفظ عزرة بن تميم لا يوفي المقصود، وفيه شيءٌ لم يتنبّه له الحافظ في "الفتح"، وتنبّه له في "تهذيب التهذيب" في ترجمة عزرة بن تميم، فقدح في رواية تميم بتفرّد قتادة عنه، يعني أن الحديث لم يخرجه بهذا اللفظ عن تميم غير قتادة ولم يتابعه أحدٌ، فرواية قتادة عن تميم غير محفوظة عند الحافظ ابن حجر رحمه الله"[8].

٣. ومنها: أنه إذا ثبت أمرٌ في حديث، وظاهر الرواية مخالف له احتجاجاً بحديثٍ آخر، فمن عادات عامّة الفقهاء الحنفية أنهم لا يجوّزون العمل به في مرتبةٍ من المراتب، وكان الشيخ رحمه الله يجوّز العمل به في مرتبةٍ خلاف الأولى، ومن أمثلته: الترجيع في الأذان، والجهر بالتأمين والإسرار به، والفاتحة خلف الإمام للمؤتم في السرية، ورفع اليدين عند الركوع والقيام منه، وما شاكلها، كلّ ذلك كان جائزاً عند الشيخ الإمام الكشميري ولكنه كان

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب المساجد و مواضع الصلاة، باب من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك تلك الصلاة، رقم١٦١.

[2] مسلم، **الصحيح**، كتاب المساجد و مواضع الصلاة، باب من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك تلك الصلاة، رقم١٦٢.

[3] أبو داود، **السنن**، كتاب الصلاة، باب الرجل يدرك الإمام ساجدا كيف يصنع؟، رقم٨٩٣.

[4] انظر: ابن خزيمة، **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق د. الأعظمي، كتاب الإمامة، باب إدراك المأموم الإمام ساجدا، رقم١٦٢٢.

[5] انظر: النسائي، **سنن النسائي الصغرى**، كتاب المواقيت، باب من أدرك ركعة من الصلاة، رقم٥٥٦.

[6] انظر: الترمذي، **السنن**، تحقيق د. بشار معروف، كتاب الجمعة، بابٌ في من أدرك من الجمعة ركعة، رقم٥٢٤.

[7] انظر: النسائي، **السنن الكبرى**، كتاب الصلاة، باب عدد صلاة الصبح، رقم٤٦٣.

[8] راجع للتفصيل: الكشميري، **فيض الباري على شرح صحيح البخاري**، ج٢، ص١٨٨-١٢٤، وأيضاً البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٦٣-٦٢.

خلافا للأولى، قال الشيخ رحمه الله: "كنت رأيت في "البدائع" أن الرفع في غير التحريمة مكروهٌ تحريماً، فكان في قلبي منه شيء، وكنت أتمنّى أن أفوز بنقل من الأكابر خلافه حتى رأيت بعد خمس وعشرين سنة أن الإمام أبا بكر الجصّاص صرّح في "أحكام القرآن" في ضمن بحثٍ استطراداً من مسائل رؤية الهلال: أن الخلاف فيه في الأولويّة[1]، فبرد غليل صدري وسكن جأشي".

وقال: "ثم رأيت في نقول من الأكابر أن الخلاف في سائر المذكورات في الأولويّة. فذكر الشيخ بدر الدين العيني في "مباني الأخبار في شرح معاني الآثار" عن أبي عمر صاحب "التمهيد": "أن الاختلاف في التشهّد وفي الأذان والإقامة وعدد التكبير على الجنائز وعدد التكبير في العيدين ورفع الأيدي عند الركوع والرفع في الصلاة ونحو ذلك كلّه اختلافٌ في مباحٍ". قال الشيخ: "ومثله ذكر الحافظ ابن تيمية في "فتاواه" و"منهاج السنة"، وابن القيم في "الهدى".

وربما كان الشيخ يقيم المراتب في شيء تشديداً وتخفيفاً، فيحمل كل حديث على محملٍ. مثاله: مسألة العورة، هل الركبة من العورة أم لا؟ والخلاف فيها مشهورٌ. فقال الشيخ: "الركبة عورةٌ في نظر الشريعة ولكنها أخفّ من الفخذ، ثم الفخذ أشدّ منه، فكشفه يكون أشنع وأقبح من كشف الركبة، ثم ما فوق الفخذ أغلظ منه، فيتحمّل كشف الركبة في بعض المواضع لا ما فوقها[2]. هكذا كان دأب الشيخ العلامة أنور شاه الكشميري في التطبيق بين الأخبار.

أثر تدريسه للحديث على الحلقات الحديثية في الهند:

كان علماء الحديث في الهند يسلكون في تدريس كتب الصحاح مسلك الإيجاز والاختصار، أو ينتهجون منهج السرد، ولكن الشيخ الكشميري رحمه الله جرى على طراز الأوّلين في تحقيق الحديث، فاغتبط العلماء بحاله وجروا على نهجه، فازدادوا تحقيقاً ومطالعةً للحديث، وتركوا الجمود، فارتقوا إلى الذروة العلى، فكان

---

[1] يقول أبو بكر الجصاص: "الْأَذَان وَالْإِقَامَة وَرَفْعُ الْيَدَيْنِ فِي تَكْبِيرِ الرُّكُوعِ وَتَكْبِيرَاتِ الْعِيدَيْنِ وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ مِمَّا عَمَّتْ الْبَلْوَى بِهِ، وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَكُلُّ مَنْ يَرْوِي عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيهِ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَرْوِيهِ مِنْ طَرِيقِ الْآحَادِ، فَلَا يَخْلُو حِينَئِذٍ ذَلِكَ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ: إمَّا أَنْ يَكُونَ لَمْ يَكُنْ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَوْقِيفٌ لِلْكَافَّةِ مَعَ عُمُومِ الْحَاجَةِ إلَيْهِ. وَفِي هَذَا مَا يُبْطِلُ أَصْلَكَ الَّذِي بَنَيْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَنَّ كُلَّ مَا بِالنَّاسِ إلَيْهِ حَاجَةٌ عَامَّةٌ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَوْقِيفُ الْأُمَّةِ عَلَيْهِ، أَوْ أَنْ يَكُونَ قَدْ كَانَ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَوْقِيفٌ لِلْكَافَّةِ عَلَى شَيْءٍ بِعَيْنِهِ فَلَمْ تَنْقُلْهُ حِينَ وَرَدَ إلَيْنَا مِنْ طَرِيقِ الْآحَادِ. وَفِي ذَلِكَ هَدْمُ قَاعِدَتِكَ أَيْضًا فِي اعْتِبَارِ نَقْلِ الْكَافَّةِ فِيمَا عَمَّتْ بِهِ الْبَلْوَى. قِيلَ لَهُ: هَذَا سُؤَالُ مَن لَمْ يَضْبِطِ الْأَصْلَ الَّذِي بَنَيْنَا عَلَيْهِ الْكَلَامَ فِي الْمَسْأَلَة، وَذَلِكَ أَنَّا قُلْنَا ذَلِكَ فِيمَا يَلْزَمُ الْكَافَّةَ، وَيَكُونُونَ مُتَعَبَّدِينَ فِيهِ بِفَرْضٍ لَا يَجُوزُ لَهُمْ تَرْكُهُ وَلَا مُخَالَفَتُهُ، وَذَلِكَ مِثْلُ الإمامة والفروض التي تلزم العامة. وأما مَا لَيْسَ بِفَرْضٍ فَهُمْ مُخَيَّرُونَ فِي أَنْ يَفْعَلُوا مَا شَاءُوا مِنْهُ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِيهِ فِي الْأَفْضَلِ مِنْهُ، وَلَيْسَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَوْقِيفُهُمْ عَلَى الْأَفْضَلِ مِمَّا خَيَّرَهُمْ فِيهِ، وَهَذَا سَبِيلُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَتَكْبِيرِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي نَحْنُ مُخَيَّرُونَ فِيهَا، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي الْأَفْضَلِ مِنْهَا، فَلِذَلِكَ جَازَ وُرُودُ بَعْضِ الْأَخْبَارِ فِيهِ مِنْ طَرِيقِ الْآحَادِ، وَيُحْمَلُ الْأَمْرُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَدْ كَانَ منه جميع ذلك تعليما منه على وَجْهَ التَّخْيِيرِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِثْلَ مَا قَدْ وُقِفُوا عَلَيْهِ" أبو بكر الجصاص، **أحكام القرآن**، ج١، ص٢٥٣.

[2] راجع: الكشميري، **فيض الباري**، ج٢، ص١٤-١٣، وأيضاً البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٥٨-٥٧.

خاتمة المحدثين في الهند وإمام هذه النشأة العلمية الحديثيّة فيها، وكان النّاس قبيل هذا العصر يكتفون بأدنى الحظّ في الحديث، وكان غاية سعيهم أنهم إذا اطّلعوا على حديثٍ يخالف مذهب واحدٍ من أئمة الاجتهاد، تصدّوا لتأويله من دون أن يستقرؤوا طرق ذلك الحديث وما في طرقه من الاختلاف، وكان باب التحقيق عليهم مسدوداً، فمنّ الله على الهند بنهضته، فهداهم إلى علوم الحديث.

الشيخ وأسانيده في الحديث:

إن من خصائص الأمة المحمّدية الإسناد في الدين، فيسندون كل ما يدينون به عن كبار الأمة كابراً عن كابر، طبقةً بعد طبقة، حتى تنتهي السلسلة إلى قائد الخير ورسول الرحمة سيّدنا ومولانا محمّد صلى الله عليه وسلم، إلى جبريل الأمين، إلى رب العالمين جلّ ذكره، فهنا نشير إلى أسانيد الشيخ رحمه الله التي اطّلعنا عليها:

- الإسناد الأول: لسائر كتب الحديث عن شيخه مولانا محمود حسن الديوبندي، ثم لإسناده طرق:

الأوّل: عن الحجّة العارف مولانا محمّد قاسم النانوتوي، وعن المحدّث الحجّة مولانا رشيد أحمد الكنكوهي، كلاهما عن الشيخ المحدّث الشاه عبد الغني الدهلوي نزيل المدينة المنورة.

الثاني: عن الشيخ المحدّث مولانا أحمد علي السهارنفوري.

الثالث: عن الشيخ العارف مولانا محمّد مظهر النانوتوي.

الرابع: عن الشيخ المحدّث القارئ مولانا عبد الرحمان الفاني فتّي.

وهؤلاء الأعلام كلّهم عن الشيخ الأجل المحدّث الشاه الدهلوي، عن حبر الأمة المحدث العارف الشيخ عبد العزيز الدهلوي، عن والده الشيخ الإمام الحجة قطب الدين أبي الفياض أحمد المدعو بـ"الشاه ولي الله الدهلوي"، عن الشيخ أبي طاهر المدني، عن والده الشيخ إبراهيم الكردي، عن المزاحي، عن الشهاب أحمد السبكي، عن الشيخ النجم الغيطي، عن الشيخ زين الدين زكريا، عن عزّ الدين الشيخ عبد الرحيم، عن الشيخ عمر المراغي، عن الفخر بن البخاري، عن عمر بن الطبرزد البغدادي بإسناده إلى الحافظ الحجّة أبي عيسى الترمذي صاحب "الجامع". ومن شاء الاطلاع على أسانيد الشيخ عبد الغني وأحوال رجالها فليراجع إلى "اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني".

- الإسناد الثاني: عن شيخه الشيخ المحدّث الصالح محمد إسحاق الكشميري المتوفى بالمدينة مهاجراً سنة ١٣٢٢هـ، عن الشيخ السيد نعمان الآلوسي، عن والده أعلم بغداد الشيخ الحبر مولانا محمود الآلوسي البغدادي صاحب "روح المعاني"، بالإسناد المثبت في ثبته، وهذا هو الإسناد الذي يقول لأجله الشيخ الكشميري في بعض مؤلفاته: "قال شيخي بواسطتين محمود الآلوسي في روح المعاني...".
- الإسناد الثالث: عن الشيخ حسين الطرابلسي الجسر صاحب "الرسالة الحميدية" و"الحصون الحميدية" بإسناده إلى الشيخ السيد أحمد الطحطاوي المصري شارح "الدر المختار" و"مراقي الفلاح"، استجاز عنه الشيخ رحمه الله بالمدينة المنورة[١].

---

[١] البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٨٥-٨٤.

مؤلفاته في الحديث

١- **فيض الباري على صحيح البخاري** من أماليه في درس الحديث، شرحٌ حافلٌ على صحيح البخاري في أربع مجلدات ضخمة، وقد قام بجمعه وتدوينه تلميذه العلاّمة الجليل الشيخ محمّد بدر عالم الميرتهي رحمه الله، وقد علّق عليه تعليقات أنيقة نافعة جداً، وقد طُبع بمصر سنة ١٣٥٧ه بنفقة المجلس العلمي في الهند.

٢- **العرف الشذي من جامع الترمذي،** من أماليه في درس جامع الترمذي، في٤٨٨ صفحة، جمعه تلميذه الشيخ محمد جراغ لنفسه، جمعه في غاية السرعة والارتجال، ثم طبعه تلبيةً لطلب بعض الطالبين لعلوم الشيخ.

٣- **أماليه على سنن أبي داود،** المطبوع منه جزءٌ واحدٌ، والباقي لم يطبع.

٤- **أماليه على صحيح مسلم،** ضبطها الفاضل الشيخ مناظر أحسن الجيلاني-الأستاذ بالجامعة العثمانية بحيدرآباد دكن- من أصحابه، ولم تطبع.

٥- **حاشيته على سنن ابن ماجه،** وكانت موجودة مدة طويلة لدى الشيخ السيّد محمّد إدريس، لكن اليوم لا يدرى أين ضاعت هي؟

٦- **فصل الخطاب في مسألة أمّ الكتاب،** جزءٌ متوسطٌ في ١٠٤ صفحة في تحقيق حديث الفاتحة خلف الإمام.

٧- **خاتمة الخطاب في فاتحة الكتاب،** ألّفه بالفارسية في الموضوع السالف، ألّفه في يومٍ أو يومين في ابتداء عهده بالتدريس في دار العلوم بديوبند من غير مراجعة كتابٍ، وعليه تقريظ شيخه العلاّم شيخ الهند محمود حسن الديوبندي رحمه الله، أثنى عليه وعلى دقّة نظره.

٨- **نيل الفرقدين في رفع اليدين،**كتابٌ متوسطٌ في ١٤٥ صفحة، وقال الشيخ في مقدّمته: "فهذه نبذةٌ في مسألة رفع اليدين قبل الركوع وبعده، وبين السجدتين وبعد الركعتين، سمّيتها "نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين" وإنما أردت بها أن بيد كل واحد من الفريقين وجهاً بوجهين، وهما على الحقّ من الجانبين، وليس الاختلاف اختلاف النقيضين، بل اختلاف تنوّعٍ في العبادة من الوجهين، وإنما بقي الاختلاف في الأفضل من الأمرين"[١].

٩- **بسط اليدين لنيل الفرقدين،** قد حاول فيه الشيخ تطبيق الروايات المتعارضة في بعض المسائل المختلف فيها بين الأئمة.

١٠- **كشف الستر عن مسألة الوتر.**

١١- **التصريح بما تواتر في نزول المسيح.**

[١] الكشميري، **مجموعة رسائل الإمام الكشميري،** ج١، ص١٦١.

المصادر والمراجع

١. ابن خزيمة، الإمام أبو بكر النيسابوري، **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق د. الأعظمي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١٣٩٠هـ).

٢. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، **السيرة النبوية**، تحقيق طه عبد الروف سعد، (بيروت: دار الجيل، ط١،١٤١١هـ).

٣. أبو بكر الجصاص، أحمد بن علي في **أحكام القرآن**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،ط١٤٠٥هـ).

٤. أبو داود، الإمام سليمان السجستاني، **سنن أبي داؤد**، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤١٨هـ).

٥. البخاري، محمّد بن إسماعيل، **الصحيح**، تحقيق محب الدين الخطيب، (القاهرة: المطبعة السلفية، ط١، ١٤٠٠هـ).

٦. البنوري، محمد يوسف، **مقدّمات الإمام البنوري**، (كراتشي: المكتبة البنورية، ط١، ١٤٠٠هـ).

٧. البنّوري، محمد يوسف، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، (كراتشي: المكتبة البنورية، ط٢، ١٤٢٤هـ).

٨. الترمذي، الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق د. بشار معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٦م).

٩. الشافعي، محمّد بن إدريس، **كتاب الأمّ**، (بيروت: دار المعرفة).

١٠. العسكري، أبو هلال، **كتاب الصناعتين**،(مطبع محمود، ط١، ١٣١٩هـ).

١١. العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، **البناية شرح الهداية**، (بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٤١١هـ).

١٢. العيني، بدر الدين، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (بيروت: دار الكتب العلمية ط١، ١٤٢١هـ).

١٣. كوندو عبد الرحمان، **تقدس أنور**، (كراتشي: الجامعة الإسلامية أحسن العلوم).

١٤. الكشميري، أنظر شاه، **حيات كشميري**.

١٥. الكشميري، **التصريح بما تواتر في نزول المسيح**، (بيروت: دار القلم، ط٥، ١٤١٢هـ).

١٦. الكشميري، أنور شاه، **رسائل الإمام الكشميري**، (كراتشي: إدارة القرآن، ط١، ١٤١٦هـ).

١٧. الكشميري، **فيض الباري على صحيح البخاري**، (باكستان: المكتبة الرشيدية، ط ١٤٢٩هـ).

١٨. اللكنوي، عبد الحي، **نزهة الخواطر**، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ).

١٩. مسلم، الإمام أبو الحسين النيسابوري، **الصحيح**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٢٠. النسائي، الإمام أحمد بن شعيب، **سنن النسائي الصغرى**، (بيروت: دار المعرفة).

٢١. النسائي، الإمام أحمد بن شعيب، **سنن النسائي الكبرى**، تحقيق حسن شلبي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ).

إجازتي في حديث:
(من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار)
دراسة في السند

د. أحمد قاسم كسار

أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا

ماليزيا

Dr.Ahmad77@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذا بحث يتعلق بسند حديث نبوي، وهو: (مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)، وهو من ثلاثيات البخاريّ؛ بل هو أول ثلاثيّ في صحيح البخاريّ، وفي سنده عنعنه وتحديث، ومداره حول حكم الكذب بالقول على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومعنى الحديث الثلاثي عندما يكون عدد الرواة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والبخاري ثلاثة فقط، وهو ما يسمي ب(العوالي)، وهذا يعني أن كل راوٍ من هؤلاء الرواة سمع الحديث ثم نقله إلى من بعده من الرواة، فهذا الحديث يرويه البخاريّ عن المكي بن إبراهيم ت٢١٤هـ، عن يزيد بن أبي عبيد ت١٤٧هـ، عن سلمة بن الأكوع ت٧٤هـ، رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا البحث دعوة للمعاصرين أن يحققوا أسانيدهم، ويوثقوا إجازاتهم العلمية، من خلال البحث والدراسة في علم الرجال، وأدعو أيضاً إلى الاهتمام بهذا اللون من تحصيل العلم عن طريق الإجازات والأسانيد، فهو وجه حضاريّ لأمتنا، فضلاً عن المعاني المعنوية فيه، والمزايا الروحانية به، والتواصل العلمي بسلاسل المعرفة والتحصيل بهذا الطريق الشريف القويم.

وهذا السند في بحثي يعرف في الوسط العلمي بسند الحيدريين، وأسانيد الحيادرة معروفة ومشهورة، فقد دار العلم فيهم ثلاثمائة عام على ما قيل، وإليهم تنتهي أغلب إجازات العراقيين، ويوصف هذا السند أيضاً بأنه سند علم الأصلين والمعقول من منطق وفلسفة ومناظرة وغيرها، إلا أنه اقتصر هنا على علم الحديث النبوي، وأن هذا السند الحديثي هو واحد من أسانيد الإمام البخاريّ الكثيرة والشهيرة، وهو مختص بثلاثيات صحيح البخاريّ.

وأما منهجي في البحث فإنني قسمت أسماء السند على مطالب، وكل مطلب تناولت فيه ثلاث مسائل رئيسة، وهي: اسمه ونسبه، وشيوخه، وتلاميذه، وهذا الالتزام لم أخرج عنه إلا في المطلب الخاص بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، واعتمدت بذكر اسمه فقط وسنة وفاته، بناءً على رأي المناطقة الذين يشترطون في التعريف أن يكون أوضح من الشيء المعرف لدى المخاطب وأجلى، وهو صلى الله عليه وسلم أكبر من أن نعرِّف به في بحثنا.

وقبل الختام أتوجه بالشكر لجزيل والامتنان الكبير لشيخنا الأستاذ الدكتور عبد الرزاق بن عبد الرحمن السعديّ على إجازتي بهذا الحديث، وحسن ظنه بتحملي وأدائي، ومبادرته في هذا الخير الدائم، والعلم القائم.

ختاماً: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يبارك في الأحياء من هذه السلسلة، وأن يتغمد الأموات فيها، وأن يرضَ عن الصحابيّ منها، وأن يصلي ويسلم ويبارك على خاتمها خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله، والحمد لله رب العالمين.

المجاز، وكتبه في كوالا لمبور بعد صلاة الجمعة،

١/رجب/١٤٣٢هـ الموافق: ٢٠١١/٦/٣م.

المطلب الأول

عبد الرزاق السعديّ

(ولد: ١٣٦٩هـ الموافق ١٩٤٩م)

أولاً: اسمه ونسبه(١) هو الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الرزاق عبد الرحمن أسعد السعديّ الحسنيّ العراقيّ.

ثانياً: شيوخه تلقى علومه على عددٍ من شيوخ العراق وغيره، ومنهم الشيخ عبد العزيز السامرائي، والشيخ عبد الكريم الدبان، والشيخ عبد الكريم المدرس، والشيخ عبدالملك السعديّ شقيقه الأكبر، وله إجازات ببعض كتب السنة والأحاديث المسلسة عن العلماء ومنهم الشيخ صبحي السامرائي والشيخ محمد طاهر القادريّ الباكستانيّ.

ثالثاً: تلاميذه التلاميذ الذين درسوا على يديه كثيرون بالمئات لا يمكن حصرهم، ومنهم الباحث، فقد درست على يديه بمكتبته في المدة: ١٩٩٩/٨/٢٢م-٢٠٠٣/٣/٢م الكتب الآتية: الأجرومية ومتن القطر والبهجة المرضية في النحو(٢)، والأمثلة والبناء والمقصود والمراح في الصرف، والرحبية في الفرائض، ومتن الغاية والتقريب، وعمدة السالك في الفقه الشافعي(٣)، وتنبيه الوسنان إلى علم البيان(٤)، والقطوف الدواني من علم المعاني(٥)، والمسلك الوديع إلى علم البديع(٦)، وقد كنت وكيله في وظائف دينية ومناصب علمية بترشيح من عنده، وتزكية من قبله.

المطلب الثاني

عبد الملك السعديّ

(ولد: ١٣٥٦هـ الموافق: ١٩٣٧م)

أولاً: اسمه ونسبه(٧) هو الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الملك عبد الرحمن أسعد السعديّ الحسنيّ العراقيّ.

ثانياً: شيوخه تلقى علومه على عددٍ من شيوخ وأساتذة العراق، ومن أبرزهم الشيخ طه علوان السامرائيّ، والشيخ عبد العزيز السامرائيّ، والدكتور أحمد ناجي القيسيّ، والدكتور ناجي معروف، والشيخ عبد الكريم الدبان، ومن مصر تلقى عن مشايخ الأزهر ومنهم: الشيخ أحمد فهمي أبو سُنَّه، والشيخ حسن الظواهري، والشيخ يوسف عبد الرزاق، والشيخ شمس الدين عبد الحافظ، والدكتور أحمد الحوفيّ.

ثالثاً: تلاميذه من أبرزهم أخوته الخمسة: الشيخ الدكتور عبد العليم السعديّ -رحمه الله-، والشيخ عبد الحكيم السعديّ، والشيخ عبد الرزاق السعديّ، والشيخ عبد القادر السعديّ، والشيخ عبد الله السعديّ، وغيرهم كثير،

---

(١) اقتبسنا معلومات هذا المطلب من منتدى الدكتور الشيخ عبد الرزاق السعديّ: http://razak.yoo7.com

(٢) البهجة المرضية في شرح ألفية ابن مالك في النحو، جلال الدين السيوطيّ، دار إحياء الكتب العربية، مصر، د. ت.

(٣) عمدة السالك وعدة الناسك، لأحمد بن النقيب المصري، مكتبة الغزالي، دمشق-سوريا، ١٩٧٨م.

(٤) تنبية الوسنان إلى علم البيان، أ.د. عبد الرزاق السعدي، دار الأنبار للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٧م.

(٥) القطوف الدواني من علم المعاني، أ.د. عبد الرزاق السعدي، دار الأنبار للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٧م.

(٦) المسلك الوديع إلى علم البديع، أ.د. عبد الرزاق السعدي، دار الأنبار للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٩م.

(٧) اقتبسنا معلومات هذا المطلب من موقع الأمة الأوسط للشيخ عبد الملك السعديّ: http://www.alomah-alwasat.com/

فالطلاب الذين درسوا على يديه كثيرون بالمئات ولا يمكن حصرهم، ومنهم الباحث، فقد حضرت بعض دروسه في جامع الرمادي الكبير في مدينة الرمادي بمحافظة الأنبار في العراق بشكل غير منتظم، في العلوم الشرعية والعربية، وكنت حريصاً على مجلس إفتائه عصر الجمعة في مبنى رابطة علماء العراق فرع الأنبار في مدينة الرمادي، وكنت عضواً في الهيئة العامة للرابطة عندما كان يشغل منصب رئيس الرابطة قبل هجرته من العراق، وكنت أتردد على مدرسة عبد الله بن المبارك الدينية في الرمادي عندما كان مديرها، وهو مرجعنا في الفتوى والرأي والمشورة في الأمور الدينية والدنيوية، وكنا نتابع محاضراته في المساجد، وفتاواه المنشورة، ونعتمدها وننشرها بين الناس.

المطلب الثالث

عبد الكريم الدبان

(١٩١٠م-١٩٩٣م)

أولاً: اسمه ونسبه هو الشيخ عبد الكريم بن حمادي، ودبان -بالتخفيف- لقب جده السادس وهو كرديّ الأصل، واسمه السيد عبد الله، لقبوه بالدبان لأنه كان يملك خنجراً نفيساً مصنوعاً من الدبان وهو اسم لصنف جيد من أصناف الحديد تصنع منه السيوف والخناجر ونحوهما[١].

ثانياً: شيوخه أسانيد الشيخ العلامة عبدالكريم الدبان رحمه الله تعالى بخطه أجاز بها طلابه إجازة عامة، وفيها أنه يروي عن الشيخ السيد داود بن السيد سليمان التكريتيّ، عن العلامة عبد السلام الشواف، عن الشيخ العلامة عيسى صفاء الدين البندنيجي، وهو عن خلائق منهم: الشيخ المعم حسين كمال الدين الكركوكلي، عن العلامة أحمد بن إبراهيم صبغة الله الحيدريّ، والشيخ العلامة يحيى المزوري، عن جرجيس الاربلي، عن صبغة الله الحيدريّ، والشيخ خالد النقشبندي، عن عبد الرحمن الاربلي، عن جرجيس الاربليّ، والشيخ عبد الرحمن الروزبهاني، وداود باشا والي بغداد كلاهما عن صبغة الله الزياري، عن والده مصطفى الزياري، عن صبغة الله الحيدريّ، وعلامة الشام عبد الرحمن الكزبري، وأسانيده معلومة مشهورة، والشيخ العلامة السيد عبد الوهاب بن السيد حسن البدري السامرائي، عن الشيخ محمد سعيد بن عبد القادر النقشبندي، عن العلامة المفتي محمد فيضي الزهاوي، وهو عن شيخه محمد الساوجبلاغي، عن الشيخ صالح التلنباري، عن العلامة الملا اسماعيل عن صبغة الله الحيدريّ بأسانيده.

ثالثاً: تلاميذه درس على يديه أشهر علماء العراق وأبرز طلبة العلم في وقته، ومنهم الشيخ عبد الملك السعديّ فقد قرأ على يديه كتاب شرح مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه، ومنحه على إثر ذلك الإجازة العلمية التي تصل سلسلتها إلى الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[٢].

---

[١] انظر: بحوث ندوة الشيخ عبد الكريم الدبان.

[٢] انظر: موقع الأمة الأوسط للشيخ عبد الملك السعديّ: http://www.alomah-alwasat.com/

المطلب الرابع

داود سلمان التكريتيّ

(١٢٧٣هـ-١٣٦٠هـ)

أولاً: اسمه ونسبه هو الشيخ داود بن سلمان، وكنيته أبو الفضل، وينتسب الشيخ داود إلى عشيرة عشيرة (آل ناصر)[١]، يرتفع نسبها إلى الإمام زين العابدين بن الحسن بن علي رضي الله عنهما، ويلقب بالتكريتي نسبة إلى مدينة تكريت، ويلقب أيضاً بالناصريّ نسبة إلى جده ناصر الدين الذي كان أميراً على كردستان وتكريت أيام السلطان العثماني مراد الرابع[٢].

ثانياً: شيوخه حصل الشيخ على الإجازة العلمية من شيوخ الموصل، ورحل إلى بغداد ودرس على علمائها، وكان من أشهر شيوخه عبد السلام الشواف، الذي أخذ عنه الإجازة العلمية المطلقة في سنة ١٣١٧هـ[٣].

ثالثاً: تلاميذه تلاميذه كثر من البصرة وبغداد وتكريت، ونخص بالذكر تلميذه الشيخ عبد الكريم الدبان، الذي حمل رسالة الشيخ داود في التدريس والتأليف[٤].

المطلب الخامس

عبد السلام الشواف

(١٢٣٤هـ-١٣١٨هـ)

أولاً: اسمه ونسبه هو العلامة الفقيه المحدّث الشيخ عبد السلام أفندي البغداديّ زاده الكبيسيّ بن الحاج محمد سُعَيِّد -بتصغير لفظة سعيد- بن يوسف بن مصطفى، من عنزة الأنبار (الدليم)، النجديّ، وأما لقب الشوّاف فقد لحقته من أخواله فأمه هي السيدة فاطمة بنت محمد الشواف أخت الشيخ عبد الرزاق بن محمد الشواف، والد الشيخ طه الشواف، ومن هنا لحقت الشيخ عبد السلام هذه النسبة إلى آل الشواف وهم أخواله[٥]، وهو من سكان الجانب الغربي من بغداد -جانب الكرخ-، وتحديداً محلة المشاهدة في الدرب النازل إلى قهوة عقيل على يسار النازل من مقبرة الشيخ معروف الكرخيّ، ثم انتقل إلى محلة الشيخ صندل حسب رغبة أهله لمجاورة أخواله.

ثانياً: شيوخه أخذ العلم من الآلوسيّ صاحب التفسير، وقرأ عليه العلوم العقلية والنقلية، وعن العلامة عيسى صفاء الدين البندنيجي وأجيز منه بعد أن لوى عنان الطلب نحوه في الإستانة، فأكب عليه وأناخ راحلة التحصيل بين يديه، حتى أجازه بكل ما تجوز روايته وتصح له درايته، فخرج البحر الخضم الزاخر، وغدا بدر الفضل في أفق المفاخر، علامة مدينة السلام وبقية علمائها الأعلام، عمدة المدققين، ورئيس المحققين.

---

[١] انظر: تاريخ علماء بغداد: ١٩٢.

[٢] انظر: موسوعة مدينة تكريت: ١٢١/٦.

[٣] انظر: موسوعة مدينة تكريت: ١٢٢/٦.

[٤] انظر: موسوعة مدينة تكريت: ١٢٧/٦-١٥٠.

[٥] انظر: غرائب الاغتراب: ٢٦٠-٢٦٦، والدر المنثر: ١٠٦، وأعلام الفكر الإسلامي: ٣٣٤، ولب الألباب: ١٠٠/١، والبغداديون: ١١٤، منتخبات لتواريخ دمشق: 916، تاريخ الأدب العربي في العراق: ١٤٤/٢، وجمهرة الخطاطين البغداديين: ٦٦٥ .

ثالثاً: تلاميذه كان مرجع أهل الحديث والتفسير، تخرج عليه أكثر علماء بغداد إن لم نقل كلهم، وأخذ عنه علي علاء الدين الآلوسيّ، والعلامة محمود شكري الآلوسيّ وغيرهما، وممن أجازهم الشيخ داود سلمان التكريتيّ[١].

المطلب السادس

عيسى البندنيجيّ

(١٢٠٣هـ-١٢٨٣هـ)

أولاً: اسمه ونسبه هو العلامة الشيخ عيسى بن موسى جلال الدين القادريّ، أبو الهدى، الشهير بصفاء الدين البندنيجيّ، نسبة إلى بندنيج، وتعرف الآن بـ(مندلي) في محافظة ديالى قضاء بلدروز على الحدود العراقية الإيرانية[٢].

ثانياً: شيوخه طلب العلم على علماء عصره في بغداد، ورحل إلى الشام والحجاز والقسطنطينية لتلقي الأجازات العلمية، فتلقى العلم عن علماء كثيرين أولهم وأشهرهم علماً وعملاً وأطولهم باعاً وأقصرهم أملاً الشيخ المعمر حسين كمال الدين الكركوكيّ كما نقله أبو الوفا العبدليّ من ثبت الشيخ عيسى البندنيجيّ المحفوظ بالمكتبة الازهرية وعليه خطه في قائمة أسماء الشيوخ الذين أجازوا الشيخ عيسى البندنيجيّ، فذكر منهم: حسين أفندي الكركوكيّ ثم البغدادي كمال الدين الحنفيّ، وضياء الدين خالد الشهرزوريّ الكرديّ[٣].

ثالثاً: تلاميذه من مشاهير الآخذين عنه: العلامة السيد الشريف عبد الرحمن المحض الكيلانيّ نقيب الأشراف بن السيد علي النقيب المتوفى سنة ١٣٤٥هـ ببغداد، وتخرج على يديه الخطاط سفيان الوهبيّ، وأجازه في الخط العربي[٤]، وأنه أجاز تلميذه عبد السلام الشواف بكل ما تجوز روايته وتصح له درايته.

المطلب السابع

حسين كمال الدين الكركوكيّ

أولاً: اسمه ونسبه هو العلامة حسين أفندي كمال الدين الكركوكيّ ثم البغداديّ[٥].

ثانياً: شيوخه تلقى العلم عن نتيجة المتقدمين وخاتمة المتأخرين ذي الاسم اللامع والصيت الذائع العلامة أحمد بن إبراهيم المعروف بصبغة الله الحيدريّ، فهو يروي عن الشيخ صبغة الله الحيدريّ البغداديّ[٦].

ثالثاً: تلاميذه من تلاميذه ما نقله أبو الوفا العبدليّ من ثبت الشيخ عيسى البندنيجيّ المحفوظ بالمكتبة الازهرية وعليه خطه قائمة أسماء الشيوخ الذين أجازوا الشيخ عيسى البندنيجي البغدادي أبو الهدى الحنفي المتوفى سنة

---

[١] انظر: موسوعة مدينة تكريت: ١٢٢/٦.

[٢] انظر: تاريخ الأسر العلمية في بغداد: ٣-٢١.

[٣] انظر: آرشيف ملتقى أهل الحديث: ٢٥٥٠/١.

[٤] انظر: المسك الأذفر: ١٣٠.

[٥] انظر: ثبت نعمان الآلوسيّ، ق:١٤، نقلاً عن نعمة المنان في أسانيد شيخنا أبي عبد الرحمن وهو ثبت الشيخ صبحي السامرائيّ: ١٦.

[٦] انظر: آرشيف ملتقى أهل الحديث: ٢٥٥٠/١.

١٢٨٣هـ، فذكر منهم: حسين أفندي الكركوكيّ ثم البغدادي كمال الدين الحنفيّ [١]، وأثبت الدكتور أكرم عبد الوهاب تلمذة حسين الكركوكيّ على شيخه عيسى البندنيجيّ بالسند المتصل من طرق عدة[٢].

المطلب الثامن

أحمد بن إبراهيم صبغة الله الحيدريّ

(١٠١٤هـ-١١٨٧هـ)

أولاً: اسمه ونسبه هو أحمد المعروف بصبغة الله الحيدريّ أفندي الحسين آبادي (نسبة إلى مدينة حسين آباد)، بن إبراهيم بن حيدر بن أحمد بن حيدر بن محمد بن حيدر بير الدين، عليه رحمة الملك الهادي، هكذا ورد وصفه في سلسلة أسانيد شيوخ عبد الكريم المدرس (بياره)([٣]، والبيت الحيدري بيت علم وسيادة، نشأ فيه علماء وجهابذة، انتهى إليهم ثبت العلم في الديار العراقية، واقتصر على هذا البيت الإفتاء للشافعية والحنفية، وهو أول من ورد بغداد من البيت الحيدريّ الشهير بالعراق، فقد طلبه الوزير أحمد باشا ليقوي به عضد أهل السنة كما يرويه أحفاده[٤]، وجدهم الذي ينتسبون إليه هو العلامة أحمد افندي بن حيدر وعرفوا بالحيدرية بجدهم المذكور حيدر[٥]، وفي أوائل القرن العاشر للهجرة اضطر جدهم محمد بن حيدر بير الدين للهجرة إلى اربل خوفاً من أن يتعرض إلى تنكيل الشاه إسماعيل الصفويّ بسبب عقائده الدينية، وعاش أبناؤه في قرية (دير حرير)([٦] في (ماوران)[٧] من أعمال أربل، وفي منتصف القرن الثاني عشر للهجرة هاجر صبغة الله الحيدريّ إلى بغداد[٨].

ثانياً: شيوخه أخذ عن جميع العلماء في الموصل وبغداد[٩]، وعن والده إبراهيم بن حيدر، فقيل عنه أنه أخذ عن والده الأعلم الأفخر مولانا إبراهيم بن حيدر نور مقامه الملك الأكبر[١٠] فتلقى عنه العلوم بأجمعها المنقولة والمعقولة فروعها وأصولها[١١]، وقرأ اوائل بعض الكتب على جده حيدر بن أحمد[١٢].

---

[١] انظر: ثبت نعمان الآلوسيّ، ق:١٤، نقلاً عن نعمة المنان في أسانيد شيخنا أبي عبد الرحمن وهو ثبت الشيخ صبحي السا مرائيّ: ١٦.

[٢] انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ٩٥، ٩٧.

[٣] انظر: أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

[٤] انظر: الروض النظر، عصام الدين عثمان العمريّ: ٢١/٣، تاريخ حوادث بغداد والبصرة: ٤٢.

[٥] انظر: تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة: ١١٢.

[٦] ناحية تابعة لقضاء شقلاوة بالعراق، وهي مركز الإمارة السورانية، انظر: من التراث الثقافي الكوردي: ٣٨.

[٧] قرية قريبة من شقلاوة، انظر: من التراث الثقافي الكوردي: ٣٨.

[٨] انظر: من أعلام الكورد في بغداد، د.شعبان مزيري، مقال منشور في صحيفة التآخي العراقية.

[٩] انظر: نهاية المرام: ٢٦٢.

[١٠] انظر: أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

[١١] انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٧.

[١٢] انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٧، ١١٨.

ثالثاً: تلاميذه أخذ عنه جميع معاصريه من علماء العراق حتى قيل أنه أول من أدخل العلوم العقلية في الجادة العراقية وكانت قبله خالية منها مقصورة على بقية العلوم، وقد أعقب أجلاء فضله وعلماء، ومنهم: جرجيس أفندي الإربليّ[١]، ومن رواة سنده العلامة حسين كمال الدين الكركوكيّ[٢].

المطلب التاسع

إبراهيم بن حيدر

(ت١١٥١هـ)

أولاً: اسمه ونسبه هو إبراهيم بن حيدر بن صبغة الله بن أسعد الحيدريّ، فصيح الدين، ويقال له إبراهيم فصيح، أديب، كردي الأصل، تولى نيابة القضاء ببغداد[٣].

ثانياً: شيوخه أخذ العلم عن والده الذي وصفه بأنه: ((الوحيد في عصره والفريد في دهره مولانا وجدنا العلامة حيدر الحريريّ))[٤]، ووصف في موضع بأنه: ((الأكرم الأمجد حيدر بن أحمد عليه رحمة الملك الصمد))[٥].

ثالثاً: تلاميذه أخذ عنه ولده أحمد (صبغة الله الحيدريّ)[٦]، وأخذ عنه أيضاً ولده الشيخ إسماعيل بن إبراهيم بن حيدر بن أحمد الحريري الصفوي الحسين آبادي، فقال: ((وأنا الفقير إلى الله الغني قد قرأت العلوم النقلية والفنون العقلية الحكمية والاعتقادية والصنائع العربية على صاحب التصانيف الفايقة والتأليفات الرايقة علامة زمانه وأستاذ الكل في أوانه أعني من هو والدي وسندي مولانا إبراهيم مد ظله))[٧]، وقيل أيضاً أن إسماعيل بن إبراهيم قد قرأ على أبيه قرأ العلوم بأجمعها المنقول والمعقول والفروع والأصول[٨].

المطلب العاشر

حيدر بن أحمد

(١٠٣٦هـ-١١٢٩هـ)

أولاً: اسمه ونسبه هو العالم حيدر بن أحمد الحيدريّ الحريريّ الصفويّ الحسين آبادي الشافعيّ([٩]، نزيل الموصل[١٠]،

---

[١] انظر: إتحاف المسندين في تراجم المحدثين العراقيين.

[٢] انظر: آرشيف ملتقى أهل الحديث: ٢٥٥٠/١.

[٣] انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٧.

[٤] انظر: أهمية مخطوطات العلماء الكورد: قراءة في فهرست مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية، لمحمود أحمد محمد، عرض وتعليق: شعبان مزيري، مقال منشور في صحيفة التآخي العراقية.

[٥] انظر: أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

[٦] انظر: أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

[٧] انظر: أهمية مخطوطات العلماء الكورد: مقال منشور في صحيفة التآخي العراقية.

[٨] انظر: إجازة الشيخ عبد الله بن ملا رشيد الغرزانيّ.

[٩] انظر: معجم المؤلفين: ٨٩/٤.

[١٠] انظر: معجم المؤلفين: ٨٩/٤.

ثانياً: شيوخه تلقى علمه على والده العالم العارف صاحب المحاكمات أحمد بن مولانا الحيدريّ الكرديّ[١]، وجاء وجاء وصفه في موضع آخر: ((عن والده الأعظم الأنور أحمد بن حيدر عليه رحمة الملك الأكبر))[٢].

ثالثاً: تلاميذه ابنه إبراهيم بن حيدر[٣]، وحفيده أحمد بن إبراهيم الذي قرأ عليه أوائل بعض الكتب[٤].

المطلب الحادي عشر

أحمد بن حيدر

أولاً: اسمه ونسبه هو الشيخ أحمد الشهرانيّ[٥]. أو الشعراني[٦]) بن حيدر، المعاصر لابن حجر المكيّ الهيتميّ ت ٩٧٤هـ[٧].

ثانياً: شيوخه قرأ العلوم النقلية والفنون الادبية والصناعات العربية مقداراً معتداً به في العلوم النقلية على والده حيدر (الأول)[٨] بن محمد الأول[٩]، الأفحم الأكمل عليه رحمة الملك الأجل[١٠]، ومن شيوخه أيضاً: محمد بن شروبين، فقد نقل عنه أنه: ((قرأ شيخ مشايخنا بقية السلف المتبحرين صاحب المحاكمات أحمد بن حيدر تتمة المعقولات على شيخ الكل في الكل محمد بن شروبين))[١١]، وأخذ أحمد بن حيدر عن عبد الملك العصاميّ عن جمال الدين الإسفرائينيّ العصاميّ عن ابن حجر الهيتميّ عن زكريا الأنصاريّ عن ابن حجر العسقلانيّ[١٢].

وروى عن الشيخ الشيخ زين الدين البلاتيّ[١٣]، فإما أن يكون قد أخذ عن البلاتيّ مع أبيه حيدر بن محمد فكلاهما يكون قد روا عنه، أو أن يكون أحمد بن حيدر أخذ عن زين الدين البلاتيّ رأساً، وليس عن والده[١٤].

ثالثاً: تلاميذه ومن تلاميذه ابنه حيدر بن أحمد[١٥].

---

(١) انظر: أهمية مخطوطات العلماء الكورد، مقال منشور في صحيفة التآخي العراقية.

(٢) انظر: أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

(٣) انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٧.

(٤) انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٧، ١١٨.

(٥) انظر: سلسلة سند العلامة الشيخ يوسف بن رمضان من رجالات الموصل الحدباء، منتديات الموصل.

(٦) انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٧، ١٢٠.

(٧) انظر: سلسلة سند العلامة الشيخ يوسف بن رمضان من رجالات الموصل الحدباء، منتديات الموصل.

(٨) انظر: إتحاف المسندين في تراجم المحدثين العراقيين.

(٩) انظر: أهمية مخطوطات العلماء الكورد: قراءة في فهرست مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية، لمحمود أحمد محمد، عرض وتعليق: شعبان مزيري، مقال منشور في صحيفة التآخي العراقية.

(١٠) انظر: أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

(١١) انظر: إجازة الشيخ عبد الله بن ملا رشيد الغرزانيّ.

(١٢) انظر: إتحاف المسندين في تراجم المحدثين العراقيين.

(١٣) انظر: سلسلة سند العلامة الشيخ يوسف بن رمضان من رجالات الموصل الحدباء، منتديات الموصل.

(١٤) انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٧.

(١٥) انظر: إتحاف المسندين في تراجم المحدثين العراقيين.

المطلب الثاني عشر

حيدر بن محمد

أولاً: اسمه ونسبه هو العلامة حيدر (الأول)[١] بن محمد (الأول)، ومحمد الأول سمي بذلك والله أعلم لأنه هو أول من خرج من تركستان وورد إلى قرية دير حرير[٢]،

ثانياً: شيوخه يعد من تلاميذ شيخ الإسلام زين الدين الكرديّ البلاتيّ[٣].

ثالثاً: تلاميذه قرأ على يديه ابنه أحمد بن حيدر[٤]، وقرأ عليه الملا رسول الذكي الذي درس دراسته الأخيرة على العلامة حيدر بن محمد (حيدر الأول) في مدرسة قرية (ماوران) في محافظة أربيل بالعراق[٥].

المطلب الثالث عشر

زين الدين البلاتيّ

أولاً: اسمه ونسبه هو زين الدين الكرديّ البلاتيّ، والملقب أيضاً بـ(شمس الدين)[٦]،

ثانياً: شيوخه جعلت بعض أسانيد الإجازات العلمية أن زين الدين البلاتيّ هو تلميذ المحقق جلال الملة والدين محمد بن أسعد الصديقي الدوانيّ[٧]، ولكن في سندنا بينهما ثلاثة رجال، ولذلك أثبت مصدر آخر سلسلتنا من خلال ذكر زين الدين البلاتيّ تلمذته على حبيب الله ميزرا جان الشيرازيّ[٨].

ثالثاً: تلاميذه ومنهم حيدر بن محمد الأول، فقد ذكرت بعض الإجازات العراقية أنه روى عن صدر المحققين غواص بحار المعاني مولانا زين الدين الكرديّ البلاتيّ[٩].

المطلب الرابع عشر

نصر الخلخاليّ

(ت١٠١٤هـ)

أولاً: اسمه ونسبه -----

ثانياً: شيوخه روى عن الصياد في معاني المعاني كبالبازي جمال الدين ميرزاجان الشيرازيّ[١٠]، فهو تلميذه[١].

---

[١] انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٧.

[٢] انظر: من أعلام الكورد في بغداد، د.شعبان مزيري، مقال منشور في صحيفة التآخي العراقية.

[٣] انظر: إجازة الشيخ عبد الله بن ملا رشيد الغرزانيّ.

[٤] انظر: أهمية مخطوطات العلماء الكورد: قراءة في فهرست مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية، لمحمود أحمد محمد، عرض وتعليق: شعبان مزيري، مقال منشور في صحيفة التآخي العراقية.

[٥] انظر: التعريف بمساجد السليمانية: ١٤، مشاهير الكرد وكردستان: ٢/٢١٢.

[٦] انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٧.

[٧] انظر: إجازة الشيخ عبد الله بن ملا رشيد الغرزانيّ.

[٨] انظر: إتحاف المسندين في تراجم المحدثين العراقيين.

[٩] انظر: أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

[١٠] أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

ثالثاً: تلاميذه يعد زين الدين البلاتيّ من أبرز تلامذة نصر الخلخاليّ، فقالوا عنه: ((روى عن أستاذه صاحب المعالي مولانا نصر الله الخلخاليّ عليه رحمة الملك الوالي))[٢].

المطلب الخامس عشر

مرزا جان الشيرازيّ

(ت٩٩٤هـ)

أولاً: اسمه ونسبه هو المحقق ميرزا جان حبيب الله، بن عبد الله العلويّ الدهلويّ شمس الدين الشهير بميرزا جان الشيرازيّ، الباغنويّ نسبته إلى (باغنو) محلة بشيراز، الأشعريّ، الشافعيّ[٣]، متكلم أصولي منطقي[٤].

ثانياً: شيوخه ومنهم جمال الدين الشيرازيّ[٥].

ثالثاً: تلاميذه ومنهم زين الدين البلاتيّ[٦].

المطلب السادس عشر

جمال الدين الشيرازيّ

(ت٩٢٦هـ)[٧]

أولاً: اسمه ونسبه هو العلامة المحدث الأمير السيد جمال الدين (عطاء الله)[٨] بن السيد غياث الدين فضل الله بن السيد عبد الرحمن الحسينيّ، الدشتكيّ، الشيرازيّ، النيسابوريّ بن محمود الكشكناريّ[٩]، نزيل هراة[١٠].

ثانياً: شيوخه روى عن جلال الدين الدوانيّ[١١].

ثالثاً: تلاميذه ومنهم مرزا جان الشيرازيّ[١٢]، وأخذ عنه ملا علي قاري ذكره في المرقاة، وأخذ عنه أيضاً عبد اللّه بن الحسين اليزديّ من علماء الإمامية[١٣].

---

(١) انظر: إتحاف المسندين في تراجم المحدثين العراقيين.

(٢) أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

(٣) الأعلام، للزركلي:

(٤) الأعلام، للزركلي:

(٥) أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

(٦) أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

(٧) قيل توفي سنة ٩١٧ هـ، وقيل غير ذلك.

(٨) انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٧.

(٩) انظر: معجم المؤلّفين: ٦/٢٨٥.

(١٠) انظر: كشف الظنون: ١/٩٢٢.

(١١) أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

(١٢) أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

(١٣) انظر: معجم المؤلفين: ٦/٤٩.

المطلب السابع عشر

جلال الدين الدوانيّ

(٨٣٠هـ-٩٠٨هـ[١])

أولاً: اسمه ونسبه هو جلال الدين محمد بن أسعد ، وقيل سعد الصدّيقيّ، الدوانيّ[٢]، الكازرونيّ، الشيرازيّ، المشتهر تارة بجلال، وتارة بدوانيّ، وقيل فانيّ، وينتهي نسبه إلى محمد بن أبي بكر الصديق، وقيل في اسمه: محمد أسعد ابن سعد الدين أسعد[٣].

ثانياً: شيوخه ومنهم مظهر الدين الكازرونيّ[٤]، وروى عن والده سعد الملة والدين محمد الصديقيّ الدوانيّ.

ثالثاً: تلاميذه ومنهم جمال الدين الشيرازيّ[٥].

المطلب الثامن عشر

مظهر الدين الكازرونيّ

(ت٨٦٠هـ)[٦]

أولاً: اسمه ونسبه هو مظهر الدين منصور بن الحسن بن علي بن اختيار الدين فريدون بن علي العماد القرشي العدويّ العمريّ الشافعيّ[٧] الكازرونيّ[٨]،

ثانياً: شيوخه أخذ عن مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزاباديّ[٩].

ثالثاً: تلاميذه أخذ عنه تلميذه جلال الدين الدوانيّ[١٠].

---

[١] وقيل ٩٠٧هـ، وقيل ٩٠٨هـ، وقيل: ٩١٨هـ، وقيل ٩٢٨هـ، انظر: الأعلام: ٦/٣٢-٣٣.

[٢] انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٩.

[٣] انظر: الضوء اللامع: ٧/١٣٣.

[٤] أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

[٥] أشهر العلماء العراقيين المعاصرين.

[٦] انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٩.

[٧] انظر: الضوء اللامع: ٥/٨٧.

[٨] انظر: الضوء اللامع: ٥/٨٧.

[٩] انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٩.

[١٠] انظر: الإعلام: ٧/٢٩٨.

المطلب التاسع عشر

مجد الدين الفيروزآبادي

(٧٢٩هـ[١]-٨١٧هـ[٢])

أولاً: اسمه ونسبه هو مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر الشيرازيّ الفيروزآباديّ[٣]،

ثانياً: شيوخه أخذ اللغة والأدب عن والده وغيره من علماء شيراز، وسَمِع فيها على الشمس أبي عبد الله محمد بن يوسف الأنصاري الزَّرَندي المدني الصحيحَ، بل قرأ عليه جامع الترمذي هناك درسًا بعد درس في شهور سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وارتحل إلى العراق فدخل واسط وقرأ بها القراءات العشر على الشهاب أحمد بن علي الديوانيّ، ثم دخل بغداد في السنة المذكورة فأخذ عن التاج محمد بن السباك، والسراج عمر بن علي القزوينيّ[٤]، وفي دمشق قرأ على محي الدين بن الحداد الحنفيّ وغيره[٥].

وقرأ على محيي الدين أبي زكريا يحيى بن أبي الحسن علي بن طاهر بن بركات، الدمشقيّ، عُرف بابن الحداد، بمنزله على مقربة من جامع دمشق، بسماعه لها بقراءة والده، على مؤلفها[٦].

ثالثاً: تلاميذه أخذ عنه مظهر الدين الكازرونيّ[٧]، وغيره.

المطلب العشرون

محي الدين بن الحداد

(**ت**٧٥٧هـ)[٨]

أولاً: اسمه ونسبه هو محي الدين يحيى بن علي بن أبي الحسن علي بن أبي الفرج محمد بن طاهر بن محمد بن الحداد، الصالحيّ، الحنفيّ[٩]،

ثانياً: شيوخه روى عن الإمام يحيى بن شرف النوويّ بسنده المشهور[١٠].

ثالثاً: تلاميذه قرأ عليه الفيروزآبادي بمنزله على مقربة من جامع دمشق[١١].

---

(١) انظر: إنباء الغمر بأبناء العمر: ١٦٠/٧.

(٢) انظر: الأعلام: ١٤٦/٧.

(٣) انظر: إنباء الغمر بأبناء العمر: ١٦٠/٧.

(٤) انظر: الضوء اللامع: ٢٩/٥.

(٥) انظر: المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النوويّ: ٢٥.

(٦) انظر: المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النوويّ: ٢٥.

(٧) انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٩.

(٨) انظر: الوفيات: ٧٤/١.

(٩) انظر: المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النوويّ: ٢٥.

(١٠) انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٩.

(١١) انظر: المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النوويّ: ٢٥.

المطلب الحادي والعشرون

يحيى بن شرف النوويّ

(٦١٣هـ-٦٧٧هـ)

أولاً: اسمه ونسبه هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين، لقب بمفتي الأمة، شيخ الإسلام، محيي الدين، أبو زكريا النواوي، الحافظ، الفقيه، الشافعي، الزاهد، أحد الأعلام[١]

ثانياً: شيوخه من شيوخ النوويّ في الحديث عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي، أبو الفرج، من أئمة الحديث في عصره[٢]، وذكر النوويّ من شيوخه الشيخ المقدسيّ[٣].

ثالثاً: تلاميذه روى عنه محيي الدين بن الحداد[٤]، وغيره.

المطلب الثاني والعشرون

عبد الرحمن بن محمد المقدسيّ

(٥٩٧-٦٨٢هـ)

أولاً: اسمه ونسبه هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسيّ الجماعيليّ الحنبليّ، أبو الفرج، شمس الدين[٥]، وهو ابن أخي موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسيّ، شيخ الإسلام ت٥٤١هـ.

ثانياً: شيوخه سمع من أبيه، وعمه الشيخ موفق الدين وابن الجوزيّ، والحسين بن أبي بكر الزبيديّ، وغيرهم[٦].

ثالثاً: تلاميذه روى عنه محيي الدين النوويّ، وابن تيمية، وغيرهم، وأقرأ العلم زماناً طويلاً، وانتفع به الناس[٧].

المطلب الثالث والعشرون

الحسين بن أبي بكر الزبيديّ

(٥٤٣هـ[٨]-٦٣١هـ[٩])

أولاً: اسمه ونسبه هو الشيخ الصالح سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى بن مسلم الربعيّ الشهرزوريّ الزبيديّ الأصل[١٠] بفتح الزاي -نسبة إلى زبيد- الربعيّ البغداديّ الدار[١]،الشيخ الإمام الفقيه الكبير مدرس مدرسة الوزير عون الدين ابن هبيرة[٢].

---

[١] انظر: تذكرة الحفاظ: ٤/١٤٧٠- ١٤٧٤.

[٢] انظر: طبقات السبكيّ: ٨/٣٩٥.

[٣] انظر: تاريخ الإسلام:

[٤] انظر: إجازات العراقيين وأسانيدهم: ١١٩.

[٥] انظر: شذرات الذهب: ٥/٣٧٦.

[٦] انظر: النجوم الزاهرة: ٧/٣٥٨.

[٧] انظر: النجوم الزاهرة: ٧/٣٥٨.

[٨] أو قبلها أو بعدها.

[٩] انظر: الأعلام: ٢/٢٥٣.

[١٠] الزبيديّ هذا هو غير الزبيديّ: محمد مرتضى الزبيديّ، صاحب شرح القاموس ت١٢٠٥هـ، انظر: فهرس الفهارس: ١/٥٢٦.

ثانياً: شيوخه سمع من جده، وسمع من الإمام الحافظ أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزيّ الهرويّ ت٥٥٣هـ سمع منه صحيح البخاريّ[٣]، وسمع من غيره،

ثالثاً: تلاميذه حدّث عنه جماعة، ومنهم عبد الرحمن بن محمد المقدسيّ، وغيره.

المطلب الرابع والعشرون

عبد الأول بن عيسى السبحزيّ

(٤٥٣هـ-٥٥٣هـ)[٤]

أولاً: اسمه ونسبه عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق، مسند الوقت كنيته: أبو الوقت ابن أبي عبد الله السِّجْزِيُّ الأصل الْهَرَوِيُّ، من أهل سجستان سكن هراة[٥]،

ثانياً: شيوخه في مقدمتهم أبوه أبو عبد الله عيسى بن شعيب بن إبراهيم السجزي الصوفيّ، الشيخ الصالح، المعمر الكبير السن، له جدّ في الأمور الدينية، الحريص على سماع الحديث وطلبه، حمل ابنه وهو ابن عشر على ظهره وقصد به عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداوديّ ليسمع عنه[٦]، وهو آخر من روى في الدنيا عن الداوديّ[٧].

ثالثاً: تلاميذه سمع منه السراج بن المبارك الزبيديّ[٨].

المطلب الخامس والعشرون

عبد الرحمن بن محمد الداوديّ

(٣٧٤هـ-٤٦٧ هـ)[٩]

أولاً: اسمه ونسبه عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ بن سهل بن الحكم بن شيرزاد، أبو الحسن بن أبي طلحة الداوديّ البُوشَنْجيّ الشافعيّ[١٠]،

ثانياً: شيوخه تفقه على أبي بكر القفال، وأبي حامد الإسفراييني، وأبي الحسن الطليسيّ، وسمع عبد الله بن أحمد بن حمويه (الحمويّ)[١١] السرخسيّ، وهو آخر من حدّث عنه[١]، وأبا محمد بن أبي سريج وأبا طاهر الزياديّ وغيرهم[٢]، فقد سمع صحيح البخاريّ من السرخسيّ في صفر ٣٨١هـ[٣]، وروى عنه أحاديث أخر[٤].

---

[١] انظر: ذيل التقييد: ٣٥٢/٢.

[٢] انظر: الإمام سراج الدين الزبيديّ: مكتبة قديم للتراث والثقافة والفنون.

[٣] انظر: حلية الجيد بزبدة الأسانيد: ٢٩.

[٤] انظر: التقييد: ١٦٣/٢.

[٥] انظر: تذكرة الحفاظ: ١٣١٥.

[٦] انظر: التحبير في المعجم الكبير:

[٧] انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:

[٨] انظر: الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد: ٦.

[٩] انظر: تاريخ الإسلام للذهبيّ: ٢٣٦/٣١.

[١٠] انظر: تاريخ الإسلام للذهبيّ: ٢٣٢/٣١.

[١١] انظر: الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد: ٦.

ثالثاً: تلاميذه روى عنه أبو الوقت وعائشة بنت عبد الله البوسنجية وأبو المحاسن أسعد بن زياد وغيرهم[٥].

المطلب السادس والعشرون

عبد الله بن أحمد الحمويّ

(٢٩٣هـ-٣٨١هـ)

أولاً: اسمه ونسبه عبد الله بن أحمد بن حَمُّويَه بن مردويه بن أحمد بن يوسف بن أعين السرخسيّ الحمويّ، وبنو حمويه نالوا المشيخة والإمرة[٦]، وهو نزيل بوشنج وهراة[٧].

ثانياً: شيوخه سمع صحيح البخاريّ من الفربريّ سنة ٣١٦هـ[٨]،

ثالثاً: تلاميذه سمع منه عبد الرحمن بن محمد الداوديّ[٩].

المطلب السابع والعشرون

محمد بن يوسف الفربريّ

(٢٣١هـ-٣٢٠هـ)[١٠]

أولاً: اسمه ونسبه أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربريّ

ثانياً: شيوخه سمع من البخاري صحيحه مرتين بفرفر[١١]، وذلك في ٢٤٨هـ و ٢٥٢هـ مرة أخرى.

ثالثاً: تلاميذه حدث عنه الفقيه أبو زيد المروزيّ، والحافظ أبو علي بن السكن، وأبو الهيثم الكشميهنيّ، ومحمد بن عمر بن شبويه، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المستمليّ، وإسماعيل بن حاجب الكشانيّ، ومحمد بن محمد بن يوسف الجرجانيّ وآخرون، وسمع منه أبو محمد بن حمويه (الحموي) السرخسيّ صحيح البخاريّ عن مؤلفه[١٢].

---

[١] انظر: تاريخ الإسلام للذهبيّ: ٢٣٤/٣١.

[٢] انظر: طبقات الشافعية: ٢٢٨/٣.

[٣] انظر: التقييد: ٨٥/٢.

[٤] انظر: الأربعين في الجهاد والمجاهدين: ٢١.

[٥] انظر: شذرات الذهب: ٣٢٧/٣.

[٦] انظر: التقييد: ٨٥/٢.

[٧] انظر: طبقات الشافعية: ٦٩/٣.

[٨] انظر: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: ١٧٣.

[٩] انظر: الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد: ٦.

[١٠] انظر: التقييد ١٣١/١.

[١١] انظر: فربر: بكسر الفاء وبفتحها، وهي من قرى بخارى، حكى الوجهين القاضي عياض وابن قرقول والحازميّ، وقال: الفتح أشهر، وأما ابن ماكولا، فما ذكر غير الفتح، انظر: سير أعلام النبلاء:١٣/١٥.

[١٢] انظر: الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد: ٦.

المطلب الثامن والعشرون

محمد بن اسماعيل البخاريّ

(١٩٤هـ-٢٥٦هـ)[١]

أولاً: اسمه ونسبه هو أبو عبدالله بن أبي الحسن، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه، الجعفي مولاهم، البخاريّ، فأمَّا الجعفي فنسبة إلى يمان الجعفي الذي أسلم على يديه المغيرة جَدّ البخاري، وكان قبلُ مجوسيًّا، فنُسِب إليه نسبة ولاء إسلام، وأمَّا البُخاري :فنسبة إلى مدينة بُخارى الواقعة في بلاد ما وراء النَّهر، وهي الآن تقع في الجزء الغربي من جمهورية أُوزبكستان[٢].

ثانياً: شيوخه لا يُسْتَغْرب قول البخاري قبل موته بشهر: كتبتُ عن ألفٍ وثمانين نفساً، ابتدأ السَّماع من شيوخ بلده بُخارى، وأخذ عن أتباع التابعين مثل: مكي بن إبراهيم، وعن ثقات التابعين، وعن كبار تبع الأتباع، وعن رفقائه في طلب العلم، وعن من هم في عداد طلبته في السن والإسناد[٣].

ثالثاً: تلاميذه أخذ عنه خلقٌ كثيرٌ لا يُحصَون، فكان يجتمع له في بغداد وحدَها أكثر من عشرين ألفًا يكتبون عنه، وكان بين يديه ثلاثة مستملين، وسَمِع منه الصحيح ما يَقْرب من تسعين ألفًا[٤]، ومنهم محمد بن يوسف الفربريّ الذي سمع من البخاري صحيحه مرتين[٥].

المطلب التاسع والعشرون

مكي بن ابراهيم

(ت٢١٥هـ)

أولاً: اسمه ونسبه مكي بن إبراهيم شيخ خراسان أبو السكن التميميّ الحنظليّ البلخيّ[٦]، وقيل: البجليّ[٧].

ثانياً: شيوخه حدث عن يزيد بن أبي عبيد وجعفر الصادق وأبي حنيفة وابن جريج وخلق[٨].

ثالثاً: تلاميذه وعنه البخاريّ وأحمد وابن معين وخلق، وروى عنه إياس بن سلمة ابنه ومولاه يزيد بن أبي عبيد ويزيد بن خصيفة[٩].

---

[١] انظر: سير أعلام النبلاء: ٤٦٤/١٢.

[٢] انظر: سير أعلام النبلاء: ٤٣٠/١٢، وفيات الأعيان: ١٨٨/٤، طبقات الشافعية الكبرى: ٢١٢/٢، شذرات الذهب:٢٥/٢، معجم البلدان: ٤١٩/١.

[٣] انظر: سير أعلام النبلاء: ٣٩٥/١٢.

[٤] انظر: سير أعلام النبلاء: ٣٩٨/١٢.

[٥] انظر: فربر: بكسر الفاء وبفتحها، وهي من قرى بخارى، حكى الوجهين القاضي عياض وابن قرقول والحازميّ، وقال: الفتح أشهر، أشهر، وأما ابن ماكولا، فما ذكر غير الفتح، انظر: سير أعلام النبلاء: ١٣.

[٦] انظر: معرفة الثقات: ٢٩٦/٢.

[٧] انظر: تذكرة الحفاظ: ٣٦٥.

[٨] انظر: سير أعلام النبلاء: 395/١٢.

[٩] انظر: تاريخ دمشق: ٨٦/٢٢.

المطلب الثلاثون

يزيد بن أبي عبيد

(ت١٤٧هـ)

أولاً: اسمه ونسبه هو يزيد بن أبي عبيد مولى سلمة بن الأكوع المدنيّ، من بقايا التابعين الثقات[١].

ثانياً: شيوخه حدث عن مولاه سلمة بن الأكوع، وعن عمير مولى آبي اللحم[٢].

ثالثاً: تلاميذه وعنه حاتم بن إسماعيل، ويحيى القطان، وأبو عاصم النبيل، ومكي بن إبراهيم، وآخرون[٣].

المطلب الحادي والثلاثون

سلمة بن الأكوع

(ت٧٤هـ)[٤]

أولاً: اسمه ونسبه الصحابي سلمة بن عمرو بن الأكوع رضي الله عنه، والأكوع هو سنان بن عبد الله بن قشير ابن خزيمة بن الأفصى الأسلميّ[٥]، نزل المدينة ثم تحول إلى الربذة بعد قتل عثمان وتزوج بها وولد له[٦].

ثانياً: شيوخ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم[٧]، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة رضي الله عنهم[٨]، عنهم[٨]، وغيرهم من الصحابة[٩].

ثالثاً: تلاميذه روى حديثه جماعة من تابعي أهل المدينة، وروى عنه ابنه إياس والحسن بن محمد بن الحنفية وزيد بن أسلم ويزيد بن أبي عبيد مولاه وآخرون[١٠].

المطلب الثاني والثلاثون والأخير

محمد بن عبد الله ت١١هـ

((والمعروف لا يعرّف))

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء:

(٢) انظر: الاستيعاب: ١/١٩٣.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء:

(٤) وقيل ٦٤هـ، وقيل: ٩٤هـ، انظر: تهذيب الكمال: ١١/٣٠١.

(٥) انظر: الاستيعاب: ١/١٩٣.

(٦) انظر: الإصابة: ٣/١٥١.

(٧) انظر: تهذيب الكمال: ١١/٣٠١.

(٨) انظر: تهذيب الكمال: ١١/٣٠١.

(٩) انظر: الإصابة: ٣/١٥١.

(١٠) انظر: الإصابة: ٣/١٥١.

المصادر والمراجع

١. إجازات العراقيين وأسانيدهم، الدكتور أكرم عبدالوهاب محمد أمين، اعتنى بطباعتها: نجل المؤلف: مصطفى أكرم عبد الوهاب، دار النور للعلوم الشرعية والاسناد، الموصل–العراق، ١٤٢٨هـ.

٢. الأربعين في الجهاد والمجاهدين، لأبي الفرج محمد بن عبد الرحمن المقرئ، تحقيق: بدر عبد الله البدر، دار ابن حزم –بيروت، ط/١، ١٤١٣هـ.

٣. الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد، أحمد بن عبد الرحيم المعروف بشاه ولي الله المحدث الدهلويّ، نشره أبو عبد الرحمن الطاهر، في موقع أهل الحديث.

٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف عبد الله محمد عبد البر أبو عمر، دار الفكر، ١٤٢٧ هـ–٢٠٠٦م.

٥. الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعيّ، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط/١، ١٤١٢هـ.

٦. الأعلام، خير الدين الزركليّ، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط/٤، ١٩٧٩م.

٧. أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، لأحمد تيمور باشا، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، القاهرة، ١٩٦٧م.

٨. الإمام الثاني عشر، تأليف العلامة السيد محمد سعيد الموسويّ، مكتبة نينوى، كربلاء، مطبعة القضاء، النجف ١٣٩٣هـ–١٩٧٣م.

٩. إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، ١٩٨٦م.

١٠. البغداديون أخبارهم ومجالسهم، إبراهيم عبد الغني الدروبي، مطبعة الرابطة، بغداد، **١٩٥٨**م.

١١. تاريخ الأدب العربي في العراق، لعباس العزاويّ، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٢م.

١٢. تاريخ الأسر العلمية في بغداد، السيد محمد سعيد الراوي البغداديّ، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط/١، ١٩٩٧م.

١٣. تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام، للحافظ شمس الدين الذهبي ت٧٤٨هـ، تحقيق: د .عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط/٢، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.

١٤. تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، عبدالرحمن حلمي العباسيّ السهرورديّ، تحقيق: د. عماد عبدالسلام رؤوف

١٥. تاريخ حوادث بغداد والبصرة (١٧٧٢. ١٧٧٨م)، عبدالرحمن بن عبدالله السويديّ البغداديّ، تحقيق: الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف، وزارة الثقافة، العراق، ط/١، ١٩٧٨م.

١٦. تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، ليونس السامرائيّ، مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، د. ت.

١٧. التحبير في المعجم الكبير، لعبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، تحقيق: منيرة ناجي سالم، ديوان الأوقاف، بغداد، ط/١، ١٣٩٥هـ– ١٩٧٥م.

١٨. تذكرة الحفاظ، للحافظ شمس الدين الذهبيّ ت٧٤٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط/١، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

١٩. التعريف بمساجد السليمانية ومدارسها الدينية ومدرسيها مع إلمام بتاريخ الأمراء البابانية، العلامة محمد القزلجيّ، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٣٨م.

٢٠. التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد، أبو بكر محمد بن عبد الغني المعروف بابن نقطة، دائرة المعارف العثمانية، ط/١، ١٤٠٣ هـ–١٩٨٣م.

٢١. تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزيّ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م.

٢٢. توضيح قطر الندى في النحو، للشيخ الدبان، تقديم: د. عبد الحكيم الأنيس، دائرة الشؤون الإسلامية، دبي، ط/١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٣. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٩٩٣م.

٢٤. جمهرة الخطاطين البغداديين وليد الأعظميّ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٩م.

٢٥. الدر المنثر، للحاج علي علاء الدين الآلوسيّ، تحقيق الأستاذ جمال الدين الآلوسيّ والأستاذ عبد الله الجبوريّ، مكتبة أضواء السلف، د. ت.

٢٦. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد بن أحمد بن علي تقي الدين أبو الطيب المكي الفاسيّ ت٨٣٢هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط/١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٧. الذيل علي طبقات الحنابلة، لابن رجب زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد البغداديّ، تصحيح: حامد الفقي، مصر، ١٩٥٢م.

٢٨. الروض النظر في ترجمة أدباء العصر، عصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري ت ١١٨٤هـ، تحقيق: د. سليم النعيميّ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٤- ١٩٧٥ م.

٢٩. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لمحمد خليل المراديّ، تحقيق: أكرم حسن العلبيّ، دار صادر، بيروت، ١٤٢٢-هـ٢٠٠١م.

٣٠. سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٣١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي ت١٠٨٩هـ، مكتبة القدسي، مصر، ١٣٥٠هـ.

٣٢. شعراء تكريت في العصر الحديث، سعد ياسين العكاش، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠م.

٣٣. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاويّ ت٩٠٢هـ، دار الجيل، ط/١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٣٤. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكيّ، تحقيق: د.محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر ، مصر ، ط/٢، ١٤٣١هـ-١٩٩٢م.

٣٥. علماء ومدارس أربيل، زبير بلال اسماعيل، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، ١٩٨٤م.

٣٦. غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، الشيخ ياسين خير الله العمريّ، قدم له واعتنى به الاستاذ: سامي عبد الله باشعالم العمريّ، القاهرة، د. ت.

٣٧. غرائب الإغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب، محمود الآلوسيّ أبو الثناء شهاب الدين، مطبعة الشابندر – بغداد، ١٣٢٧هـ.

٣٨. فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي الكتاني ت١٩٦٢م، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط/٢، ١٤٠٢هـ.

٣٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف ب(حاجي خليفة) ت١٠٦٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٤٠. لب الألباب، لمحمد صالح السهورديّ، مطبعة المعارف، بغداد،١٩٣٣م.

٤١. المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر، السيد محمود شكري الآلوسيّ، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٢م.

٤٢. مشاهير الكرد وكردستان، محمد أمين زكي،مراجعة وتعليق: محمد علي عوني، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٤٧م.

٤٣. معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين، ٢٠١٠م.
٤٤. معجم البلدان ، لياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦ هـ، دار الفكر، بيروت، د. ت.
٤٥. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٤٦. معرفة الثقات، أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفيّ، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستويّ، المدينة المنورة، ط/١، ١٤٠٥هـ١٩٨٥-م.
٤٧. موسوعة مدينة تكريت، مجموعة مؤلفين، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ط/١، ١٩٩٥م.
٤٨. منتخبات لتواريخ دمشق، محمد أديب آل تقي الدين، دار البيروني، ط/١، ٢٠٠٢م.
٤٩. المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النوويّ، للسخاويّ، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط/١، ٢٠٠٥م.
٥٠. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، دار الكتب المصرية، ١٩٣٢م.
٥١. هدية العارفين لأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، المكتبة الإسلامية، طهران، ط/٣، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
٥٢. الوفيات، لابن رافع السلاميّ تقي الدين أبو المعالي، تحقيق: صالح مهدي عباس وبشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٥٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت٦٨١هـ، تحقيق: د. يوسف علي طويل و د. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط/١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

المواقع الإلكترونية في الأنترنيت:

٥٤. إجازة الشيخ عبد الله بن ملا رشيد الغرزانيّ، لملا محمد آليه صالحين بن أحمد: www.persidam.org
٥٥. ملتقى أهل الحديث: منتدى تراجم أهل العلم المعاصرين.
٥٦. منتدى الدكتور الشيخ عبد الرزاق السعديّ: http://razak.yoo7.com
٥٧. منتديات الموصل.
٥٨. الموسوعة الشاملة.
٥٩. موقع الأمة الأوسط للشيخ عبد الملك السعديّ:http://www.alomah-alwasat.com
٦٠. موقع كلمات.

البحوث:

٦١. أشهر العلماء العراقيين المعاصرين، عبد الجبار القرعاوي، ملتقى أهل الحديث، آرشيف: ٢٠١٠م.
٦٢. بحوث ندوة الشيخ داود التكريتيّ في كلية التربية بجامعة تكريت في العراق، وذلك يوم الأثنين ٢٠٠٤/٤/٢٦م.
٦٣. بحوث ندوة الشيخ عبد الكريم الدبان، كلية التربية بجامعة تكريت في العراق، وذلك يومي الثلاثاء والأربعاء ٢-٣ ذو القعدة ١٤٢٢هـ الموافق ١٥-١٦ كانون الثاني ٢٠٠٢م.
٦٤. حلية الجيد بزبدة الأسانيد، للعلامة المسند الشيخ أبي أنس أسامة بن السيد بن عبيد التيدي الأثريّ الحنفيّ، بحث منشور في الأنترنيت.
٦٥. فيض الودود في حياة سيد داود، الحاج أحمد يعقوب المعتوق، مخطوطة في سبع صفحات من القطع الكبيرة.
٦٦. نعمة المنان في أسانيد شيخنا أبي عبد الرحمن وهو ثبت الشيخ صبحي السامرائيّ، بحث منشور في الأنترنيت.

الصحف والمجلات:

٦٧. صحيفة التآخي العراقية.

٦٨. مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد: (٩٦) السنة: (٢٤): شوال ١٤٢٥هـ-كانون الأول ٢٠٠٤م.

٦٩. مجلة المورد في العراق: العدد: (٢) ١٩٨٤م.

المحدِّث أبو الطيِّب شمس الحق العظيم آبادي وإسهامه في خدمة السنة النبوية

سيد عبد الماجد الغوري

الباحث الزميل في معهد دراسات الحديث النبوي (إنهاد)

والمحاضر في قسم الكتاب والسنة في الكلية الجامعية الإسلامية العالمية (كويس)

ماليزيا

samghouri@gmail.com

المقدمة

إنَّ هذا البحث يعرِّف بإسهام المحدِّث أبي الطيِّب شمس الحقِّ العظيم آبادي (صاحب "عون المعبود في شرح سنن أبي داود")، في خدمة السنة النبوية، وهو يشتمل على ثلاثة مباحث رئيسة:

أولها: عن عصره الذي عاش فيه.

الثاني: عن حياته.

والثالث: عن جهوده في خدمة السنة النبوية.

ثم الخاتمة، وكشف للمصادر والمراجع.

المبحث الأول

عصر المحدِّث العظيم آبادي من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية

أولاً: الحالة السياسية:

أبصر الشيخ أبو الطيِّب شمس الحقّ العظيمُ آبادي النورَ في وقت كان معظم بلدان العالم الإسلامي خاضعةً لحكم الخلافة العثمانية، والتي كانت تلفظ أنفاسَها الأخيرة، وقد آلت إلى الضعف بعد القوة، وإلى الوهن بعد الشدة، وعُرفت في الأوساط السياسية الغربية بالرجل المريض، حتى سقطت سنة ١٩٢٤م، فقد أصبح العالم الإسلامي للمرة الأولى منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بلا خلافةٍ، وتفكَّك المسلمون وأصبحوا بلا راعٍ.

هذا هو حال العالم الإسلامي في عصر العظيم آبادي.

أما الهند التي كانت تحكمها الإمبراطوريةُ المغولية المسلمة منذ ثمانية قرون، فهي أيضاً كات تلفظ أنفاسها الأخيرة وقتئذ مثل الخلافة العثمانية في تركيا، وبدأت تفقد حكمها ونفوذها تدريجياً حتى سقطت أخيراً على يد الاستعمار البريطاني سنة ١٨٥٨م، وانتقلت الهند إلى الحكم البريطاني الذي عاصره العظيم آبادي، وذاق مرارته.

الحالة الاجتماعية:

لم يكن حالة المسلمين الاجتماعية في الهند في عصر الشيخ أبي الطيِّب مثلما كانت قبل الاستعمار البريطاني، خاصةً حينما كانت الهند تتمتع بالنفوذ الإسلامي في عهد الإمبراطورية المغولية المسلمة، فحين سقطت تلك الإمبراطورية وبدأ الحكم الإنكليزي في هذه البلاد؛ تفرَّق المسلمون، وتشتَّت شملُهم، وقلَّ الوازع الديني، مما أدَّى ذلك إلى انتشار داء التعصُّب المذهبي والفرقة، واتِّساع رقعة الخلاف بين أفراد الأمة، فانتشر الجهل، وشاع الهوى، وظهرت البدع والخرافات، وضعفت القيمُ الأخلاقية في المجتمع بسبب معايشة المسلمين مع الإنكليز، كما ظهرت أمور جديدة لم يكن يعهد بها علماء هذه البلاد من قبل، مثل مسألة الحجاب، وخروج المرأة، ومحاكاة الإنكليز في عادات أكلهم وملبسهم وطريقة حياتهم. وفي مثل هذه الظروف كان للشيخ أبي الطيب وأمثاله من العلماء دورٌ فعالٌ في إنقاذ المجتمع الإسلامي من تقليد الغرب، وفي إماتة البدع والخرافات، وإحياء السنة النبوية فيه.

الحالة العلمية:

أما حالة الأمة الإسلامية في عصر الشيخ أبي الطيِّب فقد بلغت دركةً عظيمةً من التدنِّي العلمي، والانحطاط الفكري، وبانت بوناً شاسعاً عن عصور ازدهارها، وإشعاع نور علمها. وقد شمل ذلك علومَ الدنيا

والدين، فتركت الأمةُ الانتفاع من المعارف الأوروبية بحُجّة مصدرها الكافر، بغير نظرٍ إلى المصالح والمفاسد. كما أُصيبت بالتحجُّر في علوم الدين، وسلكت سبيلَ التقليد، فلم يكن عند العلماء ابتكارٌ في التاليف غير تحشية الكتب واختصارها وتقريرها، كما أصبحت غايةُ الطلبة من العلم الظفرَ بالإجازات والتفاخر بها، دون حقيقة لمقتضاها[١].

ولكن حالة المسلمين العلمية في الهند كانت على خلاف ما كانت عليها الحالةُ العلمية في كثير من بلدان العالم الإسلامي، وكان زعماؤهم – وإنْ كانت قلوبهم مليئةً بالبغض والكراهية للاستعمار البريطاني الذي عاث فساداً في البلاد، فأكل خيراتِها، وأذلَّ أهلَها – لم يروا بأساً في الاستفادة مما كان يتميَّز به الإنكليز من خبرات في مجال التعليم، فاستفادوا منهم، وأنشؤوا في البلاد مؤسسات وجامعات للتعليم العصري، مثل: "جامعة عليكره الإسلامية" بعَلِيْكَرَهْ، و"الجامعة الْمِلِّيَّة الإسلامية" بدلهي، و"الجامعة العثمانية" بحيدرآباد، وقد نجحت هذه الجامعات في رسالتها نجاحاً كبيراً، وتخرَّج فيها كثيرٌ من الرجال الذين شغلوا وظائف كبيرة في الحكومة مع تمتعهم بثقتها، كما أنها لعبت دوراً مؤثِّراً في حياة المسلمين وسياسة البلاد[٢].

كذلك لم يكن حالةُ التعليم الدينية في هذه البلاد مثلما كانت في كثير من بلدان العالم الإسلامي في ذلك العصر، بل كانت في هذه البلاد صحوةٌ تعليمية قوية يندر مثالها في أي بلد آخر من بلدان العالم الإسلامي عصرئذ، فقد أنشأ علماء المسلمين بعد سقوط الدولة المغولية المسلمة واحتلال الاستعمار البريطاني، مدارسَ وجامعاتٍ دينية كثيرةً في مختلف مناطق الهند، خشيةً على مسلميها من أن يتأثروا بالحكم غير الإسلامي الذي لم يعهدوا به، وحفاظاً على هويتهم الدينية، ومن أشهر تلك المدارس والجامعات التي أنشأوها: "دارالعلوم الإسلامية" بدِيُوْبَند، و"مدرسة مظاهر العلوم" بسَهارَنْفُور، و"دارالعلوم لندوة العلماء" بلكنؤ، و"دار الحديث الرحمانية" بدهلي[٣]، فقد قامت هذه المدارس والجامعات بثورة علمية ونهضة حديثية قوية في هذه البلاد، والتي لا تزال تُؤتي أُكُلَها، فبدأ الطلاب يؤمون هذه البلاد من مختلف أنحاء العالم الإسلامي في طلب العلم لا سيما في طلب الحديث النبوي الذي أصبحت الهند مركزاً له، وصارت مأوى لأفئدة الكثير من أهل العلم وتلامذته، وقد شهد بذلك العلامة رشيد رضا المصري (ت١٣٥٤هـ) في تقديمه لكتاب "مفتاح كنوز السنة" حيث قال: "لولا عنايةُ إخواننا الهنود بعلوم الحديث في هذا العصر؛ لقُضي عليه بالزوال من أمصار الشرق..."[٤]. وقد سبقه الشيخ عبد العزيز الخولي (ت١٣٤٩هـ) بمثل هذا الاعتراف الجميل والثناء العاطر، حيث قال: "ولا يُوجَد في الشعوب الإسلامية على كثرتها، واختلاف أجناسها مَن وفَّى الحديثَ قِسطه مِن العناية في هذا العصر مثل إخواننا مسلمي الهند، أولئك

---

١ انظر: الزهراني، علي بخيت، **الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة**، ص: ٧٩٨.

[٢] الغوري، سيد عبد الما جد، **الإمام أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب**، ص: ١١٤.

[٣] الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **المسلمون في الهند**، ص: ١٣٨، والغوري، سيد عبد الماجد، أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية، ص: ١٠٩، ١١٣.

[٤] رشيد رضا، محمد، في تقديمه لكتاب: "**مفتاح كنوز السنة**"، ص: ق.

الذين وُجد بينهم حُفَّاظٌ للسنة، دارسون لها على نحو ما كانت تُدرَس في القرن الثالث، حرية في الفهم ونظر في الأسانيد..."[1].

المبحث الثاني

حياة الشيخ أبي الطيب

هو العالم البارع، المحدِّث الفقيه، العلامة الكبير: الشيخ المربِّي: أبو الطيِّب، شمس الحقِّ بن أمير عليّ بن مقصود عليّ بن غُلام حيدر بن هداية الله بن محمد زاهد بن نور محمد علاء الدين البَكْري الدَّيَانَوِي العظيم آبادي.

كنيته واسمه ونسبه:

أولاً: كنيته: "أبو الطَّيِّب".

ثانياً: اسمه: "شمس الحقِّ"

ثالثاً: نسبته: "العظيم آبادي"، نسبةً إلى مَسقَط رأسِه "عظيم آباد" التي تُسَمَّى اليوم "بَتْنَه"، عاصمة ولاية "بِهَارْ".

نسبه وأسرته:

ينتهي نسبُه إلى الخليفة الأوّل أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه من جهة أبوَيْه معاً.

وكانت أسرته تُعرَف بالوجاهة والشرف، والصلاح والتقوى. ووالدُه الشيخ (أمير علي) كان معروفاً بين الناس بحلمه وكرمه وتواضعه، وقد قرأ على المشايخ الكتب الفارسية، ودرس عليهم بعضَ كتبِ الحديث والفقه واللغة العربية، توفي في سنة ١٢٨٤هـ ، وكان عمرُ الشيخ أبي الطيب وقتئذ أحد عشر عاماً.

أما والدته فكانت امرأةً صالحةً عابدةً صابرةً، وقد أنجبت أبناءً بَرَرة خدموا الدين والعلم معاً، فكان أشهرُهم: الشيخ أبو الطيِّب، صاحب الترجمة، والشيخ شرف الحقِّ محمد شرف العظيم آبادي، الذي كان عالماً متمكِّناً من علم الحديث، رافق أخاه الكبير أبا الطيب شمس الحق العظيم آبادي في رحلته العلمية، وشاركه في شيوخه في التلقِّي عنهم، ولازم المحدِّثَ المسند الشيخ نذير حسين الدهلوي (ت١٣٢٠هـ)، وأخذ عنه الحديثَ، وبعد فراغه من طلب العلم؛ لازم بيتَه في مسقط رأسه، وعكف على التدريس والإفادة، ولم يزل كذلك حتى وفاته سنة ١٣٢٦هـ[2].

مولده ونشأته:

وُلد الشيخُ أبو الطيِّب في ٢٧ ذي القعدة عام ١٢٧٣هـ (١٨٥٧م)، ببلدة "أعظم آباد"، ولكن بعد وفاة والده انتقلت به والدته إلى مسقط رأسها "دَيَانْوَان" حيثُ نشأ وتربَّى في بيت جدِّه من أمه نشأةً صالحةً على التُّقى والدِّيانة، وكان من تأثير تلك النشأة والتربية أنه مال منذ صِغره إلى اتِّباع السنة.

---

[1] الخولي، عبد العزيز، **مفتاح السنة**، ص: ٣.

[2] انظر: الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، (٨/١٣٥٠)، والفريوائي، عبد الرحمن بن عبد الجبار، **جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة**، ص:١٢٥.

دراسته:

بدأ الشيخُ أبو الطيب دراسته بقراءة القرآن الكريم، ثم شرع في دراسة كتب الفارسية – شأن أبناء البيوتات الشريفة وقتئذ – على علماء بلدته، ثم بدأ قراءةَ المختصرات على الشيخ عبد الحكيم الشَّيْخُوْفُوْرِي (ت١٢٩٥هـ)، ثم أقبل على تحصيل العلوم العربية وغيرها على الشيخ لُطْف الله البِهَاري (ت١٢٩٦هـ)، فقرأ عليه أهمَّ كتبِ اللغة والأدب والمنطق، كما قرأ عليه أيضاً "جامع الترمذي"، وأصولَ الفقه، وكانت دراسته كلها في "ديانوان" على علمائها ومشايخها دون أن يرحل إلى مكانٍ آخر.

ولَمّا ارتوى من تحصيل العلوم من علماء قريته؛ رحل إلى "الكنؤ" عام ١٢٩٢هـ – والتي كانت محطّاً للعلوم العقلية وقتئذ –، ومكث فيها سنةً، وقرأ خلالها كتبَ المنطقِ والفلسفة على الشيخ فضل الله اللَّكْنَوِي (ت١٣١١هـ). ثم انتقل إلى مدينة "مُرادْآباد"، حيثُ قرأ كتبَ العلومِ النقلية والعقلية على المحدِّث الشيخ القاضي بشير الدين القَنُّوْجِي (ت١٢٩٦هـ) حتى تبحَّر فيها.

ثم تاقت نفسُه إلى التمكُّن من علم الحديث؛ فسافر إلى "دهلي" في بداية عام ١٢٩٥هـ، وثافَنَ مُسنِدَ الهند المحدِّثَ الكبير الشيخ نذير حسين الدهلوي، حتى عبَّ من علمه، وحصلت له الإجازةُ منه في علوم الحديث والتفسير، وكانت مدة إقامته عنده نحو سنة أو أكثر. ثم عاد إلى بلدته عام ١٢٩٦هـ، ومكث فيها فترةً ثم جدَّد الرحلةَ إلى"دهلي" لأنَّه وجد أنَّ نفسه الطموحة لم تقتنع بالقدر الذي اغترفه من علم شيخه المحدِّث نذير حسين الدهلوي، فسافر إليه مرةً ثانية، وبقي عنده أكثر من سنتين، وقرأ عليه أُمَّاتِ كتب التفيسر والحديث وأصوله.

ومِن دأب المحدِّث نذير حسين[1] أنه كان يدرِّب تلاميذَه الناشئين على كتابة الفتاوى، مع تدريسهم الكتبَ الدراسية، وكان الشيخ أبو الطيب من أخَصِّ تلامذة المحدِّث الدهلوي وأذكاهم، فكان يكلِّفهم بين الحين والآخر بكتابة الفتاوى أثناء مدة إقامته عنده، مما ساعده كثيراً في الاطلاع على مصادر الفقه والتعامل معها في سنٍّ مبكِّر، وكذلك في تكوين شخصيته فيما بعد كفقيهٍ جمع بين الفقه والحديث.

وبعد أن تضلَّع الشيخُ من علم المحدِّث نذير حسين الدهلوي؛ رحل إلى "بُوْفال"، وهناك تتلمذ على المحدِّث المسنِد القاضي الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليَمَاني (ت١٣٢٧هـ)، فاستفاض من عِلمه وأجازه الشيخُ إجازةً عامةً.

ثم سافر إلى "طُوك" حيثُ تعلَّم عِلمَ الطِّبِّ، لكن يبدو أنه لم يَمِل إلى ذلك كثيراً، وإلا كان يُعرَف طبيباً مُعالِجاً كما عُرِف محدِّثاً كبيراً وفقيهاً خبيراً.

رحلته إلى خارج الهند:

رحل الشيخ أبو الطيب إلى الحجاز بقصد الحجِّ في عام ١٣١١هـ، وبقي هناك ستةَ أشهرٍ بعد أداء الفريضة، واجتمع خلالها مع كبار علماء بلاد الحرمَين، وأخذ عنهم الحديثَ وغيره من علوم، كما أنَّ كثيراً منهم استجازوه في الحديث أيضاً، وقد كتب الشيخ ثَبَتاً إثر عودته من سفر الحجاز، وسمَّاه: "نهاية الرسوخ في معجم

---

[1] ولا يزال هذا دأبُ كثيرٍ من العلماء في المدارس والجامعات الإسلامية في بلاد شبه القارة الهندية، حيثُ أنهم يدرِّبون تلاميذهم على كتابة الفتاوى، بعد فراغهم من تحصيل العلوم الشرعية خاصةً الذين يريدون أن يتخصَّصوا في الفقه.

الشيوخ"، لكنه مازال مفقوداً، ولعلَّه قد ذكر فيه أولئك الشيوخ الأجلة الذين التقى بهم في هذه الرحلة المباركة وتلقَّى عنهم[1].

في مجال التدريس:

وكان الشيخُ أبو الطيب قد بدأ التدريس والتعليم بعد تخرَّجه على يد شيخه المحدِّث الدهلوي، وبعد عودته من الحجاز استأنف التدريسَ وركَّز عنايته على تدريس الحديث، فذاع صيتُ دروسِه في أرجاء الهند وخارجها، وبدأ طلبة العلم يقصدونه من كل حَدَبٍ وصَوْب من مختلف الولايات في الهند، ومن مختلف البلدان مثل: إيران، وبغداد، وعُمَّان، ونجد، وعسير، والبلاد الغربية، واستفادوا منه لا سيما في علم الحديث، وتخرَّج على يده كثيرٌ من العلماء الذين ساهموا في خدمة السنة النبوية في هذه البلادة فيما بعد.

ولعُه بجمع نوادر المخطوطات ونفائس المطبوعات:

وُلِعَ الشيخُ أبو الطيِّب من أول عهده بطلب العلم، بجمع المخطوطات النادرة والكتب النفيسة، وكان يشتري المخطوطات، ويطلب المطبوعات بأثمان غالية، من مصر وبيروت وليدن وألمانيا وباريس ولندن وغيرها من البلاد النائية رغم قِلَّة وسائل الطلب وقتئذ. كما كان يستنسخ – أيضاً – المخطوطات النادرة الموجودة في مكتبات تلك البلاد مهما كُلِّف في ذلك من التكاليف المالية، حتى اجتمعت في مكتبته من الكتب المخطوطة والمطبوعة ما لم تكن موجودةً في كبرى مكتبات هذه البلاد مع كثرتها – يُستثنى منها مكتبة الأمير صديق حسن خان القَنُّوْجِي (ت١٣٠٧ﻫ) في بُوفال – حتى عُدَّتْ مكتبته من أكبر مكتبات الهند لا سيما في الحديث وعلومه[2].

دوره في نشر التراث النبوي في الهند:

للشيخ أبي الطيب دورٌ كبيرٌ في نشر كتب الحديث والسنة في ديار الهند، وكان من الأوائل الذين اعتنوا بنشر وطباعة كتب علماء الحديث في هذه البلاد، فقد نشر الشيخُ كثيراً من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الحافظ ابن قيِّم الجوزية، والإمام الذهبي، والحافظ زكيِّ الدين المنذري، والحافظ السيوطي رحمهم الله تعالى، والتي لم يتسنَّ لأحد علماء هذه البلاد رؤيتها من قبل.

وكان مستشاراً خاصاً في "دائرة المعارف" الشهيرة في حيدرآباد (الدَّكن)، وقد طبعت الدائرةُ بمشورته كتباً كثيرةً في الحديث ورجاله مثل: "تذكرة الحفاظ" للإمام الذهبي، و"تهذيب التهذيب" و"لسان الميزان" للحافظ ابن حجر، و"الأنساب" للسَّمعاني، وغيرها، كما أنَّ بعض المطابع بمصر أيضاً طبعت كتباً كثيرةً بمشورته[3].

دوره في إحياء السنة النبوية والدفاع عنها:

وكان الشيخ أبو الطيب أمّاراً بالمعروف ونهّاءاً عن المنكر، وكان يدعو المسلمين إلى التوحيد، وإلى العمل بما جاء في الكتاب والسنة، وقد سعى إلى إماتة كثيرٍ من البِدَع والخرافات، والأعمال الشِّركية، والتقاليد الجاهلية التي

[1] محمد عزير شمس، **حياة المحدث شمس الحق وأعماله**، ص: ٢٧، ٢٨.

[2] انظر "حياة المحدث شمس الحق وأعماله" ص: ٧٣،٧٧، والنعماني، شبلي، **مقالات شبلي**، (١١١/١).

[3] انظر: "حياة المحدث شمس الحق وأعماله، ص: ٤٣.

كانت شائعةً حينئذ – خاصةً – في المناطق التي كان يسكنها؛ ونتيجةً لذلك تلألأت آثارُ السنة النبوية الشريفة حيثما حلَّ وارتحل، وتاب الناس على يده عن العقائد الباطلة والعادات الجاهلية، ورجعوا إلى الطريق المستقيم والعقيدة الصحيحة[1].

كما أنَّ له دوراً لا يُستهان به في الدِّفاع عن السنة النبوية في هذه البلاد، وله في ذلك مواقف حاسمة، منها: أنه كلَّف تلميذَه الشيخ أبا القاسم سيف البَنَارَسي (ت١٣٦٩هـ) للردِّ على هفوات بعض المنكرين للسنة، وساعده في ذلك مساعدةً علميةً وماليةً أثناء تأليفه الكتبَ، مما كان له الأثر الأكبر في تصحيح أفكار الذين تأثَّروا بأفكارهم الخبيثة نحو السنة وأئمتها.

ومنها أنه شجَّع زميلَه الشيخَ عبد السّلام المباركفوري (ت١٣٤٢هـ) – أحد كبار علماء الحديث في عصره – على تأليف سيرةٍ موسَّعةٍ عن الإمام البخاري5، وذلك حين أصدر أحدُ المؤلِّفين الهنود[2] كتاباً استعمل فيه بعضَ كلماتٍ تحطُّ شأنَ الإمام البخاري عن مكانته. فدعت الحاجةُ إلى كتابٍ، يبيِّن جوانبَ حياة الإمام ومنْزلته وعبقريته، نقلاً عن أصدق المراجع التي يُعتمَد عليها، مع الردِّ على المخالفين. فوقع اختيارُ الشيخِ أبي الطيب على زميله المذكور، وشَجَّعه على القيام بذلك، موفِّراً له كل ما كان يملك في مكتبته الخاصة من الكتب النادرة من المطبوع والمخطوط، مما سهَّل له التأليفَ في الموضوع فيما بعد، فوُفِّق في ذلك كل التوفيق، وقدَّم إلى المكتبة الإسلامية أحسنَ دراسةٍ عن الإمام البخاري وجامعه الصحيح، ونجح في تفنيد المزاعم والأقاويل التي لفقها بعضُ الكُتَّاب والمؤلِّفين عن المحدِّثين العظام وجهودهم البنَّاءة في خدمة السنة المشرَّفة.

كما أنَّ الشيخ أبا الطيب نفسَه قد قام بالردِّ كثيراً على المخالفين للسنة النبوية والمنكرين عليها، وهي منتشرة في مؤلفاته ورسائله، وليت أحدُ الباحثين في الجامعة السلفية ببنارس أفرزها منها ونشرها مع التحقيق والتعليق عليها.

وفاته:

توفي الشيخ أبو الطيب متأثراً بوباء الطاعون الذي كان منتشراً وقتئذ في بعض مناطق شمالي الهند، ومات بسببها كثيرٌ من أهاليها، وحين تأثَّر بهذا الداء؛ لم يقبل مغادرتَها مثلَ كثيرٍ من علمائها ووُجهائها، بل آثر البقاءَ فيها، طلباً للشهادة عملاً بحديث «مَن ماتَ في الطَّاعُون فهو شهيدٌ»[3]، حتى أُصيب به، وتوفي إثر ذلك في ١٩ ربيع الأول ١٣٢٩هـ (الموافق ٢١ مارس ١٩١١م)، عن ست وخمسين عاماً من عمره الحافل بخدمة السنة النبوية.

من صفاته وأخلاقه:

قد ذكر بعض مَن ترجم له من العلماء أن الشيخَ أبا الطيب5 كان متصفاً بصفات حسنة وأخلاق عالية، فأنقل هنا ما ذكره عنها الشيخ أبو الفضل عبد السميع المباركفوري، حيث قال: "أما الشيخ العلامة أبو الطيب

[1] انظر: الديانوي، محمد زبير عتيق، **"ياد كار كوهري"**، ص: ١٠٩، و"حياة المحدِّث شمس الحق وأعماله" ص: ٢٩، ٣٠.

[2] وهو العلامة شبلي النعماني (١٣٣٢هـ) صاحب مؤلفات قيمة بالأردوية في السيرة والتاريخ والأدب، وقد ألَّف كتاباً في سيرة الإمام أبي حنيفة ٥ باسم "سيرة النعمان"، وانتقص فيه من المحدِّثين ومنهجهم، وحاول رفع شأن الفقهاء بتقليل شأن المحدِّثين.

[3] أخرجه مسلم في **الصحيح**، كتاب: الإمارة. باب: بيان الشهداء.، برقم: (١٩١٥) عن أبي هريرة.

محمد شمس الحق المذكور فهو من أعظم رؤساء (الدَّيانوان) وأمرائها، وأكبر علمائها إذ ذاك، جَمَع علماً وفقهاً، وأدباً وفضلاً، ونُسكاً وعبادةً، وكرماً وأخلاقاً حسنةً، وخِصالاً مرضية، وسَيْراً محموداً، .... التزم على نفسه خدمةَ الدِّين، ونشرِ الإسلام، وإعلاءِ كلمة الله، وإحياءِ السُّنّة والْمِلَّة، وإزالةِ المنكرات والبدعات الْمُحدَثة، يُحِبّ العلماء والصلحاء، ويُحسِن إليهم، ويُنفِق عليهم من نفائس الأموال، وتطيب نفسه بلقائهم[1].

كما ذُكر في صفاته — أيضاً – أنه كان كثيرَ التواضع، شديد الورع والتقوى، ومِن ذلك أنه لم يُثبِت اسْمَه في بعض مؤلفاته، فنُشرت لأول مرة بغير اسم المؤلف. وكذلك ذُكر أنه كان سخياً وجواداً، ومن أخبار سخائه وجُوْده أنه كان يُعير العلماءَ والباحثين والكُتَّاب النُّسَخَ الخَطِّيّة من الكتب الموجودة في مكتبته الخاصة، ويُعينهم بالأموال، ويفتح لهم أبوابَ مكتبتِه للاستفادة منها، على اختلاف مذاهبهم، يقول مُعاصِره الشيخ عبد الحي الحسني (ت١٣٤١هـ): "وكان يُحِبُّني لله، وكنتُ أحبه، وكان بيني وبينه من المراسلة ما لم تنقطع إلى يوم وفاته[2]"، وقد أمدَّه5 بكثير من الكتب النادرة حينما كان عاكفاً على تأليف كتابٍ عن تراجم أعلام الهند، والذي طُبع فيما بعد باسم "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر[3]".

مكانته في علم الحديث:

جمع الشيخ أبو الطيب بين العلوم العقلية والنقلية، وتضلَّع منها تضلُّعاً تاماً، لا سيما علم الحديث، وكان واسع المعرفة بمتونه وأسانيده، قادراً على التمييز بين صحاح الأسانيد من ضعافها. وكان عارفاً بمعاني الحديث وفقهه، وبارعاً في استنباط المسائل منه، وذا قدرة واسعة في شرح الحديث وكشف معضلاته. كما كان يتميَّز بين أقرانه من علماء الحديث بسعة معرفته وغزارة علمِه بأسماء الرجال، والجرح والتعديل، وطبقات المحدِّثين، ولم يكن في عصره مَن يُدانيه في ذلك، غيرُ الإمام المحدِّث الفقيه الشيخ عبد الحي اللكنوي (ت١٣٠٤هـ) الذي انتهت إليه الرئاسةُ في الحديث والفقه في ذلك العصر.

عقيدته ومذهبه:

عقيدةُ الشيخ أبي الطيب هي عقيدةُ السَّلَفِ من أهل السنة والجماعة، وهي الإيمان والتصديق بما وصفه الله به نفسه، أو وصفه به رسوله)، مع ترك البحث والتسليم لذلك من غير تعطيل ولا تشبيه، ولا تكييف ولا تفسير ولا تأويل.

أما مذهبُه فهو مذهبُ "أهل الحديث" – المعروف في شبه القارة الهندية بهذا الاسم – الذين لا يقلِّدون أحداً من الأئمة المتبوعين الأربعة، ويتبعون الدليل حيثما صحَّ.

---

[1] انظر: المباركفوري، عبد الرحمن، **مقدمة تحفة الأحوذي**، (٥٣٨/١).

[2] الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام: (٨/ ١٢٤٣).

[3] والذي طُبع حديثاً باسم: "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام".

المبحث الثالث

مساهمته في السنة النبوية

قد سبق لي أن ذكرتُ أنَّ الشيخ أبا الطيِّب قد اشتغل بالإفتاء أثناء إقامته عند المحدِّث نذير حسين الدهلوي، وتمرَّن على كتابة الفتاوى، وكان شيخُه الدهلوي مُعجَباً به أشدَّ الإعجابِ بعد أنْ لاحظ فيه آثارَ النبوغِ الباهر والذكاء الخارق، فرغَّبه منذ ذلك الحين في التأليف والتصنيف، وأشار عليه بأن يشرح كتبَ السُّنّة ويحقِّقها، ويعتني بتصحيحها والتعليق عليها. فوقع ذلك في قلب الشيخ أبي الطيِّب موقعاً حسناً، وتوجَّه إلى التصنيف والتأليف من حين فراغه من التحصيل، وظلَّ على ذلك حتى وفاته، وقد ألَّف في هذه المدة القصيرة التي لا تتجاوز عن سبع وعشرين سنة عدداً لا بأسَ به من الكتب في الحديث والفقه والتراجم والإسناد، باللغات الثلاث (العربية والفارسية والأردوية)، وطُبع بعضٌ منها في الهند وخارجها، وبقي بعضٌ منها مخطوطاً إلى يومنا هذا في "مكتبة خُدا بَخَشْ" ببَتْنَهْ، كما أنَّ بعضاً منها مفقوداً لم يُعثَر عليها إلى الآن.

وفيما يلي أذكر من تلك المؤلَّفات المطبوعة والمخطوطة والمفقودة، ما يَخُصُّ منها بالحديث النبوي فقط:

١ – غاية المقصود في حلِّ سنن أبي داود:

يُعتبَر كتابُ "السُّنَن" للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت٢٧٥هـ) الأصلَ الثالث من الأصول السِّتَّة بإجماع كثيرٍ من علماء الحديث. وقد جعل كثيرٌ من العلماء منْزلتَه بعد الصحيحين، قال المحدِّث الشيخ محمد زكريا الكانْدَهْلَويّ (ت١٤٠٣هـ): "وفي الجملة إنَّ (صحيح البخاري) أعلى رتبةً في الصِّحَّة وغيرها عند الجمهور، ثم (الصحيح) للإمام مسلم، ثم (السُّنن) للإمام أبي داود عند هذا العبد"[١]. لذلك لقي كتاب "السُّنَن" اهتماماً بالغاً من علماء الأمة؛ فاعتنوا بروايته، وشرحِه، وتهذيبِ، ونقدِ رجاله إلى غير ذلك من الخدمات المتنوّعة، و(كان نصيبُ علماء الهند من خدمة هذا الكتاب الجليل نصيباً غير منقوص، شأنُهم في خدمة علم الحديث عامةً، وخدمة الكتب السِّتّة بصفةٍ خاصّةٍ)[٢]، حيثُ اعتنوا بشرح هذا الكتاب وتحشيته اعتناءاً كبيراً ، وكان ممن خدمه منهم: صاحب الترجمة الشيخ أبو الطيِّب الذي ألف عليه شرحين: المطوَّل منهما باسم "غاية المقصود" والمختصر باسم "عون المعبود"، وإليك تعريف كلٍّ منهما بدأً بالكتاب الأول.

"غاية المقصود" شرحٌ طويل لـ"سنن أبي داود، ولم يُنسَج على منواله أيُّ شرحٍ آخر من تلك الشروح الكثيرة المختصة به، فقد استهلَّه الشارح بمقدمة قيمة، ذكر فيها فوائدَ تتعلَّق بسنن أبي داود.

أمَّا المنهج الذي سار عليه الشارح في الكتاب فهو كالآتي:

- أنه سَلَكَ في شرحه مسلكَ التفصيلِ، وجمع فوائدَ شَتّى من بطون الكتب والصَّحائف، واعتنى بعزو كل قولٍ إلى قائله ليسهل الرجوع إلى كتابه عند التحقيق.

---

[١] الكاندهلوي، محمد زكريا، مقدمة "**لامع الدراري على صحيح البخاري**" ص: ١٣٩، ١٤٠.

[٢] العبارة بين القوسين للعلامة أبي الحسن الندوي5، انظر: الغوري، سيد أحمد زكريا الندوي "**مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي**" (١٧٧/١).

- بَسَط القولَ في شرح الأحاديث، وذَكَر المسائلَ الفقهية المستنبطة منها، مع الاعتناء التامّ بحلِّ مشكلات الحديث، وشَرَح غريبَه، بحيث يتَّضح معنى الحديث تماماً.
- ذَكَر اختلافَ المجتهدين وأقوالَهم في مسائل الخلاف، مع بيان الحُجَج والبراهين لكلِّ واحدٍ منهم، وتعيينِ القول الراجح عند المؤلِّف، وأطنب الكلامَ في الرَّدّ على التأويلات التي يذكرها المخالفون.
- تَرْجَمَ لكلِّ راوٍ في أول موضعٍ جاء فيه ذكرُه، مع نقد الرواة، وذكرِ أقوال الجرح والتعديل الواردة فيهم من الكتب المعتمد عليها في هذا الفَنّ.
- وَضَّح ما كان في إسناد الحديث ومتنه من اضطرابٍ.
- اعتنى بتخريج أحاديث السُّنَن في آخر شرحه للحديث، مع بيان درجتها من الصِّحّة والحسن والضَّعف.
- ذَكَر وجوهَ التوفيق بين الروايات التي تبدو بادىء الرأي مختلفةً أو متباينةً.
- أَخَذ في كثيرٍ من المواضع على شُرَّاح "السنن" التي صدرت عنهم الأخطاء، وذكر الصَّواب منها.
- ساق في الشرح جملةً من الروايات التي تتعلَّق بالباب، مع ذِكر مَن خَرَّجه مِن الأئمة، وبيانِ درجة الحديث من الصحة والضعف.

وبالجملة: فقد جاء هذا الشرحُ مشتملاً على فوائدَ شتَّى من حلِّ مشكلٍ وتفسيرِ غريبٍ، وما يستفاد من أحاديث الباب من الفقه، وما يتعلَّق بعلوم الحديث، وضبطِ أسماء الرواة وترجمتهم، وآراء الأئمة في أمهات المسائل المتَّفق عليها والمختلف فيها، وأدلة كلِّ واحدٍ منهم... إلى غير ذلك من الفوائد[1].

ولكن للأسف ... لم يتمّه الشارح، فقد وصل به فقط إلى "باب الدعاء للميِّت إذا وُضع في قبره" من أبواب كتاب الجنائز للسُّنَن.

وقد طُبع الجزءُ الأول منه فقط في مطابع الأنصاري بدلهي (الهند)، بدون تاريخ، ثم طُبعت عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) بعناية الدكتور محمد عزير شمس.

٢ - عون المعبود على سنن أبي داود:

اختصره الشيخ أبو الطيِّب من كتابه "غاية المقصود" الذي سبق الحديث عنه آنفاً، فلأنَّه خشي أن لا يتم هذا الشرحَ الأخير؛ لطوله وسَعَتِه فعجَّل بإخراج هذا المختصر.

وقبل أن أبدأ التعريف بهذا الكتاب؛ أرى من الضروري أن أزيل اضطراباً حول مؤلِّفه، الذي وقع فيه كثيرٌ من الباحثين والطلاب؛ لكون الكتاب قد طُبع لأوّل مرةٍ باسم الشيخ محمد أشرف المعروف بشرف الحق العظيم آبادي، دون اسم الشيخ أبي الطيب، فنسبوه إلى الأول دون الآخر الذي هو المؤلف الحقيقي للكتاب، وممن فعل ذلك الأستاذ عمر رضا كحالة (ت١٤٠٨هـ) في كتابه "معجم المؤلفين"[2] حيثُ عَدَّ "عونَ المعبود" من آثار الشيخ محمد أشرف حين ترجم له فيه، ثم اقتفى أثره في ذلك بعض المؤلفين في التراجم.

[1] انظر: "حياة المحدِّث شمس الحق وأعماله"، ص: ١٩٧، ٢٠٧.

[2] انظر: ٣/ ١٣٦.

والصواب: أنّ الكتاب بنصِّه وفصِّه للشيخ أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي، لكنه نَسَب الجزءَ الأول والثاني منه إلى أخيه الصغير الشيخ محمد أشرف، اعترافاً وتقديراً لما قدَّم له من مساعدة في تأليفه، كما يدل على ذلك قولُ عصريِّه الشيخ عبد الحي الحسني في "الإعلام" [1] في ترجمة الشيخ محمد شرف: "وقد عزا إليه صِنْوُه شمس الحق (المجلد الأول) من (عون المعبود) ... أخبرني بذلك الشيخ شمس الحق".

وقال بهذا العلامة أبو الحسن علي الحسني النَّدْوي (ت١٤٢٠ﻫ)، [2] أنَّ الشيخ أبا الطيِّب نسبه إلى أخيه، حيثُ قال5: "ونسبه إلى أخيه الشيخ محمد أشرف، وهو من تأليفه حقيقةً".

وكذلك نَسَبه المحدِّثُ الشيخ عبد الرحمن المباركفوري (ت١٣٥٣ﻫ) في "مقدمة تحفة الأحوذي" [3] للشيخ أبي الطيِّب، وهكذا لم يذكر أحدٌ منهم أنّ الكتاب ألَّفه أخوه الشيخ محمد أشرف، ولو كان الأمرُ كذلك لصَرَّح به هؤلاء.

مِن هنا يتبيَّن لنا بجلاء: أنّ "عون المعبود" للشيخ أبي الطيِّب، وأنّه نَسَب (الجزء الأول) منه لأخيه الشيخ محمد أشرف تطييباً لخاطره، ولقيامه بمساعدته، واستمرَّ الأمر كذلك؛ في (المجلد الثاني)، ثمّ رجعت النسبةُ لمؤلِّفه الحقيقي الشيخ أبي الطيب في المجلَّدين الأخيرين: (الثالث) و(الرابع).

أما منهجُ الشارح الشيخ أبي الطيِّب في "عون المعبود" فهو يتلخَّص في النقاط التالية:

- أنه يَنقُل أولاً بعض العبارات والألفاظ من "سنن أبي داود"، ثم يتكلَّم عليها، وإنْ كان لفظاً غريباً؛ بَيَّن معناه، وإنْ جاء في الإسناد راوٍ؛ تَرْجَمه، ونَقَل أقوالَ العلماء في تعديله إذا كان ثقةً، أو جَرَحه إذا كان ضعيفاً. وإنْ اسْتُنْبِطَتْ من الحديث مسألةٌ؛ ذَكَرها، وذكر الاختلافَ فيها مع دلائل كلِّ واحدٍ من الأئمة مختصراً.
- يعتني بتخريج أحاديث الكتاب اعتماداً على كلام الحافظ عبد العظيم المنذري (ت٦٥٦ﻫ) في مختصره للسُّنَن.
- يَرُدُّ –أحياناً– على الفِرَق الخارجة عن الإسلام كالقاديانية، وطوائف المبتدعة، وعلى النظريات الباطلة الجديدة التي شاعتْ في عصره.

وقد أضاف الشارحُ في نهاية الكتاب ما سَمّاه بـ: "تنبيهات جليلة عظيمة، وفوائد نافعة مهمة لا يستغني عنها الطالب"، ذكر فيها: تنقيد أحاديث السُّنَن وتخريجها، وترجمة لمصنِّف "السُّنَن" الإمام أبي داود، ورواةَ السنن عنه على سبيل الاختصار. واختلافَ نسخ المتن، والنسخ التي ظفر بها وبيَّن نوع الاختلاف بينها.

ولهذا الكتاب جملة خصائص عديدة أذكرها فيما يلي:

[1] (١٣٥٠/٨).

[2] في تقديمه لكتاب "**بذل المجهود في حل سنن أبي داود**"، ج: ١، ص: ٣١.

[3] ص: ٧٦.

- يمتاز متنه (أي متن سنن أبي داود) بدِقَّة شديدة في تصحيحه، حيث أن الشارح اعتمد على رواية محمد بن أحمد بن عمرو البصري المعروف باللُّؤْلُؤي (ت٣٣٣هـ) التي تُعتبر أشهَرُ روايات السنن، ثم قابلها بروايات مختلفة ونُسَخ عديدة.
- أنه أولُ شرحٍ كاملٍ على "سنن أبي داود"، فهناك شروحٌ لها أُلِّفت قبله، لكنها لم تكتمل مثل شرح الإمام بدر الدين العينيّ (ت٨٥٥هـ)، والشيخ محمود محمد خطَّاب السُّبْكي (ت١٣٥٢هـ)، أمَّا "بذل المجهود في حلِّ سنن أبي داود" لمعاصره الشيخ خليل أحمد السَّهارَنْفُوري (ت١٣٤٦هـ) فهو إن كان كاملاً لكنه ظهر إلى حيِّز الوجو بعده بكثيرٍ. وكلاهما شرحان مفيدان، فالأول منهما يمثِّل اتِّجاه أهل الحديث في شرح الأحاديث متحرِّراً عن التقليد لمذهب فقهي معيَّن، والآخر يمثِّل مذهبَ المقلِّدين، فلا يُغني كتابٌ عن كتاب.
- أنه شرحٌ وسطٌ يَحِلُّ مشكلات الكتاب سنداً ومتناً بكلامٍ مُوجَزٍ لكنه جامعٌ ورصينٌ، بحيث لا يضجر القارئَ، وهذا أحد الأسباب التي يدفع طُلاَّبَ العلم لترجيحه على غيره عند اقتنائهم شروحَ السُّنَن.

طُبع الكتاب للمرَّة الأولى في الهند في أربعة مجلدات ضِخام، وكان طبعُ الأول منه عام ١٣١٨هـ، وانتهى من طبع المجلد الرابع والأخير عام ١٣٢٣هـ. ثم صدرت له طبعات عديدة محقَّقة وغير محقَّقة، ومن أحسنها الطبعة التي صدرت عن مكتبة المعارف بالرياض، عام ١٤٣٠هـ في سبع مجلدات، بتحقيق الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

٣ –التعليق المغني على سنن الدارقطني:

"سنن الدارقطني" من كتب الحديث الجليلة، ألَّفه الإمامُ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني (ت٣٨٥هـ) ليتعقَّب على الأحاديث التي ذُكرت في "السُّنَن"، وفيها مآخذ ومغامز، وقد عَمِل بها بعضُ الفقهاء، أو خَفِيَتْ عِلَلُها على بعض المحدِّثين، فكَشَف الدارقطني ما فيها من تلك العِلَل بمهارته الفائقة في هذا الفنِّ الدقيق العويص[١].

وهذا الكتابُ مع ما له من قيمةٍ وجلالةٍ بين كتب الحديث، لم يكن مطبوعاً بين أهل العلم حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، فقيَّض اللهُ الشيخَ أبا الطيب لخدمة هذا الكتاب ونشره حيثُ حصل على ثلاثة نسخٍ له بعد جهد جهيد، فاستطاع أن يُعِدَّ نسخةً صحيحةً منقطعةَ النظير بعد مقابلة كلٍّ منها مع الآخر، ثم علَّق عليها تعليقاتٍ مفيدةً، واكتفى فيها على تنقيد بعض أحاديثه، وبيانِ عِلَلِه، وكشفِ بعض مطالبه على سبيل الإيجاز والاختصار، وأجاد في كثير منها كلَّ الإجادة، بحيث أصبحت تلك التعليقاتُ بمثابة شرحٍ مختصرٍ لـ"سنن الدارقطني".

طُبع هذا الكتاب لأوَّل مرَّةٍ في المطبع الأنصاري بدهلي عام ١٣١٠هـ في (٥٥٤) صفحة على القطع الكبير في مجلَّدٍ يشتمل على جزئين. ثم صدرت له طبعة ثانية بعناية الشيخ عبد الله هاشم عن دار المحاسن للطباعة بالقاهرة عام ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) في أربع مجلَّدات.

---

[١] انظر: أبو غدة، عبد الفتاح الحلبي، **السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي والتعريف بحال سنن الدارقطني**، ص: ٢٣.

٤ – إعلام أهل العصر بأحكام ركعتَي الفجر:

وهو كتابٌ قيِّمٌ فريدٌ في موضوعه، بيَّن فيه المؤلِّفُ آدابَ سُنَّةِ الفجر في ضوء الأحاديث النبوية، وهو يحتوي على عشرة فصول.

ومنهجُه في الكتاب أنه يُورِد أولاً في كل فصلٍ من تلك الفصول الأحاديثَ النبوية والآثارَ المتعلِّقة بذلك الفصل، ثم يَذكُر في شرحها أقوالَ العلماء المحقِّقين من شُرَّاح الحديث والأئمة المجتهدين، ثم يَنظُر فيها ويأخذ ما هو الأقوى والأنسب بالدليل، وكذلك يُورِد الأحاديث التي استدلَّ بها المخالفون، ويَنقُدها نقداً متيناً على طريقة المحدِّثين، فيبيِّن صحتها أو ضعفها، ويَدرُس أسانيدها دراسةً فاحصةً، فإنْ كان فيها أحدٌ من الْمُتَّهمين أو الكذَّابين أو الضعفاء؛ يسمِّيه، وينقل آراءَ أئمة الجرح والتعديل من بطون الكتب المعتمَد عليها في هذا الفنِّ. ويَنقُل – أيضاً – مذاهبَ السَّلف والمجتهدين في المسائل المختلَف فيها بذكر أدلة كل واحد منهم، ويتكلَّم عليها حسب ما يليق بالمقام، ويرجِّح ما يَعضُده الدليل. كما كَتَب المؤلِّفُ في هوامش الكتاب تعليقاتٍ وجيزةً أيضاً، وضَّح فيها معاني بعض الأحاديث، ونبَّه على أخطاء وقعتْ في الأسانيد أو في ألفاظ الحديث من النُّسّاخ.

طُبع هذا الكتاب لأول مرة على الحجر في المطبع الأنصاري بدهلي سنة ١٣٠٦هـ في (٦٧) صفحة على القطع الكبير. ثم نشرته إدارة العلوم الأثرية بلائِلْفُور بباكستان في (٢٨٦) صفحة على القطع الكبير المتوسط، وهي طبعة محقَّقة.

٥ – التحقيقات العُلى بإثبات فرضية الجمعة في القُرى:

وهي رسالة لطيفة كتبها بالأردوية، وهي تحتوي على ثلاثة أجوبة من المؤلِّف على أسئلة تالية:

الأول: هل تَثبُت فرضية صلاة الجمعة في القرى أم لا؟.

والثاني: الشروط والقيود التي ورد ذكرُها في كتب الأحناف لأداء صلاة الجمعة في مكانٍ واحدٍ، هل هي مأخوذة من الأحاديث الصحيحة أم لا؟

والثالث: بعض الناس يُصلّون الظهر بعد أداء صلاة الجمعة، هل يجوز ذلك أم لا؟

فقد أجاب الشيخ عن هذه الأسئلة إجابةً شافيةً كافيةً في ضوء ما ورد في الأحاديث والآثار الصحيحة.

طُبعت هذه الرسالة في المطبع الأحمدي بپَتْنَه في الهند عام ١٣٠٩هـ.

٦ –المكتوب اللَّطيف إلى المحدِّث الشريف:

وهي رسالة قيمة تحتوي على غُرَر المعلومات في أنواع الإجازة، تكلَّم فيها المؤلِّفُ عن أنواع الإجازة لا سيما عن الإجازة العامة، وذكر اختلافَ المحدِّثين في صِحّتها، ثم أتى بأدلة القائلين بصحتها وجوازها، وسرد أسماءَ العلماء والمحدِّثين الذين لم يروا بأساً في الإجازة العامة، ثم ترجم لبعضهم باختصار، وذكر في آخر الرسالة أسئلته التي وجَّهها إلى شيخه المحدِّث نذير حسين الدهلوي حول مسائل الإجازة العامة.

طُبعت هذه الرسالة في المطبع الأنصاري بدهلي عام ١٣١٤هـ في (١٦) صفحة على القطع الكبير.

٧ –غنية الألمعي:

وهي رسالة صغيرة تحتوي على خمسة عشر صفحة، تناول فيها المؤلفُ بعضَ المسائل التي تتعلّق بالحديث وعلومه، مثل:

- الفرق بين قولهم: "هذا الحديث لا يَصِحُّ "، وقولهم: "لا يَثْبُت".
- ومدى أَصَحِّيّة الحديث في وضع اليد على الصدر في الصلاة.
- والتحقيق في ثبوت الأضحية عن الأموات.

وغير ذلك من مسائل حديثية دقيقة تحدَّث عنها المؤلِّف في هذه الرسالة اللطيفة، طُبعت هذه الرسالة في المطبع الأنصاري بدهلي عام ١٣١١ﻫ مع "المعجم الصغير" للطبراني (ت٣٦٠ﻫ)، ثم طُبعت في المكتبة السلفية بالمدينة المنوَّرة عام ١٣٨٨ﻫ (١٩٦٨م) بعناية الشيخ عبد الرحمن محمد عثمان، وهي كذلك ملحقةٌ بآخر "المعجم الصغير".

٨ – رفع الالتباس عن بعض الناس:

وهي رسالة نفيسة، كتبها الشيخُ أبو الطيِّب ردّاً على رسالة الشيخ أحمد علي السَّهارَنْفُوري (ت١٣٩٧ﻫ) المسمَّاة: "بعض الناس في دفع الوسواس"، والذي ردَّ فيها على انتقادات وتعريضات الإمام البخاري في بعض المسائل على الإمام أبي حنيفة بلفظ: "وقال بعض الناس".

طُبعت بتحقيق الدكتور محمد عزير شمس في دار الترجمة والتأليف والنشر بالجامعة السلفية ببنارس عام ١٣٩٦ﻫ (١٩٧٦م).

٩ –عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنِّسوان:

وهي رسالة فريدة في موضوعها، كتبها الشيخ بالفارسية إجابةً عن سؤال وَرَد إليه حول جواز تعليم الكتابة للنِّسوان، فأجاب الشيخُ مُستدِلاًّ بالأحاديث الصِّحاح الواردة في جواز تعليم الكتابة للنساء، ثم استنبط منها أنها جائزة لأمر دينها، وما يُصلح شؤونَها في تدبير منْزلها وتربية أولادها، وقال: "بل تعلُّمُ النساءِ الكتابةَ واجبٌ في بعض الأحيان، لا يُنازِع فيه إلا مَن لم يعرف حقائقَ الأمور"[١].

طُبعت هذه الرسالة بعد التعريب بعناية الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع (ت١٩٦٥م) في المكتب الإسلامي بدمشق عام ١٣٨١ﻫ (١٩٦١م) في (٢٢) صفحة. ثم طُبعت بتحقيق وتعليق الدكتور وصي الله بن محمد عباس في مؤسسة المجمع العلمي بباكستان عام ١٤٠٨ﻫ.

١٠ –الوجازة في الإجازة:

جمع المؤلفُ في هذا الكتاب جميعَ إجازاتِه لكتب الحديث التي قرأها على شيوخه أو سمعها منهم، وسمَّى في أول الكتاب جميعَ شيوخه في رواية الحديث، وكان يُرسِله إلى كلِّ مَن يطلب منه إجازةَ الرواية بواسطته، سواء كان الطالبُ في الهند أو خارجها، طُبع هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ بدر الزمان محمد شفيع النَّيبالي في المجمع العلمي بكراتشي وحديث أكاديمي بفيصل آباد (في باكستان) عام ١٤٠٨ﻫ.

[١] العظيم آبادي، أبو الطيب شمس الحق، مقدمة "**عقود الجمان في جواز تعليم الكتاب للنسوان**"، ص: ٩.

١١ -النجم الوهَّاج في شرح مقدِّمة الصحيح لمسلم بن الحجَّاج:

لقد كتب الإمام مسلم مقدِّمةً ضافيةً لجامعه الصحيح، وذكر فيها سببَ تصنيفه، وتعرَّض لذِكر الكثير من القواعد والفوائد والأصول المتعلقة بالرواية التي لها أهمية كبيرة جداً، لكنها في نفس الوقت فإنَّ عبارة هذه المقدِّمة غامضةٌ صعبة الفهم، ونظراً إلى ذلك اعتنى أهل العلم بشرح هذه المقدمةِ على مرِّ العصور، فقام بشرحها كثيرٌ من العلماء، وكان لعلماء الهند في خدمة هذه المقدمة نصيبٌ وافرٌ، وممن قام بشرحها الشيخ أبو الطيب الذي شرحها شرحاً واسعاً يَستغرِق جميع الأبحاث، ويوضِّح ما أراده الإمام بقوله، مع بيان أحوال الرواة وشرحِ الألفاظ الغريبة والمشكلة، وقد أشاد به زميلُه الشيخُ عبد السَّلام المباركفوري في كتابه "سيرة البخاري"[١].

ولكنه لم يُطبع إلى الآن، وتُوجَد منه نسخةٌ ناقصةٌ في مكتبة "خُدا بَخَشْ " ببَتْنَه، والتي تحتوي على (٤٧) صحيفة على القطع الكبير، وفي كل صفحة (٣٠) أسطر[٢].

١٢ -هدية اللَّوذعي بنُكَات التِّرمذي:

جمع المؤلِّفُ في هذا الكتاب فوائدَ كثيرةً تكشف بعضَ المغلَقات الموجودة في "جامع الترمذي"، و ذكر في مقدمته أنه جعل هذا الكتابَ في سبعة فصول كالتالي:

الفصل الأول : خصَّه بترجمة الإمام الترمذي.

والفصل الثاني : تكلَّم فيه عن خصائص ومزايا جامع الترمذي من بين كتب الحديث.

والفصل الثالث : ذكر فيه فوائدَ عديدة تتعلق بجامع الترمذي

والفصل الرابع : ترجم فيه بشيوخ الإمام الترمذي على الترتيب الألفبائي.

والفصل الخامس : عرَّف فيه بمَن اعتنى "جامع الترمذي" شرحاً وتعليقاً.

والفصل السادس : ترجم فيه لشيوخه (أي شيوخ المؤلِّف العظيم آبادي) الذين أخذ عنهم هذا الكتابَ.

والفصل السابع : ذكر فيه إسناده في "جامع الترمذي"، والذي يصل إلى الإمام الترمذي.

ولكنه لم يُكمِل بعد الفصل الثالث، فبقي الكتابُ ناقصاً، وتُوجَد له نسخةٌ خطيةٌ ناقصةٌ في مكتبة "خُدا بَخَشْ" ببَتْنَه[٣]، وهي جديرةٌ بالنشر بعد تحقيقها والتعليق عليها.

١٣ – تحفة المتهجِّدين الأبرار في أخبار صلاة الوتر وقيام رمضان عن النبي المختار:

جمع المؤلِّفُ في هذا الكتاب الأحاديث والآثار التي تتعلَّق بالوتر وقيام رمضان، وهو مفقود[٤].

١٤ – فضل الباري شرح ثلاثيات البخاري:

يُراد بـ"الثلاثيات" تلك الأحاديث التي لا يكون في إسنادها غيرُ ثلاث وسائط بين صاحب الكتاب وبين النبي)، وهي تُعتبَر من الإسناد العالي[١].

---

[١] انظر: المباركفوري، عبد السلام **"سيرة الإمام البخاري"**، ص: ٣٩٥.

[٢] حياة المحدث شمس الحق وأعماله، ص:٢٢٧، ٢٢٨.

[٣] المحدث شمس الحق العظيم آبادي وأعماله، ص: ٢٤٨.

[٤] المرجع السابق: ص: ١٠٥.

وقد وردت في "صحيح البخاري" اثنان وعشرون حديثاً من الثلاثيات، روى الإمام البخاري سبعةَ عشر حديثاً منها عن سَلَمَة بن الأَكْوَع ، وأربعةَ أحاديث عن أنس بن مالك، وحديثاً واحداً عن عبد الله بن بُسْرٍ.

وقد شرح هذه الثلاثياتِ مُفردَةً كثيرٌ من العلماء، ومنهم الشيخ العظيم آبادي، الذي شرحها شرحاً واسعاً مستوعباً أبحاث الأسانيد والمتون، واعتنى بتخريج الأحاديث، وذكر المسائل المستنبطة منها، وعرَّف برجال الأسانيد، لكنه لم يستمر في شرح جميع الأحاديث فبقي الكتاب ناقصاً، وما أتمَّه منه فهو في عِداد كتبه المفقودة[2].

١٥ –النور اللاَّمع في أخبار صلاة الجمعة عن النبيِّ الشافع:

هو عبارةٌ عن مجموعة من الأحاديث المروية عن النبي) في باب صلاة الجمعة، تناولها المؤلِّفُ بنقدها وبيان درجاتِها من الصِّحّة والضَّعف، لكنه لم يُتِمَّها، وما أتمَّه منها فهو مفقود[3].

١٦ –نهاية الرسوخ في معجم الشيوخ:

وهو ثَبَتٌ لشيوخ الشيخ أبي الطيب، ذكر فيه تراجمَهم وتراجمَ مَن جاؤوا في سلسلة أسانيده، لكنه مفقودٌ[4].

١٧ –سيرة المحدِّث الشيخ عبد الله جهاؤ الإله آبادي (بالأردوية):

ذكر المؤلفُ في هذا الكتاب بعضَ أحوال المحدِّث الشيخ عبد الله جَهَاؤ الإله آبادي (ت١٣٠٠ﻫ) أحد كبار المحدِّثين في الهند في القرن الثالث عشره الهجري الهجري، لكنه مفقود[5].

تعليقاته على كتب الحديث ورجاله:

بعد تعريف موجز بمؤلَّفاته في الحديث؛ أرى من المستحسن أن أذكر هنا أيضاً ما تركه الشيخ أبو الطيب من تعليقات مفيدة له على بعض كتب الحديث ورجاله، مثل:

١ – تعليقاته على "جامع التِّرمذي":

علَّق الشيخ العظيم آبادي على "جامع الترمذي" تعليقات قيمة، وأراد بها أن يشرح بعضَ الألفاظ الغريبة، ويبيِّن المواضعَ الْمُغلَقة منه، بحيث يَنقُل العبارات من الكتب المؤلَّفة في هذا الفنِّ، ويُثبِتها بعينها في المواضع التي تحتاج إلى إيضاح، ويجعل في آخر العبارة المنقولة رمزاً من الكتب المأخوذة.

تُوجَد هذه التعليقات مخطوطةً في "مجموعة تسويدات" في مكتبة خُدا بَخَشْ" ببَتْنَه، برقم (٣٨٣٤)[6].

---

[1] الغوري، سيد عبد الماجد، **معجم المصطلحات الحديثية**، ص: ٢٧٢.

[2] المباركفوري، عبد السلام، سيرة الإمام البخاري، ص: ٢٤٧.

[3] انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، (١٢٤٤/٨)، ويادكار كوهري، ص: ١١٠.

[4] حياة المحدث شمس الحق وأعماله، ص: ٢٣٦، ٢٣٧.

[5] ذكره الشيخ أبو ضياء محمد قمر الدين الإله آبادي، في مقال له المنشور في جريدة "أهل الحديث"، عدد ٣١، أكتوبر، عام ١٩١٨م، وانظر "حياة المحدِّث شمس الحق وأعماله"، ص: ١٤٥، ١٤٦.

[6] حياة المحدث شمس الحق وأعماله، ص: ٢٥٢، ٢٥٣.

٢ – تعليقاته على "سنن النَّسائي":

ذكرها الشيخ عبد السَّلام المباركفوري في كتابه "سيرة البخاري"[١] حيث قال: "إنَّ فيه بعض المواضع المغلَقة، ولذا شرحه كثيرٌ من العلماء، والعلامة الشيخ أبو الطيِّب العظيم [آبادي] أيضاً، شرح تلك المواضع"، وقال: "تُوجَد منها نسخة [في مكتبته]"، لكن لم يُعثَر عليها إلى الآن، ومكتبته التي أشارت إليها المباركفوري وهي قد ضُمَّت بعد وفاته إلى "مكتبة خُدا بَخَشْ" ببتنه.

٣ – تعليقاته على "التاريخ الصغير" و"كتاب الضعفاء الكبير" للإمام البخاري، "وكتاب الضعفاء المتروكين" للنَّسائي:

وهي مجموعة تحتوي على الكتب الثلاثة المذكورة، وعلَّق الشيخُ أبو الطيب على كل منها تعليقات مفيدة، وطُبعت أولاً بدهلي، ثم بلاهور، ولم أعثر على اسم الناشر وتاريخ الطبعة[٢].

٤ – تعليقاته على "إسعاف المبطأ" للسيوطي:

"إسعاف المبطأ" للحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) كتابٌ قيِّمٌ في موضوعه، جمع فيه تراجمَ الرواة المذكورين في "موطأ الإمام مالك"، وقد علَّق عليه الشيخ أبو الطيب بما يوضِّح كثيراً من أسماء الرواة وكُنَاهم، وألقابهم، وأخذ على مواضع أخطأ فيها السيوطيُّ، وبيَّن ما هو الصواب من كتب أسماء الرجال، ولم يقتصر فقط على التعليق على الكتاب بل قام بتصحيح الأصل بمقابلته مع عدة نسخ مخطوطة له، وجعل تعليقاته على هامشه، وطُبعت تعليقاته مع الأصل في المطبع الأنصاري بدهلي عام ١٣٢٠هـ في خمسين صفحة على القطع الكبير.

خاتمة

ومن ترجمة هذه الشخصية الفذّة، نلاحظ أنه ٥ خير من ترجم ما ينبغي أن يكون عليه طالبُ العلم – وبخاصةٍ طالب علم الحديث النبوي– وكذلك المحدِّث من صفات رفيعة، وآداب جليلة سواء بأقواله وأفعاله، أو بسلوكه وأخلاقه، مما كان له الأثرُ الأعظم في قبوله بين الخلق ومحبتهم له. ومما أستحسنه في هذا الموضع إلقاء الضوء على بعض تلك الآداب التي اتَّصف بها، والأخلاق التي تحلَّى بها:

الرحلة في طلب الحديث: التي ظلَّت سُنَّةَ المحدِّثين عبر القرون، فما مِن عالم برز في الحديث إلا وله رحلة فيه، حتى قال العلماء: "مَن لم يكن رُحْلَةً لن يكون رُحَلَةً"[٣]. والشيخ أبو الطيب لم يكتف بتلقي العلم عن علماء وشيوخ بلده، بل رحل في سبيله إلى مدن نائية، وقرأ الحديثَ على كبار علمائه، وثافنهم حتى برع فيه.

التصدُّر للتحديث بعد التأهُّل: فلأنَّ العلماء قد حَذَّروا تحذيراً شديداً عن التصدُّر قبل التأهُّل، وعدّوه آفةً في العلم والعمل، وقالوا: "من تصدَّر قبل أوانه؛ فقد تصدَّى لهوانه"[٤]. فترى الشيخَ أبا الطيِّب لم يتصدَّر للتحديث إلا

---

[١] سيرة الإمام البخاري، ص: ٤٣٧.

[٢] حياة المحدث شمس الحق وأعماله، ص: ٢٥٤، ٢٥٥.

[٣] أبو زيد، بكر بن عبد الله، **المجموعة العلمية**، ص:١٧٤.

[٤] المرجع السابق: ص: ١٩٨.

بعد أن نضج فيه ونبغ، وحصل على إجازات عالية فيه من علماء الحديث في بلده الهند ثم في الحجاز، فنفع الله به حتى ذاع صيته في كل أنحاء الهند، وتهافت عليه الطلاب من كل حدب وصوب.

زكاة العلم: التي يجب أداءها على كل طالب صادعاً بالحق، أمَّاراً بالمعروف، نهّاءاً عن المنكَر، مُوازِناً بين المصالح والمضارِّ، ناشراً للعلم، وحُبِّ النفع، وبذلِ الجاه، والشفاعة الحسنة للمسلمين في نوائب الحقِّ والمعروف[1]. فالشيخ – كما سبق – لم يكن إلى جانب اشتغاله بالتدريس والتأليف مقصِّراً عن أداء واجبه نحو الدعوة والإرشاد، بل كان فعالاً ونشيطاً في هذا المجال، فدعا الناسَ إلى التوحيد، واتِّباع السنة، وإطاعةِ الرسول)، وسعى إلى إماتة كثيرٍ من البِدَع والخرافات، والأعمال الشِّركية.

الاشتغال بالتصنيف والانتاج العلمي: الذي يجب على من توفَّرت فيه الأهليةُ لذلك، فإنه يفتح له من مغاليق العلم، ويوسع أمامه من مجاله ما لم يكن بحسبانه، كما أنَّ كل عصر له شأنٌ خاصٌّ يحتاج إلى تجديدٍ في الأسلوب وفي الموضوعات والأفكار، بحسب ما يتطلبه حال الناس من الناحية الفكرية والأخلاقية والعلمية[2]، وقد حجَّر واسعاً مَن قال: "ما ترك الأول للآخر"، ومَن تأمَّل ومارس قال: "كم ترك الأول للآخر". فالشيخ أبو الطيب أقبل على التصنيف والتأليف فور تحصيله العلم، وأنتج في هذا المجال ما أنتج.

بذلُ الفائدة لزملائه: سواء أكان ذلك ببذل النصح والإرشاد والتوجيه لمن هم بحاجة إلى ذلك، أو بإعارة الكتب لخِبّانه وخِلاّنه ليستفيدوا منها، وهذه أوْلَى فوائد طلبِ العلم، وعلى وجه الخصوص طلب علم النبوة وميراثها. ومَن كَتَم عن إخوانه شيئاً من الفوائد لينفرد بها عنهم؛ كان جديراً بأن لا يُنتفَع به كما ذكر العلماء، وقال الإمام مالك: "مِن بركة الحديث إفادة بعضهم بعضاً" وقال الإمام النووي 5: "وبإنفاق العلم ونشره يَنمَى"[3]. وسبق في ترجمة الشيخ أنه كان يشير على زملائه وطلابه إلى التأليف في موضوعات تمسها حاجة العصر، ويشجِّعهم على ذلك، ويفتح لهم مكتبته، ويُعير لهم كتبه النادرة.

وغيرُ ذلك من الآداب التي تحلَّى بها الشيخ5 في حياته الشخصية والعلمية، فالحديثُ عن مثل هذا العالم الجليل، والعَلم الشامخ في علم الحديث، وعن آثاره التي خلفها في السنة النبوية؛ لن يفي به مثلُ هذا البحث المتواضع، فهي تتطلب دراسةً شاملةً عنها. فالمرجوُّ من طلاب الحديث النبوي في أقسام الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية الموقرة أن يختاروا لموضوع رسائلهم شخصيةَ الشيخ أبي الطيِّب شمس الحق العظيم آبادي كمحدِّثٍ صاحب مؤلفاتٍ قيمةٍ في السنة، ويدرسوا منهجه في كلٍّ منها لا سيما "عون المعبود" ذلك الشرح الذي يندر نظيره بين شروح "سنن أبي داود".

وصلَّى الله وسلَّم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

[1] المرجع السابق: ص:١٩١.

[2] عتر، نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، : ١٩٦.

[3] انظر: "النووي، أبي زكريا يحيى بن شرف، **إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق)**، ص: ١٧٢، وعتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، ص: ١٩٢.

مراجع البحث

١. أبو زيد، بكر بن عبد الله، **المجموعة العلمية**، الرياض: دار العاصمة، ط١، ١٤١٦هـ.

٢. أبو غدة، عبد الفتاح الحلبي، **السنة النبوية وبيان مدلولها الشرعي والتعريف بحال سنن الدارقطني**، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ.

٣. الباقي، محمد فؤاد، "**مفتاح كنوز السنة**"، لاهور: إدارة ترجمان السنة، ط١، ١٩٣٤م.

٤. الحسني، عبد الحي بن فخر الدين، **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥. الخولي، عبد العزيز، **مفتاح السنة**، القاهرة: مكتبة الاستقامة، ط١، ١٣٩٥هـ.

٦. الزهراني، علي بن بخيت، **الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة**، مكة المكرمة: دار طيبة، ط٢، ١٤١٨هـ.

٧. السهارنفوري، خليل أحمد، **بذل المجهود في حل سنن أبي داود**، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٧هـ.

٨. عتر، نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، دمشق: دار الفكر، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٩. العظيم آبادي، أبو الطيب شمس الحق، **عون المعبود في شرح سنن أبي داود**، القاهرة: دار الحديث، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٠. العظيم آبادي، **رفع الالتباس عن بعض الناس**، الهند: بنارس، المطبعة السلفية، ط١، ١٩٧٥م.

١١. العظيم آبادي، **عقود الجمان في جواز تعليم الكتاب للنسوان**، بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٦٥م.

١٢. الغوري، سيد أحمد زكريا الندوي، **مقدمات العلامة أبي الحسن الندوي**، دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤٣١هـ.

١٣. الغوري، سيد عبد الماجد، **أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب**، دمشق: دار كثير، ط٣،

١٤. الغوري، سيد عبد الماجد، **معجم المصطلحات الحديثية**، دمشق: دار كثير، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٥. محمد عزير شمس، **حياة المحدث شمس الحق وأعماله**، بنارس: إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، ط٢.

١٦. الفريوائي، عبد الرحمن بن عبد الجبار، **جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة**، بنارس: إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٧. الكاندهلوي، محمد زكريا، **لامع الدراري على جامع البخاري**، سهارنفور: مكتبة يادكار شيخ.

١٨. كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤هـ.

١٩. المباركفوري، عبد السلام، **سيرة الإمام البخاري**، بنارس (الهند): إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإرشاد، الجامعة السلفية، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٢٠. المباركفوري، عبد الرحمن، **تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.

٢١. مسلم، أبي الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري، **الصحيح**، الرياض: دارالسلام، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٢. الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **المسلمون في الهند**، بيروت: دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٣. النووي، أبو زكريا يحي بن شرف، **إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق)**، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ.

باللغة الأردوية:

١ – ديانوي، محمد زبير عتيق، **ياد كار كوهري**، بتنه: ، ط١، ١٣١٢هـ.

٢ – النوشهري، أبو يحيى إمام خان، **هندوستان مين أهل حديث كي علمي خدمات**، دهلي: برقي بريس، ط١، ١٩٣٧م.

٣ – النعماني، شبلي، **مقالات شبلي**، أعظم كره (الهند): دار المصنفين، ط١، ١٣٩٩هـ.

٤ – جريدة "أهل الحديث"، أمرتسر (الهند).

السنة وعلومها في شمال نيجيريا
(دراسة تحليلية نموذجية)

مختار أبوبكر جبرين

الجامعة الإسلامية العالمية

ماليزيا

mukhtu75@yahoo.com

المدخل

كانت جهود العلماء في شمال نيجيريا متعددة الجوانب، ولم تقف مجهوداتهم في المجال الجهادي أو الدعوي ومقارعة الأسنة بالأسنة فحسب، بل لقد شملت بالدرجة الأولى النواحي الثقافية والأبحاث العميقة في مختلف العلوم، و ميادين المعارف، لأن من طبيعة النهضة إذا وجدت أنها تعم جميع مظاهر الحياة للأمة.

من حسن الحظ أن تكاملت لديهم أهلية في الفقه وتعليل الأحكام، وعقلية مدبرة ذات قدرة على الفهم والتحليل، وتطوير ما يحتاج إلى التطوير من القضايا الاجتهادية، الأمر الذي استعانوا به في استكناه الشريعة الإسلامية واستجوابها لتقديم الحلول الناجعة لقضايا المستجدة والمسائل النوازل في مجتمعهم. وقد وُفّقوا في إصدار الفتاوى الجوائد، متلائمة ومسايرة لمقتضيات عصرهم ومتناغمة لفكر أبناء زمانهم.

وكانت لهم مساهمات فائضة في التصوف النظري والعملي معا، ولهم تعديلات ذات الأثر الواضح أدرجوها في طيات البحوث التصوفية.

ولم يزل الباحثون يشادون بنظريات الشيوخ الثلاثة في الصعيد السياسي، وكذا نظرياتهم في التفاصيل عن أحكام الجهاد، وما يرادف هذه الجوانب أو يماثلها. بيد أن الباحثين قلّما تعرضوا لمساهماتهم في الحديث وعلومه، إذا ما قيس الدراسات في هذا المجال بعظمة ما أسدوا من الخدمة لهذا العلم، فسرعان ما يبدو لك ضآلة تلك الدراسات القليلة المعقودة، لأنها لم تناول أبعاد هذا المجال أو قضاياه الكبيرة بشئ من التبسيط.

و كان للشيخ الدكتور أحمد محمد إبراهيم جهود عظيمة في إبراز كتب شيخ الجهاد في علم الحديث، حيث قام بتحقيق بعضها، و تحبيذ طلبة الماجستير و الدكتوراه في قسم الدراسة الإسلامية بجامعة بايرو-كنو، لدراستها تحقيقا و تخريجا. وهي فعلة محمودة.

ولكن ما زال الموضوع- في نظري- يتطلب دراسة جدية وتعميقا أكثر، وإعمال الجهد في تبريز معالم إسهاماتهم وحدود اجتهاداتهم في فهم علوم الأثر، وتطبيق قواعده في مؤلفاتهم.

ظلت تتبدى لي طراوةُ هذا الموضوع طيلة سنوات، وخاصة إبان دراساتي لمؤلفات هؤلاء الأعلام. و شعرتُ بغُصّة إذ لم أضع يدي على جهد مبذول يسد هذه الفجوة، ولا تقدمت الأطروحات الجامعية- داخل البلاد وخارجها - لردم هذه الثغرة المهمة، فلم يوجد لا هذا ولا ذاك على نحو ما أحلم به- فيما أعلم.

وهذه الأكتوبة جاءت كخطوات أولى لوضع الأرقام على الحروف، تمهيدا لمن هو أجدر مني وأطول باعا من الباحثين الأكفياء.

وقد اضطررت لاستعراض جميع ما وصلت إليه يدي من مصنفات الشيوخ الثلاثة، وغيرها مما له صلة قريبة أو بعيدة، مما له أهمية وتعلق بارزين بالموضوع. ولا أقدر وصف المتعة التي تغمرني أثناء هذه الدراسة، حتى إنها أنستني الصعاب المنهالة عليّ أثناء قراءة الحروف الدقيقة والكلمة المطموسة، و تلاعبات النساخ بالنصوص شكلا و مضمونا.

المطلب الأول

جهود علما بلاد الهوسا القدماء في علم الحديث

لعلماء بلاد الهوسا مجهود طيب في العلوم الإسلامية على وجه العموم، رغم أن كثيرا منهم لسبب أو لآخر لا يرون داعيا للتأليف وتصنيف الكتب، ويعدون محاولة ذلك منافية للتواضع، لأنه حب للظهور والسمعة واستلفات للأنظار.

ومع ذلك فلا نعدم بعضا من آثارهم التي تدل على طول الباع و يقظة العلماء، وخاصة في علم الحديث الذي عُقدت هذه الدراسة من أجله. فقد بلغ بعضهم قمة حتى أصبح متميزا بلقب عظيم من ألقاب علماء الحديث، و ذلك هو الشيخ المعروف بـ(أَيْدَ أحمد) محمد بن أحمد بن أبي محمد التازخي، كان اشتهاره بـ"المحدّث" أكثر منه باسمه المجرد. و كان قد درس الحديث على كبار علمائه في المصر نحو شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، و البرهانين والقلقشدي و السنباطي[١].

وأدلى الإمام المغيلي محمد بن عبد الكريم بدلوه في إسهام دراسة الحديث و علومه في زيارته لهذه البلاد، فقد جاء على رأس قائمة كتبه أن له كتابا باسم "مفتاح النظر في علم الأثر" فيه أبحاث مع النووي في كتابه التقريب. و له أيضا "فهرسة مروياته"[٢].

ولا يخفى الحس الحديثي و البصر بالنقد في العمل الذي قام به الشيخ العلامة عمر بن محمد بن أبي بكر الترودي، من تلخيص أسماء الكتب التي شحنها أصحابها بالروايات الموضوعة. وهذا الكتاب نقله برمته الشيخُ محمد بل في إنفاق الميسور. قال وهو يترجم لذلك الشيخ :

ومن كلامه ـ رحمه الله ـ ما كتبه لبعض الإخوان نصحا له ، وبيانا لما لا يعتمد عليه من الكتب فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام علي من لا نبي بعده.

أما بعد، فالكتب التي لا ينبغي مطالعتها و الاشتغال بها، لكون أكثر ما فيها موضوعا وباطلا، ولكون الأحاديث والآثار التي فيها موضوعات كثيرة في أيدي الناس منها: (كتاب وصية علي، وكتاب وصية فاطمة، وكتاب وصية أبي هريرة، وكتاب وصية معاذ، وكتاب مرضاة الرب، وكتاب دقائق الأخبار، وكتاب تارك الصلاة، وكتاب غزوة خيبر، وكتاب انشقاق القمر، وكتاب وفاة بلال، وكتاب شفاعة المحمود، وكتاب أهوال القيامة، وكتاب صفة الجنة، وكتاب كلام البهائم، وكتاب الجمعة، وكتاب المعراج الكبير، والصغير معا، وكتاب المرشد الذي أوله أربعة جواهر في بني آدم يزيلها أربعة، وكتاب أربعين حديثا: التي أولها لكل شئ مهر، ومهر الجنة ترك الدنيا، وكتاب قصة الغلام، وكتاب قصة القاضي مع السارق، وكتاب قصة الجارية مع أبي حازم، وكتاب قصة العصفور، وكتاب العلم النافع : الذي أكثر تراجمه: ايش كذا، وكتاب آداب العلماء، وكتاب السبعيات في قصص الأنبياء، وكتاب حكايات الصالحين، وكتاب بدء الدنيا، وكتاب بدء الخلق، وكتاب تلقين الأطفال، وكتاب مناجاة موسى، وكتاب بريد من شرح الرسالة، وكتاب الوحشي، وكتاب غريب: كلاهما شرح الشهاب، وكتاب الريح الأحمر، وكتاب شمس

١– السعدي، تاريخ السودان، (ص/٣٩)، و أحمد بابا ، نيل الإبتهاج، (ص/٥٨٧) Abdul Ali, p 22

٢– أحمد بابا، نيل الإبتهاج، (ص/٥٧٨)

المعارف، وكتاب قصة الدعاء المبارك، وكتب ذكر الخميس، وكتاب الياقوتة، وكتاب النفخ والتسوية، وكتاب الباجي: الذي أكثر ما فيه فإن قيل لك كذا وكذا، فقل كذا وكذا، وكتاب فتح مكة: وهو سفر كبير مجلد، وكتاب غزوة سيسيان، وكتاب فقه الدين، وكتاب إفحام الخصم في إباحة الدخان، وكتاب التبيين في المواعظ، وكتاب سؤالات الراهب، وكتاب من شرح البسملة، وكتاب الطير، و ما أبطله، والكتاب المعروف بجامع الكبير، والكتاب المنتقى، ولا أعني شرح الشهاب بل مجلد كثير الأسانيد، وكتاب فضائل رمضان، وكتاب فضائل ليلة القدر، وكتاب الفضول، وكتاب نصيحة إبليس، وكتاب صلوات الليالي الفاضلة، وكتاب فضائل سور القرآن سورة سورة، وكتاب الثعالبي، هذا ما به الفتوى عند العلماء"[٣].

وللشيخ عبد الله الثقة رحمه الله أسانيد ترجع إلى كتب الحديث يرويها عنه تلاميذه أمثال القاضي إبراهيم بن موسى غِيرُو[٤]، وله حواش على ما يقال على كتاب الجامع الصحيح للبخاري، وهذا الكتاب يعد على أقل التقدير تنمية لعلم الحديث، كما أن المؤلف يعدّ من جملة من علّقوا على الجامع الصحيح، و هم لا يحصون كثرةً.

وبلغ اهتمام علمائنا القدماء بالحديث أن رأى الشيخ رمضان بن أحمد رحمه الله أنْ يدرج أسماء الرواة الواردين في صحيح البخاري في النظم، ليكون أسهل في الحفظ، وأقعد عند التدريس[٥]، ولكن ليس في أيدينا الكثير عن هذا الكتاب سوى ما يشبه أن يكون اسما له:"نظم على رواة البخاري"، أما التفاصيل عن معتمد المؤلف، ومصادره، ومنهجه، فعدم وصول الكتاب إلينا أحال دوننا و هذه المعلومات جملة و تفصيلا.

ومن علماء هذه المنطقة كثيرون اعتنوا بالرحلة في طلب الحديث، وطافوا شرق الدنيا وغربها، وانتهلوا من علماء الأقطار المختلفة، ومن أبرز من كان له هذا الاهتمام الشيخ محمد بن راج عليه رحمة الله فإنه رحل من أجل شيئين، وقد وفّق حتى حظي بهما جميعا، قصد برحلته الحج أولاً وطلب العلم ثانياً، فعاد على بلاده ويداه ملآ بالخير، فقد أدى واجبه في الحج، وأكثر الجمع والرواية، والجولان عند المشيخة حتى اغتنم بطلب علم الحديث عند الشيخ محمد حياة السندي بالمدينة المنورة، الذي اشتهر بخدمة السنة والحديث وعلومه حينئذ، والمنفرد بالأسانيد الموصولة إلى أصحاب كتب الحديث، فتلقى منه ما تلقى وكان ضمنها الكتب الستة، وفيه يقول الشيخ عبد الله فودي:

هنيئا نيل خير بانعراج إلى حاج شهير بابن راج

صبور فائق لين مثيل أباريز الحديث لكل راج

أتانا بالصحاح الست نقلا صحيحا زانه ضوء احتراج

وكذلك الشيخ أبو الأمانة جبريل بن عمر رحمه الله كان جوّابة أقطار، ورافقه ولدُه أبو التوفيق عمررحمة الله عليهما فطافا بالبلاد الإسلامية تحصيلا للعلم، وطلبا للفوائد، ولعل ذهابهما إلى الحج له مساعدة قوية في جمعهما

---

[٣]- بل محمد بن عثمان فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، و كل ما تحته الخط موجود متوافر في الأسواق.

[4] - Abdul ‘Ali Abdulhamid, Abdullahi B. Fudi as an Exigetist, p 23

[5] - Abdul Ali, Ibid, p 23

الأسانيد، والإجازات المختلفة من شيوخ الحديث البارزين في ذلك العصر، فقد أثبتت المصادر أنهما زارا السودان و مصر والحجاز.

لم يظهر لي أنه رافق ولده أبا التوفيق في ذهابه للحج في المرة الأولى، فإن الأرجح أنه رافقه في المرة الثانية والأخيرة. فيظهر أن التقائهما للشيخ مرتضى الزبيدي الذي هم منطلق جلّ سندهما كان في ذهابه للمرة الأخيرة، فأخذ عنه الوالد وابنه أبو التوفيق معا.

والشيخ أبو على محمد بن ثنب بن عبد الله رحمه الله كان من العلماء الصالحين المجيدين في العلم، و ممن حُبّب إليهم الارتحال، أخذ نحو المشرق لأداء فريضة الحج، وطلب العلم، فهو رغم أن المنية قد عاجلته، ولم تتركه لينشر ما قد حمل من العلم، حتى نستطيع من خلال ذلك استنتاج أشياء كثيرة من حياته العلمية و مساهماته في نشر العلم في هذه المنطقة، غير أنه حسب العادة المتبعة، فإنه على أغلب الظن يروي بعض الأسانيد، ولعله لذلك تأسف الشيخ عثمان وأخوه لموته، حتى قال الشيخ عبد الله: "مات في قرية أقدس قبل وصوله إلينا، فحزنا عليه حزنا شديدا لطمعنا في زيادة العلم بوصوله".

وليست فوائد الرحلات تقف عند حدود وجود الإجازات فقط، فإنها بجانب ذلك وسيلة لجلب الكتب إلى هذه المنطقة، بعد الانفتاح الثقافي الذي يحظى به من ارتحل، ومن العوامل القوية في تكوين شخصيته، و تكميلها بتوسيع دائرة المدارك بمشاهدة البلاد المختلفة و التقاليد و الأعراف المتباينة.

وهناك من العلماء الذين ارتحلوا وحازوا الإجازات بأسانيد كثيرة أمثال الشيخ الحاج مصطفى رحمه الله، فإنه رحل إلى مصر وغيرها، وتتلمذ على الشيخ الزبيدي وأخذ عنه علوم الحديث، وأجازه بإجازات، وهذا كل ما عندنا عنه، فلم يشتهر أمره، أو بعبارة أكثر دقة اشتهر أمره في وقته، و نحن لسوء الحظ لم يصل إلينا منه كبير شئ، فنسكت كما سكتت مصادرنا عن التفصيل، (والإجازة والشيوخ، إما شيوخ الأخذ والسماع، أو شيوخ الإجازة و الإذن)، والمهم أن هؤلاء العلماء كانوا يعقدون مجالس العلم بعد رجوعهم، ويلتف حولهم التلاميذ ذوي المقدرة على فهم علم الحديث وغيره من العلوم الإسلامية، ثم هم يُسمع بهم بعد حين من الدهر يتردد صداهم بقوة في الأصقاع المختلفة لتبليغ هذه العلوم.

ويبدو أن ذلك الشيخ الذي ذكرناه آنفا أعني الشيخ عمر بن مصطفي رحمه الله له مدرسة عظيمة يفيض فيها علومه، ويشرح أسانيده، وخاصة في العلم الذي تضلع به كثيرا، وهو علم الحديث، فقد وجدنا من تلاميذه الشيخ المعروف ب"الأول"؛ كان له أسانيد يرويها عن ذلك الشيخ، وهو بدوره لم يترك سنة اتصال الإسناد والتدريس تمر دون أن يقوم بإيصالها إلى من بعده، فقد وجدنا تلميذا له في قلب مدينة كنو يسمى محمد الكنوي- وهو من شيوخ الشيخين: عثمان وعبد الله رحمة الله عليهم، ويتصل سندهما به وهو الآخر ليس في أيدينا ما نوسع في ترجمته سوى ما ألمعنا إليه.

وإذ أن هؤلاء الرجال قد صلب عودهم، واستكملت قُواهم في العلم قبل ارتحالهم، فمن الجائز أن يأخذوا و يُعطوا، ويستفيد منهم بعض العلماء في البلدان التي اجتازوها؛ لأن من عادة علماء الحديث الأخذ عن الأصاغر

و الأقران، حتى قال الإمام وكيع بن الجراح: "لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عن عمّن هو فوقه، و عمّن هو مثله، و عمّن هو دونه"[٦].

المطلب الثاني

علماء الجهاد في ساحة الحديث وعلومه

اعتناء علماء الجهاد بالحديث وعلومه شئ لا يخفى على الدارس لكتبهم، و ما خلفوه من الأدبيات،فقد أُنْشِؤا على طلب العلم منذ الصغر، و بعد قراءة القرآن في الكُتّاب، شدوا طرفا صالحا من أوليات المعارف.

والتلمذة على العلماء المحققين مما يحبذ طالب العلم الجاد على حصوله، لما قد يأمل أن يجتنيه من أولئك العلماء، و يعود عليه ذلك من الفوائد العلمية و السلوكية.

وعلماء الحديث معروفون بكثرة الشيوخ، و التتلمذ على ما يستطيعون الحصول عليه من المشايخ. و قد اقتفى علماء الجهاد هذا المسلك. كان لهم عدد لا بأس به من الشيوخ في رواية الحديث، و قراءة علم المصطلح. فمن شيوخهم في الحديث:

١ –أبو محمد محمد بن راج

٢ –جبريل ابن عمر

٣ – ولده أبو التوفيق

٤ –محمد الكنوي هؤلاء كلهم في أسانيد الفقير

٥ –محمد خليل في توقيف المسلمين لعثمان

٦ –محمد المعروف بـ بتغ (بوطنغ) بن محمد بن الحاج عبد الرحمن، وهو عمٌ و خالٌ لهم. أخذ عنه الشيخ عبد الله ألفية الأثر للسيوطي. وأجازه مروياته.

٧ –عبد الرحمن بن محمد، أجاز الشيخ عبد الله جميعَ مروياته.

٨ – الشيخ نوح، أجاز الشيخ عثمان بالسند المتصل إلى الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[٧].

المطلب الثالث

مصادر علماء الجهاد و مواردهم الحديثية

إن مشكلة توافر المصادر و المراجع، من أكبر المشكلات لدى الباحثين من قديم الزمن، مرورا بعصر شيوخ الجهاد إلى اليوم. و قد ساعد على قلة المصادر و عدم توافرها على أيدي علماء هذه المنطقة القدماء انحباسها في كبرى المكتبات العالمية، وعدم وصولها إلى أيدي الباحثين، وخاصة في قارتنا هذه. فإن الأغلبية الغالبة مما وصل إلى علمائنا القدماء مستورد من كتابات علماء مصر والمغرب، وسائر الدول الإسلامية القريبة، والملاحظ

---

[٦]– الخطيب البغدادي، الكفاية، (ص/)، وابن حجر، هدي الساري، (ص/٤٧٩)

[٧]– ذكره في تعليم الإخوان الأسباب التي كفرنا بها ملوك السودان، مخطوط (ورقة:٣٨)

وكتب عمر النجار مقالا بعنوان:–

The Asanid of Shehu Dan Fodio: How Far are they a Contribution to His Biography, Bulletin Of Information, Nos. 9/10, Northwestern University, Evanston, 1984/5, pp25-34.

أن المصادر المتوفرة في مصر لم تجلب كلها إلى هذه الأرض، و إنما وفد نزر يسير فقط بالنسبة للثروة العلمية المتطايرة هناك.

ولعل بحكم القبول الذي حظيت به الفتاوى و كتب الشيخ السيوطي في القرن التاسع الهجري وانتشارها في البلدان، استطاعت الوصول إلى شيوخ الجهاد في أقرب مدة كذلك، فانتفعوا بها أكثر من غيرها، وأكثروا من الاقتباس منها، بل فقد بذلوا الجهود في تلخيصها، ونظمها وشرحها.

ورغم قلة تداول كتب الحديث وعلومه في هذه المنطقة، فقد وصل إلى الشيوخ كثير من تلك القلة، غير أنه من الجدارة بمكان أن يلاحظ أن نوعية تلك الكتب. بمعنى أن مصادر كل فن إما أن تتصف بالأصالة والأساسية، و إما أن تكون مصادر ثانوية تتكأ على المصادر الأولى؛ و إنما يمتاز هذا النوع عن سابقه بالجمع من هنا وهناك، و التنسيق، وشئ من الشرح و التعليل.

وفد إلى الشيوخ بعضٌ يسير من النوع الأول. و هذا يعني أن جُلّ مراجعهم من النوع الثاني. و كتاب صحيح البخاري يعدّ من النوع الأول في علم الرواية. و في علم المصطلح والدراية يكون "كتاب مقدمة ابن الصلاح"-على شك في وصوله إليهم- ولكن بالأحرى تكون ألفية العراقي، و ألفية الأثر للسيوطي أدق مثال يذكر في ذلك.

ومن النوع الثاني الجامع الصغير للشيخ السيوطي، و تدريب الراوي شرح تقريب النواوي في المصطلح للسيوطي.

وإذا مشينا في التقسيم على هذا المدار فإننا ننتهي إلى خلاصة قليلة، و نكون لم نستوف شيئا ذا بال لجهودهم في القراءة و استثارة المراجع. و هو هضم لقدرهم. والأهم من ذلك أن نقسم المراجع على قسمين قسم يضم الكتب التي لها علاقة كبيرة بعلم الحديث، و يكاد يكون هو أكثر مباحثها. و قسم آخر يكون حول الكتب التي كثر ورود الأحاديث فيها لتوضيح بعض النقاط واستجلاء غوامض بعض المسائل، و تدعيم القضايا التي تحتاج إلى مستند من الأحاديث، و إن لم تكن مكتوبة رأسا في علم الحديث أو فرع من فروعه. فهذا يفتح بابا واسعا لتدخل كتبا كثيرة استفاد بها علماء الجهاد لنقل الأحاديث و وجود ما يستشهدون به من آثار السلف. وإليك أسماء مصادرهم ومراجعهم على هذا التقسيم:

القسم الأول:

ا- جانب الرواية:

١ - صحيح البخاري: اعتمد عليه الشيخ عثمان كليا في إحياء السنة، و في سوق الأمة، و في الشيخ محمد بل في فتح البصير في علم التبصير.

٢ - عمدة القارئ للعيني[٨].

٣ - صحيح مسلم، لم يكن يتداولونها كتداولهم لصحيح البخاري، و لا نجرؤ على القول بعدم وصوله إليهم، كلا فقد وجدت الشيخ عثمان ينقل عن شرح القرطبي المسمى ب"المفهم"[٩]،

---

[٨]- ذكره عثمان في مرآة الطلاب (ص/٣٣)

٤ - و صرح الشيخ بل بوصول صحيح مسلم إليهم[١٠]. وكذلك كل ما يأتي من كتب الحديث المشهورة:

٥ - سنن الترمذي

٦ - سنن أبي داود

٧ - سنن النسائي

٨ - سنن ابن أبي ماجه

٩ - صحيح ابن خزيمة

١٠ - مصابيح السنة للبغوي

١١ - تفسير البغوي أيضا، من سنن الترمذي إلى هذا التفسير، ذكرها الشيخ محمد بلّ أنه طالعها.

١٢ - الشفا للقاضي عياض[١١]:

١٣ - جامع الصغير للسيوطي: نقل عنه محمد بل في أفراد من يصلي الله عليهم وملائكته، و في كشف القناع و الأستار عن وجوه سيد الإستغفار. و صرح بل في الشفاء بوصوله إليه.

١٤ - و ذكر بلّ أنه طالع شرح الجامع الصغير للغدامسي، و لم أسمع بهذا الشرح إلا عنده.

١٥ - الدر المنثور للسيوطي[١٢]:

١٦ - جامع الأصول لابن الأثير. اعتمده الشيخ محمد بل –رحمه الله– في كتاب غاية السول في تفسير الرسول، و إن لم يذكر صراحة، و لكن ذلك مما لا يخفى على أحد طالع و قارَنَ بين الكتابين. فإنه ينقل فيه روايات عن الشيخ رزين العبدري، ومعلوم أن ابن الأثير هو الذي أحيا روايات رزين بإدراجها في كتابه جامع الأصول.

١٧ - الإرشاد شرح صحيح البخاري للقسطلاني[١٣]. و ربما يكون هو المعني بفتح الباري للقسطلاني الذي ذكره الشيخ محمد بل في شفاء الأسقام[١٤].

١٨ - الفتح المبين بشرح الأربعين للهيتمي الفقيه[١٥].

١٩ - كشف الغمة عن جميع الأمة للشعراني: كان من المصادر لديهم، حتى أن الشيخ عبد الله في كتابه ضياء الأمة في أدلة الأئمة صرح في مقدمته بقوله:"اعلم إني اعتمدت في جميع ما أورد في هذا

---

[٩]– في كتابه مرآة الطلاب في مستند الأبواب لدين الله الوهاب (ص/٣٢)

[١٠]– في شفاء الأسقام (ص/٩)

[١١]– نقل عنه الشيخ عبد الله في تعليم الأنام تعظيم الله لنبينا عليه السلام

[١٢]– نقل عنه الشيخ عثمان مباشرة في نجم الإخوان (ص/٢٥٣)، و نقل عنه أيضا الشيخ محمد بل في الرسالة للأمراض شافية.

[١٣]– نقله عنه الشيخ عثمان في نجم الإخوان (ص/٢٥٣)، و الشيخ محمد بل في المسائل المهمة، والشيخ عبد الله كما صرح في مقدمة سراج جامع البخاري

[١٤]– الشفاء (ص/٩)

[١٥]– نقل عنه الشيخ بل في الشفاء (ص/١٥) وعثمان في

الكتاب من السنة و الآثار على كتاب العلم تاج الدين عبد الوهاب الشعراني المسمى بكشف الغمة عن جميع الأمة. والعهد عليه فيما قال فيه: جمعته من كتب الحديث المعتمدة التي تلقتها العلماء بالقبول و ذكرها". ثم قال:"ولم أذكر شيئا من الأحاديث المنسوخة والموضوعة إلا مع بيان نسخه و وضعه. فجميع أحاديثه ما بين صحيح أو حسن أو ضعيف كثرت طرقه فالتحق بالصحة أو الحسن".

٢٠ – الترغيب و الترهيب للحافظ المنذري[١٦].

٢١ – الموطأ للإمام مالك.

٢٢ – تنوير الحوالك للسيوطي، و هو بلا شك مع الموطأ[١٧].

٢٣ – إكمال إكمال المعلم على صحيح مسلم للشيخ أبي عبد الله محمد بن خلف الأبي[١٨].

٢٤ – بهجة النفوس شرح البخاري لابن أبي جمرة[١٩].

٢٥ – التوشيح شرح صحيح البخاري للسيوطي[٢٠].

ب- جانب المصطلح:

١- مقدمة ابن الصلاح، ليس ما يدل بالقطع على وصلوها إليهم.

٢- ألفية العراقي: اعتمده الشيخ عثمان في الأجوبة المحررة عن أسئلة مقررة في وثيقة الحاج المعروف بشيصُمّص بن أحمد. و الكتاب مما نقلوه عن شيوخهم قراءةً وإجازة.

٣- تدريب الراوي للسيوطي: اعتمده اعتمادا كليا و نظمه برمته الشيخ عبد الله في مصباح الراوي، و إن لم يشر و لو بأدنى إشارة إلى ذلك، و لكن منهجه و مباحثه وأمثلته وكل شئ مستل رأسا من تدريب الرواي، و حتى اسم الكتاب تشتم منه الموافقة: قارِن بين: "تدريب الراوي"- و "مصباح الراوي".

٤- ألفية الأثر للسيوطي، قرأه عبد الله الكتاب على عمٍّ لهم.

٤- شرح الألفية العراقي للشيخ يحي بن زكريا الأنصاري: نقل عنه الشيخ عثمان في كشف ما عليه العمل.

٥- ألفية السند للزبيدي: اعتمد عليه و نقل عنه الشيخ عثمان في "كشف ما عليه العمل وما لا"، و "أسانيد الفقير"، والشيخ عبد الله في "ضياء السند"، و الشيخ محمد بل في "كتاب المجددين".

القسم الثاني:

١ – إحياء علوم الدين للغزالي: لهذا الكتاب حظ كبير في إثراء عقلية علماء الجهاد في كل مجالات العلم و الحياة. فهو من أكبر الذخائر لديهم في نقل الأحاديث والروايات. و يبدو هذا جليا في كتاب

---

[١٦]- ، نفله عنه الشيخ بل في كف الإخوان عن اتباع خطوات الشيطان (ص/٥٨)

[١٧]- ذكره بل في كف الإخوان

[١٨]- ذكره بل في الكف (ص/٨٧)

[١٩]- نقل عنه عثمان في نجم الإخوان (ص/١٩٩) ذكره بل في الكف (ص/٧٩)

[٢٠]- ذكره الشيخ عبد الله في إرشاد أهل الرشاد

تنبيه الصاحب على أحكام المكاسب للشيخ محمد بل، حيث اختصر باب الكسب و التجارة من الإحياء، واعتمد عليه في نقل الأحاديث الآثار اعتمادا كليا. و كذلك الشيخ عبد الله في كتاب ضياء الأنام في الحلال و الحرام نقله كما ذكر عن الإحياء للغزالي.

٢ - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: نقل عنه الشيخ عثمان مباحث الإجازة في الأجوبة المحررة.

٣ - تفسير الخازن، ذكره بل

٤ - المدخل لابن الحاج: لا يحصى ما نقلوا عنه من الأحاديث و الآثار والحكايات. وذلك واضح في إحياء السنة للشيخ عثمان. و قد قام الشيخ عبد الله بتلخيص الكتاب كله. و قال الشيخ آدم عبد الله آلوري و هو يتحدث عن الشيخ عثمان:"تأثره في الفقه والحديث بابن الحاج كثير. لهذا جعل كتابه إحياء السنة على نمط المدخل لابن الحاج"[٢١].

٥ - محاضرات اليوسي للشيخ مسعود اليوسي[٢٢].

٦ - شفاء الصدور: ينقل عنه الشيخ محمد بل بعض الأحاديث، و كذلك الشيخ عبد الله في تفسيره ضياء التأويل.

٧ - الجواهر الحسان في التفسير للثعالبي، من مراجع عبد الله في ضياء التأويل

٨ - الزواجر عن اقتراف الكبار للشيخ الهيتمي الفقيه[٢٣]،

٩ - تاريخ الخلفاء للسيوطي[٢٤].

١٠ - المواهب اللدنية للقسطلاني.

١١ - الاكتفاء للكلاعي[٢٥].

١٢ - السير لابن سيد الناس اليعمري

١٣ - رفع الشكوك عن مفاخر الملوك[٢٦].

المطلب الرابع

مؤلفاتهم المتسمة بمنهج المحدثين

و في هذا المطلب نورد أسماء ما كتبه علماء الجهاد من المؤلفات في علم الحديث أو الكتب التي عليها سمة ظاهرة من منهج أهل الحديث في التأليف والتصنيف، أو كثر فيها الأبحاث المتعلقة بالحديث و علومه. المفروض أن

---

[٢١]- الإلوري آدم عبد الله، الإمام المغيلي، (ص/٣٦)

[٢٢]- نقل عنه عثمان كثيرا في نجم الإخوان (ص/١٩٤-١٩٦)

[٢٣]- نقل عنه بل في شفاء الأسقام، (ص/

[٢٤]- نقل عنه عثمان في نجم الإخوان (ص/٢٣١)

[٢٥]- قرأه الشيخ بل، و نقل عنه الشيخ عثمان مرارا في نجم الإخوان (ص/٢٤٨-)

[٢٦]- نقل عنه الشيخ في نجم الإخوان (ص/٢٣١)

نشرح مطاوي هذه الكتب، ولكن نخشى أن يُخرجنا ذلك عن قدر نطاق المقالة. و نبدأ بالشيخ عثمان–رحمه الله تعالى–:

١– اتباع السنة و ترك البدعة.

٣– أسانيد الفقير.

٤– تحقيق العصمة لجميع طبقات هذه الأمة.

٥– سوق الأمة إلى اتباع السنة.

٦– عمدة العباد فيما يدان الله به من الأذكار

٧– مرآة الطلاب في مستند الأبواب

و من كتب الشيخ عبد الله:

١– أخلاق المصطفى.

٢– تعليم الأنام تعظيم الله لنبينا عليه السلام

٣– سراج جامع البخاري.

٤– ضياء السند

٥– مصباح الراوي. كان وَكدُه فيه أن ينظم كتاب تدريب الراوي للسيوطي

٦– منن المنان و شرحه شكر الإحسان

٧– نيل المأمول من جوامع كلم الرسول

٨– نيل السول في تفسير الرسول.

٩– آداب العادات على سنة الرسول و تابعيه السادات

١٠– علامات المتبعين

١١– سبيل السنة الموصل إلى الجنة

و من مؤلفات الشيخ محمد بل–رحمه الله–:

١– أفراد من يصلي الله عليهم و ملائكته.

٢–البدور المسفرة في الخصال التي يدرك بها المغفرة.

٣– البرد اليمني في خبر أويس القرني.

٤– التربيح في صلاة التسبيح – لم أعثر عليه لحد الآن، ولم أزل أبحث عنه .

٥– تمهيد العباد فيما زاد على عمدة العباد.

٦– تنبيه الجماعة في أحكام الشفاعة.

٧– تنبيه الصاحب على أحكام المكاسب.

٨– التنبيهات الواضحات فيما جاء في الباقيات الصالحات.

٩– الرسالة للأمراض شافية و فيها نصيحة للأغراض كافية إلي جماعة المسلمين.

١٠- الطب النبوي.

١١- غاية السول في تفسير الرسول

١٢- فتح الإغلاق في معنى حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

١٣- كشف القناع والأستار عن وجوه سيد الاستغفار. حققه بعض إخواننا محمد سنوسي في الجامعة الإسلامية بباكستان.

١٥- النسرين فيمن بلغ من العمر أربعين.

١٦- وكتاب آخر فيمن بلغ الخمسين و السبعين و الثمانين.

١٧- النصيحة الوضيعة في أن حب الدنيا رأس كل خطيئة.

١٨- الموارد النبوية في المسائل الطبية.

١٩- الفوائد المجملة فيما جاء في البر و الصلة

٢٠- رسالة في الموطأ

المطلب الخامس

المسائل الحديثية الحساسة في مؤلفاتهم

٥-١ – قال بلّ:"الحث على اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهي أقواله وأفعاله، وتقاريره"[٢٧]

– قال محمد بل: " أي عليكم بسنتي: ما دام الحال مستمرا بكم هكذا. ثم إذا فسد الزمان و تغيير الأحوال، و كثرت المحدثات فافزعوا إلى الخلفاء من بعدي فهم يعرفون سنتي في ذلك الزمان، و في تلك الأحوال من الكتاب و السنة. فما يحدثونكم به فهو سنتي، و لو بلغت إلى ذلك الزمان لأظهرته لكم، و لكن احذروا من محدثات الأمور التي لا ترجع إلى سنتي، فهي بدعة، و إن كانت في زماني، فشاعت من بعدي"[٢٨]

– قال الشيخ عثمان في نجم الإخوان (ص/٣٣٤): "و أما الأمور الأربعة التي ينور الله بها القلوب فاعلموا يا إخواني أن من أراد أن ينور الله قلبه بأنوار الإيمان فليلزم أربعة أمور:

الأول: الاشتغال بتقوى الله الذي هو امتثال أمر الله و اجتناب نواهيه.

و الثاني: بقراءة القرآن.

و الثالث: الإشتغال بقراءة أحاديث رسول الله و سيره

و الرابع الإشتغال بأخبار السلف".

٥-٢ قيمة الإسناد: قال الشيخ عثمان:" اعلم أن الاشتغال بسلاسل الإسناد من أهم أمور الدين للعلماء والعباد، وقد اعتنى بذلك أهل المشرق، و هو معدوم في بلاد السودانية هذه، وقليل جدا في بلاد أهل المغرب كما صرح به الولي الصالح سيد الحسن بن مسعود اليوسي في محاضراته حيث قال: أو الاعتناء بالأسانيد قليل جدا في المغاربة، و غلب عليهم في باب العلم الاعتناء بالدراية دون الرواية، وفيما سوى ذلك لا همة لهم. ثم

---

[٢٧]- بل، الترجمان على كيفية وعظ الشيخ عثمان، (ص/٨)

[٢٨]- محمد بل، شفاء ألأسقام، (ص/٢٦)

قال: وكان أبو عبد الله محمد بن الحاج ابن أبي بكر الدلائي يذكر في كتابه مرآة المحاسن أنه: كم في المغرب من فاضل قد ضاع من قلة اعتنائهم بالأسانيد". و استمر الشيخ عثمان في إيراد النقول في أهمية الإسناد، و اختتم قائلا: و ينبغي لكل متدين أن يعتني بها، لأنها سلاح المؤمن"[٢٩].

وقال عثمان بعد أن شرح أسانيده : "إن مقصود هذا التوسع كله أن يصير الحديث مسلسلا بـ"حدثنا" و "أخبرنا"، و تبقى هذه الكرامة التي خصت بها هذه الأمة شرفا لنبينا محمد"[٣٠].

والشيخ عبد الله فودي رحمه الله قد تحدث عن الشروط المعتبرة قبل العمل بالأحاديث، فذكر منها:"صحة سندها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يُستدل بالضعيف إلا بعاضد"[٣١].

قال عثمان:"أن النبي صلى الله عليه وسلم قد صرح بكل شئ أمر الله به، أو نهى عنه، و لم يكلف أحدا مما فهمه غير ما بدا. إنما كلف جميع عباده بما صرحت به الشريعة فقط. و ينبغي للإنسان أن يعمل بما ورد في الكتاب و السنة صريحا لا استنباطا، إذ جميع ما استنبط ليس بشرع معصوم لله تعالى، إنما هو تشريع عباده، و لذلك وقع الخلاف فيه دون الصريح. قال الله تعالى: (و لو كان من عند غير الله لوجدوا اختلافا كثيراً) يعنى لاختلاف أمزجتهم"[٣٢].

– وقال الشيخ عبد الله فودي رحمه الله: "والإفراط – الإكثار – في الذكر، والتزام الذكر – الدعاء – لكل عضو – مفصل – فهو بدعة، و لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أذكار الوضوء غير الشهادتين آخره، و البسملة أوله مع ضعف حديثهما"[٣٣].

– وقال الشيخ عبد الله في مفتتح نيل المأمول:" فهذا نيل المأمول من جوامع كلم الرسول، مما صح منها"[٣٤]

– وقال الشيخ عثمان:"و من تلك الأوهام اعتقاد بعضهم أن الأحاديث الصحيحة توافق جميع المذاهب الأربعة، لذلك يتبادر للعمل بكل حديث صحيح سمعه، وهذا أيضا باطل، وهم على الإجماع؛ لأن بعضها توافق مذهب مالك فقط، وبعضها توافق مذهب الشافعي فقط، وبعضها توافق مذهب أبي حنيفة فقط، وبعضها توافق مذهب أحمد فقط، وبعضها توافق جميع المذاهب الأربعة. فإذا عرفت أن كل واحد من أهل هذه المذاهب يراعي ما وافق مذهبه.

– ومن تلك الأوهام اعتقاد بعضهم أن قول العلماء هذا حديث صحيح، وهذا حسن، وهذا ضعيف مبني على القطع. وهذا أيضا باطل، ووهم على الإجماع، لأنهم يقولون ذلك على اعتماد الظاهر، لا على اعتماده حقيقة الأمر، ولذلك قال العراقي: "وفي الصحيح والضعيف قصدوا في الظاهر لا القطع"[٣٥].

---

[٢٩]– عثمان فودي، أسانيد الفقير، (ص/٢)

[٣٠]– عثمان ، أسانيد الفقير، (ص/١١١)

[٣١]– فودي عبد الله بن محمد، ضياء الأمة في أدلة الأئمة ، (ص/)

[٣٢]– عثمان فودي، فتح البصائر في علم البواطن و الظواهر، (ص/٢٥-٢٦)

[٣٣]– عبد الله فودي، النصائح في أهم المصالح، (ص/٧٨)

[٣٤]– عبد الله فودي، نيل المأمول، (ص/١ مج ١٠)

[٣٥]– عثمان، حصن الأفهام من جيوش الأوهام، (ص/١٤٢)

- وقال في الكتاب نفسه (ص/٣٣-٣٤) ، وهو يرد على بعض المتوهمين: "عدم معرفتهم الفرق بين ما يفيد القطع كالنص المتواتر، وما لا يفيده كالظاهر وخبر الآحاد، ولم يعرفوا أن الشيخ إنما يحتج في هذه المسألة بالظاهر أو خبر الآحاد، وكل ذلك لا يفيد القطع، وإنما يفيده نص متواتر، ولم يرد في ذلك..".

- وقال محمد بلّ في حديث في أمر المهدي، أخرجه الشافعي وابن ماجه في سننه والحاكم في مستدركه، ثم قال: "أوردته تعجبا، لا محتجا به. وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد، وقد قال الحاكم إنه مجهول، وقد اختلف عنه في إسناده، وصرح النسائي بأنه منكر، وجزم غيره من الحفاظ بأن الأحاديث قبله اصح إسنادا"[٣٦].

- وقال عبد الله بعد أن نقل نقلا عن غاية الأماني...قلت هذا التخصيص مروي عن ابن عباس وغير من الصحابة، وهو مما لا مجال للرأي فيه فيكون مرفوعا حكما"[٣٧].

٥-٣ نبذ الروايات الموضوعة: نقل الشيخ عثمان فودي رحمه الله عن الشيخ زروق يقول في كتابه "عمدة المريد الصادق'، وهو يتحدث عن محققي الصوفية بأن "مذهبهم في الفضائل مذهب المحدثين، فلا يأخذون بموضوع"[٣٨].

- وكان الشيخ عبد الله يهتم في تفسيره بنقد الروايات الباطلة الشائعة عند المفسرين كما فعل في سورة الحج والأحزاب، وكان ينقل عن العلماء ما قالوه في نقد تلك القالات، وهذا وحده يدل على الانفتاح على النقد، و يدل على البصر به.

- قال الشيخ عثمان وهو ذكر الروايات الواردة في تعيين وقت خروج المهدي، فحكم ببطلانها،قال: "إن تاريخ مدة خلق العالم مجهول، وإن تاريخ مدة الدنيا مجهول، وإن تاريخ ما بين نزول آدم عليه السلام و بين مولد النبي مجهول، و إن ما مضى من الدنيا مجهول، و إن ما بقي منها مجهول، وإن وقت وقوع الساعة وأشراطها مجهول، إذ قال العلماء رضي الله عنهم لم يرد حديث عن النبي في تعيين وقت وقوع الساعة وفي تعيين وقت أشراطها، قاله القرطبي قي التذكره.

وعُرف أن كل ما ترون في التواليف أو سمع من الأفواه من تعيين وقت وقوع الساعة، وتعيين وقت أشراطها باطل، لا أصل له عن الشارع عليه السلام، واستمر يقول: "ومثل هذا التعيين في البطلان ما وقع في كتاب الفتن لنعيم بن حماد قال حدثنا أبو يوسف المقدسي وكان كوفيا عن محمد بن الحنفية أن قال: يقوم المهدي في سنة مائتين بعد الألف من الهجرة، وما أخرجه نعيم أيضا عن جعفر...وقد كان كل ما ذكر من السنين ولم يظهر المهدي، فظهر أن هذا التعيين أيضاً باطل، وإنما حكمتُ ببطلانه مع أني لم أر أحدا من العلماء حكم ببطلانه مع كون عبد الرحمن السيوطي أورده في كتابه العرف الوردي في أخبار المهدي قائلا: رأيت في كتاب الفتن لنعيم بن حماد، لأن كل ما ذكر من السنين قد مضى ولم يظهر المهدي، وأما نعيم بن حماد و عبد الرحمن السيوطي فمعذوران

[٣٦]- محمد بل، القول المختصر في أمر المهدي، (ص/٥)

[٣٧]- ابن فودي عبد الله، ضياء التأويل: (٢/١١٧-١١٨)

[٣٨]- فودي عثمان بن محمد، تبصرة المبتدي ، (ص/٤٠)

في عدم حكمهما ببطلانه، لأن ذلك غيب في زمانهما، وأما أنا فقد أدركت ذلك، ولم يظهر المهدي، فحكمت ببطلان ذلك"[٣٩].

– وقال الشيخ عثمان وهو يتحدث عن أسباب الخلاف: "لا تخلو منازعتكم أيضا أن تكون في قول مخالف لقضية العقل، أو في قول من أقوال جهلة المفسرين والمؤرخين الذين يوردون الأباطيل، وما لا يليق بالأنبياء عليهم السلام في تفسيرهم أو تواريخهم، أو في حديث موضوع، أي مكذوب على رسول الله، أو في رأي مجتهد خالف نص الكتاب أو نص السنة أو القواعد أو الإجماع أو القياس الجلي، وهذه الأمور الأربعة كلها باطلة بالإجماع، فلا ينبغي أن تكون المنازعة فيما أجمع على بطلانه"[٤٠].

٥–٤ الوقوف على الوارد كما قال الشيخ عبد الله في التفسير عند تفسير قول الله تعالى: "جنات عدن يدخلونها"، قال: "روى الترمذي بإسناده إلى أبي سعيد أن رسول الله لما تلا هذه الآية قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة و كلهم من أهل الجنة"، وقد وافقه رواة أخر، يكاد أن يتواتر فلذا عدلنا عن أكثر التفاسير الواردة هنا"[٤١].

٥–٥ من الأبحاث القيمة المتواجدة في كتبهم شرح مفهوم "التخريج" عند علماء الحديث، قال الشيخ عثمان: "هو إخرج المحدث الأحاديث من بطون الكتب، وسياقها من مروياته أو من مرويات شيخه أو أقرانه، وكثيرا ما يطلق كل منها على البقية"[٤٢].

٥ ‍ ٦ كتابة الحديث:

وتكلم الشيخ عثمان عن اللحن في الحديث و نقل ألفية العراقي في الأجوبة (ص/٩) ٥–٧ الإجازة و حكمها:

قال الشيخ محمد بلُّ بعد أن ذكر وردا من الأوراد التي كان الشيخ عثمان يقولها: "وقد أجزت لكل من وقف على هذا الكتاب فليستند مني، إذ الإجازة تصح على هذا عند بعض العلماء ، كما تقرر في علم الحديث"[٤٣].

و قال الشيخ : "الإجازة عن الشيخ غير شرط في الإقراء، و نقل عن السيوطي" في الأجوبة (ص/٩)،

٥ ‍ ٨ الرواية بالمعنى.

قال الشيخ محمد بل في رسالة له إلى الشيخ الحاج الأمين بن محمد الكانمي: "الحمد لله الذي حفظ دين الإسلام بأحكام للمؤمنين المسترشدين، ونسخ ما يلقي الشيطان في قلوب مواليهم الظالمين، الذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم المشركين، وضمن حفظ القرآن لما اشتمل عليه من الشرائع بقوله: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظزن"، والصلاة و السلام على سيد المرسلين القائل: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، و تأويل الجاهلين"، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..."، وفيها: "وأما قولك: وقد علمتم أنه لن يأتي آخر هذه الأمة مما كان عليه أولها، سمعته من شيخي سيدي معاوية، ولا

---

[٣٩]– عثمان ، تنبيه الفاهم في حكم تاريخ الدنيا و خلق العالم، (ص/٨–٩)

[٤٠]– قطع الخصام، (ص/٣ مج٨)

[٤١]– عبد الله ضياء التأويل، (٣/٢٧٠)

[٤٢]– عثمان فودي، كشف ما عليه العمل (ص/٣٤)

[٤٣]– بلّ محمد، الترجمان على كيفية وعظ الشيخ عثمان، (ص/٨ مج ٤)

ندري أحديث أم أثر؟...".

وفي الجواب يقول الشيخ بل: "فقولك: أحديث أم أثر"، ثم قلت: إن غالب ظنك أنه حديث، لكن لم نقف له على سند، ونحن لم نقف عليه، و لكن الحافظ حجة على من لم يحفظ، والذي عرفناه كما رواه غير واحد مم الحفاظ أنه صلى الله عليه وسلم قال: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها"، يعنى القرآن و(السنة)كما قال العلماء، و العجب منك أنك لم تزل تستدل في جميع رسائلك وكتبك بالآي والأحاديث على وجه الاستدلال والإقحام، مع أن المقلد إنما يسوغ له إيراد الآي والأحاديث على وجه التبرك والاستئناس، وكان حقه في الاستدلال أن يسرد أقال العلماء، ويستدل فقط، وهذا هو وظيفة (الخليفة) المقلد، وليس له أن يتعاطى وظيفة المجتهدين"[٤٤].

[٤٤]- ذكره الدكتور علي أبو بكر،الثقافة العربية في نيجريا من ١٧٥٠ إلى ١٩٦٠ عام الاستقلال،ط الأولى١٩٧٢م،بيروت: مؤسسة عبد الحفيظ البساط،ص/٤٨٨-٤٩٥).

آثار الإمام الدمياطي (ت٧٠٥هـ) العلمية والدراسات والمعاصرة عليها

إبراهيم نجم عبد الرحمن

أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا

ماليزيا

ibro.na@gmail.com

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صلَّى الله عليه وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، وأصحابه الصالحين النَّاصحين الْمُصْلِحِين، والتَّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

فهذه دراسة ضافية لما قدمه الحافظ المحدِّث عبد المؤمن بن خلف الدمياطي (ت٧٠٥هـ) من نتاج علمي وآثار قيمة، مضافاً إليها الدراسات المعاصرة التي قامت على شخصيته ومؤلفاته، وقد عُرف الحافظ الدمياطي بكثرة التأليف فقد بلغت مؤلفاته التي وقفت عليها (٥٧) مؤلفاً، منه ما هو في مجلدات، ومنه ما هو دون ذلك، كما عُرف الحافظ الدمياطي أيضاً بالإتقان في ما يؤلفه ويحرِّره، قال الصفدي: "وصنف التصانيف المحرّرة، والتواليف المحبرة"(١)، وقد شملت هذه الدراسة مؤلفات الحافظ الدمياطي جميعها المخطوطة والمطبوعة والمفقودة.

المؤلفات:

١- الأربعون الأبدال التساعيات للبخاري ومسلم أو أحدهما، ذكره الدمياطي في "معجم شيوخه" ٣/ق ٩أ، وابن القاضي في "درة الحجال" ١٦٤/٣، بعنوان: "الأربعون التساعيات الإسناد والأبدال".

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في المكتبة الخالدية بالقدس، رقم (حديث ١١٩٢/١) من الورقة (١أ-٢٢أ) تتضمن الجزء الأول للكتاب، كتبها مكي بن عثمان بن بدر بن مسلم الحميري الصايغ في ربيع الأول سنة ٦٨٨هـ، قُرئت على المؤلف، عليها تصحيحاته، ومقابلاته بالأصل، وسماعات كثيرة على المؤلف، وقد اشتملت على عشرين حديثاً(٢).
- نسخة أخرى محفوظة في المكتبة المذكورة، رقم (حديث ١١٩٢/٢) تتضمن الجزء الثاني، بالوصف السابق نفسه، من الورقة (٢٣أ-٤٣ب) عليها سماعات على مؤلفها سنة٦٨٨هـ و٦٨٩هـ في المدرسة الظاهرية(٣).

ب- طبعات الكتاب:

- قام الأستاذ: **أحمد الخضري** بنسخ المخطوط إلكترونياً، وتولى موقع المكتبة الشاملة نشره.

٢- الأربعون حديثاً المتباينة الإسناد المخرجة على الصحيح، من حديث دار السلام ببغداد مما وقع بالسماع المتصل من غير تكرار إسناد (الأربعون الكبرى)، قال التُّجِيْبِيّ: "وهو آخر الكتب الجليلة المحتوية على جمل مفيدة من التاريخ، ظهر فيه حفظه، ونبله، واتساع روايته"(٤)، ذكره الدمياطي في "معجم شيوخه" ١/ق ٢، بعنوان: "**الأربعون المتباينة الإسناد المخرجة على الصحيح من حديث بغداد**" كما ذكره في كتابه "الأربعون الأبدال" ق ١٧أ، بعنوان: "**الأربعون المتباينة الإسناد المخرجة على الصحيح من حديث بغداد**". وذكره

(١) أعيان العصر للصفدي، ٤٩٣/١.

(٢) انظر فهرس المكتبة الخالدية بالقدس، رقم (١٨٣).

(٣) المصدر السابق، رقم (١٨٤).

(٤) برنامج التجيبي ص ١٥٣.

التُّجِيْبِيّ في "برنامجه" ص ١٥٣، بعنوان: "**الأربعون الكبرى المتباينة الإسناد المخرجة على الصحيح من حديث دار السلام بغداد، مما وقع بالسماع المتصل من غير تكرار إسناد**" والذهبي في "معجم شيوخه" ٤٢٤/١، وابن كثير في "البداية والنهاية" ٤٥/١٤، والسَّخَاوي في "فتح المغيث" ١٣٩/٤.

❖ **مختصرات الكتاب:**

٣- الأربعون الصغرى المتباينة الإسناد، تأليف: شرف الدين الدمياطي، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص٤٦، و"برنامجه" ص١٥٤، وقال: "**وهو مختصر من الأربعين الكبرى**"، والكتاني في "الفهرس" ٤٠٧/١.

٤- الأربعون الحلبية في الأحكام النبويّة، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص٤٧، والكتاني في "الفهرس" ٤٠٧/١.

٥- الأربعون السباعية الأبدال، ذكره ابن القاضي في "درة الحجال" ١٦٤/٣.

٦- الأربعون العوالي من حديث عزّ الدين ابن السلام (ت٦٦٠هـ)، ذكره الدمياطي في "معجم شيوخه" ٢٦/ق ٢ب-٣أ، وقال: "**خرّجت له أربعين حديثاً من عوالي مسموعاته**"، والذهبي في "تاريخ الإسلام" ٤١٧/٤٨، والصفدي في "الوافي بالوفيات" ٣١٨/١٨.

٧- الأربعون في الجهاد، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص ٤٧، والكتاني في "الفهارس" ٤٠٧/١.

٨- الأربعون من حديث المستعصم بالله الخليفة العباسي[٥] **(ت٦٥٩هـ)**، ذكره السبكي في "طبقات الشافعية" ١٠٣/١٠، وابن تغري بردي في "المنهل الصافي" ٣٧١/٧، والسيوطي في "تاريخ الخلفاء" ص ٤٠١، وقال: "خرّج له الدمياطي أربعين حديثاً، رأيتها بخطه".

٩- الأربعون الموافقات العوالي، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص٤٦، والوادي آشي في "برنامجه" ص١٤٩، وابن تغري بردي في "المنهل الصافي" ٣٧١/٧، بعنوان: "الأربعون الموافقات" و"درة الحجال" ١٦٥/٣.

١٠- الأعيان الجياد من شيوخ بغداد، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة"ص٤٨، والوادي آشي في "برنامجه" ص١٤٩، وابن القاضي في "درة الحجال" ١٦٤/٣-١٦٥.

١١- أحاديث في فضل الحج[٦].

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في المكتبة الخالدية بالقدس، رقم (حديث ٨٧٠/٥) ضمن مجموع، من الورقة (٣٨أ-٤٣أ) كتبها زين الدين عبد الرحمن الإشفيني سنة٩٦٨هـ.

١٢- أحاديث منتقاة

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في المكتبة الأحمدية، رقم (٣١٤) من الورقة (١-٥ب).

---

(٥) هو آخر الخلفاء العباسيين: عبد الله بن المستنصر بالله، أبو أحمد. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٧٤/٢٣-١٧٥، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٤٠١.

(٦) ينظر: مخطوطات المكتبة الخالدية بالقدس، رقم (٢٠٤).

- وعنها صورة محفوظة في مركز جمعة الماجد بدبي، رقم (٨٩٠).

١٣- أخبار بني جُمح بن عمرو بن هصيص، ذكره الوادي آشي في "برنامجه" ص١٤٩، وابن تغري بردي في "المنهل الصافي" ٣٧٢/٧، وابن القاضي في "درة الحجال" ١٦٥/٣.

١٤- أخبار بني سَهم بن عمرو بن هصيص وأنسابهم، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص ٤٧، والوادي آشي في "برنامجه" ص ١٤٩، وابن تغري بردي في "المنهل الصافي" ٣٧٢/٧، وفيه الياء ساقطة من هصيص، وابن القاضي في "درة الحجال" ١٦٥/٣. وفي المصدرين الأخيرين من دون ذكر "وأنسابهم".

١٥- أخبار بني لحج وأنسابهم، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة ص٤٧".

١٦- أخبار بني المُطّلب بن عبد مناف، رهط الإمام الشافعي، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص٤٧، والوادي آشي في "برنامجه" ص١٤٩، وابن تغري بردي في "المنهل الصافي" ٣٧٢/٧، بعنوان: "أخبار بني عبد المطلب بن عبد مناف" نسبه إلى جده وإنما هو: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وابن القاضي في "درة الحجال" ١٦٥/٣، وليس فيه "رهط الشافعي"

١٧- أخبار بني نوفل بن عبد مناف، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص ٤٧، والوادي آشي في "برنامجه" ص١٤٩، وابن تغري بردي في "المنهل الصافي" ٣٧٢/٧، وابن القاضي في "درة الحجال" ١٦٥/٣.

١٨- أخبار الخزرج وما فيها من القبائل والعمائر والبطون والأفخاذ والفصائل ومن فيها من الصحابة والتابعين ومن له سابقة من الدين.

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في مكتبة آصفية بحيدر آباد بالهند، رقم (١٩٨/رجال)، في (١٦٤) ورقة، كتبها أحمد بن أحمد بن الحسين الهكاري سنة ٧١٩هـ، وعليها سماعات عديدة، لابنه أحمد ولغيره(٧).
- وعنها صورة محفوظة في معهد إحياء المخطوطات بالقاهرة، رقم (٣١٦٥).
- صورة أخرى محفوظة في معهد مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رقم (٢٩٧٩).

ب- طبعات الكتاب:

- حققه **الدكتور عبد العزيز بن عمر البيتي،** أطروحة دكتوراه، بإشراف: أ.د. أكرم ضياء العمري؛ أ.د. عمر بن حسن فلاّته، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، سنة١٤١٥هـ١٩٩٥م، في ١٠٧٣ص، وهي بعنوان: "أخبار قبائل الخزرج لعبد المؤمن الدمياطي: تحقيق ودراسة".

١٩- أسماء المهاجرين من قريش وحلفائهم ومواليهم الذين أخرجوا من ديارهم(٨)

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في المكتبة الظاهرية، رقم (٣٤/مجموع) في ورقة واحدة (١٣٦) من أول الكتاب، وعليها خط المصنف الدمياطي، وإجازة بخط يوسف بن عبد الهادي.

---

(٧) ينظر أخبار قبائل الخزرج بتحقيق فضيلة الدكتور عبد العزيز البيتي ص ١٤٧-١٦١.

(٨) معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم ١٨٧٣/٣، رقم (٥٠٢٠).

- نسخة أخرى محفوظة في المكتبة المذكورة، رقم (١٤٤٧/عام) من الورقة (٢٠٣-٢٠٦).
- وعنها صورة محفوظة في مكتبة المخطوطات بالكويت، رقم (١٦١) ورقم (٦٦٩).
- صورة أخرى محفوظة في مكتبة جامعة الكويت، رقم (٦٦٩/١٠م).
- صورة أخرى محفوظة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رقم (٤٥٨٣/١١).
- نسخة أخرى محفوظة في المكتبة المركزية بمكة المكرمة، رقم (٦٤٤/٨).
- نسخة أخرى محفوظة في مكتبة الجامعة الإسلامية، رقم (٩٧٩/٢-١١٧) في (٩) ورقات[٩].

٢٠- بديع التذكار فيما ورد في فضل الخيل من الأخبار

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في مكتبة خدابخش بالهند ١١٣/٢/٥، رقم (٣٨٣) في (٩٣) ورقة، كتبت في القرن ١١هـ، وهي من دون إسناد[١٠].
- وعنها صورة محفوظة في مكتبة الملك عبد العزيز العامة، رقم (٥١٨هـ).

قلت: لعله كتاب "فضل الخيل" القادم ذكره برقم (٤٣)، أو أنه إختصار للكتاب من قبل الدمياطي أو أحد العلماء المتأخرين، فإن النسخة مجردة من الإسناد كما جاء في وصفها.

٢١- التساعيات المطلقة التي ليس فيها بدل ولا موافقة، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص ٤٧، وابن تغري بردي في "المنهل الصافي" ٣٧٢/٧، وابن القاضي في "درة الحجال" ١٦٥/٣، وعنده "التساعيات المطلقة" فقط، والكتاني في "الفهرس" ٤٠٧/١، بعنوان "التساعيات المطلعة" وهو تصحيف.

٢٢- التسلي والاغتباط لمن تقدم من الأفراط، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص٤٧، ابن كثير في "البداية والنهاية" ٤٢/١٤، والوادي آشي في "برنامجه" ص١٤٩.

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في المكتبة الخديوية بالقاهرة، رقم (٤١٩) كتبت سنة ١٣٣٣هـ.
- نسخة أخرى محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة، رقم (١٦٠م).

ب- طبعات الكتاب:

- طبع بتحقيق وتعليق: **مجدي السيد إبراهيم**، في مكتبة الساعي بالرياض؛ مكتبة القرآن بالقاهرة، سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، في ١١٠ص، ط١.

٢٣- التعليق على مقدمة "ابن الصّلاح" في علم الحديث، ذكرته الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ - رحمها الله-، في مقدمتها على كتاب "المقدمة" لابن الصّلاح في علوم الحديث: ٥٤/١، وقالت: نقل منه السيوطي في "تدريب الراوي" ١٥٩/٢.

---

(٩) ينظر: أخبار قبائل الخزرج للدكتور عبد العزيز البيتي ص ١٢٣، رقم (٢٩).

(١٠) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي، قسم الحديث، ٢٩٣/١، رقم (٥١).

٢٤- جزء حديث الرحمة المسلسل، وأحاديث عوال، ذكره الدمياطي في "أخبار قبائل الخزرج" ٥٣٤ص، رقم (٣٥٨)، والتُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص٤٧، وفي "برنامجه" ص١٧٠، وقال: "قرأت عليه سائر الجزء بالمدرسة الظاهرية من القاهرة".

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في المكتبة المركزية بالرياض، رقم (٢٥٩٣) بعنوان: "جزء فيه الحديث المسلسل بالأولية وأحاديث منتقاة عوال"، في (٦) ورقات. وهو حديث "الراحمون يرحمهم الرحمن".
- وعنها صورة محفوظة في المكتبة المركزية، رقم (٧٤٧٦/ف).
- وصورة أخرى في مكتبة الجامعة الإسلامية، رقم (٣٩١٧/فيلم).

٢٥- جزء فيه أحاديث أبدال وغيرها عوال صحاح

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في مكتبة الدكتور نجم عبد الرحمن خلف، بالإمارات/الشارقة، رقم (س١٦/حديث) وهي نسخة نفيسة، كتبت عن نسخة قرأت على الدمياطي مؤلف الكتاب، سنة ٦٨٩هـ، عليها أطباق السّماع لأعلام المحدثين، والنسخة من رواية الشيخة المسندة أم عبد الله نشوان بنت عبد الله بن علي الحنبلية، وهي بخط نسخي جميل متشابك غير منقوط في أغلبه، ترقى للقرن ٨هـ، وهي بعنوان: "جزء فيه أحاديث أبدال وغيرها عوال صحاح من أمالي الحافظ شرف الدين الدمياطي".
- نسخة أخرى محفوظة في دار الكتب بالقاهرة (فؤاد)٢٠٩/١، رقم (٢٥٥٩٠ب) في (١٦) صفحة، كتبت سنة ١٣٥١هـ.
- نسخة أخرى محفوظة في الدار المذكورة، (فؤاد)٢١٠/١، رقم (٢٥٦١١ب) في (٢٦) صفحة، كتبت سنة ١٣٥١هـ.
- نسخة أخرى محفوظة في الدار المذكورة ١٠٥/١، ١٠٦، رقم (٢٠٢٤) ضمن مجموع.
- نسخة أخرى محفوظة في مكتبة الأسكوريال٢٩٦/١، رقم (١٨٠٠/١٢) من الورقة (١١١-١١٨) ضمن مجموع.

ب- طبعات الكتاب:

- طبع بتحقيق الأستاذ: **حمدي السلفي**، في مكتبة الأصالة والتراث بالشارقة، سنة ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، في ١١ص، وهو ضمن مجموع يتضمن خمسة أجزاء حديثية، بعنوان: "**جزء فيه أحاديث أبدال وغيرها عوال صحاح من أمالي الحافظ شرف الدين الدمياطي**".

٢٦- جزء فيه أحاديث عوال من الأبدال والموافقات والتساعيات والمصافحات والأناشيد والمقطوعات، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص ٤٧، والكتاني في "الفهرس" ٤٠٧/١.

أ- النسخ الخطية للكتاب[11]:

- نسخة محفوظة في المكتبة الظاهرية ٢٢٧، رقم (١٢٩/ضمن مجموع) من الورقة (١٩٩-٢١٤)[12]، عليها سماع سنة ٦٧٩هـ، وسماع من ابن المصنف سنة ٦٨٠هـ، وهي بخط نسخي جميل.
- وعنها صورة محفوظة في مركز جمعة الماجد بدبي، رقم (٢٣٧٠).
- صورة أخرى محفوظة في مكتبة المخطوطات بالكويت، رقم (٤٦).
- صورة أخرى محفوظة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رقم (٤٧٠٢/فيلم).
- نسخة أخرى محفوظة في جامعة ييل بأمريكا ٧٧، رقم [L-٦٨٣ (٦٦٧)] في (١٩) ورقة، كتبت قبل سنة ٦٩٨هـ، وهي نسخة قيمة.
- نسخة أخرى محفوظة في مكتبة الأسكوريال ثان، ١٢/١٨٠٠.
- نسخة أخرى محفوظة في القاهرة ملحق، رقم (٢٥٦١١/ب) في (٢٦) صفحة، كتبت سنة ١٣٥١هـ.
- نسخة أخرى محفوظة في دار الكتب بالقاهرة، رقم (٢٠٢٤/حديث).
- نسخة أخرى محفوظة في المكتبة المركزية بمكة المكرمة، رقم (٨/٧٣٨).

٢٧- جزء فيه مصافحات مسلم وأبي داود والنسائي (يتضمن ثمانية أحاديث)، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص٤٧، و"برنامجه" ص١٨٢، وابن القاضي في "درة الحجال" ٣/١٦٥.

أ- النسخ الخطية للكتاب:

نسخة محفوظة في المكتبة الأحمدية بحلب، رقم (٤/٣١٠) من الورقة (٦٢-٨٧) كتبها يونس بن ملاج الحسني سنة٩١٧هـ، بخط نسخي معتاد، وهي بعنوان: جزء فيه مصافحات الإمام مسلم والإمام النسائي.

وعنها صورة محفوظة في مكتبة جامعة الكويت، رقم (٧٢٣٥).

ب- طبعات الكتاب:

- طبع بتحقيق: **جاسم الفجي**، في مكتبة أهل الأثر - دار غراس بالكويت، سنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، ضمن مجموع يحتوي على ثلاث رسائل حديثية، في ٤١ص، ط٢، بعنوان: "جزء فيه مصافحات الإمام مسلم والإمام النسائي".
- قلت: وفي العنوان سقطٌ وقع في النسخة الخطية التي اعتمدها محقق الكتاب، وتابعه المحقق على ذلك، والصواب ما ذكره الأئمة، وقد قمت بمراجعة النسخة فوجدت مصافحات المؤلف لأبي داود مبثوثه في مواضع متعددة من النسخة.

٢٨- جزء في تصحيح حديث: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ»، ذكره الحافظ العراقي في "التقييد والإيضاح" ص٢٤، وبرهان الدين البقاعي في "النكت الوفية" ١/١٧٣، والسَّخَاوي في "المقاصد الحسنة" ص٣٥٩.

---

(١١) معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم ٣/١٨٧٣، رقم (٥٠٢٠). والفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي، قسم الحديث، رقم (١٩٠).

(١٢) في الفهرس الشامل للتراث، من (١١٤-١٩٩) ورقة.

٢٩- جزء في المساجد، اقتبس منه الشوكاني في "نيل الأوطار" ١٧٢/٢، وقال: وَعَنْ مُعَاذٍ عِنْدَ الْحَافِظِ الدِّمْيَاطِيِّ فِي **"جُزْءِ الْمَسَاجِدِ"** لَهُ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى عِنْدَهُ أَيْضًا.. وَعَنْ أَبِي مُوسَى عِنْدَ الدِّمْيَاطِيِّ فِي جُزْئِهِ الْمَذْكُورِ، وذكره المباركفوري في "تحفة الأحوذي" ٢٢٢/٢، قال في باب ما جاء في فضل بنيان المسجد: " وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ فَأَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى فَأَخْرَجَهُ الْحَافِظُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَلَفٍ الدِّمْيَاطِيُّ فِي **جُزْءٍ جَمَعَهُ**".

٣٠- جواب سؤال تقي الدين محمد بن أحمد بن عبد الله اليونيني، أورده تاج الدين السبكي في "طبقات الشافعية الكبرى" ١٠/١٠٤- ١٢٢، وهو جواب عما ورد أن هلالاً ومرارة شهدا بدراً في حديث توبة كعب، وبيان أن ذلك من أوهام الزهري، الذي تابعه عليه ابن الجوزي في كتابه "نفي النقل"، ثم درج إلى كشف أوهام وقعت لابن عبد البر في "الاستيعاب"، وتنبيهات على أوهام للبخاري في "الجامع الصحيح"[١٣].

٣١- جواب على سؤال عن أم حرام[١٤]، (وهو في جزء مفرد، ردّ فيها الدمياطي على من ادّعى محرمية أم حَرَام وأنها إحدى خالات النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة)، ذكره الحافظ أبي زُرعة العراقي في "طرح التثريب" ٣٥/٢، وقال: "رَدَّهُ الْحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَلَفٍ الدِّمْيَاطِيُّ فِي جُزْءٍ لَهُ فِي ذَلِكَ". وابن الملقن في "خصائص النبي صلى الله عليه وسلم" ص ١٣٧، وقال: "وقد بين ذلك الحافظ شرفُ الدين الدِّمْيَاطِيّ في جزء مفرد، وَقَالَ: وهذا خاص بأُمّ حَرَام وأختها أُمّ سُلَيْم، وقد ذكرتُ ذلكَ عنه في كتابي المسمى "العُدّة في معرفة رجالِ العمدة". كما اقتبس منه ابن حجر في "الفتح" ٧٨/١١، والزرقاني في "شرح الموطأ" ٥٥/٣.

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، مجموعه حكمت، رقم (٢٩٣/٤) ضمن مجموع[١٥].

٣٢- جواب سؤال المزي فيمن روى عن أبيه، عن جده، أروده السَّخَاوي في معرض حديثه عمن صنف في رواية الأبناء عن الآباء عن الأجداد، فقال: والدمياطي سؤالات من هذا الباب سأل عنها تلميذه المزي، وأرسل به -الدمياطي- إليه من مصر إلى الشّام، فجمع المزي في ذلك "جزءاً" رأيته "الجواهر والدرر" ٦٨٠/٢، وقال أيضاً في "فتح المغيث" ١٩٣/٤: وَقَدْ صَنَّفَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ جُزْءًا فِيمَنْ رَوَى عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، وَهُوَ فِيمَا أَعْلَمُ أَوَّلُ مُصَنَّفٍ فِيهِ، وَكَذَا الْمِزِّيُّ، وَأَرْسَلَ بِهِ إِلَى الدِّمْيَاطِيِّ شَيْخِهِ؛ لِكَوْنِهِ كَانَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مِنْ مِصْرَ يَسْأَلُهُ عَنْ جُمَلٍ مِنْ ذَلِكَ.

---

(١٣) ينظر: "الإشارات إلى أسماء الرسائل المودعة في بطون المجلدات والمجلات" للشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، رقم (٣١٥).

(١٤) وهي الصحابية الجليلة أُمُّ حَرَام بِنْتُ مِلْحَانَ بن خَالِد الأَنْصَارِيَّةُ، زوج عبادة بن الصامت، وأخت أم سليم، وخالة أنس ابن مالك. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمها ويزورها في بيتها، ويقيل عندها ودعا لها بالشهادة، فخرجت مع زوجها عبادة غازية في البحر، فلما وصلوا إلى جزيرة قبرص خرجت من البحر فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت ودفنت في موضعها. ينظر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١٢٦/٢، وسير أعلام النبلاء ٣١٦/٢.

(١٥) ينظر فهرس مخطوطات مركز الملك فيصل، رقم (١٢٤٢٧٦).

٣٣- جمع طُرُق حديث "لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ[١٦]"، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص٤٧، وابن حجر في "المجمع المؤسس" رقم (١١٦٧) والسَّخَاوي في "المقاصد الحسنة" ص٦٧٠، والعجلوني في "كشف الخفاء" ٢/٢٧٨.

٣٤- حاشية على صحيح الإمام البخاري، ذكره ابن حجر ونقل منه في مواضع كثيرة من كتابه "فتح الباري" ١/١٣٩، ٤/٣٢٨، وغيرها، وذكره ابن تغري بردي في "المنهل الصافي" ٧/٣٧١.

٣٥- حاشية على صحيح الإمام مسلم، ذكره ابن تغري بردي في "المنهل الصافي" ٧/٣٧١، والسَّخَاوي في "فتح المغيث" ٣/١٠٨، ٤/٣٠٠.

٣٦- خلفاء بني العباس، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص٤٧.

٣٧- ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده وأسلافه، ذكر التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص٤٧، والكتاني في "الفهرس" ١/٤٠٧.

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في دار الكتب الوطنية بتونس، رقم (١٢٧٥٣) بعنوان: "زوجات النبي صلى الله عليه وسلم".
- وعنها صورة محفوظة في معهد المخطوطات العربية بالكويت، رقم (٢/٣٧٣).

ب- طبعات الكتاب:

- طبع بعنوان: "نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاده ومن سالفه من قريش وحلفائهم"، بتحقيق: **د. فهمي سعد**، في عالم الكتب بالرياض، سنة١٤٠٩هـ، ط١، وطبع ط٢، سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، في ١٧١ص.

٣٨- الذكر والتسبيح أعقاب الصلوات، ذكره التُّجِيْبِيّ في "الرحلة" ص٤٧، وابن كثير في "البداية والنهاية" ١٤/٤٢، والوادي آشي في "برنامجه" ص١٤٩، وابن القاضي في "درة الحجال" ٣/١٦٥، كلهم بعنوان: "الذكر والتسبيح أعقاب الصلوات".

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في مكتبة شهيد علي، رقم (١٣٤٥/١٣) من الورقة (٤٧-٥٧)[١٧].

ب- طبعات الكتاب:

* طبع بتحقيقه ودراسة: **محمود نهاد البُورْساوي**؛ إشراف: د. نور الدين بن شكري البُرْدوري، في دار جوامع الكلم بالقاهرة، سنة٢٠٠٨م، بعنوان: "فضل قراءة آية الكرسي والذكر والدعاء أدبار الصلوات".

٣٩- رسالة في فضل الصحابة

---

(١٦) أخرجه أبو داود في "السنن" حديث رقم (٤٨١٣) والترمذي في "الجامع" حديث رقم (١٩٥٤)، بتقديم وتأخير، وقال: "هذا حديث حسنٌ صحيح"، وقد صححه المنذري، وأحمد شاكر، والألباني وغيرهم.

(١٧) معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم ٣/١٨٧٣، رقم (٥٠٢٠).

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في مكتبة آصفية بحيدر آباد، رقم ٣٢٨/٣ (١٩٨)[١٨].

٤٠- طرق حديث "لا نِكَاحَ إِلاَّ بِوَلِيٍّ"، ذكره ابن حجر في "تلخيص الحبير" ١٥٦/٣، وقال: "وقد جمع طرقه الدمياطي من المتأخرين". والمناوي في "فيض القدير" ٥٦٦/٦، وقال: "وقد أفرد الدمياطي طرقه بتأليف، وقال: هو متواتر".

٤١- العقد المُثَمَّن فيمن تسمى بعد المؤمن، ذكره التُّجِيْبِيّ في "برنامجه" ص٢٦٤، وقال: **"تناولت جميعه من يده بقاهرة مصر"** وفي "مستفاد الرحلة" ص٤٨، والذهبي في "معجم المحدثين" ٤٩/١، و"تاريخ الإسلام" ٩١٨/١٥، والوادي آشي في "برنامجه" ص١٤٩، وابن شاكر في "فوات الوفيات" ٤١١/٢، وعبد القادر القرشي في "الجواهر المضية" ٣٣١/١، بعنوان: "العقد الثمين" وقد نقل منه، قال: "نقلته من خطه فى كِتَابه الْمُسَمّى بِالْعقدِ الثمين فى من يُسمى بِعَبْد الْمُؤمن" وابن حجر في "الدرر الكامنة" ٤١٧/٢، وابن القاضي "درة الحجال" ١٦٥/٣، والكتاني في "الفهرس" ٤٠٧/١، والبغدادي في "هدية العارفين" ٦٣١/٥، والزركلي في "الأعلام" ١٧٠/٤.

٤٢- عوالي الدمياطي "جزء فيه أحاديث أربعة وحكايات وإنشاد من عوالي الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي" جمعها تلميذه: القاسم بن محمد بن يوسف، أبي محمد، علم الدين، البرزالي (ت٧٣٩هـ).

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة أخرى محفوظة في المكتبة الظاهرية، رقم (١٢/٣٧) من الورقة (١٤١-١٥٥) كتبت سنة ٧٣٠هـ، وفي أول النسخة جدول بأسماء الشيوخ وعددهم (١٥٥) شيخاً، وعلى النسخة سماعات منها سماع سنة ٧٤٢هـ بدمشق.
- نسخة محفوظة في دار الكتب بالقاهرة، رقم (١٢٦٠) ضمن مجموع[١٩].

٤٣- فضل الخيل، ذكره التُّجِيْبِيّ في "برنامجه" ص ١٥٢، و"مستفاد الرحلة" ص ٤٧-٤٨، وابن شاكر في "فوات الوفيات" ٤١١/٢، وابن حجر في "الدرر الكامنة" ٤١٧/٢، وابن القاضي "درة الحجال" ١٦٥/٣، والبغدادي في "هدية العارفين" ٦٣١/٥، والزركلي في "الأعلام" ١٧٠/٤.

بلغت نسخ الكتاب الخطية عندي أكثر من عشرة نسخ، وهذا سرد بأهمها:

- نسخة محفوظة في متحف طوبقبوسراي، رقم (٢٩٣٩-A-٦٥١) في (١١٢) ورقة، كتبت سنة٦٧٤هـ.
- نسخة أخرى محفوظة بمكتبة عارف حكمت، رقم (٥٢/حديث) في (١٩٥) ورقة، كتبت سنة٦٨٨هـ.
- نسخة أخرى محفوظة بالمكتبة العثمانية بحلب، (م.م.د ١٢) (١٩٣٢) (٤٧٧) كتبت قبل سنة٦٨٩هـ.
- نسخة أخرى محفوظة بجامعة الإمام محمد بن سعود، رقم (٥٩٩٨) في (٢٩٤) ورقة، كتبت سنة٦٨٩هـ.
- نسخة أخرى محفوظة بمكتبة حكمت (كحالة) رقم (٥٢/حديث) في (٣٨٦) صفحة، كتبت سنة٨١٥هـ.

---

(١٨) ينظر: بروك م، ٧٩/٢. والفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي، قسم الحديث، ١٤١٧/٣، رقم (٤٨٠).

(١٩) ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي، قسم الحديث، ٦٢٤/٢، رقم (١٥٨).

● نسخة أخرى محفوظة بالمكتبة الوطنية/باريس (دي سلان) رقم (٢٨١٦) في (٩٣) ورقة، كتبت سنة ٨٥٠هـ.

● نسخة أخرى محفوظة بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق، رقم (١٥٤٧٥) أوقاف حلب عثمانية (٨٠١) في (١٥٦) وعليها مقابلة وسماع على نسخة المؤلف، وهي مشكولة، وعنها صورة محفوظة بمكتبة جامعة الكويت، رقم (٣١٩).

ب- طبعات الكتاب:

● طبع بتحقيق: **العلامة محمد راغب الطبّاخ** -رحمه الله تعالى-، في المطبعة العلمية بحلب، سنة ١٣٤٩هـ ١٩٣٠م، في ١٩٣ص، ط١، ويليه: "رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد" لمحمد البخشي الحلبي (ت١٠٩٨هـ).

● كما طبع بتحقيق: **د. نظام اليعقوبي**، في دار النوادر بالكويت، سنة ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، في ٤٢٨ص، ط١، وقد حققها على نسخة خطية نفيسة، لم يعتمد عليها العلامة الطبّاخ.

❖ ترجمة للكتاب

٤٣/١- ترجمة فضائل الخيل لعبد المؤمن الدمياطي – في الجهاد[٢٠] **(باللغة التركية)**

ترجمه: حسين مرتضى بن سيد علي البغدادي، ثم الإستانبولي، العثماني، الحنفي، المؤرخ، الأديب، المعروف بنظمي زاده (ت ١١٣٦هـ)

أ- النسخ الخطية للكتاب:

● نسخة محفوظة في مكتبة مصطفى فاضل فنون ١٢، في (٩٣) ورقة.

● نسخة أخرى محفوظة في مكتبة أسعد أفندي، رقم (١٨٢٤).

● نسخة أخرى محفوظة في المكتبة الخديوية، رقم (٩٠٧٧) في (٩٣) ورقة.

❖ مختصرات الكتاب

٤٣/١- قطر السيل في أمر الخيل[٢١]

تأليف: سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني (ت ٨٠٥هـ)

* طبع بتحقيق: **أ.د. حاتم صالح ضامن**، في دار نينوى، سنة٢٠٠٥م، سلسلة كتب الخيل، في ٢٥٦ص، ط١.

٤٣/٢- جزء في تلخيص كتاب "فضل الخيل" للدمياطي، تأليف: الحافظ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ)، ذكره ابن حجر في "تلخيص الحبير" ٢٢٨/٣، وقال: "وَلَهُ طُرُقٌ أُخْرَى جَمَعَهَا الدِّمْيَاطِيُّ فِي كِتَابِ الْخَيْلِ، **وَقَدْ لَخَّصْته وَزِدْت عَلَيْهِ فِي جُزْءٍ لَطِيفٍ**".

---

(٢٠) ينظر معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم ١٨٧٣/٣، رقم (٥٠٢٠).

(٢١) قال حاجي خليفة: اختصره من تأليف الشرف الدمياطي وأضاف إليه أشياء. كشف الظنون ١٣٥١/٢، وقال محققه الأستاذ الدكتور حاتم "لخصه المؤلف من مصنف الشيخ "شرف الدين الدمياطي"، وأضاف إليه أشياء". ينظر مقدمة التحقيق.

٤٤- فضل صوم ستة أيام من شوال والجواب عمن تكلم في سعد بن سعيد بن منصور (شقيق يحيى بن سعيد الأنصاري)، ذكره الدمياطي في "قبائل الخزرج" ص٣٦٦، رقم (١٤٠) بعنوان: "فضل ستة الأيام من شوال" وذكره التُّجِيْبِيّ في "برنامجه" ص١٥٣، بعنوان: "فضل صوم ستة أيام من شوال بعد العيد، والجواب عمن تكلم في سعد بن سعيد" وقال: "قرأت جميعه عليه بقاهرة مصر، ووهبني منه نسخة حافلة جميعها بخط يده" وفي "مستفاد الرحلة" ص٤٧، وابن كثير في "البداية والنهاية" ٤٢/١١٤، والوادي آشي في "برنامجه" ص١٤٩، وابن حجر في "التلخيص الحبير" ٢١٤/٢، في معرض كلامه عن حديث "من صام رمضان وأتبعه بستٍّ من شوال" قال "وجمع الدمياطي طرقه" ولعله كتاب مستقل، وابن القاضي "درة الحجال" ١٦٥/٣، والصنعاني في "سبل السلام" ٨٩٧/٢، وقال: "قَالَ ابْنُ السُّبْكِيّ: وَقَدْ اعْتَنَى شَيْخُنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الدِّمْيَاطِيُّ بِجَمْعِ طُرُقِهِ فَأَسْنَدَهُ عَنْ بِضْعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً رَوَوْهُ عَنْ سَعْدِ بْنِ سَعِيدٍ وَأَكْثَرُهُمْ حُفَّاظٌ ثِقَاتٌ".

٤٥- قبائل الأوس، ذكره ابن سيد الناس في "عيون الأثر" ٤٤٢/١، ٤٨/٢، بعنوان: "نسب الأوس"، وابن حجر في "الدرر" ٤١٧/٢، وابن تغري بردي في "المنهل الصافي" ٣٧٢/٧.

٤٦- كشف المغطى في تبين الصلاة الوسطى، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص ٤٧، وفي "برنامجه" ص ١٥٣، وابن شاكر في "فوات الوفيات" ٤١١/٢، وابن كثير في "البداية والنهاية" ٤٠/١٤، وابن حجر في "الدرر الكامنة" ٤١٧/٢.

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في جاريت، رقم [(١١٠٩/حديث) (١٩٥٢)] في (٢٣) ورقة، كتبت سنة٦٩٤هـ[٢٢].
- نسخة أخرى محفوظة في دار الكتب المصرية، رقم (٥٩٣) في (١٠١) ورقة، كتبت سنة ٨٧٧هـ.

ب- طبعات الكتاب:

- طبع بتحقيق: **مجدي فتحي السيد**، في دار الصحابة للتراث بطنطا، سنة ١٤١٠هـ ١٩٨٩م، في ١٩٢ص، ط١.

٤٧- المائة التساعية في الموافقات والأبدال العالية

ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص ٤٦، وفي "برنامجه" ص ١٥٣، وقال: "قرأت جميعه عليه في مجلسين" والوادي آشي في "برنامجه" ١٤٩، بعنوان: "المائة التساعية الأبدال" وابن القاضي في "درة الحجال" ١٦٥/٣، بعنوان: "المائة التساعية الأبدال" والكتاني في "الفهرس" ٤٠٧/١.

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، مجموعة عارف حكمت، رقم (١٢/٣١١) ضمن مجموع. وهي بعنوان: "مائة حديث تساعية في الموافقات والأبدال العلية"[٢٣].

---

(٢٢) ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي، قسم الحديث، ١٢٩٧/٢، رقم (١٥٦).

(٢٣) ينظر فهرس مخطوطات مركز الملك فيصل، رقم (١٢٤٥٦٧).

٤٨- المتجر الرّابح في ثواب العمل[٢٤] الصالح، ذكره السَّخَاوي في "الضوء اللامع" ٣/١٠٥، والبغدادي في "إيضاح المكنون" ٤/٤٢٥، و"هدية العارفين" ٥/٦٣١، والزركلي في "الأعلام" ٤/١٦٩.

أ- النسخ الخطية للكتاب:

نسخة محفوظة في رئيس الكتّاب، رقم (٤٩١) في (١٧٠) ورقة.

نسخة أخرى محفوظة في مكتبة أحمد باشا، رقم (١١٤٩) في (١٦٤) ورقة.

نسخة محفوظة في تركيا، في (١٥١) ورقة، بخط نسخي معتاد.

نسخة أخرى محفوظة في دار الكتب المصرية، رقم (١/١٤٣) في (٣١٢) ورقة.

نسخة أخرى محفوظة في المكتبة الخديوية بالقاهرة، رقم (٣٩٦)

ب- طبعات الكتاب:

طبع بتحقيق: د. **عبدالملك بن عبدالله بن دهيش**، سنة١٤٠٣هـ١٩٨٣م، في ٧٤٢ص، ط١، وأعيد طبعه عشر طبعات، آخرها، سنة١٤٢٠هـ٢٠٠٠م، في ١١٣٣ص، ط١١، طبعة منقحة وتمتاز بزيادات مفيدة.

- وفي مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة، سنة١٩٨٧م، في ٦٤٠ص، من دون محقق، وفي مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، سنة١٤١٠هـ١٩٩٠م، في ٥٧٤، فهرسة: **محمد حسام بيضون**، وطبع ط٦، في المؤسسة المذكورة، سنة١٩٩٨م، في ٥٧٤ص.
- وطبع بتحقيق: **علي محمد معوض؛ عادل أحمد عبد الموجود**، في دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ٢٠٠٠م، في ٧٤٤ص، وبتحقيق: **خيري سعيد**، في المكتبة التوفيقية بالقاهرة، سنة١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، في ٥٢٩ص، ط١.
- وبمراجعة: **كمال مرعي**، في المكتبة العصرية ببيروت، سنة٢٠٠٢م، في ٥٧٤ص.

❖ **دراسات على الكتاب:**

٤٨/١- صحيح المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، جرده وحققه: **زكريا بن غلام قادر الباكستاني**، في دار الخراز بجدة؛ دار ابن حزم ببيروت، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، في ٥٣٤ص، ط١.

٤٨/٢- ضعيف المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، جرده وحققه: **زكريا بن غلام قادر الباكستاني**، في دار الخراز بجدة؛ دار ابن حزم ببيروت، سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، في ٤١٥ص، ط١.

٤٩- المجالس البغدادية، التي أملاها ببغداد، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص٤٧، والوادي آشي في "برنامجه" ص ١٤٩، وابن حجر في "التلخيص" ٣/٢٨، وابن تغري بردي في "المنهل الصافي"، بعنوان: "المحاسن البغدادية" وهو تصحيف، وابن القاضي في "درة الحجال" ٣/١٦٥، والكتاني في "الفهرس" ١/٤٠٧.

---

(٢٤) تصحفت عند الدكتور البيتي بـ"العلم" بدلاً من "العمل" ص ١٢٤، رقم (٣٨)

٥٠- المجالس الشمسية، التي أملاها بدمشق، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص٤٧، والوادي آشي في "برنامجه" ص١٤٩، بعنوان: "المجالس الشمسية" وابن القاضي في "درة الحجال" ١٦٥/٣، والكتاني في "الفهرس" ٤٠٧/١، بعنوان: "المجالس الدمشقية".

٥١- المجالس القطبية، التي أملاها بديار مصر، ذكره التُّجِيْبِيّ في "مستفاد الرحلة" ص٤٧، والوادي آشي في "برنامجه" ص١٤٩، وابن القاضي في "درة الحجال" ١٦٥/٣.

٥٢- معجم شيوخه، وهو الكتاب الذي أقوم بدراسته وتحقيق جزء منه، ينظر تفصيل النسخة الخطية وما يتعلق بها في الفصل الثاني من الباب الثاني.

٥٣- معجم شيوخ ابن سني الدولة (ت ٦٥٨هـ)، ذكره الدمياطي في "معجمه" ١١/ق٩ب، وقال: "وقد خرّجت له معجماً شاملاً.. وقرأته عليه بدمشق.."، والحسيني في "صلة التكملة" ٤٣٨/١، والذهبي في "تاريخ الإسلام" ٣٣٤/٤٨، وابن كثير في "طبقات الشافعيين" ٨٦٧/١.

٥٤- معجم من أجاز للحافظ الدمياطي، قال الدمياطي في مقدمة معجم شيوخه: "وإن يسر الله تعالى ومدَّ في العمر شفعته بمعجم الشيوخ الذين أجازوا لي من جميع البلاد" معجم شيوخ الدمياطي ١/ق ١أ، وقال ابن تغري بردي: "صنف المعجم بالسماع، ومعجم بالإجازة".

٥٥- منتقى من مشيخة المعظم تُوْرَانْشَاه بن أيوب(٢٥)، ذكره الدمياطي في "معجمه" ١٤/ق ٧ب، وقال: أجاز له عبد الله بن برى، وهبه الله البوصيري، ومحمد بن حمد الأرتاحي في مصر، والفضل بن الحسين أبو المجد البانياسي، وعبد الرحمن بن علي الخرقي، وبركات بن إبراهيم الخشوعي، والقاسم بن علي بن عساكر، والحسن بن عبد الله في دمشق، وغيرهم. وقد أخرجت له عنهم أحاديث في جزء، ثم قال الدمياطي: وما سمعنا منه إلا في حال إستقامته عفا الله عنا وعنه. وذكره الحسيني في "صلة التكملة" رقم (٧٨١) واليونيني في "مرآة الزمان" ٧٨١/٨، والذهبي في "سير أعلام النبلاء" ٣٥٨/٢٣، وابن حجر في "المجمع المؤسس" رقم (٥٨٦) بعنوان: **"منتقى من مشيخة المعظم تورانشاه بن أيوب تخريج الدمياطي"،** والكتاني في الفهرس ٦٣٧/٢، منسوباً إلى الملك المعظم عيسى حفيد السلطان صلاح الدين أيوب، والصواب أنها للمعظم تورانشاه بن أيوب.

٥٦- المختصر في سيرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم، ذكره العلماء بعنوانين: "السيرة النبوية" و"مختصر السيرة النبوية".

أما من ذكره بعنوان: "السيرة النبوية"، فهم: الذهبي في "معجم شيوخه" ٤٢٤/١، "وتاريخ الإسلام" ٤٨٥/١، والصفدي في "الوافي بالوفيات" ١٦٠/١٩، وابن حجر في "المجمع المؤسس" رقم (٣١٠) وفي "فتح الباري" ٤٢٢/١، و"الإصابة" ٤٠٤/٢، و"الدرر الكامنة" ٢٢٢/٣، وابن تغري بردي في "المنهل الصافي" ٣٧٢/٧.

---

(٢٥) هو غِيَاثُ الدِّيْنِ تُوْرَانْشَاه ابْنُ السُّلْطَانِ المِلِكِ الصَّالِحِ أَيُّوْبَ ابْنِ الكَامِلِ ابْنِ العَادِلِ، المعروف بصلاح الدين الأيوبي (ت ٦٥٨هـ) ينظر سير أعلام النبلاء ١٩٣/٢٣.

وأما من ذكره بعنوان: "مختصر السيرة النبوية" فهم: النويري في "نهاية الأرب" ١٩٥/١٦، والذهبي في "تاريخ الإسلام" ٥٨٧/٢، و"السير" ١٥٧/٢، وابن شاكر في "فوات الوفيات" ٤١١/٢، والزركلي في الأعلام ١٧٠/٤، بعنوان: "**المختصر في سيرة سيد البشر**".

قلت: وقد عدّ الدكتور عبد العزيز البيتي كل عنوان كتاباً منفصلاً، إلا أنني أرى أنه كتاب واحدٌ تعدّدت عناوينه عند أهل التراجم والفهارس إختصاراً، وذلك لأن كل من أثبت له العنوان الأول لم يذكر العنوان الآخر، والله أعلم.

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في تشستربيتي/دبلن ١٩٨/١ — ١٩٩، رقم (٣٣٣٢) في (١٢٨) ورقة، كتبها طاهر بن الحسن بن عمر سنة٧٥٩هـ.
- وعنها صورة محفوظة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رقم (٣/٨٦٥٢) ورقم (٤/٨٦٥٢)
- نسخة أخرى محفوظة في مكتبة جامعة استانبول (النوادر) ٢/ ١٥، رقم (٤٥٨٣) في (١٥٦) ورقة، كتبت سنة٨٠٤هـ.
- نسخة أخرى محفوظة في مكتبة خدابخش/بانكيبور ٦٢/١٥ -٦٥، رقم (١٩٩٧) (٣٣٧١) في (٧٣) ورقة، كتبها أحمد بن علي الألواحي سنة٨٨٧هـ.
- وعنها صورة محفوظة في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة، رقم (١٤٣).
- صورة أخرى محفوظة في معهد المخطوطات بالقاهرة، رقم (١٢١٦).
- نسخة أخرى محفوظة في الأحقاف/حضرموت، رقم (١٥٥ ابن سهل) في (١٤٠) ورقة، كتبت سنة١٠٠٨هـ، بخط نسخي.
- وعنها صورة محفوظة في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة، رقم (١٤٢).
- صورة أخرى محفوظة في معهد مخطوطات العربية، رقم (١٥٧٨).
- نسخة أخرى محفوظة في الخزانة العامة بالرباط، رقم (١٢٧٠/ي).
- وعنها صورة محفوظة في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة، رقم (٩).

ب- طبعات الكتاب:

طبع بعنوان: المختصر في سيرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم، في الكويت، بتحقيق: د. سامي سعيد، سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م[٢٦].

وطبع بتحقيق ودراسة: **محمد الأمين بن محمد محمود أحمد الجكني**، بعنوان: المختصر في سيرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم، على نفقة حبيب محمود أحمد، سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، في مجلدين، ط١.

---

(٢٦) نشرة أخبار التراث العربي ٣/٢٧، ٥/٣٠.

❖ **دراسات على الكتاب**

١/٥٥- الحافظ عبد المؤمن الدمياطي (ت٧٠٥هـ) عصره وحياته العلمية وشيوخه ومنهجه في كتابه (المختصر في سيرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم)، تأليف: الأمين محمد الجكني.

- نشرت في مجلة وقائع تاريخية بالقاهرة، سنة٢٠٠٥م، المجلد ٢، العدد: ٣، من الصفحة (٩٩-١٤٠).

٥٧- معراج النبي صلى الله عليه وسلم[٢٧]

أ- النسخ الخطية للكتاب:

- نسخة محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس (فاجدا) ٢/٣/٤٨-٥٠، رقم (١١٧٦/٥) (١٢٨ب) كتبت في القرن ٨هـ, بخط مشرقي.

وبعد هذا العرض -الغير المستقصي- لمؤلفات الحافظ الدمياطي نجده صاحب مؤلفات غزيرة قيّمة تدلل على سعة علمه وعلو مكانته، في فنونٍ شتى وعلومٍ متعددة.

قال الذهبي: وَلَهُ تَصَانِيفُ مُتْقَنَةٌ فِي الْحَدِيثِ وَالْعَوَالِي وَاللُّغَةِ وَالْفِقْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ [٢٨].

وقال الصفدي: له تصانيف غير ذَلِك وَهِي مهذبة منقحة تشهد لَهُ بِالْحِفْظِ والفهم وسعة الْعلم[٢٩].

المؤلفات المنسوبة خطأً للحافظ الدمياطي

١- السَّرَّاجيّات الخمسة، ذكره الدكتور عبد العزيز البيتي في "قبائل الخزرج" وأشار إلى أن الذهبي ذكرها في كتابه تذكرة الحفاظ، قلت: والسَّرَّاجيّات الخمسة هي فوائد الحافظ جعفر بن أحمد السرّاج (ت٥٠٠هـ) خرّجها: الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) في خمسة أجزاء فعُرفت بالسَّرَّاجيّات الخمسة[٣٠].

وأما ما ذكره الحافظ الذهبي في "تذكرة الحفاظ" في ما سمعه من شيخه الحافظ الدمياطي من كتب، فالظاهر من سياق الذهبي أنه لم يذكر أن السَّرَّاجيّات من تأليف الدمياطي على خلاف ما ذكر بعدها من الكتب، فقال: سمعت منه عدّة أجزاء منها "السَّرَّاجيّات الخمسة" و"كتاب الخيل" **له** وكتاب "الصلاة الوسطى" **له**، والسَّرَّاجيّات من ضمن مسموعات الحافظ الدمياطي، ينظر معجمه: ٤١/ق ٢أ.

٢- مكفرات الذنوب وما يوجب الجنة ويضاعف الثواب، جاء منسوباً وهماً إلى الحافظ الدمياطي (ت٧٠٥هـ) في "المعجم الشامل للتراث العربي" للدكتور محمد عيسى صالحية ١٧٤/٢، وفي "دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة القديمة والحديثة"، رقم (١٦٦١)، والصواب أنه من تأليف: ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي الشيباني (ت٩٤٤هـ)، بنفس التحقيق والطبع.

(٢٧) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي، قسم السيرة، رقم (٢٩٧٢).

(٢٨) ينظر: معجم الشيوخ الكبير ٤٢٤/١.

(٢٩) ينظر: الوافي بالوفيات ١٦٠/١٩.

(٣٠) ينظر: ابن رجب في "ذيل طبقات الحنابلة" ٢٣٤/١، وابن حجر في المجمع المؤسس، رقم (٣٣٦) وفي "فتح الباري" ٤٤٧/٨.

المصادر والمراجع

١. أخبار قبائل الخزرج، تحقيق: د. عبد العزيز بن عمر البيتي، أطروحة دكتوراه، بإشراف: أ.د. أكرم ضياء العمري؛ أ.د. عمر بن حسن فلاّته، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر: (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل ببيروت، ١٤١٢هـ، ط١.

٣. الإشارات إلى أسماء الرسائل المودعة في بطون المجلدات والمجلات، مشهور بن حسن آل سلمان، دار الصميعي، ١٤١٤هـ، ط١.

٤. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، البغدادي (ت١٣٣٩هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٥. الأعلام، للزركلي (ت١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ط١٥.

٦. البداية والنهاية، لابن كثير (ت٧٧٤هـ) تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.

٧. برنامج التجيبي، القاسم بن يوسف السبتي (ت٧٣٠هـ)، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ١٩٨١م.

٨. برنامج الوادي آشي، محمد بن جابر الوادي آشي الأصل، التونسي (ت٧٤٩هـ) تحقيق: محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي ببيروت، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٩. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري: (ت١٣٥٣هـ) دار الكتب العلمية ببيروت.

١٠. تذكرة الحفاظ، الذهبي (ت٧٤٨هـ) دار إحياء التراث العربي، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الدكن– الهند.

١١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، للذهبي (ت٧٤٨هـ) تحقيق: د. عمر عبد السلام، الكتاب العربي ببيروت، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، ط٢.

١٢. تاريخ الخلفاء، السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.

١٣. التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، العراقي: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين (ت٨٠٦هـ). تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر ببيروت، ١٣٨٩هـ ١٩٧٠م، ط١.

١٤. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني: (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، ط: مؤسسة قرطبة بمصر، ١٤١٦هـ١٩٩٥م، ط١، في ٤ أجزاء.

١٥. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي (ت ٧٧٥هـ). نشره: مير محمد كتب خانه بكراتشي، في مجلدين.

١٦. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، السخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ). ط: دار ابن حزم ببيروت، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، في ٣ مجلدات، ط١.

١٧. درة الحجال في أسماء الرجال، ابن القاضي: أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥هـ). تحقيق: محمد الأحمدي، ط: دار التراث بالقاهرة.

١٨. دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة القديمة والحديثة، تأليف: محي الدين عطية – صلاح الدين حفني – محمد خير رمضان يوسف، ط: دار ابن حزم ببيروت، سنة ١٤٢٦هـ ١٩٩٥م، في مجلدين.

١٩. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ). تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد بالهند، سنة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م، في ٦ أجزاء.

٢٠. ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥هـ). تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط: مكتبة العبيكان بالرياض، سنة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م، في ٥ أجزاء، ط١.

٢١. رحلة العبدري، محمد بن محمد العبدري، تحقيق: محمد الفاسي، الرباط ١٩٦٨م.

٢٢. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، الكتاني: محمد بن جعفر (ت ١٣٤٥هـ). تحقيق: محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني، ط: دار البشائر الإسلامية ببيروت، سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، في جزء، ط٤.

٢٣. سير أعلام النبلاء، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط: مؤسسة الرسالة ببيروت، سنة ١٤١٣هـ، في ٢٣ مجلد،ط٩.

٢٤. سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، الصنعاني: محمد بن إسماعيل. تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي، ط: دار إحياء التراث العربي ببيروت، سنة ١٣٧٩هـ، ط ٤.

٢٥. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني، ط: دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤١١هـ، ط١.

٢٦. صحيح البخاري: الجامع الصحيح المختصر، البخاري (ت٢٥٦هـ) تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط: دار ابن كثير ببيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ط٣.

٢٧. صحيح مسلم، (ت٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (ت١٣٨٨هـ) دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٢٨. صلة التكملة لوفيات النقلة، الحسيني: عز الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٦٩٥هـ) تحقيق: أ.د. بشار عوّاد، ط: دار الغرب، سنة ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، في مجلدين، ط١.

٢٩. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي (ت٩٠٢هـ) منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت.

٣٠. طبقات الحفاظ، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤٠٣هـ، ط١.

٣١. طبقات الشافعية الكبرى، السبكي: (ت٧٧١هـ) تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، مكتبة هجر، سنة ١٤١٣هـ.

٣٢. طبقات الشافعيين، ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ) تحقيق: د. أحمد عمر هاشم؛ د. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية بمصر، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

٣٣. طرح التثريب في شرح التقريب، أبو زرعة (ت٨٢٦هـ)، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية ببيروت، ٢٠٠٠م.

٣٤. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ) ط: مؤسسة عز الدين.

٣٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد عبد الباقي، خرجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة ببيروت، سنة ١٣٧٩هـ.

٣٦. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، السخاوي: (ت٩٠٢هـ) تحقيق: علي حسن علي، ط: مكتبة السنة بمصر، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٣٧. فهرس مخطوطات مركز الملك فيصل، إصدار مركز الملك فيصل.

٣٨. فهرس المكتبة الخالدية بالقدس، الشاملة.

٣٩. الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي، مؤسسة آل البيت بعمّان، ١٩٩١م.

٤٠. فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ) تحقيق: علي محمد بن يعوض الله؛ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ببيروت، ٢٠٠٠م، ط١.

٤١. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة، العجلوني: إسماعيل بن محمد الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، ط: مؤسسة الرسالة ببيروت، سنة ١٤٠٥هـ، ط٤.

٤٢. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت ١٠٦٧هـ). ط: دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٤٣. مستفاد الرحلة والاغتراب، التُّجَيْبِيّ: القاسم بن يوسف البستي (ت ٧٣٠هـ) تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب بتونس، ١٣٩٥هـ.

٤٤. مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ) تحقيق: د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف.

٤٥. معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، إعداد: علي الرضا قره بلوط، أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة/قيصري— تركيا.
٤٦. معجم الشيوخ الكبير، الذهبي: (ت٧٤٨هـ) تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق بالطائف، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ط١.
٤٧. المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ابن حجر العسقلاني: (ت٨٥٢هـ) تحقيق: د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة ببيروت، ١٤١٣هـ، ط١.
٤٨. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، السخاوي (ت٩٠٢هـ) تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي ببيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ط١.
٤٩. المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، تأليف: د. محمد عيسى صالحية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد المخطوطات بالقاهرة.
٥٠. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ابن تغري بردي: جمال الدين يوسف بن عبد الله الحنفي (ت ٨٧٤هـ). تحقيق: د. محمد محمد أمين، ط:الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٥١. نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري (ت٧٣٣هـ) تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، ط١.
٥٢. نيل الأوطار، الشوكاني: (ت١٢٥٠هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث بمصر، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
٥٣. النكت الوفية بما في شرح الألفية، البقاعي، تحقيق: د. ماهر ياسين الفحل، مكتبة الرشد بالرياض، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
٥٤. هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، البغدادي: إسماعيل باشا البابابي (ت١٣٣٩هـ) استانبول، ١٩٦٠هـ.
٥٥. الوافي بالوفيات، للصفدي: (ت٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

المصادر المخطوطة:

٥٦. أحاديث عوالي للدمياطي.
٥٧. الأربعون الأبدال التساعيات للبخاري ومسلم أو أحدهما، للدمياطي.
٥٨. فهرس مخطوطات الدكتور نجم عبد الرحمن خلف.
٥٩. رحلة العبدري، محمد بن محمد العبدري.
٦٠. معجم شيوخ الحافظ الدمياطي.

عناية الشيخ "محمد علي آدم" بتراجم أبواب النسائي من خلال شرحه للسنن

رمزي سودينج تاليه

د. فيصل أحمد شاه

أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا

ماليزيا

remz_2@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه الطيبين. وبعد.

فإنَّ هذا البحث المتواضع: يحاول أنْ يدرس في تراجم أبواب النَّسائي، ومدى عناية شارحه، وهو الشيخ محمد بن علي آدم بالتَّراجم، من خلال كتابه المسمَّى: (ذَخِيرَةُ العُقْبى) ولطول الكتاب، حيث يبلغ: ٤٠ مجلدًا، فقد حدَّدنا موضع الدِّراسة: لستَّة مجلدات فقط، اثنين من بداية الشرح، وهما: (الجزء ٥و٦). واثنين من الوسط، وهما: (٢٢و٢٣) واثنين من الأواخر، وهما: (٣٧و٣٨). وقد حرصتُ أنْ تكون المجلدات المختارة ما يقْتَضي معنى: "إضْفاء الشُّمولية للكتاب"؛ ولهذا وزَّعت الاختيار على ثلاثة اتجاهات: مجلدان يمثلان بداية الشَّرح، ومجلدان يمثلان وسط الشَّرح، ومجلدان يمثلان نهاية الكتاب والشَّرح.

وأُنبِّه إلى أنَّني استفدت من بعض المواقع الانترنت، وعند الإحالة إليها. أَذْكُرُ الموضوع وعنوان الموقع، وتاريخ الزِّيارة، وأما الرَّابط فقد جعلته في قائمة المصادر والمراجع؛ حتى لا يُشتِّت تَنْسيق الهوامش.

وفي ملخَّصِ هذا البحث: أكثر إيضاحًا للقارئ لنواحي البحث وموضوعه.

هيكل البحث

جاء هَيْكل هذا البحث المتواضع، على النحو الآتي:

أولاً: المقصود بتَرَاجِم الأبواب.

ثانياً: مَنْ بَدأَ بالعنَاية بتَرَاجِم الأبواب؟

ثالثاً: عِناية أهل الحديث بتراجم الأبواب.

رابعاً: عِناية الإمام النسائي بتراجم الأبواب.

خامساً: أنواع التَّرجمة عند الإمام النسائي.

سادساً: عناية الشيخ علي آدم بتراجم أبواب النسائي، من خلال شرحه.

– الخلاصة وأهم النَّتائج.

– المصادر والمراجع.

أولا: المقصود بتَرَاجِم الأبواب:

المقصودُ من التَّراجم: هي عنوان الباب التي يضعه مؤلف الكتاب قبل أنْ يورد الحديث، وقد اشتهر عند أهل الحديث باسم: (التَّراجم). ومن هذا قول **زَيْن الدِّين العراقي**: (لَمَّا رَأَيْت صُعُوبَةَ حِفْظِ الْأَسَانِيدِ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ لِطُولِهَا، وَكَانَ قَصْرُ أَسَانِيدِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَسِيلَةً لِتَسْهِيلِهَا، رَأَيْت أَنْ أَجْمَعَ أَحَادِيثَ عَدِيدَةً فِي تَرَاجِمَ مَحْصُورَةٍ. وَتَكُونَ تِلْكَ التَّرَاجِمُ فِيمَا عُدَّ مِنْ أَصَحِّ الْأَسَانِيدِ مَذْكُورَةً، إمَّا مُطْلَقًا عَلَى قَوْلِ مَنْ عَمَّمَهُ، أَوْ مُقَيَّدًا بِصَحَابِيٍّ تِلْكَ التَّرْجَمَةِ)[1]. والباب يكون أخصَّ من "الكتاب". ونُورِد هنا مثال على ذلك: ففي سنن النَّسائي[2]: "كتاب الإيمان

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، لزين الدين عبد الرحيم العراقي (١/ ١٧– ١٨).

(٢) إذَا أُطلق "سنن النسائي": فالمراد به: السنن الصغرى المعروف ب: (المجتبى)، وأما "السنن الكبرى": فيذكر مقرونًا بالكبرى. انظر: الحطَّة، لصدِّيق حسن خان القنوجي، ص ٣٩٦. وأيضًا: في رحاب السنة: الكتب الصِّحاح الستة، لأبي شهبة، ص ١٦٦– ١٦٧.

وشرائعه". ومن أبواب هذا الكتاب: "باب علامة المؤمن" وهو الرقم (٣٣) من أبواب: "كتاب الإيمان وشرائعه"(١).

ثانيا: مَنْ بَدأَ بالعنَاية بتَرَاجِم الأبواب؟

يُصرِّح المحدِّث الدَّهلوي (ت ١١٧٦هـ): بأنَّ أوَّلَ مَن اعْتنى بتراجم الأبواب – من أهل الحديث-: هو الإمام البخاري. فبعدَ أنْ ذَكر الدَّهلوي مُراد البخاري لكتابه: من جمع العلوم والمصنفات المنتشرة في عهده من الأحاديث والآثار، والتي كانت تمثل فنونًا أربعة، وهي: التفسير والفقه والزهد والسِّيَر. مع شرط الصِّحة للحديث، وخُلوِّه من الآثار إلا ما جاء تبعًا لا بأصله. = أضاف البخاري مع ما سَبَق – في كتابه- نوعًا من الاستنباط، يقول الدَّهلوي: (وأراد أيضًا أنْ يَفرِغ جُهده في الاستنباط من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويَستنْبط من كل حديثٍ مسائل كثيرةٍ جدًا. وهذا أمرٌ لم يسبقه إليه غيرُه. غير أنَّه استحْسَن أنْ يُفرِّق الأحاديث في الأبواب، ويُودِع في تراجم الأبواب سِرُّ الاستنباط)(٢)؛ ولهذا اشْتُهِر عند أهل العلم مَقُولة: "فِقْهُ البخاريِّ في تَرَاجِمِه"(٣).

ثالثا: عِناية أهل الحديث بتراجم الأبواب:

اهْتمَّ أهلُ الحديث بالتَّصنيف والشَّرح لتراجم الأبواب الحَديثية، وكان أغلبُ الاهتمام مُنصبًا على: بيان تراجم الأبواب لصحيح البخاري، فقد كان هناك العديد من المؤلفات لشرح تَراجمه؛ لِما لِتَراجمه من غُموض وعُمق؛ ولهذا مَال ابنُ حجر إلى تقسيم تراجم البخاري إلى قسمين: تراجم ظاهرة، وتراجم خفيَّة(٤).

ومن هذه المصنَّفات: "إبداء وجه مناسبات تراجم البخاري" لابن رشيد (ت٧٢١هـ). و "الأفاويق بتراجم البخاري والتَّعاليق" لعبد الرحمن الضمدي اليماني (ت ١٢٤٨هـ). و"الأمالي على أبواب البخاري" لمحمد بن عثمان التونسي المالكي (ت ١٣٣١هـ)(٥).

وأمَّا عن المعَاصرين: فَهُم قد حَمَلُوا نفس المِنْوال من الاهتمام بتراجم الأبواب، سواءٌ أكان تأليفًا أو تحقيقًا لكتاب مُتقدِّم. فمِمَّا طُبع حديثًا: كتاب "تراجم البخاري" المسمَّى: "مناسبات أبواب البخاري لبعضها بعضا". لأبي حَفص عمر بن رُسلان البَلقيني (ت: ٨٠٥هـ). من تحقيق: د. أحمد بن فارس السَّلوم. وطُبع بمكتبة المعارف بالرياض(٦).

---

(١) ذخيرة العقبى (٣٧/ ٣٩١).

(٢) شرح تراجم أبواب البخاري، للمحدث شاه ولي الله الدهلوي، ص ١٩. وله كتاب آخر باسم "تراجم أبواب البخاري". من موقع: ببليو إسلام نت، تحت عنوان: شاه ولي الله الدهلوي.. مؤسس السلفية الإصلاحية في الهند. والموضوع: لمصباح عبد الباقي، أستاذ بالجامعة الإسلامية بإسلام أباد. تاريخ الزيارة: ٢٠١١-٠٤-٢٧. ١١ صباحًا.

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١/ ١٣ و ٢٤٣).

(٤) من: هدي الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر، ص١١، المكتبة الشاملة. ثم شَرَع في بيان أنواع الترجمة عند البخاري. كما شرع القنوجي في بيان أنواعها عند البخاري: الحطة، ص ٣٠٢- ٣٠٣. وكذا الدهلوي في: شرح أبواب تراجم البخاري، ص١٩-٢١.

(٥) مستفيدًا من موضوع: ابن النقاش، في موقع: ملتقى أهل الحديث، تحت عنوان: تراجم البخاري، تاريخ الزيارة: ٢٠١١-٠٤-٢٧. ١١ صباحًا.

(٦) من موقع: الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها (سنن)، تحت عنوان: كتب صدر حديثًا. تاريخ الزيارة: ٢٠١١-٠٤-٢٧.

وصَنِيعُ الشيخ عبد الحقِّ الهاشِمي، حيث صنَّفَ كتابًا باسم: "لُبُّ اللِّباب في التَّراجم والأبواب" ذَكر فيه ما يتعلَّق بالتَّراجم والأبواب وأغراض البخاري، مستفيدًا مِمَّن سبقه كفتح الباري[1].

ومما يَقرُب من موضوع بحثي، كتاب: "تقريب النَّائي لتراجم أبواب النَّسائي" لأبي إسحاق الحُوَيْني المصري، المولود سنة (١٣٧٥هـ). ولكنْ لا يتسنى لنا إطِّلاعه؛ فقد ذُكر بأنَّه مَخْطوط[2].

رابعا: عِناية الإمام النَّسائي بتراجم الأبواب:

ذَكَرْنَا أنَّ مِمَّن – عُني بتراجم أبواب سنن النَّسائي- الشيخ أبو إسحاق الحُوَيْني = وقد نَقلَ لنا أَحَد طلابِه قول الشيخ الحُوَيني: (وجعلتُ طريقتي فيه ذكر ما ترجم به النَّسائي لحديث الباب، على غِرار ما صنع ابنُ المنير في كتابه: "المتَوَارِي على تراجم أبواب البخاري" وكذا ما صنعه بدر الدين ابنُ جماعة في كتابه: "مُناسَبات تراجم البخاري"؛ وهذا يُظهر لنا مَنْزلة الإمام النَّسائي في الفقه)[3]. ويَظهرُ لنا من هذا القول: عُمق النَّسائي واهتمامه بالتَّراجم، كما صنع البخاري، وإنْ كنت أجزمُ بأنَّه لا يتفوق على البخاري أحدٌ في عُمق ودقَّةِ التَّراجم.

وفي قراءة لترْجَمة النَّسائي، نجد أنَّ العلماء أشاروا لمكانته الفقْهيَّة، قال الحاكم أبو عبد الله: (أمَّا كلام أبي عبد الرحمن على "فقه الحديث": فأكثر من أنْ نَذْكر، ومَن نَظرَ في كتابه السُّنن له، تَحيَّر في حُسْن كلامه)[4].

ومن خلال قراءة التَّراجم التي يضعها النَّسائي: يَظْهر على صَنِيعِه العُمْق الفِقْهي، وحُسن التَّنبيه لبعض المسائل المتعلِّقة في بابٍ معيَّن، فمثلًا: في "كتاب المواقيت" ذَكر: "أوَّل وَقت الظهر"[5] والمتَبادر للذِّهْن أنْ يجعل بابًا لآخر وقت الظهر، ثم ينتقل للمسائل الأخرى من أوقات الصلوات، لكنَّه وقَفَ على بعض الأحاديث التي تتعلَّق بمواقيت الظهر، فأحَبَّ أنْ يضع لها أبوابًا مناسبة، فبوَّبَ بثلاثة أبوابٍ متعلقةٍ بوقت صلاة الظُّهر:

١- "باب تعجيل الظهر في السَّفر"[6].

٢- "تعجيل الظهر في البَرْد"[7].

٣- "الإِبْرَاد بالظهر إذا اشتدَّ الحر"[8].

ثم ختم بـ "آخر وقت الظهر"[1].

١١ صباحًا

(١) من موقع: دار النَّوادر، تحت عنوان: إصدارات.. وقد صَدر عن دار النوادر ٢٠١١م. تاريخ الزيارة: ٢٠١١-٠٤-٢٧. ١٠ صباحًا.

(٢) من موقع: شبكة الدفاع عن السنة، تحت عنوان: مؤلفات الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني. تاريخ الزيارة: ٢٠١١-٠٤-٢٧. ١١ صباحًا

(٣) نفس المرجع.

(٤) نقلًا من: في رِحاب السنة: الكتب الصحاح الستة، للدكتور. محمد أبي شهبة، ص ١٦٤.

(٥) سنن النسائي (١/٢٤٦). وهو في ذخيرة العقبى (٦/ ٤٧٤).

(٦) سنن النسائي (١/ ٢٤٨). وهو في ذخيرة العقبى (٦/ ٥٠٤).

(٧) سنن النسائي (١/ ٢٤٨). وهو في ذخيرة العقبى (٦/ ٥٠٩).

(٨) سنن النسائي (١/ ٢٤٨). وهو في ذخيرة العقبى (٦/ ٥١٥).

ويُنَبِّه إلى وجودِ فروقٍ بين طريقة البخاري والنَّسائي في التَّراجم، من هذه: أنَّ البخاري قد يأتي بأَثرٍ عن السَّلَف ليُقَوِّي التَّرجمة، خصوصًا إذَا كانت حُكمًا لمسألةٍ مَا. كما صنع في باب "وجوب الصلاة". فقد وَضع بعد التَّرجمة: قول الحَسَن[٢].

لكنَّ النَّسائي لم أَقف له – مِن مَوْضع الدِّراسة المحَدَّدة – على طريقةٍ تُشَابه صنيع البخاري في هذا الأَمر[٣].

وقد يَميل النَّسائي إلى التَّفصيل والتِّكرار في بعض الأبواب، لغرضٍ ما. كما فَعل حين جعل الزَّجر المتعلِّق بمانع الزَّكاة تحت ثلاثة أبواب؛ وكأَنَّ غَرضه التَّأكيد على جُرْم مانعها:

- "باب التَّغليظ في حبس الزَّكاة".
- "باب مانع الزَّكاة".
- "باب عُقوبة مانع الزَّكاة"[٤].

بَيْنما البخاري: فقد اكتفى ببابٍ واحد، سماه: "باب إثم مانع الزَّكاة"[٥].

وأُحبُّ أنْ أطرح سؤالًا هنا: أين الاسْتفهام في التَّبويب، كما يَصنع البخاري في بعض التَّراجم؟ أيْ: هل صنعَ النَّسائي تبويبًا باستفهام، كما يَصنع البخاري وابنُ ماجه وغيرهما؟

وهذا التَّبويب عَبَّر عنه د. الشِّثْري بقوله: (التَّراجم التي تُساق على جهة الاسْتفهام والسُّؤال)[٦].

والجواب: وَجدتُّ له تبويبًا بالاستفهام، قال: "باب كيف فرضت الصلاة"[٧]. وبابًا يليه مباشرةً: "باب كم فُرِضَت في اليوم والليلة؟"[٨].

خامسا: أنواع التَّرجمة عند الإمام النسائي:

من خِلال قِراءتي المتَوَاضعة للأبواب التي يضعها الإمام النَّسائي – للأجزاء المحَدَّدة للدِّراسة- وجدتُّ ما يمكنُ تقسيمه لما يلي:

١- التَّنْصيص على الحكم:

أي: يُفْهم من تبويبِه حكمُه لتلك المسألة المذكورة، كمثل: "باب الرُّخْصة في دخول الحمام"[٩]. فهنا نَصَّ

---

(١) سنن النسائي (١/ ٢٤٩). وهو في ذخيرة العقبى (٦/ ٥٥٣).

(٢) ينظر: شرح تراجم أبواب البخاري، للمحدث شاه ولي الله الدهلوي، ص ٢٠٦.

(٣) أي: الاستشهاد بالأثر على: عنوان الترجمة. وليس المقام هنا مقام المقارنة بين صنيعهما، لكنني أحببتُ التَّنبيه إلى وجود بعض الفروق. وهذا الأمر ليس على سبيل الجَزم، وإنما بحسب ما اطَّلعت عليه من المجلدات المحددة بالدراسة.

(٤) سنن النسائي (٥/ ١٠- ١٥). وفي ذخيرة العقبى (٢٢/ ٥ و١٩ و٣٢).

(٥) صحيح البخاري (٢/ ١٠٦).

(٦) أراء ابن ماجه الأصولية من خلال تراجم أبواب سننه، للدكتور. سعد الشثري، منشورة في: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٦٣، ص ٢١٢. نشر عام ١٤٢٢هـ.

(٧) ذخيرة العقبى (٦/ ١٠٧).

(٨) ذخيرة العقبى (٦/ ١٣٣). وأيضا "من الملْحِف". ذخيرة العقبى (٢٣/ ١٩٧).

(٩) ذخيرة العقبى (٥/٤٩١).

على حكم، وهو الرُّخصة والجَواز في دخول الحمام. ومنها أيضًا: "باب الأمر بالوضوء من النوم"[1]. و "باب فرض فرض القبلة"[2].

٢- التَّبويب على ظاهر الحديث، مع ترك التَّصريح بالحكم:

كمثل: "باب الاغتسال في قَصْعَة فيها أثر العَجِين"[3].

٣- ذكر المسألة دون ذكر الحكم:

ومن الأمثلة: "باب الحكم في تارك الصلاة"[4]. فهو هنا ذكر مسألة، ولم يَجْزم بحكمها. وقد يَترك للقارئ أنْ يتأمَّل الحديث الذي يضعه للباب.

٤- وقد يُبوِّب لمعنىً فقهي، وأمرٍ سَندي، أيْ: الرِّواية والدِّراية:

فبعض التَّبويب منه: يجمع بين الاثنتين. وهذا كمَا فعله في "المتوَشِّمات، وذكرُ الاختلاف على عبد الله بن مُرَّة، والشَّعبي في هذا"[5]. أيْ: هذا باب يشرح معنى الموتَشمة، والاختلاف في السند.

٥- طرح المسْألة على طريقة الاستفهام:

كمثل: "أيِّ الصَّدقة أفضل"[6].

وهناك نوع آخر يمكن أنْ نشير إليه:

٦- وهو أنَّ بعض التَّبويب قد يُفيد معنى التَّرجيح لروايةٍ دون أخرى:

ولكنَّ التَّبويب الذي بَنَيْت عليه هذا النوع؛ فيه إشكال. وتوضيح ذلك: أنَّ التَّبويب قال: "مَنْ أدرك ركعتين من العصر"[7]. مع أنَّ الأحاديث التي ساقها روايةٌ بلفظ: "مَن أدرك ركعتين من صلاة العصر.."[8]. وروايةٌ أخرى بلفظ: "مَنْ أدرك ركعةً من صلاة العصر"[9]. وظاهرُ هذا التَّبويب منه: أنَّه يُرجِّح رواية الرَّكعتين على الركعة. أيْ: مَن أدرك ركعتين من العصر قبل مغيب الشمس؛ فقد أدرك صلاة العصر، وإلَّا فَلَا. ويُعَكِّر على هذا النَّوع من التَّبويب: أنَّ الشَّارح صَرَّح بوجودِ نسخةٍ أخرى، بَوَّبه بقوله: "باب مَن أدرك ركعة". والمراد: أنَّ المثال هنا غير قويٍّ على التَّبويب؛ لوجود الاعتراض من الشَّارح[10].

٧- وأيضًا: التَّبويب لغرضِ بيانِ وجود اختلاف في السَّند:

---

(١) سنن النسائي (١/ ٢١٥). وهو في ذخيرة العقبى (٥/ ٦٤٤).

(٢) سنن النسائي (١/ ٢٤٢). وهو في ذخيرة العقبى (٦/ ٣٨١).

(٣) سنن النسائي (١/ ٢٠٢). وهو في ذخيرة العقبى (٥/٥٤١).

(٤) سنن النسائي (١/ ٢٣١). وهو في ذخيرة العقبى (٦/١٩٠).

(٥) ذخيرة العقبى (٣٨/ ١٣٥).

(٦) ذخيرة العقبى (٢٣/ ٥).

(٧) سنن النسائي (١/ ٢٥٧). وهو في ذخيرة العقبى (٦/ ٦٨٢).

(٨) ذخيرة العقبى (٦/ ٦٨٢).

(٩) ذخيرة العقبى (٦/ ٦٩٦).

(١٠) ذخيرة العقبى (٦/ ٦٨٢).

التَّبويب الذي يريد به التَّنبيه إلى وجودِ إشْكالٍ في سندٍ مُعين، ويُعدُّ هذا التبويب من مِيزات هذه السنن، ومن الأمثلة: "الاختلاف على سليمان"[١]. كما بوب بعده: "الاختلاف على بُكيْرٍ فيه"[٢]. وهذا يُمكن أنْ نسميه: بالتَّبويب الفَرْعي؛ إذْ أنَّ غَرضه النِّقاش في أمر السَّند.

٨- التَّبويب لأجل بيان اخْتلاف الرُّواة في ضبط الحديث:

ويُمَثَّل له بتبويب: "ذكر اختلاف ألفاظ النَّاقلين لخبر الزُّهري في المخْزومية التي سَرَقَت"[٣].

٩- وقد تكون التَّرجمة جامعًا بين: الفقه، وأمْر السَّند، والاختلاف في اللَّفْظ:

ومثال ذلك: مَا جاء في أوَّل كتاب الصلاة: "فرض الصلاة، وذكر اختلاف النَّاقلين في إسناد حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، واختلاف ألفاظهم فيه"[٤]. فالفقه منها: الإشارة لفرضية الصلاة، وأمر السَّند: حين أرادَ الإشارة لوجودِ اختلاف الرُّواة في النَّقل عن الصحابي، واللَّفظ: حين قال: "واختلافِ ألفاظهم فيه".

سادسا: عِنَاية الشيخ علي آدم بتراجم أبواب النَّسائي، من خلال شرحه:

وفي تَعامل الشيخ مع عناوين الباب "التَّراجم"، فقد وَجدتُّ من خلال الاستقراء المتواضع للكتاب، ومن خلال الأجزاء المحدَّدة سلفًا:

نَجدُ أنَّه تَعامل معها من خلال طريقتين، كأُطُرٍ عامَّة لسَيْرِه معها:

المَسَار الأول: أنْ يَتَناولَ عنوان الباب، بعد ذكْرِه للبابِ مباشرةً[٥]:

ومَعنى هذا: أنَّه يقوم بشرحٍ للباب أولًا، قبل الخَوْض في تفاصيل الحديث، والتَّعرض لسنده وشرحه. وفي هذا المسَار: الشَّيخ له عِدَّة طُرق في هذا؛ تبعًا لعنوان التَّرجمة وطبيعتها.

فمثلًا: قد يَشرح الباب ويُبيِّن مراد النَّسائي، وأحيانًا يأخذ الجانب اللُّغوي، أيْ: يشرح الكلمات الغريبة الوَاردة في التَّرجمة، وقد يُطيل في هذا المنْحَى بأنْ يَنْقل لبيان تلك المعاني من المصادر اللُّغوية المشهورة، كالوَسِيط ولسَان العرب. أو يَقوم الشَّيخ بتوجيهٍ للباب. ويُمْكن لنا -كتقريبٍ للصُّورة- أنْ نُقسِّم هذا المسار لطريقتين:

<u>الطريقة الأولى:</u> طريقة الشَّرح والبَيان للتَّرجمة، وقد تطرَّقَ الشَّيخ لعدَّةِ نواحي، حينما كان يُعلِّق، من ذلك:

١- بيانٌ لمقْصُود التَّرجمة فقط، وبيانٌ للمراد:

ولعلَّ هذا هو الغالب من هذا النوع؛ من خلال استقرائي للأجزاء المحدَّدَة، والله أعلم. ومن الأمثلة: "باب المحَافظة على الصَّلوات الخَمس". قال الشَّارح بعد هذا التَّبويب: (أيْ: هذا باب ذكرِ الحديث الدَّال على المحافظة على أداء الصَّلوات الخمس)[٦].

---

(١) ذخيرة العقبى (٥/ ٦٢٩- ٦٣٠). وقد بوَّبَ بعده ببابٍ: "باب الوضوء من المذي".

(٢) ذخيرة العقبى (٥/ ٦٣٥).

(٣) ذخيرة العقبى (٣٧/ ٥- ٢٩).

(٤) ذخيرة العقبى (٦/ ١٤).

(٥) وليس شرطًا أنْ يَتناول الشَّيخ جميع الأبواب، فقد يتركُ تَناولها لأيِّ نوع كان، ويُصبح ليس تحت عنوان الباب أيَّ شيءٍ من التَّعليق. كمثل: (٢٣/ ٢١٢). عند باب "مَسْألة الرَّجل ذَا سُلْطان".

(٦) ذخيرة العقبى (٦/ ١٦٩). وأيضا: (٦/ ١٨٠ و ٢٥٩ و٢٦٧ و ٢٦٨ و٢٩٦ و٣٠٠و ٣١٥). و (٥/ ٤١).

٢- بيانُ مَقصود التَّرجمة، مع شرحٍ للكلمة الغريبة:

مثل: "باب البَيْعة على الصَّلوات الخمس"[١]. فقام الشَّارح ببيانٍ لمقصود التَّرجمة، ثم قام بشرح كلمة "البَيْعة". ناقلًا من المصادر[٢]. وقد تكون أكثر من كلمة غريبة[٣]. وقد يَذكر الغَريب مع التَّرجيح للمعنى الأفضل[٤]. وفي بيان الغَريب من التَّرجمة، قد يقتضي بعض الإطالة في شرح الباب. ولهذا تجد قد يطيل لبيان شرح الكلمة من خلال نقله من المصادر اللُّغوية[٥].

٣- تَناول الباب من جِهة شرح الكلمة الغَريبة فقط:

وأُمثِّل له بما صنعه الشَّارح تحت "باب الاسْتِعفاف عن المِسْألة" فقد قام الشَّارح بتناول كلمة "الاسْتعفاف" بالنَّقل من المِصْباح، والمراد من "المِسْألة"[٦].

٤- بيان المراد من التَّبويب:

وأحيانًا يَجتهد الشَّارح في بيان المقصود من التَّبويب، كما قال تحت "باب فَضْل مَن لا يَسأل الناس شيئًا" قال الشَّارح: (المراد بسُؤال الناس هنا: السُّؤال المتعلِّق بالدُّنيا، فلا يَتناول المسألة المتعلقة بالدِّين، كأنْ يسأل ما يجهله من أمر دينه، فإنَّه واجب، فضلًا عن أنْ يكون مذمومًا، ولا يتناول أيضًا سؤال ما ثَبت له من الحقوق عند الناس، كالوَدائع، وضَمان المتلَفات، وثمن المبِيعات، ونحو ذلك، فإنَّ هذا لا يدخل فيه قطعًا، للأدلَّة الأخرى)[٧].

٥- أو بيان الحكم:

كما قام عند "باب مَسْألة القوِيِّ المكْتَسب". قال الشَّارح: (أيْ: هذا باب ذكر الحديث الدَّال على حكم سؤال القَوِيِّ المكتسب للصَّدقة، وهو التَّحريم)[٨].

٦- وأحيانًا شرح لمضمون الباب، مع الإشارة لمحل التَّرجمة في الحديث:

والمراد بمحَلِّ التَّرجمة، أيْ: مَوضع الاستدلال من الحديث، ومن الأمثلة: ما عَلَّق به الشَّارح تحت "باب أين فُرضت الصلاة". حيث قال: (أيْ: هذا باب ذكر الحديث الدَّال على وجوب سؤال مَن سأل: أين فُرِضت الصَّلاة؟، ومحلُّ التَّرجمة من الحديث قوله: "فُرِضت بمكة"..)[٩].

٧- تناول التَّرجمة من جهة مقارنة التَّبويب مع السُّنن الكبرى:

---

(١) ذخيرة العقبى (٦/١٥٦). و (٦/ ٢٣١).

(٢) ذخيرة العقبى (٦/ ١٥٦).

(٣) ذخيرة العقبى (٦/ ٢٤٥). و (٦/ ٢٥١).

(٤) ذخيرة العقبى (٣٨/ ٣٨٧).

(٥) انظر: ذخيرة العقبى (٥/ ١٧٨- ١٧٩).

(٦) ذخيرة العقبى (٢٣/ ١٧٨). وأيضًا صنيعه تحت "باب المتَنَمِّصَات" حيث قام الشَّيخ بشرح كلمة "المتنمِّصَّة" فقط. انظر: ذخيرة العقبى (٣٨/ ١٢٩). وفي غيرهما من الأبواب.

(٧) ذخيرة العقبى (٢٣/ ١٨٢- ١٨٣).

(٨) ذخيرة العقبى (٢٣/ ٢٠٩).

(٩) ذخيرة العقبى (٦/ ١٠١). وأيضا: (٦/ ٣٠٤).

وأحيانًا: يشرح من جهة مقارنة التَّبويب في الكبرى، ومن الأمثلة: أنه في "باب كم فُرضت في اليوم والليلة؟" قال الشَّارح بعده: (وفي الكبرى: "كم فُرِضت الصلاة في اليوم والليلة؟"..)[1]. ثم قام بشرح مقصود التَّرجمة.

٨- التَّعليق من جهة الإعراب:

بمعنى الشرح من جهة بيان التقدير، والأمر النحوي والإعرابي، قال الشارح بعد "دم الحيض يصيب الثوب" =قال: (أي: هذا باب ذكر الحديث الدال على حكم دم الحيض الذي يصيب الثوب. وجملة "يصيب" في محل نصب على الحال، أو في محل جر على أنها نَعتٌ لدم الحيض)[2]. والغالب أنَّه لا يُفرد الإعراب لوحده، بل يكون شيءٌ آخر معه. وأفْرَدتُّه لأهمية هذا النوع.

٩- وقد يضم الأنواع المتقدمة مع بعضها:

أي: يجمع في شرح الترجمة وتناوله لها بشيءٍ من هذا وهذا، أي: بيان الغريب والحكم، أو الشرح. وهكذا. ومن الأمثلة: في "باب مُؤَاكلة الحائض والشُّرب من سُؤْرها" فهنا لم يذكر النسائي حكم المسألة، ليأتي الشيخ الشارح ويبين حكمه، وهو الجواز. قال مَا نَصَّه: (أيْ: هذا باب ذكر الحديث الدَّال على جواز الأكل مع الحائض، وجواز شرب ما أبْقته بعد شُربها، فالمؤاكلة: مُفاعلة من الأكل، والسُّؤْر: بضم السِّين وإسكان الهمزة، مصدر ستر الشيء، من باب: شرب، بقي، فهو سائر، ويتعدَّى بالهمزة، فيقال: أسأرته، ثم استعمل المصدر اسمًا للبقية أيضًا، وجُمع على أَسار، مثل قُفل وأَقفال، قاله في المِصْباح. والمراد هنا: المعنى الثاني، أيْ: من بقيتها. ومحلُّ الاستدلال من الحديث واضح) [3]. ففي هذا المثال: أشارَ لبيان الحُكم، وشرح معنى كلمة "مؤاكلة" و "السؤر" وأشار إلى محلِّ الاستدلال.

١٠- وقد يتناول من جهة بيان خلاف فقهي:

ومن طُرق الشَّيخ: أنَّه قد يتعرَّض لمناقشة المسألة المتعلِّقة بالتَّرجمة، بعد عنوان الباب، ومن الأمثلة: ما صنعه في "الكراهية للنِّساء في إظْهار الحُلِّي والذَّهَب". فقد قام الشَّارح بمناقشة المسألة ونقل أقوال العلماء فيها من المصادر[4].

١١- وإذا كانت التَّرجمة لجهةٍ جامعٍ بين السَّند والفقه:

فالشيخ يقوم ويلخِّص مراد النَّسائي من أمر السَّند، كاختلافٍ في السَّند ونحوه[5].

ولا يعني هذا اقتصاره على بيان أمر السَّند والإشكال الذي يريد أنْ يُبينه النسائي، بل قد يجمع بينه وبين أمر آخر، كما فعل في "باب الموتشمات، وذكر الاختلاف على عبد الله بن مرة، والشعبي في هذا". حيث تعرَّض

---

(١) ذخيرة العقبى (٦/ ١٣٣). وأيضًا: تحت باب "الزَّعفران" قال الشيخ: ولفظ "الكبرى": "أبواب الطِّيب: الزَّعفران". انظر: (٣٨/ ١٣٥ و١٥٥). و (٥/ ٦٢٢).

(٢) ذخيرة العقبى (٥/ ٦٠).

(٣) ذخيرة العقبى (٥/ ٥).

(٤) ذخيرة العقبى (٣٨/ ١٩٢).

(٥) كمثل: ذخيرة العقبى (٦/ ١٤).

للتَّرجمة بالمقارنة بين الصُّغرى والكبرى[1].

١٢- وفي العناوين الفرعية:

أيْ: العناوين التي يضعها للتَّنبيه إلى وجود خلاف في السَّند. ويقوم الشيخ أيضًا بتلخيصٍ لمراد النَّسائي من هذا التَّبويب، والإشكالية الموجودة في السَّند بعد الباب، فمثلًا بعد "الاختلاف على بُكَيْر فيه". قال الشَّارح: (أيْ: هذا محلُّ بيان اختلاف الرَّاويين في رواية هذا الحديث على بكير بن عبد الله بن الأشَج. فرواه ولده مخرمة عنه...)[2]. وقد يبدأ بعبارة: (وجه الاختلاف المذكور أنه رواه حفص..)[3]. وتجده يحاول أنْ يلخِّص مقصود النَّسائي من التَّبويب.

الطريقة الثانية: النَّقْد والتَّعقيب للتَّرجمة:

أمر "**النَّقد**" لصنيع النسائي في التبويب، قد تناوله الشَّيخ أيضًا لتراجم النَّسائي؛ مما يَدلُّنا على أنَّه لا ينقل فقط، بل متى وُجِد مكانًا لتوْجيهٍ أو تعقيبٍ على التَّرجمة إلا وذكره.

ولا يعني هذا أنَّ الشَّيخ لا يذكر معه شيئًا من أنواع الطريقة الأولى التي تقدمت، فقد يبدأ ببيانٍ لمراد النَّسائي، أو يَشرح الغريب وهكذا. وإنما أفْردتُ النَّقد والتَّوجيه لبيانِ أهمية هذه الطَّريقة[4].

ومن النَّماذج: ما قد وقفت عليه تحت "باب تَحريم لُبْسِ الذَّهَب". فقد تناول الشَّارح التَّرجمة من ناحية تعقيبٍ على المصنف، ووجه التَّعقيب: أنَّ التَّرجمة كانت تكرارًا لما سَبق ذِكرُه. مستدلًا بما فعله المصنِّف في "الكبرى"[5].

وقد يكون النَّقد ليس من باب التِّكرار، بل يكون التَّعقيب من ناحية أنَّه استدلالٌ غير واضحٍ من المتَرجِم. كما في فعل تحت "باب ذكر ما يستحب من لبس الثياب، وما يكره منها". قال الشَّارح: (ثم إنَّ استدلال المصنِّف رحمه الله بحديث الباب على التَّرجمة غير واضح؛ لأنَّه لا يدلُّ على النوع المستحبِّ من الثياب والمكروه منها، فالأولى ما فعله في "الكبرى" حيث أورد في الباب حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا: "مَن لَبس ثوب شهرةٍ في الدنيا؛ ألبسه الله ثوب مذلةٍ في الآخرة")[6].

أو قد يكون التَّعقيب: على أنَّ المصنِّف قد يُبَوِّبَ على شيءٍ، ولا يوجد في النَّص ما يَدلُّ على تبويبه[7].

---

(١) ذخيرة العقبى (٣٨/ ١٣٥- ١٣٦).

(٢) ذخيرة العقبى (٥/ ٦٣٥). وأيضا: (٣٧/ ٥). و (٥/ ٦٢٩و ٦٣٥).

(٣) ذخيرة العقبى (٣٧/ ٤٥- ٤٧). وهذا تحت "ذكر الاختلاف على الزُّهْري". وأيضا (٣٧/ ٦٠).

(٤) من النَّماذج ما سيأتي قريبًا، عندما سنُمثِّل بباب "ذكر ما يستحب من لبس الثياب..". فقد تناول الشَّارح التَّرجمة من ناحية الإعراب النَّحوي، ثم شَرَع في التَّعقيب عليه. ذخيرة العقبى (٣٨/ ٣٩٧).

(٥) والباب الذي يليه كان "النهي عن لبس خاتم الذهب". انظر: ذخيرة العقبى (٣٨/ ٣٧٧- ٣٧٨). ومن الأمثلة أيضًا على تعقيب الشَّارح من باب التكرار: ذخيرة العقبى (٣٨/ ٣٨٢).

(٦) ذخيرة العقبى (٣٨/ ٣٩٧). وقد أوْرَد المصنِّف تحت الباب: حديث "إذا كان لك مالٌ، فلير عليك". وأيضًا (٣٨/ ٢٩٣) في "موضع الخاتم..". حيث رأى الشَّارح أنَّ ظاهر التَّرجمة لا يتوافق مع حديثَيْ الباب.

(٧) كما بوَّب "التَّزَعْفُر، والخَلُوق" ولم يضع حديثًا يدل على "التَّزَعْفُر". انظر: ذخيرة العقبى (٣٨/ ١٦٣).

ويُجَاب عن إشكالية **التِّكرار**: بأنَّ هذا الشَّيء قد يَقع من غير الإمام النَّسائي، فمثلًا: قد يَقع التِّكرار من الإمام البخاري في تَرَاجمه. يقول الدَّهْلوي: "مِن دَأْبِ المصنِّف أنْ يُورد حديثًا واحدًا مُتَعَدِّد الطرق مرارًا مُتعددة، ويَعقد كل ترجمة بلفظٍ آخر واقعٍ في ذلك الحديث، ومقصوده: ليس إلَّا إكْثار طرقِ الحديث، كما وقع في هذا المقام[1]" [2].

كما يُجَاب عن "شبهة التِّكرار" في صنيع البخاري من هذا المَوْضِع المذْكور: أنَّ البخاري لا يَقصد التِّكرار باستقلاله؛ فقد ذَكر الدَّهلوي نفسه وجهًا آخر لمراد البخاري من التَّرجمة الثَّانية، وهذا المراد هو: بيان حُكم المخَاط، وأنَّه طاهِر.

وقد سَبقه ابنُ حجر في بيان الفرق بين التَّرجمتين، قال: "وجه المغَايَرة – بين هذه التَّرجمة والتي قبلها– مِن طريق الغَالِب. وذلك أنَّ المخَاط غالبًا يكون له جِرْم لزجٌ؛ فيحتاج في نزعه إلى مُعَالجة. والبُصَاق لا يكون له ذلك؛ فيمكن نزْعه بغير آلة، إلَّا إنْ خالطه بَلْغَمٌ؛ فيلتحق بالمخَاط. هذَا الذي يَظهر من مُراده"[3].

والحاصل: أنَّ نَسبة تكرار الترجمة "باستقلالها" وأنَّه من صَنِيع البخاري، أمرٌ مُنازعٌ فيه، خصوصًا وأنَّ علماء الحديث: يَبحثون ويجدون الفرق في القَصد والمقْصد من التِّكرار. وإذَا كان هذا في البخاري؛ فلا يَبعد أنْ يكون النَّسائي قد أراد شيئًا من هذه التَّراجم، التي ظاهرها التِّكرار. فقطْ علينا البحث والمقارنة للوصولِ إلى نتيجةٍ مَا.

المَسَار الثاني: الإشارةُ للتَّرجمة في "فوائد الحديث":

الشَّيْخ بعد أنْ يَتعرَّض للحديث من خلال تراجم الرُّواة، ولطائف السند، ثم شرح الحديث، يَذكر الشيخ: "مَسائل تتعلَّق بهذا الحديث" ويكون من ضِمنها: "فوائد الحديث". = فالشيخ في الفوائد: غالبًا لا ينسى ذكر الفائدة المتعلقة بترجمة الباب، ويُصرح بالإشارة لعنوان الترجمة. وتَكون هذه الفائدة غالبًا في أوَّلِها.

وهذا النوع غالبًا يكون طريقة الشيخ (ذكر الفائدة من الحديث، المتعلق بالترجمة، مع الإشارة للتَّرجمة وبيان مقصود المصنِّف). ومن الأمثلة: فقد ذكر الشيخ أول فائدة من حديثٍ من "باب أين فرضت الصلاة" = (بيان محل فرض الصلوات الخمس، وهو مكة، وهو مَحَلُّ الترجمة للمصنف، وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم)[4].

وأحيانًا يُقدِّم الشَّيخ بيان غرض المصنِّف على الفائدة، بعبارة: (هذا ما تَرجم له المصنِّف..) قال في فائدة: (منها: ما ترجم له المصنِّف؛ وهو بَيان ثواب مَن أقام الصلاة، حيث إنَّ أدائها على الوجْه المطلوب من مُوجبات الجنَّة)[5].

---

(١) كان يُعلِّق على ترجمة: "باب حك المخاط بالحصى من المسجد". وقد سَبَق هذه الترجمة ترجمةٌ مشابهة وهي: "باب حَكِّ البُزاق باليد من المسجد". وكلاهما في: "كتاب: الصلاة". صحيح البخاري (١/ ٩٠).

(٢) شرح تراجم أبواب البخاري، للمحدث شاه ولي الله الدهلوي، ص ١٦٢.

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١/ ٥٠٩).

(٤) ذخيرة العقبى (٦/ ١٠٦).

(٥) ذخيرة العقبى (٦/ ٢٤٤). وبنفس الأسلوب: (٦/ ٢٤٩). (٦/ ٢٥٧). و (٦/٢٨٦) و (٢٣/ ١٨٥) و (٣٧/ ٣٥). و (٣٨/ ١٣٢ و١٣٩ و١٤٣ و١٥١ و١٥٤).

وقد يُغيِّر الشيخ الأسلوب بقوله: (منها: ما بَوَّب له المصنِّف رحمه الله تعالى، وهو بَيان فضل الاسْتِعفاف عن مَسْألة النَّاس أموالَهُم)[١].

وأحيانًا يَذْكر الشيخ الفائدة المتعلِّقة بالباب، ولا يُشِير إلى المرَاد منها بالتَّرجمة. ومن الأمثلة على ذلك: ذَكر الشيخ فائدة، قال: (بيان عِظم الصَّلاة، وفَضْلها على سائر العبادات؛ حيث وَقَعت المحَاسبة عليها قَبْل سائر الأعمال). مع العلم بأنَّ عُنوان التَّرجمة هي: "باب المحاسبة على الصلاة"[٢]. والشَّاهد: أنَّه لم يذكر صراحةً أنَّها المراد بالتَّرجمة أو مُتعلقة بالترجمة، كما فعل في النَّوع السَّابق. وقد يكون تَرَك الشيخ ذلك؛ لوُضُوحِها على التَّرجمة.

ونَأْتي إلى مَسألة "عَدم اليقين من مُراد المصنِّف"، فهنا يَستخدم الشَّارح عبارةً يُفهم منها تَرْجيح مُراد المصنِّف من الباب[٣].

وقد يَذكر الفائدة المتعلِّقة بالتَّرجمة، ثم يُضيف ذكر موضع الاستدلال من الحديث[٤].

أو يقوم بتوجيهٍ للتَّرجمة، فيما إذَا كان الاستدلال بالحديث غير ظاهرٍ على التَّرجمة[٥].

وأحيانًا لا يَذْكر الشيخ هذا النَّوع في الفوائد، كما حَصلَ في حديث من "باب فَرْض الصلاة"، فقد قرأتُ الفوائد المتعلِّقة بالحديث، ولم يُشرْ للفائدة المتعلِّقة بترجمة الباب[٦].

فالشيخ إذًا: قد يُصرِّح بتعلُّقه بالتَّرجمة، إمَّا في البداية أو في النهاية. وقد لا يُصرِّح بتعلقها بالتَّرجمة. وقد لا يَذكر الفائدة المتعلِّقة بالتَّرجمة نهائيًا. وقد يذكر الفائدة المتعلِّقة بالتَّرجمة مع الإشارة لموضع الاستدلال. وعند الظَّن يَستخدم عبارة غير يَقِينيَّة. وقد يقوم بمحاولة تقريب على الاستدلال.

ويكون حالات التَّصَور في الحديث:

– أنَّه قد يَجْمع الحديث الواحد: شيئان من أمور الترجمة[٧].

– وقد يَحصل على أمرٍ واحد، كأنْ يذكر في الفوائد فقط[٨].

– وقد لا يكون للحديث الواحد أيّ نصيبٍ من الاثنين. كما في حديث عائشة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لو كنتِ امرأة لغيَّرتِ أظفاركِ). من "باب الخضاب للنساء". فلَمْ يَتعرَّض الشَّارح للترجمة سواءٌ بالشَّرح –بعد ذكره لعنوان الباب– أو في الفوائد[٩]. وربما كان السَّبب في ضعف الحديث؛ ولهذا لم يُطِل في تَناول

(١) ذخيرة العقبى (٢٣/ ١٨٢). والتَّرجمة: "الاستِعْفاف عن المسألة".

(٢) ذخيرة العقبى (٦/ ٢٢٦).

(٣) انظر: ذخيرة العقبى (٦/ ٢٧٨).

(٤) انظر: ذخيرة العقبى (٦/ ٣١٣).

(٥) كما وَجَّه ترجمة: ذخيرة العقبى (٥/ ٦٥٠). ويُذكر أنَّه تناول التَّرجمة في الفوائد، لكنَّه لم يضع عنوانًا للفوائد، كما يَفعل في أغلب الأحاديث؛ بسبب أنَّ الحديث تقدَّم وُرُوده.

(٦) ذخيرة العقبى (٦/ ٧٠– ٧٢). وكذا في فوائدِ حديث (٦/ ١٦٧) و (٦/ ١٧٨). وقد يَتْركها الشيخ لوضوحها.

(٧) كمثل: ذخيرة العقبى (٥/ ١٠٩). و (٣٨/ ١٣٢).

(٨) كمثل: (٣٨/ ١١٣– ١١٦ و ١٢٨). وقد يكون بعد ترجمة الباب، كمثل: ذخيرة العقبى (٦/ ٣١٥ و٣٣٩).

(٩) ذخيرة العقبى (٣٨/ ١٠٣– ١٠٤). وكذا في الباب الذي يليه (٣٨/ ١٠٤). وما بعده.

الحديث[1].

ومن المهمّ أنْ نُشير: إلى أنَّ الشيخ في تناوله للأجزاء الأخيرة من الشَّرح لم يَعد بمثل النَّفس الذي كتبه في الأجزاء الأولى من الشرح؛ وهذا يدركه القارئ حينما يقرأ الأجزاء الأولى كمثل (٥و٦) ويقارنها بالأجزاء الأخيرة، كمثل: (٣٨). ويُعْذر له بسببِ طُول الكتاب، وبسبب أنَّ بعض المسائل والفوائد التي تتعلق ببعض الأحاديث قد تَقدَّمت، أو أنَّ بعض الأحاديث قد سَبق ذِكْرها. مع أنَّ الشيخ – في الأحاديث التي لم تتكَرَّر– يَمشي على نَفْس الأُطُر التي وضعها لنفسه في الشَّرح.

وهكذا رأينا اهتمام الشِّيخ بتراجم الأبواب. والذي فعله الشَّارح ليس بدعًا من الأمر، فقد سبقه شُرَّاح الحديث في التَّسابق لباب العناية بتَرَاجم الأبواب واستِنْباط الفقه منها. فهذا القاضي عِيَاض: فمعَ شرحه لصحيح مسلم، فقد ضمَّن في شرحه بيان تراجم الأبواب، من خلال نَقْله لكتب الأحاديث المشهورة، وعلى رأسِها: صحيح البخاري، فقد ساقَ نحو (٤٧) ترجمة [2].

الخلاصة وأهم النتائج:

١– حُسْن تعامل الإمام النَّسائي مع التَّبويب، فهو لا يَقلُّ عن غيره من أصحاب الكتب السِّتَّة، وإنْ كانت اليَد الطُّولى للإمام البخاري.

٢– من مِيزات سنن النَّسائي: مُناقشته للأسانيد المختلفة فيها، فهو لا يَهتمُّ بالفقه فقط، بل يتعدَّى إلى المناقشة في أمور السَّند، ولهذا نجده يُبوِّب بأبوابٍ قصده منها "أمر السَّند" وقد سمَّيْته "بالتَّرجمة الفَرْعية" أو "الباب الفرعي"[3].

٣– اهتمَّ شارح سُنن النَّسائي – الشِّيخ محمد– ببيانٍ لبعضِ تراجم أبواب النَّسائي، وبيان فقهها، وتبينٍ لمراد النَّسائي من التَّبويب، وقد قَسَّمتُ جهده إلى مَسَارين:

أ– إمَّا أنْ يقوم بشرحٍ للترجمة مباشرةً، بعد ذكْره لعنوان الباب.

ب– أو يشير إلى مراد النسائي من تبويبه، في (فوائد الحديث) والذي يسميه الشيخ باسم: (الفوائد المتعلقة بالحديث). بأنْ يُنبِّه على مراد تبويب النَّسائي بذكره للفائدة مُنوهًا على عنوان التَّرجمة.

٤– وقد كان المسار الثاني أكثر من المسار الأوَّل. وتحت كلِّ مسار أنواع. ومما تضمَّنه المسار الأول: طريقة البيان والشرح للترجمة. وطريقة النقد والتعقيب. وتحتهما أنواع أيضًا. وأما المسار الثاني فتضمَّنَ: أنْ يُصرِّح بتعلُّقه بالتَّرجمة، إمَّا في البداية أو في النِّهاية. وقد لا يُصرِّح بتعلُّقها بالتَّرجمة. وقد لا يَذكر الفائدة المتعلِّقة بالتَّرجمة نهائيًا.

---

(١) بَقِي أنْ نُشير إلى: أنَّ بعض الأبواب تحتوي على عدَّة أحاديث، ولا يُتصوَّر في الأحاديث التي تأتي بعد الحديث الأول، أنْ يقوم الشَّارح بتناولٍ للتَّرجمة قبل الحديث؛ لأنَّ موضعها قبل الحديث الأول، ولكنَّ الشيخ قد يُشير للتَّرجمة في الفوائد، حتَّى ولو كان هو الحديث الثاني للتَّرجمة، ومن الأمثلة ينظر: ذخيرة العقبى (٣٨/ ١٤٣).

(٢) انظر: منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في إكمال المعلم.. ، للدكتور الحسين شواط، ص ٢٠٠. ولعلَّ اهتمامه بالبخاري مع أنَّه يشرح مسلم؛ لكون مسلم لم يُعَنْوَن التَّراجم لأحاديثه، على القول الصَّحيح، وإنما التَّراجم مَوْضوعة من قِبل الشُّراح. انظر: الحطة، للقنوجي، ص ٣٥٨.

(٣) ولا أجزم بهذا، فقد يكون هناك أحدٌ سبقني بهذه التسمية.

وقد يذكر الفائدة المتعلِّقة بالتَّرجمة مع الإشارة لموضع الاستدلال. وعند الظَّن يَستخدم عبارة غير يَقِينيَّة. وقد يقوم بمحاولة تقريب على الاستدلال.

٥- لم يكنْ دَوْر الشَّارح الشَّرح للترجمة أو بيان الحكم فقط، بل هناك مواضع من التَّراجم قام الشَّارح بنقدٍ وتعقيبٍ على صنيع النَّسائي؛ بحسب ما يَراه هو. وقد اشتمل على ثلاث ركائز: إمَّا أنْ يَرى أنَّ التَّبويب فيه تكرار، أو على أنَّ المصنِّف قد يُبَوِّبَ على شيءٍ، ولا يوجد في النَّص ما يَدلُّ على تبويبه، أو الاستدلال بالحديث على التَّرجمة غير واضح.

٦- قد يَجْمع الحديث الواحد: شيئان من أمور الترجمة. وقد يَحصل على أمرٍ واحد، كأنْ يذكر في الفوائد فقط. وقد لا يكون للحديث الواحد أيّ نصيبٍ من الاثنين.

٧- أنَّ الشيخ في تناوله للأجزاء الأخيرة من الشَّرح لم يَعد بمثل النَّفَس الذي كتبه في الأجزاء الأولى من الشَّرح؛ وهذا يدركه القارئ حينما يقرأ الأجزاء الأولى كمثل (٥و٦) ويقارنها بالأجزاء الأخيرة، كمثل: (٣٨). ويُعْذر له بسببِ طُول الكتاب، وأنَّ بعض المسائل قد نُوقشت في الأجزاء الأولى، أو ربما أنَّ بعض الأحاديث قد سَبق شرحها.

٨- أنَّ نَسبة تكرار التَّرجمة "باستقلالها" وأنَّه من صَنِيع البخاري، أمرٌ مُنازعٌ فيه، خصوصًا وأنَّ علماء الحديث: يَبحثون ويجدون الفرق في القَصد والمقْصد من التِّكرار. وإذَا كان هذا في البخاري؛ فلا يَبعد أنْ يكون النَّسائي قد أراد شيئًا من هذه التَّراجم، التي ظاهرها التِّكرار.

مجاوزة الحد في استعمال العقل
في فهم السنة في فكر المستشرقين
جولد زيهر وشاخت ومن أيدهما من المستغربين

أ.د. حسن عزوزي

رئيس وحدة مناهج البحث في القران والسن

كلية الشريعة–جامعة القرويين–فاس

المغرب

azzouzihasan@hotmail.com

مقدمة

لقد نقد المستشرقون أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفق ما يعرفون من أصول النقد العام لأخبار الناس العاديين، ذلك لأنهم ينظرون إلى الرسول عليه السلام كرجل عادي لم يتصل بوحي ولم يطلعه الله على مغيبات ولم يميزه عن بني الإنسان، فإذا روي عنه حديث ينبئ عن معجزة علمية لم تكن معروفة في عصره قالوا: ان هذا موضوع لأنه لا يتفق مع علوم الناس ومعارفهم في عصره، وإذا روي لهم حديث عليه صبغة التشريع القانوني قالوا: إن هذا موضوع لأنه يمثل الفقه الإسلامي بعد نضوجه، ولا يمثله في سذاجته وبساطته في عصر النبي عليه السلام وصحابته، وإذا رويت لهم بشارة من الرسول أو إخبار عن أمر يقع للمسلمين في المستقبل قالوا: إن ظروف النبي عليه السلام لم تكن تسمح له أن يقول هذا القول.

أما أتباع المستشرقين وتلامذتهم من المستغربين الذين تتلمذوا عليهم أو تأثروا بتراثهم فمن المؤسف أنهم انساقوا معهم في نفس الاتجاه، بل بالغوا أحيانا في تحكيم العقل ومجاوزة الحد في استعماله أكثر من سادتهم المستشرقين كما أن منهم من كان أكثر إسفافا ووقاحة في الطعن في السنة النبوية والنعي على علماء الحديث بالتقصير في الفهم والاقتصار على نقد الإسناد دون المتن غير مستمسكين من الحجج إلا بما أتى به المستشرقون.

لقد أخذ المستشرقون ومن لَف لَفهم من المستغربين يضربون على وتر تحكيم العقل في نقد الأحاديث، ولا ندري أي عقل يريدون أن يحكموه ويعطوه من السلطة أكثر مما أعطاه علماؤنا في قواعدهم الدقيقة؟ ليس عندنا عقل واحد نقيس به الأمور، بل العقول متفاوتة والمقاييس مختلفة والمواهب متباينة، ففتح الباب لمثل هؤلاء في نقد المتن بناء على حكم العقل الذي لا نعرف له ضابطا والسير في ذلك بخطى واسعة على حسب عقل الناقد وهواه أو اشتباهه الناشئ في الغالب عن قلة إطلاع أو قصر نظر أو غفلة عن حقائق أخرى، يؤدي إلى فوضى لا يعلم إلا الله منتهاها، وإلى أن تكون السنة الصحيحة غير مستقرة البنيان ولا ثابتة الدعائم، ففلان ينفي هذا الحديث، والآخر يشكك فيه والثالث يتوقف فيه، كل ذلك لأن عقولهم كانت مختلفة في الحكم والرأي وعمق الفهم، فكيف يجوز هذا؟

وسنقف في المباحث اللاحقة عند الأخطاء الفظيعة التي وقع فيها هؤلاء وأولئك من المستشرقين والمستغربين حين كذبوا ما لا مجال لتكذيبه وحكموا بوضع واختلاق ما قامت الأدلة والشواهد وقواعد علم الحديث على صحته وعرضوا علينا عبقرياتهم في التنبه -بفضل عقولهم- لغفلة العلماء الذين سبقوهم الى وضع القواعد العلمية المناسبة لنقد الحديث.

مقدمة في طبيعة مناهج المستشرقين جولدزيهر وشاخت
ومن أيدهما من المستغربين في دراسة السنة النبوية

عند التأمل ملياً في طرق ومناهج المستشرقين في دراسة السنة النبوية يتبين أن المنهج العام لدى القوم في دراسة الحديث النبوي يكاد يكون غير علمي ومفصولا عن سياق الموضوعية والحياد المطلوبين في كل بحث، وبالتالي في كل منهج علمي، لقد بات من المتفق عليه لدى العلماء والباحثين المسلمين أن كل ما تعلق بالسنة في دراسات

المستشرقين ومن لف لفهم من المنتسبين إلى الإسلام لا يمكن الاعتداد به ألبتة، لأنه لا محالة محطم للمُسلَمات التي يجزم بها المسلمون ومشكك في البدهيات التي يؤمنون بها، وقد أصبح في حكم اليقين أن المستشرق عندما يتأهب لدراسة الحديث النبوي يضع نفسه أمام كم هائل من الأحاديث كلها موضوعة ومختلقة، وبالتالي تأتي كل أبحاثه وجميع دراساته قد استوت على أساس غير صحيح ما دام يمارس منهج الشك والنفي على كل مواد الدراسة.

وبعد النظر ملياً فيما أنتجه المستشرقون حول السنة النبوية تبين أن رجلاً يعد واحداً من كبار المستشرقين إنتاجا واطلاعا على التراث الإسلامي كان سباقا إلى إنجاز أوسع كتاب حول السنة النبوية، إنه المستشرق المجري انياس جولدزيهر [1] Ignace Goldziher في كتابه: "دراسات محمدية" الذي لم يترجم بعد إلى العربية لكن نتوفر على ترجمة فرنسية له، ويعد الكتاب دستور المستشرقين في معرفة ونقد الحديث النبوي حتى أضحى الكتاب أبرز المصادر التي لا يستغني عنها الباحثون الغربيون في ميدان الحديثيات، فهو عبارة عن دراسة نقدية تحليلية للحديث النبوي من مختلف الجوانب.

ومن أسباب شهرة الكتاب وتسنم صاحبه لمجد أثيل في معاقل الاستشراق نرى –معشر الباحثين المسلمين– أنه لا يستحقه إحاطة جولدزيهر منذ أكثر من قرن من الزمن بمصادر البحث الحديثي المتنوعة معتمداً على كثير مما كان لا يزال مخطوطا في عهده، ويمكن للمطلع على هوامش الكتاب أن يتبين مقدار اطلاع الرجل على الثقافة الحديثية في مصادرها الأصيلة لكن ذلك لم يمنع من أن يوجه فهمه وتحليله للمعطيات الواردة في تلك المصادر الوجهة التي يريد تحقيقها وهي تشويه الحقائق والتحامل المغرض والتعسف في استعمال العقل في فهم قضايا السنة.

ووقع الاختيار أيضا على جوزيف شاخت[2] الذي يمكن عدّه ثاني اثنين من المستشرقين الذين تخصصوا في دراسة الحديث النبوي بعد جولدزيهر وذلك انطلاقا من اهتمامه بالفقه الإسلامي وتاريخه من جهة وتأثره بنظريات سلفه جولدزيهر في كتابه "دراسات محمدية" من جهة أخرى.

---

١ – ولد إينياس جولدزيهر ١٨٥٠–١٩٢١ بالمجر (هنغاريا) من أسرة يهودية ، حصل على الدكتوراه وعمره عشرون سنة وهو ما أهله للتدريس بجامعة بودابيست وبرلين ولندن لكنه فضل القيام برحلات علمية طويلة إلى القاهرة وسوريا وفلسطين عاد منها محملا بمخطوطات وكتب إسلامية نادرة مكنته من الاعتكاف على النصوص ودراستها وتحليلها ، وقد بلغت مجموعة أبحاثه كما بينها فهرست مؤلفاته ٥٩٢ بحثا ، وكان الرجل يتقن أربع عشرة لغة ، من أبرز مؤلفاته : العقيدة والشريعة في الإسلام ، مذاهب التفسير الإسلامي ، الظاهرية : مذهبهم وتاريخهم. ودراسات محمدية ، ولا تزال معظم كتبه عمدة المستشرقين المعاصرين ، ترجمته في : عبد الرحمن بدوي :موسوعة المستشرقين ١١٩–١٢٦ ، نجيب العقيقي : المستشرقون(٣/٤٠–٤٢)

L Massignon ; préface à la bibliographie de Ignaz Goldziher par Bernard Heller – Paris 1977.

٢ جوزيف شاخت Joseph Schacht(١٩٠٢-١٩٦٩) ولد بألمانيا ودرس بجامعتي برسلو وليبتزيج ، ودرس بجامعة فرايبوخ ولايدن وغيرهما ، ارتحل إلى دول الشرق الأوسط بين عامي ١٩٢٦و ١٩٢٩ ودرس بجامعة القاهرة إلى حدود سنة ١٩٣٩ وكذا بجامعة الجزائر عام ١٩٥٢ .كان الفقه الإسلامي هو الحقل الدراسي الأول الذي أغرم بدراسته ، نشر كتب علماء الحنفية في الحيل الشرعية وألف كتبا أهمها (أصول الفقه المحمدي ١٩٥٠) و (مدخل إلى الفقه الإسلامي ١٩٦٤) ، وعين عضوا بالمجمع العربي بدمشق عام ١٩٥٤ وبكثير من المجامع العلمية الأوروبية. ترجمته في موسوعة المستشرقين ص ٢٥٢–٢٥٥ والمستشرقين ٢/٤٦٩–٤٧١

أما من فئة المستغربين فقد وقفنا وقفات مع أبرز الذين خاضوا في بحث قضايا السنة النبوية ومعطياتها ممن نقدوا السنة النبوية بمنهج عقلاني متطرف، وتم اختيار ثلة منهم ممن تأثروا بأفكار وآراء جولدزيهر على وجه الخصوص، وقد جاءت كتاباتهم ودراساتهم في بحث قضايا السنة النبوية أخطر بكثير من آراء المستشرقين، إذ هي أبلغ في الوقاحة وأدعى إلى التصديق والتأثير في القراء المسلمين لأنها صادرة من باحثين ينتسبون إلى الإسلام.

ويوهمون بأنهم أوتوا من العلم الشرعي والتكوين العلمي والإلمام بالحديث والفقه واللغة ما يمكنهم من فهم السنة على وجه الصحة، بينما واقع كتاباتهم يدل على أنهم لم يشربوا روح السنة ولم ينفذوا إلى حقائقها وليس لهم من الرسوخ في العلم من جهة ولا من التجرد للحق من جهة أخرى ما يعصمهم من الزيغ والانحراف في الفهم وسوء التأويل.

وهكذا وقفنا عند ثلاثة من هؤلاء أحدهم هو أحمد أمين وقد ضمن أفكاره في "فجر الإسلام" الذي ألفه سبع سنوات فقط (١٩٢٨م) بعد موت جولدزيهر، والثاني هو محمود أبو رية مع كتابه " أضواء على السنة المحمدية" الذي أخرجه عام ١٩٥٩ والثالث هو المستشار سعيد العشماوي مع كتابه "حقيقة الحجاب وحجية الحديث" الذي نشره عام ١٩٩٠.

المنهج الافتراضي:

لاشك أن من أبرز الفرضيات التي نالت قبولاً واستحساناً بين المستشرقين المهتمين بالمرحلة التأسيسية للإسلام أن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تنتمي في مجملها إلى مدة زمنية متأخرة بكثير عن تلك المدة الزمنية التي تنسب إليها تلك الأحاديث، وهذا الافتراض يزعم أن مجموع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم هي عموما نتاج تزييف ديني واسع النطاق.

وقد وجدت نزعة الافتراض في فهم الأحاديث والشك في صحتها صياغتها القوية في كتابات جولدزيهر وشاخت، فكانت حجة المستشرق الأول الرئيسة أن الأحاديث تعكس المواقف ووجهات النظر السائدة في القرنين الثاني والثالث ولا تعكس إلا قليلاً ما يتعلق بالقرن الأول، وقد استفاد شاخت من نظرية جولدزيهر وقام بدراسة معمقة لوظيفة الأحاديث في تطور الشريعة الإسلامية وزعم أن رد الأحاديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم ظهر متأخراً جداً في الإسلام أي إن عدداً كبيراً من أحاديث الأحكام عن النبي عليه السلام قد بدأ العمل بها بعد حوالي سنة ١٥٠هـ.

لقد كانت نزعة الشك والافتراض عند شاخت أكثر شدة منها عند جولدزيهر وهو ما لخصه في قوله :"يجب ألا يؤخذ كل حديث من أحاديث الأحكام عن النبي على أنه رواية صحيحة تصح عن زمنه أو زمن صحابته حتى يثبت العكس ولو كان الحديث غير مشتهر، بل يؤخذ على أنه صياغة لحكم شرعي مختلفة صيغت في وقت لاحق[١]

١ أصول الفقه المحمدي لشاخت:ص١٤٩

بعد أربعة عشر عاما من ظهور كتاب "أصول الفقه المحمدي" عام ١٩٥٠ خرج شاخت في كتاب جديد بنظرية أكثر تطرفا لخصها في قوله: "إنه لمن العسير أن يعد أي من هذه الأحاديث صحيحاً فيما يتعلق بمسائل التشريع الديني..."[١]

ولذلك استخدم شاخت قاعدة "السكوت عن الحديث في موطن الاحتجاج دليل على عدم وجوده" كثيراً لينكر وجود كثير من الأحاديث النبوية خلال العهود الأولى من الإسلام، وهو ما عبر عنه في سياق آخر من كلامه حيث قال: "إن أفضل سبيل لإثبات عدم وجود حديث ما في وقت من الأوقات يكون بإثبات أن ذلك الحديث لم يستخدم دليلاً شرعياً في حجاج ما، في الوقت الذي يكون الاستدلال به فيه أمرا لازما إذ لو كان الحديث موجودا لكانت الإشارة إليه أمرا ضرورياً...ويمكننا أن نفترض بكل ثقة (يلاحظ استعمال لفظة افتراض) أن أحاديث الأحكام التي نحن بصددها قد استشهد بها على أنها حجج من قبل أولئك الذين عقدوا العزم على تأييد أحكامهم ما إن وضعت تلك الأحاديث قبل التداول"[٢].

إن هذا المنهج الافتراضي الذي سلكه شاخت لا يمكن قبوله أو الركون إليه إلا إذا سلمنا جدلاً بصحة الافتراضات الآتية:

١ –كلما ذكرت الأحكام الشرعية في القرنين الأول والثاني ذكرت معها ادلتها المؤيدة ولا سيما الأحاديث.

٢ –إن الأحاديث المعروفة لفقيه ما أو محدث ما ينبغي أن تعر ف بالضرورة عند كل فقهاء عصره ومحدثيه.

٣– إن كل الأحاديث المتداولة خلال مدة زمنية معينة ينبغي أن تكون منتشرة ومعروفة على نطاق واسع ومحفوظة بحيث إذا لم نتمكن من العثور على حديث ما ضمن أحاديث عالم معروف فإن ذلك يعني عدم وجوده في عصره[٣].

إن هذه الافتراضات لا تتفق والحقائق المعروفة والوقائع والحجج التاريخية، وشاخت نفسه يعلم كيف أن المصنفات الفقهية الأولى كان الباعث وراء تأليفها هو الرغبة في تدوين الأحكام الفقهية داخل المذهب، لذلك كان غالباً ما يكتفى بتدوين تلك الأحكام دون الحاجة إلى تدوين الأحاديث النبوية المؤيدة لها، ويشهد لهذا أن كثيرا من الأحكام الفقهية المستنبطة من القرآن كانت قد دونت ضمن تلك المصنفات دون أي إشارة إلى الآيات القرآنية ذات الصلة، ولا داعي للتدليل على أن أصحاب تلك المصنفات كانوا على علم بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية المستنبط منها.

وسنكتفي هنا بإيراد مثال مفند لقاعدة شاخت ومبين لعكس افتراضاته وكيف أن العالم يكون على بينة من الأحاديث النبوية ولا يذكرها في معرض جرده للأحكام الفقهية.

---

١ سوف يشار إليه بعنوان: مدخل إلى الفقه الإسلامي : J. Schact Introduction au Droit Musulman p. 34

٢ أصول الفقه المحمدي ص ١٤٠، ويراجع كتاب: دراسات في الحديث النبوي للدكتور محمد مصطفى الأعظمي ٤٤٧ .

٣– توثيق الأحاديث النبوية لظفر أسحاق الأنصاري.

Zafar Ishaq Ansari ;The anthenticity of traditions p 151

ففي الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي يمكن العثور على كثير من الأحاديث المؤيدة لأحكام مذهب الشيباني الفقهية لكنها لا توجد في الموطأ برواية الشيباني[١]، إن كتاب مواقيت الصلاة في موطأ مالك برواية الليثي يتضمن ثلاثين حديثاً لم يذكر منها في الموطأ برواية الشيباني إلا ثلاثة فقط، ولدى مقارنة باب "النداء في الصلاة" الوارد في موطأ مالك برواية الليثي بنظيره في الموطأ برواية الشيباني يتبين أن عدة أحاديث في موطأ مالك لا توجد في الموطأ برواية الشيباني، وإن الأحاديث الموجودة في باب "من لا تجب عليه زكاة الفطر" وباب "مكيله زكاة الفطر" من موطأ مالك برواية الليثي لا توجد في الموطأ برواية الشيباني.

وهكذا فإن عدم ورود كثير من أحاديث مالك رحمه الله في الموطأ برواية الشيباني لا يثبت أن الشيباني لم يكن على دراية بها، خاصة وأن البعض منها ورد ذكره في كتاب الآثار للشيباني الذي طالما رجع إليه شاخت وقارنه بكتاب الآثار لأبي يوسف[٢].

وأن افتراض شاخت يمكن إسقاطه وتفنيده بمجرد وضع احتمالات معقولة وواقعية تعزز وجود الأحاديث النبوية وانتشارها ومعرفة الناس بها دون أن تكون بالضرورة محررة ومدونة في جميع الكتب، فالمصنف مثلاً قد يكون سمع الحديث وبلغه لكنه نسيه، لقد فقد الشافعي مثلاً عدة كتب من كتبه وكان لزاماً عليه الإتيان بالأحاديث التي لا يزال يذكر أنها متيقن من صحتها عند بعض العلماء[٣] ويذكر -أي الشافعي- في سياق آخر من كتابه الأم أنه أفرغ فيه ما كان ضرورياً وكافياً دون محاولة تدوين كل ما كان يعرفه[٤]، وفضلاً عن كل هذا فالمصنف قد يكون سمع الحديث لكن لم يره صحيحاً.

إن تجاهل مثل هذه الاعتبارات التي تثبت عدم إمكان العثور على كل الأحاديث النبوية المتداولة في المصنفات بالرغم من وجودها ومعرفة العلماء بها يجعل من قاعدة شاخت افتراضاً متهافتاً لا يصمد أمام قواعد البحث العلمي الحصيفة.

المبالغة في إثارة الشكوك حول الأحاديث الصحيحة بدعوى تعارضها مع صريح المعقول:

اتباع منهج الشك والمبالغة في إثارة الشكوك حول الروايات الصحيحة المرتبطة بعلوم السنة أمر دأب عليه معظم المستشرقين الذين اعتمدوا في ذلك على عملية التركيز على الأحاديث الثابتة التي تخدم أغراضاً ومقاصد لا توافق أهواءهم وغاياتهم، لذلك فهم يقومون بالانتقاء المغرض بطريقة هادفة إلى ما يصبون إليه من نتائج عكسية، كما أن عدم ثقتهم في صحة معظم الأحاديث دفعهم إلى الشك في أمانة نقله وسلامة روايته إضافة إلى اتهام كل الأطراف وإن تعلق الأمر بالعلماء الأتقياء بوضع الأحاديث واختلاقها لأهداف سياسية مذهبية.

١- انظر على وجه الخصوص الأحاديث رقم : ١-٣-٥-٦-٧-٩.

٢- وقفنا عند هذه المقارنة لأن شاخت قضى وقتا غير قليل في دراسة الأحاديث الفقهية من خلال دراسته للموطأ بالروايتين المذكورتين (انظر: دراسات في الحديث النبوي للاعظمي ص ٤٣٩.

٣- الرسالة للشافعي، ص٤٣١ .

٤- الأم للشافعي، ١٧٧/٤ .

ويدخل ضمن منهج الشك المتبع المبالغة في إثارة الشكوك حول الأحاديث الصحيحة بدعوى تعارضها مع العقل وغالوا في ذلك مثل ما غالت المعتزلة قديما في رد بعض ما تستبعده عقولهم من صحاح الأحاديث مثل رد الأحاديث التي تحدثت عن سؤال الملكين في القبر وموقفهم من أحاديث الميزان والصراط ورؤية الله تعالى في الجنة وغير ذلك[1].

وقد ذكر الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام أن "من خصال أهل الانحراف ردهم للأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم وبدعوى أنها مخالفة للمعقول وغير جارية على مقتضى الدليل فوجب ردها"[2].

ويبدو أن المستشرقين في مسلكهم القاضي بإثارة الشكوك حول الأحاديث الصحيحة المنافية في اعتقادهم لصريح المعقول قد تأثروا بالمنهج الاعتزالي وإن لم يكونوا يشيرون إليه، أما من لف لفهم من المستغربين أمثال أحمد أمين، ومحمود أبو رية والمستشار العشماوي فمن الثابت أن حظهم من التأثر بالمنهج الاعتزالي ليس ضئيلاً.

إن معظم المستشرقين يصرون على التركيز على الخلافات المتعلقة بالقضايا الفقهية في مجال العبادات والمعاملات وخاصة عندما يتم التعرض لظهور مدرستي الحديث والرأي، ويبالغ جولدزيهر في استعمال عقله من أجل فهم ملابسات وظروف ظهور الاختلافات الفقهية ومبررات كل فريق في دعم موقفه، فيطرح بهذا الصدد عدة تأويلات وتفسيرات فيها كثير من التعسف ومجاوزة الحد في الشك والنفي، فهو يرى أن كثيراً من الأحاديث النبوية إنما تفهم من خلال مضمونها على أنها عبارة عن انعكاس فعلي للتطور الإسلامي السياسي والاجتماعي والفقهي، وبالتالي فإن هذه الأحاديث موضوعة لمواكبة هذا التطور الذي حصل في جميع مناحي الحياة الإسلامية، ومن ذلك شكه في الحديث النبوي "اختلاف أمتي رحمة"[3] حيث ذهب إلى أنه من اختلاق الفقهاء ما دام أنه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن هناك اختلافات تذكر، لكن عندما ظهرت الاختلافات بقوة ناسب أن يكون الحديث قد وضع ونسب إلى الرسول عليه السلام، فالرجل يرى أنه عبارة عن تبرير واضح للخلافات المتعلقة بالقضايا الفقهية، وهذا كلام مردود عليه إذ الفقهاء واعون جميعاً بأن اختلافهم إنما هو في الأحكام المسنبطة من النصوص القرآنية والنبوية وهو أمر راجع إلى اختلافهم في فهم النصوص وتطبيقها واختلافهم في كيفية توظيف القواعد والأصول التي تستنبط عن طريقها هذه الأحكام.

إن منهج إثارة الشكوك حول الأحاديث الصحيحة بدعوى تعارضها مع العقل هو المنهج الذي أراد المستشار العشماوي أن يطبقه على صحيح البخاري إمعانا منه في نسف الثقة وإثارة الشك حول صحة ثاني كتاب بعد كتاب الله تعالى، فيقول مثلا: "ومن الأحاديث الثابتة في صحيح البخاري المعتبر أنه أصح كتب الحديث وتتنافى مع العقل وتتجافى مع المنطق أحاديث كثيرة نذكر منها ثلاثة: أولها حديث أبي هريرة: إذا وقع الذباب في إناء أحدكم

١- تفصيل ذلك في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة في مواطن متفرقة ويراجع كتاب: كيف نتعامل مع السنة، للدكتور يوسف القرضاوي ص١٧٤ .

٢- الاعتصام ٢٣/١.

٣ أسنده البيهقي في مدخله وكذا الديلمي في مسند الفردوس ، كلاهما من حديث ابن عباس مرفوعا ، وقال العلامة المناوي في تخريجه في كتابه فيض القدير (١٢٢/١): ليس بمعروف عند المحدثين " وقال الحافظ العراقي: سنده ضعيف.

فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء"[1] ثم يعلق على الحديث فيقول: "وهو حديث واضح المخالفة للعقل والمجانبة للذوق ولو قُوم طبقاً لهذه المعايير لتعين تجاوزه أو على الأقل لعد متوافقا مع ظروف عصره فحسب"[2].

إن تركيز المستشار العشماوي على هذا الحديث يظهر منه تأثره الواضح بالمعتزلة وغيرهم من العقلانيين القدامى الذين ردوا الحديث لأنه بزعمهم يتنافى مع العقل الراجح ويتجافى مع المنطق السليم، وكأنه لا عقل ولا منطق إلا ما مالت إليه الأهواء، وحديث الذباب من الأحاديث التي وقف عندها العلماء قديما ليدفعوا عنه تأويلات الجاهلين الذين ليس في قناعاتهم سوى كون الذباب حاملاً للجراثيم والميكروبات، ولا يعقل أن يحمل في أحد جناحيه شيئاً من الشفاء أو الدواء.

ولقد أبدع الحافظ ابن حجر في جمع نقول متنوعة عن بعض العلماء الذين بينوا عوار المنهج التشكيكي في مثل هذه الأحاديث، من ذلك ما نقله عن الإمام الخطابي (ت٣٨٨هـ) الذي قال: "تكلم عن هذا الحديث من لا خلاق له، فقال: كيف يجتمع الشفاء والداء في جناحي الذباب، وكيف يعلم ذلك من نفسه حتى يقدم جناح الشفاء؟ وما ألجأه إلى ذلك؟ قال (أي الخطابي): وهذا سؤال جاهل أو متجاهل، فإن كثيراً من الحيوان قد جمع الصفات المتضادة وقد ألف بينها وقهرها على الاجتماع وجعل منها قوى الحيوان، وأن الذي ألهم النملة اتخاذ البيت العجيب الصنعة لتعسل فيه وألهم النملة أن تدخر قوتها أوَان حاجتها وأن تكسر الحبة نفسها نصفين لئلا تستنبت لقادر على إلهام الذبابة أن تقدم جناحا وتؤخر آخر" [3].

وفي العصر الحديث أكد المتخصصون أن الذبابة تحتوي على أجسام مضادة للجراثيم التي تحملها من الأماكن القذرة التي تمر عليها، ويستنتج من مجموع الأبحاث والمراجع البكتريولوجية أن الذبابة إذا وقعت على الأكل فإنها ستلمسه بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية أو إذا تبرزت على الغذاء فإنه سيلوثه، أما الفطريات التي تفرز المواد (المضادة للحيوية Antibiotiques) والتي تقتل الجراثيم المرضية –الموجودة على أرجل الذبابة أو في برازها– فتوجد على بطن الذبابة ولا تنطلق مع سائل الخلية المستطيلة من الفطريات إلا بعد أن يلمسها السائل الذي يزيد الضغط الداخلي لسائل الخلية[4]، وهكذا يتبين أن التوجيه النبوي بغمس الذباب في الإناء الذي وقع فيه إنما هو لإفساد مفعول الجراثيم التي ترسبت في الإناء.

منهج نفي الروايات:

أسرف كل من جولدزيهر وشاخت في استخدام هذا المنهج، حيث أكثرا من استخدام عبارات (مما يدعو إلى الشك) (لو صدقنا الحديث) (إذا أمكن قبول الرواية) و (الرواية موضوعة) وغير ذلك من العبارات التي يفهم منها

١– حقيقة الحجاب وحجية الحديث ص ٩٢ والحديث رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم وكذا في كتاب الطب ، باب إذا وقع الذباب في الإناء.

٢ – حقيقة الحجاب وحجية الحديث ص ٩٣ .

٣ – فتح الباري، ١٠/١٩٧.

٤ – بحث للدكتورين محمود كمال وعبد المنعم حسين ، مجلة الأزهر عدد رجب ١٣٧٩، مجلد ٣٠ ص ٥٧٨–٥٨٠ .

النزوع نحو نفي الروايات الحديثية(١)، وفي إطار هذا المنهج شككا في روايات أبي هريرة وكعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهم.

ومن خلال دراسة جولدزيهر لجهود بعض علماء الجرح والتعديل في التمييز بين الصحيح والسقيم من الأحاديث ادعى أن المسلمين وضعوا أحاديث قاسية في مواجهة واضعي الأحاديث المختلقة، وهي الأحاديث التي يفهم من صياغتها أنها تهدد الوضاعين والمدلسين بعذاب النار وغير ذلك من الوعيد القاسي، ومثال ذلك اختراع المسلمين في مرحلة متأخرة الحديث القائل: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"(2)، وقد روي هذا الحديث بألفاظ وصيغ مختلفة، ويزعم جولدزيهر أن هذا الحديث لم يكن معروفاً زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ما دام قد روي بألفاظ مختلفة وطرق شتى[٣]

ونفس الزعم ذهب إليه محمود أبو رية عندما تأثر بفكرة جولدزيهر فذهب إلى أن الحديث موضوع وأكد أنه ليس متواتراً كما يذهب إلى ذلك جميع العلماء المسلمين وانتهى إلى نتيجة مفادها أن بعض الناس كذبوا على النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته مورداً بذلك الشواهد التي تدعم دعواه[٤].

أما أحمد أمين فرأى رأيا آخر وفهم سياق الحديث وسبب وروده بطريقة أخرى ،حيث ذهب إلى أن "هناك من استباحوا لأنفسهم وضع الحديث ونسبته كذبا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويبدو أن هذا الوضع كان في آخر حياة الرسول عليه السلام ، فحديث: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" يغلب الظن على أنه قيل لحادثة حدثت زُور فيها على رسول الله، وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم كان الكذب عليه أسهل وتحقيق الخبر عنه أصعب"

وقد علق الشيخ أحمد شاكر على فرية جولدزيهر عندما نص عليها في مادة "حديث" من دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الأولى قائلاً: "إنما أفرد كاتب المقال هذا النوع لأنه لا يريد أن يسلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه يوحى إليه من عند الله، فهو لذاك يعتبر أن كل حديث من هذا النوع مكذوب لأن صحته معناها صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أخبر عن شيء قبل وقوعه".

التوسع والغلو في التأويل وعدم القدرة على فهم الأحاديث في ضوء أسبابها وملابساتها ومقاصدها:

يخيل للمتابع والفاحص لما سطره بعض المتأثرين بالمناهج الاستشراقية في فهم السنة النبوية أنه لكثرة ما يفسحون المجال واسعا لعقولهم لكي تحكم على الأحاديث انطلاقاً من نظرات خاطفة ومواقف متسرعة تنتج عنها أحكام مغلوطة واستنتاجات مغلوطة يغالون في تأويل كل شيء مظهرين نفورهم مما لا تحتمله عقولهم التي تنظر بمنظار مادي محض.

---

١ أنظر على سبيل المثال ص ٢٩٨ من دراسات محمدية و ص ١٤٠ من أصول الفقه المحمدي لشاخت.

٢- رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم وفي كتاب الأدب باب من سمى بأسماء الأنبياء ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق،باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.

٢ - دراسات محمدية ص ١٠٢

٤ أضواء على السنة المحمدية ص ٣٨-٤٠

ومما يدخل في هذا السياق ردهم لبعض الأحاديث الصحيحة المتعلقة بالغيبيات وقد صح ثبوتها حسب قواعد أهل العلم وسلف الأمة المقتدى بهم ولا يجوز ردها لما تحتمله عقولنا.

ونبقى مع صحيح البخاري الذي تواردت عليه أقلام بعض المستغربين الذين عقدوا العزم على استهداف أصح كتاب بعد كتاب الله لكي يبثوا في النفوس الشك والبلبلة وتوهين الثقة في المسلمات والبداهات التي يؤمن بها المسلمون، فقد حكم أحمد أمين بالوضع على حديث "لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة"، وهو الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه[١]، وقد ظن مؤلف "فجر الإسلام" أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم الإخبار بانتهاء الدنيا بعد مائة سنة حيث اقتصر على إيراد جزء الحديث فقط، وهو الجزء الذي أورده البخاري في كتاب العلم على طريقته في تقطيع الحديث في أبواب متعددة ، لكن البخاري أورد الحديث كاملا في كتاب مواقيت الصلاة كما سيأتي. ومن هنا حكم عليه بالوضع واتهم علماء الحديث بأنهم اهتموا بالإسناد ولم يلتفتوا إلى مضمون الحديث، يقول أحمد أمين: "ولكنهم عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن، فقل أن تظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا يتفق والظروف التي قيلت فيه، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه...حتى نرى البخاري نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال، كحديث: (لايبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة)[٢].

ان الحديث الذي ذكره أحمد أمين هو جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري في باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء من كتاب الصلاة وجاء فيه أن عبد الله بن عمر قال: صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "أرايتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو "اليوم" على ظهر الأرض أحد"، فنص الحديث واضح في أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر صحابته في آخر حياته وجاء في رواية جابر –قبل وفاته بشهر– أن من كان منهم على ظهر الأرض حياً حين قال الرسول عليه السلام تلك المقالة لا يعمر أكثر من مائة سنة، ولم يفطن بعض الصحابة إلى تقييد الرسول عليه السلام بمن هو على ظهرها –اليوم– فظنوه على إطلاقه وأن الدنيا تنتهي بعد مائة سنة، فنبههم ابن عمر إلى القيد في لفظ الحديث وبين لهم المراد منه[٣].

قال الحافظ ابن حجر: "وقد بين ابن عمر في هذا الحديث مراد النبي صلى الله عليه وسلم وأن مراده أن عند انقضاء مائة سنة من مقالته ينخرم ذلك القرن فلا يبقى أحد ممن كان موجوداً حال تلك المقالة وكذلك وقع

---

١ – أخرجه البخاري في صحيحه كتاب مواقيت الصلاة باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء وكذا في كتاب العلم باب السمر في العلم.

٢– فجر الإسلام ص ٢١٨.

٣– السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٢٧٩.

٤ –منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عنتر ص ٤٧٠ ومنهج نقد المتن للدكتور صلاح الدين الأدلبي ص٢٠٧.

بالاستقراء فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجوداً حينئذ أبو الطفيل عامر بن واثلة، وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتاً.

أما النووي فقد نبه إلى ما قد يلتبس على من لم يفهم الحديث جيداً فقال: "والمراد أن كل نفس منفوسة كانت الليلة على الأرض لا تعيش بعدها اكثر من مائة سنة سواء قل عمرها قبل ذلك أم لا، وليس فيه نفي عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة".

إن صاحب "فجر الإسلام" يريد من خلال حكمه على الحديث بالوضع أن يوهم قراءه بأنه اكتشف عواراً كبيراً في منهج المحدثين عندما ركزوا على نقد الإسناد الذي أفادهم بصحة الحديث لكن أغفلوا نقد المتن الذي يفهم من مضمونه أنه يتعارض مع العقل السليم الذي ينفي التنبؤ بمثل ما جاء في الحديث.

وهذا الحديث الذي عده كثير من العلماء والباحثين صورة أخرى من صور الإعجاز في السنة النبوية مما يعتقد المسلمون بأنه أمر طبيعي في حق خاتم الأنبياء عليه أفضل الصلاة والسلام يصبح حسب معايير النقد الحديثي الجديدة التي ارتآها أحمد أمين حديثا مكذوباً لا يقبله العقل، إن أحمد امين وغيره من المستغربين ممن آثر اتباع المناهج الاستشراقية المغرضة لم يكلفوا أنفسهم عناء الاطلاع على جهود علماء الحديث في نقد المتن حيث كشفوا علامات الوضع في المتن التي من بينها فساد المعنى بأن يكون مخالفا لبدهيات العقول من غير أن يمكن تأويله ، وركاكة اللفظ أو أن يكون مخالفاً للقواعد العامة في الحكم والأخلاق أو داعياً إلى الشهوة والمفسدة أو مخالفا للحس والمشاهدة أو أن يكون مخالفاً لقطعيات التاريخ وغير ذلك مما لا يقبله العقل السليم، وهذه العلامات مما يتدخل فيها العقل المسدد والسليم والذي لا يغشاه الهوى والتأويل الفاسد، أما مجاوزة الحد في استعمال العقل والاعتداد به على غير هدى أو بصيرة أو أساس من القواعد العامة المأخوذة من القرآن والسنة فإنه أمر يخرج صاحبه عن دائرة الاجتهاد والذي قد يصيب صاحبه شيئا من الأجر مهما أخطأ، لكنه في مثل هذه الحالات التي يشتم منها رائحة الطعن والافتراء والسعي إلى زعزعة الثقة في المسلمات التي يجزم بها المسلمون والتهوين من القضايا التي تم الإجماع عليها فإن الأغراض غير العلمية تبدو واضحة جلية خاصة عندما يكون الهدف هو التهوين من مكانة السنة النبوية في نفوس المسلمين والعمل على تضعيف الثقة في علماء الصحابة أمثال أبي هريرة رضي الله عنه في الحديث النبوي وابن عباس رضي الله عنهما في التفسير القرآني، فأبو هريرة رضي الله عنه مثلاً قد وجهت إليه سهام التجريح والتضعيف والطعن من طرف المستشرقين وعلى رأسهم جولدزيهر(١).

إسقاط الواقع المعيش على معطيات السنة النبوية:

تفسير الوقائع والنصوص بالإسقاط أمر دأب المستشرقون على توظيفه في أبحاثهم، ونعني بالمنهج الإسقاطي إسقاط الواقع المعيش والمعارف الحديثة على الحوادث والوقائع والمعطيات التي تنضح بها نصوص القرآن والسنة النبوية، ويمكن الاستشهاد في هذا السياق بما ذكره الدكتور عبد الرحمن بدوي من أن "جولدزيهر كان ينهج في أبحاثه منهجاً استدلالياً لا استقرائياً فكان يقبل على النصوص وفي عقله جهاز من المقولات والصور الإجمالية يحاول

٢- لا تكاد تخلو دراسة من دراسات المستشرقين المعاصرين المهتمين بالسنة النبوية من الخوض في حياة أبي هريرة (ض) ومبلغه من الحفظ والتحديث ، وهم بذلك واصلوا ما بدأه سلفهم جولدزيهر.

تطبيقها على هذه النصوص والتوفيق بينها وبين ما يوحي به ظاهر النص حتى يتلاءم وهذه الصور الإجمالية وحتى يدخل في نطاق تلك المقولات"[١].

وقد سار على هذا المنهج الاستشراقي بعض المستغربين الذين تأثروا بمناهج المستشرقين في دراسة السنة النبوية فنظروا إلى بعض الأحاديث النبوية انطلاقاً مما يعرفه الواقع الذي نعيشه من قضايا معتبرة أو عادات وأعراف مألوفة فيتم إسقاط ذلك على مضامين ومعطيات السنة النبوية دون أدنى مراعاة لمصدر الوحي الذي تستند إليه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أو اعتبار لما يمكن أن يحمل عليه الكلام النبوي من مجاز وتمثيل.

ومن هذا القبيل ما ذهب إليه المستشار العشماوي من أن هناك أحاديث تنافي العقل وتجافي الذوق في صحيح البخاري لأنها تتعارض مع ما هو متعارف عليه في واقعنا المعاصر ،واستشهد لذلك بحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: "كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر أين تغرب الشمس؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال، فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى: {والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم} (سورة يس: ٣٨) وفي رواية: فإنها تستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها قيل لها: ارجعي من حيث شئت فتطلع من مغربها"[٢].

علق المستشار العشماوي على الحديث قائلاً: "والمعلوم حالياً في المعارف البشرية والعقل الإنساني وصميم العلوم أن الشمس لا تتحرك نحو المغرب ولكن الأرض تدور من الغرب إلى الشرق حول الشمس وأن الشمس لا تسجد، وإنما تشرق في أماكن أخرى (أمريكا ثم شرق آسيا ثم وسط آسيا) حتى تصل إلى منطقة الشرق الأوسط، ومؤدى ذلك أن التسليم بصحة الحديث يلغي كل المعرف العلمية والمفاهيم العقلية، وهو ما لا يدعو إليه الإسلام بل يأمر بضده"[٣].

يبدو الرجل إذن معتداً بعقله وفهمه إلى أقصى الحدود، ولربما اعتقد -وهو ما يفهم من كلامه- أن علماء الحديث- المعاصرين منهم على وجه الخصوص- لم يفطنوا إلى هذا التعارض بين مضمون الحديث وما أفرزته المعارف العلمية والعقلية الحديثة إلى أن اكتشفه هو وبنى عليه عدم صحة الحديث ضارباً عرض الحائط كل إمكانية أو احتمال لفهم الحديث من منظور غير المنظور المبني على استخدام العقل وتوظيفه بصورة غير سليمة.

لقد سبق أن بيّن العلماء مقصد الحديث والمراد منه فبينوا أن الكلام يحمل على أنه مجاز حيث "يصور خضوع الشمس لله في كل وقت تغرب فيه عن قوم وهي تغرب كل لحظة عن مكان من الأمكنة، هي إذ تخضع لله وتسجد له في كل وقت وتطيعه وتسير على القانون الذي وضعه رب العزة لها دون خروج على نظامه الذي قدره للكون جميعه {لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون} (سورة يس)، ، وشأنها

٣- المرجع السابق ص ٣١١.

١- صحيح البخاري ،كتاب التوحيد، باب :وكان عرشه على الماء.ورواه أيضا في كتاب الايمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه إيمان.وانظر فتح الباري٢/١٩٥

٢- حقيقة الحجاب وحجية الحديث ص ٩٢.

في هذا شأن المخلوقات جميعها في الطاعة والخضوع،وهو مصداق قوله تعالى: {ولله يسجد من في السماوات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال} (سورة الرعد: ١٥).

ومن الإعجاز النبوي في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: (وكأنها قيل لها ارجعي من حيث جئت) فلفظ "كأن" يوحي بأن المعنى ليس حسياً كما تصوره المستشار، وأسلوب الحديث هذا شائع في التعبيرات العربية[١]، وهناك من العلماء من ذهب إلى أن السجود هنا حقيقي ولكنه سجود يليق بطبيعة الشمس وليس كمثل سجود الآدمي لربه عز وجل[٢].

خاتمة

نتائج وتوصيات

هكذا إذن يظهر لنا بوضوح عقم المناهج التي سار عليها جولدزيهر وشاخت ومن لف لفهما من المستغربين في دراسة السنة النبوية على نحو يعطي للعقل مداه البعيد مع اتباع الهوى وعدم الاعتراف بجهود علماء الحديث في وضع قواعد النقد وتأويل مختلف الحديث، وهي مناهج تعالج الأحاديث الصحيحة الثابتة ووقائع السنة النبوية الغيبية وفق منظور مادي وعقلي محض، ومن المعلوم أنه ليس من المتاح لفئات المستشرقين قدامى كانوا أو معاصرين التخلص من خلفياتهم الفكرية التي نسجتها بيئات معينة وظروف خاصة ولا من رؤاهم المادية والتغريبية التي أملتها في البحث والتحليل.

وبعد دراسة بعض تلك المناهج التي نرى أنها الأكثر توظيفاً واعتماداً من طرف جولدزيهر وشاخت من جهة ومن تأثر بهم من أبناء المسلمين من جهة أخرى يمكن الخلوص إلى جملة من النتائج والتوصيات نوجزها فيما يأتي:

النتائج:

١. إن بحث وتحليل الخطاب الاستشراقي وموقفه من السنة النبوية ليس بالأمر الهين لأنه يتشكل في أنساق كثيرة واتجاهات متعددة تنطلق من تصوارت ورؤى خاطئة ناتجة عن سوء فهم أحيانا وسوء نية أحياناً أخرى كما تؤدي جميعها إلى نفس النتائج والأهداف مما كان له أثر واضح في إذكاء روح التعصب ضد السنة النبوية.

٢. إن الناظر المتامل والفاحص في كتابات جولدزيهر وشاخت ومن لف لفهما من المستغربين يظهر له أنه لا يمكن الاعتداد بها ألبتة لأنها لا محالة محطمة للمسلمات التي يجزم بها المسلمون ومشككة في البداهات التي يؤمنون بها.

٣. إن تعمد الإساءة إلى الإسلام وتضليل القراء عن حقائقه يظل هو السبب الرئيس وراء العمل على التشويش على رسالة السنة النبوية وتشويه مضمونها ومعطياتها .

٤. هناك عجز واضح للمستشرقين وبعض المستغربين عن تمثل عدد من المسائل الروحية العميقة المرتبطة بالغيبيات وقضايا الإعجاز في السنة النبوية.

٣- دفاع عن السنة للدكتور محمد أبو شهبة ، ص ٥٠.

١-كتب السنة : دراسة توثيقية للدكتور رفعت فوزي ، ص١١٥ .

٥. إن معظم المباحث والقضايا التي تعمد المستشرقون ومن لف لفهم من المستغربين التضليل فيها هي مباحث وقضايا جاءت في صحيح البخاري مما يعني أن الهدف هو تحطيم الثقة في ثاني كتاب بعد كتاب الله عز وجل.

٦. الملاحظ أن دس جولدزيهر وشاخت يأتي ظاهرا أحيانا ، لكنه يتخفى أحيانا أخرى في تعبيرات شبه مؤدبة ومناهج ملتوية ، أما دس بعض المستغربين فيكون ظاهرا وواضحا ، بل فيه أحيانا من الوقاحة والإسفاف ما لا يوجد عند المستشرقين.

٧. إن المستغربين المعاصرين الذين انساقوا وراء أفكار جولدزيهر وغيره يرددون آراء هؤلاء دون الالتفات إلى آراء وردود من ناقشوهم وانتقدوهم من علماء المسلمين.

٨. إن مجاوزة الحد في استعمال العقل في فهم السنة النبوية يأتي في دراسات هؤلاء وأولئك من المستشرقين والمستغربين عبارة عن رد الأحاديث الصحيحة بالهوى والتعالُم وسوء الظن في علماء الحديث النبوي.

التوصيات:

١ - الدعوة إلى تدريس السنة وعلومها لطلاب الجامعات الإسلامية وغيرها مرتبطا بالرد على شبهات المستشرقين والمستغربين وطعونهم منعا لحدوث التشويش والبلبلة في عقول الناشئة من طلابنا.

٢ - اعتبارا للموقع الخطير الذي يحتله كل من جولدزيهر وشاخت في المنظومة الاستشراقية والتأثير الكبير لكتاباتهما على الدراسات الإسلامية المنفتحة على الاستشراق المعاصر .ينبغي التصدي لذلك من خلال إعداد ردود علمية واقعية ومحيطة بكل ما كتبه هذان المستشرقان حول السنة النبوية.

٣ - العمل على تصحيح صورة السنة النبوية في الموسوعات ودوائر المعارف الأجنبية من خلال تنبيه المشرفين عليها على الافتراءات والشبهات الواردة بأقلام كُتاب موادها.

٤ - ينبغي التحذير باستمرار من خطورة التأثر بمناهج المستشرقين عموما في دراسة السنة النبوية وعلومها وخاصة في صفوف طلاب الجامعات.

٥ - يجب رصد ومتابعة كل ما يكتب عن السنة النبوية في معاقل الاستشراق الحديثة من أبحاث ودراسات بمختلف اللغات الأجنبية ثم القيام بالرد عليها وتعميم الفائدة بها.

المصادر والمراجع

١ - الإسرائيليات في الغزو الفكري للدكتورة عائشة عبد الرحمن نشرجامعة الدول العربية بالقاهرة١٩٧٢ .

٢ - أصول الفقه لجوزيف شاخت،ترجمة ابراهيم خورشيد واخرين.دار الكتاب اللبناني ببيروت ١٩٨١

٣ - أضواء على السنة المحمدية لمحمد محمود أبو رية ، طبعة دار المعارف بالقاهرة.

٤ - الإعجاز العلمي في السنة النبوية للدكتور زغلول النجار ، مطبعة نهضة مصر ٢٠٠١.

٥ - آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية للدكتور حسن عزوزي طبعة فاس٢٠٠٧.

٦ - تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، طبعة بيروت ١٩٧٢.

٧ -التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية للدكتور عبد الرحمن بدوي طبع دار القلم ببيروت ط١٩٨٠/٤.
٨ -ترتيب المدارك في أعلام مذهب مالك،طبع وزارة الاوقاف المغربية بالرباط ط١ -١٩٧٨
٩ -التمهيد لابن عبد البر ، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط ١٩٨٥.
١٠ -حقيقة الحجاب وحجية الحديث للمستشار سعيد العشماوي الطبعة الثانية،مدبولي ١٩٩٥.
١١ -دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الأولى ترجم منها الى حدود حرف العين(١٦مجلدا)القاهرة١٩٧٤.
١٢ -دراسات في الحديث النبوي للدكتور مصطفى الاعظمي –المكتب الإسلامي ببيروت ١٩٨٠.
١٣ -دفاع عن السنة ضد مطاعن المستشرقين للدكتور محمد أبو شهبة ، القاهرة ، ط ١٩٨٩/١.
١٤ -دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين للشيخ محمد الغزالي ، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ، ط١٩٧٧/٢.
١٥ -السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي –المكتب الإسلامي ببيروت ط ١٩٨٢/٣.
١٦ -سنن أبي داود ،تصحيح محمد محيي الدين ، نشر دار إحياء السنة النبوية .
١٧ -سنن الترمذي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ط ١٩٧٤/٢ دار الفكر ، مصر.
١٨ -سنن النسائي ، طبعة دار إحياء التراث العربي ببيروت.
١٩ -صحيح البخاري ، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار إحياء التراث العربي.
٢٠ -صحيح مسلم ،تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.طبعة دار احياء التراث العربي.
٢١ -فتح الباري ، شرح صحيح البخاري لابن حجر ، طبع دار الفكر ببيروت ط ١٩٩٣/١.
٢٢ -فجر الإسلام لاحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ط ١٩٥٩/٧.
٢٣ -كيف نتعامل مع السنة النبوية للدكتور يوسف القرضاوي دارالمعرفة بالدار البيضاء ١٩٩٠.
٢٤ -سنن الإمام احمد ، طبعة دار صادر بيروت.
٢٥ –المغني لابن قدامة مكتبة السنة بالقاهرة ١٩٨٩
٢٦ -منهج نقد المتن عند علماء الحديث للدكتور صلاح الدين الإدلبي ، دار الآفاق الجديدة ببيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٣.
٢٧ -موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ط ١٩٨٣/٣.
٢٨ -نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي لعلي حسن عبد القادر ،مكتبة القاهرة الحديثة ، الطبعة الثانية ١٩٥٦.
٢٩ -نقد المتن بين صناعة المحدثين ومطاعن المستشرقين لنجم الدين عبد الرحمن خلق، مكتبة الرشاد بالرباط، الطبعة الأولى ١٩٨٨.
٣٠ - Etudes Islamiques (Muhammedaniche Studien). Ignace Goldziher, traduction Léon Bercher.-Paris 1952.
٣١ - The Origins of Muhammedan Jurisprudence. oxford 1950.
٣٢ - Introduction au droit musulman -Joseph shacht.traduction paul kempf paris 1983.
٣٣ - The authenticity of traditions –Zafer Ishaq ansari.hamadarabad Islamicus n2 vol2 .

أساليب النبيّ في معالجة الغلو
عند الشباب

أ.د. عبد القادر مصطفى المحمدي
أستاذ الحديث النبوي وعلومه في قسم الحديث النبوي
كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية في بغداد
العراق
geem_wer@yahoo.com

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فإنّ الشباب هم حجر الزاوية في المجتمع وعماده، صلاحه من صلاحهم، وفساده من فسادهم، منهم العلماء والمفكرون والقادة، والتجار والأساتذة...وهم حماة الدين والمجتمع، أوّل المضحين، وعليهم تقوم الدعوات وبسواعدهم تبنى الأوطان، قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} (سورة الكهف: ١٣) "فذكر تعالى أنهم (فتية) وهم الشباب،وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا وعَسَوا في دين الباطل؛ ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم شبابًا"(١).

وهؤلاء الشباب هم المادة الخام لكل شيء ،للخير أو للشّر، فالطاقات الكامنة داخل الشباب قد تكون خيراً للبلاد والعباد، متى ما استعملت في الخير وتوجهت الوجه الصالحة، واستنارات بنور العلم والهدى، وقد تكون شراً مستطيراً تطيح بالبلاد والعباد، وتدمر المجتمع إذما تركت تلك الطاقات للعابثين المنحرفين، نسأل الله العافية.

ثم تأمل قول عمر رضي الله عنه لقبيصة بن جابر: "إني أراك شابّ السنِّ، فسيح الصدر، بيّن اللسان، وإنّ الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيئ، فيفسد الخلقُ السيئ الأخلاقَ الحسنة، فإياك وعثرات الشباب"(٢).

وهذه العثرات بعضها يتعلق بالسلوك، وبعضها بالعبادة، وبعضها بالعقيدة، وأخطرها تلك التي تمس العقيدة، فليس بعدها خطر إلاّ الكفر والعياذ بالله، وهل قتل عثمان وعلي رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة إلا بتأويلات من أمثال هؤلاء الغلاة؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأئمة أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب"(٣).

وقال في عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه: "هو وغيره من الخوارج مجتهدين في العبادة، لكن كانوا جهّالاً فارقوا السنة والجماعة"(٤)، وقال بعض أهل العلم: "ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو ولا يبالي بأيهما ظفر، وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين: وادي التقصير ووادي المجاوزة والتعدي والقليل منهم جداً الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقوم قصر بهم عن الإتيان بواجبات الطهارة وقوم تجاوز بهم إلى مجاوزة الحد

(١) تفسير ابن كثير ١٤٠/٥.

(٢) إسناده صحيح ،أخرجه عبد الرزاق في المصنف ،كتاب المناسك، باب: الوبر والضبي ٤٠٧/٤ رقم (٨٢٤٠)،والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الحج باب: جزاء الصيد بمثل من النعم ١٨١/٥رقم(٩٦٤٣).

(٣) المجموع ٢٨٤/٧.

(٤) المصدر نفسه.

بالوسواس...وقصر بقوم حتى امتنعوا من ذبح عصفورٍ وشاة ليأكلوه، وتجاوز بآخرين حتى جرأهم على الدماء المعصومة"[١].

المبحث الأول:أنواع الغلو

للغلو أجناس عدة، تشملها أنواع رئيسة هي:

المطلب الأول: الغلو في الاعتقاد:

ظهر الغلو في هذا الجانب في وقت مبكر جداً، تولى كبره اليهود كعادتهم متمثلاً بعبد الله بن سبأ اليهودي الذي أثار أول فتنة من هذا القبيل في الأمة، لماّ زعم أنّ علياً بن أبي طالب رضي الله هو إله –تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً–وصار ابن سبأ هذا رأساً لفرقة ضالة تسمى السبأية نسبة إليه، وهو رأس الفتنة، إذ أظهر الإسلام وأبطن الكفر، ليفسد الدين بمكره وخبثه، كما فعل بولص بدين النصارى؛ فأظهر التنسك أولاً ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعده، وسعى في فتنة عثمان رضي الله عنه وقتله، ثم أظهر الغلو في علي رضي الله عنه لما قدم الكوفة، وادعى النص عليه والوصية له، ليتمكن بذلك من هدفه، ولما بلغ ذلك علياً رضي الله عنه طلبه لقتله فهرب منه إلى قرقيسيا[٢].

فهذا الغلو العقدي الذي وقعت فيه بعض الفرق في وقت مبكر من التاريخ الإسلامي أدّى بهم إلى هذا الانحراف العقدي الخطير، وهو في الحقيقة نقض لمفهوم الوحدانية، فالنصوص التي أوردتها كتبهم المعتمدة في تأليه الأشخاص، وهو نتيجة متوقعة لكل من غالى في نبي أو ولي أو تقي، وهل أورد النصارى ما أوردهم إلا الغلو في عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام؟ لهذا حذر رب العزة جل جلاله في غير ما آية الأمة من الغلو تصريحاً أو تلميحاً، وكذا حذر النبيّ صلى الله عليه وسلم أمته من الغلو، فأخرج ابن ماجه عن أبي مسعود قال: أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه، فجعل ترعد فرائصه، فقال له: "هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد"[٣]، فالنبيّ صلى الله عليه وسلم رسّخ هذه القاعدة المهمة في الاعتدال والتوسط في التعامل مع شخصه صلى الله عليه وسلم خوفاً على الأمة من الغلو الذي أردى النصارى في مهاوي الشرك، إذ غالوا في عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حتى جعلوه ولداً لله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ومن ذلك ما أخرجه البخاري من حديث عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله"[٤].

---

(١) إغاثة اللهفان،ابن قيم الجوزية ١/ ١٢٤.

(٢) ينظر السنة لعبد الله بن أحمد ٥٦٦/٢،والإبانة لابن بطة ص٣٣٤،ومجموع الفتاوى ٤٠٧/٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ،كتاب الأطعمة، باب :القديد١١٠٢/٢ (٣٣١٢)،والحاكم في المستدرك ،كتاب التفسير ،باب:سورة ق. وقال :صحيح على شرط الشيخين ،ولم يخرجاه! والصحيح فيه مرسلاً –دون ذكر أبي مسعود ﷺ – نصّ على ذلك ابن عدي في الكامل ٢٨٦/٦، الدارقطني في العلل كما نقله الخطيب البغدادي في تاريخه ٢٧٧/٦.وغيرهما.

(٤) صحيح البخاري ،كتاب الأنبياء ،باب: قوله تعالى :"واذكر في الكتاب مريم " ٣/ ١٢٧١(٣١٨٩).

فدقة النهي والتحذير من قبل النبيّ صلى الله عليه وسلم واضحة من التشبه بالنصارى، لأن بداية الغلو يبدأ من الإفراط في الحب أو البغض، والغلو رأس الطريق إلى الانحراف،والإطراء هو الإفراط في المدح، ومعناه: "لا تصفوني بما ليس فيّ من الصفات تلتمسون بذلك مدحي كما وصفت النصارى عيسى بما لم يكن فيه فنسبوه إلى أنه ابن الله فكفروا بذلك وضلوا"[١].

والنهي عن هذا الغلو يشمل التفريط والإفراط[٢]، وتأمل في تأصيل مفهوم الاعتدال في تعامل الأمة مع نبيها صلى الله عليه وسلم، فالوحدانية لله تعالى، المتفرد بالعبادة والمستحق لها، وكل الرسل إنما أرسلوا ليثبتوا هذه المسألة، يقول شيخ الإسلام: "وقد كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم موادّ الشرك؛ إذ هذا تحقيق قولنا لا إله إلا الله فإن الإله هو الذي تألهه القلوب؛ لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف حتى قال لهم: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد؛ ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد"[٣]، وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: "أجعلتني لله ندّاً؟ بل ما شاء الله وحده"[٤]...وقال لابن عباس: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما أنت لاقٍ؛ فلو جهدت الخليقة على أنْ تنفعك لم تنفعك إلاّ بشيء كتبه الله لك، ولو جهدت أنْ تضرك لم تضرك إلا بشيء كتبه الله عليك"[٥]...وقال في مرضه: "لعن اللهُ اليهودَ والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[٦]، يحذر ما صنعوا قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره؛ ولكن كره أنْ يتخذ مسجداً""[٧].

وهذا جزماً لا يعني الانتقاص من النبيّ صلى الله عليه وسلم –حاشاه– أو التقليل من قيمته فالنبيّ صلى الله عليه وسلم هو سيد ولد آدم أجمعين، ولكنّ الله تعالى أراد لهذه الأمة المعصومة أن تحافظ على مسارها الصحيح فهي آخر الأمم، ونبيها آخر الأنبياء، ولاسيما أنّ حبّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قد استحوذ على قلوب أصحابه فملأها على أفعالهم وسلوكهم فأراد النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يحصن أمته مما وقع فيه أتباع عيسى عليه السلام،

---

(١) تفسير القرطبي ٥/٢٤٧.

(٢) تفسير أضواء البيان،الشنقيطي ١/٣٦٢.

(٣) الحديث هنا بالمعنى وهو في مسند أحمد ٥/٣٩٣ وغيره من حديث حذيفة ﷺ قال :أتى رجل النبي ﷺ فقال : إني رأيت في المنام إني لقيت بعض أهل الكتاب فقال نعم القوم أنتم لولا إنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد فقال النبي صلى الله عليه و سلم قد كنت أكرهها منكم فقولوا ما شاء الله ثم شاء محمد".

(٤) أخرجه بهذا اللفظ ابن خزيمة في صحيحه ،كتاب: الزكاة ،باب:استحباب إتيان المرأة زوجها وولدها صدقة التطوع٤/١٠٦(٢٤٦١).

(٥) أخرجه أحمد ١/٢٩٣،والترمذي،صفة القيامة ،باب:(٥٩) حديث(٢٥١٦)وغيرهما.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الجنائز،باب:ما يكره من اتخاذ القبور مساجد (١٢٦٥)،ومسلم في صحيحه ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ،باب:النهي عن بناء المساجد على القبور (١١٢٣) وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

(٧) المجموع ١/٢٧.

ولهذا حذر أمته من إتباع سبيل النصارى أو اليهودي في المبالغة والإفراط في تعظيم أنبيائهم وأوليائهم فقال: "لا تتخذوا قبري عيداً"[1]، وغيرها من الأحاديث.

وهذه التربية العقائدية السامية لم تدع مجالاً للغلو والتفريط في كل الظروف، فأخرج البخاري من حديث الربيّع بنت معوّذ قالت: دخل عليَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم غداة بُني عليّ فجلس على فراشي كمجلسك مني، وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت جارية: وفينا نبيّ يعلم ما في غدٍ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "لا تقولي هكذا، وقولي: ما كنت تقولين"[2].

فهذه الجارية كانت تنشد في عرس، ولكنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يدع الكلمة تمر هكذا دون تنبيه وتعليم؛ لأنّ المسألة تتعلق بالله تعالى وصفاته، وأخرج أحمد عن أبي أمامة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوكئ على عصا فقمنا إليه، فقال: "لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً"[3]، لهذا حرّج النبيّ صلى الله عليه وسلم أشد التحرج من الغلو في شخصه وذاته صلى الله عليه وسلم؛ لأن الغلو فيه صلى الله عليه وسلم هو رأس الانحراف كما قلنا، وليس هذا الاحتراز مقصوراً على النبيّ صلى الله عليه وسلم بل كان الصحابة الكرام والسلف الصالح على هذا المنوال نفسه، وقصة علي رضي الله عنه لما أتي بالزنادقة الذين غالوا فيه حتى قالوا بإلوهيته أمر بتحريقهم بالنار.

المطلب الثاني: الغلو في العبادة

لما شرع الله العبادة للناس إنما أراد إصلاحهم وتنظيم شؤون حياتهم، فالعبادات هي محطات تزود إيمانية تجعل الإنسان ما ينفك من عبادة إلى عبادة، ومما ميز الإسلام ودعوته أنّه دين حياة وآخرة، فليس الرجل رجل أحدهما، وإنما رجلهما، فلا رهبانية ولا صومعة وإنما حياة المسلم كلها عبادة ما دامت نية هذا العامل لله تعالى، فكل سكون وحركة هي لله تعالى وحده، فالعمل عبادة، والأكل عبادة، والصوم عبادة، وحتى اللعب قد يكون عبادة، وكل مفاصل الحياة هي عبادة، حتى الرجل يقضي وطره من أهله صدقه، فقد أخرج مسلم من حديث أبي ذر: أنّ ناساً من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم؟ قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟، إنّ بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر"[4].

---

(١) أخرجه أحمد ٣٦٧/٢،وأبو داود في سننه كتاب المناسك ،باب :زيارة القبور١٦٩/٢برقم(٢٠٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب: المغازي ،باب :شهود الملائكة بدرا ١٤٦٩/٤برقم (٤٠٠١)،وغيره.

(٣) المسند ٢٥٣/٥.

(٤) صحيح مسلم،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ،باب: استحباب الذكر بعد الصلاة ٨٢/٣ (٢٣٧٦).

إذن فمفهوم العبادة في الإسلام واسع، واضح، سهل، يسير، بلا إفراط ولا تفريط ومن وفقّه الله لطاعته ويسر له السبيل فإنّ كل سكناته وحركاته صدقات، والعبادة هي صلة بين الإنسان وربه جل جلاله، وهذه الصلة مثل منظم الماء فلو تركتَ منظم الماء دون ضبط وحاولت سقي الأرض بغير ما نظام واعتدال -مثلاً- فإنّ الماء سيُغرق كل شيء ويُهلك الحرث والنسل، وهكذا العبادة التي لا تنضبط بضوابط الشرع (الكتاب والسنة)، فإنها ستتحول إلى غلوٍ وإفراط يذهب بالأجور، ويحول الطاعات إلى معاصي والعياذ بالله؛ لذا عنون البخاري رحمه الله تعالى باباً في صحيحه فقال: (باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع) [(١)] فقرن رحمه الله تعالى الغلو بالبدع، وفيه أشارة عظيمة منه رحمه الله تعالى إلى خطر الغلو ثم أورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال فقال له رجال من المسلمين فإنك يا رسول الله تواصل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقين"، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوماً ثم رأوا الهلال فقال: "لو تأخر لزدتكم" كالمنكي بهم حين أبوا"[(٢)]، وتأمل في قول الراوي: (كالمنكي لهم)، وفي رواية: (كالمنكل لهم)، وفي أخرى: (كالتنكيل لهم)، وكل هذا لأنّهم غالوا في صيامهم، فأراد صلى الله عليه وسلم أن ينبههم إلى ذلك.

وقد وضّح مثل ذلك سيدنا سلمان لما أنكر على أبي الدرداء انقطاعه عن أهله وعزوفه عنهم، فأخرج البخاري من حديث عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبيّ صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، قال: فصليا، فقال له سلمان: إنّ لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "صدق سلمان"[(٣)].

وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث أنس صلى الله عليه وسلم قال: جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"[(٤)].

(١) الصحيح ١١٠٤/٣،كتاب الجهاد باب: (١٦١).

(٢) الصحيح ١١٠٤/٣،كتاب الجهاد ،باب: (ما يكره من التنازع..)حديث(٦٨٦٩).

(٣) صحيح البخاري كتاب الصيام ،باب :من أقسم على أخيه ليفطر٦٩٤/٢ رقم(١٨٣٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب النكاح ،باب استحباب النكاح١٩٤٩/٥،رقم (٤٧٧٦). ومسلم،كتاب النكاح ،باب استحباب النكاح ١٠٢٠/٢،رقم (١٤٠١).وغيرهما

قال الحافظ في الفتح: "والمراد من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه، وطريقة النبيّ صلى الله عليه وسلم الحنيفية السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم وينام ليتقوى على القيام ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل، وقوله فليس مني إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه فمعنى "فليس مني" أي: على طريقتي ولا يلزم أن يخرج عن الملة، وإن كان إعراضاً وتنطعاً يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله فمعنى فليس مني ليس على ملتي؛ لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر" [1]، فالعبرة في العبادات الكيف لا الكم فليست العبرة بالكثرة والتلاوة، وإنما العبرة بموافقتها الشرع.

ثم تأمل في الطريقة المثلى في علاج بوادر الغلو في العبادة إذ أخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمرو قال: "أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنّته فيسألها عن بعلها فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً منذ أتيناه فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: "القني به"، فلقيته بعد، فقال: كيف تصوم؟ قال: كل يوم، قال: وكيف تختم؟ قال:كل ليلة، قال: "صم في كل شهر ثلاثة واقرأ القرآن في كل شهر"، قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك؟ قال: "صم ثلاثة أيام في الجمعة"، قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال:" أفطر يومين وصم يوماً"، قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: "صم أفضل الصوم، صوم داود، صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرة"، فليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذاك أني كبرت وضعفت فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً، وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئا فارق النبيّ صلى الله عليه وسلم عليه" [2].

فالنبيّ صلى الله عليه وسلم أراد أن يبين لعبد الله أنّ الحياة الأسرية وواجباتها عبادة، بل أحيانا تكون الأعباء الأسرية أكثر أجراً من القيام والصيام...فأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وأحسبه قال[3]:كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر" [4].

فالنبيّ صلى الله عليه وسلم أسس لهذا المنهج الوسط بعيداً عن الإفراط أو التفريط، حتى في مسائل ربما يعدها بعض القوم ليست ذات بالٍ، فروى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على ناقته القط لي حصى فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف فجعل ينفضهن في كفه ويقول: "أمثال هؤلاء فارموا"، ثم قال: "يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٤/٢٩٠.

(٢) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن ،باب: كم يقرأ من القران ٤/١٩٦٤(٤٧٦٥).

(٣) الشك من القعنبي.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الأدب،باب:الساعي على الأرملة والمسكين ٥/٢٢٣٧رقم (٥٥٤٨)ومسلم -واللفظ له- كتاب الزهد والرقائق ،باب: الإحسان إلى الأرملة٤/٢٢٨٦ (٢٩٨٢).وغيرهما.

الدين"[1]، حتى في الحصيات التي ترمى بها الجمرات حضَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوسط والاعتدال والابتعاد عن الغلو، والسؤال الذي قد يدور في البال: ما علاقة الغلو في الدين وانحراف الأمم بحصيات صغيرات؟ والجواب بكل وضوح: أنها مفتاح للمغالاة والتطرف، والحقيقة أنّ بداية انحراف الخوارج فكراً واعتقاداً هو التقعر والغلو في العبادات.

وأخرج الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: "ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل! قد خبت وخسرت، إن لم أكن أعدل"، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: دعه فإنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه، وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس"، قال أبو سعيد فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أنّ علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبيّ صلى الله عليه وسلم الذي نعته[2]، وتأمل في قوله صلى الله عليه وسلم: "يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم..."، ففيه إشارة إلى المبالغة في العبادات بنحو مبالغ فيه، والله اعلم.

المطلب الثالث: الغلو في السياسة

اعني به المبالغة في المواقف السياسية، واعني بها السياسية الشرعية (المنضبطة بالشرع)، من مفاوضات وعلاقاته دولية وغيرها، فالإسلام دين عالمي ومن أهم مميزاته (العالمية)، فالتوسط والاعتدال في المواقف السياسية هي من أهم سمات المنهج النبوي، ومثاله: ما أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنّ أبا سفيان بن حرب أخبره وكان ابن الناظور صاحب إيلياء وهرقل سقفا على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء...وفيه أن هرقل: "دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنّ عليك إثم الأريسيين...إلخ، قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات

---

(١) أخرجه أحمد ١/٢١٥،وغيره.

(٢) أخرجه البخاري ،كتاب المناقب ،باب :علامات النبوة ٣/١٣٢١(٣٣٤١)،ومسلم كتاب الزكاة ،باب: ذكر الخوارج ٢/٧٤١(١٧٦٥).

وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمرُ ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر! فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام..."[١].

وتأمل في قوله صلى الله عليه وسلم: (عظيم الروم) فاختار عبارة مؤثرة في السامع لتلين موقفه وتجعله يسمع بقلب واعٍ ثم في اختيار الآية: ﴿قل يأهل الكتاب تَعَالَوْاْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...﴾ اختياراً موفقاً، بأسلوب جمع بين الوضوح في الطرح والدقة في الهدف والمحافظة على مشاعر المخاطب، وهذه الموازنة صعبة جداً تحتاج إلى توفيق من الله تعالى.

ومن ذلك ما أخرجه مسلم من حديث البراء: "لما أحصر النبيّ صلى الله عليه وسلم عند البيت صالحه أهل مكة على أنْ يدخلها فيقيم بها ثلاثاً، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح السيف وقرابه، ولا يخرج بأحد معه من أهلها، ولا يمنع أحداً يمكث بها ممن كان معه، قال لعلي: "اكتب الشرط بيننا: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله"، فقال له المشركون: لو نعلم إنّك رسول الله تابعناك؛ ولكنْ اكتب: محمد بن عبدالله، فأمر علياً أن يمحاها، فقال علي: لا والله لا أمحاها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرني مكانها "، فأراه مكانها، فمحاها وكتب: "ابن عبد الله" فأقام بها ثلاثة أيام فلما أن كان يوم الثالث قالوا لعلي: هذا آخر يوم من شرط صاحبك فأمره فليخرج فأخبره بذلك فقال (نعم) فخرج"[٢].

وتأمل ههنا في موقف علي رضي الله عنه لما تحرج في محو كلمة (رسول الله) من الكتاب (الصلح) ثم يأمره صلى الله عليه وسلم أن يدله على مكانها فمحاها، فهذا الموقف من علي رضي الله عنه (الشاب) عالجه النبيّ بحكمة عالية وبسهولة وسلاسة (أرني مكانها) لأنه صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب، وقل مثل ذلك في تعامل النبيّ صلى الله عليه وسلم مع عمر رضي الله عنه من أهل الصلح فإنه كان معارضاً لكثير من بنوده[٣].

إذ عالج النبيّ صلى الله عليه وسلم استفهام عمر رضي الله عنه بطريقة رائعة، فقال له أولاً: "إن الله لن يضيعني"، ثم قرأ عليه ما نزل عليه في الحادثة من تبشير بالفتح ليهدئ من روعه ويطمئن قلبه، فتأمل! لم يتهمه بالمعارضة وإثارة الفتن أو غيرها من التهم بل عالج الموقف بهدي عظيم وأسلوب رائع.

المطلب الرابع: الغلو العسكري

أخرج أحمد وغيره من حديث جابر رضي الله عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رأيت كأني في درع حصينة ورأيت بقرا منحرة فأولت أنّ الدرع الحصينة المدينة، وأن البقر هو والله خير، قال: فقال لأصحابه: لو أنّا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم"، فقالوا: يا رسول الله والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام، قال عفان في حديثه: فقال: شأنكم إذاً، قال: فلبس لأمته قال: فقالت الأنصار:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب بدء الوحي ،باب:كيف كان بدء الوحي ١/٧ رقم (٦)، ومسلم كتاب الجهاد ،باب :كتاب النبيﷺ إلى هرقل ١١٧/٩ (١٧٧٣)وغيرهما.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجهاد ،باب: صلح الحديبية ١٤٠٩/٣ (١٧٨٣) وغيره.

(٣) تنظر القصة بتمامها في صحيح البخاري ،كتاب الشروط ،باب:الشروط في الجهاد والمصالحة٩٧٤/٢ (٢٩٤٥).

رددنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه، فجاءوا فقالوا: يا نبي الله شأنك إذا فقال إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل"(١).

فالشباب ههنا أخذتهم العاطفة الجياشة في لقاء العدو والنيل منهم، فآثروا الخروج على الانتظار حتى نزل النبيّ صلى الله عليه وسلم عند رغبتهم ووافقهم على الخروج، وهنا نكتة في غاية الأهمية: فالكثير منا لا يفقهه مثل هذا، ويظن أنّ الصرامة في القرارات من قبل القائد تكون الأنجح دائماً، نعم قرار النبيّ صلى الله عليه وسلم أصوب وأدق، ولكن النبيّ صلى الله عليه وسلم أراد أن يتعامل مع عاطفة الشباب واندفاعهم بأسلوب الاحتواء، فلا يفهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يعلم يقيناً أنّ الجيش سيهزم في أحد لو خرج خارج المدينة ثم نزل عند رأي الشباب، لأنّ هذا خلل قيادي وحاشا النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يقع بمثله، وليس الخروج هو سبب الانكسار في أُحد، بل مخالفة الرماة هو السبب الحقيقي كما هو معروف، إذ لو تيقن النبيّ صلى الله عليه وسلم بالهزيمة ثم خرج لكان هذا مخالفة للنواميس الكونية حاشا النبيّ صلى الله عليه وسلم.

إذن ما أحوج الأمة اليوم إلى مثل هذا الاحتواء للشباب واستيعاب المخالفين منهم، وتهذيب تلك الطاقات الثائرة،فلو كان في المسألة أمر مخالف للشرع فلن يتوان صلى الله عليه وسلم لحظة واحدة في رده ومعالجته.

كما حدث في بني جذيمة، فأخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فقالوا: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد مرتين"(٢).

تأمل في قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم أني ابرأ إليك مما صنع خالد"، فهنا المسألة لا بد لها من وضوح وشفافية وليست المسألة مسألة مجاملات لأنها (دماء).

المطلب الخامس: الغلو في الدعوة إلى الله تعالى

وأعني به المبالغة والتطرف في الدعوة إلى المنهج أو الطريقة التي يراد دعوة الناس إليها، وأرى أنّ هذا النّوع هو أشهر الأنواع، وأكثرها انتشاراً اليوم على الساحة الإسلامية،وهو في العادة يكون بين المسلمين بعضهم مع بعض.

فالخلاف بين الناس أمر طبعي، فطر الله تعالى الناس عليه، ، وهذا الخلاف قد يكون بين الوالد وولده، وبين الأخ وأخيه وبين الصديق وصديقه وهو مسوغ إذا لم يأخذ إطار الغلو والتطرف في الرأي، وإنكار الآخرين.

(١) أخرجه أحمد ٣/٣٥١.

(٢) أخرجه البخاري،كتاب المغازي ،باب:بعث النبي ﷺخالد بن الوليد الى بني جذيمة ٤/١٥٧٧(٤٠٤٨).

وقد أوصى النبيّ صلى الله عليه وسلم معاذاً وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهم لما بعثهما إلى اليمن فقال: "يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا"[1]، فالتيسر والتبشير في دعوة الناس إلى الحق لهما اثر عظيم في نفوس المخاطبين، فأساس اجتماع الناس حول الداعية إلى الله حسن الخلق، ووضوح الدعوة، دون غلو أو تمييع، ولا إفراط أو تفريط بل بالحكمة، والحكمة هي وضع الشيء المناسب في المكان المناسب، وتكون باختيار الوقت المناسب، والمكان المناسب، والعبارة المناسبة في دعوة الناس.

ولا بد من مراعاة السامعين واحترام عقولهم وآرائهم وان كنت تعتقد بطلانها، فأنت تهجم على المرض لا على المريض، أعني تهجم على الفكرة أو المسألة التي تعتقد بطلانها لا على ذات الشخص، ولا تبالغ وتغالي في مسائل ربما لا يحاسبه الله تعالى على فعلها أو تركها، فلا تغلو في موضع التيسر، والغلو مذموم بكل حال والتيسر مطلوب بكل حال، فقد صح في الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ الرفق لا يكون في شيء قط إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه"[2]، وكما ذكرت فلا يفهم من التيسر والتبشير تمييع المبادئ والقيم بل الوضوح والشفافية في عرض المسألة برحمة وحكمة، لأنّك تضييع أحياناً خيراً عظيماً بسبب غلوك في أمر لا يستحق الغلو، وتفقد إنساناً ربما لو سهلت معه وتوسطت لوجدت فيه خيراً كثيراً،كما قال المتنبي[3]:

ووضع الندى في موضع السيف في العلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

فكلمة الحق التي لا تخرج في موضعها وزمانها وطريقتها ربما عادت بالنتائج العكسية على المدعو، وجعلت منه داعية للباطل بدلاً من مدعو للحق فتنبه! وأضرب لهذا مثالاً من السنة يوضحه ما أخرجه البخاري وغيره من حديث عمر رضي الله عنه أنّ رجلا على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب فأتي به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "لا تلعنوه فو الله ما علمت إنه يحب الله ورسوله"[4]، فهنا غالى بعض الحاضرين في عقوبة هذا الرجل ولعنوه، وبالتأكيد سيؤثّر اللعن على هذا الرجل سلباً، وربما يصاب بردة فعل كبيرة؛ لذا فالنبيّ صلى الله عليه وسلم قرر قاعدة عظيمة في علاج هذا الغلو من جهة، وأرسل رسالة تربوية لهذا الشارب (عبد الله) من جهة أخرى فقال: (لا تلعنوه...إنه يحب الله ورسوله)، فالرجل أخذ عقابه بالحدّ، فلا طائل تحت (لعنه)، ولاسيما أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم نهى عن اللعن، فقال: "ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا الفاحش ولا البذيء"[5]، وهذا الرجل حينما سمع مثل تلك

---

(١) أخرجه البخاري ،كتاب الجهاد والسير،باب: ما يكره من التنازع والاختلاف١١٠٤/٣ (٢٨١١)، ومسلم ،كتاب الجهاد والسير ،باب: في الأمر بالتيسير ١٣٥٩/٣(١٧٣٣) من حديث أبي موسى الأشعري، وغيرها من المواضع.

(٢) أخرجه مسلم كتاب:الأدب باب :فضل الرفق ٢٠٠٤/٤(٢٥٩٤)وغيره.

(٣) مجمع الأمثال الميداني ص٤.

(٤) أخرجه البخاري كتاب الحدود،باب: ما يكره من لعن شار بالخمر ٢٤٨٩/٦ (٦٢٩٨)،وغيره.

(٥) أخرجه أحمد ٤٠٤/١،وغيره.

العبارة: (يحب الله ورسوله) بالتأكيد تركت في نفسه أثراً أبلغ من الجلد والحدّ، فظهره قد اعتاد على السياط! كما تذكر الرواية.

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتي النبيّ صلى الله عليه وسلم بسكران فأمر بضربه فمنا من يضربه بيده ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضربه بثوبه، فلما انصرف قال رجل: ما له أخزاه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم"(١)، فتأمل قوله: (أخيكم)، فلم يخرجه بذنبه من دائرة الأخوة الإسلامية! واستشعر تلك اللحظة بالنسبة لهذا الرجل وهو أمام نبي الله صلى الله عليه وسلم ويسمع مثل ذلك على وقوعه في كبيرة من الكبائر! وبهذا الاسلوب ملك النبيّ صلى الله عليه وسلم الرؤوف الرحيم قلوب الناس وعالج آفات كثيرة جداً بالرفق والرحمة.

المبحث الثاني:أسباب الغلو

بالتأكيد للغلو أسبابه ودوافعه، يمكنني حصرها بما يأتي:

المطلب الأول: الحب الشديد

وهذه في العادة تقع للإنسان الصادق المحب الذي يبلغ به حب المحبوب درجة الإفراط حتى يخرجه أحياناً من دائرة البشرية إلى دائرة الإلوهية كما فعلت النصارى بعيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وكل من غالى في محبوبه بهذه الطريقة فقد سلك سبيل النصارى في ذلك والعياذ بالله.

وقد يبالغ الإنسان في حبه لمحبوبه بشكل أقل من ذلك، ولكنه ينفي عن محبوبه بعض ما يقع للبشر من أفعال نفي تعظيم وإجلال وهذا أيضاً غلو منهي عنه، وروى ابن عباس أنّه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنّما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله" (٢).

ولهذا لما توفي النبيّ صلى الله عليه وسلم كان وقع الخبر على أصحابه كالصاعقة، حتى قال عمر رضي الله عنه وهو ثاني اثنين بعد النبيّ في الفضل والدين: "ما مات رسول الله..."، إذ أخرج البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلاّ ذاك، وليبعثنّه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله قال: بأبي أنت وأمي طبت حيّا وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت...الحديث" (٣)، قال الحافظ ابن

(١) أخرجه البخاري كتاب الحدود،باب: ما يكره من لعن شار بالخمر ٢٤٨٩/٦ (٦٢٩٩)،وغيره

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء ،باب: في قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم ١٢٧١/٣(٣٢٦١)،وغيره.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الجنائز ،باب: الدخول على الميت بعد موته٤١٩/١(١١٨٥) وغيره.

حجر:في قول عمر صلى الله عليه وسلم: (ما كان يقع في نفسي إلا ذاك): "بناه على ظنّه الذي أداه إليه اجتهاده، وفيه بيان رجحان علم أبي بكر على عمر، فمن دون وكذلك رجحانه عليهم لثباته في مثل ذلك الأمر العظيم"[(١)].

المطلب الثاني: البغض الشديد

مثلما يكون الحب الشديد سبباً للغلو أحياناً يكون البغض الشديد سبباً للغلو في أحيان كثيرة، وكما يقال:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا[(١)]

وبغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته مثال واضح على هذا الغلو المنحرف، فالبغض عبادة؛ ولكنّه منضبط بضوابط شرعية متزنة، فالبغض لا يكون لهوى أو ميل أو مذهب ما؛ وإنما الحب والبغض يكون لله تعالى وفيه، ومنه ما أخرجه أحمد من حديث البراء بن عازب: "إنّ أوثق عرى الإيمان: أن تحب في الله وتبغض في الله"[(٢)].

أما المغالاة في البغض والحب لا على أساس ذلك فإنما هو من قبيل الهوى، وأساس الغلو في الأمة وقع في طائفين: "طائفة من ضلاّل الشيعة، الذين يعتقدون في الأنبياء والأئمة من أهل البيت الإلوهية، وطائفة من جهّال المتصوفة، يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين، فمن توهم في نبينا أو غيره من الأنبياء شيئاً من الإلوهية والربوبية فهو من جنس النصارى، وإنّما حقوق الأنبياء ما جاء به الكتاب والسنة عنهم.

المطلب الثالث: إتباع الهوى

قال ابن بطة: "أعاذنا الله وإياكم من الآراء المخترعة، والأهواء المتبعة، والمذاهب المبتدعة، فإن أهلها خرجوا عن اجتماع إلى شتات، وعن نظام إلى تفرق، وعن أنس إلى وحشة، وعن ائتلاف إلى اختلاف، وعن محبة إلى بغضة، وعن نصيحة وموالاة إلى غش ومعاداة، وعصمنا وإياكم من الانتماء إلى كل اسم خالف الإسلام والسنة"[(٣)]، وقال أبو حازم: "لا يزال الناس بخير ما لم تقع هذه الأهواء في السلطان، هم الذين يذبّون عن النّاس فإذا وقعت فيهم فمن يذب عنهم؟"[(٤)]، فاتباع الهوى من أهم أسباب الغلو، والنفس ميالة إلى حب ما تميل إليه وتستروح هواها، وما دامت لا تلجم بلجام الدليل فإنها تميل إلى داعي الباطل.

والنفس كالطفل إنْ تهمله شبَّ على حبِّ الرضاع وإنْ تفطمه ينفطم

المطلب الرابع :الغرور والكبر

وهو إعجاب الإنسان برأيه وعقله، حتى يشعر أنّه فوق جميع الناس عقلاً وفهماً ورأياً، وهل أردى كبار قريش وزعماءها إلا الاستكبار عن الحق، فالكبر والغرور من أهم أسباب الغلو، وحتى على مستوى التعصب والتطرف الفكري والمذهبي فكثير من الناس يدفعهم الغرور والكبر إلى نكران الحق والصد عنه.

---

(١) فتح الباري ٤٦٥/١٠

(٢) مسند أحمد ٦٨٢/٤.

(٣) الإبانة ٢٨٣/١.

(4) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب قتال أهل البغي، باب:فضل الإمام العادل١٦٣/٨(١٦٤٣٠).

المطلب الخامس: الجهل

الجهل آفة عظيمة، وكثير من الغلاة آفتهم الجهل ولاسيما عوام النّاس، فإنهم يغالون في حبّ إنسان أو بغضه أو في إثبات مسألة ما أو حكم ما أو نفيه،وهم لا يعرفون إلاّ ما اشربوا من هواهم، فلا يميزون بين النّصوص، ولا يفرقون بين الواجب والمندوب، ولا بين الحكم وتنزيله، والطامة أنّ بعضهم لا يحسن قراءة القرآن، ولا يعرف من السنّة إلا تلك الأحاديث التي دُرسّها ثم تراه يحكم ويفتي في أمور لو كانت على عهد عمر رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر!

وسمة هؤلاء: الجرأة في الأحكام، وقلة الأدب مع العلماء، والثرثرة واللف والدوران حول مسائل معينة لا يتجاوزونها، ولا يعرفون من واقع أمتهم شيئاً، وهذه بلية البلايا وهي برأيي آفة الآفات وإنما قتل عثمان رضي الله عنه بمثل هؤلاء الغوغاء الرعاء، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وخطر مثل هؤلاء أعظم على الأمة من غيرهم.

فاعتمد هؤلاء الشباب بعضهم على بعضٍ دون الرجوع إلى العلماء، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "لا يزال النّاس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، وعن أمنائهم وعلمائهم ،فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكوا" [(١)].

وقال ابن قتيبة: "لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ، ولم يكن علماؤهم الأحداث؛ لأنّ الشيخ قد زالت عنه حِدَّة الشباب، ومتعته وعجلته واستصحب التجربة في أموره، فلا تدخل عليه في علمه الشبه، ولا يستميله الهوى ولا يستزله الشيطان ، والحَدَثُ قد تدخل عليه هذه الأمور التي أمنت على الشيخ"[(٢)].

المطلب السادس: الكبت والضغط النفسي

وهذه من أبرز الأسباب التي يجب أن نقف عندها ونسلط عليها الضوء بسطوع، فالمجتمع الإسلامي اليوم يعيش ألواناً من الاضطهاد والحرب النفسية تقوده دول ومؤسسات! فالنظام العالمي الجديد يقود حرباً شعواء منظمة على التيار الإسلامي في العالم، ويسخر كل إمكاناته الجبارة لتشويه صورة المسلمين المتدينين، ولاسيما بعد أحداث ١١ أيلول، والواضح لكل عاقل أنّ المقصود ليس التطرف كما يسمونه؛ بل هو الإسلام، عقيدة وعبادة وسلوكاً، وإلا فما علاقة التطرف بمئذنة من حجر أو خمارٍ أو جلبابٍ ترتديه فتاة مسلمة في أوربا؟ أين التطرف؟ ومن المتطرف في مثل هذا؟

لو كانت هذه الفتاة المخمرة تمشي عارية لما تعرض لها أحد، تحت شعار الحرية الشخصية ،ولكنْ فتاة تضع قطعة قماش على رأسها أو وجهها باختيارها يُعدّ تطرفاً وتعدياً على الحرية العامة!؟ لذا فالمسلم اليوم يعيش حرباً نفسية عصيبة جداً في بلاد المسلمين وغير المسلمين، فالمسلم الذي يجب أنْ تكون علاقته بالدولة علاقة طاعة، وعبادة وتكون أصرته قوية مع أجهزة الدولة المختلفة، باعتبارها وسيلة لتحقيق العدل والمساواة أصبحت تلك العلاقة علاقة ضعيفة أنْ لم أقل سلبية في اغلب بلاد المسلمين، ويمكنني عزو ذلك إلى أسباب عدة:

---

(١) رجاله إسناده ثقات ،أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨١٥)،وابن أبي خيثمة في تاريخه ٣٨٩/٤،والطبراني في الكبير ١١٤/٩(٨٥٩٤).

(٢) الفقيه والمتفقه ،الخطيب البغدادي ٤٢٨/١.

أولاً–أسباب أخلاقية: فالمجتمع العربي اليوم أصبح مفتوحاً على العالم، فانتقلت الثقافة الغربية في المجتمع وتلوثت كثير من المفاهيم الصحيحة على مستوى الأسواق والجامعات والمدارس، حتى اخترق جميع المؤسسات تقريباً، والمجتمع إما ساكت أو مؤيد أو ناكر بقلبه، فيأت الشاب ليجد نفسه أمام هذه المظاهر التي هي حرب على الله ودينه، فيتلفت فلا يجد سبيلاً للتغير إلاّ اللجوء إلى الغلو في الإنكار، وبدلاً من أن يصلح غلطاً وخطأً بصواب، يعالج الغلو بالغلو، والتطرف بالتطرف المقابل.وبدلاً من التكاتف لعلاج تلك السلبيات في المجتمع وإصلاح تلك المخالفات،راح كثير من النّاس يطالبون الشباب بتغيير أفكارهم ومن ثم اتهامهم بالتطرف والأصولية!!

محلات الخمور ودور الدعارة أكثر من مطاعم الوجبات السريعة في كثير من بلاد المسلمين، ترخصها الحكومة؟ وتحميها أجهزة الأمن، فكيف يستطيع الشاب أنْ يستوعب مثل ذلك؟ وهو يقرأ الآيات والأحاديث التي تحرم ذلك؟ فالحقيقة أنّ من يجر المجتمعات الإسلامية إلى الانحلال والفساد هم المتسببون الحقيقيون للغلو.

ثانياً:أسباب سياسية: من المعلوم أنّ الإسلام يقوم على أساس الولاء والبراء، وهذا المفهوم شرعي ثابت، وأنّ بالغ فيه بعض النّاس حتى أخرجوه عن إطاره الشرعي، أو فرط فيه بعضهم حتى جردوه من فحواه وأصبح اسماً بلا مضمون.

فكيف نريد من الشباب أنْ يجمع بين ذبح اليهود للمسلمين في غزة وغيرها وبين اعتراف كثير من الحكومات العربية بإسرائيل وإقامة علاقات وسفارات؟! أو بين الغرب الذي يحارب الإسلام جهاراً نهاراً، وبين العلاقات التجارية والاقتصادية والسياسية معها؟! وحينما يتجرأ الغرب والشرق على دين المسلمين ونبيهم ومقدساتهم ،ثم يجد بعضُ الشباب حكومَتَه تقف عاجزة، أو متفرجة، أو مبررة لهذه الممارسات،فبالتأكيد سنجد بعض الشباب سيتطرف نحو جهة ما، وهي بالتأكيد ليست جهة حكومته.

فالحكومة في بعض بلادنا تعتقل خطيباً لأنّه صرح أو عرّض بمسؤول في الدولة؛ ولكنها لا تأبه بسب النبيّ صلى الله عليه وسلم أو الإسلام؟ والأغرب من كل هذا هو اعتقال أحد الدعاة؛ لأنه انتقد مناظره العلماني على قناة فضائية في برنامج الاتجاه المعاكس، هو لم يتعرض لحكومته أو سياستها، ولحد هذا اليوم حسب علمي يقبع خلف القضبان، في حين تجد الملاهي والمراقص ودور البغاء تملأ هذه الدولة، وبموافقات رسمية!! فمن المتسبب للتطرف، ومن المتطرف!

والأعجب من كل هذا أنّ بعض الحكومات أطلقت شعارات الإصلاح على ما يعتقده المسلم معارضة للشريعة، كالاختلاط غير المنضبط، والإعلام الحر (كما يسمونه) وهي عبارة عن ضرب للقيم والثوابت، والسماح بالتبرج للمرأة وغيرها من المخالفات الشرعية، فهذه المسألة تحتاج إلى دراسة معمقة كيما نحقق توازناً معتبراً.

فالشاب حينما يقرأ القرآن والسنة وآثر السلف يجد النصوص الوافرة التي تخالف سياسات كثير من الحكومات فماذا يفعل؟ إما أن يعطل النصوص أو يتطرف ضد حكومته، أما الموازنة فهذه الثالثة تحتاج إلى دور أكبر فعّال من قبل الأنظمة والمؤسسات، لاحتواء الشاب والمحافظة عليه من الغلو والانحراف.

ثالثاً: أسباب اقتصادية: تميز المجتمع الإسلامي عبر القرون كونه متآلفاً متآزراً يحمل بعضه بعضاً، وقد بكّر الإسلام في معالجته الأزمات الاقتصادية وحلّه لمشكلة البطالة والفقر عن طريق قوانين الزكاة والشعور بالآخرين:

"ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه" [1]، ولا يقتصر معنى الحديث على مفهوم إطعام الطعام، وإنّما يسري ليشمل الحاجات الأخرى، ومصداقه ما جاء عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له"، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل[2].

والشاب الذي يحيا وينشأ على هذه المفاهيم يتطلع إلى هذه الحياة الكريمة العزيزة، ويفاجئ بعد ذلك بالأنظمة الرأسمالية والشيوعية والشيو–رأسمالية[3]، هذا من وجه، ومن آخر: الشاب يكمل دراسته ليجد نفسه أمام بطالة حقيقية، أو بطالة مقنعة، وفي كثير من الدول العربية تجد أصحاب الشهادات عمّال بناء أو سواق أجرة فتأمل!

وهذه المعضلة في حياة الشباب قد تتحول إلى فكر مضاد لفكر الدولة الحاكمة، فأصبح الرئيس أو الملك عقدة في أنظار كثير من الشباب في بعض البلاد الإسلامية، وبني حاجزاً كبيراً بين تلك الطاقات الجبارة وبين الدولة؛ وهذا خلاف المنطق؛ لأنّ الشباب الملتزم هم أعرف النّاس بحقوق أولي الأمر، وأكثر النّاس التزاماً بالنظام، وأخشى النّاس لله في الانضباط باللوائح، فيكون مصير الشباب بين هجرة إلى بلاد الغرب والشرق، أو هجرة إلى التطرف والغلو والانعزال عن المجتمع ليكون طعماً سهلاً للأفكار الخطرة المنحرفة.

رابعاً:أسباب إعلامية: تعتبر وسائل الإعلام من أهم الوسائل الحديثة في التأثير في النّاس، فالفكرة التي تأتي معضدة بالصورة والصوت أشد تأثيراً من الفكرة المجردة، ولاسيما أنّ كانت هذه الفكرة أو الموضوع يطرح على شكل قصة بالصورة والصوت، فإنْ وقعها سيأخذ شكلاً آخراً، ولهذا فإنّ القرآن الكريم عرض كثيراً من القضايا الرئيسة بشكل قصة.

ومنه ما رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"[4].

لهذا فإنّ وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة لها أثر عظيم في تكوين صورة معينة في نفوس الناس وأفكارهم، والعجيب أنّ تلك الوسائل منذ أن عرفت ما انفتأت تحارب الإسلام وتحارب القيم والفضيلة...ولو رجعنا إلى الوراء قليلاً لتذكرنا المسرحية المصرية :(مدرسة المشاغبين)، التي استهوت كل طبقات المجتمع آنذاك؛ لأنها استعملت السخرية (الكوميديا) في عرض الفكرة، وهي في الحقيقة قد هدمت القيم في كثير من البلاد العربية

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد،باب: لا يشبع دون جاره (١١٢).

(٢) أخرجه مسلم كتاب اللقطة،باب: استحباب المواساة ٣/١٣٥٤(١٧٢٨)،وغيره.

(٣) وهذا ما نراه مطبقا في بعض الدول العربية فنظامها لا هذا ولا ذاك وإنما هو نظام الملك والرئيس فهو شيوعي من جهة المحكوم راسمالي من جهة الحاكم!

(٤) أخرجه البخاري كتاب الشركة ،باب:هل يقرع في القسمة والاستهام فيه٢/٨٨٢ (٢٣٦٣) وغيره.

والإسلامية، وأذكر يوم كنا صغاراً في الدراسة المتوسطة (أول ثانوي) قام بعض الطلبة بسرقة (حقيبة المدرّسة) على طريقة المسرحية، ووضع بعضهم كرسياً مكسوراً لأحد المدرسين فوقع المدرس أرضاً! وكان أحد المدرسين يلقب بلقب معين يستهزأ به ويصفق له ويصفر أثناء الدرس! وغيرها من القيم المنحلة التي عرضتها تلك المدرسة المشاغبة، وتأمل كيف تحول هذا الرمز العظيم (المعلم) إلى مهرج وأضحوكة، وقارن بقول الشاعر الكبير أحمد شوقي (المصري) وهو يزرع القيم الرائعة:

قم للمعلم ووفه التبجيلا   كاد المعلم أن يكون رسولاً

فهذه المسرحيات وغيرها وإن كانت معولاً هدّاماً في ضرب القيم الإنسانية والأخلاقية (عموماً) إلاّ أنها ركزت أكثر على القيم الإسلامية، والرموز الدينية فكانت المسلسلات والبرامج في وقت مبكر تعرض شخصية (المأذون الشرعي) المعمم بشكل رجل سخرية أحمق ساذج!! ثم توالت بعدها الأفلام المتوالية لفنان كوميدي شعبي عادل إمام كـ(الإرهابي)، و(إرهاب وكباب)، ومسرحية (الود سيد الشغال) وغيرها من البرامج الإعلامية التي تستهدف الانتقاص من التيار الإسلامي، ومن الشباب الملتزم، ثم خرجت علينا في السنوات الأخيرة مسلسلات (طاش ما طاش) وهي مسلسلات هدمية بنفس طريقة مدرسة المشاغبين، تهدف إلى تشويه صورة الإسلام وتضرب القيم الإسلامية الثابتة، والسؤال الذي نسأله ههنا لماذا لم نرهم ينتقدون القيم أو الشباب اليهودي أو الصليبي المتطرف الإرهابي؟ أو ينتقدون الممارسات الشاذة لقساوسة الكنيسة التي اذيعت في كل الوسائل الإعلامية؟ أين عادل إمام أو طاش ما طاش أو غيرها من كل ذلك؟ أين هم من مجزرة غزة أو غيرها من قضايا الأمة؟ والذي يعنينا ههنا: أنّ الشاب الملتزم الذي يشاهد مثل تلك البرامج التي تستهدفه وتستعديه، وهي منتجة ومعروضة في قنوات حكومية رسمية ما هو رد فعله المتوقع؟ بالتأكيد سيتجه بعيداً عن الوسطية والاعتدال فالذي يُدين وكلنا نُدين التفجيرات الإجرامية التي تستهدف المدنيين الآمنين لابد أن يدين تلك البرامج المسببة لها، صحيح هناك بعض الممارسات الخاطئة من قبل بعض الشباب بلغت ببعضهم انحرافاً عقديا وانحرافاً سلوكياً؛ ولكنّ الغلو لا يعالج بالغلو، والتكفير لا يعالج بالتكفير، والتطرف لا يعالج بالتطرف!

وأمثل بمثال واحد يظهر عظمة النبيّ صلى الله عليه وسلم في احتواء الشباب ومعالجة الأخطاء مبكراً: فمن ذلك ما روي عن أبي محذورة قال: خرجت في عشرة فتيان مع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى حنين فأذّنوا وقمنا نؤذّن مستهزئين بهم، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "ائتوني بهؤلاء الفتيان"، فقال: "أذِّنوا"، فأذَّنوا، وكنتُ أحدَّهم صوتاً، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "نعم هذا الذي سمعت صوته، اذهب فأذن لأهل مكة..."[(١)]، تأمل في هذا الأسلوب النبوي الرائع الذي استوعب هذه الطاقة بهذه الطريقة الرائعة! فلم يتهم دينهم، ولم يعزرهم، ولم يشنِّع عليهم بل أخذهم بين أحضانه الدافئة وغمرهم حباً وعطفاً، فالواجب الملقى على جميع مؤسساتنا احتواء الشباب، واحتضانهم وإشعارهم بدفئها، حتى يشعروا بالانتماء الايجابي للبلد والأمة، ولا يكونوا منالاً سهلاً للأفكار والملل الدخيلة المنحرفة، ولو وقع هذا الشاب جدلاً بانحراف ما –لا قدر الله– فإنّه سيأتي إلى تلك المؤسسات

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن ٣٩٣/١ وغيره.

ليقول: زللت وأخطأت، وهذا الطموح مشروع تجاه الحكومات وتجاه الشباب، وقد أثبت التاريخ أنّ القيم الإسلامية التي يتربى عليها الجيل تؤتي ثمارها يانعة.

وفي مقابل هذا فحري بالمؤسسات الرقابية في بلاد المسلمين أنْ تنشط وتراقب الإعلام بشكل أفضل، فسموم الأفكار ولوثه أخطر من لوث السلوك، فعليهم مراقبة البرامج التي تحرّض على شباب المساجد، وتنتقصهم، وهذه البرامج الهدامة هي في حقيقتها مسيّسة من قبل منظمات ومؤسسات عالمية، تهدف إلى إحداث هذا الشرخ، والفصل بين الأمة وشبابها.

وهنا أتساءل: أية دعوة أو فكر أو منظمة أو مؤسسة تربي أبناءها وأتباعها على أنّ طاعة ولاة الأمور واجب شرعي، لا يجوز الخروج عليه إلاّ أن ترى كفراً بواحاً، إلا دين الإسلام؟ وأي دعوة تربي أتباعها على أنّ من قُتل دون أرضه فهو شهيد إلا دعوة الإسلام؟ وقد أخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم عنه فقال: "من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد"(١)، فالشباب المسلم هم بناة البلاد وحماتها، وهم قلبه النابض الذي لا يسكن ولا يكل، ومتى ما سكن أو توقف فإن الأمة ستموت.

فلو تعرّض بلد من بلاد المسلمين إلى الاعتداء فمن يا ترى سيحمل سلاحه، ويقدم نفسه دفاعاً عن البلاد؟ هل الذي أفنى حياته وماله في الصالات الحمراء والملاعب والقمارات، الذي لا يعرف من حياته إلا السيجارة والسيارة والسمسارة؟ أم أولئك الذين تربوا في مدرسة التوبة، والأنفال؟ فلا بد للحكومات من المصالحة مع الشباب، والسعي الحثيث لاحتوائهم والصبر على ذلك، واستفراغ الوسع والطاقة، ولا بدّ من أنْ نكون جميعاً كعبد الله بن عباس رضي الله عنه لما وقف الوقفة التاريخية مع الخوارج، ورجع بثلثي الجيش، فالفكر لا بدّ له من فكر، والغلو لا بدّ له من اعتدال، والتطرف لا بدّ له من وسطية لعلاجه، وحق للجميع سائلاً ومسؤولاً أنْ نراجع أساليبنا في طريقة التعامل مع الشباب، ووضع اليد على الجرح، بدلاً من لعن الظلام، صحيح المسألة معقدة وشائكة وتحتاج إلى وقفات ومراجعات وصبر طويل، لكنّ الأمر يستحق كل ذلك، وأرى أنّ من أهمّ ما يجب مراجعته: الفتاوي النارية التي يطلقها بعض المشايخ والدعاة هنا أو هناك، تلك التي يؤسس عليها كثير من الشباب قواعد في الغلو، وتعد المادة الدسمة في تطرف الشباب، والغلو الذي وقع فيه الشباب في الأعم الأغلب هو وليد التميع الذي وقع فيه بعض آخر من الدعاة والمربين، ولست ههنا في معرض النقد وإنما أريد التنبيه إلى أننا قد نكون أحد أسباب التطرف ونحن لا ندري.

الخاتمة وأهم التوصيات

ختاماً نقول: إنّ مفهوم الوسطية اليوم أصابه ما أصاب كثيراً من المفاهيم من تشويه، وتحريف، فأصبحت الوسطية تمييع المبادئ والانبطاح أمام الأعداء، مثلما عد بعض النّاس التطرف والغلو تمسكاً بالثوابت والقيم.

(١) أخرجه احمد ١/١٩٠ وغيره.

والحقيقة التي يجب الاعتراف بها هي أن التطرف في زماننا اليوم إنّما ولد من رحم التمييع، فمن أراد وأد التطرف فلا بد من وأد التمييع، وهذا هو منهج الأمة الوسط، فهي وسط في كل شيء، في العقيدة والعبادة والسلوك.

فالغلو لا يعالج بالغلو، والتطرف لا يعالج بالتطرف، وإنما يعالجان بالوسطية والاعتدال المنضبط على أساس الحكمة والموعظة الحسنة، فتبين لنا من خلال بحثنا هذا أن الرحمة والرأفة في التعامل مع الغلاة يكون علاجاً ناجعاً أحياناً كثيرة، مثلماً كانت القوة والعقاب علاجاً في أحيان أخرى، وقد توصلنا إلى هذه النتائج والتوصيات:

١-الغلو والتطرف آفة خطيرة ومرض عضال تنخران جسد الأمة يجب التصدي لهما بكل الوسائل الشرعية المتاحة.

٢- ضرورة التفريق بين ثقافة الأمة الوسط، وبين ثقافة مسك العصا من الوسط، فالوسطية تعني التمسك بالمبادئ والقيم والتضحية من أجلها، ولا تعني تحريف المبادئ وتمييع الثوابت الشرعية.

٣- دعم البرامج الثقافية المؤتمرات العلمية المتخصصة لنشر ثقافة الوسطية في المجتمع.

٤-العمل الجاد بالتنسيق مع المؤسسات الحكومية، وغير الحكومية لنشر ثقافة الرأي والرأي الآخر.

٥- الابتعاد عن العبارات والشعارات التي تزيد من الهوة بين المسلمين، واستعمال ألطفها في الخطاب الإسلامي.

٦-ضرورة أعادة صياغة الخطاب الإسلامي بشكل حضاري، بعيداً عن الحزبية الضيقة والفؤية المقيتة.

٧- لوسائل الإعلام الدور الأكبر في وأد الفكر المتطرف، وعلاج الغلو في المجتمع.

٧- التنسيق مع الكليات الشرعية والمعاهد العلمية المتخصصة لرفد الساحة الدعوية بالدعاة المعتدلين.

٩- التركيز على الأسرة والمسجد بوصفها المؤثر الأكبر في تكوين الشخصية الإنسانية والقنطرة الأولى في علاج الغلو والتطرف.

١٠- ضرورة التواصل العلمي الدولي بين المثقفين والعلماء، لتلاقح الأفكار والانتقال إلى الخطوات العملية بدلاً من التنظير والتكفير.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢-إعلام الموقعين عن رب العالمين،ابن قيم الجوزية ،دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر، القاهرة،ط ١٩٦٨م.دون ذكر الطبعة.

٣-إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان،ابن قيم الجوزية ، دار المعرفة ، بيروت،ط٢،١٩٧٥.

٤-تفسير القرآن العظيم،ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) دار الجيل،بيروت،ط٢،١٩٩٠م.

٥-جامع الترمذي الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي(٢٧٩هـ)تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية.

٦- سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ،ت: محمد فؤاد عبد الباقي،دار الفكر، بيروت.

٧-سنن أبي داود،سليمان بن الأشعث السجستاني(٢٧٥هـ) دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٨م.

٨- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي(٣٠٣هـ)،ت: عبدالفتاح أبو غدة،مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ط٢ ١٩٨٦م.
٩- السنن الكبرى،أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١٩٩١،١م.
١٠-صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت:مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت،ط١، ١٩٧٠ م.
١١- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ ت:مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت،ط٣، ١٩٨٧م.
١٢- صحيح مسلم،الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري(ت٢٦١ هـ)،ت:محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط١، ١٩٥٥م .
١٣-مجموع فتاوي شيخ الإسلام احمد بن تيمية،جمع وترتيب: أنور الباز،وعامر الجزار، دار الوفاء،ط٣، ١٤٢٦ هـ.
١٤-مسند احمد بن حنبل،تحقيق: شعيب الارنؤوط، دار الرسالة، بيروت،ط١، ١٩٩٧م.
١٥-مصنف ابن أبي شيبة (الحافظ عبد الله بن محمد بن ابي شيبة، ت٢٣٥هـ) ت:مختار احمد الندوي، الدار السلفية ط١،الهند.
١٦- مصنف عبد الرزاق، الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني ٢١١هـ،ت: حبيب الرحمن الاعظمي، توزيع: المكتب الإسلامي،ط٢، ١٤٠٣هـ.

منهجية فهم السنة النبوية

د. حسن علي حسين

أستاذ الحديث المساعد بكلية القرآن الكريم

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في أمدرمان

السودان

d.aboali70@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الهادي إلى صراط مستقيم، وعلى آله وأصحابه الميامين، وبعد:

فإن هداية البشرية وصلاح أمرها في إتباع الوحي المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولن يستقيم ذلك إلا بالسير على هدي صاحب السنة الغراء الذي أوكل الله إليه أمر البيان فقال تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم}، ثم خص الله تعالى بيانه بالعصمة، فخلص من الهوى والأغراض فهو كما قال ربنا تعالى: {وما ينطق عن الهوى*إن هو إلا وحي يوحى}، هدي نبوي يبصر البشرية ويرشدها إلى طريق الخير والفلاح، ويخرجها من غياهب الضلال، فالعقل البشري وحده لا يقوى على إدراك سنن الخير وسنن الشر، فكانت النبوة وكان هديه وسننه التي شكلت منهجاً متكاملاً للحياة ونموذجاً حضارياً، تتضاءل مع قامته رؤى الفلاسفة والحكماء، وقد استوعب أصحابه رضوان الله عليهم ذلك المنهج، بل كانوا الطليعة الأولى في تنزيله على واقعهم الذي أثمر عن حضارة إنسانية عز التأريخ أن يعرف مثيلاً لها، فكان قرن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه خير القرون، وما كان ذلك ليكون إلا بمعرفة الوحي وفهمه الفهم السديد، الذي لا يتحقق إلا ببيانه صلى الله عليه وسلم الذي تمثل في سننه وهديه ولذا كان لا بد من فهم السنة فهما صحيحاً، كما لا بد من معرفة مناهج الفهم، حتى تقع العصمة للأمة من الزيغ والانحراف، ولقد كان جل الانحراف العقدي، والصراع المذهبي، بسبب الانحراف في فهم السنة النبوية والميل عن حقائق مدلولاتها، ولذا تعد دراسة مناهج الفهم للسنة النبوية من أهم الدراسات الحديثية، ولعلي هنا أشير إلى الدراسات التي سبقت في هذا المضمار، فمن أهم ما كتب في مناهج فهم السنة النبوية ذاك الكتاب القيم: كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط، لفضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي أجزل الله ثوابه، وتعرض الكتاب لمنزلة السنة وواجبنا نحوها، وكيف نتعامل معها، كما تناول الكتاب معالم وضوابط لحسن فهم السنة.

وتأتي محاولتي في هذا الموضوع من باب زيادة الطرق عليه، والتنبيه لمزيد الاعتناء به، تركيزاً على منهجية الفهم، وبيان أصولها، وتناول عدد من قضايا السنة أشكل الفهم فيها، ويجئ هذا البحث في مقدمة، وأربعة مباحث وخاتمة مع ثبت للمصادر والمراجع، كما أني أعتمد المنهج الوصفي التحليلي، والله المستعان وعليه التكلان وما توفيقي إلا بالله.

هيكل البحث:

مقدمة: وأتناول فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومنهجية البحث.

تمهيد: وأتناول فيه تحديات وإشكالات في فهم السنة النبوية مع ضرورة معرفة منهجية فهم السنة.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

المطلب الأول: المنهجية.

المطلب الثاني: السنة النبوية.

المطلب الثالث: فهم السنة.

المبحث الثاني: منهجية الفهم من خلال جمع الروايات في الموضوع الواحد واستصحاب الوقائع وأسباب الورود.

المطلب الأول: منهجية الفهم من خلال جمع الروايات.

المطلب الثاني: منهجية الفهم من خلال استصحاب الوقائع وأسباب الورود.

المبحث الثالث: منهجية الفهم من خلال دلالات النصوص وتوجيه التعارض.

المطلب الأول: دلالات النص من حيث القوة والضعف.

المطلب الثاني: دلالات النص بين العام والخاص.

المطلب الثالث: دلالات النص بين الظاهر والمفهوم.

المبحث الرابع: منهجية الفهم من خلال توجيه التعارض.

المطلب الأول: التوجيه بالجمع بين المتعارضين.

المطلب الثاني: التوجيه ببيان الناسخ والمنسوخ.

خاتمة: أذكر فيها أهم النتائج، والتوصيات.

ثبت المصادر والمراجع.

تمهيد

تعد قضية منهجية فهم السنة النبوية من أخطر القضايا المعاصرة، ولعلها تضاهي في أهميتها قضية حجية السنة النبوية وثبوتها، التي شغلت كثيراً من المتقدمين والمتأخرين، ذلك أن فهم السنة النبوية هو الذي ينبني عليه التطبيق العملي لرسالة الإسلام، وقد شاب هذا التطبيق كثير من الغموض والقصور، وظهرت في مجتمع المسلمين جملة من الصراعات بسبب سوء الفهم للسنة النبوية، حيث شكلت نتائج هذا الفهم القاصر أو المنحرف جملة من التحديات، من أبرزها تصور البعض عدم إمكانية تنزيل النموذج الإسلامي على واقع الحياة، وبروز الاختلاف المؤدي إلى الصراع، بل والاقتتال بين أفراد الأمة، وظهور الغلو في التدين، وما يقابله من التفريط والتهاون، فظهرت أنماط سالبة سيئة الأثر، وما ذلك إلا لعدم فهم السنة النبوية فهما صحيحا، ومن آثار الفهم المنحرف للسنة إقعادها عن معالجة القضايا المعاصرة، إن الأمة في حاجة إلى فهم السنة فهما صحيحا، ذاك الفهم الذي أرسى قواعده النبي صلى الله عليه وسلم وخط له منهجية واضحة، ولأن أمر فهم السنة خطير، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ظل يراقب ذاك الفهم ويصوب أي انحراف وميل فيه، فإنه عندما علم من أهل بيته، أن طائفة من أصحابه انقلبوا إليهم يسألون عن عبادته، فيما أخرجه مسلم في صحيحه: عن أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ نَفَرًا من أَصْحَابِ النبي صلى الله عليه وسلم سَأَلُوا أَزْوَاجَ النبي صلى الله عليه وسلم عن عَمَلِهِ في السِّرِّ فقال بَعْضُهُمْ لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ وقال بَعْضُهُمْ لَا آكُلُ اللَّحْمَ وقال بَعْضُهُمْ لَا أَنَامُ على فِرَاشٍ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عليه فقال ما بَالُ أَقْوَامٍ قالوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[١]، فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم ما قرروه من مناهج للتعبد بسبب فهمهم أن التقرب إلى الله يكون بملازمة أمر واحد، على طريقة واحدة،

---

١ . أخرجه الأمام مسلم في صحيحه ، في كتاب النكاح ، بَاب اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إليه وَوَجَدَ مُؤَنَهُ وَاشْتِغَالِ من عَجَزَ عن الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ ، حديث رقم: (١٤٠١)، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، ٢ / ١٠٢٠ .

وترك غيره من صور التدين، إن النبي صلى الله عليه وسلم يردهم إلى المنهج القويم لفهم سنته، التي شأنها التوسط والاعتدال في العبادة، وشمولية التدين لسائر أنماط الحياة، ومن صور رعايته صلى الله عليه وسلم لفهم سنته، أنه كان يقر الفهم الصحيح لها وذلك عندما يقع الاختلاف بين أصحابه في فهمها، ووقع ذلك عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الْأَحْزَابِ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إلا في بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمْ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فقال بَعْضُهُمْ لَا نُصَلِّي حتى نَأْتِيَهَا وقال بَعْضُهُمْ بَلْ نُصَلِّي لم يُرِدْ مِنَّا ذلك فَذُكِرَ ذلك لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فلم يُعَنِّفْ وَاحِدًا منهم[١]، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقر كلا الطائفتين على فهمهما، التي أخذت بمفهوم الحديث فصلت في الطريق، والتي أخذت بظاهره فلم تصل إلا في بني قريظة، ومن صور معالجة الفهم الخاطئ ما وقع في حديث عائشة رضي الله عنها، تقول: دف أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخروا ثلاث ثم تصدقوا بما بقي، فلما كان، بعد ذلك قالوا يا رسول الله إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم ويحملون منها الودك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك ؟ قالوا نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث، فقال: إنما نهيتكم من أجل الدآفة التي دفت فكلوا، وادخروا وتصدقوا)[٢]، فإن الصحابة رضوان الله عليهم فهموا النهي عن الادخار مطلقاً غير مقيد بعلة، ولما كان هذا الفهم خاطئاً صوبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: إنما نهيتكم من أجل الدآفة التي دفت، فكلوا وادخروا وتصدقوا، وهكذا يخط النبي صلى الله عليه وسلم منهجاً واضحاً لفهم السنة النبوية، فلا بد للذي يتصدى إلى بيان السنة أن يفرق بين ما يفيد الحكم المطلق، وبين الذي يكون لعلة عارضة وبين ما هو خاص ببعض الأفراد، وبين ما هو عام، وأن يعرف الناسخ والمنسوخ، ويميز بين السنة الخَلْقِيَّة والسنة التشريعية، وبين ما يدل على الاستحباب أو الجواز، وما يدل على الوجوب، ويفرق بين التقليد والتشريع، وبين الثابت والمتغير.

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات عنوان البحث

المطلب الأول: المنهجية

المنهجية استخدام معاصر، مأخوذة من المنهج، الذي هو من النهج، وهو الطريق البين الواضح، واستنهج الطريق صار نهجا، ونهجت الطريق سلكته، وفلان يستنهج سبيل فلان، أي يسلك مسلكه ويتتبع خطواته، و النهج الطريق المستقيم كما جاء في تفسير قوله تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا} (سورة المائدة: ٤٨)، بأن

---

١ . متفق عليه أخرجه البخار ي ومسلم في صحيحيهما ، أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.طبعة : دار ابن كثير , اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ة، ، ٤ / ١٥١٠ .

٢ أخرجه مسلم ، في كتاب الضحايا ، باب بيان النهي عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاث و بيان نسخه ، حديث رقم : (٩٧١)، ٣ / ١٥١٦ .

المنهاج هو الطريق البين الواضح [1]، والطريق الناهجة أي الواضحة البينة، ونهجت الطريق أبنته وأوضحته، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير شرعة ومنهاجاً: بأن المنهاج هو السنة والسبيل[2].

إذن فالمنهاج هو الطريق البين الواضح الذي يؤدي إلى غاياته في سهولة ويسر، والمنهجية تشير إلى الطريقة البينة الواضحة، ذات النظام المتكامل الذي يسير على نسق واحد، بحيث لا تتعارض مبادؤه مع نتائجه، وعندما نطلق عبارة منهجية فهم السنة، فإننا نقصد ببساطة طريقة فهم السنة النبوية، وفق ما قصده النبي صلى الله عليه وسلم من بيان ومدلولات وعلل وأحكام، كما يوجد تقارب بين كلمة المنهجية والسنة، فكلاهما يعني الطريقة، ويمكن أن نعبر عن السنة بالمنهجية، فنقول منهجية النبي صلى الله عليه وسلم أي طريقتة التي سلكها صلى الله عليه وسلم، وأوضحها للناس.

المطلب الثاني: السنة النبوية

السنة في اللغة هي الطريقة سواء كانت ممدوحة أو مذمومة، ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها، ومثل وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم)[3]، وتعريفها في الاصطلاح يختلف باختلاف فنون من عرفها فهي عند الفقهاء غير ما هي عند الأصوليين وأهل الحديث، فعرفها كل فريق بحسب الفن الذي يشتغل به، فهي عند الفقهاء ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض أو الوجوب، وهي عند الأصوليين ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل غير القرآن مما يصلح أن يكون دليلا شرعياً، أما عند المحدثين فالسنة هي طريقة النبي صلى الله عليه وسلم المتضمنة سائر جوانب الحياة العملية والقولية، والخلقية والخُلُقِيَة، بل يدخل في ذلك سيرته وأوصافه وشمائله، فقالوا هي: كل ما أضيف للنبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة قبل البعثة أو بعدها[4].

المطلب الثالث: فهم السنة

المقصود بفهم السنة الإحاطة بمعاني ألفاظها، ومعرفة مدلولاتها، ومقاصدها، ومناسبتها، والأحكام المستنبطة منها، وعللها، ولكي يتحقق لمن يتعامل مع السنة فهما صحيحاً، لا بد له أن يعرف معاني ألفاظها، فمن الألفاظ ما يتعدد معناه فلا بد من معرفة المعنى المقصود من جملة المعاني، وهناك الغريب الذي لم يشتهر فيحتاج إلى بيان، وقد كفت كتب شروح السنة والغريب هذا الجانب، كما يتطلب فهم الستة النبوية فهما صحيحاً معرفة من يتوجه إليه الخطاب النبوي، أهو عام لكل الناس، أم لفرد مخصوص، ومدى قوة الخطاب من حيث الأمر والنهي، وما

---

١ . انظر : تفسير جامع البيان ، للطبري ، دار الفكر ، ١٤٠٥ هـ ، بيروت ، ٤/ ٢٦٩ ,

٢ . تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، دار الفكر – بيروت – ١٤٠١ هـ ، ٢ / ٦٧ . .

٣ , أخرجه ابن حزيمة في صحيحه ، في أبواب صدقة التطوع ، باب استحباب الإعلان بالصدقة ناويا لاستنان الناس بالمتصدق فيكتب لمبتدىء الصدقة مثل أجر المتصدقين إستنانا به ، حديث رقم (٢٤٧٧) ٤ / ١١٢ .

٤ , انظر : السنة قبل التدوين ، محمد عجاج الخطيب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م ، أم القرى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ١٦ ـ ١٨ .

يقترن بهما، حتى نفرق بين دلالة الوجوب والاستحباب في الأمر، ودلالة التحريم والكراهة في النهي، ويضاف إلى سياق الجمل معرفة أسباب ورود الحديث، ومعرفة المشكل منه، وما تعارض في ظاهره وكيفية توجيه المتعارض، كما لا بد من فهم سياق الجمل قال العز بن عبد السلام: (السياق مرشد إلى تبين المجملات وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات وكل ذلك بعرف الاستعمال فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما فما كان مدحا بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذما واستهزاء وتهكما بعرف الاستعمال)[١]، فالذي ينبري لبيان السنة وشرحها واستخراج الأحكام منها لا بد له من التحقق بتلك الأمور كلها، فهي التي تعين على فهم السنة فهماً صحيحاً.

المبحث الثاني

منهجية الفهم من خلال جمع الروايات في الموضوع الواحد واستصحاب الوقائع وأسباب الورود

يعد جمع الروايات في الموضوع الواحد واستصحاب الوقائع وأسباب الورود أمراً في غاية الأهمية لفهم السنة النبوية، لأن النصوص الواردة في الموضوع الواحد تكمل بعضها بعضا، فمنها ما يكون إجابة لسؤال، ومنها ما يكون عاماً، ومنها يخص بالخطاب أفرادا معينين، ومنها ما يكون لسبب، ومنها ما يكون لواقعة خاصة، فلا يمكن تصور المراد من هذه الروايات بنظرة جزئية أو القصر على روايات دون أخرى، فإن معرفة مدلولاتها لا يتم إلا بالنظر فيها جميعاً، وهذا ما يتطلب جمع الروايات، ومعرفة أسباب ورودها والوقائع التي لازمتها.

المطلب الأول: منهجية الفهم من خلال جمع الروايات

المقصود بجمع الروايات في الموضوع الواحد، الإتيان بكل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الموضوع المعين، مع الأخذ في الاعتبار اختلاف الروايات سواء بتغيير ألفاظها، أو بزيادة أو نقصان فيها، فلا غنى لكل باحث في السنة النبوية يريد الوقوف على حكم معين فيها، أو فهم ما ورد منها، أن ينظر في أكبر قدر من المرويات في موضوعه، ولا يكتفي في إصدار حكمه بالوقوف بالنظر في بعض الروايات وترك أخرى، وقد نقل الخطيب البغدادي أقوالاً لبعض الأئمة تبين ضرورة جمع الروايات حتى يتحقق الفهم الصحيح للسنة فروى بسنده عن يحى بن معين قوله: لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجهاً ما عقلناه، وعن أحمد بن حنبل يقول: الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضا، وعن علي بن المديني قال: الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه[٢]، وهذا ما أشار إليه القاسمي في قواعد التحديث: في أن المجتهد لمعرفة الأحكام الشرعية يحصل له التمكن من جواب المستفتين

---

١ . انظر : الإمام في بيان أدلة الأحكام، الإمام عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: رضوان مختار بن غربية ، ١ / ١٥٩ .

٢ . انظر : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، مكتبة المعارف – الرياض – ١٤٠٣ هـ ، تحقيق : د. محمود الطحان ، ٢ / ٢١٢ ,

في الوقائع، بالإمعان في جمع الروايات وتتبع الشاذة والفاذة منها[1]، وقال الشيخ محمد الغزالي: والفقهاء المحققون إذا أرادوا بحث قضية ما ، جمعوا كل ما جاء في شأنها من الكتاب والسنة ، وحاكموا المظنون إلى المقطوع ، وأحسنوا التنسيق بين شتى الأدلة[2]، وعلى هذه المنهجية سار الأئمة من المحدثين والفقهاء في تأليف مصنفاتهم، فالمحدثون في غالب تصانيفهم للسنة النبوية جمعوا أحاديث كل موضوع في باب واحد، وهذا المنهج واضح عند الإمام مسلم في صحيحه، حيث عمد إلى جمع روايات الموضوع الواحد على اختلاف ألفاظها وطرقها في باب واحد، وهو نفس المنهج الذي سار عليه أصحاب السنن وغيرهم[3]، أما الفقهاء وشراح الحديث فتجدهم لا يقررون الأحكام إلا بعد الوقوف على جميع ما وصلهم من روايات، فيقول ابن دقيق العيد لمن أراد أن يحقق في مسألة معينة: على طالب التحقيق في هذا ثلاث وظائف: أحدها أن يجمع طرق الحديث ويحصي الأمور المذكورة فيه[4]، الأمر الذي سار عليه الشوكاني في شرحه نيل الأوطار حيث قال: والوظائف التي أرشد إليها، ابن دقيق العيد، قد امتثلنا رسمه فيها فبجمعنا من طرق هذا الحديث في هذا الشرح عند الكلام على مفرداته ما تدعو الحاجة إليه[5].

ولكي نقف على دور جمع الروايات في فهم السنة فهماً صحيحاً، نأخذ موضوع السن المعتبرة في الرضاع، فالذي يعالج الموضوع من خلال رواية واحدة، يصل إلى نتائج قاصرة، فقد ورد في سن الرضاع المعتبر شرعاً روايات عدة، منها ما يفهم منه اعتبار الرضاع قبل الحولين، ومنها ما يفهم منه اعتبار الرضاع ولو كان الراضع كبيراً، فلو اعتمدنا في هذا الموضوع حديث سهلة بنت سهيل الذي أخرجه مسلم في صحيحه: عن عَائِشَةَ أم المؤمنين رضي الله عنها قالت جَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رَسُولَ اللَّهِ إني أري في وَجْهِ أبي حُذَيْفَةَ من دُخُولِ سَالِمٍ وهو حَلِيفُهُ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارضعيه قالت وَكَيْفَ أُرْضِعُهُ وهو رَجُلٌ كَبِيرٌ فَتَبَسَّمَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وقال قد عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ زَادَ عَمْرٌو في حَدِيثِهِ وكان قد شَهِدَ بَدْرًا وفي رِوَايَةِ بن أبي عُمَرَ فَضَحِكَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم[6]، فلو اعتمدنا هذا الحديث دون النظر للروايات الأخرى، لخرجنا باعتبار رضاع الكبير، وأنه إذا رضع في كل حال، ثبتت أحكام الرضاع له، ولكن بجمع الروايات في موضوع إرضاع الكبير وموضوع سن الرضاع المعتبرة تتضح المسألة، فقد أخرج مسلم أيضاً عن عبد اللَّهِ بن زَمْعَةَ، أَنَّ أُمَّهُ زَيْنَبَ بِنْتَ أبي سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّهَا أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النبي صلى الله عليه وسلم كانت تَقُولُ أَبَى سَائِرُ أَزْوَاجِ النبي صلى الله عليه وسلم أَنْ يُدْخِلْنَ عَلَيْهِنَّ أَحَدًا بِتِلْكَ الرَّضَاعَةِ وَقُلْنَ لِعَائِشَةَ والله ما نَرَى هذا إلا رُخْصَةً أَرْخَصَهَا رسول اللَّهِ صلى

---

١ . انظر : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م ، الطبعة: الأولى ، ١ / ٣٦٩ .

٢ . انظر : السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث ، الشيخ محمد الغزالي ، ص ٢٤ .

٣ . راجع فهرس الأبواب الفقهية في الكتب الستة .

٤ . انظر: إحكام الأحكام ، شرح عمدة الأحكام ، ابن دقيق العيد تقي الدين أبو الفتح ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٢ / ٣.

٥ . انظر: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الجيل – بيروت – ١٩٧٣ م ، ٢ / ٢٩٨ .

٦ . أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الرضاع ، باب رضاعة الكبير (انظر : صحيح مسلم ، ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، ٢ / ١٠٧٦ .

الله عليه وسلم لِسَالِمٍ خَاصَّةً فما هو بِدَاخِلٍ عَلَيْنَا أَحَدٌ بِهَذِهِ الرَّضَاعَةِ ولا رَائِينَا[1]، وأخرج البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت دخل عَلَيَّ النبي صلى الله عليه وسلم وَعِنْدِي رَجُلٌ قال يا عَائِشَةُ من هذا قلت أَخِي من الرَّضَاعَةِ قال يا عَائِشَةُ انْظُرْنَ من إِخْوَانُكُنَّ فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ من الْمَجَاعَةِ[2]، وأخرج أبو داود في سننه: عن ابن مَسْعُودٍ قال لَا رِضَاعَ إلا ما شَدَّ الْعَظْمَ وَأَنْبَتَ اللَّحْمَ، وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم بِمَعْنَاهُ وقال أَنْشَزَ الْعَظْمَ[3]، فبالنظر إلى جميع ما ورد في هذا الموضوع يتحقق الفهم الصحيح للسنة، ويتضح الحكم، ويزول اللبس.

المطلب الثاني: منهجية الفهم من خلال أسباب الورود واستصحاب الواقع.

في أحيان كثيرة يقع القصور في فهم السنة النبوية بسبب عدم معرفة أسباب ورودها، الذي هو بمنزلة أسباب النزول في تفسير القرآن الكريم، وربما يحتاج بيان السنة وفهمها إلى أكثر من أسباب الورود، فيلزم الإحاطة بالواقع الذي ورد فيه الحديث، والظروف الزمانية والمكانية والأحوال التي ورد فيها، ويؤدي القصور في فهم السنة إلى ظهور التعارض، ولكن بمعرفة سبب الورود، والأحوال المحيطة بالحديث يتحقق الفهم الصحيح للسنة النبوية، ويزول ما يقع من تعارض في الأذهان ومثال ذلك ما ورد في أحاديث من صلى خلف الصف وحده، فعن واصبة بن معبد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يصلي خلف الصف وحده، فأمره أن يعيد صلاته[4]، و عن أبي بكرة رضي الله عنه أنه انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم و هو راكع، فركع قبل أن يصل إلي الصف، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (زادك الله حرصاً ولا تعد)[5] ، فالذي ينظر إلى الروايتين يجد بينهما تعارضا تعارضا في المدلول، فرواية واصبة بن معبد، تفيد عدم صحة من صلى خلف الصف وحده، ورواية أبي بكرة تفيد صحة من صلى خلف الصف وحده، وبالتالي يقع اللبس في فهم المراد، ولكن من خلال الاطلاع على سبب ورود الحديث، والذي نجد الإشارة إليه في رواية أخرى لأبي داود عن أبي بكرة رضي الله عنه أنه دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وقد ركع، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم قال: أيكم دخل في الصف و هو

---

١. أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب الرضاع ، باب رضاعة الكبير ، (انظر : صحيح مسلم ، ٢ / ١٠٧٦) .

٢ . أخرجه البخاري في صحيحه ، في كتاب الشهادات ، باب : الشَّهَادَةِ على الْأَنْسَابِ وَالرَّضَاعِ الْمُسْتَفِيضِ وَالْمَوْتِ الْقَدِيمِ وقال النبي صلى الله عليه وسلم أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ والتثبيت فيه . (انظر : الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير , اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، ٢ / ٩٣٦ . وأخرجه مسلم في كتاب الرضاع ، باب : إنما الرضاعة من المجاع . (انظر : صحيح مسلم ، ٢ / ١٠٧٨) .

٣ . أخرجه أبو داود في السنن ، في كتاب النكاح ، باب : رضاعة الكبير (انظر : سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار النشر: دار الفكر – -، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ٢ / ٢٢٢) .

٤ . أخرجه الترمذي في سننه في ، أبواب الصلاة ، باب ما جاء في الصلاة خلف الصف وحده ، حديث رقم (٢٣٠) و (٢٣١) . وقال الترمذي حديث حسن (أنظر سنن الترمذي ، طبعة دار الحديث ، القاهرة ٤٤٥/١ — ٤٤٨

٥ . أخرجه أبو داود في السنن ، في كتاب الصلاة ، باب الرجل يركع دون الصف ، حديث رقم (٦٨٣) ، (أنظر سنن أبي داوود ، ط ١ ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٩م ، دار الكتب العلمية بيروت ٤٤٠/١).

راكع؟ فقال له أبو بكرة: أنا فقال: (زادك الله حرصاً لا تعُدْ)[1] ، فيتضح من رواية أبي داود هذه أن أبا بكرة لم يصل خلف الصف، وإنما ركع قبل أن يدخل في الصف ثم دخل وهو راكع، وقد مدح رسول الله صلى اله عليه وسلم فعله بقوله: زادك الله حرصاً، وهذا مثال آخر يبين مدى دور معرفة سبب الورود في فهم الحديث: أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عُبَيْدٍ مولى بن أَزْهَرَ أَنَّهُ شَهِدَ الْعِيدَ مع عُمَرَ بن الْخَطَّابِ، قال ثُمَّ صَلَّيْتُ مع عَلِيِّ بن أبي طَالِبٍ قال فَصَلَّى لنا قبل الْخُطْبَةِ، ثُمَّ خَطَبَ الناس فقال إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قد نَهَاكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا لُحُومَ نُسُكِكُمْ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ فلا تَأْكُلُوا[2]، وأخرج أيضاً عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قال لَا يَأْكُلْ أَحَدٌ من لَحْمِ أُضْحِيَّتِهِ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فالذي يطالع هذين الحديثين دون الوقوف على سبب الورد، فإنه يحرم ادخار لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام[3]، ولكن بعد الاطلاع على رواية البخاري، عن سَلَمَةَ بن الْأَكْوَعِ قال: قال: النبي صلى الله عليه وسلم من ضَحَّى مِنْكُمْ فلا يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثَالِثَةٍ وفي بَيْتِهِ منه شَيْءٌ فلما كان الْعَامُ الْمُقْبِلُ قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ نَفْعَلُ كما فَعَلْنَا عَامَ الْمَاضِي قال كُلُوا وَأَطْعِمُوا وَادَّخِرُوا فإن ذلك الْعَامَ كان بِالنَّاسِ جَهْدٌ فَأَرَدْتُ أَنْ تُعِينُوا فيها[4]، فهذه الرواية تبين السبب الذي من أجله نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ادخار لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام، وبالتالي يتحقق الفهم السديد لحديث النهي عن ادخار لحوم الأضاحي، بالإضافة إلى سبب الورود، لا بد أيضاً من استصحاب الوقائع وربطها بدلالات الحديث، حتى يتحقق الفهم الصحيح ويزول اللبس، فعن عَائِشَةَ أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: خَرَجَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قِبَلَ بَدْرٍ فلما كان بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قد كان يُذْكَرُ منه جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حين رَأَوْهُ، فلما أَدْرَكَهُ قال لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ، قال له رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قال: لَا، قال فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ، قالت ثُمَّ مَضَى حتى إذا كنا بِالشَّجَرَةِ، أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فقال له كما قال أَوَّلَ مَرَّةٍ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أَوَّلَ مَرَّةٍ، قال: فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ، قال ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فقال له كما قال أَوَّلَ مَرَّةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ قال: نعم. فقال له رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَانْطَلِقْ[5]، فقد فهمت طائفة من الناس أن الاستعانة بالكفار لا تجوز مطلقاً، لقوله صلى الله عليه وسلم للرجل: (ارجع فلن أستعين بمشرك)، وقد يقع الشخص في لبس وهو يسمع هذا الحديث، وحديث النبي

---

١ . أخرجه أبو داوود في السنن ، في كتاب الصلاة ، باب الرجل يركع دون الصف ، حديث رقم ٦٨٤ . (أنظر : سنن أبي داوود ١/ ٤٤١).

٢ . أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب الأضاحي ، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام وبيان نسخه . (انظر : صحيح مسلم ، ٣ / ١٥٦٠) .

٣ . أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب الأضاحي ، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام وبيان نسخه . (انظر : صحيح مسلم ، ٣ / ١٥٦٠) .

٤ . أخرجه البخاري في صحيحه ، في كتاب : الأضاحي ، باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها . (انظر الجامع الصحيح المختصر للبخاري ، ٥ / ٢١١٥) .

٥ . أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب الجهاد والسير ، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر . (انظر : صحيح مسلم ، ٣ / ١٤٤٩ . ١٤٥٠) .

صلى الله عليه وسلم الذي فيه أنه استعان بصفوان بن أمية يوم حنين حيث استعار منه دروعا بل وشارك فيها وهو مشرك، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه[١]، ولكن من يتمعن في الحديث يقع له من الفهم ما لا يقع للناظر المتعجل، ففي وقائع الحديث ما يشير إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل للرجل ارجع، إلا بعد ما عرف رغبته الشديدة في المشاركة، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يُقَيِدَ له ذلك بالإسلام حتى تكون رغبته الشديدة في المشاركة سبباً في إسلامه، فرده رجاء أن يسلم فأسلم وصدق ظنه صلى الله عليه وسلم[٢]، فمعرفة الوقائع يعين على حسن الفهم، لأن من الحديث ما يُبنَى لرعاية ظروف معينة ليحقق مصلحة معتبرة فإن المراد من الحديث يتحقق بدقة إذا عرفت الملابسات التي سيق فيها الحديث[٣]

المبحث الثالث

منهجية الفهم من خلال دلالات النصوص وتوجيه التعارض

المطلب الأول: منهجية الفهم من خلال دلالات النصوص

معرفة دلالات ألفاظ الحديث أمر في غاية الأهمية، لأن الألفاظ هي التي تحمل المعاني، ودلالة اللفظ تعني أنه إذا أطلق فهم منه المعنى، فإما أن يكون اللفظ دالاً على تمام ما وضع له، فتسمى دلالة المطابقة، وإما أن يكون دالاً على جزء مسماه وتسمى دلالة التضمن كدلالة البيت على الجدار فقط، وإما أن يكون خارجا عن مسماه وهي دلالة الالتزام كدلالة الأسد على الشجاعة، والدلالة باللفظ فهي استعمال اللفظ إما في موضوعه وهو الحقيقة أو غير موضوعه لعلاقة وهو المجاز[٤]، والنبي صلى الله عليه وسلم يحدث الناس بما يفهمون، وما تعارف عليه الناس من جميع الاستخدامات اللغوية، فيحدث بالحقيقة كما يحدث بالمجاز، ويطلق اللفظ العام ويريد به الخاص، ويحدث فردا ويقصد بحديثه عموم الناس، وقد ذكر ذلك الإمام الشافعي حيث يقول: (ورسول الله عربي اللسان والدار فقد يقول القول عاما يريد به العام، وعاماً يريد به الخاص...ويسئل عن الشيء فيجيب على قدر المسأل، ويؤدي عنه المخبر عنه الخبر متقصي، والخبر مختصراً، والخبر فيأتي ببعض معناه دون بعض)[٥] ، فالذي يريد بيان السنة وشرحها لا بد أن يكون عارفا بدلالات الألفاظ، وإلا وقع في أخطاء جسيمة كالذي يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم: (من

١ . انظر : سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٣٧٩ ، الطبعة: الرابعة ، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي ، ٣ / ٦٩ .

٢ .انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، دار المعرفة – بيروت ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، ٦ / ١٨٠ .

٣ . انظر : كيف نتعامل مع السنة النبوية ، يوسف القرضاوي ، إصدار المعهد العلمي للفكر الإسلامي (سلسلة قضايا الفكر الإسلامي ، الطبعة الثامنة ، ١ذ٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م ، ص ١٢٥ .

٤ . انظر :الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ، علي بن عبد الكافي السبكي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٤ هـ ، الطبعة: الأولى، ١ / ٢٠٥ .

٥ . انظر كتاب الرسالة ، للشافعي ،القاهرة – ١٣٥٨ هـ – ١٩٣٩ م ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، ص ٢١٣ .

غش فليس منا)[1]، أي ليس من المسلمين، فيجعل الغش في البيع أو غيره نافيا لإسلام من مارسه، وهذا بعيد، فقوله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا) من باب دلالة الالتزام، أي من كان منا لا ينبغي له غش الناس، أو ليس على هدينا، قال النووي معناه ليس ممن اهتدى بهديي، واقتدى بعلمي وعملي وحسن طريقتي[2]، كما لا ينبغي أن يُفهم من بعض الأحاديث التي خص بها خطابه صلى الله عليه وسلم أناس معينين، أن الخطاب يخصهم فقط دون غيرهم، كما جاء عن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: يا عَبْدَ الرحمن بن سَمُرَةَ لَا تَسْأَلْ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إن أُوتِيتَهَا عن مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا من غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عليها، وإذا حَلَفْتَ على يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا منها فَكَفِّرْ عن يَمِينِكَ وَأْتِ الذي هو خَيْرٌ[3]، فالتوجيه النبوي لعدم طلب الإمارة توجيه عام، فإن الإمارة تكليف كبير، فينبغي أن يترك أمر الاختيار للآخرين ولا يطلبها الشخص لنفسه، فهذا خطاب عام، كما أن الحنث عن الأيمان لفعل الخير يستحب لكل الأمة، بالرغم من توجيه الخطاب لعبد الرحمن بن سمرة خاصة.

المطلب الثاني: منهجية الفهم من خلال توجيه تعارض الروايات

المقصود بتعارض الروايات تقابلها على سبيل الممانعة، بحيث تقتضي كل رواية ضد ما تقتضيه الأخرى[4]، وهذا التعارض يبدو في الظاهر، ولا يقع حقيقة، قال الإمام الشاطبي: (إن كل من تحقق بأصول الشريعة فأدلتها عنده لا تكاد تتعارض، كما أن كل من حقق مناط المسائل فلا يكاد يقف في متشابه، لأن الشريعة لا تعارض بينهما البتة، فالمتحقق بها متحقق بما في الأمر، فيلزم أن لا يكون عنده تعارض)[5]، ويقول الخطيب البغدادي: (وكل خبرين عُلِمَ أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بهما، فلا يصح دخول التعارض بينهما على وجه، وإن كان ظاهرهما متعارضين، لأن معنى التعارض بين الخبرين أن يكون موجب أحدهما منافياً لموجب الآخر، وذلك يبطل التكليف إن كان أمراً و نهياً، وإباحةً وحظراً، أو يوجب كون أحدهما صدقاً، والآخر كذباً إن كانا خبرين، والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن ذلك أجمع، ومعصوم منه باتفاق الأمة)[6] فالروايات لا تتعارض في حقيقتها، ولكن يبدو ذلك في ذهن الناظر

---

١ . أخرجه الترمذي في جامعه ، من حديث أبي هريرة في كتاب البيوع ، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع . وقال الترمذي : حَدِيثُ أبي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَالْعَمَلُ على هذا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَرِهُوا الْغِشَّ وَقَالُوا الْغِشُّ حَرَامٌ (انظر : الجامع الصحيح سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، ٣ / ٦٠٦ .

٢ . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، دار المعرفة – بيروت ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، ١٣ / ٧٤ . وانظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٤ / ٤٥٣ .

٣ . أخرجه البخاري في صحيحه ، في كتاب الأيمان والنذور ، (انظر : الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير , اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، ٦ ، ٢٤٤٣ .

٤ . انظر :: انظر إرشاد الفحول ، للشوكاني ، دار الفكر ، بدون تاريخ ، ص ٤٥٥ . وا نظر : أصول الفقه ، للشيخ محمد الخضري بك ، الطبعة السادسة ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٦٩ م ، ص ٣٥٨ .

٥ انظر : الموافقات في أصول الشريعة ، للإمام الشاطبي ، طبعة دار المعرفة ، بيروت ، ٤ / ٢٩٤ .

٦ . انظر : الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي ، ، ط ٢ ، دار التراث العربي ، القاهرة ، ص ٦٠٧ .

إليها، فيقع في اللبس وسوء الفهم لكل من لا علم له بتوجيه التعارض، وقد حصر العلماء دفع التعارض في ثلاثة وجوه:

الأول: دفع التعارض بالجمع والتوفيق بين الروايات المتعارضين

الجمع والتوفيق هو إمكانية العمل بالروايتين المتعارضتين معاً، بحيث تحمل كل رواية على وجه، وفي ذلك قال الشافعي: (ولم نجد عنه شيئا مختلفا فكشفناه إلا وجدنا له وجها يحتمل به ألا يكون مختلفا)[1] ، ويعلق الخطيب البغدادي على قول الشافعي (وكلما احتمل حديثان أن يستعملا معاً، استعملا معا ولم يعطل واحد منهما الآخر) فيقول: وهذا القول صحيح وأنا أذكر بعض الأحاديث التي يظن إنها متضادة لتعارضها في الظاهر وليست متضادة، وأبين كيف وجه استعمال جميعها، ليستدل به على ما عداه من هذا الفن إن شاء الله [2]، وبالتالي يزول اللبس، ويتضح الفهم بمعرفتنا كيفية الجمع بين الروايات التي ظاهرها التعارض ومثل ذلك الجمع بين رواية الإسفار بصلاة الفجر والتغليس بها، فعن رَافِعِ بن خَدِيجٍ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (أَصْبِحُوا بِالصُّبْحِ فإنه أَعْظَمُ لِأُجُورِكُمْ أو أَعْظَمُ لِلْأَجْرِ)[3]، فهذه الرواية تدل على استحباب الإسفار بالفجر لما تضمنته من تعظيم الأجر، وتعارضها رواية: عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قالت إن كان رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيُصَلِّي الصُّبْحَ فَيَنْصَرِفُ النِّسَاءُ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ ما يُعْرَفْنَ من الْغَلَسِ*[4]، وغيرها من الروايات التي تبين أن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بغلس، فيجمع بين الروايتين المتعارضتين بوجوه كثيرة منها: بأن المراد بأصبحوا غير ظاهره، فقيل المراد به تحقق طلوع الفجر، وأن أعظم ليس للتفضيل، وقيل المراد به إطالة القراءة في صلاة الصبح حتى يخرج منها مسفرا[5]، وقيل المراد به الليالي المقمرة فإنه لا يتضح أول الفجر معها لغلبة نور القمر لنوره، وحمل الرواية على هذه الوجوه لا يعارض كون صلاته صلى الله عليه وسلم كانت بغلس.

---

١ . انظر كتاب الرسالة ، للشافعي ، ص ٢١٦ .

٢ . انظر : الفقيه و المتفقه ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، دار ابن الجوزي – السعودية – ١٤٢١هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي ، ١ ، ٥٣٨ .

٣ . أخرجه أبو داود في السنن ، في كتاب الصلاة ، باب وقت الصبح ، حديث رقم : (٤٢٤) ، (انظر : سنن أبي داود ، ١ / ١١٥) . ، وأخرجه الترمذي في كتاب أبواب الصلاة ، باب ما جاء في الإسفار بالفجر ، حديث رقم : (١٥٤) (انظر : سنن الترمذي ، ١ / ٢٨٩)

* . الغلس : هو بقية ظلام الليل ،ويقال لبقية ظلمة الليل بعد الفجر غبش فأما الغلس فبعيد ذلك . (انظر غريب الحديث ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، دار النشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة — ١٤٠٢ ، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، ٢ / ٢٨٢ .

٤. أخرجه أبو داود في السنن ، في كتاب الصلاة ، باب وقت الصبح ، حديث رقم : (٤٢٣) ، (انظر : سنن أبي داود ، ١ / ١١٥) .

٥ . انظر : سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير ، ١ / ١١٠ .

الثاني: دفع التعارض بالنسخ

يعد إعمال النسخ هو أحد سبل توجيه التعارض بيت الروايات، فيرى ابن حجر أن الرواية التي فيها معارضة، فلا يخلو إمكان الجمع بين مدلوليها بغير تعسف، أولا يمكن الجمع، وإن تعذر الجمع فلا يخلو من أن يعرف التاريخ أولا يعرف، فإن عرف التاريخ وثبت المتأخر به، أو بأصرح منه فهو الناسخ والآخر المنسوخ[1]، ومعرفة الناسخ من المنسوخ يزيل التعارض الذي يزيل اللبس في فهم السنة النبوية، فالذي يسمع حديث أُبَيُّ بن كَعْبٍ أَنَّهُ قال يا رَسُولَ اللَّهِ إذا جَامَعَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فلم يُنْزِلْ قال يَغْسِلُ ما مَسَّ الْمَرْأَةَ منه ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي[2]، ولا يعرف أن هذا الحديث منسوخ يقرر: ألا غسل إلا بإنزال فيُخْطِئ الفهم ولا يستقيم إلا إذا عرف الناسخ له، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا جلس بين شُعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب عليه الغسل)[3]، فكان الحكم في ابتداء الإسلام أن من جامع فأكسل لا يجب عليه الغسل، ثم صار منسوخاً بإيجاب الغسل وإن لم ينزل[4]، قال أبو عَبْد اللَّهِ البخاري الْغَسْلُ أَحْوَطُ وَذَاكَ الْآخِرُ وَإِنَّمَا بَيَّنَّا لِاخْتِلَافِهِمْ[5].

الثالث: دفع التعارض بترجيح رواية على أخرى

الترجيح هو أحد الأوجه التي يُدفع بها التعارض، وبإزالته يتضح المعنى ويُلْجَأ إلى الترجيح في حالة تعذر الجمع بين الروايات، أو عدم معرفة الناسخ والمنسوخ، وقد عد العلماء مرجحات كثيرة، لا سبيل لحصرها هنا، فمنها ما يتعلق بالإسناد، ومنها ما يتعلق بالمتن، ومنها ما يتعلق بأمر خارج عنهما، ومثال دفع التعارض بالترجيح، ما رواه ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وهو مُحْرِمٌ[6]، فأنه يعارض رواية أبي رافع رضي رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، تزوج ميمونة وهو حلال، وكنت أنا السفير بينهما[7]، وقد تعذر الجمع بين الروايتين، مع عدم النسخ هنا، فرجحت رواية أبي رافع، لأنه كان السفير بينهما في هذا النكاح، وصاحب القصة، والمباشر لها، فترجح روايته، على رواية غير المباشر وهو قول أكثر الصحابة والجمهور، ولكثرة ما روى من أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال، ولأن أبا رافع كان السفير بينهما، وهو أعلم بحالهما آنذاك،

---

١ . انظر : نخبة الفكر شرح مصطلح أهل الأثر ، الحافظ ابن حجر ، الطبعة الثانية ، مكتبة الغزالي ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م ، دمشق ، ص ٦٠ - ٦٢ .

٢ . أخرجه البخاري في كتاب الغسل، باب غسل ما يصيب من فرج المرأة (انظر : الجامع الصحيح ، للبخاري ، ١ / ١١١) .

٣ . أخرجه البخاري في كتاب الغسل، باب إذا التقى الختانان (انظر : الجامع الصحيح ، للبخاري ، ١ / ١١٠) . وأخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين. (انظر: صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج ، طبعة دار الحديث ، القاهرة ٢٧١/١) .

٤ . انظر : شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي ، المكتب الإسلامي – دمشق _ بيروت – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش ، ٢ / ٦ .

٥ . انظر : الجامع الصحيح ، للبخاري ، ١ / ١١١ .

٦ . أخرجه البخاري ، في صحيحه في كتاب الحج ، باب تزويج المحرم (انظر : الجامع الصحيح ، للبخاري ، ٦٥٢/٢) .

٧ . أخرجه الترمذي في أبواب الحج، باب ما جاء في كراهة تزويج المحرم ، وقال الترمذي، حديث حسن (انظر : سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ، ٢٠٠/٣ ،

قال القاضي عياض: لم يُرْوَ أنه تزوجها مُحْرِماً، إلا ابن عباس، حتى قال سعيد بن المسيب وهم ابن عباس، وإن كانت ميمونة خالته، ما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعد ما حل، ثم إن ميمونة رضي الله عنها صاحبة القصة، روت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال، ومما يقوى ما ذهب إليه أصحاب هذا القول ما رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه: (لا ينكح المحرم ولا يُنكَح)[١].

وهكذا يتضح دور معرفة توجيه التعارض في فهم السنة النبوية على وجهها الصحيح، وكيف يزول اللبس والإشكال الذي يقع في أذهان من يطلع على الروايات المتعارضة ظاهرياً ومن لا يعرف منهجية توجيه التعارض لا ينبغي له أن يصدر الأحكام بمجرد النظر إلى إحدى الروايات.

خاتمة

الحمد لله في الأولى وفي الآخرة، والصلاة والسلام على نبي الهدى، وصاحب البيان، لقد استبان لنا أن فهم السنة النبوية أمر في غاية الخطورة، فالانحراف في فهمها يؤدي إلى الضلال، بل إلى الكفر في بعض الأحيان، وحتى يتحقق الفهم الصحيح والسديد للسنة النبوية، لا بد من معرفة المنهجية الصحيحة للفهم، تلك المنهجية التي أرسى قواعدها النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته عليهم الرضوان من بعده، وهي كذلك منهجية أهل العلم من سلف هذه الأمة، فإن كتبهم في شروح الحديث والفقه تبن منهجهم الرصين، فكيف بمن قرأ صفحات من بعض المتون، لا علم له بشرحها، ولا عامها ولا خاصها، ولا يعرف الناسخ من المنسوخ، ولا يعرف دلالة الألفاظ، ولا يطلع على أسباب الورود، ثم يصدر الأحكام: هذا حلال وهذا حرام، فجاء هذا البحث المختصر لينبه على هذا الأمر الخطير. وأعرض هنا أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

أهم النتائج:

١/إن قضية منهجية فهم السنة النبوية من أخطر القضايا المعاصرة، وتضاهي في أهميتها حجية السنة النبوية وثبوتها.

٢/من آثار سوء فهم السنة النبوية، بروز الاختلاف المؤدي إلى الصراع، وظهور الغلو في التدين، وما يقابله من التفريط والتهاون، وظهور أنماط سالبة للتدين، والقعود عن معالجة القضايا المعاصرة.

٣/لا يتحقق فهم السنة النبوية إلا بالإحاطة بمعاني ألفاظها الظاهر منها والغريب، ومعرفة مدلولاتها، ومقاصدها، ومناسبتها، والأحكام المستنبطة منها، وعللها، وأسباب ورودها.

٤/قامت منهجية فهم السنة النبوية على أصول راسخة، أرسى قواعدها النبي صلى الله عليه وسلم.

٥ / تقوم منهجية فهم السنة النبوية على قواعد، أبرزها:

أ/جمع الروايات في الموضوع الواحد.

---

١ . أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب النكاح ، باب تحريم نكاح المحرم ، وأبو داود في كتاب المناسك، باب المحرم يتزوج ، (انظر : الجامع الصحيح ، لمسلم ، ٢/ ١٧٥، والترمذي في أبواب الحج ، باب ما جاء في الرخصة في تزويج المحرم ، (انظر : سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ، ٣/ ٢٠١، والنسائي في كتاب الحج ، باب النهي عن نكاح المحرم . (انظر : المجتبى من السنن ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م ، الطبعة: الثانية ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، ٥ / ١٩٢ .

ب/الإحاطة بأسباب الورود والوقائع، والظروف الزمانية والمكانية.

ج/معرفة دلالات الألفاظ (العام والخاص، المقيد والمطلق، والحقيقة والمجاز)، وعرفة الغريب منها.

د/معرفة توجيه التعارض متى ما وقع بين الروايات.

أهم التوصيات:

١/الاهتمام بموضوع فهم السنة النبوية، وذلك من خلال الطرق عليه بمزيد من الأبحاث.

٢/القيام بإعداد مناهج ومقررات دراسية تهدف إلى التعريف بمناهج فهم السنة النبوية، تدرس لطلاب العلوم الشرعية، وغيرهم.

٣/رعاية الشباب، وتوجيههم للمصادر الأصيلة في شرح السنة النبوية وفهمها.

المصادر والمراجع

١/القرآن الكريم:

٢ / الإبهاج في شرح المنهاج ، على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ، علي بن عبد الكافي السبكي ، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية - بيروت –١٤٠٤ هـ .

٣ / إحكام الأحكام ، شرح عمدة الأحكام ، ابن دقيق العيد تقي الدين أبو الفتح ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٤ / إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر - بيروت - ١٤١٢ - ١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب .

٥ / أصول الفقه ، للشيخ محمد الخضري بك ، الطبعة السادسة ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٦٩ م

٦ / الإمام في بيان أدلة الأحكام، الإمام عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: رضوان مختار بن غربية ،

٧ / تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا ، دار الكتب العلمية - بيروت

٨ / تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير ، دار الفكر - بيروت – ١٤٠١هـ .

٩ / جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ، بيروت، ١٤٠٥ هـ

١٠ / الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، دار ابن كثير , اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا

١١ / الجامع الصحيح لمسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي

١٢ / الجامع الصحيح سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون .

١٣ / الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، مكتبة المعارف - الرياض – ١٤٠٣ هـ ، تحقيق : د. محمود الطحان .

١٤ / الرسالة ، للشافعي ،القاهرة - ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م ، تحقيق: أحمد محمد شاكر .

١٥ / سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، محمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٧٩ هـ ، الطبعة: الرابعة ، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي.

١٧ / السنة قبل التدوين ، محمد عجاج الخطيب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م ، أم القرى للطباعة والنشر ، القاهرة

١٦ / السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث ، الشيخ محمد الغزالي ،

١٧ / شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي ، المكتب الإسلامي – دمشق ــ بيروت – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش

١٨ / صحيح ابن خزيمة، تأليف: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩٠ – ١٩٧٠، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي

١٩ / غريب الحديث ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، دار النشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة — ١٤٠٢ ، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي .

٢٠ / فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، دار المعرفة — بيروت ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، .

٢١ / الفقيه و المتفقه ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، دار ابن الجوزي – السعودية – ١٤٢١هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي

٢٢ / قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م ، الطبعة: الأولى

٢٣ / الكفاية في علم الرواية ، الخطيب البغدادي ، ، ط ٢ ، دار التراث العربي ، القاهرة ،

٢٤ / كيف نتعامل مع السنة النبوية ، يوسف القرضاوي ، إصدار المعهد العلمي للفكر الإسلامي (سلسلة قضايا الفكر الإسلامي ، الطبعة الثامنة ، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م

٢٥ / المجتبى من السنن ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة

٢٦ / الموافقات في أصول الشريعة ، إبراهيم بن موسى الشاطبي ، طبعة دار المعرفة ، بيروت

٢٧ / نخبة الفكر شرح مصطلح أهل الأثر ، الحافظ ابن حجر ، الطبعة الثانية ، مكتبة الغزالي ، ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م ، دمشق ،

٢٨ / نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الجيل .

منهج المدرسة العقلانية الحديثة
في دراسة الأحاديث المشكلة

د. سعيد بن صالح الرقيب

أستاذ مشارك في السنة وعلومها

جامعة الباحة

السعودية

ssalghamdi@gmail.com

المقدمة

الحمد لله الهادي إلى صراطه المستقيم، والصلاة والسلام على نبيه محمداً الذي بعثه ربه رحمة للعالمين، معلماً للأميين بلسان عربي مبين، أما بعد:

فإن الله قد اختار محمداً رسولاً ونبياً وأميناً على وحيه، ومعلماً مبيناً لما جاء عنه سبحانه وتعالى، وقد أوجب الله طاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما أمر، وكان من محصلة ذلك أن العالم بالسنة والمحب لها يكون من كل خوف في جُنة، وسالكٌ على منهاج الحق إلى الجنة، ولكي يتحقق لهم ذلك فقد أثار سبحانه أشواق المحبين لنبيه إلى التصديق بما جاء به وحثهم للاقتداء به ومتابعة سنته والذب عنها.

ولما كانت السنة النبوية بهذه المنزلة الرفيعة فقد وجب على محبيها أن يسعوا في خدمتها بتقريبها إلى الناس، وتحبيب الناس فيها، ودعوتهم إليها، وان يذبوا عنها انتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وتحريف الغالين.

ومما يخدم السنة النبوية في هذا العصر، ومما سرني هو قيام هذا المؤتمر الدولي عن السنة البنوية، تحت عنوان: "السنة النبوية وقضاياها المعاصرة"، والذي يقيمه مشكوراً قسم القرآن والحديث في أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا، بمدينة كوالالمبور، بدولة ماليزيا، وأسأل الله أن يثيب القائمين عليه وأن يوفقهم إلى كل خير.

ولما كان المحور الثاني من محاور المؤتمر عن: الاتجاهات المعاصرة في السنة النبوية، أحببت المشاركة تحت هذا المحور بهذا البحث بعنوان: "**منهج المدرسة العقلانية الحديثة في دراسة الأحاديث المشكلة**".

فحيث أن باب مشكل الحديث من الأبواب التي ولج فيها بعض من لم يحسن التعامل مع السنة النبوية، فبعضهم دخل بحسن نية وقصد، وهذا لا يكفي ولا يعفي من الوقوع في الخطأ لا تأثيماً له ولكن تجريماً لفعله حيث دخل فيما لا يحسن بمثله ممن قلّت بضاعته أن يلج فيه.

وكثيرٌ ممن دخل في الكلام في مشكل الحديث دخل بفساد نية وسؤ طوية، واختاروا سبيل الضلالة فأرادوا هدم الدين بالدين، وذلك بضرب نصوص الحديث بعضها ببعض، ليتوصلوا بذلك إلى ردها بالكلية وصرف الناس عنها بدعوى التناقض بين نصوصه، وممن يتحمل وزر هذا ويرفع رايته في هذا العصر ما يسمى بالمدرسة العقلانية، وقد دفعني للكتابة في هذا الموضوع ما يأتي:

- الذب عن السنة النبوية الشريفة.
- بيان شيءٍ ما تتعرض له السنة النبوية في هذا العصر من تحديات.
- تعرية منهج المدرسة العقلانية الحديثة تجاه السنة عموماً، ومشكل الحديث خصوصاً.
- التحذير من سلوك سبيل المعارضين للسنة النبوية.

ويتمثل منهج المدرسة العقلانية الحديثة في دراسة الأحاديث المشكلة من خلال الشبهات التي انطلقت منها هذه المدرسة ثم من خلال أسلوب التعامل معها والنظر فيها ودراستها، لذلك جاءت خطة البحث كما يأتي:

تمهيد: وفيه مطلبان: المطلب الأول: تعريف الحديث المشكل.

المطلب الثاني: تعريف بالمدرسة العقلانية الحديثة وعلاقتها بالمدرسة العقلانية القديمة.

المبحث الأول: شبهات المدرسة العقلانية الحديثة حول الحديث الشريف.

المبحث الثاني: منهج المدرسة العقلانية الحديثة في دراسة الأحاديث المشكلة.

الخاتمة:

المراجع:

ومنهجي في كتابة البحث كما يأتي:

- توثيق الآيات القرآنية.
- تخريج الأحاديث الواردة تخريجاً مختصراً.
- وضعت عناوين مناسبة لكل فقرة من البحث.
- وضعت تحت كل فقرة ما يوفقها من نصوص.
- نقل النصوص مباشرة أبو بواسطة ، ووضعها بين حاصرتين " ".

–لم أتعمد الرد على ما ورد من شبهات وضلالات، وحسبي في ذلك بأن البحث سيكون بين يدي محبي السنة النبوية العالمين بها، والعاملين في خدمتها.

وأسأل الله بمنه وكرمه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه.

المطلب الأول: تعريف الحديث المشكل

تعريف مشكل الحديث:

لغة: "مشكل: مشتق من الفعل أشكل: التبس، وأمور أشكال: ملتبسة"[(١)].

اصطلاحاً: "أحاديث مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسانيد مقبولة يوهم ظاهرها معاني مستحيلة، أو معارضة لقواعد شرعية ثابتة"[(٢)].

تعريف مختلف الحديث:

لغة: المختلِف بالكسر اسم فاعل والمختلَف بالفتح اسم مفعول وهو من اختلاف الأمرين، وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف"[(٣)].

اصطلاحاً: "وهو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهراً، فيوفق بينهما، أو يرجح أحدهما"[(٤)].

والفرق بين النوعين واضح وبيّن فبينهما عموم وخصوص، فكلا النوعين يدرسان ما قد يجده الناظر من تعارض في فهم الأحاديث الشريفة، فأما مصطلح "مختلف الحديث" يختص بالنظر في التعارض بين الأحاديث

١-لسان العرب مادة (ش ك ل).

٢- مختلف الحديث ، ص٣٢.

٣- لسان العرب ٩١/٩ ، تاج العروس ٢٤٠/٢٣.

٤- التقريب والتيسير ص ٢٠ .

فقط، وأما مصطلح "مشكل الحديث" فيعم جميع أنواع التعارض التي يمكن أن توجد مما يعارض معنى من معاني الحديث الشريف ومفهومه مع ظاهر القرآن الكريم، أو الواقع، أو التاريخ، أو السنن الكونية، وقد يكون الحديث مشكلاً في ذاته من غير وجود معارض له، فكل مختلف مشكل، وليس كل مشكل مختلف.

وقد سلك أهل العلم المخلصين لدينهم والعاملين له منهجاً متميزاً في دراسة تلك الأحاديث المتعارضة، حتى غدا هذا العلم من أهم علوم الحديث الشريف، وغدا منهجهم نبراساً وهدىً لمن أراد إعلاء دين الله وأراد النجاة لنفسه من الوقوع في مهاوي الزيغ والضلال.

المطلب الثاني: تعريف بالمدرسة العقلانية الحديثة وعلاقتها بالمدرسة العقلانية القديمة

هذه التسمية ناشئة من ثلاث كلمات:

المدرسة: مكان الدرس والتعليم، والمدرسة: جماعة من الفلاسفة أو المفكرين، أو الباحثين تعتنق مذهباً معيناً أو تقول برأي مشترك[1].

العقلانية: وصف منسوب للعقل[2]، والعقلانية كمصطلح يراد بها عموماً: "المذهب الفلسفي الذي يرى أن كل موجود مردود إلى مبادئ عقلية، ويراد بها خصوصاً الاعتداد بالعقل ضد الدين بمعنى عدم تقبل المعاني الدينية إلا إذا كانت مطابقة للمبادئ المنطقية والنور الفطري"[3].

الحديثة: نسبة إلى الحديث: نقيض القديم [4].

وأما باعتبار التركيب فهي: تلك الاتجاهات العقلانية التي ظهرت في القرنين الأخيرين التي تغالي في تحكيم العقل البشري وتقديمه على الدين، وتعطي العقل وأحكامه اعتباراً فوق اعتبار نصوص الوحي الثابتة عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم "[5].

علاقتها بالمدرسة العقلية القديمة:

يتضح من خلال أقوال رواد المدرسة العقلانية الحديثة وجود علاقة وطيدة وتوافق منهجي مع المدرسة العقلية القديمة والتي يمثلها المعتزلة، وهذا ليس من باب التصنيف العقدي لأصحاب المدرسة العقلانية الحديثة، وإنما قصدت بيان العلاقة الفكرية بينهما فيما يتعلق بالأحاديث المشكلة، ويمكن للباحث أن يجد علاقة فكرية قوية بين المدرستين، ومما توافقت فيه المدرستان:

أ - إكبار دور العقل، وتقديمه على النص فيما لا مجال للرأي فيه، وإخضاع النص للعقل.

ب - أن أغلب المسائل التي أثارها أصحاب المدرسة الأولى في مشكل الحديث عاد أصحاب المدرسة الحديثة لإثارتها من جديد.

١- المعجم الوسيط ١/٢٨٠.

٢- السلفية وقضايا العقل ص ١٦١.

٣- معجم المصطلحات العلمية مادة (ع ق ل).

٤- لسان العرب مادة (ح د ث).

٥- الجهمية والمعتزلة ص ٢٠٢.

ت - رد الأحاديث المشكلة التي لا تتناسب مع أهوائهم وأصولهم الفاسدة، وتأويلها تأويلاً عقلانياً.

ومن الأمثلة على توافق منهج المدرستين:

قال محمد عبده: "اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه على أن إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل"(١).

وقد أنكرت المعتزلة قديما رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة مخالفة في ذلك للمنهج الحق منهج أهل السنة والجماعة، وبعض العقلانيين العرب يردد شبهة الأوائل، فتصده عن قبول الحق وأدلته، فلا أدرى عن قصد أو غفلة، جاء في هذا العصر محمد الغزالي فقال عن حديث الرؤية: "الحديث كله معلول وإلصاقه بالآية خطأ يعنى قولة تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ*إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}(سورة القيامة: ٢٢-٢٣)، وبعض المرضى بالتجسيم هو الذي يسيغ هذه الروايات، وإن المسلم الحق ليستحي أن ينسب إلى رسوله هذه الأخبار"(٢).

وأنكرت المعتزلة قديماً عذاب القبر وردت الأحاديث الواردة في ذلك وجاء أحد العقلانيين في العصر الحاضر وهو إسماعيل منصور فرد الأحاديث في عذاب القبر بقولة: " فتكذيب الحس لما تقوله هاتان الروايتان يجعلهما روايتين كاذبتين على رسول الله صلى الله عليه وسلم دون شك أو اختلاف"(٣).

ومن أحب قوماً لهج بذكرهم ومدحهم يقول محجوب بن ميلاد: "فقد كان المعتزلة المحرك القوي الذي أطعم التفسير الإسلامي وغذاه وبعث فيه حيوية رائعة، وأكثر جرأة سطرت صفحات هي من أنفس صفحات التفكير الإسلامي، وأجرت ينابيع فكرية ماؤها من أصفى المياه وأعذبها"(٤).

المبحث الأول: شبهات المدرسة العقلانية الحديثة حول الحديث الشريف

أثار أعداء السنة جملة من الشبهات جعلوها برأيهم أسباباً علمية وواقعية لرد أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي أشكلت عليهم ومما أثير من شبهات لتسويغ منهجهم في دراسة الأحاديث المشكلة:

الشبهة الأولى: رد الأحاديث بدعوى عدم حجية خبر الآحاد.

جرى في كثير من كتب أهل العلم تقسيم الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى أخبار أحاد وأخبار متواترة، يقول ابن حزم: "فإن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم يجرى على ذلك أهل كل فرقة في علمها كأهل السنة والخوارج والشيعة والقدرية، حتى حدث متكلمو المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع في ذلك"(٥).

وهذا التقسيم فيه كلام طويل، ولكلام من أورده من أهل العلم بالحديث في مصنافاتهم محامل حسنة ومخارج مرضية، لكن أصحاب المدرسة العقلانية الحديثة ساروا على منهج المعتزلة في قصدهم من هذا التقسيم، وهو

١- الإسلام والنصرانية ص ٥٩ .

٢- السنة النبوية ص ١٢٥ .

٣- تبصير الأمة ص ٥٢٢ .

٤- نقلاً عن كتاب : الجهمية والمعتزلة ص ٢١٤.

٥- الأحكام ١/١٠٨ .

أن المتواتر من الأخبار يفيد العلم اليقيني أما أخبار الآحاد فلا تفيد إلا الظن، وبالتالي لا يصح الاحتجاج بها لإسقاط كثير من أحاديث العقائد والأحكام والتي لا تتفق مع منهجهم العقلي البحت.

يقول أبو رية: "الأخبار التي جاءت من طريق الآحاد وحملتها كتب الحديث فإنها لا تعطى اليقين وإنما تعطى الظن، والظن لا يغنى من الحق شيئاً، وللمسلم أن يأخذ بها ويصدقها إذا اطمئن قلبه بها وله أن يدعها إذا حاك في صدره شيء منها وهذا أمر معروف عند النظار من علماء الكلام والأصول والفقه ولم يعارض فيه إلا (زوامل الأسفار) من الحشوية الذين لا يقام لهم وزن"[1].

الشبهة الثانية: أن كثيراً من الأحاديث إنما هو من الإسرائيليات أو المسيحيات.

يقول أبو رية: بعد أن ذكر عنواناً "المسيحيات في الإسلام" فإذا كانت الإسرائيليات قد لوثت الدين الإسلامي بمفترياتها، فإن المسيحيات كان لها كذلك نصيب مما أصاب هذا الدين وأول من تولى كبر هذه المسيحيات هو تميم ابن أوس الداري[2]، يقصد بذلك حديث الجساسة الطويل، وقال عن حديث موسى وملك الموت: "إن رائحة الإسرائيلية لتفوح من هذا الحديث"[3].

وبرر إنكار محمد عبده لحديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم: لأن من علامة الحديث الموضوع مخالفته للقطعي من القران وغيره[4].

ثم جاء إسماعيل منصور وجعل من الأحاديث التي يردها أحاديث تشتمل على إسرائيليات وهي أحاديث امتزجت بروايات أهل الكتاب اليهود والنصارى بعد إسلامهم حيث إن الذين اسلموا منهم جاءوا إلى الإسلام ومعهم بعض أفكارهم وبعض قصصهم التي حفظوها قبل ذلك فجاءت رواياتهم للحديث بعد إسلامهم مختلطة بذلك[5].

الشبهة الثالثة: الشك في عدالة الصحابة.

الصحابة خير الأمة بعد رسول الله ﷺفقد اختارهم الله أصحابا لنبيه ورضيهم النبي أصحابا له، هم الذين حملوا الدين عنه وقاموا به بعده ونقلوه بكل أمانة لمن بعدهم فمن طعن في الأصحاب فقد عارض أمر من اختارهم، واتهم من رضيهم، ومن طعن في النقلة طعن في المنقول.

وقد تجرأ أصحاب المدرسة العقلانية الحديثة في الطعن في الصحابة، ومن أفحش من كتب في ذلك محمود أبو رية في كتابه: أضواء على السنة المحمدية، وقد كتب أكثر من خمسين صفحة في ذمِّ أبي هريرة رضي الله عنه[6].

عنه[6].

١- أضواء على السنة النبوية ص١٩٩ .

٢- نقلاً عن كتاب دفاع عن السنة ، ص٨٢ .

٣- السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم ص١٦٢ .

٤- تفسير المنار ٥٩/٩ .

٥- تبصير الأمة ص٦٢١ .

٦- نقلاً عن كتاب دفاع عن السنة ص ٩٠ .

ويجعلهم أحمد أمين في موضع يمكن أن نتناولهم بالنقد فيقول: "ويظهر أن الصحابة أنفسهم في زمنهم كان يضع بعضهم بعضا موضع النقض"[١]، ويريد بهذا الكلام التهميد لمن في قلبه هوى من المدرسة العقلانية الحديثة أن ينتقد الصحابة أو أن يطعن فيهم.

الشبهة الرابعة: إنكار الاحتجاج بالحديث لأنه لا يحتج به في قواعد النحو والصرف.

يقول إسماعيل منصور: فقد تحرج الأئمة الأوائل من علماء اللغة من الاستشهاد اللغوي بما ورد في نصوص السنة، خوفاً من عدم صحة النسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هذا هو منهج الرعيل الأول من اللغويين وهو مسلك قام على الاحتياط والتدقيق...ومن حجتهم مجيء الرواية بألفاظ مختلفة لرواة مختلفين، وهذا يعني أن الرواة هم الذين صاغوا الأحاديث بعد استقرار معانيها عندهم بعد عهد النبوة بفترة من الزمن[٢].

الشبهة الخامسة: عدم مسايرة الأحاديث للعلم الحديث.

فلتطور الحياة المادية الغربية المبنية على فلسفة القوانين النسبية والتجريبية التي انبهر بها بعض أبناء المسلمين حتى جعلوا ما جاءت به تلك الحضارة مسلمات، وما جاء في السنة النبوية مما يخالف ظاهره لا يمكن قبوله أو القول به في عصر العلم والاختراعات، وفي الحقيقة أنهم لم يفهموا النصوص الشرعية كما ينبغي فتوهموا التعارض الذي يؤدي إلى إسقاط احد المتعارضين فبادروا جهلا منهم إلى رد النصوص الشرعية.

ومن الأحاديث التي ردها العقلانيون من هذا الباب: حديث الذباب، قال صلى الله عليه وسلم: "**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه، فان في إحدى جناحيه داء وفي الآخر شفاء**"[٣].

يقول أبو رية: "وماذا يضرنا إذا أثبت العلم ما يخالف حديثا من الأحاديث التي جاءت من طريق الآحاد، وبخاصة إذا كان هذا الحديث في أمر من أمور الدنيا...وهل أوجب علينا الدين أن نأخذ بكل حديث حملته كتب السنة اخذ تسليم وإذعان وفرض علينا أن نصدقها ونعتقد بها اعتقاداً جازماً...على أننا إذا سلمنا كما قلنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نطق بهذا الحديث ثم أثبت العلم ضرر الذباب فليس علينا من بأس في الرجوع عنه، وعدم الأخذ به لأنه أمر من أمور الدنيا[٤].

الشبهة السادسة: الاكتفاء بما جاء في القرآن.

منذ بدأ المبتدعة الجدد في الهجوم على السنة الشريفة يرددون عبارات الحرص على القرآن واعتباره هو المصدر الأول الذي لا يحتاج لان يضاف معه شيء.

ومن أوائل أولئك القوم: محمد توفيق صدقي فقد كتب مقالاً في مجلة المنار بعنوان: "الإسلام هو القرآن وحده": دعى فيه إلى الاكتفاء بالقرآن، والزهد في السنة النبوية فيقول: وخلاصة القول في هذا الموضوع إننا يجب علينا

١- فجر الإسلام ص٢١٦ .

٢- تبصير الأمة ص١٠٤ .

٣- أخرجه البخاري ،كتاب الطب ، باب : إذا وقع الذباب في الإناء ح (٥٧٨٢).

٤- أضواء على السنة النبوية ص١٩٩- ٢٠١ .

الاقتصار على كتاب الله تعالى مع استعمال العقل والتصرف، أو بعبارة أخرى -الكتاب والقياس- وأما السنة فما زاد منها عن الكتب إن شئنا عملنا به وإن شئنا تركناه"[١].

ويقول محمد الغزالي: "كل ما نحرص عليه شد الانتباه إلى ألفاظ القرآن ومعانيه، فجمله غفيرة من أهل الحديث محجوبون عنها، مستغرقون في شئون أخرى تعجزهم عن تشرب الوحي"[٢].

يقول إسماعيل منصور: "وهكذا تتضح عندنا هذه الحقيقة التي تؤكد أن تشريع الأمة الإسلامية هو ما جاءها في القرآن الكريم وحده دون أن يكون معه شيء آخر بأي حال"[٣].

المبحث الثاني: منهج المدرسة العقلانية الحديثة في دراسة الأحاديث المشكلة.

حين تتمكن الشبهات من نفس صاحب الهوى والزيغ فانه يسلك ما استطاع من سبل لإثبات ما رآه، ولدفع ما يواجهه من حق، وقد تنوعت الطرق والأساليب التي سلكها العقلانيون في دراسة الأحاديث المشكلة رغبة منهم في رد السنة النبوية، ورغبة في تبرير موقفهم العدائي منها، وتقوية لمنهجهم الفكري، ومن منهجهم وطرائقهم في ذلك:

أولاً: التشكيك في صحة الأحاديث المشكلة، وادعاؤهم أنها موضوعة.

شك كثير من العقلانيين في صحة الأحاديث التي أشكلت عليهم حتى ولو كانت تلك الأحاديث مما ورد في الصحيحين الذين اتفقت الأمة على قبولهما ولهم في ذلك مسالك:

الأول: الدعوة صراحة إلى نبذ الأحاديث بدعوى أنها موضوعة ففي رسالة لإسماعيل ادهم نشرها عام ١٣٥٣هـ ذهب فيها إلى أن هذه الثروة الغالية من الحديث الموجودة بين أيدينا، والتي تضمنتها كتب الصحاح ليست ثابتة الأصول والدعائم بل هي مشكوك فيها ويغلب عليها صفة الوضع[٤].

ويتساءل أحمد أمين: "متى بدأ الوضع؟ ويجيب بقوله يظهر أن هذا الوضع حدث في عهد الرسول فحديث: "**من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**"[٥] يغلب على الظن أنه قيل لحادثة زور فيها على الرسول"[٦].

الثاني: عند وجود تعارض بين ظاهر القرآن والحديث الصحيح يسعون إلى تكذيب الحديث بدعوى المعارضة ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً، وهو عجب**[٧] **الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة**[٨]، يقول رشيد رضا عن

١- مجلة المنار ، مجلد ٩ ص ٥١٧ .

٢- الطريق من هنا ص٦٦ .

٣- تبصير الأمة ص ١٦ .

٤- نقلاً عن كتاب زوابع في وجه السنة ص ٦٣ .

٥- أخرجه البخاري ، كتاب : العلم ، باب : إثم من كذب على النبي ﷺ ح (١٠٦).

٦- فجر الإسلام ص٢٥٨ .

٧- العجب : بالسكون ، العظم الذي في أسفل الصلب عن العجز . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/١٨٤ .

٨- أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ح(٢٢) .

الحديث: "ويعارضه كون الأرض تصير بالنفخة الأولى كما يأتي قريباً هباءً منبثاً وهذا قطعي وهو يعارض المرفوع أيضاً فإن لم يمكن الجمع كان ذلك مطعناً في صحة الحديث"[1].

ويقول أيضاً عن حديث الجساسة[2]: أن ما فيه من العلل والاختلاف والإشكال من عدة وجوه يدل على أنه مصنوع[3].

ثانياً: تأويل نصوص السنة النبوية المشكلة تأويلا باطلا.

حرص العقلانيون على إظهار حرصهم على التمسك بالسنة النبوية، فلجئوا إلى التأويل الخالي من العلم، والبعيد كل البعد عن الضوابط اللغوية والشرعية حتى تتلاءم مع أهوائهم وأهدافهم الخبيثة في صرف الناس عن السنة النبوية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد"**[4].

وبرر محمد عبده رده للحديث بتخريجين: "أحدهما: أن حديثه آحاد، وثانيهما: تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحة وسر رسالته على الناس، وهو ما غلب في تعاليمهم من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم...فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية لإصلاح السرائر من غير تقييد بالرسوم والظواهر"[5].

ولا غرو أن يذهب هذا المذهب العقلي في تفسير الحديث فهو القائل: "ورفع القرآن العقل ووضعه في مكانة بحيث ينتهي إليه أمر السعادة، والتميز بين الحق والباطل والضار والنافع"[6].

وأصبح هذا منهجاً لمن تبعه على هذا الطريق، يقول محمد الغزالي: "المشكلة تكمن في أحاديث أخرى صحيحة السند غير أن متونها تقفنا أمامها واجمين، لنبحث عن تأويل لها أو مخرج"[7].

ثالثاً: ضرب الأحاديث بعضها ببعض بدعوى التعارض لإسقاطها جميعا.

ومثال ذلك ما فعلة رشيد رضا عندما وجد حديثا لا يتفق مع منهجه العقلي، وأن ما في الحديث لا يتفق مع معقولات البشر، ففي مسألة طلوع الشمس من مغربها، يقول ابتداء: وأما علماء الهيئة الفلكية في هذا العصر فلا يتعذر على عقولهم أن تتصور حدثا تتحول فيه حركة الأرض اليومية فيكون الشرق غربا والغرب شرقا، ولا ندرى أيستلزم ذلك تغييرا آخر في النظام الشمسي، ثم يورد حديثين ظاهرهما التعارض، فيقول: وأقوى الأحاديث الواردة في طلوع الشمس من مغربها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله علية وسلم قال: لا تقوم الساعة

١- تفسير المنار ٤٧١/٨ .

٢- حديث تميم الداري ﷺ المشهور ، أخرجه مسلم ، كتاب : الفتن و أشراط الساعة ح(٧٣٨٦).

٣- تفسير المنار ٤٥٩/٩ .

٤- أخرجه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ح (٣٤٤٨).

٥- تفسير المنار ٣١٦/٣ .

٦- رسالة التوحيد ص١٩ .

٧- السنة النبوية ص١٥٨ .

حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون حين {لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ} (سورة الأنعام: ١٥٨)[١].

ويورد حديثا آخر بقوله: وأخرج أحمد والترمذي[٢]، وغيرهما عن أبي هريرة أيضاً رفعه: "**ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل: طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض**".

ويبين وجه التعارض عنده بقوله: وهو مشكل مخالف للأحاديث الأخرى الواردة في نزول المسيح بعد الدجال وإيمان الناس به، ثم يواصل كلامه مدعياً الاضطراب والتعارض فيما صح من أحاديث أشراط الساعة فيقول: فيخشى أن يكون أبو هريرة قد روى بعضها عن كعب الأحبار وأمثاله فتكون مرسلة، ولكن مجموع الروايات عنه، وعن غيره تثبت هذه الآية بالجملة، فننظمها في سلك المتشابهات، ونحمل التعارض بين الروايات وما في بعضها من مخالفة الأدلة القطعية...كالرواية عن مثل كعب الأحبار من رواة الإسرائيليات[٣]، وما أورده الشيخ رضا قد أجاب عنة الحافظ ابن حجز بعد أن أثاره، فالشيخ يأخذ التعارضات التي يثيرها ابن حجر ويدع ما جمع به بينها[٤].

يقول ابن حجر جامعاً بين هذه الروايات: "فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أو الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب"[٥]، فانظر كيف وفق الله المحبين للسنة للنظر السديد في نصوصها، وكيف عمي هؤلاء عن إدراك معانيها فردوها.

ويرد رشيد رضا أحاديث الدجال بقوله: "أنها متعارضة تعارضاً كثيراً يوجب تساقطها"[٦].

ثالثاً: تهوين أمر السنة النبوية، والسخرية بمن يعمل بها.

يقول محمد الغزالي: "قرأت خمسين حديثاً ترغب في الفقر وقلة ذات اليد...وسبعة وسبعين حديثاً ترغب في الزهد في الدنيا...وسبعة وسبعين حديثاً أخرى في عيشة السلف وكيف كان كفافاً...ولو جعلنا هذه المرويات محور حياة عامة لشاع الخراب في أرجاء الدنيا...وقد وقف الحرفيون عند هذه الآثار فوقفوا بالعالم الإسلامي كما وقف حمار الشيخ في العقبة لا يتقدم ولا يتأخر! بل لعله تراجع إلى العصر الحجري في بعض جوانبه"[٧].

١- أخرجه البخاري ،كتاب الرقاق . باب : طلوع الشمس من مغربها ح(٦١٤١).

٢- أخرجه أحمد في المسند ، ٤٤٥/٢ . والترمذي كتاب تفسير القرآن . باب : ومن سورة الأنعام ح (٣٠٧٢).

٣- تفسير المنار ٢١١/٨ .

٤- موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث الشريف ص ٣٥٠ .

٥- فتح الباري ٣٦١/١١ .

٦- تفسير المنار ٤٨٩/٩ .

٧- السنة النبوية ص٤٣ .

وقال: "السنة أصبحت كمتجر كبير للملابس وزعت فيه أنواعها على مختلف الجوانب...والطبيعي أن من يرد كسوة كاملة يمر بهذه الجوانب كلها...إن هذا مثل طوائف اشتغلت بالسنة، ثم بعد طول تطواف خرجت على الناس، وفي أيديها من السنن السواك، وعمامة مقطوعة الذنب اعتبروها شعار الإسلام، وسر ذلك أنهم دخلوا المعرض الحافل ثم خرجوا منه بعد أن ظنوا الدين كله في حديث أو سنة محدودة، فأساءوا بذلك إلى القرآن والسنة جميعاً"[1].

يقول حسين أحمد أمين: "إنكم تنطلقون كالزنانير الهائجة تلسعون هذا وذاك باسم الحديث النبوي...فيا أولاد الأفاعي إلى متى تتسترون بالإسلام لضرب الرجال الذين يعيشون له ويجاهدون لنصرته"[2]، يعني: نفسه.

ويقول إسماعيل منصور: "ونحن ندع لعلماء الحديث أن يثبتوا لأنفسهم ما يشاءون وينفون لها أيضاً ما يشاءون، وليعشوا في الوهم والظن ما شاءت لهم أنفسهم من ذلك، ونكتفي هنا بأن نقرر بما رأينا من بيان تفصيلي لهذه المسألة أن كل هذه الروايات هي من الوهم والظن وأنه إذا كان فيها ما يمكن تصديقه؛ فإنه لن يكون سوى عدم الثقة في كل روايات الحديث عموماً عن إثبات الأحكام"[3].

رابعاً: الهجوم على السنة بدافع الهوى، أو الفهم القاصر لها

يذكر الشيخ محمد أبو شهبة أمثلة على الفهم القاصر لأبي رية لبعض الأحاديث التي ردها بسوء فهمه، فيقول: قال أبو رية في ص(٢١٤): وفي حديث لمسلم: أن الساعة تقوم قبل انتهاء القرن الأول الهجري.

يقول أبو شهبة: "ولعل مراده بحديث مسلم قول النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بشهر: "**أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد**"[4]، والحديث ظاهر في أن المراد انقراض أهل هذا القرن، وأنه ليس المراد قيام الساعة الكبرى، وقد غلط المؤلف في فهمه كما غلط أناس من قبله، ولو تأمل المؤلف في هذه الرواية لما وقع في هذا الزعم الكاذب"[5].

ويقول محمد الغزالي: "وأعرضت عن أحاديث أخر توصف بالصحة، لأنها في فهمي لدين الله وسياسة الدعوة لم تنسجم مع السياق العام"[6].

ويضع حسين أحمد أمين قاعدة جديدة لمعرفة الصحيح من السقيم وهي قاعدة "رد كل ما يمجه التفكير"، وضرب لذلك مثالاً حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: "**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**"[7] [8]، وهذا منهج التقبيح والتحسين العقلي عند المعتزلة.

خامساً: التشكيك فيما صح من حديث فيما لا يوافق منهجهم

١- فقه السيرة ص٤٣ .

٢- العقلانية ، عبد السلام البسيوني ص٨٢ .

٣- تبصير الأمة ص ٥٢٠ .

٤- أخرجه مسلم كتاب : فضائل الصحابة ح (٢٥٣٧) .

٥- دفاع عن السنة ، ص١٩٤ .

٦- فقه السيرة ص١٣ .

٧- أخرجه مسلم ،كتاب : الأشربة ح (٥٢٦٧).

٨- العقلانية ص١٢٢ .

يقول محمد الغزالي: إن ركاما من الأحاديث الضعيفة قد ملأ آفاق الثقافة الإسلامية المعاصرة بالغيوم، وركاماً من الأحاديث التي صحت، وسطا التحريف على معناها، أو لابسها كل ذلك جعلها تنبو عن دلالات القرآن القريبة والبعيدة[١]، فانظر كيف يسمى صحيح السنة ركاماً.

وقال إسماعيل منصور عن الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**"[٢]، فهذا حديث مفعم بالركاكة الواضحة لدى كل باحث مدقق محايد أصلاً حيث يظهر فيه: اضطراب المعاني، رداءة التعبير، وعدم صدق البيان، فضلاً عن المخالفات الشرعية الكثيرة التي اشتمل عليها المتن بما لا يقبل معه احتمال أو تبرير"[٣].

سادساً: التعلق بكل شبهة رديئة لرد الأحاديث المشكلة

إن غياب المنهج الصحيح في التعامل مع السنة بالتسليم والقبول ابتداء، ومحاولة فهمها على مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يجعل صاحب الهوى وفاسد النية يبحث عن كل شبهة يتعلق بها لبرهنة ما يذهب إليه، بعيداً كل البعد عن منهج أهل الحديث الذين هم أعلم الناس بالحديث، ويقصيهم وكأنهم لا شأن لهم بالحديث، فيأتون إلى الشبهة ويجعلونها قطعية وما ثبت من الحديث مظنوناً.

يقول محمد الغزالي عن حديث في صحيح مسلم: "إن بالحديث علة قادحة وهي كافية في سلب وصف الصحة عنه، وأهل الفقه لا أهل الحديث هم الذين يردون هذه الروايات"[٤]، وعلة الرد عنده عدم أخذ الفقهاء بالحديث.

سابعاً: رد الأحاديث الصحيحة المشكلة بدعوى الغيرة على الدين أو الدفاع عن مصالح المسلمين.

ففي حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم الذي روته عائشة رضي الله عنها قالت: **سحر** صلى الله عليه وسلم **حتى إنه ليخل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله**"[٥]، يرى محمد عبده أن هذا الحديث المسمى حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم يتعارض مع الدعوة إلى تنزيه مقام النبوة أو محاولة إظهار الإسلام بمظهر لا يكون فيه موضع اتهام من أعداء الإسلام[٦].

وقوله أن ذلك يتعارض مع مقام النبوة ويشكك فيما شرعه شبهة قديمة رددها المتأخرون وقد رد عليه العلماء قديما ومن ذلك يقول المازري: "وهذا الذي قالوه باطل وذلك أن الدليل قد قام على صدقة فيما يبلغه عن الله سبحانه وتعالى، وعلى عصمته فيه، والمعجزة شاهدة بصدقه وتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وما يتعلق

١- السنة النبوية ص١٨٨ .

٢- أخرجه البخاري ،كتاب : العلم ، باب : الحرص على الحديث ح(٩٩) .

٣- تبصير الأمة ص٦٠٨ .

٤- السنة النبوية ص٢٩ .

٥- أخرجه البخاري ،كتاب : الطب ، باب : السحر ح (٥٧٦٦).

٦- نقلاً عن كتاب السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها ص٢٠٦ .

ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها، ولا كان رسولاً مفضلاً من أجلها هو في كثير منه عرضة لما يتعرض البشر فغير بعيد أن يخيل إليه في أمور الدنيا ما لا حقيقة له"[1].

ويدافع محمد رشيد رضا عن محمد توفيق صدقي الذي أنكر حديث الذباب ويصفه بالمسلم الغيور فيقول: "لم يطعن في صحة هذا الحديث إلا لعلمه بأن تصحيحه من المطاعن التي تنفر الناس عن الإسلام، وتكون سببا لردة بعض ضعفاء الإيمان"[2].

وجاء أخيرا إسماعيل منصور فرد حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله**"[3]، فقال: "نحب أن نلفت النظر إلى خطورة هذا الحديث خطورة عظيمه على الإسلام حيث أنه لو صدقه المسلمون وعملوا به بهدم الدين الإسلامي كلية من ألفه إلى يائه، وصرف الأمة الإسلامية بالتالي عن طريق الرحمن إلى طريق الشيطان وسبب ذلك باختصار شديد هو: أن الحديث سيعطى دلالة واضحة على أن الإسلام قد فرض على الناس بالقهر لا بالرغبة، وبالسيف لا بالاختيار، وهذا هو الضد الذي يخالف الإسلام، فضلاً عن تسببه في أخذ الأمة الإسلامية إلى طريق منحرف بعيد تماما عن الين الحق يفرض عليها محاربة شعوب الأرض جميعاً غير المسلمين حتى يسلموا ويدخلوا بالقهر والبطش والقتال في سماحة الإسلام، وهذا كفيل بهدم كيان الأمة تماماً لكونه يكلفهم ما لا طاقة لهم به"[4].

وأخيراً كانت هذه مقتطفات مما قاله هؤلاء القوم من ضلالات وأوهام قادهم إليها منهجهم العقلاني الذي جعلوه سيفاً مسلطاً على حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وبقي كثير من تلك الأقوال تحتاج إلى جهود طويلة المدى وجماعية في العمل للذب عن السنة النبوية الشريفة.

الخاتمة

❖ إن النجاة والفلاح في لزوم منهج الحق في التعامل مع السنة النبوية عموماً، ومع مشكل الحديث خصوصاً.

❖ إن الردى والتخبط حاصل لكل من تنكب المنهج الحق، وأن مآل ما يصل إليه هو الزيغ والضلال والخسران.

❖ إن المعارضين للسنة النبوية في كل عصر لا يألون جهداً في صدّ الناس عنها، ومحاولة طمس أنوارها.

❖ ضرورة تعلم المنهج الصحيح في التعامل مع مشكل الحديث لطالب العلم، لأن من لم يتعلم ذلك قد يزل وهو لا يدري خطورة منهج المدرسة العقلانية الحديثة في التعامل مع السنة، والتي ينبغي التصدي لها.

١- المعلم بفوائد مسلم للمازري ٣/٩٣ .

٢- مجلة المنار ، المجلد ٢٩ ص٥٠ .

٣- أخرجه البخاري ،كتاب : الصلاة ، باب : فضل استقبال القبلة ح (٣٩٢).

٤- تبصير الأمة ص ٤٦٤ .

المراجع

١. تبصير الأمة بحقيقة السنة ، إسماعيل منصور ، النسر الذهبي للطباعة القاهرة ، ١٤١٦هـ.
٢. التقريب والتيسير ، محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، ١٣٨٥هـ ، دار الكتب الحديثة.
٣. الجهمية والمعتزلة ، د.ناصر بن عبد الكريم العقل ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤٢١هـ.
٤. دفاع عن السنة ، محمد محمد أبو شهبة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١هـ.
٥. زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً ، صلاح الدين مقبول ، مجمع البحوث العلمية ، دلهي ، ١٤١١هـ.
٦. السلفية وقضايا العصر، د.عبد الرحمن الزنيدي ، دار أشبيليا ، الرياض ، ١٤١٨هـ.
٧. السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم ، د.عبد الموجود عبد اللطيف ، مطبعة طيبة ، ١٤١١هـ.
٨. السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها ، د.مكي الشامي ، دار عمار ، عمان ، ١٤٢٠هـ.
٩. صحيح البخاري، البخاري، مراجعة وضبط : محمد علي قطب ، وهشام البخاري ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ١٤٢٤هـ.
١٠. صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ، اعتنى به : هيثم خليفة الطعيمي ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ١٤٢٤هـ.
١١. مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين ، د.نافذ حسين حماد ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤٢٨هـ.
١٢. العقلانية هداية أم غواية ، عبد السلام بسيوني ،دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤١٢هـ.
١٣. المعجم الوسيط ،د.إبراهيم أنيس وآخرون ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة.
١٤. المعلم بفوائد مسلم ، للإمام المازري ، تحقيق: محمد النيفر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٢م.
١٥. موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف ، شفيق شقير ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١٩هـ.
١٦. موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ، الأمين الصادق ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٨هـ.

موقع السنة النبوية الشريفة بين مصادر التنظير للعلوم الاجتماعية

د. صحراوي مقلاتي

أستاذ محاضر بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

بجامعة باتنة

الجزائر

smeguella@gmail.com

المقدمة

تفعيل السنة النبوية الشريفة من القضايا المنهجية الملحة اليوم في حياتنا وعليه من أجل الاضطلاع بهذه المهمة لا بد من مجموعة خطوات نبدؤها بالنظر إلى السنة النبوية الشريفة بوصفها معيناً ومنبعاً للمعرفة بصفة عامة بحيث يمكن أن نشتق منها مجموعة أدوات منهجية ويمكن أن نستخرج منها قوانين نفسية واجتماعية وتطوير مناهج نقدية استفادة من مناهج المحدثين، كما أن السنة النبوية الشريفة يمكن التعامل معها من خلال زوايا مختلفة وبطرائق متنوعة فنظرة المجتهد لغرض القانون يختلف عن نظرة التربوي فقد يهم التربوي في بعض المواطن فعل الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من القول باعتبار الفعل هو محور التاسي والاقتداء وكذلك الاقتصادي بحيث ينظر إلى طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في إدارة الثروة في حالات الحرب والسلم وكذلك السياسي، وقد ينظر إليها من زاوية نفسية في كيفية إدارة الرسول صلى الله عليه وسلم للذكاء العاطفي وتوظيف المخزون الشعوري الإيماني لدى الصحابة وكل من يحيط به وهكذا ومن هنا وجب تفعيل مناهج استثمار السنة في مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية وعليه فهذه الورقة هي محاولة في هذا الإتجاه.

مفاهيم الدراسة

أولاً: مفهوم السنة

السُّنَّةُ لُغَةً: الطَّرِيقَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا"[١] وَتُسَمَّى بِهَا أَيْضًا: الْعَادَةُ وَالسِّيرَةُ، قَالَ فِي الْبَدْرِ الْمُنِيرِ: السُّنَّةُ السِّيرَةُ حَمِيدَةً كَانَتْ أَوْ ذَمِيمَةً، وَقَالَ فِي الْقَامُوسِ: السُّنَّةُ السِّيرَةُ، وسنة الله تَعَالَى حُكْمُهُ وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ[٢] التكويني والتشريعي ولكن الغالب إطلاقها على الأمر التكويني إذا أسندت إلى الله أما إذا أسندت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حملت المعنى الثاني.

والسُّنَّةُ شَرْعًا وَاصْطِلَاحًا: تُطْلَقُ تَارَةً عَلَى مَا يُقَابِلُ الْقُرْآنَ[٣]، وَمِنْهُ حَدِيثُ مُسْلِمٍ: "يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ"[٤]، وَعند أهل الفقه تطْلَقُ عَلَى مَا يُقَابِلُ الْفَرْضَ وَغَيْرَهُ مِنْ الْأَحْكَامِ الْخَمْسَةِ وَرُبَّمَا لَا يُرَادُ بِهَا إلَّا مَا يُقَابِلُ الْفَرْضَ كَفُرُوضِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَسُنَنِهَا فَإِنَّهُ لَا يُقَابَلُ بِهَا الْحَرَامُ، وَلَا الْمَكْرُوهُ فِيهَا، وَإِنْ كَانَتْ الْمُقَابَلَةُ لَازِمَةً لِلْإِطْلَاقِ، لَكِنَّهَا لَمْ تُقْصَدْ[٥]، أي: أن السنة النبوية الشريفة مرتبة من مراتب الحكم التكليفي في شق المأمورات تقابل المكروه في شق المنهيات.

وَتُطْلَقُ عند أهل العقيدة عَلَى مَا يُقَابِلُ الْبِدْعَةَ، فَيُقَالُ: أَهْلُ السُّنَّةِ وَأَهْلُ الْبِدْعَةِ، وأول من أطلق مصطلح أهل السنة والجماعة هو ابن عباس عند تفسير قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

١- جزء من حديث رواه ابن خزيمة في صحيحه برقم ٢٤٧٧ وقال فيه الألباني إسناده صحيح على شرط مسلم.

٢ - القاموس المحيط للفيروزآبادي ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ط١٩٨٧،٢،ص١٦٧٣.

٣ -شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير لابن النجار،ت:محمد حسن محمد حسن إسماعيل،دار الكتب العلمية، بيروت،ط٢٠٠٧،١،ص١٨٩.

٤ -رواه مسلم في باب من أحق بالإمامة برقم ١٠٧٨.

٥ -المرجع السابق،ص١٩٠

وَاحْتُرِزَ بِقَوْلِهِ "اصْطِلَاحًا" مِنْ السُّنَّةِ فِي الْعُرْفِ الشَّرْعِيِّ الْعَامِّ فَإِنَّهَا تُطْلَقُ عَلَى مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ الْمَنْقُولِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ؛ لِأَنَّهَا فِي اصْطِلَاحِ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ (قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ الْوَحْيِ) أَيْ غَيْرُ الْقُرْآنِ (وَلَوْ) كَانَ أَمْرًا مِنْهُ (بِكِتَابَةٍ) (كَأَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْكِتَابَةِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ)، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اُكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ) يَعْنِي الْخُطْبَةَ الَّتِي خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْرِهِ بِالْكِتَابَةِ إلَى الْمُلُوكِ وَنَحْوِ ذَلِكَ[١].

وعليه فالسنة في هذه الدراسة هي المصدر الثاني من مصادر المعرفة الإسلامية بغض النظر عن كونها سنة تشريعية أو غير تشريعية وإنما بصفة أعم وأشمل كل أنواع المعرفة كالثقافة والحضارة والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والتربوية وغيرها.

ثانياً: التنظير الاجتماعي والإنساني

يعرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية هذه العلوم بأنها دراسات تفسيرية وصفية مقارنة للمجتمعات الإنسانية كما تبدو في الزمان والمكان للتوصل إلى قوانين التطور التي تخضع لها هذه المجتمعات في تغيرها"[٢]، واتفق أهل التخصص أن موضوع علم الاجتماع هو الظواهر الاجتماعية كتشكل الجماعات والعلاقات الاجتماعية والعمليات الاجتماعية كالصراع والتعاون والتنافس والحراك الاجتماعي والطبقات والثقافة والبناء الاجتماعي.

وموضوع علم النفس هو النفس البشرية والتحليل النفسي والعقد النفسية كالخوف وعقدة العظمة وعقدة الذنب والصحة النفسية والطبيعة البشرية والشخصية والذكاء وغيرها ونكتفي بهذا ونشير إلى أن هذه الموضوعات تناولها الإسلام ولكن علماء المسلمين القدامى تناولوها بمنهجية أخرى بعضها يصنف في الفقه وبعضها يصنف في الأخلاق والآخر في علم الكلام والفلسفة ولكن ليست علوما مستقلة كما هي اليوم، وعليه فعملية التنظير الاجتماعي والتنظير النفسي وسواهما تعني إعادة صياغة هذه العلوم ونظرياتها من خلال اعتماد الوحي قرآنا وسنة كمصادر لهذه المعارف خاصة ما يتعلق بشقها التصوري من وضع للفرضيات وصوغ الإشكاليات وتفسير النتائج وتحديد الأهداف والغايات من البحوث والدراسات الاجتماعية والنفسية.

هذه فقط على سبيل المثال وما يصدق على هذه العلوم يصدق على العلوم المشابهة لها كالعلوم السياسية والاقتصادية والإعلامية والتربوية فهي مهما يقال عن موضوعيتها فتبقى علوما مشبعة بالمعيارية والتحيز والأيديولوجيا ومن هنا بات لزاما علينا تأسيس علوم اجتماعية على أسس إسلامية.

أصول العلوم الاجتماعية الإسلامية:

نظرية الحجية في أصول الفقه بشكلها الحالي هي نظرية كلامية بالأساس طورها المتكلمون الأشاعرة في إطار الرد على المعتزلة وهم الذين تولوا البرهنة عليها وصياغتها صياغة نظرية بينما تولى المحدثون وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الدفاع عنها بشكل عملي وقد امتحنوا في سبيل ذلك محنا شديدة وهي نظرية رتبت فيها المصادر لغرض التشريع لأن التشريع هو أوامر ونواهي وبالتالي لا بد أن يحتفظ بهذا المنحى الإلزامي وبالتالي تم تطوير طرائق

---

١ -المرجع السابق نفسه

٢ -أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ص١-٤.

محددة في كيفية الاستدلال والتعامل مع مصادر التشريع من خلال بناء نسقها بإحكام وتقديم ما يجب أن يقدم وتأخير ما يجب أن يتأخر من الأدلة كل ذلك اضطلع به المنهج الأصولي بينما تولى الشق الفقهي الجانب العملي التطبيقي ،بالإضافة إلى أن الفقه يتعامل مع النوازل من خلال المراحل المعروفة من تنقيح المناط وتحقيق المناط العام ثم المناط الخاص ثم المناط المشخص وبالتالي هو منهج جزئي يتعامل مع الوقائع الجزئية ليحكم عليها بالحل أو الحرمة بعد إثبات المطابقة التامة أو المقاربة بين الحكم الشرعي ومحله.

أين الإشكال؟

كثير من أهل "العلوم الإنسانية والاجتماعية" يحاولون جرّ "المنهج الأصولي" بشكله الحالي، الذي أنشئ و تطور من أجل "استنباط الأحكام" أو "التشريع والتقنين" إلى تفسير الظاهرة الاجتماعية التي تحتاج إلى أدوات أخرى[1]، نحن نتعاطف معهم في هذا المسعى لأنهم يريدون التخلص من "القبليات" و"التحيزات" من مثل الدنيوية أو الإخلاد إلى الأرض وتأليه العقل والقطع مع الغيب واعتبار الحياة الدنيا وجودا نهائيا وتكريس المركزية والاستعلاء الغربي وغيرها من القضايا ذات التأثير المباشر في التصورات وبالتالي في مناهج العلوم [2] التي تستند إليها آليات العلوم الاجتماعية الغربية مع الأخذ بطرقها المنهجية و فعاليتها، والتسلح ببعض الحقائق القرآنية ومعطيات الوحي بخصوص الظواهر النفسية و الاجتماعية، و أول ما أشكل في هذا الطريق هو ترتيب المصادر من حيث الحجية؛ فالترتيب المعروف للأدلة حسب المصدرية هو: القرآن ثم السنة ثم الإجماع ثم القياس ثم باقي الأدلة التبعية حسب المذاهب، والترتيب من حيث الإعمال هو: الإجماع (لأنه قطعي) ثم السنة (لأنها بيان) ثم القرآن (لأنه حمال أوجه) وهذا على سبيل الإجمال وليس التفصيل لأن هناك دلالات قطعية في القرآن الكريم كالمفسر والنص.

مسوغات الترتيب الجديد:

الذي أشكل على أهل العلوم الإنسانية والاجتماعية هو الترتيب الأخير وكذلك مسألة كيف تكون السنة حاكمة على القرآن؟ ويبدو أن منشأ المشكلة هو:

١-إحساسهم بعدم الحرية التامة والاطمئنان والخوف من أهل المنهجية الأصولية الشرعية لتباين المنهجيتين، وعدم وقوف الطرفين على منهجية الآخر، والذي يمكن أن نجزم به هنا هو أنه بإمكاننا أن نبني "نماذج" أو "تصورات" للظواهر النفسية والاجتماعية وحتى الطبيعية من خلال القرآن الكريم، فهو يمكن أن يعطينا نماذج لا تنتهي عددا، أو حتى نماذج جزئية بشكل اختياري تام و الرجوع إلى السنة بأي شكل كان كذلك، إذ يمكن الرجوع إلى الصحاح دون غيرها، لأن هذا المجال ليس القصد منه هو استنباط حكم يتعلق بالحلال والحرام، و لكن المقصود به هو تفسير الظواهر كما هو شائع الآن عند المشتغلين بالإعجاز العلمي والطبي للقرآن، وإن كان أهل الإعجاز يتعاملون مع القرآن على ضوء بعض ما يُعتقد أنه حقائق علمية، بينما أهل الإنسانيات

---

١ -انظر على سبيل المثال كتاب "أصول الفقه منهج بحث ومعرفة"للشيخ طه جابر العلواني من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي وكذلك بحث مرقون للدكتور جمال الدين عطية"أصول الفقه والعلوم الاجتماعية"ضمن أعمال ندوة تجديد مناهج العلوم الإسلامية المقامة في الجزائر سنة١٩٨٩

٢ -انظر:الصحوة الإسلامية المعاصرة والعلوم الإنسانية لعلي سيف النصر،تونس:المطبعة العربية،ط١، ١٩٩٠.

يراعون وحدة الظواهر النفسية والاجتماعية دون إهمال أي بعد من الأبعاد، ولا يهمهم إن كان يوافق ذلك العلوم الغربية القائمة أم لا فيستعينون بالسنة وحقائقها كموجهات ومحددات لعملية البحث والتنظير.

٢-إن ما يقوم به الاجتماعيون يعد اجتهاداً بالمعنى العام وليس المعنى الاصطلاحي للكلمة وهو بذل المجتهد الوسع في استنباط حكم حتى يعجز عن بذل مزيد وهذا النوع العام هو الذي لا يلزم فيه صاحبه إلا نفسه[١]، وبهذا يتحرر محل النزاع كما تقرر، نقول هذا لأنه قد تقرر في علم المناظرة عند العلماء منذ القديم أن لا نقاش في المضامين قبل الاتفاق على الآليات، وآليات تحقيق المناط غير آليات تنقيح المناط في الاجتهاد، بل وعبارة تحقيق المناط قد لا تنطبق على تفسير الظواهر النفسية والاجتماعية لأن تحقيق المناط يتعلق "بالنازلة المستأنفة" حسب تعبير الشاطبي، ويضرب لذلك أمثلة "كالشهادة" و "الفقر" و "الغنى" وهذه القضايا لا يمكن أن يستغنى فيها من أجل تحديدها فلا بد من النظر فيها بالاجتهاد[٢] وهو عزل الحادثة عن سياقاتها النفسية والاجتماعية والبحث عن خصوصيتها بينما الظاهرة هي ربط الحوادث ببعضها وبسياقاتها فالقرآن والسنة يحرمان شرب الخمر ومناطاته هي من شرب الخمر ومتى وأين ثم تقدر لعقوبة أو الحكم على الفاعل بينما علم الاجتماع ينظر فيها على أنها ظاهرة إدمان ما هي أسبابها وما هي نتائجها على باقي النظام الاجتماعي هذا هو مسلك العلوم الاجتماعية.

٣-يترتب على ما سبق من التقريرات أن الأدوات المنهجية التي تستخدم في دراسة الظاهرة الاجتماعية غير الأدوات التي يُتعامل بها مع النوازل الفقهية وعليه فيمكن حصر دور مصادر الوحي الإسلامي في التالي:

أولا- تدارك ما استبعدته النظرية الاجتماعية من مصادر المعرفة ومن مصادراتها التي أوقعتهم في آفات معرفية كثيرة كالاختزال والتجزيء والانتقاء في التفسيرات يقول رجب في هذا الخصوص مجملاً أسباب القصور في التنظير الاجتماعي الغربي:

أ) أنها استبعدت تماماً كل ما لا يخضع للملاحظة الحسية من نطاق الدراسة، وأخرجت الجوانب الروحية المتعلقة بصلة الإنسان بربه من نطاق الدراسة العلمية، فأهملت بذلك قطاعاً كاملاً من العوامل الحاكمة على السلوك البشري والتنظيم الاجتماعي.

ب) أنها استبعدت الدين والوحي كمصادر للوصول إلى المعرفة العلمية الصحيحة، وذلك نتيجة لما شاب الديانات السائدة في الغرب فيما يتصل بنظرتها للعلم وفي تعاملها مع رجاله، فأضاعت بذلك كل أمل في الهداية المستمدة من الوحي الصحيح المتمثل في دين الإسلام.

ج) أنها زعمت لنفسها حياداً قيمياً لم تلتزم به في الواقع، فاتحة المجال لاعتبار قيم الثقافة الغالبة بمثابة المعيار الذي يقاس إليه كل تقييم إنساني، أو متجهة إلى نسبية قيمية أضاعت كل تقييم[٣].

١-للعلم فإن هذا الإطلاق شاع في الجامعة الإسلامية العالمية وكتب فيه كل من الدكتور عزيزان محمد نون في ملتقى إسلامية العلوم الاجتماعية والإنسانية المقام سنة ١٩٩٨ بكوالالمبور-ماليزيا.

٢-الشاطبي،أبوإسحاق: الموافقات في أصول الشريعة ت:محمد عبد الله دراز ، ط٣، ١٩٩٧ دار المعرفة، بيروت ج٤ ص٤٦٥.

٣ إبراهيم رجب: نقاط حول ثورة التنظير في العلوم الاجتماعية في موقع : http://culture.alwatanyh.com

ثانياً– عدم الاكتفاء في التعامل مع الإنسان كمكلف فقط بل لا بد من استدعاء باقي الأبعاد كالطبيعة البشرية وتناغم الثنائيات فيه أو تصارعها كنوازع الخير والشر والروح والجسد والوازع الديني والوازع القانوني وغيرها.

ثالثاً– تطوير جوانب تصورية مستمدة من القرآن والسنة النبوية الصحيحة يكون لها دور الموجهات للتفكير والسلوك في ممارسة العملية البحثية وغيرها من العمليات خاصة الجوانب المتعلقة بعالم الغيب فكثيرا ما يعتقد الناس أن لا علاقة لها مباشرة بالتصور والسلوك ولكن في الحقيقة قد ثبت أنها لصيقة بالسلوك البشري فأكثر من نصف سلوك الناس اليومي تتحكم فيه المعتقدات الغيبية أو ربما بنفس القدر الذي تتحكم فيه الحاجات اليومية الضرورية كالأكل والشرب وسواها.

رابعاً– إن ما يريد أن يصل إليه الاجتماعيون قد بدأ به الدين يقول الدسوقي :"فالاجتماعيون يحاولون البحث عن عقيدة المجتمع في الأيديولوجيا التي يعتنقها أكثر أفراده أو ما يسمونه بالصورة السوية العامة التي يعتنقها الأفراد على البناء الاجتماعي ثم يدرسون النظم الاجتماعية المشكلة للبناء الاجتماعي الشامل وذلك كله مقصد التدخل للتغيير الاجتماعي حسب زعمهم إلى الأفضل أي بقصد الإصلاح الاجتماعي منطلقين من الواقع وسبيلهم في هذا المضمار هو التأثير في التشريعات والقوانين الاجتماعية وهداية المشرعين إلى وضع أنسب التشريعات والنظم المحققة لصالح المجتمع"[١]،ولكنهم للأسف لم يصلوا إلى شيء يمكن أن يسمى قانونا اجتماعيا ولا نفسيا وإنما تعميميات سرعان ما ينتهي مفعولها و لا تستقر لمدة طويلة.

خطوات جعل السنة مصدراً للتنظير للعلوم الاجتماعية:

١–تفعيل مناهج الدراية كما فُعّلت مناهج الرواية:

لقد كان أكبر ما يؤرق المحدثين عبر التاريخ الإسلامي الطويل هو تركيز الاشتغال بالأسانيد أكثر بكثير من الاشتغال بالمتن أو ما يسمى علوم الدراية وذلك لكثرة الشبهات التي تثار حول السنة ورغم أن معايير التعامل مع الأحاديث دراية قد نالت حظها من العناية ولكن ليس بالقدر الذي حظيت به الرواية وبينهما أي إن تفعيل مناهج الحفاظ على السنة كان اكبر بكثير من تفعيل السنة ذاتها ولذلك اضطر احدهم لتأليف كتاب "تنبيه الفضلاء إلى الأحاديث التي لم يفت بها الفقهاء" وما يقال في مجال الفقه يقال في المجالات الأخرى كالتربية والسنن الإلهية في النفوس والآفاق ومختلف العلوم والفنون وقد يكون التقصير من أصحاب هذه الفنون وليس تقصيرا من الفقهاء أو المحدثين ولذلك برع في شرح الحديث أو ما يسمى الفقهاء المحدّثون عدد يعد على الأصابع بسبب ما يشغلهم من الاشتغال بالرواية وحدها أو الفقه وحده.

٢–بناء المفاهيم الاجتماعية من خلال السنة النبوية الشريفة:

يعد الرسول صلى الله عليه وسلم النموذج الأمثل للإنسان الكامل كما يعد المجتمع المديني الذي أسسه الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة النبوية الشريفة مجتمعا مثاليا بمعنى الكلمة ولكن نحن عجزنا عن استدعاء كثير من

---

١ –فاروق الدسوقي،مقومات المجتمع المسلم،بيروت:المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٦،ص٨

القيم ونحن بسبب محدودية الورقة سنكتفي بمثال واحد فقط وهو مفهوم الإنسان وكيف طور في علم النفس ويمكن أن يصاغ من منظور اجتماعي وهكذا ومن منظور اقتصادي بوصفه مستهلكاً ومنتجاً من خلال السنة النبوية الشريفة.

١,٢ :مفهوم الإنسان[١]:

لقد ورثنا في فكرنا الإسلامي أدبيات كثيرة عن الإنسان ولكن الذي كان منها هو أنه يعبر عنه ب"المكلف" في المجال الفقهي والأصولي وتارة بكونه مجرد ابن آدم أو بمعناه اللغوي كما عند المتكلمين وقد كتب بعض الصوفية "الإنسان الكامل" ولكن من زاوية أخلاقية وكتب ابن سينا عن النفس ولكن من زاوية فلسفية ولكن مفهوم الإنسان ك"ظاهرة" و "مفهوم نفسي واجتماعي" لم يتم ذلك والسنة النبوية الشريفة يمكن ان تسهم في بناء مفهوم الإنسان بما يتوافق وطبيعة هذه العلوم وقد كتب الدكتور مصطفى عشوي كتابا من منظور نفسي بعنوان"الإنسان عند ابن القيم"، وقد أورد للإنسان عدة أبعاد كلها وردت أحاديث بخصوصها في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الأبعاد هي:

١,١-البعد البدني:

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في حديث أم الدرداء وأبي الدرداء، أخبرنا أبو بكر أحمد بن سلمان بن الحسن الفقيه ببغداد، ثنا الحسن بن مكرم، ثنا يزيد بن هارون، أنبأ عبد الملك بن قدامة بن إبراهيم الجمحي، حدثني عمر بن شعيب، أخو عمرو بن شعيب بالشام، عن أبيه، عن جده، قال: كانت أم نبيه بنت الحجاج أم عبد الله بن عمرو امرأة تهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتلطفه، فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً زائراً، فقال: «كيف أنت يا أم عبد الله؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال: «وكيف عبد الله؟» قالت: بخير بأبي أنت وأمي، وعبد الله رجل قد تخلى من الدنيا، قال: «كيف» قالت: حرم النوم فلا ينام، ولا يفطر، وحرم اللحم فلا يطعم اللحم، ولا يؤدي إلى أهله حقهم، قال: «أين هو؟» قالت: خرج آنفاً يوشك أن يرجع يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا جاءك فاحبسيه علي» فلم يلبث عبد الله أن جاء، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن لنفسك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً**"[٢]، فعبارة: "إن لنفسك عليك حقاً" تعطي أهمية كبرى للجانب البدني للإنسان خاصة الجانب الصحي منه حتى لا يكون عرضة للأمراض العضوية خاصة أن الرجل لا ينام ولا يأكل اللحم ولا يفطر وبالتالي الإخلال بمقصد حفظ النفس الذي هو من المقاصد الكبرى.

٢,١-البعد الروحي:

وهذا أيضاً بعد آخر وردت فيه أحاديث ومنها على سبيل المثال كل الحاديث التي وردت في العين والحسد وحياة القلوب بالذكر والطبع عليها بسبب المعاصي وغيرها وترد في بعض الحالات الروح بمعاني النفس والقلب وتقسم النفس إلى نفس مطمئنة ولوامة وأمارة وهي غير "الأنا والهو والأنا الأعلا" التي أوردها فرويد في تقسيمه للنفس

---

١ -انظر مصطفى عشوي:الإنسان في فكر ابن القيم الجوزية-دراسة نفسية-باقتضاب شديد،مكتبة المتنبي،الدمام،ط٢٠٠٤،١.

٢ -رواه الحاكم في المستدرك برقم ٧٠٠١والترمذي في كتاب الزهد برقم ٢٣٣٧ وقال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

وبالتالي إذا أراد المعالج النفسي علاج الأمراض الروحية فإنه لا يستطيع وسيكون مخطئا من بداية الطريق لعدم استهدائه بما أخبر به خالق النفس والآمر بالروح كمرض النفاق مثلا والغم والهم والحزن أو ما يسمى أمراض الشبهات ولذلك أشار الحديث "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهي القلب"[1]، العين مثلاً من أوضح وأجلى الأمراض الروحية أو ما يسمى "الإصابة بالعين" ففي مسلم "العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين"[2]، وهذا ما لا يمكن أن يهتدي إليه الباحث الغربي والمتتلمذ على يديه من المسلمين يفهمون الإنسان بشكل مجزأ ويتعاملون مع مصادر المعرفة مهملين مصدر الوحي قرآناً وسنة.

١,٣–البعد الوجداني:

كثيراً ما يغفل عنه السيكولوجيون الغربيون ويعدونه بعداً تابعاً للبعد المعرفي وبالتالي يخطئون في تصنيف الأمراض فهناك من الأمراض التي يعتبرونها حالات عادية وهي ليست كذلك في الفكر الإسلامي، فالحب مثلاً من المركبات النفسية الوجدانية في الإنسان ولكن في بعض الحالات قد يرقى إلى درجة العشق ثم يأخذ أبعاداً خطيرة تصبح قاهرة للإنسان متحكمة في قواه العقلية وسلوكياته فيعتريه المدح والذم وكذلك الخوف والرجاء والحزن والفزع والكره والبغض والغضب والغيرة والفرح والسرور وكل هذه قد وردت لها حدود وضوابط وعلاجات في حال كونها أمراضاً في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١,٤–البعد العقلي–المعرفي–:

وهذا متعلق بكل ما له علاقة بالتفكير والإدراك واستعمال المنطق ومن ذلك كل العمليات التعليمية والتدرب على الفهم السليم بما في ذلك البحث عن اليقين في الإيمان والسمع والبصر والاهتداء والعقل والذاكرة وقد أشاد القرآن الكريم بذوي الألباب ومن الأمثلة المشهورة في ذلك مثلا وكان أجدر بعلماء النفس المعرفي جعله فرضية لبيان نوع العقل الذي هو ناقص في المرأة أهو العقل المعرفي أم الوجداني: "نا أحمد بن عبدة، ثنا عبد العزيز يعني ابن محمد الدراوردي، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس فوعظهم، ثم قال: «يا معشر النساء، إنكن أكثر أهل النار»، فقالت امرأة جزلة: وبم ذاك؟ قال: «بكثرة اللعن، وكفركن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب وذوي الرأي منكن» قالت امرأة: ما نقصان عقولنا وديننا؟ قال: «شهادة امرأتين منكن بشهادة رجل، ونقصان دينكن الحيضة، تمكث إحداكن الثلاث أو الأربع لا تصلي»[3]، وهنا أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تعدد الذكاءات في الإنسان كالذكاء المعرفي والذكاء الوجداني أو العاطفي والذكاء الروحي وهي قضايا انتبه إليها علماء النفس المعرفي مؤخراً فقط فالمرأة كيف تكون ناقصة عقل وتذهب بلب الرجل؟

---

١ –جزء من حديث رواه البخاري في باب "من استبرأ لدينه" برقم ٥٠.

٢ –حديث متفق عليه أخرجه البخاري في باب العين حق برقم:٥٤٠ ومسلم في باب ما جاء في الاتقاء من العين برقم ٣٨٧٩.

٣ –صحيح البخاري في باب الزكاة على الأقارب برقم١٣٦٩.

٥,١–البعد السلوكي:

كل هذه الأبعاد لها نصوص من السنة النبوية الشريفة وردت بشأنها سواء في كيفية الحفاظ عليها من جهة الوجود ومن جهة العدم بحيث إن ما يفعله الإنسان بين الناس لهم وتجاههم أو أمامهم من أفعال هي التي تسمى سلوكا وهو خلاف القول في بعض الحالات بينما نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وحدة –فكرية سلوكية– واحدة بل وليس في الشريعة عند علماء السلوك حركات تقاس في الزمان والمكان وإنما السلوك عند علماء التزكية والتصوف هو السلوك والصعود في مدارج الكمال الروحي فالمسافات مسافات قلبية وليست بالأمتار ولا برضى الناس وسخطهم على الأفعال وبالتالي فالكمال البشري ينصرف إلى معنى استجماع الفضائل في السلوك تقرباً إلى الله تعالى وعليه فعلم النفس الإسلامي مهمته الأصلية لمعالجة الاضطرابات السلوكية هو مراعاة هذه الحقائق واعتبار معايير الوحي والقياس على الأنموذج المثالي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي تمثل كل شعب الإيمان التي أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

٣–تطوير مناهج النقد الإسلامية من خلال النقد الحديثي:

كانت عند العرب مناهج لرواية الشعر والآداب والأنساب ولم يشترطوا لذلك سوى قوة الذاكرة، ولكن النقد التاريخي المتكامل والمفصل لم يظهر إلا في مرحلة الاهتمام نقل القرآن الكريم وتدوين السنة النبوية الشريفة وقد طور المحدثون أدوات منهجية كثيرة ومتكاملة سواء كانت معرفية أو أخلاقية فبالإضافة إلى الضبط التام والذاكرة القوية لنقل المضامين كانت عندهم معايير أخرى في الحكم على الأشخاص الذين يروون كالورع والتقوى والاحتياط من الوهم والتحري وكلما اشتد الصراع مهما كان نوعه اشتد تحريهم لمواجهة الزيف والوقوف ضد توظيف الدين لتبرير الأغراض العقدية والسياسية او سوى ذلك ومن أشهر ما طوره المحدثون من أدوات النقد:

٣.أ–المقارنة:

وهي جمع طرق الخبر أو الحديث والمقارنة بينها وهو من أميز أساليب المحدثين في نقد الرواية[١]، قال الإمام مسلم: "فبجمع هذه الروايات ومقابلة بعضها ببعض يتميز صحيحها من سقيمها ويتبين رواة ضعاف الأخبار من أضدادهم من الحفاظ"، وقال ابن المبارك: "إذا أردت أن يصح لك الحديث فاضرب بعضه ببعض"[٢]، وهكذا برع المحدثون في تطوير منهج التحديث وبسببه عرف المرسل والمنقطع والموقوف والمقلوب والمعضل وغيرها من الأدوات والتقنيات التي انفرد بها علم الحديث دونما سواه من مناهج تلقي الروايات والأخبار التي تطورت خارج الحضارة الإسلامية.

---

١ – أكرم ضياء العمري:منهج النقد عند المحدثين مقارنا بالميثودولوجيا الغربية ضمن أعمال ملتقى المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،هيرندن،فرجينيا ،ج٢،ص١٨٧.

٢ –مقدمة كتاب التمييز بواسطة المرجع السابق ص٣٣..

٣.ب-الاهتمام بشهود العيان وكثرتهم:

وهذه أيضاً من الأدوات المنهجية التي لا تستبعد ناقل المعرفة من المنهج لأن ما يمتاز به الناقل من الأخلاقيات والخصائص لا بد من أخذها بعين الاعتبار وهذا ما اهتدت إليه المناهج الحديثة إذ أصبحت أخلاقيات البحث العلمي جزءا أساسيا في صدقية النتائج المتوصل إليها[١].

٣.ج-استخدام مبدأ الشك:

وهو ما يسمى بالشك المنهجي وهو اختبار مدى فعالية الداة ومدى موثوقية المنقول فالأصل عند المحدثين هو عدم الثقة في المنقول حتى يحصل اليقين من كل الجهات من الراوي ومن سلامة حواسه وصدق قصده وحسن فهمه ودقة ضبطه وبالمختصر حتى يكون عادلا والمروي أن يكون مسموعاً من العلماء وليس بالوجادة وهكذا.

٣.د-نقد المتن:

وقد فصل النقاد في ضوابطه وممن أجمل الكلام فيها ابن القيم رحمة الله عليه وقال ألا تكون المتون مشتملة على مجازفات ومخالفات للحس وسماجة المعنى وركاكة الأسلوب والمناقضة للسنة الصريحة الصحيحة وللقرآن قبل ذلك[٢].

ومما سبق يتبين لنا أن السنة النبوية الشريفة والاشتغال بها قد ورثت الأمة مناهج في النقد التاريخي والنقد العلمي بصفة عامة فلو تفعل في مجالات أخرى لا شك ستعيننا على اكتشاف أدوات ومعايير علمية أخرى تساعد في ضبط ما يسمى بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، فالقضية في التفعيل أكثر من كونها مجرد العمل على الحفاظ عليها واعتقد أن المستشرقين قد أعياهم التشكيك وتجاوزوا هذه المرحلة إلى غيرها من المراحل الأخرى في الحرب ضد كل ما هو إسلامي.

٤-تفعيل السنن الإلهية في المجتمعات والنفوس:

إن أبعد ما تريد أن تصل إليه العلوم الاجتماعية والإنسانية هي صياغة القوانين التي تحكم السلوك البشري منفرداً ومجتمعاً ولكن ما توصلوا إليه من قوانين هي محاولات وتعميمات لم تصمد أمام التمحيص العلمي بعد تطور المناهج في البحث الاجتماعي مما اضطرهم على التغيير والتعديل لأنها لم تنطبق على المجتمعات والأفراد وما تحقق منها لم يتجاوز المجال الغربي ولم تحقق التنبؤ المطلوب بالأزمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي اجتاحت البلاد الغربية ونحن هنا سنشير إلى السنن والقوانين الاجتماعية التي وردت في السنة على سبيل الإجمال وليس التفصيل بوصفها مؤشرات تساعد الباحث الاجتماعي الذي يستهدي بالوحي الاهتداء بها لإعطاء التنبؤ والإنذار المطلوب لصناع القرار لتجنب تلكم الأزمات وهي الفائدة المتوخاة من القوانين الاجتماعية وكما أن القرآن الكريم حافل بتلك السنن فكذلك السنة النبوية الشريفة، والسنة الكونية هي العادة الإلهية الجارية التي لا تتبدل ولا تتغير وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١-**سنة جارية حتمية خطية:** كسنة الزمن وسنة النبوة والهداية في الكون عبر التاريخ.

---

١ - المرجع السابق ص١٩١.

٢ -المرجع السابق ١٩٤-١٩٥.

٢-**سنة جارية شرطية:** وهي السنن التي ركب الله عز وجل فيها سبباً ومسبباً أو شرطاً ومشروطاً، وهي ارتباط متغير واقعي ناشئ عن سلوك الإنسان وإرادته واختياره في الحياة مجتمعاً ومنفرداً بحدوث أثر على ذلك في حياة الأفراد والجماعات مهما صغرت أو كبرت سلباً أو إيجاباً.

٣-**سنة خارقة:** وهي خلاف السنة الجارية وهي المعجزات للأنبياء التي تساق من أجل بيان أنهم على الحق وهي استثناء من الأصل وخلاف العادة.

وإذا كان القرآن قد تناول السنن العامة التي تحكم الحضارات فإن في السنة سنناً جزئية ترتبط ببعض الأحكام الشرعية وهي أيضاً سنن كونية ونسوق هنا نماذج على سبيل التمثيل:

١ -قانون منع الزكاة:

حدثنا عبدان بن أحمد قال: نا العباس بن الوليد الخلال الدمشقي قال: نا مروان بن محمد الطاطري قال: نا سليمان بن موسى أبو داود الكوفي، عن فضيل بن مرزوق، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين**»[١].

٢- قانون ترك الجهاد:

حدثنا علي بن سعيد الرازي قال: نا عقبة بن قبيصة بن عقبة قال: نا أبي قال: نا مالك بن مغول، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر الصديق قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب**»، (لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل بن أبي خالد إلا مالك بن مغول، ولا عن مالك إلا قبيصة، تفرد به عقبة بن قبيصة)[٢].

٣-تلازم مجموعة من الأسباب ومسبباتها في الحديث الآتي:

حدثني عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه بلغه عن عبد الله بن عباس أنه قال: "ما ظهر **الغلول** في قوم قط إلا ألقي في قلوبهم **الرعب** ولا فشا **الزنا** في قوم قط إلا كثر فيهم **الموت** ولا نقص قوم **المكيال والميزان** إلا قطع عنهم **الرزق** ولا حكم قوم **بغير الحق** إلا فشا فيهم **الدم** ولا **ختر** قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم **العدو**"[٣].

٤-بعض قوانين الصعود الحضاري:

حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث حدثني عبد الله بن وهب أخبرني الليث بن سعد حدثني موسى بن علي عن أبيه قال قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال له عمرو: أبصر ما تقول، قال أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالاً أربعاً إنهم لأحلم الناس عند فتنة وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة وأوشكهم كرة بعد فرة وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك[٤].

---

١ -أنظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني برقم٧٦٣وقال حديث صحيح لغيره.

٢ -المرجع السابق برقم ١٣٩٢وقال حديث حسن والسلسلة الصحيحة برقم٢٦٦٣وقال صحيح يشهد له حديث العينة

٣ -رواه مالك في الموطأ باب ما جاء في الغلول برقم٨٧٠.

٤-رواه الإمام مسلم في صحيحه باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس برقم٥١٥٨

فهذا عمرو بن العاص الصحابي يربط كثرة الروم بأسباب موضوعية وكأنه أدرك أن معنى الكثرة هنا ليس المعنى الكمي وإنما كثرة النفير والقوة الاقتصادية والإعلامية وأشار إلى مجموعة أوضاع اجتماعية كلها مجتمعة جعلت منهم قوة متحضرة وهي سرعة تجاوز المحن وأسرعهم في الرد على الهزيمة وقيامهم بالعمل الخيري تضامنا بينهم ومحاربتهم للاستبداد وهذه الأوصاف كلها تنطبق عليهم اليوم.

٥-قانون جزاء تكذيب الرسل:

عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها، فجعله سلفا وفرطا بين يديها، وإذا أراد هلاكها عذبها ونبيها حي، وهو ينظر، فأقر عينه بهلاكها حين كذبوه، وعصوا أمره"[١].

الخاتمة والتوصيات:

وعليه وبناء على ما سبق فقد لاحظنا أن الاستعانة بالسنة النبوية الشريفة بوصفها مصدراً للمفاهيم والمناهج والقوانين النفسية والاجتماعية، وقد آتينا بأمثلة فقط لبيان أن السنة النبوية الشريفة لا يمكن الاستغناء عنها في التنظير لقضايا بناء العلوم الإنسانية والاجتماعية ولو ذهبنا نتتبع كل المفاهيم النفسية لأتينا على كتاب في ذلك وكذلك لو ذهبنا نأتي بالمفاهيم الاجتماعية كالراعي والرعية والجماعات والطوائف والمذاهب والشرائح الاجتماعية كالمؤمنين والمنافقين والكافرين والمشركين والوثنيين والمستكبرين والعصاة والصلحاء والتقاة والمستضعفين والمستكبرين والزهاد والشياطين والمفسدين كل هؤلاء الجماعات يمكن أن تكون موضوعاً للعلوم الاجتماعية الإسلامية، وربما هذه ستكون أفيد في دراسة المجتمع والتحكم في التغيرات التي تطرأ عليه بدلاً من المفاهيم الليبرالية كاليمين واليسار والغني والفقير والعماليون والمحافظون، فهذه مفاهيم نشأت في بيئة غربية بحتة وعليه قد لا نجد لها مصاديق في الواقع الإسلامي فنخطئ في التصور وفي المعالجة لأن المجتمعات الإسلامية قد عجنتها العقيدة الإسلامية عبر قرون ممتدة في التاريخ، ولهذا فعلينا أن نستدعي السنة النبوية الشريفة إلى مصدرية بناء العلوم الاجتماعية الإسلامية من أجل أن تكون بياناً للقرآن مكملة له في هذا المجال دونما اللجوء إلى باقي المصادر كالقياس والاستحسان التي وجدت لغرض التشريع وليس لبناء العلوم وتأسيسها، ويترك الأمر لأهل الاختصاص لتولي اشتقاق المفاهيم النفسية والاجتماعية لتفسير الظواهر كما يمكن لهم استنباط مناهج وأدوات منهجية من خلالها تكون لهم معايير يهتدون بها في أبحاثهم، فضلاً عن الاستهداء بالقوانين الكونية التي جاءت في السنة النبوية الشريفة بشكل تصنيفي ويمكن استخدامها في وضع مؤشرات تنبؤية لتحديد أشكال المستقبل المرغوب وتفادي أشكاله وأوضاعه غير المرغوبة وهكذا نكون قد فعّلنا السنة النبوية الشريفة في حياتنا بالإضافة إلى الحفاظ عليها.

وكتوصية من خلال هذه الورقة هو وجوب اضطلاع أقسام العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية إلى الحذو حذو العلوم الاقتصادية التي شقت طريقها في تطوير ما يسمى الاقتصاد الإسلامي حتى أصبح حلاً موضوعياً تنادي به المؤسسات الغربية العلمانية لما شكل قناعة تامة بأنه لا بديل للبشرية عنه ولا محيد فكذلك ما ظهر من اختلالات اجتماعية في المجتمعات الغربية من الشرائح المثليين وانعدام الخصوبة بما يهدد النوع البشري بالانقراض وما ظهر من

١ – رواه مسلم برقم ٢٢٨٨.

أمراض عصية على العلاج وخاصة أنواع الإنفلوزا الجديدة فكلما جاءت واحدة كانت التي بعدها افتك بالإنسان منها لأنها حادت عن الهداية الربانية وبعد هذا كله لماذا نضيع الوقت عن أجيال المسلمين اللاحقة ونهدر إمكانياتنا رغم أننا نستطيع إبداع البدائل الإسلامية.

المراجع والمصادر

-أصول الفقه منهج بحث ومعرفة، طه جابر العلواني من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي هيرندن فرجينيا،ط١٩٨٥،١.

-أصول الفقه والعلوم الاجتماعية ،جمال الدين عطية ضمن أعمال ندوة تجديد مناهج العلوم الإسلامية المقامة في الجزائر سنة ١٩٨٩.

-الإنسان في فكر ابن القيم الجوزية-دراسة نفسية-،مصطفى عشوي: مكتبة المتنبي،الدمام،ط،٢٠٠٤.

-الجامع الصحيح ،محمد بن إسماعيل البخاري،بيروت:دار إحياء التراث العربي،دون تاريخ الطبع.

-شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير لابن النجار، محمد حسن محمد حسن إسماعيل،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١،٢٠٠٧.

-شرح صحيح مسلم ليحيى بن شرف النووي،مصر:مؤسسة قرطبة ،ط١٤١٤،٢.

-الصحوة الإسلامية المعاصرة والعلوم الإنسانية لعلي سيف النصر،تونس:المطبعة العربية،ط١،١٩٩٠.

-القاموس المحيط للفيروزآبادي ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٩٨٧،ط٢.

-معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، ط١.

-مقومات المجتمع المسلم، فاروق الدسوقي، بيروت:المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٦.

-منهج النقد عند المحدثين مقارنا بالميثودولوجيا الغربية ضمن أعمال ملتقى المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية ،أكرم ضياء العمري: ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،هيرندن،فرجينيا.

-الموافقات في أصول الشريعة ،أبو إسحاق الشاطبي ت:محمد عبد الله دراز ، ط٣، ١٩٩٧ دار المعرفة، بيروت.

-الموطأ ،مالك بن أنس،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،بيروت:دار إحياء التراث العربي دون تاريخ الطبع.

-السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني،نسخة إلكترونية على موقعه.www.alalbany.net

-موقع-http://culture.alwatanyh.com.

المدرسة العقلية الحديثة وموقفها من السنة النبوية

(نشأتها، وأصولها، رموزها، أهم شبهاتها، والرد عليها)

د. طارق بن عودة بن عبد الله العودة

أستاذ السنة وعلومها المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

وكيل عمادة شؤون المعاهد في الخارج

السعودية

talawodah@gmail.com

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على إمامنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد:

فهذا بحث موجز يسلط الضوء على تلك الاتجاهات العقلانية الحديثة التي ظهرت في القرنين الأخيرين، التي تتبنى تحكيم العقل البشري وتقديمه على الدين، وتعطي العقل اعتباراً فوق اعتبار نصوص الوحي الثابتة عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، ويجيب البحث على كثير من التساؤلات ومن بينها: كيف نشأت هذه المدرسة العقلية الحديثة؟ وبمن تأثرت؟ ومن أبرز رموزها؟ وما أهم مبادئها؟ وما موقفها من السنة النبوية الشريفة؟ وما أبرز شبهاتهم حول السنة النبوية؟ مع الرد عليهم.

والبحث مشتمل على تمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وتفصيلها كما يأتي:

التمهيد: الظروف التاريخية التي نشأت فيها المدرسة العقلية.

المبحث الأول: (تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمعتزلة والتيار الاستشراقي)، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمدرسة القديمة (المعتزلة).

المطلب الثاني: تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمستشرقين.

المبحث الثاني: أبرز رموز المدرسة العقلية الحديثة.

المبحث الثالث: أبرز شبهاتهم حول السنة والرد عليها.

ثم الخاتمة وفيها: أهم النتائج والتوصيات التي تمخض عنها البحث، ثم فهرس المراجع.

ويجدر التنبيه إلى أن البحث يُعنى بمناقشة الاتجاهات والآراء العقلانية في فهم السنة النبوية، والطعون التي وجهوها لقضايا في السنة النبوية الشريفة، وليس معنياً بالحكم على الأفراد ومكانتهم ومنزلتهم العلمية، فحيث يعرضُ البحثُ رأياً لبعض المعاصرين –وإن كانوا من أهل الفضل– مخالفاً لرأي أهل السنة والجماعة، ولجمهور علماء الأمة المتقدمين والمتأخرين، فحين يُرَدُّ عليه ويُفنّد، فهذا لا يعني الحكم على قائله، ولا يلزم منه أنه سلك المنهج العقلي في جميع آرائه وشؤونه، وليس من أهداف البحث الموازنة بين مالرموز الاتجاه العقلي في التعامل مع السنة النبوية من كتابات وآراء نافعة ومفيدة، وبين طعونهم وشبهاتهم التي أثاروها حول السنة النبوية؛ إذ لا صلة لهذا البحث بتقييم الأشخاص ما لهم وماعليهم؛ لأن الدراسة معنية بالآراء والأفكار العقلانية التي تناولت بعض قضايا السنة النبوية من خلال أشهر كتبهم المنشورة والتي احتوت على شبهات واعتراضات على السنة النبوية، والمقصود التعريف بهذه المدرسة العقلية الحديثة وبيان منهجها، ومعالمها العامة إجمالاً، وإن اختلفت طروحات وأفكار رموزها، إلا أنهم متفقون على الاعتراض والطعن وإثارة الشبهات حول بعض قضايا السنة النبوية من خلال تحكيم العقل البشري، وادعاء تعارض السنة النبوية الشريفة مع العقل والواقع والتجربة(١).

---

(١) كما زعم محمد أحمد خلف الله في مقالاته "الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة"ص١٦٧، وأحمد أمين في "فجر الإسلام" ص ٢١٨حول حديث التصبح بسبع تمرات عجوة ، أنه لا يمكن أن يكون صحيحاً لأنه مخالف للعلم والواقع ، وهو حديث في البخاري في كتاب الأطعمة ، باب العجوة (٥/٢٠٧٥/ح٥١٣٠) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الأشربة (٣/١٦١٨/ح٢٠٤٧).

التمهيد

(التاريخ والنشأة)

خضع أكثر العالم الإسلامي إلا أجزاء يسيرة منه للاستعمار العسكري الغربي، من أواخر القرن الثامن العشر إلى أواخر القرن العشرين الميلادي، في ظل غفلة كثير من المسلمين عن دينهم، وعن مكائد أعدائهم، وركونهم إلى الدَعَة والخمول، والتي جعلت أعداء الإسلام يتداعَون على الأُمّة المسلمة، كما تَدَاعى الأَكَلة على قصعتها.

فأول احتلال غربي كان له خطره وأثره الحضاري على العالم الإسلامي، تلك الحملة التي قام بها نابليون بونابرت، إمبراطور فرنسا، على مصر عام١٧٩٧م حتى عام ١٨٠١م، فلهذه الحملة أثر كبير في تكوين عقليات بعض المسلمين، الذي أصيبوا بالانبهار والإعجاب بمظاهر ما يسمى بالمدنية الغربية والتقدم العلمي، الذي كانت تحمله الفرقة الفرنسية، فقد جهز نابليون حملته بأشياء كثيرة من مظاهر الإنتاج الغربي، وبفِرَق من العلماء والباحثين في سائر التخصصات العلمية، منها مجموعة من المستشرقين المتخصصين بالدراسات الشرقية والإسلامية.

وبعد الحرب العالمية الأولى اقتسمت قوى الغرب آنذاك غالب بلاد الإسلام، فعلى سبيل المثال: استعمر الفرنسيون الشام عام ١٩٢٠م، والإنجليز العراق عام ١٩٢٠م أيضاً، وقبل ذلك كانت مصر تحت الاحتلال الإنجليزي منذ عام ١٨٨٢م، كما كانت الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي منذ عام ١٨٣٠م وهكذا، وقد ركز المحتلون الغربيون أثناء استعمارهم لبعض مناطق العالم الإسلامي على أمور، ومنها:

. تشجيع التنصير وتمكينه في البلاد الإسلامية.

. فَصْل الدين (الإسلام) عن الدولة والحياة، وإلغاء العمل بالشريعة الإسلامية، وترسيخ الاتجاهات العلمانية، والحيلولة دون توجه المسلمين إلى التمسك بالكتاب والسنة، وتحكيمهم لشرع الله.

. تربية جيل من أبناء المسلمين على الفكر والسلوك الغربي وعزله عن عقيدته وتاريخه وأمته، ثم اصطفاء نخبة من هؤلاء ليصنعهم الغرب رموزاً للفكر والعلم والنهضة في هذه البلاد بعد خروجه منها، فعاثوا فيها فساداً.

. توجيه مناهج التعليم والتربية والإعلام والثقافة والفكر والأدب، وغيرها وصبغها بالصبغة الغربية الخالصة، وإبعاد المفاهيم الإسلامية الأصيلة.

. إثارة الشبه والشكوك وتشجيع المثيرين لها بين أنصاف المثقفين والشباب والناشئين، وترويج البدع القديمة والجديدة وتمكين أصحابها.

ثم بدأ انفتاح العالم الإسلامي على الغرب، فكان محمد علي في مصر عام ١٨٠٥م من أوائل من أرسل وفوداً من أبناء المسلمين، للدراسة في الغرب، وكان من أوائل من ذهب إلى الغرب رفاعة الطهطاوي ١٨٧٣م من مصر، وخير الدين التونسي ١٨٧٩م وكلاهما ذهب إلى هناك وهو بعيد عن العلم الشرعي والفقه في الدين الذي يعصم مع الإيمان القوي –بإذن الله– من الوقوع في الشبهات والشهوات، فأُعْجبا بالغرب إعجاباً ملك عليهما عقولهما، وذُهِلا للفارق بين أوضاع المسلمين وحال الغرب هناك، فجاء كُلاً منهما بهذه النفسية المنهزمة والعقلية الغربية، وحاول كلاً منهما أن يُخضع تعاليم الإسلام وأصوله للمفاهيم الغربية التي تأثّر بها، فدعا كلاً منهما إلى

تقليد الغربيين، حتى في أساليب المعيشة والمفاهيم والأخلاق والقِيَم، وهذا ولاشك خطأ فادح، وبه بدأت بذور الاتجاهات العقلانية في البلاد العربية.

وهكذا جنى المسلمون علقماً يتجرعونه ولا يكادون يسيغونه، حين ألقوا فلذات أكبادهم في أحضان الغرب، فقد جاء أبناؤهم ناقمين على دينهم وعقيدتهم وحضارتهم وأمتهم، جاءوا بالأفكار الهدامة والأخلاق الهابطة، والرذيلة، ولم يفيدوا من العلم والتقدم شيئاً يذكر.

وكانت البداية في السعي إلى الهجوم على قيم الإسلام وشعائره:

فانطلقت الدعوات لإفساد المرأة: ففي عام ١٩٠٠م أخرج قاسم أمين كتابيه: تحرير المرأة، والمرأة الجديدة، داعياً إلى التبرج والسفور وتخلي المرأة المسلمة عن الحشمة والحجاب والستر لتقليد الحضارة الغربية المتخلفة أخلاقياً.

ثم الهجوم على اللغة العربية: فنشر سلامة موسى كتابه: (اليوم والغد) وهو مجموعة مقالات نشرت بين عامي ١٩٢٥م-١٩٢٦م دعى فيه إلى ترك الإسلام واللغة العربية صراحة.

ثم الطعن في الوحي: حيث كتب الدكتور طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي عام ١٩٢٦م طعن فيه بصحة بعض القصص التي وردت في القرآن وزعم أن القرآن نتاج بشري، وأشياء أخرى تمس العقيدة في الصميم، ثم مقالاته وبحوثه وكتبه تباعاً ، فيها التشكيك والطعن في الإسلام، مثل : مستقبل الثقافة في مصر ، والأدب الجاهلي ، وحديث الأربعاء ، ونحوها.

ثم الطعن في السيرة النبوية: حيث كتب الدكتور محمد حسين هيكل كتابه (حياة محمد) عام ١٩٣٥م، اهتم فيه بالجانب الإنساني، في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وترك جوانب الوحي والنبوة والغيب وأنكر المعجزات، بدعوى أن العلم الحديث لا يصدقها وعرض السيرة النبوية على نمط الدراسات الغربية المادية.

والحضارة: حيث كتب الدكتور أحمد أمين موسوعته الإسلامية، في تاريخ الحياة العقلية للأمة الإسلامية في (فجر الإسلام وضحاه وظهره) أكد فيها الجانب العقلي في العقيدة الإسلامية، وقد تأثر بالعقلية المادية الغربية في بعض دراساته كما سيأتي ذكره عند الحديث عن أبرز رموز المدرسة العقلية إن شاء الله.

بل وفي السُنّة: حيث كتب محمود أبو ريّة كتابه (أضواء على السنة المحمدية) طعن فيه في السنة النبوية وحجيتها طعناً مكشوفاً، كما طعن في عدالة بعض الصحابة رضي الله عنهم.

وأيضاً القرآن: حيث كتب محمد أحمد خلف الله (رسالة ماجستير) زعم فيها أن القرآن اشتمل على الخرافات والأساطير، وطبعها في كتاب بعنوان: (الفن القصصي في القرآن).

وهؤلاء من المشاهير والرّواد في مصر وحدها، وقد أُتخمت المكتبة الإسلامية، والصحف والمجلات ومناهج التعليم، بهذه الأفكار في أغلب العالم الإسلامي في تلك المدة، وفي هذا الجو المتوتر المشحون بالفتن، نمت وترعرعت المدرسة العقلانية الحديثة التي كانت من هذا النتاج النتن ونشأت في أحضانه[1].

---

(١) بتصرف من : الاتجاهات العقلانية الحديثة أ. د / ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٧٧-٨٩ .

إذاً **فالمدرسة العقلية الحديثة** هي: تلك الاتجاهات العقلانية التي ظهرت في القرنين الأخيرين، التي تتبنى تحكم العقل البشري وتقديمه على الدين، وتعطي العقل اعتباراً فوق اعتبار نصوص الوحي الثابتة عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم [(١)].

ولعل من المهم أن نتعرف على أبرز معالم ومبادئ المدرسة العقلية، ومن أهمها:

١ . التوسع والتكلف في تفسير القرآن الكريم على ضوء العلم الحديث بكافة جوانبه، ولو أدى ذلك إلى استحداث أقوال مجانبة لتركيب الآيات القرآنية من الناحية اللغوية، وغير موافقة لفهم الصحابة الذين شهدوا الوحي، ولا لمن تتلمذ على أيديهم ممن تبعهم بإحسان.

٢ . رد السنة النبوية كلياً أو جزئياً، فمنهم من يردها مطلقاً، ومنهم من يقبل المتواتر، وأما أحاديث الآحاد فقد يقبلون منه ما يتوافق مع القرآن، أوما يتفق مع العقل، أو التجربة البشرية، وقد يردها بعضهم مطلقاً، فلا يقبل منها شيئاً.

٣ . التهوين من شأن الإجماع.

٤ . الحرية الواسعة في الاجتهاد مع غض النظر عن الشروط المطلوبة في المجتهد.

٥ . الميل إلى تضييق نطاق الغيبيات ما أمكن، وذلك تأثراً بالتيار المادي الذي يسود الحضارة المعاصرة، ومن هنا جاء إقحام العقل في المسائل الغيبية، وتأويل الملائكة والجن والشياطين.

٦ . تناول الأحكام الشرعية العملية تناولاً يستجيب لضغوط الواقع، ومتطلباته، كقضايا الربا المجْمع عليها، وكذلك قضايا حرية الفكر حرية لا مسؤولة تصل إلى الطعن في القرآن والسنة الصحيحة، وغيرها[(٢)].

المبحث الأول

تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمعتزلة والتيار الاستشراقي

المطلب الأول: تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمدرسة القديمة (المعتزلة):

يقول الدكتور ناصر العقل: لست مبالغاً حينما أقول: بأن المدرسة العقلية الحديثة إنما هي امتداد للقديمة حيث تلتقي وتتفق في كثير من أصولها وآرائها، مع الاتجاهات العقلية القديمة، وهذا التشابه نلمسه في جوانب عديدة في المدرستين، في أصولهما ومناهجهما، وفي وسائلهما وغاياتهما، وأوضح جوانب التشابه يتجلى في إشادة رواد العقلية الحديثة بأساتذتهم رواد العقلية القديمة، أما وحدة الأصول والأهداف فتتمثل جلية في مسائل عدة ومن أبرزها:

١ . اتفاق المدرستين على إكبار العقل، وتقديمه على النص، وإخضاع الثاني للأول، وجعل العقل مصدراً للتلقي مقدماً في الاستدلال على الكتاب والسنة، وما يتبع ذلك من تأويل النصوص وتحريفها أو ردها، وعدم التسليم لها، والمبالغة في رفع شعار الحرية الفكرية، وإن كان على حساب العقيدة.

---

(١) المرجع السابق ص ١٩.

(٢) حوار هادئ مع محمد الشيخ الغزالي / د .سلمان العودة ص ٩ بتصرف .

٢ ـ الاتفاق على عداء السنة وأهلها، واحتقار مذهب السلف ولمزه، والتهكم به وبأهله.

٣ ـ اتفاقهما في التبعية للمذاهب والفلسفات الأجنبية عن الإسلام، فكما أن أصحاب الفرق القديمة تتلمذوا على اليهود والنصارى، واليونان، والمجوس، والوثنيين، فكذلك العقلانيون المحْدَثون، تتلمذوا على المستشرقين والغربيين، ورثة الفكر اليهودي والنصراني والوثني واليوناني، وعلى أسلافهم العقلانيين المعتزلة والجهمية.

وأكثر ما تتبين العلاقة بين المدرستين في تمجيد كُتّاب المدرسة العقلية الحديثة للفرق المنحرفة القديمة وأسفهم عليها والبكاء على أطلالها، والعمل على إحيائها، وارتباطهم الوثيق بتراثها والعناية بخدمته وإخراجه، والإشادة بأصول المعتزلة ومقالاتهم والترويج لها، وهذا ما سيظهر جلياً في كتاباتهم، للتأكيد على أن العلاقة بين المدرستين: الحديثة والقديمة، ليست علاقة تعاطف وتقارب فقط، بل إنها علاقة تلمذة وانتماء فكري، وهذه بعض النصوص التي تبين قوة العلاقة بين المدرستين العقليتين القديمة والحديثة:

قال فاروق الدملوجي في كتابه (هذا هو الإسلام): "وشَرَع المعتزلة لأول مرة بالعالم الإسلامي في تحكيم العقل في جميع المسائل المفروضة عليهم، فأوّلوا نصوص القرآن تَبَعاً لما يقتضيه العقل والمنطق، لا كما يريده الإلهيون والسلفيون، أصحاب المدرسة القديمة، وهم أهل السنة والجماعة والحنابلة والمتصوفة، من الجمود والوقوف على حد اللفظ والنص وظاهر الشرع دون زيادة، أو نقصان، أو تأويل، أو تفسير" (١)، ويقول أحمد أمين: "وكان للمعتزلة الفضل الأكبر في علم الكلام، لأنهم كانوا أكبر المدافعين عن الإسلام لما كان يثيره اليهود والنصارى الوثنيون من هبوب"(٢)، ويقول زهدي جار الله: "المعتزلة وقفوا أنفسهم على الدفاع عن الدين الإسلامي بالرد على خصومه، وحَمْله إلى أقاصي الأرض للتبشير به، وأنهم تحملوا في سبيل ذلك العناء والمشقات، وسهروا الليالي الطوال يضعون الكتب والمصنفات، ومنهم من لقي حتفه، وليس يذكر التاريخ أن أحداً من المسلمين كان أشد منهم تحمساً لتلك العناية، ولا أعظم حرصاً عليها"(٣)، ولم يكن موقفهم موقف الإعجاب والثناء فحسْب، بل أخذوا يدعون إلى تبني فكرهم والحث على دراسة منهجهم باعتباره من وجهة نظرهم هو المنهج الصحيح للأمة الإسلامية، يقول زهدي حسن جار الله: "واجب على كُتّاب العرب ورجال الفكر فيهم أن يوجهوا إلى المعتزلة جزءاً كبيراً من عنايتهم وجهودهم، ذلك بأنّ كُتّاب السنّة الأقدمين بسبب كراهيتهم للاعتزال تحاملوا على المعتزلة، ولم يذكروهم إلا مع التقبيح والتشنيع فأعطونا عنهم فكرة سيئة وصورة مشوهة...كما أن الكُتّاب المعاصرين لم يلتفتوا إليهم، ولم يأبهوا لهم، فبقي المعتزلة محرومين من التقدير، مفتقرين إلى من يظهر حقيقتهم، ويعطيهم المكانة اللائقة بهم في التاريخ...فلا بد في نهضتنا هذه من ظهور روح الاعتزال، أو لا بد من إحياء تلك الروح" (٤)، وعدَّهم النشار أهل الإبداع الفلسفي الذين تكمن فيهم فلسفة الإسلام الحقيقية (٥).

(١) هذا هو الإسلام ص ٣٩.

(٢) ظهر الإسلام (٢/٥٠) .

(٣) المعتزلة لزهدي جار الله (ص٤٦) .

(٤) يُنظر : مقدمة كتاب المعتزلة لزهدي جار الله .

(٥) يُنظر : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار (١/١٨) .

فهذا شأن أهل الابتداع من المعتزلة عند هؤلاء، يُعَظّمون ويُكَرّمون، ويرفع من شأنهم، ويُعلى من قدرهم، وفي المقابل يذم أهل الحديث، ويساء إليهم، ويطعن في نهجهم، وتعاب طريقتهم، يقول محمود أبو رية: "فتُرى ماذا تكون حال كثيرين من الذين يزعمون اليوم أنهم من المحَدِّثين، أولئك الذين يتسللون بين أشباههم من العامة، ومبلغ علمهم أنهم قرؤوا بعض كتب الحديث واستظهروا عدداً مما فيها، يجترونه ليؤيدوا به باطل المعتقدات وسوء العادات ويروجوا به ما فشى بين الناس من الترهات والخرافات، لكي يختلسوا احترام الدهماء وثقتهم، ويأكلوا بالباطل والإثم أموالهم، على أنهم لو عرفوا قدر أنفسهم، وأن ما يحفظونه مما لا يزيد أكثره عند أحفظهم عن عشرات من الأحاديث، وأن كتاباً من كتب الحديث لا يزيد ثمنه عن بضعة قروش يغني عنهم جميعاً، لو أنهم عرفوا ذلك كله واستيقنوه لقبعوا في جحورهم، ولأراحوا الناس من نقيقهم، ورحم الله أستاذنا الإمام محمد عبده حيث قال في رجل وصفوه بأنه قد جَدّ واجتهد، حتى بلغ ما لم يبلغه أحد فحفظ متن البخاري كله: "لقد زادت نسخة في البلد"أهـ[1]، أهكذا بلغ الأمر بحفَظَةِ حديث النبي صلى الله عليه وسلم وحملة سنته حتى يسخر بهم أفراخ المعتزلة وتلاميذ الغرب، وما الذي قدموه هم للإسلام غير الطعن فيه، والإساءة إليه؟!، وهذه كتبهم شاهدة على انتكاس عقولهم وانحراف منهجهم، فكان الأولى بهم أن يكُفّوا ألسنتهم ويعيدوا النظر فيما دونوه وكتبوه من مخازي وأباطيل يندى لها جبين المسلم الصادق المنتظر لموعود ربه.

المطلب الثاني : (تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمستشرقين):

المستشرقون يعتبرون أساتذة مباشرين لرواد المدرسة العقلية الحديثة على وجه العموم؛ ذلك أنّ المدرسة العقلية الحديثة أخذت كثيراً من أفكارها ومفاهيمها وقِيَمِها وموازينها حول الإسلام عقيدة وشريعة من المستشرقين، إما بالدراسة المباشرة في الجامعات الاستشراقية في الغرب، أو بالتتلمذ على كتبهم ودراساتهم، وهذه مقارنة لبعض الدراسات العقلانية الحديثة مع الدراسات الاستشراقية، تتأكد بها الصلة الوثيقة بين الفئتين، وتبعية الأولى للثانية:

(١) (هنري ماسيه) أحد المستشرقين، قرر في كتابه (الإسلام/ص١٤٣) أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يرض إلا بمعجزة واحدة، وأن التقاليد الإسلامية هي التي اصطنعت له معجزات أخرى غيرها، وقد تلقفتها العقلانية الحديثة، ونادت بها كما فعل محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد/ص١٤)، ومحمد فريد وجدي في مقالات له في مجلة الأزهر (١٥/٧/١١).

(٢) كما يزعم (هنري ماسيه) أيضاً أن فكرة المهدي، والدجال، ونزول المسيح عيسى، بأنها مستمدة من المسيحية، ثم تلقفها عنه وعن غيره محمود أبو ريّة فقال في (أضواء على السنة/ص١٨٢): (...الدجال ونزول عيسى من وضع تميم الدّاري جاء بها من مسيحيّاته).

(٣) وزعم هذا المستشرق وغيره أيضاً بأن قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبنائهما الكعبة من الأساطير التي استمدها القرآن من أساطير اليهود والنصارى، ثم أخذها عنه طه حسين فزعم أن قصة إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام غير ثابتة تاريخيّاً مهما حدّثَنا عنها القرآن والتوراة والإنجيل[2].

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ٣٢٩.

(٢) يُنظر : تحت راية القرآن لمصطفى صادق الرافعي (ص١٤٤) .

(٤) وادعى المستشرقون أيضاً كقولد زيهر في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي/ص٤٤)، ودِيوِي بور في كتابه (تاريخ الفلسفة في الإسلام/ص٣٦) أن السنة غير ثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن فيها تناقضاً واضطراباً، وتلقفها عنهم العقلانيون أمثال: محمود أبو ريّة في (أضواء على السنة/ص٨٥) وغيره.

ومن جانب آخر نجد أن العقلانيين يثنون على أساتذتهم المستشرقين كثيراً، ويفتخرون بهم وبدراساتهم، ويجعلون منها فتحاً علمياً عظيماً، فهذا محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد/ص١٦) يقول مثنياً على فِكر الغربيين وأدبهم: (وليس من ريب في أن الشرق اليوم في أشد الحاجة إلى النهل من وِرْد الغرب في التفكير والأدب والفن).

وجمهور العقلانيين يجعلون بحوث المستشرقين وكتبهم في طليعة مصادرهم ومراجعهم الأساسية، يقول الدكتور محمد غَلاب في كتابه (نظرات استشراقية في الإسلام/ص٤): "لهذا يجب على كل مثقف من المسلمين أن يضع دراسات المستشرقين في طليعة بحوثه، بل في الصف الأول من شواغله العقلية".

وهذا القَدْر من المقارنة كافٍ لكل منصف متجرد للحق يظهر له بجلاء تأثر القوم بالمستشرقين وإكبارهم لهم ولأفكارهم حول الإسلام.

المبحث الثاني

أبرز رموز المدرسة العقلية الحديثة

لقد كان للمدرسة العقلية الحديثة رموز حملوا لوائها، ونشروا أفكارها، وحاولوا الانتصار لها ولعل من أبرز رموز هذه المدرسة العقلية الحديثة وأشهرهم:

١ . جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤-١٣١٥هـ):

محمد بن صفدر الحسيني جمال الدين الأفغاني، ولد سنة ١٢٥٤هـ في أسعد آباد بأفغانستان، ونشأ بكابل، وتلقى فيها علومه الأولية، ثم رحل إلى الاستانة ومر في رحلته بالهند ومصر، ووصل الاستانة سنة ١٢٧٥هـ، وصار من أعضاء مجلس المعارف إلى أن نفي منها سنة ١٢٨٨هـ، فذهب إلى مصر ونشر بها دعوته في الدين والسياسة فتتلمذ له كثيرون، منهم: محمد عبده، وكتب في جريدة (مصر) التي أنشأها بعض أتباعه، ثم نفته الحكومة المصرية سنة ١٢٩٦هـ، فرحل إلى حيدر آباد، ثم إلى باريس، وأنشأ فيها جريدة (العروة الوثقى) مع تلميذه محمد عبده.

وقام برحلات عديدة فرحل إلى العاصمة الروسية، وأقام بها أربع سنوات، ثم ذهب إلى ألمانيا ولقي بها شاه إيران (ناصر الدين) ودعاه إلى بلاده فسافر إليها إلا أنه ضَيّق عليه فاعتكف في أحد المساجد سبعة أشهر كان يكتب خلالها إلى الصحف بمساوئ الشاه، ويحرض على خلعه، ثم خرج إلى أروبا، ونزل بلندن فدعاه السلطان عبدالحميد إلى الاستانة، فذهب وقابله وطلب منه أن يكف عن التعرض للشاه فأطاع، ثم مرض بالسرطان، وقيل: دُسّ له السم، وتوفي بالاستانة سنة١٣١٥هـ، وكان يتكلم بلغات عدة، وقيل أن له علاقة بالماسونية العالمية، له مؤلفات قليلة، منها: (تأريخ الأفغان)، (رسالة في الرد على الدهريين) ترجمها تلميذه محمد عبده إلى العربية، وقد ألفت بعض المؤلفات في ترجمته.

٢ . محمد عبده (١٢٦٦-١٣٢٣هـ):

محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني، ولد سنة ١٢٦٦هـ بمصر، تلقى تعليمه بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم في الأزهر، وتصوف وتفلسف، وعمل في التعليم، وكتب في الصحف، وناوأ الاحتلال الإنجليزي، وشارك في مناصرة الثورة العُرابية، فسجن ثلاثة أشهر، ثم نفي إلى بلاد الشام سنة ١٢٩٩هـ، وسافر إلى باريس وأصدر مع أستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى) ثم عاد إلى بيروت، واشتغل بالتدريس والتأليف، وسمح له بدخول مصر، فعاد إليها سنة ١٣٠٦هـ، وتولى القضاء بها، ثم جُعِل مستشاراً في محكمة استئناف، ثم جُعِل مفتياً للديار المصرية سنة ١٣١٧هـ إلى أن توفي سنة ١٣٢٣هـ، له مؤلفات منها: تفسير القرآن الكريم -لم يتمه-، شرح نهج البلاغة، الإسلام والرد على منتقديه، وكتبت في ترجمته مؤلفات منها: (تأريخ الأستاذ الإمام) لتلميذه محمد رشيد رضا.

٣ . محمد رشيد رضا (١٢٨٢-١٣٥٤هـ):

محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن على خليفة القلموني، الحسيني، بغدادي الأصل، ولد سنة ١٢٨٢ هـ، نشأ بالقلمون من أعمال طرابلس الشام، وتعلم بها، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، ولازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، وكان على صلة به قبل ذلك في بيروت، ثم أنشأ (مجلة المنار) لبَثّ آرائه، وأصبح مرجع الفتيا، واشتغل بالتأليف، ولما أُعلن الدستور العثماني سنة١٣٢٦هـ زار بلاد الشام، وكان يخطب على منبر الجامع الأموي فاعترضه معترض فكانت فتنة، رحل على إثرها إلى مصر، وأنشأ في مصر مدرسة (الدعوة والإرشاد).

وقد زار سورية، وانتخب رئيساً للمؤتمر السوري، ولما دخلها الفرنسيون غادرها إلى مصر فأقام بها مدة، ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوروبا، وعاد إلى مصر، واستقر بها إلى أن توفي بها فجأة سنة ١٣٥٤هـ، ودفن بالقاهرة، له آثار من أشهرها: مجلة (المنار) أصدر منها ٣٤ مجلداً، تفسير القرآن الكريم، طبع منه ١٢ مجلداً ولم يتمه، وتاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، والوهابيون في الحجاز، وذكرى المولد النبوي، وشبهات النصارى، وحجج الإسلام، وله غيرها، وكتب الأمير شكيب أرسلان كتاباً في سيرته.

٤ . أحمد أمين بن إبراهيم الطباخ (١٣٠٤-١٣٧٣هـ):

ولد بالقاهرة سنة ١٢٩٥هـ، وقرأ مدة قصيرة في الأزهر، وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي ودرس بها وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، ودرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية، ثم صار عميداً لها، ثم مديراً للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية عام ١٣٤٧هـ إلى أن توفي عام ١٣٧٣هـ، وكان عضواً في المجلس العلمي العربي بدمشق، ومجمع اللغة بالقاهرة، والمجمع العلمي ببغداد، وهو مكثر من التصنيف، ومن مؤلفاته: فجر الإسلام، ضحى الإسلام، ظهر الإسلام، يوم الإسلام، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، وغيرها.

٥ . محمد الغزالي (١٣٣٥-١٤١٦هـ):

ولد سنة ١٣٣٥هـ في قرية اسمها (نكلا العنب) بمحافظة البحيرة من مصر، وقد التحق بكلية أصول الدين بعد ما تخرج من المعهد الديني في جامعة الأزهر وتخصص بالدعوة وحصل على درجة التخصص في التدريس، وهي تعادل درجة الماجستير وذلك من كلية اللغة العربية، قضى نحو نصف قرن بين الإمام والخطابة والتدريس في مساجد وزارة

الأوقاف المصرية، وتولى إدارة المساجد وإدارة الدعوة بوزارة الأوقاف نفسها، وقام الشيخ بالتدريس في عدد من جامعات العالم الإسلامي، وافته المنية عام ١٤١٦هـ، ودفن بالمدينة المنورة، وله اعتراضات وطعون حول أحاديث صحيحة تخالف فيما يزعم العقل أو الواقع، ومن أقواله :"وأعرضت عن أحاديث أخرى توصف بالصحة لأنها في فهمي لدين الله وسياسة الدعوة لم تنسجم مع السياق العام"(١)، ولازمُ هذا التفصيل ردُّ حديث النبي صلى الله عليه وسلم صراحة؛ لأن وصفه بالصحة ليس تخمينًا أو اجتهادًا، ولكنه مبنيٌ على قواعد علم الإسناد والمتن المعتبر عند أئمة الحديث، فغفر الله له وعفى عنه.

المبحث الثالث

أهم شبهاتهم حول السنة النبوية والرد عليها

لقد تتبع هؤلاء العقلانيون خطوات المدرسة العقلية القديمة (المعتزلة)، ومن وافقهم في الهجوم على السنة وتقديم العقل على النقل كالمستشرقين، وتلقفوا شبهاتهم يرددونها في كل محفل، وما أتوا بجديد يذكر، بل أخذوا شبه الاستشراق فعضدوها وزادوها أموراً تبينها غفل عنها المستشرقون أو جهلوها، وسوف أعرض بعض شبهاتهم التي أثاروها حول السنة إجمالاً دون طعونهم في الأحاديث بعينها فهذا بابٌ طويلٌ جداً لا يمكن الإلمام بجميع أطرافه في هذا البحث الموجز، وأغلب حجج القوم حجج واهية تدل على جهل أصحابها بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وما بذل في تنقيتها والحفاظ عليها، وإليك عرض أبرزها والرد عليها بشيء من الاختصار بما يناسب المقام:

أولاً: تشكيكهم في الأحاديث بكثرة التضارب والاختلاف فيها:

يقول محمد توفيق صدقي: "ولع الناس في الأعصر الأولى بالروايات القولية ولوعاً، وتفاخروا بكثرة جمعها جموعاً، حتى ملأت الأحاديث الآفاق، وكثر فيها التضارب والاختلافات"(٢)، والجواب على شبهتهم الأولى أن يقال:

لقد صان الله تعالى دينه، وحفظ وحيه من التناقض والاختلاف، ونَزّه شريعته من التضاد والتباين لأنها من عند الله عزوجل وهو الحق سبحانه الذي لا تتضارب أقواله ولا تتنافر أحكامه، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: "الشريعة كلها ترجع إلى قول واحد في فروعها وإن كثر الخلاف كما أنها في أصلها كذلك ولا يصلح فيها غير ذلك، والدليل عليه أمور، أحدها: أدلة القرآن: من ذلك قوله تعالى : {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا} (سورة النساء: ٨٢)، فنفي أن يقع فيه اختلاف البتة: ولو كان فيه ما يقتضي قولين مختلفين لم يصدق عليه هذا الكلام على حال، وفي القرآن: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} (سورة النساء: ٥٩)، وهذه الآية صريحة في رفع التنازع والاختلاف ؛ فإنه رد المتنازعين إلى الشريعة وليس ذلك إلا ليرتفع الخلاف ، ولا يرتفع الخلاف إلا بالرجوع إلى شيء واحد، إذ لو كان فيه ما يقتضي الاختلاف لم يكن في الرجوع إليه رفع تنازع وهذا باطل، وقال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ

(١) فقه السيرة ص ٤ .

(٢) مجلة المنار (٥١٦/٩).

تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ} (سورة آل عمران: ١٠٥)، والبينات هي الشريعة فلولا أنها لا تقتضي الاختلاف ولا تقبله البتة لما قيل لهم من بعد كذا، ولكان لهم فيها أبلغ العذر، وهذا غير صحيح فالشريعة لا اختلاف فيها، وقال تعالى: {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ} (سورة الأنعام: ١٥٣)، فبين أن طريق الحق واحد وذلك عام في جملة الشريعة وتفاصيلها".

إلى آخر ما ذكر رحمه الله من أدلة تبين خلو الشريعة من الاختلاف والتناقض[١]، ففي حقيقة الأمر لا تعارض بين أدلة الشرع على الإطلاق، كما قال ابن خزيمة: "لا أعرف أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثان بإسنادين صحيحين متضادين، فمن كان عنده فليأتني به لأؤلف بينهما"[٢]، ولكن قد يتعارض بعض الأحاديث عند بعض العلماء ولذا قام فن جليل وعلم هام من علوم الحديث عرف بعلم: "مختلف الحديث ومشكله"، وهو من أهم الأنواع، لاضطرار جميع العلماء إلى معرفته، ولا يكمل فيه إلا من دق فهمه وثقب رأيه، ووسع علمه، وقد اعتنى علماء الحديث بهذا العلم اعتناءاً بالغاً، منذ عصر الصحابة، فجمعوا بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض فوفقوا بينها، وأزالوا ما بها من إشكال، وكان لهم فضل كبير في رد انتقادات الطاعنين، وأودعوا ذلك مؤلفات، كاختلاف الحديث للشافعي، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ومشكل الآثار للطحاوي، وغيرها الكثير[٣].

ثانياً: ظنهم أن أكثر الأحاديث موضوعة:

يقول سيد أمير علي: "ولو أن الأئمة كانوا أحراراً في استعمال رأيهم ونبذوا بشجاعة خمسمائة ألف من الأحاديث واستبقوا منها ثمانية آلاف، إذا لجعلنا لأنفسنا مثل هذه الحرية، ولماذا يظن إنسان أن الإسلام صار مشبوكاً في قالب لا يتغير بعد الإجماع على الكتب الستة"[٤].

وأما شبهتهم الثانية: وهي قول من قال منهم بأن أكثر الأحاديث موضوعة فهو قول مردود مرذول ، ويبدو أن قائله وقع في يده كتاب من كتب الموضوعات فظن أن بقية كتب السنة على منواله، وإلا فمن يدرس موقف العلماء من الوضع والوضاعين، وجهودهم في سبيل تمييز السنة، وبيان صحيحها من سقيمها، ما كان له إلا أن يحكم بأن الجهد الذي بذلوه في ذلك لا مزيد عليه، حتى لنستطيع أن نجزم بأن علماءنا رحمهم الله هم أول من وضع قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها، لقد قيض الله عز وجل بعد الصحابة والتابعين علماء أجلاء أمناء مخلصين لحفظ السنة النبوية، وهيأهم لذلك، فضربوا أروع الأمثلة في الذب عن حياض السنة وحمايتها، وضَحّوا بكل غال ونفيس في خدمتها وصونها، ولم يتركوا سبيلاً يحفظ للحديث نوره إلا سلكوه وبذلوا في ذلك نفوسهم وأموالهم صيانة لإرث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن تعبث به أيادي الحاقدين،وفي الحقيقة لم يخدم علم على وجه الأرض مثل ما خدم حديث النبي صلى الله عليه وسلم من قبل علماء الحديث، ولم

---

(١) الموافقات (٤/٦٣).

(٢) مقدمة ابن الصلاح ص ١٤٣ .

(٣) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ، الأمين الصادق الأمين ص ٥٥٤-٥٥٧.

(٤) أضواء على السنة المحمدية ص ١٤٩ الهامش .

تبذل جهود قط كتلك التي بذلت في خدمته وحفظه، وقد وضعوا منهجاً متيناً رصيناً استطاعوا من خلاله أن يحيطوا السنة بسياج سميك ضمن لها البقاء معافاة سليمة جنباً إلى جنب مع كتاب الله عز وجل، ويتمثل ذلك في أمور منها:

أ . التثبت في الحديث: فكانوا يستوثقون في تحمل الحديث وروايته، فلا يقبلون إلا ما ثبت، قال الأوزاعي: "كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف على الصيارفة، فما عرفوا منه أخذنا، وما تركوا تركناه"[١].

ب . بيان أحوال الرواة: وقد تتبعوا أحوال الرواة وكشفوا وأبانوا عنهم فوثقوا من حقه التوثيق وضعفوا من كان أولى بالتضعيف، لا يخشون في ذلك أحداً إلا الله، ولا تأخذهم في الحق لومة لائم، ولو كان من ضعفوه من أقرب الناس إليهم، وقال ابن المديني لمن سأله عن أبيه: "سلوا عنه غيري" فأعاد المسألة، فأطرق، ثم رفع رأسه فقال: "هو الدين، إنه ضعيف"[٢]. **ج . الرحلة في طلبه:** كما رحل الصحابة والتابعون في طلب الحديث رحل من بعدهم من العلماء فقطعوا البراري والوديان وهجروا الراحة والدعة وتركوا الأهل والأوطان.

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: "أول سنة خرجت في طلب الحديث، أقمت سبع سنين، أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ"، قلت: (القائل الذهبي) "مسافة ذلك نحو أربعة أشهر، سير الجادة"[٣]، فهذا مثال واحد، وغيره الكثير مما يدل على ما بذله القوم من جهد جهيد في أسفارهم، قَلّ أن يوجد له مثيل، وندر أن يعرف له مشابه، إنه تسخير إلهي حفظ الله به دينه، و أبقى به شرعه.

د . مقاومة الوضاعين وتمييز الموضوعات: لقد أجمع العلماء على حرمة وضع الحديث وطاردوا الكذابين والوضاعين وأبانوا عوارهم، وكشفوا عيوبهم وأقضوا مضاجعهم، وسلكوا معهم مسالك شتى، ووقفوا منهم مواقف عدة كان لها الفضل في تحجيم الوضع ومنع انتشاره، ومن ذلك:

١ . تحذير الناس منهم ببيان حالهم والقدح فيهم، قال المكي بن إبراهيم: "كان شعبة يجيء إلى عمران بن حدير فيقو: "قم بنا حتى نغتاب في الله تبارك تعالى"[٤].

٢ . ومن ذلك أيضاً تذكيرهم بالله ووعظهم، وتعنيفهم، وترك السلام عليهم، والتشهير بهم، وكتابة المحاضر والإشهاد عليها، وتمزيق الكتب في وجوههم، والاستعداء عليهم، ووصفهم بالألقاب التي تبين أمرهم، وهجرهم، وعدم الصلاة عليهم إذا ماتوا زجراً لغيرهم، وشهود جنائزهم، قال الشافعي رحمه الله: "لو لا شعبة ما عرف الحديث بالعراق، كان يجيء إلى الرجل فيقول: لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان"[٥].

(١) الجرح والتعديل (٢١/٢).

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٦٦.

(٣) الجرح والتعديل ٣٥٩/١-٣٦٠ بتصرف ، سير أعلام النبلاء (٢٥٥/١٣-٢٥٦).

(٤) المجروحين (١٩/١).

(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢٣١/٢).

٣ . **كما أنهم ميزوا الأحاديث الصحيحة من الموضوعة ونقوها،** قيل لابن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة؟ فقال: "تعيش لها الجهابذة {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} (سورة الحجر: ٩)، وصنفوا في ذلك الكتب في أسماء الوضاعين، والموضوعات حتى أصبح ذلك غير خاف على أحد من علماء الحديث وجهابذته، فالسنة كلها بفضل هذه التآليف من كتب الصحاح والجوامع، والمسانيد، والسنن وغيرها واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض[١].

ثالثاً: لا يدين الله العالمين بشيء لا يمكن لأحد أن يميز حقه من باطله:

يقول محمد توفيق صدقي: "نظر المجتهدون في الأحاديث نظرة فعلموا ما فيها من الاختلاف، وتحققوا أن أكثرها موضوعات، ولما أراد كل منهم أن يستخرج مذهبه اضطر أن يرفض منها ما صح عند غيره، فهل يعقل أن الله يدين العالمين بشيء لا يمكن لأحد أن يميز حقه من باطله؟"[٢].

أما هذه الشبهة: فقول القائل: لا يدين الله العالمين بشيء لا يمكن لأحد أن يميز حقه من باطله، فذلك زعم واه وحجة داحضة يمكن أن يجاب عنها بعدة أوجه: **الأول:** لا يجوز أن يكون الخبر الذي تعبّد الله به الأمة، وتعرّف به إليهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم كذباً وباطلاً، لأنه من حجج الله على عباده، وحجج الله لا يمكن أن تكون كذباً أو باطلاً، وقد قال سبحانه : {هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا} (سورة الفتح: ٢٨)، فلا بد أن يحفظ الله حججه وبيناته لئلا تبطل تلك الحجج والبينات، **الثاني:** لا يمكن أن يختلط الحق بالباطل ولا يتميز، فالفرق بين الحق والباطل، والصدق والكذب، ووحي الملك ووحي الشيطان أظهر من أن يشتبه أحدهما بالآخر، ولكن إنما يعرف ذلك من كان له عناية بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه، وأما الذين عميت بصائرهم وأبصارهم فليس بمستنكر أن يشتبه عليهم الحق والباطل، قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: "تَلَقَّ الحق ممن قاله، فإن على الحق نوراً"[٣]، **الثالث:** لقد تكفل رب العالمين بحفظ دينه كله، وإظهاره على الأديان كافة، ولذلك فضح الله من كذب على رسوله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته، قال عبد الله بن المبارك: "لو هم رجل أن يكذب في الحديث لأصبح والناس يقولون: فلان كذاب"[٤]، ولذا كشف لنا جهابذة الحديث ونُقّاده عن أسماء الكذابين وفضحوهم وأخرجوا الأحاديث المكذوبة وبيّنوها، وأُلّفت الكتب في ذلك[٥].

رابعاً: ادعائهم بأنه لو أراد كل مجتهد أن يستخرج مذهبه لاضطر أن يرفض من السنة ما صح عند غيره:

كما في كلام محمد صدقي السابق في الشبهة الأولى، **والجواب أن يُقال:** أما من زعم أن كلاً من المجتهدين رفض من السنة ما صح عند غيره فهذا زعم مخالف لما كان عليه أولئك المجتهدون من تعظيم السنة واحترامها، وعدم

---

(١) انظر : الحديث والمحدثون ص ٤٨٢.

(٢) مجلة المنار (٩/٥١٦).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٧٩.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٨٥.

(٥) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ، الأمين الصادق الأمين ص ١٥٨-١٦٠.

الاستهانة بها، ومعاذ الله أن يوصف الأئمة العلماء برفض السنة، وهم حمَلَتها وحماتها، والذابّون عنها كل دخيل وغريب عنها...وكون أحد العلماء المجتهدين لم يعمل بحديث صحيح عمل به غيره، أو أنه أفتى بخلافه لا يدل ذلك على رفضه للحديث، فلعل الحديث لم يبلغه، أو بلغه ولكن لم يصح عنده، أو صح ولكنه عارضه عنده ما هو أقوى منه، أو رآه منسوخاً إلى غيره ذلك من الاعتبارات الشرعية، وهو معذور بذلك[١].

خامساً: تشكيكهم في كتابة الحديث النبوي:

ويمكن أن نجمل أقوالهم في هذه القضية في النقاط الآتية:

١-لوكانت السنة ضرورية لحفظها الله كما حفظ القرآن، ولأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها كما أمر بكتابة القرآن، وقد أجاب عن ذلك العلامة المعلمي بعد حديثه عن جمع القرآن وكتابته، وكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤكد على كتابة السنة كما أكد على كتابة القرآن وتدوينه، فقال: "فأما السنة فمخالفةٌ لذلك في أمور: **الأول**: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعن بكتابتها بل اكتفى بحفظهم في صدورهم وتبليغهم منها أي بنحو الطريقة الأولى في القرآن يعني طريقة الحفظ، **الثاني**: أنها كانت منتشرة لا يمكن جمعها كلها بيقين، **الثالث**: أنه لم يتفق لها في عهد الصحابة ما اتفق للقرآن؛ إذ استحَرّ القتل بحُفّاظه من الصحابة قبل أن يتلقاه التابعون، فالصحابة كانوا كثيراً، ولم يتفق أن استحَرّ القتل بحفّاظ السُنة منهم قبل تلَقّي التابعين، **الرابع**: أنهم كانوا إذا همّوا بجمعها رأوا أنه لن يكون كما قال عمر رضي الله عنه في جمع القرآن: "هو والله خير"، أي: خير محض لايترتب علية محذور، كانوا يرون أنه يصعب جمعها كلها، وإذا جمعوا ما أمكنهم خشوا أن يكون ذلك سبباً لرد من بعدهم مافاتهم منها.

وخشوا أيضاً من جمعها في الكتب قبل استحكام أمر القرآن أن يُقبل الناس على تلك الكتب ويدعوا القرآن، فلذلك رأوا أن يكتفوا بنشرها بطريق الرواية ويكلوها إلى حفظ الله تعالى الذي يؤمنون به"[٢].

٢- قالوا أيضاً: لم يكتب الصحابة الأحاديث، وماكتبه بعضهم إنما كتبه لنفسه ليحفظه ثم يمحوه بل قد رغب كبار الصحابة عن التحديث ونهوا عنه لأنهم لايري دون أن تكون الأحاديث ديناً عاماً، والجواب: أن هناك من الصحابة من كان كاتباً للأحاديث، كعبد الله بن عمرو بن العاص كما قال أبو هريرة رضي الله عنه: (فإنه كان يكتب ولا أكتب...)[٣]، وصحيفة جابر، وصحيفة علي، وغيرهما من الصحابة، ولو كانت الكتابة لأجل الحفظ فقط ثم محوها لما بقيت هذه الصحف مروية محفوظة في دووابن السنة، وما فعله بعض الصحابة من محو ما كتبوه، أو أمرهم بذلك ليس لأن الكتابة منهي عنها بل إنما فعلوا ذلك خشية أن يشتغل بها الناس عن القرآن في وقت لم يحفظوا فيه القرآن بعد، أو لأنهم كانوا يُعَوّلون على الحفظ وتنمية ملَكَتهم فيه شأنهم شأن العرب، أو أن تلك الصحف التي مُحيت كانت منقولة عن أهل الكتاب فخيف اشتغال الناس بها عن دينهم، وعلى كل حال فالذين كانوا يكتبون الشيء من أجل حفظه ثم يمحونه هم بعض الصحابة، ولم يكن ذلك حال الجميع، فقد كان جماعة منهم يكتبون ويُبقون كتبهم.

---

(١) الحديث والمحدثون ص ٢٠٢ .

(٢) الأنوار الكاشفة ص ٤٥ .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب كتابة العلم (١/٥٤/ح١١٣) .

وقول الشيخ رشيد -الآنف الذكر-: "إن الصحابة لم يريدوا أن تكون الأحاديث ديناً عاماً"، قولٌ لا أساس له، والقرآن يفضح أمره ويكشف ستره، بل قد فهم الصحابة رضي الله عنهم من النبي صلى الله عليه وسلم أنه يريد أن تكون السنة ديناً عاماً دائماً، وذلك للأدلة الكثيرة من القرآن والسنة الدالة على التمسك بالسنة وعدم مخالفتها كقوله صلى الله عليه وسلم: (فمن رغب عن سنتي فليس مني)[١].

٣- لم يكن لأمر عمر بن عبد العزيز بالتدوين أثر، فلعله عوجل عنه، ولم يأبه لذلك من خلفه، وهذا زعمٌ لا حقيقة له، ومعروفٌ استجابة العلماء لهذا التوجيه من عمر رضي الله عنه بالتدوين، ومن أشهرهم الإمام الزهري، فقد عدّه العلماء من أوائل من دَوّن الحديث، وقد ذكر ابن عبد البر أن ابن شهاب قال: (أمَرَنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبتها دفتراً دفترا)ً ، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً)[٢]، وهذا نص قوي في دحض هذا الزعم.

سادساً: اعتراضهم على رواية الأحاديث بالمعنى:

قال محمود أبو رية: بعد أن ذكر أنه بذل جهداً كبيراً في الدراسة في المصادر الصحيحة: (حتى انتهيت إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة، ذلك أني وجدت أنه لايكاد يوجد في كتب الحديث كلها مما أسموه صحيحاًً، أو ماجعلوه حسناً -حديث- قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبة، كما نطق الرسول به، ووجدت أن الصحيح على اصطلاحهم ما هو إلا معان مما فهمه بعض الرواة، وقد يوجد بعض ألفاظ مفردة بقيت على حقيقتها في بعض الأحاديث القصيرة وذلك في الفَلتة والنُدرة، وتبين لي أن مايسمونه في اصطلاحهم حديثاً (صحيحاً) إنما كانت صحته في نظر رواته، لا أنه صحيح في ذاته.

ومن أجل ذلك جاءت أكثر الأحاديث وليس عليها من ضياء بلاغته صلوات الله عليه إلا شعاع ضئيل)[٣]، ولكي أجيب على هذه الشبهة لابد من عرض موجز لأقوال أهل العلم في حكم الرواية بالمعنى، فقد ذهب كثير من السلف إلى عدم جواز الرواية بالمعنى، ونصوا على وجوب تأدية الحديث بلفظه ، ولم يوردوا في ذلك تفصيلاً، وجَوّز بعضهم ذلك بشروط[٤]، قال ابن الصلاح رحمه الله: (والأصح جواز ذلك في الجميع إذا كان عالماً بما وصفناه قاطعاً بأنه أدى معنى اللفظ الذي بلّغه لأن ذلك هو الذي تشهد به أحوال الصحابة والسلف الأولين وكثيراً ماكانوا ينقلون معنى واحداً في أمر واحد بألفاظ مختلفة وما ذلك إلا لأن مُعَوّلهم كان على المعنى دون اللفظ) [٥]، ورواية

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح (١٩٤٩/٥/ح٤٧٧٦) ، ومسلم في صحيحه في كتاب النكاح (١٠٢٠/٢/ح١٤٠١).

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٩١/١)

(٣) أضواء على السنة المحمدية ص٧ ، وانظر : ص٥٤ _ ٥٥ ، ٢٢٣ .

(٤) انظر كتاب الكفاية ص ٣٠٠ .

(٥) مقدمة ابن الصلاح ص ١٠٥ .

الحديث بالمعنى بالشروط السابقة هو الذي عليه جمهور الناس سلفاً وخلفاً، وعليه العمل[١]، ومع هذا فقد أُثر عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم التشدد في رواية الحديث بلفظه، خشية الوقوع في الخطأ، وخوفاً من التحريف فكانوا يتحرّون ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم.

والذين أجازوا الرواية بالمعنى إنما أجازوها على أنها رخصة تقدّر بقدرها لا أنها أصل يُتّبع ويُلتزَم في الرواية[٢]، وهؤلاء الذين أجازوا كانوا عرباً أقحاحاً خُلّصاً، وكانوا أهل فصاحة وبلاغة، وكانوا على علم بمواقع الخطاب، ومحامل الكلام، وقد علموا أن الذي يروونه دين من عند الله تعالى يحرم فيه الكذب على الله وعلى رسوله[٣]، ومع ذلك فإن الرواية بالمعنى إنما تكون في الكلمة والكلمتين والثلاث من الحديث وقَلّ أن تقع في جميعه، وليس كل الأحاديث يجوز روايتها بالمعنى، بل منها ما لا يجوز فيه ذلك، كالأحاديث التي من باب التعبد، كالأذان والتشهد والتكبير والتسليم، والتي تكون من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، أو التي بها معنى خفي يمكن أن يقع الاختلاف فيه.

ودعوى أبي رية أن الأحاديث كلها رويت بالمعنى دعوى لا أساس لها من الصحة، بل كثير من الأحاديث ورد بلفظه، واتفقت فيه الروايات، والمتذوق للكثير منها لايشك في أنها صدرت من كلام أفصح العرب صلى الله عليه وسلم، وأنها لم تخرج إلا من مشكاة النبوة ولذا أدرك ذلك أئمة اللغة والبيان فألّفوا كتباً في البلاغة النبوية.

سابعاً: دعواهم بالأخذ بالسنة العملية دون القولية:

قال محمد رشيد رضا في مجلته المنار: (إن سنته التي يجب أن تكون أصل القدوة هي ماكان عليه هو وخاصة أصحابه عملاً وسيرةً، فلا تتوقف على الأحاديث القولية...–ثم قال–: جعلهم الأحاديث القولية من السنن، وهو اصطلاح للعلماء توسعوا فيه بمعنى السنة فجعلوها أعم مما كان يريده الصحابة من هذا اللفظ (السنة)، وهي الطريقة المتبعة التي جرى عليها العمل)[٤]، وقال: (ومن العجائب أن يَغْبى بعض المحدثين أحياناً عن الفرق بين السنة والحديث في عرف الصحابة الموافق لأصل اللغة فيحملوا السنة على اصطلاحهم الذي أحدثوه بعد ذلك)[٥]، وقال محمود أبو رية: (وسنن الرسول المتواترة وهي السنن العملية –وما أجمع عليه مسلموا الصدر الأول، وكان معلوماً عندهم بالضرورة– كل ذلك قطعي لايسع أحد جحده أو رفضه، بتأويل ولا اجتهاد ككون الصلاة المعروفة خمساً...هذه هي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأما إطلاقها على ما يشمل الأحاديث فاصطلاح حادث)[٦]، حادث)[٦]، والجواب على ذلك: أن السنة تشمل أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وهذا الذي عليه أهل العلم قديماً وحديثاً، كما تطلق على الأحاديث المتواترة والآحاد[٧]، والقول بأن السنة هي السنة العملية

---

(١)ينظر : دفاع عن السنة ص٧٣.

(٢)ينظر : اختصار علوم الحديث مع شرحه الباعث الحثيث ص١٣٦

(٣)ينظر : دفاع عن السنة ص٧٣.

(٤) مجلة المنار (٨٥٢/١٠) .

(٥) المصدر نفسه ، المجلد السابق ، ص ٨٥٣

(٦) أضواء على السنة المحمدية ، ص٣٥١

(٧) ينظر : الأنوار الكاشفة ص٢١.

المتواترة فقط، قول لاصحة له، بل هو اصطلاح حادث لايخفى بطلانه[١]، ولو قُصرت السنة على السنة المتواترة العملية لفُرِّط في كثير من الأحاديث القولية التي نُقلت عنه صلى الله عليه وسلم في جميع جوانب الدين، في الأحكام والأخلاق والمواعظ [٢]، بل وفُرِّط في السنن العملية التي لم يداوم على فعلها النبي صلى الله عليه وسلم، أولم يثبت استمراره عليها، كصوم يوم عاشوراء، وصلاة القيام التي صلاها بالناس ثلاث ليالي من رمضان فقط، وكالصيغ المختلفة لدعاء الاستفتاح، وإطلاق السنة على الأحاديث القولية ليس اصطلاحاً حادثاً كما يزعمون، وإنما هو أمر معهود في الصدر الأول[٣].

ثامناً: طعنهم في عدالة الصحابة:

قال محمود أبو رية: "أنهم أي العلماء قد جعلوا جرح الرواة وتعديلهم واجباً تطبيقه على كل راو مهما كان قدره، مع أنهم قد وقفوا دون عتبة الصحابة فلم يتجاوزوها؛ إذ اعتبروهم جميعاً عدولٌ لايجوز عليهم نقد، ولايتجه إليهم تجريح، ومن قولهم في ذلك (إن بساطهم قد طوي)، ومن العجيب أنهم يقفون هذا الموقف، على حين أن الصحابة أنفسهم قد انتقد بعضهم بعضاً"[٤]، وقال: (وإذا كان الجمهور على أن الصحابة كلهم عدول ولم يقبلوا الجرح وتعديل فيهم كما قبلوه في سائر الرواة واعتبروهم جميعاً معصومين من الخطأ والسهو والنسيان، فإن هناك كثيراً من المحققين لم يأخذوا بهذه العدالة (المطلقة) لجميع الصحابة وإنما قالوا كما قال العلامة المقبلي[٥]: أنهم أغلبية لا عامة، وأنه يجوز عليهم مايجوز على غيرهم من الغلط والنسيان والسهو، بل الهوى، ويؤيدون رأيهم بأن الصحابة إن هم إلا بشر يقع منهم مايقع من غيرهم، مما يرجع إلى الطبيعة البشرية...ويُعزّزون حكمهم بمن كان منهم في عهده صلى الله عليه وسلم من المنافقين والكاذبين وبأن كثيراً منهم قد ارتد عن دينه بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، وما وقع منهم من الحروب والفتن التي أهلكت الحرث والنسل، ولا تزال آثارها –ولن تزال إلى اليوم وما بعد اليوم–، وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى بعيني بصيرته النافذة ماسيقع من أصحابه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى فقال في حجة الوداع: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"[٦]، وروى البخاري[٧] عن ابن عباس عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنكم تحشرون حفاة عراة وإن ناساً من أصحابي يؤخذ

---

(١) ينظر : المرجع نفسه ص٥٧.

(٢) ينظر : دفاع عن السنة ص ٢٩١.

(٣) ينظر : المرجع السابق نفسه ص ٢٩١

(٤) أضواء على السنة المحمدية ٣١٠ .

(٥) هو صالح بن مهدي المقبلي ، من علماء اليمن ، تفقه على المذهب الزيدي ، وكان ممن ينبذ التقليد ، ويتكلم في أهل الحديث ، رحل إلى مكة واستقر بها حتى مات سنة ١١٠٨ هـ ، من كتبه : (العلم الشامخ) ، (الأبحاث المسددة في مسائل متعددة) ، وغيرها . ينظر : البدر الطالع (٢٨٨/١)، والأعلام (١٩٧/٣).

(٦) رواه البخاري في صحيحه في عدة مواضع ومنها: كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء (٥٦/١/ح١٢١) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (٨١/١/ح٦٥).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء، باب: ﭽ ﭼ ﭽ ﭽ ﭼ ﭽ (مريم: ١٦) (١٢٢٢/٣/ح٣١٧١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الجنة (٢١٩٤/٤/ح٢٨٦٠).

بهم ذات الشمال فأقول أصحابي! أصحابي! فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (سورة المائدة: ١١٧)[١].

والجواب على ذلك:

أن عدالة الصحابة رضي الله عنهم أمرٌ مقطوعٌ به، معلومٌ معروفٌ عند عامة المسلمين تلقوه جيلاً بعد جيل، وأنهم مُعدّلون من قبل الله ورسوله وإجماع من يعتد به في الإجماع على ذلك، وهذا غير قابل للجدال والنقاش، لأن الله تعالى قد عدّلهم في قرآنه وأثنى عليهم ومدحهم في أكثر من آية، كما عَدّلهم رسوله صلى الله عليه وسلم وبين منزلتهم التي لا تدانيها منزلة، فقال: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[٢]، وقال أيضاً: "لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً مابلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه"[٣]، وقد أجمع أهل السنة والجماعة على على عدالتهم وفضلهم وشرفهم، قال ابن عبد البر: "قد كُفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول، وقال ابن الصلاح: "ثم إن الأمة مُجْمِعةٌ على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع، إحساناً للظن بهم، ونظراً إلى ماتمهد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة"[٤].

وقد بقي بعض شبه هؤلاء في عدالة الصحابة رضوان الله عليهم تحتاج الى جواب، ويمكن إجمال ذلك في النقاط الآتية:

١- لم يقبل الجمهور الجرح والتعديل فيهم كما قبلوه في سائر الرواة واعتبروهم جميعاً معصومين، وهناك كثير من المحققين لم يأخذوا بهذه العدالة، كالمقبلي.

٢- أنهم بشر يجوز عليهم مايجوز على غيرهم من الغلط والنسيان والسهو بل والهوى، مما يرجع الى الطبيعة البشرية.

٣- ارتد كثير منهم عن دينه، ووقعت بينهم الحروب والفتن التى أهلكت الحرث والنسل، كما دل عليه حديث الحوض.

والجواب على تلك الشبه:

---

(١) ينظر : أضواء على السنة المحمدية (٣٢٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات ، باب : لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (٩٣٨/٢ح٢٥٠٩) ، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الأصحاب(١٩٦٣/٤ح٢٥٣٣) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب قول النبي ﷺ :لو كنت متخذا خليلاً (١٣٤٣/٣ح٣٤٧٠) ، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (١٩٦٧/٤ح٢٥٤٠) .

(٤) مقدمة ابن الصلاح ص ١٤٧

١- المراد بعدالة الصحابة أنهم لايعتمدون الكذب لما اتسموا به من قوة الإيمان، والتزام التقوى والصدق، وحسن الأخلاق، والبعد عن السفاسف مما يخل بالمروءة، لا أنهم معصومين رضي الله عنهم من المعاصي أو من السهو والغلط، إذ العصمة لاتكون إلا للأنبياء، ولم يقل أحد من أهل العلم بعصمتهم، وعدم العصمة لا ينافي العدالة(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فلا يعرف من الصحابة من كان يتعمد الكذب على رسول الله، وإن كان فيهم من له ذنوب، لكن هذا الباب مما عصمهم الله فيه من تعمد الكذب على نبيهم"(٢)، ومراده بالعصمة أن الله تعالى حفظهم من تعمد الكذب حفظاً للشريعة وحماية لجنابها، لأنهم هم الوسائط في نقلها، قال أبو حاتم ابن حبان: "فإن قال قائل: فكيف جَرَحْت من بعد الصحابة؟ وأبيت ذلك في الصحابة، والسهو والخطأ موجود في أصحاب رسول الله كما وجد فيمن بعدهم من المحدثين؟ يقال له: إن الله عز وجل نزه أقدار أصحاب رسوله عن ثلب قادح، وصان أقدارهم عن وقيعة متنقص، وجعلهم كالنجوم يُقتدى بهم...ومن شهد التنزيل وصحب الرسول فالثلب لهم غير حلال، والقدح فيهم ضد الإيمان، والتنقيص لأحدهم نفس النفاق، لأنهم خير الناس قرناً بعد رسول الله وأن من تولى رسول الله إيداعهم ما ولاه الله بيانه الناس لحريٌّ أن لا يجرح، لأن رسول الله لم يودع أصحابه الرسالة وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب إلا وهم عنده صادقون جائزوا الشهادة، ولولم يكونوا كذلك لم يأمرهم بتبليغ من بعدهم ماشهدوا منه، لأن لو كان أحد منهم ليس كذلك لكان فيه قدحاً في الرسالة، وكفى بمن عدّله رسول الله شرفاً، وأن من بعد الصحابة ليسوا كذلك، لأن الصحابي إذا أدى إلى من بعده يحتمل أن يكون المبلغ إليه منافقاً، أومبتدعاً ضالاً ينقص من الخبر أو يزيد فيه؛ إذ صان الله عزوجل أقدار الصحابة عن البدع والضلال"(٣)، والمحققون من علماء الأمة هم الذين قالوا بعدالة الصحابة كالأئمة الأربعة، وأصحاب الكتب الستة، وابن معين، وابن المديني، وأبي زرعة وأبي حاتم، وابن حبان، وابن تيمية، وكافة أهل السنة والجماعة، وقولهم هو الحق، والمقبلي لاحجة في قوله، ولايلتفت إلى ما قال خاصة إذا علمنا أنه ارتضع ثدي الاعتزال، الذي نشأ في بيئته، وارتمى في أحضان الفقه الشيعي الذي أثّر في منهجه، فجاء حكمه على الصحابة ممزوجاً بضلال الاعتزال وانحراف التشيع.

قال الشيخ المعلّمي: "والمقبلي نشأ في بيئة اعتزالية المعتقد، هادوية الفقه، شيعية تشيعاً مختلفاً، يغلط في أناس ويخف في آخرين، فحاول التحرير فنجح تقريباً في الفقه، وقارب التوسط في التشيع، أما الاعتزال فلم يكد يتخلص إلا من تكفير أهل السنة مطلقاً"(٤)، ولاشك أن الصحابة رضي الله عنهم بَشَرٌ معرضون للسهو والنسيان والخطأ كغيرهم ولايعارض ذلك تعديلهم ولكنهم يمتازون عن غيرهم حيث عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم وشهدوا الحوادث فتجسدت في ذاكرتهم وطبقوا ذلك عملياً إضافة إلى أنهم كانوا يتذاكرون ما سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم مع الاحتياط البالغ الدقة وتجنب رواية ماشكوا فيه من حديث(٥)، ومع هذا فإن نقاد الحديث لم يُسَلّموا

---

(١) دفاع عن السنة ص ١٠٩.

(٢) الرد على الإخنائي ص ١٠٣ .

(٣) المجروحين (٣٣/١) .

(٤) الأنوار الكاشفة ص ٢٧٩ .

(٥) ينظر: منهج النقد عند المحدثين ص ١٢٤ .

للصحابة بكل شيء بل نبهوا على ما وقع منهم من خطأ أو وهم وبينوا ذلك، بل ما كان الصحابة رضي الله عنهم يسكت بعضهم عن وهم بعض أو خطئه وإنما يبينون ذلك ويوضحونه،روى البخاري بسنده عن مجاهد قال: "دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فإذا عبد الله بن عمر جالس إلى حجر عائشة رضي الله عنها وإذا أناس يصلون في المسجد صلاة الضحى، قال: فسألناه عن صلاتهم فقال: بدع ، ثم قال له: كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: أربع، إحداهن في رجب، فكرهنا أن نرد عليه قال: وسمعنا استنان عائشة أم المؤمنين في الحجرة، فقال عروة: يا أماه ألا تسمعين ما يقول أبو عبدالرحمن، قالت: مايقول؟ قال: يقول: إن رسول الله اعتمر أربع عمرات إحداهن في رجب! قالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن، ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهده، وما اعتمر في رجب قط[(١)]، قال الحافظ ابن حجر: "وفي هذا الحديث أن الصحابي الجليل المكثر الشديد الملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم قد يخفى عليه بعض أحواله، وقد يدخله الوهم والنسيان لكونه غير معصوم"[(٢)]، ولاشك أن من ارتد من الصحابة عن الإسلام ومات على الردة لا يعد صحابياً؛ لأنه يشترط في الصحابي أن يلقى النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ويموت على الإسلام، ولاشك أنه قد وقعت بين بعض الصحابة حروب وفتن ولكن ذلك لاينفي عدالتهم، قال ابن صلاح: "ثم إن الأمة مجتمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم فكذلك، بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع، إحساناً للظن بهم، ونظراً إلى ماتمهد لهم من المآثر، وكأن الله تعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة"[(٣)].

والصحابة أعظم حرمة، وأَجَلّ قدراً، وأنزه عِرضاً، وقد ثبت من فضائلهم ما لم يثبت لغيرهم، فلا يجوز ذمهم على ما شجر بينهم؛ لأن في ذلك إثما عظيماً[(٤)]،وكثير مما نسب إليهم لم يصح عنهم، وما صح له من المخارج ما يدفعه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وإن ماينقل عن الصحابة من المثالب نوعان: أحدهما: إما كذب كله، وإما محرف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرجه إلى الذم والطعن، وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب، يرويها الكذابون المعروفون بالكذب، النوع الثاني: ماهو صدق، وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها عن أن تكون ذنوباً وتجعلها من موارد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب، وما قُدّر من هذه الأمور ذنباً محققاً فإن ذلك لايقدح فيما عُلم من فضائلهم وسوابقهم.

وكونهم من أهل الجنة لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة، فما من ذنب يسقط به الذم والعقاب عن أحد من الأمة إلا والصحابة أحق بذلك فهم أحق بكل مدح ونفي كل ذم ممن بعدهم من

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العمرة ، باب كم اعتمر النبي ﷺ (٦٣٠/٢ح١٦٨٥) ، ومسلم في صحيحه في كتاب الحج (٩١٧/٢ح١٢٥٥).

(٢) الفتح (٢٠٦/٣) .

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص ١٤٧ .

(٤) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٣٢٦ .

الأمة"[1]، أما حديث الحوض، فهو حديث متواتر[2]، والمراد بهم من ارتد عن الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء لايُعَدّون من صحابته، وقد جاء في روايات الحديث مايؤيد ذلك، من ذلك قوله: "إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى"[3]، وقال قبيصة: "هم المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبي بكر فقاتلهم أبوبكر رضي الله عنه"[4]، وقال الخطابي: "لم يرتد من الصحابة أحد وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لانصرة له في الدين، وذلك لايوجب قدحاً في الصحابة المشهورين، ويدل قوله: "(أصيحابي) بالتصغير على قلة عددهم"[5]، وقد يراد بهم المرتدون والمنافقون[6]، إذ إن المنافقين كانوا مندسين بين صفوف الصحابة يشهدون مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد، ويحضرون الغزوات لا لإ علاء كلمة الله، وإنما لأغراض أخرى، فحديث الحوض لا يعني صحابته الذين أخلصوا دينهم لله، والذين نقلوا لنا شريعة الإسلام، فهولاء لا قدح في عدالتهم بحال من الأحوال.

الخاتمة

أهم النتائج:

١- الوقوف على أبرز معالم الفساد والانحراف الفكري والديني الذي صنعه الاستعمار وخلّفه وراءه في العالم الإسلامي.

٢- نمَت وترعرعت المدرسة العقلانية الحديثة التي كانت من هذا النتاج الاستعماري النتن ونشأت في أحضانه.

٣- المدرسة العقلية الحديثة هي: تلك الاتجاهات العقلانية التي ظهرت في القرنين الأخيرين، التي تتبنى تحكم العقل البشري وتقديمه على الدين، وتعطي العقل اعتباراً فوق اعتبار نصوص الوحي الثابتة عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٤- التعرف على أبرز معالم المدرسة العقلية ومبادئها ، وسيرة موجزة لأبرز رموزها.

٥- أثبت البحث أن المدرسة العقلية الحديثة إنما هي امتداد للمدرسة العقلية القديمة (المعتزلة)؛ حيث تلتقيان وتتفقان في كثير من الأصول والآراء.

٦- إنّ المدرسة العقلية الحديثة أخذت كثيراً من أفكارها ومفاهيمها وقيمها وموازينها حول الإسلام عقيدة وشريعة من المستشرقين، إما بالدراسة المباشرة في الجامعات الاستشراقية في الغرب، أو بالتتلمذ على كتبهم ودراساتهم.

٧- معرفة ثمانية من أهم الشبه التي أثارها ولا زال يثيرها أصحاب هذا المنهج العقلي والرد عليها.

أهم التوصيات:

---

(١) االمصدر السابق نفسه ص ٢٧٠ .

(٢) ينظر فتح الباري (٤٦٧/١١) ، وقطف الأزهار المتناثرة ص ٢٩٧ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الرقاق ، باب في الحوض (٢٤٠٧/٥/ح٦٢١٣) .

(٤) المرجع السابق كتاب التفسير،(١٢٧١/٣/ح٣٢٦٣) .

(٥) فتح الباري (٣٨٥/١١) .

(٦) شرح النووي على مسلم (١٣٦/٣) .

١-تتبع الأحاديث التي طعن فيها رموز المدرسة العقلية في مؤلفاتهم، أو التي قد يوهم ظاهرها معارضة العقل أو الواقع

وكشف الإشكال، وإزالة الشبهة حولها ، ودراستها دراسة علمية مستفيضة حديثاً حديثاً.

٢- الرد على هذا الاتجاه المنحرف في التعامل مع السنة النبوية لا يعني أن السنة الصحيحة تخالف العقل الصحيح، بل على العكس هما متوافقان، وينبغي للباحثين العناية بإبراز جانب الإعجاز العلمي الثابت والصحيح في السنة النبوية للناس.

الجهل بالسنة

المظاهر– الآثار – العلاج

د.عبد الرحمن بن أحمد علوش مدخلي

الأستاذ المشارك بجامعة جازان

قسم الثقافة الإسلامية

السعودية

allosh60@gmail.com

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذا بحث يسرني أن أشارك به في المؤتمر العالمي للسنة النبوية، بجامعة ملايا كوالا لمبور ماليزيا، وقد جعلت عنوانه: **الجهل بالسنة: المظاهر–الآثار–العلاج**.

وتبرز أهمية الموضوع من عنوانه، إذ أنّا نلاحظ في مجتمعات المسلمين المعاصرة جهلاً بالسنة وعلومها، أدّى ذلك إلى ظهور البدع، وضياع السنن، وانتشار أحاديث لا أصل لها، وهذه الأمور مجتمعة وغيرها هي التي جعلتني أختار هذا البحث وقد سرت فيه وفق الخطة الآتية:

- **التمهيد** وفيه الحديث عن النصوص الشرعية المرغبة في حفظ السنة وتعلمها وتعليمها.

الفصل الأول: مظاهر الجهل بالسنة وفيه مباحث:

المبحث الأول: الجهل بمكانة السنة وارتباطها بالقرآن.

المبحث الثاني: الجهل بتاريخ تدوين السنة والظروف التي حفظت فيها.

المبحث الثالث: الجهل بدرجات الحديث النبوي وعدم التفريق بين المقبول والمردود.

المبحث الرابع: الجهل بالمعاني الصحيحة للأحاديث النبوية.

الفصل الثاني: آثار الجهل بالسنة وفيه مباحث:

المبحث الأول: الوقوع في البدع والترويج لها.

المبحث الثاني: تضييع كثير من السنن الثابتة وعدم العمل بها.

المبحث الثالث: قبول الأحاديث الواهية والموضوعة ,وتناقلها وترغيب الناس فيها.

الفصل الثالث: طرق مقترحة للعلاج وفيه مباحث:

المبحث الأول: تدارسها ,والسعي إلى نشرها وإحيائها وتبصير الناس بها.

المبحث الثاني: بذل الأسباب لحفظها من الضياع.

المبحث الثالث: التمسك بها والتزامها، علماً واعتقاداً، وعملاً وسلوكاً، والتحلي بأخلاق أهلها.

المبحث الرابع: التوسع في تسخير التقنية المعاصرة لخدمة السنة.

الخاتمة

المصادر والمراجع

ولا أدعي أني أوفيت الموضوع حقه، بل ما ذكرته مجرد إشارات تفتح الطريق لمن أراد أن يستوفي الموضوع، وأقر بالعجز والتقصير، غير أن ما يشفع لي أني بذلت جهدي، فإن أحسنت فمن توفيق الله ,وإن أسأت فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد

ما جاء في الترغيب في حفظ السنة وتعلمها وتعليمها

حرص الصحابة رضي الله عنهم على تلقي السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظها ونقلها إلى غيرهم، والذي رغبهم في ذلك أمور منها:

ترغيبه صلى الله عليه وسلم **في حفظ حديثه وأدائه إلى الناس في أحاديث كثيرة منها:**

حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"(1)، وفي خطبته المشهورة في حجة الوداع قال: "ليبلغ الشاهد منكم الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه"(2)، وكان عليه الصلاة والسلام إذا قدم عليه وفد علمهم من القرآن والسنة أوصاهم أن يحفظوه ويبلغوه، فقد ثبت أنه قال لوفد عبد القيس: "احفظوه وأخبروه من وراءكم"(3).

مكانة الحديث في الإسلام وأنه دين يجب حفظه وتبليغه للناس كافة ويحرم كتمانه:

والنبي صلى الله عليه وسلم قد بين للأمة ذلك فقال: "من كتم علماً تلجم بلجام من نار يوم القيامة"(4).

أساليب النبيصلى الله عليه وسلم **التربوية في التعليم وإلقاء الحديث جعلهم يقبلون على السنة تعلماً وكتابة وحفظاً، ومن تلك الأساليب:**

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يطيل الأحاديث بل كان كلامه قصداً وإلى هذا الأسلوب أشارت عائشة رضي الله عنها بقولها: "كان يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه"(5).

أنه عليه الصلاة والسلام كان يعيد الكلمة ثلاثاً لتنقل عنه وفي هذا المعنى يقول أنس بن مالك رضي الله عنه:

---

١) أخرجه الشافعي في الرسالة [١-٤] والترمذي في السنن [كتاب العلم باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٣٣/٥رقم٢٦٥٦] وقال حسن صحيح ,وأبو داود في السنن [كتاب العلم باب فضل نشر العلم ٣٢٢/٣رقم ٣٦٦٠] وابن ماجة في السنن [مقدمة , باب الاقتداء بالعلماء ٨٥/١رقم٢٣١] والدارمي في السنن [مقدمة باب الاقتداء بالعلماء ٧٥/١] وأحمد [١٨٣/٥] وصححه الألباني في مشكاة المصابيح [٧٨/١]

٢) أخرجه البخاري [كتاب العلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم رب مبلغ أوعى من سامع ٢٦/١رقم١٠٥] وفي[كتاب الحج باب الخطبة أيام منى ٢١٦/٢رقم٤٤٠٦] ومسلم في صحيحه [كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها ٩٨٧/٢رقم١٢١٨] .

٣) أخرجه البخاري [كتاب العلم باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم وفد القيس ٢٩/١رقم ٨٧] ومسلم [كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان ورسوله ٤٧/١رقم ٢٤] .

٤) أخرجه أحمد [٢٦٣/٢ , ٣٠٥] وأبو داود [كتاب العلم باب كراهية منع العلم رقم ٣٦٥٨] والترمذي [كتاب العلم باب ما جاء في كتمان العلم رقم ٢٦٤٩] وابن أبي شيبة في مصنفه [٥٥/٩] والحاكم في المستدرك [١٠١/١] وصححه ووافقه الذهبي , من حديث أبي هريرة رضي الله عنه , وصححه الألباني في تخريج المشكاة [٢٢٣] .

٥) رواه البخاري [كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ١٩٠/٤ رقم ٣٥٦٧] ومسلم [كتاب الزهد والرقائق باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ٢٢٩٨/٤ رقم ٢٤٩٣] .

"كان رسول اللهصلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً"[(١)].

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتأنى في إلقاء الأحاديث، وما كان يسرد الحديث سرداً وفي ذلك تقول عائشة رضي الله عنها: "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه"[(٢)].

وثمة أساليب أخرى استقصاها شيخنا الفاضل يوسف صديق في كتابه القيم "النظرية التربوية في طرق تدريس الحديث النبوي"[(٣)].

الإذن بكتابة الحديث النبوي عنه صلى الله عليه وسلم **بعد أن منع ذلك سابقاً**:

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلاالحق"[(٤)]، وقوله في حجة الوداع: "اكتبوا لأبي شاة"[(٥)]، وقول أبي هريرة رضي الله عنه: "ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب"[(٦)].

ووردت أحاديث تنهى عن كتابة السنة، وقد اختلفت آراء العلماء في إزالة التعارض، والتوفيق بين هذه الأحاديث ولعل من أمثل الأقوال وأوجهها وأقربها وإن كان لا ينافي الأقوال الأخرى قول الإمام الخطابي في معالم السنن حيث قال: "يشبه أن يكون النهي متقدماً، وآخر الأمرين للإباحة، وقد قيل: إنه إنما نهي أن يكتب الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط به، ويشتبه على القارئ، فأما أن يكون نفس الكتاب محظوراً وتقييد العلم بالخط منهياً عنه فلا"[(٧)]، وقال بهذا القول الرامهرمزي، والمنذري، وابن القيم، وابن حجر وغيره.

الفصل الأول

مظاهر الجهل بالسنة

المبحث الأول: الجهل بمكانة السنة وارتباطها بالقرآن

منزلة السنة من الكتاب واضحة مبينة في الكتاب والسنة، ومؤلفات علماء الأمة، إلا أنا نجد بعض أبناء المسلمين يجهلون هذه المكانة وهم أنواع شتى: فكثير من المسلمين يرون أن اتباع السنة والعمل بها أمر اختياري من

---

١) أخرجه البخاري [كتاب العلم باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ٣٠/١ رقم ٩٤] .

٢) أخرجه البخاري [كتاب المناقب باب صفة النبي ١٩٠/٤ رقم ٣٥٦٨] ومسلم [كتاب الفضائل باب فضائل أبي هريرة ١٩٤٠/٤ رقم ٢٤٩٣] مختصراً , وأخرجه الترمذي في الشمائل [١١٩/١] والبغوي في شرح السنة [٢٥٦/١٣] .

٣) طبع الكتاب في طبعته الأولى سنة ١٤١٢ وتولت ذلك دار ابن القيم للنشر والتوزيع بالدمام .

٤) أخرجه أبو داود [كتاب العلم باب في كتاب العلم ٣١٨/٣ رقم ٣٦٤٦] وابن أبي شيبة [٤٩/٩-٥٠] وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير [٢٦٢/١] : صحيح .

٥) أخرجه البخاري [كتاب اللقطة باب كيف تعرف لقطة أهل مكة ١٢٥/٣رقم ٢٤٣٤] ومسلم [كتاب الحج باب تحريم مكة ٩٨٨/٢رقم ١٣٥٥] من حديث أبي هريرة .

٦) أخرجه البخاري [كتاب العلم باب كتابة العلم ٣٤/١ رقم ١١٣] والترمذي [كتاب العلم باب ما جاء في الرخصة في كتابة العلم ٤٠/٥رقم ٢٦٦٨] .

٧) معالم السنن للخطابي [١٨٤/٤] .

باب المستحبات لا الواجبات[1]، وفريق آخر يقولون: نحن نتبع القرآن الكريم، فإذا كان القرآن تبياناً لكل شيء، وما فرط الله فيه من شيء، فإن الأحكام هي أحق الأشياء بالتبيين، وعدم التفريط فيها، وعليه فلا حاجة بنا إلى دليل على الأحكام غير القرآن، ولا مساغ للعدول عنه إلى غيره[2].

وقد بين العلماء رحمهم الله أن مكانة السنة مع القرآن الكريم في المرتبة الثانية من جهة الاحتجاج والرجوع إليها لاستنباط الأحكام الشرعية، وقد استدل الشاطبي رحمه الله لهذا القول بأمور منها:

- إن الكتاب مقطوع به في الجملة والتفصيل بخلاف السنة فإنه مقطوع بها في الجملة دون التفصيل فمنها القطعي ومنها الظني , والمقطوع مقدم على المظنون.
- إن السنة إما أن تكون بياناً للكتاب أو زيادة عليه، فإن كانت بياناً فهي في الاعتبار بالمرتبة الثانية عن المبين، فإن النص الأصلي أساس والتفسير بناء عليه، وإن كانت زيادة عليه فهي غير معتبرة إلا بعد ألا يوجد في الكتاب وذلك دليل على تقدم اعتبار الكتاب[3].

ما دل على ذلك من الأخبار والآثار ومنها:

كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى شريح القاضي: "إذا أتاك أمر فاقض بما في كتاب الله، فإن أتاك بما ليس في كتاب الله، فاقض بما سن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم"[4].

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "من عرض له منكم قضاء فليقض بما في كتاب الله، فإن جاءه ما ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه صلى الله عليه وسلم"[5].

وهذا القول هو الذي رجحه الإمام الشاطبي رحمه الله[6]، وهناك قول آخر مفاده أن السنة مقدمة على الكتاب في الاعتبار مستدلين بأن السنة قاضية على الكتاب وذكروا أدلة عقلية في ذلك، رد عليها الإمام الشاطبي بما ملخصه: إن قضاء السنة على الكتاب ليس بمعنى تقديمها عليه، بل المراد: أن المعتبر في السنة هو المراد في الكتاب، فكأن السنة بمنزلة التفسير والشرح لمعاني أحكام الكتاب[7].

ثم إنه لا نزاع بين العلماء في أن نصوص السنة على ثلاثة أقسام:

ما كان مؤيداً لأحكام القرآن، أو مبيناً لأحكامه من تقييد مطلق، أو تفصيل مجمل، أو تخصيص عام

١) محبة الرسول بين الإتباع والابتداع تأليف عبد الرؤوف عثمان [ص١٢١] .

٢) ظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها د.صالح رضا [٤٩].

٣) الموافقات [٢٩٤/٤-٢٩٦] .

٤) أخرجه النسائي في المجتبى [كتاب آداب القضاة باب الحكم بإتقان أهل العلم ٢٣١/٨رقم٥٣٣٩] والدارمي في سننه [٦٠/١] وابن أبي شيبة في مصنفه [٢٤١/٧] وصححه ابن حجر في موافقة الخبر الخبر [١٢٠/١] .

٥) أخرجه الدرامي في السنن [٥٩/١] وابن عبد البر في جامع لسان العلم [٨٤٨/٢] وصححه ابن حجر في موافقة الخبر الخبر [١١٩/١]

٦) الموافقات [٣٠٩/٤] .

٧) الموافقات [٣١١/٤] .

أو دل على حكم سكت عنه القرآن، فلم يوجبه ولم ينفه[١].

المبحث الثاني: الجهل بتاريخ تدوين السنة والظروف التي حفظت فيها

من الخطأ والجهل في مسألة تدوين السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام دعوى بعض الكتاب جهلاً أو تجاهلاً أو بغرض الوصول لأهداف مبيتة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة الحديث، والجهالة الثانية أن السنة لو كانت حجة لدونت وحفظت في المصاحف كالقرآن، والجهالة الثالثة أن السنة بدأ تدوينها لأول مرة بعد المائة، وأنها لم تدون قبل ذلك.

وهذه الشبهات تدل على جهل قائلها:

فقولهم أن النبيصلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة الحديث قد سبقت الإشارة إلى هذه المسألة والتوفيق بين الأحاديث المانعة والمبيحة والقول الراجح في المسألة في تمهيد هذا البحث.

أما الجهالة الثانية فلا يقولها عالم بمراحل الدعوة الإسلامية مطلع على السيرة النبوية، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان جل اهتمامه في بدايات الدعوة منصرفاً إلى حفظ القرآن الكريم في الصدور والصحف، فكان كلما نزل القرآن يتلوه على أصحابه فيحفظون ما ينزل عليه من القرآن ويستظهرونه ويتدارسونه بينهم، لأنه كلام الله المعجز نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون الأساس الأول لآخر الأديان، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على الاعتناء به، ويأمرهم بحفظه، ويلاحظهم دوماً، فإذا رآهم انصرفوا إلى أمر آخر نبههم على أهمية القرآن، كي ترسخ في قلوبهم منزلته الحقيقية، أما الجهالة الثالثة فهي أقل من أن يرد عليها وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتبون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت لهم صحف معلومة، وخلاصة الأمر الذي تعضده الأدلة المتوافرة أن جمع الحديث وتدوينه مرّ بثلاثة أطوار:

الطور الأول: هو الذي جمع فيه الرجال ما عندهم من العلم وقد بدأ من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى سنة ١٠٠هـ، وجميع الصحف المنقولة عن الصحابة كصحيفة ابن عمر المسماة بـ(الصادقة)، وصحيفة سعد بن عبادة، وصحيفة جابر بن عبد الله، وسمرة بن جندب جمع أحاديث كثيرة، ومن لم يكتب في ذلك العصر فإنه كان يعتمد على الحفظ ثم أدّى ذلك إلى كبار التابعين الذين كتبوها ودونوها.

الطور الثاني: وهو الذي كان فيه صغار التابعين وتابعو التابعين واستمر إلى السنة ١٥٠هـ، وما جمع في الطور الأول دون في كتب الطور الثاني، وفي هذا الطور قام أهل كل مصر من الأمصار الإسلامية بتدوين ما عند علماء ذلك المصر من العلم في كتب خاصة بأهل مصرهم.

الطور الثالث: وهو عهد المحدثين وأئمة السنة: الإمام البخاري، ومسلم، والترمذي، وأحمد، وغيرهم من المحدثين، ويبدأ الطور الثالث من سنة ١٥٠هـ إلى القرن الثالث للهجرة، وما دوّن في الطور الثاني جمع ونظم في كتب الطور الثالث[٢].

ولعل منشأ هذه الجهالة ما ثبت من كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على المدينة أن يجمع حديث النبي

١) السنة ومكانتها من التشريع للدكتور السباعي [٣٧٩-٣٨٠].

٢) انظر الرسالة المحمدية [ص٦٠] , والسنة حجيتها ومكانتها في الإسلام [ص ١٧٢. ١٧٤] .

صلى الله عليه وسلم[1]، قال أكرم العمري: "ولا شك أن الدراسات العديدة في تاريخ تدوين الحديث قد أثبتت أن التدوين تم في جيل الصحابة والتابعين من قبل أن يأمر عمر بن عبد العزيز بجمع الحديث"[2].

المبحث الثالث: الجهل بدرجات الحديث النبوي وعدم التفريق بين المقبول والمردود

من الجهالات بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الجهل بعلم مصطلح الحديث، وعدم التفريق بين ما يصح الاستدلال به من الأحاديث وبين ما لا يصح، فلا يفرقون بين الأحاديث الصحيحة وبين الضعيفة والموضوعة، ومن تلك الجهالات أخذ الحديث من أي مصدر كان حتى من كتب الموضوعات والحديث بها ونقلها.

وقد اتفق العلماء على عدم جواز الأخذ بالأحاديث الموضوعة على النبي صلى الله عليه وسلم وعدم اعتبارها، لا في فضائل الأعمال ولا غيرها، وأنه يحرم نقلها إلا للتحذير منها، وذلك للآثار الواردة في ذلك ومنها: قوله عليه الصلاة والسلام: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"[3]، وقوله: "لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار"[4]، وقوله: "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين"[5].

وقد شدد العلماء رحمهم الله من النصوص السابقة النكير على من وقع في ذلك، قال الإمام أبو محمد الجويني الشافعي: "يكفر من تعمد الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ولو لم يستحله، والجمهور على أنه لا يكفر بذلك، ولكنه يفسق وترد رواياته كلها ويبطل الاحتجاج بجميعها"[6]، وقال الإمام النووي: "يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً، أو غلب على ظنه وضعه فهو داخل في هذا الحديث مندرج في جملة الكاذبين"[7]، وبيّن العلماء رحمهم الله حرمة التساهل في نقل الأحاديث دون بحث وتمحيص عن درجاتها.

قال النووي رحمه الله: "ولهذا قال العلماء: ينبغي لمن أراد رواية حديث أو ذكره، أن ينظر فإن كان صحيحاً أو حسناً، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا أو فعله أو نحو ذلك من صيغ الجزم، وإن كان ضعيفاً فلا يقل: قال أو فعل أو أمر أو نهى وشبه ذلك من صيغ الجزم؛ بل يقول: رُوِي عنه كذا"[8]، وقال ابن الصلاح: "...ثم إنهم يعني القصاص ينقلون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير معرفة بالصحيح والسقيم، ثم قال: "وإن اتفق أنه نقل حديثاً صحيحاً كان آثماً في ذلك، لأنه ينقل مالا علم له به، وإن صادف الواقع كان آثماً

---

١) أخرجه البخاري [كتاب العلم باب كيف يقبض العلم ٣١/١] .

٢) مرويات السيرة لأكرم العمري [٤٠] وانظر المجلد الأول من تاريخ التراث العربي , وما كتبه الدكتور محمد لقمان السلفي في كتابه [السنة حجتها ومكانتها من الإسلام والرد على منكرها] عن هذه المسألة [١٦٣. ١٨٩] .

٣) رواه البخاري في صحيحه[كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم١/٣٣رقم١٠٧] ومسلم [المقدمة بَابُ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١/ ١٠رقم٣] من حديث أبي هريرة.

٤) رواه البخاري في صحيحه[كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم١/٣٣رقم١٠٦] ومسلم [المقدمة بَابُ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١/ ٩رقم١] من حديث علي.

٥) رواه مسلم , المقدمة [٨/١] .

٦) شرح صحيح مسلم [١/ ٦٩] .

٧) المصدر السابق[٧١/١].

٨) شرح صحيح مسلم [١٢٦].

بإقدامه على مالا يعلم"[1].

وقد عد بعض المحدثين رواية الحديث الموضوع مع عدم البيان ذنباً فهذا الحافظ الذهبي يقول في ترجمة الحافظ أبي نعيم الأصفهاني في (ميزان الاعتدال) عندما ذكر ما جرى بين الحافظين أبي نعيم وابن مندة: "بل هما عندي مقبولان لا أعلم لهما ذنباً أكثر من روايتهما الموضوعات ساكتين عنها"[2]، وقال ابن أبي حاتم عن مسروح أبي شهاب: سألت أبي عنه وعرضت عليه بعض حديثه فقال: "لا أعرفه، وقال: يحتاج أن يتوب إلى الله عز وجل من حديث باطل رواه عن الثوري"[3].

قال الذهبي معقباً على ذلك: "أي والله هذا هو الحق، إن كل من روى حديثاً يعلم أنه غير صحيح فعليه التوبة أو يهتكه"[4].

المبحث الرابع: الجهل بالمعاني الصحيحة للأحاديث النبوية

من مظاهر الجهل بالسنة النبوية الجهل بمعاني الأحاديث، أو توهم معاني خاطئة لها وردها بناءً على ذلك وقديماً قيل: وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم[5]

وإذا كان قبول الأحاديث الباطلة والموضوعة من أكبر الأخطاء والمصائب، فإن رد الأحاديث الصحاح الثابتة بالهوى والتعاظم على النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل عن ذلك الخطأ والبطلان، فقبول الأحاديث المكذوبة يدخل في الدين ما ليس منه، أما رد الأحاديث الصحيحة فيخرج من الدين ما هو منه، وكلاهما مرفوض قبول الباطل ورد الحق.

"إن الآفات التي تتعرض لها السنة أن يقرأ بعض المتعجلين حديثاً فيتوهم له معنى في نفسه هو، يفسره به، وهو معنى غير مقبول عنده، فيتسرع برد الحديث لاشتماله على هذا المعنى المرفوض، ولو أنصف وتأمل وبحث لعلم أن معنى الحديث ليس كما فهم، وأنه فرض عليه معنى من عنده لم يجئ به قرآن ولا سنة، ولا ألزمت به لغة العرب، ولا قال به عالم معتبر من قبله[6].

ومن الأمثلة على ذلك حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي قال: "اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين"[7]، فهم بعضهم من المسكنة الفقر من المال، والحاجة إلى الناس، وهذا

---

١) مقدمة ابن الصلاح [١٢٦] .

٢) ميزان الاعتدال [١/١١١] .

٣) الجرح والتعديل[٨ / ٤٢٤] .

٤) ميزان الاعتدال [٤/٩٧].

٥) البيت للمتنبي كما في ديوانه [ص٢٣٢] .

٦) المدخل لدراسة السنة النبوية [١١١ ـ ١١٢] .

٧) أخرجه الترمذي [كتاب الشهادات باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ٥٧٧/٤رقم ٢٣٥٢] وقال حديث غريب والطبراني في الدعاء [١٤٦٧/٣رقم ١٤٢٧] والبيهقي في الكبرى [١٨/٧ رقم ١٣١٥١] والمقدسي في المختارة [٢٧٠/٨ رقم ٣٣٢ ,٣٣٣] وله شواهد من حديث أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عباس وبهذه الشواهد حسنه الشيخ الألباني كما في إرواء الغليل [٣٥٨/٣] والسلسلة الصحيحة [٦١٨/١] .

ينافي استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم من فتنة الفقر، وغير ذلك من الأحاديث الواردة في مدح المال الصالح للمرء الصالح وما قارب ذلك من الأحاديث الواردة في المعنى نفسه، فرد الحديث من أجل ذلك، والحق أن المسكنة هنا لا يراد بها الفقر، وكيف وقد استعاذ منه وقرنه بالكفر، وإنما المراد التواضع وخفض الجناح، قال البيهقي: "لم يسأل حال المسكنة التي يرجع معناها إلى القلة، وإنما سأل المسكنة التي يرجع معناها إلى الإخبات والتواضع، فكأنه صلى الله عليه وسلم سأل الله تعالى ألا يجعله من الجبارين المتكبرين، وألا يحشره في زمرة الأغنياء المترفين"، قال القعنبي: "والمسكنة حرف مأخوذ من السكون يقال: تمسكن الرجل إذا لان وتواضع وخشع" [1].

"إن المسارعة برد كل حديث يشكل علينا فهمه وإن كان صحيحاً ثابتاً مجازفة لا يجترئ عليها الراسخون في العلم، إنهم يحسنون الظن بسلف الأمة، فإذا ثبت أنهم تلقوا حديثاً بالقبول، ولم ينكره إمام معتبر فلا بد أنهم لم يروا فيه مطعناً من شذوذ أو علة قادحة"[2].

والواجب على العالم المنصف أن يبقي على الحديث ويبحث عن معنى معقول، أو تأويل مناسب له، وهذا هو الفرق بين المعتزلة وأهل السنة في هذا المجال، فالمعتزلة يبادرون برد كل ما يعارض مسلماتهم المعرفية والدينية من مشكل الحديث، وأهل السنة يعملون عقولهم في التأويل، والجمع بين المختلف والتوفيق بين المتعارضين في ظاهره"[3].

وقد ألف الأستاذ الدكتور عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، عضو هيئة التدريس بجامعة طيبة،كتاباً قيماً سماه: "منهجية فقه السنة النبوية" أورد فيه واحداً وثلاثين منطلقاً لفقه الحديث، فأجاد وأفاد ولم أجد من سبقه بهذا الاستيعاب سوى كتاب الدكتور يوسف القرضاوي الذي اقتبست منه في هذا المبحث لكنه مختصر في بابه إذا قورن بكتاب الدكتور الرحيلي[4].

الفصل الثاني

آثار الجهل بالسنة

سبق الحديث في الفصل السابق عن مظاهر الجهل بالسنة النبوية ولا شك أن لتلك المظاهر آثاراً كثيرة ولعل من أخطرها ما يتضح في المباحث الآتية:

المبحث الأول: الوقوع في البدع والترويج لها

من الأمور المؤدية إلى البدعة الجهل بالسنة ويكون في أمرين:

- جهلهم بالصحيح من غيره فيختلط عليهم الأمر.
- الجهل بمكانة السنة من التشريع.

---

١) سنن البيهقي (١٩/٧)

٢) المدخل لدراسة السنة النبوية [١١٨-١١٩].

٣) المدخل لدراسة السنة النبوية [١١٨-١١٩].

٤) طبع الكتاب في [٢٨٨] صفحة من القطع الكبير ضمن سلسلة المؤلف : دراسات في المنهج (١٤) الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ مطبعة سفير .

إن كثيراً ممن يقعون في البدع لا يفرقون بين ما يصح الاستدلال به من الأحاديث وبين ما لا يصح، فلا يفرقون بين الحديث الصحيح والضعيف والموضوع، ويأخذون الحديث من أي مصدر كان حتى من كتب الموضوعات، وقد ذكر الشيخ الألباني رحمه الله أن من أسباب الابتداع:

أحاديث ضعيفة لا يجوز الاحتجاج بها ولا نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأحاديث موضوعة أو لا أصل لها خفي أمرها على بعض الفقهاء فبنوا عليها أحكاماً هي من صميم البدع ومحدثات الأمور[١].

ومن ذلك اختراع أذكار وأدعية خاصة لبعض الشهور، وتخصيص بعض الشهور بالصيام أو العمرة، والتوسيع على أهل البيت في عاشوراء، والاكتحال، والاختضاب، وغير ذلك من البدعيات التي لا أصل لها، ولو كان عندهم علم بالسنة، لما اعتمدوا على هذه الأحاديث الموضوعة.

وقد ذكر في الفصل السابق اتفاق العلماء على عدم الأخذ بالأحاديث الموضوعة، وعدم اعتبارها لا في فضائل الأعمال ولا غيرها، لأنها ليست من الشرع، ومن دعا إلى هذه البدع معتمداً على هذه الأحاديث الموضوعة مع علمه بأنها موضوعة، فهذا من أصحاب الهوى.

. أما أثر الجهل بمكانة السنة من التشريع فإنه يؤدي إلى الخروج عن حد الإتباع، تحت دعوى موافقة العقل، وقد أنكر هؤلاء المبتدعة ما ثبت بالسنة الصحيحة الصريحة ومن ذلك:

إنكار رؤية الله تعالى في الآخرة، وإنكار نزول المسيح آخر الزمان، وإنكار عذاب القبر ونحو ذلك، كل ذلك بدعوى موافقة العقل[٢].

ومن هؤلاء المبتدعة من أنكر السنة أصلاً مكتفياً بالقرآن وهم طائفة "القرآنيون" وقد سبق الرد على هذا القول في الفصل السابق، ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم صراحة من هذه البدعة فعن أبي رافع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والناس حوله: "لا أعرفن أحدكم يأتيه أمر من أمري قد أمرت به أو نهيت عنه، وهو متكئ على أريكته، فيقول: ما وجدنا في كتاب الله عملنا به وإلا فلا...الحديث[٣].

ومن الجهل بمكانة السنة تقديم غيرها مما لا يثبت إلا بها عليها، كالقياس، والاستحسان ونحو ذلك، أي تقديم الرأي على النص وقد رُوي في الحديث: "لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلاً حتى بدا فيهم أبناء سبايا الأمم، فأفتوا بالرأي فضلوا وأضلوا"[٤].

---

١) إتباع لا ابتداع [٨٤].

٢) البدع الحولية [ص٥٢] .

٣) رواه أو داود [٤كتاب السنة باب في لزوم السنة/٢٠٠ رقم ٤٦٠٥] والترمذي [أبواب العلم ,بَابُ مَا نُهِيَ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ عِنْدَ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ٥/٣٧رقم ٢٦٦٣] وقال : حديث حسن ,وابن ماجة [كتاب العلم بَابُ تَعْظِيمِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ عَارَضَهُ١/٦رقم ١٣] وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته [١٢٠٤/٢ رقم ٧١٧٢] .

٤) رواه ابن ماجه [كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم بَابُ اجْتِنَابِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ١/٢١ رقم ٥٦] والدارمي [٢٤١/١ رقم ١٢٢] وابن أبي شيبة [٥٠٦/٧ رقم ٣٧٥٩٢] والبزار كما في البحر الزخار [٤٠٢/٦ رقم ٢٤٢٤]والطبراني في الكبير[٦٤٢/١٣رقم ١٤٥٦٩] وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله [١٠٤٧/٢رقم ٢٠١٥] من طرق عن عبد الله بن عمرو بن العاص به , وحكم

ومن أكبر البدع التي حدثت في تاريخ الإسلام وما زالت إلى اليوم بسبب الجهل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم بدع الخوارج، والشيعة، وغلاة الصوفية، أما الخوارج فكان جهلهم بالحديث وعدم تحملهم له عن غيرهم لأنه متهم في نظرهم سبباً في أن فقههم جاء مخالفاً لأحكام الشريعة الإسلامية، بل منه ما جاء مخالفاً لنصوص القرآن الكريم، فمنهم من يرى أن التيمم جائز ولو على رأس بئر، ومنهم من يرى أن الواجب من الصلاة إنما هو ركعة واحدة بالغداة وأخرى بالعشى، ومنهم من يرى الحج في جميع شهور السنة، ومنهم من يبيح دم الأطفال والنساء ممن لا ينتمي إلى عسكرهم، ومنهم من أباح نكاح بنات البنات وبنات البنين مما يدل على جهل عميق حتى بالقرآن الكريم، ثم لا يغيب عن البال أن هذا الحكم لا يسري على جميع أفراد الخوارج، بل قد وجد منهم فيما بعد أفراد وأئمة تفقهوا في الدين ورووا الحديث واعتمدهم، كما قال ابن الصلاح في مقدمته بعض أئمة الحديث كالبخاري، فقد احتج بعمران بن حطان وهو من الخوارج، لا سيما إذا علمت أن الخوارج يحكمون بكفر من يكذب، لأن مرتكب الكبيرة كافر في نظرهم والكفر من الكبائر([1])، ومع أن الخوارج يحكمون بكفر الكاذب فقد وجد من بعضهم الوضع في الحديث، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتأييد مذاهبهم الباطلة حتى تروج لدى أتباعهم، فابن الجوزي في مقدمة كتابه الموضوعات يروي عن ابن لهيعة أنه قال: (سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول: إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً)([2])، وأما الشيعة فهم من أكذب الفرق، فوضع الحديث عندهم أمر طبيعي، وقد وضعوا مئات الأحاديث في أغراض شتّى حسب أهوائهم ونحلهم، وكتب الموضوعات طافحة بهذه الأكاذيب فوضعوا أحاديث في مناقب علي رضي الله عنه، وأخرى في الحط من شأن معاوية رضي الله عنه وبني أمية، وكان للتشيع أثر عكسي في نفوس من ضعف إيمانهم من المسلمين لا سيما المنتمين لبني أمية فوضع هؤلاء الأحاديث في مناقب أبي بكر وعمر وعثمان كرد على مثالب الشيعة([3])، وأما غلاة الصوفية فقد نفروا الناس عن العلم الشرعي، بوصفهم له بأوصاف منفرة، حيث وصفه بعضهم بأنه آفة المريد، ووصفه البعض منهم بأنه مفرق الاهتمامات، ووصفه بعضهم بأنه ركون إلى الدنيا، وانحطاط من الحقيقة إلى العلم، ووصفه بعضهم بأنه موحش، ووصفه بعضهم بأنه حجاب، وعد بعض المتصوفة طلب الحديث النبوي بأنه ركون إلى الدنيا حيث قالوا: (إذا طلب الرجل الحديث أو سافر في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا)([4])، وزعماء الصوفية يعلمون جيداً بأن أباطيلهم لا يمكن أن يقبلها الناس إلا إذا كانوا جهالاً لا يعلمون شيئا عن الكتاب والسنة، فعلم الكتاب والسنة نور، فبالعلم ينكشف للناس حقائق طرقهم، وزيف أقوالهم، وبالعلم يتبين المنكر، وبالعمل به يتم الإنكار، وقد علم الصوفية بأن الإنكار أصبح حجر عثرة أمامهم، وأعاق طريقهم، والمنكر لا يمكن أن يعرف إلا عن طريق العلم ولذا نفروا الناس عنه، ودعوهم إلى الابتعاد

عليه الألباني بالضعف كما في ضعيف الجامع الصغير [٦٨٦/١ رقم ٤٧٦٠] .

١) الحديث والمحدثون [٨٦] .

٢) الحديث والمحدثون [٨٦] .

٣) أنظر المصدر السابق [٩٢- ٩٨] .

٤) إحياء علوم الدين(٦١/١)وتلبيس إبليس(٢٦٢)

عنه وشغلوهم بحلقات الرقص والسماع، ولبس الخرقة، وغير ذلك من بدعهم المنكرة.

المبحث الثاني: تضييع كثير من السنن الثابتة وعدم العمل بها

من آثار الجهل بالسنة النبوية تضييع كثير من السنن الثابتة وعدم العمل بها، بل من شدة الجهل الإنكار على متبع السنة من بعض هؤلاء الجهلة، وليس الغرض من هذا المبحث حصر كل السنن المضيعة أو المهجورة فإنها كثيرة وقد ألف فيها بعض الفضلاء، وإنما المقصود بيان أن كثيراً من السنن ضيعت بسبب الجهل، قال الإمام البيهقي: "وإذا لزم إتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سن، وكان لزومه فرضاً باقياً، فلا سبيل إلى إتباع سنته إلا بعد معرفتها، ولا سبيل لنا إلى معرفتها إلا بقبول خبر الصادق عنه"(١).

ولعلي أذكر بعض السنن الثابتة التي عزف الناس عن العمل بها بسبب الجهل فمن ذلك:

ندرة من يصلي في نعليه، بل إذا رأوا من يصنع ذلك ربما أنكروا عليه، والحديث في ذلك ثابت من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عندما سئل أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه؟ قال: نعم"(٢)، وندرة المساواة في صفوف الصلاة بالأكعب والمناكب وقد ثبتت هذه السنة في صحيح البخاري من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: رأيت الرجل منا يلزق كعبه بكعب صاحبه"(٣)، وندرة من يقف للدعاء بعد رمي الجمرة الأولى والوسطى في أيام التشريق رغم ثبوت هذه السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت أن عبد الله بن عمر كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات، ويرمي الوسطى كذلك ويقف عند كل منها قياماً طويلاً يدعو ويرفع يديه ويقول: "هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل"(٤).

المبحث الثالث: قبول الأحاديث الواهية والموضوعة، وتناقلها وترغيب الناس فيها عبر وسائل الاتصال والتقنية المعاصرة

منهجية المحدثين في قبول الأخبار وأدائها واضحة بينة، فلا يقبلون خبراً إلا بعد التمحيص والتدقيق والتثبت من حال الناقل، وتوفر شروط العدالة والضبط فيه مع استكمال بقية شروط الحديث المقبول.

ومن المتفق عليه بين المحدثين أنه لا ينقل إلا الحديث الثابت، أما الموضوع والذي لا أصل له فيحرم التحديث به، إلا من باب التحذير منه وقد سبقت الإشارة إلى هذه القضية في الفصل السابق.

غير أننا نلاحظ تساهل الناس في هذه القضية، حتى من بعض المنتسبين للعلم، فبمجرد أن يصل إلى أحدهم حديث، ويرغب في نشره سواء عبر الجوال أو البريد الالكتروني ونحوهما، نجده يسارع في إرساله للعشرات من الناس مما وسع من نشر الأحاديث الباطلة والواهية، وكان الأولى به أن يبحث عن درجة هذا الحديث قبل إرساله

---

١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي [ص٣٠٦] تحقيق أبو عبد أحمد بن إبراهيم أبو العينين , دار الفضيلة , الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

٢) رواه البخاري [كتاب الصلاة ,بَابُ الصَّلاَةِ فِي النِّعَالِ١٥٣/٧رقم ٥٨٥٠].

٣) البخاري [كتاب الصلاة بَابُ إِلْزَاقِ المِنْكِبِ بِالْمَنْكِبِ وَالقَدَمِ بِالقَدَمِ فِي الصَّفِّ١٤٦/١].

٤) رواه البخاري [كِتَابُ الحَجِّ ,بَابُ إِذَا رَمَى الجَمْرَتَيْنِ، يَقُومُ وَيُسْهِلُ، مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ٢/ ١٧٨ رقم ١٧٥٢] .

لغيره، وإن لم يكن يملك آلية البحث فليسأل أهل العلم المختصين.

ويكفيك أن تدخل عشوائياً إلى عشرات المنتديات لتجد مئات الأحاديث التي يتناقلها أصحاب تلك المنتديات، ويوصون بنشرها، وجلها لا أصل لها، أو شديدة الضعف، أما الهاتف المحمول فحدث ولاحرج عن تلك التجاوزات، وكم تلقيت من سؤالات عن أحاديث لم أجد لها أصلاً أو وجوداً في كتب السنة المشهورة، بل بعض الأحاديث ملفق مصنوع من أحاديث وحكم وآثار.

الفصل الثالث

طرق مقترحة للعلاج

بعد أن ظهرت لنا مظاهر وآثار الجهل بسنة المعصوم صلى الله عليه وسلم يجدر بنا أن نبحث عن وسائل ناجعة لعلاج تلك المظاهر والآثار، أو على أقل تقدير أن نخفف منها ومن تلك الطرق المقترحة للعلاج ما يلي:

المبحث الأول: تدارسها والسعي إلى نشرها وإحيائها وتبصير الناس بها

الجهل لا يرفع إلا بالعلم، وإن مما يرفع الجهل بالسنة أن تكثف الجهود لدراسة السنة وعلومها في جميع مراحل التعليم، خاصة التعليم الجامعي، وإن نظرة فاحصة لجامعات العالم الإسلامي نجد أن الكليات المتخصصة في دراسة السنة وعلومها لا تتجاوز أصابع اليد، وهذا يبين مدى القصور في هذا الشأن، فحري بجامعات العالم الإسلامي أن تولي هذا الأمر أقصى اهتماماتها، وأن تكون أقسام السنة من أساسيات تكوينها، وينبغي على عامة المسلمين أن يشيعوا دراسة الحديث النبوي الشريف وفهمه، وليكن ذلك في بيوتنا وفي مساجدنا، كلٌّ حسب طاقته وذلك عن طريق إعادة الدور القيادي التربوي التعليمي للمساجد بافتتاح الحلقات العلمية المتخصصة في دراسة الحديث وعلومه، ودعمها، وإحياء الإجازات الحديثية وتشجيع شباب الأمة على طلب هذه الإجازات والرحلة لتحصيلها.

ومن ذلك إحياء السنن المهجورة وحث الناس عليها، وذلك هو المقصود من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مسلم وغيره: "مَن سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء"(١).

وينبغي مراعاة التدرج والرفق في إحياء هذه السنن، فبعض الناس قد يستنكرون -بشدة- بعض السنن بعدما قضوا دهرا طويلا من أعمارهم لم يسمعوا بها، وحينئذ ينبغي أن يكون موقفنا وسطا بين طرفين، بين مَن يتجاهل هجران تلك السنة ويرى عدم المحاولة في هذه الحالة، ومَن يريد تغيير هذا الهجران بشدة -أو على الفور- مهما أدى إليه من فتنة، أو نفور أو وحشة بين الناس وحَمَلة السنة، وإلا فكم أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فعل خير ولكن توقفوا دفعا لشر أو مفسدة أكبر.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: "لولا قومك حديث عهدهم -قال ابن الزبير: بكفر- لنقضت الكعبة، فجعلت لها بابين، باب يدخل الناس، وباب يخرجون، ففعله ابن الزبير"(٢).

---

١) صحيح مسلم(كتاب الزكاة,بَابُ الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ٢/٧٠٤رقم ١٠١٧)

٢) رواه البخاري(كتاب العلم بَابُ مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الِاخْتِيَارِ، مَخَافَةَ أَنْ يَقْصُرَ فَهْمُ بَعْضِ النَّاسِ عَنْهُ، فَيَقَعُوا فِي أَشَدَّ مِنْهُ /٣٧رقم ١٢٦) ومسلم(كتاب الحج ,بَابُ نَقْضِ الْكَعْبَةِ وَبِنَائِهَا ٢/ ٩٧٠رقم١٣٣٣)

والمقصود الحرص على إحياء السنة، لكن مع التدرج واتقاء الشرور التي ربما يكون دفْعها أحب إلى الله تعالى من الإتيان بتلك السنة.

المبحث الثاني: بذل الأسباب لحفظها من الضياع

حفظ السنة من الضياع أمر تكفل به رب العزة جل وعلا حين حفظ مصدر الوحي (القرآن)، ولكن ذلك لا يعفينا من السعي في حفظها كما سعى الصحابة رضي الله عنهم في حفظ كتاب الله من التحريف، مع أن الله جل وعلا متكفل بحفظه، ومن ثم جمع أبو بكر رضي الله عنه القرآن ,وكتب عثمان رضي الله عنه المصاحف، وكما اهتم الصحابة رضوان الله عليهم بحفظ كتاب الله جل وعلا فكذا كانت عنايتهم شديدة بالسنة والمحافظة عليها ولنا فيهم أسوة حسنة

لقد كان سعيهم في حفظها من الضياع بوسيلتين، هما الحفظ والتدوين، ولكل منهما دوره في حفظ السنة، فإنه إذا فُقد الرجال الحفاظ بقيت المخطوطات والكتب، فيحملها قوم من جديد، وإذا فقدت المخطوطات والكتب بقي الرجال يحملون السنة في صدورهم، فيمكن كتابتها من جديد.

ومن ذلك الاجتهاد في تنقيتها من الكذب وتمييز صحيحها من ضعيفها وهذا الواجب –وهو تحقيق الحديث النبوي– فرض كفاية، لا يزال ملقى على عاتق الأمة منذ وقوع الفتن في إلى الآن.

– ومن ذالك بذل الجهود لحمايتها عن طريق الجوائز والجمعيات المتخصصة ؛ ويأتي في مقدمة هذه الجهود المباركة جائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة, وقد حققت الأمانة العامة للجائزة العديد من الإنجازات المتتالية بفضل الله عزوجل ثم بفضل عناية راعي الجائزة وتوجيهاته بأن تكون الجائزة مركزاً دعوياً عالمياً ينطلق من عاصمة الإسلام الأولى؛ علماً بأنها كانت جائزة واحدة ثم أصبحت ثلاث جوائز تضم جائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة, وجائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود التقديرية لخدمة السنة النبوية، ومسابقة الأمير نايف بن عبدالعزيز لحفظ الحديث النبوي، وهذه الجائزة الأخيرة تستهدف الناشئة والشباب، وذلك انطلاقا من إيمان سموه بأهمية العناية بالناشئة والشباب ودورهم في المجتمع.

المبحث الثالث: التمسك بها والتزامها، علما واعتقادا، وعملا وسلوكا والتحلي بأخلاق أهلها

وهذا هو المقصود لذاته من حفظ السنة ودراستها، فالعلم يراد للعمل, وسعادة العبد في الدنيا والآخرة في التمسك بما في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم, ويلحق بها ما سنَّه الخلفاء الراشدون لقوله صلى الله عليه وسلم: "فإنه من يعشْ منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور؛ فإن كلَّ بدعة ضلالة"[(1)]، فمن أعظم التمسك والعمل بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الرجوع إليها مع كتاب الله تعالى عند التنازع وردّ الأمور إليها، ولا يتحقق إيمان لأحد

---

١) رواه أبو داود(كِتَاب السُّنَّةِ بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ ٤/ ٢٠٠رقم٤٦٠٧)والترمذي(كتاب العلم بَابُ مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ البِدَعِ ٥/ ٤٤رقم٢٦٧٦)وقال: حسن صحيح,وصححه الألباني كما في صحيح الجامع الصحيح(١ /٤٩٩رقم٢٥٤٩)من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه

إذا لم يكن احتكامه للكتاب والسنة، وكما قال العلماء فالرد يكون إليه صلى الله عليه وسلم في حياته وإلى سنته بعد مماته.

المبحث الرابع : التوسع في تسخير التقنية المعاصرة لخدمة السنة

أتاحت التقنية المعاصرة بمجالاتها المختلفة فرصة كبيرة أمام الغيورين لنشر الخير وتبليغه، والإفادة من وسائلها الكثيرة لخدمة الدين , وقد نالت السنة النبوية من ذلك النصيب الأوفر ولعلي أجمل مجالات التقنية التي يمكن الإفادة منها في التالي:

أولاً :- مواقع خدمة السنة على الشبكة العالمية الانترنت .

لقد بذل المتخصصون في السنة وعلومها جهوداً مشكورة في خدمة السنة عبر مواقع متخصصة، وقد كتب الأخ الدكتور جمال أحمد بادي [1] بحثاً قيماً في هذا الباب سماه: "الجهود العالمية لخدمة السنة النبوية على مواقع شبكة المعلومات الدولية "الإنترنت" عرض وتحليل وتقويم، تعرض بالتحليل والدراسة لخمسة مواقع هي:

موقع الإسلام، مواقع الدرر السنية، ملتقى أهل الحديث، موقع المحدث، موقع جامع الحديث النبوي، وبعد دراسة فاحصة بين فيها إيجابيات كل موقع وسلبياته خرج بتوصيات قيمة من أهمها:

-إشاعة الثقافة الالكترونية بين أساتذة الجامعات وحثهم على الإفادة منها وإقامة الدورات التدريبية لهم.

-الحرص على تكوين لجنة استشارية من أساتذة الجامعات ليكونوا مستشارين لهذه المواقع، سواء في نوعية الخدمة وتطويرها أو للحاجات العلمية الأخرى، وهو أمر سيرفع من ثقة المستخدمين والزوار لهذه المواقع.

-ربط هذه المواقع بالجامعات الإسلامية، والكليات الشرعية، ومراكز خدمة السنة بها، مما يزيد التواصل العلمي وبذل المشورة فيه ومما يساعد على تجاوز العقبات بإذن الله تعالى..[2].

وبما أن الدراسة متقدمة إذا كانت بتاريخ ١٤٢٦هـ فقد ظهرت بعدها مواقع أخرى في خدمة السنة لعل من أهمها وأبرزها شبكة السنة النبوية وعلومها والتي يشرف عليها شيخنا الأستاذ الدكتور فالح بن محمد الصغير، وموقع شامل للسنة النبوية باللغة الإنجليزية، ومواقع أخرى غير ما ذكر.

ثانياً: البرمجيات الحاسوبية

من الانجازات التي أفادها العلماء للتقنية الحاسوبية إخراج موسوعات حاسوبية ضخمة لها مميزات وإيجابيات تطغى على سلبياتها وقد قام بدراسة أهم الموسوعات والبرمجيات الحاسوبية الأخ الدكتور إبراهيم حماد الريس[3] في بحثه الموسوم بـ"التقنية الحديثة في خدمة السنة والسيرة النبوية بين الواقع والمأمول" تحدث حول هذه القضية عبر محاور أهمها:

التقنية وخدمة السنة والسيرة النبوية,الموسوعات الحاسوبية في خدمة السنة والسيرة النبوية.

---

١) مشارك بقسم الدراسات العامة بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية . ماليزيا .

٢) قدم البحث ضمن أبحاث ندوة الجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة الهجري ٢٥-٢٦ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ الموافق ٤ - ٥ /٥/٢٠٠٥ م,وهو موجود على الشبكة العالمية في أكثر من موقع.

٣) أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الملك سعود بالرياض.

وقدم في بحثه عرضاً مجملاً لأشهر البرامج الحاسوبية وهي:

منتجات شركة حرف لتنقية المعلومات، ومركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، وشركة العريس، وختم بحثه بتوصيات مهمة من أهمها:

١. ألا تطرح الشركة منتجها إلا بعد إجازته من جهة علمية معتبرة، وذلك بعد مراجعته وتدقيقه وتجربته؛ لمعرفة سلامة البرمجة من الخلل التقني، وسلامة المادة العلمية من الخطأ العلمي، حتى لا تكون تلك الأعمال معول هدم لا آلة بناء.

٢. ضرورة الاهتمام بالمسلمين من غير الناطقين بالعربية، وجعل هذه البرامج تخدم الشرائح المسلمة في شرق الأرض وغربها، وفي شمالها وجنوبها؛ وإن كان لا يغفل ما قامت به شركة "حرف" خاصة وغيرها من الشركات الأخرى؛ من خدمة لهذه الفئات من المسلمين.

٣. لزوم التحذير من البرامج الضعيفة؛ والتي تكثر فيها الأخطاء ويلمح منها الباحث عدم العناية أو تعمد الغلط والدس والتحريف وتشويه مصادر الإسلام، وإبلاغ الجهات ذات الاختصاص.

٤. ألا يغفل الباحث وطالب العلم عن أن البرامج الحاسوبية لا تغني عن التواصل مع العلماء والمشايخ وطلاب العلم، فسنة الطلب ستبقى بمجالسة العلماء والتلقي عنهم، ومدارستهم، والأخذ من سمتهم.

٥. أن يسعى لتكوين جهة تنسيقية؛ تقوم بتنسيق الجهود بين الجهات المنتجة، ومتابعة رأي الباحثين والمستفيدين من هذه البرامج لتوجيه المنتجين إلى الأسلم والأجدى والأهم والأولى.

٦. أن يتبنى إنشاء جهة علمية معتبرة لإجازة هذه البرامج، وصياغة الحماية الفكرية لأصحابها، فيستفيد الباحث توثيقاً للمادة العلمية واطمئناناً لمحتواها، وتستفيد الجهات المنتجة حفظاً لحقوقها وحماية لجهودها من السرقة والنسخ غير المشروع[١].

٧. ولعل من البرمجيات المهمة في هذا الجانب برنامج "جوامع الكلم" وهو من البرامج الجديدة في خدمة السنة النبوية وله مميزات كثيرة ويمكن تنزيله مجاناً من الشبكة العالمية.

ثالثاً: تطبيقات على أجهزة الهاتف المحمول

وهذه خدمة حديثة يمكن الإفادة منها في خدمة السنة ونشرها بين الناس فأجهزة الهاتف المحمول المتطورة لها تطبيقات ومتاجر بها عدد كبير من البرمجيات المفيدة، ولعل من أكثرها تقانة أجهزة "الآي فون" ومن أهم االبرامج على هذا الجهاز: الأحاديث غير الصحيحة المنتشرة، موسوعة الحديث النبوي.

رابعا: القنوات الفضائية

من الوسائل المؤثرة التي دخلت أكثر بيوت المسلمين ولها أثر كبير القنوات الفضائية، وهي كثيرة متنوعة غير أن الموجودة منها غالبه غث، ومن القنوات الموجهة الهادفة لم أجد حسب علمي مخصصاً للسنة النبوية إلا قناتان فقط: قناة السنة السعودية، قناة الحديث الشريف التابعة لقنوات المجد، ولذا أرى من طرق العلاج التوسع في افتتاح

---

١) قدم البحث ضمن أبحاث ندوة العناية بالسنة والسيرة النبوية التي نظمها مجمع طباعة المصحفة الشريف بالمدينة المنورة الثلاثاء ١٥ ربيع الأول ١٤٢٥هـ – الخميس ١٧ ربيع الأول ١٤٢٥هـ وهو موجود على الشبكة العالمية في أكثر من موقع.

قنوات فضائية للسنة النبوية مع تنوع طرق العرض.

خامساً: التعليم عن بعد

لم يعد الانترنت وسيلة للترفيه فقط، بل أصبح يستخدم في مجالات الحياة ومنها التعليم، فقد أنشئت جامعات وأكاديميات تدرس طلابها عن طريق التعليم عن بعد فلماذا لا توظف هذه التقنية لافتتاح كليات متخصصة للحديث النبوي وعلومه ويدرس فيها علماء الأمة المتخصصون كل من بلده التي هو فيها, ومن المؤسف أني لم أجد كلية متخصصة في السنة عبر الانترنت إلا كلية واحدة من مدينة قم الإيرانية باسم (كلية علوم الحديث الالكترونية).

الخاتمة

وبعد هذه الجولة في ثنايا الموضوع أودِّع القارئ العزيز بعد أن ظهر لنا أن الجهل بالسنة من أعظم الآفات والمخاطر وأن مظاهره واضحة للعيان ومنها:

- الجهل بمكانة السنة من القرآن، وأن إتباع السنة أمر اختياري من باب المستحبات.
- الجهل بتاريخ تدوين الحديث الشريف وترديد شبهات المستشرقين وأذنابهم في هذه القضية.
- الجهل بدرجات الحديث النبوي وعدم التفريق بين المقبول، والمردود، وتناقل الأحاديث الواهية والضعيفة.
- الجهل بالمعاني الصحيحة للسنة، ورد بعضها بناء على ذلك الفهم السقيم.

ومن آثار تلك الجهالات انتشار البدع والخرافات، وتضييع كثير من السنن الثابتة، وقبول الأحاديث الواهية والترويج لها.

وختاما ألخص أهم التوصيات التي سبق ذكرها في ثنايا البحث وهي:

١. التوسع في افتتاح أقسم أكاديمية لدراسة السنة وعلومها في الجامعات الإسلامية.
٢. افتتاح كليات متخصصة لدراسة السنة وعلومها في أنحاء العالم الإسلامي.
٣. إدخال مواد السنة وعلومها كمواد أساسية في مراحل التعليم الأساسية والأولية.
٤. إنشاء مدارس خاصة لتحفيظ السنة وعلومها على غرار مدارس تحفيظ القرآن الكريم.
٥. افتتاح حلقات لتحفيظ السنة في المساجد على غرار حلقات تحفيظ القرآن الكريم.
٦. التوسع في الإفادة من وسائل التقنية المعاصرة لخدمة السنة وعلومها.
٧. إعادة الدور الريادي لحلقات العلم الشرعي داخل مساجد المسلمين ومنها حلقات تدريس السنة وعلومها.
٨. منح الجوائز والحوافز للمبدعين في حفظ السنة وإعلان ذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة.
٩. نشر مظاهر الجهل بالسنة عبر مؤلفات أو وسائل الإعلام المعاصرة لتحذرها الأجيال المسلمة
١٠. التحذير من الآثار السيئة للجهل بالسنة عبر جميع الوسائل المتاحة.

المصادر والمراجع

- إتباع لا ابتداع لحسام الدين بن موسى محمد بن عفانة الطبعة: الثانية، مصححة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م يت المقدس / فلسطين
- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما لضياء الدين محمد المقدسي (ت٦٤٣هـ) دراسة وتحقيق: معالي أ.د عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت— لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- إحياء علوم الدين حياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) الناشر: دار المعرفة – بيروت
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي تحقيق أبو عبد أحمد بن إبراهيم أبو العينين , دار الفضيلة , الطبعة الأولى
- البحر الزخار مسند البزار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)
- البدع الحولية لعبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، دار الفضيلة، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
- تلبيس إبليس لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، دار الفكر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م
- جامع بيان العلم جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ) تحقيق: أبي الأشبال الزهيري الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م
- جامع بيان العلم وفضله جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)تحقيق: أبي الأشبال الزهيري الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م
- الجرح والتعديل لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند دار إحياء التراث العربي — بيروت الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م
- الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية للشيخ محمد محمد أبوزهو,دار الكتاب العربي بيروت لبنان,طبع ١٤٠٤هـ

خدمة الرسائل العلمية للسنة النبوية
رؤية تطويرية في ضوء آراء المختصين
وتطبيقات الجودة

د. عبد الله بن عبد العزيز الفالح

وكيل كلية الحديث الشريف للتطوير والجودة

الجامعة الإسلامية

السعودية

alfaleh1@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن مما يسر المسلم، ويغتبط به، ما يراه من جهود وبحوث ودراسات تخدم علوم الوحيين: القرآن والسنة، وصار من الواجب مع تنوع هذه الجهود وكثرتها بحمد لله أن يتم تقييمها لمعرفة ما تحقق من مشاريع وإنجازات، ورصد النواقص والاحتياجات، ترتيباً للأولويات، ومساهمة في تكامل هذه الجهود، ودفعاً لوقوع التكرار أو التداخل أو الازدواجية فيها.

ولذا رأيت أن أشارك في تقييم جانب من جوانب البحث العلمي في السنة النبوية، وهو الرسائل العلمية رغبة في تطوير مخرجاته، وتحسين نتائجه، مستنيراً بآراء المختصين، وما وقفت عليه من دراسات وإحصاءات تخدم البحث ونتائجه.

منهج البحث:

اعتمدت في مصادر هذا البحث على ما يأتي:

١-تدويني لبعض القضايا مما أجده مطروحاً في النقاشات العلمية الحديثية، وما يطرحه أساتذتنا وزملائنا.

٢-آراء المختصين من خلال استبانة خاصة لهذا البحث.

٣-ما استطعت الوصول إليه من إحصاءات تتعلق بموضوع البحث، وليست بالكثيرة، واعتنيت بعناوين موضوعات الرسائل العلمية المسجلة والمناقشة في كلية الحديث الشريف، وقمت بإعادة تصنيفها على الموضوعات، وتحليل بياناتها، لأصل لبعض النتائج التي يمكن الاستفادة منها في هذا البحث.

وجمعت كل ما تقدم، وصغته بصياغة مناسبة، تتناول تحليل كل قضية من قضايا البحث، للوصول إلى أهم العوائق، وطرح أفضل الحلول، مستفيداً من مبادئ الجودة وتطبيقاتها كالتخطيط الاستراتيجي، وتحديد المهام ووضوحها، والتقويم والمراجعة، والتحسين المستمر، وغير ذلك.

وذكرت آراء المشاركين، وإن لم أكن مقتنعاً ببعضها، حفاظاً على الأمانة العلمية، ورغبة في طرح هذه الآراء على طاولة الحوار والمناقشة بين المهتمين بالسنة، مع علمي أن بعض الكليات والأقسام العلمية تخطط في المستقبل القريب أو عملت فعلاً على حل بعض المشكلات المذكورة في هذا البحث، إلا أن المقصود وضع تصور شامل للمشكلات والحلول بحيث يمكن تطبيق نتائجه على جميع الكليات والأقسام.

خطة البحث:

جعلت البحث في تمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة:

أما التمهيد في بيان أهمية موضوع البحث.

المبحث الأول: توصيف مختصر لواقع البحث الأكاديمي.

المبحث الثاني: هل حقق البحث العلمي المأمول منه في خدمة السنة النبوية.

المبحث الثالث: أهم أسباب القصور في خدمة الرسائل العلمية للسنة النبوية.

المطلب الأول: ضعف الإخلاص.

المطلب الثاني: المقررات الدراسية.

المطلب الثالث: ضعف الباحثين العلمي أو المنهجي.

المطلب الرابع: جانب الموضوعات.

المطلب الخامس: الجانب المنهجي.

المطلب السادس: ضعف دور الإشراف والمناقشة.

المطلب السابع: جانب النشر والتداول.

المطلب الثامن: ندرة الدراسات التقويمية.

الخاتمة، وفيها أهم التوصيات والنتائج.

ولأن هذا البحث حسب اطلاعي هو أول بحث في هذا الموضوع، فإني أرجو أن يكون نواة لبحوث أخرى تكون أكثر شمولاً، وتغطي جوانب الموضوع المختلفة التي لم يسمح حجم البحث بتناولها، كما أن طرح نتائج هذا البحث أو بعضها للحوار والمناقشة سيسهم بإذن الله للوصول لرؤى تسهم في رفع كفاءة مخرجات النظام الأكاديمي سواء في جانب الباحثين أو البحوث.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وأن يوفقني لكتابة ما يفيد وينفع في هذا الموضوع المهم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد في بيان أهمية موضوع البحث

تبرز أهمية موضوع البحث بكونه متعلقاً بخدمة السنة النبوية، المصدر الثاني لأحكام الشريعة الإسلامية، فالعناية بها من أوجب الواجبات، والمبادرة إلى خدمتها أولى المهمات، حفظاً للدين الحق وأحكامه من دخول شيء ليس منه، أو فهمه على غير وجهه، أو الطعن في أحكامه.

ومن جهة أخرى فإنه ولله الحمد بذلت جهود كبيرة في جانب البحوث الأكاديمية في السنة النبوية كماً وكيفاً، إلا أنه لا يزال دورها دون المأمول منها في ذلك، فكان هذا البحث تلمساً لأسباب ذلك القصور، ورصداً لأبرز الحلول والمقترحات لمعالجة ذلك، من خلال آراء المتخصصين في السنة، وتدعيم ذلك ببعض الشواهد والأمثلة، وقد لمست اهتمام المختصين، وتأكيدهم على أنه من أهم المهمات وأولى الأولويات عموماً، ومن خلال آراء المشاركين في استبانة هذا البحث، وأنقل بعض عباراتهم:

١ -(السنة النبوية مصدر أصيل من مصادر الدين الإسلامي، والعناية بها جزء من الدين، فيجب أن تكون خدمتها من أولى الأولويات، وأن يدخل ذلك ضمن المشروعات الكبرى في مبادراتنا الحضارية).

٢ -(أعتقد أنه من فروض العصر، لا سيما وقد اكتنزت أرفف الأقسام الحديثية في الكليات الشرعية بأكوام من الرسائل لم ينتفع منها كبير أحد، ولم يسعَ كبير أحد في محاولة استخراجها، ولا تبني طباعتها).

٣ -(الاهتمام بهذا الجانب أمر ضروري وملح جداً، والحاجة له ماسة، مثله كمن يعمل على إيصال الماء العذب لأفواه العطشى، ويعمل على تسهيل وتيسير ذلك، فالمجتمع عطش جداً لهذه الرسائل، والأبحاث متوفرة، لكن لافائدة

ترجى منها إن لم تمتزج بالمجتمع، وتساهم في حل مشكلاته، بل من الأساس لماذا تبحث موضوعات لا تخدم المجتمع ولا تساهم في حله؟!).

٤-(هو موضوع جدير بالاهتمام، لأننا نعاني من فجوة بين الجهد العلمي الذي يُبذل في إعداد تلك الرسائل، وبين أثرها في واقع الناس، وتأملّ الأبحاثَ التي تكتب في الفقه، ثم بدرجة أقل العقيدة والتفسير، ثم تأمل الأبحاث التي تكتب في السنة).

المبحث الأول: توصيف مختصر لواقع البحث الأكاديمي

يتطلب الحصول على درجة الماجستير والدكتوراه في غالب الجامعات على تقديم بحث (رسالة علمية) في تخصصه، ولا يمنح الطالب الدرجة إلا بعد تقييم البحث وإجازته من قبل محكمين في التخصص[١].

ولذا صار من أهم مخرجات نظام الماجستير والدكتوراه: بحوث بمعايير علمية ومنهجية محددة، وعدد هذه البحوث يعادل تقريباً عدد الطلاب الملتحقين ببرامج الماجستير والدكتوراه[٢]، وهو عدد كبير.

وحسب اطلاعي، لا توجد إحصائية شاملة ودقيقة لعدد رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات العربية والإسلامية، إلا أنه توجد بعض الإحصائيات الجزئية التي تؤكد على كثرة عدد هذه الرسائل.

فقد حوت قاعدة معلومات الرسائل الجامعية التي أصدرها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في إصدارها الرابع نحواً من (١٢٠،٠٠٠) مائة وعشرين ألف رسالة دكتوراه وماجستير بالإضافة إلى الدبلومات التي تمنحها المعاهد العلمية والكليات وتتناول التخصصات العلمية كافة.

أما ما يتعلق بتخصص السنة النبوية وعلومها فقط، فحاولت استخراج عدد تقريبي للرسائل العلمية عن طريق البحث اللفظي في القاعدة السابقة، ولم أتمكن من ذلك لأن لفظة السُنَّة مثلاً يشتبه بلفظ آخر وهو السَنَة، كما أن لفظ السنة لا يكون مدرجاً أحياناً في عنوان الرسالة ولا في واصفاتها.

ووقفت في الشبكة المعلوماتية على قاعدة معلومات عنوانها: (دليل الرسائل الجامعية في علوم الحديث النبوي في معظم الجامعات الإسلامية حتى عام ٢٠٠٢م المناقشة والمسجلة، إعداد لجنة الببليوغرافيا الإسلامية، أبو سعد الأثري)، وبلغ عدد الرسائل عنده: (١٠٢٧) رسالة، وهذه الإحصائية قبل نحو تسع سنوات تقريباً.

كما يشتمل موقع الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها[٣] على دليل للرسائل الجامعية في السنة، مصنفة على علوم السنة، وجمعت عدد الرسائل في كل فن من فنون السنة، وبلغ المجموع: (١١١٢) رسالة.

ولاشك أن هذه الأدلة قد فاتها بيانات ليست بالقليلة، لعدم وجود أدلة منشورة لبعض الأقسام والجامعات، أو عدم تحديثها لأدلتها، أو لضعف التواصل بين الجامعات عموماً.

---

(١) انظر فيما يتعلق في الجامعات السعودية نظام مجلس التعليم العالي والجامعات ولوائحه ص ٢٥١-٢٥٢، ط٣، ١٤٢٨ هـ، وص ٢٦٣-٢٦٤، وهو مطبوع، ومنشور أيضاً على موقع مجلس التعليم العالي.

(٢) المقصود عدد الباحثين في المرحلة نفسها، أما إذا اعتبرنا أن الباحث له رسالتان، إحداهما في الماجستير، والأخرى في الدكتوراه فسيكون عدد الباحثين ضعف عدد الرسائل تقريباً.

(٣) http://www.sunnah.org.sa.

وفي السنوات الأخيرة: زاد إقبال الطلاب على الالتحاق ببرامج الماجستير والدكتوراه، وتوسعت كثير من الكليات والأقسام في القبول في مرحلة الدراسات العليا، مما نتج عنه زيادة كبيرة في عدد الرسائل العلمية في السنة النبوية، ومن الشواهد على ذلك: زيادة عدد برامج الدراسات العليا في كلية الحديث الشريف في الجامعة الإسلامية، فقد كانت الكلية تقدم أربع برامج هي:

١، ٢ برنامجي الماجستير والدكتوراه في فقه السنة ومصادرها.

٣، ٤ برنامجي الماجستير والدكتوراه في علوم الحديث.

واستحدث برنامج موازي لكل برنامج ليصبح عدد البرامج ثمانية.

ونتيجة لهذا تضاعفت أعداد الطلاب في الدراسات العليا أكثر من مرة، وعليه: تضاعف عدد الرسائل العلمية، فمنذ إنشاء الكلية عام ١٣٩٦هـ إلى تاريخ: ١٤٣٢/٤/٢٥هـ بلغ عدد الرسائل العلمية المناقشة: (٣١٠) رسالة، بينما يبلغ عدد الرسائل المسجلة في الفترة الحالية فقط: (١٦٤) رسالة من باحثين ينتمون إلى ٣٧ دولة من مختلف أنحاء العالم، والعدد في ازدياد بحمد الله، فموضوعات كثير من الطلاب مطروحة للاعتماد في المجالس المختصة، نسأل الله أن يبارك في هذه الأعمال والجهود.

هذا ما يتعلق بالرسائل العلمية من جهة الوصف الكمي، أما من جهة الوصف الكيفي، فإن الرسائل العلمية تحظى بميزات لا توجد غالباً في البحوث والمؤلفات الأخرى، منها:

١) فحص موضوع البحث، وصياغة عنوانه، وخطته، من قبل عدد من المتخصصين في السنة، وهم: المرشد العلمي للطالب، وبقية أعضاء مجلس القسم.

٢) متابعة مشرف مختص لعمل الباحث بشكل دوري، وهذا يساعد على جودة العمل وانضباطه.

٣) قراءة البحث وإبداء الملحوظات عليه ومناقشة الطالب فيها من مختصين في السنة في جلسة معلنة.

٤) وجود دعم مالي في بعض الجامعات يتمثل في بدل مالي يمنح للطالب مقابل النسخ التي يسلمها للجامعة، ومكافآت للجنة المناقشة، وفي بعض الأحيان: طباعة الكتاب ونشره مقابل مبلغ يدفع للباحث.

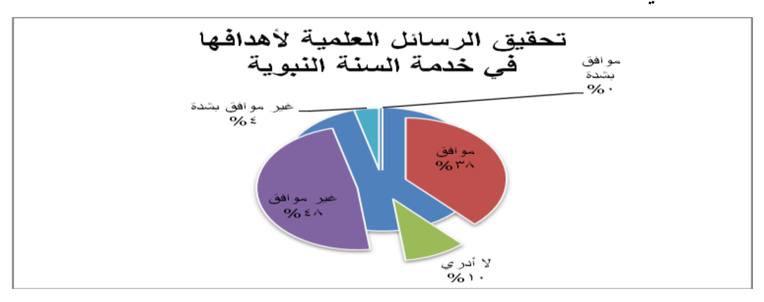
ولهذا فإن للرسائل العلمية في الجملة تميزٌ عن غيرها، بحيث إن القراء ورواد المكتبات يحرصون على الكتب التي أصلها رسائل علمية، ويطمئنون لها، وربما كان ذلك سبباً في غلاء ثمنها مقارنة بغيرها، وهذا مؤشر ملموس على تميزها النسبي.

لكن مع ذلك، فإن هذه المعطيات السابقة تؤكد على وجوب مقارنة واقع الرسائل العلمية بالنتائج المؤملة للبحوث، وهل تمت الاستفادة من هذه المعطيات السابقة في تحقيق النتائج المرجوة من هذه الرسائل العلمية، وهل سدت هذه الرسائل الفراغات والحاجات البحثية لموضوعات السنة النبوية، وجواب هذه السؤال سيكون في المباحث التالية من هذه البحث.

المبحث الثاني: هل حقق البحث العلمي المأمول منه في خدمة السنة النبوية

من خلال الحوار مع المختصين في السنة سواء كان ذلك على مستوى الأقسام العلمية أو فيما هو أوسع من ذلك في المؤتمرات والملتقيات العلمية نلحظ ضعف الرضا عن الرسائل العلمية وتحقيقها لنتائجها، واستفادة المجتمع منها.

وتوخياً للدقة في ذلك أعددت سؤالاً في الاستبانة عن تحقيق الرسائل العلمية للهدف المأمول منها في خدمة السنة النبوية، وكانت النتيجة كالآتي:



ومن خلال هذه النتيجة نلاحظ ما يأتي:

١)إن أكثر المشاركين يرون أن الرسائل العلمية لم تحقق ما يؤمل منها في خدمة السنة النبوية، وتبلغ نسبتهم ٥٢%، وتفسير هذا سيكون فيما يأتي من هذا البحث.

٢)إن عُشْر المشاركين لا يعلمون هل حققت الرسائل العلمية أهدافها أم لا، ويعود ذلك في نظري إلى أسباب أهمها أمران: أولهما: أن أهداف الرسائل العلمية غير محددة بوضوح، وثانيهما: لعدم وجود البيانات والإحصاءات الدقيقة التي تعطي المختص نتائج موثوقة.

٣)'ن نسبة لا بأس بها (٣٨ %) يرون أن الرسائل العلمية حققت أهدافها، إلا أن الذي يظهر لي أن هناك إشكالاً ما في تحديد المراد من السؤال، لأن رأيت كثيراً منهم يذكر أسباباً كثيرة تؤدي لعدم تحقيق الرسائل العلمية أهدافها أو بعضها، وذلك من خلال إجابتهم على الأسئلة المتبقية من الاستبانة.

المبحث الثالث: أهم أسباب القصور في خدمة الرسائل العلمية للسنة النبوية

طرحت استبانة البحث ثلاثة جوانب رئيسة يرى الباحث أن لها السبب الأكبر في ضعف جودة مخرجات البحث الأكاديمي في خدمة السنة، وهذه الأسباب هي:

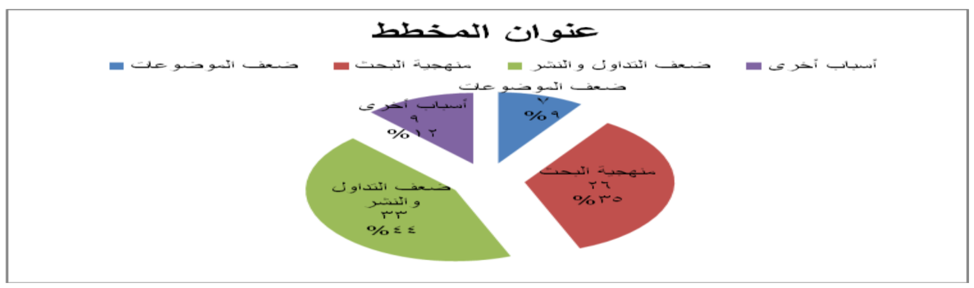
١ –ضعف موضوعاتها.

٢ –منهجية البحث فيها.

٣ –ضعف تداولها ونشرها.

٤ –أسباب أخرى.

وأتيح للمشارك اختيار أكثر من إجابة في وقت واحد، وكانت النتيجة كالآتي:



ويمكن تلخيص الأسباب الأخرى التي ذكرها المشاركون فيما يأتي:

١ –ضعف الإخلاص لدى الباحث. (أشار إليه ٤ مشاركين)، وهذا السبب ينبغي أن يقدم لأهميته، ولتقديم أهل العلم له.

٢ –ضعف دور الإشراف والمناقشة. (أشار إليه ٣ مشاركين).

٣ –المقررات الدراسية. (أشار إليه مشاركان).

٤ –ضعف الباحثين العلمي أو المنهجي. (أشار إليه مشاركان)

٥ –ندرة الدراسات التقويمية. (أشار إليه مشارك واحد).

وفيما يلي من المباحث مناقشة لهذه الأسباب بعد إعادة ترتيبها.

المطلب الأول: ضعف الإخلاص

علم السنة علم من علوم الآخرة، التي يتوصل بها إلى رضى الله عن العبد، بمعرفة ما يجب عليه، وما يستحب منه، وما ينهى عنه، ولذا وجب أن يستحضر من أراد تعلمه أو تعليمه أو التصنيف فيه إرادته بذلك وجه الله، حتى يبارك له فيه، وحتى ينجو من العذاب الشديد المتوعد على من أراد بعلمه الشرعي غير الله سبحانه، قال تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُون*أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (سورة هود: ١٥-١٦)، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة)[(١)].

وصدّر جماعة من أهل العلم تصانيفهم كالبخاري رحمه الله بحديث عمر رضي الله عنه: ((إنما الأعمال بالنيات)) تنبيهاً على تصحيح النية والقصد، بل قال عبد الرحمن بن مهدي: (لو صنفت الأبواب لجعلت حديث عمر رضي الله عنه في الأعمال بالنية في كل باب)[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (٨٤٥٧) ط. الرسالة ، وأبو داود كتاب العلم باب في طلب العلم لغير الله تعالى ص ٥٥٤ ط.المعارف، وابن ماجه في المقدمة باب الانتفاع بالعلم والعمل به ص ٦١ ط. المعارف، وصححه غير واحد من أهل العلم كالنووي في رياض الصالحين ص ٢٨١، والعراقي في تخريج الإحياء ص ١١٩.

(٢) انظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب ٦١/١ (تحقيق الأرناؤوط– الرسالة) .

والناظر في المصنفات التي وصلت إلينا في السنة وعلومها يجد أجزاء صغيرة لعلماء متقدمين حُفظت لنا عبر القرون المتطاولة مع أن بعض هذه الأجزاء قد ألف بعدها كتب أشمل وأوسع منها، فلله الأمر من قبل، ومن بعد، حفظ هؤلاء الأئمةُ اللهَ في إراداتهم وتصرفاتهم وأعمالهم، فحفظ الله ذكرهم وتآليفهم.

ولما ألّف الإمام مالك الموطأ قيل له: (شغلت نفسك بعمل هذا الكتاب، وقد شركك فيه الناس وعملوا أمثاله؟ فقال: لتعلمن ما أريد به وجه الله تعالى قال: فكأنما ألقيت تلك الكتب في الآبار)[١]، وحفظ الله الموطأ، وصرف عناية أهل العلم له رواية، ودرساً، وشرحاً، وبياناً للغريب، ووصلاً لأسانيده وغير ذلك من أنواع العناية.

وقال البويطي للشافعي: إنك (تتعبنا) في تأليف الكتب وتصنيفها، والناس لا يلتفتون إليك، ولا إلى تصنيفك! فقال لي: (إن هذا هو الحق، والحق لا يضيع)[٢].

وتأمل سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية فقد سجن وحبس مدداً طويلة، ومنعت عنه أدوات الكتابة فضلاً عن وسائل النشر، وكتب وألف في السجن، وسعى خصومه في إحراق كتبه وإتلافها، ومع ذلك حفظ الله تراثاً ضخماً له طبع في مجلدات كثيرة، وما يزال بعضها في خزائن المخطوطات، ومن عجيب ما قدر في ذلك: أن الله سبحانه سخر عالماً هو ابن عروة الحنبلي (ت٨٣٧هـ) فشرح مسند الإمام أحمد في مائة وعشرين مجلداً، وكان كل ما وقف على رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمنها شرحه بتمامها[٣]، فحفظ بسببه كثير من تصانيف شيخ الإسلام.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن إصلاح النية سبب من أسباب قبول الناس للمؤلّف أو البحث وانتفاعهم به وانتشاره بينهم، إلا أنه ليس السبب الوحيد، كما أنه قد تقوم موانع أخرى تمنع من انتشار الكتاب مع إخلاص كاتبه وخلوص قصده، ومرد ذلك كله: تقدير الله سبحانه وحكمته البالغة التي رتبها على أفعال العباد المحسوسة ابتلاء وامتحاناً، ولذا فإن بعض كتب الضلال والغواية قد ذاعت وانتشرت وتعددت طباعتها، وفي ذلك من مضاعفة لأوزار مؤلفيها، نسأل الله العافية، ونستمده التوفيق والسداد فيما نأتي ونذر.

وهذا النظام الأكاديمي ينبغي أن يكون وسيلة لتحقيق الإخلاص، ورضى الله، فيكون هو الفرع، والأصل هو إرادة وجه الله بتعلم العلم النافع ثم بتعليمه ونشره، والدراسة الأكاديمية سبيل لذلك، ولذا لابد من التأكيد على إصلاح النية لدى الطلاب والمشرفين والمناقشين والمجالس العلمية، وتكرار التذكير به طمعاً في حصول البركة في البحوث بتيسير الانتفاع بها، والإعانة على تجويدها وإتقانها.

(١) انظر : التمهيد لابن عبد البر ٨٦/١ (الطبعة المغربية) .

(٢) انظر : تاريخ مدينة دمشق ٣٦٤/٥١ (دار الفكر) .

(٣) انظر : الضوء اللامع للسخاوي ٢١٤/٥ (دار الجيل) .

المطلب الثاني: المقررات الدراسية

للمقررات الدراسية التي يدرسها الطالب بعد تسجيله في مرحلة الماجستير أو الدكتوراه وقبل تسجيله للموضوع[١] أثر بالغ في جودة الرسائل العلمية، وذلك من جهة تأهيل الباحث العلمي والمنهجي، ومن جهة أن فكرة البحث وموضوعه ينبثق غالباً أثناء دراسة الطالب للمقررات الدراسية، ولقياس أثر المقررات على موضوعات الرسائل، اذكر هنا ثلاثة شواهد:

١) في دراستي لموضوعات الرسائل العلمية في كلية الحديث الشريف لاحظت شمولية في تحقيق كتب رواية الحديث، فهناك رسائل علمية في تحقيق كتب (السنن، والمسانيد، والجوامع، والموطآت، والأمالي، والمعاجم، والمشيخات، والفوائد، والأجزاء الحديثية، والغرائب، والأربعينيات، والترغيب والترهيب...) وغير ذلك من مصادر الرواية، وتلمست أسباب التميز في هذا الجانب، فرأيت من مقررات برنامج الماجستير: مقرر دراسات في مصادر السنة بواقع أربع ساعات أسبوعياً، وتوصيفه يحتوي على دراسة تفصيلية لأهم كتب الرواية سوى الكتب الستة، ويبلغ عدتها سبعة عشر كتاباً، كما أنه أيضاً من مقررات برنامج الدكتوراه، ويدرس أربع ساعات أسبوعياً، ويحتوي توصيفه على دراسات بحثية يعدها الطلاب في اثنين وعشرين نوعاً من أنواع كتب الرواية.

٢) وفي مقابل ذلك لاحظت ندرة الموضوعات التي تتحدث عن تاريخ السنة، والدفاع عن الشبه الواردة فيها، ولعل من أسباب ذلك أنه لا يوجد مقرر يختص بذلك في مرحلة الدراسات العليا.

٣) يذكر بعض الطلاب أن رسالة الماجستير تكاد تكون أول بحث علمي جاد يقوم به، وبالتالي يؤدي هذا إلى ضعف المنهج البحثي، وقصور نتائج الرسالة العلمية.

وتغليب الجانب النظري على البحثي في تدريس مقررات الماجستير يؤدي للنتيجة السابقة، ويرى أحد المشاركين مناسبة اعتماد نظام البحث التكميلي في مرحلة الماجستير، وتكثيف المقررات ليتم تأهيل الطالب بشكل جيد.

المطلب الثالث: ضعف الباحثين العلمي أو المنهجي

يلاحظ ضعف في مستوى كثير من الطلاب الملتحقين ببرامج الدراسات العليا، ويظهر ذلك جلياً بمقارنتهم بالطلاب في فترات قديمة في البرامج.

وهذه القضية مطروحة للنقاش كثيراً في الجامعات العلمية، ولها أسباب خارج نطاق برامج الدراسات العليا: كوجود ضعف في التعليم الأساسي، والمراحل التعليمية السابقة لمرحلة الدراسات العليا، ومنها: البيئة الاجتماعية، وتأثير الوسائل الإعلامية والإنترنت على الطلاب وغير ذلك من الأسباب.

ولهذا، فإني أكتفي بالإشارة إلى هذا السبب، لأن معالجة مثل هذه الأسباب أراه خارج نطاق البحث، ويحتاج إلى دراسات مستقلة، وأما الأسباب المؤدية إلى ضعف تأهيل الباحثين داخل البرنامج كالمقررات، والإشراف العلمي فهذا ناقشته في مباحث مستقلة.

---

(١) يوجب نظام مجلس التعليم العالي ولوائحه في السعودية على طالب الدراسات العليا بعد إنهاء جميع متطلبات القبول واجتيازه خمسين في المائة على الأقل من المقررات في الدراسات العليا وبمعدل تراكمي لا يقل عن جيد جداً التقدم بمشروع الرسالة إن وجدت للقسم. انظر: نظام مجلس التعليم العالي ص ٢٥٧.

واقترح أحد المشاركين إعادة تأهيل الطلاب من جديد بتكثيف المقررات، وزيادة مادتها العلمية، وأرى أن هذا غير ممكن واقعياً، ويتنافى مع التكاملية أو التراكمية العلمية بين مراحل الدراسة، وسيكون على حساب الجانب البحثي.

إلا أنه من المهم لابد من التأكد من أن إجراءات قبول الطلاب في مرحلة الدراسات العليا كافية للتحقق من كفاءة الطالب، ومناسبته للمرحلة، وعدم التساهل في ذلك، وإذا ثبت ضعف الطالب فينبغي عدم قبوله أصلاً، أو إلزامه بدراسة مقررات إضافية ترفع من تأهيله ومستواه العلمي.

المطلب الرابع : جانب الموضوعات.

لاشك أن موضوع الرسالة هو أول وأهم شيء فيها، وهو الأساس العام الذي يتبعه كل ما سيذكر بعده من الأسباب، وإذا لم يتم اختيار الموضوعات المناسبة، فلا يجدي بعد ذلك اتقان منهجيتها، أو نشرها وتداولها.

وطرحت في الاستبانة ثلاثة أسباب أرى أنها من أهم أسباب القصور في جانب الموضوعات، وهي:

(١) ضعف العلاقة بينها وبين القضايا المجتمعية، وبلغ عدد الذين اختاروا هذه الإجابة (١٢) مشاركاً، أي: (٢٤ %).

وبيان أهمية ذلك بأن نقول إذا كنا نريد أن أن يهتم ويستفيد المجتمع العلمي والدعوي بمخرجاتنا، فلا بد أن نعرف ما هي حاجات المجتمع واهتماماته ومشاكله، ونعالجها في بحوثنا، لكي يهتم بها المجتمع ويدعمها وينشرها ويعمل بتوصياتها، ولاسيما أن مفهوم الشراكة المجتمعية صار مفهوماً عالمياً، وأساساً مهماً للتنمية المستدامة، بحيث صار تحقيقه مطلباً من مطالب التطوير والتقدم.

وربما يرى بعض الباحثين أن مفهوم الشراكة المجتمعية يختص بالمجالات الصناعية والتجارية والزراعية ونحوها، لكن الحقيقة أنه يعم جميع المجالات، وإن اختلفت آلية التطبيق ومجالاته، ويمكن ذلك من خلال استطلاع الأمور التي تؤملها أو تحتاجها مؤسسات المجتمع وأفراده من أقسام السنة وعلومها، ثم العمل المشترك معها على تحقيقها، ورأينا بعض الأقسام الفقهية تعمل على دراسة بعض المسائل المصرفية التي تحتاجها البنوك الإسلامية في رسائل علمية، ونتج عن ذلك رسائل مفيدة ومهمة.

ومن أمثلة ذلك على مستوى الأفراد: أن من أهم مشاكلنا ضعف تطبيق السنة، وفشو البدع في كثير من مجتمعاتنا، فالعمل على محاربة البدع، من أولى الأولويات للمتخصصين في السنة، ومن أمثلة موضوعات الرسائل العلمية المتعلقة بذلك، رسالة علمية بعنوان: (الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدل بها على بدع في العبادات–جمعاً ودراسة).

ومن أمثلة المشاركة مع مؤسسات المجتمع الواضحة : الشراكة مع مؤسسات الحاسب الآلي وبرامجه، فإن الناظر في البرامج الحاسوبية في السنة يجدها تفتقر كثيراً إلى التدقيق العلمي، والمراجعة الكافية، فإذا التزمت الأقسام بتوفير وتدقيق ما يخص الجانب العلمي، سواء كان ذلك عن طريق رسائل علمية أو بحوث محكمة أو تحكيم لمواد علمية أو غير ذلك، وتكفلت المؤسسات بالجانب التقني، أثمر ذلك برامج متميزة بإذن الله تخدم السنة وتفي بحاجات الباحثين فيها.

ومما سجل في هذا الموضوع: رسالة علمية مسجلة في كلية الحديث الشريف بعنوان: (خدمة الحاسب الآلي للسنة النبوية وعلومها: دراسة تأصيلية ونقدية لبعض البرامج المتداولة).

ويتصل الكلام في مفهوم المشاركة بمعناها الأوسع، سواء كان بين باحث (أو مؤسسة علمية بحثية) ومستفيد، وسواء كان بين المؤسسات والأقسام العلمية نفسها.

ولذا فإن من المفيد تفعيل المشاركة بين أقسام السنة المختلفة في اختيار الموضوعات وتحديد الأولويات في خدمة السنة، لأن هذه الأقسام وإن كان تخصصها واحداً، لكنها تختلف في التوجه والاهتمام العلمي في موضوعاتها، فبعض الأقسام لها عناية خاصة بتحقيق التراث، وأخرى تولي مناهج الأئمة في التصحيح والتضعيف ونقد المرويات اهتماماً أكبر، وهكذا، وثالثة تعتني بالحديث الموضوعي.

كما أن المشاركة بين الأقسام العلمية في السنة، وبين الأقسام الأخرى في العلوم الشرعية واللغوية (والإنسانية عموماً) في موضوعات الرسائل يؤدي إلى رسائل علمية تخدم القسمين، كلٌ فيما يحتاجه.

ومن أمثلة ذلك رسالة علمية سجلت في كلية الحديث الشريف بعنوان: (أدلة القواعد الفقهية من السنة النبوية)، وأخرى بعنوان: (الأحاديث التي استشهد بها النحاة في كتبهم).

ولاشك أن العناية بالنوازل في التخصص من أهم ما يثري البحوث، ويجعلها تواكب الحراك العلمي، ومن المسائل التي كثر الكلام فيها في موضوع السنة: ظهور مناهج جديدة مخالفة لما عليه السلف الصالح في فهم السنة وفقهها، بل وفي قبولها وردها، والحاجة ماسة لوجود بحوث عميقة تؤصل لهذا الموضوع، وترد الشبهات الواردة فيه.

(٢)عدم اعتماد الأقسام لرؤى واستراتيجيات إجمالية تهدف لتحقيقها في الموضوعات (مثلاً: رصد ما يثار حولها والرد عليه، أو تخريج جميع أبواب الفقه)، وبلغ عدد الذين اختاروا هذه الإجابة (٢٣) مشاركاً، أي: (٥٢ %).

وهذا السبب ظاهر، فإن الواقع يشهد بأنه يندر وجود خطط علمية استراتيجية للموضوعات العلمية في الأقسام، وأن الأقسام غالباً تنظر في الموضوعات بناء على ما يرد إليها من الطلاب أو من اقتراحات أعضاء هيئة التدريس دون أهداف بعيدة المدى.

ويوضح ذلك: وجود بحوث كثيرة في الحديث الموضوعي، وجمع مرويات السنة في أقسام السنة المختلفة، إلا أننا لم نستطع أن نصوغ منها مشروعاً علمياً موسوعياً شاملاً لجمع الأحاديث وطرقها، ولكي يتم وضع هذه الاستراتيجيات لموضوعات القسم لا بد من القيام بما يأتي:

أ- تحليل الواقع الحالي لموضوعات القسم.

ولا بد من وجود قواعد بيانات كافية لموضوعات الرسائل العلمية المسجلة والمناقشة في القسم، وقمت بدراسة مختصرة على موضوعات الرسائل العلمية في كلية الحديث الشريف، وكان من نتائج هذه الدراسة: أن تحقيق المخطوطات يشكل ٦٩,٨٥% من الموضوعات مقابل ٣٠,١٥ % للتأليف، وسيتم مقارنة ذلك برسالة الكلية وأهدافها، كما قمت بفرز موضوعي لعناوين الرسائل[1]، وأحصيت عدد ما في كل موضوع من العناوين.

---

(١) وكان من أهم العقبات عدم وجود تصنيف معتمد، ومن التصنيفات الموجودة التصنيف الموجود في موقع الجمعية العلمية للسنة، وهو : (١-جهود المحدثين في السنة ومناهجهم العامة.٢-دراسة وتخريج للمرويات من مسانيد وغيرها.٣- تحقيق ودراسة لكتب التراث.٤-مناهج المحدثين في أزمنة وأمكنة معينة . ٥- الحديث الموضوعي. ٦- مناهج المحدثين في كتبهم. ٧- تاريخ السنة وحجيتها والتصنيف فيها. ٨-دراسات حديثية متنوعة. ٩-فقه المحدثين).

ومن ذلك أني أحصيت في قسم المرويات أبواب العلم التي تم جمع أحاديثها ودراستها، وهذا يسهل تعيين ما لم تجمع أحاديثه وتخرج من أبواب العلم، ومنه أيضاً: تحديد الأئمة الذين تم دراسة تراجمهم أو مناهجهم في الكلية، وهم: (الإمام أحمد، أبو بكر المقرئ، الحميدي، عبدالغني المقدسي، أبو موسى المديني، الجعبري، شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن قيم الجوزية، الزيلعي، العلائي، ابن الملقن، أبو زرعة العراقي، السخاوي، المعلمي).

ب- دراسة اتجاهات البحث العلمي في السنة النبوية، ومقارنتها بموضوعات القسم، ويسهل هذا وجود عدة قواعد بيانات للكتب المطبوعة في السنة النبوية.

ج-دراسة احتياجات الساحة العلمية الحديثية من موضوعات ودراسات.

(٣) نظرة الباحث للرسالة بأنها وسيلة لنيل الشهادة فقط، وبلغ عدد الذين اختاروا هذه الإجابة (٢٨) مشاركاً، أي: (٥٦ %).

وهذا يؤكد على وجوب إعادة النظر في كون البحث ينتهي عادة بمناقشة الرسالة، بل لا بد من دراسة هذا الموضوع، والعمل على إدراج أمور أخرى تحفز الباحث على ضبط العمل وإتقانه، نحو تقديم الرسالة للناس سواء بطباعتها كلها، أو تقديم ملخصها في برامج إعلامية أو غير ذلك.

ومن الأسباب التي أضافها المشاركون:

(٤) تسجيل الباحث لموضوع لم يقتنع به، أو ليست له ميول إليه، أو لا تكون جدواه العلمية واضحة، ولهذا أسباب منها:

أ-ضيق وقت تسجيل الموضوع على الباحث، فيلجأ للمسارعة في تقديم موضوع ولو لم يكن مقتنعاً بجدواه.

ب-صعوبة وصول الباحث لموضوع يقبله القسم، إما لقلة خبرته أو ضعف تأهيله، أو لعدم وضوح معايير الموضوعات المقبولة في القسم لدى الطالب.

ولهذه الأسباب وغيرها يلجأ كثير من الطلاب إلى الاعتماد على غيرهم من الأساتذة أو الزملاء في اختيار الموضوعات، يقول الدكتور شوقي ضيف: (يجد ناشئة الباحثين صعوبة في اختيار موضوعات بحوثهم، وكثيراً ما يلجئون إلى بعض الباحثين، وبخاصة من أساتذة الجامعات ليدلوهم على موضوعات يبحثونها، وهي طريق خطرة ؛ إذ قد يدلهم هؤلاء الباحثون على موضوعات لا تتفق وميولهم الحقيقية فيتعثرون فيها، وقلما يحسنونها، ولعل في ذلك ما يجعل أول واجب على هؤلاء الناشئة أن لا يلقوا بزمامهم في بحوثهم إلى غيرهم، وأن يعملوا على الاهتداء إليها من خلال قراءتهم، وعكوفهم على كتب الباحثين من قبلهم، يستعرضون موضوعاتها، ويقرؤون فيها، وحتى يستبين لهم موضوع يتفق وميولهم، ويحاولون بحثه ودراسته)[1].

ومن تصنيفات موضوعات السنة ما ورد في (دليل الرسائل الجامعية في علوم الحديث النبوي) الذي سبق الإشارة إليه، وتم تقسيمها إلى ١٢ فرعاً هي : (١-أصول الحديث أو مصطلحه.٢-جمع ودراسة وتخريج.٣-فكر السنة النبوية. ٤-الجرح والتعديل وتراجم الرواة. ٥-مناهج المحدثين. ٦-رواية الحديث.٧-الحديث الموضوعي.٨-الزوائد.٩-الشروح الحديثية.١٠-فقه السنة.١١-علل الحديث. ١٢-المباحث الحديثية العامة.)

(١) انظر: البحث الأدبي (طبيعته -مناهجه-أصوله-مصادره)، دار المعارف، ص ١٧-١٨.

وهذا أحد الحلول من جهة الطالب، وأما من جهة القسم فمن الحلول المقترحة من المشاركين في الاستبانة:

- منح الطالب مدة لا تدخل في المدة المحتسبة للرسالة لاختيار موضوع الرسالة.
- إثراء الموضوعات العلمية المطروحة في القسم بواسطة لجنة مختصة بذلك لتسهل على الطالب اختيار الموضوع.

وأرى من أهم المشكلات هنا أن هناك كثيراً من الرسائل العلمية السابقة هي موضوعات واسعة، ولم تحدد عناوينها بدقة، فينتج عن ذلك أنها لا توفي الموضوع حقه، وتضيف إلى ذلك: أنها تمنع من تسجيل رسالة وافية أو مكملة لهذا الموضوع، لأنه يلزم الباحث المتأخر دراسة الرسالة السابقة بشكل تفصيلي، وإثبات أنه سوف يضيف إضافات علمية كبيرة، وهو أمر دون عوائق عملية كثيرة.

وكم من الموضوعات في السنة التي نتعجب من عدم وجود بحث أو مؤلف فيها، ويكون من أسباب ذلك وجود رسالة قديمة أو بحث قاصر لم يستكمل جوانب الموضوع، وصرف من جاء بعده من البحث فيه، والذي أقترحه العناية بوضع محددات الموضوع في عنوان الرسالة، ولو طال العنوان.

ومن أمثلة ذلك ما يتعلق بالمرويات والأحاديث، فهناك رسائل علمية بعنوان مرويات كذا، أو أحاديث كذا، أو الموضوع الفلاني في ضوء السنة، وإذا نظرنا في مضمون الرسالة وجدنا أن ما فيها من أحاديث لا يبلغ ٥٠ % من أحاديث الموضوع.

ولو حدد الباحث مصادر بحثه مثلاً بالكتب الستة أو التسعة أو غيرها، ثم جاء من بعده وأتم الموضوع، أثمر ذلك إيفاء الموضوع حقه من الباحثين جميعاً، وهذا أيضاً يسهم في حل مشكلة تظهر أحياناً في عدم تناسب حجم الموضوع مع المدة المقررة لتسليم الرسالة.

(٥) كون موضوعات الرسائل في المباحث التخصصية جداً، بحيث لا ينتفع بها إلا المتخصص، وهذا السبب ذكره أحد المشاركين، وهو لا شك واقع، إلا أنه طبيعي، لأن الرسائل العلمية هي خير موضع تبحث فيها الموضوعات التخصصية، لكن المشكلة تكمن في تفعيل الاستفادة من نتائجها لتصل إلى عموم الناس ولو بشكل غير مباشر، وبضد ذلك، ذكر أحد المشاركين سبباً آخر، وهو:

(٦) الضعف العام للموضوع بحيث يكون كثقافة عامة، وحينئذ لا يكون للموضوع جدوى علمية، ولا يظهر أثر التخصص فيه.

(٧) لجوء بعض الباحثين إلى موضوعات كتبت في تخصص آخر كالفقه أو التربية مثلاً، وإعادة صياغتها وترتيبها ليكون موضوعاً في السنة، دون إضافات علمية مستحقة فيه، وربما لا تكون ميزة البحث الذي كتب في السنة إلا في تقديم الأحاديث على غيرها من الأدلة، بل ربما كانت الرسالة المكتوبة أشمل وأكثر فائدة؛ لاشتمالها على جميع الأدلة من القرآن والسنة والقياس وربما في بعض الموضوعات التجارب والدراسات، والواجب إبراز أثر التخصص على البحث، فالذي يكتب بحثاً في السنة ينبغي أن يستوعب الأحاديث الواردة في موضوعه، وألفاظها، ودلالاتها، ويبين أيضاً محلها من القبول والرد، وهذا الأمر هو الذي لا يتقنه إلا المتخصص في السنة.

(٨) عدم تناسب الموضوع مع كفاءة الطالب العلمية والبحثية، وهذا الموضوع يحتاج إلى دراسة لإيجاد حلول عملية، لتصنيف الموضوعات، ومدى صعوبتها من جهة، ولتحديد وسائل دقيقة لقياس كفاءة الطالب وقدرته، ومن الوسائل الموجودة: (درجة الطالب في المقررات، تقويم أساتذته له، مرحلته العلمية ماجستير أو دكتوراه).

المطلب الخامس: الجانب المنهجي

طرحت في استبانة البحث ثلاث إجابات هي:

(١) الإطالة فيما لا يهم القارئ، وبلغ عدد الذين اختاروا هذه الإجابة (٢٥) مشاركاً، أي: (٥٠ %).

والحشو والإطالة أمر توسم به كثير من الرسائل العلمية، ولذا تشترط كثير من دور النشر تهذيب واختصار الرسائل العلمية قبل طباعتها، ومن مظاهر ذلك:

أ) الإطالة في مقدمات ودراسات واستطرادات وقضايا جانبية ليست من صلب الموضوع، وإنما هي تمهيد لما يراد دراسته، ولو قارنت بين العنوان وبين مضمون الرسالة العلمية لوجدت أن ما يطابق العنوان مما هو موضوع البحث حقيقة لا يجاوز ٥٠ %.

والحقيقة أن القسم العلمي يكون له دور في هذه المشكلة، لأن الطالب يخشى من عدم قبول موضوعه، فيزيد مباحث كثيرة في خطته ليست من صلب البحث ليكون أدعى لقبول موضوعه.

ب) تعدد النقول المتشابهة على مسألة واحدة، والنقل المطول لكلام العلماء والباحثين دون الاقتصار على موضع الشاهد، والوسائل الالكترونية تساعد على هذا، ولا سيما إذا كان حجم الرسالة له أثر في تقييم البحث.

ج) التوسع في تراجم الرواة والأعلام بما لا يحتاجه القارئ أو الباحث، فإن الترجمة ليست مقصود لذاتها، بل تكون للراوي لمعرفة درجة حديثه، وحينئذ يقتصر على ما يحقق الغرض من ذلك إلا إذا كانت الدراسة في علل الحديث واختلاف الرواة، وكذا الحال في تراجم الأعلام، فإن المقصود تعريف القارئ بمنزلته ومرتبته العلمية ليطمئن إلى ما نقل عنه من رأي أو تصرف، ومع تيسر الوصول للكتب في عصرنا ينبغي أن يقتصر على أقل المقصود من ذلك، ويكتفى بالإحالة للمصادر.

(٢) نظرة الأقسام للرسائل بأنها تدريب للباحث أو وسيلة لقياس كفاءته دون النظر لخدمتها للمجتمع، وبلغ عدد الذين اختاروا هذه الإجابة (٣٠) مشاركاً، أي: (٦٠ %).

وهذا له أثر كبير في اختلال المنهج البحثي، فهناك كثير من الأمور التي تضاف لخطة الطالب ليتبين جهده، وقدرته على البحث، مع اقتناع أساتذة القسم بأنها ليست ذات جدوى كبيرة للقارئ.

وربما يرجع ذلك لقضية مثار نقاش وجدل بين المختصين: ما المخرج الأساس للنظام الأكاديمي؟ هل هو باحث؟ أو بحث ؟ هل هو تأهيل الباحث، أو نفع المجتمع ببحثه؟

نعم، إذا تيسر تحقيق الأمرين معاً فهو المطلوب، لكنه غير متيسر في كثير من الموضوعات إلا بإخلال في أحد الجانبين، فيتقدم الطالب أحياناً بمشروع علمي نافع جداً إلا أن مصادره متوفرة، والعمل فيه يسير، وخطة العمل فيه سهلة، فيتوقف القسم في قبول الموضوع، ويتسائل: ما هو عمل الطالب الذي يستحق عليه الدرجة؟ وبعكس ذلك: يتقدم الطالب بموضوع في أحاديث غرائب مثلاً، العمل فيه شاق، وتتبع المصادر يتطلب وقتاً كبيراً، ينتج عنه تأهيل متميز

للباحث في التخريج ومعرفة المصادر ونقد المتن وغير ذلك، إلا أن القسم يتسائل: ما جدوى البحث بالنسبة للقارئ في أحاديث غالبها منكر وموضوع؟

إن هذه القضية تستحق المناقشة لتحديد الأولويات في أهداف الرسائل العلمية، وأضاف المشاركون أسباباً أخرى:

(٣) ضعف التأصيل المنهجي في العلوم الشرعية، بمعنى: أن أكثر المناهج البحثية المدونة إنما هي اجترار لمناهج بحثية غربية، ولم تبذل جهود كافية في جانب التأصيل المنهجي المستقى من تراثنا وعلومنا، وتخصص السنة وعلومها ينبغي أن يكون هو المنطلق لتأصيل القواعد المنهجية في تحقيق التراث، فإن في كتب مصطلح الحديث مباحث مطولة لطريقة أهل العلم في كتابة الحديث والتعليق عليه وتصحيحه وغير ذلك، فينبغي أن يتصدى المتخصصون في السنة لتأليف كتاب شامل في مناهج تحقيق التراث.

(٤) تعطيل إبداعات وقدرات الطالب من قبل بعض الأقسام العلمية، وعدم تفهم رأيه في أمور حساسة في الموضوع.

(٥) عناية بعض الأقسام أو الأساتذة بحجم الموضوع لا بجودته، وحينئذ يُثقل على الطالب بدراسة مسائل كثيرة تؤثر على تحريره للمسائل وإتقانها على الوجه المطلوب.

(٦) الاعتماد على السرد والجمع دون التحليل والتلخيص.

وإذا كان تحليل المعلومات دون سردها معيار من معايير جودة البحث عموماً، فهو في ضوء المعطيات المعاصرة من أهم ما ينبغي إلزام الباحثين به، فالوصول إلى المعلومة صار أسهل من أي وقت مضى لتوفر الفهارس المتنوعة، وبرامج الحاسب، والإنترنت، وجمع المعلومات في بعض الموضوعات صارت تقوم به بعض برامج الكمبيوتر في ثوانٍ معدودة، وظهرت برامج حاسوبية يدفع إليها النص فتقوم بتوثيق النصوص فيه، ومن ذلك عزو الأحاديث إلى مصادرها.

فتغير النمط البحثي لدى الطلاب يلزم منه تغيير طرق التوجيه البحثي، وطرق التقويم والمناقشة أيضاً، كما أنه لا بد من وجود معايير للمصادر الالكترونية التي يمكن الاعتماد عليها كمصادر مرجعية.

المطلب السادس: ضعف دور الإشراف والمناقشة

تقدم أن من أهم من ميزات الرسائل العلمية وجود مشرف علمي متخصص، ثم مناقشين أو أكثر لفحص الرسالة وتقويمها، ويصح ذلك إذا تم تفعيل دور الإشراف والمناقشة بالشكل المطلوب، لكن المشكلة أنه يكون في بعض الأحيان شكلياً أو قريباً من ذلك.

فمن أهم عوائق الإشراف الجيد التي طرحها المشاركون ما يأتي:

عدد تحديد مهام المشرف نحو الرسالة العلمية بدقة.

فبعض المشرفين يكتفي بأن الطالب يتقدم في إعداد رسالته دون التدقيق في المادة العلمية التي قدمها الطالب، وآخرون وهم أقل يقرؤون كل صغيرة وكبيرة، ويلزمون الطالب بما يرونه، بحيث يكون البحث يمثل آراء المشرف لا الطالب، وبين ذلك مراتب كثيرة للمشرفين.

وحينئذ لا بد من تحديد واجبات المشرف، ليتم تفعيل أثره على الرسالة، ومن أهم واجبات المشرف: التأكد من التزام الطالب بخطة البحث، وتحقيقه لأهدافه ونتائجه، مع إرشاد الطالب وتوجيهه فيما يشكل عليه.

قيام المشرف بالإشراف على عدد كبير من الرسائل العلمية.

وظهر هذا الأمر بوضوح في الفترة الأخيرة نتيجة للتوسع في برامج الدراسات العليا، وازدياد الحاجة لأعداد أكبر من المشرفين.

وبالرغم من وجود أنظمة تقنن عملية الإشراف في الجامعة الواحدة[1]، إلا أن الواقع يشهد بأن المشرف يُحتاج إليه في الإشراف في برامج أخرى موازية، أو في جامعات أخرى، وكثرة عدد الطلاب تؤثر في جودة الإشراف، والوقت والجهد المبذول لهم في التوجيه والتقويم.

-كثرة الأعباء التدريسية والوظيفية على الأستاذ المشرف.

وهذا مثل الذي قبله التأثير في جودة الإشراف الحالي، وعلى مستوى الأستاذ على المدى البعيد سواء كان في الجانب العلمي أو الجانب البحثي.

وذكر أحد المشاركين في استبانة البحث (أن بعض الأساتذة منشغل عن متابعة البحوث والطروحات الجديدة في التخصص، وآخرين منشغلون بأمور وظيفية أو حياتية فهم بعيدون عن جو البحث العلمي)، ولذا لا بد أن تقوم المؤسسات الأكاديمية بما يكفي لضمان استمرار الأساتذة في كتابة الأبحاث العلمية، وذلك عن طريق إضافته إلى تقويم الأداء الوظيفي، وزيادة الدعم المالي المخصص للبحوث، وتحفيز الأساتذة النشطين في مجال البحث ونحو ذلك.

ومن عوائق تفعيل دور المناقشة الجيدة للرسائل العلمية:

-عدم تحديد مهام المناقش بدقة.

-كثرة عدد الرسائل المسندة للمناقش.

-كثرة الأعباء والمهام التي تشغل المناقش.

وتقدم الكلام على هذه الثلاثة عند الكلام على عوائق الإشراف.

-نظام المناقشة والإجازة للرسالة غير عملي، ويتأثر أحياناً بالمجاملة الشخصية أو بالضغط الاجتماعي وخوف الخروج عن المألوف.

ولذا طرح أحد المشاركين حلاً بأن يتم الاستفادة من نظام تحكيم بحوث الأساتذة (بحوث الترقية) بشكل جزئي، وذلك نحو جعل جزء من الدرجة لمناقش لا يعلن اسمه.

-عدم وجود نظام محاسبي أو تحفيزي لمساءلة المناقش المقصر، ومكافئة المناقش المتميز، وهذا يدفع بعض الأساتذة إلى التساهل في المناقشة، ومناقشة عدد كبير من الرسائل في مدة وجيزة لا تتيح له الفحص المناسب للرسالة.

ومن جهة أخرى: فإن تكافؤ الطالب المتميز في بحثه وغيره غالباً في نيل الدرجة العلمية وإن اختلف التقدير، يدفع كثيراً من الباحثين للاستعجال في إنهاء العمل، للحصول على الدرجة العلمية، ليستفيد منها وظيفياً، وينتقل للمرحلة التالية، وهذا بلا شك يؤثر في جودة البحث وإتقانه.

---

(١) تنص لائحة الدراسات العليا في الجامعات السعودية على أن الحد الأعلى للمشرف : أربعة طلاب، وتجوز إضافة خامس بموافقة مجلس الدراسات العليا.

المطلب السابع: جانب النشر والتداول

أشارت الاستبانة في هذا الجانب إلى ثلاثة أسباب:

(١) الاحتفاظ بها في الأقسام والكليات وعدم طباعتها، وبلغ عدد الذين اختاروا هذه الإجابة (٣٠) مشاركاً، أي: (٦٠%).

وهذا أمر ظاهر، فنسبة ما طبع من الرسائل إلى عددها الإجمالي لا تزال ضعيفة، وقمت بدراسة إحصائية على الرسائل العلمية المناقشة في كلية الحديث الشريف لمعرفة نسبة المطبوع منها، واعتمدت في تحديد المطبوع على الخبرة الذاتية، ومعاجم الكتب المطبوعة[١]، ودليل إصدارات عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية، وكانت النتيجة كالآتي:

النوع	العدد	النسبة
عدد الرسائل المناقشة	٣١٠	-
عدد الرسائل التي طبعتها الجامعة	٢١	٦,٨ %
عدد الرسائل التي طبعت في دور النشر (خارج الجامعة).	٧٦	٢٤,٥ %
المجموع	٩٧	٣١,٣ %

فالثلثان من الرسائل غير مطبوع تقريباً، وقمت بالنظر فيما لم يطبع من الرسائل لتحديد أسباب عدم الطباعة، فوجدت أن من أهم الأسباب الخاصة برسائل الكلية: أن كثيراً من هذه الرسائل أعدت قديماً، قبل انتشار دور النشر، ومؤسسات الطباعة، ومنها: وفاة بعض الباحثين، أو انتقالهم إلى بلدانهم وإنشغالهم بأمور دعوية أو إدارية[٢]، ومنها: ظهور ما يغني عنها، كأن تكون الرسالة في تحقيق مخطوط ما، ثم تقوم إحدى دور النشر بتحقيق المخطوط ونشره قبل أن يشرع في إخراج رسالته العلمية، ومن الأسباب أيضاً: عدم قناعة الباحث بصلاحية بحثه للنشر في صورته الحالية، وربما أحياناً عدم اقتناعه بجودة بحثه، وأشار إلى هذا الأخير اثنان من المشاركين في استبانة البحث.

(٢) ضعف توزيعها وقصور آلية نشرها، وبلغ عدد الذين اختاروا هذه الإجابة (٢٤) مشاركاً، أي: (٤٨%).

فكثير من الرسائل العلمية طبعتها الجامعات، وتولت توزيعها ونشرها وإهدائها، إلا أنها لا تصل إلا للمنتسبين للجامعة، أو ذوي العلاقة بها، دون سائر المهتمين بالسنة وبحوثها، كما أن بعض الرسائل العلمية تباع بثمن مرتفع، وهذا يحد ولا شك من نشرها وتداولها، كما أن بعض الباحثين يصطدم بجشع بعض دور النشر المشهورة، فيلجأ في طباعة رسالته إلى دور نشر مغمورة لا تقوم بتوزيع الكتاب بشكل جيد.

ومن الأمور الجيدة في حل هذه المشكلة: ما تبنته بعض الجامعات من التعاقد مع دور نشر ذات سمعة جيدة لتقوم بطباعة الرسائل العلمية وتوزيعها وبيعها والمشاركة بها في معارض الكتاب مع التزام الدار بتزويد الجامعة بنسخ كافية للاحتفاظ بها في مكتبات الجامعة وإهدائها لمن تراه الجامعة.

---

(١) نحو دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة القديمة والحديثة لمحيي الدين عطية، وصلاح الدين حفي، ومحمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم . بيروت، وتكملته، وهي : المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف لمحمد خير رمضان يوسف، نشر مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٣ هـ.

(٢) ينتمي طلاب الكلية إلى أكثر من (١٠٠) دولة، وينتمي طلاب الدراسات العليا إلى أكثر من (٣٥) دولة.

(٣) ضخامة حجمها ولاسيما في المشروعات العلمية التي تتضمن أكثر من رسالة، وبلغ عدد الذين اختاروا هذه الإجابة (٢٢) مشاركاً، أي: (٤٤ %).

والناظر في الرسائل العلمية المطبوعة لا يجد فيها من المشاريع المشتركة إلا شيئاً لا يكاد يذكر، ومن عوائق طباعة المشاريع التي تتضمن أكثر من رسالة:

أ) حاجتها للتنسيق، والتهذيب، وحذف المكرر بين الرسائل، وهذا يصعب القيام به من عدة باحثين لاختلاف وجهات النظر عادة، ولا سيما مع غياب جهة تتولى ذلك.

ب) التكلفة العالية للطباعة، وهذا يجعل دور النشر تتردد أو تحجم عن طباعة الكتاب، وقد لمست هذا في طباعة رسالتي الماجستير التي كانت جزءاً من تحقيق شرح العراقي للترمذي.

وفي هذه المشروعات العلمية الكبيرة لابد من رعاية الجامعة لطباعة الكتاب والتزامها بذلك، بدءاً من وضع الخطة المناسبة للطباعة عند الموافقة على الموضوع، ثم العمل على طباعة الكتاب بعد الانتهاء من مناقشة الرسائل بتشكيل لجنة أو فريق لتنسيقه وإعداده للطباعة.

وأضاف المشاركون أسباباً أخرى:

(٤) التزام الباحث أو المؤسسة العلمية إما بنشر الرسالة كاملة أو عدم نشرها.

والحقيقة أنه توجد أحياناً فصول مهمة هي لب الرسالة وثمرتها، وأما فصول الرسالة أخرى فهي كالمقدمات لها، أو ربما وجدت بحوث مطبوعة تغطي جوانب من الرسالة، وبقيت جوانب أخرى فما المانع من طباعة بعض الفصول ونشرها مستقلة؟ ولا سيما أنه قد لا يتيسر طباعة الرسالة العلمية بكاملها أحياناً، كما أشار بعض المشاركين إلى أهمية وجود ملخصات مناسبة منشورة للرسائل العلمية.

وعلى الرغم من وجود بعض الملخصات إلا أنها أحياناً لا تفي بالمقصود منها، ولا تشتمل إلا على الخطة التي كتبها الباحث قبل الشروع في بحثه، والواجب أن يتضمن الملخص أهم الإضافات العلمية في البحث، وأهم نتائجه، كما أن هناك جهوداً كبيرة في الرسائل العلمية في تخريج الأحاديث، والتراجم وغير ذلك يمكن العمل على تيسير الإفادة منها ولو لم تطبع الرسائل كاملة، كما أنه يمكن عقد لقاء أو ندوة دورية للباحثين لعرض ملخصات رسائلهم العلمية التي قاموا بها، ويحضرها المهتمون بالسنة من الأكاديميين وغيرهم، ولا مانع أن تدعى لها بعض دور النشر.

والمقصود في هذا كله: محاولة إيصال هذه الجهود الكبيرة للمجتمع، وتيسير الاستفادة منها، ولا يلزم أن يكون ذلك فقط عن طريق طباعة الرسائل كاملة.

المطلب الثامن: ندرة الدراسات التقويمية

أشار أحد المشاركين في استبانة البحث إلى ندرة الدراسات التقويمية للكتب والمناهج المنتشرة بشكل عام مع وجود مفاهيم خاطئة فيها أو ناقصة، وهذه إشارة مهمة، لأن أول خطوة للتحسين والتطوير، بل والمحافظة على المكتسبات، هو التقويم والمحاسبة، لمعرفة جوانب الضعف والقوة، فيتم تلافي جوانب الضعف، والمحافظة على جوانب القوة وتطويرها، ومن الممكن أن تشمل الدراسات التقويمية ما يأتي:

(١)واقع البحث العلمي في السنة النبوية، وهذا البحث يخدم جزءاً من هذه القضية.

(٢)مناهج البحث العلمي في السنة النبوية، وهذا من أهم ما ينبغي العناية به، لما تقدم من أن كثيراً من كتب مناهج البحث العلمي مستفادة من علوم أخرى، بل ومن ثقافات أخرى، ولا بد أن تكون لنا المناهج الخاصة التي تخدم أهدافنا، وتليق بعلومنا، وعلم السنة النبوية يتميز بخصيصة لا توجد في العلوم الأخرى، بل هي سمة لأهل الإسلام، وهذه الميزة: هي الإسناد المتصل.

(٣)الكتب المتداولة المشتملة على الأخطاء، فيكون تقويمها في ضوء السنة.

(٤)المفاهيم والمناهج الجديدة في الحكم على نصوص الوحي أو في فهمها.

الخاتمة

١) تفعيل التعاون بين الأقسام العلمية المختصة بالسنة النبوية، وذلك في اختيار الموضوعات، أو في تداول الرسائل بينها ولو بشكل الكتروني، وذلك بشكل دوري كما يتضمن التبادل المستمر لبيانات الرسائل العلمية والبحوث المحكمة وأسماء المحكمين وقوائم النشر.

٢) إيجاد مرجعية توثيقية واحدة للموضوعات المطروقة في السنة النبوية، يتم تحديثها أولاً بأول، ليتم تجنب الازدواجية، والتكرار، والتضارب بين المشروعات العلمية.

٣) التعاون مع التخصصات الأخرى للوصول للموضوعات التي تحتاج إلى بحث في ضوء السنة النبوية.

٤) إيجاد مركز لرصد الحركة العلمية في السنة النبوية واحتياجاتها وما يثار في الساحة المرئية والمسموعة والمكتوبة تجاهها، ويكون من أولويات هذا المركز أو الجمعية: وضع استراتيجيات وخطط معلنة وواضحة للبحث العلمي في السنة النبوية، تحدد فيها أهم الموضوعات التي ينبغي المبادرة للبحث فيها، ليتم تحقيق أهداف مرتبة حسب أولويتها في خدمة السنة، ويمكن أن يقوم المركز بطرح عناوين موضوعات ومشروعات مقترحة بشكل دوري من خلال ما تقدم، ومن خلال التنسيق مع الأقسام ذات العناية بالسنة وموضوعاتها، ويمكن أن يتم ذلك بتفعيل دور الجمعيات العلمية وفروعها في السنة النبوية، وللجمعية العلمية السعودية للسنة النبوية مشروع لدليل الرسائل الجامعية في السنة النبوية، إلا أنه لم يتم، ويمكن مراجعته عن طريق موقع الجمعية.

٥) وجود ملخصات مناسبة للرسائل العلمية تمكن جميع شرائح المجتمع من الاستفادة من أهم نتائج هذه الرسائل، كما ينبغي النظر في طريقة طباعتها لتتناسب مع التطورات في مجال النشر المعاصر، ويمكن إضافة الصور والرسوم التوضيحية للمصطلحات والمواقع، ويمكن أن تطبع على صورة كتيبات صغيرة (مثال الأحاديث الواردة في فضائل المدينة).

٦) إلزام الباحث بتقديم خلاصة بحثه أو رسالته العلمية في ندوة أو محاضرة أو درس لعامة الناس بصورة تتناسب مع المخاطبين ومستوياتهم، ويمكن أن يمنح جزء من درجة التقييم على قيام الباحث بهذا.

٧) أن يكون من مهام مناقش الرسالة العلمية التأكد من صلاحيتها للنشر بهذه الصورة، بحيث لا يمنح الباحث الدرجة العلمية حتى يستوفي شروط النشر، وتضع المؤسسة التعليمية آلية للنشر بحيث يتم دعوة ممثلين لدور النشر لحضور المناقشة، ويتم توقيع عقد الطباعة بعد تعديل الطالب لملحوظات المناقشة.

٨) العمل على ضبط المنهج العلمي في الرسائل العلمية بدقة، ولا مانع من التفصيل في ذلك، ويتم التأكيد على التزام الباحث به، وعدم قبول الرسالة عند الإخلال بذلك.

٩) العمل على إيجاد حلول عملية لنشر المشروعات المشتركة لعدد من الباحثين، والتي تكون ذات حجم كبير، وذلك من خلال وجود مؤسسات رسمية أو خيرية تعنى بنشرها، تكفل الجامعات بالطباعة، تفعيل النشر الالكتروني (pdf مثلاً على موقع المؤسسة العلمية، ويمكن وضع بعض القيود على الاستفادة منها لحماية حقوق الباحث).

١٠) تشجيع البحوث المتميزة، عن طريق التكريم المعنوي، والنشر، والمكافآت المالية، وهذا يدفع الباحثين للعمل على التميز والإبداع في بحوثهم.

١١) عقد ندوات وحلقات نقاش مشتركة حول الرسائل العلمية وموضوعاتها ومناهجها ونشرها، في القسم الواحد، وبين الأقسام العلمية المعتنية بالسنة في الجامعات، يتم فيها مناقشة هذا الموضوع، والخروج برؤى وحلول عملية.

١٢) تفعيل الدور الإعلامي، ويلاحظ ندرة البرامج الإعلامية في السنة التي تحظى بمتابعة كبيرة.

١٣) العناية بجدة الموضوعات العلمية، وأن يكون تحقيق المخطوطات مقتصراً على ما لم يطبع أصلاً، وله إضافة علمية، أو كان من أصول كتب السنة التي طبعت ولم تحظ بالعناية التي تستحقها.

١٤) قيام الأقسام العلمية بوضع رؤى وأهداف استراتيجية للموضوعات العلمية، مما يسهل عليها قياس تقدمها في تحقيق أهدافها.

١٥) إعادة النظر في دور الأقسام العلمية تجاه موضوعات الرسائل العلمية، إذ أن الواقع الحالي –في غالب الحال– يقتصر على قبول أو رفض الموضوع الذي يقدمه الطالب، والواجب أن تقوم الأقسام بدراسة الثغرات والنواقص في جانب خدمة السنة، وتحدد الأطر العامة للموضوعات في كل فترة زمنية، ويترك للطالب اختيار موضوعه التفصيلي في هذا الأطر العامة دون إلزامه بموضوع تفصيلي معين لأن ذلك يتنافى مع تشجيع الابتكار والإبداع .

١٦) إيجاد ملتقى علمي تفاعلي الكتروني يجمع المختصين في السنة النبوية، سواء كانوا أكاديمين أم لا، وتناقش فيه القضايا المتعلقة بالسنة، ويكون ذلك في ظل جمعية أو رابطة للمختصين بالسنة النبوية.

١٧) التركيز على جانب خدمة النص المحقق دون الإطالة في التعليقات، وذلك في تحقيق كتب التراث.

١٨) إعادة النظر في دور المشرف وآلية المناقشة على البحث، بحيث يتم تفعيل دوره في ضبط منهجية البحث، وتحقيق البحث لأهدافه، ويدفع التساهل الحاصل بإجازة كثير من الرسائل التي لم تلتزم بخطتها.

١٩) العمل على تنوع اهتمامات أعضاء هيئة التدريس في القسم ليتم من خلاله إثراء موضوعات البحث، وتوسعها، وعدم اقتصارها على إتجاه واحد.

٢٠) إعادة النظر في منهجية البحث العلمي في ضوء التطورات التقنية، وتغير النمط البحثي للطلاب.

٢١) التركيز على تحليل المعلومة ودراستها ومناقشتها، وعدم الاكتفاء بالجمع الذي صار متيسراً عبر مواقع الإنترنت والبرامج الحاسوبية.

٢٢) تنويع التخصصات الفرعية للسنة ليتم إثراء موضوعات السنة من خلالها.

٢٣) دراسة الواقع الحالي للرسائل العلمية في القسم أو الجهة المختصة من خلال لجنة يختار لها نخبة متميزة، تعمل على تعيين جوانب القوة والضعف فيها سواء كانت في جانب الموضوعات أو المنهج أو النشر أو غير ذلك، وتحديد الفرص التي يمكن استثمارها والتحديات التي ينبغي تجاوزها.

٢٤) العناية بالموضوعات التي لها مساس مباشر بالنوازل المعاصرة.

٢٥) اعتماد نتائج هذه الدراسات في المقررات الدراسية يسهم في تحقيق أثر هذه الرسائل من جهة، وتحفيز الباحثين على التميز من جهة أخرى.

٢٦) أهمية إيجاد طرق مبتكرة لخدمة السنة بما يتناسب مع الواقع المعاصر حيث تغيرت وسائل حصول الناس على المعلومات فلا بد من تحديد هذه الوسائل ثم النظر في كيفية خدمة السنة باستخدامها.

٢٧) نشر ثقافة الجودة في البحث العلمي لدى الباحثين والمشرفين والمناقشين.

٢٨) العمل على إصدار نشرة دورية لمتابعة الجديد في التخصص على مستوى البحوث والكتب والندوات والمؤتمرات والبرامج، ورصد ما يثار حول السنة.

المنطلقات الفكرية لدراسات المستشرقين
في علم الحديث

د. فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني

أستاذ مشارك في الحديث وعلومه

باحث بكرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة

كلية التربية بجامعة الملك سعود

السعودية

fbeyanouni@hotmail.com

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ورضي الله عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن التعرف على مرتكزات المستشرقين في دراسة علم الحديث الشريف، وأعني بذلك مجموع المناهج والأفكار الرئيسة التي اعتمد عليها المستشرقون وانطلقوا منها في دراسة علم الحديث، يعد من القضايا المهمة والمقدمات الرئيسة التي تعطي تصوراً عاماً عن جهود المستشرقين في علم الحديث، وتعين على فهم موقفهم منه، وتفسير كثير من شبهاتهم حوله، ولذا يحسن الاهتمام بتلك المرتكزات قبل الدخول في تفصيلات شبهات المستشرقين حول الحديث، فهي تمثل مدخلا عاما لموضوع "الاستشراق وعلم الحديث".

وإذا كانت مرتكزات المستشرقين في دراسة العلوم الإسلامية عامة تتشابه في بعض جوانبها، فدراسة المستشرقين لكل علم من تلك العلوم لها مرتكزات خاصة، يجدر بالباحثين تخصيصها بالدراسة والبحث، وقد سبق للباحث إعداد بحث متخصص بتجلية المرتكزات المنهجية في دراسات المستشرقين لعلم الحديث، التي انحرفت بهم عن جادة البحث العلمي الموضوعي في أبحاثهم حول السنة النبوية[1]، واستكمالا لهذا الموضوع، ستعمل هذه الدراسة على تجلية المنطلقات الفكرية التي تمثل قاسما مشتركا لدراسات المستشرقين في علم الحديث الشريف، وذلك بهدف تكوين صورة كلية عامة حول دراساتهم في هذا الموضوع، وتتمثل تلك المنطلقات في جملة من الشبهات العامة والأفكار الخاطئة التي أثارها أوائل المستشرقين المهتمين بدراسة علم الحديث، حتى أصبحت تلك الشبهات والأفكار أمراً مقرراً في أذهان كثير من المستشرقين المعاصرين، ومنطلقاً رئيساً ومشتركاً تُبنى عليه معظم دراساتهم حول هذا العلم، دون التفكير في مراجعتها، والتأكد من مصداقيتها.

وتشتمل هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وستة مطالب وخاتمة، تتحدث المقدمة عن أهمية الموضوع وسبب اختياره، ويعرف التمهيد بالاستشراق ونشأته، ثم تعرض الدراسة للمنطلقات الفكرية الرئيسة لدراسات المستشرقين في علم الحديث، في ستة مطالب، وهي:

المطلب الأول: التصور الخاطئ عن الرسول صلى الله عليه وسلم والدين الذي جاء به.

المطلب الثاني: إنكار كون الحديث مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي في صدر الإسلام.

المطلب الثالث: دعوى افتقار عملية رواية الأحاديث في صدر الإسلام إلى المنهج العلمي.

المطلب الرابع: شبهة تأخر ظهور منهج نقد الروايات.

المطلب الخامس: دعوى اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث.

المطلب السادس: عدم الثقة برواة الحديث من الصحابة والتابعين.

---

[1] تم نشر هذا البحث بعنوان: "مرتكزات المستشرقين في دراسة علم الحديث والسنة النبوية"، في مجلة "التجديد"، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور، ماليزيا، العدد العشرون، السنة العاشرة، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ، ص٩٥-١٢٨.

أما الخاتمة فتتناول أهم نتائج البحث وتوصياته.

تمهيد

نشأة الاستشراق وعلاقته بعلم الحديث[١].

الاستشراق حركة فكرية ثقافية يقودها عدد من مثقفي الغرب المعتنين بالدراسات العربية والإسلامية والشرقية بشكل عام، والمستشرقون هم الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية[٢]، ويُعرف قاموس أكسفورد المستشرق (Orientalist) بأنه: "من تبحَّر في لغات الشرق وآدابه"[٣].

وتعود نشأة الاستشراق رسمياً إلى عام ٧١٢هـ-١٣١٢م، حيث قرر المجلس الكنسي في فيينا تأسيس كراسي جامعية لدراسة اللغات الشرقية، وبخاصة اللغة العربية والعبرية والسريانية، وذلك في الجامعات الأوروبية الرئيسة، وقد صدر هذا القرار بناء على اقتراح قدّمه المستشرق المشهور "ريموند لول" (١٢٣٥-١٣١٦م) الذي كان يحث النصارى على تعلم اللغة العربية، وذلك بهدف تنصير المسلمين، الأمر الذي يؤكد لنا الصلة الوثيقة بين الاستشراق والتنصير[٤]، والجدير بالذكر أن كثيراً من المستشرقين المهتمين بالدراسات الإسلامية هم في الأصل من رجال الدين اليهودي أو النصراني.

ويرى بعض الباحثين تعميم تعريف الاستشراق ليشمل غير المسلمين من العرب وغيرهم الذين اهتموا بدراسة علوم المسلمين وحضارتهم ومعتقداتهم وعاداتهم[٥]، فيعرّفون الاستشراق بأنه: "مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة"[٦].

هذا عن الاستشراق الرسمي، أما الاستشراق غير الرسمي فيمكن أن يؤرخ له بتاريخ الفتوحات الإسلامية التي دقت أبواب أوروبا ووصلت إلى الأندلس في القرن الثامن الميلادي (أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري)، تلك المنطقة التي أصبحت بدخول المسلمين إليها مركزا من المراكز الثقافية المتميزة على مستوى العالم أجمع، فكثرت فيها

---

[١] هذا التمهيد مقتبس من مقال "مرتكزات المستشرقين في دراسة علم الحديث والسنة النبوية"، للباحث، مجلة التجديد، العدد العشرون، ص٩٧-١١٠.

[٢] إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، (دار الإرشاد، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م)، ص٥.

[٣] الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، (معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٢)، ص١٧. وانظر تفصيلا حول معنى كلمة مستشرق في المرجع نفسه، ص١٥-١٧.

[٤] انظر الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور محمود حمدي زقزوق، (كتاب الأمة، قطر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٨ وما بعدها. وكتاب: *Orientalism*, by Said W. Edward New York, Vintage Books, 1979, pp. 49f.

[٥] انظر مقال: "كنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف"، د. علي بن إبراهيم النملة، دراسات استشراقية وحضارية، (مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، العدد الأول، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٢٧.

[٦] هذا تعريف الأستاذ عدنان محمد وزان، في كتابه "الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر"، (سلسلة دعوة الحق رقم:٢٤، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، نقلا عن المرجع السابق، للدكتور علي النملة، ص٢٨.

الجامعات ودور العلم، وبدأ أبناء الغرب يتوافدون إليها عن طريق البعثات العلمية إلى مدارس الأندلس، لينهلوا من معين العلم والمعرفة ويزيحوا عن أنفسهم ظلمات الجهل والتخلف، وقد رجع كثير من المبتعثين متأثرين بالثقافة الإسلامية، وداعين إليها.

ويرى بعض الباحثين أن هذه الحقبة هي التاريخ الحقيقي لبداية حركة الاستشراق، وأن ما كان قبل هذه الفترة يعد من قبيل الإرهاص والمقدمات لها، وما أتى بعدها يعد من قبيل تعميق الفكرة والتوسع فيها[١].

وقد تناولت حركة الاستشراق العلوم الإسلامية بمختلف أنواعها، ولعل من أبرزها: القرآن الكريم، والحديث الشريف، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، والعقيدة الإسلامية، والفقه الإسلامي، والتصوف، واللغة العربية. أما في العصر الحديث، فقد توزعت تخصصات الاستشراق حسب الأديان والثقافات والحضارات التي يشتمل عليها، أو حسب المناطق الجغرافية التي يهتم بها، فهناك المتخصصون في الدراسات العربية والإسلامية، أو الدراسات الهندوسية من جهة، وهناك المتخصصون أو الخبراء بشؤون جنوب غرب آسيا، أو الشرق الأوسط...من جهة أخرى، فغاية ما في الأمر –حسب رأي المستشرق الإسباني فرانسيسكو غابرييلي– أن الاستشراق الذي كان يعد في البداية علماً واحداً سرعان ما انقسم إلى فروع وتخصصات مستقلة بعضها عن بعض، ومتعلقة بمختلف الحضارات الخاصة بالشرق الإفريقي–الآسيوي، فالجمعيات الاستشراقية ما تزال قائمة[٢].

وهذا يؤكد استمرار حركة الاستشراق ومناهجها، وتطورها وعدم اضمحلالها وتوقفها، كما يشهد على تحول اهتماماتها وأولوياتها بما يتناسب مع المتطلبات والاحتياجات المعاصرة للمؤسسات التي يعمل فيها أبناء هذه الحركة، والدول التي يعيشون في أكنافها. فاختفاء هذا المصطلح أو ندرة استخدامه، وظهور الأقسام والتخصصات الجديدة، كقسم الدراسات الشرق أوسطية، أو الشرق الأدنى، أو غير ذلك، لا يعني بالضرورة توقفَ هذه الحركة أو نهايتَها، وإنما هو نتيجة تطور طبيعي لمجال معرفي كان محصورا في عدد محدد من المتخصصين في دراسة الشرق عامة والعالم العربي والإسلامي خاصة[٣]، وهذه الأقسام والتخصصات هي الصورة الحديثة لما كان يعرف سابقا بالاستشراق، وإن تسمت بأسماء أخرى[٤].

وقد اعتنى المستشرقون في القرنين الأخيرين –الرابع عشر والخامس عشر الهجري/التاسع عشر والعشرين الميلادي[٥]– بدراسة الحديث الشريف وعلومه عناية كبيرة، وخصوه بكثير من أبحاثهم ودراساتهم، فلا يخفى عليهم –وهم الدارسون لثقافة الشرق وعلومه– أهمية الحديث الشريف عند المسلمين، فهو ثاني المصادر التشريعية الرئيسة، ويشكل مع القرآن الكريم المصدر التشريعي الرئيس للدين الإسلامي، وقد جاء اهتمام المستشرقين بالحديث الشريف متأخرا نوعا ما، وذلك بعد أن شغلوا فترة بالدراسات اللغوية والتاريخية، ومن أشهر المستشرقين المهتمين بالدراسات

[١] انظر مقال "كنه الاستشراق"، للدكتور علي النملة، ص٣٩.

[٢] مثل الجمعية الاستشراقية الألمانية، والجمعية الآسيوية الملكية الإنجليزية، والجمعية الآسيوية الفرنسية.

[٣] انظر مقال "هل انتهى الاستشرق حقا؟"، للدكتور المطبقاني، ص٢٩١.

[٤] انظر المرجع السابق، ص٢٨٧، ٣٠٢.

[٥] بداية القرن الرابع عشر الهجري هو عام ١٣٠١هـ، الذي يبدأ في ١٨٨٣/١١/٢م.

الحديثية في القرنين الأخيرين: شبرنجر (١٨١٣-١٨٩٣م)[1]، وجولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م)[2]، وفنسنك (١٨٨٢-١٩٣٩م)[3]، وجوزيف شاخت (١٩٠٢-١٩٦٩م)[4]، وجيمس روبسون (١٨٩٠-١٩٨١م)[5].

وقد خلصت دراسات المستشرقين في علم الحديث إلى مجموعة من الأفكار الرئيسة التي تمثل قاسما مشتركا فيما بينها، وأساسا عاما تبنى عليه دراسات المستشرقين لهذا العلم على اختلاف مدارسهم، وهو ما أطلقت عليه في هذا البحث: "المنطلقات الفكرية"، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن وجهات نظر الباحثين قد تختلف في تحديد

---

[1] شبرنجر "Aloys Sprenger" مستشرق نمساوي الأصل بريطاني الجنسية. أرسلته شركة الهند الشرقية إلى الهند طبيبا (١٨٤٢م)، وولته الحكومة رئاسة الكلية الإسلامية في دلهي، ثم مدرسة كلكتا. عُين أستاذا للغات الشرقية في جامعتي برن، وسويسرا. نشر كتاب إرشاد القاصد لابن الأكفاني (١٨٤٩م)، والإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني (١٨٥٦-١٨٧٣م),. ومن آثاره: أصول الطب العربي على عهد الخلفاء، واصطلاحات الصوفية. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٢٧٧-٢٧٨.

[2] إجناس جولدتسيهر "Goldzihr" مستشرق يهودي مجري. يعد أستاذ المستشرقين ورائدهم في مجال الدراسات الإسلامية، ومن أشهر مؤلفاته كتاب "دراسات محمدية"، و"العقيدة والشريعة في الإسلام"، و"مذاهب التفسير الإسلامي". رحل إلى سوريا وجالس الشيخ طاهر الجزائري مدة، ثم رحل إلى فلسطين ومصر. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣/٤٠-٤٢. يقول الدكتور السباعي في حديثه عن تشكيك المستشرقين بالسنة: "ولعل أشد المستشرقين خطرا، وأوسعهم باعا، وأكثرهم خبثا وإفسادا في هذا الميدان هو المستشرق اليهودي المجري جولدتسيهر". السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الدكتور مصطفى السباعي، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص١٨٩.

[3] فنسنك "A. J. Wensinck" (١٨٨٢-١٩٣٩م) مستشرق هولندي، حصل على الدكتوراه برسالة عنوانها: "موقف الرسول من يهود المدينة". أتقن اللغات السامية، وخلف سنوك هرجرونيه في كرسي العربية حتى وفاته. سعى إلى وضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، بالتعاون مع لفيف من المستشرقين، وقد باشروا العمل في هذا المعجم سنة ١٩٢٣م، ونشر في سبعة مجلدات في ليدن (١٩٣٦-١٩٦٩م). انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٣١٩-٣٢٠؛ والإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، للندوي، ص١٤.

[4] جوزيف شاخت "Joseph Schacht " مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي، عمل محاضرا في الدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد وليدن والجزائر وغيرها، وانتخب عضوا في مجامع وجمعيات عديدة، منها المجمع العربي بدمشق. يعد خليفة المستشرق جولدتسيهر في مجال الدراسات الإسلامية، وقد كان لآرائه أثر كبير في كتابات من جاء بعده من المستشرقين، له آثار كثيرة ومتنوعة، من أشهرها كتابه نشأة الفقه الإسلامي. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٢/٤٦٩-٤٧١؛ موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي، ص٢٥٢.

[5] جيمس روبسون (١٨٩٠-١٩٨١م) مستشرق بريطاني من مدينة جلاسكو في بريطانيا، كتب عددا من المقالات في مجال علم الحديث في دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الثانية، وفي عدد من الدوريات العلمية المتخصصة في الدراسات العربية والإسلامية. شغل منصب نائب كرسي الدراسات العبرية في جامعة جلاسكو (١٩١٥-١٩١٦م)، وعين بعد ذلك محاضرا للغة العربية في جامعة جلاسكو (١٩٢٨-١٩٤٨م). حصل على الدكتوراه من كلية الثالوث في جامعة جلاسجو، ومنح درجة الدكتوراه الفخرية في الإلهيات من جامعة سينت أندروز. شغل منصب رئيس كرسي الدراسات العربية في جامعة مانشستر (١٩٤٩-١٩٥٨م)، وكان عضوا في الجمعية الاستشراقية في جامعة جلاسكو (١٩٢٢-١٩٧٤م)، وكذلك في الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا (١٩٣٣-١٩٧٩م)، كما كان عضوا في هيئة تحرير مجلة العالم الإسلامي، المتخصصة في الدراسات الإسلامية (١٩٤٧-١٩٨٠م). انظر:
"*Who's Who*", an annual biographical dictionary, London, A&C Black Publisher Ltd., 1981; "*Who Was Who*", vol. viii, (1981-1990), London, A&C Black Publisher Ltd., 1991; "*The Writers Directory*" (1974-76), London, St. James Press; New York, St. Martin's Press, 1973.

المنطلقات الفكرية لدراسات المستشرقين في علم الحديث الشريف بين موسِّع ومضيِّق، ولكني أميل إلى عدم التوسع في ذلك، والاقتصار على الأفكار الرئيسة التي تعد سبباً في نشأة كثير من شبهات المستشرقين في علم الحديث، ويمكن أن ترد إليها معظم شبهاتهم، وفيما يلي عرض مفصل لتلك المنطلقات:

المطلب الأول: التصور الخاطئ عن الرسول صلى الله عليه وسلم والدين الذي جاء به.

ينطلق المستشرقون في دراستهم لعلم الحديث الشريف من تصور خاطئ عن الدين الإسلامي ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، تكون خلال القرون الوسطى على يد زمرة من متقدمي المستشرقين، الذين صوَّروا الرسول صلى الله عليه وسلم كاردينالا منشقا عن البابوية طمع في كرسيها، فلما خابت آماله ادعى النبوة، كما وصفوه بكونه ساحراً ودجالاً وأنه كان صلى الله عليه وسلم أكولاً، ونؤوماً، إلى غير ذلك من الأوصاف الشنيعة التي يربأ القلم عن سردها، كما صوروا الإسلام بأنه فرقة منشقة عن الكنيسة، ومزيج مشوه مستقى من أصول مسيحية ويهودية، تلقاها الرسول صلى الله عليه وسلم من أساتذته أحبار اليهود ورهبان النصارى[١].

وقد رد المستشرقون -نتيجة لانطلاقهم من هذا التصور المشوه عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم- كثيرا مما جاء في الأحاديث الشريفة من الأصول والتشريعات الإسلامية إلى أصول يهودية، ومسيحية، ووثنية، وغنوصية شرقية، وفارسية زرادشتية[٢]، وذلك اعتمادا على منهج ظاهري أساسه التماس الأشباه والنظائر بين الإسلام وبين الأديان والمذاهب الأخرى، فإذا وجدوا فيما جاء به الإسلام شبهاً ولو بعيداً بما جاء في تلك الأديان والمذاهب، بادروا إلى القول بأنها هي الأصل الذي اقتبس منه الإسلام هذه الفكرة أو تلك.

وهذه ظاهرة عامة تطبع دراسات المستشرقين في علم الحديث خاصة، والعلوم الإسلامية الأخرى عامة، يقول الأستاذ جواد علي: "إن معظم المستشرقين النصارى هم من طبقة رجال الدين أو المتخرجين من كليات اللاهوت، وهم عندما يتطرقون إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام يحاولون جهد إمكانهم ردها إلى أصل نصراني، وطائفة المستشرقين من يهود...يجهدون أنفسهم لرد كل ما هو إسلامي وعربي لأصل يهودي، وكلتا الطائفتين في هذا الباب تبع لسلطان العواطف والأهواء"[٣].

فالمستشرق جولدتسيهر يرى أن الإسلام عبارة عن مجموعة أفكار تم صهرها في بوتقة واحدة، فيقول: "تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية

---

[١] انظر المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٦-١٧؛ ومقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، د. عماد الدين خليل، ص١١٢-١١٤، ١٢٨، ١٤٠؛ ومقال "المستشرقون والإسلام"، للأستاذ أنور الجندي، ص٩٢؛ ومقال المستشرق مكسيم رودنسون "الصورة الغربية للإسلام وتطورها عبر القرون" في كتاب تراث الإسلام، شاخت وبوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري وآخرون (سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط٢، ١٩٨٨م)، ٢/٢٧-١٠٠. وانظر: *Western View of Islam in the Middle ages*, by R. W. Southern, pp. 24-25, 30, 31, 38, 74, 81, 94.

[٢] انظر المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص ٥-٦، ١٨-١٩.

[٣] تاريخ العرب في الإسلام، جواد علي، (مطبعة الزعيم، بغداد، ١٩٦١م)، ١/٩، نقلا عن مقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، ص١١٧. وقارن مع مقال "جوينبول" حول الحديث، في دائرة المعارف الإسلامية، النسخة المترجمة إلى العربية، (دار الشعب، القاهرة، ١٩٣٣م)، ١٣/٣٩٠-٣٩١.

والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرا عميقا"[1]، وقد مثَّل لذلك بأمثلة متعددة منها الأحاديث المتعلقة بظهور المهدي، والتي يردها إلى عناصر يهودية أو مسيحية[2]، كما يدعي أن هذا التأثر يمثل سمة عامة للإسلام في جميع مراحل تطوره، فيقول: "إن نمو الإسلام مصطبغ نوعا بالأفكار والآراء الهلينستية، ونظامه الفقهي الدقيق يشعر بأثر القانون الروماني، ونظامه السياسي كما تكوّن في عصر الخلفاء العباسيين يدل على عمل الأفكار والنظريات الفارسية، وتصوفه ليس إلا تمثيلاً لتيارات الآراء الهندية والأفلاطونية الجديدة الفلسفية"[3].

أما المستشرق تور أندريه فيصرح قائلا: "لا شك أن الأصول الكبرى للإسلام مستقاة من الديانتين اليهودية والمسيحية، وهذه حقيقة لا يحتاج إثباتها إلى جهد كبير"[4]، ويشاركه في هذا الاعتقاد المستشرق أندرسون فيقول: "ليس من شك في أن محمدا اقتبس أفكاره من مصادر التلمود وكتب الأساطير اليهودية والمصادر المسيحية"[5].

ويطبق المستشرقون قاعدة التأثر في جميع موضوعات الحديث الشريف، ومن الأمثلة على ذلك الأحاديث التي تتحدث عن المعجزات النبوية، فالعقل الغربي –على حد قولهم– يصعب عليه الاعتقاد بأصالة هذا النوع من الأحاديث وأنها قد صدرت عن النبي حقا[6].، ويرى جولدتسيهر وجليوم[7] وروبسون أن هذا النوع من الأحاديث إنما هو من اختراع المسلمين، حيث أرادوا به أن ينسبوا إلى رسولهم مثل ما ينسب إلى عيسى وغيره من الرسل من خوارق العادات، "فلقد ساد توجه عام عند المسلمين يدعوهم إلى رسم صورة لمحمد لا تقل شأنا عن الصورة النصرانية لعيسى"[8].

---

[1] العقيدة والشريعة في الإسلام، إجناس جولتسيهر، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون،(دار الكاتب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٤٦م)، ص٥-٦.

[2] انظر المرجع السابق، ص١٩٤-١٩٥. وانظر رد جولدتسيهر لحديث (خلق الله آدم على صورته) إلى سفر التكوين، ٢٧/١، ص١١٢.

[3] انظر المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص ٥-٦.

[4] *Mohammed, the Man and His Faith*, by Tor. Andrae, London, 2nd ed., 1956. نقلا عن المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٢٣.

[5] *The World Religion*, by J.N.D. Anderson, London, 1950, pp. 7-8, 54, 56, 58, 59. نقلا عن المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٢٤. وقد اقتبس المؤلف عدة نصوص عن المستشرق بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية، وعن المستشرق ترتون (A.S. Tritton) في كتابه (*Islam: Belief and Practice*, London, 1957, pp. 18-19)، يبين فيها بعض المسائل التي يعتقد المستشرقون أن الرسول صلى الله عليه وسلم اقتبسها من اليهودية والنصرانية، ثم ناقشها ورد عليها وبين زيفها. انظر ص٢٤-٢٧.

[6] See *The Encyclopaedia of Islam*, vol. 3, P. 26.

[7] ألفرد جليوم "Alferd Guillaume" (١٨٨٨م-١٩٦٢م). مستشرق إنجليزي تخرج في جامعة أكسفورد، وعمل في فرنسا ومصر، وكان أستاذ اللغة العربية في معهد الدراسات العربية والإفريقية في جامعة لندن، وانتخب عضوا في المجمع العلمي العربي في دمشق،عام ١٩٤٩م، وفي بغداد، عام ١٩٥٠م. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١١٧/٢-١١٨؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٤٨-٤٩.

[8] *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), by Ignaz Goldziher, translated from the German by C.R. Barber and S.M. Stern, (George Allen & Unwin Ltd., London, 1971), vol. 2, p. 346. Cf. *The Tradition of Islam*, by Alfred Guillaume, (Oxford, 1924), pp. 135f; "The material of Tradition I", by James Robson, (*The Muslim World*. Hartford, 41, 1951, pp. 166-80), p. 174.

وكذلك الأحاديث المتعلقة باليوم الآخر والجنة والنار، والمواعظ، فهي أحاديث تم اقتباسها مما جاء في الكتب السماوية السابقة، يصرح المستشرق جولدتسيهر بذلك قائلا: "ما كان يبشر به –خاصاً بالدار الأخرى– ليس إلا مجموعة مواد استقاها بصراحة من الخارج يقينا، وأقام عليها هذا التبشير، لقد أفاد من تاريخ العهد القديم –وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء– ليُذكِّر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سَخِروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم، ووقفوا في طريقهم"[١].

وهكذا صرفت تلك الصورة المشوهة للرسول صلى الله عليه وسلم والدين الذي جاء به كثيراً من المستشرقين عن فهم حقيقة الإسلام وحقيقة رسوله عليه الصلاة والسلام، وقد حاول بعض المستشرقين تصحيح بعض جوانب هذه الصورة، ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى التصور الصحيح عن الإسلام ورسوله، وأنه دين سماوي أوحى الله تعالى به إلى نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وغاية ما توصلوا إليه أن جعلوا النبي صلى الله عليه وسلم في درجة المصلحين والعظماء، فالمستشرق غوستاف لوبون يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: "وإذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم، كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ"[٢]، ويقول وليم موير في كتابه حياة محمد: "ولم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ الناس وأحيى الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد"[٣].

وعلى الرغم من جهود بعض المستشرقين في تصحيح الصورة المشوهة التي أملاها الحقد المقيت والجهل الكبير، والعمل على التخلص من آثارها، والتحلي بالموضوعية، لكن تلك الحركة كانت محدودة النتائج ولم تتمكن من تحقيق هدفها، وهكذا أضحت ملامح تلك الصورة المشوهة حقائق مسلمة يتلقاها كثير من المستشرقين دون بحث أو نظر، وصعب على كثير منهم التخلي عنها، وتجاوز آثارها في دراساتهم حول الإسلام عامة، وحول علم الحديث خاصة. وأكتفي هنا بشهادة ثلاثة من المستشرقين:

الشهادة الأولى للمستشرق هاملتون جب[٤]، الذي يقول: "ولقد قامت في صفوفهم في السنوات الأخيرة محاولة إيجابية تحاول النفاذ بصدق وإخلاص إلى أعماق الفكر الديني للمسلمين، بدل السطحية الفاضحة التي صبغت دراساتهم السابقة، ولكن ورغم ذلك فإن التأثر بالأحكام التي صدرت مسبقاً على الإسلام والتي اتخذت صورة (تقليد منهجي) في الغرب لا يزال قوياً في بحوثهم، ولا يمكن إغفاله في أية دراسة لهم عن الإسلام"[٥].

---

[١] العقيدة والشريعة، لجولدتسيهر، ص٩.

[٢] حضارة العرب، غوستاف لوبون، (الترجمة العربية، ط٣، ١٩٦٥م)، ص١١٦.

[٣] انظر هذه الاقتباسات وغيرها في كتاب المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٨-٩.

[٤] هاملتون جب "Hamilton Gibb" (١٨٩٥-١٩٧١م). مستشرق إنجليزي ولد في الإسكندرية في مصر، وهو من أعلام المستشرقين في القرن العشرين. عُين عضوا في المجمع العلمي بدمشق، وفي المجمع اللغوي في القاهرة، وتولى تدريس اللغة العربية في في جامعة لندن (١٩٣٠-١٩٣٧م)، وفي جامعة أكسفورد (١٩٣٧-١٩٥٥م) خلفا للمستشرق مرجليوث، ثم في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الأمريكية حيث توفي، وله آثار عديدة ومتنوعة. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١٢٩/٢-١٣١؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٥١-٥٢.

[٥] *Mohammedanism*, by H. R. Gibb, Oxford, the Preface.

والشهادة الثانية، فعلى لسان المستشرق نورمان دانيال[١] الذي يصرح بقوله: "رغم المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها المعاصرون في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين من الإسلام، فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا كليا عنها، كما قد يتوهمون"[٢].

أما الشهادة الثالثة، فهي للمستشرق مونتجمري واط[٣]، حيث يقول: "منذ القرن الثاني عشر جد الباحثون من أجل تقويم الصورة المشوهة التي تولدت في أوروبا للإسلام، ولكن ورغم الجهد العلمي المبذول فإن آثار الموقف المجافي للحقيقة والتي ولدتها كتابات القرون الوسطى في أوروبا لا زالت قائمة، فالبحوث والدراسات الموضوعية لم تقدر على اجتثاثها كليا"[٤]، وهذا اعتراف صريح من أحد كبار المستشرقين المعاصرين على تأثير الصورة المشوهة للإسلام ورسوله في دراسات المستشرقين المعاصرين.

المطلب الثاني: إنكار كون الحديث مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي في صدر الإسلام.

يرى بعض المستشرقين أن السنة لم تكن مصدرا للتشريع في صدر الإسلام، وإنما اضطر المسلمون إلى اعتمادها مصدراً تشريعياً في وقت متأخر، وذلك بعد انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، وتجدد المشكلات وتنوعها، حيث احتاج المسلمون إلى مصدر تشريعي إضافي، فلم يعد القرآن الكريم يفي بمتطلباتهم، ونتيجة لذلك تم —في زعمهم– إضفاء صفة الوحي على السنة النبوية، واعتمادها مصدراً رئيساً للتشريع الإسلامي. ويؤرخ بعض المستشرقين لذلك بعصر الإمام الشافعي رحمه الله تعالى (١٥٠-٢٠٤هـ)، الذي دعم القول بحجية السنة، وناقش من ينكر حجيتها ورد حججهم ودحض شبهاتهم[٥].

وقد أدى إنكار المستشرقين لكون السنة مصدراً للتشريع في صدر الإسلام، إلى زعمهم بأن الأحاديث كانت تُروى في ذلك العصر لمجرد التسلية وملء أوقات الفراغ والتأثير في المسلمين الجدد، واستجابة لرغبة الناس في

نقلا عن المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٤-٥.

[١] نورمان دانيال "Norman Daniel". مستشرق بريطاني ولد عام ١٩١٩م، ودرس في جامعة أكسفورد، وحصل على الدكتوراه من جامعة إدنبره. ثم عمل في المجلس الثقافي البريطاني في كل من بغداد وبيروت والسودان والقاهرة. ومن آثاره الإسلام والغرب، ١٩٥٨م، العرب وأوروبا القرون الوسطى، ١٩٧٥م. يهتم بتغيير صورة الإسلام التي كانت سائدة في أوروبا القرون الوسطى، ويسعى إلى تحقيق الحوار والتفاهم بين النصارى والمسلمين. انظر الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٥٨.

[٢] *Islam and the West: the making of an image*, by Norman Daniel, p.1.
نقلا عن المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٥.

[٣] مونتجمري واط "Montgomery Watt". مستشرق إنجليزي، ولد في إسكوتلاندة عام ١٩٠٩م، ودرس في جامعة إدنبرة وأكسفورد. عُين عميدا لقسم الدراسات العربية في جامعة إدنبرة، ومن أشهر كتبه: محمد في مكة، ومحمد في المدينة، محمد نبي ورجل دولة. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١٣٢/٢؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٥٣-٥٤.

[٤] *Muhammad, Prophet and Statesman*, by W. M. Watt, (Oxford Univ. Press, London, 1961), p.3.
نقلا عن المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، ص٥.

[٥] See *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*, by Joseph Schacht, p. 40. Cf. "Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, p. 84.

التعرف على شخصية هذا الرجل العظيم[1]، ولذلك لم تكن هناك حاجة لدراستها ونقد ما جاء فيها، وتمحيص رواتها.

كما أدى إنكارهم لأهمية السنة إلى إثارة الشبهات حول بداية تدوين السنة، فشكك "جولدتسيهر" بما ثبت من كتابات في عهده صلى الله عليه وسلم وفي عهد الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين، وذهب المستشرق "موير"[2] إلى قبول خبر الزهري بأنه أول من دون الحديث، بينما يرى المستشرق "جليوم" كون هذا الخبر مختلقاً، أما المستشرق "شبرنجر"[3] فيميل إلى وجود كتابة الحديث منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك نتيجة اكتشافه لكتاب "تقييد العلم" للخطيب البغدادي، سنة ١٨٥٥م[4].

وفيما ذهب إليه المستشرقون من نزع صفة التشريع عن السنة في صدر الإسلام تجاهل لنصوص الكتاب والسنة التي تأمر المسلمين بطاعة الرسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والتي جعلت طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة لله عز وجل، ومعصيته معصية له سبحانه[5]. فقد اعتمد المسلمون الأوائل، من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان، السنة مصدراً رئيساً من مصادر التشريع، ويشهد لذلك الآثار المروية عنهم، وتطبيقهم العملي لذلك على المستويين العام والخاص، الرسمي وغير الرسمي، أما ما ذكر عن جهود الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في دعم حجية السنة، ومناقشة منكريها، فقد كان ذلك بسبب ظهور بعض الطوائف التي لم تكن موجودة في صدر الإسلام، كالمعتزلة ونحوهم، ولم يكن بهدف إقناع المسلمين اعتماد السنة النبوية مصدرا رئيسا من مصادر التشريع، فإن المسلمين بمختلف مذاهبهم وطوائفهم إلى عهد الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، لم ينكروا حجية السنة إذا ما ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الخلاف بينهم كان حول الطرق التي تثبت بها السنة[6].

المطلب الثالث: دعوى افتقار عملية رواية الأحاديث في صدر الإسلام إلى المنهج العلمي.

---

[1] See "Tradition, the second foundation of Islam", by James Robson, (*The Muslim World*, Hartford, 41, 1951, 22-32), pp. 23-25; "Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, p. 86.

[2] وليم موير "William Muir" (١٨١٩-١٩٠٢م) مستشرق إنجليزي، درَس الحقوق في جامعتي جلاسجو وإدنبره، ودرَّس في جامعة إدنبره، كما عُين رئيسا لها. ومن آثاره سيرة النبي، والتاريخ الإسلامي، ومصادر الإسلام، ونشأة الخلافة وانحطاطها وانهيارها. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٥٩/٢؛ والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، ص٣٩-٤٠.

[3] سبقت ترجمته

[4] انظر عرضا لآراء المستشرقين حول تدوين السنة في دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د. محمد مصطفى الأعظمي، ٧٢/١ وما بعدها؛ والمستشرقون والحديث النبوي، الدكتور محمد بهاء الدين، ص٦٦ وما بعدها.

[5] قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء: ٨٠). فالسنة المطهرة، في مجمل أحكامها وتشريعاتها -من حيث وجوب العمل بها- بمنزلة كتاب الله تعالى، واتباعها أمر من الله عز وجل وتكليف، قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧).

[6] انظر مناقشة تفصيلية لادعاء المستشرقين تأخر اعتماد السنة مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي، في كتاب للباحث بعنوان:

- *The Noble Hadith In the early days of Islam: a critical study of a western approac*h, by Fathiddin Beyanouni, Research Center, International Islamic University Malaysia, 2005.

يزعم كثير من المستشرقين أن عملية الرواية في القرن الهجري الأول لم يكن لها أي ضابط تسير في إطاره، بل كانت تمضي حرة دون أي قيد أو شرط، الأمر الذي أدى –في زعمهم– إلى الزيادة في الروايات والمبالغة فيها، بل إلى اختلاق القصص والأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإضافة معلومات وحوادثَ غير واقعية إليها، وذلك من أجل إثارة إعجاب المسلمين الجدد بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحثهم على التمسك بالدين الذي جاء به[١].

ويرى المستشرق جيمس روبسون أن عدم التنظيم والفوضى في عملية الرواية في صدر الإسلام، أدى إلى وضع الكثير من الروايات وانتشارها في المجتمع، وقد استلزم هذا الواقع إيجاد ضوابط تنظم عملية الرواية وتحكم على نتائجها، وتضع حدا لحركة الوضع والاختلاق التي صبغت رواية الحديث[٢].

ولعل من أبرز الشبهات الناتجة عن هذه الدعوى ما يأتي:

١ – اتهام الرواة عامة باختلاق الأحاديث. حيث يدعي عامة المستشرقين أن رواة الحديث لم يجدوا حرجا في إضافة أي قول إلى النبي صلى الله عليه وسلم، إذا ما رأوا مصلحة في ذلك.

فالمستشرق "جيمس روبسون" يصور واقع عملية الرواية في صدر الإسلام بقوله: "إن ما حصل بالفعل هو أن مجموعة من المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي اعتنوا بدراسة الأحاديث، بل واختلاقها، ولكن هذا الاختلاق كان لأهداف حسنة غالبا"[٣]. ويؤكد أن هذا الواقع ينطبق على جميع طوائف المسلمين، فقد أصبح اختلاق الأحاديث من الممارسات العامة، وذلك من أجل دعم وجهات نظر الطوائف المختلفة، يستوي في ذلك المسلمون الصالحون وغيرهم[٤].

ويؤكد المستشرق "جوينبول" اتهام الرواة بوضع الحديث، فيقول: "وبعد وفاة محمد لم تستطع الآراء والمعاملات الأصلية التي سادت في الرعيل الأول أن تثبت على حالها من غير تغير، فقد حل عهد للتطور جديد...فاستباح الرواة لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل، ونسبوها إلى النبي، لكي تتفق وآراء العصر"[٥].

٢– شبهاتهم حول الإسناد وتأخر نشأته، حيث يذهب "كايتاني" إلى أن الإسناد لم يكن معروفا في القرن الهجري الأول، وإنما بدأ استخدامه بين زمن عروة بن الزبير المتوفى سنة٩٤هـ، ومحمد بن إسحاق المتوفى سنة١٥١هـ، وبناء على ذلك يزعم بعض المستشرقين أن الجزء الأكبر من الأسانيد الموجودة في كتب الحديث إنما هو من وضع المحدثين

---

[1] Robson, "Muslim Tradition: The question of authenticity", p. 86.

[٢] انظر مقدمة روبسون لكتاب مشكاة المصابيح الذي قام بترجمته إلى اللغة الإنجليزية، ص٦–٧. وانظر:

- "Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, p. 88.
- "Standards applied by Muslim traditionists", by James Robson, (*Bulletin of the John Ryland Library*, Manchester, 43, 2, 1961, pp. 459-79), p. 459.

[3] Robson, "Tradition: investigation and classification", (*The Muslim World*. Hartford. 41, 1951, pp. 98-112), p. 98.

[4] See Robson "Non-Resistance in Islam", (*Transactions of the Glasgow University Oriental Society. Glasgow*, 9, 1938/39, pp. 2-11.), p. 3; cf. Robson "Tradition: investigation and classification", p. 99.

[٥] مقال "حديث"، "جوينبول"، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ١٣/٣٩٠.

في نهاية القرن الثاني أو في بداية القرن الثالث الهجري[١]، وذهب المستشرق "شاخت" إلى أن الأسانيد بدأت بشكل بدائي، ونمت وتطورت على يد الأحزاب المختلفة بطريقة عشوائية، ووصلت إلى الكمال في عصر أصحاب الكتب الستة، في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، "ولهذا فمن الصعب علينا أن نشارك علماء المسلمين في ثقتهم بالأسانيد...فبعض الأسانيد التي يثق بها المحدثون، هي في الواقع نتيجةٌ للانتشار الواسع للوضع في الجيل السابق للإمام مالك"[٢]، أما "هورفيتز" فيرى أن استعمال الإسناد بدأ في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري[٣]، ويميل "روبسون" إلى القول بأن البدايات الأولى للإسناد يمكن إرجاعها إلى منتصف القرن الهجري الأول[٤].

والمستشرقون في زعمهم عدم وجود منهج لرواية الأحاديث في القرن الهجري الأول يتجاهلون تعاليم القرآن والسنة وما حوته من أصول وآداب للرواية ونقل الأخبار عامة[٥]، والأمر عند نقل سنة المصطفى عليه الصلاة الصلاة والسلام أكثر خطورة وأشد، لأن في ذلك تبليغاً عن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، كما أن في زعمهم هذا تجاهلا لواقع عملية الرواية في ذلك العصر، وما أثر عن الجيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان، الذين تربوا على منهج القرآن والسنة في تحمل الروايات وأدائها، وطبقوا هذا المنهج وأفادوا منه في عملية رواية الأحاديث، وحفظها سالمة من الزيادة والنقص والتحريف والاختلاق[٦].

المطلب الرابع: شبهة تأخر ظهور منهج نقد الروايات.

إن مسألة نشأة علوم الحديث عامة ومنهج النقد عند المحدثين خاصة، وما يشتملا عليه من ضوابط تضبط عملية الرواية وقواعد لدراسة المرويات ونقدها، تمثل أحد النقاط الرئيسة التي توقف عندها الكتاب الغربيون على وجه الخصوص. فبينما يعتقد علماء المسلمين بوجود منهج دقيق لدراسة الروايات ونقدها منذ صدر الإسلام، وأن علم أصول الحديث الشريف نشأ مع ظهور الحاجة إليه وتطور بتطورها، يرى كتاب الغرب أن الأمر لم يكن كما يصوره علماء المسلمين، فهم يزعمون أن علم أصول الحديث المشتمل على مبادئ النقد وقواعده لم يبدأ في

[1] See "The *Isnād* in Muslim Tradition", by James Robson, (*Transactions of the Glasgow University Oriental Society*. Glasgow. 15, 1953-54, 15-26), p. 18.

[2] *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*, by Joseph Schacht, (the Clarendon Press, Oxford, 1950), p. 163.

[3] See "The *Isnād* in Muslim Tradition", by Robson, p. 19.

[٤] المرجع السابق، ص٢١. انظر مناقشة لآراء المستشرقين حول نشأة الإسناد في دراسات في الحديث النبوي، للدكتور الأعظمي، ٣٩٣/٢ وما بعدها؛ والمستشرقون والحديث النبوي، للدكتور محمد بهاء الدين، ص٩٤ وما بعدها.

[٥] للباحث دراسة بعنوان "ضوابط الرواية في ضوء القرآن الكريم"، تثبت وجود أصول وضوابط دقيقة لعملية الرواية تحفظها من الخطأ والتحريف، وترد على دعوى المستشرقين بشكل غير مباشر. مجلة "معالم القرآن والسنة"، جامعة العلوم الإسلامية، ماليزيا، السنة الأولى، العدد الأول، ٢٠٠٥م، ص١٦٩-٢٠٩.

[٦] انظر مناقشة تفصيلية لادعاء المستشرقين افتقار عملية الرواية في صدر الإسلام إلى المنهج العملي، في كتاب للباحث بعنوان:

- *Methodology of Learning and Evaluating Hadīth in the First Century of Islam*, by Fathiddin Beyanouni, Research Center, International Islamic University Malaysia, 200٦, pp. 2-11, 25-32, 53-70.

الظهور إلا في وقت متأخر، بعد أن اختلط الصحيح بالسقيم، والأصيل بالدخيل، بل بعدما غلبت سمة الوضع على الروايات الحديثية، بحيث لم يعد ممكنا التمييز بين الصحيح والموضوع[١].

ويؤرخ المستشرق روبسون لنشأة هذه القواعد والضوابط بقوله: ومع بداية القرن الهجري الثاني ظهر نظام صارم للحكم على الروايات بناء على نقد أسانيدها، وحذر علماء الحديث من الرواة غير الثقات، إلا أن هذا النظام كان في مراحله الأولى آنذاك، وبحاجة إلى التطوير والترتيب[٢].

ومن نتائج ما ذهب إليه المستشرقون من تأخر ظهور منهج نقد الروايات ما يأتي:

١ -زعمهم عدم قدرة قواعد علم الحديث على التمييز بين الصحيح والموضوع من الروايات، وذلك بسبب الانتشار الواسع للروايات الموضوعة قبل ظهوره، الأمر الذي يجعل التعرف على الأحاديث الصحيحة شبه مستحيل، فالمستشرق جوزيف شاخت يصرِّح بعدم كفاءة منهج النقد عند المحدثين بقوله: إن من المسلَّم به بشكل عام أن منهج نقد الروايات الذي يمارسه علماء المسلمين غير واف، ومع أن كثيراً من الأحاديث الموضوعة قد تم التخلص منها بواسطته، فإن كتب الحديث المعترف بها تحوي عددا كبيرا من الأحاديث التي لا يمكن أن تكون صحيحة[٣]. ويتحدث المستشرق جيمس روبسون عن مدى فاعلية قواعد علوم الحديث وقدرتها على التمييز بين الروايات، فيقول: إن هذا النظام النقدي الصارم ظهر بعد فوات الأوان، فقد تم وضع الكثير من الروايات، كما تم نشر تلك الروايات المختلقة عن طريق تزويدها بأسانيد موثوقة، لا يمكن الشك فيها[٤].

٢ -تشبيههم علم أصول الحديث ونقد الروايات -والذي كان من أروع ما ابتكره المسلمون في مجال الدراسات النقدية- بواجهة فخمة تزين مبنى غير مستقر الدعائم والأصول، فالمستشرق روبسون يصرح بأن علم مصطلح الحديث، بتفاصيله الدقيقة والمتنوعة أشبه ما يكون بواجهة فخمة تزين علم الحديث الذي لم يبن على أسس سليمة وثابتة، كما قد يوحي مظهره العام[٥]. وبهذا يجرد المستشرقون علم أصول الحديث من أهميته، وأثره في الحفاظ على الأحاديث النبوية الشريفة سالمة من أي تحريف أو زيادة أو نقص.

٣ -التشكيك في روايات الحديث عامة. يصرح المستشرق روبسون بشكه في الروايات الحديثية عامة، وندرة الروايات الثابتة منها، فيقول: "إن البحث عن مواد قد تكون أصيلة بين الروايات الحديثية يواجه صعوبة بالغة، فمع أن المرء لا يجرؤ على التصريح بعدم وجود مثل هذه المواد، فإن البحث عنها في هذه الكمية الضخمة من الروايات أشبه بالبحث عن إبرة معدنية في كومة من القش"[٦].

والمستشرقون في زعمهم عدم وجود منهج لدراسة الأحاديث ونقدها في القرن الهجري الأول يتجاهلون تعاليم القرآن والسنة وما أشارت إليه من قواعد لدراسة الروايات ونقدها، فقد حوت نصوص الكتاب والسنة أصول

---

[1] See "Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, p. 98.

[2] See "Tradition, the second foundation of Islam", by James Robson, p. 27; "Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, p. 92; *Mishkat al-Masabih*, Muhammad b. ‘Abd-Allah al-Khatīb al-Tibrīzī, (English translation with explanatory notes, by James Robson.), 4 vols., Lahore, 1963-65, the introduction, by the translator, p. 6.

[3] Schacht, Joseph, The origins of Muhammadan jurisprudence, p. 4.

[4] See "The material of Tradition I", by James Robson, p. 169.

[5] See Robson, “Standards applied by Muslim traditionists”, p. 479.

[6] "Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, p. 98.

منهج نقد الأخبار وقواعده الرئيسة، والتي أفاد منها الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان، كما أفاد منها علماء الحديث بعدهم في دراسة الأحاديث ونقدها، وتشييد بنيان علم أصول الحديث[١].

المطلب الخامس: دعوى اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث.

تعد دعوى اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث أو الاكتفاء بالنقد الخارجي (نقد السند)، وعدم الاهتمام بالنقد الداخلي (نقد المتن)، للحكم على الحديث بالقبول أو الرد، إحدى المنطلقات الرئيسة لدراسات المستشرقين في السنة النبوية، تكاد تتفق عليها كتاباتهم وأبحاثهم حول السنة النبوية. ولعل من أوائل من أظهر دعوى اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث، المستشرق "وليم موير"[٢]، حين تحدث عن نقاد الحديث، فقال: "إنهم كان يكفيهم لصحة الحديث أن يكون رواته عدولا مع اتصال السند إلى الصحابي، ولو كان المضمون يستبعده العقل. إنهم لم يخوضوا غمار النقد بحرية وشمول، بل تمسكوا بتلك القاعدة الوحيدة، فلم يجرؤوا على نقد الحديث بناء على الشهادات الداخلية"[٣].

كما تبنى المستشرق جولد تسيهر هذه الدعوى، وقام بنشرها في مقالاته وكتبه، حيث يقول في معرض حديثه عن منهج نقد الروايات عند المحدثين: "ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم في النقد ليست كوجهات النظر عندنا، التي تجد مجالا كبيرا في النظر في تلك الأحاديث التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها، ووقف حيالها لا يحرك ساكنا"[٤]. ويؤكد ذلك في موضع آخر فيقول: "فالنقدة المسلمون أنفسهم لم يحتاجوا إلى إلى استعمال كثير من الذكاء لكي يستشفوا أساس هذه الاختلافات التي لا تتفق وظروف الزمان الموجودة في تلك الأخبار، أو تلك الحالات التي تستدعي النظر والتفكير، أو تلك التهم الموجهة إلى صحة قسم كبير من الحديث، عند مقارنة هذه الأخبار المختلفة"[٥].

ويوضح تلك الشبهة في كتاب آخر، فيقول: "إن وجهات النظر المعتمدة في النقد الإسلامي للسنة – بغض النظر عن موضوعية بعض الأفراد– لم تكن قادرة على تنقية الأحاديث إلا من بعض الاختلاقات الواضحة جدا، فالنقد الإسلامي يعتمد على عوامل شكلية للحكم على الأحاديث، يتم من خلالها دراسة الأحاديث

---

[١] انظر "معالم نقد الروايات في القرآن الكريم"، للباحث، بحث مقدم لملتقى نقد المتن الحديثي، ٢-٣/١٠/٢٠٠٤م، عمّان، الأردن. وانظر:

- *Methodology of Learning and Evaluating Hadīth in the First Century of Islam*, by Fathiddin Beyanouni, pp. 12-24, 33-41, 71-89.

[٢] وليم موير "W. Muir" مستشرق ومنصر انجليزي (١٨١٩-١٩٠٥)، شديد التعصب للنصرانية. له كتاب "حياة محمد" و"تاريخ الإسلام" في أربعة مجلدات. انظر موسوعة المستشرقين، د. عبدالرحمن بدوي، (دار العلم للملايين. بيروت، ١٩٨٤م)، ص٤٠٤-٤٠٥.

[٣] انظر اهتمام المحدثين بنقد الحديث، للدكتور محمد لقمان السلفي، (د.ن، الرياض، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)، ص٤٧١، نقلا عن "تاريخ تدوين الحديث" للدكتور محمد زبير صديقي ص١٥٩.

[٤] العقيدة والشريعة في الإسلام، ، إجناس جولدتسيهر، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، (دار الكاتب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٤٦م)، ص٤١-٤٢.

[٥] المرجع السابق، ص٤٥.

ونقدها بناء على الشكل الخارجي للحديث. وبناء على ذلك فإن صحة المتن تعتمد على صحة الإسناد، فمتى كان الإسناد -الذي نقلت به فكرة مستحيلة أو متناقضة- ناجحا في اختبار النقد الشكلي، بحيث يقدم سلسلة كاملة من الرواة الموثوقين، مع إمكان لقاء كل منهما بالآخر، فإن الحديث يعد عند ذلك صحيحا، ولا يُسمح لأحد بالقول: أشك في صحة الإسناد لأن متن الحديث يتضمن استحالة منطقية أوتاريخية"[1].

ويقول في موضع آخر من هذا الكتاب: "يقف النقد الإسلامي فاترا أمام المناقضات التاريخية الواضحة، مادام الإسناد صحيحا، والامتياز النبوي لمحمد كان وسيلة للتغلب على مثل هذه المشكلات"[2].

وبما أن النتائج التي توصل إليها هذا المستشرق تعد عند كثير من المستشرقين نتائج حاسمة ونهائية[3]، فقد تناقل هذه الدعوى عدد من المستشرقين بعده، فها هو المستشرق "ليون كايتاني"[4]، يعيد نشر هذه الشبهة، في نهاية الفقرة الخامسة عشرة من المجلد الأول من كتابه "تاريخ الإسلام"[5]، ويعلل انصراف علماء الحديث عن نقد متن الحديث بقوله في الفقرة الثامنة عشرة: "إن علماء الحديث والنقاد المسلمين انتقدوا الأسانيد، واجتنبوا نقد المتن، لأنهم رأوا أن نقد المتن يؤدي بهم إلى نقد الصحابة، وهذا يعني هدم أساسيات الإسلام"[6].

وهكذا انتشرت هذه الدعوى في كتب المستشرقين[7] حتى أضحت منطلقا رئيسا لكتاباتهم في علم الحديث.

والمستشرقون في ادعائهم اقتصار المحدثين على نقد سند الحديث، يتجاهلون الجهود الكبيرة التي بذلها العلماء النقاد، في نقد الروايات الحديثية سندا ومتنا، حيث أعطوا كل جانب من جوانب الحديث —السند والمتن– ما يستحقه من الدراسة والتحقيق. لقد كانت عناية المحدثين بالسند كبيرة جدا، وذلك نظرا لطبيعة الحديث وكونه نوعا من أنواع الوحي، فلا يمكن مقارنته مع غيره من كلام البشر، أو دراسته ونقده من خلال مناهج لا تنسجم مع

---

[1] *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), by Ignaz Goldziher, vol. 2, pp. 140f.

[2] المرجع السابق، ص١٤١.

[3] انظر تاريخ التراث العربي" فؤاد سيزكين. ترجمة: محمود فهمي حجازي. طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ١١٧/١/١.

[4] ليون كايتاني "L. Caetani" مستشرق إيطالي (١٨٦٩-١٩٢٦)، من أشهر المستشرقين في التاريخ الإسلامي، يجيد سبع لغات منها الفارسية والعربية. رحل إلى الهند وإيران ومصر وسوريا ولبنان. انظر المستشرقون، للعقيقي، ١\٤٢٩-٤٣٠.

[5] انظر الكتاب باللغة التركية (*Islam Tarihi*, L.Cetani, Mut.Hueyin Cahid, Istanbul, 1924)، وهو ترجمة لكتابه "الحوليات الإسلامية" باللغة الألمانية، ٨٥/١.

[6] المرجع السابق، ١\٩٢-٩٣. وقد ترجم لي هذه الفقرة الأستاذ الدكتور أحمد سعاد يلدرم.

[7] نحو المستشرق غاستون ويت، انظر السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٢٤٥؛ والمستشرق الأمريكي ألبرت كنت كراج "A. K. Cragg"، انظر دائرة المعارف البريطانية"، (*The new Encyclopedia Britannica*, Chicago, 1768) ٨\٥٢٧؛ والمستشرق كولسون "N .J. Coulson"، في تاريخ التشريع الإسلامي، ترجمة: د. محمد أحمد سراج. (دار العروبة، الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص١٣٥.

طبيعته. ومما يجدر التنبيه إليه أن نقد سند الحديث يتصل اتصالا وثيقا بنقد متن الحديث، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فهما معا يشكلان المنهج المتكامل في نقد الروايات عند المحدثين [1].

ومع ما بذله المحدثون من جهد واسع في دراسة الأسانيد، فإنهم لم يغفلوا دراسة المتن، بل إن الإمام ابن القيم أفرد كتابا مستقلا في بيان القواعد والمقاييس التي يمكن من خلالها الحكم على الحديث من خلال دراسة متنه، ودون النظر إلى إسناده[2]. فلم يكتف المحدثون بالنقد الشكلي للحديث اعتمادا على نقد سنده، بل نبهوا إلى ضرورة التحقق من صحة المتن وإن صح سنده. فمن القواعد المسلَّمة عندهم أن صحة السند شرط من شروط صحة الحديث، ولكنها لا توجب صحته، فقد يصح الإسناد أو يحسن دون المتن بسبب شذوذ أو علة في متنه. يقول الإمام ابن الجوزي في بيان هذه القاعدة: "وقد يكون الإسناد كله ثقات، ويكون الحديث موضوعا، أو مقلوبا، أو قد جرى فيه تدليس، وهذا من أصعب الأمور، ولا يعرف ذلك إلا النقاد"[3].

المطلب السادس: عدم الثقة برواة الحديث من الصحابة والتابعين.

الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان هم الذين نقلوا إلينا سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك لا نعجب إذا رأينا سهام بعض المستشرقين قد توجهت إليهم، وعملت على التشكيك في مصداقيتهم. ويُعد المستشرق "لامانس"[4] مثالا صارخا للمستشرقين الذين اهتموا بتشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان لله عليهم، وقد بين "آتيين دينيه" جنوح "لامانس" وانحرافه في هذا المجال، بدليل أنه إذا تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لم يسلم أحد من غمزاته وطعناته، أما إذا تحدث عن أعداء الإسلام، كأبي جهل وأبي لهب والمنافقين، فإنه يشيد بهم ويمدحهم[5].

وقد كان للصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه من شبهات المستشرقين النصيب الأكبر، ولعل ذلك لكونه أكثر الصحابة رواية، فعملوا على كيل التهم له، والتشكيك فيما رواه من الأحاديث والآثار، يقول المستشرق

---

[1] انظر في مناقشة هذه الشبهة في: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور السباعي، ص٢٦٩-٢٧٩؛ ومنهج النقد في علوم الحديث، للدكتور نور الدين عتر، (دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٤٦٧؛ وعناية المحدثين بمتن الحديث كعنايتهم بسنده، للدكتور محمود طحان؛ ومقاييس نقد متون السنة، للدكتور مسفر الدميني، (الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)؛ واهتمام المحدثين بنقد الحديث، للدكتور محمد لقمان السلفي؛ ومنهج مقارنة الروايات عند المحدثين، للباحث، (رسالة ماجستير، قسم الاستشراق، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٨١-١١٢.

[2] انظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف، للإمام ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، (مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

[3] الموضوعات، للعلامة أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد بن عثمان، (المكتبة السلفية، المدينة المنورة)، ١/٩٩-١٠٠.

[4] هنري لامانس "Henri Lammens" (١٨٦٢-١٩٣٧) مستشرق بلجيكي الأصل فرنسي الجنسية، له مصنفات وافرة، وقد اتسمت مصنفاته بالتحيز وعدم الإنصاف. انظر المستشرقون، للعقيقي، ٣/٢٩٣-٢٩٦.

[5] انظر مقال "المستشرقون والإسلام"، للأستاذ أنور الجندي، ص٩٢؛ ومقال "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، ص١٢٨، ١٤٠.

"جولدتسيهر": "ويظهر أن علمه الواسع بالأحاديث التي كانت تحضره دائما، قد أثار الشك في قلوب الذين أخذوا عنه مباشرة، والذين لم يترددوا في التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر، كل هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبي هريرة موقف الحذر والشك، وقد وصفه "شبرنجر" بأنه المتطرف في الاختلاق ورعاً"[١].

أما في جيل التابعين، فلم يسلم الإمام الزهري كذلك من اتهام المستشرقين له بالوضع، حيث يزعم المستشرق جولدتسيهر أن عبد الملك بن مروان أوكل إليه وضع حديث يشرع فيه الحج إلى بيت المقدس، وذلك خوفا من أخذ عبد الله بن الزبير البيعة من أهل الشام الذين يحجون إلى بيت الحرام في مكة، فوضع له حديث: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى)[٢].

وقد سبقت الإشارة إلى اتهام المستشرق "جوينبول" رواة الحديث عامة بوضع الحديث، حيث يزعم أنهم استباحوا لأنفسهم اختراع أحاديث تتضمن القول أو الفعل ونسبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لكي تتفق وآراء العصر[٣].

وهكذا يتهم المستشرقون الصحابة والتابعين بوضع الحديث، ويعممون هذا الوصف على المجتمع المسلم بشكل عام. وقد أشرت في بحث سابق إلى أن السبب في وصولهم إلى هذه النتيجة، اعتمادهم على خطأ منهجي يتمثل في الاستقراء الناقص وتعميم نتائجه[٤]، فهذا الوصف الذي رمى به المستشرقون الصحابة وعلماء التابعين يصدق على طوائف "الزنادقة"، و"الزهاد"، و"القُصَّاص"، إضافة إلى بعض الجهلة من أتباع الفرق والمذاهب المختلفة، لكنه لا يعكس واقع جهود المحققين من المحدثين وموقفهم من الحديث الشريف، وقيامهم بالحفاظ عليه من الآثار السلبية لتلك الطوائف. وبذلك يتجاهل المستشرقون أبسط قواعد البحث العلمي المنصف ونتائجه، التي تشهد بالأمانة العالية للصحابة وعلماء التابعين، وغيرهم من الرواة الثقات، حيث كان التحري في الرواية وخشية الوقوع في الخطأ، معلما رئيسا من معالم منهج الرواية عندهم.

تلك هي أهم المنطلقات الفكرية لدراسات المستشرقين في علم الحديث الشريف حسب اطلاع الباحث واستقرائه، والتي ينبغي الوقوف عندها ومناقشتها، قبل المضي في دراسة شبهاتهم الجزئية حول هذا العلم، حيث إن

---

[١] مقال "أبو هريرة، لجولدتسيهر، دائرة المعارف الإسلامية، النسخة المترجمة إلى العربية، ٢٦/٢. وانظر مقال "حديث" في الدائرة نفسها، للمستشرق "جوينبول"، ٣٩٣/١٣. وانظر ردا على هذا الاتهام وغيره في تعليق الشيخ أحمد محمد شاكر على مقال "حديث" في دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى العربية، ٤٠٤/١٣–٤٠٥؛ والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور السباعي، ص٣٢٠–٣٧٣؛ ودفاع عن أبي هريرة، لعبد المنعم صالح العلي (دار القلم، بيروت، ١٩٨١م)؛ والمستشرقون والحديث النبوي، للدكتور محمد بهاء الدين، ١٩٧–٢٠٥. وتجدر الإشارة إلى أن دائرة المعارف في طبعتها الجديدة باللغة الإنجليزية قد استبدلت بهذا المقال عن أبي هريرة، مقالا آخر من إعداد المستشرق "جيمس روبسون"، انتقد فيه كاتبه اتهام شبرنجر لهذا الصحابي الجليل بالوضع. انظر:

- *The Encyclopaedia of Islam*, vol. 1, P. 129.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب التهجد، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم: ١١٣٢، ٣٩٨/١؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، واللفظ له، حديث رقم: ١٢٩٧، ١٠١٤/٢.

[٣] انظر مقال "حديث"، "جوينبول"، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ٣٩٠/١٣.

[٤] انظر مقال "مرتكزات المستشرقين في دراسة علم الحديث والسنة النبوية"، للباحث، ص١٢٣–١٢٥.

التمكن من بيان زيف هذه المنطلقات يعمل على تجلية موقفهم من هذا العلم الشريف، ودحض شبهاتهم حوله، وتحصين المسلمين ضد تلك الشبهات.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن تلك الأفكار تمثل منطلقات رئيسة لدراسات عامة المستشرقين في علم الحديث، ولا يلزم من ذلك أن كل باحث غربي في علم الحديث ينطلق منها جميعا، فربما تحرر بعض المستشرقين – لاسيما المعاصرين منهم– من بعضها أو كثير منها. وقد أشرت خلال البحث إلى وجود محاولات جادة من قبل الباحثين الغربيين المعاصرين في التخلص من بعض تلك الآراء، والتخفيف من آثارها السلبية في دراساتهم وأبحاثهم، وأرجو أن تسهم هذه الدراسة في إدراك المسلمين لحقيقة موقف المستشرقين من الحديث الشريف من جهة، وإدراك الباحثين الغربيين المعاصرين لتلك الأفكار المشوهة، وآثارها في دراساتهم حول الحديث الشريف وعلومه، من جهة أخرى.

ولعل حال المستشرقين وأعداء السنة على مر العصور والأيام ينطبق عليه قول الأعشى:

كَناطِحٍ صَخْرةً يوماً ليوهنَها.............فَلم يَضِرهَا وَأَوهَى قَرْنَه الوَعِل

فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم، فقال عز من قائل: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون} (سورة الحجر: ٩)، والسنة مبيِّنة للقرآن ومفسِّرة له، قال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون} (سورة النحل: ٤٤)، ومن مقتضيات حفظ المبيَّن حفظُ بيانه وهو السنة، وهذا يقتضي أن الله عز وجل قد تكفل بحفظ السنة كذلك، فلم يوكل سبحانه وتعالى حفظ مصادر هذا الدين لعزمات البشر واستطاعاتهم، كما فعل بالكتب والديانات السابقة، وإنما أراد لهذا الدين أن يكون خاتم الأديان، وأن يستمر إلى آخر الأزمان، فتكفل بحفظ مصدريه –القرآن والسنة– من الزيادة والنقصان، وهيأ للقيام بحمل هذه الأمانة من كل خلف عدوله، ينفون عن القرآن والسنة تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة: نتائج البحث وتوصياته.

يمكن تلخيص **نتائج البحث** فيما يأتي:

١ –تجلية المنطلقات الفكرية التي بنيت عليها معظم دراسات المستشرقين في علم الحديث، والتأكيد على مجانبتها للحق والصواب، وبيان ما كان لها من أثر واضح في دراسة المستشرقين لعلم الحديث الشريف، حيث أوصلتهم إلى نتائج بعيدة عن الصواب، ولا تنسجم مع طبيعة الحديث الشريف.

٢ –يمثل التصور الخاطئ للنبي صلى الله عليه وسلم والدين الذي جاء به أحد المنطلقات الفكرية الرئيسة التي انحرفت بدراسات المستشرقين في علم الحديث.

٣ –ادعاء المستشرقين تأخر الاعتراف بكون الحديث مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي، يمثل منطلقا فكريا مشتركا لمعظم دراسات المستشرقين في السنة النبوية.

٤ –دعوى افتقار عملية رواية الأحاديث في صدر الإسلام إلى المنهج العلمي، وتأخر ظهور منهج نقد الروايات، واقتصار المحدثين على نقد سند الحديث، تعد من الأفكار الرئيسة التي ترتكز عليها دراسات

المستشرقين للحديث الشريف وعلومه، حيث يبنون عليها موقفهم المتمثل بالشك في جميع روايات الحديث الشريف.

٥ –عدم الثقة برواة الحديث من الصحابة والتابعين، يعد أحد المنطلقات الفكرية المهمة لدراسات المستشرقين في علم الحديث، التي جعلتهم لا يجدون حرجا في اتهام علماء القرون الأولى من الصحابة والتابعين باختلاق الأحاديث لأغراض خاصة أو عامة.

ويوصي البحث بما يأتي:

١ –العناية بتجلية مرتكزات المستشرقين المنهجية، ومنطلقاتهم الفكرية في دراساتهم لمختلف أنواع العلوم الإسلامية، الأمر الذي يعين على إعطاء نظرة كلية لشبهاتهم حول تلك العلوم.

٢ –إفراد أبحاث متخصصة لدراسة تلك المرتكزات والمنطلقات، وإبرازها في كتابات المستشرقين، ومناقشتها والرد عليها بأسلوب مباشر أو غير مباشر.

٣ –العمل على تجلية الصورة الحقيقية للعلوم الإسلامية، وإبراز جهود المحققين في تلك العلوم وتوضيحها، من أجل تحصين الأمة ضد شبهات المستشرقين وأتباعهم.

٤ –إنشاء موقع متخصص في الحديث الشريف وعلومه على شبكة الاتصالات العالمية، يهتم بإبراز الصورة المشرقة لعلم الحديث وجهود العلماء فيه، ويفرد محورا من محاوره لمناقشة شبهات المستشرقين ومن تأثر بهم من أبناء المسلمين، بحيث يكون مرجعا موثوقا لطلبة علم الحديث خاصة، وللمسلمين عامة.

المصادر والمراجع

الكتب:

١ – الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدكتور محمود حمدي زقزوق، (كتاب الأمة، قطر).

٢ – "الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر"، (سلسلة دعوة الحق رقم:٢٤، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٣ – الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، الدكتور مصطفى السباعي، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣).

٤ – الإسلام على مفترق الطرق، ليوبولد فايس، ترجمة عمر فروخ، (دار العلم للملايين، بيروت، ط٦).

٥ – الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٦ – إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، مالك بن نبي، (دار الإرشاد، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م).

٧ – اهتمام المحدثين بنقد الحديث، للدكتور محمد لقمان السلفي، (د.ن، الرياض، ١٤٠٨هـ–١٩٨٧م).

٨ – تاريخ التراث العربي" فؤاد سيزكين. ترجمة: محمود فهمي حجازي. طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

٩ – تاريخ العرب في الإسلام، جواد علي، (مطبعة الزعيم، بغداد، ١٩٦١م).

١٠ –تراث الإسلام، شاخت وبوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري وآخرون (سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط٢، ١٩٨٨م).

١١ –حضارة العرب، غوستاف لوبون، (الترجمة العربية، ط٣، ١٩٦٥م).

١٢ –دائرة المعارف الإسلامية، النسخة المترجمة إلى العربية، (دار الشعب، القاهرة، ١٩٣٣م).

١٣ –الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، د. ميشال جحا، (معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٢).

١٤ -دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د. محمد مصطفى الأعظمي، (شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
١٥ -دفاع عن أبي هريرة، لعبد المنعم صالح العلي (دار القلم، بيروت، ١٩٨١م).
١٦ -السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
١٧ -السنة مع المستشرقين والمستغربين، د. تقي الدين الندوي، (المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
١٨ -السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الدكتور مصطفى السباعي، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢،).
١٩ -السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، عبد المتعال محمد الجبري، (مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
٢٠ -صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، ط٣،).
٢١ -صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (مصر: دار إحياء التراث العربي، د.ت.).
٢٢ -الطريق إلى مكة، محمد أسد، ترجمة عفيف البعلبكي، (بيروت،، ط١، ١٩٥٦م).
٢٣ -العقيدة والشريعة في الإسلام، إجناس جولدتسيهر، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، (دار الكاتب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٤٦م).
٢٤ -في تاريخ التشريع الإسلامي، ترجمة: د. محمد أحمد سراج. (دار العروبة، الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)،
٢٥ -المستشرقون، نجيب العقيقي، (دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٨٠م).
٢٦ -المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م)،
٢٧ -المستشرقون والتراث، الدكتور عبد العظيم الديب، (دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط٢،).
٢٨ -المستشرقون والحديث النبوي، للدكتور محمد بهاء الدين، (دار الفجر، ماليزيا، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
٢٩ -مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف، د. علي بن إبراهيم النملة، (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
٣٠ -المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس وآخرون، (دون مكان نشر، ودون تاريخ).
٣١ -المنار المنيف في الصحيح والضعيف، للإمام ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، (مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
٣٢ -منهج النقد عند المحدثين: نشأته وتاريخه، د. محمد مصطفى الأعظمي، (شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
٣٣ -منهج مقارنة الروايات عند المحدثين، فتح الدين بيانوني، (رسالة ماجستير، قسم الاستشراق، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عام).
٣٤ -موسوعة المستشرقين، د. عبدالرحمن بدوي، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م).
٣٥ -الموضوعات، للعلامة أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد بن عثمان، (المكتبة السلفية، المدينة المنورة).

36- *Islam Tarihi*, L.Cetani, Mut.Hueyin Cahid, Istanbul, 1924.
37- *Methodology of Learning and Evaluating Hadīth in the First Century of Islam*, by Fathiddin Beyanouni, Research Center, International Islamic University Malaysia, 200٦.
38- *Mishkat al-Masabih*, Muhammad b. ‘Abd-Allah al-Khatīb al-Tibrīzī, (English translation with explanatory notes, by James Robson.), 4 vols, Lahore, 1963-65.
39- *Mohammedanism*, by H. R. Gibb, Oxford.
40- *Muslim Studies*, (*Muhammedanische Studien*), by Ignaz Goldziher, translated from the German by C.R. Barber and S.M. Stern, (George Allen & Unwin Ltd., London, 1971).
41- *Orientalism*, by Said W. Edward New York, Vintage Books, 1979.

42- *The Encyclopaedia of Islam*, (Leiden, new edition, 1960-).
43- *The new Encyclopedia Britannica*, Chicago, 1768.
44- *The Noble Hadith in the Early Days of Islam: A critical study of a western approach*", by Fathiddin Beyanouni, Research Center, International Islamic University, Malaysia, 2005.
45- *The Tradition of Islam*, by Alfred Guillaume, (Oxford, 1924).
46- *The World Religion*, by J.N.D. Anderson, London, 1950.
47- *The Writers Dictionary*" (1974-76), London / New York, 1973.
48- *Western view of Islam in the middle ages*, by R. W. Southern, Harvard University Press,
49- "*Who's Who*", an annual biographical dictionary, London, 1981; "*Who Was Who*", vol. viii, (1981-1990), London, 1991; "*The Writers Dictionary*" (1974-76), London / New York, 1973.
50- "*Who Was Who*", vol. viii, (1981-1990), London, 1991.
51- *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*, by Joseph Schacht, (the Clarendon Press, Oxford, 1950).

الأبحاث العلمية:

١ - "ضوابط الرواية في ضوء القرآن الكريم"، د. فتح الدين بيانوني، (مجلة "معالم القرآن والسنة"، جامعة العلوم الإسلامية، ماليزيا، السنة الأولى، العدد الأول، ٢٠٠٥م).
٢ - "كنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف"، د. علي بن إبراهيم النملة، دراسات استشراقية وحضارية، (مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، العدد الأول، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
٣ - "المرتكزات المنهجية لدراسات المستشرقين في علم الحديث"، د. فتح الدين بيانوني، (تمت الموافقة على نشره، في مجلة "التجديد"، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، بتاريخ: ٢١/٩/٢٠٠٦م).
٤ - "المستشرق شاخت والسنة النبوية"، د. محمد مصطفى الأعظمي، (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، د.م.، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
٥ - "المستشرقون والإسلام"، للأستاذ أنور الجندي، (البعث الإسلامي، المجلد السابع والعشرون، العددان الأول والثاني، رمضان وشوال ١٤٠٢هـ/يوليو وأغسطس ١٩٨٢م).
٦ - "المستشرقون والتاريخ"، للدكتور عبد العظيم الديب، (البعث الإسلامي، المجلد السابع والعشرون، العددان الأول والثاني، رمضان وشوال ١٤٠٢هـ/يوليو وأغسطس ١٩٨٢م).
٧ - "المستشرقون والسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، (البعث الإسلامي، المجلد السابع والعشرون، العددان الأول والثاني، رمضان وشوال ١٤٠٢هـ/يوليو وأغسطس ١٩٨٢م).
٨ - "المستشرقون والسيرة النبوية، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات"، د. عماد الدين خليل، (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب التربية العربي لدول الخليج، د.م.، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
٩ - "معالم نقد الروايات في القرآن الكريم"، د. فتح الدين بيانوني، (بحث مقدم لملتقى نقد المتن الحديثي، ٢-٣/١٠/٢٠٠٤م، عمّان، الأردن).
١٠ - "هل انتهى الاستشراق حقا؟"، للدكتور مازن صلاح مطبقاني، (مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، السنة الخامسة عشرة، العدد ٤٣، رمضان ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
11- "European criticism of Hadith literature", by N. J. Coulson, *Arabic literature to the end of the Umayyad period*, (The Cambridge history of Arabic literature II), Cambridge, 1983, pp. 317-321.

12- "Muslim Tradition: The question of authenticity", by James Robson, *Memoirs and proceedings of the Manchester Literary & Philosophical Society* (*Manchester Memoirs*), 93, 1951/52, pp. 84-102.

13- "Non-Resistance in Islam", by James Robson, *Transactions of the Glasgow University Oriental Society*. *Glasgow (TGOS)*, 9, 1938/39, pp. 2-11.

14- "Standards applied by Muslim traditionists", by James Robson, (*Bulletin of John Rylands Library*) Manchester, 43, 2, 1961, pp. 459-79.

15- "The *Isnād* in Muslim Tradition", by James Robson, *Transactions of the Glasgow University Oriental Society*. Glasgow *(TGOS).* 15, 1953-54, pp.15-26.

16- "The Material of Tradition I", by James Robson, *The Muslim World*. Hartford, 41, 1951, pp. 166-80.

17- “The Material of Tradition II”, by James Robson, *The Muslim World*, Hartford, 41, 1951, pp.257-70.

18- "Tradition: investigation and classification", by James Robson, *The Muslim World*. Hartford, 41, 1951, pp. 98-112.

19- "Tradition, the second foundation of Islam", by James Robson, *The Muslim World*, Hartford, 41, 1951, pp. 22-32.

رؤية نقدية
لمقررات السنة النبوية وعلومها
في جامعة الملك فيصل بالأحساء

د. فريدة زوزو

د. عواطف عبد الرحمن الكليب

قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك فيصل بالأحساء

السعودية

drfaridazouzou@hotmail.com

المقدمة

بالنظر لما تشهده البرامج التعليمية من تجديد وتطوي وبحث في كل وقت وحين في الجامعات، وبالأحرى في أقسام الدراسات الإسلامية على اختلاف تخصصاتها، فإننا نحاول في هذه الورقة البحثية أن ننظر في المناهج الدراسية للمواد المتعلقة بالسنة النبوية وعلومها، على اختلاف السنوات الدراسية والفصول؛ وسننظر في البرامج التدريسية وتوصيفات -مفردات- المواد المتعلقة بالدراسة، ونحاول أن نبين إيجابيات وسلبيات كل مقرر على حدة، من أجل أو بغرض عرض هذه المقررات على الواقع الذي نعيشه فننظر: هل هذه المقررات تواكب التطورات وتناسب المستوى العقلي لطلاب التعليم العالي والجامعي على اعتبار أنهم يتعايشون مع الطفرات التقنية والمعلوماتية.

ومن خلال العرض الذي سنقدمه، يمكننا أن نقدم الرؤية الحديثة والعصرية لمقررات السنة النبوية التي تتماشى مع العصر الحديث والتي تواكب التطورات التي يعيشها المسلمون، بدون أن نمس بقدسية السنة النبوية الشريفة بوصفها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي.

وبالتالي سيكون البحث بمقدمة، ومبحث أول يدور حول رؤية عامة لمناهج ومقررات جامعة الملك فيصل الخاصة بالسنة النبوية وعلومها، ثم المبحث الثاني يتمحور حول الرؤية النقدية لهذه المناهج، وأخيراً الخاتمة والتوصيات التي تنظر في مجالات تطوير المناهج الدراسية للسنة النبوية وعلومها في العصر الحديث.

جامعة الملك فيصل بالأحساء

النشأة والتطور[1]

لقد كان للمرسوم الملكي الكريم رقم هـ/٦٧ وتاريخ الثامن والعشرين من شهر رجب عام ١٣٩٥هـ، القاضي بتأسيس الجامعة في مدينة الهفوف بمحافظة الأحساء بالمنطقة الشرقية أكبر الأثر في نفوس المواطنين والذي زرع الأمل العلمي وأعطى للدارسين الطموحين من أبناء هذا البلد قوة دفعت بآمالهم العلمية نحو التحقيق المتميز في جوهره كصورة لانتمائهم لهذه الجامعة وحرّك فيهم دوافع البناء وتحقيق ذات المنطقة.

ومنذ البداية اكتسبت الجامعة جهداً خاصاً من حكومة المملكة الرشيدة أتاح لها فرصة النمو المطرد، واعتمدت الجامعة في سنة إنشائها الأولى في عام ١٣٩٦/١٣٩٥هـ، على بعض المباني المستأجرة، وفي السنوات اللاحقة أنشأت واستخدمت بعض المباني سابقة التجهيز كمقر للكليات، فكانت البداية بكلية العلوم الزراعية والأغذية، وكلية الطب البيطري والثروة الحيوانية، ولما كانت الثقة في قدرة المعرفة الواسعة على الإسهام في التعليم تكمن وراء تكوين كليات جديدة بعد استكمال وتكامل الكليات التي كانت قائمة، فكان قرار إنشاء كليات أخرى بالجامعة لتلبي احتياجات مستقبل المملكة، وهي كلية التربية في العام ١٤٠٢/١٤٠١هـ، وكلية العلوم الإدارية والتخطيط في العام ١٤٠٥/١٤٠٤هـ، بمقر الجامعة بالهفوف.

وبتاريخ السابع من شهر شوال لعام ١٤١٨هـ، قام صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام بوضع حجر الأساس للمرحلة الأولى للمدينة الجامعية لجامعة الملك فيصل لتظل هذه الجامعة بمشيئة الله تعالى كما خطط لها بفضل الدعم الذي تحظى

---

[1] - الدليل الإرشادي لجامعة الملك فيصل.

به من راعي نهضتنا خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود، صرحاً شامخاً ومنارة علم رفيعة المكانة قريبة إلى قلب المجتمع الذي أنشأت من أجله ومحط أنظار أبناء هذه المنطقة من الطلاب ليتزودوا بسلاح العلم والمعرفة وينطلقوا بسواعدهم في مجالات تخصصاتهم المختلفة لتحقيق آمال أمتهم فيهم.

تطور عدد طلاب الجامعة من ١٧٠ طالباً في عام ١٣٩٦/١٣٩٥هـ، إلى أن وصل الآن إلى أكثر من ٢٣٩٠٩ طالباً وطالبة في العام ١٤٣٢-١٤٣١هـ، وجدير بالذكر أن الجامعة وفرت العديد من الفرص الدراسية للطالبات فقد بدأت بتقديم تخصص الاقتصاد المنزلي للطالبات في العام ١٣٩٨هـ، وبدأت في قبول الطالبات في التخصصات التربوية عام ١٤٠٢/١٤٠١هـ ثم تلتها دخول الطالبات في التخصصات الإدارية والطبية والصيدلانية والحاسوبية.

وانطلاقاً من قناعة الجامعة بتوفير فرص الدراسات العليا بالداخل للشاب والفتاة السعودية فقد أولت الجامعة برامج الدراسات العليا عناية خاصة وعملت على توفير كل المقومات اللازمة لبدء هذه البرامج، وقد خطت الجامعة في خلال سنواتها الأولى خطوات واسعة في هذا الخصوص.

ويبلغ عدد طلاب الجامعة المسجلين في برامج الدراسات العليا للعام ١٤٣٢-١٤٣١هـ (٥٠٥) طالباً وطالبة، ورغم تأني الجامعة في تقديم برامج الدراسات العليا، إلا أن ما تم إنجازه حتى الآن يعد بكل فخر إنجازاً تعليميا رائداً للجامعة، كما تطور أعداد المبتعثين للدراسات العليا من ١٥ مبتعثاً في العام ١٣٩٦/١٣٩٥هـ، ليصبح في العام ١٤٣١-١٤٣٢هـ (٢٠٥) مبتعثاً ومبتعثة يدرسون لدرجات الماجستير والدكتوراه في العديد من الجامعات المرموقة في بعض الدول العربية والإسلامية والصديقة، بالإضافة إلى الابتعاث الداخلي للدراسة بجامعات المملكة.

وأيضاً نمت مكتبة الجامعة من مكتبة صغيرة تضم ٤٥٢٩ كتاباً ودورية علمية حتى أصبحت من المكتبات الكبيرة التي تضم عدد كاف من أجهزة قراءة الأفلام بنوعيها ميكروفيش وميكروفيلم، ويبلغ إجمالي عدد الكتب والدوريات بالمكتبات حالياً ٢٨٩٩٥٤ كتاباً، (٢٣٣٣٩) دورية، والدوريات بالمكتبات حالياً ٢٨٩٩٥٤ كتاباً، ٢٣٣٣٩ دورية[٢].

قسم الدراسات الإسلامية:

تولى السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية اهتماماً بالغاً بالدراسات الإسلامية فهي من المقررات الأساسية التي تدرس في الجامعات السعودية، كما أنها أحد الأقسام الدراسية التي تمنح درجة البكالوريوس، وينضم قسم الدراسات الإسلامية بكليات الآداب بجامعة الملك فيصل إلى الأقسام الأخرى بجامعات المملكة في إعداد المتخصصين وتأهيلهم علمياً؛ ليكونوا قادرين على العمل وخدمة مجتمعهم.

---

[2] http://www.kfu.edu.sa/ar/about/Pages/DevelopmentProcess.aspx

ومنذ تمت الموافقة السامية على إنشاء كلية الآداب بجامعة الملك فيصل واللجان في عمل دؤوب لوضع خطة جادة هادفة ومتميزة تأهل للحصول على الاعتماد الأكاديمي، الذى من شأنه أن يرتقى بمستوى الكلية إلى المستويات العالمية فتكون قبلة للدارسين.

ثم إن كلية الآداب من أحدث كليات الجامعة، إذ تم افتتاحها بتاريخ ١٤٢٩/٧/١٠هـ، وبدأت الدراسة فيها في الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣١/١٤٣٠هـ[٣].

رؤيــة قسم الدراسات الإسلامية:

تحقيق الريادة على المستوى المحلي والإقليمي والدولي في إعداد الطالب علمياً في الدراسات الإسلامية وتزويده من خلالها بمهارات البحث والتفكير والاستنباط، وذلك حسب منهجية التفكير العلمي الحديث وقواعد الشريعة الإسلامية الأصيلة بما يبني رؤية وسطية مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية ومنهج السلف الصالح، ويرسخ ثقافة المجتمع الإسلامي وأصالته ويعزز حوار الثقافات.

رســالة قسم الدراسات الإسلامية:

إعداد كفاءات متميزة بالعطاء والإبداع في ميدان الدراسات الإسلامية والبحث العلمي المدعم ببرامج الدراسات العليا، والإسهام في خدمة المجتمع.

الأهـداف التي ينشدها قسم الدراسات الإسلامية:

١ – بناء كفاءات متميزة في الدراسات الإسلامية قادرة على العطاء بما يتفق مع المستجدات والمتغيرات المحلية والدولية.

٢ – ربط المجتمع بتراثه العلمي الأصيل وثقافته الإسلامية وتعريفه بالثقافات الأخرى لدعم التواصل الإيجابي معها.

٣ – السعي للتأثير في المنتج الثقافي العالمي وإثرائه بقيم الإسلام وتعاليمه.

٤ – الارتقاء بالبحث العلمي في الدراسات الإسلامية وتوظيفه للتعامل مع المستجدات وعلاج المشكلات بكفاءة عالية.

٥ – إعداد باحثين في الدراسات الإسلامية يمتلكون مهارات التفكير وأصول البحث العلمي[٤].

رؤية عامة

لمقررات ومناهج السنة النبوية وعلومها في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك فيصل

عرفنا أن جامعة الملك فيصل أنشئ فيها أولا **كلية التربية** عام ١٤٠١هـ، وهي التي كان قسم الدراسات الإسلامية ينضوي تحتها، ثم بإنشاء **كلية الآداب** عام ١٤٢٩هـ وبدء الدراسة رسميا بها عام ١٤٣٠هـ أصبح قسم الدراسات الإسلامية يتبع هذه الكلية بعد قرار ضم كلية التربية للبنات إليها في السنة نفسها.

ومنه نلحظ أن الجامعة أصبحت تسير على برنامجين للدراسات الإسلامية، تعارف على تسمية الأول "**مقررات التربية**" أي برنامج الدراسات الإسلامية الذي يتبع كلية التربية، والبرنامج الثاني "**مقررات الآداب**".

---

3 http://www.kfu.edu.sa/ar/Colleges/arts/Pages/AboutCollege.aspx

4 http://www.kfu.edu.sa/ar/Colleges/arts/departments/Pages/About1.aspx

وإن البرنامج الأول الذي يتبع "التربية" لم يتبق من العمل به إلا سنة واحدة هي السنة الدراسية القادمة: ١٤٣٢هـ/١٤٣٣هـ لتتخرج آخر دفعة على نظام "التربية" القديم، وأما البرنامج الثاني والذي يتبع "الآداب" فقد بدأ العمل به السنة الماضية فقط: ١٤٣٠هـ/١٤٣١هـ، وهو الذي سيستمر نظام التدريس به لسنوات قادمة.

أولا: مقررات السنة النبوية وعلومها في برنامج "التربية"[٥]

١. إذا نظرنا إلى مقررات برنامج "كلية التربية" نلاحظ أن بعضها يتميز بميزة واحدة مطبقة على جميع المقررات التي تدرس في فصلين دراسيين متتابعين؛ فالمقررات من هذا النوع يأتي توصيف مفرداتها ومواضيعها مجملا في توصيف واحد للفصلين الدراسيين بدون تقسيم بينهما، ويُترك أمر التقسيم لأساتذة المادة الذين يختارون مفردات كل فصلي دراسي.

٢. ثم إن توصيف المقررات يحوي على المفردات والمواضيع المراد تدريسها للطلبة ومراجعها، دون أن تُذكر الأهداف المرجو تحقيقها من تدريس هذا المقرر أو ذاك، ودون التطرق إلى طرق وأساليب التدريس التي يتوجب اتباعها عند إلقاء المادة العلمية للمقرر، أو أساليب تقويم الطالب؟

٣. وبالنسبة لمقررات السنة النبوية وعلومها فإنها مقسمة على الأربع سنوات بالنسبة لطالب الدراسات الإسلامية موزعة على الشكل الآتي:

- السنة الأولى: اسم المقرر –كما ورد في التوصيف– "الحديث"، يُدرس في فصليين دراسيين – الأول والثاني– أي في فصلي السنة الأولى.

– جاء في التوصيف: "تُختار الأحاديث المقررة من هذه الكتب: كتاب العلم، كتاب فضائل القرآن، كتاب الإيمان، كتاب الوضوء...إلى كتاب الزكاة".

– وأما المراجع المطلوبة فهي: سبل السلام للصنعاني، وفتح الباري لابن حجر، وطرح التثريب في شرح التقريب للإمام العراقي.

– وهكذا ينتهي التوصيف دون تقسيم للأبواب بين الفصلين، ودون توضيح للكتاب الأساسي للمقرر والمراجع المساعدة؟

– والمواضيع المختارة مرتبة على ترتيب كتب الحديث ذاتها دون زيادة أو نقصان.

– وأما التفرقة بين جزئي هذا المقرر فتكون: "الحديث(١)" للفصل الدراسي(١)، و" الحديث(٢)" للفصل الدراسي(٢).

- السنة الثانية: تُدرس مادة "علوم الحديث" في فصلين دراسيين، إلا أنها قُسمت عليهما فأصبح عندنا؛ "علوم الحديث(١)"، و"علوم الحديث(٢)"، لكن المراجع فيهما نفسها –كما سنرى–

– يدرس الطلاب في الفصل الدراسي الأول من السنة الثانية –تخصص دراسات إسلامية– مقرر "علوم الحديث(١)"، والذي جاء في وصفه أنه: "يعطي نبذة عن نشأة علم مصطلح الحديث وأشهر المؤلفات فيه وذلك إلى نهاية القرن الرابع الهجري".

---

[٥]- وزارة التعليم العالي، جامعة الملك فيصل، الخطة الدراسية لكلية التربية.

- فيتناول هذا المقرر دراسة المصطلحات الأولية لعلوم الحديث مثل: السند والمتن، أقسام الخبر، المتواتر والآحاد، أقسام خبر الآحاد، المشهور، العزيز، الغريب، الخبر المقبول وأقسامه: الصحيح والحسن، الكتب المؤلفة في الصحيح وشروحها، الحديث الضعيف، درجاته وأنواعه، المدلس، وأنواعه، وحجيته، ودرجاته، الموضوع، وطرق معرفة الوضع...الخ.
- أما المراجع المستعملة فهي: تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان، أو كتاب الباعث الحثيث لابن كثير، وقواعد التحديث للقاسمين وتدريب الراوي للسيوطي.
- وأما الفصل الدراسي الثاني من السنة نفسها السنة الثانية فسيواصل الطلبة التعرف على باقي علوم الحديث، وهي التي سميت "علوم الحديث(٢)"، ويأخذون فيها: كيفية سماع الحديث وتحمله وصفة ضبطه، وأقسام التحمل الثمانية، ثم صفة راوي الحديث وآدابه وأخلاقه. ومنها معرفة آداب طالب الحديث، ثم معرفة الأسانيد وأنواعها، والتعرف على طبقات الصحابة والتابعين، وألقاب المحدثين، والمؤلفات لما سبق.

• السنة الثالثة: اسم المقرر –كما ورد في التوصيف– "الحديث"، يُدرس في فصليين دراسيين –الأول والثاني– أي في فصلي السنة الثالثة؛ فيسمى مقرر الفصل الأول "الحديث(٣)"، ومقرر الفصل الدراسي الثاني "الحديث(٤)".
- وكما ورد في توصيف مقرر الحديث للسنة الأولى فالأمر نفسه يتكرر في السنة الثالثة بدون فصل بين الفصلين الدراسيين فجاء في التوصيف: "يختار المقرر من هذه الكتب: كتاب الوصايا، الوقف، كتاب الإيمان والنذور، كتاب تحريم الدماء، كتاب الحدود، كتاب القضاء والشهادات...إلخ.

• **السنة الرابعة**: سيدرس الطالب في هذه المرحلة الدراسية ٣ مقررات في السنة النبوية هي مكملات لما أخذه في السنوات السابقة من أجل أن يتخرج ويكون بذلك قد أخذ بكل المتطلبات.
- اسم المقرر –كما ورد في التوصيف– "الحديث"، يُدرس في فصليين دراسيين –الأول والثاني– أي في فصلي السنة الرابعة؛ فيسمى مقرر الفصل الأول "الحديث(٥)"، ومقرر الفصل الدراسي الثاني "الحديث(٦)".
- وفيها يختار مدرس المقرر من هذه الكتب: كتاب الصيد والذبائح والأضاحي، كتاب الأشربة، كتاب الأطعمة، كتاب اللباس والزينة، كتاب الأدب، كتاب المرضى والطب...إلخ.
- وكما ذكرت سابقا فإنها على نفس ترتيب الكتب الحديثية، ومن المراجع السابقة نفسها، خاصة كتاب: سبل السلام للصنعاني.

- إضافة لهذا المقرر ففي السنة الرابعة أيضا، يدرس الطالب مقرر "التخريج والأسانيد" في الفصل الدراسي الأول بالموازاة مع دراسته لحديث(٥).
- وفي هذا المقرر سيتعرف الطالب على التفصيلات الدقيقة للتخريج مع التطبيق العملي وهو إعطاء الطلاب أحاديث لتخريجها من الكتب المدروسة.
- كما سيأخذ الطلاب دراسة الأسانيد دراسة مفصلة، مع بيان الحاجة إليه، ومنه يستعين الطالب بالمعجم المفهرس، ومجمع الزوائد للهيثمي، والجامع الكبير والصغير للسيوطي...وغيرها.
- والمرجع في تفصيلات هذا المقرر هو "كتاب التخريج ودراسة الأسانيد لمحمود الطحان.

ثانياً: مقررات السنة النبوية وعلومها في برنامج "الآداب"[٦]

١. إذا نظرنا إلى مقررات برنامج "كلية الآداب" نلاحظ أن جميعها يتميز بميزة واحدة مطبقة على جميع المقررات التي تُدرس؛ حيث أُعطي لكل مقرر اسمه الخاص به، لا يهم هنا إذا كان له متطلب سابق أو لاحق.

٢. إذ إن توصيف المقررات يحوي على المفردات والمواضيع المراد تدريسها للطلبة، كما أن الأهداف المرجو تحقيقها من تدريس هذا المقرر واضحة جداً، ومقسمة إلى نقاط عدة أساسية، وأما أساليب التدريس التي يتوجب اتباعها عند إلقاء المادة العلمية للمقرر والأنشطة المصاحبة فقد فُصلت تفصيلاً دقيقاً، كذا الأمر بالنسبة لأساليب تقويم الطالب، إضافة إلى تحديد مرجع واحد للمقرر مع ذكر المراجع المساعدة، والتي حوت على مواقع الكترونية، وهو الأمر المستحدث.

٣. وبالنسبة لمقررات السنة النبوية وعلومها فإنها مقسمة على السنوات الثلاث بالنسبة لطالب الدراسات الإسلامية على اعتبار أن السنة الأولى هي سنة تحضيرية غير تخصصية موزعة على الشكل الآتي:

- السنة الثانية: وفيها سيدرس الطالب ثلاث مقررات أحدهما في الفصل الدراسي الأول، والآخرين في الفصل الدراسي الثاني.

- " علوم الحديث(١)" هو المقرر الأول، والذي سيتعرف فيه الطالب على علوم الحديث: تعريفه، أسماؤه، موضوعه، أشهر المصنفات فيه، مصطلحاته، أقسام الحديث..إلخ.
- وأما "علوم الحديث(٢)" وهو المقرر الثاني، فسيتابع فيه الطالب معرفة المصطلحات الحديثية المتعلقة بالرواة، حسب طبقاتهم وأسمائهم وأوصافهم.
- وفي برنامج كلية الآداب سيتابع الطلبة الدراسة من الكتاب نفسه وهو: تيسير مصطلح الحديث لمحمود الطحان".
- كما سيرجع الطلاب إلى المواقع الالكترونية الخاصة بالحديث مثل: شبكة السنة النبوية وعلومها، موقع الدفاع عن السنة وغيرهما.

---

[٦]- وزارة التعليم العالي، جامعة الملك فيصل، الخطة الدراسية لكلية الآداب.

- أما المقرر الثالث فهو "**مناهج المحدثين**" وهو يرصد الحركة التاريخية لتدوين السنة النبوية بمراحلها المختلفة، ويشرح مناهج المصنفين فيها ومؤلفاتهم...إلخ.
- وقد اعتمد هذا المقرر على مرجع أساس هو: "تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره للدكتور: محمد مطر الزهراني"، إضافة إلى كتب أخرى مثل: دراسات في مناهج المحدثين لتوفيق أحمد سالمان، ومناهج المحدثين لسعد بن عبد الله الحميد.

- السنة الثالثة: وفيها سيدرس الطالب ثلاث مقررات اثنان منها في الفصل الدراسي الأول، والآخر في الفصل الدراسي الثاني.

- والمقرر الأول هو "الحديث(١)"، ويدرس فيه الطالب السنة النبوية ومكانتها، ثم أحاديث الأحكام وبيان أهم المصنفات فيها، إضافة لدراسة بعض أحاديث كتاب بلوغ المرام: الطهارة–الصلاة–الجنائز.
- ويلحظ هنا أن المرجع بقي نفسه وهو "سبل السلام للصنعاني.
- وفي نفس الفصل الدراسي –الأول– سيدرس الطالب مقرر "تخريج الأحاديث والآثار"، ومن مفرداته: التخريج، تعريفه، أهميته، أهم مراحله، أنواعه، وطرقه.
- أما المقرر الثالث فيدرس في الفصل الدراسي الثاني، وهو تكملة للحديث(١)، ويُعرف بـ: الحديث(٢)، وفيه يكمل الطالب التعرف على أحاديث كتاب بلوغ المرام، فيختار له الأستاذ بعضا من أحاديث: النكاح، الطلاق، الجامع.

- السنة الرابعة: في هذه السنة سيدرس الطالب مقررا واحدا، وسيكون ذلك في الفصل الدراسي الأول، وهذا المقرر هو "الحديث(٣)".

- وفيه سيتطرق الأستاذ الذي سيدرس هذا المقرر إلى عدد كبير من الموضوعات من كتابي صحيح البخاري ومسلم، والتي تتعلق بالآداب والسلوك والفضائل، مثل: الحياء، الوفاء بالعهد، التوبة، تحريم الظلم، تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم، حقوق الجار، ذكر الموت...الخ.

رؤية نقدية لمقررات ومناهج السنة النبوية وعلومها:

أولاً: مقررات السنة النبوية وعلومها في برنامج "التربية":

- **عدد ساعات المقرر:**

يُدرس كل مقرر من مناهج السنة وعلومها؛ من حديث، وعلم المصطلح، ومناهج المحدثين، وتخريج ودراسة الأسانيد بنصاب ساعتين، وهذا النصاب حقيقة وفي الواقع التدريسي لا يكفي؛ لأن بعض علوم الحديث تحتاج إلى تطبيق عملي بالإضافة إلى الجزء النظري، وهو الأمر المعمول به في بعض الجامعات السعودية التي خصصت نصاب التدريس لبعض علوم الحديث

أربع ساعات[٧]، بينما لا يقل عن ثلاث ساعات في أي مقرر آخر من مقررات الحديث، بغرض أن تتم الفائدة على أكبر قدر ممكن، حيث سيمكن تكليف الطالب بإنجاز جملة من التمارين العملية، وذلك كجزء من درجات الأعمال الفصلية التي تُحتسب للطالب.

- **مقررات المناهج**:

لو اخترت أحد المقررات في المنهج الدراسي لطالب الدراسات الإسلامية لرأينا أن مادة "التخريج ودراسة الأسانيد" تدرس في السنة الرابعة، ويدرس المنهج كاملاً في الفصل الأول، والمفترض أن يدرسه الطالب السنوات التي تسبق السنة الرابعة، وذلك للأسباب الآتية:

- أن الطالب عندنا في العادة يخرج للتطبيق العملي في المتوسطات والثانويات، إذ يخرج في الفصل الثاني من السنة الثالثة إلى المتوسطات مدة أسبوعين كاملين، يخرج في الفصل الأول من السنة الرابعة إلى الثانويات بغرض تعلم إعطاء الدروس؛ فإذا درست هذا المقرر متأخرا عن التطبيق العملي فلا فائدة مرجوة منه.
- فالطالب لم يتعمق في هذا المقرر، وطالب التطبيق لابد أنه سيحتاج إلى مادة التخريج عندما يتعرض لحديث يشرح معناه ويفصل دقائق ما يتعلق به، ثم الرجوع إلى المعاني الغريبة التي وردت فيه، فما فائدة دراسته أثناء أو بعد التطبيق العملي والطالب لم يستكمل المنهج، ولم يأخذ الوقت الكافي في فهم المقرر نظرياً وعملياً.
- فالمفترض دراسة هذا المقرر تسبق التطبيق وذلك ليتمكن الطالب من هذه المادة للحاجة الماسة لها.
- إضافة إلى أن هذه المادة يدرس منهجها متكاملا في فصل دراسي واحد –التخريج والأسانيد– والمفترض الاعتناء بالكيف بدل الكم، فالأفضل تخصيص فصل دراسي كامل لكل جزء، فالتخريج مقرر، والأسانيد مقرر آخر منفصل عن الأول، والملاحظ في بعض الجامعات السعودية أنها تعطي "دراسة الأسانيد" فصليين دراسيين حتى تتم الاستفادة أكثر.
- والملاحظ أن هذه المادة تدرس دراسة نظرية فقط دون الدراسة التطبيقية، ومعروف أن هذا المنهج يحتاج إلى التطبيق أكثر من الاحتياج إلى الدراسة النظرية، فمما لا شك فيه أن الاستفادة تكون أكثر.
- وتخصيص ساعتين في الأسبوع لهذا المقرر قليل جدا بالنسبة لطبيعة المنهج ومفرداته.
- والأفضل أن تدرس مادة "دراسة الأسانيد" على مستويين أي فصليين دراسيين، ولا يدمج مع التخريج وذلك لتحقيق أهداف المقرر والتي منها:
- ١. تعريف الطالب بأشهر الأسانيد التي يروى بها معظم الأحاديث النبوية.

[٧]- جامعة أم القرى، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، جامعة الحدود الشمالية...وغيرها.

- ٢. أن يعرف الطالب كبار الحفاظ الذين عليهم مدار معظم السنة النبوية في الأمصار الإسلامية المشهورة بحفظ السنة وذلك في عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم.
- ٣. أن يلم الطالب بطريقة دراسة أحوال الرواة الذين اجتمع فيهم الجرح والتعديل.
- ٤. أن تمكن الطالب من معرفة موضوع النظر في الأسانيد خاصة التي يوجد فيها أمر من القدح في أحد رجا الإسناد أو في الإسناد نفسه.

- **المراجع الرئيسة لكل مقرر:**

- بالنسبة لمراجع الحديث، فإن المرجع الأساس هو "سبل السلام" للصنعاني، ومنهجية الإمام الصنعاني في هذا الكتاب أنه يشرح معاني المفردات، ثم يتناول المسائل الفقهية، فينقل أقوال العلماء في إحدى مسائل العلم، وأنه يفتقر إلى الصنعة الحديثية التي تؤصل طالب العلم، فالأفضل لطالب العلم المتخصص أن تكون مراجعه الأساسية الكتب التي تحوي على صنعة حديثية كفتح الباري على شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، لما لا يخفى على طالب العلم أن هذا الكتاب فيه من الدرر والجواهر التي يستقي منها المتخصصون في الحديث الواحد من معاني المفردات، وشرح للحديث، جمع طرقه، الصحيح منها والضعيف، ثم ترجيح الطريق الصحيح، كذلك ذكر المخطوطات النادرة، التي لا نستقيها إلا من كتاب فتح الباري، وذكر أسماء أعلام الحديث فيثري العقل بهذه العلوم والمعارف.
- والأمر نفسه مع مقرر "مصطلح الحديث" فإن مرجعه الأساس كما تقدم هو كتاب "مصطلح الحديث" للدكتور محمود الطحان، وهناك مصادر أخرى تعد من أمهات الكتب التي يمكن الرجوع إليها واعتمادها كمراجع أساسية، سنراها لاحقاً.

ثانيا: <u>مقررات السنة النبوية وعلومها في برنامج " الآداب":</u>

- مقرر "علوم الحديث(١)": يدرس في المستوى الثالث وقد وضع له أهدافاً، وطرقا للتدريس، وذكر أنه يدرس فقط نظرياً وليس عملياً، ومثله "علوم الحديث(٢)" الذي يدرس في المستوى الرابع، وهو كذلك يدرس فقط نظرياً وليس عملياً، وهذه المقررات تحتاج إلى تعزيز الجانب العملي حتى يتسنى الفهم الصحيح لها.
- وإذا أردنا الاستفادة من التقنية الحديثة عن طريق التطبيق العملي مع الطلاب فنصاب الساعات التدريسية لا تكفي ساعتين فقط، فالأولى أن لا تقل عن ثلاث ساعات.
- والمرجع لهذا المقرر هو تيسير مصطلح الحديث لدكتور محمود الطحان وقد سبق الكلام عليه، والأولى أن تدرس كتب مثل: اختصار علوم الحديث لابن كثير، نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر، أو نزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر أو تدريب الراوي للإمام السيوطي وغيرها.

- واقتصر في تدريس مقررات "الحديث وعلومه" على فصل دراسي في المستوى الخامس للفرقة الثالثة، وهذا لا يكفي لطالب تخصص دراسات إسلامية بنصاب تدريس ساعتين.
- أما مقرر "مناهج المحدثين" فهو يدرس لمدة فصل دراسي واحد في المستوى الرابع بنصاب ساعتين ، وهذا الوقت غير كاف؛ لأن هذا المقرر يتماشى فيه النظري مع العملي فإذا لم يكن هناك تطبيق عملي لم تكمن الفائدة.
- والمفترض على الطالب أن لا يسجل المقرر –"مناهج المحدثين"– إلا بعد دراسة "علوم الحديث(١)، وعلوم الحديث(٢)"؛ لأن مقرر مناهج المحدثين يحتوي على مصطلحات سبق دراستها في علوم الحديث، وهذا يتطلب جهدا كبيرا من الأستاذ في توصيل المعلومة، وشرحها، وتوضيحها حتى تصل كما ينبغي إلى الطالب، ويفهم المراد.
- أما مقرر "تخريج الأحاديث والآثار" والذي يدرس في المستوى الخامس عدد ساعات التدريس فيه ساعتين، وقد سبق الكلام على أن هذا المقرر مادة تطبيقية أكثر من أن تكون نظرية.
- بالنسبة لوصف مقرر "الحديث" للمستوى السابع والثامن (السنة الرابعة) على سبيل المثال، وإلا فإن ذلك ذكر في جميع مقررات الحديث في جميع المستويات:

– ذكر في الوصف أن أستاذ المقرر يختار الأحاديث من كتاب الصيد، والأضاحي، كتاب الأشربة، كتاب الأطعمة، كتاب اللباس والزينة، كتاب الأدب، كتاب المرضى والطب، كتاب الرؤيا، كتاب الفضائل، كتاب البر والصلة والآداب.

– هكذا ورد في الخطة دون أن يتم تحديد أحاديث معينة من أبواب معينة، حيث يحتوى الباب الواحد في أي مرجع حديثي على أحاديث عدة، والكتب التي ذكرت احتوت على أبواب كثيرة، وأحاديث كثيرة مما يحتاج إلى جهد كبير في اختيار الأبواب، واختيار الأحاديث.

– ولم يتم تحديد كتب الفصل الدراسي الأول من كتب الفصل الدراسي الثاني، وهذا يعيق الأستاذ في معرفة ما انتهى إليه الأستاذ السابق الذي سبق تدريس هذه المادة في الفصل الدراسي الأول، وهذا التوصيف لا نراه في جامعات كثيرة في المملكة العربية السعودية؛ حيث يرد في توصيف المقرر الكتاب الذي سوف يدرس منه، وكذلك اسم الباب الذي ورد في ذلك الكتاب ، وطرف الحديث الذي ورد في ذلك الباب، وهذا التوصيف بهذه الكيفية واضح للأستاذ والطالب.

– والملاحظ في خاتمة المطاف أن الأحاديث التي ستدرس تركت كما هي، وكما هي مدرجة في أمهات كتب الحديث، دون محاولة وضعها في إطار عام يشمل أهم قضايا الساعة، والقضايا الجوهرية التي يعيشها المسلمون، بغرض جعل السنة النبوية الشريفة هي الإطار الصحيح الذي تنطلق منه رؤيتنا لواقعنا المعاصر، والله تعالى أعلى وأعلم.

الخاتمة والتوصيات:

في نهاية هذه الورقة البحثية خلصنا إلى بمجموعة من النتائج ألخصها فيما يأتي:

- تكثيف ساعات التدريس لكل مقرر من مقررات السنة النبوية وعلومها، حتى يتم الاستفادة من كل مقرر بأكبر قدر ممكن، ويتسنى للطالب معرفة تفاصيل أو جزيئات المادة.
- الاهتمام بالجانب العملي وتحديد ساعات معينة له، توضع ضمن الخطة الدراسية لهذه المقررات، حيث إن الجانب العملي التطبيقي لا يقل أهمية عن الجانب النظري.
- ضرورة اختيار مراجع ذات علاقة وثيقة بالمادة، تخدم مخرجات المادة نفسها؛ وذلك بأن تكون ذات صنعة حديثية سواء أكانت من أمهات الكتب أو المراجع الحديثة.
- ضرورة صياغة مقررات دراسية موحدة بين كليات الدراسات الإسلامية في البلاد الإسلامية من أجل أن يكون المخرج التعليمي عالميا في تعليمه.
- إنشاء لجنة موحدة للنظر في المقررات الدراسية للمواد المتعلقة بالسنة النبوية وعلومها في البلاد الإسلامية.

المنهج النبوي في إثارة الدافعية الداخلية لتعلم القرآن الكريم وحفظه

(دراسة تحليلية من كتب السنن الأربعة)

د. مجدي سليمان المشاعلة

الجامعة العربية المفتوحة

الأردن

m_mashaleh@yahoo.com

المقدمة

بين القرآن الكريم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسل لتبليغ رسالة الله سبحانه وتعالى للناس كافة، ولتحقيق ذلك فعليه صلى الله عليه وسلم أن يقوم بتعليم الناس القرآن الكريم، رسالة الإسلام الشاملة والخالدة، وقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بأن وظيفته الأساسية كانت التعليم، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا"[1]. وبالتالي يجب علينا دراسة الأساليب والطرق التي استخدمها عليه السلام في تعليمه للمسلمين أمور دينهم، وبالذات ما يتعلق بالقرآن الكريم، حتى نستمر في تأدية هذه المهمة على الوجه الأكمل.

ومن أبرز وأهم الموضوعات التي تُبحث في العلوم المتعلقة بأساليب التدريس وطرقها الدافعية للتعلم، وذلك لما لها من تأثير كبير في عملية التعلم بشكل مباشر. "فكلما زادت قوة الدافعية إلى تذكر واستعادة المعلومات فإن ذلك يؤدي إلى نشاط الذاكرة بشكل أوضح وأقوى، وأن الدافعية القوية تؤدي إلى احتفاظ تعلمي لفترة أطول والقدرة على استدعاء الخبرات بفترة زمنية أقصر". (عدس، وقطامي، ٢٠٠٣: ٢٠٣).

وقد تنبه العلماء المسلمون إلى أهمية الدافعية في عملية حفظ القرآن الكريم بشكل خاص، فهذا النووي (٢٠٠٢: ٣٨/٢)، بعد أن أورد حديث تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ"[2] قال: ومن النصيحة لله تعالى ولكتابة، إكرام قارئه، وطالبه وإرشاده إلى مصلحته، والرفق به، ومساعدته على طلبه بما أمكن، وتأليف قلب الطالب، وأن يكون سمحاً بتعليمه في رفق، متلطفاً به، ومحرضاً له على التعلم، وينبغي أن يذكر له فضيلة ذلك، ويزهده في الدنيا، ويصرفه عن الركون إليها والاغترار بها ".

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في أن الباحث – بحكم عمله مع مراكز تحفيظ القرآن، والمدارس الإسلامية المتعددة – قد لاحظ أن كثيراً من المتعلمين الذين يخططون لتعلم القرآن الكريم وحفظه يضعون البرامج الخاصة لذلك، لكنها لا تصل إلى مداها ولا تحقق أهدافها بسبب انخفاض دافعيتهم للتعلم والحفظ، حيث أشار ريان (٢٠٠٦: ٣٣٥) "إلى أن ضعف مستوى الدافعية وهبوطه، يعتبر مشكلة التعلم الأولى بالنسبة للطلبة في حجرة الدراسة، وبالنسبة للمدرسين في كل المستويات". فالدافعية هي المسؤولة عن تحريك وتنشيط السلوك، والمحافظة على استدامته، والمساعدة على استثارة حالة المتعلم الذهنية، ومساعدته على تطوير عمليات التفكير، واختصار الشعور بالعوامل السلبية، وإدامة السعي للوصول إلى تحقيق الهدف.

ويأتي تعاظم الأثر من أن الباحث خلال قراءته لبعض الأحاديث النبوية الشريفة لمس فيها أساليب متطورة لإثارة الدافعية وتنميتها، إلا أن هذه الأساليب لم تبحث بشكل كاف، ولم يتم تجليتها، بما يتناسب مع

---

١) صحيح مسلم، (٣٦٩٠).

٢) صحيح مسلم، (١٩٦). سنن النسائي، (٤١٩٩). وجامع الترمذي، (١٩٢٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

أهميتها – حسب علم الباحث – فجاء اهتمامه بدراسة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لبحث الأساليب التي استخدمها عليه السلام لتنمية الدافعية من أجل تعلم القرآن الكريم وحفظه.

وبالتالي فإن الدراسة تحاول الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

ما المنهج الذي استخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم لإثارة الدافعية الداخلية لتعلم القرآن الكريم وحفظه؟

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في ما يأتي:

١. البحث في موضوع ذي أهمية كبيرة في تعلم القرآن الكريم وحفظه؛ وهو موضوع الدافعية.
٢. محاولة تقديم معلومات ضرورية ومفيدة للعاملين في تعليم القرآن الكريم، تساعدهم في تطوير أساليبهم في إثارة دافعية المتعلمين لتعلم القرآن الكريم وحفظه.
٣. إبراز طرق إثارة الدافعية الداخلية لتعلم القرآن الكريم وحفظه المستنبطة من الأحاديث النبوية.
٤. تأصيل موضوع أساليب إثارة الدافعية في تعلم القرآن الكريم وحفظه.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تقصي المنهج الذي استخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم في إثارة الدافعية الداخلية لتعلم القرآن الكريم وحفظه من كتب السنن الأربعة.

حدود الدراسة

تتحدد الدارسة الحالية بالحدود الآتية:

١. اعتماد الدراسة على كتب السنن الأربعة (النسائي، الترمذي، أبو داود، ابن ماجه)، وعدم شمولها لباقي المصادر في الحديث النبوي.
٢. الاكتفاء بالأحاديث التي أشارت إلى إثارة الدافعية في تعلم وحفظ القرآن الكريم فقط، وعدم الإشارة إلى الأساليب النبوية لإثارة الدافعية في الموضوعات الدينية الأخرى.

منهج الدراسة

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتم اختيار تحليل المحتوى الدلالي والذي يشير إلى تصنيف ظواهر المحتوى طبقاً للمعاني الدالة عليه، بصرف النظر عن الألفاظ المفردة التي استخدمت في عملية الاستدلال، كما أشار المطلس (١٩٩٨: ١٧). وذلك لأن أسلوب تحليل المحتوى أكثر ملائمة لطبيعة الدراسة الحالية، ولتحقيق الأهداف المرجوة منها، مقارنة بغيره من أساليب المنهج الوصفي الأخرى، حيث يعنى بوصف المحتوى وصفاً علمياً موضوعياً بهدف الوصول إلى استنتاجات محددة تتعلق بهذا المحتوى، ويساعد هذا المنهج على دراسة الظاهرة، ووصف العلاقات بينها وبين متعلقاتها، مع إمكانية تحليل البيانات وتفسيرها (عطيفة، ١٩٩٦). وتتوافر فيه درجة عالية من الموضوعية؛ لالتزامه بنظام معين في جمع البيانات. (عبدالله، ٢٠٠٠: ٢٦٣).

التعريفات الإجرائية

- الدافعية الداخلية لتعلم القرآن الكريم وحفظه: القوة الإيمانية التي تحرك السلوك الداخلي وتوجهه إلى تعلم القرآن الكريم وحفظه، وتحافظ على ديمومة هذا السلوك واستمراريته.
- المنهج النبوي لإثارة الدافعية: هو مجموع الإجراءات والتدابير التي سلكها النبي – صلى الله عليه وسلم – والتي أشارت إليها الأحاديث النبوية – لإثارة دافعية تعلم القرآن الكريم وحفظه.

الدراسات السابقة

هناك دراسات عدة قامت بدراسة أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – واستخراج الطرق والأساليب النبوية في تعليم الموضوعات المختلفة، ولكن الباحث — في حد علمه – لم يجد دراسات مباشرة في الأساليب النبوية لإثارة الدافعية في التعلم عامة أو في تعلم القرآن الكريم وحفظه خاصة، رغم كثرة هذه الأساليب وتنوعها في الأحاديث النبوية، وهذا ما يشير إلى أهمية هذه الدراسة، ومن الدراسات التي تناولت السمات والصفات التعليمية لشخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم – وجوانب تربوية أخرى ما يأتي:

دراسة أبو دف (١٩٩٧) والتي هدفت إلى الكشف عن بعض الأساليب التربوية التي تضمنتها السنة النبوية، وقد حددها الباحث بثلاثة أساليب، على النحو الآتي: الأساليب المتعلقة بوظائف المربي، والأساليب المتعلقة بآراء المربي، والأساليب المتعلقة بعلاقة المعلم بالمتعلم، وقد أوصت الدراسة بضرورة الاقتداء بالرسول – صلى الله عليه وسلم – في مجال التربية، وبينت تعدد وتنوع الأساليب التربوية التي كان يستعملها الرسول – صلى الله عليه وسلم – في التربيه وشمولها لجميع جوانب الحياة.

وبحثت الدراسة التي أجرها سليمان (٢٠٠١) عن العناصر التعليمية في الخطاب النبوي اللفظي، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك باستخدام تحليل المحتوى على عينة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المتفق عليها بين الإمام البخاري والإمام مسلم –رحمهما الله –، وأسفرت النتائج عن العناصر التعليمية الآتية: توظيف الأنماط التعليمية للمحتوى اللفظي للأحاديث، وأن هناك طرقاً مختلفة للأداء اللفظي للأحاديث، وتوظيف الجانب السلوكي الحركي أثناء التحدث. وتوظيف الرسول – صلى الله عليه وسلم – لوسائل تعليمية مختلفة.

وهدفت دراسة الشهري (٢٠٠٥) إلى تعرف مفهوم العقاب، ومشروعيته، وأهدافه، وضوابطه، وأساليبه في السنة النبوية، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، من أهمها: أن العقاب في السنة النبوية إنما شرع لتحقيق بعض الغايات التربوية ضمن ضوابط وشروط محددة، وإلى تنوع أساليب العقاب في السنة النبوية لتتلاءم مع طبيعة النفس الإنسانية وخصائصها المتنوعة، وإلى تميز أساليب العقاب في السنة النبوية ببعض السمات التي تجعلها صالحة في كل زمان ومكان، فهي ربانية المصدر ووظيفتها التربوية تتجاوز حدود الزمان والمكان.

وفي دراسة الصعيدي (٢٠٠٩) والتي هدفت إلى التعرف على الأساليب النبوية في توجيه سلوك بعض الصحابة، استخدم الباحث المنهج الوصفي مع استخدام طريقة الاستنباط من الأحاديث النبوية الشريفة، وتوصلت

الدراسة إلى أن الأساليب النبوية قد ساهمت في تنمية الجانب النفسي لشخصية المتعلم وتساعد على تعديل سلوكه بدرجة عالية.

وقد استفاد الباحث من هذه الدراسات في كيفية تحليلها لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. وكذلك في منهجيتها في البحث والاستنباط بشكل عام. وتميزت الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بما يأتي:

- أن الباحث استخرج الأساليب النبوية لإثارة الدافعية من النصوص، ولم يأخذ الأساليب من المراجع المختلفة ويبحث لها عن أدلة من مصادر الحديث.
- إن هذه الدراسة بحثت في موضوع محدد وهو إثارة الدافعية في تعلم القرآن الكريم وحفظه ولم تبحث عن إثارة الدافعية بشكل عام.

مجتمع الدراسة وعينتها

تم تحديد مجتمع الدراسة من كتب السنن الأربعة (سنن النسائي، وجامع الترمذي، وسنن أبي داود، وسنن ابن ماجه). وتم تحديد عينة الدراسة من هذه المصدر وفقاً للخطوات الآتية:

١. حصر الأحاديث النبوية الشريفة التي تدل على إثارة الدافعية لتعلم القرآن الكريم وحفظه فقط.
٢. إعتماد الأحاديث حسب الترتيب التالي: سنن النسائي، ثم جامع الترمذي، ثم سنن أبي داود، ثم سنن ابن ماجه، وإذا كانت هناك رواية فيها فائدة أكبر لموضوع البحث خلاف لهذا الترتيب يتم الإشارة إلى الرواية المعتمدة للحديث بعبارة [واللفظ له]، وذلك بحسب توافر وجه الإستدلال منها.
٣. اعتماد الأحاديث الصحيحة والحسنة فقط، وقد تم الإعتماد في ذلك بتصحيح الإمام الألباني في تخريجه المشهور لكتب السنن الأربعة. وبناءً على ذلك فقد بلغ عدد الأحاديث النبوية الشريفة التي تتوافر فيها هذه المعايير (١٨٧) حديثاً نبوياً، موزعة على المصادر، حسب ما يأتي: سنن النسائي (٦٩) حديثاً نبوياً، وجامع الترمذي (١٠١) حديثاً نبوياً، وسنن أبي داود، (٨٦) حديثاً نبوياً، وسنن ابن ماجه (٧٤) حديثاً نبوياً.
٤. إذا اشتمل الحديث النبوي على أكثر من طريقة لإثارة الدافعية فإن هذا الحديث يتم تكريره عند الحديث عن هذه الطرق، على أن يعدَّ في العينة حديثاً واحداً.
٥. يكتب عند تخريج الحديث المصدر، ورقم الحديث.
٦. بالنسبة للأحاديث المكررة في نصها أجرى الباحث التحليل على حديث واحد منها.
٧. تحليل محتوى الحديث ودلالة ألفاظه في موضوع الدراسة.

معالجة البيانات وتحليلها

وقد تم التحليل وفق الخطوات الآتية:

١. قراءة الأحاديث النبوية الشريفة المتمثلة في العينة، كلٍّ على حده، واستخلاص المعنى المتضمن في كلٍّ منها. حيث أن وحدة التحليل هنا تعتمد على المعنى الذي يُظهر جانب الدافعية الداخلية. وقد يكون في أشكال لغوية مختلفة، وعلى شكل كلمة أو جملة أو عبارة.
٢. استخدام التحليل الاستقرائي للبيانات. على النحو الآتي:

أ) ترميز العناوين والبيانات، على شكل طرق رئيسه، كتحليل أولي، وتم التوصل من خلال قراءة الأحاديث النبوية المشار إليها إلى أن هناك سبع طرق، على النحو الآتي: (ذكر المنافع من تعلم القرآن الكريم، تنمية مهارات التفكير عند تعلم القرآن الكريم، ومساعدة المتعلمين على إدارة وقت التعلم، وتقديم النماذج والقدوات للمتعلمين، وتقديم المعززات المتنوعة للمتعلمين، وإطلاق الأسماء والألقاب المثيرة للدافعية على الآيات والسور، والتحذير من الممارسات التي تعيق إثارة الدافعية عند تعلم القرآن الكريم).

ب) إعادة الفحص عدة مرات، وبناء أساليب مشتقة من هذه الطرق، وتم التوصل إلى (٨٧) أسلوباً موزعاً على المناهج السبعة الرئيسة، والجدول (٢) يبين توزيع هذه الأساليب على المناهج.

٣. التأكد من أن النظام التصنيفي المبني يستوعب كل الأحاديث، وأن أساليبه لا تتداخل.

٤. بعد بناء نظام التصنيف، أعيدت قراءة الأحاديث النبوية الشريفة، ووزعت على الأساليب المحددة.

الجدول (٢) مناهج وأساليب إثارة الدافعية الداخلية المستخرجة في الأحاديث النبوية

المناهج	الأساليب
ذكر المنافع من تعلم القرآن الكريم	١. الحصول على محبة الله عز وجل
	٢. تكثير الحسنات
	٣. الشفاعة يوم القيامة
	٤. دخول الجنة
	٥. رفع الدرجات في الجنة
	٦. نزول السكينة والرحمة
	٧. الحفظ من الشيطان ووساوسه
	٨. إستجابة الدعاء
	٩. حضور الملائكة لمجالس قرائته وتعلمه
	١٠. الوقاية من الفتن العظيمة
	١١. الإعلاء من المنزلة في الدنيا
	١٢. الشفاء من الأمراض النفسية والبدنية
	١٣. أحق الأعمال التي يُستحقُ عليها الآجر
	١٤. اعتبار حفظه وتعليمه كنزاً وقيمة مالية
	١٥. يُغَاضُ به عدو الإنسان الأول – الشيطان –
	١٦. يُستَنزلُ به النصر من عند الله عز وجل
توظيف الطرق والإستراتيجيات التعليمية	١. طرح السؤال
	٢. إشراك الحواس المختلفة في التعلم (التعليم الحسي)
	٣. إثارة الفضول والتشويق عند التعلم

الملائمة لإثارة دافعية تعلم وقراءة وحفظ القرآن الكريم	٤. استخدام ضرب الأمثال
	٥. طلب الوصول بالتعلم إلى درجة الإتقان
	٦. طلب تحسين مهارات الصوت عند القراءة
	٧. توجيه المتعلمين إلى الاستعداد البدني عند التعلم
	٨. تصحيح الفهم الخاطئ عند المتعلمين.
	٩. تهيئة بيئة التعلم المناسبة للمتعلمين
	١٠. إظهار التطبيقات العملية لموضوعات التعلم
	١١. الإهتمام بالمتطلبات السابقة للتعلم.
	١٢. الموازنة والمقابلة
	١٣. تلبية رغبات وميول وحاجات وقدرات المتعلمين.
	١٤. القدوة.
مساعدة المتعلمين على إدارة وقت التعلم	١. تحديد الفترة الزمنية لقراءة القرآن الكريم.
	٢. المرونة في الخطة الزمنية.
	٣. تعظيم قيمة الوقت المبذول للتعلم.
	٤. ربط مقدار الأجر بالوقت المبذول على التعلم.
	٥. استمرارية التعلم في جميع الأوقات وعلى جميع الهيئات.
	٦. التوظيف الأمثل للوقت.
	٧. التكليف بزيادة وقت التعلم والقراءة.
	٨. الجمع بين فضيلة القراءة وفضيلة الوقت.
	٩. الإستفادة من الأوقات التي يظهر فيها المتعلمون إقبالهم على التعلم
تقديم المعلم نفسه كنموذج وقدوة للمتعلمين	١. إظهار المعلم حرصه الشديد على قراءة وتعليم القرآن الكريم في كل الأحوال
	٢. إظهار المعلم فرح وسروره وتعافيه عند تعليم وقراءة القرآن الكريم
	٣. إظهار المعلم حبه للإستماع لقراءة القرآن الكريم من المتعلمين
	٤. قيام المعلم بالتسميع والقراءة أمام المتعلمين
	٥. إظهار المعلم لأخطائه ونسينه أمام المتعلمين
	٦. إظهار المعلم للصعوبات التي قد تواجه المتعلمين عند تعلمهم
	٧. حل المعلم للمشكلات/ للصعوبات التي تواجه المتعلمون عند

	تعلمهم
	٨. إظهار المعلم القرآن الكريم موجهاً للسلوك والأخلاق أمام المتعلمين
التنوع في التعزيز لكل مستويات المتعلمين	١. تعزيز الجهد المبذول في التعلم مهما كان مستواه:
	٢. تميز من جمع أكثر من مسؤولية من مسؤوليات تعلم القرآن الكريم:
	٣. تقديم التعزيز اللفظي والمباشر للمتعلمين:
	٤. إبراز النماذج والقدوات المتميزة من المتعلمين:
	٥. تقديم التعزيز المعنوي للمتميزين
	٦. زيادة ثقة المتعلمين في أنفسهم ورفع كفايتهم الذاتية:
	٧. إطلاق الألقاب المثيرة للدافعية على المتعلمين:
	٨. تقديم محتوى التعلم – القرآن الكريم – على أنه مكافأة:
	٩. الدعاء للمتميزين بما يثير الدافعية نحو موضوع التعلم – القرآن الكريم –:
ذكر فضائل الآيات والسور القرآنية	١. فضائل القرآن الكريم عامة:
	٢. فضائل سورة الفاتحة
	٣. فضائل سورة البقرة
	٤. فضائل سورة آل عمران
	٥. فضائل سور المسبحات: (الأسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى)
	٦. فضائل سورة الكهف
	٧. فضائل سورة طه:
	٨. فضائل سورة الحج
	٩. فضائل سورة السجدة وسورة الجمعة وسورة المنافقون
	١٠. فضائل سورة الفتح
	١١. فضائل سورة ق وسورة القمر
	١٢. فضائل سورة الملك
	١٣. فضائل سورة الأعلى والغاشية
	١٤. فضائل سور التكوير والإنفطار والإنشقاق
	١٥. فضائل سورة الزلزلة

	١٦. فضائل سورة الكافرون
	١٧. فضائل سورة الإخلاص
	١٨. فضائل سورة المعوذتين
	١٩. فضائل بعض الآيات المتفرقة
موانع إثارة الدافعية التي حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها	١. التحذير من عدم الإقبال على تعلم القرآن وحفظه
	٢. التحذير من الخلاف بين المتعلمين عند تعلم القرآن الكريم
	٣. التحذير من استخدام الألفاظ الدالة على التساهل في عمليات التعلم
	٤. التحذير من التخوف من تعلم القرآن الكريم بحجة عدم القدرة على الوفاء به
	٥. التحذير من التحدث في موضوعات القرآن الكريم بدون علم واتباع المتشابه منه
	٦. التحذير من البحث عن نقاط الخلاف – المتشابهات – من أجل الفتن وإثارة المشكلات
	٧. التحذير من الإنشغال عن تعلم القرآن الكريم بالأمور التافهه
	٨. التحذير من التساهل في متابعة التعلم وتعريض الحفظ للنسيان
	٩. التحذير من الاكتفاء بإقامة حروف القرآن الكريم وترك التدبر والعمل والإيمان به
	١٠. التحذير من التشدد أو التساهل في الأخذ من القرآن الكريم
	١١. التحذير من عدم الإخلاص في تعلم القرآن الكريم وقرائته وحفظه
	١٢. التحذير من الأخلاق التي تسبب انعدام الدافعية في تعلم القرآن الكريم وحفظه وقراءته

نتائج الدراسة

تشير النتائج التي توصلت إليها الدراسة بعد إجراء التحليل للأحاديث النبوية، إلى مجموعة من الأساليب التي تساعد على إثارة الدافعية عند تعلم القرآن الكريم وحفظه، وهي على النحو الآتي:

المنهج الأول: ذكر المنافع من تعلم القرآن الكريم: أشارت عينة الدراسة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تعريف المتعلم بمجموعة من المنافع والفوائد الدنيوية والآخروية من تعلم القرآن الكريم وحفظه، والتي تساعد على إثارة الدافعية الداخلية لتعلمه، وتتمثل هذه المنافع في ما يأتي:

١. **الحصول على محبة الله عز وجل**: أشار الحديث النبوي[١] إلى أن صحابياً قد نال محبة الله عز وجل لحبه سورة من سور القرآن الكريم؛ وهي سورة الإخلاص.

٢. **تكثير الحسنات**: أشار حديث الرسول صلى الله عليه وسلم[٢] إلى أن المسلم يستطيع من خلال قراءة القرآن الكريم تكثير حسناته. حيث أن كل حرف يقراء من القرآن الكريم له به حسنة. والتأكيد على أن المقصود بالحرف هو الحرف، ومثل الرسول صلى الله عليه وسلم لها ب (الم) المكونة من ثلاثة أحرف في رسم المصحف.

٣. **الشفاعة يوم القيامة**: أشارت الأحاديث النبوية[٣] إلى أن القرآن الكريم يشفع لأصحابه، والذين يعملون به يوم القيامة، ويدافع عنهم، وأن شفاعته فيهم مقبولة، ومصدقة، وأنه لا يترك صاحبه إلا بعد أن يغفر له. وأشارت الأحاديث إلى أن هناك سور خاصة تشفع لأصحابها، مثل سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة الملك.

٤. **دخول الجنة**: أشارت الأحاديث النبوية[٤] إلى أن الحرص على قراءة بعض سورة القرآن الكريم؛ سورة الإخلاص، وآية الكرسي، كانت سبباً لدخول الجنة.

٥. **رفع الدرجات في الجنة**: أشارت الأحاديث النبوية[٥] أن حافظ القرآن الكريم بعد أن يدخل الجنة يعطى نعماً خاصة به، تبدأ بأن يُلبس تاج الكرامة، وحلَّة الكرامة، ويرضى الله عز وجل عنه، ثم تحدد بعد ذلك درجته في الجنة، ويكون ذلك بناءً على عدد الآيات التي يحفظها من كتاب الله عز وجل. وأن له بكل آية يحفظها حسنة؛ ولم يحدد المقصود بالحسنة في الأحاديث النبوية هنا فهي متروكة لكرم الله عز وجل، وزيادة في إثارة الدافعية الداخلية. وأن هذه الدرجة العالية التي يحصل عليها حافظ القرآن الكريم تؤهله أن يكون مرافقاً للملائكة والنبيين.

٦. **نزول السكينة والرحمة**: أشارت الأحاديث النبوية[٦] إلى أن تلاوة القرآن الكريم، وتعلمه تجلب السكينة، والرحمة، وحضور الملائكة، والذكر في الملئ الأعلى. وأن السكينة التي تحصل لمن يتعلم القرآن الكريم قد تكون في الدنيا، وقد تكون في الآخر وهي أعظم.

٧. **الحفظ من الشيطان ووساوسه**: نستخلص من الأحاديث النبوية[٧] أن قراءة سور البقرة وآياتها تحمي البيت من الشيطان الرجيم على النحو الآتي: قراءة سورة البقرة كاملة تحمي البيت كاملاً من أن يقربه الشيطان. وأن آية الكرسي تحمي البيت الذي قرأت فيه من الشيطان وغيره من الأمور الضارة. وأن آخر آيتين من سورة البقرة

---

١) رقم (١)

٢) رقم (٢).

٣) رقم (٣، ٤، ٥).

٤) رقم (٦، ٧).

٥) رقم (٨، ٩، ١٠، ١١).

٦) رقم (١٢، ١٣).

٧) رقم (١٤، ١٥، ١٦).

إذا قرأتا في البيت لمدة ثلاث ليالي فأنها تحمي البيت من أن يقربه الشيطان – بدون تحديد مدة، زيادة في إثارة الدافعية الداخلية لقرائتهما.

٨. **استجابة الدعاء**: تشير الأحاديث النبوية[١] إلى أن هناك آيات وسور في القرآن الكريم من دعا بها استجاب الله عز وجل له، ومنها سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص، وخواتيم سورة البقرة، ودعوة ذي النون الواردة في سورة الأنبياء.

٩. **حضور الملائكة للإستماع لقرائته**: يشير الحديث النبوي[٢] إلى أن الملائكة تحضر عند تلاوة القرآن الكريم بشكل جماعي في المساجد، وأنها تحيط بالقارئين له إحاطة تامة.

١٠. **الوقاية من الفتن العظيمة**: تشير الأحاديث النبوية[٣] إلى أن حفظ القرآن الكريم وقرائته تقي من الفتن والشرور والشرور العظيمة عامة، كفتنة الدجال أو غيرها من الفتن؛ وأن قراءة آيات محددة من سورة الكهف تقي من هذه الفتنة العظيمة.

١١. **الإعلاء من المنزلة في الدنيا**: إشار الحديث النبوي[٤] إلى أن الله عز وجل يرفع منزلة البعض بسبب أخذهم وتعلمهم لهذا الكتاب، بدون تحديد لهذا الرفع هل سيكون في الدنيا أم في الأخرة، فيحتمل أن يكون في الأثنين. وأنه سوف يَضعُ به آخرين، ممن لا يتعلمونه ولا يقراؤنه، ولا يلتزمون بأحكامه.

١٢. **الشفاء من الأمراض النفسية والبدنية**: أشارت الأحاديث النبوية[٥] إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أذن للصحابة بأن يستشفوا بالقرآن الكريم، وأن يمارسوا الإستشفاء به لغيرهم. وأنه صلى الله عليه وسلم قد مارس الإستشفاء بالقرآن الكريم بنفسه، وذلك لآخر لحظة في حياته عليه السلام.

١٣. **أحق الأعمال التي يُستحقُ عليها الآجر**: أكد النبي صلى الله عليه وسلم[٦] بأن ما أخذ من أجر على الرقية بالقرآن الكريم، قد أخذ بوجه حق. وليس فيه باطل كمن يأخذ مالاً على رقية يُستعان بها بالكواكب والنجوم والجن وغير ذلك.

١٤. **اعتبار حفظه وتعلمه كنزاً وقيمة مالية**: تشير الأحاديث النبوية[٧] إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عدَّ حفظ القرآن الكريم وتعليمه قيمة مالية، وذلك على الحقيقة وليس على المجاز، فهو صلى الله عليه وسلم يزوج الرجل على ما يحفظه من القرآن الكريم، ويعد ذلك مهراً للمرآة، وينكر صلى الله عليه وسلم على الذي يقول

---

١) رقم (١٧، ١٨، ١٩، ٢٠).

٢) رقم (١٢).

٣) رقم (٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤).

٤) رقم (٢٥).

٥) رقم (٢٦، ٢٧).

٦) رقم (٢٨).

٧) رقم (٢٩، ٣٠).

بأنه ليس معه ما يتزوج به، بأن معه مالاً كثيراً وهو حفظة لسورة الإخلاص، والفتح والنصر، والكافرون، والزلزلة.

١٥. **يُغَاضُ به عدو الإنسان الأول – الشيطان –:** يشير الحديث النبوي[١] إلى أن المسلم الذي يقرأ القرآن الكريم ويسجد إمتثالاً لأمر الله عز وجل عندما يمر بآية تدعوه للسجود، يغيض الشيطان الرجيم بهذا الفعل.

١٦. **يُستَنزلُ به النصر من عند الله عز وجل:** يوصي الرسول صلى الله عليه وسلم[٢] الصحابة رضوان الله عليهم إذا هاجمهم العدو ليلاً، فليكن الشعار الذي يرفعونه (حم)؛ وهي آية من القرآن الكريم، فإن الله عز وجل لن ينصر الكافرين لمكانة هذه السور عند الله عز وجل؛ والتي تبدأ بقوله تعالى: (حم) عند الله عز وجل.

المنهج الثاني: توظيف الطرق والإستراتيجيات التعليمية الملائمة لإثارة الدافعية

تعد طرق التدريس الموجه إلى تنمية التفكير من الأمور الهامة في إثارة الدافعية الداخلية للتعلم، والدراسات تشير إلى وجود علاقة طردية بين تنمية مهارات التفكير وبين زيادة الدافعية، والدراسات تشير إلى وجود هذه العلاقة الطردية بين تنمية التفكير وتنمية الدافعية عند التعلم (Fan and Zhang, 2009). وتشير النتائج التي توصلت إليها الدراسة، إلى مجموعة من الأساليب التي تساعد على إثارة الدافعية الداخلية عند تعلم القرآن الكريم وحفظه، وهي على النحو الآتي:

١. **طرح السؤال:** استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم[٣] السؤال بطرق متعددة من أجل إثارة الدافعية الداخلية لتعلم القرآن الكريم، ومن هذه الطرق؛ تكرار السؤال لإثارة عملية التفكير في الإجابة، ومناداة المتعلمين بأحب أسمائهم لهم، وصياغة السؤال بعبارات دافعه للبحث عن الإجابة، وتعزيز الإجابات الصحيحة بعبارات التشجيع أو الدعاء للمتعلمين، وتقديم معلومات إضافية هامة متعلقة بالإجابة من شأنها أن تثير إهتمام المتعلمين، وتقديم الأدلة على صحة إجابته، والإجابة عن الأسئلة التي تُلح على المتعلمين وتمثل لهم حاجة ماسة بالتفصيل.

٢. **إشراك الحواس المختلفة في التعلم (التعليم الحسي):** قام الرسول صلى الله عليه وسلم[٤] بإشراك جميع الحواس؛ السمع، والبصر، والشم، والذوق، والحس، في إثارة الدافعية الداخلية لتعلم القرآن الكريم وحفظه.

٣. **إثارة تشويق المتعلمين للتعلم:** أثار النبي صلى الله عليه وسلم[٥] شوق الصحابة إلى تعلم القرآن الكريم، من خلال طرح السؤال والإنتظار لمعرفة الإجابة.

٤. **ضرب الأمثال:** ضرب الأمثال من الأساليب المثيرة للدافعية بدرجة عالية لما لها من تأثير على الجوانب اللفظية، والمعنوية، والنفسية والتربوية، والمعرفية. وقد تنبه العلماء إلى أهمية هذا الأسلوب وإلى عناية الرسول

---

١) رقم (٣١).

٢) رقم (٣٢).

٣) رقم (٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦).

٤) رقم (٣٧، ٣٨).

٥) رقم (٣٩، ٤٠، ٤١).

صلى الله عليه وسلم به، فأفردوا له في التأليف. الرسول صلى الله عليه وسلم[1] قد استخدم هذا الأسلوب في إثارة الدافعية الداخلية نحو تعلم القرآن الكريم في جوانب متعددة وبطرق مختلفة، فيضرب مثلاً لتعلم ثلاث آيات من القرآن الكريم وقرائتها بأنها تساوي أفضل أموال العرب في ذلك الوقت، وما كانوا يفتخرون بإمتلاكه في عصرهم. ويضرب مثلاً لعدم إغفال تعلم القرآن الكريم بحال صاحب الإبل مع إبله. ومرة يضرب مثلاً أخر للقرآن الكريم بشكل عام على أنه هو الداعي للمسلم من تجنب محارم الله عز وجل وعدم إرتكاب حدوده.

٥. **طلب الوصول بالتعلم إلى درجة الإتقان:** تشير الأحاديث النبوية[2] إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد طالب الصحابة بإتقان تعلم القرآن الكريم، وعدم الإكتفاء بمجرد تعلمه أو قراءته بشكل عادي. وميز الرسول صلى الله عليه وسلم بين المتقن وغير المتقن في الآجر، ومارس الرسول صلى الله عليه وسلم تعليم الإتقان مع الصحابة بشكل عملي؛ كما وصف الصحابة رضوان الله عليهم ذلك.

٦. **طلب تحسين مهارات الصوت عند القراءة:** حث الرسول صلى الله عليه وسلم[3] على تحسين الصوت بقراءة القرآن الكريم، واستخدم في ذلك أساليب متعددة، منها؛ أنه صلى الله عليه وسلم قد بين ثواب من يُحسنُ صوته بقراءة القرآن الكريم. وعدَّ صلى الله عليه وسلم من لم يُحسِّن صوته بالقرآن الكريم ليس من المسلمين، ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قد أمر بذلك أمراً مباشراً، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حسن الصوت بقراءة القرآن الكريم كما أشار الصحابة رضوان الله عز وجل عليهم. وأنه صلى الله عليه وسلم كان يبحث عن صاحب الصوت الجميل في قراءة القرآن للإستماع إليه وتعزيزه، ومنها وضعه صلى الله عليه وسلم للمعايير التي يقاس عليها حسن الصوت وجماله في قراءة القرآن الكريم. وأشارت الأحاديث إلى وجوب التوسط في إرتفاع الصوت، أو التنوع فيه لما قد يؤدي ذلك من زيادة في الإمتاع والتحسين.

٧. **توجيه المتعلمين إلى الاستعداد البدني عند التعلم:** أشارت الأحاديث النبوية[4] إلى وجوب الإستعداد البدني الكامل عند قراءة القرآن الكريم، وأن عدم توافر هذا الإستعداد قد يكون سبباً من أسباب الخطأ والنسيان.

٨. **تصحيح الفهم الخاطئ عند المتعلمين:** كان صلى الله عليه وسلم[5] يصحح للصحابة رضوان الله عليهم الفهم الخاطئ عند تعلم القرآن الكريم، وكان صلى الله عليه والسلام يقدم التعزيز ثم يتبعه بالتصحيح، أو كما يسميه علماء التربية "التعلم بالإيحاء".

٩. **تهيئة بيئة التعلم المناسبة للمتعلمين:** أشار الحديث النبوي[1] إلى أن رفع الصوت في قراءة القرآن الكريم في مكان يوجد به آخرون يقراؤن القرآن الكريم فيه إيذاء لهم، وتشويش عليهم، وأن الله عز وجل يسمع كل من يناجيه مهما كان صوته خافضاً.

---

١) رقم (٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥).

٢) رقم (٨، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩).

٣) رقم (٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩).

٤) رقم (٦٠).

٥) رقم (٦١، ٦٢).

١٠. **إظهار التطبيقات العملية لموضوعات التعلم:** بين الرسول صلى الله عليه وسلم[٢] للصحابة تطبيقات عملية مختلفة للآيات القرآنية التي يقرؤنها، وفي مناسبات متعددة، وهذا مما يثير دافعية المتعلمين نحو تعلم هذه الآيات.

١١. **الإهتمام بالمتطلبات السابقة للتعلم:** جعل الرسول صلى الله عليه وسلم[٣] تعلم الإيمان قبل تعلم القرآن الكريم، لأنه –كما يشير علماء التربية الحديثه – بأنه التعلم السابق لتعلم القرآن الكريم. وبه يصبح الدافع الداخلي لتعلم القرآن الكريم قوياً. ثم يأتي تعلم القرآن الكريم في الخطوة الثانية.

١٢. **استخدام المقارنة – المقابلة:** استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم[٤] اسلوب المقابلة لإثارة الدافعية الداخلية للصحابة رضوان الله عليهم لتعلم القرآن الكريم وتطبيق أوامره.

١٣. **تلبية رغبات وميول وحاجات وقدرات المتعلمين:** راعى الرسول الله صلى الله عليه وسلم[٥] حاجات المتعلمين وقدراتهم، وعلمهم على حسب هذه القدرات التي حددوها له عليه الصلاة والسلام.

١٤. **القدوة:** استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم[٦] أسلوب القدوة في حث الصحابة على السجود عند الآيات القرآنية التي تأمر بالسجود، ويتضح ذلك من خلال: أنه صلى الله عليه وسلم قد سجد عند قرائته لهذه المواضع في القرآن الكريم. وأنه صلى الله عليه وسلم قد بين سبب هذا السجود، وبين أنه مخالف لهدف السجود عند بعض الأنبياء عليهم السلام. ومن خلال تبينه صلى الله عليه وسلم كيف أن الشيطان الرجيم يظهر ندمه الشديد على أنه لم يسجد عندما أمره الله عز وجل بذلك، وأنه يحسد المؤمنين على طاعتهم لله عز وجل في السجود بالذات. وقد سجد صلى الله عليه وسلم عند بعض المواضع من القرآن الكريم ولم يسجد مرات أخرى عند قراءته لنفس المواضع وذلك ليعطي عذراً لأصحاب الأعذار.

المنهج الثالث: مساعدة المتعلمين على إدارة وقت التعلم

من الأمور التي تساعد على إثارة الدافعية الداخلية للمتعلمين مساعدتهم على تنظيم وإدارة وقت تعلمهم وحفظهم للقرآن الكريم، وأشارت الأحاديث النبوية إلى مجموعة من الاساليب، تمثلت فيما يأتي:

١. **تحديد الفترة الزمنية لقراءة القرآن الكريم:** لم يقر الرسول صلى الله عليه وسلم[٧] الصحابي عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما على فعله من قراءة القرآن الكريم في ليلة واحدة أو من مبالغته في القراءة، فأمره في البداية أن يقراءه في أربعين يوماً، ثم بعد إلحاحه رضي الله عنهما وصل به الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحد الأدنى؛

---

١) رقم (٦٣).
٢) رقم (٢٧، ٦٤، ٦٥، ٦٦).
٣) رقم (٦٧).
٤) رقم (٦٨، ٦٩).
٥) رقم (٧٠).
٦) رقم (٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤).
٧) رقم (٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١).

ثلاثة آيام. ثم لم يستجب بعد ذلك صلى الله عليه وسلم للإحاحه. وأشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أسباب ذلك، بأنه الخوف من عدم القدرة على الإستمرار عند التقدم في العمر، والخوف من إدراك القارئ الملل، وعدم وجود زمن من أجل التدبر والفهم.

٢. **المرونة في الخطة الزمنية**: أشارت الأحاديث النبوية[١] إلى وجوب تحري المرونة عند تطبيق خطة التعلم، لما قد يطرأ عليها من بعض الأمور الطارئة التي لم تكن بالحسبان عند التخطيط، وأن عدم توافر هذه الصفة في الخطة، سوف يعرضها عند أول حادث إلى الإضطراب وعدم الصلاحية للتنفيذ.

٣. **تعظيم قيمة الوقت المبذول للتعلم**: وجه الرسول صلى الله عليه وسلم[٢] أن من يشغل وقته بتعلم القرآن الكريم وقراءته، فإنه يحصل على أمور عظيمة منها: أن الله عز وجل سوف يعطيه خير ما يعطى به السائلين، وأن الله عز وجل يقبل شفاعة القرآن الكريم فيه، وأنها الحالة الوحيدة التي أبيح فيها حسد صاحبها، للإشارة إلى الخير فيها.

٤. **ربط مقدار الأجر بالوقت المبذول على التعلم**: تضع الأحاديث النبوية[٣] قاعدة هامة وهي: كلما زاد مقدار مقدار الحفظ والقراءة والتعلم للقرآن الكريم كلما زاد مقدار الآجر عند الله عز وجل. والأحاديث النبوية متنوعة في ذلك، فمنها من ربط الآجر بعدد الآيات المقرؤوة، ومنها ما ربطه بعدد الأحرف المقرؤوه، ومنها ما ربطه بزمن القراءة.

٥. **توجيه المتعلمين إلى استمرارية التعلم في جميع الأوقات وعلى جميع الهيئات**: حث الرسول صلى الله عليه وسلم[٤] على استمرار تعلم وتعليم القرآن الكريم ومداومة قراءته ليلاً ونهاراً، وعلى كل حال، وفي كل مكان مكان وزمان، وبما يراعي ظروف المتعلمين.

٦. **التوظيف الأمثل للوقت**: أشار الرسول صلى الله عليه وسلم[٥] إلى مضاعفة آجر تعلم القرآن الكريم مقابل الجهد البسيط المبذول، وذلك من خلال تعدد الحالات التي أشارات إليها الأحاديث النبوية، ومن خلال تعدد رواة الأحاديث، ولتنوع الأساليب التي استخدمها صلى الله عليه وسلم لدفع الصحابة لقراءة هذه السورة.

٧. **التكليف بزيادة وقت التعلم والقراءة**: أشار الحديث النبوي[٦] إلى أن المتعلمين للقرآن الكريم والحافظين عليهم عليهم أن يقوموا بأعمال إضافية عن غيرهم من شأنها أن تزيد مدة تعلمهم للقرآن الكريم، كقيام الليل.

---

١) رقم (٨٢، ٨٣).

٢) رقم (٨٤، ٨٥)

٣) رقم (٢، ١١، ٨٦، ٨٧).

٤) رقم (٨٨، ٨٩، ٩٠).

٥) رقم (٦٢، ٨٠، ٩١).

٦) رقم (٩٢).

٨. **تحديد أوقات مخصوصة لقراءات مخصوصة**: خص الرسول صلى الله عليه وسلم[١] بعض الأوقات (السنوية، والأسبوعية، واليومية) لقراءة بعض السور والآيات القرآنية، وكرر ذلك دائماً، ليشعر المتعلمين والحفظة بأهمية هذه السور والآيات. ويثير دافعيتهم الداخلية لتعلمها.

٩. **استغلال إقبال المتعلمين على التعلم**: **يشير** الحديث النبوي[٢] إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استجاب لحالة التعلم عندما الصحابة عندما رأهم مستعدين للسجود فسجد معهم.

المنهج الرابع: تقديم النماذج والقدوات للمتعلمين

أشارت عينة الدراسة إلى مجموعة من الاساليب التي تساعد على إثارة الدافعية الداخلية للمتعلمين، والتي تتعلق بتقديم المعلم نفسه – أو غيره – نموذجاً للتعلم، وقد أشار عدد من الباحثين إلى أهمية هذا المنهج في إثارة الدافعية الداخلية. فأشار (أبو غدة، ١٩٩٧، ٦٥) إلى أن "التعليم بالفعل والعمل أقوى وأوقع في النفس واعون على الفهم والحفظ، وأدعى إلى الاقتداء والتأسي، من التعليم بالقول والبيان، وأن التعليم بالفعل والعمل هو الأسلوب الفطري للتعليم، فكان ذلك من أبرز وأعظم أساليبه صلى الله عليه وسلم في التعليم".. وأشارت دراسة (Gorham & Millete, 1997) إلى أن مستوى دافعية الطلبة تتشكل من خلال سلوك المعلم وخبرته التي يقدمها للمتعلمين ضمن البيئة الصفية بالإضافة إلى العوامل الأخرى. وأشار النحلاوي (٢٠٠٣، ٢٦٢) إلى ذلك بقوله: "علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رائد التربية الإسلامية أن يقصد المربي إلى تعليم طلابه بأفعاله، وأن يلفت نظرهم إلى الاقتداء به، لأنه إنما يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم". وتتمثل هذه الاساليب فيما يأتي:

١. **إظهار المعلم حرصه الشديد على قراءة وتعليم القرآن الكريم في كل الأحوال**: تشير الأحاديث النبوية[٣] إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يمنعه أي شيء عن تعليم القرآن الكريم وقراءته، ما عدا الجنابة؛ وهي مانع شرعي، وليس لها علاقة بحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تعليم الصحابة.

٢. **إظهار المعلم فرحه وسروره وتعافيه عند تعليم وقراءة القرآن الكريم**: كان صلى الله عليه وسلم[٤] من طبعه طبعه الجود والبذل. وكان صلى الله عليه وسلم يُظهر ذلك بشكل أكبر في شهر رمضان، وبالذات عندما يلقاه جبريل عليه السلام ليدارسه – أو يعارضه – القرآن الكريم، حتى أن ابن عباس رضي الله عنهما يصف هذا الجود كأنه الريح المرسلة. وكأن النبي يشكر الله عز وجل على هذه النعمة؛ وهي نعمة القرآن الكريم.

٣. **إظهار المعلم حبه للاستماع لقراءة القرآن الكريم من المتعلمين**: تشير الأحاديث النبوية[٥] إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استمع لقراءة القرآن الكريم في ظروف وأماكن مختلفة، فاستمع للصحابة رضوان الله

---

١) رقم (٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١).

٢) رقم (١٠٢).

٣) رقم (٩٠، ١٠٣).

٤) رقم (١٠٤).

٥) رقم (١٠٥، ١٠٦، ١٠٧).

عليهم وهم يقرؤون في بيوتهم، وهم يقرؤون في المسجد، واستمع هو وزوجته عائشة رضي الله عنها، واستمع لهم بدون قصد منه صلى الله عليه وسلم بالصدفة، وذهب إلى مكان القراءة ليستمع لمن يقرأ.

٤. **قيام المعلم بالتسميع والقراءة على غيره أمام المتعلمين:** كان صلى الله عليه وسلم[1] يقرأ على غيره؛ كجبريل عليه السلام، وأبي بن كعب رضي الله عنه، وكان الصحابة يشاهدونه ويسمعونه، مما يزيد من دافعيتهم للقراءة.

٥. **إظهار المعلم لأخطائه ونسينه أمام المتعلمين:** أظهر النبي صلى الله عليه وسلم[2] نسينه لعدة من الآيات — وليست آية واحدة — وأن أحد الصحابة رضوان الله عز وجل عليهم قد ذكره بها، وقد لُبس عليه صلى الله عليه وسلم، أي اختلط واشتبه عليه في قراءة الآيات، في الصلاة. وقدم نفسه صلى الله عليه وسلم نموذجاً لإمكانية الخطأ والنسيان، وأن هذا لا يعيبه ولا ينقص من قيمته ومن قدره، كي لا يشعر المتعلمون عند خطأهم بعيب أو نقص وتقل دافعيتهم للتعلم.

٦. **إظهار المعلم للصعوبات التي قد تواجه المتعلمين عند تعلمهم:** نبه الرسول صلى الله عليه وسلم[3] الصحابة إلى بعض المشكلات التي قد تواجههم في تعلم القرآن الكريم، ومنها المشكلات في زمن القراءة، والمشكلات في بعض موضوعات القرآن الكريم، التي تحتاج منهم إلى عناية خاصة عند قرائتها، وفهمها.

٧. **حل المشكلات والصعوبات التي تواجه المتعلمون عند تعلمهم:** الأحاديث النبوية[4] تشير إلى عدة مشكلات كانت تواجه الصحابة رضوان الله عز وجل في تعلمهم للقرآن الكريم، وفي قرائتهم، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حل تلك المشكلات بطرق متعددة تناسبها، ولم يتناسها.

٨. **إظهار المعلم للأخلاق والسلوكات التي أمر بها القرآن الكريم:** وصفت عائشة رضي الله عنها[5] خلق خلق الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاً جامعاً مفيداً، وهو أن القرآن الكريم هو الموجه لأخلاقه عليه السلام، فكل ما أمر به القرآن الكريم من أخلاقاً، تمثله الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل ما نهى عنه من أخلاقاً إنتهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم.

المنهج الخامس: التنوع في التعزيز لكل مستويات المتعلمين

من الأساليب الدافعه للتعلم تعزيز المتعلمين، والتنوع في التعزيز، وتقديم التغذية الراجعة لهم، وبما يتناسب مع رغباتهم وقدراتهم، واستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك أساليب عدة، منها:

---

١) رقم (١٠٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠).

٢) رقم (٦٠، ١١١، ١١٢).

٣) رقم (٧٦، ١١٣).

٤) رقم (٧٠، ١١٤، ١١٥، ١١٦).

٥) رقم (١١٧).

١. **تعزيز الجهد المبذول في التعلم مهما كان مستواه:** كان صلى الله عليه وسلم[١] يعزز جميع من يقرأ القرآن الكريم، أو من يتعلمه مهما كانت قدرته، أو نتيجة تعلمه. وفي ذلك تفعيل لمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين.

٢. **تميز من جمع أكثر من مسؤولية من مسؤوليات تعلم القرآن الكريم:** أشار الأحاديث النبوية[٢] إلى أن خير المسلمين وأفضلهم من جمع بين مرتبتي التعلم والتعليم للقرآن الكريم، ولم يكتفي بالتعلم فقط. ومما يدلل على مدى نجاح هذا الأسلوب في دفع المتعلمين لتعلم وتعليم القرآن الكريم أن راوي الحديث؛ كما ذكر الإمام الترمذي عند روايته لهذا الحديث، قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان حتى كان الحجاج، قال وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا". ويرجح الإمام العسقلاني (١٩٨٧، ٩/٧٥) أن المدة تراوحت ما بين اثنتان وسبعون سنة إلى ثمان وثلاثون سنة, بناءً على بداية خلافة عثمان ونهاية خلافة الحجاج. فالدافعية التي تستمر هذه المدة يجب أن يكون سببها قوي جداً.

٣. **تقديم التعزيز اللفظي المباشر للمتعلمين:** قدم الرسول صلى الله عليه وسلم[٣] التعزيز اللفظي المباشر على القراءة الصحيحة، كعبارة " أحسنت".

٤. **إبراز النماذج والقدوات المتميزة من المتعلمين:** حرص الرسول صلى الله عليه وسلم[٤] على تقديم نماذج من المتعلمين – سواء كانوا من السابقين أو الحالين – في الفهم والحفظ والإتقان في تعلم القرآن الكريم، لما لذلك من أثر على دافعية المتفوقين أنفسهم، وعلى دافعية غيرهم للوصول إلى مستواهم.

٥. **تقديم التعزيز المعنوي للمتميزين:** ميَّز الرسول صلى الله عليه وسلم حفظة القرآن الكريم بأمور منها؛ أنهم أحق الناس للإمامة في الصلاة من غيرهم[٥]. وتقديمهم في الدفن عند الموت على غيرهم لتكريمهم[٦]. وتقديمهم على غيرهم للمناصب القيادية كالإمارة وقيادة الجيش وغيرها[٧].

٦. **زيادة ثقة المتعلمين في أنفسهم ورفع كفايتهم الذاتية:** أظهر الرسول صلى الله عليه وسلم[٨] المنزلة العالية لبعض المتعلمين من الصحابة خلال تعلمهم، مما كان سبباً في زيادة ثقتهم بأنفسهم، ورفع لكفايتهم الذاتية.

٧. **إطلاق الألقاب المثيرة للدافعية على المتعلمين:** أطلق الرسول صلى الله عليه وسلم[١] مجموعة من الألقاب على المتعلمين للقرآن الكريم وعلى الحافظين له، وذلك في مناسبات متعددة، ومن هذه الألقاب: صاحب القرآن، وأهل القرآن، وحامل القرآن، وجامع القرآن، وحافظ القرآن، والقارئ، والذي لا يتوسد القرآن.

---

١) رقم (٨، ١١٨، ١١٩، ١٢٠).

٢) رقم (٨٥، ١٢١).

٣) رقم (١٢٢).

٤) رقم (٥٧، ١٢٣، ١٢٤).

٥) رقم (١٢٥، ١٢٦، ١٢٧).

٦) رقم (١٢٨، ١٢٩، ١٣٠).

٧) رقم (١٣١).

٨) رقم (٢٦، ١٠٧، ١٣٢).

٨. **تقديم محتوى التعلم – القرآن الكريم – على أنه مكافأة:** جعل الرسول صلى الله عليه وسلم[٢] القرآن الكريم معززاً للسلوك الجيد، من خلال تقديمه كجائزة، وجعله هو الشيء الذي يعزز به ولا نقصره على الشيء الذي يعزز عليه. وهي نقلة مهمة في أساليب إثارة الدافعية الداخلية.

٩. **الدعاء للمتميزين بما يثير الدافعية نحو موضوع التعلم – القرآن الكريم –:** ضم النبي صلى الله عليه وسلم[٣] ابن عباس رضي الله عنهما إلى صدره؛ وكانَ ابن عَبّاس إذ ذاكَ غُلامًا مُمَيِّزًا، مؤشراً على زيادة الحب والقربى، ودعا له بأن يؤتية الله الحكمه وتأويل القرآن، وهذا الدعاء من شأنه أن يزيد من دافعية الصحابي لتعلم القرآن الكريم.

المنهج السادس: ذكر فضائل الآيات والسور القرآني

تعد فضائل القرآن الكريم من علوم القرآن الكريم التي بحث فيها العلماء بشكل مفصل، وأفردوا له كتباً ودراسات متعددة، لما لها من شأن في إثارة دافعية المتعلمين لتعلم القرآن الكريم وقرائته وحفظة. وقد تناولوا العلماء فضائل القرآن الكريم على ثلاثة أوجه، منها شرف القرآن الكريم وفضله، وفضل القرآن الكريم على غيره كفضله على الكتب السماوية. وفضل بعضه على بعض. عبدالسلام الجار الله، (٢٠٠٨، ص ٦).

١. **فضائل القرآن الكريم عامة:** أشارت الأحاديث النبوية[٤] إلى مجموعة من فضائل القرآن الكريم عامة، منها: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وصى به وشدد في الوصية. وأن الله عز وجل قد أعطاه للرسول صلى الله عليه وسلم بدلاً من التوراة والزبور والإنجيل وزاد عليهم. وأن الله عز وجل يحب القرآن الكريم حباً عظيماً أكثر من السموات والأرض ومن فيهن. وأنه هدى ونور لكل البشر على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي. وأن طرفه بيد الله، وطرفه الآخر بيد عباده. وأن كل من تمسك به لن يضل في الدنيا ولن يهلك في الدنيا والآخرة. وأنه يدعو الناس للتمسك بالإسلام على المنهج الصحيح، وأنه قائدهم إلى الخير. وأن فضل الآمة الإسلامية على غيرها من الأمم قد جاء من فضل القرآن الكريم المنزل عليهم.

٢. **فضائل بعض الآيات المتفرقة:** أشارت الأحاديث النبوية[٥] إلى بعض الفضائل لبعض الآيات المتفرقة، ومنها: أن هناك آيات كريمة كما في سورة الطلاق لو أخذا بها الناس لكفتهم لأنها شاملة كاملة. وأن من فضل الدعاء الذي دعا به يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت وذكر في القرآن الكريم، إن من يدعوا به سوف يستجاب له. كما استجيب ليونس عليه السلام عندما دعا به.

---

١) رقم (٨، ٩، ١٠، ٩٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨)

٢) رقم (١٣٩).

٣) رقم (١٤٠، ١٤١).

٤) رقم (٢٤، ٤٥، ٦٨، ١٤٢، ١٤٣).

٥) رقم (١٩، ١٧٣).

المنهج السابع: موانع إثارة الدافعية الداخلية التي حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها

كما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أساليب من شأنها أن تزيد من الدافعية الداخلية لتعلم القرآن الكريم وحفظه، فإنه في المقابل قد حذر من بعض الأساليب التي يمكن أن تقلل من الدافعية الداخلية التي تؤثر على دافعية تعلم القرآن الكريم سلباً، وتسبب اللادافعية. فلا يكفي للمعلم أن يركز جهده على الأساليب الدافعة لتعلم القرآن الكريم وحفظه بل لا بد له من الإهتمام بالأساليب التي تقلل من الدافعية الداخلية وتوقفها أو تبطئ منها. ومنها:

١. **التحذير من عدم الإقبال على تعلم القرآن وحفظه:** حذر الرسول صلى الله عليه وسلم[١] من أن لا يحفظ المسلم شيئاً من القرآن الكريم، واستخدم الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب التمثيل والتشبيه لما في ذلك الأسلوب من أثر في النفس، فشبه بالبيت الخرب، وهذا زيادة في التنفير من هذه الحالة.

٢. **التحذير من الخلاف بين المتعلمين عند تعلم القرآن الكريم:** حذر الرسول صلى الله عليه وسلم[٢] الصحابة من قيامهم بضرب القرآن الكريم بعضه ببعض، وأظهر عليه الصلاة والسلام غضبه بصورة محسوسة؛ بإحمرار وجهه عليه السلام، حتى وصفه الصحابي كأنه قد فقأ في وجهه حب الرمان من شدة الإحمرار.

٣. **التحذير من استخدام الألفاظ الدالة على التساهل في عمليات التعلم:** نهي الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث النبوي[٣] عن قول بعض العبارات الدالة على التساهل في عملية تعلم القرآن الكريم وحفظه، لما لها من أثر نفسي على دافعية تعلم القرآن الكريم.

٤. **التحذير من التخوف من تعلم القرآن الكريم بحجة عدم القدرة على الوفاء به:** أشار الحديث النبوي[٤] إلى قضية مهمة تمنع من الدافعية وتثبطها بدرجة عالية وهي خوف البعض من عدم قدرتهم من القيام بحق ما تعلمه، فالحل كان من وجهة نظرهم أن لا يتعلموا، فهولاء حالهم كحال من كانت يديه تؤلمه فلكي يتخلص من الألم قام بقطع يده. وأشار الحديث النبوي إلى أن من قصر في التعلم جاءت عليه لحظة ندم فيها على ذلك.

٥. **التحذير من التحدث في موضوعات القرآن الكريم بدون علم واتباع المتشابه منه:** حذر الرسول صلى الله عليه وسلم[٥] المسلمين من أن يقولوا في القرآن الكريم برأيهم بدون علم، وأن من يفعل ذلك فليتبوأ مقعده من النار؛ بمعنى أنه من أهل النار.

٦. **التحذير من البحث عن نقاط الخلاف – المتشابهات** – من أجل الفتن وإثارة المشكلات: حذر الرسول صلى الله عليه وسلم[١] من الإصغاء لمن يتبع المتشابة من القرآن الكريم ومن يتبع المشكلات للفتنة[٢].

١) رقم (١٧٤).
٢) رقم (١٧٥).
٣) رقم (١٧٦).
٤) رقم (١٣١).
٥) رقم (١٧٧).

٧. **التحذير من التساهل في متابعة التعلم وتعريض الحفظ للنسيان:** حذر الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث النبوي[٣] حافظ القرآن الكريم من أن يتغافل عن مداومة المراجعة لحفظه، ومداومة التثبيت، لأن ذلك من شأنه أن يقلل من دافعيته عن الاستمرار في الحفظ والتعلم. والحديث يصف صاحب القرآن المحافظ عليه من النسيان بصاحب الأبل الذي يحافظ على إبله من الضياع، من حيث مداومة المتابعة والمراقبة والتيقظ.

٨. **التحذير من الاكتفاء بإقامة حروف القرآن الكريم وترك التدبر والعمل والإيمان به:** حذر الرسول صلى الله عليه وسلم[٤] من عدم الاستفادة من تعلم القرآن الكريم، وعدم تركه لأثر عند المتعلم، ويتمثل ذلك في عدم القدرة على التوظيف الأمثل لم تم تعلمه، وهو ما يصفه التربويون بعدم القدرة على نقل الخبرات. والأحاديث تشير إلى هناك مجموعة تقراء القرآن الكريم، وأن هذه القراءة لا تجاوز تراقيهم؛ وفي رواية حناجرهم. ونقل الإمام العسقلاني (١٩٨٧، ١٢/٢٩٣): "المراد أنهم ليس لهم فيه حظ إلا مروره على لسانهم، لا يصل إلى حلوقهم فضلاً عن أن يصل إلى قلوبهم، لأن المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب". وأشار أبادي (١٩٩٨، ١٣/ ٧٨) إلى أن ذلك يعني: "لا يتجاوز أثر قراءتهم عن مخارج الحروف والأصوات ولا يتعدى إلى القلوب; أو المعنى أن قراءتهم لا يرفعها الله ولا يقبلها فكأنها لم يتجاوز حلوقهم".

٩. **التحذير من التشدد أو التساهل في الأخذ من القرآن الكريم:** أشار الحديث النبوي[٥] إلى أن من إجلال المسلم وتوقير لله عز وجل، إجلال حامل القرآن الكريم الذي لا يغالي فيه، ولا يتجافى[٦] عنه؛ وذلك بإكرام قارئه وحافظه وعالمه، وهو منهج الإسلام في الاعتدال في التعامل مع القرآن الكريم بدون غلو وتشدد ومجاوزة للحد، من حيث العمل به أو تعلمه أو تتبع ما خفي منه، من المتشابهات في المعاني.

١٠. **التحذير من عدم الإخلاص في تعلم القرآن الكريم وقرائته وحفظه:** الإخلاص ركن أساس من أركان إثارة الدافعية الداخلية واستمرارها عند المتعلمين، وهو الذي يقوي الدافعية الداخلية ويمدها بالوقود الدائم والضروري للتعلم والحفظ، وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث النبوية[٧] من عدم الإخلاص في تعلم القرآن الكريم وتعليمه وقراءته.

---

١) رقم (١٧٨).

٢) لا بد من التأكيد هنا من أن المقصود بهذا الحديث هو الشخص الذي يسأل لكي يثير الفتن والمشكلات، ويسأل فيما لا فائدة منه، وأما من يسأل لكي يتعلم فلا بئس به، بل يجب أن يجاب عن أسئلته.

٣) رقم (١٧٩).

٤) رقم (١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣).

٥) رقم (١٣٤).

٦) والتجافي هو: الإبتعاد عن تلاوته والإشتغال بتفسيره وتأويله؛ ولذا قيل اشتغل بالعلم بحيث لا يمنعك عن العمل واشتغل بالعمل بحيث لا يمنعك عن العلم.

٧) رقم (١١٨، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦).

١١. **التحذير من الأخلاق التي تسبب انعدام الدافعية في تعلم القرآن الكريم وحفظه وقراءته:** الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث النبوي[١] عدَّ المراءة في القرآن الكريم من الكفر، و نقل الزيلعي(١٤١٤هـ، ٣/٢١٧) عن ابن عبد البر في كتاب العلم، أنه قال: "ومعنى الحديث، المراء الذي يؤدي إلى جحدها، أو وقوع الشك فيها، فهذا هو الكفر، وأما التنازع في معاني القرآن وأحكامه فجائز إجماعاً".

خلاصة بأهم النتائج:

توصلت بحمد الله سبحانه وتعالى إلى أن كلا من كتب السنن الأربعة قد احتوت على (١٨٧) حديثاً نبوياً تم تصنيفها في سبع مناهج مختلفة لإثارة الدافعية الداخلية لتعلم القرآن الكريم وحفظه، وهذه المناهج هي:

المنهج الأول: ذكر المنافع من تعلم القرآن الكريم: أشارت الأحاديث النبوية إلى ستة عشرة أسلوباً، وهي: الحصول على محبة الله عز وجل، وتكثير الحسنات، والشفاعة يوم القيامة، دخول الجنة، ورفع الدرجات في الجنة، ونزول السكينة والرحمة، والحفظ من الشيطان ووساوسه، واستجابة الدعاء، وحضور الملائكة للإستماع لقرائته، والوقاية من الفتن العظيمة، والإعلاء من المنزلة في الدنيا، والشفاء من الأمراض النفسية والبدنية، وأحق الأعمال التي يُستحقُ عليها الآجر، واعتبار حفظه وتعلمه كنزاً وقيمة مالية، ويُغَاضُ به عدو الإنسان الأول – الشيطان –، ويُستَنزلُ به النصر من عند الله عز وجل.

المنهج الثاني: توظيف الطرق والإستراتيجيات التعليمية الملائمة لإثارة الدافعية: أشارت الأحاديث النبوية إلى أربعة عشرة أسلوباً، وهي: طرح السؤال، وإشراك الحواس المختلفة في التعلم (التعليم الحسي)، وإثارة تشويق المتعلمين للتعلم، وضرب الأمثال، وطلب الوصول بالتعلم إلى درجة الإتقان، وطلب تحسين مهارات الصوت عند القراءة، وتوجيه المتعلمين إلى الاستعداد البدني عند التعلم، وتصحيح الفهم الخاطئ عند المتعلمين، وتهيئة بيئة التعلم المناسبة للمتعلمين، وإظهار التطبيقات العملية لموضوعات التعلم، والإهتمام بالمتطلبات السابقة للتعلم، واستخدام المقارنة – المقابلة، وتلبية رغبات وميول وحاجات وقدرات المتعلمين، والقدوة.

المنهج الثالث: مساعدة المتعلمين على إدارة وقت التعلم: وقد أشارت الأحاديث النبوي إلى تسعة أساليب على النحو الآتي: تحديد الفترة الزمنية لقراءة القرآن الكريم، والمرونة في الخطة الزمنية، وتعظيم قيمة الوقت المبذول للتعلم، وربط مقدار الأجر بالوقت المبذول على التعلم، وتوجيه المتعلمين إلى استمرارية التعلم في جميع الأوقات وعلى جميع الهيئات، والتوظيف الأمثل للوقت، والتكليف بزيادة وقت التعلم والقراءة، وتحديد أوقات مخصوصة لقراءات مخصوصة، واستغلال إقبال المتعلمين على التعلم.

المنهج الرابع: تقديم النماذج والقدوات للمتعلمين: وقد أشارت الأحاديث النبوية إلأى ثمانية أساليب على النحو الآتي: إظهار المعلم حرصه الشديد على قراءة وتعليم القرآن الكريم في كل الأحوال، وإظهار المعلم فرحه وسروره وتعافيه عند تعليم وقراءة القرآن الكريم، وإظهار المعلم حبه للاستماع لقراءة القرآن الكريم من المتعلمين، وقيام المعلم بالتسميع والقراءة على غيره أمام المتعلمين، وإظهار المعلم لأخطائه ونسينه أمام المتعلمين، وإظهار المعلم للصعوبات

١) رقم (٦٠، ١٨٧).

التي قد تواجه المتعلمين عند تعلمهم، وحل المشكلات والصعوبات التي تواجه المتعلمون عند تعلمهم، وإظهار المعلم للأخلاق والسلوكات التي أمر بها القرآن الكريم.

المنهج الخامس: التنوع في التعزيز لكل مستويات المتعلمين: وقد أشارت الأحاديث النبوية إلى تسعة أساليب، على النحو الآتي: تعزيز الجهد المبذول في التعلم مهما كان مستواه، وتميز من جمع أكثر من مسؤولية من مسؤوليات تعلم القرآن الكريم، وتقديم التعزيز اللفظي المباشر للمتعلمين، وإبراز النماذج والقدوات المتميزة من المتعلمين، وتقديم التعزيز المعنوي للمتميزين، وزيادة ثقة المتعلمين في أنفسهم ورفع كفايتهم الذاتية، وإطلاق الألقاب المثيرة للدافعية على المتعلمين، وتقديم محتوى التعلم – القرآن الكريم – على أنه مكافأة، والدعاء للمتميزين بما يثير الدافعية نحو موضوع التعلم – القرآن الكريم –.

المنهج السادس: ذكر فضائل الآيات والسور القرآني: وقد أشارت الأحاديث النبوية إلى إحدى وعشرون أسلوباً على النحو الآتي: فضائل القرآن الكريم عامة، وفضائل سورة الفاتحة، وفضائل سورة البقرة، وفضائل سورة آل عمران، وفضائل سور المسبحات، وفضائل سورة الكهف، وفضائل سورة طه، وفضائل سورة الحج، وفضائل سورة السجدة وسورة الجمعة وسورة المنافقون، وفضائل سورة الفتح، وفضائل سورة ق وسورة القمر، وفضائل سورة الملك، وفضائل سورة الأعلى والغاشية، وفضائل سور التكوير والإنفطار والإنشقاق، وفضائل سورة الزلزلة، وفضائل سورة الكافرون، وفضائل سورة الإخلاص، وفضائل سورة المعوذتين، وفضائل بعض الآيات المتفرقة.

المنهج السابع: موانع إثارة الدافعية التي حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها: وقد أشارت الأحاديث النبوية إلى إثنى عشرة أسلوباً على النحو الآتي: التحذير من عدم الإقبال على تعلم القرآن وحفظه، والتحذير من الخلاف بين المتعلمين عند تعلم القرآن الكريم، والتحذير من استخدام الألفاظ الدالة على التساهل في عمليات التعلم، والتحذير من التخوف من تعلم القرآن الكريم بحجة عدم القدرة على الوفاء به، والتحذير من التحدث في موضوعات القرآن الكريم بدون علم واتباع المتشابه منه، والتحذير من البحث عن نقاط الخلاف – المتشابهات – من أجل الفتن وإثارة المشكلات، والتحذير من التساهل في متابعة التعلم وتعريض الحفظ للنسيان، والتحذير من الاكتفاء بإقامة حروف القرآن الكريم وترك التدبر والعمل والإيمان به، والتحذير من التشدد أو التساهل في الأخذ من القرآن الكريم، والتحذير من عدم الإخلاص في تعلم القرآن الكريم وقرائته وحفظه، والتحذير من الأخلاق التي تسبب انعدام الدافعية في تعلم القرآن الكريم وحفظه وقراءته.

التوصيات

١. الاهتمام بدراسة مناهج وأساليب إثارة الدافعية الداخالية عند تعليم القرآن الكريم وحفظه.
٢. مراعاة التنوع في أساليب إثارة الدافعية الداخلية لدى المتعلمين.
٣. تدريب المعلمين على الأساليب النبوية في إثارة الدافعية الداخلية لتعلم القرآن الكريم وحفظه.
٤. دراسة الأساليب النبوية في إثارة الدافعية الداخلية لتعلم القرآن وحفظه من مصادر أخرى للحديث النبوي.
٥. دراسة الأساليب النبوية في إثارة الدافعية الداخلية لتعلم الموضوعات الأخرى من مصادر الحديث المختلفة.

المراجع

- أبادي، شمس الحق العظيم. (١٩٩٨). عون المعبود شرح سنن أبي داود. دار الكتب العلمية: بيروت.
- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني. (١٩٨٠). سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. (١٩٩٢). سنن أبي داود. دار الجيل — بيروت — لبنان.
- أبو دف، محمود. (١٩٩٧). بعض الأساليب التربوية المستنبطة من خلال السنة النبوية. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر: مصر.
- البغوي، الحسين بن مسعود الفراء. (١٤٠٣هـ). شرح السنة. تحقيق زهير شاويش، وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي.
- الترمذي، (٢٠٠٨). سنن الترمذي، حكم على أحاديثه الألباني، واعتنى به مشهور آل سلمان، ط٢، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- ريان، محمد هاشم. (٢٠٠٦). استراتيجيات التدريس لتنمية التفكير، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع: الكويت.
- الزيلعي، جمال الدين. (١٤١٤هـ). **تخريج الأحاديث والآثار الكشاف،** تحقيق: عبدالله بن عبدالرحمن سعد، الناشر: دار ابن خزيمة.
- سليمان، السر أحمد. (٢٠٠١). العناصر التعليمية في الخطاب النبوي اللفظي. المجلة التربوية، جامعة الكويت، (١٦)، ٦١، ١٣٧ — ١٩٦.
- الشهري، محمد فايز. (٢٠٠٥). الأساليب التربوية للعقاب في السنة النبوية ومدى استخدامها في المدارس الابتدائية في مدينة الطائف. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى: مكة المكرمة، كلية التربية الإسلامية والمقارنة. المملكة العربية السعودية.
- الصعيدي، فواز بن مبيريك. (٢٠٠٩) الأساليب التربوية النبوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك وكيفية تفعيلها مع طلاب المرحلة الثانوية بنين (تصور مقترح). رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى: مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية
- عبدالسلام، بن صالح بن سليمان الجارالله. (٢٠٠٨).**فضائل القرآن الكريم**، دار التدميرية، المملكة العربية السعودية: الرياض.
- عبدالله، عبد الرحمن صالح. (٢٠٠٠). المنهاج الدراسي رؤية إسلامية، ط٢، دار الياقوت، عمان.
- عدس، عبد الرحمن. وقطامي، يوسف. (٢٠٠٣). علم النفس التربوي النظرية والتطبيق الأساسي، دار الفكر: الأردن.
- العسقلاني، أحمد بن علي. (١٩٨٧). فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار الفكر للنشر والتوزيع: بيروت.
- عطيفة، حمدي أبو الفتوح. (١٩٩٦) منهجية البحث العلمي وتطبيقاتها في الدراسات التربوية والنفسية، القاهرة: دار النشر للجامعات.
- مسلم، بن الحجاج النيسابوري. (٢٠٠٩). المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم. اعتنى به: ياسر حسن، وعز الدين ضلى، وعماد الطيار. ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون: دمشق: سوريا.
- المطلس، عبده. (١٩٩٨). الدليل في تحليل المناهج النظرية والتطبيق. صنعاء، جامعة صنعاء، الجمهورية اليمنية.
- النحلاوي، عبد الرحمن. (٢٠٠٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها. ط٢، دار الفكر : دمشق.
- النسائي، أحمد بن شعيب. (١٤٠٦ هـ). سنن النسائي الصغرى. تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة. كتب المطبوعات الإسلامية — حلب، ط٢.
- النووي، يحي بن شرف الدين. (٢٠٠٢). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. دار ابن حزم — بيروت.

مهمة الرسول في القرآن
وعلاقتها بحاكمية الإسلام في مناحي الحياة

د. وليد بن محنوس الزهراني
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
رئيس قسم الدراسات الإسلامية
جامعة الباحة
السعودية
dr.w.m@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن السنة النبوية كانت غرَضًا لأطياف شتى، تختلف اتجاهاتهم، وانتماءاتهم الفكرية والأيدلوجية، لكنها تتفق على إقصاء السنة النبوية عن إطار التشريع وبناء الأحكام من نصوصها الشريفة بدعاوى متعددة، ومتنوعة، ومن صور هذا الإقصاء محاولة خلق تعارض بين القرآن والسنة، أو الاحتجاج على بطلان السنة بالقرآن، وهذا منهج تتضح خطورته بالالتفاف والتحايل على إقصاء السنة من داخل المنهج الشرعي في الاستدلال! فالمسار النقلي على إقصاء السنة بدأ يسير بمحاذاة المسار العقلي في محاولة لإجهاض أي تحكيم للسنة النبوية في تطبيق الشريعة الإسلامية.

ومن هذا القبيل ظهرت الأطروحات المنادية بتحجيم السنة النبوية من خلال إبداء مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن، وأنها تدل على: "كف يد النبي صلى الله عليه وسلم عن التشريع أو الزيادة على القرآن"، وقد ركب أصحابها منهج القرآنيين[١] في طرح السنة اكتفاء بالقرآن، ومن هذه الأطروحات التي ظهرت متأخرة "الكتاب والقرآن" لمحمد شحرور والذي زعم فيه: "أن الله سبحانه وتعالى لم يعط لأحد الحق في وضع حدود تشريعية ثابتة إلى أن تقوم الساعة..."[٢]، وكتاب "من اسلام القرآن إلى إسلام الحديث" لجورج طرابيشي الذي كَتَبَ كتابه بِنَفَسٍ أثري يُعنى بالآيات، وتحليلها والإنطلاق منها، والإعتماد على الآثار وأسباب النزول!

وتبرز خطورة هذه الأطروحات أنها تخاطب النُخب المثقفة ثقافة غير شرعية في الغالب، وهم يطرحون مضمونها على الملأ بكل جراءة، مما يقود إلى اغترار غير المتخصصين في شَرَك أقوالهم.

والأمر –كما يقول الأستاذ محمد قطب في مقدمة كتاب رؤية إسلامية: "وقد يعيش الفرد العادي في كل أمة ذلك الذي يسمونه: رجل الشارع!" بغير وعي ولا فهم لما يدور حوله من أحداث، لأنه يتناول الحياة جُزئية جزئية بغير ترابط، ولأنه مشغول بأمور حياته اليومية، أو أمور شهواته، ولأنه لا صبر له على تحليل الأحداث وتعمقها، فهو يتناول الأمور جاهزة من وسائل إعلامه، كما يتناول وجبة الطعام الجاهزة من السوق، أو كما يتناول حبّة "الفيتامينات" الجاهزة التي أعدها له الأخصائيون في الدواء!".

وهذه الورقة وإن كانت لا تُعنى بتتبع سقطات محمد شحرور، أو جورج طرابيشي في كتابيهما، لكنها تناقش الفكرة العامة التي يحملها الكتابان، وغيرهما من الأُطروحات المشابهة.

---

١) وهم فرقة يقوم منهجهم على الاعتماد على القرآن دون السنة في التشريع الإسلامي، انتشرت في الهند منذ نهاية القرن التاسع عشر، معتمدة على أفكار أعضاء حركة أحمد خان، ثم بدأ غلام نبي المعروف بعبد الله جكرالوي مؤسس الحركة القرآنية نشاطه الهدام بإنكار السنة كلها، وقد تزعم حركة القرآنيين في بداية الأمر شخصيتان : محب الحق عظيم أبادي في بهار –شرقي الهند– وعبد الله جكر الوي في لا هور في آن واحد من منبع متحد، انظر القرآنيون لخادم بخش (ص: ١٩-٢٠).

٢) الكتاب والقرآن (ص:٥٥٣-٥٥٤).

وقد اقتصرت في الاستدلال على عالمية الرسالة النبوية، وحاكميتها بآيات القرآن الكريم فقط؛ لنقض تلك المزاعم فيما جعلوه حُجة، فمن يُنكر السُنة لا يناقش بأدلة من السنة للتنزل في المجادلة والمناظرة، لا لموافقته في دعواه.

وقد رتبت أفكار هذه الورقة على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة تشتمل على التعريف بالبحث، وخطته.

التمهيد: في دلالة القرآن على حُجية أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله.

المبحث الأول: مهمة الرسول في القرآن.

المبحث الثاني: دلالة الحصر في مهمة التبليغ والإنذار والتذكير.

ويتبع ذلك خاتمة في أثر مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم على حاكمية الإسلام على مناحي الحياة.

أسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل.

التمهيد

في دلالة القرآن على حُجية أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله

حاول جورج طرابيشي أن يقصر على الرسول صلى الله عليه وسلم مهمة البلاغ فقط، وادعى أن الله لم يخاطبه سوى بلفظ الرسول لتأكيد أنه مُبلِّغ فقط ليس له أي زيادة على نص القرآن! بل عَبَّر بتعبير فج إذ زعم أن الرسول كان "مكفوف اليدين من ناحية التشريع"! [٣]

وهذا تدليس ظاهر على القراء؛ فإن الله تعالى خاطب رسوله بالرسالة، وخاطبه بالنبوة، ومعناهما متقارب، ولكن لماذا التلبيس؟!

والسؤال الجوهري هنا: هل وظيفة الرسول في القرآن تقتصر على على البلاغ والتذكير فقط؟ وهل ما ورد في القرآن هو موطن الحُجة في مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم دون أن يكون الأمر والنهي الوارد على لسانه وحيٌ إلهيٌ ما لم يرد في القرآن؟

وقبل أن أشرع في الرد على السؤال الأول، وهو موطن الحديث في هذه الورقة، أشير باقتضاب إلى الجواب على السؤال الثاني.

إن آيات القرآن تدل على أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مستقلة بوجوب الالتزام بها، فلا فرق بين ما يُخبر به منسوبًا لله تعالى، وهو القرآن، وبين ما يُخبر، أو يأمر وينهى عنه باعتباره نبيًا يوحى إليه.

ولذلك جاء الأمر بطاعته معطوفًا على طاعة الله، قال الإمام الشاطبي: "تكراره الفعل "وَأَطِيعُوا" يدل على عموم الطاعة بما أتى به مما في الكتاب، ومما ليس فيه مما هو من سنته"[٤]، فإذا كانت طاعة الرسول تكون فقط فيما يُبلغه عن ربه تعالى؛ فلماذا عطف الله تعالى طاعته صلى الله عليه وسلم على طاعة ذاته المقدَّسة؟

---

٣) انظر من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث (ص: ١١).

٤) الموافقات (٣/٢٢٩).

لماذا وقع التمييز، رغم أن هناك آيات أُخر تدل على طاعته صلى الله عليه وسلم هي عينُ طاعة الله تعالى،

قال الإمام الشافعي: "وفي شهادته بأنه يهدي إلى صراط مستقيم صراط الله، والشهادة بتأديَّه رسالته، واتباع أمره، وفيما وصفت من فرضه طاعته، وتأكيده إياه في الآي، ذكرت ما اقدم الله به الحجة على خلقه بالتسليم لحكم رسول الله واتباع أمره. قال الشافعي: وما سَنَّ رسول الله فيما ليس لله فيه حكم، فبحكم الله سنة، وقد سَنَّ رسول الله مع كتاب الله، وَسَنَّ فيما ليس فيه بعينه نص كتاب، وكل ما سَنَّ؛ فقد ألزمنا الله اتباعه، وجعل في اتباعه طاعته، وفي العنود عن اتباعها معصيته التي لم يُعذر بها خلقا"(٥).

قال ابن القيم رحمه الله:" أقسم اللهُ سبحانه وتعالى أصدقَ قَسَمٍ، وأبره، أنا لا نُؤْمِنُ حتى نُحَكِّمَه فيما شَجَرَ بيننا، ثم نَرضى بحُكمِه، ولا يلحقُنا فيه حرجٌ، ونسلِّم له تسليماً لا إلى غيره كائناً مَنْ كان" [٦].

وقد فسَّر قتادة، والحسن البصري، ويحيى بن أبي كثير وغيرهم من مفسري السلف الحكمة بأنها " السُّنَّة"[٧] ، وفسَّرها بعض العلماء بأنها: المعرفة بالدين والفقه فيه.

قال ابن وهب: "قلت لمالك: ما الحكمة؟ قال: المعرفة بالدين، والفقه في الدِّين، والاتباع له"[٨]، وقال ابن زيد: " الحكمة: الدين التي لا يعرفونها إلا به صلى الله عليه وسلم يعلمهم إياها"[٩].

قال الطبري:" والصواب من القول عندنا في الحكمة: أنها العلم بأحكام الله التي لا يُدْرك علمها إلا ببيان الرسول والمعرفة بها، وما دل عليه ذلك من نظائره، وهو عندي مأخوذ من الحكم الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل بمنزلة الجلسة والقعدة من الجلوس والقعود ، يقال منه : إن فلانا لحكيم بين الحكمة ، يعني به أنه لبين الإصابة في القول والفعل.

وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم كتابك الذي تنزله عليهم ، وفصل قضائك ، وأحكامك التي تعلمه إياها".[١٠]

وهذا دليلٌ على أن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم هو من وحي الله تعالى، فمن هذا الوحي الكتاب، وهو: القرآن الكريم[١١]

ولا شك أن تتبع الآيات التي تأمر بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتُلْزِم بامتثال أمره أكثر مما تحتمله هذه الورقات، ولكني وضعت بين يدي البحث إشارة لِعظم هذا الأصل عند المسلمين جميعًا.

٥) الرسالة (٨٨/١).

٦) زاد المعاد (٢٥٩/٥).

٧) تفسير القرآن العظيم لأبي حاتم (٢٣٦/١)، تفسير الطبري (٥٧٧/٢).

٨) تفسير الطبري (٥٧٧/٢).

٩) المرجع السابق.

١٠) تفسير القرآن العظيم لأبي حاتم (٢٣٧/١)، تفسير الطبري (٥٧٧/٢)، تفسير ابن كثير (٤٤٤/١).

١١) تفسير الطبري (٥٧٧/٢).

المبحث الأول

معالم مهمة الرسول في القرآن

تتضح لنا معالم مهمة الرسول في القرآن، فمنها:

١ - **الشهادة:** والشهادة كما يقول قتادة في قوله تعالى: "على أمتك بالبلاغ" [١٢]

وشهادته تتضمن شهادته بتبليغ الرسالة، وشهادته لمن امتثل، وعلى من عصى، وتبليغ الرسالة الإلهية هي المهمة الأولى، والرئيسة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد بعثه الله تعالى لدعوة الناس إلى دين الله الذي ارتضاه للبشرية عامة.

ومن صور تبليغ دين الله:

أ) إقراء كلام الله، وتبليغه للناس، وتعليمه.

ب) شرح بيان معاني كلام الله.

ولا شك أن تبيين معاني كلام الله هو أمرٌ زائدٌ على مجرد الشرح اللغوي، فإن المخاطبين بالقرآن عربٌ خُلّص يفهمون معاني القرآن بسليقتهم العربية، فاقتضى أن يكون البيان معنى زائدًا على مجرد التلاوة.

ولذلك قال الإمام الشاطبي: "وذلك التبليغ من وجهين: تبليغ الرسالة، وهو الكتاب، وبيان معانيه، وكذلك فعل صلى الله عليه وسلم، وجزاه عنا أفضل الجزاء بمنه وفضله، فأنت إذا تأملت موارد السنة وجدتها بيانا للكتاب، هذا هو الأمر العام فيها"[١٣]

صور البيان النبوي للقرآن:

أولا: تعيين الدلالات الشرعية للألفاظ القرآنية.

ثانيًا: تخصيص ألفاظ العموم الواردة في نص التنزيل، وتقييد مطلقاته، وتبيين ما أجمل منها.

ومن أمثلته: تحديد نصاب الزكاة، وتعيين محل قطع يد السارق.

ثالثا: التطبيق العملي للقرآن ليكون التُرجمان الفعلي لنصوص الوحي.

فمن ادعى أن القرآن وحده كافيًا في بيان شريعة الإسلام، فكيف يفهم الحكمة الإلهية في إنزال القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وأنه صلى الله عليه وسلم مأمورٌ بتبيين القرآن للناس، فما هي حدود هذا البيان؟

ولذلك قال الشيخ السباعي رحمه الله: "إن إنكار حجية السُنة، والإدعاء بأن الإسلام هو القرآن وحده، لا يقول به مسلم يعرف دين الله، وأحكام شريعته تمام المعرفة، وهو يتصادم مع الواقع، فإن أكثرها بالسنة، وما في القرآن من أحكام إنما هي مُجملةٌ، وقواعد كلية في الغالب، وإلا فأين نجد في القرآن: أن الصلوات خمس، وأين نجد ركعات الصلاة، ومقادير الزكاة، وتفاصيل شعائر الحج، وسائر أحكام المعاملات والعبادات الخ"[١٤]

---

١٢) تفسير الطبري (١٩/١٢٦).

١٣) الموافقات (٣/٢٣٠).

١٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلام، للدكتور مصطفى السباعي (ص: ١٦٥).

وهذه الشبهة إنما تلقفها جورج طرابيشي، ومحمد شحرور[١٥] عمن يسمون أنفسهم بالقرآنيين.

ج) تعليم الدين للناس بالوحي، والوحي أعم من القرآن؛ وهو الحكمةوقد سبق الكلام على معنى الحكمة في التمهيد.

٢ - **البشارة:**

وأصل البشارة : كل خبر تتغير به بشرة الوجه، سارًا كان أم مكروهًا، لكنه في الغالب إنما يستعمل في الخبر السار، فإذا استعمل في الخبر السيء كان على الأصل، وقيل : أراد به : ضع هذا موضع البشارة، كما تقول العرب : تحيتك السوط، وعقابك السيف، يعنى : وضعت السوط مع التحية"[١٦].

قال في أضواء البيان: "والتحقيق أن إطلاق البشارة على الإخبار بما يسوء أسلوب من أساليب اللغة العربية، ومعلوم أن علماء البلاغة يجعلون مثل ذلك مجازًا، ويسمونه استعارة عنادية، ويقسمونها إلى تهكمية وتلميحية كما هو معروف في محله"[١٧].

٣ - **النذارة:**

٤ - **الدعوة إلى الله:** وهذه مهمة الأنبياء عليهم السلام فهم دعاةٌ إلى الله تعالى، يُبلغون رسالاته، ويهدون إلى سبيله.

٥ - **الهداية الدلالية:** والهداية الدلالية عائدةٌ إلى تبليغ دين الله تعالى.

٦ - **الحكم بين الناس:** وقد أُمر به النبي صلى الله عليه وسلم صراحة، وأُمر الناس بالتحاكم إليه، والإنصياع لحكمه.

٧ - **التزكية:**

قال الشيخ محمد عبده: "فإن الإسلام كما جاء بالتوحيد الماحي للشرك، جاء بالتهذيب المطهر من سفساف الأخلاق وقبائح العادات والمعاصي التي كانت فاشية في العرب ... وكانوا يسفكون الدماء فيما بينهم لأهون سبب يثير حميتهم الجاهلية ; لما اعتادوه من البغي في الثارات ومن شن الغارات ونهب بعضهم بعضاً ... وقد زكاهم النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كله باقتدائهم بأخلاقه العظيمة في عباداته الكاملة وآدابه العالية، وجمعهم بعد تلك الفرقة، وألف الله بينهم على يديه حتى صاروا كرجل واحد، وجعلت شريعته ذمتهم واحدة يسعى بها أدناهم...فأي تزكية أعلى من هذه التزكية؟"[١٨].

٨ - **الاجتهاد في تطبيق الأحكام:** كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في الحكم على الوقائع، وتطبيق الأحكام.

---

١٥) الكتاب والقرآن (ص:٥٥٤).

١٦) انظر التعريفات للجرجاني (ص:٦٥)، الكليات للكفوي (ص:٣٥٥)، تفسير السمعاني (٤٩٢/١).

١٧) أضواء البيان للشنقيطي (١٩٦/٣).

١٨) تفسير المنار (٢٣/٢).

الدلالة على ذلك من طريقين:

أولهما: إباحة الإجتهاد له في تطبيق الأحكام.

قال القرطبي: "يدل على جواز الاجتهاد في الأمور، والأخذ بالظنون مع إمكان الوحي، فإن الله أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك، واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أمر الله نبيه عليه السلام أن يشاور فيه أصحابه، فقالت طائفة: ذلك في مكايد الحروب، وعند لقاء العدو، وتطييبا لنفوسهم، ورفعا لأقدارهم، وتألفا على دينهم، وإن كان الله تعالى قد أغناه عن رأيهم بوحيه...روي ذلك عن الحسن البصري والضحاك"(١٩).

وثانيهما: في الإستدراك عليه صلى الله عليه وسلم **إذا أخطأ في اجتهاده.**

والأمثلة على هذا النوع كثيرة، فمنها:

- الاستدراك عليه صلى الله عليه وسلم في قضية أسارى بدر (٢٠)
- الاستدراك عليه صلى الله عليه وسلم في استغفاره لعمه أبي طالب(٢١)
- الاستدراك عليه صلى الله عليه وسلم في الصلاة على رأس المنافقين (٢٢)

والمستفاد من هذه الأمثلة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في الحكم الشرعي، واجتهاده بمثابة تشريع، وأمر، وإلزام ما دام الوحي قد أقره على اجتهاده، فإذا استدرك عليه الوحي، كان اجتهاده خطأ بشريًا.

وعندما يزعم جورج طرابيشي أن استدراك الوحي عليه صلى الله عليه وسلم يدل على عدم جواز اجتهاده(٢٣)، يكون الجواب أننا بين أمرين لا ثالث لهما.

الأول: أن يكون الاستدراك على حُكمه صلى الله عليه وسلم على الواقعة دون انتظار الوحي.

والثاني: أن يكون الاستدراك عليه صلى الله عليه وسلم في عين اجتهاده، من حيث موافقته للحق وعدمه.

والقول الأول يلزم عليه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُنهى عن مجرد الحكم، ومع ذلك يتكرر ذلك منه!

فهل هناك عاقلٌ يقول بهذا القول؟

هل يُمكن أن ينهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن استعجال حكم الوحي، وهو يكرر هذا الأمر مرارًا وتكرارًا؟

---

١٩) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٥/٤).

٢٠) انظر: صحيح الإمام مسلم،كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر وإباحة الغنائم (رقم:٤٦٨٧).

٢١) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ (رقم:٤٧٧٢).

٢٢) انظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ (رقم:٤٦٧٠).

٢٣) انظر من اسلام القرآن الى اسلام الحديث (ص:١١) وما بعدها.

إذا لم يبق إلا الإحتمال الثاني؛ أنه صلى الله عليه وسلم كان متروكًا له حرية الاجتهاد، فما أقره عليه الوحي، أصبح حُكمًا نافذًا، وما استُدرك عليه فهو من باب الخطأ في الحكم لا غير.

قال القرطبي: "واختلف العلماء في جواز الاجتهاد على الأنبياء فمنعه قوم، وجوزه المحققون، لأنه ليس فيه استحالة عقلية، لأنه دليل شرعي فلا إحالة أن يستدل به الأنبياء...فإن قيل: إنما يكون دليلا إذا عدم النص وهم لا يعدمونه. قلنا: إذا لم ينزل الملك فقد عدم النص عندهم، وصاروا في البحث كغيرهم من المجتهدين عن معاني النصوص التي عندهم ... وأن نبينا وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم في تجويز الخطإ على سواء إلا أنهم لا يقرون على إمضائه، فلم يعتبر فيه استدراك من بعدهم من الأنبياء"(٢٤).

٩ - الجهاد في سبيل الله: وهذه مهمة تنفيذية، تواترت فيها الآيات، والجهاد هنا بمعناه الشامل: جهاد الدعوة، وجهاد البلاغ، وجهاد السيف والقتال.

١- جهاد الحُجة والبيان.

٢- وأُمر صلى الله عليه وسلم بالجهاد بالسلاح، وقتال الكفار والبغُاة والمرتدون، وتحريض المؤمنين عليه، وهذا عامة ما في القرآن من الأمر بالجهاد.

وقد حقق النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد الشامل في حياته الشريفة، فكان أعظم مجاهدٍ عرفه التاريخ، وحقق ما أمر الله به عباده أتم تحقيق.

١٠ - عالمية رسالته صلى الله عليه وسلم.

فأبان سبحانه وتعالى: أن رسالته صلى الله عليه وسلم هي للعَالَمين كافة، وللبشر جميعًا دون تخصيص، وأن رسالته هي رحمة الله للعالمين، فإن" أن الله أرسل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالمين، مؤمنهم, وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به, وبالعمل بما جاء به من عند الله الجنة، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله"(٢٥)

المبحث الثاني

دلالة الحصر في مهمة التبليغ والإنذار والتذكير

أوهم أسلوب القصر الوارد في كثير من الآيات الخاصة بمهمة بلاغ الرسول صلى الله عليه وسلم بعض المهتمين بأن النبي صلى الله عليه وسلم ليست له مهمة سوى تبليغ الرسالة، دون أن يكون له مهمةً أخرى، اضافةً أنه صلى الله عليه وسلم كان مُنفذا لأحكام الله تعالى إضافة لمهمته في البلاغ والتذكير والإنذار.

وهذا ما فهمه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا أبو بكر رضي الله عنه يعطينا درسًا في هذا الفهم، فعن إسماعيل عن قيس قال: قال أبو بكر بعد أن حمد الله، وأثنى عليه: "يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه

٢٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٢/٣٠٩).

٢٥) جامع البيان للطبري (١٦ / ٤٤١).

الآية وتضعونها على غير مواضعها...وإنا سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**))(٢٦).

وعري عن البيان أن من تمام الاهتداء الأخذ على يد الظالم، وهو قدرٌ زائد على التذكير والبيان.

قال ابن عاشور: "على الرسول أمورا أخر غير البلاغ مثل التعبد لله تعالى، والخروج إلى الجهاد، والتكاليف التي كلفه الله بها مثل قيام الليل"(٢٧).

والقصر من أساليب التوكيد القوية؛ "ذلك أنه تأكيد فوق تأكيد؛ لأنه يضغط جملتين في جملة، فهو تركيز شديد في الأسلوب"(٢٨).

والقصر في جميع الآيات الخاصة بمهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قصرٌ إضافي، لا حقيقي، والفرق بينهما: أن القصر الحقيقي يُثبت الحكم للمذكور، وينفيه عما عداه، ويكون الإثبات والنفي حقيقي لا مجازي، وأما القصر الإضافي فإنه يُثبت الحكم للمذكور حقيقة، وينفيه عما عداه مجازًا(٢٩)

"فإذا كان (القصر) عامًا شاملاً في الواقع الخارجي، أو في نفس الملقي؛ فهو حقيقي، وإن كان المنفي خاصًا؛ فهو إضافي، وبتوضيح أكثر فإن القصر الوارد في آيات البلاغ وتخصيص مهمة الرسل بالبلاغ، والتذكير، والإنذار لا يمنع من تجاوز مهمتهم لأشياء أُخر، وإنما اقتضى التعبير بأسلوب القصر، إما على طريقة قلب الدعوى -وهي أكثر الطرق ورودًا في مهمة التبليغ والإنذار(٣٠)- أو على أسلوب قصر الأفراد، إذ كانوا يعتقدون أن من مهمة الرسول هدايتهم، أو أن من شروط الرسول أن يملك الخزائن والأموال، ونحو ذلك.

الخاتمة

أثر مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم **في القرآن الكريم على حاكمية الإسلام على مناحي الحياة.**

بعد هذا الاستعراض الموجز لمهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن يظهر بجلاء لكل من يُنعم النظر في دلالات القرآن العظيم، وتوجيهاته للنبي المكَرَّم صلى الله عليه وسلم:

١. أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تشتمل على التبليغ، والحكم بالشريعة، وتحكيمها في حياة الناس، وإقامة حكم الله في الأرض، والجهاد في سبيل الله تعالى.

---

٢٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (رقم:٣٠)، وأبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي (رقم: ٤٣٤٠)، والترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر (رقم: ٢١٦٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن المنكر والظلم إذا ظهرا كان على من علم تغييرهما حذر عموم العقوبة إياهم بهما (رقم:٣٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم:٣٧٣٦)، والأرناؤوط في تعليقه على المسند.

٢٧) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٥/٢٢٧).

٢٨) أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية (ص: ٩).

٢٩) انظر عروس الأفراح (٢/١٦٦)، ويُنظر أيضًا عقود الجمان للسيوطي (ص:١٥٨).

٣٠) المرجع السابق (ص: ١١٦).

٢. أن قصر مهمة النبي صلى الله عليه وسلم على التبليغ يخالفها القرآن صراحة، حيث أمر الرسول بالجهاد، وأُمر بالحكم بين الناس، وأمر الناس بالتحاكم إليه، والرضى بحكمه، والتسليم له.

٣. فما دام أن القصر الوارد في القرآن يدل القرآن نفسه على أنه قصر إضافي مجازي لا يعني حصر مهمته في البلاغ فقط، إذ فوض عليه الصلاة والسلام بما سوى ذلك، إضافة لدلالات القرآن على التسليم لأمره، والاهتداء بهديه، فهذا يدل بجلاء على أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم تنتظم الوحي بجميع أنواعه، فأعلاه منزلة القرآن الكريم، ثم ما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، ففي إقرار القرآن له أعظم دليلٍ على أنه وحيٌ من الله تعالى.

٤. إن دعوى حصر مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن بالتبليغ والتذكير لا ترتكز على أساس صحيح سوى أخذ بعض آي القرآن الكريم وترك بعضها.

٥. فمهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن أشمل وأعم من التذكير والبلاغ، بل هي لصبغة حياة البشرية بمنهج الله الذي ارتضاه لهم، من تبليغ دين الله، وتعليمه، والعمل به، وتحكيمه في شتى مناحي الحياة، كما مر معنا في الآيات الكريمات.

٦. إضافة إلى أن ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وأمر به أمته هو وحيٌ من الله تعالى، وإن لم يرد صراحة في آي القرآن الكريم؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم هو المبلِّغ عن ربه تعالى، المزكى بتزكية الله تعالى له، المؤيد بنصر الله.

المراجع

١. أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، صباح عبيد دراز، ط. الأمانة، شبرا، مصر، الأولى ١٤٠٦هـ.

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ط. دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ.

٣. التحرير والتنوير، للطاهر محمد ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٤. التعريفات، للجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى ١٤٠٥هـ.

٥. تفسير ابن سعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المتوفى سنة ١٣٧٦هـ، تحيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط. مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ.

٦. تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)، للإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، ط. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٢٠هـ.

٧. تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، تحقيق مجموعة من الباحثين، ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الثانية ١٤٢٨هـ.

٨. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٠هـ

٩. تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن) للإمام إبي جعفر الطبري، ط. دار هجر، تحقيق مكتب التحقيق بدار هجر، الاولى.

١٠. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

١١. تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)، للإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط. المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
١٢. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط. دار الكتب المصرية، القاهرة، الثانية ١٣٨٤هـ.
١٣. الرسالة، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط. دار الكتب العلمية.
١٤. زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب، شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، السابعة والعشرون ١٤١٥هـ.
١٥. السنة ومكانتها في التشريع الإسلام، للدكتور مصطفى السباعي، ط. الرابعة، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٨٥ م.
١٦. سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.
١٧. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، للإمام محمد بن عيسى، أبو عيسى الترمذي، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر وآخرون، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٨. صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، ط. دار ابن كثير، بيروت، الثالثة، ١٤٠٧هـ.
١٩. صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٠. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي.
٢١. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي.
٢٢. عقود الجمان في المعاني والبيان، للسيوطي، ط. البابي، مصر ١٣٧٤هـ.
٢٣. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، ط. دار الشروق، القاهرة.
٢٤. القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، لخادم حسين بخش، الأولى، ط. مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية.
٢٥. الكتاب والقرآن، محمد شحرور، ط. دار الأهالي، دمشق، ١٩٩٢م
٢٦. الكليات- معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.
٢٧. مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق أنور الباز، وعامر الجزار، ط. دار الوفاء، الثالثة، ١٤٢٦ هـ.
٢٨. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ.
٢٩. الموافقات، للإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط.دار ابن عفان، السعودية، الأولى ١٤١٧هـ.

الدفاع عن السنة
في ظل الاتجاهات الفكرية المعاصرة

طارق عطيه الدقيج

قسم القرآن والسنة في أكاديمية الدراسات الإسلامية

جامعة ملايا

ماليزيا

إسماعيل عاشور صليل

قسم الدعوة والقيادة في أكاديمية الدراسات الإسلامية

الجامعة الوطنية

ماليزيا

cash2_2005@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستنار بنوره إلى يوم الدين، أما بعد:

لقد من الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة المحمدية بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آيات ربهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٤) فكانت حكمة الله تعالى في بعثت النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي تبيين الناس أمر دينهم، ودعوتهم إلى التمسك بكتاب ربهم، وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام، وإرشادهم إلى سبل الخير والهدى، وتحذيرهم من سبل الشر والضلال.

وقد أمر الله تعالى نبيه المصطفى بتبليغ رسالته إلى الناس فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة المائدة: ٦٧) وأمرنا في آيات أخرى أن طاعة الرسول من طاعة الله تعالى فقال سبحانه: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ (سورة النساء: ٨٠)، وقد امتثل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لهذا النداء الإلهي، واهتدوا بهدي خير المرسلين، واستمسكوا بكتاب الله الكريم، وتتبعوا سنة نبيه الأمين، وعضوا عليها بالنواجذ، واتخذوها منهجاً في حياتهم العلمية والعملية، وانتهج هذا السلوك أيضا أتباع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

فقد اهتم علماء الحديث وحفاظه وأئمته بتعاليم السنة النبوية، وتدوينها، وتعليمها، والدفاع عنها من قبل المشككين فيها والمدعين عدم حجيتها، وصنفوا العديد من المؤلفات والكتب الخاصة في هذا المجال، وبذلوا قصار جهدهم في سبيل الحفاظ عليها ودفع جميع الشبهات الواردة فيها، وعرضها على صورتها الحقيقية.

ولكن في هذا الزمن ظهرت من خلال بعض الكتابات الحديثة بعضا من الاتجاهات الفكرية في دراسة علوم السنة النبوية، واختلفت صور عرضها على ما كانت عليه في السابق من هنا كان موضوع هذا البحث يتناول دراسة بعض هذه الاتجاهات دراسة وصفية تحليلية، ومن هنا تكمن مشكلة البحث وهي في كيفية الدفاع والرد على أعداء السنة سواء كانوا مسلمين أو غيرهم لكثرة المنكرين والطاعنين والمشككين فيها في هذا العصر الذي يتربص فيه أعداء الإسلام في الطعن في أهم مصادر التشريع وهي السنة المطهرة.

أسباب اختيار الموضوع:

١. الحرص الشديد على بذل الجهد والاهتمام بدراسة المواضيع المتعلقة بالسنة النبوية والحث على الاعتصام بها.

٢. إن هذا الموضوع يغلب عليه طابع الحداثة والواقع المعاش ويربط بين الدراسات السابقة بالدراسات المعاصرة.

٣. إن هذا البحث يثير قضية مهمة وأساسية من قضايا السنة النبوية تتمثل في التيارات الفكرية المعاصرة ومناهجها الدراسية للسنة النبوية.

منهج البحث:

لقد سرنا في دراستنا لهذا البحث وفق المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وذلك بتتبع أقوال أهل العلم المختصين، وسرد آرائهم، وعرض بعض الاتجاهات الفكرية المعاصرة حول السنة النبوية، وذلك من خلال استنباطها من الكتب والمؤلفات المتعلقة بموضوع بحثنا،وإسناد هذه الآراء والأقوال إلى أصحابها، كما حرصنا على التنوع في النقل، و النظر إلى اختلاف الأعصار والأمصار، كما قمنا بشرح بعض المفردات الغريبة الواردة في كلام بعض أهل الكلام حتى يسهل معرفتها دون لبس أو إشكال.

أهداف البحث:

تسعى هذه الدراسة للوصول إلى بعض الأهداف المرجوة والتي من بينها:

١. التعرف على بعض الاتجاهات الفكرية المعاصرة في دراسة السنة النبوية.

٢. تفنيذ أقوال وآراء بعض الاتجاهات الفكرية المخالفة في دراسة السنة.

٣. الدفاع عن السنة ومعرفة الاتجاه الصحيح، والدعوة إلى التمسك به.

هيكل البحث:

المقدمة.

أسباب اختيار البحث.

منهجية البحث.

أهداف البحث.

المبحث الأول: الاتجاه السلفي.

المطلب الأول: تعريفه.

المطلب الثاني: الأسس التي يقوم عليها.

المطلب الثالث: أبرز علماء هذا الاتجاه.

المطلب الرابع: المتأثرون بالاتجاه السلفي.

المبحث الثاني: الاتجاه العقلي.

المطلب الأول: تعريفه.

المطلب الثاني: الأسس التي يقوم عليها.

المطلب الثالث: أبرز علماء هذا الاتجاه.

المطلب الرابع: المتأثرون بالاتجاه العقلي.

المبحث الرابع: الاتجاه المنحرف.

المطلب الأول: تعريفه.

المطلب الثاني: أسس الاتجاه المنحرف بالنسبة للسنة النبوية.

المطلب الثالث: الشبهات والأباطيل الواردة في هذا الاتجاه حول السنة النبوية.

الخاتمة وأهم النتائج.

فهرس المصادر والمراجع

المبحث الأول

الاتجاه السلفي

المطلب الأول: تعريفه

تعريفه لغة: الجماعة المتقدمون، وسلف الرجل: آباؤه المتقدمون، أو كل من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل، وقيل سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين بالسلف الصالح، وقد يكون هناك معنى آخر لمفهوم السلف وهو كل شيء يقدمه العبد من عمل صالح أو ولد فرط يقدمه[١].

أما تعريفه في الاصطلاح: فإن لفظة السلف وردت في القرآن الكريم في مواضع عدة وكذلك وردت في بعض الأحاديث النبوية، وكل هذه المواضع تشير إلى زمن الماضي أو فترة سبقت زمن الحاضر[٢]، فمن الآيات الواردة قوله تعالى: ﴿فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٥)، وقوله: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (سورة النساء: ٢٢)، وقوله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة وهو في مرض الموت (فإنه نعم السلف أنا لك)[٣].

والسلفية المعاصرة هي اتجاه أصولي منهجي يقوم على قاعدة منهجية بالعودة بأصول الفهم إلى الكتاب والسنة الصحيحة، وقواعد الفهم المعتبرة لدى الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهي تقدم مفهوماً أساسياً في العقيدة ومقومات الحياة، وفرعيات النظم، وهي دعوة متجددة معاصرة، مع أصالتها في المصادر والأهداف[٤].

المطلب الثاني: الأسس التي يقوم عليها

من أهم الأسس التي يقوم عليها هذا الاتجاه ما يأتي:

١: تعظيمهم للأدلة النقلية من الكتاب والسنة والإجماع، فالاعتماد التام والأساسي يكون على هذه المصادر في شتى مجالات الدين وفروعه وأقسامه من العقيدة والفقه وغيره.

٢: الاهتمام الكبير بالسنة النبوية سواء كان ذلك من الناحية الدراسية أو التأليف، وتقديم قول الرسول صلى الله عليه وسلم عن قول غيره

٣:احترامهم قدر الصحابة والتابعين وسلف الأمة، والتنويه بفضلهم ومناقبهم وعظيم منزلتهم، والحرص على الانتساب إليهم.

٤: استحالة وجود تعارض حقيقي بين النقل والعقل.

---

[١] لسان العرب ، ابن منظور ، مادة سلف،ج١،ص١٢٠.

[٢] تيارات الفكر الإسلامي ، د : محمد عمارة ، ص ١٢٨.

[٣] رواه البخاري ، صحيح البخاري، ج١،ص١٣٢ ،باب الاستلقاء، حديث رقم ٨،.

[٤] الاتجاه السلفي الحديث بين التأصيل والمواجهة، د : راجح الكردي، ص ٢٢٨- ٢٣١ .

٥: الاهتمام بالأمور المتعلقة بالتوحيد والعقيدة، وتقسيمهم التوحيد إلى ثلاثة أقسام هي: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وجعل هذه الأمور هي أساس الدعوة إلى دين الله تعالى.

٦: نقدهم الشديد لعلماء الكلام؛ وذلك لاهتمامهم بتوحيد الربوبية، وترك الاهتمام بتوحيد الألوهية.

٧: اهتمامهم بمسألة الأسماء والصفات في حق الله تعالى، وكثرة التأليف حولها، وإثبات كل ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل.

٨: رفضهم لبعض المسائل المتعلقة بالعقيدة كالتوسل، والموالد، وبناء القبور على المساجد، وغيرها.

٩:حرصهم الشديد على إتباع الكتاب والسنة في الاستدلال على الأحكام الشرعية، دون التقيد بالمذاهب، وذلك بإتباع ما صح من الدليل.

١٠: التحذير من البدع، والأحاديث الضعيفة والموضوعة التي غيرت وبدلت في دين الله تعالى[1].

المطلب الثالث: أبرز علماء هذا الاتجاه

من أبرز علماء هذا الاتجاه:

١: الإمام أحمد بن حنبل البغدادي م٢٤١هـ.

٢:الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الدمشقي م٧٢٨هـ.

٣: الإمام محمد بن قيم الجوزية الدمشقي م٧٥١هـ وهو تلميذ الإمام ابن تيمية.

٤: الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي التميمي م١٢٠٦هـ تأثر بكتب الإمامين ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم الجوزية، فتكونت شخصيته بذلك، ومن كلامه (مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السلف، وهي أنا نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها، ونحن أيضا في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولا ننكر على من قلد الأئمة الأربعة)[2].

٥: الشيخ محمد ناصر الدين نوح نجاتي الألباني م ١٤٢٠هـ.

وهذا الشيخ يعد عمدة عند أصحاب الاتجاه السلفي المعاصر لما كان له من أثر كبير وفعال في الاهتمام بدراسة السنة النبوية، وكثرة التأليف فيها والحرص الشديد على دراسة الأحاديث، ومعرفة الصحيح من الضعيف والموضوع، وقد تأثر الشيخ الألباني بمن سبقه من أصحاب هذا الاتجاه كالإمام ابن تيمية وابن القيم الجوزية ومحمد عبد الوهاب، وقال عنه الشيخ زهير الشاويش: (كان الشيخ من أبرز الدعاة إلى السلفية في كل معانيها ببلاد الشام...حتى أصبح المرجع الأول لكثير من المسلمين، وكل طلاب العلم والمتعبدين)، وقال الشيخ عبد العزيز بن باز: (لا أعلم تحت الفلك في هذا العصر أعلم من الشيخ ناصر في علم الحديث)، وقال: (إنه مجدد هذا العصر في علوم الحديث)[3].

---

[1] مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث، د: أحمد قوشتي عبد الرحيم، ص٧٠ -٧٢.

[2] من أعلام المجددين ، د : صالح الفوزان ، ص ٤٦ ، ٥٨ .

[3] حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، محمد بن إبراهيم الشيباني ، ج١،ص٤٤-٤٥ ، ج٢،ص ٥٤١، .

المطلب الرابع: المتأثرون بالاتجاه السلفي

هناك طائفة من العلماء الذين تأثروا بهذا الاتجاه، وكان لهم أثركبير في نشره وبيانه للناس، مع مخالفتهم لبعض الأسس التي قام عليها هذا الاتجاه ونذكر منهم:

الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، والأستاذ محي الدين الخطيب، والشيخ أحمد شاكر، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ محمد بهجة البيطار، والسيد محمود شكري الألوسي، والشيخ محمد بن علي السنوسي، والشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد بن علي الشوكاني، وغيرهم كثير.

المبحث الثاني

الاتجاه العقلي

المطلب الأول: تعريفه

تعريفه لغة: هناك عدة معان لغوية لمصطلح العقل ومنها: العقال: وهو الحبل الذي يعقل به البعير، عقل الدواء البطن: أي أمسكه بعد استطلاق، اعتقل لسانه : أي حبس عن الكلام، العقلة: ما يعقل به كالقيد، اعتقلت الشرطة المتهم: أي حبسته حتى يحاكم، المعتقل: المحبس، المعقل: الحصن، والرجل العاقل: هو الجامع لأمره ورأيه[1].

تعريفه اصطلاحاً: لقد اختلف تعريف العقل عند العلماء المعاصرين، وأنهم فهموا هذا المصطلح حسب تصور ثقافتهم، ومن هذه التعريفات:

(العقل: قوة خفية تدرك بها الأشياء، وهي هبة من الله تعالى نستطيع في ضوئها أن نميز بين الحق والباطل، بين الخبيث والطيب، بين النافع والضار، بين الحسن والقبيح، سواء حملت هذه القوة الخفية اسم العقل أو اسم القلب أو اسم العلم)[2]، (هو اتجاه فكري عام يمجد العقل الإنساني، ويغالي في تقديمه على الدين، وتحكيمه في عالمي الغيب والشهادة، ويعطي العقل وأحكامه اعتبارا فوق اعتبار النصوص الشرعية الثابتة عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويجعل العقل وسيلة إثبات، وأساس الحكم على الأشياء، وطريق القبول لها)[3] .

ولكن العقل لا يوجد بالفعل في الإنسان في أول أمره؛ كما أخبر المولى عز وجل عن ذلك بقوله: ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ (سورة النحل: ٧٨)، ولكن يكون عند الإنسان استعداد لأن فيه العقل، وهذا الاستعداد يكون عقلا بالقوة أو غريزيا، ثم يحدث فيه العقل بعد ذلك شيئا فشيئا بخلق الله تعالى إلى أن يبلغ درجات الكمال، ويسمى هذا العقل مستفاداً.

المطلب الثاني: الأسس التي يقوم عليها في دراسة السنة النبوية.

لم يعرف عن أصحاب هذا الاتجاه التخصص في دراسة السنة النبوية، والتمييز بين الصحيح والضعيف منها، مما أدى بهم إلى الآتي:

[1] لسان العرب ، ابن منظور ، مادة عقل ج٢،ص٥٥.

[2] الفكر الإسلامي بين العقل والوحي وأثره في مستقبل الإسلام، د : عبد العال سالم مكرم، ص٧.

[3] الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية، د : مفرح بن سليمان العوسي، ص ٣٣ ، ١٠٣ .

أولاً: تبنى أكثرهم القول بظنية أخبار الآحاد، وعدم جواز الاعتماد عليها في إثبات مسائل العقيدة الإسلامية، أو الأحكام الفقهية، بل وصل الأمر بهم إلى الإجماع والاتفاق على هذا القول.

ثانياً: جرأتهم الغير مقبولة في تضعيف الأحاديث أو تأويلها، حتى لو كان هذا في البخاري ومسلم، واتفق المحدثون على صحتها، فصحة السند عندهم غير كافية للحكم بثبوت الحديث؛ بل لا بد من عرضها على آيات القرآن الكريم وموازين العقل البشري، لذا ردوا العديد من الأحاديث والتي من ضمنها:

١: الأحاديث المتصلة بالعقيدة، مثل: نزول عيسى عليه السلام، والمهدي، والدجال، وأحاديث الشفاعة، وعذاب القبر.

٢: الأحاديث المتعلقة بالمعجزات، مثل: انشقاق القمر، والإسراء والمعراج.

٣: الأحاديث المتعلقة بالأحكام العملية، كبعض الحدود المتعلقة بالردة والرجم والسرقة.

٤:الأحاديث المتعلة بالسيرة النبوية، مثل: حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وشق صدره صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: أبرز علماء هذا الاتجاه

١: الشيخ جمال الدين الأفغاني م١٣١٥هـ، وقد عده بعض العلماء المعاصرين مجدد القرن الثالث عشر هجري، وشكك بعضهم في دعوته؛ لاختلاف المؤرخين في شأنه.

٢:الشيخ محمد عبده الغرابلي المصري م١٣٢٣هـ، وقد عده بعض العلماء المعاصرين مجدد القرن الرابع عشر الهجري، وشك البعض الآخر في دعوته، وأنه كان مرتكز تيار التغريب في مصر وغيرها.

٣: الشيخ محمد رشيد رضا الشامي ثم المصري م١٣٥٤هـ، عده علماء العصر مجدد القرن الرابع عشر الهجري، ووصفه بوصف السلفية، وخاصة أن الكثير من طلابه من أصحاب الاتجاه السلفي أمثال الشيخ محمد حامد الفقي، والشيخ أحمد محمد شاكر وغيرهم، وإعجابه الشديد بابن تيمية، وبابن القيم الجوزية، ولكن لديه بعض الأقوال التي تخالف ما عليه أصحاب الاتجاه السلفي والتي من ضمنها تأويل الكثير من الأحاديث أو ردها بحجة عدم موافقتها للعقل، ولو كانت في صحيح البخاري ومسلم كأحاديث أشراط الساعة وانشقاق القمر وطلوع الشمس من المغرب وغيرها، وهذا كله يؤكد القول بأنه من أصحاب الاتجاه العقلي، حتى وإن تأثر بأصحاب الاتجاه السلفي وبعض أفكارهم.

المطلب الرابع: المتأثرون بالاتجاه العقلي

وسنكتفي بذكر بعض العلماء المتأثرين بالاتجاه العقلي في دولة مصر، وهم كالتالي :

الأستاذ عبد الله نديم، والشيخ علي يوسف، والشيخ عبد الوهاب النجار، والشيخ أحمد مصطفى مراغي، ومحمد حسين هيكل، وعباس محمود العقاد، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ حسن البنا، والشيخ محمد الغزالي، والدكتور طه حسين.

وهؤلاء العلماء وغيرهم لم يوافقوا ما ذهب إليه أصحاب الاتجاه العقلي في كل صغيرة وكبيرة، كما أنه لا يستلزم الحكم بصحة ما ذهبوا إليه من الآراء، ولكنهم تأثروا بهذا الاتجاه العقلي بصفة عامة، وبكتب بعض أصحابه كالشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد رشيد رضا بصفة خاصة.

المبحث الثالث

الاتجاه المنحرف

المطلب الأول: تعريفه

تعريفه لغة: الانحراف هو الميل عن الشيء، أو هو تغيير الكلام وصرفه عن معانيه، كقوله تعالى في شأن اليهود الذين غيروا معاني التوراة، {من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه} والأصل في الحرف: الطرف والجانب، والمحارفة: هي التشديد في المعاش، ويقال : لا تحارف أخاك بالسوء: أي لا تجاوزه، والحرافة : طعم يحرق الطعم والفم[١].

تعريفه اصطلاحاً: من أهم التفسيرات العصرية لمفهوم الانحراف هو: انسلاخ شريحة من المجتمع عن المجرى الرئيسي لحياة المجتمع.

أقسام الانحراف

أولاً: الانحراف الفكري، وله وجهان:

١: الانحراف في الرأي: وهو وصول الفكرة للشخص عند عدم وضوح الرؤية؛ إما عن طريق الدليل الأقوى حسب ظنه، وإما عن مؤثر آخر من المؤثرات الكثيرة التي تتدخل في عمل العقل، ومن السهل الانتقال من الرأي إلى رأي آخر، كإنكار السنة النبوية كلياً أو جزئياً، أو القول بعدم صلاحية الشرعية الإسلامية للعصر الذي نعيش فيه كلياً أو جزئياً.

٢: الانحراف في العقيدة: وهو الاقتناع بالرأي وتحرك الوجدان نحوه وانفعال النفس به؛ انفعالا يظهر أثره في القلب حبا أو كراهية، ومن الصعب العدول عنها، فهي تحتاج إلى حجة أقوى ومعالجة أشد، وقد تزداد عمقا ورسوخا في النفس إذا مر عليها زمن طويل وصارت تقليدا موروثا، ومثاله: كالاعتقاد أن القرآن أو السنة منتج ثقافي وليس وحيا؛ والتعامل بهما على هذا الأساس، أو ما يعبر عن الألسنة، أو الاعتقاد بوجوب فصل الإسلام عن الحياة كلها، وغيرها.

ثانياً: الانحراف السلوكي: وهو إما قول باللسان؛ وما يقوم مقامه من الإشارة أو الكتابة ونحوهما، وإما عمل بالجوارح بطريق مباشر أو غير مباشر، وهذا الانحراف ينقسم إلى قسمين هما :

١: الانحراف في الترك: ومثاله: كتطبيق الشريعة في الحياة كلها أو بعضها.

٢: الانحراف في الفعل: ومثاله: كتطبيق الشريعة الإسلامية بصورة مشوهة أو تطبيقها بتعصب وتزمت[٢].

---

[١] لسان العرب ، ابن منظور ، مادة حرف .

[٢] بيان من الأزهر الشريف ، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، ج١،ص ١١- ١٥،.

أسباب الانحراف:

إذا نظرنا نظرة متأنية في نشأة وتطورس هذه التيارات الفكرية المنحرفة فسنجد انحرافها يتمثل في الأسباب التالية، وهي:

١:السعي إلى هدم الإسلام والقضاء على مصادر التشريع الكتاب والسنة.

٢: الجهل بالعلم الشرعي.

٣:الرغبة في نشر الفكر الغربي.

٤: التعصب للمذهب العقدي.[1]

المطلب الثاني: أسس الاتجاه المنحرف بالنسبة للسنة النبوية

من خلال البحث عن أصحاب هذا الاتجاه نجد أنهم لم يتخصصوا في دراسة السنة النبوية، ولم يكن تعاملهم معها على الوجه المطلوب مما أدى هذا الأمر إلى الوقوع في أمرين هما:

١: تبنى أغلبهم القول بإنكار السنة النبوية كلياً أو جزئياً، وعدم الاعتماد عليها، ويكتفون بالقرآن الكريم.

٢: خوضهم في الكلام حول السنة النبوية بدون علم ولا معرفة، بل يكتفون بتقليد أقوال بعض أصحاب الاتجاه العقلي، أو المستشرقين، والزيادة عليها، وابتداع أفكار ناتجة عن الهوى، ووقوعهم في العديد من الشبه والضلالات التي أصبحوا بها منحرفين عن الجادة والصواب.

المطلب الثالث: الشبهات والأباطيل الواردة في هذا الاتجاه حول السنة النبوية

هناك العديد من الشبهات التي وقع فيها الكثير من أصحاب هذا الاتجاه ومن أهما ما يأتي:

١:شبهة النهي عن كتابة السنة النبوية.

٢:شبهة تأخير تدوين السنة النبوية.

أولاً: شبهة النهي عن كتابة السنة النبوية

اختلف موقف هؤلاء الناس من أحاديث النهي عن كتابة السنة النبوية إلى قسمين هما:

١: زعمهم عدم صحة أحاديث النهي عن كتابة السنة النبوية.

قامت هذه الطائفة من هذا الاتجاه بالقول بعدم صحة الأحاديث الواردة في النهي عن كتابة السنة، وتخطيء من يقول بصحتها، وأن النهي كان نابعا من موقف سياسي اتخذه الخليفة أبو بكر ثم عمر، ومن بعده من الخلفاء رضوان الله عليهم أجمعين للحد من نشر فضائل أهل البيت، ومن أقوالهم، قول زكريا عباس داوود (لو تأملنا جيدا في الأحاديث الواردة في الحث على العلم والتعلم وطلبه، والارتحال من أجله، وخوض الصعاب للحصول عليه، لعرفنا أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وهو يبحث عن أسباب الخير، ويوظفها في خدمة بناء أمة إسلامية تقوم على العلم والاهتمام به؛ لا يمكن أن ينهى أبدا عن كتابته أحاديثه...وإنما وضع على لسانه إنما وضعته

---

[1] الاتجاهات المعاصرة في كتابة السيرة النبوية، د عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، ص١٠٨.

السلطات التي جاءت بعده لأسباب سياسية، خاصة وأن قسما كبيرا من أحاديث الرسول توضح من هي السلطات التي وضعها ونصبها الله سبحانه وتعالى بعده...[1].

٢: قولهم بصحة أحاديث النهي وأن ذلك راجع إلى التشكيك فيها وعدم حجيتها.

ومن أقوالهم، قال الدكتور محمد شحرور: (نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم لم يعتبروا في وقت من الأوقات أن الأحاديث النبوية هي وحي، فهو عليه الصلاة والسلام من جهته لم يأمر بجمعها كما فعل مع الوحي والكتاب)[2]، وممن قال بهذا الكلام الدكتور محمد توفيق صدقي، ومحمود أبو رية، والدكتور أحمد صبحي منصور، وجمال البنا وغيرهم[3].

رد العلماء على هذه الشبهة:

أولاً: الرد على من زعم عدم صحة أحاديث النهي عن كتابة السنة النبوية.

هناك أحاديث صحيحة لا شك في صحتها تناولت نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابة السنة ومنها:

١: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا؛ فليتبوأ مقعده من النار)[4].

٢. عن أبي بردة قال: (كان أبو موسى يحدثنا بأحاديث فنقوم أنا ومولى لي فنكتبها، فحدثنا يوما بأحاديث فقمنا لنكتبها فظن أنا نكتبها، فقال: أتكتبان ما سمعتما مني؟ قالا: نعم، قال: فجيآني به، فدعا بماء فغسله، وقال: احفظوا عنا كما حفظناه)[5].

ثانياً: الرد على من قال بصحة أحاديث النهي وأن ذلك راجع إلى التشكيك فيها وعدم حجيتها، ويمكن الرد على هذه الطائفة بتشكيكهم في السنة من خلال إقرارهم لأحاديث النهي على النحو الآتي:

١: إن هناك شبه إجماع على أن منع كتابة الحديث قد نسخ بالتصريح بجواز كتابتها، وتم كتابة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في أخريات حياته[6].

٢: إن المشككين أو المنكرين للسنة غضوا الطرف عن دوافع النبي صلى الله عليه وسلم في كتابة الأحاديث والتي منها:

أ. المحافظة على كتاب الله تعالى وصيانته من الخلط بينه وبين السنة دون التمييز بينهما.

ب. عدم التنافس مع القرآن الكريم.

---

[1] تأملات في الحديث عند السنة والشيعة، زكريا عباس داوود ، ص ٣٧، ٤٢، ٤٤-٦٢.

[2] الكتاب والقرآن قرآءة معاصرة، د: محمد شحرور، ص ٥٤٦.

[3] الأصلان العظيمان الكتاب والسنة، د: جمال البنا، ص ٢٦٨- ٢٧٢.

[4] رواه مسلم، صحيح مسلم، ج١نص١٠،باب معرفة الركعتين التبن كان يصليهما النبي صلى الله عليه وسلم بعد العصر،حديث رقم ٥٤،

[5] تقييد الخطيب، د أحمد الخطيب البغدادي، ص ٣٩- ٤٠.

[6] صحائف الصحابة وتدوين السنة النبوية المشرفة، أحمد عبد الرحمان الصويان،ص ٣٩- ٤٨.

ت. عدم انصراف الناس عن القرآن الكريم، ولأن القرآن كان لا يزال في مرحلة الوحي ولم يجمع بعد، فكان ينبغي أن يعطى مزيداً من الاهتمام للقرآن عن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

ث. الخوف من اتكال الناس على الكتابة وترك الحفظ.

ج. الخوف من وصول الأحاديث إلى غير أهلها، فلا يعرف أحكامها، ويحمل ما فيها على ظاهره، وربما زاد فيها ونقص، فيكون ذلك منسوبا إلى كاتبها في الأصل[1].

ثانياً: شبهة تأخير تدوين السنة النبوية.

وهذه الشبهة تعد كسابقتها فهي من ادعاء أهل الباطل من المستشرقين، واتباع بعض المسلمين لهم فيها.ومن الشبهات التي وقعت فيها هذه الطائفة ما يأتي:

١. زعم المستشرقين في هذه الشبهة.

يذكر أحد كبار المستشرقين والذي يدعى جولد تسهير بأن الأحاديث لا تمثل إلا الاتجاهات والآراء الموجودة في القرنين الثاني والثالث الهجري، وقلما تلقي ضوءاً على بداية القرن الأول الذي ينسبها إليه أصحابها، وما لبث أن حظي هذا الرأي بقبول عام لدى المستشرقين من أهل الغرب، وظل أمراً ثابتاً في أذهانهم، وأخذ به جوزيف شاخت ورأى أن تدوين السنة لم يتم إلا بعد سنة١٠٥هـ، وأما ربسون فقد اعتبر أن تدوين السنة بدأ في القرن الثاني(١٠٠-٢٠٠)هـ، وأما شبرنجر فقد اعتبر بداية تدوين السنة في مطلع القرن الثاني الهجري ١٠٠هـ، وهو ما أخذ به دوزي[2].

٢. زعم المنحرفين في هذه الشبهة.

قال المستشار محمد سعيد العشماوي: (غير أن الأحاديث لم تجمع إلا في عصر التدوين، في العصر العباسي الأول، وفي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ١٥٠هـ)[3].

رد العلماء على هذه الشبهة:

١: وقع المنحرفون في الخلط بين مفهوم الكتابة والتدوين، وفهموا خطأ أن التدوين هو الكتابة، والصحيح أن التدوين مرحلة لاحقة للكتابة ومن بعدها التصنيف، فالكتابة: هي مطلق خط الشيء، دون مراعاة لجمع الصحف المكتوبة في إطار يجمعها، والتدوين: مرحلة تالية للكتابة، وتكون بجمع الصحف المكتوبة في ديوان يحفظها، أما التصنيف: فهو أوسع بكثير من التدوين إذ أنه يتضمن تصنيف مجموعة مسجلة بالفعل في أجزاء مختلفة، أي إعادة ترتيب المادة المكتوبة بالفعل إلى أجزاء وفصول مختلفة[4].

---

[1] السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، د : عماد السيد الشربيني، ج١ ،ص ٢٨٨- ٢٩٨ ،.

[2] علوم الحديث ومصطلحه، د : صبحي الصالح، ص ٣٣- ٣٦ .

[3] حقيقية الحجاب وحجية الحديث، د : محمد سعيد العشماوي، ص ٩٦، ٩٨.

[4] دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، د : امتياز أحمد، ص ٢٨٣- ٢٨٤.

وعلى ذلك فإن قول الأئمة: أن السنة دونت في نهاية القرن الأول الهجري لا يفيد أنها لم تكتب طيلة هذا القرن، بل يفيد أنها كانت مكتوبة، لكنها لم تصل إلى درجة التدوين، وهو جمع الصحف في دفتر[1].

٢: الترجمة الخاطئة للمقولة القائلة أول من دون العلم ابن شهاب الزهري، وذلك بأنه أول من كتب العلم أي علم الحديث، كان ابن شهاب الزهري، وانطلاقا من هذا التفسير الخاطئ انبثقت نظرية أن كتابة الحديث بدأت متأخرة للغاية حتى عصر الزهري في نهاية القرن الأول الهجري، أو بداية القرن الثاني[2].

ولكن المتتبع لكلام الأئمة السابقين يتبين له معرفتهم التامة وتفريقهم بين الكتابة والتدوين، وهم يؤرخون لتدوين السنة، حيث كان مدار حديثهم على التدوين، وليس في حديثهم شيء يتعلق بالكتابة، كقول الحافظ ابن حجر: (وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز، ثم كثر التدوين، ثم التصنيف، وحصل بذلك خير كثير، فلله الحمد)[3].

٣: نماذج من أشهر ما كتب من الأحاديث النبوية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلى زمن التدوين الرسمي:

١: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه لما فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة، قام عليه الصلاة والسلام، وخطب في الناس، فجاء رجل من أهل اليمن فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال: (اكتبوا لأبي فلان)[4].

٢: ما رواه أنس ابن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه كتب له الذي فرض رسوله صلى الله عليه وسلم (ولا يجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة)[5].

٣: الصحيفة الصحيحة التي كتبها همام بن منبه رضي الله عنه زوج ابنة أبي هريرة رضي الله عنه كتبها أمام أبي هريرة رضي الله عنه، فكانت جديرة باسم الصحيفة الصحيحة[6]، فهذه الكتابات السابقة وغيرها كثير، تقطع بكتابة السنة المطهرة في عصر النبوة والصحابة والتابعين.

الخاتمة

نحمد الله تعالى أن وفقنا لكتابة هذا البحث، ويسر لنا ذلك كله فله الفضل أولا وأخيرا.وفي نهاية هذه البحث فإننا سنذكر بعض النتائج المستفادة منه وهي على النحو الآتي:

١: اهتمام العلماء قديما وحديثا بالسنة، والعناية بها، والعكوف على دراستها، وفهمها على مراد الله، ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم.

[1] السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، د : عماد السيد الشربيني، ج١،ص ٣٥١،.

[2] دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، د : امتياز أحمد، ص ٢٨١.

[3] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج١ ص ٢٥١،.

[4] رواه البخاري، صحيح، البخاري، ج١،ص٨ ،كتاب العلم،حديث رقم ٦٨٨٠،

[5] رواه البخاري، صحيح، البخاري، ج١،ص٢٤٠ ،كتاب الزكاة، حديث رقم ١٤٥٠

[6] صحائف الصحابة وتدوين السنة النبوية المشرفة، أحمد عبد الرحمان الصويان، ص ١٨٩- ٢٠٠.

٢:بروز الاتجاه السلفي في دراسة الحديث النبوي، وتتبع السنة النبوية، وأن هذا الاتجاه منتشر بقوة لا يستهان بها، وأن له أعلاماً تنشر فكره ومنهجه في كل مكان من العالم.

٣: دعوة أصحاب الاتجاه السلفي إلى التمسك بالكتاب والسنة، وفهمهما وفق فهم السلف الصالح، من غير تبديل ولا تأويل.

٤.إن الاتجاه العقلي بدأ ينتشر منذ بداية القرن الرابع عشر هجري، في محاولة منه لتأمل والتجديد والدفاع عن الإسلام ضد التيارات الفكرية الهدامة والتي لا تعترف إلا بالعقل الذي تعده مصدراً أساسياً في قبول الأحكام ورفضها.

٥. اعتماد أصحاب الاتجاه المنحرف على بعض الأقوال المنتسبة لبعض المتأثرين بالاتجاه العقلي من المستشرقين وغيرهم وتبني أفكارهم وعقائدهما، بل أضافوا إلى ذلك بعض الشبهات الباطلة حول السنة النبوية.

٦. إن الاتجاه المنحرف اتجاه دخيل ومستور، ويتنافى مع أصول الإسلام، وأنه ينظر إلى الإسلام بنظرات غربية.

٧. تصدي علماء الحديث من الاتجاه السلفي لبعض أفكار الاتجاه العقلي المنحرفة، والسعي لإبطال الحجج والشبه التي وقع فيها أصحاب الاتجاه المنحرف.

التوصيات:

تضمن البحث عدة توصيات منها:

١.أوصي بالفهم الصحيح للكتاب والسنة والاعتصام بهما.

٢.الرد على كل من يتجرأ في الطعن بحجية السنة بالأدلة القلية الشرعية.

٣.الدفاع عن ثاني مصادر التشريع واجب حتمي على كل مسلم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١.الاتجاه السلفي الحديث بين التأصيل والمواجهة، د : راجح الكردي، .

٢.الاتجاهات المعاصرة في كتابة السيرة النبوية، د عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس،.

٣.الأصلان العظيمان الكتاب والسنة، د: جمال البنا، ١٩٨٢،١٤٠٢ مطبعة حسان: القاهرة.

٤.السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها، د : عماد السيد الشربيني، ط٢٠٠٢،١٤٢٣،١،دار اليقين المنصورة.

٥.الفكر الإسلامي بين العقل والوحي وأثره في مستقبل الإسلام. د: عبد العال سالم مكرم . ط٢ ، ١٩٩٢، مؤسسة الرسالة بيروت.

٦.الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، د: محمد شحرور، ط١٩٩٢،١٤١٢،٤، دار الأهالي، دمشق.

٧.بيان من الأزهر الشريف ، الشيخ جاد الحق علي جاد الحق،١٩٨٤،١٤٠٤مطبعة الأزهر القاهرة.

٨.تأملات في الحديث عند السنة والشيعة، زكريا عباس داوود ،ط١، ١٩٩٥،١٤١٦، دار النخيل بيروت.

٩.تقييد العلم، د أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق يوسف العش، ط٢، ١٩٧٤،١٣٩٤، دار إحياء السنة النبوية.

١٠.تيارات الفكر الإسلامي ، د : محمد عمارة ،ط٢، ١٩٩٧،١٤١٨، دار الشروق القاهرة.

١١.حقيقية الحجاب وحجية الحديث، د : محمد سعيد العشماوي، ٢٠٠١،١٤٢٢، مؤسسة روز اليوسف القاهرة.

١٢.حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، محمد بن إبراهيم الشيباني ط١، ١٤٩٧،١٩٨٧ ،الدار السلفية الكويت.

١٣. دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، د : امتياز أحمد، ترجمة عبد المعطي أمين قلعجعي،ط١٤٠٥،١٩٩٠،١، دار الكتب العلمية بيروت.

١٤.صحائف الصحابة وتدوين السنة النبوية المشرفة، أحمد عبد الرحمان الصويان،ط١، ١٤١٠،١٩٩٠.

١٥.صحيح الإمام البخاري، تحقيق : محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي ط الأولى ١٩٨٠ ، المكتبة السلفية بالقاهرة.

١٦.صحيح الإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.

١٧.علوم الحديث ومصطلحه، د : صبحي الصالح، ط١٩، ١٤١٥،١٩٩٥، دار العلم للملايين بيروت.

١٨.فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسكلان تحقيق محب الدين الخطيب، محمد عبد الباقي ، قصي محب الدين الخطيب، ط٢، ١٤٠٣،١٩٨٣ ، المطبعة السلفية القاهرة.

٢٩.لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر ببيروت .

٢٠.من أعلام المجددين ، د : صالح الفوزان، ط١، ١٤٢٤،٢٠٠٣، دار بن الجوزي الرياض .

٢١.مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث، د: أحمد قوشتي عبد الرحيم،١٤٢٣،٢٠٠٢، رسالة الدكتوراه، كلية الدار العلوم، جامعة القاهرة.

٢٢.الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية. دراسة نقدية . د : مفرح بن سليمان العوسي، ط١، ٢٠٠٢، دار الفضيلة بالرياض.

الاتجاه الحداثي المعاصر في دراسات السنة
محمد أركون نموذجاً

عامر إسماعيل داود
قسم دراسات القرآن والسنة
الجامعة الإسلامية العالمية
ماليزيا
afra1429@gmail.com

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعد؛ أما بعد:

فقد أولى المسلمون مصادر التشريع الإسلامي، من القرآن الكريم والسنة النبوية العناية الفائقة على مر العصور، من هذا المنطلق عُني جماعةٌ من المفسرين بأصول التفسير ومنهجه، وكتبوا عن المفسرين واتجاهاتهم وغاياتهم، وكذا عمل علماء الحديث والسنة في كتاباتهم الفذة في نقد الرواة وبيان منزلتهم في الجرح أوالتعديل وغير ذلك من المجالات، ليخلصوا بعد ذلك إلى منهج واضح في التعامل مع المفسرين والمحدثين في كتبهم، وهذا بلا شك مما يعين القارئَ في تناوله لتلك الكتب، وتجعل أمامه معايير واضحة في القبول أو الرد لأي فكر أو اتجاه.

ومن جانب آخر هناك طائفة أخرى ممن يشار إليهم بالبنان في هذا العصر الحاضر، ويتكلمون عن القرآن والسنة بمنهج مختلف تماماً عما كان عليه الأمر من قبل، فاتهموا بدس سمومهم الهدامة والآراء الفاسدة في أوساط العامة. والسنة النبوية قد تعرضت في هذا العصر للهجوم الشرس، ومحاولات النيل من قدسيتها ومكانتها، مما لم تتعرض لمثله من قبل، تعنف تارةً، وتلين أخرى، تأخذ شكل أمواج البحر، تعلو وتهبط، لكنها تتدافع في اتجاهٍ واحدٍ. وقد اختلف حجم هذه المهاجمات والمحاولات في بلد عن بلد، وفي زمن عن زمن، ومع ذلك فالأمر كما قال الشاعر[١]: كناطح صخرة يوماً ليوهنها * ولم يضرها وأوهى قرنَه الوعلُ.

وكلما اشتد ضعف المسلمين اشتدت الحملةُ وتوالى الهجومُ، تماماً كميكروب الأمراض، كلما ضعفت مناعة الجسم وحصانته كلما اشتد هجوم الأمراض والافتراس[٢]، فمحمد أركون، من الباحثين المعاصرين المشهورين بالنقد الشديد لتراث الإسلام عموماً، والقرآن الكريم والسنة النبوية خصوصاً، فإنه يرى إخلاع القرآن الكريم لمناهج البحث الحديثة، وأما السنة فلا يقيم لها وزن أصلاً، وكان من بين المسلمين، والباحثين من يصدقه ويشيد به، ويتبعه في هذه الأقوال المليئة بالجرعة الشديدة على كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، مما جعل الكتابة في مثل هذا الموضوع أمراً مهماً لرد زيغه وأمثاله، ولبيان الحق من الباطل.

المحور الأول: التعريف الموجز بمحمد أركون

محمد أركون باحث ومؤرخ ومفكر جزائري، ولد عام ١٩٢٨م في بلدة تاوريرت ميمون[٣] (آث يني) بمنطقة القبائل الكبرى الأمازيغية بالجزائر، وانتقل مع عائلته إلى بلدة عين الأربعاء (ولاية عين تموشنت)، وأكمل دراسته الثانوية في وهران في مدرسة "الآباء البيض" التبشيرية ١٩٤٥م، ابتدأ دراسته الجامعية بكلية الفلسفة في الجزائر، ثم أتم دراسته في السوربون في باريس[٤]، وكان قد تأثر بخاله المنتمي لإحدى الطرق الصوفية، وكان يحضر معه مجالس الصوفية في

---

[١] وهو الأعشى، انظر محمد بن يزيد المبرد أبو العباس، **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م)، ج٢، ص١٩٨.

[٢] انظر، مقال للأستاذ الدكتور محمد أبو الليث الخير آبادي، **اتجاه تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية ين الجحود والتأييد**.

[3] GUNTHER, URSULA, **Mohammed Arkoun: towards a radical thinking of Islamic thought**, in **Modern Muslim intellectuals and the Quran,** (London: Oxford University press, 1st edn, 2004). P.127.

[٤] انظر د. محمد بن سعيد السرحاني، الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن، ص٦. وويكيبيديا الموسوعة الحرة. http://ar.wikipedia.org/wiki/ بتاريخ: ٢٠١٠/٢/٢٤م.،

تلك القرية، دخل جامعة السوربون ليقدم امتحانه في عام ١٩٥٦م، قدَّم رسالته لدرجة الدكتوراه عن ابن مسكويه عام ١٩٦٨م، وفي عام ١٩٧١م أصبح أستاذاً للفكر الإسلامي في جامعة السوربون، وأستاذاً زائراً في عدد من الجامعات والمعاهد العالمية، ولاسيما معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن، وكان له اهتمام واضح بالفكر الباطني، وفي عام ١٩٩٩م أسس معهداً للدراسات الإسلامية في فرنسا[١].

عُين محمد أركون أستاذاً لتاريخ الفكر الإسلامي والفلسفة في جامعة السوربون عام ١٩٦٨م بعد حصوله على درجة دكتوراه في الفلسفة منها، وعمل كباحث مرافق في برلين عام ١٩٨٦ و ١٩٨٧م يشغل ومنذ العام ١٩٩٣ منصب عضو في مجلس إدارة معاهد الدراسات الإسلامية في لندن[٢]، وهو أستاذ فخري في جامعة السوربون الفرنسية٣.

مؤلفاته:

يكتب محمد أركون كتبه باللغة الفرنسية أو بالإنكليزية وتترجم إلى لغات أخرى، ومن مؤلفاته المترجمة إلى العربية:

١. تاريخية الفكر العربي الإسلامي أو "نقد العقل الإسلامي".
٢. الفكر الإسلامي: قراءة علمية.
٣. الفكر الإسلامي: نقد وإجتهاد.
٤. العلمنة والدين: الإسلام، المسيحية، الغرب.
٥. من الإجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي.
٦. من فيصل التفرقة إلى فصل المقال: أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟
٧. الإسلام أوروبا الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة.
٨. قضايا في نقد العقل الديني. كيف نفهم الإسلام اليوم؟
٩. الفكر الأصولي واستحالة التأصيل. نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي.
١٠. معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية.
١١. من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.
١٢. أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟

إلى غير ذلك من مؤلفات.

وفاته:

مات محمد أركون مساء يوم الثلاثاء؛ ١٦ أيلول/سبتمبر ٢٠١٠م، في العاصمة الفرنسية باريس، عن عمر يناهز ٨٢ عام، بعد معاناة مع المرض[٤].

المحور الثاني: منهج الدكتور محمد أركون في التعامل مع التراث الإسلامي

---

[١] د. محمد بن سعيد السرحاني، الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن، ص٦.

[٢] المصدر نفسه.

[3] Mohammed Arkoun: towards a radical thinking of Islamic thought, P.127

[٤] وزارة الشؤون الخارجية والأوروبية برنار فاليرو، (france.diplomatie): http://www.diplomatie.gouv.fr/ar/article.html تريخ: ٢٠١٠/١٠/٢٥م.

انتهج أركون في تناوله للقرآن الكريم وغيره من المصادر الإسلامية اتجاه الحداثيين في تعاملهم مع أي نص، فلا يقيمون للتراث أي وزن، ولا يفرقون بين نص رباني أو إنساني، وليس عندهم تقديس أو تمجيد لنص سماوي ولا سواه، لذا فأركون ينظر إلى القرآن بأن عباراته وتركيباته تحتاج إلى إعادة صياغة؛ يقول: "..نقصد بالبرهان الأولي هنا: إعادة تركيب الصيغة اللغوية الصحيحة لكلام الله!"[١].

وهو لا يرى أدنى فرق بين القرآن الكريم وغيره من الكتب المحرفة يقول: "إن القرآن كما الأناجيل ليس إلا مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري، إن هذه المجازات لا يمكن أن تكون قانوناً واضحاً، أما الوهم الكبير فهو اعتقاد الناس اعتقاد الملايين بإمكانية تحويل هذه التعابير المجازية إلى قانون شغال وفعال ومبادئ محدودة تطبق على كل الحالات وفي كل الظروف"[٢].

ويظهر في كتاباته المتكررة محاولة نزع الثقة من القرآن الكريم وقداسته، باعتباره نصاً أسطورياً أو أدبياً قابلاً للدراسة والأخذ والرد[٣]، يقول: "ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس"[٤].

ويعد أركون أن مسألة نسبة القرآن إلى الله تعالى هي مزاعم تقليدية يجب تجاوزها، كما يقول: لكي أفتتح حقلاً جديداً من التفكير تصبح فيه المزاعم التقليدية للمسيحية والإسلام معاً مُتَجاوزة، عن طريق دراسة مشاكل ما قبل البعث، والصحة الإلهية للقرآن.[٥]

هذا غيض من فيض من كلام أركون المتطاول تجاه القرآن الكريم، واكتفيتُ به هنا لأنه يدل القارئ وبكل وضوح أنه ما دام ينظر إلى كتاب الله هذه النظرة التنقيصية فغيره من نصوص الشرع من باب أولى.

مجمل آراء أركون في القرآن الكريم[٦]:

١. إن القرآن بعضه مفقود في خزائن الرافضة في الهند واليمن.
٢. إن علماء الإسلام تلاعبوا بالقراءات القرآنية.
٣. إن الصحابة لم يكونوا أمناء في تدوين القرآن.
٤. إن النبي أدخل في القرآن الأساطير، وقصص التوراة بعد أن شوهها.
٥. إن القرآن فيه مغالطات تاريخية.
٦. إن القرآن قسا على المشركين دون مبرر.
٧. إن القرآن هو الذي ينتج التطرف، والعنف، ومضادة العقل.

---

[١] محمد ركون، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، ص٣٨.

[٢] تاريخية الفكر الإسلامي، ص٢٩٩.

[٣] محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، (بيروت: مركز الانماء القومي، ١٩٩٦م، ط٣،) ص٢٢ وما بعدها.

[٤] أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص٢٣.

[٥] أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ٤٦.

[٦] انظر موسوعة مقالات ابراهيم السكران، http://iosakran.wordpress.com/category تاريخ ٢٠١١/٥/١٥م.

٨. إن أسلوب القرآن فيه قصور وتكرار زائد وتشنج.

٩. إنه لا يوجد أدلة على صحة نسبة القرآن إلى الله.

المحور الثالث: منهج الدكتور محمد أركون في التعامل مع السنة النبوية

أولاً: معايير التعامل مع النصوص الشرعية عامة عند الحداثيين:

قبل الشروع في هذه الجزئية تحسن الإشارة إلى معايير الحدثيين في النصوص الشرعية، فمن أهم المبادئ عندهم ما يأتي:

١. **أنسَنَة الدِّين،** أي: إرجاء الدين إلى الإنسَان، وإحلال الأساطير محلَّ الدِّين[١].

٢. عدم الفرق بين النصوص الدينية المقدَّسة، وبين غيرها في النقد[٢].

٣. وضع **العمليَّة أو العقلانيَّة** والدين على طرفَي نقِيض، على أساس أن: الدِّين فِكر غيبِيٌّ، يتعارض مع التفكير العلمِي والعقلاني[٣].

ومن خلال هذا المعيار ادعى محمد أركون إلى إعادة قراءةِ الفكر الإسلامي من جديد قراءةً علمية، وإخضاعِ القرآن الكريم لمحكِّ النقدِ التاريخيِّ المقارن[٤].

ولذلك لم يتوان الحداثيون عن اعتبار مصدرية الحديث النبوي إحدى شطحات الشافعي الذي حسب زعمهم وضعها مصدراً ثانياً من مصادر التشريع الإسلامي، كما وصفه أركون بأنه ذو عقل "ينمو ويترعرع داخل إطار مجموعة نصية ناجزة ومغلقة على ذاتها، نقصد بذلك القرآن والحديث"[٥].

إن مقدمات ما قاله الحداثيون عن القرآن، دفعتهم ومن باب أولى أن يتجرأوا على السنة، ويزعموا أن الظروف السياسية وأوضاع المجتمعات التي انتشر فيها الإسلام، احتاجت إلى أحاديث جديدة، تحاكي متغيراتها وتعالج أحكامها يقول محمد أركون: "إن السنة كُتبت متأخرة بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم بزمن طويل وهذا ولَّد خلافات لم يتجاوزها المسلمون حتى اليوم بين الطوائف الثلاث السنية والشيعية والخارجية، وصراع هذه الفرق الثلاث جعلهم يحتكرون الحديث ويسيطرون عليه لما للحديث من علاقة بالسلطة القائمة...وهكذا راح السنة [أهل السنة] يعترفون بمجموعتي البخاري ومسلم المدعوتين بالصحيحين"[٦].

ويبرر أركون أخذه بهذا الاتجاه الحداثي قائلاً: لكي تحلل وتدرس وضع الإسلام الراهن في مواجهة الحداثة بشكل صحيح، فإنه من الضروري أن نوسع من مجال التحري والبحث لكي يشمل ليس فقط الفكر الإسلامي

---

[١] عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، ص ٣٥.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، ص ٩٠-٩١.

[٤] عطيات أبو السعود، الحصار الفلسفي للقرن العشرين، ص٥٠.

[٥] محمَّد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص٦٥ و٦٩، و نصر حامد أبو زيد، الإمام الشافعي، ص٤١.

[٦] أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص١٠١.

الكلاسيكي، وإنّما القرآن نفسه أيضاً إن المهمة تبدو مرعبة لأسباب معروفة جيداً، سوف نرى، مع ذلك، لماذا هي شيء لابد منه، إذا ما أردنا أن نعالج بشكل دقيق المكان الذي أتيح للتاريخية أن تحتله في الإسلام[1].

نأتي في هذه الجزئية من البحث، للتعرف على بعض معالم أفكار الدكتور محمد أركون، فيما يتعلق باتجاهه نحو التعامل من السنة النبوية، فإن منهجه يشتمل على جرأته العجيبة على تشكيك في ثبوت القرآن الكريم نفسه، وفي طريقة وصوله إلينا، وجرأته على نفي الحديث النبوي أو إنكاره، والزعم بأن الظروف السياسية، وأوضاع المجتمعات التي انتشر فيها الإسلام؛ احتاجت إلى أحاديث وقال: إن السنة كُتبت متأخرة بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم بزمن طويل وهذا ولَّد خلافات، لم يتجاوزها المسلمون حتى اليوم، بين الطوائف الثلاث السنية والشيعية والخارجية، وصراع هذه الفرق الثلاث جعلهم يحتكرون الحديث، ويسيطرون عليه، لما للحديث من علاقة بالسلطة القائمة"[2].

وهو يرى أن الحديث هو جزء من التراث الذي يجب أن يخضع للدراسة النقدية الصارمة لكل الوثائق والمواد الموروثة كما يسميها،[3]، ثم يقول: "وبالطبع فإن مسيرة التاريخ الأرضي، وتنوع الشعوب التي اعتنقت الإسلام، قد خلقت حالات وأوضاعاً جديدة ومستحدثة لم تكن متوقعة، أو منصوصاً عليها في القرآن ولا في الحديث، ولكي يتم دمجها وتمثلها في التراث فإنه لزم على المعنيين بالأمر أن يصدقوا عليها ويقدسوها إما بواسطة حديث للنبي، وإما بواسطة تقنيات المحاجة والقياس"[4].

الشريعة والحياة تلك هي مكانة الشريعة عنده وهذه مكانة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم إذ لا يرى أي تشريع جاء به القرآن، وأن القرآن خطاب أدبي عاطفي لا علاقة له بالحياة، والشريعة ضرورة اجتماعية أملتها ظروف المجتمع وحاجة الناس، وهي في مجموعها تراث إذا قابلت في الطريق ثقافة مجتمع آخر أو استجد شيء فإن هذا الجديد يدمج في هذا التراث بواسطة حديث أو قياس، وهو يناقض نفسه تماماً، إذ لو لم تكن الشريعة من غير هذين المصدرين كأساسٍ لما سعى المعنيون بالأمر لِفعل ذلك. وهذا مثال لتناقض أركون، و قد اجترأ على كتاب الله بقوله: "وليس في وسع الباحثين أن يكتفوا اليوم في الواقع بالتكرار الورع ((للحقائق)) الموحى بها في الجزيرة العربية في القرن السادس والتي طُرحت منذئذ على أنها بآن واحد مما يمكن تعريفه واستخدامه وأنها متعالية، قال: وقد رأينا كيف تحول الحادث القرآني إلى حادث إسلامي...إلخ"[5].

وهو يرى أن الباحثين لا يسعهم تطبيق القرآن، لأنه نزل في الجزيرة في ذلك الزمن القديم، وهو لا يرى نفسه وهو يقدس ويستسلم لبقايا قوانين الرومان، بل ويحاسب الإسلام على أفكار هل تتطابق معها أم لا، ويقول في الوقت نفسه بأن القرآن حقائق، وقد سبق أن قال إنه مجازات عالية وقد أجمع القائلون بالمجاز على أن كل مجاز

[1] الفكر الإسلامي : قراءة علمية لمحمد أركون : ص ٦٨

[2] أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص١٢.

[3] المصدر نفسه، ص١٣.

[4] المصدر نفسه، ص١٨.

[5] أركون ، الفكر العربي، ص١٧٤ ترجمة عادل العوا .

يجوز نَفْيُه ويكون نافيه صادقاً في نفس الأمر[1]، علماً بأن المجاز بالأسلوب الذي يريده أركون أبعد بكثير من المجاز الذي حدث فيه الخلاف بين المسلمين والذي قال فيه الشنقيطي: إن وروده في القرآن غير صحيح، ولا دليل يوجب الرجوع إليه من نقل ولا عقل، ونحن ننزه القرآن على أن نقول فيه مجاز بل نقول كله حقائق[2].

يقول أركون مقارناً بين أهل السنة والشيعة في الأخذ بالأحاديث، بما تمجيد للطريقة الشيعية في ذلك: (فالشيعة يتصورون مثلاً بأن النبي ترك لعلي وذريته مسؤولية السلطة الروحية والسياسية ليحافظوا عليها حتى نهاية التاريخ؛ فوديعة الوحي ملقاة على عاتقهم، وهم وحدهم دون غيرهم المسؤولون عن إدارة شؤونها بقيادة إمام عادل، من هنا ففي الوقت الذي نجد الشيعة تكتفي بالأحاديث المنقولة عن الإمام علي وذريته الذين يتمتعون جميعا بجاذبية شخصية وبهيبة قدسية[3]، نجد السنة، يدعون الانتساب إلى سنة النبي، وهم يتلقون بورع وطاعة كاملة الأحاديث المنقولة عن الخلفاء الثلاثة الأول المدعوين بالراشدين[4].

ثانياً: مغالطات أركون لرد السنة النبوية

هناك أمور تظهر أن أركون فهمها مغلوطة، أو أتى بها مغلوطة لكي يكسب عقول مريديه خصوصاً، وعقول عوام المسلمين عموماً، وإنها لمن العجيب جداً صدورها من رجل يدعي البحث العلمي والتفكير الإسلامي، إذ إنه يقولها دون توثيق ولا إثبات، من ذلك دعواه:

الأولى: أنه حسب المعلومات والوثائق المتوفرة لدينا فإن الخليفة عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ٩٩هـ/٧١٧م، هو أول من استخدم مصطلح السنة بمعنى الحديث النبوي، وكان ذلك في سنة ٨٠هـ/٧٠٠م[5]، وقوله هذا غير صحيح تماماً وبيان ذلك من وجوهين:

١. قوله: إن الخليفة عمر بن عبد العزيز استخدم عبارة السُّنَّة سَنَةَ ٨٠هـ هذا غير صحيح؛ لأن الذي كان يحكم الدولة الأموية في هذه السنة هو الخليفة عبد الملك بن مروان، وعمر بن عبد العزيز لم يتول الخلافة إلاّ في سنة ٩٩هـ[6]، كما أن أركون أشار إلى أن عمر بن عبد العزيز توفي سنة ٩٩هـ/٧١٧م، وهذا غير صحيح، فقد مات سنة١٠١هـ/٧١٩م[7].
٢. والأمر الثاني: إنه ليس عمر بن عبد العزيز هو أول من استخدم مصطلح السنة بمعنى الحديث النبوي،

---

[1] الشنقيطي، منع جواز المجاز، ص٨.

[2] المصدر نفسه، ص٥١.

[3] محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي... ص٢٧.

[4] المصدر نفسه.

[5] الفكر الإسلامي ، ص: ٢٢.

[6] انظر عمر محمد محمد الصلابي، **عمر بن عبد العزيز**: **معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة**، (القاهرة: ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ٣٦.

[7] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، (دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م)، ج٩،ص ٢٤٦؛ و أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٠٠)، ج٦، ص٣٠١؛ وابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج٢ ص٥.

فهذا مصطلح استخدمه النبي نفسه صلى الله عليه وسلم، فقد ورد استخدامه في أحاديث كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: "...يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله و سنة نبيه"[١]، وقوله: "...فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة...الخ"[٢]، وقوله: "أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة" الحديث[٣]، إلى غير ذلك من الأدلة.

وبذلك يتبين أن ما ادعاه أركون غير صحيح مضموناً و توثيقاً، فعجباً منه كيف يقول: (وفي هذه الحالة الراهنة لمعلوماتنا والوثائق التي نمتلكها، نجد أول استخدام لتعبير سنة النبي لم يحصل إلا عام ٨٠هـ/٧٠٠م)[٤]، ثم هو لا يذكر لنا أي مصدر من المصادر المزعومة، ولا يُوثق دعواه، مع أن الحقيقة أن المصادر المتوفرة تخالف زعمه تماماً، فلا هو ذكر وثائقه المزعومة، ولا وثق دعواه، ولا استثنى المصادر التي تخالف زعمه.

الدعوى الثانية: دعواه أن الحديث النبوي ما هو إلا اختلاق مستمر، ما عدا بعض النصوص القليلة التي يصعب تحديدها وحصرها[٥]، وقوله هذا غير صحيح في معظمه، لأن الحديث الصحيح هو الأصل، والضعيف هو الاستثناء، الاستثناء، و ليس كما زعم أركون عندما قلب الوضع، لأن الأحاديث الضعيفة و المكذوبة لم تظهر ولم تنتشر إلا بعد انتشار الأحاديث الصحيحة بين المسلمين، بدليل الشواهد الآتية:

١. إن السنة النبوية كانت منتشرة بين المسلمين منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم لأنها هي المفسرة للقرآن والمطبقة له على أرض الواقع، وكان المسلمون في حاجة ماسة إليها، لذا نص القرآن الكريم في آيات كثيرة على وجوب إتباع السنة النبوية و الالتزام بها.
٢. إن السنة النبوية كانت منتشرة بشكل واسع زمن الخلافة الراشدة، بسبب حب المسلمين لها وحاجتهم الماسة إليها، وحث القرآن الكريم على وجوب إتباعها، وإكثار بعض الصحابة من التحديث بالسنة النبوية في مجالس العلم و غيرها[٦].
٣. إن السنة النبوية كان كثير منها مدوناً في صحف ورقاع شخصية في القرن الأول الهجري، ثم زاد عددها عندما أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بتدوين الحديث النبوي[٧]، وبناء على هذه الأمثلة فإن ذلك يعني بالضرورة أن السنة الصحيحة كانت معروفة ومطبقة ومنتشرة بين المسلمين بكثرة قبل الفتنة الكبرى

---

[١] محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ج١، ص١٧٨، حديث رقم ٣١٩.

[٢] أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، **السنن**، (بيروت: دار الكتاب العربي)، ج١، ص٢٢٨، حديث رقم٥٨٤.

[٣] محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، **السنن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج٤، ص٤٧٤، حديث رقم٢١٧٩، وقال هذا حديث حسن صحيح.

[٤] الفكر الإسلامي، ص٢٢.

[٥] تاريخية الفكر العربي ، ص: ٢٩٧.

[٦] محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، ص٧٥ وما بعدها.

[٧] محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، ص: ٣٢٩.

وبعدها.

و عليه، فإنه لا يصح شرعاً ولا عقلاً ولا تاريخاً القولُ بما زعمه أركون من أن الحديث النبوي كان اختلاقاً مستمراً لم يصح منه إلا القليل الذي يصعب تمييزه وحصره، وإنما الصحيح هو عكس ما زعمه أركون تماماً من أن السنة الصحيحة هي الأصل والأكثر انتشاراً وتداولاً بين الناس، ثم لما انتشر الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم تصدى له علماء الحديث وبذلوا جهوداً كبيرة مضنية لتنقية السنة وتمييز صحيحها من سقيمها، وفق منهج علمي نقدي كامل جمع بين نقد الأسانيد والمتون معا[1]، وهذا أمر أغفله أركون معتمداً على المغالطة والتدليس.

الدعوى الثالثة: زعم فيه أركون أن الأحاديث النبوية كانت تُثار وتُستحضر طبقاً لحاجيات (اللحظة والوسط مشفوعة بإسناد مُتغير لن يستقر قبل القرن الرابع الهجري)[2]، وقوله هذا فيه ما فيه، لأن الأصل في الأحاديث النبوية هو الصحة والانتشار بين المسلمين وليس العكس، فلما انتشر الكذب تولى علماء الأمة مهمة الحفاظ على السنة وتنقيتها وتحقيقها، لكن أركون أغفل ذلك وضخم دور الكذابين في إفساد الحديث النبوي، وهذا عمل ليس من المنهج العلمي الموضوعي في شيء، هذا جانب.

والجانب الآخر أنه أخطأ عندما عمم حكمه على الأسانيد وزعم أنها لن تستقر قبل القرن الرابع الهجري، وهذا غير صحيح لأن أسانيد الأحاديث الصحيحة كانت ثابتة معروفة لدى أهل العلم، ولم تتعرض للتغيير ولا للتحريف، وليس صحيحاً القول بأنه لم تستقر قبل القرن الرابع الهجري، لأن كثيراً من الأحاديث النبوية كانت مستقرة متناً و إسناداً في الصحف والدفاتر الشخصية في القرن الثاني الهجري، وفي النصف الثاني منه بدأت في الاستقرار على مستوى المؤلفات، كموطأ الإمام مالك، ثم في القرن الثالث الهجري استقرت السنة النبوية الصحيحة في دواوين السنة الكبرى، كمسند أحمد بن حنبل، و صحيح البخاري، و صحيح مسلم، وغيرها[3].

الدعوى الرابعة: زعم فيه أركون أن الجميع يعترفون للشافعي بأنه: (فرض للمرة الأولى الحديث النبوي على أساس أنه المصدر الثاني الأساسي ليس فقط للقانون والتشريع، وإنما أيضاً للإسلام بصفته نظاماً مُحدداً)[4].

وهذا غير صحيح لأن كون السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام هو من المعروف بالضرورة من دين الإسلام، منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى زمن الشافعي وما بعده، لأنه لا إسلام دون سنة نبوية، و أما عمل الشافعي فهو ليس اكتشافاً ولا فرضاً ولا تأسيساً للمصدر التشريعي الثاني في الإسلام، لأن السنة كانت معروفة منذ العهد النبوي بأنها المصدر الثاني بعد القرآن الذي هو نفسه نصّ على ذلك في آيات كثيرة. فجاء الشافعي وصنف كتاباً جمع فيه مصادر التشريع المعروفة، على رأسها الكتاب والسنة ورتبها واستدل بأدلة على ذلك، علماً بأن الاحتجاج المتعلق بالسنة ليس جديداً لأنه معروف موجود في القرآن و السنة النبوية.

---

[1] السنة قبل التدوين، ص٢١٩، وص ٢٣٩ و ما بعدها .

[2] الفكر الإسلامي، ص٢٦٤.

[3] عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص: ٨٦ و ما بعدها.

[4] تاريخية الفكر، ص٧٥.

وهناك أشياء أخرى غالط فيها أركون وجانب الصواب فيها أذكرها لما لها علاقة بدراسات السنة النبوية، لأنه لم يعد السنة ولا القرآن قبلها مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، أُولى تلك خزعبلات أنه ادعى أن القُضاة في النصف الأول من القرن الأول الهجري كانوا يستوحون أحكامهم من الأعراف المحلية قبل الإسلام، ومن أرائهم الشخصية، وأما (الرجوع إلى القانون القرآني فلم يحدث إلا بشكل متقطع، وليس بشكل منتظم كما حاولت الرواية الرسمية أن تشيعه)[١].

وهذه دعوى بلا دليلٍ؛ لا من الشرع ولا من العقل ولا من التاريخ، و كان على أركون أن يُوثقها من مصادرنا قبل البوح بها، لكنه لم يفعل ذلك لأنه ليس له بين يديه إلا الدعاوى والمغالطات، مع العلم أن الثابت شرعاً و تاريخاً أن القضاء في العهدين النبوي والراشدي كان مصدره القرآن أولاً، و السنة النبوية ثانياً، والاجتهاد القائم عليهما ثالثاً[٢]، فالشريعة الإسلامية كانت هي مصدر القضاء، و هو جزء أساسي لا يتجزأ منها، أما حكاية الأعراف المحلية فهي لم تكن أصلاً في القضاء ولا فرعاً منه أبداً[٣]، لكنها ربما وُجدت في حالات فردية تتعلق باجتهادات القاضي تندرج ضمن ما يعُرف بالعرف عند الفقهاء، وهذا يُخالف تماماً ما ذهب إليه أركون حيث جعل الاستثناء الاجتهادي النادر هو قاعدة أساسية عامة يقوم عليها القضاء في صدر الإسلام، وزيادة في إبطال زعمه أذكر بعض الأدلة لدحض دعواه، من ذلك:

١. أولها إن القرآن الكريم تكلم عن القضاء أمراً وتشريعاً وتطبيقاً في آيات كثيرة جداً، كقوله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا} (سورة النساء: ١٠٥)، وقوله تعالى: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} (سورة المائدة: ٤٤) إلخ، وقال: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (سورة الجاثية: ١٨)، هذا فضلاً عن آيات الأحكام التفصيلية المتنوعة المتعلقة بالتجارة والحدود والميراث غيرها، فالقرآن إذاً هو المصدر الأساس الأول للقضاء في الإسلام وتاريخه.
٢. ومن السنة النبوية، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم هو القاضي الأول في زمانه بأمر من الله تعالى، فكان يحكم بين المسلمين و يُطبق عليهم الشريعة الإسلامية في مختلف جوانب الحياة. وكانت له أقضية كثيرة جداً، دونتها كتب الحديث و السيرة و الفقه[٤]، وأنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم قضاةٌ عيَّنَهم على النواحي والأقاليم، منهم مُعاذ بن جبل رضي الله عنه، ومن أقواله في القضاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: "القضاة ثلاثة؛ واحد فى الجنة واثنان فى النار، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى

[١] تاريخية الفكر ، ص٢٩٧. نقلا من كتاب **الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد أركون، ومحمد عابد الجابري: – دراسة نقدية تحليلية هادفة**– لـ خالد كبير علال، (دار المحتسب، ط١، ٢٠٠٨م)، ص٢٣٢ فما بعدها.

[٢] محمود الفضيلات، القضاء في صدر الإسلام: تاريخه ونماذج منه، (الجزائر: شركة الشهاب، ١٩٨٧)، ص١٠٠.

[٣] المرجع نفسه.

[٤] أنظر القضاء في صدر الإسلام، ص٤٥.

النار"[1]، "لا يقضين حَكَمٌ بين اثنين وهو غضبان"[2]، وقوله: "إذا تقاضى إليك رجلان فلا تقض للأول حتى تسمع كلام الآخر فسوف تدري كيف تقضي"، قال علي فما زلت قاضيا بعد"[3].

٣. أنه بما أن المجتمع في النصف الأول من القرن الأول الهجري كان مجتمعاً إسلامياً يقوم أساساً على القرآن و السنة النبوية، تشريعاً وتطبيقاً، فلا يصح عقلاً ولا شرعاً الزعم بأن القضاة المسلمين أهملوا التشريعات القضائية الموجودة في القرآن والسنة، واعتمدوا على اجتهاداتهم الخاصة، والأعراف المحلية القديمة.

٤. ويستدل على بطلان قول أركون بما ينقض زعمه من كلامه هو، حيث قال: إنه لما توقف الوحي بوفاة النبي أصبح القرآن (يُرجع إليه من أجل تحديد المعايير الأخلاقية، والسياسية، والشعائرية، والقضائية، التي ينبغي أن تتحكم منذ الآن فصاعداً بفكر كل مسلم)[4]، فهذا رد مفحم من أركون على نفسه، وهو كاف وحده لدحض ما ادعاه، فكأنه لا يعرف ما يخرج من رأسه!. فثبت بذلك أن القضاء في صدر الإسلام كان قضاء قائماً على الكتاب والسنة.

المحور الرابع: الأسباب والدوافع وراء هذا الاتجاه

١. لعل السبب الجوهري الذي جعل أركون يتعامل مع القرآن والسنة وغيرهما من مصادر التشريع بهذه الطريقة الغريبة هو أنه غير مقتنع أصلاً أن هذا القرآن من الله، فأركون يستغرب كثيراً ممن يعتقد أن هذا القرآن كلام نزل من الله، ولذلك يقول أركون: (وعندئذٍ أصبحوا يقدمون الخطاب القرآني، لكي يُتلى ويُقرأ ويُعاش، وكأنه الكلام الأبدي الموحى به من قبل إله متعالٍ)[5].

وليس القرآن فقط، وإنما يذهب أركون إلى أبعد من ذلك فكان يعتبر أن مفهوم "**الله**" إنما اخترعه النبي والصحابة ليصارعوا به خصومهم السياسيين في الجزيرة، كما يقول أركون: (نلاحظ أن الجماعة الجديدة الطالعة قد بلورت مفهوم "الله" من جديد، ليس من أجل مضامينه الخاصة الصرفة، وإنما بالدرجة الأولى من أجل تسفيه طريقة استخدامه من قبل أهل الكتاب)[6].

٢. ومن الأسباب والدوافع أيضاً: نشأة أركون تحت رعاية الكنيسة منذ مدرسة الآباء البيض، ومروراً بمحطة ماسينيون، وخصوصاً دعم ماسينيون لأركون وحربه على مالك بن نبي، وانتهاءً بعلاقات أركون العميقة مع رجال الدين النصارى في باريس[7].

---

[1] رواه أبو داود في السنن، ج٣، ص٣٢٤، رقم الحديث ٣٥٧٥؛ والترمذي، ج٣، ص٦١٢، رقم الحديث ١٣٢٢، والحديث صححه الألباني.

[2] رواه البخاري في صحيحه، ج٦، ص٢٦١٦، رقم الحديث ٦٧٣٩؛ ومسلم ج٣، ص١٣٤٣، رقم الحديث ١٧١٧؛ وغيرهما.

[3] أخرجه الترمذي في جامعه، ج٣، ص٦١٨، رقم الحديث ١٣٣١ وقال هذا حديث حسن. وحسنه الألباني أيضاً.

[4] الفكر الإسلامي، ص، ٧٣.

[5] محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: نحو تاريخ آخر للمفكر الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، (بيروت: دار الساقي، ط١، ١٩٩٩م)، ص ١٤٦.

[6] أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ١٠١.

[7] انظر موسوعة مقالات إبراهيم السكران، http://iosakran.wordpress.com/category تاريخ ٢٠١١/٥/١٥م.

وكذلك عدم صفاء مشرب أركون العلمي: فإن كتابات المستشرقين كانت هي أهم مراجعه البحثية، والتي أعاد إنتاجها في صيغ مختلفة، كما يقول: تقدم الدراسات القرآنية قد تم بفضل التبحر الأكاديمي الاستشراقي منذ القرن التاسع عشر، ويدخل في ذلك كما مر في ترجمته تأثره ببعض العقاعد الوافدة، وكذا تشربه العلم على أيدي رجال معروفين بالاستشراق ونشره[١].

٣. هناك حادثة[٢] وقعت لأركون في فرنسا لعلها أيضاً تكزن من الدوافع التي دفعت أركون قدماً إلى تشديد حملته على الإسلام وتراثه، وأنا أذكر هذه الواقعة، لأنني أراها مهمة، وخاصة بالنسبة لأركون، لو استفاد منها لخفف حملته على الإسلام ومصادره التشريعية لكن مع الأسف الشديد جعلته خلاف المتوقع، يقول أركون: "على الرغم من أني أحد الباحثين المسلمين المعتنقين للمنهج العلمي والنقد الراديكالي للظاهرة الدينية، إلا أنهم أي الفرنسيين يستمرون في النظر إليّ وكأني مسلم تقليدي! فالمسلم في نظرهم شخص مرفوض ومرمي في دائرة عقائده الغريبة ودينه الخالص، وجهاده المقدس، وقمعه للمرأة، وجهله بحقوق الإنسان، وقيم الديموقراطية، ومعارضته الأزلية والجوهرية للعلمنة،...هذا هو المسلم ولا يمكنه أن يكون إلا هكذا! والمثقف الموصوف بالمسلم يشار إليه دائماً بضمير الغائب: فهو الأجنبي المزعج الذي لا يمكن تمثله أو هضمه في المجتمعات الأوروبية لأنه يستعصي على كل تحديث أو حداثة"[٣].

الخاتمة

١. محمد أركون مفكر ليبرالي، وليس إسلامياً؛ فإن غالب ما طرحه من أفكار تصطدم مع ما دعى إلى الإسلام وشرعه من أحكام.

٢. كتب كماً هائلاً من المؤلفات، معظمها في تأييد الخروج على الدين، وما هو معروف من تعاليمه، بدعوى التجديد أو التفكير الإسلامي.

٣. يتجلى في كتابات أركون محاولة نزع ثقة المسلمين بتراثهم بما في ذلك القرآن الكريم؛ باعتباره نصاً أسطورياً، ويتعامل معه وكذا السنة النبوية كباقي الكتب المؤلفة، وكذا عمل على نزع الثقة في علماء الأمة عموماً.

---

[١] أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ٧٠.

[٢] وسبب هذا التنكر لإخلاص أركون لفرنسا أنه نشر مقالةً حول قضية سلمان رشدي الأمر الذي أثار لغطاً كبيراً ومناقشات حامية الوطيس، وقد طورت ردود الفعل التي استتبعتها شعوراً حقيقياً بالاضطهاد لدى أركون، والتي عبر عنها بأنها "ردود فعل هائجة بشكل لا يكاد يصدق" سواء في الساحة الفرنسية أو الأوروبية. وقال أيضاً في وصف هذه الضغوط: "كان الإعصار من القوة، والأهواء من العنف، والتهديدات من الجدية بحيث أن كلامي لم يفهم على حقيقته، بل صُنِّف في خانة التيار المتزمت! وأصبح أركون بهذا السبب أصولياً متطرفاً!! ويقول: أنا الذي انخرطت منذ ثلاثين سنة في أكبر مشروع لنقد العقل الإسلامي أصبحت خارج دائرة العلمانية والحداثة".

[٣] محمد أركون، **الإسلام–أوربا– الغرب**، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، ترجمة هاشم صالح، (دار الساقي، ط٢)، ص١٠٥، بتصرف يسير.

٤. تبيَّن من خلال البحث الأثر الواضح لمناهج المستشرقين في تكوين محمد أركون الفكري، مع كونه ينتقدهم أحياناً، ويناقش منهجياتهم في دراستهم للإسلام.

٥. فقدان المنهج العلمي الواضح عند أركون، وتخبطه وتشتته في المنهجيات التي يزعم استخدامها ويمتدح نفسه دائماً بسردها، مع فشل تلك المناهج في مجالاتها.

٦. كان أركون أيضاً يمجد العقل ويقدسه، على طريقة من سبقه من الفرق كالمعتزلة، الذين قدسوا العقل ورفعوه فوق منزلته.

٧. يظهر من منهجه تعظيم الغرب تعظيماً بالغاً، ويشيد بما وصلوا إليه من تقدمٍ وحضارةٍ مادية، وبسبب ذلك ينتقص العالم الإسلامي، ولستُ أعني مقابل هذا أن نرد كل شيء جاء من الغرب، وإنما عنيتُ التوازن في ذلك فيؤخذ المفيد من حضارتهم، ويُرد ما ليس كذلك.

٨. لا يقيم للسنة النبوية أي وزنٍ، أو بعبارة أخرى: كان يدعي الاكتفاء بالقرآن ونبذ ما عداه من أدلة شرعية أخرى.

٩. ظهر للباحث من خلال الدراسة أن هناك معلوماتٍ عن السنة النبوية فهمها أركون خطأً، ردَّ بسببها السنة، وحاول كذلك أن يغالط بها الناس ويشوش عليهم.

١٠. يرى الباحث أن تقوم الأمة جمعاء أفراداً وجماعات، حكومات ومؤسسات للتصدي لمثل هذه الحملات الشرسة ضد تراث الإسلام وأهله، التي تريد اجتصاص الإسلام من أساسه، وذلك بتثقيف الناس وتعليمهم أمر دينهم.

المصادر والمراجع

١. أثر التفسير اللغوي في انحراف المفسرين في التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد الطيار، (السعودية: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ).

٢. الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد أركون، ومحمد عابد الجابري: دراسة نقدية تحليلية هادفة، خالد كبير علال، (دار المحتسب، ط١، ٢٠٠٨م).

٣. الاستشراق في فكر محمد أركون بين الشعور بالديونية والرغبة في التجاوز، حسن العباقي، مجلة إسلامية المعرفة، العدد ٥٥، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٤. الإسلام–أوربا– الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، (دار الساقي، ط٢).

٥. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: علي شيري، (دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م).

٦. تاريخية الفكر الإسلامي، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، (بيروت: مركز الثقافي العربي، ط٣، ١٩٩٨م).

٧. جامع الترمذي، الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٩٩٨ م).

٨. الجامع الصحيح، البخاري ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٩. الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة، د.ط، و د.ت).

١٠. السنن، أبو داود سليمان بن أشعث السجستاني، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، و د.ت).

١١. عمر بن عبد العزيز: معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة، عمر محمد محمد الصلابي، (القاهرة: ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

١٢. الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، (بيروت: مركز الانماء القومي، ط٣).

١٣. الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٩٦م).
١٤. الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: نحو تاريخ آخر للمفكر الإسلامي، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، (بيروت: دار الساقي، ط١، ١٩٩٩م).
١٥. القضاء في صدر الإسلام: تاريخه ونماذج منه، محمود الفضيلات، (الجزائر: شركة الشهاب، ١٩٨٧).
١٦. الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط٣، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).
١٧. المدخل العلمي والمعرفي لفهم القرآن. نظرات في التجديد المنهجي، عمران سميح نزال، (دمشق: دار قتيبة، ودار القراء عمان، ط١، ٢٠٠٢م).
١٨. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).
١٩. المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني (القاهرة: دار الحرمين، د.ط، ١٤١٥هـ).
٢٠. من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، (بيوت: دار الساقي، ط١٩٩١،١م).
٢١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٠٠).
المراجع غير العربية:

أثر السنة النبوية في الوقاية من انحراف الأحداث

أ.آمال امحمد أبوعجيلة حمود

أ.د عبد العزيز محمد زين

د. فخر الأدبي عبد القادر

أكاديمية الدراسات الإسلامية جامعة ملايا

ماليزيا

Amal_ab82@yahoo.com

المقدمة

تتعرض المجتمعات المتقدمة، والتي فى طور النمو إلى حالة عدم التوازن نتيجة التغير السريع والشامل الذي تمر به فى المجالات جميعها، مما قد سبب فى ظهور بعض المشكلات الاجتماعية الجديرة بالدراسة والبحث للتعرف على أسبابها وتوابعها وكيفية الوقاية منها.

ولعل أهم المشاكل التي تعاني منها المجتمعات هي "**مشكلة جنوح الأحداث**"، التي تمثل إحدى الظواهر الهدامة فى المجتمع، وبوصفها ظاهرة خطيرة تهدد كيان المجتمع، وتعمل على عدم استقراره وإلحاق الضرر بمصالح أفراده دونما تمييز، فهي من المشاكل التي تحيد بالإنسان عن الجادة، وتؤدي به إلى انحراف السلوك، وتعد هذه المشكلة مشكلة عامة توجد فى كل المجتمعات، وقديمة قدم الزمان، وإن تغير شكلها وتعددت صورها، واختلفت السلوكيات الناتجة عنها[١]، وليس معنى هذا قبول الوضع الراهن وترك المشكلة تزداد تفشياً، بل يجب دراستها ومعرفة أسبابها والعوامل المؤثرة فيها والوقاية منها والقضاء عليها.

ولفهم السلوك الجانح يجب، ألا ينظر إليه باعتباره ظاهرة فردية بقدر ما تكون مطهراً من مظاهر تفكك النظم الاجتماعية، والأنماط الثقافية في المجتمع والصراع الاجتماعي القائم في المجتمع، وعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت موضوع انحراف الأحداث من حيث العوامل المؤدية إليه وأساليب الرعاية التي توجه إلى تلك الفئة في المجتمع، إلا أنها افتقرت إلى توضيح وجهة نظر السنة النبوية حول هذه الظاهرة وكيفية الوقاية منها والحد من انتشارها وفق السنة المشرفة، على الرغم من أنها كانت وستظل أول شريعة قررت حقوق الإنسان في أروع صورها وأقيمها، فقد كرم الله المسلمين بهذه الشريعة الكاملة التي أتم نعمته بها علينا، فهي شريعة وافية بمطالب الحياة كلها وفي جوانبها المختلفة، فأغنانا الله منها بالمعين الثر الذي لا ينضب، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

أهداف الدراسة:

هذه الدراسة تهدف إلى تعريف الانحراف، ومعرفة أسبابه وبالتالي فالبحث عن التدابير الوقائية ليست مجرد ضرورة تحتمها النظرة إلى هؤلاء الأحداث كضحايا للظروف الاجتماعية فحسب، بل أيضاً مصلحة المجتمع ذاته.

ومن هذا المنطلق بدأت فكرة هذه الورقة، وذلك لتحديد العوامل والأسباب التي تؤدي إلى ارتفاع معدلات الانحراف وكيفية الوقاية منها، وأساليب مواجهتها من خلال السنة النبوية، وعلى هذا الأساس تحددت مشكلة الدراسة في (أثرالسنة النبوية في الوقاية من الانحراف).

وعليه هذه الورقة قسمت إلى **ثلاثة مباحث** وهي:

[١]- الفقي، صلوحة محمود (١٩٩٣م)، "فعالية خدمة الفرد السلوكية في تعديل السلوك العدواني لدى الحدث الجانح"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلوان، ص ٦.

المبحث الأول

تعريف الانحراف والحدث المنحرف

عرف مصطلح الجنوح أو الانحراف هنا بنفس مفهوم الجريمة وهو: "محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير، فهي إتيان عمل محرم معاقب على فعله، أو ترك فعل محرم الترك معاقب على تركه[1]، فالانحراف إذاً هو ترك الحق والاستقامة، ويقتضي الانحراف منحرفاً عنه، والمنحرف عنه هو الصراط المستقيم، والصراط في لغة العرب هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، وهو دين الإسلام، ويسمى الدين طريقاً لأنه يؤدي إلى الجنة فهو الطريق إليها، أما المنحرف فهو الخارج عن منهج الله سبحانه وتعالى، وهو دينه الذي ارتضاه للناس بما يتضمنه من نواهي وأوامر تنظم أمور الحياة، وبمعنى آخر، فإن المنحرف هو الذي يفعل ما نهى الله عنه ويترك ما أمر به الله[2]، أما جنوح الأحداث فقد عرفه الفقهاء على أنه "المحظورات الشرعية التي لو اقترفها البالغون عُدت جرائم يعاقبون عليها بالحدود والقصاص والتعزير"[3]، وهو "من لم يبلغ الحلم، ويعرف البلوغ بالعلامات الطبيعية للذكر والأنثى، فإن لم تظهر هذه العلامات تحدد سن معينة يفترض فيها البلوغ، وهي الخامسة عشر عند معظم فقهاء الشافعية والحنابلة، والثامنة عشر سنة عند الحنفية والمالكية"[4].

وقد قسم فقهاء السنة حياة الإنسان من حيث الأهلية وتوافر الإدراك والاختيار لديه إلى ثلاث مراحل وهي:

*مرحلة انعدام الإدراك، وتعرف أيضاً بمرحلة ما قبل التميز: وتبدأ من الولادة إلى ما قبل السابعة من عمره، وفي هذه المرحلة لا يعاقب الحدث على جريمته لا جزائياً ولا تأديبياً.

*مرحلة الإدراك الضعيف، وتسمى أيضاً مرحلة التميز: وتبدأ من السابعة وحتى مرحلة البلوغ، مع اختلاف الفقهاء في سن البلوغ، وهذه المرحلة لا يسأل الحدث جنائياً وإنما تأديبياً.

*مرحلة البلوغ : وتبدأ ببلوغ الحدث سن الرشد أي سن البلوغ وهي من الخامسة عشرة إلى الثامنة عشرة على رأي عامة الفقهاء، وفي هذه المرحلة يكون الحدث مسئولاً جزائياً عن كل مايرتكبه من عمل غير مشروع[5].

---

[1] - إبراهيم، أبو الحسن عبد الموجود (٢٠٠٨م)، **دينامية الانحراف والجريمة (التفسير – القضايا – الممارسة العامة)**، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ص ٢٢.

[2] - عبد الخالق، جلال الدين ورمضان،السيد (٢٠٠١م)، **الجريمة والانحراف من منضور الخدمة الاجتماعية**، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ص٢١.

[3] - الزبيدي، سالم عبد الله (١٥-١- ٢٠٠٩م)، F:\جنوح الأحداث - ملتقى التربية والتعليم بمحافظة الليث.mht، " الاحداث المنحرفون"، شبكة المعلومات العالمية – الانترنيت، موقع ملتقى التربي والتعليم.

[4] - الحضوري، حسن حسين (٢٠٠٦م)، F:\إجراءات الضبط والتحقيق الابتدائي لجرائم الأحداث (دراسة مقارنة بين القانونين المصري واليمني).mht، "الأحداث المنحرفون"، موقع ملتقى التربية والتعليم، شبكة المعلومات العالمية - الانترنيت.

[5] - العمري، صالح محمد آل رفيع(٢٠٠٢م)، "العود إلى الانحراف في ضوء بعض العوامل الاجتماعية – دراسة ميدانية"، رسالة ماجستير منشورة، الرياض: المركز العربي للدراسات الامنية والبحث، ص ٢١-٢٢.

المبحث الثاني

أسباب الانحراف حسب وجهة نظر العلماء المسلمين

تتعدت وجهات النظر والآراء في تفسير أسباب السلوك الانحرافي تبعاً لتعدد الزوايا التي ينظر منها أصحاب تلك الآراء إلى ظاهرة الانحراف، فهي متعددة، منها ما يرجع إلى التكوين العضوي للمنحرف، ومنها ما يعود إلى البيئة المحيطة به، وقد حدد العلماء المسلمين أسباب الانحراف في الآتي:

ضعف الوازع الديني، التفكك الأسري والاجتماعي، مصاحبة السيئين والأشرار "الرفقة السيئة"، الفقر والجهل والبطالة، السهر لساعات متأخرة، إتيان أماكن مشبوهة، النظر أو السماع لما يثير الشهوة، تناسي الفرد من يكون وإلى من ينتمي، مشابهة أهل الباطل والفسق، حياة اللامبالاة، عدم استغلال أوقات الفراغ، عدم إدراك عواقب الأمور، الخوض في العمل في كل شيء أو تدخله فيما لا يعنيه، التفكير في نشوة اللحظة، إهمال الأعمال الصالحة، حب التملك بأي وسيلة، إشباع النفس وإعطاؤها كل ما تريد.

هذا بشكل مختصر أهم أسباب الانحراف كما لخصها المختصون المسلمون، والتي على ضوئها حددوا أهم التدابير الوقائية الواجب اتخادها وفق ما جاء في السنة النبوية للحد من ظاهرة انحراف الأحداث.

المبحث الثالث

دور السنة النبوية في الوقاية من انحراف الأحداث

حرص ديننا الحنيف أشد الحرص على تنمية الجوانب الخلقية في الإنسان المسلم، فيسعى لتنمية ضميره، وشعوره وإحساسه بالواجب وبتحمل المسئولية، وفكرة العدالة والحق والخير والإخاء والمساواة، إلى جانب الرحمة والشفقة والعطف والحب والولاء، بالإضافة إلى القيم الخلقية، فالدين الحنيف يحث على التربية الاجتماعية للفرد، ويشجعه على إقامة علاقات إيجابية مع غيره من أبناء المجتمع[1].

ويعد الدين الإسلامي بتعاليمه وأوامره ونواهيه، من أقوى عوامل تحقيق التواؤم في السلوك الاجتماعي، فهو دين الفطرة الذي يعبر عن السلوك السوي بعبارة البر، وهو كل ما تطمئن له النفس البشرية السوية، أو يطمئن إليه القلب والضمير، كما يعبر عن السلوك غير السوي بالإثم، وهو ما جاء وتردد في النفس أو القلب أو الضمير، وكرهت أن يطلع عليه الناس، وهذا يعني أن الإسلام لا ينكر الانحراف أو وجوده، ولكنه يعرف أن النفس البشرية قد تضعف، وقد تنحرف لأنه لا ينظر إلى الإنسان إلا نظرة واقعية عادلة[2].

والإسلام لا يرى أن عاملاً واحداً مهماً كان قوياً يمكن أن يفسر به السلوك المنحرف، ولكنه يقر تعدد وتكامل العوامل المؤدية للانحراف، ويرى أن الإنسان كل لا يتجزأ، وكذلك السلوك نتيجة لعوامل متعددة، لذا فإن العلاج أو الاهتمام لا ينبغي أن يركز على جانب واحد من جوانب الحياة دون الآخر، ولا يهتم بالحياة الدنيا دون

---

[1] – العيسوي، عبد الرحمن محمد (٢٠٠١م-١٤٢٠هـ)، **الإسلام والإنسان المعاصر .دراسة نفسية**، ط١، بيروت: دار الراتب الجامعية، ص ١٥٠.

[2] –الجويري، إبراهيم بن مبارك (١٩٩٠م-١٤١٠هـ) ، "التربية الإسلامية ودورها في علاج الأحداث الجانحين"، أساليب معالجة الأحداث الجانحين في المؤسسات الإصلاحية. المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب : الرياض ، ص ٤٢ .

الآخرة، ولا الآخرة دون الدنيا، فالإنسان حياته متزاوجة متعاملة متعاونة، والإسلام لا ينكر وجود المنحرفين داخل المجتمع الإسلامي، ولأنه يقر تعدد وتكامل العوامل المؤدية للانحراف، فإنه وضع لكل مشكلة تنشأ في المجتمع حلاً لوقاية الفرد والمجتمع من الانحراف.

وقد حرص الإسلام أن يتبع في الوقاية من الانحراف مبدأ "الوقاية خيرٌ من العلاج"، وقد نجح إلى حدٍ كبير في حماية الفرد المسلم من تلك الانحرافات التي تشكل مشكلة خطيرة للمجتمع، وإن كان لم يقض عليها القضاء التام، لأن سنة الحياة وحكمة الله يقضيان بتفاوت الناس في مدى الاستجابة لداعي الخير والتأثر به وعدمه، وهذا التفاوت صفة فطرية للبشر طبعها الله في الناس لحكمة أرادها سبحانه وتعالى، وبالتالي نجد في المجتمع مطيعين وعاصين، أسوياء وغير أسوياء، غير أن الشريعة الإسلامية وهي تقرر هذه الحقيقة لا تستسلم لها بل سعت لاستئصاله إن أمكن أو لإضعافه وكسر حدته ومنعه من أن يصبح خطراً يهدد كيان الفرد وكيان المجتمع، وذلك بما تشرع من تشريعات وتوجه من توجيهات[١].

ومن أهم المبادئ التي كان للإسلام السبق فيها، بل والتفرد بالكثير منها، ووقاية الأحداث من أن يسلكوا السلوك الذي يؤدي بهم إلى ضالة الطريق والانحراف، والعودة بهم إلى جادة الطريق ما يأتي:

١- كفالة حقوق الطفل وحسن تنشئته: إنّ الإنسان لا يولد مجرماً، مع افتراض أن ثمة مورثات نفسية ومزاجية وعقلية يمكن أن تكون بيئة مساعدة على الإجرام أو محفزة له، إلا أن قوة العوامل المكتسبة وتراكماتها المتعددة تجعل التنشئة والظروف المحيطة هي الفيصل بين الأسوياء والمنحرفين، والإسلام يقر ذلك ويحدد في ضوئه المسؤولية والثواب والعقاب[٢]، فقد أنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان بحقوق في إطار أسرته وإطار مجتمعه، هذه الحقوق تقيه من الانحراف والجنوح، ومن أهم هذه الحقوق:

أ- حسن اختيار الأم: تعتمد التربية أساساً على اختيار الزوجة الصالحة والأم المحمودة التى تغرس في أبنائها بذور الأدب والأخلاق الحسنة، فأخلاق الأم تنعكس على أخلاق أبنائها، ولذلك حثت الشريعة الإسلامية الرجل عند رغبته في الزواج، على أن يختار الزوجة الصالحة ذات الدين لأنها الأفضل[٣]، فالأم المتدينة الصالحة البعيدة عن منبت السوء، توفر لأبنائها القدوة الحسنة التي يفخرون بها، ولا يُعيَّرون بشأنها، فيثقون في توجيهاتها، ويتمسكون بقيمها، فينتقل صلاحها إليهم، وليس العكس[٤].

ب- حسن اختيار اسم الطفل: من حقوق الأبناء أيضاً أن يختار لهم ما يستحب من الأسماء، فالاسم هو الذي يعرف به الولد ويتميز به ويظل معه طوال حياته، لذا وجب أن يختار من الأسماء أجملها وأحسنها، أوصى الرسول

[١]- عرفة، محمد بن عبد الله عرفة (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ)، "الأسرة المسلمة والوقاية من الانحراف"، ابحاث الندوة العلمية السابعة، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب:الرياض، ص٧٤.

[٢]- الروبي، ربيع محمود (١٩٩٨م) ،"التكافل الإجتماعى والوقاية من الجريمة والإنحراف"، بحوث المؤتمر الدولى للعلوم الإجتماعية ودورها في مكافحة جرايم العنف والتطرف في المجتمعات الإسلامية: القاهرة. ج٢، ١٤٦.

[٣]- صالح، سعاد إبراهيم (١٩٩٨م)، "دور الأسرة في التربية من المنظور الإسلامى"، بحوث المؤتمر الدولى للعلوم الإجتماعية ودورها في مكافحة جرايم العنف والتطرف في المجتمعات الإسلامية: القاهرة، ج٢، ص١٧.

[٤]- الروبي، ربيع محمود (١٩٩٨م)، مرجع سابق، ص ١٤٧ .

صلى الله عليه وسلم بحسن اختيار أسماء أبناء المسلمين، فعن أبي الدرداء رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم"[١]، وعن أبي وهب الجشعي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة"[٢]، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه"[٣]، ومن حقهم أن نجنبهم الاسم القبيح، أو الذميم الذى يؤذيهم، أو يمس كرامتهم، أو يكون مدعاة للسخرية، أو الاستهزاء بهم مما قد يسبب لهم حرجاً، أو ضيقاً نفسياً، كما حث القرآن أن نتجنب المنابزة بالألقاب لقوله تعالى: {وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ} (سورة الحجرات:١١)، فالآية القرآنية هذه تذكِّر الذين آمنوا بألآ يلمزوا أنفسهم ويتنابزوا بالألقاب، ومن يلمز نفس واحدة فقد لمز كل المسلمين، واللمز: العيب، ومن السخرية، واللمز التنابز بالألقاب التي يكرهها أصحابها، ويحسون فيها السخرية والعيب، ومن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزدري به[٤]، لما لهذه الألقاب الذميمة من أثر سيء هدام في انحراف من سموه به من الأولاد نفسياً واجتماعياً[٥]، فالاسم له دلالته، وله وقعه في نفس الطفل، إذاً يجب أن يثق الطفل بنفسه، ويعتز باسمه، فلا يكون لقبه مدعاة لتهكم أقرانه، أو مثير لمشاعر سيئة لدى من يسمعه، وإلا أدّى ذلك إلى كثرة مشاحنات الطفل أو انطوائه، وهما من مسببات الجنوح والانحراف[٦]، فلا يخفى ما لحسن الأسماء من آثار نفسية طيبة، وإماءات تربوية بناءة، حيث توقظ في نفس الطفل، ووجدانه المعاني السامية، والمشاعر النبيلة، واحترام الذات، وتنمية شخصيته.

جـ- المساواة بين الأبناء في التربية: وهي تعني العدل في المعاملة أو التسوية بين الأولاد، لأن أساس التكوين الاجتماعي للطفل، هو شعوره بالمساواة وخاصة بين إخوته، والإسلام لا يفرق بين الذكور والإناث في هذه الناحية، فلكل من الجنسين الحق في تربية حسنة، وفي أن يتعلم العلم النافع، ويدرس المعارف الصحيحة، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "ساووا بين أبنائكم في العطية"[٧]، وفي حديث آخر عن النعمان بن بشير قال: أعطاه أبوه عروة غلاما، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما هذا الغلام؟" قال: غلامي أعطاني ايه أبي، قال:"فكل إخوتك

---

[١]- رواه ابو داود .

[٢]- رواه مسلم والترميدى وأبو داود.

[٣]- أخرجه البيهقى عن إبن عباس.

[٤]- الباز، أنور (٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ)، **التفسير التربوى للقرآن الكريم**، مصر: دار النشر للجامعات، ج٣، ص٣٢٢.

[٥]- الصلفيح، حمد (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ)، "حقوق الإنسان في الإسلام والوقاية من الإنحراف"، ابحاث الندوة العلمية السابعة، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب: الرياض، ص ٣٨.

[٦]- ربيع محمود الروبي (١٩٩٨م)، مرجع سابق، ص ١٤٧.

[٧]- أخرجه الطبرانى في الأوسط .

أعطى كما أعطاك؟" قال: لا قال: "فرده"[1]، يبين الحديث الأول والثاني مدى أهمية المساواة في معاملة الأبناء، هذه المساواة تمنع التميز والعداء والبغضاء بين الأشقاء ويسفر عنها أبناء أسوياء، أما العكس فينتج عنه البغض والكره بين الإخوة مما يؤدي إلى ارتكاب المعاصي والفواحش التي بدورها تؤدي إلى الجريمة والانحراف، فالشريعة الإسلامية توصى بالعدل والمساواة بين الأبناء حتى يشعر الجميع أنهم سواسية في حب والديهم وحنوهم عليهم وملاطفتهم الحانية لهم والمعاملة المتساوية بينهم، فلا فرق في ذلك بين صغير وكبير، أو بين ذكر وأنثى، وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أعدلوا بين أبنائكم، أعدلوا بين أبنائكم"[2]، فالطفل الذي ينشأ في جو عاطفي يسوده العدالة والمساواة والطمأنينة والسكينة ينشأ نشأة سوية ونفسية مستقرة ومسلكاً حميداً، عكس الطفل الذي ينشأ نشأة يسودها التفرقة في المعاملة يعتل نفسياً وسلوكياً ويصبح أسهل إنقياداً نحو الجنوح والإنحراف[3].

د– الرفق في معاملة الأطفال: ينبذ الرسول عليه الصلاة والسلام القسوة في معاملة الأطفال، لأنها تؤدي إلى الذل وقتل الذكاء وتبعث على النفاق، وبالتالي تؤدي إلى النفور من المجتمع واتخاذ المسلك السيء، وبالتالي هو الطريق الممهد للانحراف، ومن أهم جوانب تكوين الجانب الاجتماعي في شخصية الطفل الرفق في المعاملة وحسنها، لأنها تكوّن شخصية متزنة ومتسامحة وصادقة، ولذا فإن توفير العطف والحنان يعتبر من العوامل المهمة للطفل وخاصة في مراحل حياته الأولى، وإذا حرم من غذائه العاطفي سوف يترتب عليه حالات نفسية مريضة تقاس درجتها بدرجة حرمانه من هذه العاطفة، فإذا حرم الطفل من هذه الحاجات وعُومل بقسوة في صغره يكون في المستقبل إنساناً قاسياً فظ الطباع في معاملته مع الناس عدواني النزعة، وأيضاً العطف والحنان والتوجيه يترتب عليها أمران وهما:

١ –إشباع حاجات الطفل من الحنان والتقدير.

٢ –وجود الفرد السوي الذي يحب الأخرين ويحبه الآخرون.

هـ– ضمان الحقوق الأساسية للطفل: وفي مقدمتها النسب إلى أبيه بما يضمن بدوره حقوقه الولادة، وحذر الزوجة من إدخال طفل على نسب ليس منه، والزوج من أن يجحد نسب ابنه، ثم يضمن حق الرضاعة فعلى الأم أن ترضع طفلها حولين كاملين في قوله تعالى {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} (سورة البقرة: ٢٣٣)، وهذين الحولين لكل ولد، وهذا يدل على أن لا حكم لما ارتضع المولود بعد حولين[4]، وهذا ما أكد عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه حين قال:"لا رضاعَ إلا ما كان في الحولين"[5]، وهذا الحق يؤول

---

[1]- سنن أبي داود (٢٠٠٠م-١٤٢١هـ)، موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة، بإشراف ومراجعة فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الحديث رقم ٣٥٤٣، التحفة رقم ٨٥، ط ٣، السعودية : دار السلام للنشر والتوزيع، ص ١٤٨٦.

[2]- رواه أصحاب السنن وأحمد .

[3]- الصلفيح، حمد (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ) ، مرجع سابق ، ص ٣٩.

[4]- القرطي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ)، **الجامع لاحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآيات الفرقان**، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ج ٤، ص ١١٠.

[5]- سنن الدار قطني، ١٧٤/٤.

للأم ثم النساء الأقرب لها، حتى يضمن إشباعه عاطفياً، ويحول دون الانحراف الناتج عن فقدان عاطفة الأم، وكذلك حق النفقة عليه، ووصل حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا الأمر إلى الدرجة التي يحرص معها الأب على أن يحتاط ضد مخاطر الموت، وترك ذريته عالة على الناس، فقال صلى الله عليه وسلم: "إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس"[1].

وهناك حقوق أخرى تحدث عنها المشرعون لضمان حقوق الفرد في الحياة ووقايته من الانحراف وهي:

***المساواة بين الناس**: الناس جميعاً أبناء لآدم عليه السلام، ومن ثم فهم جميعاً من أصل واحد فلا استعلاء لجنس على جنس ولا لون على لون، لقوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (سورة الحجرات: ١٣)، ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع، فيقول:"أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي على أعجمي ولا أعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا أبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى"، فإذا نشأ الفرد في المجتمع المسلم وهو يشعر بالمساواة، ولم تقع عليه ضغوط نفسية راجعة إلى تفرقة عنصرية، أو تعالي طبقي، أو تمايز جنسي، ألا نكون بذلك قد أوصدنا باباً من الأبواب الملتهبة المسببة للانحراف والجنوح، فالفرد الذي ينشأ في مجتمع تعمه المساواة ستكون هذه المساواة عصمة له من الانحراف والجنوح.

***الحرية**: وهي أساس جميع ما سنه الله للناس من عقائد ونظم وتشريع، ويكفي أن نعرف أن "لا إله إلا الله" هي ميثاق تحرير الإنسان من العبودية والخضوع لغير الله وحده، ووثيقة تحريره من كل رق واستعباد واستغلال وانطلاق في الحياة، وهو يشعر بالحرية التي لا يقيدها شيء، وتدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يسألوا ما نقص من دنياهم، وما لم تؤثر صفة دنياهم على دينهم[2].

***الحقوق الإجتماعية**: وهي تعد من حقوق الإنسان في المجتمع المسلم، وهذه الحقوق يوفيها نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام، وأول ما يوفره هذا النظام العلاقات الوطيدة التى تربط الفرد بالمجتمع على أساس من مشاعر الحب، والإخاء، وهو المبدأ الذي تقرره الآية الكريمة: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }(سورة الحجرات: ١٠)، وبالتالي على المؤمن أن يكون سنداً لأخيه المؤمن يناصره ويؤازره ولا يظلمه، وعن ابن عمر رضي الله عنهما إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"[3]، يوضح هذا الحديث أن المسلمين أخوة، وأن يحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه، وأن ينصره ولا يظلمه ويفرج عنه كربه ولا يفضحه، فهذه المعاني توضح ما للمسلمين من فضل على بعضهم البعض، وهذا التسامح، والتآخي يشد من عزم المسلمين وتآزرهم، وهذا التماسك يقويهم، ويجعلهم يداً واحدة متماسكة بالله تعالى، ودينه الحنيف الذي يبعد كل مسلم عن طريق الانحراف، كما اهتم الدين الحنيف بالأسرة لأنها هي

[1]- متفق عليه .

[2]- الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد (ب.ت)، **إحياء علوم الدين**، بيروت: دار المعارف، ج ٤، ص٢٢٤.

[3]- مصطفى، رجب (٢٠٠٩م)، **الأهداف التربوية في الحديث الشريف**، دسوق: العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ص ٣٣٨.

أساس المجتمع، وهي التي تحفظ حقوق كل فرد وواجباته، ولما كانت الخطوة الأولى لتكوين هذه الأسرة هي الزواج فقد جعله الإسلام حقاً لكل شاب وفتاة، وحث عليه، ووضح القرآن الكريم أن الزواج هو الطريق الطبعي لمواجهة الميول الجنسية الفطرية، وبالتالي لابد من مواجهتها بحلول واقعية إيجابية، وهي تيسير الزواج والمعاونة عليه[١]، "يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاءُ"[٢]، وأمر ولى أمرهما بالعمل على تحقيق حقهما في الزواج فقال تعالى {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (سورة النور: ٣٢)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقلهن مهراً أكثرهن بركة"، كما أن الزكاة، والصدقة تحقق نوع من التكافل الاجتماعي، والعدالة بين الناس لأنها تسد حاجات المعوزين، وتقرب بين الناس قلبياً، ونفسياً، وتربط بينهم مشاعر التراحم، والمحبة، والمودة، والألفة، ويقرب أيضاً من الحقوق الإنسانية التي جاء بها الإسلام في مجال التكافل الاجتماعي[٣].

٢-**تنشئة الطفل على التربية الإسلامية:** التي تنمي لديهم القيم الدينية، والخلقية، وتعرف التربية الإسلامية بأنها: "تنشئة الطفل، وتكوينه إنساناً متكاملاً من جميع نواحيه المختلفة، من الناحية الجسمية، والعقلية، والروحية، والأخلاقية في ضوء المبادىء التي جاء بها الإسلام، وفي ضوء أساليب، وطرق التربية التي تبينها"[٤]، فالتربية الإسلامية تهدف إلى بناء خير إنسان مسلم متكامل الشخصية، وبناء خير أمة مؤمنة أخرجت للناس، وكذلك بناء خير حضارة إنسانية إسلامية[٥]، وذلك لأن بناء شخصية المسلم هي الأساس في بناء خير أمة، والتي على أساسها تبني أفضل الحضارات، لأن الأمة تتكون من الأفراد الذين تعتمد عليهم في بناء حضارتها، ومجدها ومستقبلها، فإذا حققت التربية أهدافها فسوف يبنى مجتمع خالٍ من الشوائب، ومن الجرائم والانحرافات، والتربية الإسلامية لها ثلاثة أبعاد في مواجهة الانحراف، يتمثل الأول في **البعد البنائي**، وهي الأسس التربوية لتكوين شخصية المسلم منذ أن يكون طفلاً إلى أن يتوفاه الله، حيث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نأمر أولادنا بالصلاة في سن السابعة، ونضربهم عليها في العاشرة، مع أن الطفل في هذه السن لم يبلغ حد التكليف، ولكنه بلغ حسن التربية، والتوجيه، والبناء، ولتكوين شخصية المسلم ابتدأ بالقدوة الحسنة، ويتعلم الطفل الصدق، والمروءة، والعفة، والكرم، والحياة، ومعاشرة الأخيار، أمّا البعد الثاني هو **البعد الوقائي،** فهو يقصد به الأسس التي يجب أن يتجنبها المسلم لكي لا ينحرف، فقد حرم الله الأشياء التي بها الشر، والفساد للفرد، والمجتمع، لذا فإن أفضل طريقة لوقاية المجتمع، وأفراده هو تجنب ما حرم الله، والشبهات التي تقود إلى ما حرم الله، والبعد الثالث هو **البعد العلاجى:** وهو ما يجب

[١]- الباز، أنور (٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٤٢.

[٢]- صحيح مسلم (٢٠٠٠م-١٤٢١هـ)، الكتب الستة، مرجع سابق، الحديث رقم ٥٠٦٥، ص٤٣٨.

[٣]- الصلفيح، حمد (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ٣٢-٣٥ .

[٤]- موسوعة التربية الإسلامية (١٤٠٦هـ)، **جوانب التربية الإسلامية الأساسية،** بيروت:مؤسسة دار الريحان للطباعة والنشر،ج١، ص ٢٦.

[٥]- يالجن، مقداد (١٩٨٧م) ، **التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة،** الرياض: منشورات جامعة محمد بن سعود الإسلامية،ص ٤١.

اتباعه لعلاج الانحراف، ويكون بجهود أسرية، وشخصية، ومجتمعية لمواجهة هذه الظاهرة، وذلك بوضع الحدث في مؤسسات رعاية الأحداث، وإيجاد البديل الصالح وإقامتهم في بيئة صالحة، وذلك بوضع الحدث وسط بيئة مناسبة، ومصنفة حسب السن، ونوع الجريمة، حتى لا يتعلم الحدث الصغير من حدث تمرس في عدد من الجرائم[1] .

كما اهتم الإسلام بجوانب أخرى تقي الفرد، والمجتمع من الانحراف، وهي جوانب تعد أيضاً من أساسيات التربية الإسلامية وهي:

***الزواج**: بدأت الشريعة الإسلامية في سعيها لإيجاد الشخصية المتكاملة والتي تبدأ في مرحلة مبكرة، فهي تبدأ في الوقت الذي يبدأ فيه الإنسان يفكر في الزواج، ويأخذ هذا التفكير طريقه إلى التنفيذ فيسعى للبحث عن الزوج الصالح والزوجة الصالحة، وذلك لأنه إذا وجد الأبوين الصالحين السليمين في الدين، والخَلق، والخُلق، وفي الصحة الجسمية، والعقلية، والنفسية وجد غالباً الولد الصالح، فالبذرة الصالحة السليمة بنتج عنها النبتة السليمة، ويجعل الاعتبار الأفضل في هذا الاختيار يؤسس على الجانب الديني الذي يقوم عليه إصلاح النفس، وتهذيب الوجدان، واستقامة السلوك، فهو يعتبر فطرة إنسانية، ويؤكد الله تعالى عليها في قوله: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}(سورة الروم ، الآية ٣٠)، وهذه الفطرة الإنسانية تُحمّل المسلم في نفسه أمانة المسؤولية الكبرى تجاه من له في عنقه حق التربية والرعاية والتنشئة[2]، وبهذا وجب أن يكون اختيار الزوجين لبعضهما وفق الشريعة الإسلامية، فالرسول علية الصلاة والسلام يرشد المسلمين الذكور والإناث، ويؤكد على وجوب الاختيار الصحيح للزوجين، وهذا لا يخالف العرف الاجتماعي بل يتمشى معه، ففي حديث شريف روي عن البخارى ومسلم، وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك"[3]، ويؤكد الرسول عليه الصلاة والسلام على هذا المعنى بقوله :"إن الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة"[4]، فهذه الزوجة هي الكفيلة باستقرار بناء الأسرة، وهذا ما وجه الإسلام إليه راغبي الزواج، ونجده في قوله تعالى: {وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ} (سورة البقرة: ٢٢١).

ونستطيع أن نرى صورة الزوجة المثالية في نظر الإسلام من خلال إجابة النبي صلى الله علية وسلم، عندما سئل: أى النساء خير؟ قال: "التي تسره إذا نظر، تطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها، ولا ماله بما يكره"[5]، وما هذا هذا ايضاً إلا دليل على أن مبدأ الاختيار قائم على سلامة العقيدة، والخلق، والاتجاه، قبل اعتبار الوضاءة، والجمال[6]، كما حث الدين الحنيف الزوج باختيار الزوجة المناسبة، وحث المرأة أيضاً باختيار الزوج الصالح،

[1] – الجوير، إبراهيم بن مبارك (١٩٩٠م–١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ٤٨ –٥٥ .

[2] – محمد، زين العابدين (٢٠٠٨م)، "المدخل الوقائي للخدمة الإجتماعية في رعاية الطفل إسلامياً "، الرياض: أبحاث ندوة الخدمة الإجتماعية في الإسلام، ص ٤٥٠.

[3] – سنن أبي داود (٢٠٠٠م–١٤٢١هـ)، الكتب الستة، مرجع سابق، الحديث رقم ٢٠٤٧، التحفة ٢، ص ١٣٧٣.

[4] – صحيح مسلم (٢٠٠٠م–١٤٢١هـ)، الكتب الستة، مرجع سابق، رقم الحديث ٣٦٤٩، التحفة ٤١، ص ٩٢٦.

[5] – صحيح البخارى .

[6] – محمد، زين العابدين (٢٠٠٨م)، مرجع سابق، ص ٤٥٢ .

والمناسب من ناحية دينه، وخلقه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا جاءكم من ترضون دينه، وخلقه فزوجوه، ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير"[١]، فالزوج الذي على دين، وخلق يقوم بواجبه في رعاية أسرته، وتربية أولاده على أكمل وجه، وهذا لا يعني إهمال الجوانب الأخرى غير الدين، إلا أن الذي يوجه إليه الإسلام أن يكون الدين هو الأساس في الاختيار، والجوانب الأخرى تأتي بعده[٢].

* **التربية في سن مبكرة**: تبدأ التربية الإسلامية في مجال التطبيق من المراحل الأولى للتربية، بل إن بعض جوانبها يبدأ منذ حدوث الحمل بل وقبل الزواج، مثل البناء الصحي "الصحة الجسمية والعقلية والنفسية"، كما ترعى الشريعة الإسلامية الناشئة في سن مبكرة منذ سن التميز، وقبل سن التكليف الشرعي في الجوانب ذات الأثر في المستقبل، وذلك بتربية الحس الديني، والحس الجنسي، والحس الأخلاقي، فالتربية **بالحس الديني** تكون بالصلاة فهي عماد الدين، وهي صلة بين العبد وربه تخشع فيها النفس، وتسكن الجوارح، ويظل القلب موصولاً بخالقه في الصلوات الخمس باليوم والليلة، حيث يبدأ حيايته مع الله في صلاة الصبح ويختمها مع الله في صلاة العشاء[٣]، ويقول تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ} (سورة العنكبوت:٤٥)، فالصلاة تقرب الخلق من الله سبحانه وتعالى، وترفع العبد عن عبادة العباد، وتجعله يتصل بالله في ليله ونهاره، ويستشعر أنه موصول السبب بواجب الوجود، ويجد لحياته غاية أعلى من أن يستغرقها في فعل الأشياء التى تجعله يسلك الطريق السيء، وهذا يعتبر عاملاً مهماً في تربية الشخصية[٤]، ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأثر في صورة تشبيهية رائعة فقال: "أرأيتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى على بدنه من درنه شيء، قالوا: لا، قال :كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا"[٥]، وهي تجب في سن معينة أي أنها لا يكلف بها إلا العاقل البالغ، ولكن لا بأس أن ينمي الصغير الحس الديني مثل ذلك، حيث قال الرسول صلى الله علية وسلم: "مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين"[٦]، فالصلاة احدى أهم دعائم الدين التي تقي الفرد من الانحراف والسلوك السيء، أما تربية **الحس الجنسي**، فإن غريزة الجنس من أقوى الغرائز المؤثرة على سلوك الإنسان، فالشهوة الجامحة تعمي وتصم، وتخرج بالمرء عن القيم، لذا وجب تهذيب هذه الغريزة وتعهدها بالتربية في مقدمة ما ينبغي أن يعني به المربون، حفاظاً على العرض، وصيانة للنسل وطهارة للنسب، "وهي مسألة بيولوجية لا يمكن استمرار الحياة على وجه الأرض بدونها، وبالتالي وضع لها الإسلام ضوابط، وقيوداً

---

[١]- أخرجه الترميدى.

[٢]- عرفة، محمد بن عبد الله (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ٦٥.

[٣]- القطان، مناع خليل (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ) ، "التربية الإسلامية والوقاية من الانحراف"، ابحاث الندوة العلمية السابعة، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ص ١١٦.

[٤]- الباز، أنور (٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ)، مرجع سابق، ج١، ص ٥.

[٥]- زيدان، على حسين (٢٠٠٨م)، "دور الخدمة الإجتماعية في العمل مع المنحرفين – منظور إسلامى"، أبحاث ندوة الخدمة الإجتماعية في الإسلام: الرياض، ص٥٤٧.

[٦]- رواه أحمد أبو داود.

حتى تنظم هذه العملية"[1]، ولذلك فرض الإسلام على الأولياء أن يأخدوا في سن مبكرة في الأدب الذي يربى فيه الحس الجنسي، وذلك منذ سن العاشرة، حيث توضح ذلك في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "وفرقوا بينهم في المضاجع"[2] حتى لا يضم الأولاد ذكوراً وإناثاً فراشاً واحداً في مضجع واحد، خوفاً من أن يثير هذا فيهم الإحساس بشهوة الجنس، وإن لم يبلغوا الحلم[3]، وأما تربية **الحس الأخلاقي**: فالإسلام يربي هذا الجانب عند الصغار فيما يعرف بأدب الاستئذان، فيأمرهم بأن يستأذنوا بالدخول في الأوقات التي يتعرض فيها الناس لكشف عوراتهم، وهي قبل صلاة الفجر، ووقت الظهيرة، ووقت العشاء، فهذه الأوقات يجب فيها استئذان الصغار، حيث يختل فيها الستر، ويبدو ما يمتنع كشفه، وفيما عدا ذلك فإنه لا إثم في دخول الأولاد الصغار بدون استئذان، أما إذا بلغ هؤلاء الصغار الحلم كان عليهم أن يستأذنوا في جميع الأوقات شأنهم شأن الكبار[4]، ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ،وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (سورة النور: ٥٨,٥٩).

هذه الجوانب الحسية الثلاث ذات أهمية في تكوين، وبناء شخصية المسلم، فإذا تنامت لدى الطفل في نشأته سقمت شخصيته، وكانت له درعاً واقياً من الانحراف والجنوح، وهي تتكامل مع بعضها لتربية الطفل تربية صحيحة ونفسية وعقلية، وبالتالي أوجب على الأسرة رعاية أبنائها، وتنشئتهم نتشئة سليمة تبدأ من المراحل العمرية الأولى، أي من المهد إلى الرشد، فالأسرة تقع على عاتقها هذه المسؤولية لأنها هي البيئة الأولى التي ينشأ، ويتلقن فيها الطفل الدرس الأول في حياته، أي انها هي الجماعة الوحيدة التي يتفاعل معها الطفل، وهو صفحة بيضاء، وهي الجماعة التي تتعامل مع وليدها بحب إلهي فطري، وهي أكثر المؤسسات فاعلية في تنمية الاتجاه الديني للصغار، وتعويدهم على سلوكيات متفقة مع الفطرة السليمة، وغرس القيم الأخلاقية[5]، حيث يكتسب من أفراد أسرته أخلاقها وعاداتها، ويتصف بصفاتها، ويتعلم، ويتأثر بها أشد من تأثيره بغيرها، لذى للأسرة دور كبير في تكوين شخصية الطفل، وخاصةً الوالدين، فيقول الرسول عليه الصلاة والسلام: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[6]، والفطرة يقصد بها دين الحق ، والحديث يقصد به مدى استطاعة الأبوين التأثير في توجيه الابن الوجهة التي يريدانها[7]، فالطفل يستمد تكوينه الوجداني، والعاطفي، والاجتماعي والأخلاقي، من

---

[1]- صالح، سعاد إبراهيم (١٩٩٨م) ، مرجع سابق . ص ٤ .

[2]- سنن ابي داود (٢٠٠٠م-١٤٢١م)، مرجع سابق، الحديث رقم ٤٩٤، التحفة ٢٦، ص ١٢٥٩.

[3]- القطان، مناع خليل (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ) ، مرجع سابق . ص ١١٧ .

[4]- المرجع السابق ، ص ١١٨.

[5]- أبو العزائم، جمال ماضى (١٤١٠هـ)، **طرق وأساليب العلاج الطبى النفسي للأحداث الجانحين – ضمن أساليب معالجة الأحداث الجانحين في المؤسسات الإصلاحية**، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ص ٧٦ .

[6]- صحيح مسلم (٢٠٠٠م-١٤٢١هـ)، الكتب الستة، مرجع سابق، الحديث رقم ١٤٩٤، التحفة ٦، ص ١١٤١.

[7]- عرفة، محمد بن عبد الله (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ) ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

أبويه، فهو يُخلق، وهو مزود بقوى فطرية تصلح لأن توجه للخير، كما تصلح لأن توجه للشر، وعلى الآباء أن يستغلوا هذه القوى، ويوجهونها وجهة الخير، وبتعويدها العادات الحسنة، وحتى ينشأ الطفل نشأة خيرة ينفع نفسه وينفع أمته[1].

* **القدوة الحسنة والتمسك بالوازع الديني**: أوجب الإسلام على الوالدين، والمربين حقوقاً للناشئة منذ ولادتهم، وحتى بلوغهم سن التكليف، والتميز أي توجيههم، وتربيتهم تربية إسلامية شاملة، وأول حق لهم أن يجدوا من هؤلاء نموذجاً طيباً يحتذى به، وقدوة حسنة يقتدون بها، وصورة حية للأخلاق الفاضلة، والعقيدة السليمة القوية الراسخة، والسلوك القويم يتخذونها مثلاً أعلى يسيرون على هداها[2]، وروي الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له: "ليكن أول ما تبدأ به من صلاح بنيَّ إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء"، ولقد حذّرنا الله سبحانه وتعالى من دعوة الآخرين إلى الخير، وعدم التزام الداعى به، فقال تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} (سورة البقرة: ٤٣)، وخير مثال للقدوة الحسنة هم الرسل، فقد أرسلهم الله سبحانه من جنس البشر حتى يكون سلوكهم قدوة، ومثلاً لتابعيهم، وقد أمرنا الله تعالى بالاقتداء برسوله محمد صلى الله عليه وسلم[3]، لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} (سورة الأحزاب: ٢١)، وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها: تصف رسول الله صلى الله عليه وسلم "كان خلقه القرآن"[4]، فالقدوة الحسنة من أنجح وسائل، وأساليب التربية الإسلامية، وهي عامل أساسي وهام في صلاح النشء أو فساده، فإذا كان الوالدان والمربون قدوةً صالحةً لما يدعون إليه فإنهم لا يحتاجون إلى كثرة الكلام، بل يكفي منهم الكلمات التوجيهية القليلة المقرونة بالسلوك الحميد، والأخلاق القويمة، وهي أيضاً من أفضل الوسائل المؤثرة في إعداد الطفل خلقياً، وتكوينه نفسياً واجتماعياً.

أما الوازع الديني فهو من العوامل المهمة في تكوين شخصية الطفل وتربيته، فالدين له من الأثر القوي في نفس الطفل بما يحتويه من قواعد الأخلاق، والحث على السلوك القويم، وإنما تجعل الطفل بمنأى عن الانحراف طالما كانت التعاليم الدينية قد بنيت في نفس الطفل بطرق صحيحة وفي ظروف هادئة[5]، فإذا تأصل الوازع الديني في ضمير الطفل فإنه ينشأ على مراقبة الله في كل أحواله، وأعماله وفي كل حين، وعندما تكون تربية للطفل بعيدة عن العقيدة السليمة، والقيم، والمبادئ، والأخلاقيات الحميدة المنقطعة الصلة بالله ورسوله، فإن الطفل سينشأ لا محالة عرضة للانحراف، والضلال، والفسوق، وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم"[6]،

---

[1]- صالح، سعاد إبراهيم (١٩٩٨م)، مرجع سلبق، ص ١٥.

[2]- الصلفيح، حمد (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ٤١.

[3]- زيدان، على حسين (٢٠٠٨م)، مرجع سابق، ص ٥٦٩.

[4]- أخره مسلم عن عائشة.

[5]- غباري، محمد سلامة (١٩٨٥م)، **مدخل علاجي جديد لانحراف الاحداث (العلاج الاسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه)**، الاسكندرية المكتب الجامعي الحديث ، ص ٩٨.

[6] رواه إبن ماجة .

فالآباء والمربون مسؤولون عن تربية النشء، وعلى أن يتخلقوا بالصدق، والأمانة، والاستقامة على شرع الله وهداه، والتقوى، والأخوة، والمحبة، والإخلاص، والشهامة، وغيرها من الأخلاق الآمنة التي تحمي الأبناء من الضلال والانحراف[١].

* **استغلال أوقات الفراغ والابتعاد عن رفاق السوء:** ربط بعض الباحثين بين وقت الفراغ، والسلوك الجانح، ويرون أن نسبة كبيرة من جانحي الأحداث تحدث خلال هذا الوقت، ولكن هذا لا يعني أن الزيادة في وقت الفراغ مسؤول عن الجناح، بقدر ما يعني أن هذه الزيادة تهيء مزيداً من الفرص لارتكاب السلوك الجانح، فالأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة إلى الثامنة عشر، يتميزون بطاقة حيوية كبيرة، هذه الطاقة إن لم توجه وجهة سليمة يتوقع منها أن تؤدي بالحدث إلى الانحراف[٢].

وأوقات الفراغ إن لم تستغل بالعلم النافع، والعمل الصالح فقد تؤدي إلى الوقوع في الخطأ والانحراف، وبالتالي وجب على الآباء، والمربين استغلالها فيما يناسب هذه المرحلة العمرية من أفكار، ورغبات، وهوايات لا تتعارض مع الدين والشرع، فحاجة الأحداث إلى التسلية، والترفيه كحاجتهم إلى الطعام والشراب، وإن لم يجدوا الأماكن الصالحة لاستغلال نشاطهم، وحيويتهم فإنهم سيعملون على استغلالها في أوجه ضارة الأمر الذي يؤدي بهم إلى الانحراف، وقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن معظم جرائم الأحداث تحدث، وتزيد في المناطق التي لا توجد بها أماكن مخصصة للترويح المباح كالملاعب، والحدائق، والمنتزهات، والنوادى، وبإعتبار أن أوقات الفراغ من العوامل الرئيسة لانتشار الجريمة، وذلك يكون من خلال عدة أمور من أهمها: الطريقة التي يشغل بها الأحداث وقت فراغهم ، والأماكن التي يقضون فيها هذا الوقت، وكذلك الأشخاص الذين يرتبطون بالأحداث خلال تلك الفترة [٣]، فقد اهتم الفقهاء المسلمون بهذه القضية، وأولوا لها اهتماماً كبيراً، وأوصوا أولياء الأمور، والمربيين بالاهتمام بأبنائهم من الأحداث والمراهقين، وأوضحوا لهم كيفة استغلال أوقات فراغهم بما يعود على أجسامهم بالصحة والقوة، والإسلام من خلال توجيهاته لهذه القضية، وضع عدة قواعد لعلاج ووقاية الأحداث، والمراهقين من أضرارها، وذلك من خلال عدة وسائل علمية تصحح لهم أجسامهم، وتقوي أبدانهم، وتكسبهم قوة، وحيوية، ونشاطاً، ومن هذه الوسائل: تعويد الحدث على العبادات، ولا سيما الصلاة التي تعتبر كما أوضحت سابقاً عماد الدين، وركنه الأساسي، لما لها من فوائد روحية، ومنافع جسمية، وآثار خلقية، ونفسية على الفرد، وأيضاً من هذه الوسائل التي عالج بها الإسلام قضية وقت الفراغ لدى هذه الفئة، حيث أمرهم بتعليم فنون الحرب، والفروسية، والسباحة، والقفز، والمصارعة، والرماية[٤]، لقوله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (سورة الأنفال: ٦٠)، ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: "علموا أولادكم الرماية والسباحة

[١]- الصلفيح، حمد (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ) ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

[٢]- عبد الحميد، عبد الحميدعبد المحسن (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ)،"موقف الشريعة الإسلامية من النظرية البيولوجية"، أبحاث الندوى العلمية السابعة، الرياض : المركز العربي للدراسات الامنية والتدريب، ص ١٣٠.

[٣]- المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

[٤]- المرجع السابق، ص ١٣٤.

ومروهم أن يثبوا على الخيل وثباً"، وفي حديث للرسول صلى الله عليه وسلم: "اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك"[1]، وفي حديث آخر للرسول قال:"ارموا واركبوا، وإن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا"[2]، وهناك حديث للرسول صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس قال:"يا غلام إني أعلمك كلمات. احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله"[3].

ومن الوسائل العلمية الأخرى التي تقي الحدث من الانحراف اتخاد القراءة مبدأً وشعاراً ، حيث يؤكد لنا الله سبحانه وتعالى دائماً أن القراءة هي منطلق مهم يفسر لنا حقيقة الأمر الإلهي الذي صدر في القرآن الكريم لقوله تعالى، {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}(سورة العلق: ١-٣)، فهذه الآيات تكفي للنظر إلى مبدأ القراءة، فهي غذاء للروح، والقلب، والذوق، فالعلم سلاح يقي الفرد من تتبع السلوك السيء والانحراف، لأنها تنمي قدراته، وتوسع آفاقه، وتزيد من ثقافته، وبالتالي وجب على الآباء أن يرسلوا أبناءهم إلى المدرسة وأماكن تعلم القرآن الكريم مبكراً لتعليم القرآن، وحفظ الأحاديث النبوية، وحكايات الأبرار وأحوالهم ليغرسوا في نفوسهم حب الله، وحب الرسول، والاقتداء به، وحب الصالحين.

كما أولى الإسلام للأنشطة الفنية إهتماماً واضحاً، خاصةً تلك الأنشطة التي ترسم صورة الوجود من زاوية التطور الإسلامي، والتي تعبر عن الكون، والحياة، والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة، فقد أُبيحت هذه الأنشطة على أساس أنها تنفيس للطاقة البشرية، أو تعبير عن القوة والترويح ، بينما يُحذر الإسلام من أي نشاط تشوبه المعصية لأمر الله، أو الخروج عن قيم المجتمع الإسلامي ومبادئة، ومن الأنشطة الترويحية التي أقرها الإسلام الأنشطة الثقافية مثل كتابة الشعر، وكتابة القصص، والطرائف، والندوات، حيث ورد في القرآن الكريم قصص كثيرة عن أحوال الأمم، والأنبياء، وتنبيه القرآن الكريم إلى الفائدة من ذلك في قوله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم: {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} (سورة هود: ١٢٠)، كما استطاع الإسلام أن يستخدم الشعر لأغراض سامية ونبيلة، ويسخره كوسيلة فعالة لإيضاح الحق، وزهق الباطل[4]، عن عمرو بن الشريدة، عن أبيه قال: ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال : "هل معك من شعر أُمية بن أبي الصلت شيئاً؟" قلت نعم، قال: "هيه" فأنشدته بيتاً، فقال: "هيه" ثُم أنشدته بيتاًن فقال: "هيه" حتى أنشدته مائة بيتٍ"[5].

---

[1] - رواه الحاكم والبيهقي.

[2] - رواه الإمام أحمد واهل السنن، نقلاعن الدمقشي، الإمام الجليل عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم المعروف ب"تفسير ابن كثير"**، ج ٢، ط ٦، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ص١٢٥٢.

[3] - متفق عليه.

[4] - الصلفيح، حمد (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ١٤٤.

[5] - صحيح مسلم، الكتب الستة، مرجع سابق، الحديث رقم٥٨٨، ص١٠٧٨.

بالإضافة إلى اهتمام المربين وأولياء الأمور بقضية وقت الفراغ، ويجب أيضاً أن يوجهوا العناية إلى جانب، وهو اختيار الأصدقاء الذين يقترنون بأبنائهم، فعليهم أن يرشدوا أبناءهم لاختيار الرفقة الصالحة، والابتعاد عن رفقة السوء التي لا يترتب عنها إلا كل ما هو ضار بأبنائهم، فالرفقة الصالحة التي إذا ذكر الله أعانت على ذكره، وإذا نسي ذكرت به، قال رسول الله صلى الله عليه سلم: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"[1]، فجماعة الرفاق من أشد الجماعات تأثيراً على الشخصية، وقد تكون متسقة مع الإطار العام للمجتمع، وقد تكون منحرفة عنه، فهي تمثل احدى مؤسسات التربية غير الرسمية، والتي يمكن أن تكون منبعاً للجريمة والانحراف، وذلك إذا ظل أفرادها، وتحولت أهدافها من المساهمة في التربية إلى احتضان الجانحين، وزيادة المجرمين، فرفاق السوء يمثلون احدى الأسباب المؤدية إلى الجريمة والانحراف[2]، فقد حرص الإسلام على التآخي، والتحاب، والترابط في الله حتى يتعاون الجميع على الخير، ومجابهة الشر، فالصحبة الطيبة التي تتناصح فيما بينها بالمعروف، وتنهي عن المنكر، وتبعده عنه، حيث شبه الرسول الكريم الجليس الصالح ببائع المسك الذي يعطيك من طيبه، أو على الأقل تشم منه ريحاً طيباً، بينما جليس السوء هو كنافخ الكير، إما أن يحرق ثياب جليسه، أو يشم منه ريحاً منتنة[3]، وعن أبي موسى، عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوءِ، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك، إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً منه خبيثة"[4].

فالوالدان والمربون وجب عليهم أن يدققوا في اختيار رفاق، وأصدقاء أبنائهم حتى يحافظوا على دينهم، ويبعدونهم عن ارتكاب الفواحش، ومخاطر الوقوع في براثن رفاق السوء، وبالتالي الانحراف، والجنوح، والوقوع في التهلكة لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} (سورة التحريم: ٦)، وكذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :"كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته"، فالوالدان تقع عليهم مسؤولية رعاية أبنائهم في المنزل، وخارجه، ورعايتهم هذه تمتد إلى أن يصبح الأبناء راشدين يستطيعون أن يميزوا بين الخير، والشر، وبين الحلال، والحرام.

٣- الاعتماد على القرآن والسنة : يعتمد المنظور الإسلامي في الوقاية من الانحراف اعتماداً كاملاً على ما نزل على الوحي من الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة التي ثبتت نسبتها إلى رسول الله، وعلم الله سبحانه وتعالى هو علم كامل وصحيح فهو خالق الإنسان، وهو أعلم بمن خلق، أعلم بما يصلحه، وما يفسده، فحين يأمره بشيء فلا بد فيه صلاح له، وحين ينهاه عن شيء فيه فساد له، فلا يخفى عليه

[1] - صحيح مسلم (٢٠٠٠م-١٤٢١هـ)، الكتب الستة، مرجع سابق، الحديث رقم ٥٨٨، ص ١٠٧٨.

[2] - ناجح، محمد (١٩٩٩م) ، **دور مؤسسات التربية في الوقاية من الجريمة من منظور إسلامي**، القاهر: المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، ص ٢٥٠ .

[3] - الصلفيح، حمد (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ٥٤.

[4] - صحيح مسلم (٢٠٠٠م-١٤٢١هـ)، الكتب الستة، مرجع سابق، الحديث رقم ٦٦٩٢، التحفة ٤٥، ص ١١٣٦.

شيء، ولا يضل، ولا ينسى[1]، من هذا المنطلق بدأ المفكرون المسلمون في التمعن في الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وتحليلها، وتفسيرها حتى يستشفوا منها ما يقي الأطفال، والمجتمعات العربية المسلمة من الانحراف، والجريمة، والبحث في الطرق، والأساليب التي تحميهم، وتحفظ كرامتهم، وآدميتهم لأن الله سبحانه وتعالى حفظ كرامة الإنسان، ومكانته، وميزه عن سائر المخلوقات بالعقل، الذي من خلاله يميز بين الخطأ والصواب، والخير والشر، والنافع والضار، وعلى هذا الأساس اهتم المختصون المسلمون بحفظ كرامة الإنسان، وسعوا إلى وضع توجيهات، أو تنبيهات تحول دون، وقوعه في الخطأ ثم الانحراف والجنوح.

الخاتمة

الدين الإسلامي من خلال السنة النبوية والشريعة الإسلامية أعتنا بالمنهج الوقائي لمعالجة مشكلة الانحراف، واعتمد في ذلك على أسلوبين: الأول وهو (الوقاية خيراً من العلاج)، والثاني وهو (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وذلك لحماية الفرد والجماعة والمجتمع من مخاطر الجريمة والانحراف.

هذه الوسائل التي أقرها الإسلام من خلال الأحاديث النبوية الشريفة، والآيات القرأنية الكريمة وقصص الصحابة، كفيلة بأن تعلم المسلمين كيف يجنبوا أبناءهم براثن الوقوع في شراك الهلاك، والتشرد والانحراف، فلو تمسك الآباء، والمربون بها لألبسوا أبناءهم الصحة، والقوة، والعلم الذي ينفعهم في دينهم، ودنياهم، وآخرتهم، فهذه الأمور، لو تمسك بها المسلمون، ونشّؤا عليها أبناءهم لوُجِد مجتمع خالٍ من الجريمة والانحراف، فاستغلال أوقات الفراغ مثلاً من الأشياء التي يستفيد منها الحدث، كالقراءة وكتابة الشعر، والترويح عن النفس كلها أمور تأتي، بنتيجة إيجابية لتربية الأحداث، مع مراعاة عدم استخدام هذه الوسائل أكثر من الضروري، فلا يكون اللعب، واللهو، والترويح طابعاً لحياة الفرد، لأنه بذلك يخرج عن طبيعته، ويصبح عبثاً، وضياعاً للوقت، والجهد، ويأتي بنتائج سلبية على الفرد، والجماعة، وبالتالي على المجتمع، لأن أي شيء إذا زاد عن حده المعقول أصبح ضرراً وفساداً، والإسلام يكره أن تنصرف أمته إلى اللهو، والترويح، وأن تفسد حياتها بمظاهره المزيفة.

التوصيات:

١ - حرص الأسرة على تنمية مبادئ الدين الحنيف لأبنائها وتربيته التربية السليمة.

٢ - التمسك بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف في تربية الأبناء سواً في البيت أو المدرسة.

٣ - الاهتمام بفئة الأحداث والشباب وتوفير فرص الحياة الكريمة لهم من تعليم وصحة وترفيه حتى يتم توجيههم الوجهة الأخلاقية الجيدة.

المراجع

١- إبراهيم، أبو الحسن عبد الموجود (٢٠٠٨م)، **دينامية الانحراف والجريمة (التفسير – القضايا – الممارسة العامة)**، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

٢- سنن أبي داود، موسوعة الحديث الشريف – الكتب الستة، ط ٣، السعودية : دار السلام للنشر والتوزيع.

٣- الباز، أنور (٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ)، **التفسير التربوى للقرآن الكريم**، مصر: دار النشر للجامعات،ج١،٢،٣.

١- زيدان، على حسين (٢٠٠٨م)، مرجع سابق، ص ٥٤٧.

٤- الجويري، إبراهيم بن مبارك (١٩٩٠م-١٤١٠هـ)، "التربية الإسلامية ودورها في علاج الأحداث الجانحين"، أساليب معالجة الأحداث الجانحين في المؤسسات الإصلاحية. المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب: الرياض.

٥- الحضوري، حسن حسين (٢٠٠٦م)، F:\إجراءات الضبط والتحقيق الابتدائي لجرائم الأحداث (دراسة مقارنة بين القانونين المصري واليمني).mht، "الأحداث المنحرفون"، موقع ملتقى التربية والتعليم، شبكة المعلومات العالمية الانترنيت.

٦- أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير **تفسير القرآن العظيم المعروف ب"تفسير ابن كثير"**، ج ٢ ، ط ٦، الرياض: دار السلام

٧- رجب، مصطفى (٢٠٠٩م)، **الاهداف والقيم التربوية في الحديث الشريف**، دسوق: العلم والايمان للنشر والتوزيع.

٨- الروبي، ربيع محمود (١٩٩٨م) ،"التكافل الإجتماعى والوقاية من الجريمة والإنحراف"، بحوث المؤتمر الدولى للعلوم الإجتماعية ودورها في مكافحة جرايم العنف والتطرف في المجتمعات الإسلامية: القاهرة. ج٢، ١٤٦.

١٠- زيدان، على حسين (٢٠٠٨م)، "دور الخدمة الإجتماعية في العمل مع المنحرفين – منظور إسلامى"،

١١- صالح، سعاد إبراهيم (١٩٩٨م)، "دور الأسرة في التربية من المنظور الإسلامى"، بحوث المؤتمر الدولى للعلوم الإجتماعية ودورها في مكافحة جرايم العنف والتطرف في المجتمعات الإسلامية: القاهرة، ج٢.

١٢- الصلفيح، حمد (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ)، "حقوق الإنسان في الإسلام والوقاية من الإنحراف"، ابحاث الندوة العلمية السابعة، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب: الرياض.

١٣- عبد الحميد، عبد الحميد عبد المحسن (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ)،"موقف الشريعة الإسلامية من النظرية البيولوجية"، أبحاث الندوى العلمية السابعة، الرياض : المركز العربي للدراسات الامنية والتدريب.

١٤- عبد الخالق، جلال الدين ورمضان،السيد (٢٠٠١م)، **الجريمة والانحراف من منضور الخدمة الاجتماعية**، الاسكندرية:

١٥- عرفة، محمد بن عبد الله عرفة (١٩٨٦م-١٤٠٧هـ)، "الأسرة المسلمة والوقاية من الانحراف"، ابحاث الندوة العلمية السابعة، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب:الرياض.

١٦- أبو العزائم، جمال ماضي (١٤١٠هـ)، **طرق وأساليب العلاج الطبى النفسي للأحداث الجانحين – ضمن أساليب معالجة الأحداث الجانحين في المؤسسات الإصلاحية**، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.

١٧- العمري، صالح محمد آل رفيع(٢٠٠٢م)، "العود إلى الانحراف في ضوء بعض العوامل الاجتماعية – دراسة ميدانية"، رسالة ماجستير منشورة، الرياض: المركز العربي للدراسات الامنية والبحث.

١٨- العيسوي، عبد الرحمن محمد (٢٠٠١م-١٤٢٠هـ)، **الإسلام والإنسان المعاصر .دراسة نفسية**، ط١، بيروت: دار الراتب الجامعية.

أثر منهاج السنة النبوية في حكم خلافة الراشدَين: الصديق والفاروق رضي الله عنهما

قاسم كسار حسين

أ.د. مجاهد مصطفى بهجت

د. فيزوري عبد اللطيف

أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا

ماليزيا

kasemkassar@yahoo.com

المقدمة

بسم الله وصلِ اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم، ورضي الله تعالى عن الصحابة جميعهم بمنه وفضله بنص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، والصحابة والفقهاء في الماضي عرفوا أنَّ دولة الإسلام هي ملاك الأمر لإقامة أحكام الشرع الإسلامي، وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم، والأمة الإسلامية فيها الأفراد والجماعات وفيها الأمة مجتمعة، ولكل من هذه الجهات أناط بها الشارع الحكيم مجموعة من الأحكام لتلتزم بها، ومصطلح الخلافة الراشدة مصطلح شرعي أطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم على مَنْ يخلفهُ مِنَ الخلفاءِ الذين يسوسون الناس على منهاج النبوة وحدد فترتهم بثلاثين سنة، وبيعة الخلفاء تتضمن تمسك الطرفين بشروط البيعة، بينما بيعة النبي صلى الله عليه وسلم تضمنت الشروط على المبايِعين (الصحابة) دون المبايَع، بسبب عصمة النبوة.

تعريف الخلافة لغةً:

الخَلِيفةُ الذي يُسْتخْلَفُ ممن قبله، والجمع خُلَفاء وأَما سيبويه فقال: خَلِيفةٌ وخُلَفاء كَسَّروه تكسير فَعِيلٍ لأَنه لا يكون إلا للمذكر[1]، وفعيلة بمعنى فاعلة[2].

وردت الخلافة بمعناها اللغوي في النصوص الشرعية:

في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ**﴾ (سورة الأنعام: ١٥٩)، ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ (سورة البقرة: ٣٠)، ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ**﴾ (سورة ص: ٢٦).

أما في السنة: فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر يقول: اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ٣، وقال صلى الله عليه وسلم: مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا[4].

الخلافة اصطلاحاً:

الخلافة أعلى الولايات العامة في الإسلام.، ولقب الخليفة أو الإمام أو أمير المؤمنين، وردت هذه الألقاب في الأحاديث الصحيحة، كما لُقِّب بها الخلفاء الراشدون، قَالَ صلى الله عليه وسلم: إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا، وقال:...وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، وقال: خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ

---

[1] لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت-٧١١هـ)، ١٤٠٥هـ، أدب الحوزة، إيران – قم، (الخاء)، ٩: ٨٣.

[2] مجموع الفتاوى، مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، (ت-٧٢٨هـ)، جمع وترتيب عبد الرحمن العاصمي النجدي، ط/ ١، مطبعة الرياض، (قاعدة في مواضع الأئمة في مجامع الأمة)، ٣٥: ٤٣.

[3] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، (ت-٢٦١ هـ)، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي- بيروت، (٧٥- باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره)، (١٣٤٢)، ٢: ٩٧٨.

[4] الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، (ت-٢٥٦هـ)، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، ط/٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار ابن كثير، اليمامة- بيروت، (٣- باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير)، (٢٦٨٨)، ٣: ١٠٤٥.

الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ[١]، فهو صريح في الإخبار بالأئمة الأخيار، وَأما التَّلْقِيب بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَوَّل مَنْ لُقِّبَ بِهِ عُمَر[٢]، وعرفها العلماء بتعريفات عدة، وهي وإن اختلفت في الألفاظ فهي متقاربة في المعاني، ومن هذه التعريفات ما يأتي:

- الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به[٣].
- الإمامة رياسة تامة، وزعامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا[٤].

تنصيب الخليفة:

أجمع الصحابة على لزوم إقامة خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته، وأجمعوا على إقامة خليفة لأبي بكر، ثم لعمر، ثم لعثمان بعد وفاة كل منهم، وقد ظهر تأكيد إجماع الصحابة على إقامة خليفة من تأخيرهم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب وفاته واشتغالهم بنصب خليفة له، والصحابة الذين يجب عليهم الاشتغال في تجهيز الرسول صلى الله عليه وسلم ودفنه اشتغل قسم منهم بنصب الخليفة عن الاشتغال بدفن الرسول صلى الله عليه وسلم وشاركوا في تأخير الدفن ليلتين مع قدرتهم على الإنكار، وقدرتهم على الدفن، فكان ذلك إجماعاً على الاشتغال بنصب الخليفة عن دفن الميت، والصحابة كلهم أجمعوا طوال أيام حياتهم على وجوب نصب الخليفة، ومع اختلافهم على الشخص الذي ينتخب خليفة فإنهم لم يختلفوا على إقامة خليفة، لا عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عند وفاة أي خليفة من الخلفاء الراشدين، فكان إجماع الصحابة دليلاً صريحاً على وجوب نصب الخليفة. على أن إقامة الدين وتنفيذ أحكام الشرع في جميع شؤون الحياة الدنيا والآخرة فرض على المسلمين بالدليل القطعي الثبوت والدلالة، ولا يمكن أن يتم ذلك إلاّ بحاكم ذي سلطان، والقاعدة ﴿ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب﴾[٥]، فكان نصب الخليفة فرضاً من هذه الجهة أيضاً[٦]، وحرص الصحابة رضي الله

---

[١] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ، (١٧- باب خيار الأئمة وشرارهم)، (١٨٥٥)، ٣: ١٤٨١.

[٢] فتح الباري، أحمد بن علي بن محمد بن محمد ابن علي بن حجر الكناني شهاب الدين العسقلاني، (ت- ٨٥٢هـ)، ط/٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان ، (قوله: قتل حمزة بن عبد المطلب)، ٧: ٣٧١.

[٣] الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، (ت- ٤٥٠هـ)، تحقيق: د. أحمد مبارك البغدادي، ط/١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، مكتبة دار قتيبة- الكويت، ص: ٥.

[٤] غياث الأمم في التياث الظلم، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، (ت-٤٧٨هـ)، تحقيق: د. مصطفى الحيني، د. فؤاد عبد المنعم، ط/١، ١٤٠٠هـ، دار الدعوة-الإسكندرية، ص: ١٥.

[٥] الكافي، أبو الصلاح الحلبي، (ت-٤٤٧هـ)، تحقيق: رضا أستادي، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (ع) العامة، أصفهان، (وجوب النظر)، ص: ٣٩، بتصرف يسير، الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، (هل يجوز التقليد في المسائل الأصولية المتعلقة بالاعتقاد)،١: ١١٠، الشرح الكبير على متن المقنع، عبد الرحمن بن قدامه، (ت-٦٨٢هـ)، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (الوضوء بالمد والغسل بالصاع)، ١: ٢٢١، الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، عبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد،(ت- ٦٢٠هـ)، ط/١، ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية- بيروت، (باب صلاة الجمعة)، ١: ٣٢٨، إعانة الطالبين، أبي بكر المشهور بالسيد البكري ابن السيد محمد شطا الدمياطي، (ت- ١٣١٠هـ)، ط/١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (باب الصلاة)، ١٣٣:١.

[٦] الخلافة، الشيخ تقي الدين النبهاني، ص:٢-٥، بتصرف يسير.

عنهم على انتخاب أول خليفة للمسلمين، فلم يفرطوا بها، وتم ذلك بأول وأسرع إجماع للصحابة في سقيفة بني ساعدة، لأنه فرض كفاية مضيّق، ولا خلاف بين جميع فقهاء طوائف المسلمين أنَّ إجماع الصحابة معتبر وحجة على مَنْ بعدهم حال إجماعهم، أما تباينهم واختلافهم وتنازعهم، فهو حجة لمن بعدهم على جواز تعدد الاجتهادات بتعدد المجتهدين لسد حاجة الأمة المتنامية.

إجماع الصحابة:

إنَّ اجتهاد المجتهد يعتمد على الجمع فيما نقل من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة حين ورودها مجتمعة. وإجماع الصحابة -حكاماً ومحكومين- في عصر الخلافة الراشدة، ليس له إلا معنى واحد، وهو الفهم الصحيح للكتاب، والطريق السليم للعمل بالسنة، فهم الذين عاصروا عهد تنزيل الكتاب، وعاشوا طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في إقامة حياة الناس عليه، فهم أفهم الناس لروح الدين، وأعرف الناس بمقاصد الشرع، وأقدر الناس على التمييز بين الحق والباطل، ومن المستبعد، بل من المحال أن يجتمعوا على باطل، قال صلى الله عليه وسلم: لاَ يَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلاَلَةٍ وَيَدُ اللهِ عَلَى الجَمَاعَةِ[١]، وإجماع الأمة قد يكون على فهم نص، ويجوز أن ينعقد الإجماع عن اجتهاد وقياس، ويكون حجة[٢]، ولا خلاف بين جميع فقهاء طوائف المسلمين أنَّ إجماع الصحابة معتبر وحجة على مَنْ بعدهم حال إجماعهم، لِأَنَّهُمْ أَقْرَبُ إلَى الصَّوَابِ وَأَعْرَفُ بِمَوَاقِعِ الْخِطَابِ فكَانَ حُكْمُهُمْ حُجَّةً عَلَى غَيْرِهِمْ[٣].

مميزات الحكم الراشد:

تميزت الخلافة الراشدة، أنَّها امتداد لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتختلف بعض الشيء عما جاء بعدها من الخلفاء، وتُضادُ غيرها من النظريات البشرية كافة سواء العقدية منها أو غير العقدية، ونظام حكم الخلافة الراشدة لا يشبه أي نظام ولا يشبهه أي نظام. وبارك الله تعالى لهم بسبب تمسكهم بكل الإسلام فغيروا كل مجتمعات المدن التي فتحت لتوافق الإسلام، ولم يغيروا شيء من الإسلام ليوافق المجتمعات آنذاك، ونظام حكم الخلافة الراشدة، فردية يملكها الفرد، فكان الخليفة يتولى جميع السلطة، وتميزت بالربانية، قال تعالى: ﴿ **وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ**﴾ (سورة آل عمران: ٧٩)، والربانية: إحدى الخصائص التي تتصف بها تميُّز الأمة الإسلامية، من حيث المصدر، ومن حيث الهدف والغاية[٤]، قال الاستاذ حسن البنا: يتعين علينا أن نقف عند الحدود الربانية

---

[١] صحيح الجامع الصغير، الألباني، صحيح، (١٨٤٨)، ص: ٩٠.

[٢] فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، ٢: ٢٦.

[٣] كشاف القناع، البهوتي، (ت- ١٠٥١)، تحقيق وتقديم: كمال عبد العظيم العناني، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط/١، : ١٤١٨ - ١٩٩٧ م، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢: ٤٣٨.

[٤] تميز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منه، د. إسحاق بن عبد الله السعدي، ط/١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سلسلة الرسائل الجامعية،(٤٩)، ص: ٥٨٣.

النبوية، حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا به الله تعالى[1]، وتميز عهد الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه بالحزم والعدل والشدة مع أهل الباطل والضلال حتى كانت خلافته سدًا منيعًا أمام الفتن[2].

طلب الخلافة:

لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فأتاهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، قال: فقام حباب بن المنذر وكان بدرياً فقال: منا أمير ومنكم أمير فإنا والله ما ننفس هذا الأمر عليكم أيها الرهط ولكنا نخاف أن يليها، أو قال يليه: أقوام قتلنا آباءهم وإخوتهم، قال: فقال له عمر: إذا كان ذلك فمت إن استطعت، فتكلم أبو بكر فقال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفين كقد الأبلمة، يعني الخوصة، فبايع أول الناس بشير بن سعد[3]، وفي آخر ما قال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه مخاطباً سعداً: وَلَقَدْ عَلِمْتَ يَا سَعْدُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ وَأَنْتَ قَاعِدٌ: قُرَيْشٌ وُلاَةُ هَذَا الأَمْرِ، فَبَرُّ النَّاسِ تَبَعٌ لِبَرِّهِمْ، وَفَاجِرُهُمْ تَبَعٌ لِفَاجِرِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: صَدَقْتَ، نَحْنُ الْوُزَرَاءُ وَأَنْتُمُ الأُمَرَاءُ[4].

عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي عَوْفٍ، قال: لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه خَيَّرَ النَّاسَ ثَلاثًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ، قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: إِنَّا وَاللَّهِ لا نَقِيلُكَ وَلا نَسْتَقِيلُكَ، وَلَقَدْ قَدَّمَكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِلصَّلاةِ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يُؤَخِّرُكَ؟[5]، وبيعة أهل الحلّ والعقد أَمارة مِنْ الأَمارات الدالة على تحقق رضا المسلمين بالبيعة، وكل أمارة تدلُ على تحقق رضا المسلمين ببيعة خليفة، يتمُ بها نَصبُ الخليفة، ويكون نصبُه بها نصباً شرعياً[6].

مكانة الشيخين رضي الله عنهما:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: وُضِعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ، فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُثْنُونَ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بِمَنْكِبِي مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ، فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ، وَقَالَ: مَا خَلَّفْتُ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ كَثِيرًا مَا أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو، أَوْ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا[7]،

---

[1] ثمار الأفكار، الشيخ علي الكوراني العاملي، معاصر، ط/١، ١٤٢٥هـ، دار الهدى للطباعة والنشر ، ص: ٣٨.

[2] موقف الصحابة من أحداث العنف في عهد الخلفاء الراشدين إعداد: د. حصة بنت عبد الكريم الزيد، ص: ١٩، بتصرف يسير.

[3] الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، (ت- ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، ط/١، ١٩٦٨م، دار صادر- بيروت، (ذكر بيعة أبي بكر)، ٣: ١٨٢.

[4] مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره رجاله ثقات رجال الشيخين، (مسند أبي بكر الصديق)، (١٨)، ١: ٥، السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض، صحيح، (١١٥٦)، ٣:١٤٦.

[5] طبقات المحدثين بأصبهان، عبد الله بن حبان، (ت- ٣٦٩هـ)، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، ط/٢، ١٤١٢هـ، مؤسسة الرسالة — بيروت،(قول علي لأبي بكر: إنا والله لا نقيلك ولا نستقيلك)، (٥٠١)، ٣: ٥٧٦.

[6] نظام الحكم في الإسلام، عبد القديم زلوم، ط/٤، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، دار الأمة للطباعة والتوزيع، بيروت- لبنان، ص: ٥١.

[7] الجامع الصحيح المختصر، البخاري، (٦- باب مناقب عمر)، (٣٤٨٢)، ٣: ١٣٤٨.

وأخبر كذلك: أنهما وزيراه وصاحباه وقد تعلمون موضع الوزراء كيف كانت أحوالهم عند المستوزرين لهم من القبول منهم والسكون إلى مشورتهم والإصغاء إليهم ثم زاد أنه جعلهما سيدي قريش وقد تعلمون موضع السيد من المسود[1]، وعند الفقهاء قولهم: سَنَةُ الْعُمَرَيْنِ، وَيُرَادُ بِهِ سَنَةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما[2]، قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: وَصَفَ الرَّاشِدِينَ بِالْمَهْدِيِّينَ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُهْتَدِيًا فِي نَفْسِهِ لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يَكُونَ هَادِيًا لِغَيْرِهِ لِأَنَّهُ يُوقِعُ الْخَلْقَ فِي الضَّلَالَةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ: وَهُمْ الصِّدِّيقُ وَالْفَارُوقُ وَذُو النُّورَيْنِ وَأَبُو تُرَابٍ عَلِيٌّ الْمُرْتَضَى رضي الله عنهم[3].

اجتهاد الخليفة:

قال صلى الله عليه وسلم: إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ[4]، فإذا أمر السلطان بأحكام معينة كانت هذه الأحكام قانوناً، يلزم الناس بها، والمسلمون يسيرون على أوامر الله ونواهيه، وليس على أوامر السلطان ونواهيه. فما يسيرون عليه أحكام شرعية، وليست أوامر السلطان، غير أن هذه الأحكام الشرعية اختلف الصحابة فيها، ففهم بعضهم من النصوص الشرعية شيئاً غير ما كان يفهمه البعض الآخر، وكان كلٌ يسير حسب فهمه، ولكن هناك أحكام شرعية تقتضي رعاية شُؤون الأمة أن يَسيرَ المسلمون جميعاً على رأي واحد فيها، وأن لا يسير كل بحسب اجتهاده، وقد حصل ذلك، فقد رأى أبو بكر أن يوزع المال بين المسلمين بالتساوي، ورأى عمر أنه لا يصح أن يُعطى مَنْ قَاتَل رسول الله كمن قاتل معه، وأن يُعطى الفقير كالغني، ولكن أبا بكر كان هو الخليفة، فأمر بالعمل برأيه، فاتبعه المسلمون في ذلك، وسار عليه القضاة والولاة، وخضع له عمر، ولما جاء عمر خليفة تبنى رأياً يخالف رأي أبي بكر، أي أمر برأيه بتوزيع المال بالتفاضل، فاتبعه المسلمون، وعمل به الولاة والقضاة، فكان إجماع الصحابة منعقداً على أن للإمام أن يتبنى أحكاماً معينة، ويأمر بالعمل بها، وعلى المسلمين طاعتها، ولو خالفت اجتهادهم، وترك العمل بآرائهم واجتهاداتهم[5]، والخليفة الراشد يجتهد وقد يخطئ وله أجر، ويُصحح له أحد الصحابة المجتهدين، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أُتِيَ عُمَرُ رضي الله عنه بِمَجْنُونَةٍ قَدْ زَنَتْ فَاسْتَشَارَ فِيهَا أُنَاسًا فَأَمَرَ بِهَا عُمَرُ أَنْ تُرْجَمَ فَمُرَّ بِهَا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فَقَالَ: مَا شَأْنُ هَذِهِ قَالُوا: مَجْنُونَةُ بَنِي فُلَانٍ زَنَتْ فَأَمَرَ بِهَا عُمَرُ أَنْ تُرْجَمَ. قَالَ: فَقَالَ: ارْجِعُوا بِهَا ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ

[1] تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها ، الإمام أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت-٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، ١٤١٥هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، (عمر بن الخطاب)، ٤٤، ٣٦٧.

[2] صحيح ابن خزيمة، ابن خزيمة، قال الأعظمي: إسناده صحيح، (باب الأمر بالسكينة في المشي إلى الجمعة)، (١٧٧٣)، ٣: ١٣٦، بدائع الصنائع، أبو بكر الكاشاني، (ت-٥٨٧هـ)، ط/١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، المكتبة الحبيبية- باكستان، (بيان سنن الحج وبيان ترتيبه)، ٢: ١٥٥.

[3] تحفة الأحوذي، المباركفوري، (ت- ١٢٨٢هـ)، ط/١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة)، ٧: ٣٦٨..

[4] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ، (٦- باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ)، (١٧١٦)، ٣: ١٣٤٢.

[5] نظام الحكم في الإسلام، عبد القديم زلوم، ص: ٧٤.

الْمُؤْمِنِينَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ رُفِعَ عَنْ ثَلاَثَةٍ عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَبْرَأَ وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَعْقِلَ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَا بَالُ هَذِهِ تُرْجَمُ قَالَ: لاَ شَيْءَ، قَالَ فَأَرْسِلْهَا، قَالَ: فَأَرْسَلَهَا، قَالَ: فَجَعَلَ يُكَبِّرُ[1].

الاختلاف في الاجتهاد:

ليس بعيداً أن يختلف أو يتباين الصحابة في الاجتهاد في المسألة الواحدة، بل قد يحدث عند الشخص الواحد منهم، فقد اختلفوا في أهل الردة، وكان فيهم أبو صفرة غلام لم يبلغ فأراد أبو بكر رضي الله عنه قتل من بقي من المقاتلة، فقال عمر رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله هم مسلمون إنما شحوا بأموالهم والقوم يقولون ما رجعنا عن الإسلام فلم يزالوا موقوفين حتى توفي أبو بكر رضي الله عنه فأطلقهم عمر رضي الله عنه[2]، وعَنْ مَالِكٍ، أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ، إِذْ جَاءَهُ حَاجِبُهُ يَرْفَا، فَقَالَ: ...هَلْ لَكَ فِي عَبَّاسٍ وَعَلِيٍّ يَسْتَأْذِنَانِ قَالَ: نَعَمْ فَلَمَّا دَخَلاَ قَالَ عَبَّاسٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هذَا، وَهُمَا يَخْتَصِمَانِ فِي الَّذِي أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ بَنِي النَّضِيرِ؛ فَاسْتَبَّ عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ...فَقَالَ عُمَرُ: اتَّئِدُوا، أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ يُرِيدُ بِذلِكَ نَفْسَهُ قَالُوا: قَدْ قَالَ ذلِكَ فَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى عَبَّاسٍ وَعَلِيٍّ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُمَا بِاللهِ هَلْ تَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَالَ ذَلِكَ قَالاَ: نَعَمْ قَالَ:...إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ كَانَ خَصَّ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم فِي هذَا الْفَيْءِ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ، فَكَانَتْ هذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ وَاللهِ مَا احْتَازَهَا دُونَكُمْ، وَلاَ اسْتَأْثَرَهَا عَلَيْكُمْ، لَقَدْ أَعْطَاكُمُوهَا وَقَسَمَهَا فِيكُمْ حَتَّى بَقِيَ هذَا الْمَالُ مِنْهَا، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِمْ مِنْ هذَا الْمَالِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلَ مَالِ اللهِ فَعَمِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَيَاتَهُ ثُمَّ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَأَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَبَضَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَعَمِلَ فِيهِ بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ، فَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ وَقَالَ: تَذْكُرَانِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ عَمِلَ فِيهِ كَمَا تَقُولاَنِ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُ فِيهِ لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبِي بَكْرٍ، فَقَبَضْتُهُ سَنَتَيْنِ مِنْ إِمَارَتِي أَعْمَلُ فِيهِ بِمَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي فِيهِ صَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ، ثُمَّ جِئْتُمَانِي كِلاَكُمَا وَكَلِمَتُكُمَا وَاحِدَةٌ وَأَمْرُكُمَا جَمِيعٌ...فَقُلْتُ لَكُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ. فَلَمَّا بَدَا لِي أَنْ أَدْفَعَهُ إِلَيْكُمَا قُلْتُ: إِنْ شِئْتُمَا دَفَعْتُهُ إِلَيْكُمَا عَلَى أَنَّ عَلَيْكُمَا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَتَعْمَلاَنِ فِيهِ بِمَا عَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ، وَمَا عَمِلْتُ فِيهِ مُذْ وَلِيتُ، وَإِلاَّ فَلاَ تُكَلِّمَانِي، فَقُلْتُمَا ادْفَعْهُ إِلَيْنَا بِذَلِكَ، فَدَفَعْتُهُ إِلَيْكُمَا، أَفَتَلْتَمِسَانِ مِنِّي قَضَاءً غَيْرَ ذَلِكَ فَوَ اللَّهِ الَّذِي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ أَقْضِي فِيهِ بِقَضَاءٍ غَيْرِ ذَلِكَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِنْ

---

[1] سنن أبي داود، ابن الأشعث السجستاني، (ت– ٢٧٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، ط/١، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٦– باب فِي الْمَجْنُونِ يَسْرِقُ أَوْ يُصِيبُ حَدًّا)(٤٣٩٩)، ٢: ٣٣٩.

[2] معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، (ت–٦٢٦هـ)، ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م، دار إحياء التراث العربي– بيروت، (باب الدال والباء وما يليهما)، ٢: ٤٣٦، بتصرف يسير.

عَجَزْتُمَا عَنْهُ، فَادْفَعَا إِلَيَّ فَأَنَا أَكْفِيكُمَاهُ[1]، أما رواية مسلم: (فَقَالَ عَبَّاسٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْكَاذِبِ الآثِمِ الْغَادِرِ الْخَائِنِ)[2]، ولم يكني في الكلام كما فعل البخاري[3].

المنازعات الداخلية:

عصر الخلافة الراشدة كان على منهاج النبوة، لكن حدثت خلاله بعض المنازعات الداخلية، بل وقتال لفرق باغية (ممتنعة)، وجهاد الفرق المرتدة (مانعي الزكاة)، وهذه الأحداث والفتن حدثت في ذلك العصر الراشد، عن عمر رضي الله عنه قال: غلبني أهل الكوفة استعمل عليهم المؤمن فيضعف واستعمل عليهم الفاجر فيفجر[4]، ومن صور الشورى والتنازع في الفرض المضيَّق ما جاء في قول عمر رضي الله عنه: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلاً مِنْكُمْ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلاَنًا، فَلاَ يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً[5]، وَتَمَّتْ أَلاَ وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، مَنْ بَايَعَ رَجُلاً عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُبَايَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ خَبَرِنَا حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم إِلاَّ أَنَّ الأَنْصَارَ خَالَفُونَا وَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ فِي سَقِيفَةِ بني سَاعِدَةَ، وَخَالَفَ عَنَّا عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَمَنْ مَعَهُمَا، وَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ يَا أَبَا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأَنْصَارِ...فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فِي سَقِيفَةِ بني سَاعِدَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ مُزَمَّلٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا فَقَالُوا: هَذَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ. فَقُلْتُ: مَا لَهُ قَالُوا: يُوعَكُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا قَلِيلاً تَشَهَّدَ خَطِيبُهُمْ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَكَتِيبَةُ الإِسْلاَمِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ رَهْطٌ، وَقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ، فَإِذَا هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَزِلُونَا مِنْ أَصْلِنَا وَأَنْ يَحْضُنُونَا مِنَ الأَمْرِ...فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ، وَاللَّهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِي فِي تَزْوِيرِي إِلاَّ قَالَ فِي بَدِيهَتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا حَتَّى سَكَتَ فَقَالَ: مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ

---

[1] الجامع الصحيح المختصر، البخاري، (٥- باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع)، (٦٨٧٥)، ٦: ٢٦٦٣.

[2] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (١٥- باب حكم الفيء)، (١٧٥٧)، ٣: ١٣٧٦.

[3] تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط/١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م مؤسسة الرسالة- بيروت، ٢٤: ٤٤٥، بتصرف يسير، سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله الذهبي، (ت-٧٤٨هـ)، ط/٩، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة- بيروت، (١٧١- أبو عبد الله البخاري)، ١٢: ٤١١، مقدمة فتح الباري، أحمد بن علي بن محمد بن محمد ابن علي بن حجر الكناني شهاب الدين العسقلاني،(ت- ٨٥٢هـ)، ط/١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان ، (ذكر جمل من الأخبار الشاهدة لسعة حفظه وسيلان ذهنه واطلاعه على العلل)، ١: ٤٨٧، تغليق التعليق، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، (ت-٨٥٢هـ)، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، ط/١، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي , دار عمار، بيروت، الأردن- عمان، ٥: ٤١٨.

[4] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين عبد الملك المتقي الهندي، (ت-٩٧٥هـ)، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، (جامع الأمكنة)، (٣٨٢٧٠)، ١٤: ١٧١.

[5] قَالَ اِبْن حِبَّان: مَعْنَى قَوْله: كَانَتْ فَلْتَة. أَنَّ اِبْتِدَاءَهَا كَانَ عَنْ غَيْر مَلَأ كَثِير، وَالشَّيْء إِذَا كَانَ كَذَلِكَ يُقَال لَهُ: الْفَلْتَة فَيُتَوَقَّع فِيهِ مَا لَعَلَّهُ يَحْدُث مِنْ الشَّرّ بِمُخَالَفَةِ مَنْ يُخَالِف فِي ذَلِكَ عَادَة. ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (باب رجم الحبلى في الزنا) ٣: ٢٠٣.

فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الأَمْرُ إِلاَّ لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايِعُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَهْوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا، فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا، كَانَ وَاللَّهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي لاَ يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، اللَّهُمَّ إِلاَّ أَنْ تُسَوِّلَ إِلَيَّ نَفْسِي عِنْدَ الْمَوْتِ شَيْئًا لاَ أَجِدُهُ الآنَ. فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ، وَعُذَيْقُهَا الْمُرَجَّبُ[1]، مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ. فَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ حَتَّى فَرِقْتُ مِنَ الاِخْتِلاَفِ، فَقُلْتُ ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ. فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ، وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ، ثُمَّ بَايَعَتْهُ الأَنْصَارُ، وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَقُلْتُ: قَتَلَ اللَّهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، قَالَ عُمَرُ: وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا مِنْ أَمْرٍ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا الْقَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ أَنْ يُبَايِعُوا رَجُلاً مِنْهُمْ بَعْدَنَا، فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَى مَا لاَ نَرْضَى، وَإِمَّا نُخَالِفُهُمْ فَيَكُونُ فَسَادٌ، فَمَنْ بَايَعَ رَجُلاً عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُتَابَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ[2]، وفي آخر ما قال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه مخاطباً سعداً: وَلَقَدْ عَلِمْتَ يَا سَعْدُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ وَأَنْتَ قَاعِدٌ: قُرَيْشٌ وُلاَةُ هَذَا الأَمْرِ، فَبَرُّ النَّاسِ تَبَعٌ لِبَرِّهِمْ، وَفَاجِرُهُمْ تَبَعٌ لِفَاجِرِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: صَدَقْتَ، نَحْنُ الْوُزَرَاءُ وَأَنْتُمُ الأُمَرَاءُ[3].

التجديد في الدين:

كثيراً من الوقائع بعده صلى الله عليه وسلم لم تندرج في النصوص الثابتة، فقاسوا بما ثبت[4]، وهذا معنى التجديد في الدين، والإسلام كإسلام لا يتغير، لكن فهم المسلمين للإسلام في بعض الحقب والظروف يحدث أن يتخلف عن مسايرة التطور الفكري والاجتماعي، وتتراكم عليه مجموعة من الأفكار والتصورات التي تعد عن فهم متخلف من قبل بعض المسلمين، ولكنهم ينسبونها إلى الإسلام، لذا يحتاج الفكر الإسلامي إلى إزالة ما تراكم عليه من غبار، وهذه الحالة توجد في مختلف المدارس الفكرية والدينية وعلى الصعيد الإسلامي، وكل المذاهب الإسلامية أيضا في الحالة الإيجابية تعيش حالة التجديد، قَالَ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا[5]، وقد لا يكون المقصود بمائة سنة المدة الزمنية المحددة[1].

---

[1] الْعُذَيْق تَصْغِير عَذْق وَهُوَ النَّخْلَة، وَالْمُرَجَّب، أَيْ يُدَعَّم النَّخْلَة إِذَا كَثُرَ حَمْلهَا، وَالْجُذَيْل بِالتَّصْغِيرِ، وَالْجَدَل عُود يُنْصَب لِلْإِبِلِ الْجَرْبَاء لِتَحْتَكّ فِيهِ، فَأَرَادَ أَنَّهُ يُسْتَشْفَى بِرَأْيِهِ، ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا) ٥: ٤٤٤.

[2] الجامع الصحيح المختصر، البخاري، (١٦– باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت)، (٦٤٤٢)، ٦: ٢٥٠٣.

[3] مسند أحمد، أحمد بن حنبل، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره رجاله ثقات رجال الشيخين وهو مرسل، (مسند الصديق)، (١٨)، ١: ٥، السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف– الرياض، صححه، (١١٥٦)، ٣: ١٤٦.

[4] المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم، المعهد العلي للفكر الإسلامي، ط/٢، ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م، الدار العالمية للكتاب الإسلامي– الرياض، ص: ٥١.

[5] سنن أبي داود، ابن الأشعث السجستاني، (باب في أمارات الملاحم)، (٤٢٩١)، ،٢: ٣١٢، السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف– الرياض، صححه، (٥٩٩)، ٢: ١٤٨، المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني،

والفكر الإسلامي يقبل إعادة النظر والمراجعة والتعديل والتطوير...في كل مرحلة وذلك وفق الضوابط الإسلامية وفي إطار التمييز الثابت والمتغير في الإسلام[٢]، والتجديد عن طريق الاجتهاد هو التجديد الأصيل الذي لا يجوز الخلاف فيه...والفكر الإسلامي يملك إمكانيات التجديد المستمر وسيظل هو الأمل الذي لا خيار لنا في تجاوزه[٣]، ولم ينل أعداء الإسلام...أخطر من نقاوة وأصالة الفكر، كما لم يجاهد العلماء العاملون لأمر أهم من المحافظة على سلامة الفكر الإسلامي من الانحراف والتشويش، وقد دخل في فكرنا الكثير من الفكر الدخيل الذي لا يمتّ إلى الإسلام بصلة وأصبح من الصعب معه تمييز ما هو من الإسلام عما أُدخل عليه، وقد نبت في تربة هذا الفكر الهجين المختلط الكثير من المذاهب والآراء والتصورات المنحرفة في التأريخ الإسلامي، سواء في المجال العقائدي أو الفقهي أو الأخلاقي أو السياسي[٤].

عصر الخلافة الراشدة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيَّةً فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ ثُمَّ سَكَتَ[٥]. قَالَ صلى الله عليه وسلم: خِلاَفَةُ النُّبُوَّةِ ثَلاَثُونَ سَنَةً ثُمَّ يُؤْتِى اللَّهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ[٦]، اخْتَصَّ الْأَئِمَّة الرَّاشِدُونَ مِنْهُمْ بِخَصِيصَةٍ فِي الْخِلَافَة وَهِيَ: خِلَافَة النُّبُوَّة وَهِيَ الْمُقَدَّرَة بِثَلَاثِينَ سَنَة: خِلَافَة الصِّدِّيق: سَنَتَيْنِ وَثَلَاثَة أَشْهُر وَاثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَخِلَافَة عُمَر

(ت-٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين- القاهرة، ١٤١٥هـ، (٦٥٢٧)، ٦: ٣٢٤.

[١] أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، تقديم العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ص: ١٩٧.

[٢] دور أهل الحل والعقد في النموذج الإسلامي لنظام الحكم، د. فوزي خليل، ط/ ١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، سلسلة الرسائل الجامعية ٢٨، المعهد العلي للفكر الإسلامي- القاهرة، ص: ٦٤.

[٣] تجديد الفكر الإسلامي، أعمال الندوة التي نظمتها مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، أيام ٤-٥ شعبان ١٤٠٧هـ- ٣-٤ أبريل ١٩٨٧م، منهج التجديد في الفكر الإسلامي، د. فاروق النبهان، مدير دار الحديث الحسنية-الرباط، ص: ٥٥، ٦١.

[٤] نظرات حول الإعداد الروحي، الشهيد الشيخ حسين معن، مقدمة بقلم سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي، ٣: ١.

[٥] مسند أحمد، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، (حديث النعمان بن بشير)، (١٨٤٣٠)، ٤: ٢٧٣، السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض، (صحيح)، (٥)، ١: ٨.

[٦] سنن أبي داود، ابن الأشعث السجستاني، (٩- باب في الخلفاء)، (٤٦٣٦, ٤٦٣٧)، ،٢: ٤٠١، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، صحيح، (٥٥٦٨)، ص: ٥٥٧.

بْن الْخَطَّاب: عَشْر سِنِينَ وَسِتَّة أَشْهُر وَأَرْبَع لَيَالٍ وَخِلَافَة عُثْمَان: اِثْنَتَيْ عَشْر سَنَة إِلَّا اِثْنَيْ عَشَر يَوْمًا، وَخِلَافَة عَلِيّ: خَمْس سِنِينَ وَثَلَاثَة أَشْهُر إِلَّا أَرْبَعَة عَشَر يَوْمًا. وَقُتِلَ عَلِيّ سَنَة أَرْبَعِينَ. فَهَذِهِ خِلَافَة النُّبُوَّة ثَلَاثُونَ سَنَة[1].

سمات العصر الراشد:

حينما نتناول الشريعة الإسلامية أحكام العبادات تتسم باليسر والسماحة، وحينما نتناول بيان حقوق الناس تتسم بالدقة والحيطة والتحديد، وحينما نتناول الحدود والعقوبات تتسم بالاحتياط في وسائل إثبات موجب العقوبة، بالعنف الرادع في إقامتها[2]، وإنَّ الأحكام المتمحضة في العبادية في الشرعية الإسلامية بالنسبة إلى الأحكام المجعولة لحفظ النظام قليلة جداً، وأما الأحكام المجعولة لحفظ النظام وهي أكثرها[3]، وصار العصر الراشدي مع عصر النبوة معلماً بارزاً ونموذجاً مكتملاً، تسعى الأمة الإسلامية وكل مصلح إلى محاولة الوصول إلى ذلك المستوى الرفيع، لرفع الأمة إلى مستوى ذلك العصر أو قريباً منه، ويجعله معلماً من معالم التأسي والقدوة للأجيال الإسلامية، ومن ثم صار كل مصلح وكل حاكم عادل وكل إمام مجتهد يقاس بهذا العصر ويوزن بميزانه.

مناط الأحكام:

إنَّ الأحكام الشرعية منها ما هو منوط بالخليفة، ولا يجوز لغيره أن ينفذه، ومنها ما هو منوط بالأفراد، ومنها ما هو منوط بالأفراد ويقوم به الخليفة إن قصروا، ومنها ما هو منوط بالخليفة ويجوز للأفراد في حالات، ومنها ما هو منوط بجماعة من المسلمين، والإسلام بوصفهه نظاماً كاملاً للحياة، أناط بالدولة الإسلامية القيام برعاية شئون الأمة في مختلف الميادين، ومكنها من الوسائل الكفيلة بتحقيق هذه الرعاية[4]، وثبت في أصول الفقه أنَّ ذكر الحكم مقروناً بالوصف المناسب له يدل على كون ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف، فهاهنا حكم تعالى بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة، فوجب كون تلك الخيرية معللة بهذه العبادات[5]، ولعل أشهر الدراسات التي ظهرت في العصر الحديث –والتي تعارض وجوب نصب الإمام– إنما هي كتاب الإسلام وأصول الحكم –بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام– عام ١٩٢٥م، وقد أصدره الشيخ علي عبد الرازق، وكانت الفكرة الجوهرية في الكتاب –بل الخطيرة– هي دعوى الشيخ أن الإسلام دين، لا دولة، ورسالة روحية، لا علاقة لها بالحكومة

---

[1] تَهْذِيْبُ سُنَنِ أَبِي دَاودَ وَإيضاحِ مُشكِلاتِهِ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ، المعروف بابن قيم الجوزية (شمس الدين، أبو عبد الله، (٧٥١هـ)، ط/١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م،حققها وعلق عليها وخرج أحاديثها: إسماعيل بن غازي مرحبا،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض، ١١: ٥٠.

[2] أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير- الإستشراق- الاستعمار، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/٨، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، دار القلم- دمشق، ص: ٢٩٦.

[3] نهاية الأصول، الشيخ المنتظري، معاصر، ط/١، ١٤١٥، القدس – قم المقدسة، ص: ٥٥٣.

[4] مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، أسامة بن الزهراء عضو في ملتقى أهل الحديث، تجلي مرونة الفقه الإسلامي أمام التحديات المعاصرة، الأستاذ محمد الأزرق، ٦: ١٢٣٠.

[5] تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ، (ت- ٦٠٦هـ)، ط/٣، ٨: ١٩١.

والسياسة الدنيوية، وعمارة الكون، وتنظيم المجتمعات، وأن نبي الإسلام لم يؤسس دولة، ولم يرأس حكومة، ولم يؤسس مجتمعاً، ولم يدع إلى شئ من ذلك، بل كان رسولاً فقط، ما عليه إلا البلاغ[1]، وخطورة هذه الفكرة تؤدي إلى عزل أكثر الأحكام المنوط بالخليفة.

الشورى:

لغةً: التَّشَاوُرُ[2]، و**اصطلاحاً**: استطلاع رأي الأمة أو من ينوب عنها في الأمور العامة المتعلقة بها[3]، ومن صور الشورى ما جاء في قول عمر رضي الله عنه: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلاً مِنْكُمْ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَوْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلاَنًا. فَلاَ يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً[4] وَتَمَّتْ أَلاَ وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، مَنْ بَايَعَ رَجُلاً عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلاَ يُبَايَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ[5].

قال أبو بكر رضي الله عنه: رأيت أني أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ويجعل الله كلمته العليا مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر لأنه من هلك منهم هلك شهيداً ﴿ **وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ**﴾ (سورة آل عمران: ١٩٨)، ومن عاش عاش مدافعاً عن المسلمين مستوجباً على الله ثواب المجاهدين وهذا رأيي الذي رأيت فأشار امرؤ علي برأيه، فقام عمر بن الخطاب فقال:...والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي رأيت فما قضى أن يكون حتى ذكرته[6]، وقد بلغ من اهتمام الصحابة بالشورى، وأخذهم بها وإدراكهم ضرورتها أن أن أول إجماع للصحابة ما جرى يوم الشورى في سقيفة بني ساعدة لانتخاب الخليفة، ومن لوازم الطاعة المعاضدة والمناصرة في أمور الدين وجهاد العدو قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ (سورة المائدة: ٢)، ولا أعلى من معاونة الأمام على إقامة الدين ونصرته.

جهاز الحكم:

إنّ الإسلام ليس مجرد تفكير وتدبّر وخشوع يتحرك في داخل العقول والقلوب، وإنّما هو منهج حياة، يحتاج إلى جهاز حكم يدير شؤون الرعية، وجهاز الحكم: حكاماً أو موظفين، خليفة أو من دونه.

والخليفة هو الذي يصدر إلى الأجهزة، ويتلقى ما يَرِد من الأجهزة، ويتوسع هذا الجهاز كلما استجدت من أمور ومسائل في حياة المسلمين، وإن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيهما من القواعد الكلية،

---

[1] الإمامة وأهل البيت، محمد بيومي مهران، ط/٢، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، مركز الغدير، (حكم الإمامة)، ١: ٤٤.

[2] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر- محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (الشين)، ١: ١٠٣٦.

[3] الشورى وأثرها في الديمقراطية، د. عبد الحميد إسماعيل الأنصاري، ٢٠٠٠م، دار الفكر العربي- مصر، ص:٤.

[4] قَالَ اِبْن حِبَّان: مَعْنَى قَوْله: كَانَتْ فَلْتَة. أَنَّ اِبْتِدَاءَهَا كَانَ عَنْ غَيْر مَلَأ كَثِير، وَالشَّيْء إِذَا كَانَ كَذَلِكَ يُقَال لَهُ: الْفَلْتَة فَيُتَوَقَّع فِيهِ مَا لَعَلَّهُ يَحْدُث مِنْ الشَّرّ بِمُخَالَفَةِ مَنْ يُخَالِف فِي ذَلِكَ عَادَة. ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (باب رجم الحبلى في الزنا) ٣: ٢٠٣.

[5] الجامع الصحيح المختصر، البخاري، (١٦- باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت)، (٦٤٤٢)، ٦: ٢٥٠٣.

[6] كنز العمال، المتقي الهندي، (بعث الروم)، (١٤١٧٢)، ٥: ٦٦٩.

والمقاصد الشرعية، ما يستوعب مستجدات كل زمان، وما يصلح أحوال كل مكان. وهذا الذي فعله الخلفاء الراشدون من خلال تعاملهم مع مستجدات عصورهم لما اتسعت فتوحاتهم في مشارق الأرض ومغاربها، فالاجتهاد في فروع الشريعة والمسائل المختلف فيها وترجيح ما يقتضي الدليل ترجيحه والنظر في مستجدات الحياة والاجتهاد في بيان حكمها أمر واجب على أهل العلم والنظر، والحاجة داعية إليه. وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم للحاكم المجتهد أجرين إن أصاب الحق، وأجراً واحداً إن زلت قدمه عن طريق الصواب[١]، ولقد كان للمجتمع المسلم واهتمامه بموقف الشريعة إزاء المسائل الطارئة ومراجعته لفقهاء العصر الأثر البالغ في تقدم الفقه وتبحر الفقهاء في مختلف العلوم، ومن ثم تضاعف أعداد المجتهدين[٢]، فالجهل بشروط التنزيل للعلم على الوقائع المستجدة، والغفلة عن مقاصد الشرع، جعل عند متزمتي الفقهاء أن يقفوا عند حدود ظاهر النص ولا يتعداه، ويستشكل مع ذلك عَدو الشريعة عن متابعة ومواكبة مستجدات مشاكله[٣].

تعيين الولاة والعمال:

لما ولي أبو بكر قال أبو عبيدة: أنا أكفيك بيت المال، وقال له عمر: أنا أكفيك القضاء، وكان يكتب له علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان فإن غابوا كان يكتب له من حضر، وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد، وكان على الطائف عثمان بن أبي العاص، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف وأقره أبو بكر وعمر، وكان على صنعاء المهاجر بن أمية، وكان على حضرموت زياد بن لبيد الأنصاري وعلى الجند معاذ بن جبل، وهو أحد الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي، ولاه النبي صلى الله عليه وسلم البحرين، وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عليها فأقره أبو بكر ثم عمر، وكان له أثر عظيم في قتال أهل الردة في البحرين، وكان بالشام أبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة[٤]، وكان على العراق المثنى بن حارثة الشيباني[٥]. ومعيقيب بن أبي فاطمة الدويسي كان على خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستعمله أبو أبو بكر وعمر رضى الله عنهما على بيت المال[٦]، أما خالد بن الوليد رضي الله عنه فقد أمَّره الصديق رضي الله عنه على قتال مسيلمة الكذاب والمرتدين باليمامة، وله الآثار المشهورة في قتال الروم بالشام والفرس بالعراق وهو

---

[١] موسوعة البحوث والمقالات العلمية، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود، (الاستنفار للذب عن الصحابة الأخيار)، ص:٩.

[٢] الاجتهاد والتقليد، الإمام الخميني تحقيق ونشر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ط/١، مطبعة مؤسسة العروج، ص: ٦.

[٣] مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، أسامة بن الزهراء عضو في ملتقى أهل الحديث، (سبيل الاستفادة من النوازل)، ١١: ٥٢٥.

[٤] تاريخ الأمم والملوك، (تأريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، (ت- ٣١٠هـ)، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، ط/١، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية- بيروت، (أسماء قضاته وكتابه وعماله على الصدقات)، ٢: ٦١٧.

[٥] تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، (باب ذكر وقعة اليرموك ومن قتل بها)، ٢: ١٦٣.

[٦] المجموع شرح المهذب، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، (ت- ٦٧٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، (كراهية عد الآي في الصلاة وكراهية التثاؤب)، ٤: ٩٩.

أول من أخذ الجزية من الفرس في صلح الحيرة وافتتح دمشق[1]، وكان زيد رضي الله عنه يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي، ويكتب له أيضا المراسلات وكان يكتب لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في خلافتهما، وكان عمر يستخلفه إذا حج، وكان معه حين قدم الشام، وهو الذي تولى قسم غنائم اليرموك[2].

طاعة أُوْلِي الْأَمْرِ:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ (سورة النساء: ٥٩)، وطاعة أولي الأمر، تكون فيما يأمر وينهى، ويبرم من معاهدات، فأبو بكر رضي الله عنه عندما ولي الخلافة وقف خطيباً وقال:...أَطِيعُونِي مَا أَطَعْت الله وَرَسُوله فَإِذا عصيتُ الله وَرَسُوله فَلَا طَاعَة لي عَلَيْكُم[3]، وأكدّ الرسول صلى الله عليه وسلم وبيّن نصوص الكتاب، التي طلبت طاعة أولي الأمر وفَرَضَتْها على من يحمل التابعية لدولة الإسلام، فقال: اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ[4]، وهذا النص هو بيان للطاعة المفروضة من الله تعالى، وعلى هذا الطريق سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، وأجمع الصحابة على طاعتهم في ذلك، فقد وقَّع الخلفاءُ معاهداتٍ مع الروم، وكان المسلون جميعاً يلتزمون بما أمضاه هؤلاء الخلفاء، ومن خلال استعراضنا لنصوص الكتاب، وما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله، وفعله، وبما سار عليه الخلفاء الراشدون من بعده، وأجمع الصحابة عليه، نخلص أنَّ: المسؤول عن رعاية شؤون المسلمين داخلياً وخارجياً في شؤون الحكم، والجهاد، والمعاهدات، وغيرها هو فقط الخليفة فهو صاحب الصلاحية، وصلاحيته مقيدة بأحكام الشرع، فهو الراعي كما قال صلى الله عليه وسلم:...وَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ[5].

محاسبة أُوْلِي الْأَمْرِ:

مما جرى عليه العمل في عهد الراشدين، بل في العهد النبوي نفسه، سؤال أفراد الناس لإمامهم وأميرهم، بل للنبي صلى الله عليه وسلم نفسه، عن سبب تصرفه تصرفاً معيناً، كسؤال بعض الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم عن سبب إعطائه من الغنائم للمهاجرين ما لم يعط مثله للأنصار، وسؤال الحُباب بن المنذر عن سبب نزوله

---

[1] البداية والنهاية، ابن كثير، (٧٧٤)، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، ط/١، ١٤٠٨ – ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، (بعث خالد بن الوليد إلى العراق)، ٦: ٣٧٨، تأريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ٢: ٧٨، بتصرف.

[2] سبل الهدى والرشاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، (ت–٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط/١، ١٤١٤ – ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، (استكتابه زيد بن ثابت)، ١١: ٣٨٣.

[3] مصنف عبد الرزاق، الصنعاني، (باب لا طاعة في معصية)، (٢٠٧٠٢)، ١١: ٣٣٦، البداية والنهاية، ابن كثير، ٥: ٢٤٨، قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح.

[4] الجامع الصحيح المختصر، البخاري، (٤– باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية)، (٦٧٢٣)، ٦: ٢٦١٢..

[5] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (٥– باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم)، (١٨٢٩)، ٣: ١٤٥٩.

حيث نزل في موقعة بدر، كانت الأسئلة أحياناً ترد في معرض التساؤل الذي يطلب الجواب عليه، وأحياناً في معرض الاستفسار، وأخرى في معرض إبداء رأي آخر[1].

وبالرغم من أن محاسبة الحكام وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر داخلة في آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن نصوص أخرى جاءت في السنة صريحة تأمر بمحاسبة الحكام، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ، أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ[2]، فهذا نص في الحاكم ووجوب قول الحق عنده، ووجوب محاسبته، وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على مكافحة الحكام الظلمة مهما حصل في سبيل ذلك من أذى. فقال: سَيِّد الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ، فَقَتَلَهُ[3]. وهذا من أبلغ الصيغ في التعبير عن الحث على تحمل الأذى حتى الموت في سبيل محاسبة الحكام، ومكافحتهم إذا ظلموا، فقد عد رسول الله صلى الله عليه وسلم محاسبة الحكام وقول كلمة الحق لديهم أفضل الجهاد، وعد صلى الله عليه وسلم أن من يقتل لقول كلمة الحق فإنه في مرتبة سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه وهذا يبين لنا مكانة محاسبة الحكام حتى لو كان خليفة، فمحاسبة الحاكم إذنْ فرض على المسلمين، والجور ظلم حرمه الشرع، وكل حرام يزال، ولا يسكت عنه، خصوصاً إذا كان هذا الحرام هو إظهار الكفر البواح، باستبدال الشريعة الإسلامية بغيرها من شرائع الكفر، وتولي الكفار وقتال المسلمين تحت رايتهم. قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (سورة آل عمران: ١٠٤)، ففي الآية بيان أنه فرض كفاية...غير أنَّ الفلاح يختص به القائمون به والمباشرون له، فإن تقاعس عنه الخلق أجمعون وقعدوا عن الإتيان به، عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة، قال تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ*كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ (سورة المائدة: ٧٨، ٧٩)، وهذا غاية في التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر، وقال تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ (سورة الأعراف: ١٦٥)، وروي عن الصديق رضي الله عنه أنه قال: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ (سورة المائدة: ١٠٥)، وإني سمعت رسول الله صلى

---

[1] نظام الإسلام في العقيدة والأخلاق والتشريع، الأستاذ الدكتور مصطفى ديب البغا، ط /٤ ،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦ م، ط/١، ١٩٩١م، منشورات أنس مصطفى البُغَا، دمشق- سوريا، ص: ٢٨٥،٢٨٤.

[2] مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل، تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح، (حديث طارق بن شهاب) (١٨٨٥٠)، ٤: ٣١٥، السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض، (صحيح)، (٤٩١)، (٢)، ١: ٤٩١.

[3] صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني،ط/٥، مكتبة المعارف- الرياض، (١- الترغيب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والترهيب من تركهما والمداهنة فيهما)، (٢٣٠٨)، ٢: ٢٨٥، السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض، (صحيح)، (٣٧٤)، ١: ٣٧٣.

الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه[1]، وقال تعالى في شأن فرعون: ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ**﴾ (سورة الزخرف: ٥٤)، وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ **رضي الله عنه** عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:...أَلا إِنَّ رَحَى الإِسْلامِ دَائِرَةٌ، فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ فَلا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلا إِنَّهُ سَيَكُونُ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ وَحُمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ مَوْتٌ فِي طَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ تعالى[2]، وقالِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ تعالى لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللَّهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا، وقال صلى الله عليه وسلم: مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلاَّ لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ[4]، فمجموع هذه الأدلة تبين مصير الأمة مرتهن بمحاسبة الحكام، والدارس لحياة الصحابة، يتوصل إلى تمسكهم بالأدلة مجتمعة، وقد وصفهم الله سبحانه بالخيرية في آية جامعة مانعة، قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ (سورة آل عمران: ١١٠)، وكما أنَّ للمسلمين حق الشورى على الخليفة، فإنه يجب عليهم محاسبة الحكام على أعمالهم وتصرفاتهم. والله سبحانه وتعالى فرض على المسلمين محاسبة الحكام وأمرهم أمراً جازماً بمحاسبتهم والتغيير عليهم إذا هضموا حقوق الرعية، أو قصّروا بواجباتهم نحوها، أو أهملوا شأناً من شؤونها، أو خالفوا أحكام الإسلام، أو حكموا بغير ما أنزل الله، وقد أنكر الصحابة -في أول الأمر- على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعارضوه، فقد أنكر عمر رضي الله عنه عليه إنكاراً شديداً ما ورد في عقد صلح الحديبية، كما أنكر الصحابة، وعلى رأسهم عمر على أبي بكر عزمه على محاربة المرتدين كما أنكر البعض على وصية أبي بكر لعمر، كما أنكر بلال، والزبير على عمر عدم تقسيمه أرض العراق على المحاربين، وعلى العكس أشار عليٌّ رضي

---

[1] مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، (مسند أبي بكر الصديق)، (١)، ١: ٢، صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، صححه، ط/٥، مكتبة المعارف- الرياض، (١- الترغيب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والترهيب من تركهما والمداهنة فيهما)، (٢٣١٧)، ٢: ٢٨٦.

[2] الْمُعْجَمُ الصَّغِيْرُ لِلطَّبَرَانِيِّ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، (ت-٣٦٠هـ)، تحقيق:محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط/١، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت- عمان، (باب الفاء)، (٧٤٩)، ٢: ٤٣.

[3] مسند أحمد، أحمد بن حنبل، تعليق شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، (حديث عدي بن عميرة الكندي) (١٧٧٥٦)، ٤: ١٩٢.

[4] الجامع الصحيح المختصر، البخاري، (٦- باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه)، (٢٣٦١)، ٢: ٨٨٢، (٤٢- باب بطانة الإمام وأهل مشورته)، (٦٧٧٣)، ٦: ٢٦٣٢.

الله عنه لعمر رضي الله عنه بعدم التقسيم، فَشَاوَرَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: دَعْهُمْ يَكُونُوا مَادَّةً لِلْمُسْلِمِينَ، فَتَرَكَهُمْ[1].

وحدة المسلمين:

ظلت الخلافة الإسلامية رمزاً لوحدة المسلمين في أقطار الأرض، حتى عام (١٩٢٤م)[2]، وذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ كَوْنُ إِمَامَيْنِ فِي الْعَالَمِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَلاَ يَجُوزُ إِلاَّ إِمَامٌ وَاحِدٌ[3]، وَاسْتَدَلُّوا بِخَبَرِ: إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآْخِرَ مِنْهُمَا[4]، وقَوْله تَعَالَى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا**﴾ (سورة الأنفال: ٤٦)، وَوَجْهُ الاِسْتِدْلاَل: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ التَّفَرُّقَ وَالتَّنَازُعَ، وَإِذَا كَانَ إِمَامَانِ فَقَدْ حَصَل التَّفَرُّقُ الْمُحَرَّمُ، فَوُجِدَ التَّنَازُعُ وَوَقَعَتِ الْمَعْصِيَةُ لِلَّهِ تَعَالَى. فَإِنْ عُقِدَتْ لاِثْنَيْنِ مَعًا بَطَلَتْ فِيهِمَا، أَوْ مُرَتَّبًا فَهِيَ لِلسَّابِقِ مِنْهُمَا، وَيُعَزَّرُ الثَّانِي وَمُبَايِعُوهُ إنْ عَلِمُوا بِبَيْعَةِ السَّابِقِ لِارْتِكَابِهِمْ مُحَرَّمًا[5]. وقد أجمع الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الحكم، وهو وِحْدَةُ الخلافةِ، عندما عَرَض الأنصار على المهاجرين قائلين: مِنَّا رَجُلٌ وَمِنْكُمْ رَجُلٌ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: سَيْفَانِ فِي غِمْدٍ وَاحِدٍ إِذًا لاَ يَصْطَلِحَا، وقال أبو بكر: وَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ أَنْ يَكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ أَمِيرَانِ[6]، ثم أجمع الصحابة على مبايعة خليفة واحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبو بكر الصديق[7]، على أن إقامة الدين وتنفيذ أحكام الشرع في جميع شؤون الحياة الدنيا والآخرة فرض على المسلمين بالدليل القطعي الثبوت القطعي الدلالة، ولا يمكن أن يتم ذلك إلاّ بحاكم ذي سلطان، والقاعدة الشرعية: (إنَّ ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب)[8]، فكان نصب الخليفة فرضاً من هذه الجهة أيضاً[1]

---

[1] السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (ت-٤٥٨هـ)، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، ط/١، ١٣٤٤هـ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، (١١٥- باب السَّوَادِ)، (١٨٨٣٣)، ٩: ١٣٤، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (الْغَنِيمَةُ لِمَنْ شَهِدَ الْوَقْعَةَ)،(٢٩٥٧)، ٦: ٢٢٤.

[2] أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير- الإستشراق- الاستعمار، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/٨، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، دار القلم- دمشق، ص: ٣٢٠.

[3] المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، (ت- ٤٥٦هـ)، دار الفكر، حققها الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر، (لا يَحِلُّ أَنْ يَكُونَ فِي الدُّنْيَا إلا إمَامٌ وَاحِدٌ)، (١٧٧١)، ٩: ٣٦٠، الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، (الكلام في الإمامة والمفاضلة بين الصحابة)، ٤: ٧٣، عمدة القاري، العيني، ٢٤: ١١.

[4] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (١٥- باب إذا بويع لخليفتين)، (١٨٥٣)، ٣: ١٤٨٠.

[5] مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، الشربيني، ٤: ١٣٢.

[6] السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، البيهقي، (٢- باب لا يصلح إمامان في عصر واحد)، (١٦٩٩٠, ١٦٩٩١)، ٨: ١٤٥.

[7] الطريقة الشرعية لاستئناف الحياة الإسلامية، محمد حسين عبد الله، ط/ ٢ ، طبعة مزيدة ومنقحة، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م، ص: ١٧.

[8] الشرح الكبير على متن المقنع، عبد الرحمن بن قدامه، (ت-٦٨٢هـ)، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع بيروت- لبنان، ١: ٢٢٠، ٢٢٠، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، محمد بن أحمد الشربيني، (ت- ٩٧٧هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ص: ١٢١، ١٣٤، فتح المعين، المليباري الهندي، (ت- ٩٨٧هـ)، ط/١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،

المصادر والمراجع

١. الاجتهاد والتقليد، الإمام الخميني تحقيق ونشر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ط/١، مطبعة مؤسسة العروج.

٢. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير-الإستشراق-الاستعمار، عبد الرحمن حسن حبنكة، ط/٨، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، تقديم العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، مؤسسة البلاغ، بيروت.

٤. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الماوردي، (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: د. أحمد مبارك البغدادي، ط/١،

٥. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، (ت٦٣١هـ)، تحقيق: تعليق: عبد الرزاق عفيفي، ط/١، ١٣٨٧هـ، ط/٢، ١٤٠٢هـ، المكتب الإسلامي- الرياض، طبع بإذن فضيلة الشيخ المحقق ومؤسسة النور، الرياض.

٦. إعانة الطالبين، أبي بكر المشهور بالسيد البكري ابن السيد محمد شطا الدمياطي، (ت١٣١٠هـ)، ط/١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

٧. الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، محمد بن أحمد الشربيني، (ت٩٧٧هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

٨. الإمامة وأهل البيت، محمد بيومي مهران، ط/٢، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

٩. بدائع الصنائع، مسعود بن أحمد الكاشاني، (ت٥٨٧هـ)، ط/١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، المكتبة الحبيبية- باكستان.

١٠. البداية والنهاية، عماد الدين ابن كثير، (ت٧٧٤هـ)، ط/١،١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، دار التراث العربي، لبنان-بيروت.

١١. تأريخ ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، (ت٨٠٨هـ)، ط/٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

١٢. تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ)، ط/١، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.

١٣. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها، ابن عساكر، (ت٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، ١٤١٥هـ، دار الفكر-

١٤. تجديد الفكر الإسلامي، أعمال الندوة التي نظمتها مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، أيام ٤-٥ شعبان ١٤٠٧هـ- ٣-٤ أبريل ١٩٨٧م، منهج التجديد في الفكر الإسلامي، د. فاروق النبهان، مدير دار الحديث الحسنية-الرباط.

١٥. تحفة الأحوذي، المباركفوري، (ت١٢٨٢هـ)، ط/١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

١٦. تغليق التعليق، ابن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، ط/١، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، الأردن- عمان.

١٧. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (١٣٩٣هـ).

١٨. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي، (ت٦٠٦هـ)، ط/٣.

١٩. تميز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منه، د. إسحاق بن عبد الله السعدي، ط/١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سلسلة الرسائل الجامعية،(٤٩).

٢٠. تهذيب الكمال، المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط/١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م مؤسسة الرسالة- بيروت.

٢١. تَهْذِيْبُ سُنَنِ أَبِي دَاودَ وَإِيضاحِ مُشكِلاتِهِ، ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، ط/١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، حققها وعلق عليها وخرج أحاديثها: إسماعيل بن غازي مرحبا، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض.

٢٢. ثمار الأفكار، الشيخ علي الكوراني العاملي، معاصر، ط/١، ١٤٢٥هـ، دار الهدى للطباعة والنشر.

بيروت- لبنان، ص: ٥١، حواشي الشرواني، الشرواني والعبادي، ١: ٢٠٤، ٢٠٩، ٤: ١٥٩، إعانة الطالبين، الدمياطي، ١: ٤٦، ١٣٣، ٢: ٣٦٣.

[١] الكافي، أبو الصلاح الحلبي، ص: ٣٩، الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي ، ١: ١١٠، الشرح الكبير، عبد الرحمن بن قدامه، ١: ٢٢٠، إعانة الطالبين، الدمياطي، ١:١٣٣.

٢٣. الجامع الصحيح المختصر، البخاري، (ت٢٥٦هـ)، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، ط/٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م،
٢٤. حواشي الشرواني، الشرواني والعبادي، (ت- ١١١٨هـ)، دار إحياء التراث العربي،بيروت- لبنان.
٢٥. الخلافة، الشيخ تقي الدين النبهاني.
٢٦. دور أهل الحل والعقد في النموذج الإسلامي لنظام الحكم، د. فوزي خليل، ط/ ١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، سلسلة الرسائل الجامعية ٢٨، المعهد العلي للفكر الإسلامي- القاهرة.
٢٧. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، (ت-٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض،
٢٨. السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض.
٢٩. سنن أبي داود، (ت٢٧٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، ط/١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دار الفكر.
٣٠. السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، ط/١، ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند.
٣١. سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله الذهبي، (ت-٧٤٨هـ)، ط/٩، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة- بيروت.
٣٢. الشرح الكبير على متن المقنع، عبد الرحمن بن قدامه، (ت-٦٨٢هـ)، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع بيروت- لبنان.
٣٣. شرح معاني الآثار، الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، ط/ ١، ١٣٩٩هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.
٣٤. الشورى وأثرها في الديمقراطية، د. عبد الحميد إسماعيل الأنصاري، ٢٠٠٠م، دار الفكر العربي- مصر، ص:٤.
٣٥. صحيح ابن خزيمة، (ت٣١١هـ)، تحقيق وتخريج: د.محمد مصطفى الأعظمي، ط/٢، -١٩٩٢م، المكتب الإسلامي.
٣٦. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني،ط/٥، مكتبة المعارف- الرياض.
٣٧. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٣٨. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، (ت٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، ط/١، ١٩٦٨م، دار صادر- بيروت.
٣٩. طبقات المحدثين بأصبهان، عبد الله بن حبان، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، ط/٢، ١٤١٢هـ،
٤٠. الطريقة الشرعية لاستئناف الحياة الإسلامية، محمد حسين عبد الله، ط/ ٢، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م، ص: ١٧.
٤١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، (ت- ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي.
٤٢. غياث الأمم في التياث الظلم، أبو المعالي عبد الملك الجويني، تحقيق: د. مصطفى الحيني، د. فؤاد عبد المنعم،،
٤٣. فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، ط/٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
٤٤. فتح المعين، المليباري الهندي، (ت٩٨٧هـ)، ط/١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، دار الفكر، بيروت- لبنان.
٤٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري ، (ت٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي- القاهرة.
٤٦. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد محمد الصلابي.
٤٧. الكافي في فقه الإمام المبجل ابن قدامة المقدسي ،(ت٦٢٠هـ)، ط/١، ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.
٤٨. الكافي، أبو الصلاح الحلبي، (ت٤٤٧هـ)، تحقيق: رضا أستادي، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (ع) العامة، أصفهان.
٤٩. كشاف القناع، البهوتي، (ت١٠٥١)، تحقيق وتقديم: كمال عبد العظيم العناني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط/١، : ١٤١٨- ١٩٩٧ م، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
٥٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين عبد الملك المتقي الهندي، (ت٩٧٥هـ)، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان.
٥١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، ١٤٠٥هـ، أدب الحوزة، إيران - قم.

٥٢. مجلة البيان، مجلة إسلامية- شهرية- جامعة، تصدر عن المنتدى الإسلامي، رمضان- ١٤٢٦هـ، (السنة: ٢٠)، العدد، ٢١٧، مقالة بعنوان: حقيقة الشورى بين الإتباع والادعاء، محمد بن شاكر الشريف.
٥٣. مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، أسامة بن الزهراء عضو في ملتقى أهل الحديث، تجلي مرونة الفقه الإسلامي أمام التحديات المعاصرة، الأستاذ محمد الأزرق.
٥٤. مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، أسامة بن الزهراء عضو في ملتقى أهل الحديث،
٥٥. مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (ت٧٢٨هـ)، جمع وترتيب عبد الرحمن العاصمي النجدي، ط/ ١، مطبعة الرياض.
٥٦. المجموع شرح المهذب، يحيى بن شرف النووي، (ت٦٧٦هـ)، دار الفكر-بيروت.
٥٧. المحلى بالآثار، لابن حزم الأندلسي، (ت٤٥٦هـ)، دار الفكر، طبعة مصححة.
٥٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة-القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام وتعليق شعيب الأرنؤوط عليها.
٥٩. المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد- الرياض، ط/١، ١٤٠٩هـ.
٦٠. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت-٦٢٦هـ)، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٦١. الْمُعْجَمُ الصَّغِيْرُ لِلطَّبْرَانِيِّ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، (ت-٣٦٠هـ)، تحقيق:محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط/١، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت- عمان.
٦٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر- محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
٦٣. مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، محمد بن أحمد الشربيني، ١٩٥٨م، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.
٦٤. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم، المعهد العلي للفكر الإسلامي، ط/٢، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، الدار العالمية للكتاب الإسلامي- الرياض.
٦٥. مقدمة فتح الباري، ابن حجر العسقلاني،(ت- ٨٥٢هـ)، ط/١، ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
٦٦. موسوعة البحوث والمقالات العلمية، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود، (الاستنفار للذب عن الصحابة الأخيار).
٦٧. موقف الصحابة من أحداث العنف في عهد الخلفاء الراشدين إعداد: د. حصة بنت عبد الكريم الزيد.

شبهات المستشرقين والمستغربين حول متن الحديث والرد عليها

أ.د. مجاهد مصطفى بهجت

أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا

ماليزيا

د. عفاف عبد الغفور حميد

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة

الإمارات

mujahidbahjat@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن والاه وتبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

تأتي فرضية البحث لتقرر أن النص النبوي يتفق مع القرآن أولاً لأنهما من مصدر واحد {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}، والحديث كذلك يتفق مع العقل والواقع وليس كما يزعم بعض المستشرقين والمستغربين أن الحديث يعارض القرآن والعقل والواقع.

وتأتي أسباب اختيار البحث كامنةً في أهمية متن الحديث النبوي لأنه مصدر التشريع بعد القرآن الكريم، وقد جاءت معايير توثيق الحديث التي طبقت عليه دقيقة لاعتبارها بمنزلة الوحي القرآني في التلقي عنها، ومن هنا وجب الرد على هذه الشبهات بعد إنكارها ودحضها بالأدلة العلمية.

ومن أهداف البحث تحقيق هدف الندوة بالكشف عن شبهات المستشرقين والمستغربين حول الحديث النبوي والرد عليها، دفاعاً وذوداً عن السنة النبوية التي لم تنقطع الشبهات عنها بانتهاء الاستشراق، بل استمرت مع جيل تلاميذ المستشرقين من المستغربين والحداثيين.

وتأتي أهمية البحث في الرد على المنحرفين وكشف باطلهم ليتبين العقلاء تلك الشبهات وأخطارها، وخاصة الطلبة والدراسين من الأجيال الجديدة والمسلمين عامة، وليكون هذا البحث ضمن جهود الباحثين وإسهاماتهم في هذه الملتقى لتحقيق نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وحدود البحث ضمن شبهات الاستشراق والاستغراب حول متن الحديث، والمنهج المتبع هو المنهج المكتبي القائم على الوصف والعرض للشبهات مع المنهج التحليلي في الرد على تلك الشبهات.

وستكون ورقة البحث في تمهيد ومحورين وخاتمة:

التمهيد: بيان مصطلحات البحث

المحور الأول: بيان شبهات المستشرقين والرد عليها.

المحور الآخر: بيان شبهات المستغربين والرد عليها.

الخاتمة: الخلاصة والتوصيات.

وأخيراً نحيّي هذه اليقظة الإسلامية والنهضة الفكرية الواعدة في التواصل بين الحاضر والماضي، ونبارك لأكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا جهودها الكبيرة في رعاية المؤتمر، وندعوه تعالى أن يبارك في الهمم العالية ويوفق ولاة الأمور الغيورين على تراثهم لسلوك طريق السداد والرشاد وبلوغ سلم العلو والرفعة وتحقيق المثال والكمال.

تمهيد

بيان مصطلحات البحث

مصطلحات عنوان البحث المهمة هي: المتن والاستشراق والاستغراب والحداثة وهذا بيان وتوضيح لها.

الاستشراق لغةً واصطلاحاً:

الاستشراق لغة: كلمة مشتقة من كلمة (شرق)، يقال: "شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت"[١]، وكلمة الشرق والمشرق (بكسر الراء)، اسم الموضع، أي جهة شروق الشمس[٢]، فالكلمة إذن مشتقة من كلمة شرق أي ناحية شروق الشمس، والهمزة والسين والتاء للطلب أي طلب مافي الشرق.

المستشرق لغة: من طلب الشرق واتجه إلى تعلم لغته وآدابه، وفي معجم المنجد "المستشرق: العالم باللغات والآداب الشرقية"[٣]، ويطلق لفظ الشرق عادة على المنطقة العربية ومناطق شعوب آسيا وأفريقيا، أما لفظ الشرق الأوسط فيطلق على المنطقة العربية فقط، وفي العصر الحاضر أطلق لفظ العالم الثالث على تلك الشعوب التي كان يطلق عليها في الماضي العالم الشرقي، أو دول الشرق[٤].

الاستشراق اصطلاحاً: جاءت لكلمة الاستشراق تعريفات اصطلاحية كثيرة، ولا نجد تعريفاً جامعاً مانعاً لها، وذلك لتغير المفهوم بمرور الزمان وتجدد المعارف، ونختار منها تعريفين بارزين هما:

"المحاولة التي قام بها ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الحضارة الإسلامية، وثقافة الشرق وعلومه"[٥]، و"دراسة علوم الشرق، وهو حركة علمية غربية تستهدف التعرف على حضارات الشرق وأديانه ولغاته وتاريخه وعلومه واتجاهاته النفسية، وأحواله الاجتماعية ليسهل التعامل مع العقلية العربية الإسلامية، وكذا السيطرة عليها وتدمير مقوماتها"[٦].

ويتضح من التعريف أن للاستشراق مفاهيم متداخلة ومتكاملة، فهو يتناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل، من قبل علماء الغرب، والتعرف على التمييز المعرفي والعرقي بين الشرق والغرب، وتركزت كتابات الاستشراق حول الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية بصورة خاصة، وفي مقدمة ذلك دراسة لغات الشرق التي هي وسيلة للتعرف على عقائده وتراثه وحضارته، وهو ما أنتج لنا – على اختلاف دوافعه– ما يطلق عليه الاستشراق.

ويرى بعض المفكرين بأنه على الرغم من اعتبار الاستشراق علماً من العلوم الإنسانية فإنه لا يتمتع كبقية العلوم الأخرى بصفات الديمومة والثبات والاستقرار، ولذلك يمكننا أن اطلاق اسم (الظاهرة) عليه[٧]، ويؤكد بعض الباحثين أن "الاستشراق في دراسته للإسلام ليس علماً بأي مقياس علمي، وإنما هو "أيديولوجية " خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق، أو مرتكزة على أوهام وافتراءات"[٨].

---

[١] لسان العرب، ابن منظور، ١٠ / ٢١٧٣، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٢/١١٩٠.

[٢] المصباح المنير، ١/ ٣٣٢، ومختار الصحاح ص ٣٣٦.

[٣] المنجد في اللغة، لويس معلوف، ص ٣٨٤.

[٤] عقائد وتيارات فكرية معاصرة، مجموعة مؤلفين، ص ١٥٥.

[٥] المصدر السابق، ص ١٥٥.

[٦] الاتجاهات الفكرية المعاصرة، علي جريشة، ص ١٥. الثقافة الإسلامية، د. حامد محمود اسماعيل، ص ٣١٧.

[٧] الظاهرة الاستشراقية، ساسي سالم الحاج، ص ٢٠، نقلاً عن أمامة محمد سالم الحبال، موقف المستشرقين من السنة، ص٥٦.

[٨] الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، ص ١٢.

أما **المستشرقون**: فيطلق على المفكرين المشتغلين بدراسة علوم الشرق وتاريخه وحضارته، وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[٩]، وبصورة أدق: هم المفكرون الغربيون الذين عنوا بالدراسات الإسلامية، والتراث الإسلامي، وعلى هذا فالمستشرق لا يكون شرقياً ولا عربياً، مسلماً كان أم غير مسلم[١٠].

ومعنى التعريف هو دراسة غير الشرقيين لأحوال الشرق بكل جوانبه، هذا هو المفهوم الواسع، ولكن ما يعنينا هو المعنى الخاص للاستشراق والمستشرقين، وهو الدراسات والأبحاث الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، والفكر الإسلامي أو أي من علومه بشكل خاص.

الاستغراب لغةً واصطلاحاً:

الاستغراب لغة: استغرب في الضحك وأغرب إذا أكثر منه... وفي الحديث أنه "ضحك حتى استغرب" أي بالغ فيه. وقيل إن الاستغراب هو القهقهة. وفي مذهب أبي حنيفة من استغرب ضاحكا في الصلاة أعاد الصلاة والوضوء. واستغرب الدمع: سال[١١].

الاستغراب اصطلاحاً: المعنى الاصطلاحي بعيد عن الأصل اللغوي وإن كان الاشتقاق يسمح به والمقصود بالاستغراب طلب الغرب والميل إليه والتعلق بثقافته. يقول أبو الأعلى المودودي: "المستغربون: المائلون إلى الغرب المفتتنون بحضارته، هكذا استعمل هذه الكلمة الكاتب الكبير محمد البشير الابراهيمي في بعض مقالاته في مجلة "البصائر"، فاخترناها على غيرها من الكلمات في هذا المعنى كالمتغربين والمتفرنجين"[١٢]. وقد ذكر الدكتور مصطفى السباعي المستغربين مع المستشرقين في مقدمة كتابه فقال: "هذا ولم يقتصر اهتمام المستشرقين والمستغربين على دراسة التاريخ الإسلامي وتشويهه..."[١٣].

ويوجه الدكتور عبدالعظيم الديب خطابه إلى المستغربين مبينا ملامحهم فيقول: "يجيء كلامنا موجها إلى (المستغربين) لا إلى المستشرقين، إلى جماعة من أبناء أمتنا، ينطقون لغتنا، ويتكلمون بلساننا، ولهم ملامحنا وسماتنا، ولكن قلوبهم غير قلوبنا، فقد استلبوا حضاريا وثقافيا، وسقطوا في أسر الحضارة الغازية..."[١٤].

وبيّن بعض المستشرقين وهو هاملتون جب أكبر العوامل في صناعتهم للمستغربين فقال: "والتعليم أكبر العوامل الصحيحة التي تدعو إلى الاستغراب، ولسنا نستطيع الوقوف على مدى الاستغراب في العالم الإسلامي إلا بمقدار دراسته للفكر الغربي وللمبادئ والنظم الغربية، ولكن هذا التعليم ذو أنواع كثيرة تقوم بها جهات متعددة، وبالطبع لابد أن هناك بالفعل قليلا من التعليم على الأسلوب الأوربي في المدرسة، وفي الكلية الفنية وفي الجامعة، وعلى هذا التعليم يتوقف كل ماعداه"[١٥].

---

[٩] عقائد وتيارات فكرية معاصرة، ص ١٥٥.

[١٠] راجع الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة، عمر فروخ، ص ١٢٥.

[١١] راجع لسان العرب، ابن منظور، بيروت مادة غرب ٢/ ٩٦٧.

[١٢] الحجاب، أبو الأعلى المودودي، ط دار المعرفة ص١١٩.

[١٣] الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، مصطفى السباعي، ص٤ ط المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٥٨.

[١٤] المنهج في كتابات الغربيين، عبد العظيم الديب، ص.

[١٥] وجهة الإسلام، هملتون جب، ص١٨، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، المطبعة الإسلامية، القاهرة ١٩٣٤.

وهكذا يمكن القول إن الاستغراب: "ظاهرة نفسية واجتماعية وثقافية معاصرة، يتميز الأفراد الذين يجسدونها بالميل نحو الغرب والتعلق به ومحاكاته. نشأت في المجتمعات غير الغربية – سواء أكانت إسلامية أم لا– على إثر الصدمة الحضارية التي أصابتها قبيل الاستعمار وخلاله".

فإذا كان التغريب عمل ثقافي وسياسي يتولاه المسؤولون في الغرب ومن والاهم من المستشرقين والمستغربين، يهدف إلى طمس معالم الحياة الدينية والثقافية للمجتمعات الإسلامية وغيرها، وإجبار هذه المجتمعات على تقليد الغرب والدوران في فلكه، فإن الاستغراب مرتبط أساسا بالعامل الداخلي، أي بالمكونات الذاتية الاجتماعية والثقافية والسياسية لتلك المجتمعات، حيث أن هذه المكونات – بما تميزت به من انحطاط وتقهقر وجمود– ساعدت على إفراز ظاهرة الاستغراب. يقول أنور الجندي متحدثا عن التغريب: "منذ أن طرح الاستشراق مصطلح (التغريب) في الثلاثينيات من هذا القرن، لفت الأنظار إلى إحدى الغايات الكبرى التي يستهدفها الغزو الثقافي الغربي للفكر الإسلامي، وهي صبغ الثقافة الإسلامية بصبغة غربية، وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص، واحتواؤها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها[١٦].

المتن لغةً واصطلاحاً:

المتن لغة: ما صلب من الأرض وارتفع، يقال متن الشئ أي صلب فهو متن، والمتن من كل شئ: ما صلب ظهره والجمع متان ومتون.

اصطلاحا: قال الطيبي: متن الحديث ألفاظه التي تتقوم بها المعاني. وقال بعضهم: هو ما ينتهي إليه غاية السند من الكلام، واختلفوا هل متن الحديث هو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب، أم هو قول الصحابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا، والأصح والأظهر أن المتن يشمل الاثنين لما تقرر من أن السنة إما قول أو فعل أو تقرير.[١٧]

المحور الأول

بيان شبهات المستشرقين والرد عليها

لقد كان للمستشرقين بناء على حملتهم الشاملة على الإسلام وأهله وعلى تفرغهم المكثف لدراسة التراث الإسلامي المؤسس للحضارة الإسلامية شبهات حول متن الحديث مثلت حلقة من حلقات هذه المؤامرة.

شبهات المستشرق كايتاني وجولدزيهر وغاتون ويت:

أما عن شبهات المستشرقين حول متن الحديث النبوي الشريف فترجع إلى نقد المحدثين بأنهم عولوا على انتقاد السند وأغفلوا انتقاد المتن، وهو منهج ضعيف خال من الموضوعية والشمولية في البحث العلمي. ومن المستشرقين الذين تفرغوا لمناقشة قضية نقد المتون:

---

[١٦] شبهات التغريب في الغزو الفكري، أنور الجندي، ط المكتب الإسلامي، ص٣.

[١٧] راجع أصول الحديث، علومه ومصطلحه، د محمد عجاج الخطيب ص ٣١-٣٢، والمستشرقون والحديث النبوي الشريف، بهاء الدين ص ١٢٨.

كايتاني: فقد عقد فصلاً في كتابه "الحوليات الإسلامية" عرض فيه للحديث: سنده ومتنه فقال فيه: "كل قصد المحدثين ينحصر ويركز في واد جدب ممحل من سرد الأشخاص الذين نقلوا المروي، ولا يشغل أحد نفسه بنقد العبارة والمتن نفسه.

ويقول لكن إذا كان الإسناد كامل النظام محتويا أسماء حسنة: استبعد كل اشتباه وسوء ظن، ويقول سبق أن قلنا إن المحدثين والنقاد المسلمين لا يجسرون على الاندفاع في التحليل النقدي للسنة إلى ما وراء الإسناد، بل يمنعون عن كل نقد للنص إذ يرونه احتقارا لمشهوري الصحابة، وقحة ثقيلة الخطر على الكيان الإسلامي١٨.

ومنهم كذلك بل من أشهرهم المستشرق جولديزيهر، فقد قال "إن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة التطور الديني السياسي والاجتماعي للإسلام في القرن الأول والثاني، وأنه ليس صحيحاً ما يقال من أنه وثيقة للإسلام في عهده الأول عهد الطفولة، ولكنه أثر من أثر الإسلام في عصر النضوج١٩. وقد حاول هذا المستشرق نقد بعض الأحاديث بناء على نقد متنها ليبين حسب زعمه إغفال علماء الحديث التركيز على نقد الحديث حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "لا تشد الرحال إلا ثلاثة مساجد "من أنه على الرغم من الزعم من أنه صحيح السند إلا أنه من خلال نقد متنه ومتابعة الأحداث التاريخية المتمثلة في سوء علاقة عبد الملك بن مروان مع عبد الله بن الزبير، ومحاولة صرف الناس عن الحج إلى الكعبة -التي كان يقيم فيها عبد الله بن الزبير- إلى بيت المقدس كلف أو دفع بالزهري إلى اختلاق هذا الحديث.

ومن المستشرقين الذين طعنوا في متن الحديث المستشرق غاتون ويت فقد قال أنه: قد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجة إلى السند ومعرفة الرجال، والتقائهم وسماع بعضهم من بعض.. إلى أن يقول: لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهة ثم جمعه الحفاظ ودونوه، إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن، ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث وصلنا كما هو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن يضيف عليه الرواة عن حسن نية في أثناء روايتهم٢٠.

الرد على الشبهات حول متن الحديث:

إن ما ادعاه المستشرقون من أن علماء الحديث أولوا أهمية نقد السند ومعرفة الرجال وأخبارهم وسيرهم ورحلاتهم، وأغفلوا نقد المتن معتبرين استيفاء كل حديث شروط عدالة الراوي وصحة السند كاف في الأخذ بالحديث، وأنه لا يجوز بعد هذا أن ننقد الحديث أو نتهجم عليه أو نرفض العمل به، كل هذا يعد كذبا محضا وافتراء على التاريخ والحقائق العلمية، ويكفي في الرد عليهم من أن أساس الخلاف بين المذاهب الإسلامية من حنفية ومالكية وشافعية وحنبلية وظاهرية هو إشكالية التعارض بين الحديث الصحيح سندا وبعض القواعد الاصولية كعمل أهل المدينة عند المالكية أو مخالفة الراوي لما روى عند الحنفية بل أن علماء الحديث أنفسهم وضعوا شروطاً

---

[١٨] دائرة المعارف الإسلامية مادة أصول، نقلا عن المستشرقون والحديث النبوي، د محمد بهاء الدين ص١٢٩-١٣٠.

[١٩] المرجع السابق ص١٤٦.

[٢٠] السنة قبل التدوين، عجاج الخطيب ص٢٥٤.

متعلقة بالسند وشروطا متعلقة بالمتن، وقالوا بأن الحديث لا يعد صحيحاً حتى يجمع بين صحة السند وصحة المتن. فأما في صحة السند فقد اشترطوا ما يأتي:

١. اتصال السند فأخرجوا المنقطع والمعضل والمعلق، والمدلس (بشروط)، وغيرها مما لم تتوافر فيه شروط الاتصال.
٢. أن يكون رواته عدولاً، والعدل من استقام دينه وحسن خلقه، وسلم من الفسق وخوارم المروءة.
٣. أن يكون الرواة ضابطين، والضبط هو تيقظ الراوي حين تحمله وفهمه لما سمعه وحفظه لذلك من وقت التحمل إلى وقت الأداء.
٤. أن يسلم المروي من علة قادحة كإرسال موصول، أو وصل منقطع، أو رفع موقوف، ونحو هذا[٢١].
٥. أن يسلم المروي من علة فادحة كإرسال موصول، أو وصل منقطع، أو رفع موقوف، ونحو هذا.

أما فيما يخص **الشروط المتعلقة بالمتن** فقد اشترطوا شروطا كثيرة منها ما يأتي:

١. أن لا يكون الحديث مخالفاً لصريح القرآن الكريم، فكل ما جاء مخالفاً أو معارضاً للقرآن الكريم من الأخبار فهو باطل.
٢. أن لا يكون مخالفاً لصريح حديث متواتر.
٣. أن لا تكون ألفاظ الحديث ومعانيه ركيكة، والمدار على ركاكة اللفظ أولاً.
٤. أن لا يكون الحديث مخالفاً لصريح العقل، بحيث لا يقبل التأويل، أو يشتمل على ما يدفع الحس ويحكم بكذبه، أو يكون مما تقوم الشواهد على بطالته.
٥. أن لا يشتمل الحديث على كلام لا يشبه كلام الأنبياء (عليهم السلام).
٦. أن لا يشتمل الحديث على المجازفات التي لا يقول مثلها النبي صلى الله عليه وسلم، بأن يفرط بالوعيد الشديد أو الوعد العظيم على الفعل اليسير.
٧. أن لا يكون مخالفاً للقواعد العامة في الحكم والأخلاق.
٨. أن لا يكون مخالفا لسنة الله في الكون.
٩. أن لا يكون مخالفا للحقائق التاريخية المعروفة عن عصر النبي صلى الله عليه وسلم.
١٠. أن لا يكون موافقاً لمذهب الراوي الداعي إلى بدعة[٢٢].

المحور الآخر

بيان شبهات المستغربين والرد عليها

الملاحظ أن الشبهات التي يرددها المستغربون والحداثيون ليست جديدة بل هي ترديد لما قيل أيام الزنادقة، وهم يتتبعون أقوال المستشرقين ويتأثرون بها، ويلاحظ أيضاً أن شبهاتهم تتجه حول رد الحديث وعدم قبول حجيته، ولم تكن لهم حجج تقوم على منهجية واضحة، ويمكن إجمال هذه الشبهات بما يأتي:

---

[٢١] راجع أصول الحديث علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب ص٣٠٥.

[٢٢] راجع الوضع في الحديث، عمر فلاته ١/٧٠.

نزع القداسة والتحرر من سلطة النصوص الدينية:

فالخطاب الحداثي العربي في مقاربته النص الديني، ومحاولاته التأويلية له، يسعى حيثياً إلى التحرر من سلطة النصوص الدينية، ومرجعيتها الشاملة من خلال التأكيد على ضرورة (الأنسنة المحضة) للنصوص الدينية، ونقلها من الوضع الإلهي إلى الوضع الإنساني، وعدها غير قابلة للفهم والتحليل ما لم يخلع عنها طابع (الأزلية) و(الغيبية)، ومن ثم فإن الفكر الحداثي ينبغي أن "يستبعد المفاهيم المركزية العاملة في الخطاب الإسلامي، كـ (الله، والوحي، والنبوة، والنص، والشريعة، والعقيدة)" لأن "القول بإلهية النصوص، والإصرار على طبيعتها الإلهية تلك، ستلزم أن البشر عاجزون بمناهجهم عن فهمها، ما لم تتدخل العناية الإلهية لوهب البشر طاقات خاصة من الفهم، وهكذا تتحول النصوص الدينية إلى نصوص مستغلقة على فهم الإنسان العادي، وتصبح شفرة إلهية لا تفهمها إلا قوة خاصة، ويبدو وكأن الله يكلم نفسه، ويناجي ذاته، وتنتفي عن النصوص الدينية صفات الرسالة، والبلاغ والهداية والنور".

وتأسيساً على هذا، فقد تم رفع عائق "القدسية" عن السنة النبوية المشرفة، في القراءة الحداثية، بواسطة عمليات نقدية منهجية خاصة، تتمثل في:

التشكيك في السنة، فهي في الخطاب الحداثي، وقراءته التفكيكية لأصول الفكر الإسلامي (مجموعات نصية مغلقة) ذات بنية (تيولوجية – أسطورية) حسب تعبير أركون قد خضعت لعملية الانتقاء والاختيار والحذف التعسفية التي فرضت في ظل الأمويين، وأوائل العباسيين، أثناء تشكيل المجموعات النصية (كتب الحديث المدعوة بالصحيحة) لأسباب لغوية، وأدبية، وتيولوجية (إيمانية) وتاريخية). كما أن هذه (المجموعات النصية) قد تعرضت لعملية النقل (الشفاهي) بكل مشاكلها، ولم تدون إلا متأخراً، وسط (شائعة في كل الأوساط التقليدية، تقول: إنه قد تم نقل أمين وحرفي ومثالي لكل الأحداث والأقوال والنماذج، التي شهدها الجيل الأعظم). وهذا التشكل لهذه (المجموعات النصية) على هذا الوجه (الشفاهي) قام به جيل من الصحابة، لايرتفعون عن مستوى الشبهات، بل تاريخهم تختلط فيه (الحكايات الصحيحة) بـ (الحكايات المزورة)، بل وسيرة نبيهم، كما يقول أركون قد تعرضت للكثير من (الخرافة) و(المبالغات) كما خضعت (لسيرورة تاريخية معقدة، ضمن خط التبجيل والتقديس، كما أن معايير السلف في نقد الأحاديث، والتي نتج عنها الاستقرار على كتب الصحاح والسنن، كانت محكومة بأطر معرفية زمنية محدودة، لا ترقى إلى مستوى المعايير الموضوعية النهائية، ذلك أن نقل (النصوص المجموعة) تحت اسم القرآن والحديث النبوي بواسطة رجال (أي: بشر) منخرطين في تاريخ معقد، وكانت عملية النقل دينية، واجتماعية، سياسية في آن معاً).

التسوية بين السنة وسائر الخطابات، وعقلنة السنة

ينظر الحداثيون من المستغربين إلى الحديث على أنه مادة تاريخية لا قدسية لها، وهي تراث أكثر من أن يكون وحياً، وهو نص لغوي قابل للنقد، وفي منطق النقد يستقل النص عن المؤلف ولا فرق بين النص النبوي والنص البشري. والخلل واضح في قراءتهم للحديث لأنها في غياب عن البعد المصدري لنص الحديث، وفي غياب

عن القراءة الجامعة للنص في ضوء علاقته مع الأجزاء الأخرى، وأيّ قراءة سابقة له في التراث، بل وفي غياب عن المرجعية اللغوية للنص إذ لا يمكن قراءة النص إلا بما يوافق معهود اللغة عند أهلها[٢٣].

ويرى الحداثيون أن السنة تراث أكثر من أن تكون وحياً، وقد ذكر محمد أركون في معرض رده على من يصفهم بالمتشددين أنهم يعتقدون أن التراث (السنة) ينبغي أن تتغلب على كل بدعة، واعتبار السنة تراثا يتطلب تجريدها من سماتها الخاصة – مصدراً ثانياً للشريعة الإسلامية– ويلزم من ذلك اعتبار السنة مجرد خطاب أو نص ظهر في التاريخ لمهمة خاصة ليس لها طابع الديمومة[٢٤].

وهذا ما جعل محمد شحرور يؤكد بجرأة أن السنة النبوية ما فعله وقاله وأقره النبي ليست وحياً[٢٥]، وراح يستدل على ذلك بقضايا لغوية وعقلية أبعدته عن الصواب، وإن أخطر ما توصل إليه هو وصفها بالتاريخية وأنها كلها اجتهاد من طرف النبي صلى الله عليه وسلم وأن ما قيدته السنة يمكن إطلاقه مرة أخرى مع تغير الظروف الموضوعية، وأنها اجتهاد في حقل الحلال يخضع للخطأ والصواب، وبالتالي فإن ما تأتي به السنة ليس شرعاً وإنما هي قانون مدني يخضع للظروف الاجتماعية[٢٦].

وبناءً على ما تم تأكيده من التيار الحداثي وذلك بفرض التساوي بين أنواع الخطاب، فإن النص النبوي يصبح عندهم عرض لمناهج الألسنيات الحديثة وتحليل الخطاب التاريخي ونقده، ففي منطق النقد يستقل النص عن المؤلف، كما أكد ذلك علي حرب في كتابه: نقد النص فلا فرق عندهم بين النص النبوي والنص البشري[٢٧].

وأخيرا يلاحظ أن أكثر نقاد الحديث قد تنبهوا إلى ما ظاهره التعارض بين القرآن والحديث، وقد ناقشوا هذه الظاهرة في شرح الحديث، وعملوا على علاجها في ضوء علم الدلالة، ولهم توجيهات تدل على عمق الفهم ودقة التأصيل، وسلامة المنهج النقدي. وهذه النتيجة تدل على عدم صحة اتهام النقاد بالغفلة عن نقد المتن، وعدم القدرة على توجيه النصوص المشكلة وتقديم فهم يتوافق مع العقل الرجيح والنقل الصحيح.

ويلاحظ أن أكثر الطاعنين القائلين بالتعارض بين القرآن والحديث –من غير إمعان وتدبر أو مراجعة كلام العلماء– وقعوا في مخالفة القرآن الذي يدعون الدفاع عنه، ومخالفة اللغة التي رأوا أنها تحل محل السنة في تفسير القرآن، ومخالفة العقل الصريح الذي يدعون مراعاته والانتساب إليه، ومخالفة ما اتفق عليه العلماء سلفا وخلفا.

ويلاحظ أن أكثر الطاعنين غير مؤهلين للنظر في فهم النص أو نقده؛ وهم لا يملكون أدوات الاجتهاد التي تؤهلهم لفهم كلام العلماء فضلا عن نقده والتعقيب عليه، ومن مظاهر فقرهم العلمي الضعف الشديد في اللغة؛ مما جعلهم يسيؤون فهم النصوص الشرعية ونصوص العلماء، ومن المظاهر الخلط بين مستويات الدلالة

---

[٢٣] القراءة الحداثية للسنة النبوية، د محمد عبد الفتاح الخطيب ص٢٠٠-٢٠٣ ضمن ملخصات البحوث للندوة الدولية العلمية الرابعة: السنة النبوية، دبي ٢٠٠٩م.

[٢٤] راجع الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ص١٠٢.

[٢٥] راجع نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي ص٦٢.

[٢٦] المصدر نفسه.

[٢٧] راجع نقد النص ص١٢.

المختلفة: فهم لا يفرقون بين النص والظاهر، والمحكم والمؤول، والقطعي والظني، والمنطوق والمفهوم، ولا يستطيعون التعامل مع هذه الدلالات عند تعارضها، ومن الإشكال في فهمهم للحديث النبوي ما يأتي:

أولاً: توجيه الطعن إلى الرواية المجملة المختصرة وإهمال الاطلاع على الروايات الأخرى التي توضح المقصود بالحديث.

ثانياً: رفض الجمع بين نصوص القرآن والسنة عند تعارض المجمل والمفسر أو العام والخاص أو المطلق والمقيد أو الظاهر والمؤول أو المنطوق والمفهوم، والحكم على الحديث بالوضع إذا خالف ظاهر القرآن.

ثالثاً: عدم التفريق بين الحديث الموضوع والحديث المشكل؛ فهم يحكمون على الحديث بالوضع لمجرد أنهم فهموا منه معنى يتعارض مع ظاهر القرآن، بل يردون الحديث بالرأي المجرد؛ فإذا كانت الآية تحتمل معنيين فإن الطاعن يذهب إلى المعنى المخالف للحديث دون أن يدعم رأيه بدلي.

الخاتمة

هذه الدراسة عالجت موضوع البحث بعنوان: "شبهات المستشرقين والمستغربين حول متن الحديث والرد عليها"، جاء البحث في تمهيد ومحورين وخاتمة، التمهيد عن مصطلحات البحث في المستشرقين والمستغربين ومتن الحديث، وكان المحور الأول عن بيان شبهات المستشرقين ومنهم كيتاني وجولدزيهر وغاستون ويت ثم الرد عليها، وتناول المحور الآخر: بيان شبهات المستغربين ومنهم محمد أركون، ومحمد عابد الجابري، ونصر حامد أبو زيد، ومحمد شحرور، وجمال البنا وغيرهم؛ ثم الرد عليها.

وقد توصل البحث إلى بعض النتائج وأهمها:

١. إن شبهات المستشرقين قديماً والمستغربين حديثاً ركزت على الحديث النبوي لأهميته ومكانته وخطورته في التشريع الإسلامي، وهي معنية بالمتن أكثر من السند.
٢. إن المستغربين والحداثيين خاضوا في متن الحديث معتمدين على المنطق والعقل ولا يجوز لهم الخوض -في متن الحديث- لأنهم غير مؤهلين ولا متخصصين فيه، ولا يجوز شأن بقية العلوم الخوض في علم إلا للمتمكنين فيه والمدققين الحذاق به.
٣. إن الشبهات من قبل أعداء الإسلام قديما من المستشرقين، وحديثا من المستغربين تزيد من همة علماء الحديث الغيورين المتمسكين بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في التصدي لها، والتنبيه عليها، والكشف عن الفساد والضلال فيها، وهي المهمة التي يحرص عليها كل مسلم.

وفي ضوء هذه النتائج أوصي جميع الباحثين والمتخصصين بضرورة إحياء الندوات العلمية النافعة والملتقيات الإسلامية الفاعلة لجمع كلمة المسلمين ووحدة صفهم للوقوف تجاه الأعداء في الداخل والخارج، والله يبارك في الجهود ويكللها بالنجاح والتوفيق، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١. الاتجاهات الفكرية المعاصرة: علي جريشة.
٢. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة: عمر فروخ.
٣. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق.

٤. الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم: مصطفى السباعي، ط المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٥٨م.
٥. أصول الحديث، علومه ومصطلحه: د محمد عجاج الخطيب، ط دار المعرفة، بيروت ١٩٨٩م.
٦. الثقافة الإسلامية: د. حامد محمود اسماعيل.
٧. الحجاب: أبو الأعلى المودودي، ط دار المعرفة .
٨. دائرة المعارف الإسلامية: مادة أصول.
٩. السنة قبل التدوين: عجاج الخطيب.
١٠. شبهات التغريب في الغزو الفكري: أنور الجندي، ط المكتب الإسلامي.
١١. عقائد وتيارات فكرية معاصرة: مجموعة مؤلفين.
١٢. الفكر الإسلامي نقد واجتهادك.
١٣. القاموس المحيط: الفيروزآبادي.
١٤. القراءة الحداثية للسنة النبوية، د محمد عبد الفتاح الخطيب، ضمن ملخصات البحوث للندوة الدولية العلمية الرابعة: السنة النبوية، دبي ٢٠٠٩م.
١٥. لسان العرب: ابن منظور، ط دار صادر، بيروت ١٩٩٠م.
١٦. مختار الصحاح: الرازي.
١٧. المستشرقون والحديث النبوي: د. محمد بهاء الدين، ط دار النفائس، عمان ١٩٩٩م.
١٨. المصباح المنير: أحمد الفيومي، ط مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٤٢هـ.
١٩. المنجد في اللغة: لويس معلوف.
٢٠. المنهج في كتابات الغربيين: عبد العظيم الديب.
٢١. موقف المستشرقين من السنة: أمامة محمد سالم الحبال، ط دا الفيحاء دمشق ٢٠٠٠م.
٢٢. نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي: محمد شحرور.
٢٣. نقد النص: علي حرب.
٢٤. وجهة الإسلام: هملتون جب، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، المطبعة الإسلامية، القاهرة ١٩٣٤م.
٢٥. الوضع في الحديث: عمر فلاته.

دفاع عن أهل الحديث

د. بسام بن عبدالله بن صالح العطاوي

أستاذ السنة وعلومها المشارك ورئيس قسم الدراسات الإسلامية

في كلية التربية في جامعة الدمام

السعودية

balatawi@hotmail.com

المقدمة

الحمدلله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فلا تزال الشبهات والتحديات تتوالى على السنة النبوية، ولا يزال علماء السنة يحاربونها، ويظهرون عوارها، ويردون كيد أصحابها في نحورهم، وهذا من أعظم الجهاد، وأحب الأعمال إلى الله.

وقد اطلعت على كتاب ألفه علي الكوراني العاملي أحد علماء الشيعة المعاصرين بعنوان: (ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين)، قال في مقدمته: "وهذه أسئلة وإشكالات علمية كتبناها لتكون جواباً على مايثيرونه علينا، وتنبيها إلى أن الأولى لهم أن يعالجوا المشكلات والتناقضات التي امتلأت بها مصادرهم، وقامت عليها مؤلفاتهم وأبحاثهم في عقائدهم وفقههم وتفسيرهم، فإن إصلاح الدار أوجب من انتقاد الجار! وقد اعتمدنا فيها على مصادرهم الأساسية في الحديث والتفسير والفقه والعقائد، وأقوال كبار أئمتهم من القدماء والمتأخرين"[(١)]، وحين نظرت في هذا الكتاب وجدته مليئاً بالأكاذيب على أهل السنة والجماعة عموما وعلى أهل الحديث خصوصاً، التي تظهرهم في صورة مشوهة بشعة منفرة، ومن أهل الحديث الذين نالهم الكوراني بالطعن في العُشر الأول من كتابه: كعب الأحبار، وأبوالزناد، ومالك، وابن أبي عاصم، وابن خزيمة، وابن تيمية، والذهبي، والألباني، وقد انتشر هذا الكتاب انتشاراً واسعاً، ولاسيما في شبكة الإنترنت، وصار سلاحاً للشيعة يعتمدون عليه في حوارهم مع أهل السنة.

إن الحوار الهادف البناء الذي يراد به الوصول إلى الحق شرطه الأعظم الصدق، فإذا لجأ المحاوِر إلى الكذب دل ذلك على بطلان ما يحاور عليه ويجادل عنه، فلما لم يجد حقا يقوله استنجد بالكذب، وهذا مسلك أهل الباطل عموماً، يلجأون إلى الكذب لتشويه دعوة الحق، كما فعل الكفار الذين افتروا الكذب على أنبيائهم.

وقد أردت أن أبين للقراء حال كتاب الكوراني، وحقيقته؛ لئلا يغتر به أحد، نصيحة للمسلمين، ودفاعاً عن الأئمة المحدثين فوجدت أن استقصاء الرد عليه في جميع كتابه يطول جداً، فاقتصرت على العُشر الأول من كتابه، فأحصيت فيه ثلاثاً وأربعين كذبة، والعدد قابل للزيادة بإعادة النظر فيه، فما قيمة كتاب هذه حاله؟! ويكفي لكل ذي رأي سديد، من القلادة ما أحاط بالجيد، وقد جعلت مناقشته في خمس عشرة وقفة، بعد ثلاث وقفات تمهيدية بدأت بها البحث، أسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه نافعاً لخلقه؛ وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

تمهيد

أولاً:

زعم الكوراني أنه ألف كتابه للرد على المخالفين لأهل البيت ويعني بهم أهل السنة والجماعة، والحق أن أهل السنة والجماعة لا يخالفون أهل البيت في شيء، فأهل البيت الذين يزعم الشيعة أنهم أئمتهم هم من أهل السنة والجماعة قولاً وعملاً واعتقاداً وسلوكاً، وهم بريئون من الضلال الذي ينسبه إليهم بعض الشيعة جملة وتفصيلاً،

---

(١) ألف سؤال وإشكال/٧ .

ولنأخذ مثالاً واحداً يبين ذلك، وهو القول في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فماذا يقول آل البيت في أبي بكر وعمر؟

قال الإمام محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: "أجمع بنو فاطمة على أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن ما يكون من القول"(١)، وقال الإمام ابن تيمية: "والنقل الثابت عن جميع علماء أهل البيت من بني هاشم من التابعين وتابعيهم من ولد الحسين بن علي وولد الحسن وغيرهما أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر، وكانوا يفضلونهما على علي، والنقول عنهم ثابتة متواترة، وقد صنف الحافظ أبو الحسن الدارقطني كتاب: (ثناء الصحابة على القرابة وثناء القرابة على الصحابة)، وذكر فيه من ذلك قطعة، وكذلك كل من صنف من أهل الحديث في السنة، مثل كتاب "السنة" لعبد الله بن أحمد، و"السنة" للخلال، و"السنة" لابن بطة، و"السنة" للآجري، واللالكائي، والبيهقي، وأبي ذر الهروي، والطلمنكي، وأبي حفص بن شاهين"[٢]، وفيما يلي أمثلة تفصيلية على هذا القول المجمل من الإمام الباقر والإمام ابن تيمية:

روى الإمام البخاري بسنده عن محمد بن الحنفية –وهو ابن علي بن أبي طالب– قال: "قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين"[٣].

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "وُضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب، فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيراً أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر"[٤].

قال ابن حجر: "وفي هذا الكلام أن علياً كان لا يعتقد أن لأحد عملاً في ذلك الوقت أفضل من عمل عمر، وقد أخرج ابن أبي شيبة، ومسدد من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن علي نحو هذا الكلام، وسنده صحيح، وهو شاهد جيد لحديث ابن عباس لكون مخرجه عن آل علي رضي الله عنهم"[٥].

ثانياً:

إن الناظر في كتاب الكوراني يتعجب من كثرة ما في صدر مؤلفه من حقد وغل على أهل السنة عامة، وعلى الصحابة رضي الله عنهم خاصة، وفيما يلي بعض ماذكره:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢٨٤/٥٤ .

(٢) منهاج السنة النبوية ٣٩٦/٧ .

(٣) صحيح البخاري ١٣٤٢/٣ ح ٣٤٦٨ .

(٤) صحيح البخاري ١٣٤٨/٣ ح٣٤٨٢ ، صحيح مسلم ١٨٥٨/٤ ح ٢٣٨٩ .

(٥) فتح الباري ٤٨/٧ .

قال الكوراني: "إذا لم يكن عمر مؤسس مذهب المرجئة وإمامهم، فمن يكون؟"[١]، وقال: "مارأيكم في هذه الفرية العمرية على الله تعالى"[٢]، وقال: "هل توافقوننا على أن أبا موسى الاشعري كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"[٣]، وقال: "كيف تتعقلون أن الله تعالى أمرنا أو أجاز لنا أن نأخذ ديننا من الصحابة الذين شهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن أكثريتهم الساحقة من أهل النار، مادامت أكثرية الصحابة في النار فالقاعدة تقتضي أن يكون الأصل في الصحابي الفسق وعدم العدالة حتى يثبت أنه من أهل الجنة، فكيف صار الصحابة كلهم عدولا ؟!"[٤]، وقال: "القرآن كان مجموعاً من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومشكلة جمعه افتعلها عم"[٥]، وقال: "وفي خلافة عثمان تفاقمت مشكلة الفراغ القرآني، بسبب أن عمر اخترع الأحرف السبعة ووسع القراءات"[٦]، وقال: "فأي قرآن كان غير مجموع ويحتاج في جمعه إلى جهود أبوبكر(٧)وعمر وكاتبهما اليهودي زيد زيد بن ثابت؟!"[٨]، وقال: "زيد بن ثابت يهودي من أم أنصارية"[٩].

سبحان الله! يرمي الكوراني الصحابي الجليل زيد بن ثابت بأنه يهودي، قال الذهبي: "زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد ابن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة، الإمام الكبير، شيخ المقرئين والفرضيين، مفتي المدينة، أبو سعيد، وأبو خارجة، الخزرجي، النجاري، الأنصاري، كاتب الوحي رضي الله عنه، حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن صاحبيه، وقرأ عليه القرآن بعضه أو كله، ومناقبه جمة"[١٠].

وقال الكوراني: "بدعة عمر بأن القرآن نزل على سبعة أحرف، إذا كنت مسلماً سنياً وكنت من أعلم العلماء فلن تستطيع أن تقنع أطفالك بنظرية عمر بأن القرآن نزل على سبعة أحرف"[١١]، وقال: "وستعرف أن عمر قام بتحريف حديث نبوي"[١٢]، وقال: "تحريف القرآن جائز وشرعي بفتوى عمر وفقهاء السنة، عمر يفتي بجواز تحريف

---

(١) ألف سؤال/١٢٦ .

(٢) ألف سؤال/١٣٢ .

(٣) ألف سؤال/١٤١ .

(٤) ألف سؤال/١٩٦ .

(٥) ألف سؤال/٢٠٢ .

(٦) ألف سؤال/٢٠٣ .

(٧) كذا في كتابه والصواب بالجر "أبي بكر" .

(٨) ألف سؤال/٢٠٥ .

(٩) ألف سؤال/٢٦٤ .

(١٠) سير أعلام النبلاء٢/٤٢٧ .

(١١) ألف سؤال/٢١٤ .

(١٢) ألف سؤال/٢١٩ .

القرآن"[1]، وقال: "أعطى عمر لنفسه الحق في أن يغير في كتاب الله تعالى وينسبه إلى الله تعالى"[2]، وقال: "ماذا يريد عمر من سياسته تجاه القرآن؟! فقد غيب النص القرآني الموحد ونسخته الرسمية في عهد أبي بكر وعهده كما غيب السنة"[3]، وقال الكوراني في زيد بن ثابت رضي الله عنه: "وكان يحرض الناس على سب علي"[4]، وقال في سعد بن عبادة رضي الله عنه: "وبقي عمر يضطغن عليه حتى نفاه إلى الشام ثم قتله"[5]، وقال: "والسبب في إصرار إصرار عمر على تحريف نص القرآن"[6]، وقال: "ولا تجد أحداً من السنيين انتصر للقرآن، فأيد أبياً وخطأ عمر بل تراهم غضوا أبصارهم عن فضيحة عمر، وخرسوا عن شهادته الزور بالنسخ، ودعوا له بالستر والسلامة كما فعل البخاري"[7]، وقال: "محاولة عمرية لتحريف القرآن أحبطها أبي بن كعب"[8]، وقال: "وهذه المحاولة واحدة من محاولات عمر المتعددة لتنقيص مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإزالة آثاره وأماكن بركته، وهي تدل على ذكرى سيئة لشجرة الرضوان وبيعة الرضوان في نفسه"[9]، وقال: "لقد شهد عمر على نفسه أنه شك في نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، فشكه قطعي، وتجديد إسلامه ظني، فكيف تثبتون أنه جدد إسلامه وزال شكه"[10]، وقال: "عمر وشركاؤه القائلون بتحريف القرآن"[11]، وقال: "وقف عمر بن الخطاب في وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورفض أن يكتب وصيته لأمته لكي يؤمنها من الضلال، فقال عمر: كتاب الله حسبنا، فوقفتم معه وصحتم في وجه نبيكم: القول ما قاله عمر، ووقف عمر في السقيفة وقال: نحن قبائل قريش، ومحمد قرشي، فمن ذا ينازعنا سلطان محمد؟! فوقفتم معه، وهاجم عمر بيت علي وفاطمة وأحضر الحطب وأشعله في باب الدار، وهددهم إن لم يخرجوا ويبايعوا أن يحرق عليهم البيت بمن فيه، وفيه علي وفاطمة والحسن والحسين وعدد من كبار المهاجرين والأنصار وقفوا إلى جانب أهل البيت، فوقفتم مع عمر وقلتم: ما فعله هو الحق"[12]، وقال الكوراني:

---

(١) ألف سؤال/٢٤٥ .

(٢) ألف سؤال/٢٤٧ .

(٣) ألف سؤال/٢٤٨ .

(٤) ألف سؤال/٢٦٤ .

(٥) ألف سؤال/٢٨٣ .

(٦) ألف سؤال/٢٩٩ .

(٧) ألف سؤال/٣٠١ .

(٨) ألف سؤال/٣٠٢ .

(٩) ألف سؤال/٣٢٧ .

(١٠) ألف سؤال/٣٢٩ .

(١١) ألف سؤال/٣٣١ .

(١٢) ألف سؤال/٣٧٩ .

"عبدالله بن سلام لم يزل يهودياً"[١]، قال الذهبي: "عبد الله بن سلام بن الحارث، الإمام الحبر، المشهود له بالجنة، أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار، من خواص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم"[٢]، وقال الكوراني: "اخترع علماؤهم مقولة نسخ التلاوة لتخليص أئمتهم ومصادرهم من القول بتحريف القرآن"[٣]، وقال: "كان عمر يتلقى من كعب الأحبار كما يتلقى المؤمن من نبيه"[٤].

إلى آخر ما ملأ الكوراني به كتابه من الطعن في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورضي عنهم، ووصفهم بأقبح الصفات التي تعبر عما في قلبه من الغيظ على الصحابة، وسأكتفي هنا في الرد عليه بقول الله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (سورة الفتح: ٢٩).

قال أبو عروة الزبيري: "كنا عند مالك فذكروا رجلا ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ مالك هذه الآية {محمد رسول الله والذين معه أشداء} حتى بلغ: {يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، فقال مالك: من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته الآية"[٥]، قال القرطبي: القرطبي: "لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحداً منهم، أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين"[٦]، وقال الإمام أبوزرعة الرازي: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح أولى بهم، وهم زنادقة"[٧].

وقد أكثر الكوراني في كتابه من سب الفاروق عمر بن الخطاب، والافتراء عليه، وهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها وبعد أبي بكر الصديق، ومناقبه مذكورة مشهورة عند المسلمين، ولن يهدم النمل الهرم، وقد تقدم في الوقفة السابقة ذكر ردود أئمة آل البيت – الذين يزعم الكوراني أنه من أتباعهم– ودفاعهم عن عمر رضي الله عنه.

---

(١) ألف سؤال/٣٩٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء٢/٤١٣ .

(٣) ألف سؤال/٤٠٣ .

(٤) ألف سؤال/٤١٤ .

(٥) السنة للخلال ٢/٤٧٨ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٩٧ .

(٧) تاريخ مدينة دمشق ٣٨/٣٢ .

ثالثاً:

ذكر الكوراني في هذا الكتاب خرافات، عاب أهل السنة على عدم تصديقها والقول بها، كقوله بأن المخاطبَيْن في قوله تعالى:{أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} (سورة ق: ٢٤) هما محمد صلى الله عليه وسلم، وعلي رضي الله عنه، وذكر أن أكثر مفسري أهل السنة هربوا من تفسير الآية بهذا، ورد قول من قال بأن المخاطبين هنا هما الرقيب والعتيد، أو السائق والشهيد، قال: "لأن الرقيب والعتيد ملكان موكلان بأعمال الإنسان في الدنيا فقط، والسائق والشهيد موكلان بسوقه في المحشر والشهادة عليه، والإلقاء في النار يكون بعد الحساب وعند عبور جسر جهنم"[١]، أقول: إن كون السائق والشهيد موكلين بسوقه في المحشر والشهادة عليه لا يمنع من إسناد الإلقاء إليهما أيضاً.

ولا أدري ماقول الكوراني في المخاطبين في قوله تعالى :{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} (سورة الحاقة: ٣٠-٣٢)، وفي قوله تعالى:{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} (سورة غافر: ٤٦)، وفي قوله تعالى: {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ} (سورة الدخان: ٤٧،٤٨)، فالمخاطبون هنا جمع فمن المراد بهم عند الكوراني؟ لعله يقول: إنهم الأئمة الاثنا عشر!

إن من يقرأ كتاب الله لا يجد إسناد أعمال النار إلا إلى الملائكة، فقد قال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً} (سورة المدثر: ٣١)، وقال في وصف النار:{عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ} (سورة التحريم: ٦)، وقال:{سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} (سورة العلق: ١٨)، قال ابن عطية المفسر: "الزبانية ملائكة العذاب، وهم الذين يدفعون الناس في النار، والزبن: الدفع، ومنه حرب زبون، أي تدفع الناس عن نفسها"[٢].

وقفات البحث

وفيما يلي خمس عشرة وقفة مع بعض ماذكره الكوراني في العشر الأول من كتابه:

الوقفة الأولى:

قال الكوراني مبيناً مرجعه في الأسئلة والإشكالات التي سيوردها في كتابه: "وقد اعتمدنا فيها على مصادرهم الأساسية في الحديث والتفسير والفقه والعقائد، وأقوال كبار أئمتهم من القدماء والمتأخرين"[٣].

أقول: لم يلتزم الكوراني بذلك، وجاء في مواضع كثيرة من كتابه بأكاذيب على أهل السنة، شنع بها عليهم، ولم يذكر لها قائلاً من أهل السنة، ولا مصدراً، وستأتي أمثلة ذلك، وهذا فعل لايقبله منصف، فلا يصح أن تثبت تناقض خصمك بكلام تنسبه إليه كذباً، وهو لايقر به، وهذا ما فعله الكوراني .

---

(١) ألف سؤال/١٨٤ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/٥٠٣ .

(٣) ألف سؤال/٧ .

والعجيب أنه يعيب من فعل فعله؛ فقد نقل نصاً من كتاب الدكتور ناصر القفاري: "أصول مذهب الشيعة الإمامية" ثم عاب الدكتور قائلاً: "وَعَدَ القفاري أن ينقل نصوص عقائد الشيعة من مصادرهم، فلماذا لم ينقل أي نص من مصادرهم؟! ماحكم الشيخ الذي يكذب، ماحكم الشيخ الذي يدلس؟ "(١).

أقول: أكثر الأسئلة والإشكالات التي أوردها الكوراني على أهل السنة لم يوثقها من مصادر أهل السنة، فمن الأحق باللوم والعيب؟

الوقفة الثانية:

قال الكوراني: "وأول ما ظهرت أحاديث الرؤية بالعين والتشبيه من كعب الأحبار، في زمن عم"(٢).

أقول: لم يذكر الكوراني دليله على ماذكره، وهو هنا يطعن في كعب الأحبار ويتهمه بوضع الأحاديث، وحاشاه من ذلك؛ فكعب الأحبار أحد ثقات التابعين وعلمائهم، قال الإمام اللالكائي: "باب سياق ذكر من رسم بالإمامة في السنة والدعوة والهداية إلى طريق الاستقامة بعد رسول الله إمام الأئمة"، فذكر جمعاً من كبار الصحابة ثم ذكر التابعين فذكر في الطبقة الأولى من التابعين في المدينة: علي بن الحسين بن علي، وابنه محمد بن علي بن حسين، وعمر بن عبد العزيز، وكعب بن ماتع الأحبار"(٣)، ووصفه الذهبي بالعلامة الحبر، وقال: "وكان حسن الإسلام، متين الديانة، من نبلاء العلماء"(٤)، وسيأتي ذكر بعض أحاديث إثبات رؤية الله في الآخرة، مما لم يروه كعب الأحبار، الذي زعم الكوراني أنه مصدر تلك الأحاديث.

الوقفة الثالثة:

قال الكوراني: "كما كذَّبت عائشة حديثهم الذي زعموا فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه، وكذبه ابن عباس، وابن مسعود، وجمهور الصحابة"(٥).

أقول: هذه ثلاث كذبات: الأولى على ابن عباس، والثانية على ابن مسعود، والثالثة على جمهور الصحابة، ولم يأت بدليل على واحدة منها، ولم أجد في كتب السنة تكذيبا من المذكورين للحديث كما زعم الكوراني.

الوقفة الرابعة:

قال الكوراني: "روى المجلسي في البحار: عن ابن عباس أنه حضر مجلس عمر بن الخطاب يوماً وعنده كعب الأحبار إذ قال عمر: ياكعب، أحافظ أنت للتوراة...إلى آخر القصة، ثم قال الكوراني: كيف تقولون: إن عمر تبنى

(١) ألف سؤال/٤٩ .

(٢) ألف سؤال/٩ .

(٣)شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢٩/١.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤٨٩/٣ .

(٥) ألف سؤال/٩ .

هذه المقولة رغم وضوح قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (سورة الشورى :١١) ، وموقف أهل البيت عليهم السلام والصحابة؟"[١].

أقول: ذكر الكوراني في مقدمة كتابه أنه اعتمد في ذكر الأسئلة والإشكالات العلمية على مصادر أهل السنة الأساسية في الحديث والتفسير والفقه والعقائد، وأقوال كبار أئمتهم من القدماء والمتأخرين، وهو هنا يناقض ماذكره، فينقل قصة من كتاب البحار للمجلسي، وهو من كتب الشيعة، وهذه القصة كذب جملة وتفصيلاً، ولم أجد لها ذكرا في كتب السنة، ويأتي بإشكالات على أهل السنة بناء على تلك القصة المكذوبة المنقولة من كتبهم!

الوقفة الخامسة:

قال الكوراني: "زعمهم أن الله تعالى يُرى بالعين!"، ثم قال: "وروى الآخرون كالبخاري أن الله تعالى يرى في الآخرة، وقال بعض الحنابلة أن الله يرى في الدنيا أيضا!"[٢].

أقول: من أساليب الكوراني في هذا الكتاب عرضه مذهب أهل السنة عرضاً محرفاً مشوهاً، وهذا يخالف الأمانة العلمية، وقد أكثر من ذلك في كتابه، فهو لا يأتي بالحقيقة على وجهها، وإنما يجتهد في إبرازها في صورة قبيحة مشوهة؛ ليتم له ما أراد من تشويه الحق، وتنفير الناس عنه.

وقد عرض الكوراني هنا معتقد أهل السنة والجماعة في الرؤية عرضاً مشوهاً، فقد ذكر أنهم يزعمون أن الله تعالى يُرى بالعين هكذا على سبيل الإجمال، فهو يشمل الرؤية في الدنيا، والرؤية في الآخرة، ثم ذكر أنهم رووا أن الله تعالى يرى في الآخرة؛ يريد أنهم يروون ما يناقض اعتقادهم، فالروايات التي يروونها تثبت الرؤية في الآخرة، وهم يثبتونها في الدنيا أيضاً، ثم صرح بذلك؛ فكذب على بعض الحنابلة؛ فنسب إليهم القول بأن الله يرى في الدنيا، ولم يفصح عمن قال بذلك من الحنابلة، ولم يوثق نقله بذكر أي مصدر؛ لأنه كذب، ولم يذكر المعتقد الصحيح لأهل السنة في هذه المسألة، وهو أن الله يراه المؤمنون في الآخرة، وليس في الدنيا، قال الإمام ابن تيمية: "وكذلك كل من ادعى أنه رأى ربه بعينيه قبل الموت فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اتفقوا جميعهم على أن أحداً من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت، وثبت ذلك في صحيح مسلم"[٣].

وثبوت رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة هو ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة، منها قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ*إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } (سورة القيامة: ٢٢،٢٣)، قال ابن أبي العز الحنفي بعد أن ذكر أن هذه الآية من أظهر الأدلة على إثبات الرؤية: "وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة "إلى" الصريحة في نظر

---

(١) ألف سؤال/١٠ .

(٢)ألف سؤال/٩ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣٨٩/٣، والحديث الذي أشار إليه قول النبي صلى الله عليه وسلم :" تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عز وجل حتى يَمُوتَ " رواه مسلم ٢٢٤٥/٤ ح ١٦٩/٢٩٣١ .

العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله"[١].

وقال ابن كثير الشافعي: "وقد ثبت رؤية المؤمنين لله عز وجل، في الدار الآخرة، في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها، كحديث أبي سعيد وأبي هريرة، وهما في الصحيحين[٢] أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: "هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟"، قالوا: لا، قال: "فإنكم ترون ربكم كذلك"، وفي الصحيحين[٣] عن جرير قال: نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى القمر ليلة البدر، فقال: "إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا"، وفي أفراد مسلم[٤] عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم، وهي الزيادة ثم تلا هذه الآية: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} (سورة يونس: ٢٦)، إلى أن قال ابن كثير: ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها، من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقاً في مواضع من هذا التفسير، وبالله التوفيق وهذا بحمد الله مجمع عليه، بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهداة الأنام"[٥].

قال عباد بن العوام: "قدم علينا شريك بن عبدالله –يعني القاضي– منذ نحو خمسين سنة، قال: فقلت له: يا أبا عبدالله إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث، قال: فحدثني بنحو من عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا عن التابعين عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمن أخذوا ؟"[٦].

وقال الطبري مقرراً أن الرؤية ممكنة، وليست مستحيلة كما يعتقد الكوراني[٧]: "وأن تعلم أن القديم سبحانه يُرى، وتجوز رؤيته بالأبصار؛ لأن ما لا تصح رؤيته لم يتقرر وجوده كالمعدوم، وكل ما صح وجوده جازت رؤيته، كسائر الموجودات، ودلائل هذه المسألة في كتاب الله كثيرة"، فذكر بعضهاً، منها قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي} (سورة الأعراف :١٤٣)، قال: "ولو لم تكن الرؤية جائزة لكان

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية /٢٠٥ .

(٢) صحيح البخاري ح ٧٤٣٧ ، صحيح مسلم ح ١٨٢.

(٣) صحيح البخاري ح ٧٤٣٤ ، صحيح مسلم ح ٦٣٣ .

(٤) صحيح مسلم ١٨١.

(٥) تفسير ابن كثير ٤٥١/٤ .

(٦) السنة لعبد الله بن أحمد ٢٧٣/١

(٧) ألف سؤال/٩ .

لا يتمناها من هو موصوف بالنبوة، وأيضاً فإنه سبحانه وتعالى قال في جوابه: {لن تراني}، ولم يقل: لن أُرى، وفيه دليل على أنه يصح أن يُرى؛ لأنه لو كان لا يصح رؤيته لكان يقول: لن أُرى، ولما خص نفي الرؤية به"[1].

وقال الرازي في بيان أدلة إمكان الرؤية: "السادس قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي} (سورة الأعراف :١٤٣)، ولو كانت الرؤية ممتنعة على الله تعالى لكان موسى جاهلاً بالله تعالى"[2].

ومن الأدلة على ثبوت الرؤية للمؤمنين في الآخرة قوله تعالى عن الكفار: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} (سورة المطففين: ١٥)، قال الدارمي: "ولم يقل للكفار محجوبون إلا وأن المؤمنين لا يحجبون عنه، فإن كان المؤمنون عندكم محجوبين عن الله كالكفار؛ فأي توبيخ للكفار في هذه الآية إذا كانوا هم والمؤمنون جميعاً عن الله يومئذ محجوبين"[3].

وقد روى عبدالله بن أحمد بسنده عن الحسن البصري أنه قال: "لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم عز وجل في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا"[4].

وليس المقصود هنا استقصاء أدلة أهل السنة والجماعة على إثبات الرؤية فإنها مبسوطة في كتب العقيدة عموماً، وفي الكتب التي أفردت لبيان تلك المسألة خصوصاً، ومنها كتاب الرؤية للدارقطني، وكتاب في رؤية الله لابن النحاس، وكتاب ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري لأبي شامة المقدسي، ورؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها لأحمد آل حمد، وكلها مطبوعة.

الوقفة السادسة:

قال الكوراني: "قال إمامهم الذهبي في سير أعلامه: "...فإن العلم الواجب يجب بثه ونشره ويجب على الأمة حفظه، والعلم الذي في فضائل الأعمال مما يصح إسناده يتعين نقله، ويتأكد نشره، وينبغي للأمة نقله، والعلم المباح لا يجب بثه، ولا ينبغي أن يدخل فيه؛ إلا خواص العلماء...انتهى"، قال الكوراني: وقصده بالعلم المباح، أي: المحظور؛ من تسمية الشيء بضده، فيجب كتمانه إلا على خواص العلماء! شبيهاً بالعلم الذي يحصره اليهود والنصارى برؤساء الإكليروس أي كبار الكرادلة والحاخامات"[5].

أقول: فسر الكوراني كلام الإمام الذهبي بما لا يقبله عاقل، وقطع نص كلام الذهبي حتى لا تتبين للقارىء الحقيقة، فبقية كلام الإمام الذهبي: "والعلم المباح لا يجب بثه ولا ينبغي أن يدخل فيه إلا خواص العلماء، والعلم الذي يحرم تعلمه ونشره علم الأوائل وإلهيات الفلاسفة وبعض رياضتهم؛ بل أكثره، وعلم السحر والسيمياء

---

(١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية /١٥٧ .

(٢) معالم أصول الدين /٧٥ .

(٣) الرد على الجهمية للدارمي /١٢٣ .

(٤) السنة لعبد الله بن أحمد ٢٦٣/١ .

(٥) ألف سؤال/٢٠ ، وكلام الذهبي في سير أعلام النبلاء ٦٠٢/١٠-٦٠٤ .

والكيمياء والشعبذة والحيل ونشر الأحاديث الموضوعة وكثير من القصص الباطلة أو المنكرة، وسيرة البطال المختلقة وأمثال ذلك ورسائل إخوان الصفا، وشعر يعرض فيه إلى الجناب النبوي، فالعلوم الباطلة كثيرة جداً، فلتحذر، ومن ابتلي بالنظر فيها للفرحة والمعرفة من الأذكياء فليقلل من ذلك وليطالعه وحده، وليستغفر الله تعالى، وليلتجىء إلى التوحيد والدعاء بالعافية في الدين، وكذلك أحاديث كثيرة مكذوبة وردت في الصفات، لا يحل بثها إلا التحذير من اعتقادها، وإن أمكن إعدامها فحسن، اللهم فاحفظ علينا إيماننا، ولا قوة إلا بالله"، فالعلم المحظور قد ذكره الذهبي لكن الكوراني حذفه، ليستقيم له تحريفه العلم المباح في كلام الذهبي إلى العلم المحظور.

الوقفة السابعة:

قال الكوراني في الكلام على أحد الأحاديث: "قال الألباني: ضعيف[1]، ثم نقض ذلك في هامشه، فقال: العماء: السحاب، قال العلماء: هذا من حديث الصفات، فنؤمن به من غير تأويل ولا تشبيه، ونكل علمه إلى عالمه.

قال الكوراني: هل رأيتم عالماً أو عاقلاً مثل الألباني يضعف حديثاً عن صفات الله تعالى ويسقطه، ثم يقول: فنؤمن به من غير تأويل ولا تشبيه؟!"[2].

أقول: جعل الكوراني جملة: "فنؤمن به من غير تأويل ولا تشبيه" من كلام الألباني، وهي في النص الذي نقله عن الألباني من كلام العلماء لا الألباني، فلا يكون هناك تناقض، لاختلاف القائلين، فالألباني بين رأيه في الحديث، وهو أنه ضعيف، ونقل عن غيره من العلماء قولهم في هذا الحديث.

الوقفة الثامنة:

زعم الكوراني أن أهل السنة يستعملون أغرب أنواع التقية في العالم، ويكتمون معبودهم خوفاً من المسلمين، وقال: "ويستعملون مع المسلمين أسوأ أنواع التقية، وهو التقية في معبودهم المجسم الذي يعبدونه، ويخفون عن المسلمين أنه شاب أجعد الشعر، له غرة، يلبس نعلين من ذهب! قال إمامهم الذهبي في سير أعلامه: فأما خبر أم الطفيل فرواه محمد بن إسماعيل الترمذي وغيره...وبعد أن صحح الحديث، ونفى أن يكون مناماً، قال: وقد قال علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون..."[3].

أقول: حذف الكوراني جزءاً من وسط كلام الذهبي، وأتى مكانه بكذب زعم أنه مضمون ذلك الكلام، فذكر أن الذهبي صحح الحديث، ونفى أن يكون مناماً، وسأنقل كلام الذهبي المحذوف ليتبين كذب الكوراني على الإمام الذهبي.

قال الذهبي: "فأما خبر أم الطفيل فرواه محمد بن إسماعيل الترمذي وغيره: حدثنا نعيم حدثنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال أن مروان بن عثمان حدثه، عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل امرأة أبي

---

(١) أحال الكوراني على ظلال الجنة/٦١٢ ، مختصر العلو/٢٥٠ ، ١٩٣، وكلاهما للألباني .

(٢) ألف سؤال/٢٤ .

(٣) ألف سؤال/٢٠ .

بن كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أنه رأى ربه في صورة كذا، فهذا خبر منكر جداً، أحسن النسائي حيث يقول: ومن مروان بن عثمان حتى يصدق على الله؟".

فهذا الجزء الذي حذفه الكوراني ليس فيه تصحيح الذهبي الحديث، وإنما فيه العكس، وهو تضعيفه الشديد له بقوله: "فهذا خبر منكر جداً"، ثم قال الذهبي: "ولئن جوزنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو أدرى بما قال، ولرؤياه في المنام تعبير لم يذكره عليه السلام ولا نحن نحسن أن نعبره، فأما أن نحمله على ظاهره الحسي فمعاذ الله أن نعتقد الخوض في ذلك"(١).

وكلام الذهبي هنا واضح، معناه أننا لو افترضنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الحديث فهو أعلم بمراده، وهو رؤيا منامية لها تعبير، ولا يحمل على ظاهره الحسي في الحقيقة، وأما الكوراني فقد حذف هذا الكلام وكذب على الذهبي فقال: "صحح الحديث، ونفى أن يكون مناماً".

الوقفة التاسعة:

قال الكوراني: "حديث أم الطفيل الذي يزعم أن الله تعالى شاب أجعد الشعر! فقد رووا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه، وأنه -معاذ الله- شاب أجعد الشعر، يلبس نعلين من ذهب، ويقف في أرض خضراء! وقد صححه كل أئمتهم! قال الذهبي في سيره: فأما خبر أم الطفيل فرواه محمد بن إسماعيل الترمذي وغيره: حدثنا نعيم حدثنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال أن مروان بن عثمان حدثه عن عمارة بن عامر عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أنه رأى ربه في صورة كذا، فهذا خبر منكر جداً، أحسن النسائي حيث يقول: ومن مروان بن عثمان حتى يصدق على الله؟"(٢).

أقول: سبحان الله العظيم! يزعم الكوراني أن حديث أم الطفيل قد صححه كل أئمة أهل السنة والجماعة، ثم يسوق دليله على ذلك، فإذا فيه اثنان من أئمة الحديث يردانه ويستنكرانه، وهما الذهبي والنسائي، قال الذهبي: "فهذا خبر منكر جداً، أحسن النسائي حيث يقول: ومن مروان بن عثمان حتى يصدق على الله؟"، وفيما يلي حكم جمع من الأئمة والعلماء على هذا الحديث بالرد:

ذكر أبو بكر الخلال في كتاب العلل قال: أخبرني محمد بن علي قال: حدثني مهنا قال: سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل عن هذا الحديث، فحول وجهه عني، قال: هذا حديث منكر، وقال: لا يعرف، هذا رجل مجهول، يعني مروان بن عثمان، قال: ولا يعرف أيضا عن عمارة بن عامر"(٣)، وأعله البخاري بقوله: "ولا يعرف عمارة، ولا سماعه من أم الطفيل"(٤)، وقال ابن حبان: "عمارة بن عامر يروي عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت ربي حديثاً منكراً؛ لم يسمع عمارة من أم الطفيل، وإنما ذكرته لكيلا يغر الناظر فيه

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦٠٣/١٠ .

(٢) ألف سؤال/٢٤ .

(٣) العلل المتناهية ٣٠/١ .

(٤)التاريخ الأوسط ٢٩١/١ .

فيحتج به من حديث أهل مصر"[١]، وقال السبكي: "وحديث: "في صورة شاب أمرد موضوع" مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٢]، وقال ابن جماعة: "فهذا الحديث باطل موضوع قاتل الله واضعه...، وقال ابن عقيل: هذا حديث مقطوع بكذبه فكل ما ورد من هذا فكذب"[٣]، وقال ابن حجر: "وهو متن منكر"[٤]، وقال الشوكاني: "وهو موضوع، وفي إسناده وضاع وكذاب ومجهول"[٥]، فهؤلاء عشرة من علماء أهل السنة يردون هذا الحديث ويحكمون عليه بالنكارة أو الوضع والكذب، والكوراني يقول: "قد صححه كل أئمتهم!".

الوقفة العاشرة:

قال الكوراني: "وقد صحح مرجعهم في الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني حديث أم الطفيل في تعليقته على سنة ابن أبي عاصم برقم ٤٧١، وجاء فيه أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أنه رأى ربه عز وجل، في المنام في أحسن صورة، شاباً موفراً، رجلاه في خضرة، عليه نعلان من ذهب، على وجهه فراش من ذهب!"[٦].

أقول: نص الحديث الذي حدده الكوراني برقم ٤٧١ في كتاب السنة لابن أبي عاصم هو ما يأتي:

"حدثنا إسماعيل بن عبدالله، حدثنا نعيم بن حماد ويحيى بن سليمان قالا: حدثنا عبدالله بن وهب، عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال حدثه أن مروان بن عثمان حدثه، عن عمارة بن عامر عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "رأيت ربي في المنام في أحسن صورة" وذكر كلاماً"[٧].

كلاماً"[٧].

هذا نص ما هو مذكور في ذلك الموضع، فزاد الكوراني من نفسه: "شاباً موفراً، رجلاه في خضرة، عليه نعلان من ذهب على وجهه فراش من ذهب".

وأما تعليق الألباني على حديث ابن أبي عاصم فهو: "حديث صحيح بما قبله، وإسناده ضعيف مظلم"، فالألباني لم يصحح هذه الرواية لذاتها كما يفيده كلام الكوراني، وإنما حكم على إسنادها بالضعف لكنه صحح القدر المشترك بينها وبين الروايات التي قبلها، وجميع الروايات التي قبلها ليس فيها تلك الجملة التي زادها الكوراني، وإنما فيها: "رأيت ربي في أحسن صورة"، أو "أتاني ربي الليلة في أحسن صورة"[٨]، وهي رؤيا منامية كما تدل عليه تلك الروايات وأمثالها.

---

(١) الثقات ٥/٢٤٥ .

(٢)طبقات الشافعية الكبرى ٢/٣١٢ .

(٣) إيضاح الدليل ١/٢٠٦ .

(٤) تهذيب التهذيب ١٠/٨٦ .

(٥)الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة /٤٤٨ .

(٦) ألف سؤال/٢٦ .

(٧) السنة لابن أبي عاصم ١/٢٠٥

(٨) انظر السنة لابن أبي عاصم ١/٢٠٣-٢٠٤ .

إن الشيء حين يُرى في المنام لا يلزم أن يكون كذلك في الحقيقة، قال الإمام ابن تيمية مقرراً هذا الأمر أحسن تقرير: "بل لفظ الرؤية، وإن كان في الأصل مطابقاً فقد لا يكون مطابقاً كما في قوله: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا} (سورة فاطر: ٨)، وقال: {يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ} (سورة آل عمران: ١٣)، وقد يكون التوهم والتخيل مطابقاً من وجه دون وجه، فهو حق في مرتبته وإن لم يكن مماثلا للحقيقة الخارجة ، مثل ما يراه الناس في منامهم ، وقد يرى في اليقظة من جنس ما يراه في منامه ؛ فإنه يرى صوراً وأفعالاً، ويسمع أقوالاً، وتلك أمثال مضروبة لحقائق خارجية، كما رأى يوسف سجود الكواكب والشمس والقمر له، فلا ريب أن هذا تمثله وتصوره في نفسه، وكانت حقيقته سجود أبويه وإخوته، كما قال: {يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} (سورة يوسف: ١٠٠)، وكذلك رؤيا الملك التي عبرها يوسف حيث رأى السنبل بل والبقر، فتلك رآها متخيلة متمثلة في نفسه، وكانت حقيقتها وتأويلها من الخصب والجدب فهذا التمثل والتخيل حق وصدق في مرتبته، بمعنى أن له تأويلاً صحيحاً، يكون مناسباً له ومشابهاً له من بعض الوجوه؛ فإن تأويل الرؤيا مبناها على القياس والاعتبار والمشابهة والمناسبة، ولكن من اعتقد أن ما تمثل في نفسه وتخيل من الرؤيا هو مماثل لنفس الموجود في الخارج وأن تلك الأمور هي بعينها رآها فهو مبطل، مثل من يعتقد أن نفس الشمس التي في السماء والقمر والكواكب انفصلت عن أماكنها، وسجدت ليوسف، وأن بقراً موجودة في الخارج سبعاً سماناً أكلت سبعاً عجافاً فهذا باطل، وإذا كان كذلك فالإنسان قد يرى ربه في المنام ويخاطبه فهذا حق في الرؤيا، ولا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام؛ فإن سائر ما يرى في المنام لا يجب أن يكون مماثلاً ولكن لا بد أن تكون الصورة التي رآه فيها مناسبة ومشابهة لاعتقاده في ربه، فإن كان إيمانه واعتقاده مطابقاً أتي من الصور وسمع من الكلام ما يناسب ذلك، وإلا كان بالعكس، قال بعض المشايخ: إذا رأى العبد ربه في صورة كانت تلك الصورة حجاباً بينه وبين الله، وما يزال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم، وما أظن عاقلاً ينكر ذلك؛ فإن وجود هذا مما لا يمكن دفعه؛ إذ الرؤيا تقع للإنسان بغير اختياره، وهذه مسألة معروفة، وقد ذكرها العلماء من أصحابنا وغيرهم في أصول الدين وحكوا عن طائفة من المعتزلة وغيرهم إنكار رؤية الله، والنقل بذلك متواتر عمن رأى ربه في المنام، ولكن لعلهم قالوا: لا يجوز أن يعتقد أنه رأى ربه في المنام، فيكونون قد جعلوا مثل هذا من أضغاث الأحلام، ويكونون من فرط سلبهم ونفيهم نفوا أن تكون رؤية الله في المنام رؤية صحيحة،كسائر ما يرى في المنام، فهذا مما يقوله المتجهمة، وهو باطل مخالف لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، بل ولما اتفق عليه عامة عقلاء بني آدم، وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلق به سبحانه وتعالى، وإنما ذلك بحسب حال الرائي وصحة إيمانه وفساده، واستقامة حاله وانحرافه، وقول من يقول: ما خطر بالبال أو دار في الخيال فالله بخلافه ونحو ذلك، إذا حمل على مثل هذا كان محملاً صحيحاً فلا نعتقد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور أن الله في نفسه مثل ذلك؛ فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك، بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتها، بل هي على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته، وإن كان ما رآه مناسبا مشابها لها فالله تعالى أجل وأعظم"[1].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ٧٢/١ .

الوقفة الحادية عشرة:

قال الكوراني: "ماذا تقولون فيما نقله الذهبي عن الإمام مالك من أن أحاديث التجسيم إنما رواها من التابعين موظف عند بني أمية وليس عالما؟! قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: أبو أحمد بن عدي، حدثنا أحمد بن علي المدائني حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن جابر، حدثنا أبو زيد بن أبي الغمر قال: قال ابن القاسم: سألت مالكا عمن حدث بالحديث الذي قالوا: إن الله خلق آدم على صورته، والحديث الذي جاء: إن الله يكشف عن ساقه، وأنه يدخل يده في جهنم حتى يخرج من أراد، فأنكر مالك ذلك إنكاراً شديداً، ونهى أن يحدث بها أحد، فقيل له: إن ناساً من أهل العلم يتحدثون به، فقال: من هو؟ قيل: ابن عجلان عن أبي الزناد، قال: لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء، ولم يكن عالماً، وذكر أبا الزناد فقال: لم يزل عاملاً لهؤلاء حتى مات، انتهى، وقصده بهؤلاء بني أمية!"[(١)].

أقول: إن عبارة الإمام مالك –على فرض صحتها عنه– فيها وصف ابن عجلان بأنه ليس عالماً، وأما شيخه التابعي أبو الزناد فلم يصفه بعدم العلم، وإنما ذكر أنه كان عاملا لبني أمية، وهذا لا يعني أنه ليس بعالم؛ فكم من علماء عملوا في الدولة قديماً وحديثاً، دون أن يقدح ذلك في علمهم وأمانتهم وعدالتهم، ولكن الكوراني كعادته ادعى أن الإمام مالكاً وصف ذلك التابعي بعدم العلم، والواقع أن مالكاً إنما وصف ابن عجلان بذلك، ولم يصف شيخه أبا الزناد بذلك، وهل يعقل أن يصف الإمام مالك أباالزناد بعدم العلم، وقد روى عنه في الموطأ أكثر من خمسين حديثاً؟! قال ابن عبد البر: "لمالك عنه في الموطأ أربعة وخمسون حديثاً مسندة ثابتة صحاح متصلة"[(٢)].

إن من يتأمل ألفاظ القصة يجد أن إنكار مالك ليس متوجها إلى تلك الأحاديث، وإنما هو متوجه إلى من حدث بتلك الأحاديث، فهو لا يريد أن تذاع تلك الأحاديث عند العوام فيضعوها في غير موضعها.

يدل على هذا بوضوح مانقله القاضي عياض المالكي قال: "قال الوليد بن مسلم: سألت مالكا عن هذه الأحاديث، فقال: اقرأها كما جاءت، فقيل له: إن ابن عجلان يحدث بها، فقال: لم يكن من الفقهاء، قال في رواية ابن القاسم وابن وهب: إنه كان لا يعرف هذه الأشياء، وكره مالك أن يحدث بها عوام الناس الذين لا يعرفون وجهه، ولا تبلغه عقولهم، فينكروه أو يضعوه في غير موضعه"[(٣)]، فقول مالك للوليد بن مسلم: "اقرأها كما جاءت" يدل بوضوح على إقراره بها، وقال ابن عبدالبر: "وإنما كره ذلك مالك خشية الخوض في التشبيه ب"كيف" هاهنا[(٤)]، وذكر ابن رشد أن سبب نهي الإمام مالك عن التحديث بتلك الأحاديث كان مخافة أن يتحدث بها فيكثر التحدث بها وتشيع في الناس، فيسمعها الجهال الذين لايعرفون تأويلها، فيسبق إلى ظنونهم التشبيه بها[(٥)]، وقد صرح

(١) ألف سؤال/٣٢ ، والنقل عن الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠٣/٨ .

(٢) التمهيد ٨/١٨ .

(٣) ترتيب المدارك ١٧٤/١ .

(٤) التمهيد لابن عبد البر ١٥٠/٧ .

(٥) البيان والتحصيل ٥٠٦/١٨ .

مالك بذلك فيما نقله ابن الحاج عن العتبية أنه سئل مالك رحمه الله عن الحديث في جنازة سعد بن معاذ في اهتزاز العرش، وعن حديث: "إن الله خلق آدم على صورته"، وعن الحديث في الساق، فقال رحمه الله: "لا يتحدثن به وما يدعو الإنسان أن يتحدث به، وهو يرى ما فيه من التغرير"[1]، وهذا صريح في أنه كان يخشى على العوام والجهلة من الاغترار بهذه الأحاديث، بأن يحملوها على غير وجهها، بسبب قلة علمهم وضعف بصيرتهم.

ويظهر من كلام مالك أنه لا يطعن في أمانة ابن عجلان ولا أبي الزناد في روايتهما حديث الصورة ونحوه، وإنما أنكر توسعهما في التحديث بهذه الأحاديث دون تفريق بين طالب علم وعامي، وعزا مالك سبب ذلك إلى أن ابن عجلان لم يكن من الفقهاء كما في رواية الوليد بن مسلم، وبأنه لم يكن يعرف هذه الأشياء كما في رواية ابن القاسم وابن وهب، فمالك لم يطعن في صدق ابن عجلان، وإنما أراد بما ذكره أن ابن عجلان لم يكن من الفقهاء الذين يعتنون بمعرفة حال السامعين ومنزلتهم وما ينبغي أن يحدَّثوا به مما يناسبهم ولا يكون لهم فتنة، وهذا جانب تربوي قد يفتقده بعض العلماء، من غير أن يقدح ذلك في علمهم وصدقهم، ومثل هذا يقال فيما ذكره مالك عن أبي الزناد فقد وصفه بأنه كان عاملاً لبني أمية حتى مات، فقد كانوا يولونه الحسابات المالية للمدينة، وولاه عمر بن عبدالعزيز بيت مال الكوفة[2]، فكأن الإمام مالكاً يريد أن أبا الزناد شغل بعمله عند بني أمية عن إدراك ذلك الجانب التربوي الذي ينبغي توافره في العالم، فلا يحدث أحداً بشيء لا يحتمله عقله ويكون له فتنة.

وابن عجلان هو محمد، وهو ثقة كما قال ابن عيينة، وابن سعد، وابن معين، وأحمد، والعجلي، ويعقوب بن شيبة وأبو حاتم الرازي، والنسائي، وغيرهم من أئمة الجرح والتعديل(٣)، وأبو الزناد هو عبدالله بن ذكوان ثقة حجة كما قال ابن معين، وكان سفيان الثوري يسميه أمير المؤمنين في الحديث، ووصفه الذهبي بالإمام الفقيه الحافظ المفتي[4].

ولم ينفرد ابن عجلان وأبو الزناد برواية حديث أبي هريرة: "خلق الله آدم على صورته" بل تابعهما عليه غيرهما، قال الذهبي: "الحديث في أن الله خلق آدم على صورته لم ينفرد به ابن عجلان، فقد رواه همام عن قتادة عن أبي موسى أيوب عن أبي هريرة، ورواه شعيب وابن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، ورواه معمر عن همام عن أبي هريرة، ورواه جماعة كالليث بن سعد وغيره عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة، ورواه شعيب أيضاً وغيره عن أبي الزناد عن موسى بن أبي عثمان عن أبي هريرة، ورواه جماعة عن ابن لهيعة عن الأعرج وأبي يونس عن أبي هريرة، ورواه جرير عن الأعمش عن حبيب ابن أبي ثابت عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وله طرق أخر، قال حرب: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آدم خلق على صورة الرحمن، وقال الكوسج: سمعت أحمد بن حنبل يقول: هذا الحديث صحيح، قلت: وهو مخرج في الصحاح،

---

(١) المدخل ١٤٧/٢ .

(٢) انظر التمهيد ٦/١٨ ، تاريخ دمشق ٥٤/٢٨ .

(٣) انظر تهذيب الكمال مع حاشية تحقيقه ١٠٥/٢٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٤٤٥/٥.

وأبو الزناد فعمدة في الدين، وابن عجلان صدوق من علماء المدينة وأجلائهم ومفتيهم، وغيره أحفظ منه، أما معنى حديث الصورة فنرد علمه إلى الله ورسوله، ونسكت كما سكت السلف مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء"[١].

وقال الذهبي أيضاً: "الخبر لم ينفرد به ابن عجلان بل ولا أبو الزناد؛ فقد رواه شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد، ورواه قتادة عن أبي أيوب المراغي عن أبي هريرة، ورواه ابن لهيعة عن الأعرج وأبي يونس عن أبي هريرة، ورواه معمر عن همام عن أبي هريرة، وصح أيضا من حديث ابن عمر، وقد قال إسحاق بن راهويه عالم خراسان: صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا الصحيح مخرج في كتابي البخاري ومسلم، فنؤمن به ونفوض ونسلم ولا نخوض فيما لا يعنينا مع علمنا بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"[٢].

ومما يدل على أن مالكاً لا ينكر حديث الصورة أنه نفسه من رواة هذا الحديث، قال البخاري في كتاب الاستئذان من صحيحه بَاب إذا ضَرَبَ الْعَبْدَ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ: حدثنا محمد بن عُبَيْدِ اللَّهِ حدثنا ابن وَهْبٍ قال حدثني مَالِكُ بن أَنَسٍ قال: وَأَخْبَرَنِي بن فُلَانٍ عن سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عن أبيه عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحدثنا عبد اللَّهِ بن مُحَمَّدٍ حدثنا عبد الرَّزَّاقِ أخبرنا مَعْمَرٌ عن هَمَّامٍ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قَاتَلَ أحدكم فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ"[٣]، وهذا القدر هو الجملة الأولى من حديث الصورة، والجملة الثانية: "فإن الله خلق آدم على صورته"، وقد رواه مسلم تاما في إحدى رواياته في الصحيح، ولفظه: "إذا قَاتَلَ أحدكم أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ فإن اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ على صُورَتِهِ"[٤]. وذكر الإمام ابن تيمية أن الجملة الأولى طلبية فيها حكم عملي يحتاج إليه الفقهاء، والجملة الثانية خبرية تتعلق بالإخبار عن خلق آدم قال: "فكثير من الفقهاء روى الجملة الأولى فقط، وهي قوله: "إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه" ولم يذكر الثانية، وعامة أهل الأصول والكلام إنما يروون الجملة الثانية، وهي قوله: "خلق الله آدم على صورته"، ولا يذكرون الجملة الطلبية، فصار الحديث متواتراً بين الطائفتين، وصاروا متفقين على تصديقه؛ لكن مع تفريق بعضه عن بعض"[٥].

ومما يدل أيضا على أن مالكاً لا ينكر هذه الأحاديث ماروواه الوليد بن مسلم قال: "سألت الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في الصفات فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف"[٦]، فمذهب الإمام مالك في أسماء الله وصفاته هو مذهب السلف الصالح في ذلك من إثبات ما

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٩٦/٤.

(٢)سير أعلام النبلاء ٤٥٠/٥ .

(٣) صحيح البخاري ٩٠٢/٢ح٢٤٢٠ .

(٤) صحيح مسلم ٢٠١٧/٤ .

(٥) بيان تلبيس الجهمية ٢٧٣/٣ –٢٨٥ .

(٦) التمهيد لابن عبد البر ١٤٩/٧ .

ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العلى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف[١].

الوقفة الثانية عشرة:

قال الكوراني: "لو كانت هذه الأحاديث صحيحة، وهي في ذات الله تعالى وصفاته أهم عقيدة إسلامية، لكانت معروفة جيداً في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من كل الصحابة أو من غالبهم؟ فلماذا لم يروها بقية الصحابة، بل استنكروها؟!"[٢].

أقول: لم يسم لنا الكوراني أحداً من الصحابة الذين زعم أنهم استنكروا أحاديث الصفات؛ لأن ما ذكره افتراء محض؛ إذ ليس بين الصحابة خلاف في مسائل العقيدة، ولا سيما باب الأسماء والصفات، ولعل الكوراني يريد بهذا الإمام مالكاً؛ لأنه ذكر هذا الكلام بعد أن ذكر عن مالك ما تقدم، فلعل الكوراني لا يعلم أن الإمام مالكاً ليس من الصحابة، ولا من التابعين، وأنه من تابعي التابعين! وقد تقدم الجواب عما ذكره عن الإمام مالك.

الوقفة الثالثة عشرة:

قال الكوراني: "وأشد من تجرأ عليها شيخ البخاري ابن خزيمة"[٣].

أقول: كيف يكون ابن خزيمة المولود سنة٢٢٣هـ، المتوفى سنة٣١١هـ شيخاً للبخاري المولود سنة١٩٤هـ، المتوفى سنة٢٥٦هـ؟! فالعكس هو الصحيح، أي أن البخاري هو شيخ ابن خزيمة، وإن كان البخاري روى عن ابن خزيمة أحاديث في غير صحيحه من باب رواية الأكابر عن الأصاغر تواضعاً.

الوقفة الرابعة عشرة:

قال الكوراني: "من تكفير المجسمين لمن خالفهم وإرهابهم لهم! شملت فتواهم بالتكفير أمهم عائشة لأنها كذبت ما رووه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه رأى ربه، وقالت: إن ذلك فرية عظيمة على الله تعالى! وأشد من تجرأ عليها شيخ البخاري ابن خزيمة، الذي يلقبونه إمام الأئمة فقد بالغ في التهجم عليها في كتابه المسمى التوحيد!....وقد هاجمها ابن خزيمة في كتاب التوحيد فقال: هذه لفظة أحسب عائشة تكلمت بها في وقت غضب، ولوكانت لفظة أحسن منها يكون فيها درك لبغيتها كان أجمل بها، ليس يحسن في اللفظ أن يقول قائل أو قائله: قد أعظم ابن عباس الفرية، وأبو ذر، وأنس بن مالك وجماعات من الناس الفرية على ربهم! ولكن قد يتكلم المرء عند الغضب باللفظة التي يكون غيرها أحسن وأجمل منها...نقول كما قال معمر بن راشد لما ذكر اختلاف عائشة وابن عباس في هذه المسألة: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس...وإذا اختلفا فمحال أن يقال: قد أعظم ابن عباس الفرية على الله؛ لأنه قد أثبت شيئا نفته عائشة...انتهى"[٤].

---

(١) انظر منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة لسعود الدعجان /١٣٤ .

(٢) ألف سؤال/٣٣ .

(٣) ألف سؤال/٣٣ .

(٤) ألف سؤال/٣٣ .

أقول: سأنقل نص كلام ابن خزيمة تاما ليتبين تحريف الكوراني، قال ابن خزيمة:

"هذه لفظة أحسب عائشة تكلمت بها في وقت غضب، كانت لفظة أحسن منها يكون فيها دركا لبغيتها كان أجمل بها، ليس يحسن في اللفظ أن يقول قائل أو قائلة: فقد أعظم ابن عباس الفرية وأبو ذر وأنس بن مالك وجماعات من الناس الفرية على ربهم، ولكن قد يتكلم المرء عند الغضب باللفظة التي يكون غيرها أحسن وأجمل منها، أكثر ما في هذا أن عائشة رضي الله عنها وأبا ذر وابن عباس رضي الله عنهما وأنس بن مالك رضي الله عنه قد اختلفوا هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه فقالت عائشة رضي الله عنها: لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ربه، وقال أبو ذر وابن عباس رضي الله عنهما: قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه...وبعد أن ناقش أدلة الفريقين قال: نقول كما قال معمر بن راشد لما ذكر اختلاف عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهما في هذه المسألة: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس، نقول: عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله عالمة فقيهة، كذلك ابن عباس رضي الله عنهما ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا النبي صلى الله عليه وسلم له أن يرزق الحكمة والعلم، وهذا المعني من الدعاء، وهو المسمى بترجمان القرآن، ومن كان الفاروق رضي الله عنه يسأله عن بعض معاني القرآن، فيقبل منه وإن خالفه غيره ممن هو أكبر سناً منه وأقدم صحبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وإذا اختلفا فمحال أن يقال: قد أعظم ابن عباس الفرية على الله؛ لأنه قد أثبت شيئاً نفته عائشة رضي الله عنها"(١).

لقد حذف الكوراني ثناء ابن خزيمة على عائشة ووصفه إياها بالصديقة بنت الصديق وحبيبة حبيب الله وأنها عالمة فقيهة، ووضع مكان هذا الثناء نقطاً ونقل ما بعده، وذلك ليتم له ما أراده من ادعاء أن ابن خزيمة كان أشد من تجرأ على عائشة وأنه بالغ في التهجم عليها، وكل ما فعله ابن خزيمة أنه رجح القول المخالف لقول عائشة، واعتذر عنها في إطلاقها تلك اللفظة الشديدة، بأنها لفظة صدرت حال الغضب، ومن طبيعة البشر أن الغضب قد يجعلهم يتكلمون بكلام غيره أحسن منه، ثم أثنى على عائشة أم المؤمنين بذلك الثناء العاطر، فأين الهجوم والتجرؤ على عائشة الذي ادعاه الكوراني؟!

وقد ادعى الكوراني أن أهل السنة شملت فتواهم بالتكفير أمهم عائشة، ولم يورد سوى كلام ابن خزيمة فأين التكفير المزعوم؟ ومن الذي كفر عائشة من أهل السنة؟!

وهنا وقفة عند عبارة الكوراني: "أمهم عائشة"، ومثلها قوله: "ما رأيكم في عقيدة أمكم عائشة"(٢)، ولم يقل: أمنا عائشة فكأنه لا يقر بأنها أمه؛ فأخرج نفسه من قوله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} (سورة الأحزاب: ٦)، وقد قال عبيد بن عمير التابعي الجليل رحمه الله حين توفيت عائشة رضي الله عنها: "أما إنه لا يحزن عليها إلا من كانت أمه"(٣).

---

(١) التوحيد لابن خزيمة ٢/٥٥٦-٥٦٠ .

(٢) ألف سؤال/٣٥ .

(٣) الطبقات الكبرى ٨/٧٨ .

الوقفة الخامسة عشرة:

قال الكوراني: "ما رأيكم فيما قاله ابن عساكر الذي تعتبرونه تلميذاً لابن تيمية عن أجدادكم المجسمة الحشوية: قال في كتابه تبيين كذب المفتري"(١)، أقول: كيف يكون ابن عساكر المتوفى سنة٥٧١هـ تلميذاً لابن تيمية المولود سنة٦٦١هـ؟!

خاتمة: أظهر هذا البحث أن كتاب (ألف سؤال وإشكال) مليء بالأكاذيب على أهل السنة عامة، وعلى أئمة الحديث خاصة، ومليء بالأحقاد على أهل السنة عامة، وعلى الصحابة خاصة، وأن هذا الكتاب لم يُبن على أصول المنهج العلمي، وأسس البحث الصحيحة، وقاعدة الأمانة العلمية، وإنما سار فيه مؤلفه على أي طريق يحقق هدفه من هذا الكتاب، وهو تشويه صورة المخالف، والتنفير منه، وبتأمل منهجه الذي سار عليه في الكتاب عامة، وفي العُشر الأول منه خاصة، تتضح ملامح هذا المنهج فيما يأتي:

١ –إلزاق تهم بالمخالف، دون تحديد قائلها، أو ذكر مصدرها.

٢ – ذم المخالف بتهم لم يقل بها، نقلها المؤلف من مصادره هو لا من مصادر المخالف.

٣ – ذم المخالف بتهم، يأتي عليها بدليل، ولا يكون في ذلك الدليل ما يدل على تلك التهمة.

٤ –ذم المخالف بتهم، يأتي عليها بدليل، ويكون في ذلك الدليل ما ينقض تلك التهمة، وينفيها عن المخالف.

٥ –بتر النصوص، وحذف ما فيه تبرئة المخالف من التهمة التي يلزقها المؤلف به.

المراجع

١ – ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين؛ لعلي كوراني –دار المحجة البيضاء– ١٤٢٤هـ.

٢ – إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل؛ لمحمد بن إبراهيم بن جماعة، دار السلام، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني.

٣ – بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية؛ ابن تيمية، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ١٣٩٢هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

٤ – البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة؛ لأبي الوليد بن رشد القرطبي، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٤هـ، تحقيق: محمد حجي.

٥ – تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل؛ لابن عساكر علي بن الحسن، دار الفكر، ١٩٩٥هـ، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي.

٦ – التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين؛ للإسفراييني، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٧ – ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك؛ للقاضي عياض، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، الطبعة الاولى، تحقيق: محمد سالم هاشم.

٨ – تفسير القرآن العظيم ؛ لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي – دار الفكر – ١٤٠١هـ .

---

(١) ألف سؤال/٣٨ .

٩ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد؛ ليوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري.

١٠ - تهذيب التهذيب؛ لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار الفكر، ١٤٠٤هـ، الطبعة الأولى.

١١ - تهذيب الكمال؛ ليوسف بن عبدالرحمن المزي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: بشار عواد معروف.

١٢ - التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل؛ لمحمد بن إسحاق بن خزيمة، مكتبة الرشد، ١٤١٤هـ، الطبعة الخامسة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان.

١٣ - الجامع لأحكام القرآن؛ لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب.

١٤ - الرد على الجهمية ؛ لعثمان بن سعيد الدارمي، دار ابن الأثير، ١٤١٦هـ، تحقيق: بدر البدر.

١٥ - السنة؛ لأحمد بن محمد بن هارون الخلال، دار الراية، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: عطية الزهراني.

١٦ - السنة؛ لعبد الله بن أحمد بن حنبل، دار ابن القيم، ١٤٠٦هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد القحطاني.

١٧ - سير أعلام النبلاء؛ لمحمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ، الطبعة التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.

١٨ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة؛ لهبة الله بن الحسن اللالكائي، دار طيبة، ١٤٠٢هـ، تحقيق: أحمد سعد حمدان.

١٩ - شرح العقيدة الطحاوية؛ لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، ١٣٩١هـ، الطبعة الرابعة.

٢٠ - طبقات الشافعية الكبرى؛ لعلي بن عبدالكافي السبكي، دار هجر، ١٤١٣هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو.

٢١ - الطبقات الكبرى؛ لمحمد بن سعد بن منيع الزهري، دار صادر.

٢٢ - العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ؛ لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي - دار الكتب العلمية - ١٤٠٣هـ الطبعة الأولى ، تحقيق : خليل الميس .

٢٣ - فتح الباري بشرح البخاري ؛ لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دار المعرفة ، تحقيق : محب الدين الخطيب

٢٤ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة؛ لمحمد بن علي الشوكاني، المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ، الطبعة الثالثة، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي.

٢٥ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ؛ لعبد الحق بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ ، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

٢٦ - المدخل؛ لمحمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج - دار الفكر - ١٤٠١هـ.

٢٧ - معالم أصول الدين؛ لمحمد بن عمر الخطيب الرازي - دار الكتاب العربي - ١٤٠٤هـ ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد .

٢٨ - منهاج السنة النبوية؛ لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني - مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦ هـ - الطبعة الأولى تحقيق : محمد رشاد سالم .

٢٩ - منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة؛ لسعود بن عبدالعزيز الدعجان - مكتبة ابن تيمية - الطبعة الأولى ١٤١٦ .

٣٠ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال؛ لمحمد بن أحمد الذهبي-دار الكتب العلمية- ١٩٩٥م- الطبعة الأولى، تحقيق: علي محمد معوض و عادل أحمد عبدالموجود.

حديث: (لا تبـع ما ليـس عندك)
ودفع توهم تعارضه مع إباحة بيع السلم

د. خالد بن زيد الجبلي

الأستاذ المشارك بقسم الثقافة الإسلامية

جامعة حائل

السعودية

khalidzd@gmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا بحث أقدم فيه دراسة لحديث حكيم بن حزام رضي الله عنه: (لا تبع ما ليس عندك)، وما في معناه من الأحاديث، وحاولت أن أجمع الصور التي تدخل فيه، وأبيّن آراء أهل العلم فيها، مع الجمع بينه وبين بيع السلم الذي جاءت النصوص بجوازه، دفاعًا عن السنة النبوية، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قوله كله حق لا يتعارض.

واهتم العلماء بجمع النصوص التي ظاهرها التعارض، وأزالوا الإشكال عنها، وهذه مساهمة مني بذلك، وقد تناولت في هذا البحث روايات الحديث، وفقهه، والفرق بينه وبين بيع السلم، وذلك في ثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: وهو تمهيدي، جعلته في مطلبين:

المطلب الأول: روايات الحديث.

المطلب الثاني: مفهوم بيع السلم.

المبحث الثاني: فقه بيع الإنسان ما ليس عنده. وجعلته في ستة مطالب:

المطلب الأول: معنى العندية الوارد في الحديث.

المطلب الثاني: علة النهي عن بيع الإنسان ما ليس عنده.

المطلب الثالث: أن يبيع شيئًا معينًا يملكه، يعجز عن تسليمه وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أن يبيع مملوكًا له خارجًا عن حوزته.

المسألة الثانية: أن يبيع مملوكًا له قبل قبضه.

المطلب الرابع: أن يبيع شيئًا معينًا لا يملكه وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أن يبيع ملك غيره لمصلحة نفسه.

المسألة الثانية: أن يبيع ملك غيره لمصلحة مالكه.

المطلب الخامس: أن يبيع شيئًا موصوفًا في الذمة بيعًا حالاًّ.

المطلب السادس: أن يبيع شيئًا موصوفًا في الذمة بيعًا مؤجلاً.

المبحث الثالث: بيع السلم وبيع ما ليس عند البائع.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، وأما مهجي في البحث فهو:

١. حاولت استقصاء الصور التي تضمنتها أحاديث النهي عن بيع الإنسان ما ليس عنده، وترتيبها ترتيبًا متناسقًا.

٢. عرضت الخلاف بشكل مختصر يتناسب وحجم البحث، استعرضت فيه أهم الأقوال والأدلة، وبيّنت ما ترجح لدي.

٣. قمت بتخريج الأحاديث بالطريقة الآتية:

- إن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليه.
- إن كان الحديث في الكتب الستة فإني أذكر اسم الكتاب والباب ورقم الحديث، وإن كان في غيرها فإني أكتفي بذكر رقم الجزء والصفحة.

- أنقل الحكم على الحديث من كلام المحدثين بحسب ما تيسر لي.

المبحث الأول

(تمهيدي)

المطلب الأول: روايات الحديث في النهي عن بيع الإنسان ما ليس عنده

ورد في النهي عن بيع الإنسان ما ليس عنده أحاديث عدة ، أذكرها هنا مخرِّجًا لها، وهي:

أولاً: عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: يأتيني الرجل يسألني البيع ليس عندي ما أبيعه، ثم أبيعه من السوق، فقال: (لا تبع ما ليس عندك)، أخرجه الخمسة، وهذا لفظ أحمد[١]، وسؤال حكيم ورد بصيغ عدة:

فعند أبي داود: يأتيني الرجل فيريد مني البيع ليس عندي، أفأبتاعه له من السوق؟[٢].

وعند النسائي: يأتيني الرجل فيسألني البيع ليس عندي، أبيعه منه ثم أبتاعه له من السوق؟[٣].

وعند الترمذي: يأتيني الرجل فيسألني من البيع ما ليس عندي، أبتاع له من السوق ثم أبيعه؟[٤].

وعند ابن ماجه: الرجل يسألني البيع وليس عندي أفأبيعه؟[٥].

وفي روايةٍ لأحمد والترمذي: نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبيع ما ليس عندي[٦].

فهذه الروايات تفيد أن حكيمًا يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم عقد بيعٍ مع مشترٍ يطلب سلعة منه، وهي ليست عنده وقت الطلب، فيبيعه إياها قبل أن يملكها، على أن يذهب إلى السوق فيشتريها ثم يسلمها للمشتري.

إلا أن رواية الترمذي فيها إشكال، أورده وأجاب عنه المباركفوري بقوله: "قوله (أبتاع له من السوق) بتقدير همزة الاستفهام، أي: أأشتري له من السوق؟ وفي رواية أبي داود (أفأبتاع له من السوق)، (ثم أبيعه) لم يقع هذا اللفظ في رواية أبي داود، ولا في رواية النسائي، ولا في رواية ابن ماجه، والظاهر أنه ليس على معناه الحقيقي، بل المراد منه التسليم، ومقصود السائل أنه هل يبيع ما ليس عنده، ثم يشتريه من السوق، ثم يسلمه للمشتري الذي اشترى له منه"[٧].

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٠٢).

(٢) سنن أبي داود: في البيوع باب في الرجل يبيع ما ليس عنده، رقم (٣٥٠٥).

(٣) سنن النسائي: في البيوع باب بيع ما ليس عند البائع، رقم (٤٦٢٧).

(٤) سنن الترمذي: في البيوع باب ما جاء في كراهية بيع ما ليس عندك، رقم (١٢٣٢).

(٥) سنن ابن ماجه : في التجارات، باب النهي عن بيع ما ليس عندك، رقم (٢١٨٧). وقد حسنه الترمذي، وصححه النووي في المجموع (٩/ ٢٥٩)، والألباني في إرواء الغليل (٥/ ١٣٢).

(٦) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٠٢) ، سنن الترمذي في البيوع باب ما جاء في كراهية بيع الإنسان ما ليس عنده، رقم (١٢٣٣)، وقال : "هذا حديث حسن".

(٧) تحفة الأحوذي (٤/ ٣٦٠).

ثانيًا: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سلف وبيع، وعن شرطين في بيع، وعن بيع ما ليس عندك، وعن ربح ما لم يضمن)، أخرجه الخمسة[٨].

ثالثًا: عن عتاب بن أسيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له حين أمّره على مكة: (هل أنت مبلغ عني قومك ما آمرك به؟ قل لهم: لا يجمع أحد بيعًا ولا سلمًا، ولا يبع أحد بيع غرر، ولا يبع أحد ما ليس عنده).

أخرجه الطبراني في الكبير[٩]، وبنحوه البيهقي في سننه[١٠].

رابعًا: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يجوز طلاق، ولا بيع، ولا عتق ، ولا وفاء نذر فيما لا يملك)، أخرجه أحمد[١١]، وأبو داود[١٢]،والنسائي بلفظ (ليس على رجل بيع فيما لا يملك)[١٣].

المطلب الثاني

مفهوم السلم

السلم لغة:

السلم والسلف بمعنى واحد، وهو التقديم والتسليم، وسمي سلمًا لتسليم رأس المال في المجلس، وسلفًا لتقديمه قبل أوان استلام المبيع[١٤].

السلم اصطلاحًا:

اختلفت عبارات الفقهاء في تعريفه إلا أن دلالتها واحدة، ولعل من أجمع وأوضح ما عرّف به هو أنه: عقد على موصوف في الذمة مؤجل، بثمن مقبوض في مجلس العقد[١٥]، فالمسلَم فيه دين في الذمة مؤجل أجلاً معلومًا، يكون عام الوجود عند حلول أجله، إذا ضبطت صفاته، وتم قبض رأس ماله في مجلس العقد.

حكمه ودليله: السلم جائز بالكتاب والسنة والإجماع:

---

(٨) مسند الإمام أحمد (٢/ ١٧٤) ، وسنن أبي داود في البيوع ، باب في العربان، رقم (٣٥٠٤)، وسنن النسائي في البيوع باب بيع ما ليس عند البائع، رقم (٤٦٤٥)، وسنن الترمذي في البيوع، باب ما جاء في كراهية بيع ما ليس عندك رقم (١٢٣٤)، وسنن ابن ماجه في التجارات باب النهي عن بيع ما ليس عندك رقم (٢١٨٨)، وقال الترمذي عقبه:"حديث حسن صحيح ". وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، المستدرك (٢/ ٢١).

(٩) المعجم الكبير (١٧/ ١٦٢)، وضعفه الهيثمي في المجمع (٤/ ١٥٣).

(١٠) سنن البيهقي (٥/ ٣١٣)، وفيه محمد بن إسحاق وقد عنعنه.

(١١) مسند أحمد (٢/ ١٩٠).

(١٢) سنن أبي داود في الطلاق، باب في الطلاق قبل النكاح رقم (٢١٩٠).

(١٣) سنن النسائي في البيوع ، باب بيع ما ليس عند البائع رقم (٤٦٦٢). والحديث صححه الألباني في إرواء الغليل (٦/ ١٧٣).

(١٤) ينظر: التعريفات (ص/ ١٦٠) ، تحرير ألفاظ التنبيه (ص/ ١٨٧).

(١٥) ينظر: المطلع (ص/ ٢٤٥)، تحرير ألفاظ التنبيه: الموضع السابق.

أولاً: من الكتاب قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه} (سورة البقرة: ٢٨٢)،

قال ابن عباس: "أشهد أنه السلف المضمون إلى أجل مسمى أن الله قد أحله، وأذن فيه، ثم قرأ هذه الآية"[١٦].

ثانيًا: من السنة: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يسلفون في التمر السنتين والثلاث، فقال: (من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم)، متفق عليه[١٧].

ثالثًا: الدليل من الإجماع: فقد حكاه غير واحد من أهل العلم[١٨].

الحكمة من مشروعيته:

هي حاجة الناس إلى السلم لما فيه من رفع المشقة عنهم، وذلك لأن التجار يحتاجون إلى النفقة على أنفسهم وعلى تجارتهم، وقد تعوزهم النفقة ، فجوّز لهم السلم، ليرتفقوا، ويرتفق المسلِم على السلعة بثمن رخيص[١٩].

المبحث الثاني

فقه بيع الإنسان ما ليس عنده

اختلف العلماء في بيان المراد بالنهي عن بيع الإنسان ما ليس عنده على أقوال:

أولاً: أن المراد به النهي عن بيع العين المعيّنة التي ليست عند البائع، بل هي مملوكة لغيره، فيبيعها ثم يسعى في شرائها من صاحبها، ثم يسّلمها للمشتري.

فيكون معنى الحديث: لا تبع ما ليس عندك من الأعيان، لجواز السلم إلى أجل، وإليه ذهب الشافعي[٢٠]، والبغوي[٢١].

ثانيًا: أن المراد به النهي عن أن يبيع ما في الذمة إذا لم يكن عنده، وهو يتناول السلم إذا لم يكن عنده، لكن جاءت النصوص بجواز السلم المؤجل، فبقي هذا في السلم الحالّ، وإليه ذهب الجمهور[٢٢].

ثالثًا: أن المراد به النهي عن أن يبيع ما في الذمة مما هو ليس مملوكًا له، ولا يقدر على تسليمه، ويربح فيه قبل أن يملكه ويضمنه ويقدر تسليمه، فهو نهي عن السلم الحالّ إذا لم يكن عند البائع ما باعه، وهذا ما اختاره شيخ الإسلام[٢٣] ابن تيمية، وابن القيم[٢٤].

---

(١٦) ينظر: الدر المنثور (٢/ ١١٧).

(١٧) صحيح البخاري في السلم ، باب السلم في وزن معلوم، رقم (٢١٢٥)، وصحيح مسلم في المساقاة، باب السلم رقم (٤٢٠٢).

(١٨) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١١/ ٤١)، والمغني (٤/ ٣٣٨).

(١٩) ينظر: المغني : الموضع السابق.

(٢٠) ينظر: الرسالة (ص/ ٣٣٩- ٣٤٠).

(٢١) ينظر:شرح السنة (٨/ ١٤٠).

(٢٢) ينظر: شرح فتح القدير (٧/ ٧٣)، الذخيرة (٥/ ٢٢٤)، المجموع (١٣/ ٩٧)، زاد المعاد (٥/ ٨١٢).

(٢٣) ينظر:مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥٢٩).

(٢٤) ينظر:زاد المعاد: الموضع السابق.

ولمحاولة معرفة معنى الحديث، والصور الداخلة في بيع الإنسان ما ليس عنده، فقد نظمت هذا المبحث في ستة مطالب، وإليك بيانها:

المطلب الأول: معنى العندية الواردة في الحديث

(عند) في اللغة بمعنى حضور الشيء ودنوّه، وهي ظرف مكان وزمان، تقول: عند الليل، وعند الحائط[٢٥]، ونقل الشوكاني في معناها لغة، أنها تستعمل في الحاضر القريب، وما هو في حوزتك وإن كان بعيدًا[٢٦].

وقد بيّن ذلك ابن القيم بقوله: "العندية هنا ليست عندية الحس والمشاهدة، فإنه يجوز أن يبيعه ما ليس تحت يده ومشاهدته، وإنما هي عندية الحكم والتمكين"[٢٧].

فالمبيع الموجود في حيازة البائع وإن لم يكن قريبًا، ويعبر عنه بأنه عنده، كقول القائل: عندي بيت في مدينة كذا. وإن باعه فإنما باعه شيئًا عنده.

وهذا التفسير أدق من تفسير من قصر العندية على الملك، فقد يكون الشيء مملوكًا للبائع لكنه غير متمكن منه، ولا قادر على تسليمه كالطير في الهواء مثلاً.

فقوله في الحديث: (ما ليس عندك) على عمومه، فيشمل المملوك الخارج عن الحوزة، غير المقدور على تسليمه، وغير المملوك ، ويشمل المبيع الموصوف في الذمة المعجوز عن تسليمه، كما سيأتي تفصيله.

المطلب الثاني: علة النهي في بيع الإنسان ما ليس عنده

اختلفت تعليلات العلماء لهذا النهي بعبارات مختلفة يمكن إرجاعها إلى الآتي:

١ -أنها تمليك البائع للمشتري شيئًا لا يملكه[٢٨].

٢ -أنها عدم القدرة على تسليم المبيع ، مما يترتب عليه نزاع، ويفوّت القصد من البيع وهو تمليك التصرف[٢٩].

٣ -أنها ما يشتمل عليه من الغرر[٣٠].

وقد وفقّ الصدّيق الضرير بين ما سبق بقوله:

"علة النهي هي الغرر الناشئ عن عدم القدرة على التسليم وقت العقد، وما قد يترتب على ذلك من نزاع، فإن البائع قد لا يجد المبيع في السوق، والمشتري يطلبه به ولا يرضى إمهاله ، لأن العقد تم على أن يسلمه المبيع في الحال، ولأن بيع الإنسان ما لا يملكه بطريق الأصالة عن نفسه تمليك ما لا يملك"[٣١].

---

(٢٥) ينظر: لسان العرب (٣/ ٣٠٧) مادة: عند.

(٢٦) نيل الأوطار (٥/ ٢١٧).

(٢٧) تهذيب السنن (٩/ ٢٩٩).

(٢٨) ينظر: بدائع الصنائع (٥/ ١٤٧)، والمغني (٤/ ٢٩٤).

(٢٩) ينظر: المهذب (١/ ٢٦٣)، المغني الموضع السابق.

(٣٠) ينظر:المنتقى (٣/ ٤١١)، زاد المعاد (٥/ ٨١٥- ٨١٦).

(٣١) الغرر وأثره في العقود (ص/ ٣٣٧).

فاتضح أن العلة الجامعة بين ما سبق هي عدم القدرة على التسليم ، فإن البائع إذا باع شيئًا ليس في ملكه، ثم يمضي ليشتريه كان مترددًا بين الحصول وعدمه ، ففيه مخاطرة وقمار، ويفضي إلى المنازعات بين المتبايعين.

المطلب الثالث: أن يبيع الإنسان شيئًا معينًا يملكه، يعجز عن تسليمه. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أن يبيع مملوكًا له خارجًا عن حوزته.

كالعبد الآبق، والمغصوب الذي لا يستطيع رده من غاصبه، والجمل الشارد، والطير في الهواء الذي لا يعتاد الرجوع، والمال الضائع، فهذه يحرم بيعها، لأن بائعها لا يقدر على تسليمها، مع كونه مالكًا لها[٣٢]، فكان بائعًا ما ليس عنده،

وهذا من بيوع الغرر، كما قال الشافعي: "ومن بيوع الغرر بيع السمك في الماء، وبيع العبد الآبق، وبيع الطير في السماء، ونحو ذلك من البيوع"[٣٣]، وبيع الغرر منهي عنه كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[٣٤]، ولأن القصد من البيع تمليك التصرف، ولا يمكن ذلك هنا، فإنه إذا تعذّر تسليم المبيع، فإن البيع يفوت مقصوده.

المسألة الثانية: أن يبيع مملوكًا له قبل قبضه من مالكه.

جاء في حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: إني أشتري بيوعًا، فما يحل لي، وما يحرم عليّ؟ فقال لي: (إذا بعت بيعًا فلا تبعه حتى تقبضه)، أخرجه أحمد[٣٥]، والبيهقي[٣٦].

والقبض كما عرفه الكاساني:"هو التمكن والتخلي وارتفاع الموانع عرفًا وعادة حقيقة"[٣٧]، فمن باع سلعة قد ملكها، لكنه لم يقبضها من بائعها، لم يصح بيعه وذلك:

١ –لعدم استيلائه على سلعته، وعدم انقطاع علاقة بائعا الأول عنها، فقد يمتنع عن إقباضها، خاصة إذا رأى المشتري قدر ربح فيها. وربما تحيل على فسخ العقد، وأفضى ذلك إلى الخصومة والعداوة.

٢ – ولأن السلعة قبل قبضها من ضمان البائع، فإذا باع المشتري السلعة قبل قبضها كان قد ربح في شيء لم يدخل في ضمانه.

يدل على هذا ما تقدم في روايات الحديث(النهي عن ربح ما لم يضمن)، من حديث عبد الله بن عمرو، وقد أجمع العلماء على أن من اشترى طعامًا فليس له بيعه حتى يقبضه[٣٨]، وإنما وقع الخلاف فيما سوى الطعام، ولعل الأقرب أن الحكم عام في الطعام وغيره، لعموم النهي في حديث حكيم السابق، ولأن عموم السلع قبل قبضها من ضمان البائع، كما في حديث عبد الله بن عمرو السابق، ويرى الشافعي أن علة النهي عن بيع ما لم يقبض هي أن

---

(٣٢) ينظر: روضة الطالبين (٣/ ٣٥٦)، المغني (٤/ ٢٩٣).

(٣٣) ينظر: سنن الترمذي (٣/ ٥٣٢).

(٣٤) صحيح مسلم في البيوع ، باب بطلان بيع الحصاة.. رقم (٣٨٨١).

(٣٥) مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٠٢)، وقال محققه "هذا إسناد حسن".

(٣٦) سنن البيهقي (٥/ ٣١٣).

(٣٧) ينظر: بدائع الصنائع (٥/ ١٤٨).

(٣٨) نقل الإجماع: النووي في شرح مسلم (١٠/ ١٧٠)، وابن قدامة في المغني (٤/ ٢٣٥).

المبيع ليس مملوكًا ملكًا تامًا للبائع، ولا مضمونًا عليه[٣٩]، ولأن ملك المبيع لا يستقر إلا بالقبض، وبيع ما لم يستقر ملكه باطل ، لأنه ربما هلك فانفسخ العقد، وذلك غرر[٤٠]، فمن باع سلعة لم يقبضها فقد باع ما ليس عنده.

المطلب الرابع: أن يبيع شيئًا معينًا لا يملكه، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أن يبيع ملك غيره لمصلحة نفسه.

إذا كان المبيع معينًا ولم يملكه البائع، وإنما باع تلك السلعة قبل تملكها ، ثم ذهب ليشتريها ويسلمها للمشتري.

فهذا البيع باطل، وقد حكى الإجماع على بطلانه غير واحد من أهل العلم.

قال ابن قدامة: "ولا يجوز أن يبع عينًا لا يملكها، ليمضي ويشتريها ويسلمها، رواية واحدة، وهو قول الشافعي، ولا نعلم فيه مخالفًا"[٤١]، ثم احتج بحديث حكيمٍ السابق، وذكر ابن عبد البر أن بيع ما ليس عند الإنسان من الأصول المجتمع على تحريمها[٤٢]، وفي هذا البيع محذوران:

الأول: أنه باع ما لا يملك.

قال ابن القيم:"وأما قوله (لا تبع ما ليس عندك)، فمطابق لنهيه عن بيع الغرر، لأنه إذا باع ما ليس عنده فليس هو على ثقة من حصوله، بل قد يحصل له ، وقد لا يحصل له، فيكون غررًا"[٤٣].

الثاني: أنه ربح فيما لم يضمن، وقد ورد النهي عن ذلك، كما في حديث عبد الله بن عمرو السابق.

المسألة الثانية: أن يبيع ملك غيره لمصلحة مالكه.

ويعبِّر عنه العلماء بتصرف الفضولي، وهو من لم يكن وليًا ولا أصيلاً، ولا وكيلاً في العقد[٤٤]، وقد اختلف العلماء في حكم بيعه، إذا باع ملك غيره لمصلحة مالكه على قولين:

القول الأول: أن بيعه باطل، وهو المذهب عند الشافعية[٤٥]، والحنابلة[٤٦].

القول الثاني: أن بيعه موقوف على الإجازة، فإن أجازه المالك صح، وإلا فلا، وهو المذهب عند الحنفية[٤٧]، والمالكية [٤٨]، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية[٤٩]، وابن القيم[٥٠].

---

(٣٩) ينظر: الأم (٣/ ٧٠- ٧١).

(٤٠) ينظر: الحاوي (٥/ ٢٢١)، والمجموع (٩/ ٢٦٤).

(٤١) المغني (٤/ ٢٩٦).

(٤٢) ينظر:التمهيد (١٤/ ٢١٦).

(٤٣) تهذيب السنن (٩/ ٢٩٩).

(٤٤) ينظر: التعريفات (ص/ ٢١٥).

(٤٥) ينظر: روضة الطالبين (٣/ ٣٥٤)، مغني المحتاج (٢/ ١٥).

(٤٦) ينظر: المحرر (١/ ٣١٠)، المغني (٤/ ٣٢١).

(٤٧) ينظر: المبسوط (١٣/ ٢٨٢)، وبدائع الصنائع (٥/ ١٤٨).

(٤٨) ينظر: مواهب الجليل (٦/ ٧٥)، ومنح الجليل (٤/ ٤٥٨).

(٤٩) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٤٩- ٢٥٠).

(٥٠) ينظر: إعلام الموقعين (٢/ ٥٦).

الأدلة: أدلة القول الأول:

ومن أهم أدلتهم الاستدلال بأحاديث النهي عن بيع الإنسان ما لا يملك المتقدمة، وجه الدلالة: أن الفضولي ليس بمالك ، فكان ممنوعًا من البيع لعدم الملك، ونوقش بأمور(٥١):

١ -إن الحديث ورد على معنى وهو أن يأتي الرجل فيعقد مع رجل بيع ما ليس عنده، ثم يذهب البائع إلى آخر ليشتري السلعة ليسلمها للمشتري الأول، وهذا المعنى غير موجود هنا، لأن الفضولي يبيع لغيره لا لنفسه.

٢ -إن المراد بالحديث النهي عن بيع ما ليس مقدورًا عليه، بدليل جواز بيع الوكيل مع كونه ليس مالكًا، فدل على أن المراد ليس المنع من بيع ما لا يملك مطلقًا.

٣ -إن عقد السلم يصح بيع المسلَم فيه وقت العقد، مع أنه ليس بمالك له، فكذلك الحال في بيع الفضولي.

أدلة القول الثاني: من أهم أدلتهم:

١ -حديث عروة البارقي رضي الله عنه قال: دفع إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارًا لأشتري له شاة، فاشتريت له شاتين، فبعت إحداهما، وجئت بالشاة والدينار إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر له ما كان من أمره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بارك الله لك في صفقة يمينك)، أخرجه البخاري(٥٢)، والخمسة عدا النسائي(٥٣).

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أذن لعروة بشراء شاة واحدة، ولم يأذن له بالبيع، فاشترى شاة أخرى وباع، وكل ذلك من قبيل تصرف الفضولي، فأجازه النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له بالبركة.

٢ -القياس على البيع بشرط الخيار، بجامع أن كلاً منهما عقد يتوقف على الإجازة، فكما أن البيع بشرط الخيار ثلاثة أيام يجوز، وهو بيع موقوف على الإجازة، فكذا بيع الفضولي(٥٤).

الترجيح:

الأقرب والله أعلم هو القول بجواز البيع ووقف نفاذه على رضى المالك، وذلك:

١ -لقوة أدلتهم.

٢ -ولإمكان مناقشة ما استدل به المانعون.

٣ -ولأن تصرف الفضولي فيه مصلحة للمالك ولا ضرر فيه.

---

(٥١) ينظر: اختيارات شيخ الإسلام الفقهية (٦/ ٨٤- ٨٥).

(٥٢) صحيح البخاري في المناقب ، باب سؤال المشركين.. رقم (٣٤٤٣). قال ابن القيم: "انفرد بإخراجه البخاري، وقد استدرك عليه روايته عن الحي وهم غير معروفين ، وما كان هكذا فليس من شرطه في كتابه" تهذيب السنن (٩/ ١٧١).

(٥٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٧٥)، وسنن أبي داود في البيوع، باب في المضارب يخالف رقم (٣٣٨٦)، وسنن الترمذي في البيوع باب (٣٤) رقم (١٢٥٨)، وسنن ابن ماجه في الصدقات، باب الأمين يتجر فيه فيربح (٢٤٠٢)، وقد صححه النووي في المجموع (٩/ ٢٦٢)، والألباني في إرواء الغليل (٥/ ١٢٨).

(٥٤) ينظر: اختيارات شيخ الإسلام الفقهية (٦/ ٩٢).

المطلب الخامس: أن يبيع شيئًا موصوفًا في الذمة بيعًا حالاً

إذا كان المبيع حالاً، والسلعة موصوفة ، وهو ما يسميه العلماء بالسلم الحالّ، فقد اختلف العلماء في جوازه على ثلاثة أقوال:

القول الأول: عدم جواز السلم الحالّ، وهو المذهب عند الحنفية(٥٥)، والمالكية(٥٦)، والحنابلة(٥٧)، ومع اشتراط الجمهور للأجل، إلا أنهم قد اختلفوا في أقل مدته على أقوال، ليس هذا موضع بسطها.

القول الثاني: جواز السلم الحال مطلقًا، وهو المذهب عند الشافعية(٥٨).

القول الثالث: جواز السلم الحال إذا كانت السلعة في ملك البائع، ولا يجوز إذا لم تكن عنده، وهذه رواية عند الحنابلة(٥٩)، اختارها شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٠) وابن القيم(٦١).

الأدلة: أدلة القول الأول:

١ -حديث ابن عباس المتقدم (من أسلف في شيء فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم)، وجه الدلالة: أنه نص صراحة على اشتراط الأجل.

ونوقش:

بأنه ذكر الأجل في الحديث ليس من أجل اشتراط الأجل في العقد، وإنما معناه أنه إن كان هناك أجل فليكن معلوماً،

فالمراد نفي الجهالة في الأجل والقدر والصفة، لا منع السلم الحال(٦٢).

٢ -أن السلم شرع على خلاف الأصل، لأن الأصل تعجيل المبيع، **ونوقش:** بعدم التسليم بأن السلم على خلاف الأصل ، بل تأجيل المبيع كتأجيل الثمن كلاهما من المصالح(٦٣).

٣ -أن السلم إنما شرع رخصة للرفق بالأمة، ولا يحصل الرفق إلا بالأجل، فإذا انتفى الأجل انتفى الرفق، فظهر أن السلم من المصالح الحاجية(٦٤)، **ونوقش:** بأن المسلَم فيه موجود عند المسلَم إليه، لكنه غائب عنه، والرفق يدعو إلى تجويز السلم الحال في حقه، كما جاز في المؤجل.

---

(٥٥) ينظر: المبسوط (١٢/ ٢٢١)، وبدائع الصنائع (٥/ ٢١٢).

(٥٦) ينظر: الذخيرة (٥/ ٢٥١) ، الفواكه الدواني (٣/ ١١٤٠).

(٥٧) ينظر: المغني (٤/ ٣٥٥) ، الإنصاف (٥/ ٧٧).

(٥٨) ينظر: روضة الطالبين (٤/ ٧)، مغني المحتاج (٢/ ١٠٥).

(٥٩) ينظر: الإنصاف (٥/ ٧٧).

(٦٠) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥٢٩).

(٦١) ينظر: زاد المعاد (٥/ ٨١٢).

(٦٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (١١/ ٤١)، زاد المعاد (٥/ ٨١٢).

(٦٣) ينظر: زاد المعاد (٥/ ٨١٣).

(٦٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٣٧٩).

٤ –إذا لم يشترط الأجل في السلم كان من باب بيع ما ليس عند البائع، وهو لم يرخَّص فيه إلا في السلم[٦٥]، **ونوقش:** بأن النهي عن بيع ما ليس عن البائع في ملكه، لا ما كان غائبًا عنه، قال شيخ الإسلام: "فلو كان السلف الحال لا يجوز مطلقًا لقال له ابتداء: لا تبع هذا، سواء عنده أو ليس عنده، فلما لم ينه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك مطلقًا، بل قال: (لا تبع ما ليس عندك) علم أنه صلى الله عليه وسلم فرّق بين ما هو عنده، ويملكه ويقدر على تسليمه، وما ليس كذلك، وإن كان كلاهما في الذمة"[٦٦].

٥ –أن الحلول في السلم يخرجه عن اسمه، **ونوقش:** بأن العبرة في العقود بحقائقها ومقاصدها لا بألفاظها[٦٧].

أدلة القول الثاني:

١ –إذا جاز السلم مؤجلاً مع الغرر، فجواز الحال أولى، لأنه أبعد عن الغرر[٦٨].

٢ –أن الحاجة المعلل بها في جواز السلم المؤجل موجودة في السلم الحال[٦٩].

ونوقش: بأن هذا استدلال على جواز السلم الحال، لكنه ليس على إطلاقه، بل هو مقيد بما إذا كانت السلعة في ملكه، وذلك أن السلعة إذا لم تكن عنده، فقد يحصل عليها، وقد لا يحصل عليها، وهذا نوع من الغرر، وإن حصله فقد حصله بثمن أعلى مما تسلفه فيندم، وقد يحصله بسعر أرخص من ذلك فيندم المسلف ، لأنه كان يمكنه أن يشتريه هو بذلك الرخص، فصار هذا من نوع الميسر والقمار والمخاطرة، كبيع العبد الآبق والبعير الشارد يباع بدون ثمنه، فإن حصل ندم البائع، وإن لم يحصل ندم المشتري[٧٠].

أدلة القول الثالث:

من أهم ما استدل به حديث حكيم السابق قال: يأتيني الرجل فيسألني البيع ليس عندي، أبيعه منه، ثم أبتاعه له من السوق ؟ فقال: (لا تبع ما ليس عندك)، وقد استدلوا به على عدم جواز السلم الحال إذا لم يكن عنده من وجهين:

الأول: أن الحديث في النهي عن بيع شيء في الذمة، وليس النهي عن بيع شيء معين يملكه زيد أو عمرو.

فإن حكيم بن حزام ما كان يبيع شيئًا معينًا هو ملك لغيره ثم ينطلق فيشتريه منه، ولهذا قال: يأتيني فيطلب مني المبيع ليس عندي، لم يقل يطلب مني ما هو مملوك لغيري، فالطالب طلب الجنس، ليس له غرض في ملك شخص بعينه دون ما سواه مما هو مثله أو خير منه.

---

(٦٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: الموضع السابق.

(٦٦) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥٢٩).

(٦٧) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥٢٩).

(٦٨) ينظر: الأم (٣/ ٩٥).

(٦٩) ينظر: زاد المعاد (٥/ ٨١٢).

(٧٠) المرجع السابق.

ثانيًا: أن يبيعه حالاً وليس مؤجلاً، فإن قال: أبيعه، ثم أذهب فأبتاعه، فقال له: (لا تبع ما ليس عندك).

فلو كان السلم الحال لا يجوز مطلقًا ، لقال له: لا تبع هذا، سواء كان عنده أو ليس عنده.

فلما قال: (لا تبع ما ليس عندك) كان هذا دليلاً على جواز السلم الحال إذا كان عنده، ففرق بين ما هو عنده ويملكه ويقدر على تسليمه، وما ليس كذلك[٧١].

الترجيح:

الأقرب والله أعلم هو جواز السلم الحال إذا كان في ملك البائع، وذلك:

١ -لقوة ما استدلوا به ووجاهته.

٢ -ولمناقشة أدلة المخالفين بما يفيد عدم صحة الاستدلال بما ذكر.

٣ -ولأن من أصول الشريعة أن الأصل في المعاملات الإباحة.

المبحث الثالث

بيع السلم وبيع ما ليس عند البائع

قد دلت الأدلة على جواز عقد السلم، وجاء النهي عن بيع الإنسان ما ليس عنده، فما العلاقة بينهما؟ و"بيان العلاقة بينهما بحسب تفسير النهي عن بيع ما ليس عندك، فمن رأى أن المراد به بيع العين المعينة التي ليست عند البائع، فتكون الجهة بينهما منفكة، لأن النهي في الحديث وارد على العين المعينة، والسلم وارد على الموصوف في المؤجل، ومن حمل الحديث على عمومه في بيع كل ما ليس عند البائع، خصّ السلم من هذا العموم بالنصوص الواردة فيه، فيكون النهي عن بيع ما ليس عندك من العام المخصوص.

ومن جعل العندية في النهي عن بيع ما ليس عندك عندية الحكم والتمكين، وأن المراد ما لم يكن البائع على ثقة من توفيته في العادة، فلا يدخل في النهي، ولو كان المبيع مؤجلاً، فيكون النهي عن بيع ما ليس عندك من العام الذي أريد به الخصوص"[٧٢].

قال ابن القيم: "قد ظن طائفة أن بيع السلم مخصوص من النهي عن بيع ما ليس عنده، وليس هو كما ظنوه، فإن السلم يرد على أمر مضمون في الذمة ثابت فيها، مقدور على تسلميه عند محله، ولا غرر في ذلك ولا خطر، بل هو جعل المال في ذمة المسلَم إليه، يجب عليه أداؤه عند محله ، فهو يشبه تأجيل الثمن في ذمة المشتري، فهذا شغل لذمة المشتري بالثمن المضمون، وهذا شغل لذمة البائع بالمبيع المضمون، فهذا لون، وبيع ما ليس عنده لون"[٧٣].

الخاتمة

وبعد هذه الوقفات مع أحاديث النهي عن بيع الإنسان ما ليس عنده، توصلت إلى نتائج هذه أهمها:

---

(٧١) ينظر: زاد المعاد (٥/ ٨١٢- ٨١٣).

(٧٢) أحاديث البيوع المنهي عنها (ص/ ١٧٩).

(٧٣) ينظر: زاد المعاد (٥/ ٨١٠- ٨١١).

١ -إن العندية في الحديث يراد بها عندية الحكم والتمكين ، بأن يكون المبيع حاضرًا قريبًا، أو في حوزة البائع وإن كان بعيدًا.

٢ -إن علة النهي في الحديث هي عدم قدرة البائع على تسليم المبيع.

٣ -إن النهي الوارد في بيع الإنسان ما ليس عنده يشمل صورًا:

أ - بيع العين المعينة المملوكة لبائعها إذا كان يعجز عن تسليمها.

ب -بيع العني المعينة المملوكة لغير البائع وقت العقد ويستثنى من ذلك بيع الفضولي إذا أجازه المالك.

ت -السلم الحال في الذمة إذا لم يكن عند البائع ما يوفيه.

٤ -إن بيع السلم المؤجل غير داخل في النهي، لأن البائع على ثقة من توفيته في العادة، والنهي في الحديث من العام الذي أريد به الخصوص.

المصادر والمراجع

١. أحاديث البيوع المنهي عنها، لخالد الباتلي، نشر دار كنوز إشبيليا، الرياض، ١٤٢٥هـ.

٢. اختيارات شيخ الإسلام الفقهية، لعبد الله بن مبارك آل سيف، نشر كنوز إشبيليا، الرياض.

٣. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، لناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٥هـ.

٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم، تحقيق طه سعد ، نشر دار الجيل – بيروت ١٩٧٣م.

٥. الأم، للإمام أبي عبد الله الشافعي ، نشر دار المعرفة – بيروت.

٦. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، لأبي الحسن المرداوي ، نشر دار إحياء التراث العربي ت بيروت.

٧. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني ، نشر دار الكتاب العربي – بيروت.

٨. تحرير ألفاظ التنبيه، لأبي زكريا النووي ، تحقيق عبد الغني الدقر ، نشر دار القلم – دمشق ١٤٠٨هـ.

٩. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، لأبي العلا المباركفوري ، دار الكتب العلمية بيروت.

١٠. التعريفات، لعلي الجرجاني ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، نشر دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٥هـ

١١. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر بن عبد البر ، تحقيق مصطفى العدوي ، نشر مؤسسة قرطبة .

١٢. تهذيب السنن ، حاشية على سنن أبي داود لابن القيم.

١٣. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله القرطبي ، تحقيق هشام سمير ، نشر دار عالم الكتب – الرياض.

١٤. الحاوي، لأبي الحسن الماوردي ، نشر دار الفكر – بيروت.

١٥. الدر المنثور، لجلال الدين السيوطي ، نشر دار الفكر – بيروت ١٩٩٣م.

١٦. الذخيرة، لشهاب الدين القرافي تحقيق محمد حجي ، دار الغرب – بيروت ١٩٩٤م.

١٧. الرسالة، لأبي عبد الله الشافعي ، تحقيق أحمد شاكر ، نشر دار الكتب العلمية.

١٨. روضة الطالبين، لأبي زكريا النووي ، نشر المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٥هـ

١٩. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، نشر دار الكتاب الإسلامي – بيروت.

٢٠. سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار الفكر – بيروت.

٢١. سنن البيهقي الكبرى، لأبي بكر البيهقي، تحقيق محمد عطا ، نشر دار الباز، مكة المكرمة ١٤١٤هـ.

٢٢. شرح السنن، للإمام البغوي ، تحقيق زهير الشاويش ، نشر دار المكتب الإسلامي – بيروت.

٢٣. الغرر وأثره في العقود، للصديق الضرير سلسلة صالح كامل للرسائل الجامعية ط الثانية.

٢٤. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد النفراوي ، تحقيق رضا فرحات ، نشر مكتبة الثقافة.

٢٥. المبسوط، لأبي بكر السرخسي ، تحقيق خليل الميس ، نشر دار الفكر – بيروت.

٢٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين الهيثمي ، نشر دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ.

٢٧. مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع ابن قاسم العاصمي نشر دار ابن تيمية – مصر.

٢٨. المجموع شرح المهذب ، لأبي زكريا النووي ، نشر دار الفكر، بيروت.

٢٩. المحرر في الفقه، لأبي البركات مجد الدين بن تيمية ، نشر مكتبة المعارف- الرياض.

٣٠. المطلع على أبواب المقنع لأبي عبد الله البعلي ، تحقيق محمد بشير الأدلبي ، نشر المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠١هـ.

٣١. المعجم الكبير ، لأبي القاسم الطبري ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، نشر مكتبة العلوم والحكم الموصل.

٣٢. مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج للخطيب الشربيني ، نشر دار الفكر – بيروت.

٣٣. المغني في فقه الإمام أحمد لأبي محمد ابن قدامة ، نشر دار الفكر بيروت.

٣٤. المنتقى في شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي ، نشر دار الكتاب العربي- بيروت.

٣٥. منح الجليل شرح مختصر خليل لمحمد عليش ، نشر دار الفكر – بيروت ١٤٠٩هـ.

٣٦. المهذب في فقه الإمام الشافعي لأبي إسحاق الشيرازي – بيروت.

حديث:

(أَنتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنيَاكُمْ)

المفهوم والدلالة والتطبيق

د. رائد بن حمد بن خالد السليم

عضو هيئة التدريس بقسم السنة النبوية،

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم

السعودية

rasleam@gmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإن الله تعالى قد خلق الخلق لغاية عظيمة، وهي عبادته جل وعلا وتعظيمه وإفراده بالاستسلام والتذلل، والانقياد له بالطاعة وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿وَمَاْ خَلَقْتُ الجِنّ والإِنْسَ إِلّا لِيَعبُدُونْ﴾ (سورة الذاريات: ٥٦)، ولذا أرسل الرسل، وأنزل الكتب، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، كما قال جل في علاه: ﴿لا إِكْراهَ فِي الدِّين قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٦).

وكانت الرسالة المحمدية آخر الرسالات زمناً، وأعلاها خطراً، فبها تم ختم الرسالات السابقةً، كما قال جل ذكره: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاْمْ﴾ (سورة آل عمران: ١٩)، وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غيْرَ الإِسْلامِ دِيْنَاً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْه﴾ (سورة آل عمران: ٨٥)، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ﴾ (سورة المائدة: ٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين"(١).

ولأجل كون الشريعة الإسلامية خاتمة الرسالات، صار من أخص صفاتها الشمول؛ شمول المخاطبين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيْعَاً﴾ (سورة الأعراف: ١٥٨ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"(٢)، وقال: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"(٣).

وشمول التشريع لكل مناحي الحياة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾ (سورة الأنعام: ١٦٢)، قال عبد الله بن عمرو: " كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه؟!، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال: اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق"(٤)، وكما تعجبوا من عبد الله بن عمرو، كذا تعجب من لم يؤمن من سلمان الفارسي، فعن عبد الرحمن بن يزيد، عن سلمان قال: " قال لنا المشركون: إني أرى صاحبكم يعلمكم، حتى يعلمكم الخراءة، فقال: أجل، إنه نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه، أو يستقبل القبلة، ونهى عن الروث والعظام، وقال: لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ح ٣٥٣٥)

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التيمم ، باب قول الله تعالى فلم تجدوا ماء ، ح ٣٣٥) من حديث جابر بن عبدالله مرفوعا .

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا (كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ح ١٥٣)

(٤) أخرجه أحمد (ح ٦٤٧٤) ، وأبو داود (كتاب العلم ، باب في كتاب العلم ، ح ٣٦٤٦) وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ١ / ٢٦٢) .

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الطهارة ، باب الاستطابة ، ح ٢٦٢) وفي رواية ابن ماجه (كتاب الطهارة ، باب الاستنجاء بالحجارة،

ومنبع هذه الشريعة الإسلامية كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَ اطٍ مُسْتَقيم﴾ (سورة الشورى: ٥٢)، وقال جلّ في علاه عن نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إنْ هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوْحَي﴾ (سورة النجم: ٤-٥).

لقد شرق الأعداء بتعظيم أهل الإسلام لنصوص شريعتهم، وعضهم عليها بالنواجذ، وتربية النشء على ذلك جيلا بعد جيل، فما فتئوا يزعزعون هذه الثوابت سخرية وتهكماً حيناً، وتشكيكاً بصحة النصوص حيناً، وضرباً للنصوص بعضها ببعض حيناً، ولعل من تلك النصوص التي أجلبوا عليها بخيلهم ورجلهم قول النبي صلى الله عليه وسلم في قصة تأبير النخل: "أنتم أعلم بأمور دنياكم" فحملوا النص ما لا يحتمله، واجتزءوا قراءته بعيداً عن سياقه، وعن محكمات التنزيل، وزعموا أن الحديث أصلٌ في أن الدنيا ليس للدين فيها شأن، وأن العبادة طقوس وأفعال، وليست منهج حياة وصبغة وجود، وإنما حالهم كمثل الغريق يتعلق بأهداب لا تغنيه شيئاً، وهم كذلك تعلقوا بأهداب من المعاني ليست مرادة قطعاً.

ولما للموضوع من خطر، أحببت أن أتقدم لمؤتمر (السنة النبوية وقضاياها المعاصرة بجامعة مالايا في كوالالمبور) ببحث يكشف الحقيقة المرادة من الحديث، ومن قال بها من أئمة العصر، ومتقدميهم، ويحاور من خالف بالتي هي أحسن، وقد بحثت وسعيت، وأفدت ممن سبقني من أهل العلم والفضل، وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وفصلين، وخاتمة، والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل.

الفصل الأول

تخريج الحديث و بيان مروياته و شواهده

عن عائشة، وأنس بن مالك رضي الله عنهما، "أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلقحون فقال: لو لم تفعلوا لصلح، قال: فخرج شيصاً، فمر بهم، فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت: كذا وكذا، قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم"، أخرجه مسلم [(١)]، وابن ماجه [(٢)] من طريق حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، ومن طريق حماد، عن ثابت، عن أنس، واللفظ لمسلم.

وفي رواية ابن ماجه: "سمع أصواتاً، فقال: ما هذا الصوت؟ قالوا: النخل يؤبرونها، فقال: لو لم يفعلوا لصلح، فلم يؤبروا عامئذ، فصار شيصاً، فذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن كان شيئا من أمر دنياكم فشأنكم به، وإن كان من أمور دينكم فإلي".

وعن موسى بن طلحة، عن أبيه، قال: مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رؤوس النخل، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أظن يغني ذلك شيئاً، قال: فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: إن كان

ح ٣١٦) : " يعلمكم كل شيء حتى .. "

(١) (كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي ، ح ٢٣٦١)

(٢) (كتاب الأحكام ، باب تلقيح النخل ، ح ٢٤٧١)

ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل، أخرجه مسلم [(١)]، وأحمد [(٢)]، واللفظ لمسلم.

وفي لفظ أحمد: (فلم تحمل تلك السنة شيئاً، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنما هو ظن ظننته، إن كان يغني شيئا فاصنعوا، فإنما أنا بشر مثلكم، والظن يخطئ ويصيب، ولكن ما قلت لكم: قال الله عز وجل، فلن أكذب على الله).

وعن رافع بن خديج قال: "قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وهم يؤبرون النخل –يقولون: يلقحون النخل–، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه، قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً، فتركوه، فنفضت أو فنقصت، قال: فذكروا ذلك له، فقال: إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي، فإنما أنا بشر"، أخرجه مسلم[(٣)].

هذه مرويات قصة تأبير النخل من حديث أربعة من الصحابة: عائشة، وأنس بن مالك، وطلحة بن عبيد الله، ورافع بن خديج، رضي الله عنهم أجمعين، ومجموع الألفاظ يؤكد أن القصة واحدة، تعددت ألفاظ روايتها.

ولفظ رواية: "أنتم أعلم بأمر دنياكم" من رواية عفان بن مسلم، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، وهي غاية في الصحة، "قال أحمد: ما أحد روى عن ثابت أثبت من حماد بن سلمة، وقال ابن معين: حماد بن سلمة أثبت الناس في ثابت البناني، وقال أيضاً: حماد بن سلمة أعلم الناس بثابت، ومن خالف حماد بن سلمة في ثابت فالقول قول حماد، وقال ابن المديني: لم يكن في أصحاب ثابت أثبت من حماد بن سلمة، وقال أبو حاتم الرازي: حماد بن سلمة في ثابت وعلي بن زيد أحب إلي من همام، وهو أحفظ الناس، وأعلم بحديثهما، بين خطأ الناس، وحكى مسلم في التمييز: إجماع أهل المعرفة على أن حماد بن سلمة أثبت الناس في ثابت، وحكى ذلك عن يحيى القطان وابن معين وأحمد وغيرهم من أهل المعرفة، وقال الدارقطني: حماد بن سلمة أثبت الناس في ثابت"[(٤)].

وهذا الحديث رواه عنه ثقات أصحاب حماد بن سلمة، عفان وعبد الصمد وأسود بن عامر وعبد الأعلى بن حماد، وحديث عفان عنه له مزيد صحة، قال ابن معين: "من أراد أن يكتب حديث حماد بن سلمة فعليه بعفان بن مسلم"[(٥)].

ومن المهم في هذا المقام التنويه على فضيلة مرويات صحيح مسلم، قال الحافظ أبو عُمْرو بنُ الصَّلاح: "ما انفرّد به البخاريُّ أو مسلمٌ مندرجٌ في قَبيلِ ما يُقْطَعُ بصحته، لتلقّي الأمّةِ كل واحدٍ من كتابيهما بالقبول، على الوجه الذي فصّلناه من حالِهما فيما سبق، سوى أحرفٍ يسيرةٍ تكلّم عليها بعضُ أهلِ النقدِ من الحُفّاظِ كالدارَقَطْني

(١) (كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي ، ح ٢٣٦١)

(٢) (ح ١٣٩٨ ، ١٤٠٢) ، وابن ماجه (كتاب الأحكام ، باب تلقيح النخل ، ح ٢٤٧١)

(٣) (كتاب الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي ، ح ٢٣٦١)

(٤) شرح علل الترمذي لابن رجب (١ / ٣٥٨)

(٥) شرح العلل لابن رجب (١ / ٣٦٩)

وغيرِه، وهي معروفةٌ عند أهل هذا الشأن"[١]، وقال ابن تيمية: "جمهور متون الصحيحين متفق عليها بين أئمة الحديث، تلقوها بالقبول وأجمعوا عليها وهم يعلمون علما قطعيا أن النبي قالها"[٢].

ولم أجد فيما بحثت أحداً من أهل العلم الأقدمين طعن في مرويات قصة تأبير النخل، ولبعض ألفاظ القصة شاهد، فقد روى ابن خزيمة[٣]، والدارقطني[٤]، والبيهقي[٥] من طريق ثابت، عن عبد الله بن رباح، عن أبي قتادة بحديث طويل في نومهم عن صلاة الفجر وفيه: "فقال بعضهم لبعض: فرطنا في صلاتنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تقولون؟ إن كان شيء من أمر دنياكم فشأنكم به، وإن كان شيء من أمر دينكم فإِلَيَّ، قلنا: يا رسول الله، فرطنا في صلاتنا، فقال: إنه لا تفريط في النوم وإنما التفريط في اليقظة، وإذا سها أحدكم عن صلاته فليصلها حين يذكرها".

الفصل الثاني

اختلاف المعاصرين في دلالة الحديث

توارد كثير من المعاصرين على هذا الحديث بالشرح والبيان، والاستدلال والتنظير، والاستشهاد و التأصيل، وهم على اختلاف مشاربهم ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: ثلة من المستشرقين، ودعاة العلمانية، منهم من أراد هدم الإسلام وضرب السنة بعضها ببعض، وهؤلاء مقصدهم معروف وبنيانهم هشٌّ مكشوف، لا ترد عليهم الأمة إلا بالإعراض عنهم، فقد أغنت وضوح مقاصدهم عن دفع كثير من تشبيههم، وتلبيسهم، حتى صار كلامهم إيضاحٌ للحق من جهة مفهوم المخالفة، "وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"[٦]، وممن قال بقولهم وتلقف مقولتهم بعض أبناء الإسلام، ممن هوى في تقديس رأيه، ورغب عن فهم أسلاف أمته، بل وسلب من رأي عامتهم أي صفة اعتبارية تفوق على من بعدهم.

الطائفة الثانية: مفكرون من أهل الإسلام، منافحون عن أصوله، يرومون عزه ونصرته، خاضوا في معنى الحديث، وأشرعوا سفنهم في لجج دلالاته، سنناقشهم بأسلوب علمي.

الطائفة الثالثة: المختصون من أهل العصر بعلوم الشريعة، وبالأخص علم السنة النبوية من علماء راسخين، أو أساتذة أكاديميين.

---

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص ٣٠)

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ٢٥٦)

(٣) صحيح ابن خزيمة (٢١٤/١) ح (٤١٠)

(٤) سنن الدارقطني (٣٨٦/١)

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (١٣٢/٦-١٣٣)

(٦) حديث مرفوع ، أخرجه البخاري (كتاب الجهاد ، باب إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، ح ٣٠٦٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه)

هذه طوائف من تكلم بالحديث من المعاصرين إجمالاً، وفيما يلي تفصيل مقالتهم، مع التنويه أن المقام ليس مقام حصر لكل من قال بذلك.

الطائفة الأولى: ثلة من المستشرقين، ودعاة العلمانية، وبعض أبناء الإسلام ممن قال ببعض قولهم

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: "وهذا الحديث مما طنطن به ملحدو مصر، وصنائع أوربا فيها، من عبيد المستشرقين، وتلامذة المبشرين، فجعلوه أصلاً يحاجون به أهل السنة"(١).

وفي هذا الصدد ينقل الكاتب حسن عيسو عن أحد رموز مصر في منتصف القرن الماضي قوله: "الحكم والحكومة والقضاء والإدارة ومراكز الدولة جميعا أمور دنيوية صرفة، لا شأن للدين بها، فهو لم يعرفها ولم ينكرها، وإنما تركها لنا، لنرجع فيها إلى إحكام العقل وتجارب الأمم، وقواعد السياسة"، ثم يعلق عليه قائلاً: "أرى أن فصل الدين عن الدولة، هو حجر الأساس في بناء الدولة المدنية الحديثة"(٢) وللدكتور تركي الحمد كتاب اسمه: "السياسة بين الحلال والحرام أنتم أعلم بأمور دنياكم" خاض فيه بمعنى الحديث، وكان مما قال: "التكفير لا يكون إلا على أسس دينية واضحة، أما السياسة فهي من أمور الدنيا، وبالتالي لا يمكن إدخال التكفير فيها مهما حدث.

بعد معركة صفين سيس الكفر، وكفرت السياسة، ومن لحظتها اختلط الديني بالدنيوي، والسياسي بالعقيدي، وضاعت المعالم والحدود.

إن أهم القواعد الدينية التي تحدد مجرى السلوك في شؤون السياسة العملية قواعد واضحة لا لبس فيها، مثل: الأصل في الأمور الإباحة، وأنتم أعلم بأمور دنياكم، وتلك القواعد تتعلق بحرية التفصيل والحركة داخل إطار المبادئ العامة المجردة، فالدين محدد للسياسة ومؤثر فيها من حيث المبادئ العامة والخطوط العريضة والغايات النهائية.

والممارسة السياسية (فن الممكن) مسألة نهايات مفتوحة وخيارات لا أول لها ولا آخر، وكلها تدور في إطار تحقيق المصلحة، فأين موقع الحلال والحرام في مثل هذه الخيارات النهائية؟ الحقيقة أنه لا موقع للحلال والحرام في مثل هذا الموضع الذي تنطبق عليه مبادئ مثل: أنتم أعلم بأمور دنياكم"(٣).

وإنما هذا القائل من تحرره عن فهم الأسلاف ونديته الحادة، ومن ذلك قوله: "ليس هناك في الإسلام ما هو مقدس إلا المقدس ذاته من نصوص في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، أما فهم هذه النصوص وتطبيقها فمسألة بشرية بحتة خاضعة لظروف الزمان والمكان ومتاحة لكافة المسلمين، وليس لفريق منهم، أو شخص بعينه، إذ إنه لا كهنوت في الإسلام"(٤).

---

(١) تعليقه على مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٦٤- ٣٦٥) برقم (١٣٩٥)

(٢) مقال للكاتب حسن عيسو ، العلمانية حجر الأساس في دولة الحق والقانون ، التاريخ: الأثنين ٢٨ حزيران ٢٠١٠، http://www.welateme.org/modules.php?name=News&file=article&sid=٧١٧١

(٣) (٤) السياسة بين الحلال والحرام ص ٧٣ حتى ص ١٤٠ باختصار

الطائفة الثانية: علماء أصوليون، ومفكرون من أهل الإسلام

ومن أبرز ملامح تعليقهم على الحديث: الضبابية، والهلامية، وتوسيع دلالته عند بعضهم، ومرور البعض عبر بوابته للتقليل من دور علماء الشريعة في روح الحياة المعاصرة، وتحييد مشاركتهم، وإنقاص دورهم في الدولة المدنية الإسلامية الحديثة:

ومن أمثلة ذلك ما قاله الدكتور عبدالوهاب المسيري رحمه الله: "حينما قال الرسول صلى الله عليه وسلم "أنتم أعلم بأمور دنياكم"، فهو في واقع الأمر يقرر مثل هذا التمايز المؤسسي، فالقطاع الزراعي، حيث يمكن أن يؤبر المرء أو لا يؤبر حسب مقدار معرفته العلمية الدنيوية وحسب ما يمليه عليه عقله وتقديره للملابسات، متحرر في بعض جوانبه من المطلقات الأخلاقية والدينية،..إلى أن قال: ومع تَزايُد تركيبية الدولة الإسلامية مع الفتوحات والمواجهات، تزايد التمايز بين المؤسسات وتَزايَد الفصل بينها، وغني عن القول أن الكهنوت (من منظور النموذج الإسلامي) لا يمكنه أن يلعب دوراً أساسياً، فعملية التفسير هي عملية اجتهادية وباب الاجتهاد مفتوح أمام الجميع ولا عصمة لبشر"(١).

ومن أمثلة ذلك ما قاله الدكتور نظمي خليل أبو العطا: "الدولة الإسلامية: دولة مدنية بمرجعية إسلامية في الحلال والحرام، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "أنتم أعلم بأمور دنياكم"، ولم يحدد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أو القرآن الكريم نمطا معينا ومحددا لنظام الحكم!.

الدولة ملتزمة في الإسلام بالآيات القطعية الدلالة، أما الآيات ظنية الدلالة وهي السواد الأعظم من آيات القرآن الكريم! فهي متروكة لفهم العلماء والمختصين وللأحوال التي تستجد على العباد، وفي هذا إثبات لأهمية حرية التفكير وحرية البحث والدراسة وإلغاء الفكر والفهم الكهنوتي باسم الدين، فالشورى في الإسلام تلغي إلغاء تاما الكهنوتية والدولة الدينية، وسطوة علماء الدين والفتاوى البشرية المقدسة، من هنا فنحن نرفض رفضا تاما الدولة العَلمانية (بفتح العين) والدولة الدينية الكهنوتية التي يتسلط فيها رجال الدين على العباد ويخدرونهم باسم الدين والحق الإلهي في الفتوى والتشريع والقيادة الجماهيرية باسم الدين"(٢).

ونلاحظ أن هذا الطرح يريد التوسط بين فئتين: العلمانية، والمدرسة الدينية، مع المناداة بأن يظل المسمى دولة إسلامية، فهل للإسلام منطلقاتٌ من غيره؟ بل كلّ ما أتى به الإسلام هدى ونور، والشريعة حاكمة في كل مناحي الحياة بلا ريب، قال الله تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ حَتَّى يُحَكِّمُوْكَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجَاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمَاً﴾ (سورة النساء: ٦٥).

ويدخل في هذا التيار من استند على هذا الحديث الشريف برَكْنِ جزء كبير من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأوامره وترغيبه في أمور الطب النبوي، وأقدم من تجاسر بذلك ابن خلدون في مقدمته، حيث قال: "الطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل، وليس من الوحي في شيء، وإنما هو أمر كان عادياً للعرب، ووقع في ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك

(١) موسوعية اليهود واليهودية والصهيونية ج ١ ص ٤٥٠

(٢) صحيفة أخبار الخليج ، العدد(١١٢٠٠) – الجمعة ٢٣ ذي القعدة ١٤٢٩هـ – ٢١ نوفمبر ٢٠٠٨م

النحو من العمل، فإنه صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يُبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات، وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع، فقال: "أنتم أعلم بأمور دنياكم..."؛ فلا ينبغي أن يُحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث المنقولة على أنه مشروع، فليس هناك ما يدل عليه، اللهم إذا استعمل على جهة التبرك وصدق القصد الإيماني، فيكون له أثر عظيم النفع ، وليس ذلك في الطب المزاجي"(١).

وقد صرح بذلك كثير من المعاصرين، ومنهم بعض الأفاضل من الأصوليين والفقهاء المعاصرين، كالدكتور مصطفى الخن، والدكتور محمد الأشقر، والدكتور يوسف القرضاوي، ومنهم الدكتور عبدالوهاب خلاف، ومما قال: "ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم بمقتضى الخبرة الإنسانية والحذق والتجارب في الشئون الدنيوية، من اتجار أو زارعة، أو تنظيم جيش أو تدبير حربي، أو وصف دواء لمرض أو أمثال هذا، فليس تشريعًا أيضًا؛ لأنه ليس صادرًا عن رسالته، وإنما هو صادر عن خبرته الدنيوية وتقديره الشخصي، ولهذا لما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أهل المدينة يؤبِّرون النخل أشار عليهم ألا يؤبِّروا، فتركوا التأبير (يعني التلقيح)، وتلف الثمر، فقال لهم: أبِّروا، أنتم أعلم بأمور دنياكم"(٢).

وتوسع بعضهم بأن حكموا أن قول النبي صلى الله عليه وسلم في كل أمر دنيوي فإنه غير وحي وليس سنة تشريعية، وممن قال به سيد خان حيث قال: "الأحاديث في دائرة أمور الدين هي الملزمة عنده وعلى المسلمين أن يستمسكوا بها، أما الأحاديث في أمور الدنيا فهي غير داخلة في مهمة الرسول مطلقًا، وتشمل الأمور الدنيوية كل المسائل السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية، أما أمور الدين فهي تختص فقط بالعقائد والعبادات"، وبمثل قوله يقول أحمد كمال أبو المجد: "إن كثيرًا من أقواله وأفعاله (يعني الرسول صلى الله عليه وسلم) قد صدرت عنه بحكم تلك البشرية، دون أن يكون المقصود منها التشريع وتقرير الأحكام الملزمة للناس من بعده"(٣).

ويبقى السؤال الملح: ما هو التمييز بين ما هو دنيوي وبين ما هو ديني؟ إذ أجمع المسلمون قاطبة على أحاديث التشريع في المعاملات وأحوال الناس فهل هي دينية أم دنيوية ؟ لا شك أنها دنيوية باعتبار محلها، فإن قالوا

---

(١) المقدمة لابن خلدون (ص٤٩٣) ، وقد رد عليه ابن القيم ، ينظر : زاد المعاد (٤ / ١١ ، ٣٢٠ ، ٤١٤) ، ومن أمتع من رد عليه من المعاصرين الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه دفاع عن السنة (ص ٣٤١) ومما قال : " إننى لست مع النابتة التى نبتت – وبعضهم من أهل العلم – ، فزعمت أن الطب النبوى ، من قبيل الأمور الدنيوية التى يجوز على النبى ﷺ ، فيها الخطأ ، ويجعلونه من قبيل تأبير النخل، وقوله صلى الله عليه وسلم: " أنتم أعلم بأمور دنياكم " "، و ممن أطال وأمتع في الرد على أهل هذا المذهب : الدكتور محمد أحمد السنهورى في كتابه : الطب فى السنة (ص ٢٥٩ – ٢٦١) ، والباحث خالد البعداني في مقالة له في الموقع الرسمي لجامعة الإيمان على هذا الرابط :
http://www.jameataleman.org/ftawha/ftawha/akad/akad4.htm

(٢) علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف ، (ص ٤٤) ، وهؤلاء الفضلاء من الأصوليين المعاصرين ، نورد عليهم قول الأصولي البارع بدر الدين الزركشي (ت ٧٤٥ هـ) : " ظَاهِرُ تَصَرُّفِ الْعُلَمَاءِ –سِيَّمَا مَنْ صَنَّفَ فِي الطِّبِّ النَّبَوِيِّ– إنَّمَا يَفْهَمُ التَّعْمِيمَ كَالْأَوَامِرِ، وَلِهَذَا تَكَلَّفُوا الْجَوَابَ عَنْ حَدِيثِ: (أَبْرِدُوا الْحُمَّى بِالْمَاءِ)، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ الْحُمَّيَاتِ لَا يَقْتَضِي الطِّبُّ تَسْوِيغَ ذَلِكَ ، وَحَمَلُوهُ عَلَى مَا يَقْتَضِي الْحَالَ اللَّائِقَ بِذَلِكَ " البحر المحيط (٣ / ١٩١) ويستفاد من هذا النقل أن كون الطب النبوي سنة من عمومات السنن التشريعية ، هو رأي غالبية من تكلم في الأصول من المتقدمين .

(٣) مقالة بعنوان : الخيط الرفيع بين التجديد في الإسلام والانفلات منه ، مجلة العربي، ص ١٦، العدد ٢٢٥، أغسطس ١٩٧٧م

هي مستثناة، فيورد عليهم أن الاستثناء لا بد له من دليل؟ فهل من دليل على كل قول نبوي هل هو ديني أم دنيوي؟ وهل هذا التقسيم يصلح أن يكون مناطاً للحكم، ومعنى يقاس عليه؟ أم هو واسع فضفاض!.

وقد أورد بعض العلماء المعاصرين ممن نحوا هذا التقسيم (الديني، والدنيوي) أوردوا هذه الأسئلة على مقولتهم فما أشفوا جواباً، وإليك نموذجاً من فضلائهم، حيث يقول الدكتور سعد العثماني: "صحيح أن هناك من يستغل هذا التمييز بين الدين والدنيا في هذه النصوص ليذهب إلى أن لا شأن للدين بأمور المعاملات ولو وردت فيها نصوص القرآن والسنة، وإلى أن الدين يختص بالعقائد والأخلاق والأمور الشخصية، دون أمور المجتمع، لكن هذه النظرة الكنسية للدين بعيدة عن حقيقته في الإسلام، وبعيدة عن مقصد العلماء الذين أوردنا كلامهم منذ قليل، فالدين عندهم هو ما ورد فيه عن الوحي في القرآن أو في السنة بيان، والدنيا ما كان من الرسول صلى الله عليه وسلم عن رأي واجتهاد شخصي في أمور الحياة، والإمام شهاب الدين القرافي يعبر عن ذلك التمييز بما كان لمصلحة الآخرة وما كان لمصلحة الدنيا، وهذه طريقة بديعة وجيدة للتمييز بينهما، لكنها تحتاج إلى مزيد دراسة وتعميق.

وهكذا يتبين أن المقصود من التصرفات النبوية الدنيوية ليس هو ما يبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله من أخبار أو أحكام، فهذه هو فيها صادق أمين، معصوم عما يطالها من خلف أو خلل، ولو كانت متعلقة بأمور المعاملات بين الناس(١).

إن ثلة ممن نحا هذا التقسيم (الديني، والدنيوي) من المعاصرين يكاد يكون الخلاف معهم شكلي، إذ لا ينكرون حاكمية الدين في المعاملات والأحوال الشخصية والقضاء، وتبقى الصور التي يقصدونها ضبابية موهمة لم تتضح معالمها، ولم يعطوا فيها حداً جلياً، وهنا يتساءل الدكتور حاتم الشريف: "ما المراد بأمر الدنيا الذي تجعلونه ممّا لا يُرجع فيه إلى السنّة؟ حيث إنه يدخل في أمر الدنيا كلّ ما لا يدخل في أمر العقائد والعبادات المحضة،كالمعاملات: من بيع وشراء، ونكاح وطلاق، وآداب للحديث واللباس والطعام والشراب وعموم الأخلاق...وغير ذلك، فإن قالوا: المقصود جميعُ ما ذُكر، لدخوله تحت دلالة قوله (أمر الدنيا)، كان هذا القول منهم دليلًا على سقوط فهمهم وبطلانه؛ لأنه خالف قطعيّات الكتاب والسنة الدالة على وجوب طاعة النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما ذُكر من أمور المعاملات والآداب والأخلاق، وخالف أيضًا إجماعَ العلماء، فهذه كتب الفقه على جميع المذاهب وكتب العلم لدى جميع أهل العلم حفيلةٌ بنصوص السنة في ذلك، عظيمةُ العناية بالاهتداء بنورها، مستضيئةٌ بهدايتها.

وإن قالوا: بل بعض ذلك دون بعض، كأحاديث الطبّ، قلنا: وما دليل هذا التخصيص؟ ثم إن الحديث الذي تحتجّون به ليس في الطب، بل النصّ الذي تعتمدونه ظاهره العموم (أمر الدنيا)، فالتخصيص بلا دليل، دليلٌ على بطلان ذلك القيل(٢).

---

(١) من مقالة بعنوان : (هل السنة كلها وحي ؟) د . سعد الدين العثماني ، موقع الإسلام اليوم
http://islamtoday.net/bohooth

(٢) من مقالة بعنوان : (السنة كلها وحي) د . حاتم الشريف ، موقع الإسلام اليوم http://islamtoday.net/bohooth

ويتفق جلّ المختصين بعلم السنة النبوية، على أن السنة عامة في كل ما جاء من تكليف بأمر أو نهي، وترغيب وترهيب، وإيجاب وندب في أمر الدين أو الدنيا على حد سواء، وهم في ذلك متمسكون بعمومات ومحكمات الكتاب والسنة في وجوب الاتباع والاقتداء والاهتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم بيان شيء من هذه النصوص.

وفي نظرهم لحديث "أنتم أعلم بأمور دنياكم" لا ينفك نظرهم من روايات القصة المتعددة، وسياق السبب، والنظر المقارن بمحكمات أدلة الشرع الأخرى، وهم في ذلك سائرون على خطى أسلافهم من عدول هذه الأمة.

ويمكن أن نقسم طريقتهم في النظر لمعنى الحديث إلى مسلكين:

المسلك الأول: منهم من أعمل الترجيح في مرويات الحديث، بناء على أن القصة واحدة، ودخل فيها الرواية بالمعنى، والروايات يفسر بعضها بعضا، فحمل لفظ رواية الرأي (وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ) على رواية الظن (إِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ)، وفسروا رواية (أنتم أعلم بأمور دنياكم) بما دل عليه سياق رواية الظن.

ومن ذلك قول أستاذ السنة الدكتور محمد بن عبدالله القناص: "هذه القصة ظاهرة الدلالة أنه صلى الله عليه وسلم قد خاطب أصحابه رضي الله عنهم حينما وجدهم يؤبرون النخل، فظن أن هذا لا يفيد شيئاً، والصحابة رضي الله عنهم فهموا أنه صلى الله عليه وسلم نهاهم عن ذلك فتركوا التأبير، والرسول صلى الله عليه وسلم لم ينههم عن التلقيح، لكن هم غلطوا في ظنهم أنه نهاهم، وظنه عليه الصلاة والسلام في أمور المعايش وخبرات الحياة كغيره، فلا يمتنع وقوع مثل هذا ولا نقص في ذلك".

ثم يستشهد على ذلك بقول الإمام القرطبي: "وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما أظن ذلك يغني شيئاً) يعني به الإبار، إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا؛ لأنه لم يكن عنده علم باستمرار هذه العادة، فإنه لم يكن ممن عاني الزراعة، ولا الفلاحة، ولا باشر شيئاً من ذلك، فخفيت عليه تلك الحالة"[(١)].

وقول النووي: "قال العلماء: ولم يكن هذا القول خبراً وإنما كان ظناً ؛ كما بينه في هذه الروايات، قالوا: ورأيه صلى الله عليه وسلم في أمور المعايش وظنه كغيره فلا يمتنع وقوع مثل هذا، ولا نقص في ذلك، وسببه تعلق هممهم بالآخرة ومعارفها، والله أعلم"[(٢)].

ثم يتابع الدكتور محمد القناص ملخص رأيه في الروايات بقوله: "هذه القصة وقعت مرة واحدة، وقد تعددت ألفاظها، مما يشعر بدخول الرواية بالمعنى في بعض سياقاتها، والإمام مسلم قدم حديث طلحة رضي الله عنه في الترتيب، ولعل ما جاء في سياقه مقدم على غيره ثم ثنى برواية عكرمة بن عمار عن رافع بن خديج وفيه: "وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ".

---

(١) المفهم للقرطبي (١٦٨/٦)

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (١١٦/١٥) ، وينظر : إكمال المعلم (٣٣٤/٧)

ويدعم هذا بأن من المتقدمين من قال به، حيث قال النووي رحمه الله: "لفظة الرأي إنما أتى بها عكرمة على المعنى لقوله في آخر الحديث قال عكرمة: أو نحو هذا، فلم يخبر بلفظ النبي صلى الله عليه وسلم محققاً "(١).

وبمثل رأي الدكتور القناص يقول الشيخ المحدث سليم بن عيد الهلالي: "لقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن ظنه، وكذلك كان ظنه، فالخبر صدق قطعاً، أما بالنسبة لهم فلم يكن خبراً، وإنما كان ظناً؛ كما بينته الروايات الصحيحة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فكل ما قاله بعد النبوّة وأُقرّ عليه ولم يُنسخ فهو تشريع، لكن التشريع يتضمّن الإيجاب والتحريم والإباحة، ويدخل في ذلك ما دلّ عليه من منافع الطبّ...إلى أن قال: والمقصود أن جميع أقواله يُستفاد منها الشرع، وهو صلى الله عليه وسلم لمّا رآهم يلقّحون النخل قال لهم: ما أرى هذا يُغني شيئًا، ثم قال لهم: إنما ظننت ظنًّا فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدّثتكم عن الله فلن أكذب على الله، وقال: أنتم أعلم بأمور دنياكم، فما كان من أمر دينكم فإليّ، وهو لم ينههم عن التلقيح، لكن هم غلطوا في ظنّهم أنه نهاهم، كما غلط من غلط في ظنه أن الخيط الأبيض والخيط الأسود هو الحبل الأبيض والأسود"(٢).

ويخلص الباحث الهلالي إلى أن الحديث لا يمكن أن يحمل ما لا يحتمله من التأويل، "فهو ليس من باب اجتهاده صلى الله عليه وسلم الذي يراه شرعاً؛ فهذا يجب العمل به، ومع ذلك؛ فلم يُقر الخطأ"(٣).

وبنحوهما يقول أستاذ السنة النبوية الدكتور حاتم الشريف: "جاء التصريح في كلا اللفظين من النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه لم ينههم عن تلقيح النخل إلا بناءً على الاجتهاد، ووضّح لهم صلى الله عليه وسلم ابتداءً أنه لا يقول ما يقوله في ذلك اعتمادًا على خبر السماء، بل اعتمادًا على ظنّه واجتهاده، فقد قال في رواية طلحة رضي الله عنه: "ما أظن يغني ذلك شيئًا"، وقال في رواية رافع رضي الله عنه: (لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا)، ومن المعلوم أنه لو كان ما قاله في شأن تلقيح النخل وحيًا لما قال: "أظن" ولا "لعلكم"، فهذان اللفظان قاطعان لمن سمعهما منه صلى الله عليه وسلم أنه لا يُخبر عن وحي السماء، وإنما يُخبر عن اجتهاده.

وهذا التنبيه يوجب علينا التفريق بين نصٍّ نبويٍّ صريح بأنه اجتهادٌ غير مجزوم به مثل هذا النص، ونصٍّ آخر صدر منه صلى الله عليه وسلم على وجه القطع وعدم الشك، فهذا حقٌ مطلقًا، إلا أن يُصوّبه النبي صلى الله عليه وسلم بما يُوحَى إليه من قرآن أو سنّة.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم جعل الذي يُقابل الظن: ما أخبر به عن الله تعالى، فقال: (ولكن إذا حدثكم عن الله شيئًا فخذوا به) إذن فليس هناك إلا ظنٌّ أو وحيٌ، والظنّ هو ما صرَّح بكونه ظنًّا، والوحي ما قطع به وأُقرّ عليه؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يُقَرّ على خطأ.

---

(١) **المصـــدر** : **مقالــة ، علــى الــرابط التـــالي** http://sh.rewayat2.com/ftawa/Web/3121/002.htm **بتـــاريخ ١٤٢٥/٥/١٩هـ**

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/ ١٢)

(٣) مجلة الأصالة ، عدد (٤١) .

ويشهد لذلك أيضًا اللفظ الآخر، فإنه صلى الله عليه وسلم قال: (إنما أنا بشر، فإذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي، فإنما أنا بشر)، فتنبّه أنه قابَلَ بين الدين والرأي، أي: الاجتهاد الظنّي، ولم يُقابل بين الدين والدنيا".

ثم يشير الدكتور حاتم إلى معنى رفيع بديع وهو قلب للدليل على من استدل به إذ يقول: "في هذا الحديث (حديث تأبير النخل) حجّةٌ قويّةٌ على المخالفِين، من جهة إظهار الفهم الذي كان مستقرًّا في قلوب الصحابة رضي الله عنهم عن سنة النبيّ صلى الله عليه وسلم، ولو كانت في أمرٍ من أمور الدنيا، فإنهم رضي الله عنهم ما إن سمعوا بإرشاده في ترك التأبير، حتى سارعوا بتركه دون مراجعة، ثم إن النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يخطئهم في اتباعهم لأمره، ولو كان من أمور الدنيا، بل خطّأهم في عملهم بظنّه الذي صرّح لهم فيه أنه مجرّد ظنّ: (إني إنما ظننت ظنًّا، فلا تؤاخذوني بالظن).

ويتابع الدكتور حاتم اعتراضه على من جعل السنة في أمر الدنيا قسيمة مضادة للسنة في أمر الدين بقوله: "قوله صلى الله عليه وسلم في اللفظ الذي يحتجّ به المخالفون: (أنتم أعلم بأمر دنياكم)، لم يأت مبتورًا بلا قصّة، ولا كان هو اللفظ الوحيد الذي جاء به هذا الخبر، والروايات الصحيحة يفسّر بعضها بعضًا، بل هي أولى ما يُفسَّر به الحديث.

فالنبيّ صلى الله عليه وسلم عندما قال: (أنتم أعلم بأمر دنياكم)، إنما قاله لما صَرّح لهم بالظنّ والاجتهاد، وما دام هذا هو سياق الخبر، فالمعنى على هذا السياق: إذا أخبرتكم بالظنّ وكان عندكم يقينٌ بخلافه مما تعلمونه من أمور دنياكم، فقدّموا يقينكم بالأمر الدنيوي على ظنّي فيه.

ومن ثَمَّ: لم يكن قوله صلى الله عليه وسلم: (أنتم أعلم بأمر دينكم) قاعدةً عامّةً في أمور الدنيا، ولا يصحّ أن يُتصَوَّر هذا في عموم العقلاء والحكماء أصلًا، فضلًا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، فإنه مما لا شك فيه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان له من العقل والحكمة ما يجعله باجتهاده أقدرَ على تسيير كثير من أمور الدنيا في السياسة العامة وترتيب أمر الدولة وإصلاح المجتمع وغير ذلك بما لا يصل إليه أعلمُ أهل الدنيا علمًا بها، فكيف يصح تصوّرُ فَهْمِ المخالفين من أن قوله صلى الله عليه وسلم: (أنتم أعلم بأمر دنياكم) قاعدةٌ عامّةٌ في كل أمور الدنيا؟!! هلّا أنزلوا النبيّ صلى الله عليه وسلم منزلة عامة العقلاء الذين لا بدّ أن يكون للواحد منهم من اليقين في أمور الدنيا اليقينيّاتُ الكثيرة!! إذن فيلزمهم أن لا يقولوا: إن ذلك النصّ قاعدةٌ عامّة، بل عليهم أن يقولوا: إن المقصود به بعض أمور الدنيا لا كلّها، أو بعض أخباره صلى الله عليه وسلم عن أمور الدنيا لا كل أخباره صلى الله عليه وسلم عنها، ثم لابُدّ بعد هذا التبعيض أن يبيّنوا كيفيّة تمييز هذا النوع من ذاك، وإلا أدّى عدم التمييز إلى إبطال الكل"[١].

وخلاصة ما سبق:

إن قصة التأبير مدارها على الظن، وليست من باب الخبر، ولا من باب الطلب الجازم، وإلا فإن كل خبر أو طلب من فم النبي صلى الله عليه وسلم فهو حق ووحي يجب اتباعه، قال أبو جعفر الطحاوي: "فأخبر رسول الله

(١)مقالة للدكتور حاتم الشريف بعنوان : السنة وحي من رب العالمين في أمر الدنيا والدين ، موقع الإسلام اليوم على الرابط http://islamtoday.net/bohooth/artshow-86-7994.htm

صلى الله عليه وسلم أن ما قاله من جهة الظن، فهو فيه كسائر البشر في ظنونهم، وأن الذي يقوله مما لا يكون على خلاف ما يقوله، هو ما يقوله عن الله عز وجل"(١).

وقال الشاطبي: "كل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من خبر؛ فهو كما أخبر، وهو حق وصدق، معتمد عليه فيما أخبر به وعنه، سواء انبنى عليه في التكليف حكم أو لا، كما أنه إذا شرع حكماً أو أمر أو نهى؛ فهو كما قال عليه الصلاة والسلام لا يفرق في ذلك بين ما أخبره به الملك عن الله، وبين ما نُفث في روعه وألقى في نفسه، أو رآه رؤية كشف واطلاع على مغيب، على وجه خارق للعادة، أو كيف ما كان؛ فذلك معتبر يُحتج به، وينبني عليه في الاعتقادات والأعمال جميعاً؛ لأنه عليه السلام مؤيد بالعصمة وما ينطق عن الهوى"(٢).

ومر في المقدمة ذكر حديث عبد الله بن عَمرو بن العاص، وفيه: "اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق، وأشار إلى شفتيه صلى الله عليه وسلم".

ويعلق الدكتور حاتم الشريف على هذا الحديث قائلاً: "وفي هذا الحديث إقرارٌ بكتابة كل شيءٍ يتفوه به النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو أمرٌ وحثٌّ على ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم، دون استثناء شيء، وليس هذا فقط، بل مع و صف (كل شيءٍ) نطق به النبي صلى الله عليه وسلم بأنه حق، وليس هذا فقط، بل إن هذا الوصف (وهو الحق) مع شموله لـ(كل شيءٍ) نطق به النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقد جاء الحديث ليؤكّد أنه وصفٌ لا يتخلّف حتى في حالة غضبه صلى الله عليه وسلم، وهي أَوْلى الحالات البشريّة التي قد يجتهد فيها الإنسان فيخطئ.

بل في الحديث: أنّ الاستدلال ببشريّة النبيّ صلى الله عليه وسلم لزعم أنّ بعض ما يقوله صلى الله عليه وسلم ليس بوحي استدلالٌ باطلٌ، لا من جهة نفي البشريّة عنه صلى الله عليه وسلم، بل هو بشر صلى الله عليه وسلم، لكنه معصومٌ بالوحي عن قول ما سوى الحق صلى الله عليه وسلم ومعصومٌ اجتهاده عليه الصلاة والسلام عن الإقرار على الخطأ.

وبذلك يكون هذا الحديث من أقوى الأحاديث دلالةً على وجوب اعتقاد عصمة كل ما نطق به النبيّ صلى الله عليه وسلم، لكونه وحيًا من الله تعالى: ابتداءً أو مآلًا "(٣).

المسلك الثاني: منهم من أطلق معنى رواية (أنتم أعلم بأمور دنياكم) في كل ما ليس فيه تشريع من أمر الدنيا؛ بناء على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال العلامة عبد العزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله: "أجمع المسلمون قاطبة على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا سيما خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم معصومون من الخطأ لما يبلغونه عن الله عز وجل من الأحكام، أما في أمور الدنيا فقد يقع الخطأ ثم ينبه على ذلك، كما وقع له صلى الله عليه وسلم لما مر على جماعة يلقحون قال: "ما أظنه يضره لو تركتموه" فلما تركوه صار شيصاً فأخبروه فقال عليه الصلاة والسلام: إنما قلت ظناً

(١) شرح معاني الآثار (٤٨/٣)
(٢) الموافقات (٨٠/٤)
(٣) المصدر السابق للمقالة .

وأنتم أعلم بأمر دنياكم أما ما أخبركم به عن الله فإني لن أكذب على الله"، فبين عليه الصلاة والسلام أن الناس أعلم بأمور دنياهم كيف يلقحون؟ كيف يغرسون؟ كيف يبذرون؟ كيف يحصدون؟ إلى غير ذلك من أمور دنياهم، كيف يعمرون مساكنهم؟ إلى غير ذلك، وهذا الحديث رواه مسلم في الصحيح، أما ما يبلغه عن الله من أمور الدين من العبادات والأحكام هذا حلال وهذا حرام، إن الله أمر بكذا أو نهى عن كذا، أو أن هذا فيه كذا من النفع وهذا من فيه الضرر كذا هذا كله حق، ولا ينطق عن الهوى عليه الصلاة والسلام بل هو معصوم في ذلك عليه الصلاة والسلام"(١).

وقال العلامة محمد بن صالح بن عثيمين في تفسير آية الدين: "ومن فوائد الآية دحر أولئك الذين يقولون: إن الإسلام ما هو إلا أعمال خاصة بعبادة الله عز وجل، وبالأحوال الشخصية، كالمواريث، وما أشبهها؛ وأما المعاملات فيجب أن تكون خاضعة للعصر، والحال؛ وعلى هذا فينسلخون من أحكام الإسلام فيما يتعلق بالبيوع، والإجارات وغيرها، إلى الأحكام الوضعية المبنية على الظلم، والجهل، فإن قال قائل: لهم في ذلك شبهة؛ وهو حديث (أنتم أعلم بأمور دنياكم)، فالجواب: أنه لا دليل في هذا الحديث لما ذهبوا إليه؛ لأن الحادثة المذكورة من أمور الصنائع التي من يمارسها فهو أدرى بها، وتدرك بالتجارِب؛ وإلا لكان علينا أن نقول: لا بد أن يعلمنا الإسلام كيف نصنع السيارات والمسجلات، والطوب، وكل شيء! أما الأحكام: الحلال، والحرام، فهذا مرجعه إلى الشرع؛ وقد وفى بكل ما يحتاج الإنسان إليه"(٢).

وقال في موضع آخر: "أخذ بعض العلماء ولا سيَّما المتأخرون المعاصرون أخذوا من قوله: "أنتم اعلم بأمور دنياكم" ما لا يحتمله النص، قالوا: إنَّ هذا شامل للتصرف، وشامل للحكم، بمعنى أننا نعلم كيف نصنع هذا الباب، وكيف نبني البناء، وكيف نشيِّد ما نشيِّده من قصور وغيرها، ونعلم أيضاً حكم هذه الأشياء، حتى قالوا: إذا كان الرِّبا سبباً لدفع اقتصاد البلد، فإنه جائز، داخل في قوله: (أنتم أعلم بأمور دنياكم)، وهذا غلط؛ لأنَّ الأحكام مرجعها إلى الله ورسوله: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ}، لكنَّ الصنائع وكيف يصنع هذا، وكيف يحول من وجه إلى وجه، نعم، هذا نحن أعلم به.

والحاصل أنَّ بعض الناس يتوسع في مدلولات الألفاظ، حتى يُحَمِّل اللفظ ما لا يحتمله إما لجهل وإما لهوى والله المستعان"(٣).

وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: "الحديث صريح، لا يعارض نصاً، ولا يدل على عدم الاحتجاج بالسنة في كل شأن، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، فكل ما جاء عنه فهو شرع وتشريع:

---

(١) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، من فتاوى نور على الدرب ، على الرابط التالي :
http://www.ibnbaz.org.sa/mat/20142

(٢) الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين ، تفسير صوتي ، على الرابط التالي :
http://www.ibnothaimeen.com/all/books/article_17564.shtml

(٣) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة ، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين .

{وإن تطيعوه تهتدوا}، وإنما كان في قصة تلقيح النخل، أن قال لهم: (ما أظن ذلك يغني شيئا)، فهو لم يأمر ولم ينه، ولم يخبر عن الله، ولم يسن في ذلك سنة"[١].

وخلاصة القول:

"أن أمر الدنيا الذي عناه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه، هو تأبير النخل، فلا يقاس عليه إلا ما جرى مجراه وكان على شاكلته، وهو الخبرة العملية المتعلقة بشأن من الشئون المباحة التي لم يتعلق بها الخطاب الشرعي لا أمراً ولا نهياً، وليس المراد بذلك كل أمر متعلق بالدنيا، لأنه قد جاءت نصوص شرعية كثيرة في أمور الدنيا، وقد تعلق بها الخطاب الشرعي أمراً ونهياً، فكانت بذلك موكولة إلى الشرع يبين حلالها وحرامها وما يصح منها وما لا يصح إلى غير ذلك من تفاصيله المطلوبة، وبذلك تسقط دعاوى العلمانيين ومن تابعهم في تحريف هذا الحديث للوصول إلى إخراج النظام السياسي من الدخول تحت ولاية الشرع، وأما الأدلة على تعلق الخطاب الشرعي أمراً ونهياً وتخييراً بأمور الدنيا، فأشهر من أن تذكر"[٢].

وكما تقدم فإن عامة أهل الحديث في زماننا على تقييد معنى حديث (أنتم أعلم بأمور دنياكم) بما لم يرد فيه تكليف، ولم يطلق أحدٌ منهم أن الدنيا قسيمة مضادة للدين في الخطاب النبوي، وقد سلكوا في ذلك جادة من سبقهم، وأنقل في هذا ثلاثة نصوص تجلي موقف عامة أهل الحديث في زمن السلف، وليس ذلك على سبيل الحصر والقصر، ولكن على سبيل التمثيل والإشارة:

قال ابن حزم موضحاً معنى الحديث ودلالته: "وأما أمور الدنيا ومكايد الحروب ما لم يتقدم نهي عن شيء من ذلك، وأباح الله تعالى له صلى الله عليه وسلم التصرف فيه كيف شاء، فلسنا ننكر أن يدبر عليه السلام كل ذلك على حسب ما يراه صلاحاً، فإن شاء الله تعالى إقراره عليه أقره، وإن شاء إحداث منع له من ذلك في المستأنف منع، إلا أن كل ذلك مما تقدم الوحي إليه بإباحته إياه ولا بد، وأما في التحريم والإيجاب فلا سبيل إلى ذلك البتة.

وذلك مثل منازله صلى الله عليه وسلم في حروبه له أن ينزل من الأرض حيث شاء ما لم ينه عن مكان بعينه، أو يؤمر بمكان بعينه، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في تلقيح ثمار أهل المدينة، لأنه مباح للمرء أن يلقح نخله، ويذكر تينه، ومباح أن يترك فلا يفعل شيئا من ذلك"، ثم قال: "وهذا كله ليس من أمور الدين الواجبة والمحرمة في شيء، إنما هي أشياء مباحة من أمور المعاش، من شاء فعل ومن شاء ترك، وإنما الاجتهاد الممنوع منه ما كان في التحريم والإيجاب فقط بغير نص، وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم في حديث التلقيح على قولنا، وقال صلى الله عليه وسلم: أنتم أعلم بأمور دنياكم، فهذا بيان جلي مع صحة سنده في الفرق بين الرأي في أمر الدنيا والدين، وأنه صلى الله عليه وسلم لا يقول الدين إلا من عند الله تعالى، وأن سائر ما يقول فيه برأيه ممكن فيه أن يشار عليه بغيره، فيأخذ عليه السلام به، لأن كل ذلك مباح مطلق له"، وقال: "كل ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من تحريم أو تحليل أو إيجاب فهو عن الله تعالى بيقين"(٣).

---

(١) تعليقه على المسند (٢/ ٣٦٤- ٣٦٥) برقم (١٣٩٥)

(٢) من كتاب تحطيم الصنم العلماني ، تأليف : محمد شاكر الشريف (ص ١٦٣ ، وما بعدها)

(٣) الإحكام لابن حزم (٥ / ١٢٨) (٢٠٩/٦-٢١٠)

وقال ابن القيم مبيناً سهولة معنى الحديث النبوي، وهو المتبادر إلى سياق القصة من غير تكلف: "...وما عرف أصحاب هذه الشبهة أن الله سبحانه قد يعطي أجهل الناس به وبأسمائه وصفاته وشرعه من الحذق في العلوم الرياضية والصنايع العجيبة ما تعجز عنه عقول أعلم الناس به ومعارفهم، وقد قال النبي: "أنتم أعلم بأمور دنياكم" وصدق صلوات الله وسلامه عليه فإن العلوم الرياضية والهندسية وعلم الأرتماطيقي والموسيقى والجغرافيا وإيرن وهو علم جر الأثقال ووزن المياه وحفر الأنهار وعمارة الحصون وعلم الفلاحة وعلم الحميات وأجناسها ومعرفة الأبوال وألوانها وصفائها وكدرها وما يدل عليه وعلم الشعر وبحوره وعلله وزحافه وعلم الفنيطة ونحو ذلك من العلوم هم أعلم بها وأحذق فيها وأما العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك فإلى الرسل"[(١)].

وأختم بمختارات من كلام الإمام العلم الجهبذ القاضي عياض بن موسى اليحصبي حيث يقول: "وأما أقواله صلى الله عليه وسلم فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه، وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلا غ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به، لا قصداً، ولا عمداً، ولا سهواً، ولا غلطاً.

وفي حديث عبد الله بن عمرو: (قلت يا رسول الله، أكتب كل ما أسمع منك؟ قال: نعم، قلت: في الرضى والغضب؟ قال: نعم، فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقاً).

ولو جوزنا عليه الغلط، والسهو لما تميز لنا من غيره، ولا اختلط الحق بالباطل، فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص، فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهاناً، وإجماعاً كما قاله أبو إسحاق.

ثم حكى اتفاق السلف، وإجماعهم، وأنا نعلم من دين الصحابة، وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق جميع أحواله، والثقة بجميع أخباره في أي باب كانت، وعن أي شيء وقعت، وأنه لم يكن لهم توقف، ولا تردد في شيء منها، ولا استثبات عن حاله عند ذلك ، هل وقع فيها سهو أو لا؟

وأما أن يعتقد صلى الله عليه وسلم في أمور الدنيا الشيء على وجه، ويظهر خلافه، أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع، كما في قصة تأبير النخل، فهذا فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا، وظنه من أحوالها، لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه، وسنة سنها.

فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها، يجوز عليه، إذ ليس في هذا كله نقيصة، ولا محطة، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها، وجعلها همه، وشغل نفسه بها، والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة، مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية، ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور، ويجوز في النادر فيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها، لا في الكثير المؤذن بالبله، والغفلة.

وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بأمور الدنيا، ودقائق مصالحها، وسياسة فرق أهلها ما هو معجز في البشر".

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/٤٤٥-٤٧)

ثم يخلص لفائدة تأصيل هذه المسألة وهي: حكم أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، فيقول: "يضطر إليها في أصول الفقه، ويبتنى عليها مسائل لا تنعد من الفقه، ويتخلص بها من تشعيب مختلفي الفقهاء في عدة منها، وهو باب عظيم، وأصل كبير من أصول الفقه، ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره، وبلاغه، وأنه لا يجوز عليه السهو فيه، وعصمته من المخالفة في أفعاله عمداً"(١).

الخاتمة

في نهاية المطاف يتلخص لنا أن قول النبي صلى الله عليه وسلم "أنتم أعلم بأمور دنياكم" فيه دعوة ناصعة لإعمال الفكر والرأي في أمور الدنيا وحسن التدبير والعمارة والخلافة، فالإسلام دينٌ يوازن بين أمر الدنيا والآخرة، ويجعل الدنيا ببهجتها ونضرتها وحيويتها مركبا مشرعاً للدار الآخرة، ولم يدعو بتاتاً إلى الرّكون والسكون، بل تعاليمه وافرة بأهمية العمل والنهوض، وفي هذا السياق يروي الإمام أحمد عن بهز، قال: حدثنا حماد، قال: حدثنا هشام بن زيد، قال: سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل"(٢).

"إن الإسلام لم يوصد الباب، أمام المعرفة المفيدة النافعة للإنسان، بل شجع، وحث على طلبها، بل إن نسيج النصوص الشرعية، ومعطياتها المعجزة، من بدئها حتى منتهاها في مجال العقيدة، والتشريع، والسلوك، والحقائق العلمية، تمثل نسقاً من المعطيات المعرفية، كانت كفيلة بمجرد التعامل المخلص الذكي المتبصر معها، أن تهز عقل الإنسان، وأن تفجر ينابيعه، وطاقاته، وأن تخلق في تركيبه خاصية التشوق المعرفي، لكل ما يحيط به من مظاهر ووقائع"(٣).

وفي كل تلك المعاني ضمانة للرقي، وأمانٌ للصعود، من غير مساس بثوابت الأمة، ونصوصها المحكمة، وكم من الأمم حولنا سادت وقاعدتها الحضارية لم يمسها شيء من النحت، و إرثها التاريخي لم تقربه أنامل التحوير.

المراجع

١. الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم ، حقيق الشيخ أحمد شاكر ، ط دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
٢. تحطيم الصنم العلماني ، د . محمد شاكر الشريف ، ط دار طيبة الخضراء .
٣. الجامع الكبير للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق د . بشر عواد معروف ، ط دار الجيل .
٤. سنن أبي داود ، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق محمد محيي الدين بن عبدالحميد ، ط المكتبة الإسلامية .
٥. سنن النسائي الصغير (المجتبى) ، لأبي عبدالرحمن النسائي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث الإسلامي ، ط دار المعرفة .
٦. صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، ط دار إحياء التراث العربي.
٧. شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي ، تحقيق د . كمال الجمل ، ط دار الكلمة .

(١) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي (٢ / ٤٨٣ ، ٥٠٩ ، ٥١٩)

(٢) أخرجه أحمد في المسند (ح ١٢٥٦٩) ، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ١ / ٣٠٠) .

(٣) نقلا من كتاب (العقل العربي وإعادة التشكيل) تأليف الدكتور عبد الرحمن بن سليمان الطريري ، بتصرف يسير لا يخيل المعنى .

٨. السياسة بين الحلال والحرام ، د . تركي الحمد ، ط دار الساقي .
٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي ، ط دار الفكر ، بيروت .
١٠. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، لابن القيم الجوزية ، تحقيق د . علي الدخيل الله ، ط دار العاصمة ، الرياض .
١١. العقل العربي وإعادة التشكيل ، تأليف الدكتور عبد الرحمن بن سليمان الطريري، سلسلة كتاب الأمة، من إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الدوحة .
١٢. مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، تحقيق صلاح عويضة ، ط دار الكتب العلمية . صحيح ابن خزيمة ، تحقيق د . محمد بن مصطفى الأعظمي ، ط الكتب الإسلامي .
١٣. موسوعية اليهود واليهودية والصهيونية ، د . عبدالوهاب المسيري ، ط دار الشروق .
١٤. الموافقات في أصول الفقه ، للشاطبي ، تحقيق د عبدالله دراز ، ط دار المعرفة .
١٥. صحيفة أخبار الخليج ، البحرين .
١٦. مجلة العربي ، الكويت ، تأسست عام ١٩٥٨ م .
١٧. مجلة الأصالة ، تصدر عن جمعية النور والإيمان الخيرية الإسلامية في لبنان ، بيروت .
١٨. المواقع على الشبكة العنكبوتية :
١٩. http://www.ibnbaz.org.sa
٢٠. http://www.ibnothaimeen.com
٢١. http://islamtoday.net/bohooth

حديث "تأبير النخل"
«أنتم أعلم بأمور دنياكم»
والشبهات المثارة حوله

د. سليمان بن عبد الله السيف

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية

جامعة حائل

السعودية

sulaiman.1393@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تمثل السنة النبوية الكريمة المنهج العملي التفصيلي لدين الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، ولذا كان ديدن أهل الأهواء والبدع قديماً وحديثاً اتخاذ المواقف المضادة للسنة والتذرع بألوان الحيل والشبه للتنصل من أحكامها وعدم الرجوع إليها عند التنازع والاختلاف، وقد أخذت تلك الحيل ألوانا مختلفة مثل: رد السنة مطلقاً، ورد أحاديث الآحاد، والتأويل الفاسد وغير ذلك من الشبه.

وإن من الشبه المعاصرة التي تمسك بها أهل الأهواء والبدع وبخاصة العصرانيين ومن لف لفهم ونحا نحوهم؛ هي تقسيم السنة النبوية إلى سنة تشريعية وسنة غير تشريعية، وقد تعلقوا لتقرير مذهبهم هذا بأدلة وشبهات مختلفة، إلا إن من أبرزها وأكثرها ترويجا لديهم هو حديث "تأبير النخل" وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه "أنتم أعلم بأمور دنياكم"، فكان الواجب الدفع عن هذا الحديث وبطلان الفهم السقيم الذي فهموه منه، فكان هذا البحث دراسة لهذا الحديث رواية ودراية من خلال جمع رواياته وطرقه وألفاظه، وعرض الشبهات التي أثيرت حوله والرد عليها من خلال هذا الحديث بما يعود على مذهبهم بالإبطال بإذن الله تعالى، وذلك كله من خلال المنهج العلمي المعتمد على المنهج الاستقرائي لروايات هذا الحديث والمنهج التحليلي الذي يفهم معه الحديث فهما صحيحا متناسقا مع المنهج العلمي الذي سارت هذه الأمة وأجمعت عليه قديما وحديثا، وقد انتظم هذا البحث في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشبهات التي أثيرت حول هذا الحديث.

المبحث الثاني: روايات حديث التأبير.

المبحث الثالث:دفع الشبهات المثارة حول الحديث.

المبحث الأول

الشبهات التي أثيرت حول هذا الحديث

لقد اتكأ على هذا الحديث الشريف كثير ممن حاول أن يلتف حول التشريع المستفاد من السنة المطهرة؛ ليقول بعد ذلك أن هذا الحديث دليل على أنه ليست كل الأفعال والأقوال الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تعد من التشريع، وهم في ذلك بين مقل ومستكثر في إدراج ما يرونه من السنة داخلاً في التشريع وما يرونه خارجاً عنه، إلا أنني أرى أنهم في المجمل يمكن تقسيمهم قسمين أساسين:

القسم الأول: من يرى تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية، ويجعل هذا الحديث من أدلتهم على هذا التقسيم، فمنهم أصحاب المدرسة العصرانية[1]، وأيضا أصحاب المدرسة العقلانية الحديثة١، يقول الشيخ رشيد رضا

[1] من أبرز رواد هذه المدرسة الأستاذ : سر سيد أحمد خان، وهو يقسم الأحاديث التي تخضع لشروطه حتى يقبلها قسمين:

القسم الأول: أحاديث خاصة بالأمور الدينية، مثل: العقيدة عن الله تعالى وصفاته وشعائر العبادات، وهي الملزمة للمسلمين عنده.

القسم الثاني: أحاديث خاصة بالأمور الدنيوية، مثل: الأحاديث المشتملة على المسائل السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية، وهي غير داخلة في مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم مطلقا، وكل ما جاء في هذا المجال فهو خاص بظروف وحالة العرب زمان النبوة

رحمه الله تعالى وهو من أساطين هذه المدرسة: (لَيْسَ مِنَ التَّشْرِيعِ الَّذِي يَجِبُ فِيهِ امْتِثَالُ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابُ النَّهْيِ مَا لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ حَقُّ اللهِ تَعَالَى، وَلَا لِخَلْقِهِ لَا جَلْبُ مَصْلَحَةٍ وَلَا دَفْعُ مَفْسَدَةٍ كَالْعَادَاتِ وَالصِّنَاعَاتِ وَالزِّرَاعَةِ وَالْعُلُومِ وَالْفُنُونِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى التَّجَارِبِ وَالْبَحْثِ، وَمَا يَرِدُ فِيهَا مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ إِرْشَادًا لَا تَشْرِيعًا إِلَّا مَا تَرَتَّبَ عَلَى النَّهْيِ عَنْهُ وَعِيدٌ كَلُبْسِ الْحَرِيرِ، وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّ إِنْكَارَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَعْضِ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى التَّجَارِبِ لِلتَّشْرِيعِ كَتَلْقِيحِ النَّخْلِ فَامْتَنَعُوا عَنْهُ فَأَشَاصَ (خَرَجَ ثَمَرُهُ شِيصًا أَيْ رَدِيئًا أَوْ يَابِسًا) فَرَاجَعُوهُ فِي ذَلِكَ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ قَالَ مَا قَالَ عَنْ ظَنٍّ وَرَأْيٍ لَا عَنِ التَّشْرِيعِ، وَقَالَ لَهُمْ: "أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ" وَالْحَدِيثُ مَعْرُوفٌ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَحِكْمَتُهُ تَنْبِيهُ النَّاسِ إِلَى أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْمَعَاشِيَّةِ كَالزِّرَاعَةِ وَالصِّنَاعَةِ لَا يَتَعَلَّقُ بِهَا لِذَاتِهَا تَشْرِيعٌ خَاصٌّ بَلْ هِيَ مَتْرُوكَةٌ إِلَى مَعَارِفِ النَّاسِ وَتَجَارِبِهِمْ[2].

ومنهم أيضا من تأثر بهذه المدرسة وتتلمذ على أئمتها، ومن أبرز هؤلاء الأستاذ محمد سليم العوا، وقد كتب مقالا في مجلة المسلم المعاصر بعنوان: (السنة التشريعية وغير التشريعية) قال فيه: وإذا كانت السنة هي ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، فإن سنته صلى الله عليه وسلم على أنواع من حيث أثرها التشريعي أو من حيث وصفها مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، وللعلماء في هذه الأقسام أقوال أقربها واشدها اختصارا ما قاله الإمام ولي الله الدهلوي من تقسيم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمين:

ما سبيله سبيل تبيلغ الرسالة، وفيه قوله تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرّسولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتّقُوا اللّهَ إنّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الحشر:٧)، وثانيهما: ما ليس من باب تبليغ الرسالة وفيه ورد قوله صلى الله عليه وسلم: إنما أنا بشر مثلكم، فإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر[3].

وهي ليست ملزمة للمسلمين لأن أمور الدين ثابتة وأمور الدنيا متغيرة، ويستدل بهذا التقسيم بحديث تأبير النخل طبعا. (انظر: اتجاهات في دراسات السنة:ص١٠٢، والموقف المعاصر من المنهج السلفي:ص٣٥-٣٩)

[1] لا يوجد شخص ينتسب إلى هذه المدرسة إلا وله موقف تجاه السنة وتقسيمها ويأتي على رأس هذه المدرسة الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا، ثم من تأثر بهذه المدرسة كالشيخ شلتوت رحمه الله تعالى وغيرهم وهم كما قلت في المتن بين مقل ومستكثر ويعد الشيخ رشيد رضا من أوائل من أشار إلى هذه التقسيمات كما نقلت كلامه في المتن، ثم إن شيخ الأزهر الشيخ شلتوت يعد أول من أشهر تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية، وتبعه في ذلك الكثير...(انظر: الإسلام عقيدة وشريعة:ص٤٩٩-٥٠٧السنة مصدرا للمعرفة والحضارة للقرضاوي:ص٢٤، ومناقشة هادئة لبعض أفكار الدكتور الترابي للشيخ الأمين الحاج:ص٨٤، وموقف المدرسة العقلية من السنة النبوية. الأمين الصادق الأمين، وموقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف"دراسة تطبيقية على تفسير المنار". شفيق شقير.)

[2] انظر: تفسير المنار:٢٦٦/٩، عند تفسير قوله تعالى (واتبعوه لعلكم تهتدون) الأعراف:١٥٨.

[3] إلى هنا انتهى كلام الشيخ ولي الله الدهلوي: ٢٢٣/١-٢٢٤، وقد اجتزأ في نقله لكلام الشيخ ولي الله الدهلوي ما ينصر به رأيه ولعله لو أكمل بعض كلامه لربما خالف بعض ما يدعو إليه وسأنقل هنا كلام الشيخ بالكامل ليكون القارئ على اطلاع بما قرره العلامه الدهلوي، قال العلامة الدهلوي رحمه الله :((اعلم أن ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ودون في كتب الحديث على قسمين:

أحدهما: ما سبيله سبيل تبليغ الرسالة، وفيه قوله تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرّسولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتّقُوا اللّهَ إنّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الحشر:٧)، ومنه علوم المعاد وعجائب الملكوت وهذا كله مستند إلى الوحي.

وقصة هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وجدهم يلقحون نخيلهم فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه، قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا، فتركوه " أي كفوا عن التلقيح" فلم تثمر النخل، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال: إنما أنا بشر، وروى الإمام أحمد هذا الحديث في مسنده بلفظ «ما كان من أمر دينكم فإلي وما كان من أمر دنياكم فأنتم أعلم به» وفي رواية لمسلم «أنتم أعلم بشئون دنياكم».

ولو لم يكن غير هذا الحديث الشريف في تبين أن سنته صلى الله عليه وسلم ليست كلها شرعا لازما وقانونا دائما لكفى، ففي نص عبارة الحديث بمختلف رواياته تبين أن ما يلزم اتباعه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو ما كان مستندا إلى الوحي فحسب، وذلك غالبه متعلق بأمور الدين، وأقله متعلق بأمور الدنيا.

وليس أوضح في الدلالة على هذا من قوله صلى الله عليه وسلم «إنما أنا بشر، وأنتم أعلم بشئون دنياكم» وكان بوسعه أن يقول: إنني لا خبرة لي بالنخل إذ ليس في مكة نخل أو لا أحسن الزراعة، فبلدي واد غير ذي زرع، ولكنه عليه الصلاة والسلام تخير أحسن العبارات وأجمعها، وجعل من حديثه في هذه المسألة الجزئية قاعدة كلية عامة مؤداها: أنه في ما لا وحي فيه من شئون الدنيا فالأمر للخبرة والتجربة والمصلحة التي يحسن أرباب الأمر معرفتها دون من لا خبرة له به، فلم يكن الجواب قاصرا على مسألة تلقيح النخل، وإنما جاء شاملا لكل أمر مما لم يأت فيه وحي بقرآن أو سنة، ثم ذكر أمثلة من السنة تؤيد كلامه هذا[١].

وكان من أواخر من وقفت على كلامه ممن تكلم في هذه المسألة وأولاها عناية كبيرة هو الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله[٢]، والذي حاول أن يتوسط في هذه المسألة ويسلك مسلك الوسط بين مسلك الغلو أو

ومنه شرائع وضبط للعبادات والارتفاقات بوجوه الضبط المذكورة فيما سبق، وهذه بعضها مستند إلى الوحي وبعضها مستند إلى الاجتهاد، واجتهاده صلى الله عليه وسلم بمنزلة الوحي، لأن الله تعالى عصمه من أن يتقرر رأيه على خطأ، وليس يجب أن يكون اجتهادا واستنباطا من المنصوص كما يظن، بل أكثره أن يكون علمه الله تعالى مقاصد الشرع وقانون التشريع والتيسير والأحكام، فبين المقاصد المتلقاه بالوحي بذلك القانون، ومنه حكم مرسله ومصالح مطلقة، لم يوقتها ولم يبين حدودها، كبيان الأخلاق الصالحة وأضدادها ومستندها غالبا الاجتهاد، بمعنى أن الله تعالى علمه قوانين الارتفاقات فاستنبط منها حكمة وجعل فيها كلية.

ومنه فضائل الأعمال ومناقب العمال، وأرى أن بعضها مستند إلى الوحي وبعضها إلى الاجتهاد، وقد سبق بيان تلك القوانين، وهذا القسم هو الذي نقصد شرحه وبيان معانيه.

القسم الثاني: ما ليس من باب تبليغ الرسالة وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: « إنما أنا بشر إذا أمرتكم...» إلى آخر حديث التأبير...

ثم قال : ومنه الطب ومنه باب قوله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالأدهم الأقرح» ومستنده الخبرة، ومنه ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل العادة دون العبادة وبحسب الاتفاق دون قصد، ومنه ما ذكره كما كان يذكره قومه كحديث أم زرع وحديث خرافة... الخ كلامه في ذكر بعض الأمثلة التي تدخل في هذا القسم.(انظر: حجة الله البالغة:١/٢٢٣-٢٢٤)

[١] انظر: مجلة المسلم المعاصر:٣٢-٣٣. بيروت. عدد عام ١٩٧٤م.

[٢] يقول الشيخ في معرض كلامه عن تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية: إنما الواجب في معالجة هذه القضية هو الاعتدال والتوازن والنظر إليها بعمق وإنصاف وتجرد، في ضوء النصوص المحكمة في القرآن والسنة، وفي ضوء مقاصد الشريعة وقواعدها، وفي ظلال هدي السلف وفهمهم، وهو أفقه الأمة للإسلام.

وهذا ما شغلت به نفسي منذ عدة سنوات، وأرجو أن تكون هذه الصحائف التي أقدمها اليوم شعاعا على الطريق.(انظر: السنة مصدرا للمعرفة والحضارة:ص١٨-١٩)

التحريف في استغلال الحديث الصحيح « أنتم أعلم بأمور دنياكم» في غير ما سيق له وما أريد به، وبين من يبالغ في الجانب المقابل ويريد إلغاء مضمون الحديث وإنكار أن يكون في السنة شيء صدر لغير التشريع[1]، يقول الشيخ حفظه الله: الصواب فيما ذكرناه عن الفريقين المتعارضين، هو الموقف العدل الوسط الذي يميز بين ماكان من السنة تشريعا يتبع، وما ليس بتشريع، وما كان عاما دائما، وما ليس له هذه الصفة، وهذا يحتاج إلى بصر وفقه في كتاب الله وسنة رسوله[2]، ويقول أيضا –وهو يقر بمبدأ وجود هذا التقسيم في السنة النبوية ويورد حديث التأبير كأحد الأدلة على هذا التقسيم–: ومن اللازم هنا لتحقيق هذا الموضوع أن أبرز حقيقتين، أحسب أن لا خلاف عليهما، أو لاينبغي الخلاف عليهما، وهما:

أولا: أن جمهرة السنة سواء أكانت أقوالا أم أفعالا أم تقريرات هي للتشريع ومطلوب فيها الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم، الذي جعل الله الهداية في اتباعه (واتبعوه لعلكم تهتدون)

ثانيا: أن من السنة ما ليس للتشريع، ولا يجب الطاعة فيه؛ هو ما كان من أمر الدنيا المحض، وهو الذي جاء في الحديث الصحيح « أنتم أعلم بأمور دنياكم»، وهو الذي ورد في تأبير النخل كما سبق بيانه.

قال: وإذا كانت هاتان الحقيقتان متفقا عليهما، فإن الخلاف إنما هو في تطبيق هذا المبدأ على بعض هذه الأحاديث، أو في بعض المجالات، مثل الأحاديث المتعلقة بالأكل والشرب، والملبس والزينة والاكتحال والطب ووصف أدوية معينة ونحو ذلك: هل هي من (أمر دينانا) الموكول إلينا، ونحن أعلم به؛ لأن الوحي لم يجئ ليلزم الناس فيه بتكليف يأمر وينهى، أو هو من (أمر ديننا) الذي يجب أن نتلقاه من الوحي، ونلتزم بطاعته؟[3]

ويعدّ هؤلاء أبرز من تكلم في هذه المسألة وكان حديث التأبير –وبخاصة رواية «أنتم أعلم بأمور دنياكم»– حاضرا في جميع ما قرروه كما ترى فيما نقل عنهم[4]

القسم الثاني: ممن تناول هذا الحديث وأراد أن يناصر به ما ذهب إليه من فصل الدين عن الحياة هم العلمانيون ومن نحا نحوهم من دعاة الليبراليية، ممن أراد أن يهدم السنة بالسنة[5]، يقول العلامة أحمد شاكر رحمه الله: هذا الحديث مما طنطن به ملحدو مصر وصنائع أوربة فيها، من عبيد المستشرقين، وتلامذة المبشرين، فجعلوه أصلا يحجون به أهل السنة وأنصارها، وخدام الشريعة وحماها، إذا أرادوا أن ينفوا شيئا من السنة، وأن ينكروا شريعة من شرائع الإسلام في المعاملات وشئون الاجتماع وغيرها يزعمون أن هذه من شؤون الدنيا، يتمسكون برواية أنس « أنتم أعلم بأمور دنياكم» والله يعلم أنهم لا يؤمنون بأصل الدين، ولا بالألوهية، ولا بالرسالة، ولا يصدقون القرآن في قرارة نفوسهم، ومن آمن منهم فإنما يؤمن لسانه ظاهرا، ويؤمن قلبه فيما يخيل إليه، لا ثقة وطمأنينة، ولكن تقليدا وخشية، فإذا ما جد الجد، وتعارضت الشريعة: الكتاب والسنة مع ما درسوا في مصر أو في أوربة لم يترددوا في

---

[1] المرجع السابق:ص١٨.

[2] المرجع السابق:ص٢٤.

[3] المرجع السابق:ص٤٨. وانظر:ص٧٩.

[4] انظر: اتجاهات في دراسات السنة للدكتور محمد أبو الليث:ص١٦٣.

[5] انظر: السنة مصدرا للمعرفة والحضارة:ص١٢-١٤، والتطرف المسكوت عنه:ص.٧١

المفاضلة، ولم يحجموا عن الاختيار، وفضلوا ما أخذوه عن سادتهم، واختاروا ما أشربت قلوبهم، ثم ينسبون نفوسهم بعد ذلك أو ينسبهم الناس إلى الإسلام[1].

المبحث الثاني

روايات حديث التأبير

الرواية الأولى:

حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وقد أخرجه مسلم في صحيحه وابن ماجة والبزار وغيرهم[2]، من طريق سماك عن موسى بن طلحة عن أبيه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

رواية مسلم: عن طَلْحَةَ بن عبيد الله قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ فَقَالَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ فَقَالُوا يُلَقِّحُونَهُ يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا قَالَ فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

رواية ابن ماجة: وعنه أيضاً: قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَخْلٍ فَرَأَى قَوْمًا يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ فَقَالَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ قَالُوا يَأْخُذُونَ مِنْ الذَّكَرِ فَيَجْعَلُونَهُ فِي الْأُنْثَى قَالَ مَا أَظُنُّ ذَلِكَ يُغْنِي شَيْئًا فَبَلَغَهُمْ فَتَرَكُوهُ فَنَزَلُوا عَنْهَا فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ الظَّنُّ إِنْ كَانَ يُغْنِي شَيْئًا فَاصْنَعُوهُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنَّ الظَّنَّ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ وَلَكِنْ مَا قُلْتُ لَكُمْ قَالَ اللَّهُ فَلَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ.

رواية البزار: قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي نَخْلٍ فَرَأَى قَوْمًا فِي رُؤُوسِ النَّخْلِ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ : مَا تَصْنَعُونَ أَوْ مَا يَصْنَعُ هَؤُلاَءِ ؟ قَالَ : يَأْخُذُونَ مِنَ الذَّكَرِ وَيَجْعَلُونَ فِي الأُنْثَى فَقَالَ : مَا أَظُنُّ هَذَا يُغْنِي شَيْئًا فَبَلَغَهُمْ ذَلِكَ فَتَرَكُوهُ فَصَارَ شِيصًا ، فَقَالَ : أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ ، وَإِنِّي قُلْتُ لَكُمْ ظَنًّا ظَنَنْتُهُ ، فَمَا قُلْتُ لَكُمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الرواية الثانية:

حديث رافع بن خديج رضي الله عنه، وقد أخرجه مسلم في صحيحه[3] من طريق النضر بن محمد عن عكرمة بن عمار عن أبي النجاشي عن رافع بن خديج رضي الله عنه.

رواية مسلم: عن رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ قَالَ قَدِمَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ يَقُولُونَ يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ فَقَالَ مَا تَصْنَعُونَ قَالُوا كُنَّا نَصْنَعُهُ قَالَ لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا فَتَرَكُوهُ فَنَفَضَتْ أَوْ فَنَقَصَتْ قَالَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ قَالَ عِكْرِمَةُ أَوْ نَحْوَ هَذَا قَالَ الْمَعْقِرِيُّ فَنَفَضَتْ وَلَمْ يَشُكَّ.

---

[1] شرح المسند: ٢/٣٦٤-٣٦٥.

[2] صحيح مسلم.ح«٢٣٦١»، سنن ابن ماجة ح«٢٤٧٠». مسند البزارح«٩٣٧».

[3] ح«٢٣٦٢».

الرواية الثالثة:

حديث عائشة وأنس وقد أخرجه مسلم في صحيحه وابن ماجة في سننه وأحمد في مسنده وغيرهم، وأخرج البزار رواية أنس فقط[١]، وقد أخرجوها من طريق حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، وعن حماد أيضا عن ثابت عن أنس.

رواية مسلم في صحيحه: عَنْ عَائِشَةَ وَ أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنهم: « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ: لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ.

قَالَ: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: مَا لِنَخْلِكُمْ؟ قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا قَالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ.

رواية ابن ماجة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وعَائِشَةَ رضي الله عنهم: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ أَصْوَاتًا فَقَالَ مَا هَذَا الصَّوْتُ قَالُوا النَّخْلُ يُؤَبِّرُونَهَا فَقَالَ لَوْ لَمْ يَفْعَلُوا لَصَلَحَ فَلَمْ يُؤَبِّرُوا عَامَئِذٍ فَصَارَ شِيصًا فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنْ كَانَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ فَشَأْنُكُمْ بِهِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أُمُورِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ.

رواية البزار: عَن أَنَس أَن رَسولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وَسَلَّم سمع صَوتًا في النخل فقال : ما هذا ؟ قال: يؤبرون النخل فقال: لو تركوها لصلحت، فتركوها، فصارت شيصاً، فاخبروه بذلك، فقال: أنتم أعلم بما يصلحكم في دنياكم فأما أمر آخرتكم فإلي.

الرواية الرابعة:

رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقد أخرجها البزار في مسنده، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، والطبراني في المعجم الأوسط[٢]، كلهم من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي عن جابر[٣].

رواية البزار: قال جابر: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلقحون النخل، فقال: ما أرى هذا يغني شيئا، فتركوها ذلك العام، فشيصت، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أنتم أعلم بما يصلحكم في دنياكم.

راوية الطحاوي في مشكل الآثار، والطبراني في المعجم: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: "أَبْصَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ يُلَقِّحُونَ، فَقَالَ: "مَا لِلنَّاسِ؟" فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "لَا لِقَاحَ" أَوْ "مَا أَرَى اللِّقَاحَ شَيْئًا" فَتَرَكُوا اللِّقَاحَ، فَجَاءَ تَمْرُ النَّاسِ شِيصًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا لَهُ؟ مَا أَنَا بِصَاحِبِ زَرْعٍ وَلَا نَخْلٍ لَقِّحُوا".

---

[١] انظر: صحيح مسلم:ح«٢٣٦٢»، سنن ابن ماجة، كتاب الأحكام.ح«٢٤٧١»، مسند أحمد:١٥٢/٣، ح«١٢٤٥٥»، ١٢٣/٦، ح«٢٤٩٢٠»، مسند البزار:ح«٦٩٩٢».

[٢] انظر: مختصر زوائد البزار.ح«١٢٠»، شرح مشكل الآثار.ح«١٧٢٣»، المعجم الأوسط.ح«١٠٣٠».

[٣] هذا السند فيه مجالد بن سعيد الهمداني، وقد أشار إليه الهيثمي في المجمع(١٧٩/١) فقال: وفيه مجالد بن سعيد وقد اختلط، ونقله عنه الحافظ ابن حجر لما ذكر الرواية في مختصر البزار، وقد قال عنه في التقريب«٦٤٧٨»: ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره.ا.هـ قال الباحث: وإنما ذكرت هذا الحديث مع وجود بعض الضعف؛ للشواهد التي تدل عليه وتقويه.

المبحث الثالث

دفع الشبهات المثارة حول الحديث

نظرا لأهمية اختصار البحث فسأقتصر في هذا المبحث على مناقشة رواية "أنتم أعلم بأمور دنياكم" من حيث الصناعة الحديثية، ومن حيث المعنى الصحيح للرواية.

أولاً: مناقشة الحديث من حيث الصناعة الحديثية.

لقد أورد الإمام مسلم في صحيحه الروايات المروية بالإسناد الصحيح في هذا الحديث، ورتبها مبتدئا بحديث طلحة بن عبيد الله ثم حديث رافع بن خديج ثم حديث عائشة أم المؤمنين وأنس رضي الله عنهم أجمعين، وفي هذا الترتيب أشارة منه رحمه الله إلى تقديم أصح الروايات الواردة في هذا الحديث ثم التي تليها وهكذا، وهذه الطريقة هي التي اتبعها الإمام مسلم رحمه الله في عامة صحيحه كما يدل عليه ظاهر كلامه في المقدمة[١]، وكما نص عليه بعض المحققين من أهل العلم في هذا الحديث خاصة.

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني رحمه الله تعالى لما رد بعض الشبهات المثارة حول هذا الحديث: عادة مسلم أن يرتب روايات الحديث بحسب قوتها، يقدم الأصح فالأصح...إلى آخر كلامه[٢]، كما أيد هذا الشيخ الأمين الحاج أحمد أثناء مناقشته لهذا الحديث[٣]

فعلى هذا يكون أصح هذه الأحاديث هو حديث طلحة بن عبيد الله تعالى، ثم يليه حديث رافع بن خديج، ثم حديث عائشة وأنس والذي فيه الرواية التي احتج بها الكثير "أنتم أعلم بأمور دنياكم"، ومما يؤيد هذا الترتيب ما يأتي:

إن الروايات الواردة في قصة تأبير النخل وإن تعددت ألفاظها فهي تحكي قصة واحدة، إذ حاشى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتكرر منه الخطأ نفسه أكثر من مرة[٤]، وفيما يظهر من الروايات فإن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه هو الوحيد من رواة الحديث شهد القصة بنفسه حيث يقول في روايته لهذا الحديث (: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ ... الحديث) وهذا بلا شك يكون أقوى ممن سمع الحديث من غيره فربما نقل بعض ألفاظه بالمعنى[٥]، ولذا جاءت هذه الرواية متناسقة مع ما تدل عليه الأحاديث الأخرى المتواترة من المعاني الصحيحة لهذا الحديث خالية من أي إشكال قد يثيره المخالف، بل إن فيها ما يرد عليهم ؛ حيث إنها الراوية المحكمة التي تفسر وترجع إليها جميع الروايات، فقوله في حديث رافع بن خديج « وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ» يفسره قوله في حديث طلحة « فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا» فالرأي المقصود به الرأي، وقوله في حديث أنس

---

[١] وقد تكلم عن هذه المسألة ودلل عليها بالتطبيقات العملية الدكتور حمزة المليباري في كتابه(عبقرية الإمام مسلم في أحاديث مسنده الصحيح)

[٢] انظر: الأنوار الكاشفة:ص٢٩، والتنكيل:٢/٢٥٧.

[٣] انظر: كتاب مناقشة هادئة لبعض أفكار الترابي:ص٨٥-٨٦.

[٤] انظر: مقال "متى نكون أعلم بأمور ديننا" لأحمد السويلم. بحث منشور في مجلة البيان عدد(٢٣٨).

[٥] انظر: مقال "متى نكون أعلم بأمور ديننا" لأحمد السويلم. بحث منشور في مجلة البيان عدد(٢٣٧).

وعائشة «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ» فهذا قاله ظنا؛ يفسره قوله في حديث طلحة لما رآهم يؤبرون النخل « مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا».

وأما قوله في اللفظة المشهورة التي وردت فقط في حديث أنس وعائشة «أنتم أعلم بأمور دنياكم» فهذه مروية بالمعنى يفسرها قوله في حديث طلحة «إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ» ثم بين أنه إنما قال ذلك ظنا والله أعلم.

إن في رواية حديث رافع بن خديج ما يشير إلى رواية الحديث بالمعنى، فإن عكرمة بن عمار أحد رواة هذا الحديث لما ذكر لفظة بالحديث قال: أو نحو هذا، وذلك في رواية مسلم «وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ قَالَ عِكْرِمَةُ أَوْ نَحْوَ هَذَا»، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: مَعَ أَنَّ لَفْظَةَ الرَّأْيِ إِنَّمَا أَتَى بِهَا عِكْرِمَة عَلَى الْمَعْنَى لِقَوْلِهِ فِي آخِرِ الْحَدِيث: قَالَ عِكْرِمَة: أَوْ نَحْو هَذَا، فَلَمْ يُخْبِرْ بِلَفْظِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَقَّقًا[1].

إن رواية حديث أنس وعائشة رضي الله عنهم جاءت من طريق حماد بن سلمة، وهو مع كونه أحد الأئمة إلا أنه يخطئ، يقول العلامة المعلمي رحمه الله تعالى: ورواية حديث طلحة أصح مما ورد في حديث حماد لأن حمادا كان يخطئ، وقال أيضا: وحماد على فضله كان يخطئ، فالصواب ما في الروايتين الأوليين[2].

ثانيا: مناقشة رواية "أنتم أعلم بأمور دنياكم"، ورد في حديث أنس وعائشة رضي الله عنهما لفظ «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ» وهذا اللفظ هو الذي دارت عليه الإشكالات واحتج به أهل الشبهات ولذى سأجعل لها فقرة خاصة لمناقشة هذه اللفظة وتحليلها ودفع كل شبهة يمكن أن تمرر من خلالها، وذلك من خلال النقاط الآتية:

يقول الدكتور الشريف حاتم العوني حفظه الله تعالى في معرض مناقشته للمستدلين بهذه الراواية: وأوّل ما يؤخذ على هؤلاء هو هذا الاعتماد المبالغ فيه وفي دلالته، حيث جعلوا هذا الحديث الوحيد أساسًا ترجع النصوص إليه؛ وكأنّه هو المحْكَمُ الذي تؤول إليه كل نصوص القرآن والسنة التي تقدّم قطرةٌ من بحرها، وغرفةٌ من نهرها!! وهذا خطأٌ منهجيّ، لا من جهة أنه نصٌّ واحد مقابل عشرات...بل مئات النصوص، بل من جهة أنّهم لم يُمعنوا النظر في ألفاظ الرّواية، لينظروا هل هي دالةٌ على ما يريدون، أم لا تدل؟ وهذا الخطأ كان سيكون مقبولًا، لو لم يكن هذا الاستدلال يخالف جميع تلك النصوص. أمَا وقد خالفها، فكان هذا يوجب عليهم عميق النظر والدراسة.

وقال أيضا: ما المراد بأمر الدنيا الذي تجعلونه ممّا لا يرُجع فيه إلى السنّة؟ حيث إنه يدخل في أمر الدنيا كلّ ما لا يدخل في أمر العقائد والعبادات المحضة كالمعاملات: من بيع وشراء، ونكاح وطلاق، وآداب للحديث واللباس والطعام والشراب وعموم الأخلاق...وغير ذلك، فإن قالوا: المقصود جميعُ ما ذُكر، لدخوله تحت دلالة قوله (أمر الدنيا)، كان هذا القول منهم دليلًا على سقوط فهمهم وبطلانه؛ لأنه خالف قطعيّات الكتاب والسنة الدالة على

---

[1] شرح النووي على مسلم:١١٦/١٥.

[2] انظر: الأنوار الكاشفة:ص٢٩، والتنكيل:٢٥٧/٢-٢٥٨.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْخِلَافِيَّاتِ: وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ أَحَدُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ أَحْمَدُ بن حنبل: إذا رأيت الرَّجُلَ يَغْمِزُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ فَاتَّهِمْهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، إلَّا أَنَّهُ لَمَّا طَعَنَ فِي السِّنِّ سَاءَ حِفْظُهُ، فَلِذَلِكَ تَرَكَ الْبُخَارِيُّ الِاحْتِجَاجَ بِحَدِيثِهِ، وَأَمَّا مُسْلِمٌ فَإِنَّهُ اجتهد في أمره، أخرج مِنْ أَحَادِيثِهِ عَنْ ثَابِتٍ مَا سَمِعَ مِنْهُ قَبْلَ تَغَيُّرِهِ، وَمَا سِوَى حَدِيثِهِ عَنْ ثَابِتٍ، فَلَا يَبْلُغُ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ حديثاً، أخرجها الشَّوَاهِدِ دُونَ الِاحْتِجَاجِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَالِاحْتِيَاطُ أَنْ لَا يُحْتَجَّ بِمَا يُخَالِفُ فِيهِ الثِّقَاتِ. انظر: نصب الراية:٢٨٦/١.

وجوب طاعة النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما ذُكر من أمور المعاملات والآداب والأخلاق، وخالف أيضًا إجماعَ العلماء: فهذه كتب الفقه على جميع المذاهب وكتب العلم لدى جميع أهل العلم: حفيلةٌ بنصوص السنة في ذلك، عظيمةُ العناية بالاهتداء بنورها، مستضيئةٌ بهدايتها. وإن قالوا: بل بعض ذلك دون بعض، كأحاديث الطبّ. قلنا: وما دليل هذا التخصيص؟ ثم إن الحديث الذي تحتجّون به ليس في الطب، بل النصّ الذي تعتمدونه ظاهره العموم (أمر الدنيا) فالتخصيص بلا دليل، دليلٌ على بطلان ذلك القيل[1].

وبذلك نخلص أن هذا الفهم باطلٌ من أساسه؛ فلا عُمومُهُ مقبول، ولا خُصوصُه بالذي يُساعدهُ الدليل؛ بل بُطلان طرفيه أوضحُ مِنْ أن يحتاجَ إلى شيءٍ من التطويل، وهذا يكفي لانعقاد القلوب على خلاف هذا الفهم، وعلى أن نعلم علم اليقين أن معارضة النصوص القاطعة في الكتاب والسنة بهذا الفهم السقيم لهذا الحديث غير قويم[2].

وقال أيضاً: وما زال علماء الملّة كذلك، وهذه مصنّفاتهم من الموطأ للإمام مالك (ت١٧٩هـ)، إلى المسانيد والمصنّفات، إلى كتب الصحاح والسنن، كلّها لا تفرّق بين أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في أمور الدنيا عن أمور الدين، مَنْ كان يبوّب يبوّب بما يدل عليه لفظها، ومن كان لا يبوّب يوردها بالسياق الذي يورد فيه غيرها من السنن، فلا أمور الدنيا عندهم بدون أمور الدين في وجوب التثبت لها والتحرّي في شأنها، ولا تجنّبوا العناية بتدوينها وكتابتها، بل هي أحاديثُ النبيّ صلى الله عليه وسلم، كلُّها عندهم سواء؛ بل نصّوا على التساهل في أحاديث الترغيب والترهيب والفضائل، ولا نصّوا على التساهل في أحاديث الطِّبّ مثلًا.

إن هذه اللفظة «أنتم أعلم بأمور دنياكم» تعد جملة تفضيل اشتملت على الفاضل والمفضول وأداة التفضيل، فالفاضل هو قوله "أنتم" والخطاب في هذا قطعا متوجه إلى العشرة أو العشرين الذي كانوا يلقحون النخل، وهل يدخل فيه غيرهم؟ هذا يحتاج إلى دليل وقرائن تبين هل يدخل فيه غيرهم أم يقتصر الحكم عليهم؟ وهل هو خاص بتأبير النخيل أو يدخل فيه غيره؟

ولذا فإننا نقوم بدراسة تحليلية لهذه الجملة من خلال طرح عدة احتمالات لما دلت عليه هذه الجملة، نختار منها ما تشهد له أصول الشرع والعقل بالاعتبار، وطرح ما عداه مما لا تشهد له أصول الشرع أو يخالف بديهيات الكلام، مما يُعلم أن الشارع لم يكن يريد هذا الاحتمال.

الاحتمال الأول: أن يكون معنى الكلام أنتم أيها الذين تلقحون النخل أعلم بما يصلح النخل مني وممن لا علم له بالتلقيح، أي أنتم أعلم بشئون دنياكم هذه التي تباشرونها والتي لم تنجح فيها مشورتي مني ومن هم مثلي، فالحديث واقعة عين وقعت على تأبير النخل فلا يستدل بها على غيرها أصلا، ولذا اعتذر لهم صلى الله عليه وسلم

[1] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:وكل ما قاله بعد النبوة وأقر عليه ولم ينسخ فهو تشريع، لكن التشريع يتضمن الإيجاب والتحريم والإباحة، ويدخل في ذلك ما دل عليه من المنافع في الطب، فإنه يتضمن إباحة ذلك الدواء والانتفاع به، فهو شرع لإباحته، وقد يكون شرعا لاستحبابه...، ثم قال: والمقصود أن جميع أقواله يستفاد منها شرع.(انظر: مجموع الفتاوى:١٢/١٨)

[2] انظر: دراسة للدكتور الشريف حاتم العوني بعنوان(السُّنَّةُ وَحْيٌ مِن رَّبِّ العَالَمِين فِيْ أُمُوْرِ الدُّنْيَا وَالدِّيْنِ) منشورة على موقع الإسلام اليوم على الرابط:http://islamtoday.net/bohooth/artshow-86-7893.htm

مما قال في بعض الروايات بقوله« مَا أَنَا بِصَاحِبِ زَرْعٍ وَلَا نَخْلٍ لَقِّحُوا»، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له علم بالزرع فقد عاش بمكة وكان أهل مكة أهل تجارة وما يعرفه من بعض الثمار كثمار الطائف مثلا فإنه ينتج بلا تلقيح، ولذا كان سؤاله صلى الله عليه وسلم عن التلقيح في أول قدومه للمدينة كما في رواية رافع بن خديج « قَدِمَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ...» الحديث[1].

الاحتمال الثاني: أنتم أيها الذين تلقحون النخل ومن على شاكلتكم من أهل الصناعات والمهارات أعلم بصنائعكم مني وممن ليس من أهل الصناعات، والكلام على التوزيع على معنى: كل أهل صنعة أعلم بها ممن ليسوا من أهلها.

الاحتمال الثالث: أنتم أيها الذين تلقحون النخل بالمدينة أعلم بما يصلح النخل مني ومن غيركم من زارعي النخيل في البلاد والأزمان المختلفة، وهذا الاحتمال واضح البطلان؛ ففي بعض البلاد وفي بعض الأزمان من هم أعلم منهم بذلك قطعا، فعلم أن ذلك ليس بمراد للشارع في كلامه

الاحتمال الرابع: أنتم أيها الذين تلقحون النخل بالمدينة أعلم بالخبرات والصناعات المختلفة مني ومن غيري، حتى أهل الصناعات أنفسهم، فعلى معنى: أنتم أعلم بالطب مثلا مني ومن الأطباء، وهذا احتمال واضح البطلان[2].

فإذا تأملنا في هذه الاحتمالات التي تدل عليها جملة التفضيل هذه نجد أقربها لمراد الشارع هو الاحتمال الأول، ثم الثاني، أما الثالث والرابع فظاهر البطلان قطعاً، وتبين أن الشارع أراد بهذا الخطاب حادثة عين لا عموم لها، وأنها مرتبطة بقصة وحادثة معينة.

وأما إذا لم يسلم الخصم بهذه النتيجة فنقول له: لا أقل أن تكون هذه اللفظة التي استدللت بها لنسف نصوص السنة المتكاثرة، مما تطرق لها الاحتمال ومن المعلوم أن الدليل إذا تطرق له الاحتمال ولم يمكن ترجيح بعضها على بعض بطل به الاستدلال، كيف والاحتمال الأقوى ينافي ما استدلوا عليه بهذه اللفظة من الحديث؟!.

هناك مسلمات لا يخالف فيها أي مسلم لا بد من استحضارها ونحن نحلل هذه اللفظة «أنتم أعلم بأمور دنياكم» لكي نفهمها فهما صحيحاً:

الأولى: أن السامعين للخطاب «أنتم» يدخلون في الحكم دخولا أوليا.

الثانية: أن الرسول صلى الله عليه وسلم يدخل في المفضل عليه دخولا أوليا، أي أنتم أعلم مني.

الثالثة: أن غير الأعلم لا يصدر أوامره ونواهية إلى الأعلم فيما هو أعلم، فلو أن المخاطبين والأمة الإسلامية أعلم منه صلى الله عليه وسلم بأحكام البيع والشراء والربا والهبة والشركة واللقطة والكفالة والوكالة والشفعة...إلخ ما أصدر أوامره ونواهيه إليهم في هذه المعاملات، أما وأنه أصدر فهو أعلم فيما أصدر، وليس هذا مما هم فيه أعلم.

---

[1] انظر: مقال "متى نكون أعلم بأمور ديننا" لأحمد السويلم. بحث منشور في مجلة البيان عدد(٢٣٨).

[2] انظر: السنة والتشريع للدكتور موسى لاشين:ص٧٣-٧٤

الرابعة: أن الأعلم لا يستجيب عادة ولا يخضع و لاينفذ كل متطلبات غير الأعلم، فلو كانوا أعلم بشئون المعاملات منه صلى الله عليه وسلم لتوقفوا ولو مرة، وقالوا: نحن أعلم بشئون دنيانا، ولا شك أن فهم المخاطبين من الحديث أساس في تحديد المراد منه[1]

يقول الشيخ موسى لا شين: وإذا ثبت ووضح لنا مراد المتكلم صلى الله عليه وسلم وأنه لم يدخل المعاملات ضمن هذا الحديث، وإذا ثبت فهم المخاطبين واستجابتهم وأنهم لم يخطر ببالهم دخول المعاملات تحت هذا الحديث، وإذا أجمعت الأمة في عصورها المختلفة أربعة عشر قرنا على أن المعاملات لا تدخل في هذا الحديث وإذا كان الفهم الصحيح للحديث يحدد المراد منه ويمنع من دخول المعاملات فيه، فهل يبقى خيط عنكبوت يتعلق به الباحث ليدخل المعاملات في هذا الحديث؟ اللهم: لا.انتهى[2]

فإن قال قائل إن تخصيصكم للفظة «أنتم أعلم بأمور دنياكم» بحادثة تأبير النخل ، مخالف للقاعدة المعروفة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"...

فالجواب: بعد التسليم بهذه القاعدة نقول: إن هناك فرقا بين مجرد ورود العام على سبب ، وبين أثر السبب والسياق والقرائن في تخصيص العام، وهذا الذي نحن بصدده، وأيضا فإننا نشترط لإعمال هذه القاعدة عدم وجود المعارض، فإذا وجد المعارض حملنا العام على سببه وقصرناه عليه[3]، كيف والمعارض ما تواتر واشتهر من آيات القرآن والسنة بوجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وعدم مخالفة أمره والأخذ عنه في حال الجد والمزح، والغضب والرضا.

ومما يتنافى أيضا مع فهم هذه اللفظة «أنتم أعلم بأمور دنياكم» كقاعدة عامة في أمور الدنيا مطلقا، أن مثل هذا الفهم لا يصح تصوره في عموم العقلاء والحكماء فضلا عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه مما لا شك فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له من العقل والحكمة ما يجعله باجتهاده أقدر على تسير كثير من أمور الدنيا في السياسة العامة وترتيب أمور الدولة وإصلاح المجتمع وغير ذلك بما لا يصل إليه أعلمُ أهل الدنيا علمًا بها. فكيف

---

[1] انظر: السنة والتشريع لموسى لاشين:ص٧٧.

[2] المرجع السابق

[3] يقول ابن دقيق العيد لما تكلم على حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال: "ما هذا؟" قالوا: صائم, قال: "ليس من البر الصيام في السفر"

أخذ من هذا: أنه كراهة الصوم في السفر لمن هو في مثل هذه الحالة ممن يجهده الصوم ويشق عليه أو يؤدي به إلى ترك ما هو أولى من القربات ويكون قوله: "ليس من البر الصيام في السفر", منزلا على مثل الحالة والظاهرية المانعون من الصوم في السفر يقولون: إن اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويجب أن تتنبه للفرق بين دلالة السياق والقرائن الدالة على تخصيص العام وعلى مراد المتكلم، وبين مجرد ورود العام على سبب، ولا تجريهما مجرى واحد، فإن مجرد ورود العام على السبب لا يقتضي التخصيص به كقوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} [المائدة: ٣٨] بسبب سرقة رداء صفوان وأنه لا يقتضي التخصيص به بالضرورة والإجماع.

أما السياق والقرائن: فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات فاضبط هذه القاعدة فإنها مفيدة في مواضع لا تحصى وانظر في قوله عليه السلام: "ليس من البر الصيام في السفر" مع حكاية هذه الحالة مع أي القبيل هو؟ فنزله عليه.انتهى كلامه.(انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام:٣/٣٧١-٣٧٢)

يصح تصوّرُ فَهْمِ المخالفين، من أن قوله صلى الله عليه وسلم: "أنتم أعلم بأمر دنياكم" قاعدةٌ عامّةٌ في كل أمور الدنيا؟!! هلّا أنزلوا النبيّ صلى الله عليه وسلم منزلة عامة العقلاء الذين لا بدّ أن يكون للواحد منهم من اليقين في أمور الدنيا اليقينيّاتُ الكثيرة!! إذن فيلزمهم أن لا يقولوا: إن ذلك النصّ قاعدةٌ عامّة, بل عليهم أن يقولوا: إن المقصود به بعض أمور الدنيا لا كلّها، أو بعض أخباره صلى الله عليه وسلم عن أمور الدنيا لا كل أخباره صلى الله عليه وسلم عنها، ثم لابُدّ بعد هذا التبعيض أن يبيّنوا كيفيّة تمييز هذا النوع من ذاك، وإلا أدّى عدم التمييز إلى إبطال الكل، وما هذا في السوء إلا كالذي هربنا منه، من إنزال النبيّ صلى الله عليه وسلم دون منزلة بقية العقلاء؛ لأن القولين أدّيا إلى ردِّ كل أخباره صلى الله عليه وسلم في أمور الدنيا، وكأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم عندما قال لهم: "أنتم أعلم بأمر دنياكم" على هذا الفَهْم السقيم يُشرّع لهم مخالفته في كل أمور الدنيا، وكأنه يقول لهم: لا تطيعوني في أمور دنياكم أبدًا، إنما الطاعة في الدين فقط!!! وما أقبح هذا من فهم!! وما أسوأ أثره على الدين والدنيا!!![1].

فإن قال قائل: فكيف إذن نفهم قوله: «أنتم أعلم بأمور دنياكم» فهما يتوافق مع النصوص الأخرى ولا يتعارض معها، فنقول:

أولاً: إن الأصل والقاعدة العامة هي الأخذ بأمره وقوله عليه الصلاة والسلام، مطلقا دون استفصال هل هذا من أمر الدين أم من أمر الدنيا، ودون البحث عن قرينة خاصة تلزمنا بذلك النص أم لا، بل مجرد وروده دليل على وجوبه، وهذا الأصل كما هو مقرر هو مقتضى العموم في النصوص الملزمة باتباع أمره صلوات الله وسلامه عليه، فإنها لم تفرق بين أمر وأمر، أو بين نص ونص، بل عممت الإلزام بها جميعاً.

ثانياً: ما عدا هذا الأصل ما يمكن أن يستثنى من هذه القاعدة العامة بمقتضى حديث التلقيح وهو ما كان منه على سبيل الظن، لا الجزم والحكم[2].

الخاتمة

بعد هذا البحث فإن أهم النتائج التي توصلت إليها ما يأتي:

١. إن هذا الحديث الشريف وبخاصة لفظة «أنتم أعلم بأمور دنياكم» احتج بها غالب من أراد رد السنة أو بعضها بحجة أنها من الأمور الدنيوية التي لا يجب على المسلم الالتزام بها، وهم في ذلك بين مقل ومستكثر في إدخال أنواع السنة في هذا المردود أو إخراجها منه.

٢. إن بيان معنى الحديث بالصورة الصحيحة يحتاج إلى جمع جميع المرويات الصحيحة الواردة فيه والتي يوضح بعضها بعضا ويفسر بعضها بعضا.

٣. إن في دراسة هذه المرويات دراسة علمية على طريقة المحدثين يتبين لنا أن أصح الروايات فيه هي رواية طلحة بن عبيد الله والتي جاءت متوافقة مع ما هو مقرر في باقي الأدلة الشرعية.

---

[1] انظر: دراسة للدكتور الشريف حاتم العوني بعنوان(السُّنَّةُ وَحْيٌ مِن رَّبِّ العَالَمِين فِيْ أُمُوْرِ الدُّنْيَا وَالدِّيْنِ) منشورة على موقع الإسلام اليوم على الرابط:http://islamtoday.net/bohooth/artshow-86-7893.htm

[2] انظر: مقال "متى نكون أعلم بأمور ديننا" لأحمد السويلم. بحث منشور في مجلة البيان عدد(٢٣٨).

٤. إن سبب التوهم الذي فهم من عموم بعض الألفاظ التي في هذا الحديث هو روايته بالمعنى، وإذا كان ذلك وجب رد بعضه لبعض ليتبين لنا ما هي الرواية الصحيحة الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٥. إن الصحيح في رواية هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار على الصحابة بترك التأبير ولكن بلفظ«الظن»، ثم اعتذر لهم لما خرج التمر شيصا بأن الذي أشار عليهم به هو «ظن».

٦. إن في دراسة هذه اللفظة «أنتم أعلم بأمور دنياكم» -على التنزل بثبوتها-، دراسة تحليلية يتبين لنا إنه لا يمكن فهمها كقاعدة عامة، وذلك لمخالفتها لمقتضى الكلام وسببه وسياقه، ولما يلزم على ذلك من اللوازم الباطلة التي لا يمكن أن تنسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته.

المصادر والمراجع

١. اتجاهات في دراسات السنة قديمها وحديثها.د.محمد أبو الليث الخير آبادي.مركز البحوث العلمية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.ماليزيا.١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢. الأنوار الكاشفة. الشيخ: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. عالم الكتب. بيروت.١٤٠٣هـ

٣. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام.ابن دقيق العيد.تحقيق وتعليق:محب الدين الخطيب، الشيخ علي بن محمد الهندي.المكتبة السلفية.القاهرة.

٤. الإسلام عقيدة وشريعة.الإمام محمود شلتوت.ط(١٨).دار الشروق. القاهرة .١٤٢١هـ-٢٠٠١م

٥. البحر الزخار المعروف"مسند البزار". أبو بكر أحمد بن عمرو البزار. تحقيق:د.محفوظ الرحمن زين الله. مكتبة العلوم والحكم.ط١.المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ.

٦. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف. أبو الحجاج جمال الدين المزي.تحقيق: عبدالصمد شرف الدين. ط٢.الدار القيمة. الهند. المكتب الإسلامي. بيروت . ١٤٠٣هـ .

٧. التطرف المسكوت عنه" أصول الفكر العصراني". د.ناصر بن يحيى الحنيني.دار التوحيد.ط٢. ١٤٣١هـ.

٨. تقريب التهذيب. ابن حجر العسقلاني. تحقيق: محمد عوامة. ط٢. دار الرشيد. سوريا. حلب. دار البشائر الإسلامية. بيروت. ١٤٠٨هـ.

٩. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل.الشيخ: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي.تحقيق:ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف.ط٢. الرياض. ١٤٠٦.

١٠. الجامع الصحيح . (سنن الترمذي) . أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ..تحقيق : أحمد شاكر .دار الكتب العلمية .

١١. حجة الله البالغة.شاه ولي الله الدهلوي. تحقيق: السيد سابق.دار الجيل.ط(١). بيروت.٢٠٠٥م.

١٢. السنة تشريع لازم. فتحي عبد الكريم. مكتبة وهبة.ط١. القاهرة.١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٣. السنة مصدرا للمعرفة والحضارة.يوسف القرضاوي.دار الشروق.ط(٣). القاهرة.١٤٢٣هـ.

١٤. سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث السجستاني تعليق: عزت عبيد الدعاس، نشر وتوزيع محمد علي السيد. دار الحديث. حلب. حمص .

١٥. سنن ابن ماجة . أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني . تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي . دار الكتب العلمية . بيروت .

١٦. شرح النووي على صحيح مسلم . يحيى بن شرف النووي . ط١. دار الريان . القاهرة . ١٤٠٧هـ.

١٧. شرح مشكل الآثار . أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي . تحقيق : شعيب الأرنؤوط . ط١ .مؤسسة الرسالة .بيروت. ١٤١٤هـ .

١٨. صحيح البخاري ، المطبوع مع فتح الباري . بترقيم : محمد فؤاد عبدالباقي .

١٩. صحيح مسلم . مسلم بن الحجاج النيسابوري تحقيق : محمد فؤلد عبدالباقي. المكتبة الإسلامية . استانبول .
٢٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري . ابن حجر العسقلاني . تحقيق : محب الدين الخطيب . ط٤ . المكتبة السلفية .مصر . ١٤٠٨هـ .
٢١. فيض القدير شرح الجامع الصغير . محمد عبد الرؤوف المناوي . دار الفكر .
٢٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير. محمد عبد الرؤف المناوي. دار الفكر.ط٢. ١٣٩١هـ.
٢٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . نور الدين الهيثمي. دار الريان . القاهرة . دار الكتاب العربي . بيروت . ١٤٠٧هـ .
٢٤. مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. وزارة الشئون الإسلامية . الرياض.١٤١٦هـ.
٢٥. المسند . أحمد بن حنبل . الطبعة المصورة عن الطبعة الحجرية . دار الفكر العربي .
٢٦. مختصر زوائد البزار. ابن حجر العسقلاني.تحقيق:صبري بن عبد الخالق أبوذر. مؤسسة الكتب الثقافية.ط٣.بيروت.١٤١٤هـ.
٢٧. المسند . أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني . تحقيق : شعيب الأرنؤوط . ط٢ . مؤسسة الرسالة . بيروت . ١٤٢٠هـ .
٢٨. المعجم الأوسط.أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.تحقيق: طارق عوض الله، عبد المحسن الحسيني. دار الحرمين.القاهرة.١٤١٥هـ.
٢٩. مناقشة هادئة لأفكار الترابي.الأمين الحاج محمد أحمد.ط(١).١٤١٥هـ.
٣٠. موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف"دراسة تطبيقية على تفسير المنار".شفيق شقير.ط١. المكتب الإسلامي. ١٤١٩هـ.
٣١. موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية.الأمين الصادق الأمين. مكتبة الرشد.ط١. الرياض.١٤١٨هـ
٣٢. الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية "دراسة نقدية". مفرح سليمان القوسي.ط١. دار الفضيلة. الرياض. ١٤٣٢هـ.
٣٣. نصب الراية لأحاديث الهداية. جمال الدين الزيلعي. دار الحديث.القاهرة.

المقالات:

١. السنة والتشريعية وغير التشريعية. محمد سليم العوا. مجلة المسلم المعاصر. عدد عام١٩٧٤م. بيروت.
٢. السنة والتشريع. موسى شاهين لاشين. مجلة مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر. العدد٢. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٣. السُّنّةُ وَحْيٌ مِن رَّبِّ العَالَمِين فِيْ أُمُوْرِ الدُّنْيَا وَالدِّيْنِ . الدكتور الشريف حاتم العوني. موقع الإسلام اليوم: http://islamtoday.net/bohooth/artshow-86-7893.htm.
٤. متى نكون أعلم بأمور ديننا. أحمد السويلم. بحث منشور في مجلة البيان. العدد(٢٣٨).

مفاهيم منحرفة في مفهوم السنة النبوية

د. صالح بن فريح البهلال

الأستاذ المساعد في قسم السنة وعلومها

جامعة القصيم

السعودية

saleh.f.b@gmail.com

المقدمة

الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فلا يشك مسلم أن السنة النبوية هي المصدر الثاني في الاحتجاج به بعد القرآن، وإن الإسلام في مصدره الثاني قد ابتلي بأقوام يُشَغِّبون على السنة، فجاؤا فيها أمراً إدًّا، فأصبحت السنة مضغة في أفواههم، وغرضاً لسهامهم، وأثاروا حولها الشبهات، وصنفوا في ذلك المؤلفات، وهم في هذا الأمر دركات، فمنهم من ينكر حجية السنة مطلقاً، ومنهم من ينكر حجية السنة التي تأتي بحكم مستقل، ومنهم من ينكر خبر الآحاد، ومنهم من يقصر مفهوم السنة على مفهوم دون آخر، إلى غير تلك المناهج المنحرفة التي تعددت مناهجها، واتحدت مقاصدها، هؤلاء الأقوام موجودون في قديم زمان الإسلام وحديثه.

وإن من حفظ الله لدينه حفظَه لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فكم طاعنٍ في السنة ارتد طرفه إليه وهو حسير، فانخزل أمره، وفشلت عزائمه: كناطحٍ صخرةً يوماً ليَفْلِقَها فلم يَضِرْها وأَوْهَى قَرْنَه الوَعِلُ[(١)]

فقد سخر الله للسنة رجالاً ينفون عنها تأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وإن من الشبه المثارة حول السنة النبوية تحديد مفهومها، وبيان المقصود منها.

وإن مفهومها الشرعي واضح المعالم، لا تلابسه غُمَّة، ولا تعتريه لُبْسة، ظلمة ليله مثلُ ضوء نهاره، ولكن بدت مفاهيم منحرفة في هذا الزمان؛ تقصر مفهوم السنة على جانب دون آخر، وتُعْمل جانباً، وتترك آخر، وإن هذا الموضوع لبالغ الأهمية؛ إذ يترتب عليه معرفة السنة التي يستمد منها التشريع، فأحببت بحكم تخصصي أن أدرس بعض هذه المفاهيم، وأجلو غامضها، وأدرأ شبهاتها، فكان هذا البحث، وقد جعلته مكوناً من مقدمة، وتمهيد، وفصل واحد، وهي كالآتي :

مقدمة، وفيها بيان أهمية الموضوع، وخطة البحث، ومنهج البحث فيه.

تمهيد، وفيه تعريف بالألفاظ ذات الصلة في البحث.

فصل: المفاهيم المنحرفة في مفهوم السنة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: السنة هي العمل العرفي، أو العمل المجمع عليه.

المبحث الثاني: السنة غير الحديث.

المبحث الثالث: السنة غير السيرة.

خاتمة، وفيها خلاصة الموضوع وبعدها، وضعت فهرساً للمصادر والمراجع.

ومنهجي في البحث أني أورد المفهوم المنحرف، وأذكر أبرز من قال به، ثم أذكر شبهاتهم، وأجيب عليها، والله المنانَ أسأل أن يؤتيني من لدنه رحمة، ويهيِّئ لي من أمري رشداً.

---

(١) البيت للأعشى، ينظر : الأغاني٩/١٧٨.

تمهيد

تعريفات بالألفاظ ذات الصلة

أولاً: تعريف السنة:

* السنَّة لغة: ورد لفظ السنة في اللغة دالاً على معاني منها:

أولاً: السنة بمعنى الطريقة، والسيرة، قال ابن الأثير: (وقد تكرر في الحديث ذكر السُّنَّة، وما تصرف منها، والأَصل فيه الطريقة، والسِّيرَة)[1]، وقال ابن فارس: (وسنة رسول الله عليه السلام سيرته، قال الهذلي: فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنةً من يسيرها، وإنما سميت بذلك لأنها تجري جرياً)[2].

الثاني: السنة بمعنى الأمر يبتدئه الرجل، فيتبعه فيه غيره، قال في اللسان: (وفي الحديث: "من سَنَّ سُنَّةً حَسَنةً فله أَجْرُها، وأَجْرُ من عَمِلَ بها، ومن سَنَّ سُنَّةً سيِّئَةً.."[3]، يريد من عملها؛ ليُقْتَدَى به فيها، وكل من ابتدأَ أَمراً عمل به قوم بعده، قيل: هو الذي سَنَّه)[4].

* وأما السنة في الاصطلاح، فلها تعريفات عِدَّة، حسب المكان الذي ترد فيه:

فلها عند أهل العقيدة اصطلاحان؛ خاص، وقد بينه ابن رجب، فقال: (هي الطريقة المسلوكةُ، فيشمل ذلك التمسُّك بما كان عليه هو وخلفاؤه الرَّاشدونَ مِنَ الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السُّنةُ الكاملةُ، ولهذا كان السلف قديماً لا يُطلقون اسم السُّنَّةِ إلا على ما يشمل ذلك كلَّه[5].

ولها مصطلح عام بينه شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال: (واصطلاح العامة كل من ليس برافضي قالوا: هو من أهل السنة)[6]، والسنَّة عند الأصوليين: هي ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير[7].

والسنَّة عند الفقهاء: هي ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة، وقد تطلق عندهم في على ما يقابل البدعة، ومنه لهم: طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا[8].

والسنَّة عند المحدثين وأهل السيرة: هي كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة، سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها[9].

---

(١) النهاية ٢/٤٠٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة٢/٦٣.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب العلم (١٠١٧).

(٤) لسان العرب ١٣/٢٢٠.

(٥) جامع العلوم والحكم٢/١٢٠.

(٦) منهاج السنة٢/١٣٢.

(٧) البحر المحيط للزركشي ٦/٦، وشرح التلويح على التوضيح٢/٣، وإرشاد الفحول للشوكاني١/٩٥.

(٨) كشف الأسرار للبخاري٢/٤٣٨، ولمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث ص ٧ .

(٩) أصول الحديث علومه ومصطلحه ص ١٩، والحديث والمحدثون لمحمد أبو زهو، ص ١٠.

ومرد هذا الاختلاف في تعريف السنة في الاصطلاح هو اختلافهم في الأغراض التي يُعني بها كل فئة من أهل العلم.

فعلماء العقيدة جعلوا أهل الحديث والسنة علَماً على العقيدة الصحيحة؛ وذلك لاختصاصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، واتباعهم لقوله، وطول ملازمتهم له، وتحملهم علمه، وحفظهم أنفاسه وافعاله، فوجبت لهم بذلك المنة على جميع الأمة[١]، أو أنهم خصوا العقيدة باسم السنة؛ لأنها أصل الدين، والمخالف فيها على خطر عظيم[٢].
عظيم[٢].

وعلماء الأصول إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستور الحياة، فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها، ولا شك أن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم التي ليست من فعله لا يمكن أن تكون دليلاً على الوجوب أو الاستحباب؛ إذ لا يتعلق بها حكم.

وعلماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوباً أو حرمة أو إباحة.

وعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال؛ سواءً أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا[٣].

ثانياً: تعريف الحديث

الحديثُ اصطلاحًا هو: الحديث المضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولًا أو فعلًا أو تقريرًا أو وصفًا حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام[٤].

وعليه يكون مقصورًا على المرفوع فقط، ويكون بهذا مرادفًا للسنَّة عند الأكثر[٥]؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الحديث النبوي هو عند الإطلاق ينصرف إلى ما حدث به عنه بعد النبوة من قوله وفعله وإقراره؛ فإن سنته ثبتت من هذه الوجوه الثلاثة...وقد يدخل فيها بعض أخباره قبل النبوة وبعض سيرته قبل النبوة مثل: تحنثه بغار حراء، ومثل: حسن سيرته؛ لأن الحال يستفاد منه ما كان عليه قبل النبوة: من كرائم الأخلاق، ومحاسن الأفعال كقول خديجة له: كلا والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق...وأمثال ذلك مما يستدل به على أحواله التي تنفع في المعرفة بنبوته وصدقه، فهذه الأمور ينتفع بها

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/٢٤.

(٢) جامع العلوم والحكم٢/١٢٠.

(٣) السنة ، لمصطفى السباعي ص٤٩.

(٤) فتح المغيث ١/٢١، والتوضيح الأبهر كلاهما للسخاوي ١ / ٢٩، وشرح شرح نخبة الفكرلملا علي القاري، ص: ١٥٣.

(٥) شرح شرح نخبة الفكرلملا علي القاري ص ١٥٣.

في دلائل النبوة كثيراً؛ ولهذا يذكر مثل ذلك من كتب سيرته، كما يذكر فيها نسبه وأقاربه وغير ذلك بما يعلم أحواله، وهذا أيضا قد يدخل في مسمى الحديث)[1] .

وأما ما ورد عن ابن مهدي أنه قال: (الناس على وجوه، فمنهم من هو إمام في السنة، إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في السنة، وليس بإمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث، ليس بإمام في السنة، فأما من هو إمام في السنة، وإمام في الحديث فسفيان الثوري)[2] فيحمل على أمور منها:

١ . أن يقال: إن السنة في مثل هذا الاستعمال إنما يراد بها الجانب العملي في الإسلام، وهي أحاديث الأحكام، أما الحديث فهو الاشتغال برواية ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته، ويقوي هذا قول سفيان بن عيينة: (لا تسمعوا من بقية ما كان في سنة، واسمعوا منه ما كان في ثواب وغيره)[3] .

وقد سميت كتب الحديث التي تحتوي على هذا النوع من الأحاديث باسم (السنن)، كسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وغيرها[4].

٢ . وربما كان وجه تفريق السلف بين الإمامة في الحديث والإمامة في السنة ما ذكره ابن الصلاح في فتاواه، حينما سئل عن قول بعضهم عن الإمام مالك: إنه جمع بين السنة والحديث، فما الفرق بين السنة والحديث؟ فأجاب: بأن السنة هاهنا ضد البدعة، وقد يكون الإنسان من أهل الحديث وهو مبتدع، ومالك رحمة الله عليه جمع السنتين فكان عالماً بالسنة أي الحديث، ومعتقداً للسنة، أي كان على مذهب أهل الحق من غير بدعة[5].

ثالثاً: تعريف السيرة

السيرة لغة: قال ابن فارس: (السين والياء والراء أصل يدل على مضي وجريان، يقال: سار يسير سيراً، وذلك يكون ليلاً ونهاراً، والسيرة: الطريقة في الشيء والسنة؛ لأنها تسير وتجري؛ يقال: سارت، وسرتها أنا، قال: فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها)[6].

وقال الراغب: (السيرة: الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره، غريزية كانت أو مكتسبة، يقال: فلان له سيرة حسنة، وسيرة قبيحة)([7])، يقال: قرأت سيرة فلان؛ أي: تاريخ حياته[8].

أما السيرة النبوية اصطلاحاً: فلم أجد من تعرض لتوضيح المراد منها اصطلاحاً، في أكثر ما وقفت عليه من كتب السيرة، وإنما غاية ما هنالك أن يذكر التعريف اللغوي باختصار، أو يهمل التعريف مطلقاً.

---

(١) مجموع الفتاوى١٨/١٠٧.

(٢) الجرح والتعديل ١ / ١١٨.

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ٤٠ . ٤١.

(٤) علوم الحديث لـ د. حمزة المليباري ص٢١.

(٥) فتاوى ابن الصلاح ١/٢١٣.

(٦) معجم مقاييس اللغة٣/١٢١.

(٧) مفردات القرآن للراغب ص ٤٣٣.

(٨) المعجم الوسيط ١ / ٤٦٧.

والأقرب أن السيرة النبوية اصطلاحاً هي السنة اصطلاحاً؛ لأنّ من معاني السيرة في اللغة: السُّنّة، والطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان، وهذه كلها داخلة في تعريف السنة.

وقد دل على هذا أن أهل العلم استخدموا كلمتي (سيرة وسنة) بشكل متبادل، مما يدل على أن معناهما واحد، ومن استعمالاتهم في ذلك . أثر علي الذي أخرجه أحمد[١] عن اثنين من الرواة، فمع أن الحدث واحد إلا أننا نجد أحدهما يستخدم كلمة (سنة)، بينما الآخر يستخدم كلمة سيرة:

...مروان الفزاري أخبرنا عبد الملك بن سلع عن عبد خير قال سمعته يقول: قام علي رضي الله عنه على المنبر، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستخلف أبو بكر رضي الله عنه فعمل بعمله، وسار بسيرته، حتى قبضه الله عز وجل على ذلك، ثم استخلف عمر رضي الله عنه على ذلك، فعمل بعملهما، وسار بسيرتهما، حتى قبضه الله عز وجل على ذلك).

...ابن نمير عن عبد الملك بن سلع عن عبد خير قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: (قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم على خير ما قبض عليه نبي من الأنبياء عليهم السلام ثم استخلف أبو بكر رضي الله عنه فعمل بعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنة نبيه، وعمر رضي الله عنه كذلك)[٢].

وأما قصر بعضِ الكتبِ السيرةَ على غزوات النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلأنها متلقاة من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم[٣]، فهي من إطلاق الكل، وإرادة البعض، وهذا جائزٌ لغة[٤].

وقال الزبيدي: (قال شيخنا[٥]: والسيرة النبوية، وكتب السير، مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة، وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك؛ إلحاقاً أو تأويلاً)[٦].

ومما يدل مع ما سبق على أن السيرة لا يعنى به المغازي وحدها قول عمير بن إسحاق: (لَمَنْ أدركتُ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما سبقني منهم، فما رأيتُ قوماً أيسر سيرةً، ولا أقلَّ تشديدًا منهم)[٧].

فصل المفاهيم المنحرفة في مفهوم السنة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: (السنة هي العمل العرفي، أو العمل المجمع عليه)

(١) مسند أحمد ١ / ١٢٨، ح(١٠٥٥) وح (١٠٥٩) وإسناده حسن.

(٢) ينظر : أصول الفقه المحمدي ، للمستشرق شاخت ، دراسة نقدية ، .د. محمد الأعظمي ص٣٩.٣٨.

(٣) فتح الباري ٦/٤.

(٤) ينظر أمثلة على ذلك في نظم الدرر للبقاعي٣/٢٦٨، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي٢/١٠٢٦، والجدول في إعراب القرآن لمحمود صافي١/٦٨.

(٥) المقصود به : الإمام اللغوي أبو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي ، المولود بفاس سنة ١١١٠، والمتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠. ينظر تاج العروس١/٣.

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس ١٢ / ١٢١.

(٧) أخرجه الدارمي في مقدمة سننه، باب كراهة الفتيا ١/٦٣ رقم (١٢٦).

وقد ذهب إلى هذا المستشرق جولد تسيهر[١]، والمستشرق شاخت[٢] متابعاً لمارجليوث، وهو أن المفهوم القديم للسنة، كان العمل العرفي، أو العمل المجمع عليه، أو التقاليد الوراثية، فلم يكن هذا المفهوم متعلقاً بالرسول صلى الله عليه وسلم، وأن مفهوم سنة الرسول صلى الله عليه وسلم كان من أصل متأخرٍ نسبياً، اخترعه العراقيون في وقت ما خلال القرن الثاني، وبناءً عليه فمصطلح السنة لا علاقة له بالرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله[٣]، ويميل إلى هذا الدكتور حسن عبد القادر[٤]، ومحمد حمزة [٥]، ولهم شبهات في ذلك من أظهرها:

الشبهة الأولى:

يستشهد شاخت على كلامه هذا، بأن الشافعي أول من استخدم مصطلح السنة، مقصوراً على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم[٦]، وأن أقدم دليل صحيح لهذا الاستعمال لمصطلح (سنة الرسول) هو بالتأكيد الخطاب الموجه من القائد الخارجي: عبدالله بن إباض إلى الخليفة الأموي عبدالملك قرابة عام ٧٦هـ، ويظهر المصطلح نفسه بمعنى ديني، مشفوعاً بمصطلح (سنة السلف) في الرسالة المعاصرة لابن إباض، والتي وجهها الحسن البصري لنفس الخليفة، وأن علماء العراق أدخلوا هذا المصطلح في نظرية الفقه الإسلامي، على ما يبدو تجاه نهاية القرن الأول)[٧].

الأول)[٧].

الجواب عنها:

إن هذا القول من شاخت مجرد دعوى، ليس عليها بينة، وهذا خلل في منهج البحث العلمي، فإن من شروط نزاهته عدمَ الانتقائيةِ في اختيار المصادر، ومن شروط نزاهته أيضاً فحص الأدلة المضادة[٨]، وهذا ما لم يقم به شاخت، وهذه أمثلة تدل على قدم استعمال هذا المصطلح، وهي أمثلة لا تلابسها غُمَّة، ولا تعتريها لُبْسة، في دلالتها على مصطلح السنة، معنياً به سنة النبي صلى الله عليه وسلم، مستعملاً ذلك في فجر الإسلام، وعند الرعيل الأول، وقد قسمت الأمثلة إلى قسمين:

القسم الأول: ما استعملت فيه كلمة السنة مجردةً من الإضافة للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الاستعمال في القرن الأول لا ينصرف إلا إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي سبق تعريفها، وهذه أمثلة على ذلك:

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٤٩.٢٥١.

(٢) دراسات في الحديث النبوي لـ د. محمد الأعظمي١/٥، والمستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي لـ د. جاسم النشمي ٨١-٨٢، أصول الفقه المحمدي ، للمستشرق شاخت ، دراسة نقدية لـ .د. محمد الأعظمي ص٣١.٣٢.٤٠.

(٣) العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت ، لـ . د . خالد الدريس ص٨٧.

(٤) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص١٢٢.١٢٣.

(٥) الحديث النبوي ، ومكانته في الفكر الإسلامي ص٢٣ .٢٤ .

(٦) ينظر : المرجع السابق ص٣١.٣٢.٤٠.

(٧) أصول الفقه المحمدي ص٣١.٣٢.٤٠.

(٨) ينظر : العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت ، لـ . د . خالد الدريس ص١٠٤ . ١١٤.

١. ما جاء عن طاوس قال: قلنا لابن عباس فى الإقعاء على القدمين، فقال: هي السنة، فقلنا له: إنا لنراه جفاء بالرجل، فقال ابن عباس: بل هى سنة نبيك صلى الله عليه وسلم[١].

٢. قال إسماعيل بن أمية: قلت للزهري إن عطاء يقول: تجزئه المكتوبة من ركعتي الطواف؟ فقال: السنة أفضل لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم أسبوعا قط إلا صلى ركعتين[٢].

٣. عن ابن شهاب، قال: أخبرني سالم، أن الحجاج بن يوسف عام نزل بابن الزبير رضي الله عنهما سأل عبد الله رضي الله عنه كيف تصنع في الموقف يوم عرفة؟ فقال سالم: إن كنت تريد السنة، فهجر بالصلاة يوم عرفة، فقال عبد الله بن عمر: صدق؛ إنهم كانوا يجمعون بين الظهر والعصر في السنة، فقلت لسالم: أفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال سالم: وهل تتبعون في ذلك إلا سنته[٣].

٤. قال ابن عمر: (كانت السنة أن المتبايعين بالخيار حتى يتفرقا)[٤].

قال ابن الأثير: (وقد تكرر في الحديث ذكر السُّنَّة، وما تصرف منها، والأَصل فيه الطريقة، والسِّيرَة، وإذا أُطْلِقَت في الشرع، فإنما يراد بها ما أَمَرَ به النبيُّ صلى الله عليه وسلم ونَهى عنه ونَدَب إليه قولاً وفعلاً، مما لم يَنْطق به الكتابُ العزيز؛ ولهذا يقال في أَدلة الشرع: الكتابُ والسُّنَّةُ؛ أَي القرآن والحديث)[٥].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (المراد بالسنة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أطلقت، ما لم تضف إلى صاحبها كسنة العمرين)[٦].

قال الشيخ عبدالرحمن المعلمي: (وسنة النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى هي التي تقابل الكتاب، وتسمى الهدي، وفي صحيح مسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته: (أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد...)[٧].

القسم الثاني: ما استعملت فيه كلمة السنة مضافةً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه بعض الأمثلة عليه:

١. حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (...أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[٨].

٢. حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (...من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)[١].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ح (٥٣٦).

(٢) علقه البخاري في صحيحه ، في كتاب الحج، باب : صلى النبي . صلى الله عليه وسلم . لسبوعه ركعتين١٨٩/٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الجمع بين الصلاتين بعرفة ح (١٦٦٢).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئاً فوهب من ساعته قبل أن يتفرقا ح (٢١١٦).

(٥) النهاية ٤٠٩/٢.

(٦) فتح الباري ٥١٢/٣.

(٧) الأنوار الكاشفة ص ٢٠ ، والحديث أخرجه مسلم، في كتاب الجمعة ح (٨٦٧).

(٨) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ح (٥٠٦٣) ومسلم في كتاب النكاح ح (١٤٠١) .

٣. حديث البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا نصلي ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا...)[٢].

٤. حديث عبد خير قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: (قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم على خير ما قبض عليه نبيٌ من الأنبياء عليهم السلام ثم استخلف أبو بكر رضي الله عنه فعمل بعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة نبيه، وعمر رضي الله عنه كذلك)[٣].

٥. وقال عبد الله بن دينار: شهدت ابن عمر، حيث اجتمع الناس على عبد الملك، قال: (كتب: إني أقر بالسمع والطاعة لعبدِالله عبدِ الملك أمير المؤمنين على سنة الله، وسنة رسوله ما استطعت، وإن بني قد أقروا بمثل ذلك)[٤][٥].

فكل هذه الأدلة تبين بجلاء أن مصطلح السنة سواء كان مفرداً أو مضافاً ينصرف عند الإطلاق إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا مصطلح قديم قدم الإسلام نفسه.

الشبهة الثانية:

كما يستشهد شاخت بكلام لابن المقفع، وفيه: (...أن السنة كما كانت مفهومة في زمنه، لم تكن قائمة على سوابق صحيحة، وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأوائل، وإنما إلى قدر كبير على الإجراءات الإدارية للحكومة الأموية، إلا أنه لم يركن إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كما فعل الشافعي، ولكن استخلص النتيجة المضادة، وهي أن الخليفة كان حراً؛ ليثبت، ويقنن السنة المعلومة)[٦].

الجواب عنها من وجوه:

---

(١) أخرجه أبوداود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة ح (٤٦٠٧)والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة، واجتناب البدع ح (٢٦٧٦)وابن ماجه في كتاب في مقدمة سننه، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ح (٤٣-٤٤)، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام ح (٩٥١)ومسلم في كتاب الأضاحي ح (١٩٦١).

(٣) سبق تخريجه ص٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس ح (٧٢٠٣) .

(٥) هناك نص استشهد به د. محمد الأعظمي في كتابه : دراسات في الحديث النبوي١/١٠، ود. سعد المرصفي في كتابه : المستشرقون والسنة ص٣٣ في هذا الموضوع، وهوما رواه الإمام أحمد في مسنده ٩٥/٢ (٥٧٠٠) عن سالم قال : كان عبد الله بن عمر يفتي بالذي أنزل الله عز و جل من الرخصة بالتمتع، وسن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه. فيقول ناس لابن عمر : كيف تخالف أباك، وقد نهى عن ذلك. فيقول لهم عبدالله: ويلكم ألا تتقون الله، ان كان عمر نهى عن ذلك فيبتغى فيه الخير، يلتمس به تمام العمرة، فلم تحرمون ذلك؟ وقد أحله الله، وعمل به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، أفرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحق ان تتبعوا سنته أم سنة عمر. وهذا الأثر يعتبر نصاً مهماً؛ إذ لو كان العرف الشائع أو تقاليد المجتمع هما السنة، فكيف يفسر قول ابن عمر هنا، ولكني تركت ذكر هذا الأثر؛ لضعفه، ففيه صالح ابن أبي الأخضر اليمامي مولى هشام ابن عبدالملك، نزل البصرة ضعيف، ينظر : التقريب(٢٨٤٤).

(٦) ينظر : أصول الفقه المحمدي ، للمستشرق شاخت ، دراسة نقدية ، .د. محمد الأعظمي ص٤٠.

الأول: أن ابن المقفع لم يكن فقيهاً ولا عالم عقيدة، وإنما كان بلا شك معارضاً للأمويين، متهماً بالزندقة.

الثاني: أنه إذا قرئ كلام ابن المقفع جميعه على سبيل الإنصاف، فإنه يعطي نتيجة بأن الخليفة ملزم بالعمل طبقاً للقرآن والسنة، وأن ما لا يوجد له سابقة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، أو الخلفاء الراشدين، فلا يمكن قبوله كسنة، وأن الخليفة مسؤول عن وضع الترتيبات؛ لتعليم القرآن والسنة للناس، ووضع كتاب قانون مبني على السنة والقياس، وعن عقوبة المجرمين؛ طبقاً لما جاء في الكتاب والسنة.

الثالث: ثم إن كلام ابن المقفع على وجه التحديد متعلق بالمسائل الفقهية، فكيف يمكن لشاخت أن يستنتج من هذه الكتابات أن القانون في القرن الأول لم يكن قائماً على القرآن والسنة[١]؟.

الشبهة الثالثة:

يستشهد محمد حمزة باستعمالات السنة في القرآن، وأنها وردت في ست عشرة آية، تفيد معنيين:

١ . الكيفية المعهودة للتعامل مع الشعوب، التي ظلت على جهالتها، مثل قوله تعالى: {سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً} (سورة الأحزاب: ٣٨).

٢ . السلوك المعهود لجماعة من الناس، مثل قوله تعالى: {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمْ الْعَذَابُ قُبُلاً}(سورة الكهف: ٥٥).

فالقرآن لم يعقد الصلة بين السنة والرسول وأفعاله وتقريراته؛ ذلك أنه اقتصر على بيان سنة الله المخالفة لبقية السنن، وعلى الحديث عن سنة الأولين والسابقين، وهذا يعلل عدم استشهاد الباحثين الذين يرومون تثبيت حجية السنة بآيات قرآنية[٢].

الجواب عنها من وجهين:

الأول : إن لفظ السنة استعمل في القرآن بمعنى الطريقة، وإليك البيان:

قال الطبري في تفسير الآية (٢٦) من سورة النساء: (وليسددكم سنن الذين من قبلكم، يعني: سبل من قبلكم من أهل الإيمان بالله وأنبيائه ومناهجهم)[٣]، وقال القرطبي: (يبين لكم طرق الذين من قبلكم من أهل الحق وأهل الباطل)[٤]، وقال الراغب: (سنة الله، قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته...فنبه أن فروع الشرائع، وإن اختلفت اختلفت صورها، فالغرض المقصود منها لا يختلف، ولا يتبدل، وهو تطهير النفس وترشيحها للوصول إلى ثواب الله

(١) المرجع السابق ص٤٦ . ٤٧، وينظر : سير أعلام النبلاء ٦/٢٠٩.

(٢) الحديث النبوي ، ومكانته في الفكر الإسلامي ص٢٣ .٢٤.

(٣) تفسير الطبري٦/٦١٩.

(٤) تفسير القرطبي٥/١٤٨.

تعالى وجواره)[1]، وقال في اللسان: (سُنَّةُ الله أَحكامُه وأَمره ونهيه، وسَنَّها الله للناس بَيَّنها، سَنَّ الله سُنَّة؛ أَي بَيَّن طريقاً قويماً)[2].

الثاني: إن استعمال القرآن الكريم والسنة المطهرة لكلمة السنة بالمعنى اللغوي لا يعني ذلك أن هذا المعنى اللغوي هو المراد شرعاً بالسنة، فهذه الكلمة انتقلت من معناها اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي الذي اصطلحه أهل هذا العلم، وكل علم يرجع فيه إلى أهله، وهي بهذا المعنى مصدر تشريعي ملازم للقرآن الكريم لا ينفك أحدهما عن الآخر.

* وأما قول محمد حمزة إن القرآن لم يعقد الصلة بين السنة والرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته؛ ذلك أنه اقتصر على بيان سنة الله المخالفة لبقية السنن، وعلى الحديث عن سنة الأولين والسابقين، وهذا يعلل عدم استشهاد الباحثين الذين يرمون تثبيت حجية السنة بآيات قرآنية.

فجوابه أن يقال:

إنه لا يلزم من ذلك عدم حجية السنة، فقد وردت الآيات تنص على اتباعه، وهذا كافٍ في إثبات حجية السنة، ولا يؤثر في ذلك كون كلمة السنة تطلق على هذا أو هذا، ومن تلك الآيات:

١. ما يدل على وجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم، انظر الآيات في: (سورة النساء: ١٣٦)، و(سورة التغابن: ٨).
٢. ما يدل على أن الرسول مبين للكتاب، وشارح له، انظر الآيات في: (سورة النحل:٤٤)، و(سورة آل عمران: ١٦٤).
٣. ما يدل على وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة مطلقة، انظر الآيات في: (سورة آل عمران:١٣٢)، و(سورة محمد: ٣٣).
٤. ما يدل على وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم في جميع ما يصدر عنه، انظر الآيات في: (سورة آل عمران: ٣١)، و(سورة الأحزاب:٢١).
٥. ما يدل على أن الله سبحانه كلفه صلى الله عليه وسلم باتباع ما يوحى إليه متلواً وغير متلو، انظر الآيات في: (سورة الأنعام:١٠٦)، و(سورة الجاثية: ١٨)[3].

الشبهة الرابعة:

كما يستشهد محمد حمزة أيضاً بأن المفهوم السائد للسنة في الجاهلية هو العرف والعادة[4].

الجواب عنها:

---

(١) المفردات للراغب ص٤٢٩.

(٢) لسان العرب ١٣/٢٢٠ .

(٣) حجية السنة لعبدالغني عبدالخالق ص ٢٩١-٣٠٨ .

(٤) الحديث النبوي ، ومكانته في الفكر الإسلامي ص٢٣-٢٤.

أن يقال: إن هذا خلاف الصواب، وهذه بعض أشعار الجاهليين، يُتبين من خلالها معنى السنة عندهم، يقول المتلمس: لأُوْرِثَ بعدي سُنةً يُهتدى بها وأجلوَ عَن ذي شُبهةٍ أن يُفهَّما[١]

والمعنى أنه بعد أن يترك الدنيا، فقد ترك سنة يحتذى بها، وتؤخذ كنموذج يمكن تقليده[٢].

وقال لبيد: مِن مَعشَرٍ سَنَّت لَهم آباؤُهُم وَلِكُلِّ قَومٍ سُنةٌ وَإِمامها[٣]

قال التبريزي: (السنة: الطريق، والأمر الواضح البين)[٤].

وقال خالد بن عتبة الهذلي: فلا تجزعنْ من سُنَّة أنت سرتها فأول راضٍ سُنَّةً من يسيرها[٥]

السُّنَّة: السيرة حسنة كانت، أَو قبيحة[٦].

وقد قال الشيخ عبد الغني عبد الخالق: (لم أجد في قواميس اللغة تصريحاً بأن السنة هي العادة، ولا بأن العادة هي الطريقة أو السيرة أو الطبيعة)[٧].

المبحث الثاني: السنة غير الحديث.

ينحى هذا المفهوم إلى أن السنة غير الحديث، وأن السنة تعني ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه عملاً وسيرةً، بصرف النظر عن وجود روايات قولية لها من عدمه، وأن الحديث مقصور على الخبر القولي المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، فالحجة الأول لا الثاني، وإلى هذا يميل توفيق صدقي[٨]، ومحمود أبو رية[٩]، ومحمد شحرور[١٠]، ولهم شبهات[١١]، من أظهرها:

الشبهة الأولى:

السنة في اللغة، وفي اصطلاح السلف هي الخطة والطريقة المتبعة، فسنة الرسول صلى الله عليه وسلم هي طريقته التي جرى عليها في أعماله، أما أقواله فلم تكن طريقة متبعة له، فاصطلاح المحدثين على تسمية كلام الرسول حديثاً وسنة، اصطلاح مستحدث لا تعرفه اللغة، ولا يستعمل في أدبها.

الجواب عنها:

(١) الأصمعيات ص٢٤٦ .

(٢) فجر الإسلام ص١٦٠؛ نقلاً من كتاب دلائل التوثيق المبكر لـ .د. أحمد امتيازص١٧.

(٣) شرح القصائد العشر ص٢٧٥.

(٤) شرح القصائد العشر ص٢٧٥.

(٥) لسان العرب ١٣/٢٢٠.

(٦) المرجع السابق .

(٧) حجية السنة ص٥٠.

(٨) مجلة المنار ٩/٩٠٧ .

(٩) أضواء على السنة ص ٤٠٤.

(١٠) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ص ٥٤٦-٥٤٨.

(١١) ينظر في هذه الأدلة الكتب السابقة، وكتاب الحديث النبوي ، ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث ص٢١ فما بعدها .

١ . إن السنة وإن كانت في الأصل اللغوي ليس مساوية للحديث، فإن الشعور بتساويهما في الدلالة، أو تقاربهما على الأقل، هو الذي ينبغي للمؤمن اعتقاده، فهل السنة العملية إلا الطريقة النبوية التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤيدها بأقواله، إنهما ينتهيان أخيراً إلى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في أقواله المؤيدة لأعماله، وفي أعماله المؤيدة لأقواله، ومما يقرر هذا ويؤكده أن السنة لغة كما سبق تطلق على وجهين:

الأول: الأمر يبتدئه الرجل، فيتبعه فيه غيره، ومنه ما في صحيح مسلم(١)، في قصة الذي تصدق بصرة، فتبعه الناس، فتصدقوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها...).

الثاني: السيرة العامة، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى، هي التي تقابل الكتاب، وتسمى الهدي، وفي صحيح مسلم(٢): أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته: (أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة).

وكل شأن من شؤون النبي صلى الله عليه وسلم الجزئية المتعلقة بالدين من قول أو فعل أو كف أو تقرير، سنة بالمعنى الأول؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قد ابتدأه، ومجموع ذلك هو السنة بالمعنى الثاني، ومدلولات الأحاديث الثابتة هو السنة، أو من السنة حقيقة، فإن أطلقت (السنة) على ألفاظها فمجاز أو اصطلاح(٣).

٢ . إن اللغة وإن فرقت بين مصطلح السنة والحديث، فإن الشرع لم يفرق بينهما، وهذا ظاهر في أمرين:

الأول: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: (لقد ظننت يا أبا هريرة، أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولَ منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه)(٤)، ومعلومٌ أن أبا هريرة رضي الله عنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير الطيب، في أقواله وأفعاله وسيرته.

الثاني: أنه قد وردت آيات وأحاديث تدل على اتباعه صلى الله عليه وسلم مطلقاً، دون تفريق بين قول أو سنة، وقد مضى ذكر شيء من ذلك، وأزيد هنا حديثين ظاهري الدلالة في وجوب اتباع قول النبي صلى الله عليه وسلم:

- حديث أبي رافع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)(٥).

---

(١) سبق تخريجه ص٣.

(٢) سبق تخريجه ص٨.

(٣) ينظر : الأنوار الكاشفة للمعلمي ص٢٠ ، وعلوم الحديث ومصطلحه ، لصبحي الصالح ص٦.٩.

(٤) أخرجه البخاري كتاب العلم، باب الحرص على الحديث ح (٩٩).

(٥) أخرجه أحمد ٦/٨ ح (٢٣٩١٢)، وأبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة ح (٤٦٠٧)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه و سلم ح (٢٦٦٣)، وابن ماجه في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ح (١٣) وقال الترمذي : (حديث حسن صحيح).

- حديث المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإن ماحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله)(١).

٣ . قال الشيخ محمد رشيد رضا: (ومن الغريب أننا نرى أمم العلم والحضارة تعنى بحفظ ما يُنقل عن علمائها وأدبائها في التشريع والحقوق والحكم والآداب، ويفاخر بعضها بعضًا بهم وبآثارهم، ونرى هؤلاء المخذولين من مبتدعة المسلمين لا يكتفون بهضم حقوق علماء ملتهم ومؤسسي حضارتها ومجدها بالعلم والعمل والسياسة والآداب، بل ينبذون سنة الرسول الذي يدَّعون اتباع ملته، وما روى سلفهم عنه من التشريع والحكم والآداب، ومنهم من يدَّعي اتباع سنته العملية التي تلقاها عنه أصحابه بالعمل دون ما ثبت عنه بالأحاديث القولية، وإن كانت صحيحة المتون والأسانيد لا يعارضها معارض من القرآن ولا قطعي آخر يثبته العلم والعقل، ويدَّعون أنهم يتبعون نصوص القرآن؛ كأن فهمهم وبيانهم له وحرصهم على العمل به فوق فهم من أوحي إليه وكلفه الله تعالى بيانه بالقول والعمل، وعصمه من الخطأ في كل ما يبلِّغه عنه من نصوصه، ومن المراد منها)(٢).

الشبهة الثانية: أن فقهاء المدينة يقدمون عمل أهل المدينة على الحديث.

الجواب عنها من وجهين:

الأول: أن حجة بعض فقهاء المدينة في تقديمِهم عملَ أهل المدينة على أخبار الآحاد ليس هو من أجل تقديم الطريقة المتبعة على الأحاديث القولية، وإنما هو لأجل أمرين:

١ . أن عملهم بمنزلة روايتهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ورواية جماعة عن جماعة أولى بالتقديم من رواية فرد عن فرد.

٢ . أنهم أدرى بالسنة، والناسخ والمنسوخ(٣).

الثاني: أن عمل أهل المدينة منقسمٌ إلى أربع مراتب، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية(٤):

(الأولى: ما يجري مجرى النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثل نقلهم مقدار الصاع والمد، وترك الصدقة في الخضروات، فهذا حجة باتفاق العلماء.

الثانية: العمل القديم بالمدينة، وهو ما سنه الخلفاء الراشدون، قبل مقتل عثمان بن عفان، فهذا حجة في مذهب مالك، وهو المنصوص عن الشافعي، وهو ظاهر مذهب أحمد.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة ح (٤٦٠٦)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ ح (٢٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ح (١٢) وقال الترمذي : (حديث حسن غريب).

(٢) مجلة المنار٩/٦٧٣.

(٣) ينظر : بحث . د. عمر الأشقر ، الذي هو بعنوان (تحقيق القول في عمل أهل المدينة) ص١١٣في العدد الثالث من مجلة الحكمة.

(٤) وقد ذكرت كلامه ملخصاً من فتاواه٢٠/٣٠٣وما بعدها .

الثالثة: إذا تعارض في المسألة دليلان؛ كحديثين، وقياسين جهل أيهما أرجح، وأحدهما يعمل به أهل المدينة، قال ابن تيمية: (ففيه نزاع، ومذهب مالك والشافعي أنه يرجح بعمل أهل المدينة، ومذهب أبي حنيفة أنه لا يرجح بعمل أهل المدينة، ولأصحاب أحمد وجهان).

الرابعة: ما كان سبيله الاجتهاد؛ وهو العمل المتأخر بالمدينة، وقد حقق ابن تيمية أنه ليس بحجة، وأن مذهب الشافعي، وأحمد، وأبي حنيفة، والذي عليه أئمة الناس أنه ليس بحجة شرعية، وهو قول المحققين من أصحاب مالك).

وبهذا العرض يتبين أن عمل أهل المدينة، ليس بمنزلة الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم دائماً، فقد يكون مبنياً على اجتهاد علمائهم، ويخالفهم فيه غيرهم، واجتهادهم على هذا النحو ليس معصوماً، وبذلك لا يجوز معارضة خبر الرسول صلى الله عليه وسلم الثابت بالسند الصحيح بما يسمى بعمل أهل المدينة، إذا كان إجماعهم على العمل من هذا النوع.

وقد قال ابن تيمية: (ولم أر في كلام مالك ما يوجب جعل هذا حجة، وهو في الموطأ إنما يذكر الأصل المجمع عليه عندهم، فهو يحكي مذهبهم، وتارة يقول: الذي لم يزل عليه أهل العلم ببلدنا يصير إلى الإجماع القديم، وتارة لا يذكر، ولو كان مالك يعتقد أن العمل المتأخر حجة، يجب على جميع الأمة اتباعها، وإن خالفت النصوص لوجب عليه أن يلزم الناس بذلك حد الإمكان، كما يجب عليه أن يلزمهم اتباع الحديث والسنة الثابتة التى لا تعارض فيها، وبالإجماع، وقد عرض عليه الرشيد أو غيره أن يحمل الناس على موطأه فامتنع من ذلك، وقال إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الأمصار، وإنما جمعت علم أهل بلدي أو كما قال)[١].

فإن قيل: على قول بعض فقهاء المالكية، ألا يمكن أن يخالف عمل أهل المدينة المبني على النقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم الأحاديث الصحيحة الثابتة؟

فيقال: إنما يتصور هذا في الأذهان، ولا حقيقة له في الأعيان، وقد قال ابن القيم: (من المحال عادة أن يجمعوا على شيءٍ نقلاً متصلاً من عندهم إلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتكون السنة الصحيحة الثابتة قد خالفته، هذا من أبين الباطل)[٢].

المبحث الثالث: السنة غير السيرة.

ينحى هذا المفهوم إلى التفريق بين السيرة والسنة، فالسنة تقوم أساساً على الإسناد في معرفة صحيحه وسقيمه، أما السيرة فهي مفارقة لعلم السنة؛ بأنها لم تلتزم بضوابط الرواية من حيث طرق التحمل والأداء، وهذا المفهوم أشار إليه محمد حمزة[٣].

شبهته[٤]:

---

(١) فتاواه ٢٠/٣١٠،٣١١ .

(٢) إعلام الموقعين ٢/٤٢٣ .

(٣) الحديث النبوي ص٢٦.

(٤) المرجع السابق.

أن الإمام أحمد بن حنبل قال: (ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازي) ورغم هذا الانفصال الفعلي للسيرة عن السنة؛ فإننا نجدها مثبتة في التعريفات التي يقدمها الدارسون المحدثون للسنة.

الجواب عنها: أنه قد سبق البيان عند تعريف السيرة والسنة أن معناهما واحد؛ ولكن الكاتب ذكر السيرة هنا قاصداً بها المغازي، فيقال: إن كلامه مبنيٌ على مقدمة ونتيجة، فلننظر، هل ثبتت المقدمة؛ لكي تصح النتيجة؟

فقوله: إن السيرة التي هي المغازي عنده لم تلتزم بضوابط الرواية من حيث طرق التحمل والأداء قولٌ فيه نظر، فقل أن تجد كتاباً من الكتب المسندة، إلا وتجد فيها الكثير الطيب، من مغازيه صلى الله عليه وسلم، ملتزماً به طرق التحمل والأداء.

وأما احتجاجه بعبارة الإمام أحمد، على أن هذه الثلاثة لا أصل لها، فلا يسلم له بذلك؛ ذلك أن أهل العلم قد بينوا مراد الإمام أحمد، وإليك بيانهم:

قال الخطيب البغدادي: (وهذا الكلام محمول على وجه، وهو أن المراد به كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة، غير معتمد عليها، ولا موثوق بصحتها؛ لسوء أحوال مصنفيها، وعدم عدالة ناقليها، وزيادات القصاص فيها، فأما كتب الملاحم فجميعها بهذه الصفة، وليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة، والفتن المنتظرة، غير أحاديث يسيرة، وأما الكتب المصنفة في تفسير القرآن؛ فمن أشهرها كتاباً الكلبي، ومقاتل بن سليمان، وقد قال أحمد في تفسير الكلبي: (من أوله إلى آخره كذب) وأما المغازي فمن المشتهرين بتصنيفها، وصرف العناية إليها محمد بن إسحاق المطلبي، ومحمد بن عمر الواقدي، فأما ابن إسحاق...فقد كان يأخذ عن أهل الكتاب أخبارهم، ويضمنها كتبه، وأما الواقدي فسوء ثناء المحدثين عليه مستفيض...وقد قال الشافعي: (كتب الواقدي كذب)، وليس في المغازي أصح من مغازي موسى بن عقبة)[١].

وقال الزركشي: (قال المحققون من أصحابه أي أصحاب أحمد: ومراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقد صح من ذلك كثير)[٢].

فتبين المراد من عبارة الإمام أحمد وهو: أن هذه العلوم الثلاثة دخلها من الضعف والوضع ما لم يدخل غيرها؛ ولذا لما أورد الحافظ ابن حجر في اللسان هذه العبارة، عقَّب عليها، فقال: (ينبغي أن يضاف إليها: الفضائل، فهذه أودية الأحاديث الضعيفة والموضوعة، إذ كانت العمدة في المغازي على مثل الواقدي، وفي التفسير على مثل مقاتل والكلبي، وفي الملاحم على الإسرائيليات، وأما الفضائل فلا يحصى كم وضع الرافضة في فضل أهل البيت، وعارضهم جهلة أهل السنة بفضائل معاوية؛ بل بفضائل الشيخين، وقد أغناهما الله، وأعلى مرتبتهما)[٣].

مع أنه صح من أحاديث الفضائل الشيء الكثير، فإذا لم تثبت المقدمة المذكورة، لم تصح النتيجة، وعليه فلا تثريب على الدارسين المحدثين في إدخالهم السيرة، عند تعريفهم للسنة؛ بل إن التعريف اللغوي يساعدهم، وقد سبق بيانه.

---

(١) الجامع في أخلاق الراوي ٢/١٦٢.١٦٣.١٦٤ .

(٢) البرهان ٢ / ١٥٦.

(٣) اللسان ١ / ٢٠٧ .

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد خلصت بعد هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١ . إن السنة والحديث والسيرة بمعنى واحد عند أهل الحديث، وهو: كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة، سواء، أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها.

٢. إن تفسير السنة بالعمل العرفي أو العمل المجمع عليه محض الخطأ؛ إذ فيه صرف لهذه الكلمة عن معناها الاصطلاحي عند المحدثين، الذين هم المرجع في هذا الباب، إذ السنة مأواهم ومتبوأهم، وأهل مكة أدرى بشعابها.

٣ . إن المعنى الاصطلاحي لكلمة السنة كان محدداً ومعلوماً في صدر الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم بين ظهراني أصحابه رضي الله عنهم، وليس الأمر كما يزعم هؤلاء المستشرقون أن هذا المعنى الاصطلاحي للسنة تحدد في القرن الثاني الهجري.

٤ . إن القول بأن السنة غير الحديث، وأن السنة تعني ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه عملاً وسيرةً، وأن الحديث مقصور على الخبر القولي المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، فالحجة الأول لا الثاني قولٌ فيه نظر؛ إذ السنة وإن كانت في الأصل اللغوي ليس مساوية للحديث، فإن الشعور بتساويهما في الدلالة، أو تقاربهما على الأقل، هو الذي ينبغي للمؤمن اعتقاده، فهل السنة العملية إلا الطريقة النبوية التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤيدها بأقواله، إنهما ينتهيان أخيراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله المؤيدة لأعماله، وفي أعماله المؤيدة لأقواله.

٥ . إن التفريق بين السيرة والسنة بأن السنة تقوم أساساً على الإسناد في معرفة صحيحه وسقيمه، أما السيرة فهي مفارقة لعلم السنة؛ بأنها لم تلتزم بضوابط الرواية من حيث طرق التحمل والأداء لا حجة مقبولة فيه، فقل أن تجد كتاباً من الكتب المسندة، إلا وتجد فيها الكثير الطيب من مغازيه صلى الله عليه وسلم، ملتزماً به طرق التحمل والأداء، ولو كان المحدثون لا يأبهون لثبوت السيرة لما ساقوها بأسانيدها، ونقدوا متونها.

المصادر والمراجع

١ . إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني، تحقيق : أحمد عزو عناية ، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ .

٢ . الأصمعيات، اختيار : الأصمعي، تحقيق : أحمد شاكر، وعبد السلام هارون، بيروت، ط,٥

٤ . أضواء على السنة المحمدية ، لمحمود أبو رية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٦م.

٥ . إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل. بيروت، ١٩٧٣,

٦ . الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق : سمير جابر، دار الفكر . بيروت.

٧ . الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، للمعلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ

8 . البحر المحيط للزركشي، تحقيق: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ بيروت.

٩ . البرهان للزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦.

١٣. تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، تحقيق : محمد عوَّامة، دار الرشيد. حلب،ط١، ١٤٠٦هـ .

١٤ . التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر، للسخاوي، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم، مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ.

١٦ . جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٢هـ .

١٧ . الجامع في أخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق: د.محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٨1 . الجدول في إعراب القرآن لمحمود صافي، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان . دمشق، ط٤، ١٤١٨هـ .

١٩ . الحديث النبوي ، ومكانته في الفكر الإسلامي، لمحمد حمزة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٠ . الحديث والمحدثون، لمحمد أبو زهو، شركة المطبعة المصرية، القاهرة.

٢١ . حجية السنة، لـ د. عبدالغني عبدالخالق، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ .

٢٢. دراسات في الحديث النبوي، وتاريخ تدوينه، لـ د. محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ .

٢٣ . دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، لـ .د. أحمد امتياز، نقله إلى العربية د. عبدالمعطي قلعجي، دار الوفاء، ط١، ١٤١٠هـ

٢٤ . السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لـ د. مصطفى السباعي، ط٣، ١٤٠٢هـ. المكتب الإسلامي.

٢٩. سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ .

٣٠. شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، تحقيق : د. أحمد الغامدي، دار طيبة، ط٣، ١٤١٥هـ .

٣٣. شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي، تحقيق : د. فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط٤، ١٤٠٠.

٤٦. علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد، لـ د. حمزة المليباري، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ .

٤٧. علوم الحديث ومصطلحه: عرض ودراسة، تأليف : صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط١١، ١٩٧٩م.

٤٩. فتح المغيث شرح ألفية الحديث، تحقيق : صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ .

٥٠. فتاوى ومسائل ابن الصلاح، تحقيق : د. عبد المعطي قلعجي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ .

٥٣.كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، مكتبة لبنان ناشرون . بيروت ، ١٩٩٦م.

٥٤ .كشف الأسرار، لعبد العزيز بن أحمد علاء الدين البخاري، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٨هـ .

٥٦ . لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.

٥٧. لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث، لعبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.

٦٠. المستشرقون والسنة، لـ د. سعد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت،ط١، ١٤١٥هـ .

٦٢. المستشرقون ومصادر التشريع الإسلامي لـ د. عجيل النشمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

٦٤. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ .

٦٦. مقدمة الجرح والتعديل، لابن أبي محمد ابن أبي حاتم ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند. ط١.

٦٧. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق : صفوان عدنان داودى، الدار الشامية، دمشق.

٦٩. نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، لعلي بن حسن بن عبد القادر، مطبعة العلوم، القاهرة.

٧١. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، المكتبة الإسلامية، ط١، ١٣٨٣هـ .

قواعد وأصول

في رد شبهات الطاعنين في السنة

د. عبد الله بن محمد الحبر

الأستاذ المساعد بقسم السنة وعلومها

كلية أصول الدين بالرياض

السعودية

aalhabr@gmail.com

المقدمة

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على محمد عبده ورسوله وآله وصحبه أما بعد:

فإن الله تعالى تكفل بحفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ إذ حفظها من حفظ الكتاب المنزل الذي نص الله على تكفله بحفظه في قوله جل وعلا: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (سورة الحجر: ٩)، ولقد حاول أعداء الإسلام ومن تبعهم وتأثر بهم قديماً وحديثاً النيل من سنة النبي صلى الله عليه وسلم والطعن فيها، لكن الله راد مكرهم ومبطل كيدهم، فقد هيأ للسنة من يدفع عنها غوائل الشانئين، ويرد شبه الطاعنين، من أهل العلم والفضل الذين لا يخلو منهم زمان، ولا تنقصهم الحجة والبرهان، فلله الحمد على فضله وإحسانه.

ولقد رأيت أن أسهم بشيء من ذلك فكتبت إشارات مختصرة حاولت فيها التأصيل لدفع شبه الطاعنين في السنة، وقد كتب علماؤنا ردوداً كثيرة ذادوا بها عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقد تضمنت ردودهم الكثير من الفوائد والقواعد؛ إلا أنهم لم يفردوا التأصيل في دفع الشبه بكلام خاص حسب علمي فأردت أن أقدم هذا الجهد المتواضع في هذا السبيل، ولعله يكون لبنة للعناية بهذا الموضوع وحافزاً للباحثين للعناية به والتوجه إليه، وأسميته: **"قواعد وأصول في رد شبهات الطاعنين في السنة"** ولا يخفى على المطلع أهمية التأصيل لدفع الشبه عن السنة؛ لكثرة الحاجة إليه، وللتيسير على من يعمد للذب عن السنة، وصيانة لجناب السنة من وقوع جناية من بعض الغيورين عليها لمجانفته الحق عند دفاعه ورده ، فليس كل من أراد الحق وفق له وهدي إليه نسأل الله التوفيق والسداد.

وقد انتظم هذا البحث في الخطة الآتية:

التمهيد: وفيه: تعريف الشبهة، والفرق بين الشبه والمشكلات.

الفصل الأول: منشأ الشبهات وأسبابها.

الفصل الثاني: قواعد وأصول في رد الشبهات والجواب عليها.

الفصل الثالث: أنواع الطعون في السنة ، والمؤلفات في رد هذه الطعون وتفنيدها.

الخاتمة: وفيها سياق أهم نتائج البحث، توصيات الباحث.

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد وأن يستعملني في نصرة دينه والذب عن سنة نبيه، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه، وصلى الله وسلم وبارك على حبيبي وقدوتي وإمامي محمد وآله وصحبه.

تمهيد

تعريف الشُّبُهَاتِ، والفرقُ بين الشُّبْهَةِ والمُشْكِل

الشُّبُهَات: جمع شُبْهَةٍ مِنَ الاشْتِبَاهِ، ولها في اللغة معانٍ مَرَدُّهَا إلى المِثْلِ، والالتِبَاسِ، قال الزبيدي: "والشُّبْهَةُ، بالضَّمِّ: الالْتِباسُ؛ وأَيْضاً: المِثْلُ، تقولُ: إنِّي لفِي شُبْهَةٍ منه، وشُبِّهَ عليه الأَمْرُ تَشْبِيهاً: لُبِّسَ عليه وخُلِّطَ"(١).

(١) تاج العروس للزبيدي ١١٤/٣٦ مادة: شبه ، وينظر أيضاً مادة شبه في " أساس البلاغة" للزمخشري ٤٦٣/١ ، و"القاموس المحيط" للفيروز آبادي ص١٦١٠

وكثيراً ما يطلق الفقهاء لفظ الشُّبْهَةِ في أبواب الفقه، ولا سيما أبواب الحدود والجنايات ومرد هذا الإطلاق لمعنى الشبهة اللغوي، وهو الالتباس سواء كان التباس حكم المحل أهو حلال أم حرام أو التباس الفعل على الفاعل بحيث يظن الحل، أو غيرها[١]، وفي حديث النعمان بن بشير: "إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وإنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وبَيْنَهُما أُمُورٌ مُشتَبهاتٌ، لا يَعْلَمُهنّ كثيرٌ مِن النَّاسِ..."[٢].

والشبهة أيضاً: ما اعتَمدَ عليه من جَهِل الحقَّ أو تجاهله في إثبات ما يخالف الحقَّ الثابتَ بالدليلِ والحجةِ، وبهذا تكون الشبهة في مقابل الحجة والدليل، وكثيراً ما يطلق العلماء الشبهة على هذا المعنى وهو المراد هنا في هذا البحث، وسميت شبهة: لأنه لُبِّس على صاحبها فظن أنها الحق، أو لَبَّس صاحبُها على غيره.

الفرق بين الشُّبَهِ والْمُشْكِلات:

هناك نوع من التداخل والتشابه في المعنيين لغة، وقد ذكرت فيما مضى معنى الشُّبْهَةِ وأنها راجعة في معناها إلى المِثْلِ والالتباسِ، وكذلك الْمُشْكِل من الشَّكْلِ، وهو المِثْلُ، أو من أشْكَلَ إذا اشتبه والتبس[٣]؛ ولهذا فسر اللغويون أحدى المفردتين بالأخرى: فقالوا: المشْبهات من الأمور: الْمُشْكِلات[٤] فمرد الكلمتين لغة إذن راجع إلى اللبس وعدم الوضوح.

والْمُشْكِل عند الأصوليين: "هُوَ اسْمٌ لَمَّا يَشْتَبِهُ الْمُرَادُ مِنْهُ بِدُخُولِهِ فِي إِشْكَالِهِ عَلَى وَجْهٍ لاَ يُعْرَفُ الْمُرَادُ مِنْهُ إلاَّ بِدَلِيلٍ يَتَمَيَّزُ بِهِ مِنْ سَائِرِ الأَشْكَال"[٥]، وَقَال الْقَاضِي أَبُو زَيْدٍ الدَّبُّوسِيُّ: "هُوَ الَّذِي أَشْكَل عَلَى السَّامِعِ طَرِيقُ الْوُصُول إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي، لِدِقَّةِ الْمَعْنَى فِي نَفْسِهِ لاَ بِعَارِضٍ"[٦].

ومن هنا نعرف أن الإشكال يقع للناظر في النص بحيث يلتبس عليه المراد بسبب خفاء في المعنى، أو اشتراك في اللفظ.

وقد أطلق المحدثون "الْمُشْكِل" على الحديث الثابت من جهة النقل؛ لكن التبس المراد به على كثير من الناظرين فيه بسبب خفائه في نفسه، أو لاشتماله في الظاهر على معنى مستحيل، أو لمخالفته في الظاهر للقواعد المسلمة، أو نصوص أخرى ثابتة[٧]، وأبرز من أطلق لفظ "الْمُشْكِل" على هذا المعنى هو الإمام الطحاوي في كتابه: "شرح مشكل الآثار"، ثم تبعه على هذا ابن فورك في كتابه: "مشكل الحديث".

---

(١) ينظر الموسوعة الفقهية ٣٤٠/٢٥

(٢) أخرجه : البخاري ٢٠/١ (٥٢) و٦٩/٣ (٢٠٥١) ، ومسلم ٥٠/٥ (١٥٩٩)

(٣) ينظر "تهذيب اللغة" للأزهري مادة شكل ١٠/١٥-١٦

(٤) ينظر "تهذيب اللغة" للأزهري مادة شبه ٥٩/٦ ، و"أساس البلاغة" مادة: شبه للزمخشري ٤٦٣/١ ، و "الصحاح " للجوهري ٨٦/٧ مادة: شبه.

(٥) أصول السرخسي ١٦٨/١

(٦) الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٠٩/١٩ وما بعدها ، وينظر أيضاً: ٣٣٢/٣٧ من نفس المصدر السابق

(٧) وقد عرفه الدكتور: أسامة خياط في كتابه "مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين والفقهاء" ص٣٢ بقوله " هو أحاديث مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسانيد مقبولة يوهم ظاهرها معاني مستحيلة ، أو معارضة لقواعد شرعية ثابتة"

ومن هنا يعلم أن الْمُشْكِل عند المحدثين أعم منه عند الأصوليين، وإن كان المحدثون لم يعنوا بتعريف الْمُشْكِل، وإنما أشاروا إليه ضمناً في مبحث "مختلف الحديث"، وهو أعم من مختلف الحديث؛ إذ مختلف الحديث: هو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهراً فيوفق بينهما أو يرجح أحدهما [١]، فيكون مختلف الحديث جزءً من مشكل الحديث، والله أعلم[٢].

وعلى هذا يستبين أن هناك فرقاً بين الشبهة والمشكل من حيث الاستعمال واصطلاح العلماء وهو:

١ – أن الشبهة ناشئة من الناظر، وأما الإشكال فهو ناشئ من النص.

٢ – أن الشبهة بمعناها السابق محصلة ونتيجة للجهل، وأما الإشكال فهو سبب يدفع للبحث عن الحق والصواب.

٣ – أن ما تفضي له الشبهة هو معنى فاسد لكونه نتيجة الجهل، ولمخالفته للحق، وأما ما يفضي له الإشكال فهو متفاوت فقد يفضي للعلم، أو لغيره بحسب الناظر في النص، وقد وضع أهل العلم قواعد للتعامل مع المشكل، والله أعلم.

الفصل الأول

منشأ الشبهات وأسبابها

معرفة سبب الشبهة المنافية للعلم المضادة للدليل والحجة من أهم ما يعين على علاجها ودفعها، وأسباب الشبهة مختلفة بحسب من وقعت له، ومن أهم أسباب الوقوع في الشبه والتشبع بها وإثارتها ما يأتي:

أولاً: العداء للإسلام، والسنة.

العداوة تعمي الإنسان عن الحق، وتحمله على تشويهه ومحاربته، والمعادي للحق قد يكون معرضاً جاهلاً، وقد يكون عارفاً جاحداً وقد ذكر الله في كتابه الفئتين فقال: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (سورة الأنعام: ٣٧])، وقال: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} (سورة التوبة: ٦)، وقال في الفئة الأخرى: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} (سورة الأنعام: ٣٣)، وقال: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} (سورة النمل: ١٤).

وقد دأب أعداء الإسلام في الكيد له، ومن أبرز المكايد التي يحيكونها لمحاربة الإسلام الطعن في أصوله وثوابته ومحاولة تشويهها ومن ذلك الطعن في السنة التي هي الأصل الثاني من أصول الإسلام، والتشويه والتشويش والطعن في هذا الأصل قديم، لكن برز في الأزمنة المتأخرة بصورة البحث والتحقيق ليقبل ويروج عند كثير من المسلمين، وقد تولى كبر ذلك فئة من المستشرقين الحاقدين على الإسلام، وعلى رأسهم المستشرق اليهودي المجري جولد تسهير (١٨٥٠–١٩٢١م) في كتابه: "دراسات إسلامية" ولعله أبرز هذه الفئة حتى عد شيخ المستشرقين فيما مضى، ولا

(١) تدريب الراوي ١٩٦/٢

(٢) ينظر في أوجه الاختلاف بين مختلف الحديث ومشكل الحديث "مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين.." ص ٣٣

تزال كتبه مرجعاً خصباً وهاماً للمستشرقين في هذا العصر، كما قال الدكتور مصطفى السباعي[1]، وكذا تلميذه اليهودي الألماني "يوسف شاخت" (١٩٠٢-١٩٦٩م)، وغيرهما، وبعض هؤلاء المستشرقين يعرف الحق ويدركه لكن حملته العداوة على الكيد له وإثارة الشبه ضده في صور من التشويه المتعمد كتحريف النصوص، وتزوير الحقائق والوقائع التاريخية، والقدح في الأئمة واتهامهم، وغير ذلك.

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله: "وتتسم بحوث هؤلاء [المستشرقين] بالظواهر التالية:

١ سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده.

٢ سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم.

٣ تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور، وخاصة في العصر الأول، بمجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله العظماء.

٤ تصوير الحضارة الإسلامية تصويراً دون الواقع بكثير، تهويناً لشأنها واحتقاراً لآثارها.

٥ الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامي على حقيقته، والحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون من أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم.

٦ إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم، والتحكم فيما يرفضونه ويقبلونه من النصوص.

٧ تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً، وإساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف.

٨ تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله الدميري في كتاب "الحيوان"، ويكذبون ما يرويه مالك في "الموطأ""[2].

ولست أنكر أن بعض المستشرقين يعمدون للبحث والتدقيق ويسعون للإنصاف والتحقيق لكن قد يدركونه أحياناً ويخطئونه في أحيان أخرى نتيجة للمقدمات الخاطئة التي يبنون عليها دراساتهم.

ثانياً: البدعة والهوى

البدعة تطمس بصيرة صاحبها، وتصرفه عن الحق، وقد تتجذر عنده حتى يراها الحق الذي لا مراء ولا شك فيه، بل يقع في مخالفيه ويصفهم بأبشع الأوصاف والصفات، وربما استحل ظلمهم والاعتداء عليهم، وهذا مصداق قوله جل وعلا: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (سورة فاطر: ٨).

وهذا التزيين كما أنه يقع في الكفر فهو يقع فيما دونه من البدعة والمعصية، ولقد حملت البدعة أصحابها للطعن في السنة ونقلتها، ومن ثم إبطالها وإسقاط حجيتها، فجمهور الخوارج والشيعة يكفرون جمهور الصحابة

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص٢١٤

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص٢١٢

ويردون رواياتهم، على اختلاف بينهم كبير في ذلك، وكثير من فرق المعتزلة ردوا السنن لطعنهم في نقلتها من الصحابة، ومن المعتزلة من قبل السنن لكن استثنوا قبول الآحاد جملة، أو في العقائد وحسب[١].

ولو تأملنا في سبب رد هذه السنن عند هؤلاء لوجدناه الطعن في الصحابة، فتولدت بدعة عن بدعة، وهكذا البدع يجر بعضها بعضاً.

وكثير من المبتدعة قديماً وحديثاً ردوا السنن لمخالفتها لبدعهم، أو حرفوها وصرفوها عن ظاهرها لتوافق أهواءهم، دون نظر لمراد الله ومراد رسوله، فالهوى والبدعة التي تشربت بها قلوبهم هي الحكم عندهم في القبول والرد.

ثالثاً: الخلفيات الثقافية والاجتماعية.

المعلومات التي يتشربها المرء وتتوارد عليه فتكون معارفه وثقافته لها أثر في تصوراته وتفسيره للأمور بل في طريقة تفكيره، وموقفه من كثير من القضايا، ورفضه وإنكاره لأحداث وأخبار، وطعنه فيها. فجملة الأقيسة العقلية التي يتبناها ويحاكم الأخبار والنصوص بها أصبحت أسيرة عنده للتراكمات الثقافية والحصيلة المعرفية، وهذا يدفع كثيرين للطعن في نصوص وأخبار أوتحريفها بسبب هذه الخلفيات الثقافية التي حكمت فهمهم وإدراكهم وعقولهم، وقليل من هؤلاء من يدرك أن المشكلة ليست في النص الذي رده وأبطله أو حرفه وإنما هي نتيجة هذه الخلفية المعرفية والثقافية التي ربما تكون في كثير من الأحيان مشوهة بل باطلة.

وكذا البيئة التي يألفها المرء و يتربى فيها، وتتكون فيها قيمه ومبادئه، ومعايير القبول والرفض والحق والباطل والصواب والخطأ عنده، بل تحكم في كثير من الأحيان عقائده ومنطلقاته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ"[٢].

هذه البيئة لها أثرها في تقييم الأخبار ومن ثم التسليم بها وقبولها أو رفضها والطعن فيها، وهذا يقال في كثير من الأخبار التي جاء فيها ذكر النساء ومعاملتهن في السنة والسيرة، فإن من تشبع بثقافة الغرب القديمة المسرفة في إذلال النساء وإهانتهن، أو الحديثة الموغلة في الشهوانية والتبرج والفحش بكل صوره وأشكاله؛ فإنه عند اطلاعه على بعض هذه النصوص يتبادر إلى ذهنه معان فاسدة وشبه باطلة، وسبب تواردها والقناعة بها هذه الخلفيات الثقافية والاجتماعية.

وكم من حديث وخبر يسمعه سليم الفطرة مستقيم العقل وافر الثقافة فيفهمه بفطرته على وجهه المرضي ومسلكه السوي، وحين يسمعه من درج على الغي وتربى على ثقافة عوجاء أو تلطخت نفسه بالهوى والشهوة يفهمه فهماً معوجاً سقيماً، وكل إناء بما فيه ينضح.

---

(١) ينظر "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" ص١٤٧ إلى ص١٦٤ ، ويراجع في مسألة مطاعن المبتدعة في السنة كتاب "السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها" للدكتور مكي الشامي.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في (كتاب: الجنائز ؛ باب: إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الْإِسْلَامُ ؛ رقم: ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، وباب: مَا قِيلَ فِي أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ ؛ رقم ١٣٨٣ ، وكتاب: التفسير ؛ باب: سورة الروم ؛ رقم: ٤٧٧٥ ، كتاب: القدر ؛ باب: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ ؛ رقم: ٦٥٩٧) ، ومسلم في (كتاب: القدر ؛ رقم: ٢٦٥٨).

رابعاً: التقليد

كثير من الناس يسلم قياد عقله للآخرين فيتبنى فكرهم ويأخذ بآرائهم، وينصر أقوالهم ويناضل عنها ويراها علماً راسخاً، وفهماً ثاقباً، وتحقيقاً منصفاً دون نظر وتمحيص وبحث وتحري، وهذا التقليد جر كثيرين لأنواع من الشبه والضلالات، وأوقعهم في الطعن في السنة والنيل من نقلتها.

وما أكثر ضحايا التقليد قديماً وحديثاً، فكم جر التقليد أهله إلى أنواع من الكفر والفسوق والضلال، والناظر في مروجي الشبه وناصريها يجد الكثير منهم مقلدين لغيرهم مخدوعين بهم، مغترين بعلومهم.

والعجيب أن تجد من هؤلاء من يدعي التحقيق والبحث والتجرد للحق، وهو في حقيقته لا يعدوا أن يكون ظلاً لغيره يدور معه حيث دار، والأدهى أن يكون هذا المُقَلَّدُ كافراً لا يخفي عداوته وبغضه للدين وأهله، ومع ذلك ترى من أبناء المسلمين من يُشِيْعُ شبهه وينشر ضلاله، وإن لم يصرح بالنقل منه وتقليده، أو مناصرته وتأييده، وهؤلاء وللأسف الشديد كثير لا كثرهم الله.

ومن هؤلاء: أحمد أمين صاحب "فجر الإسلام"، "وضحى الإسلام"، و"ظهر الإسلام"، وقد ملأها بالطعن في السنة والتشكيك فيها متبعاً سنن المستشرقين وأعداء الدين، بل أوصى بذلك غيره حيث قال: "إن الأزهر لا يقبل الآراء العلمية الحرة، فخير طريقة لبث ما تراه مناسباً من أقوال المستشرقين ألا تنسبها إليهم بصراحة، ولكن ادفعها إلى الأزهريين على أنها بحث منك، وألبسها ثوباً منك لا يزعجهم مسها، كما فعلت أنا في "فجر الإسلام"، و"ضحى الإسلام""[١].

ومنهم: إسماعيل أدهم، وحسين أحمد أمين في مقالاتهما، ومحمود أبو ريه في كتابيه الساقطين "أضواء على السنة المحمدية"، و"شيخ المضيرة أبو هريرة" والسيد صالح أبو بكر في كتابه "الأضواء القرآنية..."، وغير هؤلاء[٢].

وكثير من هؤلاء ينادي على نفسه بالجهل والحمق، وإن ادعى النظر والتحقيق، وما هم في الحقيقة إلا أبواق لأعداء الدين من مستشرقين، وغيرهم، يرددون أقوالهم ويعرضون بحوثهم ويزينون آراءهم في قوالب مختلفة مردها إلى محتوى واحد.

خامساً: الجهل

داء الجهل من أوسع الأدواء انتشاراً، وأكثرها فتكاً، ويبلغ الجهل غايته حين يجهل الجاهل جهله فيكون مركباً من جهلين[٣]، ومثل هذا يعز دواؤه ويصعب شفاؤه، ولقد كان الجهل بقسميه البسيط والمركب سبباً في النيل من

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص٢٦٦

(٢) ينظر "زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً" (٧٥-٨٩)

(٣) يقول الصنعاني في "إجابة السائل شرح بغية الآمل" ص٦١ : " فالجهل المركب هو إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع ، وإنما سمي مركباً لأنه جهل المدْرِكُ ما في الواقع فهذا جهل أول ، وجهل أنه جاهل فهذا جهل ثان ، فكان مركباً ، وهو الاعتقاد الفاسد" وهذا الجهل ضرره كبير إذ يقضي على صاحبه ، ويبقيه في غيه وجهالته فلا هو يعلم ، ولا يقبل التعلم. يقول الخليل بن أحمد: "الناس أربعة؛ رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه، و رجل يدري و لا يدري أنه يدري فذلك

السنة والطعن فيها، والمترددون في هذا المسلك وقعوا في أنواعٍ من الجهل: كالجهل بأصول الدين ومقاصده، والجهل بأحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرته وسننه، والجهل بوقائع التاريخ وحوادثه، والجهل بأئمة الحديث ونقلته، والجهل بجهودهم المبذولة في سبيل حفظ السنة وصيانتها، والجهل بمسالك العلماء وقواعدهم في التعامل معها، والجهل بمعاني اللغة وقواعد النحو وأساليب البلاغة.

والمتأمل في الطاعنين في السنة يجد كثيراً منهم متعالماً مدعياً للبحث والتحري والتحقيق، وإنما هو في الحقيقة متشبع بالجهل المركب، ومثل هذا لا تسأل عن سقطاته وطوامه.

الفصل الثاني

قواعد وأصول في رد الشبهات والجواب عليها

١ – إدراك ومعرفة منشأ الشبهة وسببها.

الشبهة داء يحتاج إلى علاج، وعلاج الشبهة دحضها وردها، ولا يمكن ذلك إلا بإدراك السبب والمنشأ، ولا يتصور علاج بدون ذلك، فليس العدو الجاحد المعاند الذي يقصد القدح والنيل من الدين كالمقلد المغتر، وليس المبتدع صاحب الهوى كالجاهل، وليس الجاهل البسيط كالجاهل المركب، فكل واحد من هؤلاء ينبغي أن تدفع شبهته بما يليق به.

٢ – رد الشبهة بدفع أصولها، ومقدماتها.

في الغالب أن الشبهة حين تَرِدُ على النفس تكون مبنية على أسس فاسدة مثل رد نص أو تحريفه عن معناه لمخالفته العقل، فقد تكون الإفاضة في بيان موافقته للعقل لا تجدي نفعاً، لكن التوجه لنسف هذا المبدأ الذي بنيت عليه الشبهة، وهو افتراض التضاد بين العقل الصحيح والنقل الصريح، وبيان ذلك وتجليته بالحجة والبرهان يؤدي حتماً لرد هذه الشبهة وغيرها.

ومن المعلوم لكل عاقل منصف أن الله تعالى لم يكن لينزل وحياً يناقض العقل أو يضاده، لكن قد يكون هذا المدَّعَى غير ثابت فلا يكون وحياً، وقد يكون ثابتاً ويعجز العقل عن إدراكه فلا يسعه حينئذ إلا التسليم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "يجب الفرق بين ما يعلم العقل بطلانه وامتناعه، وبين ما يعجز العقل عن تصوره ومعرفته فالأول من محالات العقول، والثاني من محارات العقول، والرسل يخبرون بالثاني، وأما الأول فلا يقوله إلا كاذب"[(١)]، وقال رحمه الله: "ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط، وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع...ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط بل السمع الذي يقال إنه يخالفه إما حديث

غافل فنبهوه، و رجل لا يدري و يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فعلموه، و رجل لا يدري و لا يدري أنه لا يدري فذلك مارق فاحذروه". "تذكرة الحفاظ" للذهبي ٧٨٨/٣

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣٩١/٤

موضوع أو دلالة ضعيفة فلا يصلح أن يكون دليلا لو تجرد عن معارضة العقل الصريح فكيف إذا خالفه صريح المعقول، ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته"(١).

ثم إن الاحتكام في القبول والرد للعقل المجرد يوقع في الحيرة والاضطراب فما يكون اليوم غير معقول قد يكون غداً معقولاً، وما يكون معقولاً عند فلان قد لا يكون كذلك عند غيره، وهذا مما يدل على فساد هذا الأصل وتهافته، يقول ابن تيمية رحمه الله: "وَيَكْفِيك دَلِيلًا عَلَى فَسَادِ قَوْلِ هَؤُلَاءِ: إنَّهُ لَيْسَ لِوَاحِدِ مِنْهُمْ قَاعِدَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ فِيمَا يُحِيلُهُ الْعَقْلُ بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الْعَقْلَ جَوَّزَ وَأَوْجَبَ مَا يَدَّعِي الْآخَرُ أَنَّ الْعَقْلَ أَحَالَهُ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ عَقْلٍ يُوزَنُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؟ فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ حَيْثُ قَالَ: "أَوَكُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم لِجَدَلِ هَؤُلَاءِ"(٢).

والمقصود هنا الإشارة لهذه القاعدة المهمة، وليس الإفاضة في إبطال هذا الأصل الفاسد ورده، وقد أطنب بعضهم في بيان فساد هذا الأصل الذي بنى عليه كثير من الطاعنين في السنة شبههم فلتراجع في مقامها(٣).

٣ – رد الشبهة بقلبها على صاحبها.

حين يكون صاحب الشبهة جاحداً معانداً فلا معنى لإقناعه بل الأولى في هذه الحال إرغامه وإفحامه بما يسقط شبهته ويرد غائلته، وهذا له وجهان:

الأول: أن تقابل شبهته ويرد تساؤله بسؤال يفحمه ويخصمه، وهذا نظير ما حكاه الله عن نبيه إبراهيم عليه السلام يقول سبحانه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (سورة البقرة: ٢٥٨) فهذا المعاند لم يسلم بالحق الذي جاء به إبراهيم عليه السلام وعارضه بشبهة متهافتة سقيمة، يقول ابن عاشور: "وقد جاء بمغالطة عن جهل أو غرور في الإحياء والإماتة إذ زعم أنّه يعمد إلى من حَكَم عليه بالموت فيعفو عنه، وإلى بريء فيقتله، كذا نقلوه ويجوز أن يكون مراده أنّ الإحياء والإماتة من فِعله هوَ لأنّ أمرهما خفي لا يقوم عليه برهان محسوس...وقد عدل إبراهيم عن الاعتراض بأنّ هذا ليس من الإحياء المحتجّ به ولا من الإماتة المحتجّ بها، فأعرض عنه لِمَا علم من مكابرة خصمه وانتقل إلى ما لا يستطيع الخصم انتحاله، ولذلك بُهت، أي عجز لم يجد معارضة"(٤).

الثاني: أن يحجه بنظير شبهته مما يعتقده صاحب الشبهة ويقر به، وحينئذ يتحول الجواب عن الشبهة منازلة للخصم وبيان تناقضه وفساد رأيه ومعتقده، ولهذا أمثلة كثيرة فاليهود والنصارى يشغبون على شريعة

---

(١) درء التعارض بين العقل والنقل ١/١٤٧ ، وينظر بيان تلبيس الجهمية ٢/٣٦١

(٢) وسيأتي لهذه المسألة بيان في الفصل الثاني من هذا البحث بمشيئة الله

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن تيمية ٥/٢٩

(٤) التحرير والتنوير ٣/١٦

الجهاد ويصفونه بالعدوان والإرهاب في الوقت الذي تقول التوراة التي بين أيديهم: (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها؛ استدعها إلى الصلح، فإن أجابتْك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكونُ لك للتسخير، وتُستعبد لك، وإن لم تسالمك، وعمِلتْ معكَ حربًا فحاصِرها، وإذا دفعها الرب إلهُك إلى يديك: فاضرب جميعَ ذكورها بحد السيف، أما النساءُ والأطفالُ والبهائمُ وكل ما في المدينة فهو غنيمةٌ لك..وهكذا تفعل في جميع المدن البعيدة عنك جدًّا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا؛ وأما مدنُ هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهُك نصيبًا فلا تستبق منها نسمة ما، الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين..)[١]، ولهذا أمثلة كثيرة مع الكفار والمبتدعة.

٤ – الحذر من تتبع الشبهات وإثارتها بقصد الرد عليها.

الوقوف مع الشبهة والاشتغال بردها إنما يكون بحسب الحاجة لدفع ضررها ودرئ خطرها عند ورودها، إذ الأصل الاستقامة على الهدى والسلامة من الشبهة، فإذا عرضت شبهة رد عليها بما يناسب حال صاحبها، ولا ينبغي أن تشاع وتنشر، ولا سيما عند العوام؛ فإن النفوس ضعيفة والشبه خطافة، وقد رأيت كثيراً من الشبه تثار ويُنَظَّرُ لها من بعض الغيورين على الحق والسنة ثم يجتهدون في الرد عليها، وربما كانت خافتة خفية، ولولا هذا التنظير بقصد الرد لماتت وانتهت، وقد يفتن بهذه الشبهة من يطلع عليها وإن كان قبل ذلك في عافية وسلامة، ولهذا حذر السلف من الجلوس لأهل الشبه[٢]، قال رجل للحكم بن عتيبة: ما حمل أهل الأهواء على هذا؟ قال الخصومات.

وقال أبو قلابة وكان أدرك غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجالسوا أصحاب الأهواء، أو قال: أصحاب الخصومات؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون.

ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث قال: لا، قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل، قال: لا، لتقومان عني أو لأقومن، قال: فقام الرجلان فخرجا، فقال بعض القوم: يا أبا بكر ما كان عليك أن يقرأا آية من كتاب الله عز وجل، فقال محمد بن سيرين: إني خشيت أن يقرأ آية علي فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي، فقال محمد: لو أعلم أني أكون مثل الساعة لتركتهما.

وقال رجل من أهل البدع لأيوب السختياني: يا أبا بكر أسألك عن كلمة، فولى وهو يقول بيده: لا ولا نصف كلمة.

٥ – ترسيخ مبدأ التسليم لله ورسوله.

قد يكون سبب الشبهة جهل أو اعتراض عقلي قاصر، أو افتراض واحتمال، ونحو ذلك، وهذا قد يقع لكثير من المؤمنين، غير المتهمين بالهوى والضلال، فينبغي حينئذٍ لنفي هذه الشبهة ودفعها ترسيخ مبدأ التسليم

(١) سفر التثنية/ ٢٠ بواسطة "المسيح عليه السلام دراسة سلفية" ٢/ ٨٨

(٢) ينظر "السنة" لعبد الله بن الإمام أحمد ١/ ١٣٧

لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فإن قد م الإسلام لا تثبت إلا على ظهر التسليم والاستسلام، كما قال الطحاوي[1] يقول الله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (سورة النساء: ٦٥)، فما ثبت في القرآن، أو صح به الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم يجب أن يؤخذ مأخذ التسليم المطلق؛ بحيث لا يمترى في صدقه ويتردد في قبوله والإيمان به سوء أدركنا حقيقته أو علته أو قصرت أفهامنا عن ذلك.

وقد كان السلف يحرصون على هذا الأمر، فعَنْ مُعَاذَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟ فَقَالَتْ: أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟ قُلْتُ: لَسْتُ بِحَرُورِيَّةٍ وَلَكِنِّي أَسْأَلُ، قَالَتْ: كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ، وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ[2].

وفي الصحيحين أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ حَدَّثَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فِي رَهْطٍ مِنَّا، وَفِينَا بُشَيْرُ ابْنُ كَعْبٍ فَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» قَالَ: أَوْ قَالَ: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ» فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّا لَنَجِدُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَوْ الْحِكْمَةِ، أَنَّ مِنْهُ سَكِينَةً وَوَقَارًا لِلَّهِ، وَمِنْهُ ضَعْفٌ، قَالَ: فَغَضِبَ عِمْرَانُ حَتَّى احْمَرَّتَا عَيْنَاهُ، وَقَالَ: أَلَا أَرَانِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَتُعَارِضُ فِيهِ، قَالَ: فَأَعَادَ عِمْرَانُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَأَعَادَ بُشَيْرٌ، فَغَضِبَ عِمْرَانُ، قَالَ: فَمَا زِلْنَا نَقُولُ فِيهِ: إِنَّهُ مِنَّا يَا أَبَا نُجَيْدٍ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ[3].

٦ – التزام منهج السلف في عدم الخوض في المتشابه، ورد المشتبه إلى المحكم.

النصوص الشرعية غالبها محكم بين المعنى ظاهر الدلالة، ومنها المتشابه الذي لا يتضح معناه، ولا تظهر دلالته، وقد نهينا عن تتبع المتشابه يقول الله جل وعلا: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (سورة آل عمران: ٧)، وفي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ تَلَا رَسُولُ صلى الله عليه وسلم هَذِهِ الْآيَةَ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ...} قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ"[4].

والشبهة قد تكون ناشئة من نظر في نص متشابه فالواجب حينئذ على من سيتصدى للرد على الشبهة عدمُ الخوض في هذا المتشابه وردُّه إلى المحكم، يقول ابن القيم: "إن الله سبحانه قسم الأدلة السمعية إلى

---

(١) في متن العقيدة التي كتبها ، وتعرف ب"الطحاوية" ، وينظر شرحها لابن أبي العز ص١٦٨ بتحقيق: الشيخ أحمد شاكر.

(٢) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في (كتاب الحيض ، باب : لا تقضي الحائض الصلاة ، رقم : ٣١٥) ، ومسلم في كتاب الحيض ، رقم : ٣٣٥) وهذا لفظ مسلم، وليس في البخاري قولها: لست بحرورية ولكني أسأل.

(٣) متفق عليه ؛ أخرجه البخاري في (كتاب الأدب ، باب : الحياء ، رقم : ٦١١٧)، ومسلم في (كتاب الإيمان ، رقم : ٣٧) وهذا لفظ مسلم ، ولفظ البخاري فيه اختصار.

(٤) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في (التفسير ، باب : سورة آلعمران ، رقم : ٤٥٧٤) ، ومسلم في كتاب العلم، رقم : ٢٦٦٥).

قسمين: محكم، ومتشابه، وجعل المحكم أصلاً للمتشابه وأماماً له يرد إليه، فما خالف ظاهر المحكم فهو متشابه يرد إلى المحكم، وقد اتفق المسلمون على هذا، وأن المحكم هو الأصل والمتشابه مردود إليه"(١)، ويقول في موضع آخر: "وأما طريقة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث كالشافعي، والإمام أحمد، ومالك، وأبي حنيفة، وأبي يوسف، والبخاري، وإسحاق فعكس هذه الطريق، وهي أنهم يردون المتشابه إلى المحكم ويأخذون من المحكم ما يفسر لهم المتشابه ويبينه لهم، فتتفق دلالته مع دلالة المحكم وتوافق النصوص بعضها بعضا؛ فإنها كلها من عند الله وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره"(٢)، وعلى هذا فكل نص عز فهم معناه، أو أوهم معنىً فاسداً فالواجب حمله على النصوص البينة المحكمة التي لا التباس فيها ولا إيهام.

٧ -التزام منهج السلف في الجمع بين النصوص التي ظاهرها التعارض.

التعارض الظاهري قد يكون بين النصوص الخبرية، كما يكون بين النصوص الإنشائية، وقد أطال العلماء في الكلام على العمل مع النصوص المتعارضة ظاهراً في مبحث "مختلف الحديث".

وتطبيق قواعد أهل العلم في هذا ضرورة لدفع الشبه التي تنشأ من هذا التعارض ولا سيما في النصوص الإنشائية المتضمنة أحكاماً شرعية، أما الأخبار فإنها إذا صحت وتوهم تعارضها فإن المسلك الوحيد هو الجمع بينها والإيمان بها جميعاً، وعدم الإيمان ببعضها وإهمال البعض، فإن ذلك من مسالك أهل الضلال، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَمِنْ هُنَا تَتَبَيَّنُ الضَّلَالَاتُ الْمُبْتَدَعَةُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ حَيْثُ هِيَ مِنْ الْإِيمَانِ بِبَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولَ دُونَ بَعْضٍ"(٣).

ومن لطيف ما يروى في الأخذ ببعض النصوص وإهمال غيرها ما رواه ابن قتيبة قال: وحدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: حدثنا قريش بن أنس قال: سمعت عمرو بن عبيد يقول: يؤتى بي يوم القيامة فأقام بين يدي الله فيقول لي: لم قلت إن القاتل في النار؟ فأقول: أنت قلته ثم تلا هذه الآية: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا} (سورة النساء: ٩٣)، قلت: له وما في البيت أصغر مني: أرأيت إن قال لك قد قلت: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} من أين علمت أني لا أشاء أن أغفر؟ قال: فما استطاع أن يرد علي شيئاً(٤).

(١) الصواعق المرسلة ٧٧٢/٢

(٢) إعلام الموقعين ٣٤٤/٢ ، وينظر الاعتصام للشاطبي ٢٢١/١-٢٢٢ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٥٩/٣-٦٠ ،و ١٤٣/١٣ ، ٢٢٧

(٣) مجموع الفتاوى ١٥/١٢

(٤) تأويل مختلف الحديث ص٨٣

الفصل الثالث

أنواع الطعون في السنة، والمؤلفات في رد هذه الطعون وتفنيدها.

الطعون في السنة كثيرة متنوعة يعز حصرها؛ إذ سبيل الحق واحد وأما سبل الضلال فكثيرة لا حصر لها؛ لكن هذه الطعون متشابهة في غالبها، لا تكاد تخرج عن أربعة أنواع سأذكرها مقرونة ببعض المؤلفات التي كتبها أهل العلم في رد هذه الطعون، وليس مقصودي هنا استقصاء المؤلفات، وإنما ذكر بعض المشهور منها، وهذه الأنواع هي:

أولاً: الطعن في حجية السنة، وهو على ثلاثة أنواع:

١) الطعن في حجيتها مطلقاً.

كثيرون تنكبوا للسنة وأهملوا الاحتجاج بها، وقد كانت ذريعتهم في ذلك عدم الثقة بالمنقول لا جحد وجوب اتباع الرسول، ثم حملهم ذلك على الدعوة للاكتفاء بالقرآن، وقد كان من الخوارج وغيرهم من يرى ذلك، لكن بقي عملهم بالمتواتر العملي من السنة، كما أنهم يأخذون بما ثبت عندهم، ولم أر من ينكر السنة جملة من مدعي الإسلام، وينسف حجيتها، وينادي بتركها والاستغناء عنها إلا من يسمون بالقرآنيين، كما ذكر الدكتور مصطفى الأعظمي[1] ولهم في ذلك شبه متهافتة، ولا شك أن هذا القول كفر مخرج من الملة إذ محصلته جحد القرآن الموجب لاتباع الرسول والملزم بطاعته والتسليم لأمره في كثير من آياته، ثم إن لازم قول هؤلاء اعتبار محمدٍ صلى الله عليه وسلم ليس له خصيصة تقتضي طاعته واتباعه، بل هو كسائر البشر وهذا أيضاً كفر، يقول العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: "من المعلوم عند جميع أهل العلم أن السنة هي الأصل الثاني من أصول الإسلام وأن مكانتها في الإسلام الصدارة بعد كتاب الله عز وجل، فهي الأصل المعتمد بعد كتاب الله عز وجل بإجماع أهل العلم قاطبة، وهي حجة قائمة مستقلة على جميع الأمة، من جحدها أو أنكرها أو زعم أنه يجوز الإعراض عنها والاكتفاء بالقرآن فقد ضلّ ضلالاً بعيداً، وكفر كفراً أكبر وارتدّ عن الإسلام بهذا المقال، فإنه بهذا المقال وبهذا الاعتقاد يكون قد كذّب الله ورسوله، وأنكر ما أمر الله به ورسوله، وجحد أصلاً عظيماً فرض الله الرجوع إليه والاعتماد عليه والأخذ به، وأنكر إجماع أهل العلم عليه وكذب به، وجحده...ونبغت نابغة بعد ذلك، ولا يزال هذا القول يذكر فيما بين وقت وآخر، وتسمى هذه النابغة الأخيرة "القرآنية" ويزعمون أنهم أهل القرآن، وأنهم يحتجون بالقرآن فقط، وأن السنة لا يحتج بها؛ لأنها إنما كتبت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة طويلة، ولأن الإنسان قد ينسى وقد يغلط، ولأن الكتب قد يقع فيها غلط؛ إلى غير هذا من الترهات، والخرافات، والآراء الفاسدة، وزعموا أنهم بذلك يحتاطون لدينهم فلا يأخذون إلا بالقرآن فقط، وقد ضلوا عن سواء السبيل، وكذبوا وكفروا بذلك كفراً أكبر بواحاً؛ فإن الله عز وجل أمر بطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام واتباع ما جاء به وسمى كلامه وحياً في قوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى*مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى*وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (سورة النجم: ١-٤)، ولو كان رسوله لا يتبع ولا يطاع لم يكن لأوامره ونواهيه قيمة.

---

(١) دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ٣٢/١

وقد أمر صلى الله عليه وسلم أن تبلغ سنته، فكان إذا خطب أمر أن تبلّغ السنة، فدل ذلك على أن سنته صلى الله عليه وسلم واجبة الاتباع وعلى أن طاعته واجبة على جميع الأمة...ومن تدبر القرآن العظيم وجد ذلك واضحاً "[١].

وقد رد فرى وشبه هؤلاء جمع من العلماء منهم: أبو الأعلى المودودي في "مكانة السنة في الشريعة الإسلامية" (أوردو)، ومصطفى السباعي في "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"، والشيخ الألباني في "منزلة السنة وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن"، ومحمد مصطفى الأعظمي في "دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه"، وعبد الغني عبد الخالق في "حجية السنة"، وخادم حسين إلهي بخش في "القرآنيون وشبهاتهم حول السنة" في كتب أخرى ترد هذه الفتنة وتفندها، وقد انتشرت هذه الفتنة في شبه القارة الهندية، وانبرى لها جمع من علماء الهند في مؤلفات ومجلات ذكرها الدكتور محمد لقمان السلفي في كتابه "اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً"[٢].

٢) الطعن في حجية أحاديث الآحاد.

لم يكن الصحابة ومن بعدهم من التابعين يفرقون بين المتواتر وغيره في العمل والاعتقاد بل محك القبول والرد عندهم هو الثبوت، فإذا ثبت الخبر عملوا به إن كان إنشاءً، واعتقدوه إن كان خبراً وتتابع المسلمون على ذلك حتى خرج أهل الكلام والجدل، فكان من بدعهم التفرقة بين المتواتر والآحاد فرد بعضهم الآحاد جملة، وبعضهم قبلها في الفروع دون الأصول مخالفين بذلك إجماع المسلمين، يقول ابن حزم: "فصح بهذا إجماع الأمة كلها على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضا فإن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم، يجزي على ذلك كل فرقة في علمها كأهل السنة والخوارج والشيعة والقدرية حتى حدث متكلموا المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع في ذلك"[٣].

ولما كانت هذه الفتنة قديمة تتابع العلماء في دحضها والرد عليها فممن رد على شبه المنكرين لخبر الآحاد الإمام الشافعي في "الرسالة"، والبخاري في كتاب العلم من "صحيحه"، وابن حزم في "الإحكام في أصول الأحكام"، والشاطبي في "الموافقات"، وابن القيم في "الصواعق المرسلة"، ومصطفى السباعي في "السنة ومكانتها في التشريع"، وعبد العزيز بن راشد في "رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد"، والألباني في "حجية الآحاد"، وعبد الله بن جبرين في "أخبار الآحاد في الحديث النبوي"، وعمر الأشقر في "أصول الاعتقاد"، وسالم البهنساوي في "السنة المفترى عليها"، وأبو عبد الرحمن القاضي برهون في "خبر الواحد في التشريع الإسلامي وحجيته"، وغيرها من الكتب والبحوث، التي ترد هذه الشبهة.

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٩ / ١٧٦ – ١٧٨)

(٢) ص ٤٦٢ ، وما بعدها ، وينظر "زوابع في وجه السنة" لصلاح الدين مقبول ص ١٠١ الحاشية رقم (٢)

(٣) ص ٤٦٢ ، وما بعدها ، وينظر "زوابع في وجه السنة" لصلاح الدين مقبول ص ١٠١ الحاشية رقم (٢)

٣) الطعن في حجية أحاديث صحيحة بدعوى مخالفتها للعقل، ونحوه.

وهذا أحد المزالق الخطيرة التي ركبها بعض أهل الأهواء، وأتباعهم من الجهلاء، وهو أيضاً من رزايا المعتزلة الذين افترضوا التعارض بين العقل والنقل ثم قدموا العقل لأنه أصل النقل، ثم النقل إما أن يبطل أو يؤول(١).

وهذا كلام باطل بين أهل العلم تهافته وبطلانه، وقد أشرت لشيء من كلامهم فيما مضى، وقد سلك مسلكهم كثير من المتعالمين الذين تأثروا بالمستشرقين كأحمد أمين، ومحمود أبو رية، والسيد صالح أبو بكر، وجمال البنا، وحسن الترابي، وغيرهم، بل وقع في هذا المسلك بعض من ينسبون إلى العلم والفضل كالشيخ علي عبد الرزاق في كتابه"الإسلام وأصول الحكم"، والشيخ محمد الغزالي في كتابه"السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث" وغيرهما.

وقد رد على هذا المسلك المعوج شيخ الإسلام ابن تيمية وبين بطلانه في كتابه البديع "درء تعارض العقل والنقل"، وكتابه الآخر "بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية" وقد ناقش موقف هؤلاء العقلانيين من السنة ورد على شبههم الدكتور الأمين الصادق الأمين في كتابه "موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية"، والدكتور عماد السيد الشربيني في كتابه "السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها".

ثانياً: الطعن في ثبوتها، وهو أنواع:

١) الطعن في ثبوتها مطلقاً.

وهذا مسلك من قدح في الصحابة وأسقطهم كبعض الخوارج والمعتزلة، أو طعن في نقلة السنة من غير الصحابة، وقد آل الأمر بهؤلاء إلى إنكار وجود السنة، وإن اعترفوا بحجيتها ابتداءً، فأصبحوا معطلين للسنة تذرعاً بعدم ثقتهم في المنقول مما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء في المحصلة والنتيجة كمن أنكر حجيتها؛ إلا أن هؤلاء يقبلون المتواتر ويعملون به.

وقد أبطل شُبَهَ هؤلاء جمع من العلماء وفندوها منهم: العلامة عبد الرحمن المعلمي في "الأنوار الكاشفة..."، الدكتور عماد الشربيني في "عدالة الصحابة"، ومحمد محمود لطيف الفهداوي في "عدالة الصحابة رضي الله عنهم عند المسلمين"، وأحمد علي الإمام في "الصحبة والصحابة"، وعبد الفتاح أبو غدة في "لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث"، وناصر علي الشيخ في "عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام" إضافة إلى بحوث كثيرة تضمنتها كتب ومجلات تبين عدالة الصحابة وتبطل دعاوى وشبه الطاعنين، وفي ما أشرت إليه كفاية.

٢) الطعن في ثبوت أحاديث بعض الصحابة.

حاول بعض أعداء الإسلام من المستشرقين النيل من بعض الصحابة والقدح في حديثهم ولا سيما حافظة الإسلام أبو هريرة، وتبعهم على ذلك بعض أذنابهم من أبناء المسلمين كمحمود أبي رية، وقد تصدى لهذه الطعون جمع من العلماء منهم: العلامة عبد الرحمن المعلمي في "الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة"، ومحمد أبو شهبة في "دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين"، ومحمد عجاج

---

(١) ينظر : أساس التقديس في علم الكلام ص١٧٢-١٧٣

الخطيب في "أبو هريرة راوية الإسلام"، ومحمد مصطفى الأعظمي في "أبو هريرة في ضوء مروياته"، وعبد المنعم صالح العلي في "دفاع عن أبي هريرة"، وعثمان مواني في "دفاع عن أبي هريرة" وغيرهم.

٣) الطعن في ثبوت أحاديث الصحيحين.

الصحيحان هما أصح الكتب المنقولة بعد كتاب الله، وقد أجمعت الأمة على تقيهما بالقبول وصحة ما فيهما إلا أحرف يسيرة ذكروها ونصوا عليها، وقد حاول بعض أهل الأهواء الطعن في الصحيحين والنيل من أحاديثهما، وفي هذا نسف للسنة واطراح للإجماع ومخالفة للأمة، وقد أفاض أهل العلم في بيان منزلة الصحيحين ودفع شبهات الطاعنين فيهما، ومنهم: خليل إبراهيم ملا خاطر في "مكانة الصحيحين"، وأحمد محرم في "الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين"، ومحمد أبو زهو في "الحديث والمحدثون"، رفعت فوزي في "كتب السنة دراسة توثيقية"، وغيرهم.

ثالثاً: الطعن في مناهج الأئمة في الرواية والنقد.

لم يأل أئمة الحديث ونقلته جهداً في صيانة السنة وتنقيتها من التحريف والتغيير، ولقد أفنوا أعمارهم، وأجهدوا أنفسهم في ذلك حتى انتظمت قوانين الرواية، وقواعد الجرح والتعديل، وموازين القبول والرد، في صورة لم يعرف التاريخ لها مثيل، ولن يعرف؛ لكن بعض الأعداء ومن درج على طريقهم من السفهاء والجهلاء طعنوا في مناهج الأئمة وزعموا أنها غير كافية للبناء عليها في معرفة المقبول والمردود، ومن ثم فلا يوثق برواياتهم ولا بقواعدهم، ومن ذلك زعمهم أن أهل الحديث اعتنوا بنقد السند لكنهم أغفلوا المتن، وقولهم إن أهل الحديث أهملوا العقل وجنحوا عن مراعاته في السند والمتن، وغيرها فن الفرى، وقد تصدى لها العلماء وبينوا بطلانها بالدليل والبرهان، منهم: صلاح الدين الأدلبي في "منهج نقد المتن عند علماء الحديث"، ومسفر الدميني في "مقاييس نقد متون السنة"، وهمام سعيد في "الفكر المنهجي عند المحدثين"، ونجم عبد الرحمن خلف في "نقد المتن بين صناعة المحدثين ومطاعن المستشرقين"، ومحمد طاهر الجوابي في "جهود المحدثين في نقد المتن"، والأمين الصادق الأمين في "موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية"، ومحمد لقمان السلفي في "اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم"، وغيرهم.

رابعاً: الطعن في وقائع ومواقف وأحداث من السنة.

وهذا كثير جداً، وهذه الطعون ليس لها ضابط، والجهلاء والأعداء كثير، لكن {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} (سورة الرعد: ١٧)، وقد تصدى أهل العلم لهذه الطعون واجتهدوا في تفنيدها وردها، ومنهم: عبد الرحمن المعلمي في "الأنوار الكاشفة..."، ومحمد أبو شهبة في "دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين"، ومحسن محمد عبد الناظر في "الذب عن أحاديث تكلم فيها المستشرق جولد تسهير"، وسعد المرصفي في "شبهات حول أحاديث الرجم وردها"، وغيرهم.

ولقد قام كثير من الغيورين على السنة بفتح نوافذ في الشبكة العنكبوتية (الأنترنت) لرد الطعون الموجهة للسنن، وهو جهد مشكور، لكني بعد الاطلاع على بعضها أرى أنها تحتاج لشيء من المراجعة والضبط المنهجي الذي يحقق المصلحة، ويدرء المفسدة، ولعل هذا يكون محلاً للدراسة والبحث في المستقبل بمشيئة الله.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة في أسباب الطعون في السنة، وأنواعها، واستعراض بعض الأسس والقواعد في رد هذه الطعون نخلص لنتائج منها:

-أهمية معرفة أسباب الطعون في السنة لما له من الأثر في القدرة على تفنيد شبهات الطاعنين.

-أهمية التأصيل والتقعيد لرد شبه الطاعنين السنة.

-إن الطعن في السنة يرجع إلى أسباب أهمها خمسة هي: (العداوة، والبدعة، والخلفيات الثقافية والاجتماعية، والتقليد، والجهل).

-من القواعد التي أرى مراعاتها عند رد شبهات الطاعنين (إدراك ومعرفة منشأ الشبهة وسببها، ورد الشبهة بدفع أصولها ومقدماتها، ردها بقلبها على صاحبها، والحذر من تتبع الشبهات وإثارتها بقصد الرد عليها، وترسيخ مبدأ التسليم لله ورسوله، والتزام منهج السلف في عدم الخوض في المتشابه، ورد المشتبه إلى المحكم، والتزام منهج السلف في الجمع بين النصوص التي ظاهرها التعارض).

-إن العلماء ما فتئوا يردون عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم كل طعن وشبهة، وقد كثرت مصنفاتهم وتنوعت في ذلك.

-إن الاطلاع على أنواع الطعون في السنة والمؤلفات في ذلك ييسر على الإنسان ردها والجواب عليها؛ إذ الشبه وإن كثرت وتنوعت إلا أنها متشابهة في غالبها.

المصادر والمراجع

١. إعلم الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الدمشقية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعيد ، دار الجيل ، بيروت.

٢. اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً، محمد لقمان السلفي، دار الداعي، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ

٣. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية ، طبعة مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة ، ١٤٢٦هـ

٤. تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد محمد بن أحمد الأزهري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠١م

٥. جهود المحدثين في نقد المتن ، د.محمد طاهر الجوابي ، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، تونس.

٦. حجية السنة ، د. عبد الغني عبد الخالق ، دار الوفاء للنشر ، ١٤١٣هـ

٧. الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ، محمد بن ناصر الدين الألباني ، مطبعة الدار السلفية ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ

٨. الحديث والمحدثون ، د.محمد محمد أبو زهو ، مطبعة مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٨هـ

٩. خبر الواحد في التشريع الإسلامي وحجيته ، أبو عبد الرحمن القاضي برهون ، أضواء السلف ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ

١٠. درء التعارض بين العقل والنقل، بن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ

١١. دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، د.محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، ١٤١٣هـ

١٢. دفاع عن أبي هريرة ، عبد المنعم صالح العلي العزي ، مكتبة النهضة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣هـ.

١٣. دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ، د. محمد أبو شهبة ، دار اللواء ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ

١٤. رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد ، عبد العزيز بن راشد النجدي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ

١٥. السنة المفترى عليها ، سالم علي البهنساوي ، دار الوفاء ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٣هـ

١٦. السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها، د.عماد السيد الشربيني، دار اليقين، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ

١٧. السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها ، د. مكي الشامي ، دار عمار ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ.
١٨. السنة في مواجهة أعدائها ، طه الدسوقي حبيش ، مكتبة رشوان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ
١٩. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، د. مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ.
٢٠. عدالة الصحابة رضي الله عنهم عند المسلمين ، محمد محمود الفهداوي ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ
٢١. القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، دار الرسالة.
٢٢. القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ، د.خادم حسين إلهي بخش ، مكتبة الصديق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ
٢٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لأحمد بن تيمية الحراني، جمع: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، دار عالم الكتب ، ١٤١٢ هـ.
٢٤. مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء ، د. أسامة بن عبد الله خياط ، دار الفضيلة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ.
٢٥. المستشرقون والسنة ، د. سعد المرصفي ، مكتبة المنار ، ومؤسسة الريان ، الطبعة الأولى.
٢٦. المسيح عليه السلام دراسة سلفية ، رفاعي سرور ، دار هادف للنشر.
٢٧. مقاييس نقد متون السنة ، د. مسفر الدميني ، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ
٢٨. منهج نقد المتن عند علماء الحديث ، د. صلاح الدين الأدلبي ، دار الآفاق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ.
٢٩. الموسوعة الفقهية الكويتية ، وزارة الأوقاف الكويتية ، الكويت.
٣٠. موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية ، الأمين الصادق الأمين ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ
٣١. نقد المتن بين صناعة المحدثين ومطاعن المستشرقين، للدكتور نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ

القرآنيون وشبهاتهم حول السُّنَّة النبوية
والرد عليهم

د. عبدالله بن ناصر بن محمد الخثلان
الأستاذ المساعد بقسم السنة وعلومها
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
السعودية
alkatlan@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، رضي لنا الإسلام ديناً، ومحمداً نبياً ورسولاً، أرسله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، بعثه على فترة من الرسل، فصدع بأمر الله تعالى، وبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة كما تلقاها، وبيَّن للناس ما نُزِّل إليهم، وأوضح شرائع الله، وأدى فرائضه، حتى كمل للناس دينهم، وتمت عليهم النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً دائماً ثابتاً، لا ينطفئ نوره، ولا تبيد معالمه، ولا تندثر شرائعه حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

اللهم صلِّ وسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الله تعالى قد منَّ على هذه الأمة بأصل عظيم من أصولها بعد كتابه عزَّ وجلَّ ألا وهو: السنة النبوية، فالسنة بيان للقرآن، وشرح لأحكامه، وبسط لأصوله، وتفصيل لتشريعاته.

وقد أجمع المسلمون على حجية السنة النبوية، ولم يخالف في ذلك إلاَّ مَنْ لا حظَّ له في الإسلام.

قال الإمام الشوكاني – رحمه الله-: (والحاصل أن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلاَّ مَنْ لا حظَّ له في دين الإسلام)[1]، إلاَّ أن دعاة الفتنة حاولوا عبثاً أن يقفوا في وجه هذه الحقيقة الساطعة، فخرجت طوائف كثيرة على مرِّ العصور حاولت الطعن في السنة النبوية، واستخدموا لذلك أساليب كثيرة في النيل من السنة المشرفة، فكان منهم من ادعى أن الحجة للقرآن وحده، وأن حجية السنة مرفوضة على الإطلاق، فلا داعي للاشتغال بها والالتفات إليها.

وانتشرت فكرة إنكار السنة جملة وتفصيلاً في القرن الثالث عشر الهجري إلى بعض البلدان العربية وغير العربية من الدراسات الاستشراقية، واتخذت شكلاً منظماً في شبه القارة الهندية منذ أوائل هذا القرن، فظهر في الهند وباكستان جماعة تنادي بعدم الاحتجاج بالسنة في الأمور التشريعية، وسموا أنفسهم بـ(**أهل القرآن**) لاكتفائهم بأخذ الأحكام من القرآن وحده دون السنة.

وقد سميت هذا البحث بعنوان: (**القرآنيون وشبهاتهم حول السنة النبوية، والرد عليها**)، وسرت فيه على الإيجاز والاختصار خشية أن التطويل، ومن الله أستمد العون والتوفيق.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة.

الفصل الأول: نشأة القرآنيين.

الفصل الثاني: التعريف بأبرز دعاتهم.

الفصل الثالث: علاقة القرآنيين بالخوارج.

الفصل الرابع: شبهات القرآنيين حول السنة، والرد عليها:

الشبهة الأولى: حسبنا كتاب الله.

---

[1] ينظر: إرشاد الفحول للشوكاني ص (٦٩).

الشبهة الثانية: السنة ليست وحياً من الله.

الشبهة الثالثة: بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم.

الشبهة الرابعة: طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست عبادة أو حجة.

الشبهة الخامسة: عدم يقينية السنة للأسباب الآتية:

١ - تأخر تدوينها مع ضعف الذاكرة البشرية.

٢ - رواية السنة بالمعنى، ولم يتكفَّل الله بحفظها، فدخلها الكثير من الوضع.

٣ - السنة أخبار آحاد، وخبر الآحاد يحمل الصدق والكذب، ومعيار المحدثين غير كاف في تمحيصها.

الفصل الخامس: المقارنة بين القرآنيين والمستشرقين.

الخاتمه: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها، والتوصيات.

فما كان من صواب في هذا البحث فمن فضل ربي، وأما الخطأ فواقع لا محالة، ولا يُستغرب وقوعه من مثلي، وإنما هو جهد المقل، وقدرة المفلس.

الفصل الأول

نشأة القرآنيين

إنَّ الدعوة إلى الاعتماد على القرآن دون السنة في التشريع بدأت تغزو الهند منذ القرن التاسع عشر، على إثر انتشار الأفكار التي بثها أعضاء حركة السيد أحمد خان، غير أن مفعولها سرى بشكل واضح في بنجاب بأواسط الهند، وهذه البقعة انبعث منها حركتان هدامتان للإسلام: القاديانية[١] والقرآنية[٢].

والأفكار التي تبناها السيد أحمد خان، والمولوي شراغ علي في الهند كانت البذرة لنشأة القرآنيين، ثم حمل لواءها: المولوي عبدالله جَكْرَالَوِي، ومن بعده المولوي أحمد الدين الأَمْرَتْسَرِّي، ثم تقدَّم بها أسلم جِرَاجْبُوْرِي، وأخيراً تسلَّم رئاستها شودري غلام أحمد بَرْوِيْز الذي أوصلها إلى حافة الضلال [٣].

يقول الشيخ ثناء الله الأَمْرَتْسَرِّي: (ما أشأم ذلك اليوم الذي خرج فيه صوت عليكره المخالف لجميع الأمة الإسلامية، الداعي إلى الاعتماد على القرآن وحده في الدين، وأن السنة لا تكون دليلاً شرعياً، وقد أثَّر هذا الصوت على الحافظ محب الحق عظيم آبادي في بَتْنَة بالهند، كما أثَّر على عبدالله جَكْرَالَوِي في لاهور بباكستان أعظم تأثير) [٤].

وهذا الصوت هو صوت سيد أحمد خان: الذي ولد في دلهي عام ١٨١٧ م وهلك عام ١٨٩٧م.

والسيد أحمد خان هذا كان لا يصلي ولا يصوم غالباً، وقد جاء بشبهٍ كثيرة حول السنة ليخدع بها عامة المسلمين، ومن الأمور التي جاء بها:

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة ص (٣٨٧-٣٩١).

(٢) ينظر: القرآنيون وشبهاتهم جول السنة لخادم حسين بخش ص(١٩).

(٣) ينظر: اهتمام المحدثين بنقد الحديث للدكتور: محمد لقمان السلفي ص (٤٥٤).

(٤) ينظر: القرآنيون وشبهاتهم جول السنة ص(٢٢).

١ –بدأ بالتأويل في الغيبيات الواردة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢ – ثم تدرَّج إلى إنكار السنة.

٣ –أنكر الأمور الخارقة للعادة الواردة في السنة بحجة أنها مخالفة للقوانين الطبيعية.

٤ –أنكر أحاديث الجن.

٥ –حاول التشكيك في السنة كلها.

٦ –وقال: إن ما دُوِّن من مؤلفات الأحاديث هي ألفاظ الرواة، وليس ما صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم.

٧ –عاتب المحدثين على أنهم لم يفحصوا متون السنة مثل السند.

دور شراغ في ترسيخ أسس الفكرة:

وقد وجد السيد أحمد خان في شيخصية (المولوي شراغ علي)، – الذي ولد في عام ١٨٤٤م وهلك في ١٨٩٥م — أكبر من يدافع عن فكرته ويدعو إليها، وهو الذي أوَّل كلمة الجهاد وطعن في الأحاديث التي تحث على الجهاد، وهو الذي قال: إن الأحاديث لم يصح منها إلاَّ القليل، وجُلُّها فرضيات وأوهام للعلماء. وقال: الحديث في حدِّ ذاته شيء لا يمكن الاعتماد عليه[٥].

تأسيس جماعة أهل القرآن:

الأفكار التي تقدمت والتي نشرها السيد أحمد خان، وشراغ علي من بعده، كان لها الدور البارز في تأسيس حركة أهل القرآن، فالذين جاءوا من بعدهما تبنَّوا أفكارهما ودعوا الناس إليها.

ففي سنة ١٩٠٢م تزعم فرقة القرآنيين في بداية الأمر شخصيتان: محب الحق العظيم آبادي — في بهار شمال الهند — وعبدالله جَكْرَالَوِي — في لاهور — فهما من منبع متحد.

فالأول كان يستنبط من القرآن الكريم دون اللجوء إلى السنة المشرفة، وأنكر وجود منصب الإمامة في الإسلام لعدم ذكره في القرآن.

وأما عبدالله جَكْرَالَوِي فقد بدأ نشاطه الهدَّام لإنكار السنة كلها، فقد شكل فرقة جديدة أسماها (أهل الذكر والقرآن) [١].

وبهذا يكون محب الحق العظيم آبادي قد شارك عبدالله جَكْرَالَوِي في تأسيس الحركة.

أسباب نشأة فرقة القرآنيين:

تعود نشأتهم إلى أسباب عديدة من أهمها:

١ –أنها الثمرة الطبيعية التي بذر بذورها أعضاء حركة السيد أحمد خان.

٢ –الاستعمار بأساليبه المختلفة، فمؤامرات الاستعمار الإنجليزي في البلدان الإسلامية لا تخفى، فقد أوجد الإنجليز في الهند القاديانية والبريلوية[٢]، للتفريق بين المسلمين، ثم أوجد الاستعمار فرقة أهل القرآن،

---

[٥] ينظر: اهتمام المحدثين بنقد الحديث ص(٤٥٥–٤٥٧)، وزوابع في وجه السنة ص (٩٣–٩٧) بتصرف.

[١] ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ص(٢٠–٢١)، واهتمام المحدثين بنقد الحديث ص (٤٥٧).

[٢] ينظر: الموسوعة الميسرة ص(٦٩–٧٥).

ليشغل المسلمين بزرع الخلافات بينهم، وقد اختار الاستعمار منهم أفراداً ليكونوا عملاء ينشرون الفتنة بين المسلمين، ويخدمون الأهداف المشبوهة لهم. فقد لقَّب الإنجليز السيد أحمد خان بـ(نجم الهند) ولقَّبوا نذير أحمد أحد أعضاء حركة أهل القرآن بـ(شمس العلماء)، وكذلك عبدالله جَكْرَالَوِي وأمثاله الذين رباهم الإنجليز وأعطاهم أموالاً وافرة[٣].

٣ -شعور بعضهم بضرورة وحدة الصف الإسلامي، والخلاص من الفرق المتعددة – من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة – وجمع المسلمين تحت راية واحدة، لكنهم ضلوا الطريق؛ لجهلهم بالإسلام وأسسه المحكمة[٤].

الفصل الثاني

التعريف بأبرز دعاتهم:

١– عبدالله جَكْرَالَوِي:

بدأ الجَكْرَالَوِي نشاطه الهدام في تأسيس حركة إنكار السنة في لاهور عام ١٩٠٢م، بعد تأثره بالسيد أحمد خان، ودعا أتباعه إلى إنكار الأحاديث والاكتفاء بالقرآن، وسمى أتباعه "أهل الذكر والقرآن"، وصنف الرسائل في ذلك.

وقال: إن الناس افتروا على النبي صلى الله عليه وسلم ورووا عنه الأحاديث، وشرع لجماعته (أهل الذكر) طريقة جديدة للصلاة، وقال: إن الأذان والإقامة بدعة.

وقال: هذا هو القرآن الموحى به وحده من عند الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأن ما عداه فليس بوحي.

وعبدالله هذا اتهم أن له صلة بالحكومة الإنجليزية وقد اختاره النصارى لأداء هذه المهمة، فرفع صوته بإنكار السنة كلها، وأخذ يدعو إلى هذا المشروع الهدام، فأيده النصارى ووعدوه بالمساعدات وشكروه على هذا المجهود الجبار.

فأفتى بكفر عبدالله جلُّ علماء شبه القارة الهندية في باكستان والهند وبنغلاديش، غير أن عبدالله بقي مستمراً في دعوته حتى مات مريضاً ١٩١٤م[١].

---

[٣] ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ص(٢٢-٢٣)، وزوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً لصلاح الدين مقبول ص (٩١)، واهتمام المحدثين بنقد الحديث ص(٤٥٧-٤٥٨).

[٤] ينظر: القرآنيون ص(٢٤)، وجهود المحدثين في نقد الحديث للدكتور محمد الجوابي ص(٤٤١)، وتدوين السنة للدكتور مطر الزهراني ص(٥١)

[١] ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ص ٢٥- ٣٢ بتصرف ، وزوابع في وجه السنة ص ٩٧- ٩٨.

٢- أحمد الدين الأَمْرَتْسَرِّي:

هو الخوجة أحمد الدين بن الخوجة، ولد عام ١٨٦١م بمدينة أَمْرَ تْسَر بالهند، وكان أحمد الدين يجيد من اللغات: اللغات العربية والفارسية والأردية والإنجليزية والبنجابية وغيرها.

وقد استفاد الخوجة في بداية الأمر من نظريات السيد أحمد خان وإن لم يجعلها أساساً ومركزاً لأفكاره؛ لشدة نقد العلماء لها والنكير على قائلها آنذاك، فاتخذ الخوجة جانب الحذر والحيطة فلم يجهر بما جهر به السيد أحمد خان وإنما كنَّى واستعار وورى.

وكان من المؤيدين لعبدالله الجَكْرَالَوِي، ومن المتأثرين به، وقد كان يزوره ويستفيد منه، وكان يصلي معه على الطريقة الجكرالوية، وقد كان يحضر مجلسه كثير من القاديانيين والمسيحيين، بل كان الخوجة نفسه يحضر مجالس مخالفيه ودروسهم.

وهو الذي أسس طائفته المنفصلة وسماها (أمة مسلمة) عام ١٩٢٦م وأخذ يدعو إليها، وهو من القائلين بإنكار السنة والاكتفاء بالقرآن وحده. وله مؤلفات عديدة، مات مريضاً عام ١٩٣٦م[٢].

٣- الحافظ أسلم جِرَاجْبُوري:

لقب بالحافظ لأنه حفظ القرآن قبل التاسعة من عمره، وقد ولد عام ١٨٨٠م وكان أحد أركان القرآنيين البارزين، وقد تأثر بالخوجة أحمد الدين حيث قام بترجمة كتاب الخوجة(معجزة القرآن) إلى اللغة العربية ونشره بين البلاد العربية.

وهو الرجل الثاني_ بعد بَرْوِيْز _ الذي نبغ من حيث التأليف، وقام بالنشر لأفكار القرآنيين.

والجدير بالذكر أنه يمتاز من بين القرآنيين باطلاعه الواسع على الثقافة الإسلامية من الحديث والتفسير والفقه والفرائض والأصول إلى غير ذلك من العلوم الإسلامية. وكان له اليد الطولى في كتابة التاريخ الإسلامي بالأردية. ويعتبر أستاذاً لبَرْوِيز، وقد مات مريضاً عام ١٩٥٥م[١].

٤- غلام أحمد بَرْوِيْز:

ولد عام ١٩٠٣م ببنجاب الشرقية في الهند، تسلم قيادة طائفة منكري السنة أخيراً، ونظم جهودهم، وقام بنشاط واسع، وجهد متواصل في هدم بناء السنة، ونشر كتباً كثيرة في إنكار الحديث، وأسس "جمعية أهل القرآن"، وأصدر مجلة "طلوع إسلام" الناطقة باسم الجمعية، ونادى بالاكتفاء بالقرآن وحده، وإنكار الحديث جملة وتفصيلاً، وكان بَرْوِيْز يتصل بأستاذه الفكري أسلم جِرَاجْبُـوْرِي فتتلمذ عليه، وورث منه جميع مخلفات الخوجة الفكرية حول السنة.

وقد كان يمدح أفكار السيد أحمد خان ويضعه في قائمة مفكري هذا العصر، وكذلك كان يمدح منهج عبدالله جَكْرَالَوِي ، وحزبه أقوى أحزاب الحركة القرآنية.

---

[٢] ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ص ٣٣- ٣٩ بتصرف.

[١] ينظر: زوابع في وجه السنة ص ٩٩ ، والقرآن وشبهاتهم حول السنة ص ٤١- ٤٥ بتصرف.

وقد أفتى ما لا يقل عن ألف عام من علماء الدين في باكستان والهند والشام والحجاز بتفكيره وخروجه عن رِبْقَةِ الإسلام.[٢]

فرق القرآنيين الموجودة حالياً في باكستان[٣]:

١- فرقة أهل الذكر والقرآن:

يرأسها في الوقت الحاضر: محمد علي رسول لكوي، وهي البقية الباقية من أصل فرقة عبدالله الجَكْرَالَوِي، مؤسس جماعة أهل القرآن، ولها مراكز متعددة في مدن باكستان، ولها مجلة تصدر في لاهور باسم (بلاغ القرآن) تنقل أفكار الفرقة إلى أتباعهم في أنحاء باكستان.

٢- فرقة الأمة المسلمة:

وضع أسسها الخواجة أحمد الدين في أمرتسر بالهند، ثم انتقلت الفرقة إلى لاهور بعد وجود باكستان عام ١٩٤٧م، وتعتبر مجلة (فيض إسلام) ممثلة لوجهات نظر هذه الفئة، ولهم اجتماعات أسبوعية في مقرها الرئيسي بلاهور.

٣- حركة تعمير البشرية:

فرقة حديثة العهد، يرأسها ويمولها المدعو: عبدالخالق مالوه، ومن أنشط وأبرز أعضائها القاضي كفاية الله الشاب المتحمِّس لهذه الدعوة، ويؤلف الكتب في تأييد الحركة والدعوة إليها، ومركز هذه الفتنة أيضاً مدينة لاهور.

٤- فرقة طلوع إسلام:

أنشط فرق أهل القرآن الموجودة في هذه الأيام، قام بتأسيسها غلام أحمد بَرْوِيز في الهند، ثم انتقل إلى باكستان بعد وجودها، ولها فروع في كل مدينة من مدن باكستان، ولها مجلة ناطقة باسمها وهي مجلة (طلوع إسلام) تنشر أفكار الفئة منذ بضع وخمسين سنة، ومركزها الرئيسي: مدينة لاهور.

الفتنة في البلاد العربية:

قال الشيخ أحمد الصويان في كتاب منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة:

(يوجد في مصر الآن جماعة يطلقون على أنفسهم: "القرآنيون" ويشتهرون إعلامياً باسم: "الفرماوية" نسبة إلى شيخ صوفي ضال اسمه: "الفرماوي" يردُّ السنة كلها إلاَّ ما وافق قلبه فيما زعم، حيث يقول: حدثني قلبي عن ربي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا وكذا ..!!) انتهى [١].

وأثار هذه الفتنة في مصر أيضاً توفيق صدقي، إذ نُشر له مقالان في مجلة المنار في العددين السابع والثاني عشر من السنة التاسعة أعلن فيهما رأيه تحت عنوان"الإسلام هو القرآن وحده" وأيَّده السيد رشيد رضا، ولكنهما والحمدلله رجعا[٢] عن موقفهما هذا المناوي من السنة البنوية.

---

(٢) ينظر: زوابع في وجه السنة ص ٩٩-١٠٠ ، والقرآنيون وشبهاتهم حول السنة ص ٤٧- ٥٤ بتصرف.

(٣) ينظر: اهتمام المحدثين بنقد الحديث ص ٤٦٠ — ٤٦١ ، وزوابع في وجه السنة ص ١٠٣- ١٠٤ ، والقرآنيون وشبهاتهم حول السنة

ص ٥٧- ٦٤.

(١) ينظر: منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة ص ٧٠.

وأثارها كذلك أحمد أمين الذي حمل على السنة النبوية وانتقد أصول نقدها في كتابيه: "فجر الإسلام"، "وضحى الإسلام".

وإسماعيل أدهم في عاد ١٣٥٣هـ.

ثم جاء محمود أبو رية الذي تسلَّم اللواء ونشر نتيجة بحثه في كتابه: أضواء على السنة المحمدية[٣].

وقد ردَّ على أبي رية الشيخ العلامة محمد عبدالرزاق حمزة في كتابه: "ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية"، وكذلك الشيخ العلامة عبدالرحمن بن يحي المعلمي اليماني في كتابه: "الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة".

* والمقصود أن منكري السنة النبوية في البلاد العربية ظهرت في أشخاص أثاروا الفتنة من وقت لآخر، ولكنها أصبحت مؤامرة محبوكة في شبه القارة الهندية، واتخذت طابع جماعة منظمة كما تقدم، والله أعلم.

الفصل الثالث

علاقة القرآنيين بالخوارج

إن الناظر في تاريخ الإسلام ليجد أن الخوارج[١] من أوائل الفرق التي وقعت في الضلالة التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((ألا هل عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وهو مُتَّكِئٌ على أَرِيكَتِهِ فيقول: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ، فما وَجَدْنَا فيه حَلالاً اسْتَحْلَلْنَاهُ، وما وَجَدْنَا فيه حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ، وَإِنَّ ما حَرَّمَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كما حَرَّمَ الله)) [٢].

فهم لم يأخذوا إلاَّ بما جاء في القرآن الكريم، وقد كان هذا سبباً من أسباب ضلالهم وانحرافهم.

فنجد أن الخوارج على اختلاف فرقهم، يعدِّلون الصحابة جميعاً قبل الفتنة ثم بعد الفتنة يكفرون علياً وعثمان وأصحاب الجمل وصفين والحكمين ومَن رضي بالتحكيم وصوَّب الحكمين أو أحدهما، وبذلك ردوا أحاديث جمهور الصحابة بعد الفتنة، لرضاهم بالتحكيم واتباعهم أئمة الجور على زعمهم فلم يكونوا أهلاً لثقتهم[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمة: (وقد حكى أرباب المقالات عن الخوارج أنهم يُجَوِّزُن على الأنبياء الكبائر، ولهذا لا يلتفتون إلى السنة المخالفة في رأيهم لظاهر القرآن وإن كانت متواترة، فلا يرجمون الزاني، ويقطعون يد

---

[٢] ذكر ذلك الدكتور / مصطفى السباعي في كتابه السنة ومكانتها ص ٣٠، وصلاح مقبول في كتابه زوابع في وجه السنة ص ٧٥.

[٣] ينظر: اهتمام المحدثين بنقد الحديث ص ٤٥٤ وزوابع في وجه السنة ص ٧٤- ٨٤ وجهود المحدثين في نقد متن الحديث ص ٤٤٠- ٤٤١.

[١] لمزيد من التوسع في معرفة فرقة الخوارج يراجع كتاب ((الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام مناهجهم وأصولهم وسماتهم – قديمًا وحديثًا– وموقف السلف منهم)) لشيخنا الدكتور/ ناصر بن عبد الكريم العقل.

[٢] أخرجه الترمذي في سننه في كتاب العلم : باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ ٣٧/٥ح ٢٦٦٤، وابن ماجه في سننه في المقدمه ٦/١ح ١٢ ، وأخرجه بنحوه أبو داود في سننه في كتابه السنة : باب لزوم السنة ١٠/٥ح ٤٦٠٤.

[٣] ينظر: السنة ومكانتها في التشر يع للسباعي ص١٣٠، والسنة حجيتها ومكانتها في الإسلام للدكتور محمد لقمان السلفي ص ٢٠٦، وزوابع في وجه السنة ص ٥١- ٥٢ ، والقرآنيون وشبهاتهم حول السنة ص ٨٢- ٨٧.

السارق فيما قلّ وكثر، زعمًا منهم على ما قيل إنه لا حجة إلاَّ القرآن، وأن السنة الصادرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ليست حجة، بناء على ذلك الأصل الفاسد) [٤].

قال أيضًا: (والخوارج جوَّزوا على الرسول نفسه أن يجور ويضل في سنته، ولم يُوجِبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف- بزعمهم - ظاهر القرآن)[٥].

فمن خلال ما تقدَّم نعرف العلاقة بين القرآنيين والخوارج، فالشبهة التي أثارها القرآنيون حول السنة وحجيتها هي في الواقع شبهة قديمة موروثة من أسلافهم القدامى من الخوارج، فالخوارج هم البذرة الأولى لآراء وأفكار القرآنيين، والعجيب في الأمر: أن الأسباب والشبهات التي جعلت القرآنيين يعتمدون على القرآن وحده ويتركون السنة ، هي نفس بعض الأسباب التي دعت الخوارج إلى إنكار السنة- والله أعلم.

الفصل الرابع

شبهات القرآنيين حول السنة

تبين مما سبق أن القرآنيين يرون أن السنة لا تصلح حجة في الدين، وهذا بلا شك مسلك خطير حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم، وذمه أصحابه من بعده، فقد جاء رجل إلى عمران بن حصين رضي الله عنه وهو جالس مع أصحابه يحدِّث، فقال الرجل: حدِّثوا عن كتاب الله ولا تحدِّثوا عن غيره، فقال له عمران: إنك امرؤ أحمق، أتجد في كتاب الله أن صلاة الظهر أربع لا يجهر فيها؟ وعدَّ الصلوات وعدَّ الزكاة ونحوها، ثم قال: أتجد هذا مفسراً في كتاب الله؟ إن كتاب الله أبهم هذا وإن السنة تفسر ذلك[١].

وفي هذا الفصل نتصدى لبعض شبهات القرآنيين، ونورد الأجوبة عليها.

الشبهة الأولى:[٢]

تتلخص في قولهم: حسبنا كتاب الله، فهذا يدل على أن الكتاب قد حوى كل شئ من أمور الدين، وكل حكم من أحكامه، وأنه بينه وفصله، بحيث لا يحتاج إلى شيء آخر كالسنة، فلو كانت السنة حجة لما صدقت هاتان الآيتان.

---

[٤] ينظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ١٨٤.

[٥] ينظر: الفتاوى ٧٣/١٩.

[١] ذكره البيهقي في دلائل النبوة ٢٥/١ والخطيب البغدادي في الكفاية ص ٤٨، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ١٩١/٢.

[٢] ينظر: السنة ومكانتها للسباعي ص١٥٣و١٥٥- ١٥٦ ومكانة السنة في الإسلام للدكتور محمد أبو زهو ص٢٦، وحجية السنة لعبدالغني عبدالخالق ص٣٨٤- ٣٨٩، والسنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها للدكتور مكي الشامي ص١٢٨- ١٢٩ وجهود المحدثين في نقد متن الحديث للجوابي ص٤٤١و٤٤٣، والقرآنيون وشبهاتهم حول السنة ص٢١٠- ٢١٣.

الجواب عن ذلك:

إن القرآن بيان لأمور الدين إما بطريق النص، وإما بطريق الإحالة على السنة، قال الإمام الشافعي في الرسالة: ((والبيان اسم جامع لمعاني مجتمعة الأصول متشعبة الفروع، فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه مما تعبدهم به لما مضى من حكمه جلَّ ثناؤه من وجوه:

فمنها: ما أبانه لخلقه نصاً، مثل جمل فرائضه، في أن عليهم صلاة وزكاة وحجاً وصوماً، وأنه حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونص الزنا، والخمر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وبيَّن لهم كيف فرضُ الوضوء، مع غير ذلك مما بيَّن نصاً.

ومنه: ما أحكم فرضه بكتابه، وبيَّن كيف هو على لسان نبيه، مثلُ عدد الصلاة والزكاة ووقتها.

ومنه: ما سنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مما ليس لله فيه نصُّ حكمٍ، وقد فرض اللهُ في كتابه طاعةَ رسوله صلى الله عليه وسلم ، والانتهاء إلى حُكْمه، فمَن قَبِلَ عن رسول الله فبفرضِ اللهِ قَبِلَ...))[1].

الشبة الثانية[3]:

أن السنة ليس وحيًا من الله عزَّ وجلَّ، وإنما هي أقوال نسبها الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زورًا وتزييفًا، وأنه لم ينزل عليه شيء من الوحي سوى ما حواه القرآن، يقول عبدالله جَكْرَالَوِي: (إنا لم نؤمر إلاَّ باتباع ما أنزَّله الله بالوحي، ولو فرضنا جدلاً صحة نسبة بعض الأحاديث بطريق قطعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم: فإنها مع صحة نسبتها لا تكون حجة واجبة الاتباع؛ لأنها ليست بوحي منزِّل من الله عزَّ وجلَّ).

الرد:

القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ينزل عليه الوحي غير القرآن، قول مخالف للقرآن، فالوحي على ثلاثة أقسام: وحي بمعنى الإلقاء والإلهام، ووحي من وراء الحجاب، وثالث بواسطة الملك الكريم، والقرآن من قبيل القسم الثالث: فالقرآن قسم واحد من الوحي، فثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلقى أمور الدين عن طريق كلا القسمين.

فصح أن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كله في الدين وحي من عند الله عز وجل، لا شك في ذلك، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله فهو ذكر منزَّل
والرقآن ذكر الإنذار والوعيد الشديد للنبي صلى الله عليه وسلم لو تكلَّف القول وافترى على الله حاشا أن يفعله صلى الله عليه وسلم فهل يتصور صدور تحليل أو تحريم أو تقييد أو تفصيل في الدين من عند نفسه، إذن فهو مُبلِّغ عن ربه تبارك وتعالى ولا يمكن ذلك إلاَّ عن إعلام واطلاع له من الله عز وجل، فالسنة وحي؛ لأنه إعلام من الله وإخبار عنه، والآيات الدالة على أن السنة وحي كثيرة جدًا.

---

[1] ينظر: الرسالة للإمام الشافعي ص٢١-٢٢ بتصرف.

[3] ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ص ٢١٣-٢١٩، والسنة حجيتها ومكانتها في الإسلام للدكتور محمد لقمان السلفي ص ٥٤-٦١ و٢٧٨-٢٧٩.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألا إني أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ معه، لا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانٌ على أَرِيكَتِهِ يقول: عَلَيْكُمْ بهذا الْقُرْآنِ فما وَجَدْتُمْ فيه من حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ، وما وَجَدْتُمْ فيه من حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، ألا لا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، ولا كُلُّ ذِي نَابٍ من السَّبُعِ ...))[١].

الشبهتان الثالثة والرابعة[٢]:

ومن شبهاتهم: بشرية الرسول، حيث قالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد انتهت مهمته بتبليغ القرآن، وكان في أعماله كلها كأي بشر آخر، وكان يعاتب على أموره الاجتهادية في أمور الدين، فقالوا: هذه أدلة قاطعة على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بشراً محضاً بعد إبلاغ القرآن.

وشبهتهم الرابعة: قالوا: طاعة الرسول ليست عبادة أو حجة، وهذه الشبهة بنوها على التي سبقت، فقالوا: الرسول صلى الله عليه وسلم مأمور باتباع القرآن.

الرد:

إنهم بهذه الشبهة وصلوا في رفض السنة إلى نقطة جعلت النبي صلى الله عليه وسلم مثل سائر الناس، ونسو أنه ليس هناك بون شاسع بين إنكار (الرسول) وإنكار (أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم)، وصدق عليهم قول الشاعر: كبهيمة عمياء قَادَ زمامَها أعمى على عوج الطريقِ الحائرِ

فإن القرآن الذي يستدلون به على الباطل قد قرأه ملايين المسلمين في كل عصر ومئات الألوف منهم قد أفنوا حياتهم في فهم دقائق القرآن، ولم ينقل عن أحد منهم ما يتشدقون به من قصر وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم على إبلاغ القرآن فقط، وأما استدلالهم بالآيات الأُخريات على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد فيخطئ، فاستدلالهم بها على ما يرونه نتيجة لدراسة ناقصة للقرآن، أو تعمد للاستدلال على هوى النفس.

أما الاستدلال بالآيات الأخر، على أنه صلى الله عليه وسلم كان يقع في أخطاء كثيرة وقد ذكر الله بعضها لنبيه، فإنه استدلال معكوس؛ لأن الذي يفهم منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم تحصل منه إلاَّ أخطاء معدودة ذكرها الله في القرآن ونبَّهه عليها ليكون على يقين واطمئنان أن سنته المنقولة إلينا صحية ومؤيدة بوحيٍ من الله، إذ لو وقع في أخطاء أخرى غير المذكورة لذكرها الله تعالى حفظاً لدينه.

ثم إن الأمور التي نبَّهه الله عليها ليست أساسية في الدين، ومع ذلك صححت أخطاؤه من قبل الله، فتنبيه الرسول صلى الله عليه وسلم في الأخطاء اليسيرة دليل قاطع لمن له عقل سليم على أنه رسول من الله، وأن ما يصدر عنه تشريع إلهي.

وأما الرد على الشبهة الرابعة:

لا شك أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم عبادة وحجة، وأما قولهم: إن الأمة مأمورة باتباع القرآن وحده كما كان الرسول نفسه مأموراً باتباع القرآن وحده، فهو خلاف الواقع، وهناك آيات كثيرة تدل دلالة واضحة على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حاكماً بوحي من الله مأموراً به، وأنه كان جزءاً من رسالته، والنبي صلى الله

---

[١] سنن أبي داود في كتاب السنة: باب لزوم السنة (١٠/٥) ح (٤٦٠٤).

[٢] ينظر: السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام د.محمد لقمان السلفي ص (٢٦٣-٢٧٥) بتصرف.

عليه وسلم كان قاضياً مأموراً من الله، وكان شارحاً للقرآن ومفسراً له بأمر من الله، وكان مشرعاً بوحي من الله،وكان أسوة للأمة،والآيات الدالة على وجوب طاعته كثيرة جداً.

الشبهة الخامسة:

عدم يقينية السنة، فالسنة ليست قطعية الثبوت كالقرآن، وما كان هذا شأنه لا يصلح مصدراً للتشريع وأساساً للدين، ويُرجع القرآنيون ذلك إلى عدة أسباب:

السبب الأول:[1]

هو: تأخر تدوينها مع ضعف الذاكرة البشرية، يقول عبدالله جَكْرَالَوِي: (لم تدون السنة أيام حياته عليه الصلاة والسلام، وتناقلت سماعاً إلى القرن الثالث الهجري، وإذا كان سامعونا لا يستطيعون ذكر ما تحدثنا عنه في خطبة الجمعة الماضية، فكيف بسماع مائة سنة وصحة بيانه؟!).

الرد:

والجواب على هذه الشبهة من وجهين:

الوجه الأول: قولهم تأخر تدوينها، فهذا ليس بصحيح، نعم ثبت نهيه صلى الله عليه وسلم عن كتابة الحديث، فقد أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غيرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا عَنِّي ولا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ).[2]

فهذا النهي كان في أول الأمر خوف التباسه بالقرآن الكريم، لاسيما وقد كان القرآن ينزل منجماً آية آية وسورة سورة، فمن الجائز جداً أن يلتبس الأمر على كثير من الناس، فيضعوا الحديث موضع الآية، وفي هذا خطر عظيم، لا سيما إذا علمت أن الكتابة في هذا الوقت كانت على قطع متفرقة من الجلد والحجارة وما أشبه ذلك، كما أن نهيه صلى الله عليه وسلم عن كتابة الحديث كان للمحافظة على ملكات الصحابة في الحفظ فقد كانوا يعولون عليه دون الكتابة، وكذلك الكتابة لم تكن شائعة فيهم، وما كان من الكتابة عندهم ففي أفراد قلائل انحصرت جهودهم في كتابة القرآن الكريم والرسائل النبوية إلى الملوك وغيرهم، فلو أنهم كلفوا مع ذلك كتابة السنن لوقع الناس في حرج عظيم.

فإذن كان النهي خاصاً بوقت نزول القرآن خشية التباسه بالحديث، والذي استظهره العلماء أن آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الإذن في كتابة السنن، فقد جاء الإذن منه صلى الله عليه وسلم

---

[1] للتوسع في هذا المبحث ينظر: السنة ومكانتها للسباعي ص (١٥٨-١٦١)، والسنة حجيتها ومكانتها للسلفي ص (١٦٥-١٨١)، وحجية السنة ص (٣٩٢-٣٩٨)، والسنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب ص (٣٠٣-٣٢١)، ودفاع عن السنة لمحمد أبو شهبة ص (١٩-٢٣)، ومعالم السنة النبوية للعتر ص (٧١-٨٤)، والسنة النبوية وعلومها لأحمد هاشم ص (٥٥-٦١)، وتدوين السنة النبوية للزهراني ص(٦٥-٨٥)، ومكانة السنة النبوية في الإسلام لمحمد أبو زهو ص (٢٧-٢٨)، والقرآنيون وشبهاتهم حول السنة ص (٢٤٢-٢٤٧).

[2] صحيح مسلم في كتاب الزهد: باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم (٢٢٩٨/٤) ح (٣٠٠٤).

بالكتابة وإباحتها، فقال: ((اكْتُبُوا لأبي شَاهٍ))[٣]، يعني خطبته يوم فتح مكة، كما أذن لعبدالله بن عمرو بن العاص، قال عبدالله: (كنتُ أَكْتُبُ كُلَّ شيء أَسْمَعُهُ من رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أُرِيدُ حِفْظَهُ فنهتني قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: إنك تَكْتُبُ كُلَّ شيءٍ تَسْمَعُهُ من رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذلك لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال: ((اكْتُبْ فوالذي نفسي بيدهِ ما خَرَجَ مني إلاَّ حَقٌّ)) [١].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: (ما من أَصْحَابِ النبي صلى الله عليه وسلم أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عنه مِنِّي إلاَّ ما كان من عبداللَّهِ بن عَمْرٍو فإنه كان يَكْتُبُ ولا أَكْتُبُ).[٢]

وقد همَّ النبي صلى الله عليه وسلم بالكتابة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا اشْتَدَّ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَجَعُهُ قال: ((ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ)).[٣]

وقد دوَّن عليه الصلاة والسلام جزءاً من سننه كالمعاهدات والكتب المرسلة إلى الملوك والرؤساء، وفد دوَّن صحابته في عهده وبعده، فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد دوَّن شيئاً من الحديث، فعن أبي جُحَيْفَةَ قال: قلت: لِعَلِيٍّ هل عِنْدَكُمْ كِتَابٌ؟ قال: لا إلاَّ كِتَابُ اللَّهِ، أو فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أو ما في هذه الصَّحِيفَةِ، قال: قلت: فما في هذه الصَّحِيفَةِ؟ قال: الْعَقْلُ، وَفَكَاكُ، الأسِيرِ، ولا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ. رواه البخاري[٤].

وكذلك عبدالله بن عمرو بن العاص كانت له صحيفة تسمى الصادقة، وسمرة بن جندب له صحيفة، قال عنها ابن سيرين: إنما اشتملت على علم كثير. وسعد بن عبادة، وعبدالله بن أبي أوفى، وعبدالله بن مسعود.

وكان لجابر بن عبدالله الأنصاري صحيفة، ولأنس بن مالك صحيفة كان يبرزها إذا اجتمع الناس، ولهمام بن منبه صحيفة رواها عن أبي هريرة، وكان ابن عباس معروفاً بطلب العلم وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان يسأل الصحابة ويكتب عنهم.

وكذلك حمل راية التدوين التابعون، مثل الحسن البصري، والزهري، وغيرهم، والإمام الزهري هو أول مَن دوَّن السنة رسمياً بأمر من الخليفة عمر بن عبدالعزيز، ثم تلاهم مالك والشافعي وأحمد، وأخيراً جاء البخاري إمام المحدثين، وتلاه الأئمة، ويعتبر عهد هؤلاء عهد تمييز السنة وفحصها.

إذن تأخر تدوين السنة أمر مرفوض، وقد أثبتت الأدلة خلافه، وقد شاع تدوينها رسمياً في أوائل القرن الثاني كما دوَّنها الإمام الزهري رحمه الله، ولكن ليس معنى هذا أنها لم تدوَّن قبله، فقولهم: إنها لم تدوَّن إلاَّ في القرن الثالث، بعيد كل البعد.

---

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب اللقطة: باب كيف لقطة أهل مكة (١٨٦/٢) ح (٢٤٣٤).

[١] أخرجه أحمد في مسنده (١٦٢/٢) ح (٦٥٠٧).

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم: باب كتابة العلم (٥٧/١) ح (١١٣).

[٣] أخرجه البخاري في الموضع السابق، ح (١١٤).

[٤] أخرجه البخاري في الموضع السابق، (٥٦/١) ح (١١١).

القسم الثاني من الشبهة:

قولهم : ضعف الذاكرة البشرية، فالواقع يبطله عن العرب خاصة،؛ لأن العرب كانوا يعتمدون على الذاكرة أكثر من الكتابة، فالذاكرة هي سجل تاريخهم، يقول الإمام الزهري: (ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته)[١]، قال ابن عبدالبر: (إن أبا بردة قال: كان أبو موسى يحدثنا بأحاديث فقمنا لنكتب، فقال: أتكتبون ما سمعتم مني، قلنا: نعم، قال: فجيئوني به، فدعا بماء فغسله، وقال: احفظوا عنا كما حفظنا)[٢]، فهذه الذاكرة الفذة التي امتاز بها العرب على غيرهم كونت مصدراً من مصادر حفظ السنة.

فليس لمنكري السنة إلاّ طريقان: إما أن ينكروا الرواية جملة وتفصيلاً، وبذا يصبحون منكرين للقرآن والحديث، وإما أن يُقروا بهما معاً، أما الاعتراف برواية القرآن وإنكار رواية السنة فهو ترجيح بلا مرِّجح.

السبب الثاني:[٣]

أن السنة رويت بالمعنى، ولم يتكفَّل الله بحفظها، فدخلها الكثير من الوضع، قالوا:

١ - السنة المدونة في الكتب المعتمدة هي رواية بالمعنى.

٢ - وقالوا: لو كانت السنة حجة كالقرآن لتكفَّل الله بحفظها.

٣ - دخل في السنة كثير من الأحاديث الموضوعة.

الجواب:

١ - طعنهم في رواية السنة بالمعنى:

نقول ليس ذلك على إطلاقه، بل إن العلماء اشترطوا على الراوي بالمعنى أن يكون عالماً بالألفاظ ومدلولاتها ومقاصدها، خبيراً بما يحيل معانيها، بصيراً بالترادف بينها،كما ذكر ذلك علماء المصطلح[٤]، فإن لم يكن عارفاً بالألفاظ ومقاصدها خبيراً بما يحيل معانيها بصيراً بمقادير التفاوت بينها، فلا خلاف بين العلماء أن لا يجوز له رواية الحديث بالمعنى، وعليه ألاَّ يروي إلاَّ على الوجه الذي سمعه.

فإذا توفرت شروط الرواية بالمعنى في الراوي فقد أجاز جمهور العلماء روايته، حيث عمل الصحابة على رواية الحديث بالمعنى وجوَّزوه لمن بعدهم، ولكن لا تجوز لمن فقد شرطاً من شروطها، ثم إن المحدثين يعرفون روايته بعرضها على رواية الثقات.

٢ - وأما قولهم: إن الله لم يتكفَّل بحفظ السنة، فجوابه:[١]

أن الذكر الذي وعد الله بحفظه عام يشمل القرآن والسنة، ويمثل شرع الله الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس صحيحاً أن الله لم يتكفَّل بحفظ سنته، فقد حفظها الله تعالى بما هيأه لها من رواة

---

[١] ينظر: تهذيب التهذيب (٤٤٨/٩).

[٢] ينظر جامع بيان العلم وفضله (٦٦/١)؟

[٣] ينظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ص (٢٥٠-٢٥٣)، والسنة حجيتها ومكانتها للسلفي ص (١٥٧-١٦٠).

[٤] ينظر تدريب الراوي للسيوطي (٩٨/٢).

[١] ينظر: جهود المحدثين في نقد متن الحديث للجوابي ص (٤٤٤)، والسنة ومطاعن المبتدعة ص (١٢٩-١٣٠).

حفاظ أتقنوا حفظها، وبلَّغوها كما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أئمة نقاد تتبعوا نقلتها، وشرطوا فيها الشروط، وسنوا من قوانين النقل ما صان المنقول عن التحريف خطأ أو عمداً.

وقد ردَّ ابن حزم رحمه الله على مَن خصَّ الذكر بالقرآن، فقال: (ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل الوحي نزل من عند الله فهو ذكر منزل، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفَّل الله بحفظه فمضمون ألاَّ يضيع منه، وألاَّ يحرف منه شيء أبداً تحريفاً لا يأتي البيان ببطلانه ...، ثم قال: (والذكر اسم واقع على كل ما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم من قرآن أو سنة وحي يبين بها القرآن) [(٢)].

٣ – وأما قولهم: إن السنة دخلها كثير من الوضع، فجوابه[(٣)]:

أن العلماء ميَّزوا الأحاديث الصحيحة من الموضوعة، فألفوا كتباً في الموضوعات، وشرطوا في الرواة الشروط الكثيرة لقبول أخبارهم، حتى أفردوا لذلك فناً خاصاً يسمى "مصطلح الحديث"، وكذلك فعلوا في تاريخ الرواة وأفردوا فناً أسموه فن "الجرح والتعديل"، فأي حجة بعد ذلك تصرفنا عن الاحتجاج بالسنة؟! والله أعلم.

السبب الثالث:

قالوا: السنة أخبار آحاد تحمل الصدق والكذب، ومعيار المحدثين غير مجدٍ في تمحيصها.

الجواب[(٤)]:

نقول: وإن كان احتمال الصدق والكذب قائماً، وكذلك احتمال الخطأ والصواب، لكن العلماء اشترطوا في قبول خبر الآحاد شروطاً خمسة، تجعلنا نرجّح جانب الصدق والضبط على جانب الكذب والخطأ، فإذا كان الراوي عدلاً ضابطاً، واتصل السند برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلا الحديث من الشذوذ والعلة كان ذلك مرجِّحاً لصدق الراوي ويكون حديثه مقبولاً محتجاً به.

فأوجب الله تعالى علينا التثبت في خبر الفاسق؛ لعلة وهي الفسق، فإذا انعدمت هذه العلة بأن كان المخبر عدلاً لم يجب علينا التثبت، وكان علينا أن نقبل خبره دون توقف أو تثبت؛ لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً.

والواقع أن أصول الإسلام كلها مبنية على الأدلة القطعية اليقينية، وفروع تلك الأصول وإن ثبتت بأخبار آحاد – على القول بأنها تفيد الظن – فليس معنى الظن أنه تخمين وتخريص، فيجب العمل بخبر الواحد في الأحكام العملية والأمور الاعتقادية، فقد قامت الأدلة على وجوب العمل به، **ومن ذلك:**

---

(٢) ينظر: الإحكام لابن حزم (١/١٢١).

(٣) ينظر: مكانة السنة في الإسلام لمحمد أبو زهو ص (٣٠).

(٤) ينظر: القرآنيون ص (٢٥٤-٢٥٥)، ومكانة السنة في الإسلام ص (٣٣-٣٤)، وتدوين السنة للزهراني ص (٥٣-٦١)، والسنة ومكانتها للسباعي ص (١٧١-١٨٦)، وللشيخ العلامة/عبدالله بن جبرين رسالة ماجستير بعنوان "أخبار الآحاد في الحديث النبوي حجتها، مفادها، العمل بموجبها"، وهو كتاب مطبوع، هو عظيم القدر في بابه.

ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم من إرساله آحاد الصحابة إلى الملوك في زمانه، وحمَّلهم الرسائل التي دعاهم فيها إلى الإسلام أصلاً وفرعاً، وقد حصل بهم تبليغ الرسالة.

ومن ذلك حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه المتفق عليه، لما بعثه إلى اليمن قال له: ((إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا من أَهْلِ الْكِتَابِ، فإذا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إلى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أطاعوا لك بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قد فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كل يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أطاعوا لك بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قد فَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤْخَذُ من أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ على فُقَرَائِهِمْ..)) [١].

فانظر كيف أمره بتقديم الدعوة إلى التوحيد، ثم بأركان الإسلام، وقد ألزمهم صلى الله عليه وسلم بفعله هذا قبول خبره وهو واحد، فقامت عليهم الحجة بذلك.

ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى كل ناحية عدد التواتر لخلت المدينة من أصحابه، وأخرج الشافعي في الرسالة[٢]، والبخاري في الصحيح[٣] كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (بَيْنَما الناسُ بِقُبَاءٍ في صَلاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فقال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قد أُنْزِلَ عليه اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وقد أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إلى الشام، فَاسْتَدَارُوا إلى الْكَعْبَةِ)، قال الإمام الشافعي: (لم يكن لهم أن يدعوا فرض الله في القبلة إلاَّ بما تقوم عليهم الحجة... وانتقلوا بخبر واحد، إذ كان عندهم من أهل الصدق...) [٤].

قال الحافظ ابن حجر عن الحديث: (والحجة منه بالعمل بخبر الواحد ظاهرة؛ لأن الصحابة الذين كانوا يصلون إلى جهة بيت المقدس تحولوا عنه بخبر الذي قال لهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يستقبل الكعبة، فصدقوا خبره، وعملوا به في تحولهم عن جهة بيت المقدس) [٥].

وقد بسط الرد على المبتدعة في ردهم لخبر الواحد الإمام الشافعي في كتابه "الرسالة" حيث عقد فصلاً مطولاً في حجية خبر الواحد، ثم تبعه جمع من الأئمة وعلى رأسهم الإمام البخاري، حيث أفرد كتاباً مستقلاً في صحيحه، سماه: "أخبار الآحاد" ذكر فيه عدداً من الأحاديث التي تدل على وجوب العمل بحديث الآحاد في العقائد والأحكام، وجعله بين يدي كتاب: "الاعتصام بالسنة".

قال ابن عبد البر عن مذهب الأئمة من أهل الفقه والأثر: (وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعاً وديناً في معتقده، وعلى ذلك جماعة أهل السنة) [١]، وقال النووي: (والذى عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة (٤٣٠/١) ح (١٣٩٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان: باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (٥٠/١) ح (١٩).

[٢] الرسالة ص (٤٠٦).

[٣] البخاري في صحيحه في كتاب أخبار الآحاد: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق (٣٥٤/٤) ح (٧٢٥١).

[٤] ينظر الرسالة ص (٤٠٧).

[٥] ينظر: فتح الباري (٢٥١/١٣).

[١] ينظر: التمهيد (٨/١).

الأصول: أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع، يلزم العمل بها، ... وأن وجوب العمل به عرفناه بالشرع لا بالعقل)[٢]، وقال ابن أبي العز الحنفي: (وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع) [٣].

وأما قولهم: عن معيار المحدثين إنه غير مجدٍ:

فهذا غير صحيح، فإن المحدثين لم يدعوا شيئاً من الأحاديث إلاَّ بيَّنوا منزلته من القبول والرد، حتى أفردوا لذلك فناً خاصاً يسمى "علم مصطلح الحديث"، وكذلك فعلوا في تمحيص الرواة، فأفردوا لذلك فناً أسموه فن "الجرح والتعديل"، فالمحدثون استخدموا أقصى ما يمكن للإنسان من وسائل معتبرة في مجال التحقيق، وشدَّدوا في تطبيقه تشديداً لا يوجد له نظير في حقبة التأريخ. والله أعلم.

الفصل الخامس

المقارنة بين القرآنيين والمستشرقين[١]

١ - المستشرقون أصلهم من الغرب من اليهود والنصارى.

- وأما القرآنيون فأصل نشأتهم من شبه القارة الهندية، ولهم مَنْ يؤيدهم ويتبنى أفكارهم في البلاد العربية، فهم ينتسبون إلى الإسلام بزعمهم.

٢ - المستشرقون شكَّكوا في صحة القرآن، وطعنوا فيه، وقالوا: إن القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم ، اقتبسه من التوراة والإنجيل والوثنيات التي عاصرها.

- أما القرآنيون: فلا يطعنن في القرآن الكريم، فهم يعظِّمونه، ويتمسكون به، ويعتبرونه المصدر التشريعي وحده.

٣ - المستشرقون شكَّكوا في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالوا: إنه رجل ومفكر سياسي.

- أما القرآنيون: فيقرون برسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

٤ - المستشرقون يُدعمون من الدول الغربية دعماً قوياً.

- والقرآنيون تلقوا الدعم في بداية نشأتهم من الاستعمار الإنجليزي، لكن لا يُدعمون على المستوى الدولي.

٥ - المستشرقون وجدوا الشبه حول السنة النبوية المتناثرة في كتب الشيعة والمعتزلة أكبر معين لهم على تحقيق غايتهم من استعمار المسلمين فكرياً، فصاغوها في قالب جديد من العبارات البراقة، والترتيب الجذاب.

- فجاء القرآنيون فنقلوا الشبهات التي أثارها المستشرقون حول السنة إلى اللغة الأردية، وأضافوا عليها قليلاً من عند أنفسهم، وحاولوا إقناع الأمة بأنه لا حجية للسنة إطلاقاً، إنما الحجة هي للقرآن وحده.

---

[٢] ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٣١).

[٣] ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/٥٠١).

[١] ينظر: الاستشراق للدكتور أحمد فرج ص (٩-١١)، والاستشراق رسالة استعمار للفيومي ص (٢٩٥)، وموقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية لأكرم ضياء العمري، والموسوعة الميسرة ص (٣٧)، والسنة حجيتها ومكانتها للسلفي ص (٢١٧و٢٥٨-٢٦٠).

٦ -المستشرقون قدحوا في عدالة الصحابة والتابعين، واتهموا الأئمة والمحدثين بالحمق والبلاهة، والكذب والخيانة.

- والقرآنيون: يطعنون في معيار المحدثين لتمحيص الأحاديث.والمستشرقون والقرآنيون يشتركان في شُبهٍ كثيرة يطول الكلام في استقصائها.

الخاتمة

وفي نهاية المطاف حول الحديث عن القرآنيين أوجز أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط الآتية:

١ - إن منشأ القرآنيين من شبه القارة الهندية.

٢ - إن القرآنيين هم الثمرة الطبيعية للآراء التي بثها أعضاء حركة السيد أحمد خان.

٣ - إن الاستعمار الإنجليزي في شبه القارة الهندية كان له الدور الأول في تأسيس حركة القرآنيين وتشجيعهم على جهودهم.

٤ - تزامن ظهور حركة القرآنيين بظهور حركة القاديانية، في شبه القارة الهندية.

٥ - إن القرآنيين ينادون بالاعتماد على القرآن وحده، وينكرون الاحتجاج بالسنة النبوية، ولا يعتبرونها مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي.

٦ - تأثر بحركة القرآنيين بعض الأشخاص في الدول العربية فتبنوا أفكارهم.

٧ - تبين أن فكر القرآنيين تأثر بفكر الخوارج والشيعة والمعتزلة والمستشرقين، وذلك حول الشبه التي أثاروها على السنة النبوية.

٨ - إن علماء السنة قد تنبهوا لحركة القرآنيين، فردوا عليهم وعلى شبههم، وبينوا عورهم للمسلمين، وألفوا الكتب والرسائل المستقلة في ذلك.

٩ - إن السنة النبوية مصدر من مصادر التشريع، ولا يخالف في ذلك إلاَّ من لا حظ له في الإسلام.

١٠ -إن المحدثين على مرِّ العصور قد بذلوا جهوداً عظيمة من أجل الحفاظ على السنة النبوية، فحفظها الله عزَّ وجلَّ من كيد الطاعنين — ولله الحمد والمنة.

التوصيات: يمكن أن أجمل التوصيات في النقاط الآتية:

١ - تربية الناشئة من أبناء المسلمين على الأصلين العظيمين: الكتاب والسنة، وربطهم بهما، من خلال تقرير مناهج دراسية مؤصلة، تهدف إلى تحقيق هذا الترابط.

٢ - تبصير المجتمع بالهجمة الماكرة لهدم السنة النبوية، أو التشكيك فيها، أو التهوين من أمرها، وبيان أن الهدف من هذا هو هدم الإسلام، وذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

٣ - إنشاء جمعيات علمية متخصصة في السنة وعلومها في البلاد الإسلامية؛ لتعليم السنة ونشرها والرد على الشبه المثارة حولها.

٤ - العمل على وضع برامج تعليمية، تهدف إلى التطبيق العملي للسنة في جميع مجالات الحياة.

٥ – العناية بإبراز السنة الصحيحة، ونشرها، والإفادة من التقنية الحديثة، من خلال إنشاء مواقع إسلامية على الشبكة العالمية تهدف إلى نشر السنة باللغات المختلفة، وتعليمها للناس بطريقة سهلة، كما يخصص فيها برامج لحفظ السنة ودراستها.

٦ – إبراز السنة بقدوات عملية من أهل التخصص في الهيئة والسلوك والأخلاق.

٧ – تعظيم جناب الرسول صلى الله عليه وسلم في النفوس.

المصادر والمراجع[1]

١ – الإحكام في أصول الأحكام: للإمام ابن حزم علي بن أحمد(ت٤٥٦هـ)، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٢ – أخبار الآحاد في الحديث، حجيتها، مفادها، العمل بموجبها: للشيخ/عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين (ت١٤٣٠هـ)،

٣ – إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق أبي مصعب البدري، نشر دار الفكر بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٤ – الاستشراق – الذرائع – النشأة – المحتوى: للدكتور/ السيد أحمد فرج، نشر دار طويق، الرياض، ط١،

٥ – الاستشراق رسالة الاستعمار: د. محمد الفيومي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١٤١٣هـ

٦ – اهتمام المحدثين بنقد الحديث، سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم: للدكتور/ محمد لقمان السلفي،

٧ – الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة: للشيخ: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي

٨ – تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)،

٩ – تدوين السنة النبوية، نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري: د. محمد بن مطر الزهراني

١٠ – التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لأبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين، نشر وزارة الأوقاف بالمغرب، ط١٣٨٧هـ.

١١ – تهذيب التهذيب: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، نشر دار الكتاب الإسلامي

١٢ – الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، طبع دار الكتب المصرية،

١٣ – جامع بيان العلم وفضله: لأبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي (ت٤٦٣هـ)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤ – الجامع الصحيح: لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، طبع السلفية، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٥ – جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف: للدكتور/ محمد طاهر الجوابي،

١٦ – حجية السنة: للدكتور/ عبدالغني عبدالخالق، نشر دار الوفاء، المنصورة، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٧ – الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، مناهجهم وأصولهم وسماتهم، قديماً وحديثاً، وموقف السف منهم: د.ناصر بن عبدالكريم العقل، نشر دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

١٨ – دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين وكتاب المعاصرين: للدكتور/ محمد محمد أبو شهبة،

١٩ – دلائل النبوة: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تعليق الدكتور/ عبدالمعطي قلعجي،.

٢٠ – الرسالة: للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤)، تحقيق أحمد شاكر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١ – زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً: لصلاح الدين مقبول أحمد، دار عالم الكتب، الرياض.

٢٢ – السنن: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تعليق عزة الدعاس وعادل السيد، نشر دار الحديث،

[1] أرمز لكلمة توفي بحرف (ت)، ولكلمة الطبعة بحرف (ط).

٢٣ - السنن: لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد شاكر، نشر دار الحديث، القاهرة
٢٤ - السنن: لأبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه (ت٢٧٣هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، طبع فيصل عيسى الحلبي،
٢٥ - السنة حجيتها ومكانتها في الإسلام والرد على منكريها: للدكتور/ محمد لقمان السلفي،
٢٦ - السنة قبل التدوين: د. محمد عجاج الخطيب، نشر دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ.
٢٧ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: للدكتور/ مصطفى السباعي، طبع المكتب الإسلامي، بيروت
٢٨ - السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها: للدكتور/ مكي الشامي، نشر دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢٩ - السنة وعلومها: للدكتور/ أحمد عمر هاشم، نشر مكتبة غريب، مصر.
٣٠ - شرح صحيح مسلم: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار الريان، مصر.
٣١ - شرح العقيدة الطحاوية: للإمام علي بن أبي العز الدمشقي (ت٧٩٢هـ)،
٣٢ - الصارم المسلول على شاتم الرسول: لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)،
٣٣ - صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار الحديث،
٣٤ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)،
٣٥ - القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: لخادم حسين إلهي بخش، نشر مكتبة الصديق، الطائف، ط١، ١٤٠٩هـ.
٣٦ - الكفاية في علم الرواية، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، نشر دار الكتب الحديثة، القاهرة،
٣٧ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن القاسم وابنه،
٣٨ - المسند: لأبي عبدالله أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق د.سمير طه المجذوب وآخرين،
٣٩ - معالم السنة النبوية: للدكتور/ عبدالرحمن عتر، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤١٦هـ.
٤٠ - مكانة السنة في الإسلام: د. محمد محمد أبو زهو، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٤هـ.
٤١ - منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة: لأحمد بن عبدالرحمن الصويان، نشر دار السليم،.
٤٢ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: جمع الندوة العلمية للشباب الإسلامي، الرياض.
٤٣ - موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية: للدكتور: أكرم ضياء العمري، نشر دار شبيليا، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

جهود المحدثين في رد الشبه عن السنة

د. مهدي بن محمد أحمد رشاد الحكمي

أستاذ الحديث المشارك في قسم الثقافة الإسلامية

كلية التربية – بجامعة جازان

السعودية

mahde1379@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وبعد:

فإن من السنة النبوية تعد المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي لأنها تبين ما نزل من القرآن الكريم ليتم التأسي به، وأن تحيا الأمة في رياضه بطمأنينة وسلام، ولكن المغرضين وأعداء الدين حاولوا النيل من هذين المصدرين؛ كي تنصرف الأمة عنهما بعد أن تتزعزع الثقة بهما، فحاول قسم منهم الطعن في السنة النبوية باعتبارها أساساً للدين فإذا أنهدم أو تصدع فإن الأمة ستتركه – زعموا ذلك – فأخذوا يجلبون بخيلهم ورجلهم لإقامة حرب شعواء عليها، ولكنهم لما رأوا تمسك الأمة في أيامها الأولى بهدي رسولها صلى الله عليه وسلم أخذوا سبيلاً آخر موّهوه بأحاديث من صنع أنفسهم، فاتخذت الأمة التي أخذت على عاتقها حماية هذا الثغر التدابير، والموانع لصد تلك السهام الموجهة إلى السنة، بدءاً من التقليل من الرواية وانتهاءاً بوضع قواعد الجرح والتعديل التي تميز المقبول من المردود راوياً ورواية.

وبتتبع التاريخ من بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم نجد أن الشبه المثارة والطعون الموجهة إلى السنة لم تترك مجالاً مما تدور فيه السنة إلا ودخلته، ويجمع ذلك أمران هما: الراوي والمروي، أو السند والمتن، ونلاحظ في زمننا هذا أناساً من بني جلدتنا يتكلمون بلغتنا – كأسلافهم – يلوكون تلك الشبه ويوجهون تلك الطعون لكن يلونونها في كل عصر باللون السائد فيه، وهي في الأصل تعود على العصبية أو الشعوبية، أو الإلحاد، أو التزهد غير الراشد ونحو ذلك.

فانقدح في خلدي وأنا أسمع وأرى بعض تلك الشبهات أن علماءنا الأفاضل لم يتركوا لهم عافطة ولا نافطة ولم يدعو لهم هبعاً ولا ربعاً حتى أتوا على خضرائهم فأبادوها على بكرة أبيهم، من أول يوم نشأت فيه إلى زمننا هذا، لذا أحببت أن أساهم في تجلية هذا المسلك وتوضح ذلك المنهج باقتضاب، وسرت فيه باختصار بعد أن جمعت فيما أحسب رؤوس تلك التروس التي اتخذها علماؤنا وهم في الميدان لصد ضربات الخصوم، فكان هذا البحث بعنوان (**جهود المحدثين في رد الشبه عن السنة**)، فبدأته بهذه المقدمة وأتبعها بمطلبين:

المطلب الأول: جهود الصحابة رضي الله عنهم ويشمل:

١ – التقليل من الرواية

٢ – التثبت من الراوي.

٣ – عرض ما لم يحفظوه على المحفوظ، أو السؤال عنه.

المطلب الثاني: جهود التابعين فمن بعدهم ويشمل:

١ – المطالبة بالإسناد.

٢ – الرحلة.

٣ – تدوين الطبقات ومعرفة أوطان الرواة.

٤ – معرفة تواريخ الرواة.

٥ - نقد الرواة (الجرح والتعديل).

ثم الخاتمة وفيها خلاصة ما مضى في البحث، ثم الفهارس.

ولقد اختصرت من الكلام كثيراً، ولم أستطرد في ذكر الأدلة والاستشهادات؛ نظراً لتحديد الصفحات المطلوبة في هذا المؤتمر الذي أسأل الله تعالى للقائمين عليه أن ينفعهم بما عملوه ويرفعهم لما أملوه.

المطلب الأول

جهود الصحابة رضي الله عنهم ويشمل:

١ - التقليل من الرواية

٢ - التثبت من الراوي.

٣ - عرض ما لم يحفظوه على المحفوظ، أو السؤال عنه.

١ - التقليل من الرواية:

لقد أيقن الصحابة- رضي الله عنهم - أنهم مؤتمنون على تبليغ هذا الدين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن الكريم هو المنهج الذي يجب التزامه، والسير على هداه، وأن السنة النبوية وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم العملية هي الترجمة الحقيقية، والمثال الكامل الصحيح لامتثال هذا المنهج القرآني الفريد.

لهذا وغيره رأى أكثر الصحابة التقليل من رواية الحديث، واكتفوا في حياتهم اليومية بتطبيقهم العملي الذي عاشوه في عصر النبوة، الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أنهم- رضي الله عنهم -كانوا في جملتهم مثالاً شاملاً وصورة صحيحة أمينة لمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته.

إذ كان القرآن ينزل، والرسول صلى الله عليه وسلم يطبق ويمتثل، وهم شاهدون، ويبادرون بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم. فكان لسان حالهم يقول للأجيال الذين تفشّوا فيها: هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتثل القرآن الكريم ويعمل به في حياته، ونحن صورة حية لذلك، ومما دفعهم إلى التقليل من الرواية أيضاً نفورهم وخوفهم من مغبة الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم.

ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال لأبيه: (إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان)، قال: (أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: ((من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)) [١]

قال ابن حجر رحمه الله: (وفي تمسك الزبير بهذا الحديث على ما ذهب إليه من اختيار قلة التحديث دليل للأصح في أن الكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمداً أم خطأ، والمخطئ وإن كان غير مأثوم بالإجماع لكن الزبير خشي من الإكثار إذ الإكثار مظنة الخطأ، والثقة إذا حدث بالخطأ فحمل عنه، وهو لا يشعر أنه خطأ يعمل به على الدوام للوثوق بنقله، فيكون سبباً للعمل بما لم يقله الشارع فمن خشي من الإكثار الوقوع في الخطأ لا يؤمن عليه الإثم إذا تعمد الإكثار فمن ثم توقف الزبير وغيره من الصحابة عن الإكثار من

---

١ فتح الباري : كتاب العلم : باب إثم من كذب علي النبي صلى الله عليه وسلم: ٢٠٠/١ ح (١٠٧)

التحديث، وأما من أكثر منهم فمحمول على أنهم كانوا واثقين من أنفسهم بالتثبت، وطالت أعمارهم فاحتيج إلى ما عندهم فسئلوا فلم يمكنهم الكتمان رضي الله عنهم)ا.هـ[1].

وثبت مثل ذلك عن غير الزبير؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من تعمد عليَّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار))[2].

قال الحافظ ابن حجر: (وإنما خشي أنس مما خشي منه الزبير، ولهذا صرح بلفظ الإكثار لأنه مظنة، ومن حام حول الحمى لا يأمن وقوعه فيه، فكان التقليل منهم للاحتراز، ومع ذلك فأنس من المكثرين لأنه تأخرت وفاته فاحتيج إليه كما قدمناه ولم يمكنه الكتمان، ويجمع بأنه لو حدث بجميع ما عنده لكان أضعاف ما حدث به..)ا.هـ[3].

ولما كان عهد عمر رضي الله عنه سار على هذا منهج، ولم يكتف به لنفسه بل أمر غيره به، بل إنه حبس من تجاوزه.

فروى ابن ماجة بإسناده عن قريظة بن كعب رضي الله عنه قال: بعثنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة، وشيعنا، فمشى معنا إلى موضع يقال له: ضرار، فقال: (أتدرون لم مشيت معكم؟) قال: قلنا: (لحق صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحق الأنصار)، قال: (لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به، فأردت أن تحفظوه لممشاي معكم، إنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز المرجل، فإذا رأوكم مدّوا إليكم أعناقهم، وقالوا: أصحاب محمد، فأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنا شريككم)[4].

قال الطحاوي: (فدل هذا الحديث على أن عمر إنما أراد بما أراد مما في الأحاديث الأُوَل أن لا يقطعوا الناس عن كتاب الله عز وجل، بما يحدثونهم به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك ما قد دل أنه إنما كره منهم هذا المعنى لا ما سواه مما يجمعون به التشاغل بكتاب الله عز وجل، والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يستدلون به على معاني كتاب الله، لا بما يُقطعون به عن كتاب الله عز وجل)ا.هـ[5].

ولم يكتف بذلك بل إنه تابع أمره فمن وجده مخالفاً حبسه فقد ورد عنه أنه قال لأبي مسعود، وأبي الدرداء، وأبي ذر: (ما هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟) قال: (وأحسبه حبسهم حتى أصيب) ا.هـ[6].

---

[1] فتح الباري : الموضع السابق

[2] فتح الباري : الموضع السابق : ٢٠١/١ : ح: (١٠٨)، وصحيح مسلم – المقدمة : باب تغليظ الكذب على رسول الله-ﷺ- : ١٠/١ ح (٢)

[3] فتح الباري: الموضع السابق

[4] سنن ابن ماجة : المقدمة : باب التوقي في الحديث عن رسول الله-ﷺ- : ١٢/١ : ح (٢٨)، ورواه الحاكم في المستدرك ١٠٢/١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، له طرق تجمع ويذاكر بها.. وقال الذهبي بهامشه: صحيح وله طرق، والطحاوي في مشكل الآثار: ٣١٦/١٥، والدارمي في سننه: باب من هاب الفتيا مخافة السقط: ٩٧/١١: ح (٢٨٠) مطولا.

[5] مشكل الآثار للطحاوي: ٣٢٠/١٥

[6] مشكل الآثار للطحاوي: ٣١٢/١٥، ورواه الحاكم في المستدرك : ١١٠/١ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

فانظر مدى حرص عمر رضي الله عنه على أن يبقى معين القرآن مورداً سائغاً لا يشغل الناس عنه بغيره، وليس حبسه لهؤلاء الصحابة- مع ثبوت حرصهم على التبليغ واقتدائهم بالنبي صلى الله عليه وسلم إلا دليلاً واضحاً على اهتمامه بذلك غاية الاهتمام.

قال الطحاوي رحمه الله تعالى: (...أن عمر كان مذهبه حياطة ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان الذين رووه عدولاً، إذ كان على الأئمة تأمل ما يشهد به عندهم ممن قد ثبت عدله عندهم، فكان عمر فيما يُحَدِّثُ به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يحفظه عنه كذلك أيضاً. وكذلك فعل بأبي موسى مع عدله عنده فيما حدث به عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم ممال لم يكن عنده في الاستئذان...، وقد وقف على ذلك منه أبي بن كعب ومن سواه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين وقفوا على ذلك منه ولم ينكروه عليه، ولم يخالفوه فيه، فدل ذلك على موافقتهم إياه عليه، ولما كان ذلك كذلك فعل في أمور الذين كان منه في حبسهم مما كان فعله في ذلك لهذا المعنى، لا لأن يقطعهم عن التبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ما قد سمعوه منه، وكذلك كان أبو بكر رضي الله عنه قبله في مثل هذا) ا.هـ[1].

٢ - **التثبت من الراوي:**

لم يكن كل واحد من الصحابة-رضي الله عنهم- يحفظ كل ما حفظه غيره عن الرسول صلى الله عليه وسلم إذ إنهم متفاوتون في مقدار ما حفظوه لأسباب كثيرة، من أهمها طول الصحبة، والسبق إلى الإسلام وغير ذلك.

لذا فكانوا إذا سمعوا حديثاً مما لم يحفظوه فإنهم لا يبادرون بقبوله حتى يسبروه ويتأكدوا من نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من فعل ذلك كما ذكر ذلك الإمام الحافظ الذهبي رحمه الله حيث قال: (كان أول من احتاط في قبول الأخبار) ا.هـ[2].

ثم ذكر حديث توريث الجدة عن قبيصة بن ذؤيب أنه قال: (جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق نسأله عن ميراثها)، فقال: (مالك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فارجعي حتى أسأل الناس)، فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: (حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس)، فقال أبو بكر: (هل معك غيرك؟) فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة، فأنفذه لها أبو بكر...)[3].

ومثل سيرة الصديق هذه سار الفاروق رضي الله عنهما فقد أخذ بالتثبت والتحري في قبول الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم لكي لا يتجرأ الناس على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور،

---

[1] مشكل الآثار للطحاوي: ٣١٣/١٥-٣١٤

[2] تذكرة الحفاظ للذهبي: ٢/١ رقم الترجمة (١)

[3] رواه أبو داود في سننه: كتاب الفرائض: باب في الجدة: ٣١٦/٣: ح (٢٨٩٤)، والترمذي في جامعه: كتاب الفرائض: باب في ميراث الجدة: ٢٨٠/٦: ح (٢١٠٢) ثم قال وهذا أحسن وهو أصح من حديث ابن عيينة

فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قال استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع)) فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك[1].

فكان هذا الأمر سائداً في خلافة العمرين رضي الله عنهما بل قد ورد في بعض روايات مسلم أن عمر قال: (سبحان الله إنما سمعت شيئاً فأحببت أن تثبت).

ولعلي بن أبي طالب رضي الله عنه طريقة أخرى في التثبت في رواية الحديث هي أنه يستحلف الراوي. ففي سنن أبي داودرحمه الله تعالى عن أسماء بن الحكم الفزاري قال: (سمعت علياً رضي الله عنه يقول: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، قال: وحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما من عبد بذنب ذنباً فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر له)) ثم قرآ هذه الآية {والذين إذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون }(سورة آل عمران: ١٣٥)[2].

قلت: فهل بعد هذا المنهج الذي سلكه الصحابة رضي الله عنهم جميعاً في التحوط للسنة النبوية يسوغ لمفتون أن يطعن في السنة النبوية؟

٣ -(عرض ما لم يحفظوه على المحفوظ) أو السؤال عنه

لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم يكتفون بعدالة الراوي إذا روى لهم الخبر وكلهم عدول؛ بل إذا بلغهم حديث لم يكونوا يحفظونه ولم يعرفوا ما حواه من أحكام فإنهم يعرضونه على ما يعرفونه أو يحفظونه من القرآن أو سالوا عنه من ظنوه حافظاً له.

فهذا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب يسمع حديث فاطمة بنت قيس في أن زوجها طلقها ثلاثاً ولم يجعل لها رسول الله سكنى ولا نفقة، روى مسلم في صحيحه بإسناده عن أبي إسحاق قال: (كنت مع الأسود بن يزيد جالساً في المسجد الأعظم ومعنا الشعبي، فحدث الشعبي بحديث فاطمة بنت قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجعل لها سكنى ولا نفقة، ثم أخذ الأسود كفاً من حصى فخصبه به، فقال: ويلك تحدث بمثل هذا؟ قال عمر: لا نترك كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم لقول امرأة لا ندري لعلها حفظت أو نسيت، لها السكنى

---

[1] فتح الباري: كتاب الاستئذان: باب التسليم والاستئذان ثلاثاً: ٢٦/١١: ح (٦٢٤٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام: باب الاستئذان: ١٦٩٤/٣: ح (٢١٥٣/٣٣) وما بعده.

[2] سنن أبي داود: كتاب الصلاة باب في الاستغفار: ١٨٠/٢: ح (١٥٢١)، والترمذي في جامعه: في التفسير: باب ومن سورة آل عمران ١٨٥/٨: ح (٣٠٠٩)، وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار: ٣٠٢/١٥: ح (٦٠٣٨-٦٠٤٨) فذكر له روايات كثيرة، وأورده الدار قطني في العلل: ١٨٠/١ بطرقه ثم قال: وأحسنها إسناداً وأصحها ما رواه الثوري ومسعر ومن تابعهما عن عثمان بن المغيرة. ا.هـ.

والنفقة، قال الله عز وجل: {لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يا تين بفاحشة مبينة} (سورة الطلاق: ٦٥)[١].

وتلك عائشة رضي الله عنها تنهج ذلك فترد رواية عمر وابنه عبد الله رضي الله عنهما تعذيب الميت ببكاء أهله عليه، ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهماأنه قال: (...فلما أصيب عمر دخل صهيب يبكي ويقول: وا أخاه، وا صباحاه. فقال عمر رضي الله عنه: يا صهيب أتبكي علي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه))، قال ابن عباس رضي الله عنهما فلما مات عمر رضي الله عنه ذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها فقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه)) وقالت حسبكم القرآن {ولا تزر وازرة وزر أخرى} (سورة الإسراء: ١٥) ا.هـ[٢].

وهذا يشير إلى أن هذا المنهج كان مسلوكاً عند الصحابة رضي الله عنهم صيانة للحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يفسر على غير المراد أو أن يدخل فيه ما ليس منه سهواً أو خطأ من الراوي، لا أنهم يتهمون الرواة أو يسيئون الظن بهم، فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها عند مسلم أنها لما حدثت عن ابن عمر بذلك، قالت: (يغفر الله لأبي عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب، ولكنه نسي أو أخطأ، وإنما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يُبكى عليها فقال: ((إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها))[٣].

وكان بعض الصحابة إذا سمع رواية لم يعرفها أرسل يسأل من يظن أنه يعرفها، وإن كان الذي حدثه به صحابياً معروفاً مشهوراً بالرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد أرسل ابن عمر رضي الله عنهما إلى عائشة رضي الله عنها يسألها عن حديث رواه أبو هريرة فصدقته، روى مسلم في صحيحه (عن عامر بن سعد بن أبي وقاص أنه كان قاعداً عند عبد الله بن عمر غذ طلع خباب صاحب المقصورة فقال: يا عبد الله بن عمر ألا تسمع ما يقول أبو هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها، ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من اجر، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد))؟ فأرسل ابن عمر خباباً إلى عائشة يسألها عن قول أبي هريرة ثم يرجع إليه فيخبره ما قالت، وأخذ ابن عمر قبضة من حصباء المسجد يقلبها في يده حتى رجع إليه الرسول، فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة، فلضرب ابن عمر بالحصى الذي كان في يده الأرض، ثم قال: لقد فرطنا في قراريط كثيرة)[٤].

مما سبق يتضح لنا بجلاء حرص الصحابة رضي الله عنهم على وقاية السنة النبوية من كل ما شأنه أن يشوبها بأية شائبة مهما صغرت.

---

[١] رواه مسلم في صحيحه: كتاب الطلاق: باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ١١١٩/٢ ح (١٤٨٠/٤٦)

[٢] فتح الباري: كتاب الجنائز: باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه: ١٥١/٣: ح (١٢٨٧و١٢٨٨) ، ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز: باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه: ٦٤١/٣ : ح (٩٢٨/٢٣)

[٣] صحيح مسلم: الموضع السابق: ح (٩٣٢/٢٧)

[٤] صحيح مسلم: كتاب الجنائز: باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها: ٦٥٣/٣: ح (٩٤٥/٥٦)

المطلب الثاني: جهود التابعين فمن بعدهم ويشمل:

١ - المطالبة بالإسناد.

٢ - الرحلة.

٣ - تدوين الطبقات ومعرفة أوطان الرواة.

٤ - معرفة تواريخ الرواة.

٥ - نقد الرواة (الجرح والتعديل).

١ - المطالبة بالإسناد

إن سند الحديث سياج واق من العدوان على السنة النبوية وحصن منيع من دخول المغرضين، ولقد كان الناس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن وقعت الفتنة بقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في مأمن وسلامة من شيوع الروايات التي تحوي البدع والطعن في أسس هذا الدين، ولذا كانوا يكتفون بعدالة الراوي لأن الغالب الشائع بينهم اجتناب الكذب في أحاديثهم العامة فضلاً عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصدعت الأمة بقتل الخليفة الراشد الثالث عثمان رضي الله عنه أطلت الفتن برؤوسها وأصبح لها رؤوس وفكر تروج من خلاله أغراضها التي أهمها أن تنخر في قوائم هذا الدين ومن تلك القوائم السنة النبوية فيدخلون فيها أحاديث ليست منها، فلما أحس حماة ثغور السنة بذلك نشروا المنهج الوقائي وهو المطالبة بالإسناد قال ابن سيرين –رحمه الله تعالى: (لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم) ا.هـ[١].

الأمر الذي يظهر بجلاء حرص الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم على سلامة الحديث النبوي والسنة المطهرة، وأن تؤدي إلى الأجيال بعدهم نقية صافية، وقد دار بخلدهم أن هذا العلم النبوي المنقول بالسند دين يجب الأخذ به والمحافظة عليه، والدعوة إليه ولا يتساهلون أو يفرطون فيه، فعن ابن سيرين أيضاً أنه قال: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) ا.هـ[٢].

وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى: (الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)[٣]، وقال الأوزاعي رحمه الله تعالى: (ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد)[٤]، وذلكم ابن سيرين أحد سادات التابعين يصور لنا الحال عند الصحابة رضي الله عنهم بعد الفتنة وأنهم نقلوا هذا المسلك إلى تلاميذهم فمصداق ما قاله ابن سيرين ما ورد عن ابن عباس، فروى مسلم في مقدمة صحيحه عن مجاهد قال: جاء بُشير العدوي إلى ابن عباس رضي الله عنهما فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ابن

[١] مقدمة صحيح مسلم: باب بيان أن الإسناد من الدين: ١/١٥، وسنن الدرامي: باب في الحديث عن الثقات: ١/١٢٣: ح (٤١٦)

[٢] المرجع السابق، والمصنف لابن أبي شيبة: ٥/٣٣٤: ح (٢٦٦٣٦)

[٣] مقدمة صحيح مسلم الموضع السابق.

[٤] التمهيد لابن عبد البر: ١/٥٧

عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع، فقال ابن عباس: (إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف) ا.هـ[1].

قلت: فلما أخذ العلماء وطلبة العلم في القرن الأول يطالبون الرواة ونقلة الأحاديث بالإسناد أصبح الطريق مسدوداً على أهل البدعة ودعاة الفتنة، فشرع هؤلاء يأخذون بالإسناد ويروون به، فوقف لهم العلماء بمصدٍّ آخر وهو أنهم لا يقبلون الرواية عن كل أحد بل كانوا يفحصون، ويسألون فلا يقبلون إلا رواية أهل السنة ويردون رواية المبتدعة، ونحوهم من الكذابين والمغفلين...وأصبح الميدان –ميدان العلم والرواية– مشغولاً بمضمون قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادين} (سورة الحجرات: ٦)، وغيرها من الآيات التي تدل على التحري.

وقد سبق قول ابن سيرين في الأخذ بالإسناد وفيه: (...سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)، وكذا قول ابن المبارك: (إن الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء فإذا قيل له من حدثك بقي) ا.هـ[2]، وكانوا أيضاً ينظرون بأنفسهم إلى من يروون عنه ليعرفوا سمته وهديه وسلوكه فإن أفعال الإنسان غالباً تدل على سيرته.

فهذا الإمام إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى يقول: (كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته وإلى سنته وإلى هيئته ثم يأخذون عنه). ا.هـ[3].

وورد مثل ذلك عن أبي العالية فقال: (كنا نأتي الرجل لنأخذ عنه فننظر إذا صلى فإن أحسنها جلسنا إليه، وقلنا: هو لغيرها أحسن، وإن أساءها قمنا عنه، وقلنا هو لغيرها أسوأ) ا.هـ[4].

وليس معنى هذا أنهم قد يقدحون في ديانة من تركوا الرواية عنه، كلا، ولكن التدين والالتزام به شيء، وأهلية الرواية عنه وكونه ثقة شيء آخر.فعن أبي الزناد أنه قال: (أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون، ما يؤخذ عنهم الحديث، يقال ليس من أهله) ا.هـ[5].

لذا كانت عناية المحدثين بالإسناد تفوق غيرها، ولا غرو فإن الإسناد من خصائص هذه الأمة، قال أبو علي الجياني: (خص الله هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد والأنساب والإعراب) ا.هـ[6].

---

[1] المرجع السابق.

[2] كتاب العلل للترمذي في آخر جامعه: باب ابن المبارك يقول الإسناد من الدين: ٤٣٨/٩

[3] سنن الدارمي: باب الحديث عن الثقات: ١٢٤/١: ح (٤٢٠)

[4] المرجع السابق.

[5] مقدمة صحيح مسلم: باب بيان الإسناد من الدين ...: ١٥/١

[6] تدريب الراوي: النوع التاسع والعشرون معرفة الإسناد العالي والنازل: ١٥٩/٢

وقال أبو حاتم الرازي رحمه الله تعالى: (لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة، فقال له رجل يا أبا حاتم ربما أوردوا حديثاً لا أصل له ولا يصح فقال: علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم، فروايتهم ذلك للمعرفة ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها...) ا.هـ[١].

فوائد الإسناد:

١ – أنه خصيصة لهذه الأمة، وبه تحفظ السنة.

٢ – بواسطته يميز بين الاتصال والانقطاع.

٣ – بواسطته يعرف العالي والنازل.

٤ – بواسطته يستطاع تمييز المقبول من المردود من المتون.

٥ – تدرك بواسطته منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم ومكانتها من التشريع الإسلامي.

٦ – يبين مدى اهتمام علماء الحديث به والتأكيد عليه.

٢ –الرحلة

لقد امتلأت خاصرتا التاريخ بأخبار علماء الإسلام عامة، وبالأخص جهابذة الحديث ونقاده، وأنباء رحلاتهم التي تحملوا من أجلها الضنى وعانوا فيها الضنك، تركوا على صغر أسنانهم وحداثة أعمارهم أهلهم وديارهم، من أجل العلم، فطوفوا البلدان، ووصلوا الآفاق، من أجل سماع رجل واحد، أو حديث واحد رغم أبعاد السفر الشاسعة، وآلا الطرق الشاقة، إخلاصاً لله، وحرصاً على السنة رسول الله صلى الله عليه وسلم زهدوا في النوال وربأوا عن الجاه، وواصلوا كلال الليل بكلال النهار، فلم يتركوا أحداً عنده علم من الصحابة ومن بعدهم نائياً كان أو دانياً إلا ورحلوا إليه وأخذوا منه، وكتبوا عنه.

واستلهموا ذلك من قوله تعالى: {فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون } (سورة التوبة: ١٢٢)، ومن قوله صلى الله عليه وسلم ((نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب ليس بفقيه))[٢].

ولا غرو في ذلك فإنهم يتعبدون الله بذلك مستندين إلى قوله صلى الله عليه وسلم: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة...))[٣].

فلقد كان بعض الصحابة عليهم رضوان الله يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم من أطراف الجزيرة للسماع منه مباشرة، والرجوع إلى قومهم ليبلغوهم ما سمعوه، كضمام بن ثعلبة رضي الله عنه الذي وفد عن بني سعد بن بكر من هوازن ثم عاد إليهم فأخبرهم بما سمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم فأسلموا[٤].

---

[١] شرف أصحاب الحديث: كون أصحاب الحديث حماة الدين بذبهم عن السنن: ٤٣/١

[٢] جامع الترمذي: كتاب العلم: باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع: ٣٠٦/٧ ح (٢٦٥٨) عن زيد بن ثابت –رضي الله عنه– ، وقال: حديث حسن وبعده برقم (٢٦٥٩) عن ابن مسعود وقال: حديث حسن صحيح. ا.هـ

[٣] صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء: باب فضل الاجتماع وتلاوة القرآن...: ٢٠٧٤/٤ ح (٢٦٩٩/٣٨)

[٤] فتح الباري: كتاب العلم: باب ما جاء في العلم: ١٤٨/١ ح (٦٣)

ولما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى انتشر الصحابة رضوان الله عليهم في أرجاء الأرض وأطرافها يبلغون الدعوة الإسلامية وينشرون العلم فوصلوا أغلب الحواضر والبوادي والمدن والقرى خارج الجزيرة العربية، وضرب الدين فيها بجرانه، عندئذ رأت الأجيال التي احتضنتهم أن لا محيص عن الأخذ عنهم ولا مناص من الرحلة إليهم ولقد كان من الصحابة أنفسهم من رحل إلى بعض إخوانه ليسمع حديثاً واحداً يستغرق في رحلته شهراً أو يزيد.

فهذا جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: ((بلغني حديث عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت الشام، فإذا عبد الله بن أنيس الأنصاري، فأتيت منزله وأرسلت إليه إن جابراً على الباب، فرجع إليَّ الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج إليَّ فاعتنقته واعتنقني، قال: قلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعه أنا منه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((يحشر الله تبارك وتعالى العباد...)) الحديث[1].

ومثله أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه روى أنه رحل إلى عقبة بن عامر رضي الله عنه وهو في مصر ففي مسند الحميدي من طريق عطاء بن أبي رباح يقول: (خرج أبو أيوب إلى عقبه بن عامر وهو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره وغير عقبه، فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو أمير مصر فأخبر به فعجل فخرج إليه فعانقه ثم قال: ما جاء بك؟ يا أبا أيوب!، فقال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على منزله، قال: فبعث معه من يدل على منزل عقبة فأخبر عقبة به، فعجل فخرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك؟ يا أبا أيوب! فقال: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه غير وغيرك في ستر المؤمن، قال عقبة: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من ستر مؤمناً في الدنيا على خزية ستره الله يوم القيامة)) فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر) ا.هـ[2].

أما رحلات التابعين وأتباعهم في هذا الشأن فهي أشهر من أن تذكر، ولربما خرج الواحد من بلده فلا يعود إليها -إن عاد- إلا بعد أن يطوف الآفاق شرقاً وغرباً وغير ذلك وقد لبث عدة سنين، وربما تكون الرحلة من أجل حديث واحد تفرد به شيخ أو نحو ذلك. حتى عد بعض علماء الحديث ترك الرحلة نقصاً في المحدث.

---

[1] أورده البخاري تعليقاً بصيغة الجزم. فتح الباري: كتاب العلم: باب الخروج في طلب العلم ١٧٣/١، وأخرجه أحمد في المسند: ٤٩٥/٣، والحاكم في المستدرك: ٤٣٧/٢ وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: باب ذكر الرحلة في طلب العلم: ٣٨٩/١: ح (٥٦٥)، ورواه غيرهم.

[2] مسند الحميدي: أحاديث أبي أيوب الأنصاري: ١٨٩/١: ح (٣٨٤)، ومسند أحمد: ١٥٣/٤ مختصراً، والخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث: ص ١٢٠ ح (٣٥) وقد علق عليه المحقق العلامة الدكتور نور الدين عتر فقال: (وفي مسند الحديث أبو سعد المكي الأعمى مجهول لم يرو عنه إلا ابن جريج، لكن الحديث اعتضد بوروده من أوجه كثيرة جداً أخرج الخطيب هاهنا جملة منها، وكلها لم تخل من المقال كما سنوضحه، لكنها تقوي الحديث ويرتقي بها إلى درجة الحسن) ا.هـ

ولقد عانى هؤلاء العلماء أثناء رحلاتهم الجوع والخوف والمرض والسهر، ولولا أنهم يعلمون أن ذلك من العبادة ومما يجلب في الدنيا السعادة لما تحملوا تلك المعاناة لكن الله هيأهم لحمل هذه الأمانة ليبلغوها كما أخذوها امتثالاً لقول الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم: ((نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها...)) الحديث[1].

قال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى: إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد. ا.هـ[2].

وممن ذكر بالرحلة الطويلة لأجل سند واحد الإمام الحافظ مكحول الدمشقي قال: (كنت عبداً بمصر لامرأة من بني هذيل، فأعتقتني، فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أُرى، ثم أتيت الحجاز فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أُرى، ثم أتيت العراق فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أُرى، ثم أتيت الشام فغربلتها، كل ذلك أسأل عن النفل[3]، فلم أجد أحداً يخبرني فيه بشيء حتى أتيت شيخاً يقال له: زياد بن جارية التميمي، فقلت له: هل سمعت في النفل شيئاً؟ قال: نعم سمعت حبيب بن مسلم الفهري يقول: شهدت النبي صلى الله عليه وسلم نَفَّل الربع في البَدْأة، والثلث في الرجعة))[4].

هذه صورة واحدة ومثلها كثير في تاريخ علمائنا الأفاضل تحكي الحرص، والجد، والهمة التي تتكئ بمرفقيها على هام النجوم.

وإليك صورة أخرى فارسها أمير المؤمنين في الحديث في عصره شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي أوردها الخطيب في كتابه: الرحلة في طلب الحديث عن نصر بن حماد الوراق أنه قال: (كنا قعوداً على باب شعبة نتذاكر، فقلت: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر قال: كنا نتناوب رعية الإبل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت ذات يوم والنبي صلى الله عليه وسلم حوله أصحابه فسمعته يقول: ((من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين فاستغفر الله إلا غفر له)) فقلت بخ بخ، فجذبني رجل من خلفي فالتفت فإذا عمر بن الخطاب فقال: الذي قبل أحسن، فقلت: وما قال؟ قال: قال: ((من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قيل له ادخل الجنة من أي أبواب الجنة شئت)).

قال: فخرج شعبة فلطمني ثم رجع فدخل، فتنحيت من ناحية، قال: ثم خرج فقال: ماله يبكي بعد؟ فقال له عبد الله بن إدريس: إنك أسأت إليه فقال شعبة: أنظر ما تحدث؛ إن أبا إسحاق حدثني بهذا الحديث عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر، فقلت لأبي إسحاق مَنْ عبد الله بن عطاء؟ قال فغضب، ومسعر بن كدام حاضر قال: فقلت له: لتصححن لي هذا أو لأحرقن ما كتبت عنك، فقال لي مسعر: عبد الله بن عطاء بمكة، قال شعبة: فرحلت إلى مكة لم أرد الحج، أردت الحديث، فلقيت عبد الله بن عطاء فسألته، فقال: سعد بن إبراهيم حدثني، فقال لي مالك بن أنس: سعد بالمدينة لم يحج العام، قال شعبة: فرحلت إلى المدينة فلقيت سعد بن إبراهيم

---

[1] سبق تخريجه.

[2] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: باب الرحلة في الحديث إلى البلاد النائية: ٢٢٣/٢ رقم (١٦٨٩)

[3] هو الزيادة على ما يستحق من الغنيمة، بمقدار الربع أو الثلث، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٠٣/١ مادة: بَدَأ.

[4] أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد: باب فيمن قال: الخمس قبل النفل: ١٨٢/٣: ح (٢٧٥٠)

فسألته فقال: الحديث عندكم: زياد بن مخراق حدثني، قال شعبة: فلما ذكر زياداً قلت: أي شيء هذا الحديث؟ بينما هو كوفي إذ صار مدنياً، إذ صار بصرياً، قال: فرحلت إلى البصرة فلقيت زياد بن مخراق فسألته، فقال: ليس هو من بَابَتِك، قلت حدثني به، قال لا تُردْه، قلت حدثني به، قال: حدثني شهر بن حوشب عن أبي ريحانة عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال شعبة: فلما ذكر شهر بن حوشب: قلت دمّر علي هذا الحديث، لو صح لي مثل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب إليَّ من أهلي ومالي والناس أجمعين) ا.هـ[1].

أبعد هذا الجهد والبلاء تنال مقالة السوء السنة النبوية ورجالها المخلصين؟ ولو لم يكن لهم من المفاخر إلا هذا لكفى، مع العلم أنهم يعدون ترك الرحلة ثلباً ومنقصة، قال ابن معين: (أربعة لا يؤنس منهم رشد وعد منهم: رجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث...)[2].

وحين جمعت السنة في الصحف وصنفت الكتب كانت متوفرة في البلدان لكنها لم تغن عن الرحلة في طلب العلم فلقد كانت الكتب لتيسير التحصيل على المتساهل، أما الذي كان يلتمس شرف العلم وكرامته فلم يكن ليرضى بما يقرأه في الكتب، بل ظلت أشهى أمانيه الرحلة في طلب الحديث.[3]

هذا ولتعلم أخي القارئ أن للرحلة ثماراً ما تزال يانعة وفوائده جمة منها:

١ - إثراء الجانب العلمي لدى المرتحل إذ إنه برحلته يلقى بيئات وعادات، مختلفة عن مألوفة، ومشكلات جديدة يقابلها فيتوسع فقهه واجتهاده.

٢ - نشر الثقافة والمعرفة في بلدان العالم خاصة إذا كان العالم نبغ في بلدة صغيرة تضيق عن علمه فإنه ينتقل إلى غيرها من البلدان التي تغص بالعلماء وطلبة العلم الأمر الذي يساعد على تلقي الثقافات المتنوعة وانتشارها.

٣ - تزكية النفس واستقامة السلوك، بمشامّة أهل الفضل والزهد ومجالسة العباد من العلماء وغيرهم، فبالارتحال والإسناد تصفو أخلاق الرجال[4].

هذا بالإضافة إلى ارتباط بلدان العالم الإسلامي بعضها ببعض في العلم والتجارة والسياحة وغير ذلك، فألغيت السدود والحدود، من دون شروط أو قيود فأصبح العالم الإسلامي أشبه بالبلدة الواحدة تنطوي قلوب أبنائها جميعاً على مبادئ واحدة وتنداح في أوساطهم تعاليم مماثلة[5].

---

[1] الرحلة في طلب الحديث: ص ١٤٨ رقم (٥٩)

[2] الرحلة في طلب الحديث: ص ٨٩ رقم (١٤)

[3] علوم الحديث ومصطلحه: الباب الأول: الفصل الثالث: الرحلة في طلب الحديث: ص (٦٢)

[4] بتصرف من مقدمة مختصر كتاب الرحلة للخطيب: فوائد الرحلة: ص (٢٤) وما بعدها

[5] بتصرف من كتاب علوم الحديث ومصطلحه: ٥٧...

٣ –تدوين الطبقات ومعرفة أوطان الرواة

وهو فن مهم، افتضح بسبب الجهل به غير واحد من المصنفين وغيرهم.[١]نتج عن كثرة العلماء والمشايخ في الأزمان وانتشارهم في الأوطان أن دونت أخبارهم، وأشياخهم وتلاميذهم، الأمر الذي سد الباب على المغرضين الذين استغلوا تشابه الأسماء أو الاتفاق في الشيوخ والتلاميذ فدسوا على الناس أحاديث وركبوا لها أسانيد، كشفها حماة السنة ببيان طبقات الرواة وبلدانهم، ومن أخذوا عنه وأخذ عنهم وهكذا حتى أصبح رجال الإسناد معروفين مميزين يستطاع الوصول إلى معرفة أحوالهم ورواياتهم بسبب تدوين الطبقات وتاريخ الرواة، ومن لم يعرف عنه شيء جهلوه وردوا روايته فبواسطتها يؤمن التداخل بين المتفقين في الاسم، والكنية، وغير ذلك. كما يتوصل به إلى الاطلاع على تبيين التدليس، والوقوف على المراد من العنعنة أهي على سبيل الاتصال أم الانقطاع[٢].

وتجلي لنا معرفة طبقات المحدثين بعض ما يتعلق بالرواة والأسانيد مثل المؤتلف والمختلف، والمتفق والمفترق، والعالي والنازل، والمدبج ورواية الأقران وغير ذلك مما له صلة بمعرفة طبقات المحدثين فضلاً عن الاتصال والانقطاع.

٤ – معرفة تواريخ الرواة

التاريخ عند المحدثين هو: التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال في المواليد والوفيات ويلتحق به من الحوادث والوقائع التي ينشأ عنها معانٍ حسنة من تعديل وتجريح ونحو ذلك[٣]

فهو علم يتعلق برجال الإسناد، والسند هو الطريق الموصل إلى المتن ومنهما يتكون الحديث، فلا بد – والحالة هذه– من إنارة الطريق وكشفها بمعرفة أحوال الرجال ليتم بعد ذلك الحكم على المتن قبولاً أو رداً، بوضوح، قال السخاوي رحمه الله تعالى: (وهو فن عظيم الوقع من الدين، قديم النفع به للمسلمين لا يستغنى عنه، ولا يعتنى بأعم منه خصوصاً ما هو القصد الأعظم منه، وهو البحث عن الرواة، والفحص عن أحوالهم، في ابتدائهم وحالهم، واستقبالهم، لأن الأحكام الاعتقادية والمسائل الفقهية مأخوذة من كلام الهادي من الضلالة، والمبصر من العمى والجهالة، والنقلة لذلك هم الوسائط بيننا وبينه، والروابط في تحقيق ما أوجبه وسنه، فكان التعريف بهم من الواجبات والتشريف بتراجمهم من المهمات، ولذا قام به في القديم والحديث أهل الحديث بل نجوم الهدى ورجوم العدى ووضعوا التاريخ المشتمل على ما ذكرناه مع ضمهم له الضبط لوقت كل من السماع، وقدوم المحدث البلد الفلاني في رحلة الطلب وما أشبهه كما تقدم شيء من تصانيفهم في آداب طالب الحديث ليختبروا بذلك من جهلوا حاله في الصدق والعدالة) ا.هـ[٤].

[١] المقنع في علوم الحديث لابن الملقن: النوع الثالث والستون: ٦٦٨/٢

[٢] منهج النقد في علوم الحديث: علوم أسماء الرواة: ص ١٤٥

[٣] فتح المغيث للسخاوي: تواريخ الرواة والوفيات: ٢٨٠/٣

[٤] فتح المغيث الموضع السابق.

ولما كتب العلماء تواريخ الرواة لم يقتصروا على ذكر تاريخ الولادة والوفاة حسب، بل مزجوا ذلك بذكر ما يتعلق بالراوي نقداً (جرحاً وتعديلاً) بذكر أقوال النقاد فيه، وذكر حياته الشخصية والعلمية والعقلية وغير ذلك مما له صلة أو أثر في روايته.

قال السخاوي أيضاً: (وكذا يتبين به ما في السند من انقطاع أو عضل، أو تدليس، أو إرسال ظاهر أو خفي، للوقوف به على أن الراوي مثلاً لم يعاصر من روى عنه أو عاصره ولكن لم يلقه لكونه في غير بلده، وهو لم يرحل إليها مع كونه ليست له منه إجازة أو نحوها، وكون الراوي عن بعض المختلط سمع منه قبل اختلاطه، ونحو ذلك، وربما يتبين به التصحيف في الأنساب...وهو أيضاً أحد الطرق التي يتميز بها الناسخ والمنسوخ كما سلف في بابه، وربما يستدل به لضبط الراوي حيث يقول في المروي: وهو أول شيء سمعته منه، أو رأيته في يوم الخميس يفعل كذا، أو كان فلان آخر من روى عن فلان، أو سمعت فلاناً يحدِّثُ قبل أن يحْدُث ما حدَث أو قبل أن يختلط...)[1].

هذا وقد تنوعت طرائق المصنفين في تواريخ المحدثين، فمنهم من ألف في تاريخ بلدان معلومة، كبغداد، ودمشق، ونيسابور، وأصبهان، وغيرها، ومنهم من ذكر تاريخ رجال كتب مخصوصة، مثل عائلة كتاب الكمال، وغير ذلك.

وبالتاريخ يتبين لنا أنه من الأسلحة التي تفتك بالكذابين والوضاعين، وغيرهم ممن لا تقبل روايته.

أخرج الخطيب البغدادي في الكفاية عن الثوري قوله: (لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ) ا.هـ[2].

وقال حفص بن غياث: (إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسِّنِّين) ا.هـ، قال الخطيب: (يعني احسبوا سنه وسن من كتب عنه) ا.هـ[3].

والأمثلة على ذلك كثيرة، والأغراض متنوعة، روى الخطيب بإسناده عن عقبة بن معدان الكلاعي قال: (قدم علينا عمرو بن موسى حمص فاجتمعنا إليه في المسجد، فجعل يقول: حدثنا شيخكم الصالح، فلما أكثر قلت له: من شيخنا هذا الصالح؟ سمِّه لنا نعرفه، قال: فقال: خالد بن معدان، قلت له في أي سنة لقيته؟ قال: لقيته سنة ثمانٍ ومئة، قلت له: فأين لقيته؟ قال لقيته في غزاة أرمينية قال: فقلت له: اتق الله يا شيخ ولا تكذب، مات خالد بن معدان سنة أربع ومئة، وأنت تزعم أنك لقيته بعد موته بأربع سنين، وأزيدك أخرى أنه لم يغز أرمينية قط، كان يغزوا الروم) ا.هـ[4].

ومما كشفه لنا التاريخ القصة المذكورة في بحث الحديث الموضوع في كتب مصطلح الحديث فيما يعرف به الوضع، وقد ذكرها ابن كثير فقال: (ولما ادعى اليهود الخيابرة أن معهم كتاباً نبوياً فيه إسقاط الجزية عنهم أوقف ابن

---

[1] فتح المغيث الموضع السابق ص ٢٨٣

[2] الكفاية ص ١١٩

[3] الكفاية الموضع السابق

[4] المصدر السابق.

المسْلِمة الخطيبَ على هذا الكتاب فقال: هذا كذب، فقيل: وما الدليل على ذلك؟ فقال: لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر، وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة، وإنما اسلم معاوية يوم الفتح، وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد كان توفي عام الخندق سنة خمس فأعجب الناسَ ذلك، وقد سُبِقَ الخطيبُ إلى هذا النقد)[١].

مما سبق يظهر لنا أهمية معرفة تواريخ الرواة عند المحدثين وما يلحق به من معرفة أوطانهم ورحلاتهم وطبقاتهم وغير ذلك، ومدى اهتمامهم به.

قال أبو عبد الله الحميدي: (ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديم التهمم [الاهتمام] بها: العلل وأحسن كتاب وضع فيه كتاب الدارقطني، والمؤتلف والمختلف وأحسن كتاب وضع فيه كتاب ابن ماكولا، ووفيات الشيوخ وليس فيها كتاب) ا.هـ، قال ابن الملقن: فيها غير كتاب، ولكن من غير استقصاء وتعميم، وتواريخ المحدثين مشتملة على ذكر الوفيات، ولذلك ونحوه سميت (تواريخ)...) ا.هـ[٢].

هذا وكلما وجدت ثغرة مفتوحة يُدْخَلُ منها على السنة سارع العلماء إلى وضع سِدادٍ فيها لا يسقط أبداً ولما ذكر الخطيب صفات من يُجتَنَبُ السماع منه ذكر منهم: "أن يدعي السماع ممن لم يلقه ثم قال: ولهذه العلة قيد الناس مواليد الرواة وتاريخ موتهم فوجدت روايات لقوم عن شيوخ قصرت أسنانهم عن إدراكهم...)[٣].

٥ - **نقد الرواة (الجرح والتعديل).**

نشأ علم الجرح والتعديل مع نشأة الرواية في الإسلام إذ كان لا بد لمعرفة الأخبار الصحيحة من معرفة رواتها، معرفة تمكن أهل العلم من الحكم بصدقهم أو كذبهم، حتى يتمكنوا من معرفة المقبول من المردود لذلك سألوا عن الرواة، وتتبعوهم في مختلف أحوال حياتهم العلمية، وعرفوا جميع أحوالهم، وبحثوا أشد البحث حتى عرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة.[٤]

كل ذلك من أجل حفظ السنة النبوية وحمايتها من الزيف والدخل، وبيان ما يقبل منه فيعمل به وما يرد فلا يعمل به، قال ابن الملقن: هو من أجل الأنواع وأفخمه، فإنه المرقاة إلى معرفة صحة الحديث وسقمه. ا.هـ[٥]، ومما يدل على اهتمام العلماء به أنْ عدَّوه من النصيحة لهذا الدين.

جاء أبو تراب النخشبي إلى الإمام أحمد ووجده يقول: فلان ثقة، فقال له أبو تراب يا شيخ لا تغتاب العلماء، فالتفت إليه أحمد وقال له: ويحك هذا نصيحة، ليس هذا غيبة.[٦]

---

[١] البداية والنهاية: حوادث سنة ٣٦٤هـ: ٢٨/١٦

[٢] المقنع في علوم الحديث لابن الملقن: النوع الستون معرفة التواريخ والوفيات: ٦٤٥،٦٤٦/٢

[٣] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ذكر من يجتنب السماع منه: ١٣١/١

[٤] أصول الحديث علومه ومصطلحه: علم الجرح والتعديل: ص ٢٦١

[٥] المقنع في علوم الحديث: النوع الحادي والستون: معرفة الثقات والضعفاء: ٦٥٧/٢

[٦] الكفاية ص ٤٤

ورأوا أيضاً أنه من باب ذب الكذب عن الرسول صلى الله عليه وسلم ونفيه، قال أبو بكر بن خلاد: قلت ليحيى بن سعيد: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة؟ فقال: لأن يكونوا خصمائي أحب إليَّ من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي: لِمَ لَمْ تذبَّ الكذب عن حديثي؟![1].

لقد أجمع العلماء على جوازه، وعده بعضهم واجباً، صوناً للدين وحفظاً، وكلامهم في ذلك كثير وليس المقام الآن مقام ذكره وبيانه فإنه مستفيض عنهم.

قال السخاوي: ("ومع ذا" أي كون الجرح والتعديل خطراً فلا بد منه، "فالنصح" في الدين لله ولرسوله ولكتابه وللمؤمنين "حق" واجب يثاب متعاطيه إذا قصد به ذلك، سواء كانت النصيحة خاصة أو عامة .... ولذا استثنوا هذا من الغيبة المحرمة، وأجمع المسلمون على جوازه بل عُدَّ من الواجبات للحاجة إليه، وممن صرح بذلك: النووي، والعز بن عبد السلام، ولفظه في قواعده: القدح في الرواة واجب لما فيه من إثبات الشرع، ولما على الناس في ترك ذلك من الضرر في التحريم والتحليل وغيرهما من الأحكام ...) ا.هـ[2].

والدارس هذا العلم لا شك يُلفي في أعماقه إنصاف العلماء ونزاهتهم في الحكم على الرجال فإنهم لم يجعلوا المقبولين منهم في درجة واحدة بل رتبوهم على حسب قوتهم ومتانتهم في الدين والعقل والمروءة، فمنهم من تقبل روايته وهو المقدم على غيره، ومنهم من لا تقبل روايته وحده بل لا بد من وجود متابع له أو شاهد وبين هاتين المرتبتين مراتب، هذا في جانب المقبولين، وكذا المردودن فمنهم الكذاب الوضاع الذي لا تحل رواية حديثه إلا لبيان كذبه ومنهم من يكتب حديثه ولكنه لا يقبل منفرداً وبين هاتين المرتبتين مراتب ودرجات.

الأمر الذي يدل على التحفظ في إصدار أقوال الجرح والتعديل اللائقة بكل راوٍ.

ومنهم من تقبل روايته في حال دون آخر كمن تقبل روايته قبل اختلاطه، أو قبل احتراق كتبه، أو غير ذلك، ومنهم من تقبل روايته إذا روى عنه شخص بعينه دون غيره، أو إذا روى هو عن شيخ يعينه دون غيره، وهكذا.

كل هذا لأن النقاد كالقضاة يشترط فيهم العدالة والأمانة والديانة والابتعاد عن الهوى، قال السخاوي: ("فالجرح والتعديل" خطر لأنك إن عدّلت بغير تثبت كنت كالمثبت حكماً ليس بثابت، فيخشى عليك أن تدخل في زمرة من روى حديثاً وهو يظن أنه كذب، وإن جرحت لغير تحرز أقدمت على الطعن في مسلم بريء من ذلك، ووسمته بميسم سوء يبقى عليه عاره أبداً وهو في الجرح بخصوصه (أي خطر)...فإن فيه مع حق الله ورسوله حق آدمي، وربما يناله إذا كان بالهوى ومجانبة الاستواء الضرر في الدنيا قبل الآخرة والمقت بين الناس، والمنافرة...) ا.هـ[3].

---

[1] المصدر السابق

[2] فتح المغيث: معرفة الثقات والضعفاء: ٣١٧/٣

[3] فتح المغيث الموضع السابق.

ومما يدل على صدق النقاد ونزاهتهم، أنهم يردون رواية المشهورين بالعبادة والصلاح والزهد والنسك إذا كان من أهل الغفلة والنسيان ونحو ذلك ولم يشفع له صلاحه كحال أهل زماننا إذا رأوا من كان كذلك برأوه من كل عيب أو نقيصة في دينه أو عقله.

قال ابن معين: (إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة منذ أكثر من مئتي سنة) ا.هـ[1]، وهذا الأمر ترك الرواية عمن عرف بالصلاح، دون معرفته بالرواية مستفيض بينهم متفق عليه قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: (لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك: لا يؤخذ من رجل صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من سفيه معلن بالسفه، وإن كان من أروى الناس، ولا من رجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من رجل له فضل صلاح وعبادة لا يعرف ما يحدث) ا.هـ[2].

الخاتمة

لقد وجدت في رحلتي مع هذا البحث فوائد كبيرة، تحوي درراً كثيرة تدل على جهود عظيمة بذلها علماؤنا الأفاضل صيانة للسنة وخدمة للشريعة الأمر الذي ينضوي في مضمون قوله تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} (سورة الحجر: ٩) إذ هيأ الله رجالاً لذلك فكانوا أهلاً للأمانة فحفظوها وحافظوا عليها حتى أدوها، فإن السنة النبوية لا يستغني عنها القرآن بحال وإن كانت مشمولة بآية واحدة منه هي قوله تعالى: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا...} (سورة الحشر:٧) فحفظُها من حفظِ القرآن.

لكن أذكر بعض ما توصلت إليه:

١ - إن الله تعالى جعل فضلاً كثيراً لمن جاء بعد الصحابة رضوان الله عليهم وهو الجهد والاجتهاد غير المحدودين في الانشغال بالعلم تعلماً وتعليماً.

٢ - معرفة كل جيل يأتي بعد من سبقه بالمهمة التي يلزمه القيام بها فيضم إنجازاته ويربطها بمن سبقه، ولذا تشعبت فنون العلم ومعرفته.

٣ - إن المتربصين بهذا الدين دستوره ورجاله لم يتوقفوا منذ بدء الرسالة إلى يوم الناس هذا عن الدس فيه والكيد له.

٤ - إقامة الحجة وتوضيح المحجة لمن أراد السير على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه باق وسيظل كذلك.

٥ - التيقظ الذهني عند علماء الإسلام وخاصة المحدثين لرصد المنطلقات التي ينطلق منها المغرضون وأصحاب الانحراف وسدها.

٦ - أقترح أن ترجع الأمة إلى دراسة السنة والسيرة وتطبيقها في واقعها المعاش باليسر والسهولة المعروفة عنها.

---

[1] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: كتب كلام الحفاظ في الجرح والتعديل: ٢٠١/٢

[2] الكفاية: باب ترك الاحتجاج بمن لم يكن من أهل الضبط والدراية وإن عرف بالصلاح والعبادة: ص ١٦٠

المراجع

١. أصول الحديث علومه ومصطلحه لمحمد عجاج الخطيب – دار الفكر- بيروت لبان ١٤٠١هـ الطبعة الرابعة
٢. البداية والنهاية لابن كثير – دار هجر – القاهرة – تحقيق د/ عبد الله التركي
٣. تدريب الراوي للسيوطي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف
٤. تذكرة الحفاظ للذهبي – دار إحياء التراث العربي
٥. التمهيد لابن عبد البر – طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب
٦. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر – دار ابن الجوزي – السعودية – تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي
٧. جامع الترمذي – المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر – استانبول – تركيا
٨. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – مكتبة المعارف – الرياض – تحقيق د/ محمد الطحان
٩. الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – بتحقيق نور الدين عتر
١٠. سنن أبي داود – دار الحديث – حمص – سوريا – تعليق عزت الدعاس
١١. سنن ابن ماجة – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان
١٢. سنن الدارمي – دار الريان للتراث – القاهرة – تحقيق فؤاد زمرلي
١٣. شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي – دار الكتب العلمية – بيروت
١٤. صحيح مسلم – دار الفكر – بيروت – لبنان
١٥. العلل للترمذي في آخر جامعه
١٦. العلل للدار قطني – دار طيبة – الرياض – السعودية – تحقيق د/ محفوظ الرحمن السلفي
١٧. علوم الحديث ومصطلحه لصبحي الصالح – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان
١٨. فتح الباري لابن حجر – نشر وتوزيع إدارة البحوث العلمية – الرياض
١٩. فتح المغيث للسخاوي – المكتبة السلفية – المدينة المنورة – تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان
٢٠. الكفاية للخطيب البغدادي – المكتبة العلمية
٢١. المستدرك على الصحيحين للحاكم
٢٢. مسند أحمد – طبع المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان
٢٣. مسند الحميدي – المكتبة السلفية – دار المدينة المنورة – تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي
٢٤. مشكل الآثار للطحاوي – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – بتحقيق شعيب الأرناؤوط
٢٥. مقدمة صحيح مسلم – دار الفكر – بيروت – لبنان
٢٦. المقنع في علوم الحديث لابن الملقن – دار فواز للنشر – الإحساء – السعودية – تحقيق عبد الله الجديع
٢٧. منهج النقد في علوم الحديث لنور الدين عتر – دار الفكر – بيروت – لبنان

الطعن في الصحابة (رضي الله عنهم)
وأثره في السنة المطهرة

د. ناصر بن فلاح الشهراني

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد

جامعة الملك خالد

السعودية

dr.n.alawid@gmail.com

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

اتخذ الطعن في السنة المطهرة أشكالاً متعددة، تارة بالطعن في حجيتها ومكانتها، وأخرى بالطعن في أسانيدها، وثالثة بالتشكيك فيها، ومن وسائل أعداء الإسلام في الطعن في السنة: الطعن في حملتها من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالتشكيك في عدالتهم وكيل التهم والافتراءات على بعضهم في كيد سافر للإسلام وأهله، قصدهم من ذلك زعزعة الثقة بأصول دين الإسلام.

والصحابة رضي الله عنهم هم الذين حملوا هذا الدين إلينا وإذا زالت الثقة عنهم أصبح كل الذي بين أيدينا من ديننا مشكوكاً فيه، وقد اتفق أئمة الإسلام ونقاد الحديث من أهل السنة والجماعة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم وتنزيههم عن الكذب، ولا يعرف من طعن فيهم وشكك في عدالتهم إلا من شذ من أصحاب الأهواء والفرق الضالة ممن لا يلتفت إلى أقوالهم ولا يعتد بها .

كيف وقد عدّلهم الله في كتابه وأثنى عليهم ومدحهم في غير ما آية من الآيات الكثيرة التي تزكيهم وتشيد بفضلهم رضي الله عنهم.

كما عدّلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين منزلتهم ودعا إلى حفظ حقهم وإكرامهم فقال صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"(١).

وأجمع المسلمون من أهل السنة والجماعة على عدالتهم وفضلهم وشرفهم، قال ابن عبد البر رحمه الله في الاستيعاب: (قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول).

ولا شك أن الطعن في الصحابة رضي الله عنهم طعن في مقام النبوة والرسالة، فعلى كل مسلم أن يعتقد أن الرسول صلى الله عليه وسلم أدى الأمانة وبلغ الرسالة وقام بما أمره الله به ومن ذلك أنه بلغ أصحابه العلم وزكاهم ورباهم.

والذين تكلموا في الصحابة رضي الله عنهم إنما هم من المتعصبين وأصحاب الهوى والابتداع في الدين، يريدون من ذلك تمرير بدعتهم وترويج انحرافهم حيث لم يجدوا لذلك سبيلاً إلا الطعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأن الطعن فيهم كما ذكرت آنفاً أخذ أشكالاً متعددة أحببت أن أشارك في المؤتمر بهذا الموضوع لما له من أهمية بالغة في الأخذ بالسنة النبوية المطهرة.

وقد جاء البحث في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: التعريف بالصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الثاني: الواجب علينا تجاه الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الثالث: الطعن في الصحابة رضي الله عنهم وأثره في السنة.

---

(١) أخرجه البخاري ، ك فضائل الصحابة (٢١/٧) ح (٣٦٧٣) ، ومسلم ، ك فضائل الصحابة (١٩٦٧/٤) ح (٢٥٤٠) .

المبحث الرابع: حكم الطعن في الصحابة رضي الله عنهم.

المبحث الخامس: بعض لوازم الطعن في الصحابة رضي الله عنهم.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

راجياً من الله التوفيق والإعانة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

التعريف بالصحابة رضي الله عنهم

الصحابة فى اللغة:

يقال صحبه أي دعاه إلى الصحبة ولازمه، وكل شيء لازم شيئاً فقد استصحبه[1]، قال أبو بكر الباقلاني: "لا خلاف بين أهل اللغة فى أن القول "صحابي" مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً...يقال صحبت فلاناً حولاً، ودهراً، وسنة، وشهراً، ويوماً، وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب فى حكم اللغة: إجراء هذا على من صحب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي قدر من الوقت [2].

وقال الإمام ابن تيمية: "والأصحاب جمع صاحب، والصاحب اسم فاعل من صحبه يصحبه، وذلك يقع على قليل الصحبة وكثيرها"[3].

وعلى هذا التعريف اللغوي جرى أصحاب الحديث فى تعريفهم بالصحابي اصطلاحاً: فذهبوا إلى إطلاق (الصحابي) على كل من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو ساعة واحدة فما فوقها.

الصحابة فى الاصطلاح:

قال الإمام بدر الدين الزركشي: "ذهب الأكثرون إلى أن الصحابي من اجتمع مؤمناً بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه ولو ساعة، روى عنه أو لا، لأن اللغة تقتضى ذلك، وإن كان العرف يقتضى طول الصحبة وكثرتها...وهو ما ذهب إليه جمهور الأصوليين، أما عند أصحاب الحديث فيتوسعون فى تعريفهم لشرف منزلة النبي صلى الله عليه وسلم[4].

يقول الإمام ابن حزم: "فأما الصحابة رضي الله عنهم فهم كل من جالس النبي صلى الله عليه وسلم ولو ساعة، وسمع منه ولو كلمة فما فوقها، أو شاهد منه عليه السلام أمراً يعيه"[5].

---

(١) لسان العرب ٥١٩/١، والقاموس المحيط ٩١/١، والصحاح للجوهرى ١٦٢/١، ومختار الصحاح ص ٣٥٦

(٢) ينظر : الكفاية ص ١٠٠، وأسد الغابة ١١٩/١، ١٢٠ .

(٣) الصارم المسلول ص ٥٧٥، وينظر : الروض الباسم فى الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير اليمانى ٥٧/١ ٦٠ قرر بتوسع , واستدل أن تسمية يسير المخالطة (صحبة) ثابت بالكتاب والسنة ، وعبارات الأئمة أ.هـ.

(٤) البحر المحيط فى أصول الفقه ٣٠١/٤ , ٣٤٩ .

(٥) الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ٨٦/٥ .

والتعريفات التى وضعها العلماء للصحابة (اصطلاحاً) كثيرة، ولكن التعريف الصحيح المعتمد هو ما قرره الحافظ ابن حجر بقوله: "وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة على الأصح"، ثم شرح التعريف فقال: "فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له، أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية، ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى".

ومن هنا كان التعبير باللَّقِيِّ أولى من قول بعضهم: "الصحابي من رأى النبي صلى الله عليه وسلم" لأنه يخرج حينئذ ابن أم مكتوم ونحوه من العميان وهم صحابة بلا تردد، ويخرج "بقيد الإيمان" من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى، وقولنا "به" يخرج من لقيه مؤمناً بغيره كمن لقيه مؤمناً من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة، ويدخل فى قولنا "مؤمناً به" كل مكلف من الجن والإنس، وخرج بقولنا "ومات على الإسلام" من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على ردته والعياذ بالله كعبيد الله ابن جحش، وابن خطل، ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به صلى الله عليه وسلم مرة أخرى أم لا، كالأشعث بن قيس فإنه كان ممن ارتد ثم أسلم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يلقه، وأتى به إلى أبي بكر الصديق أسيراً، فعاد إلى الإسلام فقبل منه، وزوجه أخته، ولم يتخلف أحد عن ذكره فى الصحابة، ولا عن تخريج أحاديثه في المسانيد وغيرها[(١)].

المبحث الثاني

الواجب علينا تجاه الصحابة رضي الله عنهم

الواجب علينا تجاه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين أن نحبهم ونجلهم ونترضى عنهم، وننزلهم المنزلة اللائقة بهم من غير إفراط ولا تفريط، كما ينبغي أن تسلم قلوبنا وألسنتنا نحوهم، وأن نمسك عما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحداً أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"[(١)].

وقد بين علماء أهل السنة في مؤلفاتهم الواجب نحو الصحابة رضي الله عنهم ومن ذلك قول الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة: "ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بالخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"[(١)].

ومما سطره شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني في رسالته "عقيدة أصحاب الحديث": "ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم،

(**١**) عدالة الصحابة رضي الله عنهم في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة ودفع الشبهات –د. عماد السيد الشربيني–ص ٩–١١ بتصرف.

(١) أخرجه البخاري ، ك فضائل الصحابة (٢١/٧) ح (٣٦٧٣) ، ومسلم ، ك فضائل الصحابة (١٩٦٧/٤) ح (٢٥٤٠)

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٦٨٩/٢ .

ويرون الترحم على جميعهم، والموالاة لكافتهم، وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن والدعاء لهن، ومعرفة فضلهن، والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين"(٢).

وجاء في" العقيدة الواسطية " ما يأتي: "ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه(٣)، ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم" (٤).

ثم قال: "ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساويهم، منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون(٥)، إلى أن قال ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله"(٦).

وبهذا يعلم عظم منزلة الصحابة رضي الله عنهم، وأنه لا يعدلها شيء، وأن حبهم طاعة وإيمان وبغضهم معصية ونفاق، وأن من أصول أهل السنة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي المقابل فإن بغض الصحابة أو سبهم من صفات المبتدعة كما هو ظاهر مثلاً عند الرافضة والخوارج(٧).

المبحث الثالث

الطعن في الصحابة رضي الله عنهم وأثره في السنة

معنى الطعن: قال ابن فارس: طعن :أصل صحيح مطرد ، وهو النخس في الشيء بما ينفذه ، ثم يحمل عليه، ويستعار من ذلك الطعن في الرمح، ورجل طعان في أعراض الناس، وفي الحديث: (لا يكون المؤمن طعاناً) وقال بعضهم:طعن بالرمح يطعُن بالضم، وطعن بالقول يطعَن فتحاً(١).

إذن فالطعن له معنيان حسي ومعنوي، فالحسي بمعنى الضرب بآلة حادة كالخنجر، وهو المتعدي للمفعول (طعنه)، والمضارع منه مضموم العين (يطعُن) وبعضهم يفتحه، والمعنوي بمعنى القدح في شيء، سواء كان نسباً، أو كتاباً، أو شخصاً، أو غير ذلك، وهو اللازم (طعن فيه)، والمضارع منه مفتوح العين (يطعَن)، وهو المراد معنا هنا فالمراد من الطعن في الصحابة القدح والسب والتطاول.

---

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٩٣.

(٣) سبق تخريجه ص ٦ .

(٤) شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص ١٥٧ , ١٥٨ .

(٥) المرجع السابق ص ١٦٤ .

(٦) المرجع السابق ص ١٦٧ .

(٧) نواقض الإيمان القولية والعملية- د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف – ص ٤٠٨- ٤٠٩ .

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٤١٢) بتصرف ، وانظر : لسان العرب (١٣/٢٦٥/١٣-٢٦) .

ولا شك أن الطعن فيهم رضي الله عنهم طعناً في السنة المشرفة، فهم وحدهم الذين تلقوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم وحدهم الشهود عليها، وهم الذين يعتمد عليهم في معرفة هدي نبينا صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام الحافظ أبو زُرْعة الرازي رحمه الله: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن، والسنن، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة"[٢].

وعن عبد الله بن مصعب[٣] قال: قال المهدي: ما تقول فيمن ينتقص الصحابة؟ فقلت زنادقة، لأنهم ما استطاعوا أن يصرحوا بنقص رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنقصوا أصحابه، فكأنهم قالوا: كان يصحب صحابة السوء[٤].

وحينما سأل هارون الرشيد أحد الزنادقة قبل أن يضرب عنقه: لماذا كان الصحابة رضي الله عنهم أول ما تتجهون إلى تشويه صورتهم؟ أجابه قائلاً: لأننا إذا تمكنا من الطعن فيهم نكون قد أبطلنا نقلة الشريعة فإذا بطل الناقل أوشك المنقول أن يبطل[٥].

والطعن في الصحابة رضي الله عنهم طعن في مقام النبوة والرسالة، فإن كل مسلم يجب أن يعتقد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أدى الأمانة وبلغ الرسالة، وقام بما أمره الله به، ومن ذلك أنه بلغ أصحابه العلم وزكاهم ورباهم على عينه، والحكم بعدالتهم من الدين، ومن الشهادة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قام بما أمره الله به، والطعن فيهم يعني الطعن بإمامهم ومربيهم ومعلمهم صلى الله عليه وسلم، كما أن الطعن فيهم مدخل للطعن في القرآن الكريم، فأين التواتر في تبليغه؟ وكيف نقطع بذلك إذا كانت عدالة حملته ونقلته مشكوكاً فيها!.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله (إن هؤلاء الذين يسمحون لأنفسهم بالنيل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يريدون أن يهدموا السنة ويكذبوا على الأمة)[١]، فلا شك ولا ريب أن الطعن في الصحابة رضي الله عنهم طعن في السنة المطهرة.

---

(٢) رواه الخطيب فى الكفاية ص ٩٧، والحافظ ابن حجر فى الإصابة ١/١٠ .

(٣) هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، ولى للرشيد إمرة المدينة، وقال فيه الخطيب: كان محموداً فى ولايته، جميل السيرة مع جلالة قدرة ، ووثقة ابن حبان . مات سنة ١٨٤هـ. له ترجمة فى: تعجيل المنفعة ص٢٧١ رقم٥٨٣، وتاريخ بغداد ١٠/١٧٣رقم٥٣١٣،والثقات لابن حبان٧/٥٦،وميزان الاعتدال ٢/٥٠٥ رقم ٤٦٠٩،والتاريخ الكبير للبخارى ٥/٢١١رقم ٦٧٨

(٤) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخه ١٠/١٧٥، ونقله الحافظ ابن حجر فى تعجيل المنفعة ، ترجمة عبد الله بن مصعب ص ٢٧١ رقم ٥٨٣ . أنظر :عدالة الصحابة رضي الله عنهم في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة ودفع الشبهات–د. عماد السيد الشربيني– ص ٨٤ .

(٥) تاريخ بغداد, الخطيب البغدادي: ٤/٣٠٨.

(١) الإمام جعفر الصادق– محمد أبو زهرة : ٦٣. أنظر: الصحابة ومكانتهم عند المسلمين – محمود عيدان الديلمي – ص١٤٩.

المبحث الرابع

حكم الطعن في الصحابة رضي الله عنهم

١- الطعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو طعن في الإسلام وفي نبي الإسلام وفي القرآن الذي أُنزل على نبي الإسلام.

أ- أما كونه طعنًا في الإسلام: فلأن الصحابة هم الوسائط الذين نقلوا إلينا الإسلام، والطعن في الوسائط طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول.

ب- وأما كون الطعن في الصحابة طعنًا في القرآن: فلأن القرآن نطق بعدالتهم والثناء عليهم، فكان الطعن فيهم تكذيبًا لهذه الآيات التي نطقت بفضلهم.

ج- وأما كونه طعنًا في النبي صلى الله عليه وسلم: فلأنه دلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحسن اختيار أصحابه، ولم يؤثر فيهم، وهو أيضًا تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم الذي بيَّن فضائل الصحابة وحذر من إيذائهم، ومن قوله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله من سب أصحابي»(١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «...وأصحابي أمنةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»(٢)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»(٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»(٤).

ولما قيل لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين! نال ناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نالوا من أبي بكر وعمر؟ قالت: انقطعت عنهما الأعمال فأحب الله عزَّ وجلَّ ألاَّ ينقطع عنهما الأجر(٥).

وقد جاءت أقوال أئمة أهل السنة والجماعة صريحة فى بيان حكم من ينتقصهم، ومن أقوالهم:

قول **الإمام أحمد بن حنبل** رحمه الله لما سئل عن رجل تنقص معاوية، وعمرو بن العاص أيقال له رافضي؟ فقال: "إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقص أحدٌ أحداً من الصحابة إلا وله داخلة سوء"، وفى رواية أخرى قال: "إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام"(١).

---

(١) الجامع الصغير - السيوطي - (٧٢٧٨) عن عبد الله بن عمر (صحيح) ، وصحيح الجامع - الألباني - (٥١١١) عن عبدالله بن

عمر و ابن عباس و أنس بن مالك و عطاء (حسن)

(٢) صحيح مسلم - (٢٥٣١) عن أبي موسى الأشعري .

(٣) الجامع الصغير - السيوطي - (٦١٥) عن عبد الله بن مسعود و ثوبان و عمر بن الخطاب (حسن) ، **وصحيح الجامع - الألباني - (٥٤٥) (صحيح)** .

(٤) الجامع الصغير - السيوطي - (٧٣) عن سعيد بن زيد و عبدالرحمن بن عوف (صحيح) ، ومسند الإمام أحمد- أحمد شاكر - (١٣٦/٣) (إسناده صحيح) ، **وصحيح الجامع - الألباني - (٥٠) (صحيح)** .

(٥) http://www.wathakker.net/flyers/view.php?id=1417

ويُسئل **الإمام النسائى** عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما فيقول: "إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب أي: نقبه إنما يريد دخول الدار، قال: فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة[٢].

قال **ابن الجوزي**: "وإنما يعرف قدر الصحابة رضي الله عنهم وفضائلهم من تدبّر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد موته، من المسابقة إلي الإيمان، والمجاهدة لأعداء الله ورسوله، فلولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا حملنا من الشرائع سنةً ولا فرضًا، ولا علمنا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخباره وسيرته وآثاره شيئًا".

وقال **الذهبي**: "فمن طعن فيهم أو سبهم، فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم، وما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنائه عليهم وبيان فضائلهم ومناقبهم وحبهم...إلى أن قال والطعن في الوسائط طعن الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، هذا ظاهر لمن تدبره، وسلم من النفاق، ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته [٣].

وهذا فيض من غيض وقليل من كثير من أقوال أئمة أهل السنة والجماعة في الحكم على من طعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولا خشية الإطالة لسردت المزيد.

٢- الطعن في عدالة الصحابة رضي الله عنهم من نواقض الإيمان.

أ - الطعن في عدالة الصحابة رضي الله عنهم يعد ناقضاً من نواقض الإيمان:

فإن كان مستحلاً للطعن والسب في الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر[٤]، فمن المعلوم أن جميع الصحابة رضي الله عنهم عدول، وقد أجمع أهل العلم على عدالتهم، لما جاء في الكتاب والسنة من الثناء الحسن عليهم والمدح لهم، ونقل هذا الإجماع جمع كثير من العلماء، منهم النووي رحمه الله حيث يقول: "وكلهم عدول رضي الله عنهم، ومتأولون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة...إلى أن قال: ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم، وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين"[١].

(**١**) البداية والنهاية ١٤٢/٨ .

(**٢**) تهذيب الكمال للحافظ للمزى ٣٣٩/١ ترجمة الإمام النسائى.

أنظر: عدالة الصحابة رضي الله عنهم في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة ودفع الشبهات د. عماد السيد الشربيني — ص ٨٣ .

(٣) الكبائر ص ٢٨٥ .

(٤) انظر الصارم المسلول لابن تيمية ص ٥٦٩ ، ٥٧١ .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٩/١٥ .

ويقول ابن كثير رحمه الله: "والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل"(٢).

وقد تقرر أن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حرام بالكتاب والسنة، قال ابن تيمية: "وأدنى أحوال الساب لهم أن يكون مغتاباً"(٣)، وقال: "ومحبة الشيء كراهة لضده، فيكون الله يكره السب لهم الذي هو ضد الاستغفار، والبغض لهم الذي هو ضد الطهارة"(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"(٥).

فسب الصحابة كبيرة من كبائر الذنوب، لما ترتب عليه من الوعيد باللعنة(٦)، واستحلال سبهم إنكار لما علم تحريمه من الدين بالضرورة، ومن ثم فهو خروج عن الملة.

ب – ومما يناقض الإيمان أن يسب جميع الصحابة سباً يقدح في دينهم وعدالتهم، كأن يرميهم بالكفر، أو الفسق، أو الضلال.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب في كفره؛ لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضى والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام"(١).

ويقول السبكي رحمه الله: "إن سب الجميع لا شك أنه كفر...وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول الطحاوي رحمه الله: وبغضهم كفر، فإن بغض الصحابة بجملتهم لا شك أنه كفر"(٢).

ويقول ابن كثير رحمه الله: "ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك (أي: كتمان الوصية لعلي بالخلافة...) فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضادته في حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام..."(٣)،

---

(٢) الباعث الحثيث ص ٢٠٥ .

(٣) الصارم المسلول ص ٥٧١ .

(٤) المرجع السابق ص ٥٧٤ .

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١٤٢/١٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (٤٨٣/٢) وأبو نعيم في الحلية " (١٠٣/٧) وحسنه الألباني في (الصحيحة) (٢٣٤٠) .

(٦) انظر تعريف الكبيرة في شرح العقيدة الطحاوية ٥٢٦/٢ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٦٥٠/١١ .

(١) الصارم المسلول ص ٥٨٦ ، ٥٨٧ .

(٢) فتاوى السبكي ٥٧٥/٢ .

(٣) البداية والنهاية ٢٥٢/٥ .

ويقول ابن حجر الهيتمي رحمه الله: "إن تكفير جميع الصحابة كفر؛ لأنه صريح في إنكار جميع فروع الشريعة الضرورية فضلاً عن غيرها... "(٤).

ج – ومن أنواع سب الصحابة الذي يناقض الإيمان: "أن يسب صحابياً تواترت النصوص بفضله، فيطعن في دينه وعدالته، وذلك لما فيه من تكذيب لهذه النصوص المتواترة، والإنكار والمخالفة لحكم معلوم من الدين بالضرورة.

قال الإمام مالك رحمه الله: "من شتم أحداً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال كانوا على ضلال وكفر قتل"(٥)، "وسئل الإمام أحمد عمن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة، فقال: ما أراه على الإسلام، وسئل عمن يشتم عثمان، فقال رحمه الله: هذه زندقة"(٦).

د – وسب الصحابة رضي الله عنهم نوعان، أحدهما: سب يقدح في دين الصحابة وعدالتهم، كأن يرمي صحابياً بالكفر مثلاً ممن تواترت النصوص بفضله، فهذا من الكفر، لما يتضمنه من تكذيب للآيات القرآنية، والأحاديث الصحيحة الدالة على تزكيتهم وفضلهم ، ولأن هذا السب إنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة، ومن ظن أن مثل هذا السب لا يعد كفراً، فقد خالف الكتاب والسنة والإجماع، والآخر: أن يسب صحابياً وإن كان ممن تواترت النصوص بفضله سباً لا يقدح في إسلامه ودينه، مثل وصفه بالبخل، أو الجبن، أو قلة معرفة بالسياسة ونحو ذلك، فهذا لا يعتبر كفراً، ولكن يستحق فاعله التأديب والتعزير (٧).

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وأما من سبهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم(١).

هـ – ومن نواقض الإيمان قذف إحدى أمهات المؤمنين، فإن كانت عائشة رضي الله عنها فهو كافر بالإجماع ومن قذف غيرها من أمهات المؤمنين فهو أيضاً كافر على أصح الأقوال، وبيان ذلك أن قذف عائشة رضي الله عنها تكذيب ومعاندة للقرآن، فإن أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله، فكل من سبها بما برأها الله منه فهو مكذب لله تعالى.

وذكر ابن بطة عائشة رضي الله عنها، وأنها: "مبرأة طاهرة خيرة فاضلة وصاحبته في الجنة، وهي أم المؤمنين في الدنيا والآخرة، فمن شك في ذلك، أو طعن فيه، أو توقف عنه، فقد كذب بكتاب الله، وشك فيما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزعم أنه من عند غير الله عز وجل، فمن أنكر هذا فقد بريء من الإيمان"(٢).

---

(٤) الإعلام ص٣٨٠ .نواقض الأيمان القولية والعملية–د.عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف—ص ٤٠٩–٤١٣ بتصرف

(٥) الشفا ١١٠٧/٢ .

(٦) المسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة للأحمدي ٣٥٨/٢ ، ٣٦٣ ، وانظر السنة للخلال ص ٤٩٣ .

(٧) الصارم المسلول ص ٥٧١ ، ٥٨٩ .

(١) المرجع السابق ص ٥٨٦ .

أنظر: نواقض الإيمان القولية والعملية– د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف — ص ٤٢١ بتصرف .

(٢) الإبانة الصغرى ص ٢٧٠ .

يضاف إلى ذلك، أن قذف عائشة رضي الله عنها يعد تنقصاً للرسول صلى الله عليه وسلم وإيذاء له ولذا قال السبكيرحمه الله: "وأما الوقيعة في عائشة رضي الله عنها والعياذ بالله فموجبة للقتل لأمرين: أحدهما: أن القرآن الكريم يشهد ببراءتها، فتكذيبه كفر، والوقيعة فيها تكذيب له، الثاني: أنها فراش النبي صلى الله عليه وسلم، والوقيعة فيها تنقيص له، وتنقيصه كفر"[٣]، وقد أجمع العلماء على أن من قذفها بما برأها الله تعالى منه فهو كافر، يقول ابن تيمية رحمه الله: "ذكر غير واحد من العلماء اتفاق الناس على أن من قذفها بما برأها الله تعالى منه فقد كفر؛ لأنه مكذب للقرآن"[٤]، ويقول ابن كثير رحمه الله: وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن"[٥]، وأما من قذف سائر أمهات المؤمنين، فهل يكفر من قذفهن أو لا ؟ على قولين أصحهما أنه يكفر، والقول الآخر أنه لا يكفر، وقالوا: إن القرآن قد شهد ببراءة عائشة رضي الله عنها، فمن خالف ذلك وأنكره، فهو مكذب للقرآن، ومن ثم فهو كافر بالله تعالى، ولم يرد مثل هذا في بقية أمهات المؤمنين.

والجواب عن ذلك أن يقال: المقذوفة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله تعالى إنما غضب لها؛ لأنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي وغيرها منهن سواء" [١]، وأن جميع أمهات المؤمنين فراش للنبي صلى الله عليه وسلم، والوقيعة في أعراضهن تنقص ومسبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومن المعلوم أن سب المصطفى صلى الله عليه وسلم كفر وخروج عن الملة بالإجماع[٢]، وقد اختار القول الأول جمع من المحققين، كابن حزم[٣]،والقاضي عياض[٤]، وابن تيمية [٥] والسبكي [٦] وغيرهم.

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "والأصح أن من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة رضي الله عنها؛ لأن هذا منه عار وغضاضة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن"[٧].

يقول ابن تيمية رحمه الله: لما كان رمي أمهات المؤمنين أذى للنبي صلى الله عليه وسلم، فلعن صاحبه في الدنيا والآخرة، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس له توبة؛ لأن مؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لا تقبل توبته إذا تاب من القذف حتى يسلم إسلاماً جديداً، وعلى هذا فرميهن نفاق مبيح للدم إذا قصد به أذى النبي صلى الله

---

(٣) فتاوى السبكي ٥٩٢/٢ .

(٤) الرد على البكري ص ٣٤٠ .

(٥) تفسير ابن كثير ٢٦٧/٣ ، وقد حكى ابن كثير هذا الإجماع أيضاً في البداية ٩٢/٨ ، وانظر مجموعة رسائل ابن عابدين ٣٤٥/١.

(١) انظر : البداية لابن كثير ٩٢/٨ .

(٢) انظر فتاوى السبكي ٥٩٢/٢ ، وطرح التثريب للعراقي ٦٩/٨.

(٣) انظر المحلى ٥٠٤/١٣ .

(٤) انظر الشفا ١١١٣/٢ .

(٥) انظر الصارم المسلول ص ٥٦٧ .

(٦) انظر فتاوي السبكي ٥٩٢/٢ .

(٧) الصارم المسلول ص ٥٦٧ .

عليه وسلم، أو أذاهن بعد العلم بأنهن أزواجه في الآخرة"(٩)، وعلى هذا فإن من قذف إحدى أمهات المؤمنين أو قذفهن كلهن فقد وقع في ناقض من نواقض الإيمان.

المبحث الخامس

بعض لوازم الطعن في الصحابة رضي الله عنهم

من خلال عرض ما سبق يمكن أن نسوق جملة من الأوجه في لوازم الطعن في الصحابة رضي الله عنهم، على النحو التالي:

١- إن في الطعن في الصحابة رضي الله عنهم تكذيباً للقرآن الكريم، وإنكاراً لما تضمنته الآيات القرآنية من تزكيتهم والثناء الحسن عليهم، وإذا تقرر أن سب الصحابة رضي الله عنهم تكذيب للقرآن الكريم، فإن القول بكفر جمهور الصحابة رضي الله عنهم، أو فسقهم يؤول إلى الشك في القرآن الكريم، والطعن في ثبوته وحفظه؛ لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول، ولذا فإن الرافضة لما كفروا جمهور الصحابة، اتبعوا ذلك بدعوى تحريف القرآن الكريم وتبديله.

٢- إن الطعن في الصحابة رضي الله عنهم يستلزم نسبة الجهل إلى الله تعالى، أو العبث في تلك النصوص الكثيرة التي تقرر الثناء الحسن على الصحابة، وتزكيهم.

٣- إن من طعن في الصحابة رضي الله عنهم، ورماهم بالكفر أو الفسق ، فقد تنقص الرسول صلى الله عليه وسلم وآذاه؛ لأنهم أصحابه الذين رباهم وزكاهم، ومن المعلوم أن تنقص الرسول صلى الله عليه وسلم كفر وخروج عن الملة"(١)، ومن أشنع أنواع الطعن: أن يقذف إحدى أمهات المؤمنين، لما في الوقيعة في أعراضهن من التنقص والمسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما سبق ذكره، إضافة إلى ذلك فإن هذا السب يستلزم اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لم ينجح في دعوته، ولم يحقق البلاغ المبين، وقد زعم من لا خلاق له من الدين والعلم، أن جمهور الصحابة رضي الله عنهم قد ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يثبت على الإيمان إلا القليل، وقد يؤول هذا الأمر إلى اليأس من إصلاح البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن المعلوم قطعاً أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده(٢).

٤- إن الطعن في دين الصحابة رضي الله عنهم، هو طعن في الدين، وإبطال للشريعة، وهدم لأصله، لعدم توافر النقل المأمون له.

يقول محمد صديق حسن خان (٣): "والعجب كل العجب من علماء الإسلام وسلاطين هذا الدين كيف

---

(٩) الصارم المسلول ص ٤٧ .

أنظر: نواقض الإيمان القولية والعملية- د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف – ص ٤٢٤-٤٢٦ بتصرف .

(١) انظر : أصول اللالكائي (حاشية المحقق) ١٢٣٨/٧ ، فتاوي السبكي ٥٧٥/٢ .

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية- د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف – ص ٤٣٢ بتصرف .

(٣) محمد صديق بن حسن الحسيني البخاري القنوجي ، عالم ، أمير ، نشأ في الهند ، وشارك في أنواع من العلوم ، وله مؤلفات كثيرة ، توفي سنة ١٣٠٧ هـ .

تركوهم {أي الرافضة} على هذا المنكر البالغ في القبح إلى غايته ونهايته، فإن هؤلاء المخذولين لما أرادوا رد هذه الشريعة المطهرة ومخالفتها، طعنوا في أعراض الحاملين لها، الذين لا طريق لنا إليها إلا من طريقهم، واستذلوا أهل العقول الضعيفة والإدراكات الركيكة بهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الشيطانية، فهم يظهرون السب واللعن لخير الخليقة، ويضمرون العناد للشريعة ورفع أحكامها عن العباد"[(١)].

٥- إن الطعن في الصحابة رضي الله عنهم يستلزم تضليل الأمة المحمدية، ويتضمن أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام"[(٢)].

كما أن سبهم إنكار لما قام الإجماع عليه قبل ظهور المخالف من فضلهم وشرفهم، ومصادمة للنصوص المتواترة من الكتاب والسنة في بيان علو مقامهم وعظيم شأنهم"[(٣)].

هذه أبرز لوازم الطعن في الصحابة رضي الله عنهم أجميعن، وقطعاً ليس كلها، ولعل فيما ذكرته فيما سبق في هذا البحث النفع والفائدة.

الخاتمـة

وفي نهاية هذا البحث أجمل أهم نتائجه وهي:

١ - إن الواجب علينا تجاه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحبهم ونجلهم ونترضى عنهم، وننزلهم المنزلة اللائقة بهم من غير إفراط ولا تفريط.

٢ - يجب أن تسلم قلوبنا وألسنتنا نحو الصحابة رضي الله عنهم وأن نمسك عما شجر بينهم.

٣ - إن الطعن في الصحابة رضي الله عنهم طعن في السنة المشرفة، فهم وحدهم الذين تلقوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم وحدهم الشهود عليها.

٤ - إن الذين يسمحون لأنفسهم بالنيل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يريدون أن يهدموا السنة ويكذبوا على الأمة.

٥ - إن الطعن في الصحابة رضي الله عنهم طعن في مقام النبوة والرسالة، فإن كل مسلم يجب أن يعتقد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أدى الأمانة وبلغ الرسالة، وقام بما أمره الله به.

٦ - إن الطعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو طعن في الإسلام وفي نبي الإسلام وفي القرآن.

٧ - إن الطعن في عدالة الصحابة رضي الله عنهم من نواقض الإيمان.

٨ - إن من نواقض الإيمان قذف إحدى أمهات المؤمنين أو قذفهن كلهن رضي الله عنهن.

انظر: التاج المكلل ص ٥٤١ ، ومعجم المؤلفين ١٠/٩٠ .

(١) الدين الخالص ٣/٤٠٤ .

(٢) انظر الصارم المسلول ص ٥٨٧ ، والأعلام لابن حجر الهيتمي ص ٣٨٠ . بتصرف

(٣) انظر صحابة الرسول للكبيسي ص ٣٣٧ .

انظر: نواقض الإيمان القولية والعملية- د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف – ص٤٣٤-٤٣٥ بتصرف .

٩ - إن التقريب بين المسلمين لا يكون بترك من يتطاول على الصحابة رضي الله عنهم، وإنما يكون بإقلاع المخطئ عن خطئه، وأي تقريب على حساب ثوابت الأمة غير مقبول.

المراجع والمصادر

١ - الإصابة في تمييز الصحابة - لابن حجر العسقلاني-دار السعادة بمصر ١٣٢٨هـ .

٢ - البداية والنهاية، لابن كثير، ت: د. أحمد أبو ملحم وغيره - دار الريان للتراث — ط ١ - ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.

٣ - تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي- القاهرة ١٣٤٩ هـ-١٩٣١م

٤ - تفسير القرآن العظيم — لابن كثير — دار الريان — القاهرة — ١٤٠٨هـ .

٥ - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)لمحمد بن أحمد القرطبي- ط١ -١٣٥٧هـ - دار الكتب المصرية — القاهرة

٦ - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير — جلال الدين السيوطي — دار الكتب العلمية — بيروت — بدون تاريخ

٧ - شرح العقيدة الطحاوية —لابن أبي العز— ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة.

٨ - شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد خليل هراس،— الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦هـ

٩ - الصارم المسلول على شاتم الرسول — لابن تيمية — ت: محمد محي الدين عبد الحميد — عالم الكتب — بيروت — ١٩٨٢م

١٠ - صحيح البخاري(مع فتح الباري) تصحيح: محب الدين الخطيب — دار المعرفة- بيروت- بدون تاريخ

١١ - صحيح الجامع الصغير وزيادته — محمد ناصر الدين الألبان ي— المكتب الإسلامي - بيروت- ط الثالثة ١٤٠٨هـ

١٢ - صحيح مسلم — تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي — ط١ — ١٤٠٠هـ - دار الإفتاء — الرياض . وصحيح مسلم بشرح النووي — المطبعة المصرية — القاهرة.

١٣ - عدالة الصحابة رضي الله عنهم في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة ودفع الشبهات - د. عماد السيد الشربيني - الناشر مكتبة الإيمان — ٢٠٠٦م .

١٤ - عقيدة السلف أصحاب الحديث — لأبي إسماعيل الصابوني — ت: بدر البدر — ط١ —- الدار السلفية — الكويت .

١٥ - ١٥-الكبائر—شمس الدين الذهبي—ت:عبد الرحمن فاخوري—ط٣—١٤٠٥هـ دار السلام-القاهرة

١٦ - لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت، بدون تاريخ .

١٧ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية — جمع: عبد الرحمن بن قاسم وأبنه محمد — تصوير الطبعة الأولى — ١٣٩٨هـ .

١٨- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة — جمع: عبد الإله الأحمدي — ط١ —- دار طيبة — الرياض .

١٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل - المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخر— مؤسسة الرسالة — بيروت — ط ١ — ١٤١٦هـ .

٢٠- نواقض الإيمان القولية والعملية — د. عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف — ط٣ — ١٤٢٧هـ - مدار الوطن — الرياض.

الشبهات المثارة حول:
حادثة سحر الرسول صلى الله عليه وسلم
والرد عليها

د.وفاء عبد العزيز حمد الزامل
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن
السعودية
alwafaa.2008@hotmail.com

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن أعداء الإسلام ما فتئوا يثيرون الشبهات والضلالات التي تشكك في دين الله تعالى، ومن ذلك إثارة الشبهات حول بعض وقائع السيرة النبوية بقصد التشكيك فيها وردها، لذا كان لزاماً على كل مسلم محب لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يكرس جهده ويستنفد طاقته، لاسيما في هذه الأزمان التي كثر فيها الناعقون الذين يبثون ضلالاتهم عبر وسائل الإعلام المختلفة تشكيكاً وتضليلاً، وإن الواجب في أعناق العلماء وطلبة العلم المختصين ألزم، وما هذا المؤتمر المبارك إلا جزء من أداء الأمانة ووفاء بالدين، سائلين الله تعالى القبول والسداد والإعانة.

هدف البحث وأهمية الموضوع: الدفاع عن السنة النبوية ورد الشبهات التي أثيرت حولها، ونخص في هذا البحث الشبهات التي أثيرت حول حادثة سحر النبي عليه الصلاة والسلام، وفيما يلي عرض لشبهات أثيرت حول حادثة سحر الرسول صلى الله عليه وسلم، والرد عليها.

أبدأ أولاً بسرد الحديث، فتخريجه مختصراً، وبيان غريبه، ثم أعقب بنقل أقوال بعض من رده، فالتفصيل في رد هذه الشبهات وبيان بطلانها.

نص الحديث:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "سُحِر النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنه ليُخيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال: أَشَعَرْتِ يا عائشة أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجليَّ، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وَجَعُ الرَّجُل؟ قال: مَطْبُوب، قال: ومن طَبَّه؟ قال: لَبِيد ابن الأَعْصم اليهودي من بني زُريق، قال: فبماذا؟ قال: في مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ وجُفِّ طَلْعةٍ ذَكَرٍ، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أَرْوَان، قال: فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة، فقال: والله لكأن ماءها نُقَاعَة الحِنَّاء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين، قلت: يا رسول الله، أفأخرجته؟ قال: لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أُثوِّر على الناس منه شراً، وأُمِرَ بها فدُفِنَت".

تخريج الحديث:

متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

أخرجه البخاري (الطب/باب السحر، ح٥٧٦٦) عنها بلفظه، (بدء الخلق/صفة إبليس وجنوده، ح٣٢٦٨)، (الطب/السحر وقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ..﴾، ح٥٧٦٣)، الطب/هل يستخرج السحر، ح٥٧٦٥)، (الدعوات/تكرير الدعاء، ح٦٣٩١)، (الأدب/قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ .﴾ ، ح٦٠٦٣) عنها بمثله.

ومسلم (الطب، ح٥٦٦٧) عنها بمثله، وابن ماجة (الطب/باب السحر، ح٣٥٤٥) عنها بمثله.

غريب الحديث:

- **سُحِر لغةً:** بضم السين وكسر الحاء فعل مبني للمفعول، السِّحْر في اللغة: يطلق على كل شيء خفي سببه ولَطُفَ ودَقَّ [(١)].

أما في الاصطلاح: فقد اختلفت أقوال العلماء في تعريف السحر وبيان حقيقته، فمنهم من لم يفرِّق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي[(٢)]، ومنهم من عرَّفه ببعض أنواعه[(٣)]، وعباراتهم مختلفة لفظاً ومعنى، ولا يتوصل بها إلى معرفة حقيقة السحر في الاصطلاح، السبب في ذلك هو ما ذكره الشنقيطي بقوله: "اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حدّه بحدٍّ جامع مانع لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حدِّه اختلافاً متبايناً""[(٤)].

- **يُخَيَّل إليه أنه فعل الشيء وما فعله:** خُيِّل إليه أنه كذا: أي لُبِّس وشُبِّه ووُجِّه إليه الوهم والظن[(٥)]، وهذا التخييل الذي أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس في جميع الأمور وإنما في أمور النساء، جاء في رواية: "حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهم"، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا" [(٦)].
- **أَشَعَرْتِ:** شَعَر أي: علم[(٧)]، والهمزة في "أشعرت" همزة استفهام أي: أعلمت[(٨)]؟
- **أفتاني فيما استفتيته:** أفتاه في الأمر: أبان له، واستفتاه: سأله أن يُفتي[(٩)]، ومعناها في الحديث: أجابني فيما دعوته، فأطلق على الدعاء استفتاء لأن الداعي طالب والمجيب مفتٍ، أو المعنى أجابني عمَّا سألته عنه، لأن دعاءه كان أن يطلعه الله على حقيقة ما هو فيه لما اشتبه عليه من الأمر[(١٠)].
- **رجلان:** أي ملكان في صورة رجلين وهما جبريل وميكائيل كما دلت الروايات على ذلك[(١١)].
- **مطبوب:** مفعول من طَبَّ أي سَحَر، وكَنَّوا عن السحر بالطب تفاؤلاً كما قالوا للديغ سليماً، وقال ابن الأنباري: "الطب من الأضداد يقال لعلاج الداء طب، والسحر من الداء يقال له طب"[(١)].

[(١)] **انظر : الصحاح، (٥٥٥)؛ القاموس المحيط،** (٤٠٥)، لسان العرب، (٣٥٢/٤) .

[(٢)] من هؤلاء الجصاص كما في أحكام القرآن، (٤٢/١)؛ والرازي كما في تفسيره، (٢٠٥/٣) .

[(٣)] انظر : المغني لابن قدامة، (١٥٠/٨)؛ فتح الباري لابن حجر، (٢٠٢/٩)؛ (٢٢٢/١٠-٢٢٣)؛ كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، (١٥٢) .

[(٤)] أضواء البيان، (٤٤٤/٤) .

[(٥)] انظر : مختار الصحاح، (١٩٦)؛ القاموس المحيط، (٩٩٦)؛ المعجم الوسيط، (٢٦٦) .

[(٦)] أخرجها البخاري، (الطب/ السحر، ح ٥٧٦٥) .

[(٧)] انظر : القاموس المحيط، (٤١٦)؛ المعجم الوسيط، (٤٨٤) .

[(٨)] فتح الباري لابن حجر، (٢٨٠/١٠) .

[(٩)] انظر : المصباح المنير، (١٧٥)؛ القاموس المحيط، (١٣٢٠)؛ المعجم الوسيط، (٦٧٣).

[(١٠)] الفتح، (٢٨٠/١٠) .

[(١١)] انظر : المفهم، (٥٧١/٥)؛ الفتح، (٢٨١/١٠) .

- **لَبِيد بن الأَعْصَم**: فتح اللام وكسر الموحدة- يهودي، كان حليفاً لبني زريق فنُسب إليهم[2].
- **بنو زُرَيْق**: بضم الزاي وفتح الراء- ابن عامر: بطن من الخزرج من الأزد القحطانية[3].
- **مُشْط**: بضم الميم ويجوز كسرها وسكون الشين وقد يضم ثانية مع ضم أوله فقط وهو الآلة المعروفة التي يُسَرّح بها شعر الرأس واللحية[4].
- **مُشاطه**: بضم الميم هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط[5].
- **جُف**: الجُف بضم الجيم وعاء الطلع وهو الغشاء الذي يكون فوقه[6].
- **طَلْعة**: واحدة الطَّلْع، والطلع من النخل: شيء يخرج كأنه نَعْلان مُطْبقان، وبداخله حب منضود فيه مادة إخصاب النخلة، وطرفه محَّدد[7]، يطلق على الذكر والأنثى ولهذا قَيَّده بالذَّكر هنا [8].
- **بئر ذي أروان**: بئر بالمدينة في بستان بني زريق.

اختلفت الروايات في تسميته، جاء في رواية: "بئر ذي ذَرْوان" وفي رواية: "بئر ذروان"، قال ابن حجر: "ويجمع بينها بأن الأصل: "بئر ذي أروان" ثم لكثرة الاستعمال سهلت الهمزة فصارت: "ذروان"، ويؤيده أن أبا عبيد البكري صوَّب أن اسم البئر "أروان" بالهمز، وأن من قال "ذروان" أخطأ، وقد ظهر أنه ليس بخطأ على ما وجهته"[9].

- **نُقَاعَة الحناء**: النقاعة -بضم النون- الماء الذي ينقع فيه[10].

قال القرطبي: "وهذا يدل على أن البئر معطَّلة وقد تغيَّر ماؤها إما لطول إقامته، وإما لما خالطه مما أُلقي فيه"[11].

---

(1) انظر : غريب الحديث لأبي عبيد، (٤٣/٢)؛ غريب ابن قتيبة، (٤١٧/١)، المفهم، (٥٧١/٥)؛ الفتح، (٢٨١/١٠)؛ القاموس المحيط، (١٠٨)؛ المعجم الوسيط، (٥٤٩).

(2) الفتح لابن حجر، (٢٨١/١٠) .

(3) انظر : جمهرة أنساب العرب (٣٥٧) الأنساب، (٢٨٥/٦)؛ الفتح، (٢٧٨/١٠)؛ معجم قبائل العرب، (٤٧١/٢).

(4) انظر : المشارق، (٤٨٨/١)؛ الفتح، (٢٨٢/١٠)؛ القاموس المحيط، (٦٨٧)؛ الإفصاح، (١٩).

(5) انظر : النهاية (٢٨٤/٤)؛ المشارق (٤٨٨/١)؛ الإفصاح (١٩) .

(6) انظر : النهاية (٢٧٠/١)؛ الصحاح (١٠٢٥/٢)؛ القاموس المحيط (٧٩٧)؛ الإفصاح (٦٥١) .

(7) انظر : القاموس المحيط (٧٤٤)؛ الإفصاح (٦٥١)؛ المعجم الوسيط (٥٦٢) .

(8) الفتح (٢٨٢/١٠) .

(9) الفتح (٢٨٢/١٠)؛ وانظر : معجم ما استعجم (٢١١/١)؛ شرح النووي علىصحيح مسلم (٣٩٩/١٤)؛ معجم معالم الحجاز للبلادي (٢٥٣/٣)؛ المعالم المستطابة في معالم طابة للفيروز آبادي (١٤٦) .

(10) انظر : الصحاح (٩٩٦/٢)؛ المصباح المنير (٢٣٨)؛ القاموس المحيط (٧٦٨) .

(11) المفهم (٥٧٣/٥) .

- **كأن نخلها رؤوس الشياطين:**

شبه النبي صلى الله عليه وسلم النخل برؤوس الشياطين لبيان قبحها فقد تقرر عند العرب قبح رؤوس الشياطين وإن لم يروها، ويحتمل أن يكون المراد بالشياطين الحيات، والعرب تسمي بعض الحيات شيطاناً وهو ثعبان قبيح الوجه، ويحتمل أن يكون المراد نبات قبيح، قيل إنه يوجد باليمن يقال له (الإستن)[١]، والجامع بينها جميعاً الوصف بالقبح وخبث المنظر.

- **أثور على الناس منه شراً:**

أُثَوِّر: بضم الهمزة وفتح الثاء وتشديد الواومع الكسر وفي رواية "أثير"[٢]، وهما بمعنى واحد أي: أهيج وأظهر[٣]، وأظهر[٣]، والمراد بالناس التعميم في الموجودين[٤]، قال النووي: "خشي من إخراجه وإشاعته ضرراً على المسلمين من تذكر السحر وتعلمه ونحو ذلك"[٥]، والمعنى: خشيت أن أُهَيِّج الشر على المسلمين وأُظهره بتَعَلُّم السحر وتَذَكُّره.

شبهات حول الحديث والرد عليها:

أنكر هذا الحديث طائفة من الناس[٦]، وردُّوه ردّاً منكراً، وأنقل بعض أقوال من كذب بهذا الحديث، وردوه ردا منكرا بدعوى أنه مناقض لكتاب الله الذي برأ الرسول صلى الله عليه وسلم من السحر:

* قال الجصاص: (زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر، وأن السحر عمل فيه، حتى قال فيه: إنه يتخيل لي أني أقول الشيء وأفعله، ولم أقله ولم أفعله، وأن امرأة يهودية سحرته في جف طلعة ومشط ومشاقة، حتى أتاه جبريل –عليه السلام– فأخبره أنها سحرته في جف طلعة، وهو تحت راعوفة البئر، فاستخرج وزال عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك العارض، وقد قال الله تعالى مكذبا للكفار فيما ادعوه من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم: {وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا} (سورة الفرقان: ٨)، ثم قال: (ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعبا بالحشو الطغام، واستجراراً لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام، والقدح فيها)[٧].

---

[١] انظر : شرح السنة للبغوي (١٨٦/١٢)؛ الفتح (٢٨٤/١٠)؛ البحر المحيط (٣٦٣/٧)؛ تفسير القرآن للسمعاني (٤٠١/٤)؛ روح المعاني (٩٣/١٢) .

[٢] أخرجها البخاري، (الأدب/قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ...﴾، ح ٦٠٦٣)؛ ومسلم (الطب/ح ٥٦٦٧) عن عائشة مرفوعاً

[٣] انظر : الصحاح (٥٠٢/١)؛ القاموس المحيط (٣٥٩) .

[٤] الفتح (٢٨٤/١٠) .

[٥] شرح صحيح مسلم (٣٩٩/١٤) .

[٦] أنكره بعض المبتدعة كما ذكر ذلك المازري فيما نقله عنه ابن حجر في الفتح، (٢٧٩/١٠) .

وأنكره – للأسف – بعض العلماء خطأً منهم وجهلاً، منهم : الجصاص، (أحكام القرآن، ٤٩/١)؛ وأبو بكر الأصم، (نقله عنه القاسمي في تفسيره)؛ وجمال الدين القاسمي، (محاسن التأويل، ٦٣٠٨/١٧)؛ وتبعهم في ذلك بعض طلبة العلم والكتاب في وقتنا الحاضر. نسأل الله السلامة والعافية.

[٧] أحكام القرآن – ١ / ٤٩

*قال أبو بكر الأصم: (إن حديث سحره صلى الله عليه وسلم هنا متروك لما يلزمه من صدق قول الكفرة أنه مسحور، وهو مخالف لنص القرآن حيث أكذبهم الله فيه، ونقل الرازي عن القاضي أنه قال: هذه الرواية باطلة، وكيف يمكن القول بصحتها والله يقول: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ} (سورة المائدة: ٦٧)، وقال: {وَلا يُفْلِح السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} (سورة طه: ٦٩)، ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة، ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى ضرر جميع الأنبياء والصالحين، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم، وكل ذلك باطل، وكان الكفار يعيرونه بأنه مسحور، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى، ولحصل فيه عليه السلام ذلك العيب، ومعلوم أنه غير جائز) [١].

*قال الأستاذ محمد عبده في تفسيره لقوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ): (ولا يخفى أن تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح وهو مما يصدق قول المشركين فيه: (إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا رَجلا مَسْحُورًا)، وليس المسحور عندهم إلا من خولط في عقله وخيل له أن شيئاً يقع وهو لا يقع فيخيل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة وما يجب لها أن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح فيلزم الاعتقاد به وعدم التصديق به من بدع المبتدعين لأنه ضرب من إنكار السحر وقد جاء القرآن بصحة السحر، فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح في نظر المقلد بدعة نعوذ بالله، يحتج بالقرآن على ثبوت السحر ويعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وعده من افتراء المشركين عليه، ويؤول في هذه؛ ولا يؤول في تلك، مع أن الذي قصده المشركون ظاهر لأنهم كانوا يقولون إن الشيطان يلابسه عليه السلام وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه وهو بعينه أثر السحر الذي نسب إلى لبيد فإنه قد خالط عقله وإدراكه في زعمهم.

والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته، وعدم الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام، حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ووبخهم على زعمهم هذا فإذن هو ليس بمسحور قطعاً.

وأما الحديث على فرض صحته فهو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون.

*قال محمد جواد مغنيَّة: (وروى الرواة عن عائشة أنَّ يهودياً اسمه لبيد بن الأعصم سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وأثر فيه سحره حتى كان يخيل له أن يفعل الشيء وهو لا يفعله، وإنَّ هذه السورة -يعني سورة الفلق-، والتي بعدها -يعني سورة الناس- نزلت في ذلك! وهذه الرواية يجب طرحها شرعاً وعقلاً أما عقلاً، فلأن النبيّ صلى الله عليه وسلم معصوم لا ينطق إلا بالوحي، فيستحيل أن يخيل له أنه يوحى إليه، ولا يوحى إليه، وأمّا شرعاً فلأن الله سبحانه قد كذَّب السحر وأهله حيث قال عزَّ من قائل: {يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} (سورة طه: ٦٦)

---

[١] نقله عن شارح المجموع ٢٤٣/١٩

إلى قوله: {وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} (سورة طه: ٦٨)، وأيضاً كذَّب المشركين الذين وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بالمسحور، ونقل كلام محمد عبده آنف الذكر [١]

ويمكن أن نلخِّص مآخذهم في النقاط الآتية:

١ ادعاؤهم أن هذا حديث باطل، وأنه من وضع الملحدين.

٢ أن الحديث وإن رواه البخاري ومسلم فهو حديث آحادي، لا يؤخذ به في العقائد، وعصمة النبي –صلى الله عليه وسلم– من تأثير السحر في عقله، عقيدة من العقائد، فلا يؤخذ في إثبات ما يخالفها إلا باليقين كالحديث المتواتر، ولا يكتفي في ذلك بالظن.

٣– ادعاؤهم بأن التصديق بهذا الحديث يقدح في مقام النبوة، وينافي العصمة، فإذا كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله يمكن أن يخيَّل إليه أنه أوحي إليه ولم يوح إليه، أو أنه بلغ ما أوحي إليه ولم يبلغ.

٤– قالوا: السحر عمل الشياطين، وهؤلاء لا يُسلَّطون على رسل الله وأنبيائه: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} **(سورة الحجر: ٤٢)**.

٥– وقالوا: هذا الحديث يصدق المشركين الذي اتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه مسحور: {وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً} (سورة الفرقان: ٨).

والرد عليهم من وجوه:

الأول: دعواهم بأن الحديث باطل من وضع الملحدين يرد عليه أن الحديث اتفق على إخراجه البخاري ومسلم(٢)، وهذه أعلى درجات الصحة، ويكفي وجود هذه الأحاديث في الصحيحين للجزم بصحتها وثبوتها، وقد أجمعت الأمة على تلقي كتابيهما بالقبول، وليست هي من الأحاديث المنتقدة حتى تستثنى من ذلك، وقد رُوِيت من طرق عدة في الصحيحين وغيرهما، وعن غير واحد من الصحابة منهم: عائشة، و ابن عباس، و زيد بن أرقم –رضي الله عنهم–، وغيرهم مما يبعد عنه احتمال الغلط أو السهو أو الكذب، كما أثبتها واعترف بصحتها رواية ودراية كبار الأئمة الذي هم أرسخ قدمًا في هذا الشأن، وفي الجمع بين المعقول والمنقول كالإمام المازري والخطابي، والقاضي عياض، والإمام النووي وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، والإمام ابن كثير ، والإمام ابن حجر وغيرهم ممن لا يحصيهم العدُّ، فهل كل هؤلاء الأئمة فسدت عقولهم، فلم يتفطنوا إلى ما تفطن إليه أصحاب العقول؟!، أو أنه التسليم والانقياد، وتعظيم حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وعدم معارضته برأي أو قياس.

الثاني: ما يتعلق بحجية أخبار الآحاد، فإن الأدلة شاهدة من كتاب الله، وحديث النبي –صلى الله عليه وسلم– وأقوال السلف، بل وإجماعهم كما نقله غير واحد كالشافعي والنووي والآمدي وغيرهم على الاحتجاج بحديث الآحاد، وقبول الاستدلال به في العقائد والعبادات على حد سواء، وهي أدلة كثيرة لا تحصى، وليس هذا

---

[١] التفسير الكاشف: ٦٢٥/٧

[٢] سبق تخريجه من الكتب السته ،وللحديث طرق عدة ومتابعات وشواهد جمعها :د.أحمد بن فارس السلوم في كتاب لطيف سماه :طرق حديث عائشة "سحر النبي صلى الله عليه وسلم "فليراجع.

مجال سردها واكتفي هاهنا بنقل قول شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال -رحمه الله-: (وخبر الواحد المتلقي بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وهو قول أكثر أصحاب الأشعري كالاسفرائيني وابن فورك وإن كان في نفسه لا يفيد إلا الظن، لكن لما اقترن به إجماع على حكم مستندين في ذلك إلى ظاهر أو قياس أو خبر واحد، فإن ذلك الحكم يصير قطعيا عند الجمهور، وإن كان بدون الإجماع ليس بقطعي، لأن الإجماع معصوم، فأهل العلم بالأحكام الشرعية لا يجمعون على التصديق بكذب، ولا التكذيب بصدق...)، وقال أيضاً عن أحاديث الصحيحين: (وعلى هذا فكثير من متون الصحيحين متواتر اللفظ عند أهل العلم بالحديث، وإن لم يعرف غيرهم أنه متواتر، ولهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم علماء الحديث علما قطعيا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله، تارة لتواتره عندهم، وتارة لتلقي الأمة له بالقبول)[١].

الثالث: ادعاؤهم أن هذا الحديث يقدح في مقام النبوة، وينافي العصمة غير صحيح، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم معصوم بالإجماع من كل ما يؤثر خللاً في التبليغ والتشريع، وأما بالنسبة إلى الأعراض البشرية كأنواع الأمراض والآلام ونحو ذلك، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر -بشرط ألا يكون منفراً- لأنهم بشر كما قال تعالى: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ} (**سورة إبراهيم:**)، وقد أجاب كثير من العلماء عن هذه الشبهة وبينوا زيفها، يقول المازري: "أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويُشْكِلُ فيها، قالوا: وكل ما أدَّى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثمَّ وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوحَ إلى بشيء"، ثم قال: "وهذا كله مردود، لأن الدليل قد قام على صدق النبي فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يُبْعَث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين، قال: وقد قال بعض الناس إن المراد بالحديث أنه كان صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطئهن".

قال ابن حجر: "وهذا قد ورد صريحاً في رواية ابن عُيينة في الباب الذي يلي هذا، ولفظه: "حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن"[٢]، وفي رواية الحميدي: "أنه يأتي أهله ولا يأتيهم"[٣]، قال الداوردي: "يُرى" بضم أوله أي يظن، وقال ابن التين ضبطت "يرى" بفتح أوله، قال ابن حجر: وهو من الرأي لا من الرؤية فيرجع إلى معنى الظن، وفي مرسل يحيى بن يعمر عند عبد الرزاق "سحر النبي صلى الله عليه وسلم عن عائشة حتى أنكر بصره"[٤]، وعنده

---

[١] مجموع الفتاوى (١٨ / ٤١)، مسألة حجية خبر الآحاد استوعبت بحثا لذا آثرت الاختصار هنا ،لاسيما أن زميلتي د.نورة الحساوي فصلت القول فيها في بحثها المقدم للمؤتمر.

[٢] أخرجه البخاري، (الطب/ هل يستخرج السحر؟ ح ٥٧٦٥) عن عائشة رضي الله عنها بلفظه .

[٣] أخرجها أحمد في مسنده (١٢٦/١، ح ٢٥٩) عن الحميدي ثنا سفيان ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، وسنده صحيح .

[٤] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٣/١١) بسند مرسل .

في مرسل سعيد بن المسيب: "حتى كاد ينكر بصره"[1]، قال عياض: "فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده".

وقد قال بعض العلماء: "لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك، وإنما يكون من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت، فلا يبقى على هذا للمنكر حجة".

قال عياض: "يحتمل أن يكون المراد بالتَّخَيُّل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود، ويكون قوله في الرواية الأخرى: "حتى كاد ينكر بصره" أي صار كالذي أنكر بصره حيث أنه إذا رأى الشيء يخيل أنه على غير صفته، فإذا تأمله عرف حقيقته، ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به"[2].

الرابع: دعواهم أن السحر من عمل الشيطان، والشيطان لا سلطان له على عباد الله، نقول : إن المراد بقوله: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ} (سورة الحجر: ٤٢)، أي في الإغواء والإضلال(٣)، فهذه الآية كقوله تعالى حكاية عن الشيطان في مخاطبته لرب العزة: {لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} (سورة ص: ٨٢).

أما إصابة الشيطان العبد الصالح في بدنه فالآيات لا تنفيها، وقد جاء في القرآن ما يدل على إمكان وقوعها، ومن ذلك قول أيوب في دعائه ربه: {أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} (سورة ص: ٤١)، وقول موسى بعد قتله القبطي: {هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} (سورة القصص: ١٥)، ومنه سحرهم لموسى عندما ألقوا حبالهم وعصيهم: {فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} (سورة طه: ٦٦).

الخامس: أما دعواهم أن هذا الحديث مناقض للقرآن مصدِّق لمزاعم المشركين الذين زعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم رجل مسحور فأكذبهم القرآن في ذلك.

فالجواب عن هذا الزعم أن هذا الحديث موافق للقرآن لو تدبروا، فموسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وقد خُيل إليه عندما ألقى السحرة عصيهم أنها تسعى، فهذا القرآن يدل صراحة على أن السحر قد يؤثر في الأنبياء، فإن قالوا: إن هذا التأثير وصل إلى عقل الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا: نأبى هذا، وتأثير السحر لم يصل إلى هذا الحد، ولم يؤثر في تلقي الوحي والعمل به وتبليغه لأن النصوص قد دلت على عصمته في ذلك.

---

[1] عزاها ابن حجر في الفتح (٢٧٩/١٠) لعبد الرزاق ولم أقف عليها في مصنفه ووجدتها عند الطبري في تفسيره (٤٦٠/١) عن يونس نا ابن وهب ني يونس عن ابن شهاب قال: "كان عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب يحدثان أن يهود بني زريق عقدوا عُقَد سِحْرٍ لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجعلوها في بئر حزم حتى كاد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ينكر بصره، ودلَّه الله على ما صنعوا ". وهو حديث مرسل.

[2] انظر تفصيلاً لهذه الشبهة والرد عليها: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١٧٧)؛ الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١٦٠)؛ كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣٤٢/٤)؛ المفهم (٥٧٠/٥)؛ شرح النووي على صحيح مسلم (٣٩٧/١٤)؛ زاد المعاد (١٢٤/٤)؛ شرح المقاصد للتفتازاني (٧٩/٥)؛ الفتح لابن حجر، (٢٧٩/١٠)؛ أضواء البيان للشنقيطي (٥٠٨/٤)؛ عالم السحر والشعوذة لعمر الأشقر (١٨٣-١٨٤)؛ طرق حديث عائشة "سُحِر النبي صلى الله عليه وسلم "وبيان فقهه لأحمد السلوم (٤٥).

[3] انظر : جامع البيان للطبري، (٣٤/١٤)؛ تفسير ابن كثير، (٥٥٢/٢) .

ثم إن مراد المشركين من قولهم: {إِن تَتَّبِعُونَ إِلَا رَجُلاً مَّسْحُوراً} (سورة **الإسراء: ٤٧**)، أن الرسولصلى الله عليه وسلم إنما كان يَصْدِرُ عن جنون وخيال في كل ما يقول ويفعل، وأنه ليس برسول، وأنه لم يوحَ إليه بشيء وأن القرآن ليس من عند الله، وإنما هو خيال وسحر، فالقول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم سُحِرَ ليس هذا تصديقاً للمشركين ولا موافقيهم فيما أرادوا وفيما عنوا [(١)].

وبهذه الوجوه مجتمعة أرجو أن تندفع هذه الشبهات عن ذهن كل من قرأها أو سمعها فعلقت بذهنه وشوشت عليه معتقده ،وأختم بهذه النقولات الرائعة ،لأئمة عظماء تصدوا لهذه الشبه وردوها قديماً وحديثاً، قال ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر الأحاديث الدالة على سِحر النبي صلى الله عليه وسلم: "وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، مُتَلقًّى بالقبول بينهم لا يختلفون في صحته، وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم، وأنكروه أشد الإنكار، وقابلوه بالتكذيب، وصنف فيه بعضهم مصنفًا منفردًا حمل فيه على هشام يعني: ابن عروة بن الزبير، وكان غاية ما أحسن القول فيه أن قال: غلط واشتبه عليه الأمر، ولم يكن من هذا شيء، قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يُسْحَر، فإنه تصديق لقول الكفار: {إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً} (سورة الإسراء: ٤٧، سورة الفرقان: ٨)، قالوا: فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يُسحروا، فإن ذلك ينافي حماية الله لهم، وعصمتهم من الشياطين.

قال: وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم، فإن هشامًا من أوثق الناس وأعلمهم، ولم يقدح فيه أحدٌ من الأئمة بما يوجب رد حديثه فما للمتكلمين وما لهذا الشأن؟، وقد رواه غير هشام عن عائشة، وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن، والحديث، والتاريخ، والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأيامه من المتكلمين (ثم أخذ يذكر بعض الروايات في إثبات سحره –صلى الله عليه وسلم–)...إلى أن قال: والسحر الذي أصابه كان مرضًا من الأمراض عارضًا شفاه الله منه، ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء، فقد أغمي عليه – صلى الله عليه وسلم– في مرضه، ووقع حين انفكت قدمه، وجُحِشَ شِقه (أي انخدش)، وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعةً في درجاته، ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء؛ فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس، فليس ببدع أن يبتلى النبي –صلى الله عليه وسلم– من بعض أعدائه بنوع من السحر كما ابتلي بالذي رماه فشجه، وابتلي بالذي ألقى على ظهره السلا وهو ساجد، فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم، وعلو درجاتهم عند الله "[(٢)]أهـ.

*قال القاضي عياض: (وهكذا سائر أنبيائه تعالى بين مبتل، ومعافى، وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات أي في أحوالهم المتغيرة، والمتفاوتة فيها الحالات وليبين أمرهم، ويتم كلمته فيهم، وليحقق بامتحانهم

---

(١) انظر : أضواء البيان للشنقيطي (٥٠٨/٤)، مشكلات الأحاديث والتوفيق بين النصوص المتعارضة، لجماعة من العلماء بتصحيح الناشر : زكريا علي يوسف، (٢٠١-٢٠٤)؛ عالم السحر والشعوذة للأشقر، (١٨٧-١٨٨) .

(٢) بدائع الفوائد: ص ٢٢٤

بشريتهم وهذه الطوارئ إنما تختص بأجسامهم البشرية، وأما بواطنهم فمنزهة غالباً عن ذلك، معصومة منه، متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة، لأخذها عنهم، وتلقيها الوحي منهم)[١].

*قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي –حفظه الله-: (فإني لما كنت بمدينة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بلغني أن بعض الناس ينكرون "حديث السحر" فقلت لمن أخبرني: إنه في البخاري ومسلم، فقال: وهم ينكرونه، فقلت: بمن ضعفوه، وكنت أظن أنهم يسلكون مسالك العلماء في النقد والتجريح لعلهم وجدوا في سنده من هو سيئ الحفظ أو جاء موصولاً والراجح أنه منقطع أو جاء مرفوعاً والراجح فيه الوقف كما هو شأن الحافظ الدارقطني رحمه الله في انتقاداته على الصحيحين فإذا هؤلاء الجاهلون أحقر من أن يسلكوا هذا المسلك الذي لا يقوم به إلا جهابذة الحديث ونقاده والميزان عند هؤلاء أهواؤهم فما وافق الهوى فهو الصحيح، وإن كان من القصص الإسرائيلية أو مما لا أصل له وما خالف أهواءهم فهو الباطل، ولو كان في الصحيحين بل ربما تجاوز بعض أولئك المخذولين الحد وطعن في بعض القصص القرآنية.

لذا رأيت أن أقدم لإخواني طلبة العلم هذا الحديث الشريف وتوجيه أهل العلم لمعناه على المعنى الذي يليق بشرف النبوة والعصمة النبوية ولا أدعي أنني صححت الحديث فهو صحيح من قبل أن أخلق ومن قبل أن أطلب العلم وما طعن فيه عالم يعتد به وناهيك بحديث اتفق عليه الشيخان ورواه الإمام أحمد من حديث زيد بن أرقم ولا يتنافى معناه مع أصول الشريعة.

والذي أنصح به طلاب العلم أن لا يصغوا إلى كلام أولئك المفتونين الزائغين وأن يقبلوا على تعلم الكتاب والسنة وأن يبينوا للناس أحوال أولئك الزائغين ويحذروا منهم ومن كتبهم ومجلاتهم وندواتهم والله أسأل أن يحفظ علينا ديننا وأن يتوفانا مسلمين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)[٢].

الخاتمة

وبعد أن حططتُ الرِّحال، وأرخيتُ للقلم الزِّمام، وأوسعت له العنان، لقربه من الإتمام بعد رحلة ماتعة، تم فيها إلقاء الضوء اللامع والشهاب الساطع على شبهة أثيرت حول حادثة مهمة في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ألا وهي: حادثة سحره عليه الصلاة والسلام يَحسُن بعد ذلك كله أن أُلخّص الفوائد الجمَّة، والنتائج المهمة، والمقترحات المِلحَّة من خلال هذه الجولة المِلِمَّة، فإليكم النتائج أولاً فالمقترحات.

أولاً: النتائج

١/إن دين الإسلام هو الدين الحق الذى ارتضاه الله للناس ديناً؛ قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} (سورة المائدة: ٣)، فعلى المسلمين أن يعوا خطورة الادِّعاءات التي تُثار حول دينهم وعقيدتهم، كما يجب عليهم تفّحُص الخطاب المغلف الذي يوجه إليهم من الغرب، فكم من رزية حسبناها هدية، وكم من محنة توهمناها منحة.

---

[١] الشفا بتعريف حقوق المصطفى – ٢ / ٨٦٣

[٢] ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر – ص ٣ – ٤

فأعداء الإسلام لا يتوانون عن إلصاق الشُبهات التى من شأنها أن تعوق حركة المد الإسلامى التى يكتسح بها قارات العالم، ومن أجل ذلك؛ يجب على المسلمين أن يعملوا على تكوين منظمات إسلامية للدفاع عن الإسلام ودحض شبهات أعدائه، بأسلوب علمي رصين؛ يقوم برصد كل ما يقع من شبهات وافتراءات وردها على المستويين الإقليمى والعالمى.

٢/إن سحر النبي صلى الله عليه وسلم ثابت عند أثبات علماء أهل السنة والجماعة، وهذا السحر لم يضره في بدنه الظاهر ولا في عقله وإدراكه ولا في دينه وعبادته ولا في رسالته التي كلف بإبلاغها.

٣/إن في قصة سحر النبي عليه الصلاة والسلام الكثير من أدلة نبوته عليه الصلاة والسلام منها: معرفة النبي عليه الصلاة والسلام أن الذي سحره هو لبيد بن الأعصم وأن السحر موجود في مكان كذا وكذا والنبي عليه الصلاة والسلام هو الذي أرسل أصحابه ليستخرجوا السحر من المكان الذي وضع فيه، ودل على ذلك الحديث الصحيح.

٤/هذه القصة دليل ساطع علي كذب المستشرقين الذين يدعون أن السنة الشريفة قد وضعها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ليثبتوا أنه نبي وأنه صلى الله عليه وسلم كامل في الصفات فلو كان كلامهم الخبيث صحيحاً لما روى الصحابة رضوان الله عليهم هذا الحديث ونقلوه للناس لأنه –على حد زعمهم– يقلل من قدر النبي عليه الصلاة والسلام، ويطعن في عصمته.

ثانياً: التوصيات

١/توظيف وسائل الإعلام المختلفة لخلق وعي ديني سليم، والرد من خلاله على كل شبهه تثار على الدين الإسلامي.

٢/التعامل مع شبهات أعداء الإسلام من خلال هيئة متخصصة تصدر أحكامها عن دراسة متأنية مستبصرة وليس من موقف انحيازى لفكر أو منهج.

٣/ الاعتناء بعقد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات التي تهدف إلى رد الشبهات المثارة حول الدين الإسلامي للحفظ على صورة الدين الإسلامي نقية من كل ما يشوبها ويعكرها.

٤ /استكتاب علماء أجلاء لمعالجة تلك القضايا، وتشجيع الكتب التى تُفند تلك الشبهات ونشرها بين المسلمين وغيرهم.

٥/ التأكيد على النشر على شبكة المعلومات العنكبوتية (الإنترنت) بإنشاء موقع متخصص فى ذلك.

٦/الاهتمام بالأقليات المسلمة فى ذلك الشأن وإمدادهم بما يُحصنهم من ردود مترجمة كل على حسب لغته.

هذه أهم المقترحات والوصايا أختم بها بحثي راجيةً أن تجد الآذان الصاغية والقلوب الواعية، وأن تلقى العناية التامة إن شاء الله، وهي من باب النصيحة وأداء الأمانة والمشاركة في التوجيه، وأداء شيء من الواجب علينا تجاه سنة نبينا عليه الصلاة والسلام.

فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمن نفسي والشيطان، سائلةً الله أن يغفر خطئي، ويوفقني إلى الصواب، ويعصمني من القول عليه وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام ما ليس لي به علم، فإن الإنسان كثيراً ما

يكتبُ على عَجَل وتقطيع، يكتب وقلبه مشتت الشواغل، ممتلئ الارتباطات، في كل وادٍ منه قطعة، وفي كل مكان منه مُزعة، تؤلمه قضايا أمته، وتقضّ مضجعه مشكلاتها المتتابعة فقد كثرت الفتن، وتتابعت الهموم، مما يصدُّ عن إحكام المقال، وتحبير الأقوال، ويسبِّب الوقوع فيما لا يُراد عن حسن قصد، ونشدان للحق، وتحرٍّ للأفضل.

وأخيراً: إني لأعتذر عمَّا فيهذا البحث من قُصور، وما كان فيه من إطالة أو تكرار، أو تقصير، فلم أُرِدْ إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله، والمرء ضعيفٌ بنفسه، قليل بفكره، قوي بإخوانه، كثير بسماعه من غيره، والكمال لله وحده، والبشر عُرضة للأخطاء والزلاّت ولكن الأمل في مغفرة الله الجمّة ورحمته الواسعة.

وقبل أن أضع القلم، أَلْهَج بالشكر والثناء لله جلّ وعلا على توفيقه للإتمام، كما أثنِّي بالشكر الجزيل لأكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا كوالا لمبور ماليزيا وأخص بالشكر القائمين على هذا المؤتمر المباركة داعية الله عز وجل أن يعظم لهم الأجر والمثوبة وأن يبارك في جهودهم الخيرة لخدمة سنة الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، سائلة الله أن يعفو ويتجاوز ويوفِّق الجميع لما فيه خير الحال والمآل، وأن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ردُّ شبهات المستشرقين
حول تدوين السُّنَّة النبوية

د. منصور محمد أحمد يوسف

الوكيل المساعد للشؤون الأكاديمية للتعليم عن بعد

جامعة المدينة العالمية

ماليزيا

mansour.yousef@mediu.edu.my

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فإن السنة النبوية المطهرة هي أشرف العلوم بعد كتاب الله عز وجلَّ، إذ هي الشَّارحة له، والمبينة لمشكله، والمفَصلة لمجمله، والمخصصة لعامه، والمقيدة لمطلقه، وقد قيَّض الله تعالى للسنة النبوية حُفاظًا عارفين، وجهابذة عالمين، وصيارفة ناقدين، فتفرغوا لها، وأفنوا الأعمار في خدمتها، والذب عن حياضها في مواجهة سهام المستشرقين التي صوبوها تجاهها يطعنون في حفظها وتدوينها وحجيتها.

وقد تولى كبر الطعن في السنة النبوية بعض المستشرقين مثل اليهودي المجري جولد زيهر في كتابه "دراسات إسلامية" وغيره من الكتب، حيث كان أول مستشرق قام بمحاولة واسعة للتشكيك فى الحديث النبوى وتبعه مستشرقون آخرون مثل المستشرق جوزيف شاخت، والمستشرق جيمس روبسون، وأذناب أولئك مثل محمود أبو رية في كتابه "أضواء على السنة المحمدية" وغيرهم، وسأتناول بحث شبهاتهم حول تدوين السنة والرَّد عليها تحت عنوان:"ردُّ شبهات المستشرقين حول تدوين السُّنَّة النبوية"، في تمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

المبحث الأول: تعريف السنة النبوية والاستشراق في مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالسنة النبوية ومكانتها في الإسلام.

المطلب الثاني: تعريف الاستشراق وتاريخه وميدانه ودوافعه.

المبحث الثاني: الشبهات المثارة حول تدوين السنة النبوية و تفنيدها.

المبحث الأول

تعريف السُّنَّة النبوية والاستشراق

أعرف في هذا المبحث بالسُّنَّة في اللغة والشرع، ومكانتها في التشريع، وأعرف بالاستشراق ومفهومه وأهدافه في مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالسنة النبوية ومكانتها في الإسلام

أتناول في هذا المطلب التعريف بالسنة ومكانتها في الإسلام في ثلاث مسائل: المسألة الأولى: التعريف بالسنة في اللغة. المسألة الثانية: التعريف بالسنة في الشرع. المسألة الثالثة: مكانة السنة في الإسلام.

المسألة الأولى: التعريف بالسُّنَّة في اللغة

السُّنَّةُ: الطريقة والسيرة سواء كانت محمودةً أم مذمومةً، قال خالد بن زهير[(1)]:

فلا تَجْزَعَنْ من سيرةٍ أنت سِرْتَها　　　فأَوَّلُ راضٍ سُنَّةً مَنْ يسيرها

وسَنَنْتُها سنًّا واسْتَنَنْتُها: سِرْتُها، وسننتُ لكم سُنَّةً فاتَّبعوها. وفي الحديث: "مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً فله أجرها وأجر مَنْ عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومَنْ سنَّ في الإسلام سُنَّةً سيئةً كان عليه

(1) هو: خالد بن زهير بن محرث الهذلي، وهو ابن عم الشّاعر أبي ذؤيب الهذلي، أو ابن أخته. الإصابة في تمييز الصحابة ٣٥٤/٢.

وزرها ووزر مَنْ عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"[1]، يريد مَنْ عملها ليُقْتَدى به فيها. وكلُّ من ابتدأ أمرًا عمل به قومٌ بعده قيل: هو الذي سَنَّه، قال نُصَيبٌ[2]:

كأني سَنَنْتُ الحُبَّ أول عاشقٍ من الناس إذا أحببتُ من بينهم وحدي

وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرَّف منها، والأصل فيه الطريقة والسيرة، وإذا أُطلقت في الشرع فإنما يُراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، ونهى عنه، وندب إليه، قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز؛ ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسنة، أي القرآن والحديث، وقال الراغب[3]: "سُنَّةُ النبي: طريقته التي كان يتحرَّاها"[4].

المسألة الثانية: التعريف بالسنة في الشرع

يختلف معنى السُّنَّة في اصطلاح المتشرعين حسب اختلاف فنونهم وأغراضهم، فهي عند المحَدَّثين غيرها عند الأصوليين والفقهاء.

(أ) السُّنَّة في اصطلاح المحَدَّثين: كل ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفةٍ خَلْقية، أو خُلُقية، أو سيرة، سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه[5] في الغار، أم بعدها[6]. والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي.

(ب) السُّنَّة في اصطلاح الأصوليين: كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن الكريم من قول، أو فعل، أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعيًّ[7].

أما القول: فهو أحاديثه صلى الله عليه وسلم التي قالها في مختلف المناسبات، فترتب على ذلك حكم شرعي، كقوله صلى الله عليه وسلم: "لا وصية لوارث"[8].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه ٧٠٥/٢ حديث (١٠١٧)، ٢٠٥٩/٤ من حديث جرير بن عبد الله البجلي.

[2] هو: نصيب بن رباح، أبو محجن، مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل، مقدم في النسيب والمدائح، له شهرة ذائعة، وأخبار مع عبد العزيز بن مروان وسليمان بن عبد الملك، مات سنة ثمان ومئة. الأعلام للزركلي ٣١/٨.

[3] هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، الأصفهاني، أو الأصبهاني، المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء العلماء، من أهل أصبهان، سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه: محاضرات الأدباء، والذريعة إلى مكارم الشريعة، وجامع التفاسير، والمفردات في غريب القرآن، مات سنة اثنتين وخمس مئة. الأعلام للزركلي ٢٥٥/٢.

[4] ينظر: لسان العرب ٢١٢٤/٣، وتاج العروس ٢٣١/٣٥، والمعجم الوسيط ٤٥٨/١ مادة (س ن ن).

[5] أي: تعبده . أساس البلاغة ص ٢١٧.

[6] ينظر: السُّنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٥٧، ومعجم المصطلحات الحديثية للأستاذ الدكتور/ محمود الطحان وآخرين ص ٢٤، ومعجم مصطلح الحديث النبوي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص ٤٠.

[7] ينظر: معجم أصول الفقه لخالد رمضان حسن ص ١٤٨، ومعجم مصطلحات أصول الفقه عربي – إنجليزي للدكتور قطب مصطفى سانو ص ٢٣٥، ومعجم مصطلحات أصول الفقه ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص ٦٧.

[8] أخرجه أحمد في المسند ٢١٠/٢٩ حديث (١٧٦٦٣) من حديث عمرو بن خارجة، وقال محققو المسند: "صحيح لغيره"، وابن ماجه في السنن ٩٠٥/٢ – ٩٠٦ حديث (٢٧١٣، ٢٧١٤) كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث، من حديث أبي أمامة الباهلي، وأنس بن مالك، وقال الألباني : "صحيح".

وأما الفعل: فهو أفعاله التي نقلها إلينا الصحابة، مثل أدائه الصلوات الخمس بهيئاتها، وأركانها، وأدائه صلى الله عليه وسلم مناسك الحج، وقضائه بالشاهد واليمين[١]، وما إلى ذلك.

وأما التقرير: فكل ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم، مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال، بسكوت منه وعدم إنكار، أو بموافقته وإظهار استحسانه وتأييده، فيُعتبرُ ما صدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه صادرًا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك إقراره لاجتهاد الصحابة في أمر صلاة العصر في غزوة بني قريظة، حين قال لهم: "لا يُصلينَّ أحدكم العصرَ إلا في بني قريظة"[٢] ففهم بعضهم هذا النهي على حقيقته، فأخَّرها إلى ما بعد المغرب، وفهمه بعضهم على أن المقصود حث الصحابة على الإسراع فصلاها في وقتها، وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل الفريقان، فأقرَّهما ولم يُنكر على أحدهما[٣].

(ج) السُّنَّة في اصطلاح الفقهاء: كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب، فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض. وقد تطلق السُّنَّة عند الفقهاء في مقابلة البدعة[٤]. والبدعة لغةً: الأمر المسْتَحدث[٥]، ثم أُطلقت في الشرع على كل ما أحدثه الناس من قول وعمل في الدين وشعائره مما لم يُؤثر عنه صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ"[٦].

ومن ذلك قولهم: "فلان على سُنَّة". إذا عمل على وفق عمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، سواء أكان ذلك مما نُصَّ عليه في الكتاب أم لم يكن، وقولهم: "فلان على بدعة" إذا عمل على خلاف ما عملوه أو أحدث في الدين ما لم يكن عليه السلف"[٧].

وتطلق السُّنَّة أحيانًا عند المحدثين وعلماء أصول الفقه على ما عمل به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء أكان ذلك في الكتاب الكريم أم في المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أم لا[٨]، ويُحتج لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ"[١].

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده ٩٨/٤ حديث (٢٢٢٤) من حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قضى بشاهد ويمين. وقال محققو المسند: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه ١٥/٢ حديث (٩٤٦) كتاب صلاة الخوف، ١١٢/٥ حديث (٤١٩٩) كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة، ومحاصرته إياهم، ومسلم في صحيحه ١٣٩١/٣ حديث (١٧٧٠) باب المبادرة بالغزو وتقديم أهل الأمرين المتعارضين، من حديث ابن عمر.

[٣] ينظر: فتح الباري لابن حجر ٤٧١/٧ – ٤٧٤.

[٤] ينظر: السنة ومكانتها في التشريع ص ٥٨.

[٥] المعجم الوسيط ٤٣/١.

[٦] أخرجه مسلم في صحيحه ١٣٤٣/٣ حديث (١٧١٨) باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، من حديث عائشة رضي الله عنها.

[٧] السنة قبل التدوين ص ١٨.

[٨] ينظر: الحديث والمحدثون ص ٩ – ١٠.

وأعني في بحثي هذا ما أراده المحَدِّثون، وهي ما يرادف الحديث عن جمهورهم، وإن كان بعضهم يفرق بينهما فيرى الحديث ما يُنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، والسُّنَّة ما كان عليه العمل المأثور في الصدر الأول؛ ولذلك قد ترد أحاديث تخالف السنة المعمول بها، فليجأ العلماء حينئذ إلى التوفيق والترجيح، وعلى ذلك يُحمل قول عبد الرحمن بن مهدي[٢]: لم أر أحدًا قط أعلم بالسُّنَّة ولا بالحديث الذي يدخل في السُّنَّة من حماد بن زيد[٣].

ومما يدلُّ على أن السُّنَّة هي العمل المتَّبع في الصدر الأول قول علي بن أبي طالب[٤] لعبد الله بن جعفر[٥] عندما جلد شارب الخمر أربعين جلدة: "كُفَّ. جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين، وأبو بكر أربعين، وكمَّلها عمر ثمانين، وكُلٌّ سُنَّةٌ"[٦].

المسألة الثالثة: مكانة السنة في الإسلام:

القرآن الكريم هو الأصل الأول للإسلام، والسُّنَّةُ هي الأصل الثاني، ومنزلتها من القرآن أنها مُبينةٌ وشارحةٌ له، تفصل مُجمله، وتوضح مُشكله، وتُقيد مطلقه، وتُخصص عامَّه، وتبسط ما فيه من إيجاز[٧].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُبَيِّن بالقول تارةً، وبالفعل تارةً، وتارةً بهما، فقد ثبت[٨] عنه صلى الله عليه وسلم أنه فسَّر الظلم بالشِّرك في الآية (٨٢) من سورة الأنعام، وقال صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[٩].

---

[١] أخرجه ابن ماجه في سننه ١/١٥ حديث (٤٢)، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، من حديث العِرباض بن سارية. قال الألباني: "صحيح"

[٢] هو: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم، أبو سعيد البصري، ثقة ثبت حافظ، عارف بالرجال والحديث، مات سنة ثمان وتسعين ومئة. تاريخ بغداد ١٠/٢٤٠، سير أعلام النبلاء ٩/١٩٢، وقوله في مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/١٧٧.

[٣] هو: حماد بن زيد بن درهم الجهضمي، أبو إسماعيل البصري، ثقة ثبت فقيه، قيل: إنه كان ضريرًا، ولعله طرأ عليه؛ لأنه صحَّ أنه كان يكتب، مات سنة تسع وسبعين، وله إحدى وثمانون سنة. الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٢٨٦، وتهذيب الكمال ٧/٢٣٩.

[٤] هو: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي، الهاشمي، أبو الحسن، وأبو السبطين، ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته، وهو أول الناس إسلامًا في قول كثير من العلماء، وهو أحد العشرة، وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، مات في رمضان سنة أربعين. معجم الصحابة لابن قانع ٢/٢٥٩، وأسد الغابة ٤/٩١.

[٥] هو: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أبو جعفر القرشي الهاشمي، الحبشي المولد، المدني الدار، له صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة، وهو آخر من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه من بني هاشم، وله وفادة عَلَى معاوية، وعَلَى عبد الملك، وكان كبير الشأن، كريمًا، جوادًا، يصلح للإمامة، مات سنة ثمانين، وقيل: سنة أربع أو خمس وثمانين. أسد الغابة ٣/١٩٨، وسير أعلام النبلاء ٣/٤٥٦.

[٦] أخرجه أحمد في المسند ٢/٥٨ حديث (٦٢٤)، وقال محققو المسند: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

[٧] ينظر: دفاع عن السنة للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ص ١٢.

[٨] أخرجه البخاري في صحيحه ١/١٥ حديث (٣٢) كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، ومسلم في صحيحه ١/١١٤ حديث (١٢٤) كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، من حديث عبد الله بن مسعود.

[٩] أخرجه البخاري في صحيحه ١/١٢٩ حديث (٦٣١) كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة، من حديث مالك بن الحويرث.

وقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: "لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه"، وفي رواية: "خذوا عني مناسككم"[١]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مئة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مئة والرجم"[٢].

ومن أمثلة بيان السُّنَّة للقرآن الكريم موضوع الصلاة، فالقرآن لم يبيِّن عدد الصلوات، ولا كيفيتها، ولا أوقاتها، ولا فرائضها، ولا سننها، فجاءت السُّنَّة النبوية فبَيَّنَتْ ذلك كله، وكذلك لم يبيِّن متى تجب الزكاة؟ ولا أنصبتها، ومقدار ما يخرج فيها، وفي أي شيء تجب؟ فجاءت السُّنَّة النبوية فبَيَّنَتْ ذلك كله، ولم يبِّين ما هي السرقة؟ وما النصاب الذي يُحَدُّ فيه السارق؟ وما المراد بالأيدي؟ ومن أي موضع يكون القطع؟ فجاءت السُّنَّة النبوية فبَيَّنَتْ ذلك كله.

وقد تَسْتَقِلُّ السُّنَّة النبوية بالتَّشريع أحيانًا، كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وتحريم الحُمُر الأهلية، وكل ذي ناب من السَّباع ومخلب الطير، والقضاء باليمين مع الشاهد، إلى غير ذلك من الأحكام التي زادتها على الكتاب[٣].

وقد اتفق العلماء الذين يُعْتَدُّ بهم على حِجِّية السُّنَّة النبوية سواء منها ما كان على سبيل البيان أو على سبيل الاستقلال، قال الشَّوكاني[٤]: "إن ثبوت حجية السُّنَّة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا مَنْ لاحظَّ له في دين الإسلام"[٥].

أما الحديث الذي يرويه القائلون بعدم استقلال السُّنَّة النبوية بالتشريع، وهو: "ما آتاكم عنه فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وإن خالف كتاب الله فلم أقله أنا، وكيف أخالف كتاب الله وبه هداني"[٦].

فقد بيَّن أئمة الحديث وصيارفته أنه موضوع مُخْتلق على النبي صلى الله عليه وسلم، وضعته الزَّنادقة كي يصلوا إلى غرضهم الدنيء من إهمال السُّنَّة النبوية[٧].

"وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم فقالوا: نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء ونعتمد على ذلك، قالوا: فلما عرضناه على كتاب الله عز وجل وجدناه مُخالفًا لكتاب الله؛ لأنا لم نجد في كتاب الله

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه ٩٤٣/٢ حديث (١٢٩٧) كتاب الحج، باب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبًا، وأبو داود في سننه ١٤٦/٢ حديث (١٩٧٢) كتاب الحج، باب في رمي الجمار، والنسائي في سننه ٢٧٠/٥ حديث (٣٠٦٢) كتاب الحج، باب الركوب إلى الجمار واستظلال المحرم، من حديث جابر بن عبد الله، وقال الألباني: "صحيح".

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ١٣١٦/٣ حديث (١٦٩٠) كتاب الحدود، باب حد الزنا، من حديث عبادة بن الصامت.

[٣] ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٩/١، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١١٩٠/٢.

[٤] هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، له مؤلفات كثيرة، منها نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والبدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السَّابع، وإرشاد الفحول، وغيرها، مات سنة خمسين ومئتين وألف. الأعلام للزركلي ٢٩٨/٦.

[٥] إرشاد الفحول ٩٧/١.

[٦] ينظر: جامع بيان العلم وفضله ١١٩١/٢.

[٧] دفاع عن السنة ص ١٨.

ألَّا نقبل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما وافق كتاب الله، بل وجدنا كتاب الله يُطْلِقُ التَّأسي به، والأمر بطاعته، ويحذر المخالفة عن أمره جملةً على كل حال"[١].

"وقد حاول بعض المستشرقين وأتباعهم الذين صنعهم الاستعمار على يديه أن يُحيوا ما اندرس من هذه الدعوة الخبيثة، ولكن الله قيَّض لهؤلاء في الحديث كما قيَّض لأسلافهم في القديم مَنْ وضع الحقَّ في نصابه، ورد كيدهم في نحورهم.

المطلب الثاني: تعريف الاستشراق وتاريخه وميدانه، ودوافعه

أتناول في هذا المطلب التعريف بالاستشراق، وتاريخه وأهدافه، ووسائله لتحقيق تلك الأهداف في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الاستشراق:

الاستشراق: تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشَّرقيين؛ شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، ومعتقداتهم، وتقاليدهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم، وأرضهم، وحضارتهم وكلّ ما يتعلّق بهم.

وكان هدفهم الأساس دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية؛ لخدمة أغراض التبشير من جهة، وخدمة أغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخرى، ولإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية[٢].

والمستشرقون: هم الذين يقومون بهذه الدراسات من غير الشَّرقيين، ويقدمون الدراسات اللازمة للمبشرين، بغية تحقيق أهداف التبشير، وللدوائر الاستعمارية بغية تحقيق أهداف الاستعمار. وكثير من المستشرقين قساوسة منتظمون في السلك الكنسي، فهم بمقتضى مهنتهم أصحاب مهمات تبشيرية، وآخرون منهم موظفون ببلدانهم في الدوائر السياسية والإدارية المختصة بشؤون الاستعمار، بصفة باحثين، أو مستشارين، أو نحو ذلك. واندس في الاستشراق يهود كثيرون، ينافقون النَّصارى، ويخدمون سرًّا أهدافًا يهودية ضمن المخطط اليهودي العام.

وظهر ضمن المستشرقين نفرٌ عُني بالدراسات الاستشراقية، رغبةً في البحث العلمي المتجرد، دون أن يكون مدفوعًا بدافع تبشيري، أو دافع استعماري، وكان من بعض هؤلاء إنصاف للحقيقة دون تحيز، وبعض هؤلاء المنصفين تأثر بالإسلام وبالحضارة الإسلامية، واستطاع أن يتحرر من تقاليده العمياء، وعصبيته الجاهلية فأسلم. ثم اتسعت الدراسات الاستشراقية لأهداف متعددة؛ اقتصادية، وسياسية، وعسكرية، وعلمية، وغير ذلك. واحتل كثير من المستشرقين مراكز علمية مرموقة في الجامعات الغربية، وأُوكل إليهم في هذه الجامعات أمر منح الشَّرقيين الشهادات العليا: الماجستير والدكتوراه في العلوم الإسلامية؛ بغية صناعة حملة شهادات من بلدان العالم الإسلامي، طبق ما يريد المبشرون والمستعمرون[٣].

---

[١] جامع بيان العلم وفضله ١١٩١/٢، وينظر: الفوائد المجموعة للشوكاني ٢٩١/١.

[٢] ينظر: أجنحة المكر الثلاثة ص ٥٣، ١٢٠، واهتمام المحدثين بنقد الحديث ص ٤٢٠.

[٣] ينظر: أجنحة المكر الثلاثة ص٥، ١٢١.

المسألة الثانية: تاريخ الاستشراق:

لا يُعرف بالضبط أول غربي عُني بالدراسات الشَّرقية ولا في أي وقت كان، ولكن المؤكد أن بعض الرُّهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن الكريم والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم خاصةً في الفلسفة والطب والرياضيات[1].

وبعد أن عاد هؤلاء الرُّهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة "بادوي" العربية، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تُدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية –وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ– واستمرت الجامعات العربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية لدراسة قرابة ستة قرون.

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية، وترجموا القرآن الكريم وبعض الكتب العربية العلمية والأدبية حتى جاء القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته، فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق، ويُصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية والإسلامية، فيشترونها من أصحابها الجهلة، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في غاية الفوضى، وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم، وإذا بأعداد كبيرة جدًّا من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوروبا، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مئتين وخمسين ألف مجلدًا، وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم.

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عُقِدَ أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م، وتتالى عقد المؤتمرات التي تُلْقى فيها الدراسات عن الشَّرق وأديانه وحضاراته، وما تزال تُعقد حتى هذه الأيام[2].

المسألة الثالثة: أهداف الاستشراق:

كثير من المسلمين ممن يشتغلون بالدراسات والتحقيق في مجال الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، يرون أن المستشرقين قد أسدوا إلى المسلمين معروفًا، وأثروا المكتبة الإسلامية بدراساتهم الأكاديمية، ولكنهم يغفلون أو يجهلون أن المستشرقين لم يفعلوا ذلك بدافع علمي محض، ولم يكن لهم هدف إلا الطعن في الإسلام والحط من مكانته وتشويه صورته الحقيقية حتى لا يتأثر المجتمع الأوروبي به، ولم ينجح من هؤلاء إلا عدد قليل فلم يدّس ولم يحرف[3]. وتنقسم أهداف المستشرقين إلى ثلاثة أقسام: **القسم الأول: أهداف علمية مشبوه، تهدف إلى:**

(أ) التشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ومصدرها الإلهي، فجمهورهم يُنكر أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم نبيًّا موحىً إليه من عند الله –جلّ شأنه– ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحيانًا، خاصةً أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فمن المستشرقين مَنْ يُرجع ذلك إلى صرع كان ينتاب النبي صلى الله عليه وسلم حينًا بعد حين، ومنهم من يُرجعه إلى تخيلات كانت تملأ

(1) ينظر: الاستشراق والمستشرقون للدكتور/ مصطفى السباعي ص ١٧، وأجنحة المكر الثلاثة ص ١٢٢.

(2) الاستشراق والمستشرقون للدكتور/ مصطفى السباعي ص ١٨-١٩ بتصرف يسير.

(3) اهتمام المحدثين بنقد الحديث ص ٤٢٥ بتصرف.

ذهن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم مَنْ يفسرها بمرض نفسي، وهكذا؛ كأن الله سبحانه لم يُرسل نبيًّا قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي، فكان إنكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم تعنتًا مبعثه التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كرهبان وقسس ومُبشرين.

(ب) ويتبع ذلك إنكارهم أن يكون القرآن الكريم مُنَزَّلاً على النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله عز وجل، وحين يُفْحِمهم ما ورد فيه من حقائق تاريخية عن الأمم السابقة مما يستحيل صدروه عن أميَّ مثل محمد صلى الله عليه وسلم، يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أنه استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها، ويتخبطون في ذلك تخطبًا عجيبًا، وحين يفحمهم ما جاء في القرآن الكريم من حقائق علمية لم تُكْتَشف إلا في هذا العصر، يُرجعون ذلك إلى ذكاء النبي صلى الله عليه وسلم فيقعون في تخْبط أشد غرابة من سابقه.

(ج) ويتبع إنكارهم النبوة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسماوية القرآن الكريم، إنكارهم أن يكون الإسلام دينًا من عند الله، وإنما هو مُلَفَّقٌ عندهم من الديانتين اليهودية والمسيحية، وليس لهم في ذلك مُسْتَنَدٌ يؤيده البحث العلمي، وإنما هي ادعاءات تستند على بعض نقاط الالتقاء بين الإسلام والديانتين السابقتين.

(د) التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون، ويتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وَضْعٍ ودَسًّ، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا لتقنية الحديث الصحيح من غيره، مُسْتندين إلى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتَّحري، مما لم يُعْهد عندهم في ديانتهم عُشْر مِعْشاره في التأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم؛ والذي حملهم على ركوب متن الشَّطط في دعواهم هذه، ما رأوه في الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة، وهم لا يعتقدون بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، فادَّعوا أنَّ هذا لا يُعْقل أن يصدر كلّه عن محمد الأمي صلى الله عليه وسلم بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، فالعقدة النفسية عندهم هي عدم تصديقهم بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها تنبعث كل تخبطاتهم وأوهامهم[1].

القسم الثاني: أهداف دينية وسياسية، تتلخص فيما يأتي:

(أ) تشكيك المسلمين في نبيهم وقرآنهم وشريعتهم وفقههم، ففي ذلك هدفان: ديني واستعماري.

(ب) تشكيك المسلمين في قيمة تراثهم الحضاري، ويدَّعون أنَّ الحضارة الإسلامية منقولة من حضارة الرُّومان، ولم يكن لهم إبداع فكري ولا ابتكار حضاري.

(ج) إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، وبثّ روح الشَّكّ في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة؛ ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم، فيكونوا عبيدًا لهم.

(د) إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنَّعرات بين شعوبهم.

---

(1) الاستشراق والمستشرقون ص٢٥ – ص٢٩ بتصرف.

القسم الثالث: أهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث والتحميص:

وذلك بدراسة التراث الإسلامي دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عليهم، وهذا الصنف قليل عدده جدًّا، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق؛ إمَّا لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإمَّا لجهلهم بالأجواء التاريخية الإسلامية على حقيقتها، فيحبون أن يتصوروها كما يتصورون مجتمعاتهم، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها، وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها، وهذه الفئة أسلم الفئات الثلاث في أهدافها، وأقلها خطرًا، إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبيَّن لهم، ومن هؤلاء مَنْ يؤدي بهم البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين[1].

المبحث الثاني

الشبهات المثارة حول تدوين السُّنَّة النبوية وتفنيدها

تأكد المستشرقون أن السُّنَّة النبوية هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، وأنه لا يمكنهم الوصول لأهدافهم الذميمة التي قصدوها إلا إذا هُدِم هذا المصدر؛ لذا فقد صوبوا سهامهم نحو السُّنَّة النبوية يطعنون فيها، وفي حجيتها، وفي جهود المسلمين من سلف الأمة في حفظها وتدوينها.

وقد تولى كبر الطَّعن في السُّنَّة النبوية عدد من كبار المستشرقين مثل: جولد زيهر[2] في كتابه "دراسات إسلامية" وغيره من كتبه، كما تناول السُّنَّة المستشرقين جوزيف شاخت[3]، وغيرهما.

ومن أبرز الطعون التي وجهها المستشرقون للسُّنَّة النبوية أن السُّنَّة لو كانت حُجَّةً لأمر النبيُّ صلى الله عليه وسلم بكتابتها صراحةً، ولم نجد أحاديث تأمر بالكتابة وأخرى تمنع منها.

وللرَّدِّ على هذه الشُّبهة، فإنني أعرض للأحاديث التي أباحت الكتابة، ثم للأحاديث التي نهت عنها، ثم أزيل هذا التعارض.

أولاً: أحاديث إباحة الكتابة:

(١) حديث عبد الله بن عمرو[1]: قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أُريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

[1] الاستشراق والمستشرقون ص ٣٠-٣٣ بتصرف.

[2] مستشرق مجري موسوي يلفظ اسمه بالألمانية إجناتس جولد تسهير، تعلم في بودابست وبرلين وليبسك، ورحل إلى سوريا سنة ١٨٧٣م، فتعرَّف بالشيخ طاهر الجزائري وصحبه مدةً، وانتقل إلى فلسطين، فمصر، حيث لازم بعض علماء الأزهر، وعُيِّن أستاذًا في جامعة بودابست (عاصمة المجر) وتوفي بها سنة ١٩٢١م = ١٣٤٠هـ. الأعلام ٨٤/١.

[3] مستشرق متعصب ضد الإسلام ولد سنة ١٩٠٢، وتخرج في جامعتي برتسيلا وويسبيك، وعُيِّن محاضرًا للدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد سنة ١٩٤٨م، وأستاذًا بجامعة الجزائر سنة ١٩٥٢، وانتخب عضوًا في مجامع وجمعيات ونواد علمية كثيرة، منها المجمع العلمي العربي بدمشق، وهو من محرري دائرة المعارف الإسلامية، وهو الذي حمل رسالة جولد زيهر في الدَّس على الإسلام والكيد له وتشويه حقائقه. ينظر: اهتمام المسلمين بنقد الحديث ص ٤٣٢، ودراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ص/ي.

ورسول الله بشرٌ، يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "اكتب، فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق"[٢].

(٢) حديث أبي هريرة[٣]، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الأنصار: "استعن بيمينك، وأومأ بيده للخَطِّ"[٤].

(٣) حديث أبي هريرة قال: لما فتح الله على رسوله، وذكر في الحديث أنَّ رجلاً من أهل اليمن طلب من النبي صلى الله عليه وسلم، أن يكتبوا له خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم، فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال: "اكتبوا لأبي شاة"[٥].

(٤) حديث رافع بن خَديج[٦] قال: قلت لرسول الله: إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها؟ قال: "اكتبوا ولا حرج"[٧].

(٥) حديث عبد الله بن عباس قال: لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال: "ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابًا لا تضلُّوا بعده" قال عمر: إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حَسْبُنا فاختلفوا وكثر اللغط. قال: "قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع"[٨].

---

[١] هو: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم السهمي، أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن، أحد السابقين، المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، توفي بمصر سنة خمس وستين. الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٦١/٤، والاستيعاب ٩٥٦/٣، والإصابة ١٩٢/٤.

[٢] أخرجه أحمد في المسند ٥٧/١١ حديث (٦٥١٠) وقال محققو المسند: "إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين".

[٣] أبو هريرة: اختلف في اسمه اختلافًا كثيرًا، وأشهر ما قيل فيه: عبد الرحمن بن صخر، وهو مشهور بكنيته، كان مقدمه المدينة وإسلامه سنة سبع عام خيبر، مات سنة سبع وخمسين، وقيل بعدها، وهو ابن ثمان وسبعين. أسد الغابة ٤٦١/٣، ٣١٨/٦، والإصابة ٤٢٥/٧.

[٤] أخرجه الترمذي في السنن ٣٩/٥ حديث (٣٦٦٦) كتاب العلم، باب ما جاء في الرُّخصة في كتابة العلم، وقال الترمذي: "هذا حديث إسناده ليس بذلك القائم".

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٥/٣ حديث (٢٤٣٤) كتاب اللقطة، باب كيف تُعَرَّف لُقطة أهل مكة، و٥/٩ حديث (٦٨٨٠) كتاب الديات، باب مَنْ قُتل له قتيل فهو بخير النَّظرين، ومسلم في صحيحه ٩٨٨/٢ حديث (١٣٥٥) كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدَّوام.

[٦] هو: رافع بن خديج بن رافع بن عدي الأوسي، الأنصاري، أبو عبد الله، ويقال: أبو خديج المدني، ردَّه رسول الله ﷺ يوم بدر؛ لأنه استصغره، وأجازه يوم أحد فشهدها، والخندق وأكثر المشاهد، مات سنة أربع وسبعين، وقيل: قبل ذلك. الاستيعاب ٤٧٩/٢، وأسد الغابة ١٩٠/٢، والإصابة ٤٣٦/٢.

[٧] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٧٦/٤ حديث (٤٤١٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد:"فيه أبو مدرك ولم أر من ذكره".

[٨] أخرجه البخاري في صحيحه ٣٤/١ حديث (١١٤) كتاب العلم، باب كتابة العلم، ٩/٦ حديث (٤٤٣١) كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، ١٢٠/٧ حديث (٥٦٦٩) كتاب المرضى، باب قول المريض: قوموا عني، ١١١/٩ ح (٧٣٦٦) كتاب الاعتصام، باب كراهية الخلاف، ومسلم في صحيحه ١٢٥٩/٣ حديث (١٦٣٧) كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه.

ثانيًا: أحاديث النهي عن الكتابة:

(١) حديث أبي سعيد الخدري[١]، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تكتبوا عني ومَنْ كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدَّثوا عني ولا حرج، ومَنْ كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار"[٢]، وهو أقوى ما ورد في النهي عن الكتابة.

(٢) حديث أبي سعيد الخدري قال: استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم أن أكتب الحديث فأبى أن يأذن لي[٣].

(٣) حديث أبي هريرة: قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نكتب الأحاديث، فقال: "ما هذا الذي تكتبون؟" قلنا: أحاديث سمعناها منك. قال: "أكتابًا غير كتاب الله تريدون؛ ما أضل الأمم من قبلكم إلا ما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله"[٤].

(٤) حديث زيد بن ثابت[٥] قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ألا نكتب شيئًا من حديثه[٦].

هذه الأحاديث التي يشير ظاهرها إلى النهي عن الكتابة، تتعارض مع أحاديث إباحة الكتابة، وقد أزال العلماء هذا التعارض الظاهري.

إزالة هذا التعارض: إن التعارض الظاهري بين بعض آيات القرآن الكريم مع بعضها، وبين نصوص من السُّنَّة النبوية بعضها مع البعض، أو معها مع بعض آيات من القرآن الكريم أمر قائم موجود، وقد كتب العلماء في إزالة مثل هذه الإشكاليات، فهناك "مُشْكل القرآن" لابن قتيبة، وفصول من "الإتقان" للسيوطي.

أما بالنسبة للحديث فهناك "تأويل مُختلف الحديث" لابن قتيبة، و"مُشْكل الآثار" للطحاوي[٧].

وقد أزال العلماء في هذا التعارض الوارد بين النصوص التي تبيح الكتابة والتي تنهي عنها، وقد تحددت اتجاهاتهم في رأيين: فمنهم مَنْ يجمع بينها ومنهم مَنْ يرجح.

---

[١] هو: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، الخدري، مشهور بكنيته، استصغر يوم أحد، واستشهد أبوه بها، وغزا هو ما بعدها من المشاهد، مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين، وقيل: أربع وسبعين. أسد الغابة ٣٦٥/٢، ١٤٣/٦، والإصابة ٧٨/٣.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٩٨/٤ حديث (٣٠٠٤) كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.

[٣] أخرجه الخطيب البغدادي في تقييد العلم ص ٣٢، ٣٣.

[٤] أخرجه الخطيب البغدادي في تقييد العلم ص ٣٣.

[٥] هو: زيد بن ثابت بن الضحاك بن لَوْذان الأنصاري، أبو سعيد، وأبو خارجة، وقيل غير ذلك في كنيته، استصغر يوم بدر، وشهد أحدًا، وقيل: أول مشاهده الخندق، كتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي كتب القرآن في عهد أبي بكر وعمر، وكان أعلم الصحابة بالفرائض، مات سنة خمس أو ثمان وأربعين، وقيل بعد الخمسين. الاستيعاب ٥٣٧/٢، وأسد الغابة ٢٧٩/٢، والإصابة ٥٩٢/٢.

[٦] اخرجه الخطيب البغدادي في تقييد العلم ص ٣٥، والقاضي عياض في الإلماع ص ١٤٨.

[٧] ينظر: الإرشاد في علوم الحديث للدكتور مصطفى محمد السيد أبو عمارة ص ٢٢٠.

فيرى البعض أنَّ أحاديث النهي متقدمةٌ، فهي منسوخة نسختها أحاديث الإباحة، فيكون من منسوخ السُّنَّة بالسُّنَّة، ولما كَثُرت الأحاديث وخشي أن تفوت أذن أن تُكتب وتُقَيَّد.

الرأي الثاني: أن الإباحة خاصة بمن لا يخلط بين القرآن الكريم والحديث؛ لكثرة اطلاعه، ومعرفته بالأسلوبين؛ ولذا خص عبد الله بن عمرو لأنه كان قارئًا للكتب المتقدمة، ويكتب بالسريانية والعربية، وكان غيره من الصحابة أميين لا يكتب منهم إلا الواحد والاثنان، وإذا كتب لم يُتقن ولم يصب التهجي. فلما خشي عليهم الغلط فيما يكتبون، نهاهم، ولما أمن على عبد الله بن عمر ذلك، أذن له(١).

وهذا الرأي يتلخص في أن النهي عن الكتابة إنما كان لطائفة معينة، اشتهرت بحفظها وإتقان ما يثبت في صدرها، وأن الإباحة لمن كان يحتاج إلى الكتابة لظروف معينة ككونه لا يجيد الحفظ ويخشى النسيان، أو لكونه كان متمرسًا في الأساليب وإتقان الكتابة مثل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وهذا ما أشار إليه ابن الصلاح(٢) في قوله: "ولعله صلى الله عليه وسلم أذن في الكتابة عنه لمن خشي عليه النِّسيان، ونهى عن الكتابة عنه مَنْ وثق بحفظه مخافة الاتكال على الكتاب"(٣). وتبعه النَّووي(٤) في التقريب(٥).

لكن القول بالنَّسخ وهو القول الأول مال إليه كثير من العلماء؛ منهم الخطابي(٦)، والمنذري(٧) وابن حجر(٨)، حجر(٨)، وابن القيم(٩)، والرامهرمزي(١).

---

(١) ينظر: تأويل مختلف الحديث ص ١٩٣.

(٢) هو: عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى، تقي الدين، أبو عمرو، الكردي، الشهرزوري، الموصلي، الشافعي، الإمام الحافظ العلامة، شيخ الإسلام، مات سنة ثلاث وأربعين وست مئة. سير أعلام النبلاء ١٤٠/٢٣، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٢٦/٨.

(٣) مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠٣ مع التقييد والإيضاح.

(٤) هو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي، الحواربي، النووي، الشافعي، أبو زكريا، علامة بالفقه والحديث من كتبه: تهذيب الأسماء واللغات، والمنهاج في شرح صحيح مسلم، والتقريب والتيسير في مصطلح الحديث، ورياض الصالحين، وغيرها، توفي سنة ست وسبعين وست مئة. الأعلام للزركلي ١٤٩/٨.

(٥) ينظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ٦٧/٢.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) هو: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة المنذري، الشامي الأصل، المصري، الشافعي، زكي الدين أبو محمد، الإمام العلامة الحافظ المحقق، شيخ الإسلام، توفي سنة ست وخمسين وست مئة. سير أعلام النبلاء ٣١٩/٢٣.

(٨) هو: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني، المصري، الشافعي، شهاب الدين أبو الفضل، الشهير بابن حجر، الإمام، العلام، الحافظ، توفي سنة اثنتين وخمسين وثمان مئة. الضوء اللامع ٣٦/٢، وشذرات الذهب ٢٣٣/٧.

(٩) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرعي الدمشقي، أبو عبد الله، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى لا يكاد يخرج عن شيء من أقواله، بل انتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، توفي سنة إحدى وخمسين وسبع مئة. الأعلام للزركلي ٥٦/٦.

وعلة النهي عن الكتابة أولاً، لها أسباب متعددة منها:

(أ) خشية أن يلتبس القرآن بالحديث في صحيفة واحدة، أو كتاب واحد، خاصةً وأن الوحي كان غداء ورواح، ولم يكن في بادئ الأمر التمييز بين الأسلوبين بسهولة.

(ب) كانت الكتابة عندهم قليلة، والكُتَّاب الذين يعرفونها كانوا مشغولين بكتابة القرآن الكريم، خاصةً ووسائل الكتابة لم تكن متوفرة، والكتابة في حدَّ ذاتها مشقة وقتئذ، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم ألا يجمع عليهم مشقتين[٢].

فلما زال هذا الأمر، وألف الناس أساليب القرآن الكريم، ومَيَّزُوا بلاغته وفواصله وغايته عن بقية الكلام، ولما كثر الحُفَّاظ المتقنون للقرآن، لم يخش رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحديث، فأذن بالكتابة، وكان إذنه بها متأخرًا بدليل:

(١) أن الإذن لأبي شاة كان في فتح مكة وكانت في السَّنة الثامنة، وهذا إذن عام وإباحة مطلقة للكتابة.

(٢) في مرض موته صلى الله عليه وسلم طلب أن يكتب كتابًا غير القرآن وهذا في آخر حياته.

(٣) كتابة عبد الله بن عمرو بن العاص متأخرة أي: بعد السَّنة السابعة، لقول أبي هريرة لم يكن أحد أكثر مني حديثًا إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب، وإسلام أبي هريرة متأخر، ولأنه لم يزل يكتب ومات وعنده كتابته وهي الصحيفة التي كان يسميها الصادقة، ولو كان النهي عن الكتابة متأخرًا لمحاها عبد الله[٣]، على أن الخلاف في المسألة قد زال، ولله الحمد والمنَّة واتفق الأئمة على الكتابة.

الخاتمة

أذكر فيها أهم المسائل العلمية التي تناولها البحث:

١. السُّنَّةُ في اللغة: الطريقة والسيرة سواء كانت محمودةً أم مذمومةً.
٢. السُّنَّة في اصطلاح المحَدَّثين: كل ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفةٍ خَلْقية، أو خُلُقية، أو سيرة، سواء أكان ذلك قبل البعثة، أم بعدها، وهي بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي.
٣. السُّنَّة في اصطلاح الأصوليين: هي كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن الكريم من قول، أو فعل، أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعيًّ.
٤. السُّنَّة في اصطلاح الفقهاء: هي كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب، فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض، وقد تطلق السُّنَّة عند الفقهاء في مقابلة البدعة.

---

(١) هو: الحسن بن عبد الرحمن بن خلَّاد الفارسي الرَّامهرمزي أبو محمد، الإمام الحافظ البارع، مُحَدَّث العجم، القاضي، مُصَنِّف كتاب المحَدَّث الفاصل بين الراوي والواعي، كان أحد الأثبات، أخباريًّا شاعرًا، عاش إلى قريب السَّتين وثلاث مئة بمدينة رامَهُرْمز. سير أعلام النبلاء ١٦/٧٣، وشذرات الذهب ٣/٣٠، ٣٧.

(٢) ينظر: الإرشاد في علوم الحديث ص ٢٢٢.

(٣) ينظر: منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر ص ٤٢، والإشاد في علوم الحديث ص ٢٢٣.

٥. السُّنَّةُ هي الأصل الثاني في الإسلام، ومنزلتها منه، أنها مُبينةٌ وشارحةٌ له، تفصل مُجمله، وتوضح مُشكله، وتُقيد مطلقه، وتُخصص عامَّه، وتبسط ما فيه من إيجاز.
٦. الاستشراق تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشَّرقيين؛ شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، ومعتقداتهم، وتقاليدهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم، وأرضهم، وحضارتهم وكلّ ما يتعلّق بهم.
٧. أهداف الاستشراق أهداف علمية مشبوهة، أهداف دينية وسياسية، أهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث والتحميص.
٨. من أبرز الطعون التي وجهها المستشرقون للسُّنَّة النبوية أن السُّنَّة لو كانت حُجَّةً لأمر النبيُّ صلى الله عليه وسلم بكتابتها صراحةً، ولم نجد أحاديث تأمر بالكتابة وأخرى تمنع منها وقد تم الرد على هذه الرد على هذه الشبهة.

جهود المستشرقين في الطعن بالسنة النبوية

مهند محمد يحيى موسى باشا

أكاديمية الدراسات الإسلامية بجامعة ملايا

ماليزيا

mohannadbasha@live.com

المقدمة

الحمد للّه رب العالمين، وأفضل الصلاة والتسليم على رسولنا محمد الهادي الأمين، وعلى آله وأصحابه ومن سار على دربه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن اللّه تعالى قد منَّ على عباده بأن أرسل لهم رسول الرحمة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، وأنزل عليه القرآن لينير لهم الدرب ويدلهم على النجاة، قال سبحانه وتعالى: {لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آيته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين (سورة آل عمران: ١٦٤)، فالكتاب هو القرآن العظيم، والحكمة هي السنَّة النبوية الثابتة عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلَّم.

وقد أمر الله تعالى عباده بالسمع والطاعة لنبينامحمد عليه الصلاة والسلام وأكد على أنها وحي منه سبحانه وتعالى يقول رب العزة: {وما ءاتكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا} (سورة الحشر: ٧)، وقال جل وعلا: {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى} (سورة النجم: ٣، ٤).

إذا السنَّة النبوية قسيمة القرآن تندرج معه في الوحي الإلهي، وهي تبينه وتوضحه، والأخذ بها سبب للاهتداء فكلما تمسك بها أكثر كان حظه من الهداية أتم وأكبر.

هذا وقد ظهرت قديماً وحديثاً في مراحل تاريخنا الإسلامي فرق وطوائف أنكرت السنة والاحتجاج بها، زعماً منهم أنه لا حاجة إليها، وأن في القرآن ما يغني عنها، و ذهب فريق آخر إلى أن الحجية في نوع منها دون غيره، وما كادت تلك الطوائف التي أنكرت السنة وطعنت فيها أن تنقرض، حتى ظهرت فئة من المستشرقين الذين لم يألوا جهداً في محاولة القضاء على الإسلام وهدم أصوله وأركانه فلم يجدوا أفضل من هذا الباب العظيم الذي إن شككوا في مصداقيته فإنهم سيهدمون الدين فشرعوا في هذا الدرب ومعهم أتباعهم وللأسف ممن يحسبون على المفكرين المسلمين سواء علموا أو لم يعلموا؛ لذلك تجد كتابات هذا الفريق من تلامذة المستشرقين حول الإسلام عموماً والحديث النبوي خصوصاً لا تقل عن كتابات المستشرقين في إثارة الشُبه والتشكيك في مصادر الشريعة الإسلامية.

لذا أحببت أن اشارك في هذا المؤتمر المبارك من خلال المحور الثاني، فيما يتعلق بالجهود المبذولة من المسشرقين للطعن في الحديث النبوي، وقد جعلت البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة ثم ذيلته بفهارس للمراجع والمصادر على الشكل الآتي:

- مقدمة: أهمية الموضوع.
- الفصل الأول: السنة حجيتها، ومراحل تدوينها.
- ويحتوي مبحثين:
- المبحث الأول: التعريف بالسنة وحجيتها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف السنة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أنواع السنة.

المطلب الثالث: حجية السنة.

- المبحث الثاني: مراحل تدوين السنة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المرحلة الأولى: تدوين السنة في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: المرحلة الثالثة: تدوين السنة في عهد الصحابة ضوان الله عليهم.

المطلب الثالث: المرحلة الثالثة: مرحلة الجمع والتدوين من ٧٠هـ إلى ١٢٠هـ.

- الفصل الثاني: شبهات المستشرقين حول السنة.

ويحتوي مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالإستشراق.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإستشراق، نشأته، أهدافه.

المطلب الثاني: دوافع الإستشراق.

المطلب الثالث: صلة الإستشراق بالفكرالإسلامي وأثر تلك الصلة في إثارة الشبه حول السنة.

المبحث الثاني: مطاعن المستشرقين في السنة.

وفيه: تمهيد

ومطلب واحد: شبه المستشرقين والرد عليها.

الفصل الأول

السنة حجيتها ومراحل تدوينها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالسنة وحجيتها:

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: تعريف السنة لغة واصطلاحاً:

السنة في اللغة: مأخوذة من السنن، وهو الطريق والوجه والقصد[١]، وقد أطلقت على معان عدة من ذلك:

١- السيرة حسنة كانت أو سيئة.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده...))[٢]، وكل من ابتدأ أمرًا فعمل به أحد بعده، قيل هو الذي سنه.

---

[١] انظر: لسان العرب. محمد بن منظور. دار صادر. ط١. بيروت. ج١٣ – ص٢١٦.

[٢] أخرجه مسلم. باب أكثر على الصدقة رقم (١٠١٧) ٢/٧٠٤-٧٠٥.

٢- العادة والطريقة:

قال تعالى: {وما منع الناس أن يؤمنوا إذا جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا} (سورة الكهف: ٥٥)، يقول القرطبي: سنة الأولين: عادة الأولين في عذاب الإستئصال[٣].

السنة في الإصطلاح:

إذا نظرنا إلى علماء الدين نجد أن كل فئة أطلقت اصطلاحاً معيناً لتعريف السنة كلٌ حسب تخصصه، **فالسنة عند المحدثين:** ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية أو سيرة، سواءً[٤] كان قبل البعثة أو بعدها، **والسنة عند الفقهاء:** ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن من باب الغرض ولا الواجب وبالتالي فإن فاعلها يثاب ولا يعاقب تاركها، مثل سنة الصلاة والصوم والحج والوضوء[٥].

ويتضح مما سبق أن اصطلاح المحدثين أوسع الإصطلاحات لتعريف السنة، وذلك لشموله حياة النبي عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: أنواع السنة:

أولاً: أنواع السنة :من تعريف المحدثين للسنة: نرى أنها على ثلاثة أنواع، وسألقي الضوء بإيجاز على كل نوع:

١- **السنة القولية:** هي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم الصادرة عنه غير القرآن، مثاله: قل آمنت بالله فاستقم[١].

٢- **السنة الفعلية:** هي أفعال النبي، كأداء الصلوات، قال عليه الصلاة والسلام في حديث مالك بن الحويرث: ((صلوا كما رأيتموني أصلي))[٢]، وفعله في الحج يقول عليه الصلاة والسلام في حديث جابر بن عبدالله: ((لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه))[٣].

٣- **السنة التقريرية:** هي إقراره صلى الله عليه وسلم أقوال صحابته وأفعالها كإقراره للعب الأحباش بالحراب في المسجد أيام الأعياد، تقول عائشة رضي الله عنها: ((رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يستريي بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسام))[٤].

---

[٣] الجامع لأحكام القرآن./ محمد بن أحمد القرطبي. دار الشعبي. القاهرة. ج١١. ص٥

[٤] انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي. ط٢ دمشق ص٧٤.

[٥] انظر: إرشاد الفحول ، محمد علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت،ط١، تحقيق: محمد البدري. ج١ص٣٣.

[١] أخرجه مسلم في صحيحه من حديث سفيان بن عبدالله الثقفي. كتاب الإيمان (١) باب جامع أوصاف الإسلام (٣) برقم (٣٨) ٦٥/١.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الأذان (١٠) باب الأذان للمسافر (١٨) ١٥٥/١.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب الحج (١٥) باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً (٥١) رقم (١٢٩٧) ٩٤٣/٢.

[٤] صحيح البخاري. كتاب النكاح (٧٦) ، باب نظر المرأة إلى الحبشة (١١٤) ١٥٩/٦٠

المطلب الثالث: حجية السنة:

تمهيد في بيان معنى حجية السنة:

مما لا شك فيه أن السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام بعد القرآن الكريم، ولا يمكن لدين الله أن يكمل ولا للشريعة أن تتم إلا بالأخذ بالسنة جنباً إلى جنب مع كتاب الله تعالى، ولقد اتفق العلماء الذين يعتد بهم على حجية السنة، سواء منها ما كان على سبيل البيان أو على سبيل الاستقلال[٥]، وحجة السنة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

- **فمن القرآن:**

– يقول الله سبحانه وتعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما} (سورة النساء: ٦٥)، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: ((يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول في جميع الأمور. فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً أو ظاهراً))، ولهذا قال: {ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً}[١] (سورةالنساء: ٦٥).

- **ومن السنة النبوية:**

– ما رواه ابن ماجه بسنده إلى المقدام بن معد يكرم الكندي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه. ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله[٢] ، يقول الدكتور محمد أبو شهبه معلقاً على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ((وقد دل الحديث على معجزة للنبي عليه الصلاة والسلام فقد ظهرت فئة من القديم والحديث تدعو إلى هذه الدعوة الخبيثة وهي الاكتفاء بالقرآن عن الأحاديث وغرضهم هدم نصف الدين أو أن شئت فقل: تفويض الدين كله، لأنه إذا أهملت الأحاديث والسنن فسيؤدي ذلك ولا ريب إلى استعجام كثير من القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد منه، وإذا أهملت الأحاديث واستعجم القرآن فقل على الإسلام العفاء[٣].

- **وأما الإجماع:**

فقد أجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على الاحتجاج بالسنن والأحاديث والعمل بها ولو لم يكن لها أصل على الخصوص في القرآن؛ إذ فهم الصحابة استناد السنة إلى القرآن من قوله تعالى: {وما ءاتكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا} (سورة الحشر: ٧)، وروى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله

---

[٥] مثال: كالجمع بين المرأة وعمتها. والأذان. والسواك وغيرها الكثير.

[١] تفسير القرآن العظيم. لإسماعيل القرشي الدمشقي ،مطبعة دار المعرفة ١٩٨٣م، بيروت ١/٥٢٠

[٢] سنن ابن ماجه، المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله (٢)، برقم (٢) وأخرج أبو داود نحوه من حديث المقدام برقم (٤٦٠٤) وأبي رافع برقم (٤٦٠٥). كتاب السنة، باب في لزوم السنة ٤/٢٠٠.

[٣] دفاع عن السنة: لمحمد أبو شهبة، ص١٥

عنه قال: ((لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فقالت أم يعقوب : ما هذا ؟ فقال عبدالله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ومن كتاب الله قالت والله لقد قرآت ما بين اللوحيين فما وجدته فقال: والله لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله تعالى: {وما ءاتكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا}[٤].

المبحث الثاني: تدوين السنة: وفيه ثلاثة مطالب.

ابتدأت الأمة الإسلامية بالعناية بالسنة النبوية منذ وجود الرسول صلى الله عليه وسلم، فلقد كان صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على ذلك بقوله: ((نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها، ووعاها، وأداها، فرب حامل فقه غير فقيه وحامل فقه إلى من هو أفقه منه))[٥].

إلا إنه اشتهر من أهل العلم من ذهب إلى أن السنة النبوية لم تكتب ولم تدون إلا في عهد الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، وقالوا أنها لم تدون في عهد قبله لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابتها كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تكتبوا عني ومن كتب غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))[١]، ولقد أعجبني كثيراً السرد الذي قام به الدكتور حاكم المطيري في سرده لمجموعة من الظروف التي لا بد من الإشارة إليها في أثناء عرض هذا المبحث المهم[٢]، وسأشير هنا إلى أهم هذه الظروف بإضاءات سريعة.

١- إن العرب أمة أمية لا تعرف العلوم التي اشتغل بها غيرها عن الأمم. لذلك برعوا في فن (البيان) وعلم اللسان شعراً ونثراً، مما ساعدهم على التعبير والحفظ بأوجز عبارة وأوضح لفظ، وبهذا كانوا مهيئين لتلقي القرآن والسنة والتشريعات التي جاء بها الرسول عليه الصلاة والسلام والعناية بحفظها وفهمها.

٢- ولأن العرب أمة أمية صار الحفظ والاعتماد على الذاكرة الوسيلة الرئيسية في حفظ تراثهم الأدبي.

٣- كان عليه الصلاة والسلام إذا تكلم أوجز وأعاد الكلام ثلاث مرات حتى يحفظ أصحابه عنه، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ((كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه))[٣].

٤- حرص الصحابة على حضور مجالس النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا إذا غاب أحدهم عن مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم سأل من حضر من الصحابة الآخرين كما في قصة عمر مع جاره في تناوبهما على حضور مجلس النبي[٤].

[٤] أخرجه البخاري. باب : وما أتاكم الرسول فخذوه. رقم (٤٦٠٤) ج٤ – ص١٨٥٣

[٥] سنن ابن ماجه رقم (٢٣٦) ج١/ ص٨٦

[١] صحيح مسلم . باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العِلم رقم (٣٠٠٤) . ج٤ / ص٢٢٩٨

[٢] انظر: تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين. د. حاكم عبيسان المطيري. مكتبة الكويت. ط١،ص١٢-١٣

[٣] البخاري: باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليُفهم عنه. رقم (٩٥). ج١ /ص٤٨

[٤] انظر تاريخ تدون السنة. المطيري. ص١٣

٥- كان عليه الصلاة والسلام يحفظ أصحابه كثيراً من السنة القولية تحفيظاً حرفياً كما فعل مع البراء بن عازب عندما علمه حديث النوم: قال البراء: فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغت ((اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت ورسولك...)) قال: ((لا ونبيك الذي أرسلت))[٥].

فإذا ما راعى الباحث كل هذه الظروف فإنه سوف يسهل عليه فهم هذه المحطة الهامة في التاريخ الإسلامي وهي مرحلة تدوين السنة، ونحن إذا تناولنا هذا الموضوع ((مراحل تدوين السنة)) فإنما الهدف هو الرد على المشككين من أعداء الإسلام الذين ظنوا أن هذه ثغرة يمكن استغلالها للطعن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما هي أهم المراحل التي مرت بها السنة النبوية ؟

المطلب الأول: المرحلة الأولى: في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

وردت أحاديث كثيرة عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم تبلغ بمجموعها رتبة التواتر في إثبات وقوع الكتابة للحديث النبوي، وهذا الجزء الذي تم كتابته ينقسم إلى قسمين:

الأول: ما أمر الرسول عليه الصلاة السلام بكتابته من المعاهدات، والوثائق والرسائل، كالوثيقة التي كتبها عندما دخل المدينة، لتنظيم العلاقة بين المسلمين المهاجرين والأنصار من جهة والمسلمين واليهود من جهة أخرى[١].

- وهناك أيضا الرسائل والكتب التي أمر الرسول بكتابتها وفيها تفصيل دقيق لكثير من التشريعات الإقتصادية الجنائية، مثل:

أ- كتاب الصدقات وكان عليه ختم رسول الله، والذي يفصل فيه رسول الله مقادير الزكاة الواجبة في الأموال وكيف تجبى من أصحابها، كتبه رسول الله قبل وفاته، كان عند أبي بكر الصديق ثم صار عند عمر بن الخطاب[٢].

ب- في يوم فتح مكة أذن الرسول عليه الصلاة والسلام لرجل اسمه أبو شاه أن يكتب خطبة النبي صلى الله عليه وسلم[٣].

جـ- الصحيفة التي كانت عند علي بن أبي طالب كتبها بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فيها كثير من التشريعات في مقادير الزكاة والجنايات وغيرها من الأحكام والسنن[٤].

فهذه الكتب والرسائل تمت في حياته صلى الله عليه وسلم وبأمر منه[٥].

---

[٥] البخاري. باب فضل من بات على الوضوء . رقم (٢٤٤) . ج١/ ص٩٧

[١] انظر السيرة النبوية: لابن هشام. ط١٩٣٧١. تحقيق: محمد محي الدين. دار الكتب العلمية. بيروت (٥٠١/١)

[٢] أخرجه البخاري. باب زكاة الغنم (١٤٤/٢ – ١٤٧)

[٣] انظر: سنن أبي داود. باب ولي العمد يرضى بالدية رقم (٤٥٠٥) ج١٧٢/٤

[٤] ذكرها البخاري في صحيحه باب كتابة العلم رقم (١٨٧٠)

[٥] انظر: تاريخ تدوين السنة د. حاكم المطيري. ص٣٥-٤٠

الثاني:ما أذن به الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالكتابة في حياته:

ومن هؤلاء:

١- عبدالله بن عمرو بن العاص وهو من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الملازمين له وكان من كتاب الوحي، أستأذن الرسول أن يكتب أحاديثه فأذن له، يقول رضي الله عنه، قلت يا رسول الله: إني أسمع منك الشيء فأكتبه قال: نعم قلت: في الغضب والرضا؟ قال نعم، فإني لا أقول فيهما إلا حقاً[٦].

ب- أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله وأخر من توفي من الصحابة في البصرة سنة ٩٣هـ كانت له صحيفة كتب فيها أحاديث رسول الله وكان يحدث الناس منها[٧].

ج- سعد بن عبادة الأنصاري، أخرج الترمذي في سننه عن أبي سعد بن عبادة ((وجدت في كتاب سعد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى باليمين الشاهد))[٦].

وبهذا ثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا قد كتبوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، إضافة للحفظ في صدورهم، مثل القرآن الكريم الذي كان محفوظاً في الصدور ومكتوباً على الجلود والرقاع وما تناولته أيد الصحابة.

المطلب الثاني: المرحلة الثانية في عهد الصحابة:

لما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى قام الصحابة رضوان الله عليهم بأدب الاسماع عنه خير قيام، ونقلوا للأمة [أفعاله وأقواله، وعباداته، ومغازيه، وفرحه، وغضبه، وأكله وشربه وملاعبته أهله] وهذا سوى ما حفظوا عنه من أحكام وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام وتحاكموا إليه [١].

فالسنة في عهد الصحابة لم تدون بشكل رسمي لعدم الحاجة إلى ذلك فالحديث متوافر محفوظ بوجود الصحابة رضوان الله عليهم يروونه للتابعين ويتداولونه فيما بينهم.ومع ذلك وُجدت كتابات للحديث الشريف لم تتخذ طابعاً عاماً يتداولها المسلمون فيما بينهم منها:

١- كتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأنس بن مالك وكان عامله على البحرين يكتب فيه فرائض الصدقة على المسلمين. وقد نسخها أبو بكر من الكتاب الذي كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

٢- حديث عمرو بن سفيان أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "قيدوا العلم بالكتاب"[٣].

٣- وكان البراء بن عازب رضي الله عنه يحدث ويكتب من حوله، عن عبدالله بن حنيش قال: ((رأيتهم عند البراء يكتبون على أيديهم بالقصب))[٤].

---

[٦] أخرجه أبو داود في سننه. رقم (٣٦٤٦)

[٧] أخرجه الدارمي في سننه. باب من رخص في كتابة العلم رقم(٤٩٢) ج١/١٣٧

[٦] سنن الترمذي. باب ما جاء في اليمين مع الشاهد. رقم(١٣٤٣).ج٣/٦٢٧

[١] انظر: السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها، د. مكي الشامي، دار عمار،ط١، عمان، الأردن،ص١٨

[٢] صحيح البخاري. كتاب الصدقات. رقم (١٤٥٤)

[٣] سنن الدارمي.باب من رخص في كتابة العلم رقم(٤٩٧) ج١/١٣٨

[٤] سنن الدارمي.باب من رخص في كتابة العلم رقم(٥٠٣) ج١/١٣٩

المطلب الثالث: المرحلة الثالثة: مرحلة الجمع والتدوين من ٧٠هـ إلى ١٢٠هـ.

فقد بدأت هذه المر حلة في أواخر عهد الصحابة رضوان الله عليهم، إذ اتفقت آراؤهم على تدوين السنة، فأعطوا الأوامر لتلاميذهم من التابعين في الكتابة، وقد قام بمهمة جمع السنة وتدوينها في هذه المرحلة جهتان:

الأولى: جهود فردية، مثل:

– سعيد بن جبر يقول: أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسط الرحل فإذا نزل نسخه[٥]، وكان مجاهد بن جبر يخرج كتبه لطلابه لينسخوها.

قال أبو يحيى الكناسي: ((كان مجاهد يصعد بي إلى غرفته فيخرج إليّ كتبه فأنسخ منها))[٦].

والثانية: جهود رسمية، وأقصد بها الأوامر التي صدرت من الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز إلى بعض العلماء بجمع الحديث، فبعد أن خشي رضي الله عنه أن يضيع شيء منها، أو أن يلتبس الحق بالباطل كتب رضي الله عنه إلى علماء الأمصار على رأس المئة الأولى للهجرة ((انظروا حديث رسول الله فاجمعوه))[١].

ونخلص إلى النتيجة التالية:

إن السنة لم يطل العهد بعدم تدوينها، وأن التدوين بدأ بصفة خاصة في عصر النبي، وقوي في عصر الصحابة وأوائل عصر التابعين، وبلغ الكمال في القرن الثالث الهجري خاتمة القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية، فكان أزهى عصور السنة وأسعدها بأئمة الحديث وتأليفهم الخالدة[٢].

الفصل الثاني:شبهات المستشرقين حول السنة.

وفيه مبحثان: المبحث الأول وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول:

أولاً: تعريف الإستشراق:

هو: "دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته"[٣]، وقد كان مقتصرًا في بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربية ثم اتسع ليشمل دراسة الشرق كله[٤].

ثانياً:نشأة الاستشراق:

اختلف المحققون في مبدأ نشأته، فذهب بعضهم إلى أنه ابتدأ بدخول القوات العسكرية الاستعمارية أواخر القرن الثامن عشر بينما يرى البعض أن الاستشراق بدأ في القرن السابع عشر عندما بدأ الاهتمام بترجمة

---

[٥] سنن الدارمي.باب من رخص في كتابة العلم رقم(٤٩٩) ج١/١٣٨

[٦] تقيد العلم، للبغدادي ص: ١٠٢

[١] فتح الباري . شرح صحيح البخاري ١/٢٥٩

[٢] انظر: دفاع عن السنة. لمحمد أبو شهبه ص٢٤. أنظر:– معالم السنة النبوية لعبدالرحمن عتر ص١٥–٨٦ وتاريخ تدوين السنة. حاكم المطيري ص٤٢–٤٣ والسنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها. للدكتور مكي الشامي ص٥٠–٥٢ والسنة المفترى عليها، سالم البهنساوي ص٤٨–٦٣.

[٣] انظر: الاستشراق والفلسفة الإسلامية. محمد أبو سعدة. ط٥، جامعة حلوان– كلية الآداب ١٩٩٥م. ص١٠٥

[٤] الاستشراق والمسشرقون وجهة نظر. عدنان محمد وازن. ص١٥

بعض الكتب العربية وطباعتها، بينما ذهب بعض الباحثين إلى أبعد من ذلك حيث يرون أنه ابتدأ في بعض البلاد الأوربية في القرن الثالث عشر[٥].

ثالثاً: أهداف الاستشراق:

انطلق المستشرقون في دراستهم للإسلام من أمرين اثنين كان لهما بالغ الأثر في توجيه الدراسات الاستشراقية، فقد التقت المصالح المادية من الاستيلاء على ثروات الشرق وجعلها في خزائن الغرب مع مصالح الكنيسة في التنصير وسحق الإسلام انتقاماً لفشلهم الذريع في الحروب الصليبية[٦].

وعلى ذلك تمثلت أهم أهداف الاستشراق في النقاط الآتية:

١- تشويه الإسلام، وتحريف حقائقه والتشكيك فيه بإثارة الشبهات حول نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، يقول الأستاذ سعيد الأعظمي: "إن الدوافع الاستشراقية نابعة من ذلك المقت الشديد الذي يضمره المستشرقون في كوامن أنفسهم وخباياها نحو الإسلام...وبذلك تتحقق نواياهم في هدم الإسلام وإضعاف الثقة بخلوده وإضعاف هيبة التاريخ الإسلامي والسيرة والمقدسات الإسلامية من نفوس المسلمين"[٧].

٢- العزف على وتر النعرات القبلية، والمذاهب الدينية، وأحياء اللهجات المحلية لتفريق وحدة المسلمين وزرع الخلافات فيما بينهم، ليسهل على الغرب التهام الشرق واستعماره، يقول الدكتور أحمد شلبي "...وعندما نجح الغرب في استعمار العالم الإسلامي لعب المستشرقون دوراً من وراء حجاب لإفساد المنهاج الإسلامية ولتشجيع النعرات الطائفية التي تفرق الكلمة وتكثر الانقسامات"[١].

٣- تعظيم القيم الغربية وإظهارها، والعمل على محاربة القيم الإسلامية النبيلة[٢].

المطلب الثاني: دوافع الاستشراق:

الدافع الديني:

يتفق جميع الباحثين على أن البداية في الاستشراق كانت من الكنيسة التي لعبت دوراً عظيماً في توجيه الاهتمام بتفوق الشرق على الغرب من خلال سقوطهم وفشلهم في الحروب الصليبية، ثم التحول بالكنيسة إلى الغزو الفكري، لذا لم يكن غريباً أن يكون رواد حركة الاستشراق القساوسة والرهبان ومن هؤلاء:

---

[٥] الإسلام والمستشرقون،نخبة من علماء المسلمين، مطبعة عالم المعرفة للنشر ، جدة، ط١ ، ص٢٧٦

[٦] للاستزادة في هذا الحديث. أرجع إلى الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم. الدكتور مصطفى السباعي. مطبعة المكتب الإسلامي. ط٢، ١٩٧٩. ص٢٥-٢٦وكتاب: المستشرقون والدراسات القرآنية.د. محمد حسين الصغير. دار المؤرخ العربي. ط١،ص١٣-١٨

[٧] هذا هو الاستشراق فما هي عدتنا نحوه. أ. سعيد الأعظمي. ضمن سلسلة الإسلام والمستشرقون.

[١] الاستشراق تاريخه وأهدافه ص٢٥. أحمد شلبي.

[٢] يقول المستشرق" غوستاف دوجا" من القرن الماضي ما نصه: ((... وعلى الحكومات الواعية بمصالحها الحقيقية أن تعرف كيف تشجع وتستخدم رجال العلم والإخلاص أولئك فالأمر يتعلق بإلحاق إضافات أخرى إلى محصول الحضارة المكتسبة وذلك باغتنام الإفادات التي من شأن الشعوب الشرقية أن تعطينا إياها. كما يتعلق بإمداد هذه الشعوب بنصيبها من فتوحاتنا الفكرية والأخلاقية والمادية)). انظر: الاستشراق في السيرة النبوية. عبدالله الأمين النعيم – المعهد العالمي للفكر الإسلامي ص٢٤.

١- بسكوال ت: (١٣٠٠)م الذي أوفد من قبل البابا في سفارات إلى العالم الإسلامي ومن خلال هذه السفارات جاءت أبحاثه ودراساته[٣].

٢- يوحنا الأشقوبي ت (١٤٥٦)م الذي وصل إلى قناعة تامة أنه لا يمكن القضاء على الإسلام عسكرياً وإنما عن طريق مهاجمته فكرياً[٤].

وأيضاً تركز معظم نتاج المستشرقين حول أساسيات العقيدة الإسلامية فالقرآن والسنة النبوية والفقه الإسلامي مواضيع أخذت الكثير من جهود المستشرقين، وكان تناولهم لهذه الموضوعات بهدف التشكيك والتشويه، وما ذاك إلا لهدم الدين الإسلامي، يشهد على ذلك ما قاله عدد من زعماء المشرفين، من هؤلاء:

- برنارد لوسي[٥]: قال: ((لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية))[٦].

الدافع الاستعماري:

الاستشراق لم تكن بداياته بدوافع استعمارية، هذا أمرٌ مجمع عليه وإنما كان الدافع له كما جعلناه سابقاً الدافع الأول وهو الدافع الديني الذي يرمي للتشكيك بالإسلام وبالتالي هدمه في نفوس أتباعه، إضافة للدافع العلمي الذي سأذكره بعد قليل، إذاً الدافع الإستعماري لم يكن المقصود، لكن كيف تحول من دافع ديني وعلمي إلى استعماري؟ الحقيقة أنه لما أرادت الدول الأوربية استعمار العالم الشرقي احتاج هؤلاء إلى الكثير من المعلومات التي تساعدهم في تحقيق مبتغاهم، فوجدوا ضالتهم في المستشرقين الذين كانوا على علم بلغات وعادات ومذاهب الشرق، فاستعانوا بهم لاتمام هذه المهمة، يقول الأستاذ نجيب العقيقي:((فلما أرادت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاغتراف من تراثه، الانتفاع بثرائه والتزاحم على استعماره، أحسنت كل دولة إلى مستشرقيها فضمهم ملوكها إلى حاشياتهم أمناء أسرار وتراجمة، وانتدبوهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية إلى بلدان الشرق، وولوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة، ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية))[١]، ومن هنا برزت وطفت هذه العلاقة اللاأخلاقية بين الاستعمار والاستشراق[٢].

---

[٣] هو قسيس أسباني ولد في بلنسية ١٢٢٧م تولى عدد من المناصب الكنسية حتى أسره المسلمون في غرناطة وقضى بقية حياته ف السجن إلى أن توفي. خلف عدداً من الأعمال أهمها: (في الفرقة المحمدية). انظر: موسوعة المستشرقين، د. عبدالرحمن بدري. دار العلم للملايين، بيروت. ص٦٧.

[٤] يوحنا الأشقوبي: مستشرق أسباني ذو اتجاهات لا هويته كان له دور في مجمع بازل الكنسي أصبح كردنيالاً سنة ١٤٤٠. له كتاب: (طعن المسلمين بسيف الروح). انظر: موسوعة المستشرفين. د. بدوي. ص٢٦

[٥] برناردلويس: ولد سنة ١٩١٦م تخرج في جامعتي لندن وباريس وعن معبد بجامعة لندن. لعب دوراً سياسياً بارزاً بعد تعيينه في وزارة الخارجية البريطانية. له كتاب: (أصول الإسماعلين والإسماعلية).

انظر: المستشرقون نجيب العقيقي. ج٢ . ص٥٦١. دار المعارف — مصر ١٩٦٤م.

[٦] انظر: الاستشراق أهدافه ووسائله. د. محمد فتح الله الزيادي. ط٢. دار قتيبة . دمشق ص٢٦.

[١] انظر: المستشرفون . للعقيقي ص١١٤٩

الدافع العلمي:

لم تكن جميع دوافع المستشرفين من دراسة تاريخ وأدب وثقافة الشرق المراد منها ما أسلفنا؛ بل كان هناك مستشرقون تجردوا للعلم وبحثوا عنه، فكان دافعهم المعرفة، والنهل من حضارة الإسلام، يوضح هذا اهتمام عدد كبير من المستشرفين بجمع وتحقيق فهرسة التراث الإسلامي.

وأيضاً الدراسات المتجردة للإسلام والعربية التي خلت من كثير من السلبيات التي صاحبت الدراسات الاستشراقية، مثل:

- لورافيشيا فاغليري[٣].
- روجيه جارودي[٤].

ومن الجدير ذكره أن معركة كبيرة تدور رحاها بين علمائنا وأدبائنا وبين المستشرقين حول صحة هذا الغرض أو التشكيك فيه، وقد عرض لها الأستاذ نجيب العقيقي وناقش كثيراً من أبعادها، وأياً كان فالمفروض أن نكون حذرين عند تناولها لجهود المستشرقين فيما تناولوه في الدراسات القرآنية أو السنة النبوية، حتى لا ندع مجالاً لبذر الخطأ والتزييف في ديننا وحتى لا نقع في المطب كما وقع بعض من يحسبون على الفكر الإسلامي[٥].

المطلب الثالث: صلتهم بالفكر الإسلامية وأثر تلك الصلة في إثارة الشبه حول السنة:

قام الأستاذ الأمين الصادق حفظه الله في كتابه[١] بسرد سلس لصلة الغرب المسيحي بالشرق الإسلامي وكيف استطاعوا أن يصلوا إلى ركن ركين من أركان الإسلام الذي أن شكك فيه. شُكك بالدين كله، ألا وهو السنة النبوية الشريفة.

يعرض الباحث: أن مبدأ اتصال الغرب بالشرق كان اتصالاً عدائياً مسلحاً، وهو ما عُرف بـ(الحروب الصليبية) ولما كان القرن السادس عشر بدأ الاتصال يأخذ منعطفاً آخر وهو السيطرة على اقتصاد العرب والمسلمين، وبعد ذلك توج هذا الاتصال بالاستعمار الجديد في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. من خلال استغلال الثروات وأيضاً الطمس للثقافة الإسلامية والتشويه للدين ليتمكنوا من إخضاع الشرق إخضاعاً تاماً للسيطرة الغربية، إذا العلاقة موصولة، والصلة وثيقة بين الغرب والشرق، لكنها وهو المهم تستهدف الإسلام وبناءه الشامخ، وكون

---

(٢) للاستزادة والإطلاع على نماذج من التعاون بين المستعمر والاستشراق. انظر: الاستشراق أهدافه ووسائله، د. محمد فتح الله الزيادي ص٣٨-٤٤.

(٣) مستشرقة إيطالية مهتمة بالتاريخ الإسلامي واللغة العربية من مؤلفاتها: (دفاع عن الإسلام) و(قواعد العربية) انظر : المستشرقون: للعقيقي. ج١. ص٤٠٤

(٤) روجيه جارودي: مفكر فرنسي ولد سنة ١٩١٣م. اختير عضواً في الحزب الشيوعي. اعتقل سنة ١٩٤٠ وتعرف إلى الإسلام في السجن، وبعد إطلاعه على الأديان وقراءاته حولها دخل الإسلام سنة ١٩٨٢م. وألف كتباً من أهمها: (لماذا أسلمت) و(الإسلام دين المستقبل) للاستزادة حول هذا المفكر. انظر كتاب: روجيه جارودي والمشكلة الدينية. محمد الميلي، دار قتيبة، دمشق، ط١، ص٢٣

(٥) المستشرقون والدراسات القرآنية، د. محمد حسين الصغير. ص١٨

(١) انظر: موقف المدرسة العقلية في السنة النبوية ج١، ص٤٢٩ - ٤٣٤

السنة النبوية هي المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن فإن التشكيك فيها وتشويهها له طريق مثمر في هدم الإسلام وبالتالي السيطرة على المسلمين والنيل منهم.

– أشهر المستشرفين الباحثين بعلم الحديث:

اعتنى المستشرقون بشتى أنواع العلوم التفسير والفقه واللغة العربة والحديث، وبما أن موضوع بحثنا عن الحديث ومحاولات المستشرقين للطعن فيه كان لزاماً أن أقوم بالإشارة إلى أشهر المشرقين الذين عنوا بالحديث في القرنين الماضيين ومن هؤلاء:

١– كريل: مستشرق ألماني، نشر الأجزاء الثلاثة الأولى من صحيح البخاري(٢)

٢– جولد تسيهر: مستشرق يهودي مجري، حاقد على الإسلام ونبيه الكريم محمد عليه الصلاة والسلام(٣)

٣– ليكونت: مستشرق فرنسي معاصر عني بدراسة الإمام ابن قتيبه ومصنفاته(٤)

٤– فوك: مستشترق ألماني من المهتمين بعلم الحديث(٥)

المبحث الثاني:مطاعن المستشرقين في السنة

لا بد لي قبل أن أسرد الشُبه التي آثارها منكروا حجية السنة وقبل أن أقوم بالرد عليها، ولا بد من توضيح أمر غاية في الأهمية، وهو: أن من يردد هذه العبارة "السنة ليست بحجة ونكتفي بما ورد في القرآن" أقول: الذي يقول ذلك تعتريه حالتان:

إما: ذكرها جاهلاً بأهمية وأثرالسنة ومنزلتها من الدين.

أو: عالماً بقدر السنة ومكانتها، وأراد بذلك هدم السنة ليصل بعد ذلك إلى هدم الدين.

فإن كان من الفئة الأولى فهو جاهل، مَرَّ على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثالهم، فهؤلاء يُبصرون ويُنصحون ويُرشدون إلى مكانة السنة في التشريع، ومثالهم: الرجل الذي جاء إلى عمران بن حصين فسأله عن شيء فحدثه فقال الرجل: حدثوا عن كتاب الله ولا تحدثوا عن غيره! فقال له عمران إنك امرؤ أحمق أتجد في كتاب الله أن صلاة الظهر أربع لا يجهر فيها؟ وعدّ الصلوات، وعَدَّ الزكاة ونحوها ثم قال: أتجد هذا مفسراً في كتاب الله؟ إن كتاب الله أبهم هذا، وأن السنة تفسر ذلك(١).

---

(٢) كريل (١٨٢٥م– ١٩٠١م) المستشرقون للعقيقي، ٣٧٦٠/٢،

(٣) جولد تسيهر (١٨٥٠م – ١٩٢١م) : مستشرق يهودي حاقد على الإسلام وعلى نبيه محمد أفضل الصلاة والتسليم،درس الإسلام بهدف التشكيك والعمل على هدمه. عمل مأستاذا بجامعةبودابست، ثم رحل إلى بعض البلاد العربية.تعتبر أبحاثه المرجع الاول لغالب الباحثين الغربيين في مجال الدراسات الإسلامية. من أهم كتبه: " العقيدة والشريعة في الإسلام" و "مذاهب التفسير الإسلامي" انظر:الإعلام :لخير الدين زركلي، ط٣، بيروت، ج١، ص:٨٠

(٤) ليكونت. مستشترق فرنسي. نشركتاب : إصلاح الأغلاط في غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام. أنظر : العقيقي ٤٦٩/٢

(٥) فوك: (١٨٩٤– ؟) مستشرق ألماني، اهتم بعلم الحديث. من مؤلفاته: مكانة المحدثين في الإسلام – حديث البخاري أنظر: المستشرقون . للعقيقي، ٤٦٣/٢

(١) انظر: السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها. د. مكي الشامي. ص١٢٥

أما إذا كان من الفريق الثاني المنكر لحجية السنة فإن العلماء قد نصوا على أن منكر حجية السنة زنديق كافر[٢]، وذلك لمخالفة نصوص القرآن الصريح، ومخالفة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام[٣]، ولخلاف إجماع الصحابة رضوان الله عليهم، ولأن صاحب القول يذهب بعيداً عن مقتضى الفهم السليم والعقل القويم.

لذا لم يكن من الغريب أن تجد اليوم مجموعة أطلقت على نفسها "مفكرون إسلاميون" وما هم إلا أُذناب للغرب نجح المتشرقون في التأثير بهم، فساروا على منهجهم حيال السنة النبوية، فأنكروا حجيتها، ولعله من الجدير بالذكر أن نذكر مجموعة منهم أمثال:

- **توفيق صدقي**:[٤] الذي دعا إلى ترك الحديث والاعتماد على القرآن وحده، ونشر مقالاً في مجلة المنار تحت عنوان: "الإسلام هو القرآن وحده".

- **أحمد أمين**[٥] سار على النهج نفسه متأثراً بما قاله المستشرقون ووضع كتابه: "فجر الإسلام" ليبين رأيه في هذا الموضوع.

- وأيضاً من هذه المدرسة **محمود أبو ريه**[٦] في كتابه "أضواء على السنة المحمدية".

هؤلاء كلهم دعو إلى عدم حجية السنة وأثاروا مجموعة من الشبهات أخذوها تماماً كما هي عن المستشرقين، وبالأخص الشبه التي أثارها المستشرق المجري جولد تسهير.

فما هي هذه الشُبه ؟ وما هي حججهم التي استندوا إليها:

المطلب الأول: شبه المستشرقين حول السنة والرد عليها:

الشبهة الأولى: أن القرآن الكريم هو المصدر الرئيس للتشريع وأن السنة النبوية ليست حجة وبالتالي ليست بمصدر مع وجود القرآن.

استدلوا على ذلك بقول الله تبارك وتعالى:

١ -{ما فرطنا في الكتاب من شيء} (سورة الأنعام: ٣٨).

٢ -وقوله تعالى: {ونزلنا عليك الكتاب تبيناً لكل شيء} (سورة النحل: ٨٩).

---

[٢] انظر: جامع بيان العلم وفضله. لأبي عمر يوسف ابن عبدالبر، المكتبة السلفية،ط٢، ج٢. ص١٩٠ والموافقات. للشاطبي ج٣. ص٣٧١

[٣] أرجع إلى الصفحة (٥-٦) من هذا المبحث.

[٤] هو الدكتور محمد توفيق صدقي. طبيب بمصلحة السجون بالقاهرة ، تأثر كثيراً بفكر المستشرقين كتب مقالات في مجلة المنار بعنوان: "الإسلام هو القرآن" مات سنة ١٩٢٠م ترجم له الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة المنار ٢١/٤٨٣ وما بعدها.

[٥] هو أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ، أديب وكاتب مصري، ولد بالقاهرة سنة ١٨٧٨، عمل مدرساً بمدرسة القضاء الشرعي، ثم قاضياً، ثم أستاذاً بالجامعة إلى أن صار عميداً، ساهم في إنشاء أكبر مجلتين في تاريخ الثقافة العربية هما "الرسالة" و"الثقافة" من أهم كتبه: فجر الإسلام – ضحى الإسلام.

[٦] محمود أبو ريه: من مواليد كفر المندرة بمحافظة الدقهلية بمصر ولد سنة ١٨٨٩م درس في المدارس المدنية والدينية، وتأثر بكتب المستشرقين ونقل عنهم آراؤهم الطاعنة في السنة النبوية، ولقد فضح مقاصده جلة من العلماء على رأسهم العلامة عبدالغني عبدالخالق ومصطفى السباعي ومحمد ابو شهبة عليهم رحمة الله، توفي أبو ريه سنة ١٩٧٠م.

فهاتان الآيتان تدلان على أن القرآن قد حوى كل شيء من أمور الدين وبينه تماماً بحيث لا تحتاج الأمة إلى شيء سواه في التشريع، ذلك أنها إن احتاجت إلى ما سواه كان القرآن غير مستوعب لكل أمور الدين كما أخبرنا سبحانه ولكان مفرطاً غر مبين، وإن لم تحتج الأمة، وهو ظاهر الآية وواضح الفهم فإنه لا حجة للسنة!

الرد على هذه الشبهة:

المشكل الذي أشكل عليهم هو فهمهم للكتاب بأنه هو القرآن إلا أن الذي يتلو الآية من أولها سيفهم أن المراد بهذه اللفظة (الكتاب) ليس القرآن وإنما اللوح المحفوظ، يقول الله تبارك وتعالى في أول الآية: {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون} (سورة الأنعام: ٣٨)، فالآية واضحة في أن المخلوقات التي أوجدها الله تعالى على الأرض من إنسان وحيوان وطير أمرها كلها ابتداءً وانتهاءً راجع إلى الله تعالى: عمرها ورزقها وسعادتها، فهذه المخلوقات تتشابه في هذه النقاط الثلاث، وكل هذا مدون في اللوح المحفوظ، يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره ((الجميع علمهم عند الله، فلا ينسى واحداً من جميعها من رزقه وتدبيره سواء كان بريا أو بحرياً))[١] ' فالمثلية في هذه الآية ترشح هذا المعنى، ذلك أن القرآن لم ينظم للطير حياة كما نظمها للبشر وإنما الذي حوى كل شيء للطير والبشر هو اللوح المحفوظ[٢] ، وعلى هذا الفهم توضح أن المراد بالكتاب هو اللوح المحفوظ، وإذا سلمنا أن المراد بلفظ "الكتاب" في هذه الآية هو القرآن الكريم فإنه على العموم ومخصص بقوله تعالى: {وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون} (سورة النحل: ٦٤).

يدل على هذا أن الصلاة واجبة بنص القرآن، ولكن كم عددها؟ وكم عدد ركعاتها؟ وما هي الصلاة التي يجهر فيها؟ والصلوات التي يُسر فيها؟ وكذلك بقية الفرائض من حج وصوم وزكاة، أسئلة كثيرة تتعلق بهذه الفرائض التي فُرضت بنص القرآن فصلتها وأوضحتها السنة؛ لهذا لم يكن هناك بد من تخصيص العام، وعلى ذلك يكون المقصود من قوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) أي من القواعد الرئيسة التي تندرج تحتها الكثير من الجزئيات التي وضحتها السنة النبوية.

الشبهة الثانية:

ذهب البعض إلى عدم الاحتجاج بالسنة ذلك أنها غير موثوقة بزعمهم والسبب يعود إلى أنها لم تدون إلا في القرن الثاني الهجري واعتمد في كتابتها على ما حُفظ في الصدور، والذي حفظ وبقي قليل بسبب طول العهد للبدء في الكتابة، فالأغلب نُسي وبالتالي قالوا: لا نثق بالسنة، والأولى تركها وعدم الاحتجاج بها.

ويستدلون على ذلك:

١- بمجموعة من الأحاديث :

---

[١] انظر : تفسير ابن كثير. ج٢، ص١٣١

[٢] انظر: السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين.د. رؤوف شلبي . ص٤٣-٤٤

أ- ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله قال: ((لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن، فمن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه))[١].

ب- وكذلك ما رواه الأوزاعي قال: سمعت أبا كثير يقول: سمعت أبا هريرة يقول: ((لا نكتب ولا نكتب))[٢].

٢- يستدل أيضاً: على ما ذكره المحدثون من أن الحديث لم يدون إلا في القرن الثاني من الهجرة، وأن أول من دونه هو الإمام الزهري بأمر من الخليفة عمر بن عبدالعزيز، وأن هذا مدعاة إلى نسيان كثير منه ومدعاة إلى الشك فيه.

الجواب على هذه الشبهة:

أولاً: إن كنتم قد ذكرتم أحاديث تثبت نهي النبي عليه أفضل الصلاة والسلام على كتابة الحديث فكذلك ثبت إذنه صلى الله عليه وسلم كتابة الحديث، وقد أشرت في مبحث سابق إلى ذكر هذه الأحاديث والآثار[٣].

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال: لماذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكتب الحديث؟

- استنبط العلماء عللاً عدة لهذا النهي: هي:

١- مضاهاة القرآن الكريم. فالقرآن مكتوب متداول من الصحابة فخشي رسول الله أن يكون الحديث مصحفاً يقرأ ويتلى، لذلك تجد أن سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه لما أراد أن يجمع السنة خشي أن ينكب الناس عليها ويعرضوا عن القرآن، قال رضي الله عنه: ((إني كنت أردت أن أكتب السنن، وإني ذكرت أقواماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله تعالى، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً))[١].

٢- خشية اختلاط الحديث بالقرآن، وذلك أن القرآن الكريم لم يكتمل بعد وما زال ينزل والصحابة يكتبونه، فإذا ما ورد الأذن بالكتابة للحديث أيضاً أنشغل الناس بكتابته وخشي من عدم التفرقة بينه وبين الحديث.

التوفيق بين الرأيين:

ذهب فريق من العلماء للجمع بين الرأيين طالما أنه يستقيم الأمر على ذلك فقالوا:

١- أن أحاديث النهي منسوخة بأحاديث الأذن بالكتابة، وهذا ما يعرف بنسخ السنة بالسنة.

٢- أن النهي كان لمن يوثق بحفظه فهذا ليس له سبب يدعوه إلى الكتابة، أما من لا يوثق بحفظه، ويخاف النسيان فمسموح له، بل الأولى له أن يكتب الحديث.

يقول الدكتور عبدالرحمن عتر: ((ولعلنا نوجز التوفيق في هذه الأحاديث الشريفة: بأن النهي كان لعلة فإذا زالت هذه العلة كان الأذن بالكتابة فالخوف من التباس القرآن بالحديث والخوف من الأنكباب على الحديث كان هذا سبباً للمنع من الكتابة، فلما زالت هذه الأسباب عاد الأمر إلى السماح بكتابة الحديث))[٢].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه.باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.رقم(٣٠٠٤)ج٤/٢٢٩٨ وأحمد في مسنده برقم(١١٥٥٣)ج٣/٥٦

[٢] أخرجه الدارمي في سنده. باب من لم ير كتابة الحديث (١٢٢/١) والخطيب في تقييد العلم . ص٤١

[٣] أرجع إلى مبحث : تاريخ تدوين السنة ص: ٨ من هذا البحث.

[١] انظر معالم السنة النبوية. ص٧٢

[٢] معالم السنة النبوية: لعبدالرحمن عتر ص٧٦. والدفاع عن السنة لمحمد أبو شهبه ص٢٠.

ثانياً: أما ما ذكره المشككون من أن الحديث لم يدون إلا في القرن الثاني للهجرة، وبأنها فترة طويلة تستدعى النسيان.

فالجواب: في محورين:

الأول: **أنه لابد أن يعلم الفرق بين مصطلحيين اثنين.**

الأول: تقييد العلم.

الثاني: تدوين العلم.

فالتقييد معناه: كتابته، سواء أكان مفرقاً أو مجموعاً، مرتباً أو غير مرتب.

والتدوين معناه: جمع المتفرق في كتاب واحد.

وبالتالي عندما يذكر المحدثون بأن الزهري هو أول من دون الحديث بأمر عمر بن عبدالعزيز فإنهم يقيناً لا يقصدون أنه أول من كتب الحديث، وإنما القصد أنه أول من قام بجمع هذه المتفرقات التي كتبها الصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم من التابعين في دفتر واحد هذا ما قصده المحدثون بأن التدوين ابتدأ في القرن الثاني من الهجرة وبذلك يبطل مزعمهم من أن السنة لم تكتب في القرن الأول.

الثاني: **أن عدم الأمر بكتابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفي حجيتها** كمصدر أساس للتشريع، ذلك أن مصدريتها غير متعلقة بالتدوين، وأما حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي تستدلون به على عدم إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتابة ففيه نقطتان هامتان:

الأولى: أمره بالحديث عنه ولا حرج.

الثانية: نهيه عن الكتابة.

فنهيه صلى الله عليه وسلم عن الكتابة لا يفهم منه عدم حجية السنة! بل المفهوم هو الحجية وذلك لأنه أمر أصحابه بأن يحدثوا عنه، وإنما لم يرد في هذه المرحلة هذه الطريقة من الحفظ وهي الكتابة مخافة اللبس مع القرآن.

والرأي الراجح في هذه المسألة:

هو أن النهي كان أول الأمر ثم حصل الأذن بعد ذلك فأخبار أبي هريرة بأن عبدالله بن عمرو كان يكتب وأنه لم يكن يكتب دليل على أن عبدالله كان يكتب بعد إسلام أبي هريرة رضي الله عنه، ومعلوم أن أبا هريرة تأخر في إسلامه، فأبو هريرة رضي الله عنه أسلم في السنة السابعة للهجرة.

فالمفهوم من هذا: أن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر وحرص على حفظ سنته بطريق واحد وهي طريقة الحفظ دون الكتابة خوفاً على القرآن من الخلط فيه وبالتالي لا تسقط حجية السنة بهذا التصور(١).

الشبهة الثالثة:

ملخص هذه الشبهة:

يدعي المستشرقون أن حملة السنة من الصحابة والتابعين كانوا جنوداً عند السلاطين والملوك يضعون لهم الأحاديث لتعضيد ملكهم، إما خوفا منهم ومن بطشهم أو طمعا بمال أو منصب!

---

(١) انظر: الروضة البهية في خدمة السنة النبوية. د. عبدالحكيم الصعيدي. مكتبة الدار العربية. ط١، ٢٠٠٧م ص٩١

ومن الذي طالتهم يد التشويه والتضليل الإمام الزهري، الذي كان يعد من أكبر أئمة الحديث في عصره، وأول من دون السنة من التابعين، لذا زعم المستشرق ((جولد تسهير)) بأن الإمام الزهري كان على علاقة وطيدة مع الأمويين، وأنه في سبيل هذه العلاقة وضع الأحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتحقيق مصالح الأمويين.

واستشهد على ذلك بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لا تشد الرحال إلى إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا ومسجد الحرام والمسجد الأقصى))[٢]، فقال: أن عبدالملك بن مروان أراد أن يكون للشام مكانة عند العرب المسلمين فمنع الناس من الحج إلى مكة وبنى قبة الصخرة ليحج الناس إليها، ويطوفوا حولها، وذلك أيام المحنة مع عبدالله بن الزبير فزعم هذا المستشرق أن هذا الحديث مكذوب، وما وضعه الزهري إلا لمصلحة، وبذلك يدخل الشك في قلوب الأمة من أحاديث الزهري، وبالتالي يدخل الشك إلى السنة كلها.

الرد على هذه الشبهة:

الرد على هذه الشبهة يكون على محورين:

الأول: عام والثاني خاص، متعلق بالإمام الزهري، أجاب الدكتور مصطفى السباعي على هذه الشبهة في كتابه مكانة السنة في التشريع الإسلامي قائلاً: ((إن أعداء الإسلام من غلاة الشيعة والمستشرقين ودعاة الإلحاد لم يصلوا ولن يصلوا إلى مدى السمو الذي يتصف به رواة السنة من الترفع عن الكذب حتى في حياتهم العادية بل ولن يصل أعداء الإسلام إلى مبلغ الخوف الذي استقر في نفوسهم بجنب الله خشية ورهبة ولا مدى استنكارهم لجريمة الكذب على رسول الله حتى قال منهم من قال: يكفر من يفعل ذلك. وبقتله، وعدم قبوله توبته))[٣]، وهذه أمثلة تبين لك أمانة المحدثين وأنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم وإن كان من أقرب الناس إليهم:

١- تجريحهم لأبائهم:

الإمام علي بن المديني سئل عن أبيه فقال: سلوا عنه غيري فأعادوا السؤال فأطرق رأسه ثم قال: هو الدين إنه ضعيف.

٢- تجريحهم لأبنائهم:

الإمام أبو داود السجتاني ((صاحب السنن)) قال: ابني عبدالله كذاب، وكذلك قال الإمام الذهبي في ولده أبي هريرة: أنه حفظ القرآن، ثم تشاغل عنه حتى نسيه.

٣- تجريحهم لإخوانهم:

زيد بن أبي أنيسه قال: ((لا تأخذوا عن أخي يحيى المذكور بالكذب))[١]

الثاني: في ما يتعلق بالإمام الزهري:

الإجابة عنه في النقاط الآتية:

[٢] صحيح البخاري: باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة رقم(١١٣٢)، ج١، ٣٩٨

[٣] منقول عن كتاب: الدكتور رؤف شلبي في السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين،ص٥٠

[١] انظر: السنة الإسلامية، د. رؤوف شلبي.ص٦٠

١- الإمام الزهري معروف بأمانته وورعه وتقواه، قال عنه الإمام أحمد: الزهري أحسن الناس حديثاً وأجود الناس اسناداً[٢]، وعرفه ابن حبان في الثقات فقال: ((كان أحفظ أهل زمانه، وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار وكان فقيهاً فاضلاً روى عنه الناس))[٣]، وقال عنه الذهبي في السير: ((إمام العلم حافظ زمانه))[٤].

٢- هذا الحديث الذي تزعمون أنه مكذوب من وضع الإمام الزهري إنما هو صحيح مروي في أصح كتب السنة[٥]، وقد روى من طرق مختلفة من غير طريق الزهري[٦].

٣- أن الإمام الزهري ولد سنة ٥٨ للهجرة وعبدالله بن الزبير رضي الله عنه قتل في سنة ٧٣ للهجرة يعني ذلك أن عمر الإمام الزهري كان خمسة عشر عاماً، فهل يتصور أن يأخذ الناس حديثه بالحج إلى قبة الصخرة وهو لم يزل مغموراً غير معروف!!

٤- ثم إن الحديث إنما يشير إلى فضل الصلاة في المسجد الأقصى، وأنه يشرع للمسلم السفر إليه وأنها عبادة وليس فيه أي دلالة على الطواف حول الصخرة ولا حتى على فضلها.

وبذلك يثبت بما لا يدع مجالاً للشك بطلان ما ذهب إليه هذا المستشرق الحاقد، وبهذه الردود أغلقت الأبواب، وكممت الأفواه التي اجترئت على سنة حبيب الله صلى الله عليه وسلم لتبقى سنته منارة وهدى ومصدراً رئيساً للتشريع في الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

الخاتمة

النتائج:

١ -إن السنة النبوية بيان للقرآن، ملازمة له، مفصلة لمجمله، موضحة لمبهمه، فالآخذ بما فيها آخذ بالقرآن.
٢ -اهتم الصحابة بحفظ السنة؛ فحفظوها في صدورهم، وكتبوها بما وصلت إليه أيديهم، وسار على نهجهم التابعون حفظا وكتابة، حتى وصلت إلينا نقية لا تشوبها شائبة.
٣ -أجمعت الأمة منذ عهد الخلفاء الراشدين وإلى يومنا هذا على الأخذ بالسنة وجعلها المصدر الثاني في التشريع بعد كتاب الله تعالى وأنه لا اجتهاد في حكم وردت به السنة.
٤ -التعريف بالإستشراق ونشأته، وأهدافه، وأهم المستشرقين المهتمين بعلوم الحديث الشريف.
٥ -زعم المستشرقين بعدم حجية الحديث الشريف، وعدم الأمر بتدوينه مثل مرتكزا أساسيا للمستشرقين لإثارة الشبه حول الحديث النبوي.

---

(٢) البداية والنهاية ،اسماعيل بن عمر بن كثير،مكتبة المعارف، بيروت ج٩. ص٣٤٠

(٣) الثقات . لأبي حاتم محمد بن حبان. دار الفكر، ط١، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ج٥/٣٤٩

(٤) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي،مؤسسة الرسالة، ط٩. تحقيق:شعيب الأرناوؤط، ج٥. ص٣٢٦

(٥) سبق تخريجه صفحة ٢٩

(٦) هذا الحديث أخرجه الترمذي في سننه ، رقم(٣٢٦) من طريق قزعة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ج٢/١٤٨. وفي المعجم الكبير برقم(٢١٦٠) عن طريق عمر بن عبدالرحمن عن أبي بصرة رضي الله عنه.ج٢/٢٧٧ وفي سنن أحمد بن حنبل برقم(١٠٥١٤) عن طريق أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه.ج٢/٠١ وفي مصنف أبي شيبة برقم(١٥٥٤٨) بطريق مسهر عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه.ج٣/٤١٩

٦ –إن الإستشراق وقواه التي تقف خلفه نجح في تجنيد العديد من أبناء المسلمين ليكونوا شوكة في خاصرة الدين، سواء علموا أم لم يعلموا، وهؤلاء خطرهم على الإسلام أشد من أساتذتهم المستشرقين أنفسهم.

٧ –إن الله تعالى تكفل بحفظ دينه المرتكز على دعامتين كتاب الله وسنة رسوله، فكلاهما من عند الله تعالى.

٨ –إن الله تعالى يقيض في كل زمان من علماء الأمة من يدافع عن سنة الحبيب محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم ويذود عنها ، لتبقى نقية صفية لاتشوبها شائبة.

يوصي البحث:

١ –الإستمرار في طرح هذه المؤتمرات والندوات لما تثريه في خدمة الدين من خلال كشفها للشبه المثارة حوله عامة والحديث خاصة.

٢ –اقامة المناظرات العلمية بين علماء السنة المخلصين وبين تلامذة المستشرقين المفلسين، المتناثرين هنا وهناك في العالم الإسلامي في مؤتمر يدعى له الهيئات والمؤسسات العلمية المتخصصة وجمهور الأمة. لما في المناظرة من فوائد عظيمة.



السنة النبوية صالحة لكل زمان ومكان، فالقضايا المعاصرة قد احتوتها بحوث السنة النبوية ودراساتها، وهذا الكتاب شاهد على ذلك، فقد ضم هذا الإصدار ستين بحثاً علمياً بمشاركة أساتذة متخصصين، وباحثين مهتمين من أساتذة الجامعات والمراكز العلمية والمؤسسات الإسلامية وطلبة الدراسات العليا، وتمثل موضوع القضايا المعاصرة للسنة النبوية في محوري: الجهود والاتجاهات، فتناول الباحثون الفكر الحداثي في التعامل مع السنة النبوية والموقف منه، وأثر السنة النبوية اليوم في الدعوة والحياة، والاهتمام بعلم الأسانيد والروايات والعلل، والمنهجية في السنة النبوية، وأخذ الباحثون نصوصاً حديثية للدراسة التحليلية والموضوعية، ووصفوا مظاهر الاهتمام بالسنة النبوية في المدارس والجامعات والمعاهد والمؤسسات، وأكدوا أهمية ترجمتها إلى اللغات الأخرى، وركزت البحوث أيضاً في هذا الكتاب على التقنيات الحديثة والتكنولوجيا المعاصرة التي خدمت السنة النبوية وعلومها، وكذا بيان الأوجه العلمية في السنة النبوية التي تتعلق بالعلوم والبيئة والطب وغير ذلك، وأثار الباحثون شبهات حول السنة النبوية وردّوا عليها بالحجج والبراهين والأدلة، ولا سيما في موضوعات الاستشراق القديم والاستغراب الجديد

